



﴿ المسماة ﴾

بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص
ذلك باخبار أقليم مصر والنيل وذكر القاهرة
وما يتعلق بها وبأقاليمها (تأليف) سيدنا
الشيخ الامام علامة الأنام تقي الدين
أحمد بن على بن عبد القادر بن
محمد المعروف بالمقريزى
رحمه الله ونفعنا
بعلومه آمين

﴿ الجزء الثالث ﴾

(مبيعه بمكتبة ملتزمه)
(حضرة الفاضل الشيخ احمد علي المليجي الكتبي الشهير)
« بمصر قريباً من الجامع الازهر المنير »
(طبع بمطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٥ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ذكر حارات القاهرة وظواهرها ﴾

قال ابن سيده والحارة كل محلة دنت منازلها قال والمحلة منزل القوم وبالقاهرة وظواهرها عدة حارات وهي * (حارة بهاء الدين) هذه الحارة كانت قديماً خارج باب الفتوح الذى وضعه القائد جوهر عند ما اختط أساس القاهرة من الطوب النيء وقد بقي من هذا الباب عقدة برأس حارة بهاء الدين وصارت هذه الحارة اليوم من داخل باب الفتوح الذي وضعه أمير الجيوش بدر الجمالي وهو الموجود الآن وحد هذه الحارة عرضاً من خط باب الفتوح الآن الى خط حارة الوراقة بسوق المرحلين وحدها طولا فيما وراء ذلك الى خط باب القنطرة وكانت هذه الحارة تعرف بحارة الريحانية والوزيرية وهما طائفتان من طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين فان بها كانت مساكنهم وكان فيها لهاتين الطائفتين دور عظيمة وحوانيت عديدة وقيل لها أيضاً بين الحارتين واتصلت العمارة الي السور ولم تزل الريحانية والوزيرية بهذه الحارة الى ان كانت واقعة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالعبيد

﴿ ذكر واقعة العبيد ﴾

وسببها أن مؤتمن الخلافة جوهراً أحد الاستاذين المحنكين بالقصر تحدث فى ازالة صلاح الدين يوسف بن أيوب من وزارة الخليفة العاضد لدين الله عند ما ضايق اهل القصر وشدد عليهم واستبد بأمور الدولة وأضعف جانب الخلافة وقبض على أكابر أهل الدولة فصار مع جوهر عدة من الامراء المصريين والجند واتفق رأيهم أن يبعثوا الى الفرنج ببلاد الساحل يستدعونهم الى القاهرة حتى اذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكره ثاروا وهم بالقاهرة واجتمعوا مع الفرنج على اخراجه من مصر فسيروا رجلا الى الفرنج وجعلوا كتبهم التى معه فى نعل وحفظت بالجلد مخافة أن يفطن بها فسار الرجل الى البير البيضاء قريباً من بلبيس فاذا بعض أصحاب صلاح الدين هناك فأنكر أمر الرجل من أجل أنه حمل النعلين فى يده ورآهما وليس فيهما أثر المشى والرجل رث الهيئة فارتاب وأخذ النعلين وشقهما فوجد الكتب ببطنهما فحمل الرجل والكتب الى صلاح الدين فتتبع خطوط الكتب حتى عرفت فاذا الذى كتبها من اليهود الكتاب فأمر بقتله فاعتصم بالاسلام وأسلم وحدثه الخبر

فبلغ ذلك مؤتمن الخلافة فاستشعر الشر وخاف على نفسه ولزم القصر وامتنع من الخروج منه فأعرض صلاح الدين عن ذلك جملة وطال الامدفظن الخصي أنه قد أهمل أمره وشرع يخرج من القصر وكانت له منظرة بناها بناحية الخرقانية في بستان فخرج اليها في جماعة وبلغ ذلك صلاح الدين فأنهض اليه عدة هجموا عليه وقتلوه في يوم الاربعاء لخمس بقين من ذي القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة واحتزوا رأسه وأتوا بها الى صلاح الدين فاشتهر ذلك بالقاهرة وأشيع فغضب العسكر المصرى وثاروا بأجمعهم في سادس عشريه وقد انضم اليهم عالم عظيم من الامراء والعامة حتى صاروا ما ينيف على خمسين ألفاً وساروا الى دار الوزارة وفيها يومئذ ساكناً بها صلاح الدين وقد استعدوا بالاسلحة فبادر شمس الدولة فخر الدين توران شاه أخو صلاح الدين وصرخ فى عساكر الغز وركب صلاح الدين وقد اجتمع اليه طوائف من أهله وأقاربه وجميع الغز وزتهم ووقفت الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية والطائفة الفرحية وغيرهم من الطوائف السودانية ومن انضم اليهم بين القصرين فثارت الحروب بينهم وبين صلاح الدين واشتد الامر وعظم الخطب حتى لم يبق الا هزيمة صلاح الدين وأصحابه فعند ذلك أمر توران شاه بالحملة على السودان فقتل فيها أحد مقدميهم فانكف بأسهم قليلا وعظمت حملة الغز عليهم فانكسروا الى باب الذهب ثم الى باب الزهومة وقتل حينئذ عدة من الامراء المصريين وكثير ممن عداهم وكان العاضد في هذه الوقعة يشرف من المنظرة فلما رأى أهل القصر كسرة السودان وعساكر مصر رموا على الغز من أعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى أنكوا فيهم وكفوهم عن القتال وكادوا ينهزمون فأمر حينئذ صلاح الدين النفاطين باحراق المنظرة فأحضر شمس الدولة النفاطين وأخذوا فى تطبيب قارورة النفط وصوبوا بها على المنظرة التي فيها العاضد فخاف العاضد على نفسه وفتح باب المنظرة زعيم الخلافة أحد الاستاذين وقال بصوت عال أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب أخرجوهم من بلادكم. فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا فحمل عليهم الغز فانكسروا وركب القوم أقفيتهم الى أن وصلوا الى السيوفيين فقتل منهم كثير وأسر منهم كثير وامتنعوا هناك على الغز بمكان فأحرق عليهم وكان فى دار الارمن التي كانت قريباً من بين القصرين خلق عظيم من الارمن كلهم رماة ولهم جار في الدولة يجرى عليهم فعند ما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحدة حتى امتنعوا عن أن يسيروا الى العبيد فأحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقا وقتلا ومروا الى العبيد فصاروا كلما دخلوا مكانا أحرق عليهم وقتلوا فيه الى أن وصلوا الى باب زويلة فاذا هو مغلوق فحصروا هناك واستمر فيهم القتل مدة يومين ثم بلغهم أن صلاح الدين أحرق المنصورة التى كانت أعظم حاراتهم وأخذت عليهم أفواه السكك. فأيقنوا أنهم قد أخذوا لا محالة فصاحوا

الامان فامنوا وذلك يوم السبت لليلتين بقيتا من ذى القعدة وفتح لهم باب زويلة فخرجوا الى الجيزة فعدا عليهم شمس الدولة فى العسكر وقدقووا بأموال المهزومين وأسلحتهم وحكموا فيهم السيف حتى لم يبق منهم الا الشريد وتلاشى من هذه الواقعة أمر العاضد وكان من غرائب الاتفاقات أن الدولة الفاطمية كان الذى افتتح لها بلاد مصر وبنى القاهرة جوهر القائد والذى كان سبباً فى ازالة الدولة وخراب القاهرة جوهر المنعوت بمؤتمن الخلافة هذا ثم لما استبد صلاح الدين يوسف بسلطنة الديار المصرية بعد موت الخليفة العاضد لدين الله سكن هذه الحارة الامير الطواشى الخصي بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الاسدى فعرفت به * (حارة برجوان) منسوبة الى الاستاذ أبى الفتوح برجوان الخادم وكان خصياأبيض تام الخلقة ربي فى دار الخليفة العزيز بالله وولاه أمر القصور فلما حضرته الوفاة وصاه على ابنه الامير أبى على منصور فلما مات العزيز بالله أقيم ابنه منصور في الخلافة من بعده وقام بتدبير الدولة أبو محمد الحسن بن عمار الكتامى فدبر الامور وبرجوان يناكده فيمايصدر عنه ويختص بطوائف من العسكر دونه الى أن أفسد أمر ابن عمار فنظر برجوان في تدبير الامور يوم الجمعة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وصار الواسطة بين الحاكم وبين الناس فأمر بجمع الغلمان ونهاهم عن التعرض لأحد من الكتاميين والمغاربة ووجه الى دار ابن عمار فمنع الناس عنها بعد أن كانوا قد أحاطوا بها وانتهبوا منها وأمر أن يجرى لاصحاب الرسوم والرواتب جميع ما كان ابن عمار قطعه وأجرى لابن عمار ما كان يجرى له في أيام العزيز باللهمن الجرايات لنفسه ولاهلهوحرمه ومبلغ ذلك من اللحم والتوابل خمسمائة دينار في كل شهر يزيد عن ذلك أو ينقص عنه على قدر الاسعار مع ما كان له من الفاكهة وهو في كل يوم سلة بدينار وعشرة أرطال شمع بدينار ونصف وحمل بلح وجعل كاتبه أبا العلاء فهد ابن ابراهيم النصرانى يوقع عنه وينظر في قصص الرافعين وظلاماتهم فجلس لذلك في القصر وصار يطالعه بجميع ما يحتاج اليه ورتب الغلمان في القصر وأمرهم بملازمة الخدمة وتفقد أحوالهم وأزال علل أولياء الدولة وتفقد أمور الناس وأزال ضروراتهم ومنع الناس كافة من الترجل له فكان الناس يلقونه فى داره فاذا تكامل لقاؤهم ركبوا بين يديه الى القصر ماعدا الحسين بن جوهر والقاضى ابن النعمان فقط فانهما كانا يتقدمانه من دورهما الى القصر أو يلحقانه ويكون سلامهما عليه فى القصر حتى أنه لقب كاتبه فهدا بالرئيس فصار يخاطب بذلك ويكاتب به * وكان برجوان يجلس فى دهاليز القصر ويجلس الرئيس فهد بالدهليز الاول يوقع وينظر ويطالع برجوان ما يحتاج اليه مما يطالع به الحاكم فيخرج الامر بما يكون العمل به وترقت أحوال برجوان الى أن بلغ النهاية فقصر عن الخدمة وتشاغل بلذاته وأقبل على سماع الغناء وأكثر من الطرب وكان شديد المحبة في الغناء فكان المغنون

من الرجال والنساء يحضرون داره فيكون معهم كأحدهم ثم يجلس فى داره حتى يمضي صدر النهار ويتكامل جميع أهل الدولة وأرباب الاشغال على بابه فيخرج راكباً ويمضي الى القصر فيمشي من الامور ما يختار بغير مشاورة فلما تزايد الامر وكثر استبداده تحرد له الحاكم ونقم عليه أشياء من تجريه عليه ومعاملته له بالاذلال وعدم الامتثال . منها انه استدعاه يوما وهو راكب معه فصار اليه وقد ثنى رجله على عنق فرسه وصار باطن قدمه وفيه الخف قبالة وجه الحاكم ونحو ذلك من سوء الادب فلما كان يوم الخميس سادس عشرى شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة أنفذاليه الحاكم عشية للركوب معه الى المقياس فجاء بعد ما انباطأ وقد ضاق الوقت فلم يكن بأسرع من خروج عقيق الخادم باكياً يصيح قتل مولاى وكان هذا الخادم عينا لبرجوان في القصر فاضطرب الناس واشرف عليهم الحاكم وقام زيدان صاحب المظلة فصاح بهم من كان في الطاعة فلينصرف الى منزله ويبكر الى القصر المعمور فانصرف الجميع فكان من خبر قتل برجوان انه لما دخل الى القصر كان الحاكم في بستان يعرف بدويرة التين والعناب ومعه زيدان فوافاه برجوان بها وهو قائم فسلم ووقف فسار الحاكم الى أن خرج من باب الدويرة فوثب زيدان على برجوان وضربه بسكين كانت معه في عنقه وابتدره قوم كانوا قد أعدوا للفتك به فأثخنوه جراحة بالخناجر واحتزوا رأسه ودفنوه هناك ثم ان الحاكم أحضر اليه الرئيس فهدا بعد العشاء الاخيرة وقال له أنت كاتبي وأمنه وطمنه فكانت مدة نظر برجوان فى الوساطة سنتين وثمانية أشهر تنقص يوما واحداً ووجد الحاكم في تركته مائة منديل يعني عمامة كلها شروب ملونة معممة على مائة شاشية وألف سراويل ديبقية بالف تكة حرير أرمني ومن الثياب المخيطة والصحاح والحلي والمصاغ والطيب والفرش والصياغات الذهب والفضة مالا يحصى كثرة ومن العين ثلاثة وثلاثين ألف دينار ومن الخيل الركابية مائة وخمسين فرساً وخمسين بغلة ومن بغال النقل ودواب الغلمان نحو ثلثمائة رأس ومائة وخمسين سرجا منها عشرون ذهباً ومن الكتب شيء كثير وحمل لجاريته من مصر الى القاهرة رحل على ثمانين حماراً قال ابن خلكان وبرجوان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الجيم والواو وبعد الالف نون هكذا وجدته مقيداً بخط بعض الفضلاء وقال ابن عبد الظاهر ويسمى الوزغ سماه به الحاكم (حارة زويلة) قال ابن عبد الظاهر لما نزل القائد جوهر بالقاهرة اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها والبئر التى تعرف ببئر زويلة في المكان الذي يعمل فيه الآن الروايا والبابان المعروفان ببابي زويلة وقال ياقوت زويلة بفتح الزاى وكسر الواو وياء ساكنة وفتح اللام أربعة مواضع الاول زويلة السودان وهى قصبة أعمال فزان في جنوب افريقية مدينة كثيرة النخل والزرع الثاني زويلة المهدية بلد كالربض للمهدية اختطه عبد الله الملقب بالمهدى واسكنه الرعية وسكن

هو بالمهدية التي استجدها فكانت دكا كين الرعية وامتعتهم بالمهدية ومنازلهم وحرمهم بزويلة فكانوا يظلون بالنهار في المهدية ويبيتون ليلا بزويلة وزعم المهدى أنه فعل بهم ذلك ليأمن غائلتهم قال أحول بينهم وبين أموالهم ليلا وبينهم وبين نسائهم نهاراً الثالث باب زويلة بالقاهرة من جهة الفسطاط الرابع حارة زويلة محلة كبيرة بالقاهرة بينها وبين باب زويلة عدة محال سميت بذلك لان جوهراغلام المعز لما احتط محله بالقاهرة أنزل أهل زويلة بهذا المكان فتسمى لهم (الحارة المحمودية) الصواب فى هذه الحارة ان يقال حارة المحمودية على الاضافة فانها عرفت بطائفة من طوائف عسكر الدولة الفاطمية كان يقال لها الطائفة المحمودية وقد ذكرها المسبحي في تاريخه مراراً قال فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة وفيها اقتتلت الطائفة المحمودية واليانسية واشتبه أمر هذه الحارة على ابن عبد الظاهر فلم يعرف نسبتها لمن وقال لا أعلم في الدولة المصرية من اسمه محمود الا ركن الاسلام محمود بن أخت الصالح بن رزيك صاحب التربة بالقرافة اللهم الا أن يكون محمود بن مصال الملكى الوزير فقد ذكر ابن القفطي أن اسمه محمود ومحمود صاحب المسجد بالقرافة وكان في زمن السرى بن الحكم قبل ذلك وهذا وهم آخر فان ابن مصال الوزير اسمه سليمان وبنعت بنجم الدين ووقعت فى هذه الحارة نكتة قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة أربع وتسعين وخمسمائة والسلطان يومئذ بمصر الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وكان في شعبان قد تتابع أهل مصر والقاهرة في اظهار المنكرات وترك الانكار لها واباحة أهل الامر والنهى فعلها وتفاحش الامر فيها الى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعصره وأقيمت طاحون بالمحمودية لطحن حشيشة للمزر وأفردت برسمه وحميت بيوت المزر وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة فمنها ما انتهى أمره في كل يوم الى ستة عشر ديناراً ومنع المزر البيوتى ليتوفر الشراء من مواضع الحمي وحملت أوانى الخمر على رؤوس الاشهاد وفى الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل عقوبة الله تعالى وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة في وقت ميسورها (حارة الجودرية) هذه الحارة عرفت أيضاً بالطائفة الجودرية أحد طوائف العسكر في أيام الحاكم بأمر الله على ما ذكره المسبحي وقال ابن عبد الظاهر الجودرية منسوبة الى جماعة تعرف بالجودرية اختطوها وكانوا أربعمائة منهم أبو على منصور الجودري الذى كان في أيام العزيز بالله وزادت مكانته في الايام الحاكمية فأضيفت اليه مع الاحباس الحسبة وسوق الرقيق والسواحل وغير ذلك ولها حكاية سمعت جماعة يحكونها وهي أنها كانت سكن اليهود والمعروفة بهم فبلغ الخليفة الحاكم انهم يجتمعون بها في أوقات خلواتهم ويغنون

وأمة قد ضلوا ودينهم معتل * قال لهم نبيهم نعم الادام الخل

ويسخرون من هذا القول ويتعرضون الى مالاينبغي سماعه فأتي الى أبوابها وسدها

عليهم ليلا وأحرقها فالى هذا الوقت لا يبيت بها يهودى ولا يسكنها أبداً وقد كان في الايام العزيزية جودر الصقلي أيضاً ضرب عنقه ونهب ماله فى سنة ست وثمانين وثلثمائة (حارة الوزيرية) هي أيضاً تنسب الى طائفة يقال لها الوزيرية من جملة طوائف العسكر وكانت أولا تعرف بحارة بستان المصمودى وعرفت أيضاً بحارة الاكراد قال ابن عبد الظاهر الوزيرية منسوبة الى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس وقال بن الصيرفى والطائفة المنعوتة بالوزيرية الى الآن منسوبة اليه يعني الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس أبو الفرج كان يهودياً من أهل بغداد فخرج منها الى بلاد الشام ونزل بمدينة الرملة وأقام بها فصار فيها وكيلا للتجار بها واجتمع في قبله مال عجز عن ادائه ففر الى مصر في أيام كافورالاخشيدى فتعلق بخدمته ووثب اليه بالمتجر فباع اليه أمتعة أحيل بثمنها على ضياع مصر فكثر لذلك تردده على الريف وعرف أخبار القرى وكان صاحب حيل ودهاء ومكر ومعرفة مع ذكاء مفرط وفطنة فمهر في معرفة الضياع حتي كان اذا سئل عن أمرغلالها ومبلغ ارتفاعها وسائر أحوالها الظاهرة والباطنة أتي من ذلك بالغرض فكثرت أمواله واتسعت أحواله وأعجب به كافور لما خبر فيه من الفطنة وحسن السياسة فقال لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً فلما بلغه هذا عن كافور تاقت نفسه الى الولاية وأحضر من علمه شرائع الاسلام سراً فلما كان في شعبان سنة ست وخمسين وثلثمائة دخل الى الجامع بمصر وصلى صلاة الصبح وركب الى كافور ومعه محمد بن عبد الله بن الخازن في خلق كثير فخلع عليه كافور ونزل الى داره ومعه جمع كثير وركب اليه أهل الدولة يهنونه ولم يتأخرعن الحضور اليه أحد فغص بمكانه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات وقلق بسببه وأخذ فيالتدبيرعليه ونصب الحبائل له حتي خافه يعقوب فخرج من مصر فارا منه يريد بلاد المغرب في شوال سنة سبع وخمسين وقد مات كافور فلحق بالمعز لدين الله أبي تميم معد فوقع منه موقعاً حسناً وشاهدمنه معرفة وتدبيرا فلم يزل فيخدمته حتى قدم من المغرب الى القاهرة فيشهر رمضان سنة اثنين وستين وثلثمائة فقلده في رابع عشر المحرم سنة ثلاث وستين الخراج وجميع وجوه الاموال والحسبة والسواحل والاعشار والجوالى والاحباس والمواريث والشرطتين وجميع مايضاف الى ذلك وما يطرأ فى مصر وسائر الاعمال وأشرك معهفي ذلك كله عسلوج ابن الحسن وكتب لهما سجلا بذلك قرئ في يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون فقبضت أيدى سائر العمال والمتضمنين وجلس يعقوب وعسلوج في دار الامارة في جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات وطالبا بالبقايا من الاموال مما على الناس من المالكين والمتقبلين والعمال واستقصيا فى الطلب ونظرا في المظالم فتوفرت الاموال وزيد في الضياع وتزايد الناس وتكاشفوا وامتنعا أن يأخذا

الا ديناراً معزياً فاتضع الدينار الراضى وانحط ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار فخسر النـــاس كثيراً من أموالهم فى الدينار الابيض والدينار الراضى وكان صرف المعزى خمسة عشر درهماً ونصفاً واشتد الاستخراج فكان يستخرج في اليوم نيف وخمسون ألف دينار معزية واستخرج في يوم واحد مائة وعشرون ألف دينار معزية وحصل فى يوم واحد من مال تنيس ودمياط والاشمونين أكثر من مائتي ألف دينار وعشرين ألف دينار وهذا شئ لم يسمع قط بمثله فى بلد فاستمر الامر على ذلك الى المحرم سنة خمس وستين وثلثمائة فتشاغل يعقوب عن حضور ديوان الخراج وانفرد بالنظر في أمور المعز لدين الله في قصره وفي الدور الموافق عليها وبعد ذلك بقليل مات المعز لدين الله في شهر ربيع الآخر منهـــا وقام من بعده في الخلافة ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار ففوض ليعقوب النظر في سائر أموره وجعله وزيراً له في أول المحرم سنة سبع وستين وثلثمائة وفى شهر رمضان سنة ثمان وستين لقبه بالوزير الاجل وأمر أن لايخاطبه أحد ولا يكاتبه الا به وخلع عليه وحمـــل ورسم له فى المحرم سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة أن يبدأ له في مكاتباته باسمه على عنوانات الكتب النافذة عنه وخرج توقيع العزيز بذلك وفي هذه السنة اعتقل فى القصر ورد الامر الى خير بن القاسم فأقام معتقلا عدة شهور ثم أطلق فى سنة أربع وسبعين وحمل على عدة خيول وقرىء سجل برده الى تدبير الدولة ووهبه خمسمائة غلام من الناشئة والف غلام من المغاربة ملكه العزيز رقابهم فكان يعقوب أول وزراء الخلفاء الفاطميـــين بديار مصر فدبر أمور مصر والشام والحرمين وبلاد المغرب وأعمال هذه الاقاليم كلها من الرجال والاموال والقضاء والتدبير وعمل له اقطاعا فى كل سنة بمصر والشام مبلغها ثلثمائة الف دينار واتسعت دائرته وعظمت مكانتـــه حتى كتب اسمه على الطرز وفى الكتب وكان يجلس كل يوم في داره ويأمر وينهى ولا يرفع اليه رقعة الا وقع فيها ولا يسأل في حاجة الا قضاها ورتب فى داره الحجاب نوبا وأجلسهم على مراتب وألبسهم الديباج وقلدهم السيوف وجعل لهم المناطق ورتب فرسين فى داره للنوبة لاتبرح واقفة بسروجها ولجمها لهم بردو نصب في داره الدواوين فجعل ديواناً للعزيزية فيه عدة كتاب وديواناً للجيش فيه عدة كتاب وديواناً للاموال فيه عدة كتاب وعدة جهابذة وديواناً للخراج وديواناً للسجلات والانشاء وديواناً للمستغلات وأقام على هذه الدواوين زماناً وجعل في داره خزانة للكسوة وخزانة للمال وخزانة للدفاتر وخزانة للاشربة وعمل على كل خزانة ناظراً وكان يجلس عنده في كل يوم الاطباء لينظروا في حال الغلمان ومن يحتاج منهم الى علاج أو اعطاء دواء ورتب الى داره الكتاب والاطباء يقفون بين يديه وجعل فيها العلماء والادباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأرباب الصنائع لكل طائفة مكان مفرد وأجري على كل واحد منهم الارزاق وألف كتباً في الفقه والقراآت

ونصب له مجلسا في داره يحضره في كل يوم ثلاثاء ويحضر اليه الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل يتناظرون بين يديه فمن تآليفه كتاب في القراآت وكتاب في الاديان وهو كتاب الفقه واختصره وكتاب في آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب في علم الابدان وصلاحها في ألف ورقة وكتاب في الفقه مما سمعه من الامام المعز لدين الله والامام العزيز بالله وكان يجلس في يوم الجمعة أيضاً ويقرأ مصنفاته على الناس بنفسه وفي حضرته القضاة والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث والنحاة والشهود فاذا فرغ من قراءة مايقرأ من مصنفاته قام الشعراء ينشدون مدائحهم فيه وكان في داره عدة كتاب ينسخون القرآن الكريم والفقه والطب وكتب الادب وغيرها من العلوم فاذا فرغوا من نسخها قوبلت وضبطت وجعل في داره قراء وأئمة يصلون في مسجد داره وأقام بداره عدة مطابخ لنفسه ولجلسائه ولغلمانه وحواشيه وكان ينصب مائدة لخاصته يأكل هو وخواصه من أهل العلم ووجوه كتابه وخواص غلمانه ومن يستدعيه عليها وينصب عدة موائد لبقية الحجاب والكتاب والحواشي وكان اذا جلس يقرأ كتابه في الفقه الذى سمعه من المعز والعزيز لا يمنع أحد من مجلسه فيجتمع عنده الخاص والعام ورتب عند العزيز بالله جماعة لايخاطبون الا بالقائد وأنشأ عدة مساجد ومساكن بمصر والقاهرة وكان يقيم في شهر رمضان الاطعمة للفقهاء ووجوه الناس وأهل الستر والتعفف ولجماعة كثيرة من الفقراء وكان اذا فرغ الفقهاء والوجوه من الاكل معه يطاف عليهم بالطيب * ومرض مرة من علة أصابت يده فقال فيه عبد الله بن محمد ابن أبي الجرع

يد الوزير هى الدنيا فان ألمت * رأيت فى كل شئ ذلك الالما
تأمل الملك وانظر فرط علته * من أجله واسأل القرطاس والقلما
وشاهد البيض فى الاغماد حائمة * الى العدا وكثيراً ما روين دما
وانفس الناس بالشكوى قد اتصلت * كأنما أشعرت من أجله سقما
هل ينهض المجد الا أن يؤيده * ساق يقدم في انهاضه قدما
لولا العزيز وآراء الوزير معا * تحيفتنا خطوب تشعب الامما
فقل لهذا وهذا أنتما شرف * لا أوهن الله ركنيه ولا انهدما
كلا كما لم يزل فى الصالحات يدا * مبسوطة ولسانا ناطقاً وفما
ولا أصابكما أحداث دهر كما * ولا طوى لكما ما عشتما علما
ولا انمحت عنك يامولاي عافية * فقد محوت بما أوليتنى العدما

وكان الناس يفتون بكتابه في الفقه ودرس فيه الفقهاء بجامع مصر وأجرى العزيز بالله لجماعة فقهاء يحضرون مجلس الوزير أرزاقا فى كل شهر تكفيهم وكان للوزير مجلس في داره

للنظر فى رقاع الرافعين والمتظلمين ويوقع بيـده في الرقاع ويخاطب الخصوم بنفسه وأراد العزيز بالله أن يسافر الى الشام في زمن ابتداء الفاكهة فأمر الوزير أن يأخذ الاهبة لذلك فقال يا مولاي لكل سفر أهبة على مقـداره فما الغرض من السفر فقال أني أريد التفرج بدمشق لاكل القراصيا فقال السمع والطاعـة وخرج فاستدعى جميع أرباب الحمام وسألهم عما بدمشق من طيور مصر وأسماء من هي عنـده وكانت مائة ونيفا وعشرين طائراً ثم التمس من طيور دمشق التى هى في مصر عدة فاحضرها وكتب الى نائبه بدمشق يقول ان بدمشق كذا وكذا طائراً وعرفه اسماء من هى عنده وأمره باحضارها اليه جميعها وان يصيب من القراصيا في كل كاغدة ويشدها على كل طائر منها ويسرحها في يوم واحد فلم يمض الا ثلاثة أيام أو أربعة حتى وصلت الحمائم كلها ولم يتأخر منها الا نحو عشر وعلى جناحها القراصيا فاستخرجها من الكواغد وعملها في طبق من ذهب وغطاها وبعث بها الى العزيز بالله مع خادم وركب اليه وقدم ذلك وقال يا أمير المؤمنين قد حضرنا قبالك القراصيا ههنا فان أغناك هـذا القدر والا استدعينا شيأ آخر فعجب العزيز بالوزير وقال مثلك يخدم الملوك ياوزير واتفق انه سابق العزيز بين الطيور فسبق طائر الوزير يعقوب طائر العزيز فشق ذلك على العزيز ووجد أعداء الوزير سبيلا الى الطعن فيه فكتبوا الى العزيز انه قد اختار من كل صنف أعلاه ولم يترك لامير المؤمنين الا أدناه حتى الحمام فبلغ ذلك الوزير فكتب الى العزيز

قل لامير المؤمنين الذى * له العلى والمثل الثاقب
طائرك السابق لكنه * لم يأت الاوله حاجب

فأعجب العزيز ذلك وأعرض عما وشى به ولم يزل على حال رفيعـة وكلمة نافذة الى أن ابتدأت به علته يوم الاحد الحادى والعشرين من شوال سنة ثمانين وثلثمائة ونزل اليه العزيز بالله يعوده وقال له وددت انك تباع فابتاعك بمالى أو تفدى فأفديك بولدى فهل من حاجة توصى بها يا يعقوب فبكى وقبل يده وقال اما فيما يخصني فانت أرعى بحقى من أن استرعيك اياه وأرأف على من أن أوصيك به ولكنى أنصح لك فيما يتعلق بك وبدولتك سالم الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والشكر ولا تبق على مفرج بن دعقـل ان عرضت لك فيه فرصة وانصرف العزيز فأخذته السكتة * وكان في سياق الموت يقول لا يغلب الله غالب ثم قضي نحبه ليلة الاحـد لخمس خلون من ذى الحجة فأرسل العزيز بالله الى داره الكفن والحنوط وتولى غسله القاضى محمـد بن النعمان وقال كنت والله أغسل لحيته وأنا أرفق به خوفا أن يفتح عينه في وجهى وكفن في خمسين ثوبا ثلاثين مثقلا يعنى منسوجا بالذهب ووشي مذهباً وشرب ديبقى مذهباً وحقة كافورا وقارورتي مسك وخمسين منا ماء ورد وبلغت قيمة الكفن والحنوط عشرة آلاف دينار وخرج مختار الصقلبي وعلى بن عمر

المداس والرجال بين أيديهم ينادون لا يتكلم أحـد ولا ينطق وقد اجتمع الناس فيما بين القصر ودار الوزير التي عرفت بدار الديباج ثم خرج العزيز من القصر على بغـلة والناس يمشون بين يديه وخلفه بغير مظلة والحزن ظاهر عليه حتى وصل الى داره فنزل وصلى عليه وقد طرح على تابوته ثوب مثقل ووقف حتى دفن بالقبة التي كان بناها وهو يبكي ثم انصرف وسمع العزيز وهو يقول واطول أسفى عليك يا وزير والله لو قدرت أفديك بجميع ماأملك لفعلت وأمر باجراء غلمانه على عادتهم وعتق جميع مماليكه وأقام ثلاثاً لا يأكل على مائدته ولا يحضرها من عادته الحضور وعمل على قبره ثوبان مثقلان وأقام الناس عنـد قبره شهرا وغـدا الشعراء الى قبره فرثاه مائة شاعر أجيزوا كلهم وبلغ العزيز ان عليه ستة عشر ألف دينار دينا فأرسل بها الى قبره فوضعت عليه وفرقت على أرباب الديون والزم القراء بالمقام على قبره وأجرى عليهم الطعام وكانت الموائد تحضر الى قبره كل يوم مدة شهر يحضر نساء الخاصة كل يوم ومعهن نساء العامة فتقوم الجوارى باقداح الفضة والبلور وملاعق الفضة فيسقين النساء الاشربة والسويق بالسكر ولم تتأخر نائحة ولا لاعبة عن حضور القبر مدة الشهر وخلف أملاكا وضياعا قياسير ورباعا وعينا وورقا وأواني ذهباً وفضة وجوهرا وعنبراً وطيبا وثيابا وفرشا ومصاحف وكتباً وجواري وعبيداً وخيلا وبغالا ونوقا وحمرا وابلا وغلالا وخزائن ما بين أشربة وأطعمة قومت بأربعـة آلاف ألف دينار سوى ما جهز به ابنته وهو ما قيمته مائتا ألف دينار وخلف ثماني مائة حظية سوي جوارى الخدمة فلم يتعرض العزيز لشيء مما يملكه أهله وجواريه وغلمانه وأمر بحفظ جهاز ابنته الى أن زوجها وأجرى لمن في داره كل شـهر ستمائة دينار للنفقة سوى الكسوة والجرايات وما يحمل اليهم من الاطعمة من القصر وأمر بنقل ما خلفه الى القصر فلما تم له من يوم وفاته شهر قطع الامير منصور بن العزيز جميع مستغلاته وأقر العزيز جميع ما فعله الوزير وما ولاه من العمال على حاله وأجرى الرسوم التي كان يجريها وأقر غلمانه على حالهم وقال هؤلاء صنائعي وكانت عدة غلمان الوزير أربعـة آلاف غلام عرفوا بالطائفة الوزيرية وزاد العزيز أرزاقهم عما كانت عليه وأدناهم واليهم تنسب الوزيرية كأنها كانت مساكنهم واتفق ان الوزير عمر قبة أنفق عليها خمسة عشر ألف دينار وآخر ما قال لقد طال أمر هذه القبة ما هذه قبة هذه تربة فكانت كذلك ودفن تحتها وموضع قبره اليوم المدرسـة الصاحبية واتفق أنه وجد في داره رقعة مكتوب فيها

احذروا من حوادث الازمان * وتوقوا طوارق الحـدثان
قـد امنتم ريب الزمان ونمتم * رب خوف مكمن في الامان

فلما قرأها قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولم يلبث بعـدها الا اياما يسـيرة

ومرض فمات (حارة الباطلية) عرفت بطائفة يقال لهم الباطلية قال بن عبد الظاهر وكان المعز لما قسم العطاء في الناس جاءت طائفة فسألت عطاء فقيل لها فرغ ما كان حاضراً ولم يبق شئ فقالوا رحنا نحن في الباطل فسموا الباطلية وعرفت هذه الحارة بهم وفى سنة ثلاث وستين وستمائة احترقت حارة الباطلية عند ما كثر الحريق في القاهرة ومصر واتهم النصارى بفعل ذلك فجمعهم الملك الظاهر بيبرس وحملت لهم الاحطاب الكثيرة والحلفاء وقدموا ليحرقوا بالنار فتشفع لهم الامير فارس الدين اقطاى أتابك العساكر على أن يلتزموا بالاموال التى احترقت وان يحملوا الى بيت المال خمسين ألف دينار فتركوا وجرى في ذلك ما تستحسن حكايته وهو أنه قد جمع مع النصارى سائر اليهود وركب السلطان ليحرقهم بظاهر القاهرة وقد اجتمع الناس من كل مكان للتشفي بحريقهم لما نالهم من البلاء فيما دهوابه من حريق الاماكن لا سيما الباطلية فانها أتت النار عليها حتى حرقت بأسرها فلما حضر السلطان وقدم اليهود والنصارى ليحرقوا برز ابن الكازرونى اليهودى وكان صيرفيا وقال للسلطان سألتك بالله لا تحرقنا مع هؤلاء الكلاب الملاعين اعدائنا وأعدائكم احرقنا ناحية وحدنا فضحك السلطان والامراء وحينئذ تقرر الامر على ما ذكر فندب لاستخراج المال منهم الامير سيف الدين بلبان المهرانى فاستخلص بعض ذلك في عدة سنين وتطاول الحال فدخل كتاب الامراء مع مخاديمهم وتحيلوا في ابطال ما بقى فبطل في أيام السعيد بن الظاهر وكان سبب فعل النصارى لهذا الحريق حنقهم لما أخذ الظاهر من الفرنج أرسوف وقيسارية وطرابلس ويافا وانطاكية وما زالت الباطلية خرابا والناس تضرب بحريقها المثل لمن يشرب الماء كثيرا فيقولون كأن في باطنه حريق الباطلية ولما عمر الطواشى بهادر المقدم داره بالباطلية عمر فيها مواضع بعد سنة خمس وثمانين وسبعمائة * (حارة الروم) قال ابن عبد الظاهر واختطت الروم حارتين حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية فلما ثقل ذلك عليهم قالوا الجوانية لا غير والوراقون الى هذا الوقت يكتبون حارة الروم السفلى وحارة الروم العليا المعروفة اليوم بالجوانية وفي سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وتسعين وثلثمائة أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بهدم حارة الروم فهدمت ونهبت * (حارة الديلم) عرفت بذلك لنزول الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابي حين قدم ومعه أولاد مولاه معز الدولة البويهي وجماعة من الديلم والاتراك في سنة ثمان وستين وثلثمائة فسكنوا بها فعرفت بهم * وهفتكين هذا يقال له الفتكين أبو منصور التركيّ الشرابي غلام معز الدولة أحمد بن بويه ترقي في الخدم حتى غلب في بغداد عن عز الدولة مختار بن معز الدولة وكان فيه شجاعة وثبات في الحرب فلما سارت الاتراك من بغداد لحرب الديلم جرى بينهم قتال عظيم اشتهر فيه هفتكين الا أن أصحابه انهزموا عنه وصار في طائفة قليلة فولى بمن معه من الاتراك وهم نحو الاربعمائة فسار الى الرحبة وأخذ منها على البر الى ان قرب من

حوشبة احدى قرى الشام وقد وقع في قلوب العربان منه مهابة فخرج اليه ظالم بن مرهوب العقيلي من بعلبك وبعث الى أبي محمود ابراهيم بن جعفر أمير دمشق من قبل الخليفة المعز لدين الله يعلمه بقدوم هفتكين من بغداد لاقامة الخطبة العباسية وخوفه منه فأنفذ اليه عسكرا وسار الى ناحية حوشبة يريد هفتكين وسار بشارة الخادم من قبل أبي المعالي بن حمدان عوناً لهفتكين فرد ظالم الى بعلبك من غير حرب وسار بشارة بهفتكين الى حمص فحمل اليه أبو المعالي وتلقاه وأكرمه وكان قد ثار بدمشق جماعة من أهل الدعارة والفساد وحاربوا عمال السلطان واشتد أمرهم وكان كبيرهم يعرف بابن الماورد فلما بلغهم خبر هفتكين بعثوا اليه من دمشق الى حمص يستدعونه ووعدوه بالقيام معه على عساكر المعز واخراجهم من دمشق ليلي عليهم فوقع ذلك منه بالموافقة وصار حتى نزل بثنية العقاب لايام بقيت من شعبان سنه أربع وستين وثلثمائة فبلغ عسكر المعز خبر الفرنج وانهم قد قصدوا طرابلس فساروا بأجمعهم الى لقاء العدو ونزل هفتكين على دمشق من غير حرب فأقام أياماً ثم سار يريد محاربة ظالم ففر منه ودخل هفتكين بعلبك فطرقه العدو من الروم والفرنج وانتهبوا بعلبك وأحرقوا وذلك في شهر رمضان وانتشروا في أعمال بعلبك والبقاع يقتلون ويأسرون ويحرقون وقصدوا دمشق وقد التحق بها هفتكين فخرج اليهم أهل دمشق وسألوهم الكف عن البلد والتزموا بمال فخرج اليهم هفتكين وأهدى اليهم وتكلم معهم في أنه لايستطيع جباية المال لقوة ابن الماورد وأصحابه وأمر ملك الروم به فقبض عليه وقيده وعاد وجبى المال من دمشق بالعنف وحمل الى ملك الروم ثلاثين ألف دينار ورحل الى بيروت ثم الى طرابلس فتمكن هفتكين من دمشق وأقام بها الدعوة لابي بكر عبد الكريم الطائع بن المطيع العباسي وسير الى العرب السرايا فظفرت وعادت اليه بعده بمن أسرته من رجال العرب فقتلهم صبرا وكان قد تخوف من المعز فكانت القرامطة يستدعيهم من الاحساء للقدوم عليه لمحاربة عساكر المعز وما زال بهم حتى وافوا دمشق في سنة خمس وستين ونزلوا على ظاهرها ومعهم كثير من أصحاب هفتكين الذين كانوا قد تشتتوا في البلاد فقوى بهم ولقي القرامطة وحمل اليهم وسر بهم فأقاموا على دمشق أياماً ثم رحلوا نحو الرملة وبها أبو محمود فلحق بيسافا ونزل القرامطة الرملة ونصبوا القتال على يافا حتى كل الفريقان وسئموا جميعاً من طول الحرب وسار هفتكين على الساحل ونزل صيدا وبها ظالم بن مرهوب العقيلي وابن الشيخ من قبل المعز فقاتلهم قتالا شديداً انهزم منه ظالم الى صور وقتل بين الفريقين نحو أربعة آلاف رجل فقطع أيدي القتلى من عسكر المعز وسيرها الى دمشق فطيف بها ثم سار عن صيدا يريد عكا وبها عسكر المعز وكان قد مات المعز في شهر ربيع الآخر وقام من بعده ابنه العزيز بالله وسير جوهر القائد في عسكر عظيم الى قتال هفتكين والقرامطة فبلغ ذلك القرامطة وهم

على الرملة ووصل الخبر بمسيره الى هفتكين وهو على عكا نخاف القرامطة وفروا عنها فنزلها جوهر وسار من القرامطة الى الاحساء التى هى بلادهم جماعة وتأخر عدة وسار هفتكين من عكا الى طبرية وقد علم بمسير القرامطة وتأخر بعضهم فاجتمع بهم في طبرية واستعد للقاء جوهر وجمع الاقوات من بلاد حوران والثنية وأدخلها الى دمشق وسار اليها فتحصن بها فنزل جوهر على ظاهر دمشق لثمان بقين من ذى القعدة فبني على معسكره سوراً وحفر خندقا عظيما وجعل له أبواباً وجمع هفتكين الناس للقتال وكان قد بقى بعدابن الماورد رجل يعرف بقسام التراب وصار في عدة وافرة من الدعار فأعانه هفتكين وقواه وأمده بالسلاح وغيره ووقعت بينهم وبين جوهر حروب عظيمة طويلة الى يوم الحادي عشر من ربيع الاول سنة ست وستين وثلاثمائة فاختل أمر هفتكين وهم بالفرار ثم انه استظهر ووردت الاخبار بقدوم الحسن بن أحمد القرمطي الى دمشق فطلب جوهر الصلح على ان يرحل من دمشق من غير أن يتبعه أحد وذلك أنه رأى أمواله قد قلت وهلك كثير مما كان في عسكره حتى صار أكثر عسكره رجالة وأعوزهم العلف وخشى قدوم القرامطة فأجابه هفتكين وقد عظم فرحه واشتد سروره فرحل فى ثالث جمادى الاولى وجد فى المسير وقد قرب القرامطة فأناخ بطبرية فبلغ ذلك القرمطى فقصده وقد سار عنها الى الرملة فبعث اليه بسرية كانت لها مع جوهر وقعة قتل فيها جماعة من العرب وأدركه القرمطي وسار فى أثره هفتكين فمات الحسن بن أحمد القرمطى بالرملة وقام من بعده بأمر القرامطة ابن عمه جعفر ففسد ما بينه وبين هفتكين ورجع عن الرملة الى الاحساء وناصب هفتكين القتال وألح فيه على جوهر حتى انهزم عنه وسار الى عسقلان وقد غنم هفتكين مما كان معه شيأ يجل عن الوصف ونزل عن البلد محاصراً لها وبلغ ذلك العزيز فاستعد للمسير الى بلاد الشام فلما طال الامر على جوهر راسل هفتكين حتى يقرر الصلح على مال يحمله اليه وأن يخرج من تحت سيف هفتكين فعلق سيفه على باب عسقلان وخرج جوهر ومن معه من تحته وساروا الى القاهرة فوجد العزيز قد برز يريد المسير فسار معه وكان مدة قتال هفتكين لجوهر على ظاهر الرملة وفي عسقلان سبعة عشر شهراً وسار العزيز بالله حتى نزل الرملة وكان هفتكين بطبرية فسار الى لقاء العزيز ومعه أبو اسحاق وأبو طاهر أخو عز الدولة بن بختيار بن أحمد ابن بويه وأبو الاحاد مرزبان عز الدولة بن بختيار ابن عز الدولة بن بويه فحاربوه فلم يكن غير ساعة حتى هزمت عساكر العزيز عساكر هفتكين وملكوه فى يوم الخميس لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وستين وثلثمائة واستأمن أبو اسحاق ومرزبان بن بختيار وقتل أبو طاهر أخو عز الدولة بن بختيار وأخذ أكثر أصحابه أسرى وطلب هفتكين في القتلى فلم يوجد وكان قد فر وقت الهزيمة على فرس بمفرده فأخذه بعض العرب أسيراً فقدم به على مفرج

ابن دعقل بن الجراح الطائى وعمامته في عنقه فبعث به الى العزيز فأمر به فشهر فى العسكر وطيف به على جمل فأخذ النـاس يلطمونه ويهزون لحيته حتى رأي في نفسه العبر ثم سار العزيز بهفتكين والاسرى الى القاهرة فاصطنعه ومن معه وأحسن اليه غاية الاحسان وأنزله في دار وواصله بالعطاء والخلع حتى قال لقـد احتشمت من ركوبى مع مولانا العزيز بالله وتطوفى اليه بما غمرنى من فضله واحسانه فلما بلغ ذلك العزيز قال لعمه حيدرة ياعم والله انى أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وان يكون ذلك كله من عندى وبلغ العزيز أن الناس من العامة يقولون ماهذا التركى فأمر به فشهر في أجمل حال ولما رجع من تطوفه وهب له مالا جزيلا وخلع عليه وأمر سائر الاولياء بأن يدعوه الى دورهم فما منهم الا من عمل له دعوة وقدم اليه وقاد بين يديه الخيول ثم ان العزيز قال له بعد ذلك كيف رأيت دعوات أصحابنافقال يامولانا حسنة في الغاية وما فيهم الا من أنعم وأكرم فصار يركب للصيد والتفرج وجمع اليه العزيز بالله أصحـابه من الاتراك والديلم واستحجبه واختص به وما زال على ذلك الي ان توفى فى سنة اثنين وسبعين وثلثمائة فاتهم العزيز وزيره يعقوب بن كلس انه سمه لانه هفتكين كان يترفع عليه فاعتقله مدة ثم أخرجه (حارة الاتراك) هذه الحارة تجاه الجامع الازهر وتعرف اليوم بدرب الاتراك وكان نافذا الى حارة الديلم والوراقون القدماء تارة يفردونهـا من حارة الديلم وتارة يضيفونها اليها ويجعلونها من حقوقها فيقولون تارة حارة الترك والديلم وتارة يقولون حارتى الديلم والاتراك وقيل لها حارة الاتراك لان هفتكين لما غلب ببغـداد سار معه من جنسه أربعمائة من الاتراك وتلاحق به عند ورود القرامطة عليه بدمشق عدة من أصحابه فلما جمع لحرب العزيز بالله كان أصحابه مابين ترك وديلم فلما قبض عليـه العزيز ودخل به الى القاهرة في الثانى والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثمان وسـتين وثلثمائة كماتقدم نزل الديلم مع أصحابهم في موضع حارة الديلم ونزل هفتكين باتراكه فى هذا المكان فصار يعرف بحارة الاتراك وكانت مختلطة بحارة الديلم لانهما أهل دعوة واحدة الا أن كل جنس على عـدة لتخالفهم افى الجنسية ثم قيل بعد ذلك درب الاتراك (حارة كتامة) هذه الحارة مجاورة لحارة الباطلية وقد صارت الآن من جملتها كانت منازل كتامة بهاعند ماقدموا من المغرب مع القائد جوهر ثم مع العزيز وموضع هذه الحارة اليوم حمام كواى وما جاورها مما وراء مدرسة ابن الغنام حيث الموضع المعروف بدرب ابن الاعسر الى رأس الباطلية وكانت كتامة هى أصل دولة الخلفاء الفاطميين

﴿ ذكر أبي عبد الله الشيعي ﴾

هو الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعى من أهل صنعاء اليمن ولى الحسبة في

بعض أعمال بغداد ثم سار الى ابن حوشب باليمن وصار من كبار أصحابه وكان له علم وفهم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن حوشب موت الحلواني داعى المغرب ورفيقه فقال لابى عبدالله الشيعي ان أرض كتامة من بلاد المغرب قد خربها الحلوانى وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فانها موطأة ممهدة لك فخرج من اليمن الى مكة وقد زوده ابن حوشب بمال فسأل عن حجاج كتامة فأرشد اليهم واجتمع بهم وأخفى عنهم قصده وذلك أنه جلس قريباً منهم فسمعهم يتحدثون بفضائل آل البيت فحدثهم فى ذلك وأطال ثم نهض ليقوم فسألوه أن يأذن لهم في زيارته فأذن لهم فصاروا يترددون اليه لما رأوا من علمه وعقله ثم انهم سألوه أين يقصد فقال أريد مصر فسروا بصحبته ورحلوا من مكة وهو لا يخبرهم شيأ من خبره وما هو عليه من القصد وشاهدوا منه عبادة وورعا وتحرجا وزهادة فقويت رغبتهم فيه واشتملوا على محبته واجتمعوا على اعتقاده وساروا بأسرهم خدما له وهو في أثناء ذلك يستخبرهم عن بلادهم ويعلم أحوالهم ويفحص عن قبائلهم وكيف طاعتهم للسلطان بافريقية فقالوا له ليس له علينا طاعة وبيننا وبينه عشرة أيام قال أفتحملون السلاح قالوا هو شغلنا وما برح حتى عرف جميع ماهم عليه فلما وصلوا الى مصر أخذ يودعهم فشق عليهم فراقه وسألوه عن حاجته بمصر فقال مالى بها من حاجة الاأني أطلب التعليم بها قالوافاما اذا كنت تقصد هذا فان بلادنا أنفع لك وأطوع لامرك ونحن أعرف بحقك وما زالوا به حتى أجابهم الى المسير معهم فساروا به الى أن قاربوا بلادهم وخرج الى لقائهم أصحابهم وكان عندهم حس كبير من التشيع واعتقاد عظيم في محبة أهل البيت كما قرره الحلواني فعرفهم القوم خبر أبي عبد الله فقاموا بحق تعظيمه واجلاله ورغبوا فى نزوله عندهم واقترعوا فيمن يضيفه ثم ارتحلوا الى أرض كتامة فوصلوا اليها منتصف الربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائتين فما منهم الا من سأله أن يكون منزله عنده فلم يوافق أحداً منهم وقال أين يكون فج الاخيار فعجبوا من ذلك ولم يكونوا قط ذكروه له منذ صحبوه فدلوه عليه فقصده وقال إذا حللنا به صرنا نأتي كل قوم منكم في ديارهم ونزورهم في بيوتهم فرضوا جميعاً بذلك وسار الى جبل ايلجان وفيه فج الاخيار فقال هذا فج الاخيار وما سمي الا بكم ولقد جاء في الآثار للمهدى هجرة ينبو بها عن الاوطان ينصره فيها الإخيار من أهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان ولخروجكم في هذا الفج سمى فج الاخيار فتسامعت به القبائل وأتته البربر من كل مكان وعظم أمره حتى أن كتامة اقتتلت عليه مع قبائل البربر وهو لايذكر اسم المهدى ولا يعرج عليه فبلغ خبره ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية فقال أبو عبد الله لكتامة انا صاحب البذر الذى قال لكم أبو سفيان والحلوانى فازدادت محبتهم له وعظم أمره فيهم وأتته القبائل من كل مكان وسار الى مدينة تاصروق وجمع الخيل وصير أمرها للحسن بن

هارون كبير كتامة وخرج للحرب فظفر وغنم وعمل على تاصروق خندقا فرجعت اليه قبائل من البربر وحاربوه فظفر بهم وصارت اليه أموالهم ووالى الغزو فيهم حتي استقام له أمرهم فسار وأخذ مدائن عدة فبعث اليه ابن الاغلب بعسا كر كانت له معهم حروب عظيمة وخطوب عديدة وأنبـاء كثيرة آلت الى غلب أبي عبد الله وانتشار أصحابه من كتامة فى البلاد فصار يقول المهدى يخرج فى هذه الايام ويملك الارض فياطوبى لمن هاجر الى وأطاعنى وأخذ يغرى الناس بابن الاغلب ويذكر كرامات المهدى وما يفتح الله له ويعدهم بأنهم يملكون الارض كلها وسير الى عبيد الله بن محمد رجالا من كتامة ليخبروه بما فتح الله له وأنه ينتظره فوافوا عبيد الله بسلمية من أرض حمص وكان قد اشتهر بها وطلبه الخليفة المكتفى ففر منه بابنه أبي القاسم وسار الى مصر وكان لهما قصص مع النوشزى عامل مصر حتي خلصا منه ولحقا ببلاد المغرب وبلغ ابن الاغلب زيادة الله خبر مسير عبيد الله فأزكي له العيون وأقام له الاعوان حتي قبض عليه بسلجماسة وكان عليها اليسع بن مدرار وحبس بها هو وابنـه أبو القاسم وبلغ ذلك أبا عبـد الله وقد عظم أمره فسار وضايق زيادة الله بن الاغلب وأخذ مدائنه شيأ بعد شئ وصار فيما ينيف على مائتى ألف وألح على القيروان حتى فر زيادة الله الى مصر وملكها أبو عبد الله ثم سار الى رفادة فدخلها أوّل رجب سنة ست وتسعين ومائتين وفرّق الدور على كتامة وبعث العمال الى البلاد وجمع الاموال ولم يخطب باسم أحد فلما دخل شهر رمضان سار من رفادة فاهتز لرحيله المغرب بأسره وخافته زناتة وغيرهـا وبعثوا اليه بطاعتهم وسار الى سلجماسة ففر منه اليسع بن مدرار واليها ودخل البلد فأخرج عبيد الله وابنه من السجن وقال هذا المهدى الذى كنت أدعوكم اليه وأركبه هو وابنه ومشى بسائر رؤساء القبائل بين أيديهما وهو يقول هذا مولاكم ويبكى من شدة الفرح حتى وصل الى فسطاط ضرب له فأنزل فيه وبعث فى طلب اليسع فأدركه وحمل اليه فضربه بالسيـاط وقتله ثم سار المهدى الى رفادة فصار بها فى آخر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين ولما تمكن قتل أبا عبد الله وأخاه في يوم الاثنين للنصف من جمـادى الآخرة سنة ثمـان وتسعين ومائتين فكان هذا ابتداء امر الخلفاء الفاطميين وما زالت كتـامة هي أهل الدولة مدة خلافة المهدى عبيد الله وخلافة ابنه القاسم القائم بأمر الله وخلافة المنصور بنصر الله اسماعيل بن القاسم وخلافة معد لمعز لدين الله ابن المنصور وبهم أخذ ديار مصر لمـا سيرهم اليها مع القائد جوهر فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وهم أيضاً كانوا أكابر من قدم معه من الغرب فى سـنة اثنين وستين وثلثمائة فلمـا كان في أيام ولده العزيز بالله نزار اصطنع الديلم والاتراك وقدمهم وجعلهم خاصته فتنافسوا وصار بينهم وبين كتامة تحاسد الى أن مات العزيز بالله وقام من بعده أبو على المنصور الملقب بالحاكم بأمر الله فقدم ابن عمار الكتامى وولاه

الوساطة وهى فى معني رتبة الوزارة فاستبد بأمور الدولة وقدم كتامة وأعطاهم وحط من الغلمان الأتراك والديلم الذين اصطنعهم العزيز فاجتمعوا الى برجوان وكان صقلبيا وقد تاقت نفسه الى الولاية فأغرى المصطنعة بابن عمار حتى وضعوا منه واعتزل عن الامر وتقلد برجوان الوساطة فاستخدم الغلمان المصطنعين في القصر وزاد فى عطاياهم وقواهم ثم قتل الحاكم ابن عمار وكثيراً من رجال دولة أبيه وجده فضعفت كتامة وقويت الغلمان فلما مات الحاكم وقام من بعده ابنه الظاهر لاعزاز دين الله على أكثر من اللهو ومال الى الأتراك والمشارقة فانحط جانب كتامة وما زال ينقص قدرهم ويتلاشى أمرهم حتي ملك المستنصر بعد أبيه الظاهر فاستكثرت امه من العبيد حتى يقال انهم بلغوا نحواً من خمسين ألف اسود واستكثر هو من الأتراك وتنافس كل منهما مع الآخر فكانت الحرب التى آلت الى خراب مصر وزوال بهجتها الى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وقتل رجال الدولة وأقام له جندا وعسكرا من الارمن فصار من حينئذ معظم الجيش الارمن وذهبت كتامة وصاروا من جملة الرعية بعد ما كانوا وجوه الدولة وأكابر أهلها * (حارة الصالحية) عرفت بغلمان الصالح طلائع بن رزيك وهي موضعان الصالحية الكبرى والصالحية الصغرى وموضعهما فيما بين المشهد الحسيني ورحبة الايدمرى وبين البرقية وكانت من الحارات العظيمة وقد خربت الآن وباقيها متداع الى الخراب * قال ابن عبد الظاهر الحارة الصالحية منسوبة الى الصالح طلائع بن رزيك لان غلمانه كانوا يسكنونها وهى مكانان وللصالح دار بحارة الديلم كانت سكنه قبل الوزارة وهي باقية الى الآن وبها بعض ذريته والمكان المعروف بخوخة الصالح نسبة اليه * (حارة البرقية) هذه الحارة عرفت بطائفة من طوائف العسكر فى الدولة الفاطمية يقال لها الطائفة البرقية ذكرها المسبحي * قال ابن عبد الظاهر ولما نزل بالقاهرة يعني المعز لدين الله اختطت كل طائفة خطة عرفت بها قال واختطت جماعة من أهل برقة الحارة المعروفة بالبرقية انتهى والى هذه الحارة تنسب الامراء البرقية

(ذكر الامراء البرقية ووزارة ضرغام)

وذلك أن الصالح طلائع بن رزيك كان قد انشأ فى وزارته امراء يقال لهم البرقية وجعل ضرغاما مقدمهم فترقى حتي صار صاحب الباب وطمع فى شاور السعدى لما ولى الوزارة بعد رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك فجمع رفقته وتخوف شاور منه وصار العسكر فرقتين فرقة مع ضرغام وفرقة مع شاور فلما كان بعد تسعة أشهر من وزارة شاور ثار ضرغام فى رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وصاح على شاور فأخرجه من القاهرة وقتل ولده الاكبر المسمى بطى وبقى شجاع المنعوت بالكامل وخرج شاور من القاهرة يريد الشأم كما فعل الوزير رضوان بن ولخشي فانه كان رفيقاً له فى تلك الكرة واستقر ضرغام فى وزارة

الخليفة العاضد لدين الله بعد شاور وتلقب بالملك المنصور فشكر الناس سيرته فانه كان فارس عصره وكان كاتباً جميل الصورة فكه المحاضرة عاقلا كريما لا يضع كرمه الا فى سمعة ترفعه او مداراة تنفعه الا انه كان اذنا مستحيلا على اصحابه واذا ظن فى أحد شرا جعل الشك يقينا وعجل له العقوبة وغلب عليه مع ذلك فى وزارته أخواه ناصر الدين همام وفخر الدين حسام وأخذ يتنكر لرفقته البرقية الذين قاموا بنصرته وأعانوه على اخراج شاور وتقليده للوزارة من أجل أنه بلغه عنهم أنهم يحسدونه ويضمون منه وأن منهم من كاتب شاور وحثه على القدوم الى القاهرة ووعده بالمعاونة له فأظلم الجو بينه وبينهم وتجرد للايقاع بهم على عادته فى أسرع العقوبة وأحضرهم اليه فى دار الوزارة ليلا وقتلهم بالسيف صبرا وهم صبح بن شاهنشاه والطهر مرتفع المعروف بالجلواص وعين الزمان وعلى بن الزبد وأسد الفازى وأقاربهم وهم نحو من سبعين أميراً سوى أتباعهم فذهبت لذلك رجال الدولة واختلت أحوالها وضعفت بذهاب أكابرها وفقد أصحاب الرأى والتدبير وقصد الفرنج ديار مصر فخرج اليهم همام أخو ضرغام وانهزم منهم وقتل منهم عدة ونزلوا على حصن بلبيس وملكوا بعض السور ثم ساروا وعاد همام عودا رديئا فبعث به ضرغام الى الاسكندرية وبها الامير مرتفع الجلواص فأخذه العرب وقاده همام الى أخيه فضرب عنقه وصلبه على باب زويلة فما هو الا أن قدم رسل الفرنج على ضرغام في طلب مال الهدنة المقرر في كل سنة وهو ثلاثة وثلاثون ألف دينار واذا بالخبر قد ورد بقدوم شاور من الشام ومعه أسد الدين شيركوه فى كثير من الغز فأزعجه ذلك وأصبح الناس يوم التاسع والعشرين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة خائفين على أنفسهم وأموالهم فجمعوا الاقوات والماء وتحولوا من مساكنهم وخرج همام بالعسكر أول يوم من جمادى الآخرة فسار الى بلبيس وكانت له وقعة مع شاور انهزم فيها وصار الى شاور وأصحابه جميع ما كان مع عسكر همام وأسروا عدة ونزل شاور بمن معه الى التاج ظاهر القاهرة فى يوم الخميس سادس جمادى الآخرة فجمع ضرغام الناس وضم اليه الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية بداخل القاهرة وشاور مقيم بالتاج مدة أيام وطوالعه من العربان فطارد عسكر ضرغام بأرض الطبالة خارج القاهرة ثم سار شاور ونزل بالمقس فخرج اليه عسكر ضرغام وحاربوه فانهزم هزيمة قبيحة وسار الى بركة الحبش ونزل بالشرف الذى يعرف اليوم بالرصد وملك مدينة مصر وأقام بها أياما فأخذ ضرغام مال الايتام الذى كان بمودع الحكم فكرهه الناس واستعجزوه ومالوا مع شاور فتنكر منهم ضرغام وتحدث بايقاع العقوبة بهم فزاد بغضهم له ونزل شاور فى أرض اللوق خارج باب زويلة وطارد رجال ضرغام وقد خلت المنصورة والهلالية وثبت أهل اليانسية بها وزحف الى باب سعادة وباب القنطرة وطرح النار فى اللؤلؤة وما حولها من الدور وعظمت الحروب بينه

وبين أصحاب ضرغام وفي كثير من الطائفة الريحانية فبعثوا الى شاور ووعدوه بأنهم عون له فانحل أمر ضرغام فأرسل العاضد الى الرماة يأمرهم بالكف عن الرمى فخرج الرجال الى شاور وصاروا من جملته وفترت همة أهل القاهرة وأخذ كل منهم يعمل الحيلة فى الخروج الى شاور فأمر ضرغام بضرب الابواق لتجتمع الناس فضربت الابواق والطبول ماشاء الله من فوق الاسوار فلم يخرج اليه أحد وانفك عنه الناس فسار الى باب الذهب من أبواب القصر ومعه خمسمائة فارس فوقف وطلب من الخليفة أن يشرف عليه من الطاق وتضرع اليه وأقسم عليه بآبائه فلم يجبه أحد واستمر واقفا الى العصر والناس تنحل عنه حتى بقى فى نحو ثلاثين فارساً فوردت عليه رقعة فيها خذ نفسك وانج بها واذا بالابواق والطبول قد دخلت من باب القنطرة ومعها عساكر شاور ففر ضرغام الى باب زويلة فصاح الناس عليه ولعنوه وتخطفوا من معه وأدركه القوم فأردوه عن فرسه قريباً من الجسر الاعظم فيمابين القاهرة ومصر واحتزوا رأسه فى سلخ جمادى الآخرة وفر منهم أخوه الى جهة المطرية فأدركه الطلب وقتل عند مسجد تبر خارج القاهرة وقتل أخوه الآخر عند بركة الفيل فصار حينئذ ضرغام ملقى يومين ثم حمل الى القرافة ودفن بها وكانت وزارته تسعة أشهر وكان من أجل أعيان الامراء وأشجع فرسانهم وأجودهم لعبا بالكرة وأشدهم رمياً بالسهام ويكتب مع ذلك كتابة ابن مقلة وينظم الموشحات الجيدة ولما جئ برأسه الى شاور رفع على قناة وطيف به فقال الفقيه عمارة

أرى جنك الوزارة صار سيفاً * يجز بحده جيد الرقاب
كأنك رائد البلوى والا * يشير بالمنية والمصاب

فكان كما قال عمارة فان البلايا والمنايا من حينئذ تتابعت على دولة الخلفاء الفاطميين حتى لم يبق منهم عين تطرف ولله عاقبة الامور * (حارة العطوفية) هذه الحارة تنسب الى طائفة من طوائف العسكر يقال لها العطوفية وقال ابن عبد الظاهر العطوفية منسوبة لعطوف أحد خدام القصر وهو عطوف غلام الطويلة وكان قد خدم ست الملك أخت الحاكم قال وسكنت يعنى الطائفة الجيوشية بحارة العطوفية بالقاهرة ولله در الاديب ابراهيم المعمار اذ يقول مواليا يشتمل على ذكر حارات بالقاهرة وفيها تورية

في الجودريه رأيت صوره هلاليه * للباطليه تميل لا للعطوفيه
لها من اللؤلؤه ثغرين منشيه * ان حركوا وجهها بنت الحسينيه

وكانت العطوفية من أجل مساكن القاهرة وفيها من الدور العظيمة والحمامات والاسواق والمساجد مالا يدخل تحت حصر وقد خربت كلها وبيعت انقاضها وبيوتها ومنازلها وأصحبت أوحش من وتدعير في قاع وعطوف هذا كان خادما اسود قتله الحاكم بجماعة من

الاتراك وقفوا له في دهليز القصر واحتزوا رأسه فى يوم الاحد لاحدى عشرة خلت من صفر سنة احدى واربعمائة قاله المسبحي * (حارة الجوانية) كان يقال لهذه الحارة أولا حارة الروم الجوانية ثم ثقل على الالسنة ذلك فقال الناس الجوانية وكان أيضاً يقال لها حارة الروم العليا المعروفة بالجوانية وقال المسبحي وقد ذكر ما كتبه أمير المؤمنين الحاكم بامر الله من الامانات في سنة خمس وتسعين وثلثمائة فذكر أنه كتب أمانا للعرافة الجوانية فدل أنه كان من جملة الطوائف قوم يعرفون بالجوانية قال ابن عبد الظاهر قال لى مؤلفه القاضي زين الدين وفقه الله ان الجوانية منسوبة للاشراف الجوانيين منهم الشريف النسابة الجواني قال مؤلفه رحمه الله فعلى هذا يكون بفتح الجيم فان الجواني بفتح الجيم وتشديد الواو وفتحها وبعد الواو ألف ساكنة ثم نون نسبة الى جوان على وزن حران وهى قرية من عمل مدينة طيبة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وعلى القول الاول تكون الجوانية بفتح الجيم أيضا مع فتح الواو وتشديدها فان أهل مصر يقولون لما خرج عن المدينة أو الدار برا ولما دخل جواً بضم الجيم وهو خطأ ولهذا كان الوراقون يكتبون حارة الروم البرانية لانها من خارج القصر ويكتبون حارة الروم الجوانية لانها من داخل القاهرة ولا يصار اليها الا بعد المرور على القصر وكان موضعها اذ ذاك من وراء القصر خلف دار الوزارة والحجر فكأنها فى داخل البلد ولذلك أصل قال ابن سيده في مادة (ج و) من كتاب المحكم وجوا البيت داخله لفظة شامية فتعين فتح الجيم من الجوانية ولا عبرة بما تقوله العامة من ضمها * وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني ابن الحسن بن محمد الجوانى ابن عبيد الله الجوانى بن حسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وقيل لمحمد بن عبد الله الجوانى بسبب ضيعة من ضياع المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يقال لها الجوانية وكانت تسمي البصرة الصغري لخيراتها وغلالها لا يطلب شئ الا وجد بها وهى قريبة من صرار ضيعة الامام أبى جعفر محمد بن على الرضى وكانت الجوانية ضيعة لعبيدالله فتوفى عنها فورثها بعده ولده وأزواجه فاشترى محمد الجوانى ولده بما حصل له بالميراث الباقي من الورثة فحصلت له كاملة فعرف بها فقيل الجوانى قال ولم تزل أجداد مؤلفه ببغداد الى حين قدوم ولده أسعد النحوى مع أبيه من بغداد الى مصر ومولده بالموصل فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة * (حارة البستان) ويقال لها حارة بستان المصمودى وحارة الاكراد أيضاً وهى الآن من جملة الوزيرية التى تقدم ذكرها * (حارة المرتاحية) هذه الحارة عرفت بالطائفة المرتاحية احدى طوائف العسكر قال ابن عبد الظاهر خط باب القنطرة يعرف فى كتب الاملاك القديمة بالمرتاحية * (حارة الفرحية) بالحاء المهملة كانت سكن الطائفة الفرحية وهي بجوار حارة المرتاحية فالى يومنا هذا فيما بين سويقة أمير الجيوش وباب

القنطرة زقاق يعرف بدرب الفرحية والفرحية كانت طائفة من جملة عبيد الشراء وكانت عبيد الشراء عدة طوائف وهم الفرحية والحسينية والميمونية ينسبون الى ميمون وهو أحد الخدام * (حارة فرج) بالجيم كانت تعرف قديماً بدرب النميرى ثم عرفت بالامير جمال الدين فرج من أمراء بني أيوب وهي الآن داخلة فى درب الطفل من خط قصر الشوك * (حارة قائد القواد) هذه الحارة تعرف الآن بدرب ملوخيا وكانت أولا تعرف بحارة قائد القواد لان حسين بن جوهر الملقب قائد القواد كان يسكن بها فعرفت به * وهو حسين ابن القائد جوهر أبو عبد الله الملقب بقائد القواد لما مات أبوه جوهر القائد خلع العزيز بالله عليه وجعله في رتبة أبيه ولقبه بالقائد ابن القائد ولم يتعرض لشئ مما تركه جوهر فلما مات العزيز وقام من بعده ابنه الحاكم استدناه ثم انه قلده البريد والانشاء فى شوال سنة ست وثمانين وثلثمائة وخلع عليه وحمله على فرس بموكب وقاد بين يديه عدة أفراس وحمل معه ثيابا كثيرة فاستخلف أبا منصور بشر بن عبيد الله بن سورين الكاتب النصرانى على كتابة الانشاء واستخلف على أخذ رقاع الناس وتوقيعاتهم أمير الدولة الموصلي * ولما تقلد برجوان النظر فى تدبير الامور وجلس للوساطة بعد ابن عمار كان الكافة يلقونه في داره ويركبون جميعاً بين يديه من داره الى القصر ماخلا القائد الحسين ومحمد بن النعمان القاضى فانهما كانا يسلمان عليه بالقصر فقط فلما قتل الحاكم الاستاذ برجوان كما تقدم خلع على القائد حسين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة تسعين وثلثمائة ثوباً أحمر وعمامة زرقاء مذهبة وقلده سيفاً محلى بذهب وحمله على فرس بسرج ولجام من ذهب وقاد بين يديه ثلاثة أفراس بمراكبها وحمل معه خمسين ثوباً صحاحا من كل نوع ورد اليه التوقيعات والنظر في أمور الناس وتدبير المملكة كما كان برجوان ولم يطلق عليه اسم وزير فكان يبكر الى القصر ومعه خليفته الرئيس أبو العلاء فهد بن ابراهيم النصرانى كاتب برجوان فينظران فى الامور ثم يدخلان وينهيان الحال الى الخليفة فيكون القائد جالسا وفهد من خلفه قائما ومنع القائد الناس أن يلقوه في الطريق أو يركبوا اليه فى داره وان من كان له حاجة فليبلغه اياها بالقصر ومنع الناس من مخاطبته فى الرقاع بسيدنا وأمر أن لايخاطب ولا يكاتب الا بالقائد فقط وتشدد فى ذلك لخوفه من غيرة الحاكم حتى انه رأى جماعة من القواد الاتراك قياما على الطريق ينتظرونه فأمسك عنان فرسه ووقف وقال لهم كلنا عبيد مولانا صلوات الله عليه ومماليكه ولست والله أبرح من موضعى أو تنصرفوا عنى ولا يلقانى أحد الا فى القصر فانصرفوا وأقام بعد ذلك خدما من الصقالبة الطرادين على الطريق بالنوبة لمنع الناس المجئ الى داره ومن لقائه الا فى القصر وأمر أبا الفتوح مسعود الصقلي صاحب الستر أن توصل الناس بأسرهم الى الحاكم وأن لايمنع أحدا عنه * فلما كان فى سابع عشر جمادى

الآخرة قرئ سجل على سائر المنابر بتلقيب القائد حسين بقائد القواد وخلع عليه * وما زال الى يوم الجمعة سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فاجتمع سائر أهـل الدولة في القصر بعد ماطلبوا وخرج الامر اليهم أن لايقام لاحد وخرج خادم من عند الخليفة فأسر الى صاحب الستر كلاما فصاح صالح بن على فقام صالح بن على الرودباذى متقلد ديوان الشام فأخذ صاحب الستر بيده وهو لايعلم هو ولا أحد مايراد به فأدخل الى بيت المال وأخرج وعليه دراعة مصمتة وعمامة مذهبة ومعه مسعود فأجلسه بحضرة قائد القواد وأخرج سجلا قرأه ابن عبد السميع الخطيب فاذا فيه رد سائر الامور التى ينظر فيها قائد القواد حسين ابن جوهر اليه فعند ماسمع من السجل ذكره قام وقبل الارض فلما انتهت قراءة السجـل قام قائد القواد وقبل خد صالح وهناه وانصرف فكان يركب الى القصر ويحضر الاسمطة الى اليوم الثالث من شوال أمره الحاكم أن يلزم داره هو وصهره قاضى القضاة عبد العزيز ابن النعمان وأن لايركباها وسائر أولادهما فلبسا الصوف ومنع الناس من الاجتماع بهما وصاروا يجلسون على حصر فلما كان في تاسع عشر ذى القعدة عفا عنهما الحاكم وأذن لهما في الركوب فركبا الى القصر بزيهما من غير حلق شعر ولا تغيير حال الحزن * فلما كان في حادى عشر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة قبض على عبد العزيز بن النعمان وطلب حسين ابن جوهر ففر هو وابنه في جماعة وكثر الصياح بدار عبد العزيز وغلقت حوانيت القاهرة وأسواقها فأفرج عنه ونودى أن لايغلق أحد فرد حسين بعد ثلاثة أيام بابنيه وتمثلوا بحضرة الحاكم فعفا عنهم وأمرهم بالمسير الى دورهم بعد أن خلع على حسين وعلى صهره عبد العزيز وعلى أولادهما وكتب لهما أمانان ثم أعيد عبد العزيز في شهر رمضان الى ماكان يتقـلده من النظر في المظالم ثم رد الحاكم في شهر ربيع الاول سنة اربعمائة على حسين بن جوهر وأولاده وصهره عبد العزيز ماكان لهم من الاقطاعات وقرئ لهم سجل بذلك * فلما كان ليلة التاسع من ذى القعدة فر حسين بأولاده وصهره وجميع أموالهم وسلاحهم فسير الحاكم الخيل في طلبهم نحو دجوة فلم يدركهم وأوقع الحوطة على سائر دورهم وجعلت للديوان المفرد وهو ديوان أحدثه الحاكم يتعلق بما يقبض من أموال من يسخط عليه وحمل سائر ماوجد لهم بعد ماضبط وخرجت العساكر في طلب حسين ومن معه وأشيع أنه قد صـار الى بنى قرة بالبحيرة فأنفذت اليه الكتب بتأمينه واستدعائه الى الحضور فأعاد الجواب بأنه لايدخل مادام أبو نصر بن عبدون النصرانى الملقب بالكافي ينظر في الوساطة ويوقع عن الخليفة فانى أحسنت اليه أيام نظرى فسعى بى الى أمير المؤمنين ونال منى كل منال ولا أعود أبدا وهو وزير فصرف ابن عبدون في رابع المحرم سنة احدى واربعمائة وقـدم حسين بن جوهر ومعه عبد العزيز بن النعمان وسائر من خرج معهما فخرج جميع أهل الدولة الى لقـائه

وتلقته الخلع فأفيضت عليه وعلى أولاده وصهره وقيد بين أيديهم الدواب فلما وصلوا الى باب القاهرة ترجلوا ومشوا ومشى الناس بأسرهم الى القصر فصاروا بحضرة الحاكم ثم خرجوا وقد عفا عنهم وأذن لحسين أن يكاتب بقائد القواد ويكون اسمه تاليا للقبه وأن يخاطب بذلك وانصرف الى داره فكان يوماً عظيما وحمل اليه جميع ماقبض له من مال وعقار وغيره وأنعم عليه وواصل الركوب هو وعبد العزيز بن النعمان الى القصر ثم قبض عليه وعلى عبد العزيز واعتقلا ثلاثة أيام ثم حلفا أنهما لايغيبان عن الحضرة وأشهدا على أنفسهما بذلك وأفرج عنهما وحلف لهما الحاكم في أمان كتبه لهما * فلما كان في ثانى عشر جمادى الآخرة سنة احدى واربعمائة ركب حسين وعبد العزيز على رسمهما الى القصر فلما خرج للسلام على الناس قيل للحسين وعبد العزيز وأبى على أخي الفضل اجلسوا لامر تريده الحضرة منكم فجلس الثلاثة وانصرف الناس فقبض عليهم وقتلوا في وقت واحد وأحيط بأموالهم وضياعهم ودورهم وأخذت الامانات والسجلات التى كتبت لهم واستدعى أولاد عبدالعزيز ابن النعمان وأولاد حسين بن جوهر ووعدوا بالجميل وخلع عليهم وحملوا والله يفعل مايشاء * (حارة الامراء) ويقال لها أيضاً حارة الامراء الاشراف الاقارب وموضعها يعرف بدرب شمس الدولة وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى * (حارة الطوارق) ويقال لها أيضا حارة صبيان الطوارق وهم من جملة طوائف العسكر كانوا معدين لحمل الطوارق وموضع هذه الحارة في طريق من سلك من الرقيق سوق الخلعيين داخل باب زويلة طالبا الباطلية بالزقاق الطويل الضيق الذى يقال له اليوم حلق الجمل السالك الى درب ارقطاي *(حارة الشرابية) عرفت بذلك لانها كانت موضع سكن الغلمان الشرابية احدي طوائف العسكر وكانت فيما بين الباطلية وحارة الطوارق * (حارة الدميرى وحارة الشاميين) هما من جملة العطوفية * (حارة المهاجرين) وموضعها الآن من جملة المكان الذي يعرف بالرقيق المعد لسوق الخلعيين بجوار باب زويلة وكان بعد ذلك سوق الخشابين ثم هو الآن سوق الخلعيين وموضع هذه الحارة بجوار الخوخة التى كانت تعرف بالشيخ السعيد بن قشيرة النصرانى الكاتب وهي الخوخة التى يسلك اليها من الزقاق المقابل لحمام الفاضل المعد لدخول النساء ويتوصل منها الى درب كوز الزير بحارة الروم وقد صارت هذه الحارة تعرف بدرب ابن المجندار وسيأتى ذكره ان شاء الله * (حارة العدوية) قال ابن عبد الظاهر العدوية هي من باب الخشبية الى أول حارة زويلة عند حمام الحسام الجلدكى الآن منسوبة لجماعة عدويين نزلوا هناك وهذا المكان اليوم هو عبارة عن الموضع الذى تلقاه عند خروجك من زقاق حمام خشيبة الذى يتوصل اليه من سوق باب الزهومة فاذا انتهيت الى آخر هذا الزقاق وأخذت على يمينك صرت فى حارة العدوية وموضعها الآن من فندق بلال المغيثى الى باب

سر المارستان وتدخل فى العدوية رحبة بيبرس التى فيها الآن فندق الرخام عن يمينك اذا خرجت في الرحبة المذكورة التى صارت الآن دربا الى باب سر المارستان وما عن يسارك الى حمام الكريك وحمام الجويني الذي تقول له العامة الجهيني والى سوق الزجاجيين وكل هذه المواضع هى من حقوق العدوية وكانت العدوية قديما واقعة فيما بين الميدان الذى يعرف اليوم بالخرشتف وحارة زويلة وبين سقيفة العداس والصاغة القديمة التى صار موضعها الآن سوق الحريريين الشرابشيين برأس الوراقين وسوق الزجاجيين * (حارة العيدانية) كانت تعرف أولا بحارة البديعيين ثم قيل لها بعد ذلك الحبانية من أجل البستان الذى يعرف بالحبانية الجارى في وقف الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء ويتوصل الى هذه الحارة من تجاه قنطرة اق سنقر وبعض دورها الآن يشرف على بستان الحبانية وبعضها يطل على بركة الفيل * (حارة الحمزيين) كانت أولا تعرف بالحبانية ثم قيل لها حارة الحمزيين من أجل أن جماعة من الحمزيين نزلوا بها منهم الحاج يوسف بن فاتن الحمزى والحمزيون أيضاً ينسبون الى حمزة ابن ادركة السارى خرج بخراسان في أيام هارون بن محمد الرشيد فعاث وأفسد وفض جموع عيسى بن على عامل خراسان وقتل منهم خلقا وانهزم عيسى الى بابل ثم غرق حمزة بواد في كرمان فعرفت طائفته بالحمزية وأخوه ضرغام بن فاتن بن ساعد الحمزى والحاج عونى الطحان ابن يونس بن فاتن الحمزى ورضوان بن يوسف بن فاتن الحمزي الحمامى وأخوه سالم بن يوسف بن فاتن الحمزى وكان هؤلاء بعد سنة ستمائة وهذه الحارة خارج باب زويلة * ومن بلاد افريقية قرية يقال لها حمزى ينسب اليها محمد بن حمد بن خلف القيسى الحمزى من أهل القرية وقاضيها توفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ولا يبعد أن تكون هذه الحارة نسبت الى أهل قرية حمزة هذه لنزولهم بها كنزول بني سوس وكتامة وغيرهم في المواضع التى نسبت اليهم * (حارة بنى سوس) عرفت بطائفة من المصامدة يقال لهم بنو سوس كانوا يسكنون بها * (حارة اليانسية) تعرف بطائفة من طوائف العسكر يقال لها اليانسية منسوبة لخادم خصى من خدام العزيز بالله يقال له أبو الحسن يانس الصقلى خافه على القاهرة فلما مات العزيز أقره ابنه الحاكم بأمر الله على خلافة القصور وخلع عليه وحمله على فرسين فلما كان في المحرم سنة ثمان وثمانين وثلثمائة سار لولاية برقة بعد ماخلع عليه وأعطى خمسة آلاف دينار وعدة من الخيل والثياب * قال ابن عبد الظاهر اليانسية خارج باب زويلة أظنها منسوبة ليانس وزير الحافظ لدين الله الملقب بأمير الجيوش سيف الاسلام ويعرف بيانس الفاصد وكان أرمنى الجنس وسمى الفاصد لانه فصد الامير حسن بن الحافظ وتركه محلولا فصاده حتى مات وله خبر غريب في وفاته كان الحافظ قد نقم عليه أشياء طلب قتله بها باطنا فقال لطبيبه اكفني أمره بمأ كل أو مشرب فأبى الطبيب ذلك خوفا أن يصير عند الحافظ

بهذه العين وربما قتله بها والحافظ يحثه على ذلك فاتفق ليانس الوزير المذكور أنه مرض بزحير وأن الحافظ خاطب الطبيب بذلك فقال يا مولاى قدأمكنتك الفرصة وبلغت مقصودك ولو أن مولانا عاده فى هذه المرضة اكتسب حسن أحدوثة وهذه المرضة ليس دواؤه منها الا الدعة والسكون ولا شئ أضر عليه من الانزعاج والحركة فبمجرد ماسمع بقصد مولانا له تحرك واهتم باقاء مولانا وانزعج وفي ذلك تلاف نفسه ففعل الخليفة ذلك وأطال الجلوس عنده فمات وهذا الخبر فيه أوهام. منها أنه جعل اليانسية منسوبة ليانس الوزير وقد كانت اليانسية قبل يانس هذا بمدة طويلة . ومنها انه ادعى أن حسن بن الحافظ مات من فصادة وليس كذلك وانما مات مسموما . ومنها أنه زعم أن يانس تولى فصده وليس كذلك بل الذى تولى قتله بالسم أبو سعيد بن فرقة. ومنها أن الذى نقم عليه الحافظ من الامراء نخانه فى ابنه حسن انما هو الامير المعظم جلال الدين محمد المعروف بجلب راغب وهذا نص الخبر فنزه بالك والله تعالى أعلم

ذكر وزارة أبي الفتح ناصر الجيوش يانس الارمنى

وكان من خبر ذلك أن الخليفة الآمر بأحكام الله أبا على منصورا لما قتله النزارية فى ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة أقام هزبر الملوك جوامرد العادل برغش الامير أبا الميمون عبد المجيد في الخلافة كفيلا للحمل الذى تركه الامير ولقب بالحافظ لدين الله ولبس هزبر الملوك خلع الوزارة فثار الجند وأقاموا أبا على أحمد الملقب بكتيفات ولد الافضل بن أمير الجيوش في الوزارة وقتل هزبر الملوك واستولى كتيفات على الآمر وقبض على الحافظ وسجنه بالقصر مقيدا الى أن قتل كتيفات في المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة وبادر صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى القصر ودخلوا ومعهم الامير يانس متولى الباب الى الخزانة التى فيها الحافظ وأخرجوه الى الشباك وأجلسوه في منصب الخلافة وقالوا له والله ماحركنا على هذا الا الامير يانس فجازاه الحافظ بأن فوض اليه الوزارة في الحال وخلع عليه فباشرها مباشرة جيدة وكان عاقلا مهابا متمسكا متحفظا لقوانين الدولة فلم يحدث شيئا ولا خرج عما يعينه الخليفة له الا أنه بلغه عن أستاذ من خواص الخليفة شئ يكرهه فقبض عليه من القصر من غير مشاورة الخليفة وضرب عنقه بخزانة البنود فاستوحش منه الخليفة وخشى من زيادة معناه وكانت هذه الفعلة غلطة منه ثم انه خاف من صبيان الخاص أن يفتكوا به كما فتكوا بكتيفات فتنكر لهم وتخوفوه أيضا فركب في خاصته وأركب العسكر وركب صبيان الخاص فكانت بينهما وقعة قبالة باب التبانين بين القصرين قوى فيها يانس وقتل من صبيان الخاص مايزيد على ثلثمائة رجل من أعيانهم فيهم قتلة أبى على كتيفات وكانوا نحو لخمسمائة فارس فانكسرت شوكتهم وضعف جانبهم واشتد بأس يانس وعظم شأنه فثقل على

الخليفة وتحيل منه فأحس بذلك فأخذ كل منهما في التدبير على الآخر فأعجل يانس وقبض على حاشية الخليفة ومنهم قاضي القضاة وداعى الدعاة أبو الفخر وأبوالفتح بن قادوس وقتلهما فاشتد ذلك على الحافظ ودعا طبيبه وقال اكفنى أمر يانس فيقال انه سمه فى ماء المستراح فانفتح دبره واتسع حتى مابقي يقدر على الجلوس فقال الطبيب ياأمير المؤمنين قد أمكنتك الفرصة وبلغت مقصودك فلو أن مولانا عاده فى هذه المرضة اكتسب حسن الاحدوثة فان هذا المرض ليس له دواء الا الدعة والسكون ولا شئ عليه أضر من الحركة والانزعاج وهو اذا سمع بقصد مولانا له تحرك واهتم للقاء وانزعج وفي ذلك تلاف نفسه فنهض لعيادته وعند مابلغ ذلك يانس قام ليلقاه ونزل عن الفراش وجلس بين يدى الخليفة فأطال الخليفة جلوسه عنده وهو يحادثه فلم يقم حتى سقطت أمعاء يانس ومات من ليلته في سادس عشرى ذى الحجة سنة ست وعشرين وخمسمائة وكانت وزارته تسعة أشهر وأياماً وترك ولدين كفلهما الحافظ وأحسن اليهما وكان يانس هذا مولى ارمنيا لباديس جد عباس الوزير فاهداه الى الافضل بن أمير الجيوش وترقى فى خدمته الى أن تأمر ثم ولى الباب وهى أعظم رتب الامراء وكنى بأبى الفتح ولقب بالامير السعيد ثم لما ولى الوزارة نعت بناصر الجيوش سيف الاسلام وكان عظيم الهمة بعيد الغور كثير الشر شديد الهيبة

ذكر الامير حسن بن الخليفة الحافظ

ولما مات الوزير يانس تولى الخليفة الحافظ الامور بنفسه ولم يستوزر أحدا وأحسن السيرة فلما كان في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عهد الى ولده سليمان وكان أسن أولاده وأحبهم اليه وأقامه مقام الوزير فمات بعد شهرين من ولاية العهد فجعل مكانه أخاه حيدرة في ولاية العهد ونصبه للنظر في المظالم فشق ذلك على أخيه الامير حسن وكان كثير المال متسع الحال له عدة بلاد ومواشي وحاشية وديوان مفرد فسعى في نقض ذلك بأن أوقع الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية وكانت الريحانية قوية الشوكة مهابة مخوفة الجانب فاشتعلت نيران الحرب بين الفريقين وصاح الجند ياحسن يامنصور يا للحسينية والتقى الفريقان فقتل بينهما مايزيد على خمسة آلاف نفس فكانت هذه الوقعة أول مصائب الدولة الفاطمية من فقد رجالها ونقص عساكرها فلم يبق من الطائفة الريحانية الا من نجا بنفسه من ناحية المقس وألقى نفسه فى بحر النيل واستظهر الامير حسن وقام بالامر وانضم اليه أوباش الناس ودعارهم ففرق فيهم الزرد وسماهم صبيان الزرد وجعلهم خاصته فاحتفوا به وصاروا لا يفارقونه فان ركب أحاطوا به وان نزل لازموا داره فقامت قيامة الناس منهم وشرع في تتبع الاكابر فقبض على ابن العساف وقتله وقصد أباه الخليفة الحافظ وأخاه حيدرة بالضرر حتى خافا منه وتغيبا فجد في طلب أخيه حيدرة وهتك بأوباشه الذين اختارهم

حرمة القصر وخرق ناموسه وسلطهم يفتشون القصر في طلب الخليفة الحافظ وابنه حيدرة واشتد بأسهم وحسنوا له كل رذيلة وجروه على الاذى فلم يجد الحافظ بدا من مداراة حسن وتلافي أمره عساه ينصلح وكتب سجلا بولايته العهد وأرسله اليه فقرئ على الناس فما زاده ذلك الا جراءة عليه وافسادا له وشدد في التضييق على أبيه وأخذ بانفاسه فبعث حينئذ الخليفة بالاستاذ ابن اسعاف الى بلاد الصعيد ليجمع من يقدر عليه من الريحانية فمضى واستصرخ الناس لنصرة الخليفة على ولده حسن وجمع أمما لايحصيها الا الله وسار بهم فبلغ ذلك حسنا فزج عسكرا للقاء اسعاف فالتقيا وكانت بينهما وقعة هبت فيها ريح سوداء على عسكر اسعاف حتى هزمتهم وركبهم عسكر حسن فلم ينج منهم الا القليل وغرق أكثرهم في البحر وأخذ اسعاف أسيرا فحمل الى القاهرة على جمل وفي رأسه طرطور لبد أحمر فلما وصل بين القصرين رشق بالنشاب حتى هلك ورمي من القصر الغربي بأستاذ آخر فقتل وقتل الامير شرف الدين فاشتد ذلك على الحافظ وخاف على نفسه فكتب ورقة وكاد ابنه بأن ألقى اليه تلك الورقة وفيها ياولدي انت على كل حال ولدى ولو عمل كل منا لصاحبه مايكره الآخر ماأراد أن يصيبه مكروه ولا يحملنى قلبي وقد انتهى الامر الى أمراء الدولة وهم فلان وفلان وقد شددت وطأتك عليهم وخافوك وهم معولون على قتلك فخذ حذرك ياولدى فعند ماوقف حسن على الورقة غضب ولم يتأن وبعث الى أولئك فلما صاروا اليه أمر صبيان الزرد بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وكانوا عدة من أعيان الامراء وأحاط بدورهم وأخذ سائر مافيها فاشتدت المصيبة وعظمت الرزية وتخوف من بقي من الجند ونفروا منه فانه كان جريأ مفسدا شديد الفحص عن أحوال الناس والاستقصاء لاخبارهم يريد اقلاب الدولة وتغييرها ليقدم أوباشه وأكثر من مصادرة الناس وقتل قاضي القضاة أبا الثريا نجم لانه كان من خواص أبيه وقتل جماعة من الاعيان ورد القضاء لابن ميسر وتفاقم أمره وعظم خطبه واشتدت الوحشة بينه وبين الامراء والاجناد وهموا بخلع الحافظ ومحاربة ابنه حسن وصاروا يداً واحدة واجتمعوا بين القصرين وهم عشرة آلاف مابين فارس وراجل وسيروا الى الحافظ يشكون ماهم فيه من البلاء مع ابنه حسن ويطلبون منه أن يزيله من ولاية العهد فعجز حسن عن مقاومتهم فانه لم يبق معه سوى الراجل من الطائفة الجيوشية ومن يقول بقولهم من الغز الغرباء فتحير وخاف على نفسه فالتجأ الى القصر وصار الى أبيه الحافظ فما هو الا أن تمكن منه أبوه فقبض عليه وقيده وبعث الى الامراء يخبرهم بذلك فأجمعوا على قتله فرد عليهم أنه قد صرفه عنهم ولا يمكنه أبداً من التصرف ووعدهم بالزيادة في الارزاق والاقطاعات وأن يكفوا عن طلب قتله فألحوا في قتله وقالوا اما نحن واما هو اشتد طلبهم اياه حتى أحضروا الاحطاب والنيران ليحرقوا القصر وبالغوا في

التجري على الخليفة فلم يجد بدا من اجابتهم الى قتله وسألهم أن يمهلوه ثلاثاً فأناخوا بين القصرين وأقاموا على حالهم حتى تنقضي الثلاث فما وسع الحافظ الا أنه استدعى طبيبيه وهما أبو منصور اليهودى وابن قرفة النصرانى وبدأ بأبي منصور وفاوضه في عمله سقية قاتلة فامتنع من ذلك وحلف بالتوراة أنه لا يعرف عمل شئ من ذلك فتركه وأحضر ابن قرفة وكلمه في هذا فقال الساعة ولا يتقطع منها جسده بل تفيض النفس لا غير فأحضر السقية من يومه فبعثها الى حسن مع عدة من الصقالبة وما زالوا يكرهونه على شربها حتى فعل ومات في العشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة فبعث الحافظ الى القوم سراً يقول قد كان ما أردتم فامضوا الى دوركم فقالوا لا بد أن يشاهده منا من نثق به وندبوا منهم أميراً معروفا بالجراءة والشر يقال له المعظم جلال الدين محمد ويعرف بجلب راغب الآمرى فدخل الى القصر وصار جنب حسن فاذا به قد سجي بثوب فكشف عن وجهه وأخرج من وسطه آلة من حديد وغرزه بها فى عدة مواضع من بدنه الى أن تيقن أنه قد مات وعاد الى القوم وأخبرهم فتفرقوا وعند ما سكنت الدهما حقد الحافظ لابن قرفة وقتله بخزانة البنود وأنعم بجميع ما كان له على أبي منصور اليهودى وجعله رئيس الاطباء فهذا ما كان من خبر يانس وكيفية موته وخبر حسن والخبر عن قتله * (حارة المنتجبية) قال ابن عبد الظاهر بلغني أن رجلا كان يحجب لشمس الدين قاضى زاده كان يقول ان هذه الخطة منسوبة لجده منتجب الدولة * (الحارة المنصورية) هذه الحارة كانت كبيرة متسعة جداً فيها عدة مساكن السودان فلما كانت واقعتهم في ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة كما تقدم في ذكر حارة بهاء الدين أمر صلاح الدين يوسف بن أيوب بتخريب المنصورة هذه وتعفية أثرها فخربها خطلبا بن موسى الملقب صارم الدين وعملها بستانا وكان للسودان بديار مصر شوكة وقوة فتتبعهم صلاح الدين ببلاد الصعيد حتى أفناهم بعد أن كان لهم بديار مصر في كل قرية ومحلة وضيعة مكان مفرد لا يدخله وال ولا غيره احتراما لهم وقد كانوا يزيدون على خمسين ألفاً واذا ثاروا على وزير قتلوه وكان الضرر بهم عظيما لامتداد أيديهم الى أموال الناس وأهاليهم فلما كثر بغيهم وزاد تعديهم أهلكهم الله بذنوبهم. وفى واقعة السودان وتخريب المنصورة وقتل مؤتمن الخلافة الذى تقدم ذكره يقول العماد الاصفهاني الكاتب يخاطب بهاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب

بالملك الناصر استنارت * في عصرنا أوجه الفضائل
يوسف مصر الذى اليه * تشد آمالنا الرواحل
رأيك في الدهر عن رزايا * جلى مهماته الجلائل
أجريت نيلين في ثراها * نيل نجيع ونيل نائل

كم كرم من نداك جار * وكم دم من عـداك سائـل
وكم معـاد بـلا معـاد * ومستطيل بغـير طائـل
وحاسـد كاسـد المساعى * وسائد نافق الوسائـل
أقررت عين الاسـلام حق * لم يبق فيها قـذى لباطل
وكيف يزهي بملك مصر * من يستقل ذنباً لنائـل
وما نفيت السودان حـق * حكمت البيض في المقاتـل
صيرت رحب الفضا مضيقا * عليهـم كفه لجـائـل
وكل رأي منهـم كرا * وأرض مصر كلام واصـل
وقـد خلت منهـم المغانى * وأقفرت منهـم المنازل
وما أصيبوا الا بطـل * فكيف لو أمطـروا بوابل
وقـد تجلى بالحـق ما بال * باطل فى مصر كان عاجل
والسود بالبيض قـد تحوا * فهى بواديهـم نوازل
مؤتمن القـوم خان حـق * غالتـه من شره الغوائـل
عاملكم بالخنـا فأضحي * ورأسـه فوق رأس عامل
وحالف الذل بعـد عز * والدهر أحواله حوائـل
يا مخجل البحر بالايادى * قد آن أن تفتح السواحل
تقدس القـدس من خباث * أرجاس كفر غتم أراذل

وكان موضع المنصورة على يمنة من سلك في الشارع خارج باب زويلة قال ابن عبـد الظاهر كانت للسودان حارة تعرف بهم تسمى المنصورة خر بها صـلاح الدين وأخـذها خطلبا فعمرها بستانا وحوضاً وهى الى جانب الباب الحديد يعنى الذي يعرف اليوم بالقوس عند رأس المنتجبية فيما بينها وبين الهلالية وقد حكر هذا البستان فىالايام الظاهرية وبعضها يعنى المنصورة من جهة بركة الفيل الى جانب بستان سيف الاسـلام ويسمى الآن بحكر الغتمى لان الغتمى هـذا كان شرع بستان سيف الاسلام فحكر فى هذه الجهة وهى الآن أحكار الديوان السلطانى وحكر الغتمى الذى كان بستان سيف الاسلام يعرف اليوم بدرب ابن البابا تجاه السند قدارية بجوار حمام الفارقاني قريب من صليبة جامع ابن طولون * (حارة المصامدة) هـذه الحارة عرفت بطائفة المصامـدة أحد طوائف عساكر الخلفاء الفاطميين واختطت فى وزارة المأمون البطايحي وخلافة الآمر بأحكام الله بعد سنة خمس عشرة وخمسمائة قال ابن عبدالظاهر حارة المصامدة مقدمهم عبدالله المصمودي وكان المأمون البطايحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله قدمه ونوه بذكره وسلم له أبوابه للمبيت عليها

وأضاف اليه جماعة من أصحابه فلما استخاص المصامدة وقربهم سير أبا بكر المصمودى ليختار لهم حارة فتوجه بالجماعة الى اليانسية بالشارع فلم يجد بها مكانا ووجدها تضيق عنهم فسير المهندسين لاختيار حارة لهم فاتفقوا على بناء حارة ظاهر باب الحديد على يمنة الخارج على شاطئ بركة الفيل فقال بل تكون على يسرة الخارج والفسح قدامها الى بركة الفيل فبنيت الحارة على يسرة الخارج من الباب المذكور وبنى بجانبها مسجد على زلاقة الباب المذكور وبنى أبو بكر المصمودى مسجدا أيضاً وهذه فيما أعتقد هى الهلالية وحذر من بناء شئ قبالتها فى الفضاء الذى بينها وبين بركة الفيل لانتفاع الناس بها وصار ساحل بركة الفيل من المسجد قبالة هذه الحارة الى آخر حصن دورة مسعود الى الباب الحديد ولم يزل ذلك الى بعض أيام الخليفة الحافظ لدين الله قال وبنى فى صف هذه الحارة من قبلها عدة دور بحوانيت تحتها الى أن اتصل البناء بالمساجد الثلاثة الحاكية المعلقة والقنطرة المعروفة بدار ابن طولون وبعدها بستان ذكر أنه كان فى جملة قاعات الدار المذكورة قال وأظن المساجد هى التى قبالة حوض الجاولى قال وبنى المأمون ظاهره حوضاً وأجرى الماء له وذلك قبالة مشهد محمد الاصغر ومشهد السيدة سكينة قال وأظن هذا البستان هو الذى بنته شجرة الدر بستانا ودارا وحمامات قريب من مشهد السيدة نفيسة قال وأمر المأمون بالنداء فى القاهرة مع مصر ثلاثة أيام بأن من كانت له دار فى الخراب أو مكان يعمره ومن عجز عن أن يعمره فليؤجره من غير نقل شئ من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له فى شئ منه ولا حكر يلزمه وأباح تعمير ذلك جميعه بغير طلب بحق فيه فطلب الناس كافة ماهو جار فى الديوان السلطانى وغيره وعمروه حتى صار البلدان لايتخللهما داثر ولا دارس وبنى فى الشارع يعنى خارج باب زويلة من الباب الجديد الى الجبل عرضاً وهو القلعة الآن قال وكان الخراب استولى على تلك الاماكن فى زمن المستنصر فى أيام وزارة البازوري حتى انه كان بنى حائطاً يستر الخراب عن نظر الخليفة اذا توجه من القاهرة الى مصر وبنى حائطاً آخر عند جامع ابن طولون قال وعمر ذلك حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون يصلون العشاء الاخيرة بالقاهرة ويتوجهون الى مساكنهم في مصر لايزالون فى ضوء وسرج وسوق موقود الى باب الصفا وهو المعاصر الآن وذلك أنه يخرج من الباب الحديد الحاكمى على يمنة بركة الفيل الى بستان سيف الاسلام وعدة بساتين وقبالة جميع ذلك حوانيت مسكونة عامرة بالمتعيشين الى مصر والمعاش مستمر الليل والنهار * (حارة الهلالية) ذكر ابن عبد الظاهر أنها على يسرة الخارج من الباب الحديد الحاكمى * (حارة البيازرة) هذه الحارة خارج باب القنطرة على شاطئ الخليج من شرقيه فيما بين زقاق الكحل وباب القنطرة حيث المواضع التى تعرف اليوم ببركة جناق والكداشين والى قريب من حارة بهاء الدين واختطت

هذه الحارة فى الايام الآمرية وذلك أن زمام البيازرة شكا ضيق دار الطيور بمصر وسأل أن يفسح للبيازرة في عمارة حارة على شاطئ الخليج بظاهر القاهرة لحاجة الطيور والوحوش الى الماء فاذن له في ذلك فاختطوا هذه الحارة وجعلوا منازلهم مناظر على الخليج وفي كل دار باب سر ينزل منه الى الخليج واتصل بناء هذه الحارة بزقاق الكحل فعرفت بهم وسميت بحارة البيازرة واحدهم بازيار ثم أن المختار الصقلبي زمام القصر أنشأ بجوارها بستانا وبنى فيه منظرة عظيمة وهذا البستان يعرف اليوم موضعه ببستان ابن صيرم خارج باب الفتوح فلما كثرت العماير في حارة البيازرة أمر الوزير المأمون بعمل الاقنة لشئ الطوب على شاطئ الخليج الكبير الى حيث كان البستان الكبير الجيوشي الذى تقدم ذكره في ذكر مناظر الخلفاء ومتنزهاتهم * (حارة الحسينية) عرفت بطائفة من عبيد الشراء يقال لهم الحسينية قال المسبحي في حوادث سنة خمس وتسعين وثلثمائة وأمر بعمل شونة مما يلى الجبل ماثت بالسنط والبوص والحلفا فابتدى بعملها في ذى الحجة سنة أربع وتسعين وثلثمائة الى شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين فخامر قلوب الناس من ذلك جزع شديد وظن كل من يتعلق بخدمة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ان هذه الشونة عملت لهم ثم قويت الاشاعات وتحدث العوام في الطرقات انها للكتاب وأصحاب الدواوين وأسبابهم فاجتمع سائر الكتاب وخرجوا باجمعهم فى خامس ربيع الاول ومعهم سائر المتصرفين فى الدواوين من المسلمين والنصارى الى الرماحين بالقاهرة ولم يزالوا يقبلون الارض حتى وصلوا الى القصر فوقفوا على بابه يدعون ويتضرعون ويضجون ويسألون العفو عنهم ومعهم رقعة قد كتبت عن جميعهم الى أن دخلوا باب القصر الكبير وسألوا أن يعفى عنهم ولا يسمع فيهم قول ساع يسعى بهم وسلموا رقعتهم الى قائد القواد الحسين بن جوهر فأوصلها الى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله فاجيبوا الى ما سألوا وخرج اليهم قائد القواد فأمرهم بالانصراف والبكور لقراءة سجل بالعفو عنهم فانصرفوا بعد العصر وقرئ من الغد سجل كتب منه نسخة للمسلمين ونسخة للنصارى ونسخة لليهود بأمن لهم والعفو عنهم وقال في ربيع الآخر واشتد خوف الناس من أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله فكتب ما شاء الله من الامانات للغلمان الاتراك الخاصة وزمامهم وامرائهم من الحمدانية والكجورية والغلمان العرفاء والمماليك وصبيان الدار وأصحاب الاقطاعات والمرتزقة والغلمان الحاكمية القدم على اختلاف أصنافهم وكتب أمان لجماعة من خدم القصر الموسومين بخدمة الحضرة بعدما تجمعوا وصاروا الى تربة العزيز بالله وضجوا بالبكاء وكشفوا رؤسهم وكتبت سجلات عدة بأمانات للديلم والجبل والغلمان الشرابية والغلمان الريحانية والغلمان البشارية والغلمان المفرقة العجم وغيرهم والنقباء والروم المرتزقة وكتبت عدة أمانات للزويليين والبنادين والطبالين والبرقيين والمعطوفيين وللعرافة الجوانية والجودرية والمظفرية

وللصنهاجيين ولعبيـد الشراء الحسينية وللميمونية وللفرحيـة وأمان لمؤذنى أبواب القصر وأمانات لسائر البيازرة والفهادين والحجالين وأمانات أخر لعدة أقوام كل ذلك بعد سؤالهم وتضرعهم • وقال في جمادى الآخرة وخرج أهل الاسواق على طبقاتهم كل يلتمس كتب أمان يكون لهم فكتب فوق المائة سجل بامان لاهل الاسواق على طبقاتهم نسخة واحـدة وكان يقرأ جميعها في القصر أبو على أحمد بن عبـد السميع العباسى وتسلم أهل كل سوق ما كتب لهم وهذه نسخة أحداها بعد البسملة (هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور أبى على الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لاهل مسجد عبد الله انكم من الآمنين بامان الله الملك الحق المبين وأمان جدنا محمد خاتم النبيين وأبينا على خير الوصيين وآبائنا الذرية النبوية المهديين صلى الله على الرسول ووصيه وعليهم أجمعين وأمان أمير المؤمنين على النفس والحال والدم والمال لا خوف عليكم ولا تمد يد بسوء اليكم الا في حد يقام بواجبه وحق يؤخـذ بمستوجبه فيوثق بذلك وليعول عليه ان شاء الله تعالى وكتب فى جمادي الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة والحمد لله وصلي الله على محمد سيد المرسلين وعلى خير الوصيين وعلى الأئمة المهديين ذرية النبوة وسـلم تسليما كثيراً * وقال ابن عبـد الظاهر فاما الحارات التى من باب الفتوح ميمنة وميسرة للخارج منـه فالميمنة الى الهليلجة والميسرة الى بركة الارمن برسم الريحانية وهى الحسينية الآن وكانت برسم الريحانية الغزاوية والمولدة والعجمان وعبيد الشراء وكانت ثمان حارات وهي حارة حامـد بين الحارتين المنشية الكبيرة • الحارة الكبيرة الحارة الوسطى • سوق الكبير الوزيرية • وللاجناد بظاهر القاهرة حارات وهي حارة البيازرة والحسينية جميع ذلك سكن الريحانيـة وسكن الجيوشية والعطوفية بالقاهرة وبظاهرها الهلالية والشوبك وحلب والجبانية والمأمونية وحارة الروم وحارة المصامدة والحارة الكبيرة والمنصورة الصغيرة واليانسية وحارة أبى بكر والمقس ورأس التبان والشارع ولم يكن للاجناد فى هذا الوجه غـير حارة عنتر للمؤمنين المترجلة وكانت كل حارة من هـذه بلدة كبيرة بالبزازين والعطارين والجزارين وغـيرهم والولاة لا يحكمون عليها ولا يحكم فيها الا الازمة ونوابهم وأعظم الجميع الحارة الحسينية التى هي آخر صف الميمنة الى الهليلجة وهى الحسينية الآن لانها كانت سكن الارمن فارسهم وراجلهم وكان يجتمع بها قريب من سـبعة آلاف نفس وأ كثر من ذلك وبها أسواق عـدة * وقال في موضع آخر الحسينية منسوبة لجماعـة من الاشراف الحسينيين كانوا في الايام الكاملية قدموا من الحجاز فنزلوا خارج باب النصر بهذه الامكنة واستوطنوها وبنوا بها مدابغ صنعوا بها الاديم المشبه بالطائفى فسميت بالحسينية ثم سكنها الاجناد بعـد ذلك وابتنوا بها هذه الابنية العظيمة وهذا وهم فانه تقدم أن من جملة الطوائف فى الايام الحاكمية الطائفة الحسينية وتقدم فيما نقله ابن عبد الظاهر أيضاً أن

الحسينية كانت عدة حارات والايام الكاملية انما كانت بعد الستمائة وقد كانت الحسينية قبل ذلك بما ينيف عن مائتى سنة فتدبره * واعلم أن الحسينية شقتان احداها ما خرج عن باب الفتوح وطولها من خارج باب الفتوح الى الخندق وهذه الشقة هي التي كانت مساكن الجند فى أيام الخلفاء الفاطميين وبها كانت الحارات المذكورة والشقة الاخرى ما خرج عن باب النصر وامتد فى الطول الى الريدانية وهذه الشقة لم يكن بها فى أيام الخلفاء الفاطميين سوى مصلى العيد تجاه باب النصر ومابين المصلى الى الريدانية فضاء لابناء فيه وكانت القوافل اذا برزت تريد الحج تنزل هناك فلما كان بعد الخمسين وأربعمائة وقدم بدر الجمالى أمير الجيوش وقام بتدبير أمر الدولة الخليفة المنتصر بالله أنشأ بحرى مصلي العيد خارج باب النصر تربة عظيمة وفيها قبره هو وولده الافضل بن أمير الجيوش وأبو على كتيفات بن الافضل وغيره وهى باقية الى يومنا هذا ثم تتابع الناس في انشاء الترب هناك حتى كثرت ولم تزل هذه الشقة مواضع للترب ومقابر أهل الحسينية والقاهرة الى بعد السبعمائة ولقد حدثت عن المشيخة ممن أدرك بأن ما بين مصلى الاموات التي خارج باب النصر وبين دار كهرداش التي تعرف اليوم بدار الحاجب مكانا يعرف بالمراغة معد لتمريغ الدواب به وأن ما في صف المصلى من بحريها الترب فقط ولم تعمر هذه الشقة الا فى الدولة التركية لا سيما لما تغلب التتر على ممالك الشرق والعراق وجفل الناس الى مصر فنزلوا بهذه الشقة وبالشقة الاخرى وعمروا بها المساكن ونزل بها أيضاً أمراء الدولة فصارت من أعظم عمائر مصر والقاهرة واتخذ الامراء بها من بحريها فيما بين الريدانية الى الخندق مناخات الجمال واصطبلات الخيل ومن ورائها الاسواق والمساكن العظيمة في الكثرة وصار أهلها يوصفون بالحسن خصوصاً لما قدمت الاويراتية

* (ذكر قدوم الاويراتية) *

وكان من خبر هذه الطائفة أن بيدو بن طرغاى بن هولاكو لما قتل في ذى الحجة سنة أربع وتسعين وسبعمائة وقام في الملك من بعده على المغل الملك غازان محمود بن خربنده ابن ابغانى تخوف منه عدة من المغل يعرفون بالاويراتية وفروا عن بلاده الى نواحي بغداد فنزلوا هناك مع كبيرهم طرغاى وجرت لهم خطوب آلت بهم الى اللحاق بالفرات فاقاموا بها هنالك وبعثوا الى نائب حلب يستأذنوه في قطع الفرات ليعبروا الى ممالك الشام فاذن لهم وعدوا الفرات الى مدينة بهنسا فاكرمهم نائبها وقام لهم بما ينبغى من العلوفات والضيافات وطولع الملك العادل زين الدين كتبغا وهو يومئذ سلطان مصر والشام بأمرهم فاستشار الامراء فيما يعمل بهم فاتفق الرأى على استدعاء أكابرهم الى الديار المصرية وتفريق باقيهم في البلاد الساحلية وغيرها من بلاد الشام وخرج اليهم الامير علم الدين سنجر الدوادارى

والامير شمس الدين سنقر الاعسر الى دمشق فجهزا من أكابر الاويراتية نحو الثلثمائة للقدوم على السلطان وفرقا من بقى منهم بالبقاع العزيزة وبلاد الساحل ولما قرب الجماعة من القاهرة خرج الامراء بالعسكر الى لقائهم واجتمع الناس من كل مكان حتى امتلأ الفضا للنظر اليهم فكان لدخولهم يوم عظيم وصاروا الى قلعة الجبل فأنعم السلطان على طرغاى مقدمهم بأمرة طبلخاناه وعلى اللوص بأمرة عشرة وأعطى البقية تقاد مافي الحلقة واقطاعات وأجرى عليهم الرواتب وأنزلوا بالحسينية وكانوا علي غير الملة الاسلامية فشق ذلك على الناس وبلوا مع ذلك منهم بأنواع من البلاء لسوء أخلاقهم ونفرة نفوسهم وشدة جبروتهم وكان اذ ذاك بالقاهرة ومصر غلاء كبير وفناء عظيم فتضاعفت المضرة واشتد الامر على الناس وقال في ذلك الاديب شمس الدين محمد بن دينار

ربنا اكشف عنا العذاب فانا * قد تلفنا في الدولة المغلية

جاءنا المغل والغلا فانصلقنا * وانطبخنا فى الدولة المغلية

ولما دخل شهر رمضان من سنة خمس وتسعين وستمائة لم يصم أحد من الاويراتية وقيل للسلطان ذلك فابى أن يكرههم على الاسلام ومنع من معارضتهم ونهى أن يشوش عليهم أحد وأظهر العناية بهم وكان مراده أن يجعلهم عونا له يتقوى بهم فبالغ في اكرامهم حتي أثر في قلوب امراء الدولة منه أحناو خشوا ايقاعه بهم فان الاويراتية كانوا أهل جنس كتبغا وكانوا مع ذلك صوراً جميلة فافتتن بهم الامراء وتنافسوا في أولادهم من الذكور والاناث واتخذوا منهم عدة صيروهم من جملة جندهم وتعشقوهم فكان بعضهم يستنشد من صاحبه من اختص به وجعله محل شهوته ثم ماقنع الامراء ماكان منهم بمصر حتى أرسلوا الى البلاد الشامية واستدعوا منهم طائفة كبيرة فتكاثر نسلهم في القاهرة واشتدت الرغبة من الكافة في أولادهم على اختلاف الآراء في الاناث والذكور فوقع التحاسد والتشاجر بين أهل الدولة الى أن آل الامر بسببهم وباسباب أخر الى خلع السلطان الملك العادل كتبغا من الملك في صفر سنة ست وتسعين وستمائة فلما قام فى السلطنة من بعده الملك المنصور حسام الدين لاجين قبض على طرغاى مقدم الاويراتية وعلى جماعة من أكابرهم وبعث بهم الى الاسكندرية فسجنهم بها وقتلهم وفرق جميع الاويراتية على الامراء فاستخدموهم وجعلوهم من جندهم فصار أهل الحسينية لذلك يوصفون بالحسن والجمال البارع وأدركنا من ذلك طرفا جيداً وكان للناس في نكاح نسائهم رغبة ولآخرين شغف بأولادهم ولله در الشيخ تقى الدين السروجي اذ يقول من أبيات

ياساعى الشوق الذى مذ جرى * جرت دموعى فهى أعوانه

خذ لى جواباً عن كتابى الذى * الى الحسينية عنوانه

فهى كما قد قيل وادى الحمى * وأهلها فى الحسن غزلانه
امشى قليلا وانعطف يسرة * يلقاك درب طال بنيانه
واقصد بصدر الدرب ذاك الذى * بحسنه تحسن جيرانه *
سلم وقل يخشى مسن أى مسن * أشت حديثاً طال كتمانه
وسل لى الوصل فان قال بق * فقل أوت قد طال هجرانه

وما برحوا يوصفون بالزعارة والشجاعة وكان يقال لهم البدورة فيقال البدر فلان والبدر فلان و يسانون لباس الفتوة وحمل السلاح ويؤثر عنهم حكايات كثيرة وأخبار جمة وكانت الحسينية قد أربت فى عمارتها على سائر أخطاط مصر والقاهرة حتى لقد قال لى ثقة ممن أدركت من الشيخة انه يعرف الحسينية عامرة بالاسواق والدور وسائر شوارعها كاظة بازدحام الناس من الباعة والمارة وأرباب المعايش وأصحاب اللهو والملعوب فيما بين الريدانية محطة المحمل يوم خروج الحاج من القاهرة والى باب الفتوح لا يستطيع الانسان أن يمر فى هذا الشارع الطويل العريض طول هذه المسافة الكبيرة الا بمشقة من الزحام كما كنا نعرف شارع بين القصرين فيما أدركنا ولم يزل أمر الحسينية متماسكا الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ثمانمائة وما بعدها فخربت حاراتها ونقضت مبانيها وبيع مافيها من الاخشاب وغيرها وباد أهلها ثم حدث بها بعد سنة عشرين وثمانمائة آية من آيات الله تعالى وذلك أن في أعوام بضع وستين وسبعمائة بدا بناحية برج الزيات فيما بين المطرية وسرياقوص فساد الارض التي من شأنها العيث في الكتب والثياب فأكلت اشخص نحو ألف وخمسمائة قتة دريس فكنا لانزال نتعجب من ذلك ثم فشت هناك وشنع عيثها فى سقوف الدور وسرت حتي عاثت فى أخشاب سقوف الحسينية وغلات أهلها وسائر أمتعتهم حتى أتلفت شيئاً كثيراً وقويت حتى صارت تأكل الجدران فبادر أهل تلك الجهة الى هدم ما قد بقى من الدور خوفا عليها من الارضة شيئاً بعد شئ حتى قاربوا باب الفتوح وباب النصر وقد بقى منها اليوم قليل من كثير يخاف ان استمرت أحوال الاقاليم على ماهى عليه من الفساد أن تدثر وتمحي آثارها كما دثر سواها ولله در القائل

والله ان لم يداركها وقد رحلت * بلمحة أو بلطف من لديه خفى
ولم يجد بتلافيها على عجل * ما أمرها صائر الا الى تلف

(حارة حلب) هذه الحارة خارج باب زويلة تعرف اليوم بزقاق حلب وكانت قديماً من جملة مساكن الاجناد قال ياقوت فى باب حلب • الاول حلب المدينة المشهورة بالشام وهى قصبة نواحي قنسرين والعواصم اليوم • الثانى حلب الساجود من نواحي حلب أيضاً • الثالث كفر حلب من قراها أيضاً • الرابع محلة بظاهر القاهرة بالشارع من جهة الفسطاط والله تعالى أعلم

(ذكر أخطاط القاهرة وظواهرها)

قد تقدم ذكر ما يطلق عليه حارة من الاخطاط ونريد أن نذكر من الخطط مالا يطلق عليه اسم حارة ولا درب وهي كثيرة وكل قليل تتغير أسماؤها ولا بد من ايراد ماتيسر منها (خط خان الوراقة) هذا الخط فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة أمير الجيوش وفي شرقيه سوق المرجلين وهو يشتمل على عدة مساكن وبه طاحون وكان موضعه قديماً اصطبل الصبيان الحجرية لموقف خيولهم كما تقدم فلما زالت الدولة الفاطمية اختط مواضع للسكنى وقد شمله الخراب .(خط باب القنطرة) هذا الخط كان يعرف قديماً بحارة المرتاحية وحارة الفرحية والرماحين وكان مابين الرماحين الذى يعرف اليوم بباب القوس داخل باب القنطرة وبين الخليج فضاء لاعمارة فيه بطول مابين باب الرماحين الى باب الخوخة والى باب سعادة والى باب الفرج ولم يكن اذ ذاك على حافة الخليج عمائر البتة وانما العمائر من جانب الكافورى وهي مناظر اللؤلؤة وما جاورها من قبليها الى باب الفرج وتخرج العامة عصريات كل يوم الى شاطئ الخليج الشرقى تحت المناظر للتفرج فان بر الخليج الغربي كان فضاء مابين بساتين وبرك كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى . قال القاضى الفاضل في متجددات سنة سبع وثمانين وخمسمائة في شوال قطع النيل الجسور واقتلع الشجر وغرق النواحي وهدم المساكن وأتلف كثيراً من النساء والاطفال وكثر الرخاء بمصر فالقمح كل مائة أردب بثلاثين دينارا والخبز البايت ستة أرطال بربع درهم والرطب الامهات ستة أرطال بدرهم والموز ستة أرطال بدرهم والرمان الجيد مائة حبة بدرهم والحمل الخيار بدرهمين والتين ثمانية أرطال بدرهم والعنب ستة أرطال بدرهم في شهر بابه بعد انقضاء موسمه المعهود بشهرين والياسمين خمسة أرطال بدرهم وآل أمر أصحاب البساتين الى أن لايجمعوا الزهر لقص ثمنه عن أجرة جمعه وثمر الحناء عشرة أرطال بدرهم والبسرة عشرة أرطال بدرهم من جيده والمتوسط خمسة عشر رطلا بدرهم وما في مصر الا متسخط بهذه النعمة قال ولقد كنت فى خليج القاهرة من جهة المقس لانقطاع الطرق بالمياه فرأيت الماء مملوأ سمكا والزيادة قد طبقت الدنيا والنخل مملوأ تمرا والمكشوف من الارض مملوأ ريحانا وبقولا ثم نزلت فوصلت الى المقس فوجدت من القلعة التي بالمقس الى منية السيرج غلالا قد ملأت صبرها الارض فلا يدرى الماشى أين يضع رجله متصلا عرض ذلك الى باب القنطرة وعلى الخليج عند باب القنطرة من مراكب الغلة ماقد ستر سواحله وأرضه قال ودخلت البلد فرأيت فى السوق من الاخباز واللحوم والالبان والفواكه ماقد ملأها وهجمت منه العين على منظر ما رأيت قبله مثله قال وفى البلد من البغي ومن المعاصى ومن الجهر بها ومن الفسق بالزنا واللواط ومن شهادة الزور ومن مظالم الامراء والفقهاء ومن استحلال الفطر

فى نهار رمضان وشرب الخمر فى ليله ممن يقع عليه اسم الاسلام ومن عدم التنكير على ذلك جميعه ما لم يسمع ولم يعهد مثله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وظفر بجماعة مجتمعين في حارة الروم يتغدون في قاعة فى نهار رمضان فا كلوا وبقوم مسلمين ونصارى اجتمعوا على شرب خمر في ليل رمضان فما أقيم فيهم حد• وخط باب القنطرة فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة أمير الجيوش وينتهي من قبليه الى خط بين السورين (خط بين السورين) هذا الخط من حد باب الكافورى فى الغرب الى باب سعادة وبه الآن صفان من الاملاك أحدهما مشرف على الخليج والآخر مشرف على الشارع المسلوك فيه من باب القنطرة الى باب سعادة ويقال لهذا الشارع بين السورين تسميه العامة بها فاشتهر بذلك وكان فى القديم بهذا الخط البستان الكافوري يشرف عليه بحده الغربى ثمة مناظر اللؤلؤة وقد بقيت منها عقود مبنية بالآجر يمر السالك في هذا الشارع من تحتها ثم مناظر دار الذهب وموضعها الآن دار تعرف بدار بها در الاعسر وعلى بابها بئر يستقى منها الماء فى حوض يشرب منه الدواب ويجاورها قبو معقود يعرف بقبو الذهب هو من بقية مناظر دار الذهب وبحد دار الذهب منظرة الغزالة وهى بجوار قنطرة الموسكي وقد بنى فى مكانها ربع يعرف الى اليوم بربع غزالة ودار ابن قرفة وقد صار موضعها جامع ابن المغربى وحمام ابن قرفة وبقى منها البئر التى يستقى منها الى اليوم بحمام السلطان وعدة دور كلها فيما يلى شقة القاهرة من صف باب الخوخة وكان ما بين المناظر والخليج براحا ولم يكن شئ من هذه العمائر التى بحافة الخليج اليوم البتة وكان الحاكم بأمر الله فى سنة احدى وأربعمائة منع من الركوب فى المراكب بالخليج وسد أبواب القاهرة التى تلى الخليج وأبواب الدور التى هناك والطاقات المطلة عليه على ماحكاه المسبحي * وقال ابن المأمون فى حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام بها مدة النيل على الحكم الاول يعنى قبل أيام أمير الجيوش بدر وابنه الافضل وازالة ما لم تكن العادة جارية عليه من مضايقة اللؤلؤة بالبناء وأنها صارت حارات تعرف بالفرحية والسودان وغيرهما أمر حسام الملك متولى بابه باحضار عرفاء الفرحية والانكار عليهم في تجاسرهم على ما استجدوه وأقدموا عليه فاعتذروا بكثرة الرجال وضيق الامكنة عليهم فبنوا لهم قبابا يسيرة فتقدم يعنى أمر الوزير المأمون الى متولى الباب بالانعام عليهم وعلى جميع من بني في هذه الحارة بثلاثة آلاف درهم وأن يقسم بينهم بالسوية ويأمرهم بنقل قسمهم وأن يبنوا لهم حارة قبالة بستان الوزير يعنى ابن المغربى خارج الباب الجديد من الشارع خارج باب زويلة قال وتحول الخليفة الى اللؤلؤة بحاشيته وأطلقت التوسعة فى كل يوم لما يخص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الاصناف وانضاف اليها ما يطلق كل ليلة عينا وورقا وأطعمة للابتين بالنوبة برسم

الحرس بالنهار والسهر فى طول الليل من باب قنطرة بها در الى مسجد الليمونة من البرين من صبيان الخاص والركاب والرهجية والسودان والحجاب كل طائفة بنقيبها والعرض من متولى الباب واقع بالعدة فى طرفي كل ليلة ولا يمكن بعضهم بعضاً من المنام والرهجية تخدم على الدوام * (خط الكافورى) هذا الخط كان بستانا من قبل بناء القاهرة وتملك الدولة الفاطمية لديار مصر أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طغج بن جف الملقب بالاخشيد وكان بجانبه ميدان فيه الخيول وله أبواب من حديد فلما قدم جوهر القائد الى مصر جعل هذا البستان من داخل القاهرة وعرف ببستان كافور وقيل له فى الدولة الفاطمية البستان الكافورى ثم اختط مساكن بعد ذلك قال ابن زولاق فى كتاب سيرة الاخشيد ولست خلون من شوال سنة ثلاثين وثلثمائة سار الاخشيد الى الشام فى عساكره واستخلف أخاه أبا المظفر بن طغج قال وكان يكره سفك الدماء ولقد شرع في الخروج الى الشام في آخر سفراته وسار العسكر وكان نازلا في بستانه في موضع القاهرة اليوم فركب للمسير فساعة خرج من باب البستان اعترضه شيخ يعرف بمسعود الصابونى يتظلم اليه فنظر له فتطير به وقال خذوه ابطحوه فبطح وضرب خمس عشرة مقرعة وهو ساكت فقال الاخشيد هو ذا يتشاطر فقال له كافور قد مات فانزعج واستقال سفرته وعاد لبستانه وأحضر أهل الرجل واستحلهم وأطلق لهم ثلاثمائة دينار وحمل الرجل الى منزله ميتا وكانت جنازته عظيمة وسافر الاخشيد فلم يرجع الى مصر ومات بدمشق * وقال في كتاب تتمة كتاب أمراء مصر للكندى وكان كافور الاخشيدى أمير مصر يواصل الركوب الى الميدان والى بستانه في يوم الجمعة ويوم الاحد ويوم الثلاثاء قال وفي غد هذا اليوم يعنى يوم الثلاثاء مات الاستاذ كافور الاخشيدى لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ويوم مات الاستاذ كافور الاخشيدى خرج الغلمان والجند الى المنظرة وخربوا بستان كافور ونهبوا دوابه وطلبوا مال البيعة وقال ابن عبد الظاهر البستان الكافورى هو الذي كان بستانا لكافور الاخشيدى وكان كثيراً مايتنزه به وبنيت القاهرة عنده ولم يزل الى سنة احدى وخمسين وستمائة فاختطت البحرية والعزيزية به اصطبلات وأزيلت أشجاره قال ولعمرى ان خرابه كان بحق فانه أكان عرف بالحشيشة التى يتناولها الفقراء والتى تطلع به يضرب بها المثل في الحسن • قالشاعرهم نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن على الينبعى لنفسه

رب ليل قطعته ونديمى * شاهدى وهو مسمعى وسميرى
مجلسى مسجد وشربى من خضـ * ـراء تزهو بحسن لون نضير
قال لى صاحبى وقد فاح منها * نشرها مزرياً بنشر العبير
أمن المسك قلت ليست من المسـ * ـك ولكنها من الكافورى

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد الاسدى الدمشقي المعروف باليغمورى أنشدنى الامام العالم المعروف بجموع الفضائل زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفى لنفسه وهو أول من عمل فيها

وخضراء كافورية بات فعلها * بألبابنا فعل الرحيق المعتق
اذا نفحتنا من شذاها بنفحة * تدب لنا في كل عضو ومنطق
غنيت بها عن شرب خمر معتق * وبالدلق عن لبس الجديد المزوق

وأنشدنى الحافظ جلال الدين أبو المعز بن أحمد بن الصائغ المغربى لنفسه

عاطني خضراء كافورية * يكتب الخمر لها من جندها
أسكرتنا فوق ماتسكرنا * وربحنا أنفسا من حدها

وأنشدنى لنفسه

قم عاطنى خضراء كافورية * قامت مقام سلافة الصهباء
يغدو الفقير اذا تناول درهما * منها له تيه على الامراء
وتراه من أقوى الورى فاذا خلا * منها عددناه من الضعفاء

وأنشدنى من لفظه لنفسه أيضاً

عاطيت من أهوي وقد زارني * كالبدر وافي ليلة البدر
والبحر قد مد على متنه * شعاعه جسراً من التبر
خضراء كافورية رنحت * أعطافه من شدة السكر
يفعل منها درهم فوق ما * تفعل أرطال من الخمر
فراح نشواناً بها غافلا * لايعرف الحلو من المر
قال وقد نال بها أمره * فبات مردودا الى أمري
قتلتنى قلت نعم سيدى * قتلين بالسكر وبالبحر

قال وأمر السلطان الملك الصالح يعنى نجم الدين أيوب الأمير جمال الدين أبا الفتح موسى بن يغمور أن يمنع من يزرع فى الكافورى من الحشيشة شيأ فدخل ذات يوم فرأى فيه منها شيأ كثيراً فأمر بأن يجمع فجمع وأحرق فأنشدنى فى الواقعة الشيخ الاديب الفاضل شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف لنفسه وذلك فى ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين وستمائة

صرف الزمان وحادث المقدور * تركا نكير الخطب غير نكير
ماسالما حيا ولا ميتاً ولا * طودا سما بل دكدكا بالطور
لهفى وهل يجدى التلهف فى ردى * طرب الغني وأنس كل فقير
أخت المذلة لارتكاب محرم * قطب السرور بأيسر الميسور

جمعت محاسن ماجتمعن لغيرها * من كل شئ كان فى المعمور
منها طعام والشراب كلاهما * والبقل والريحان وقت حضور
هى روضة ان شئتها ورياضة * يغنى بها عن روضة وخمور
مافي المدامة كلها منها سوى * اثم المدام وصحبة المخمور
كلا ونكهة خمرة هى شاهد * عدل على حد وجلد ظهور
* أسفا لدهر غالها ولربما * ظل الكريم بذلة المأسور
جمعت له الاشهاد كرما أخضرا * كعروسة تجلى بخضر حرير
* زفوا لها نارا فخلنا جنة * برزت لنا قد زوجت بالنور
ثم اكتست منها غلالة صفرة * في حضرة مقرونة بزفير
فكانها لهب اللظى فى خضرة * منها وطرف رمادها المنثور
جارى النضار على مذاب زمرذ * تركا فتيت المسك في الكافورى
لله درك حية أو ميتة * من منظر بهج بغير نظير
أوذيت غير ذميمة فسقى الحيا * تربا تضمن منك ذوب عبير
عندي لذكرك مابقيت مخلدا * سح الدموع ونفثة المصدور

(ذكر كافور الاخشيدى)

كان عبدا أسود خصيا مثقوب الشفة السفلى بطينا قبيح القدمين ثقيل البدن جلب الى مصر وعمره عشر سنين فما فوقها في سنة عشر وثلثمائة فلما دخل الى مصر تمنى أن يكون أميرها فباعه الذي جلبه لمحمد بن هاشم أحد المتقبلين للضياع فباعه لابن عباس الكاتب فمر يوما بمصر على منجم فنظر له فى نجومه وقال له انت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ معه مبلغا عظيما فدفع اليه درهمين لم يكن معه سواهما فرمى بهما اليه وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين ثم قال له وأزيدك انت تملك هذه البلد وأكثر منه فاذكرني * واتفق أن ابن عباس الكاتب أرسله بهدية يوما الى الامير أبى بكر محمد بن طغج الاخشيد وهو يومئذ أحد قواد تكين أمير مصر فأخذ كافورا ورد الهدية فترقي عنده فى الخدم حتى صار من أخص خدمه * ولما مات الاخشيد بدمشق ضبط كافور الامور ودارى الناس ووعدهم الى أن سكنت الدهماء بعد أن اضطرب الناس وجهز أستاذه وحمله الى بيت المقدس وسار الى مصر فدخلها وقد انعقد الامر بعد الاخشيد لابنه أبى القاسم أونوجور فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من دمشق بأن سيف الدولة على بن حمدان أخذها وسار الى الرملة فخرج كافور بالعساكر وضرب الدبادب وهى الطبول على باب مضربه فى وقت كل صلاة وسار فظفر وغنم ثم قدم الى مصر وقد عظم أمره فقام بخلافة أونوجور فخاطبه القواد بالاستاذ وصار

القواد يجتمعون عنده في داره فيخلع عليهم ويحملهم ويعطيهم حتي انه وقع لجانك أحد القواد الاخشيدية في يوم بأربعة عشر ألف دينار فما زال عبداً له حتى مات وانبسطت يده في الدولة فعزل وولى وأعطى وحرم ودعى له على المنابر كلها الا منبر مصر والرملة وطبرية ثم دعى له بها في سنة أربعين وثلثمائة وصار يجلس للمظالم فى كل سبت ويحضر مجلسه القضاة والوزراء والشهود ووجوه البلد فوقع بينه وبين الامير أونوجور وتحرز كل منهما من الآخر وقويت الوحشة بينهما وافترق الجند فصار مع كل واحد طائفة واتفق موت أونوجور في ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة ويقال انه سمه فأقام أخاه أبا الحسن على بن الاخشيد من بعده واستبد بالامر دونه وأطلق له في كل سنة أربعمائة الف دينار واستقل بسائر أحوال مصر والشام ففسد مابينه وبين الامير أبي الحسن على فضيق عليه كافور ومنع أن يدخل عليه أحد فاعتل بعلة أخيه ومات وقد طالت به في محرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة فبقيت مصر بغير أمير أياماً لايدعى فيها سوى للخليفة المطيع فقط وكافور يدبر أمر مصر والشام في الخراج والرجال فلما كان لاربع بقين من المحرم المذكور أخرج كافور كتاباً من الخليفة المطيع بتقليده بعد على بن الاخشيد فلم يغير لقبه بالاستاذ ودعى له على المنبر بعد الخليفة وكانت له في أيامه قصص عظام وقدم عسكر من المعز لدين الله أبي تميم معد من المغرب الى الواحات فجهز اليه جيشاً أخرجوا العسكر وقتلوا منهم وصارت الطبول تضرب على بابه خمس مرات في اليوم والليلة وعدتها مائة طبلة من نحاس وقدمت عليه دعاة المعز لدين الله من بلاد المغرب يدعونه الى طاعته فلاطفهم وكان أكثر الاخشيدية والكافورية وسائر الاولياء والكتاب قد أخذت عليهم البيعة للمعز وقصر مد النيل في أيامه فلم يبلغ تلك السنة سوى اثني عشر ذراعاً وأصابع فاشتد الغلاء وفحش الموت في الناس حتي عجزوا عن تكفينهم ومواراتهم وأرجف بمسير القرامطة الى الشام وبدت غلمانه تتنكر له وكانوا الفاً وسبعين غلاماً تركياً سوى الروم والمولدين فمات لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة عن ستين سنة فوجد له من العين سبعمائة ألف دينار ومن الورق والحلي والجوهر والعنبر والطيب والثياب والآلات والفرش والخيام والعبيد والجواري والدواب ماقوم بستمائة ألف ألف دينار وكانت مدة تدبيره أمر مصر والشام والحرمين احدى وعشرين سنة وشهرين وعشرين يوماً منها منفردا بالولاية بعد أولاد أستاذه سنتان وأربعة أشهر وتسعة أيام ومات عن غير وصية ولا صدقة ولا مأثرة يذكر بها ودعى له على المنابر بالكنية التي كناه بها الخليفة وهى أبو المسك أربع عشرة جمعة وبعده اختلت مصر وكادت تدرس حتي قدمت جيوش المعز على يد القائد جوهر فصارت مصر دار خلافة ووجد على قبره مكتوب

ما بال قبرك ياكافور منفرداً * بصائح الموت بعد العسكر اللجب

يدوس قبرك من أدنى الرجال وقد * كانت أسود الشرى تخشاك في الكثب

ووجد أيضاً مكتوب

أنظر الى غبر الايام ماصنعت * أفنت أناسا بها كانوا وما فنيت

دنياهم أضحكت أيام دولتهم * حتى اذا فنيت ناحت لهم وبكت

(خط الخرشتف) هذا الخط فيما بين حارة برجوان والكافورى ويتوصل اليه من بين القصرين فيدخل له من قبو يعرف بقبو الخرشتف وهو الذي كان يعرف قديماً بباب التبانين ويسلك من الخرشتف الى خط باب سر المارستان والى حارة زويلة وكان موضع الخرشتف في أيام الخلفاء الفاطميين ميدانا بجوار القصر الغربى والبستان الكافورى فلما زالت الدولة اختط وصار فيه عدة مساكن وبه أيضاً سوق وانما سمى بالخرشتف لان المعز أول من بنى فيه الاصطبلات بالخرشتف وهو متحجر مما يوقد به على مياه الحمامات من الازبال وغيرها * قال ابن عبد الظاهر الحارة المعروفة بالخرشتف كانت قديماً ميداناً للخلفاء فلما ورد المعز بنوا به اصطبلات وكذلك القصر الغربى وقد كان النساء اللاتى أخرجن من القصر يسكن بالقصر النافعي فامتدت الايدى الى طوبه وأخشابه وبيعت وتلاشى حاله وبني به وبالميدان اصطبلات ودويرات بالخرشتف فسمى بذلك ثم بني به الادر والطواحين وغيرها وذلك بعد الستمائة وأكثر أراضى الميدان حكر للادر القطبية (خط اصطبل القطبية) هذا الخط أيضاً من جملة أراضي الميدان ولما انتقلت القاعة التي كانت سكن أخت الحاكم بأمر الله بعد زوال الدولة الفاطمية صارت الى الملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فاستقر بها هو وذريته فصار يقال لها الدار القطبية واتخذ هذا المكان اصطبلا لهذه القاعة فعرف باصطبل القطبية ثم لما أخذ الملك المنصور قلاوون القاعة القطبية من مونسة خاتون المعروفة بدار اقبال ابنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب أخت المفضل قطب الدين أحمد المعروفة بخاتون القطبية وعملها المارستان المنصورى بني فى هذا الاصطبل المساكن وصارت من جملة الخطط المشهورة ويتوصل اليه من وسط سوق الخرشتف ويسلك فيه من آخره الى المدرسة الناصرية والمدرسة الظاهرية المستجدة وعمل على أوله درباً يغلق وهو خط عامر (خط باب سر المارستان) هذا الخط يسلك اليه من الخرشتف ويصير السالك فيه الى البندقانيين وبعض هذا الخط وهو جله ومعظمه من جملة اصطبل الجميزة الذى كان فيه خيول الدولة الفاطمية وقد تقدم ذكره وموضع باب سر المارستان المنصورى هو باب الساباط فلما زالت الدولة واختط الكافورى والخرشتف واصطبل القطبية صار هذا الخط واقعاً بين هذه الاخطاط ونسب الى باب سر المارستان لانه من هنالك وأدركت بعض هذه الخطة وهى خراب ثم أنشأ فيه القاضى جمال الدين

محمود القيصري محتسب القاهرة فى أيام ولايته نظر المارستان في سنة احدى وثمانين وسبعمائة الطاحون العظيمة ذات الاحجار والفرن والربع علوه في المكان الخراب وجعل ذلك جارياً في جملة أوقاف المارستان المنصورى (خط بين القصرين) هـذا الخط أعمر أخطاط القاهرة وأنزهها وقد كان فى الدولة الفاطمية فضاء كبيراً وبراحاً واسعاً يقف فيه عشرة آلاف من العسكر مابين فارس وراجل ويكون به طرادهم ووقوفهم للخدمة كما هو الحال اليوم في الرميلة تحت قلعة الجبل فلما انقضت أيام الدولة الفاطمية وخلت القصور من أهاليها ونزل بها أمراء الدولة الايوبية وغيروا معالمها صار هذا الموضع سوقا مبتذلا بعد ما كان ملاذاً مبجلا وقعد فيه الباعة بأصناف المأكولات من اللحمان المتنوعة والحلاوات المصنعة والفاكهة وغيرها فصار منتزهاً تمر فيه أعيان الناس وأماثلهم في الليل مشاة لرؤية ماهناك من السرج والقناديل الخارجة عن الحد في الكثرة ولرؤية ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين مما فيه لذة للحواس الخمس وكانت تعقد فيه عدة حلق لقراءة السير والاخبار وانشاد الاشعار والتفنن في أنواع اللعب واللهو فيصير مجمعاً لا يقدر قدره ولا يمكن حكاية وصفه وسأتلو عليك من أنباء ذلك مالا تجده مجموعا فى كتاب * قال المسبحي فى حوادث جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة وفيه منع كل أحد ممن يركب مع المكاريين أن يدخل من باب القاهرة راكباً ولا المكارين أيضاً بحميرهم ولايجلس أحد على باب الزهومة من التجار وغيرهم ولا يمشي أحد ملاصق القصر من باب الزهومة الى أقصى باب الزمرذ ثم عفى عن المكاريين بعد ذلك وكتب لهم أمان قرئ * وقال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر كل ليلة خمسون فارساً فاذا أذن بالعشاء الآخرة داخل القاعة وصلى الامام الراتب بها بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة ابن الكركندي فاذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق وتوابعهما من عدة وافرة بطريق مستحسنة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك أستاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها أغلق الباب وسار الى حوالى القصر سبع دورات فاذا انهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المقدم ذكرهم وأفضى المؤذنون الى خزائنهم هناك ورميت السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفين فينقطع المار من ذلك المكان الى أن تضرب النوبة سحراً قريب الفجر فتنصرف الناس من هناك بارتفاع السلسلة انتهى وأخبرني المشيخة أنه مازال الرسم الى قريب أنه لايمر بشارع بين القصرين حمل تبن ولا حمل حطب ولا يستطيع أحد أن يسوق فرساً فيه فان ساق أحد أنكر عليه وخرق به * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب والمكان الذى كان يعرف في القاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطاني لان هناك

ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين مابين القصرين ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية * وقال ياقوت وبين القصرين كان ببغداد بباب الطاق يراد به قصر أسماء بنت المنصور وقصر عبد الله بن المهدى وكان يقال لهما أيضاً بين القصرين وبين القصرين بمصر والقاهرة وهما قصران متقابلان بينهما طريق العامة والسوق عمرهما ملوك مصر المغاربة المتملونة الذين ادعوا أنهم علوية • وحدثني الفاضل الرئيس تقى الدين عبد الوهاب ناظر الخواص الشريفة ابن الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله ابن أبى شاكر أنه كان يشترى في كل ليلة من بين القصرين بعد العشاء الآخرة برسم الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله بن خصيب من الدجاج المطجن والقطا وفراخ الحمام والعصافير المقلاة بمبلغ مائتي درهم وخمسين درهما فضة يكون عنها يومئذ نحو من اثني عشر مثقالا من الذهب وأن هذا كان دأبه في كل ليلة ولا يكاد مثل هذا مع كثرته لرخاء الاسعار يؤثر نقصه فيما كان هنالك من هذا الصنف لعظم ما كان يوضع في بين القصرين من هذا النوع وغيره ولقد أدركنا في كل ليلة من بعد العصر يجلس الباعة بصنف لحمان الطيور التى تقلى صفا من باب المدرسة الكاملية الى باب المدرسة الناصرية وذلك قبل بناء المدرسة الظاهرية المستجدة فيباع لحم الدجاج المطجن ولحم الاوز المطجن كل رطل بدرهم وتارة بدرهم وربع وتباع العصافير المقلوة كل عصفور بفلس حسابا عن كل أربعة وعشرين بدرهم والمشيخة تقول أنا حينئذ في غلاء لكثرة ما تصف من سعة الارزاق ورخاء الاسعار في الزمن الذى أدركوه قبل الفناء الكبير ومع ذلك فلقد وقع في سنة ست وثمانين شيء لا يكاد يصدقه اليوم من لم يدرك ذلك الزمان وهو أنه كان لنا من جيراننا بحارة برجوان شخص يعانى الجندية ويركب الخيل فبلغني عن غلامه أنه خرج في ليلة من ليالى رمضان وكان رمضان اذ ذاك في فصل الصيف ومعه رفيق له من غلمان الخيل وأنهما سرقا من شارع بين القصرين وما قرب منه بضعا وعشرين بطيخة خضراء وبضعا وثلاثين شقفة جبن والشقفة أبدا من نصف رطل الى رطل فما منا الا من تعجب من ذلك وكيف تهيأ لاثنين فعل هذا وحمل هذا القدر يحتاج الى دابتين الى أن قدر الله تعالى لى بعد ذلك أن اجتمعت بأحد الغلامين المذكورين وسألته عن ذلك فاعترف لى به قلت صف لى كيف عملتما فذكر أنهما كانا يقفان على حانوت الجبان أو مقعد البطيخي وكان اذ ذاك يعمل من البطيخ في بين القصرين مرصات كثيرة جدا في كل مرص ما شاء الله من البطيخ قال فاذا وقفنا قلب أحدنا بطيخة وقلب الآخر أخرى فلشدة ازدحام الناس يتناول أحدنا بطيخته بخفة يد وصناعة ويقوم فلا يفطن به أو يقلب أحدنا ورفيقه قائم من ورائه والبياع مشغول البال لكثرة ما عليه من المشترين وما في ذلك الشارع من غزير الناس فيحذفها من تحته وهو جالس القرفصا فاذا أحس بها رفيقه تناولها

ومر وكذلك كان فعلهم مع الجبانين وكانوا كثيرا فانظر أعزك الله الى بضاعة يسرق منها مثل هذا القدر ولا يفطن به من كثرة ما هنالك من البضائع ولعظم الخلق * ولقد حدثنى غير واحد ممن قدم مع قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى انه لما قدموا من الكرك في سنة اثنين وتسعين وسبعمائة كادوا يذهلون عند مشاهدة بين القصرين وقال لى ابنه محب الدين محمد أول ما شاهدت بين القصرين حسبت أن زفة أو جنازة كبيرة تمر من هنالك فلما لم ينقطع المارة سألت ما بال الناس مجتمعين للمرور من ههنا فقيل لى هذا دأب البلد دائماً ولقد كنا نسمع أن من الناس من يقوم خلف الشاب أو المرأة عند التمشى بعد العشاء بين القصرين ويجامع حتى يقضى وطره وهما ماشيان من غير أن يدركهما أحد لشدة الزحام واشتغال كل أحد بلهوه وما برحتُ أجد من الازدحام مشقة حتى أفادنى بعض من أدركت أن من الرأي في المشى أن يأخذ الانسان في مشيه نحو شماله فانه لا يجد من المشقة كما يجد غيره من الزحام فاعتبرت ذلك آلاف مرات في عدة سنين فما أخطأ معى ولقد كنت أكثر من تأمل المارة بين القصرين فاذا هم صفان كل صف يمر من صوب شماله كالسيل اذا اندفع وعلل هذا الذى أفادنى أن القلب من يسار كل أحد والناس تميل الى جهة قلوبهم فلذلك صار مشيهم من صوب شمائلهم وكذا صح لى مع طول الاعتياد ولما حدثت هذه المحن بعد سنة ست وثمانين وثمانمائة تلاشى أمر بين القصرين وذهب ما هناك وما أخوفنى أن يكون أمر القاهرة كما قيل

هذه بلدة قضى الله يا صا * ح عليها كما ترى بالخراب
فقف العيس وقفةوابك من كا * ن بها من شيوخها والشباب
واعتبر ان دخلت يوما اليها * فهى كانت منازل الاحباب

* (خط الخشيبة) هذا الخط يتوصل اليه من وسط سوق باب الزهومة ويسلك فيه الى الحارة العدوية حيث فندق الرخام برحبة بيبرس والى درب شمس الدولة وقيل له خط الخشيبة من أجل أن الخليفة الظافر لما قتله نصر بن عباس وبنى على مكانه الذى دفنه فيه المسجد الذى يعرف اليوم بمسجد الخاميين ويعرف أيضاً بمسجد الخلفاء نصبت هناك خشبة حتى لا يمر أحد من هذا الموضع راكباً فعرف بخشيبة تصغير خشبة وما زالت هناك حتى زالت الدولة الفاطمية وقام السلطان صلاح الدين بسلطنة مصر فأزال الخشيبة وعرف هذا الخط بها الى اليوم ويقال له خط حمام خشيبة من أجل الحمام التى هناك * ولمقتل الظافر خبر يحسن ذكره هنا

* (ذكر مقتل الخليفة الظافر) *

وكان من خبر الظافر أنه لما مات الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن

الامير أبي القاسم محمد بن المستنصر في ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بويع ابنه أبو المنصور اسماعيل ولقب بالظافر بأمر الله بوصية من أبيه له بالخلافة وقام بتدبير الوزارة الامير نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال فلم يرض الامير المظفر علي بن السلار والى الاسكندرية والبحيرة يومئذ بوزارة ابن مصال و حشد وسار الى القاهرة ففر ابن مصال واستقر ابن السلار في الوزارة وتلقب بالعادل فجهز العساكر لمحاربة ابن مصال فحاربته وقتل فقوى واستوحش منه الظافر وخاف منه ابن السلار واحترز منه على نفسه وجعل له رجالا يمشون في ركابه بالزرد والخود وعددهم ستمائة رجل بالنوبة ونقل جلوس الظافر من القاعة الى الايوان في البراح والسعة حتى اذا دخل للخدمة يكون أصحاب الزرد معه ثم تأكدت النفرة بينهما فقبض على صبيان الخاص وقتل أكثرهم وفرق باقيهم وكانوا خمسمائة رجل وما زال الامر على ذلك الى أن قتله ربيبه عباس بن تميم بيد ولده نصر واستقر بعده في وزارة الظافر وكان بين ناصر الدين نصر بن عباس الوزير وبين الظافر مودة أكيدة ومخالطة بحيث كان الظافر يشتغل به عن كل أحد ويخرج من قصره الى دار نصر بن عباس التي هي اليوم المدرسة السيوفية فخاف عباس من جراءة ابنه وخشى أن يحمله الظافر على قتله فيقتله كما قتل الوزير علي بن السلار زوج جدته أم عباس فنهاه عن ذلك وألحف في تأنيبه وأفرط في لومه لان الامراء كانوا مستوحشين من عباس وكارهين منه تقريبه أسامة بن منقذ لما علموه من أنه هو الذي حسن لعباس قتل ابن السلار كما هو مذكور في خبره وهموا بقتله وتحدثوا مع الخليفة الظافر في ذلك فبلغ أسامة ما هم عليه وكان غريباً من الدولة فأخذ يغرى الوزير عباس بن تميم بابنه نصر ويبالغ في تقبيح مخالطته للظافر الى أن قال له مرة كيف تصبر على ما يقول الناس في حق ولدك من أن الخليفة يفعل به ما يفعل بالنساء فأثر ذلك في قلب عباس واتفق أن الظافر أنعم بمدينة قليوب على نصر بن عباس فلما حضر الى أبيه وأعلمه بذلك وأسامة حاضر فقال له يا ناصر الدين ماهي بمهرك غالية يعرض له بالفحش فأخذ عباس من ذلك ما أخذه وتحدث مع أسامة لثقته به في كيفية الخلاص من هذا فأشار عليه بقتل الظافر اذا جاء الى دار نصر على عادته في الليل فأمره بمفاوضة ابنه نصر في ذلك فاغتنمها أسامة وما زال بنصر يشنع عليه ويحرضه على قتل الظافر حتى وعده بذلك فلما كان ليلة الخميس آخر المحرم من سنة تسع وأربعين وخمسمائة خرج الظافر من قصره متنكراً ومعه خادمان كما هي عادته ومشى الى دار نصر بن عباس فاذا به قد أعد له قوما فعند ما صار في داخل داره وثبوا عليه وقتلوه هو وأحد الخادمين وتوارى عنهم الخادم الآخر ولحق بعد ذلك بالقصر ثم دفنوا الظافر والخادم تحت الارض في الموضع الذي فيه الآن المسجد وكان سنه يوم قتل احدى وعشرين سنة وتسعة أشهر

ونصف منها فى الخلافة بعد أبيه أربع سنين وثمانية أشهر تنقص خمسة أيام وكان محكوما عليه في خلافته وفي أيامه ملك الفرنج مدينة عسقلان وظهر الوهن في الدولة وكان كثير اللهو واللعب وهو الذى أنشأ الجامع المعروف بجامع الفاكهين وبلغ أهل القصر ماعمله نصر ابن عباس من قتل الظافر فكاتبوا طلائع بن رزيك وكان على الاشمونين وبعثوا اليه بشعور النساء يستصرخون به على عباس وابنه فقدم بالجموع وفر عباس وأسامة ونصر ودخل طلائع وعليه ثياب سود وأعلامه وبنوده كلها سود وشعور النساء التى أرسلت اليه من القصر على الرماح فكان فألا عجيباً فانه بعد خمس عشرة سنة دخلت أعلام بنى العباس السود من بغداد الى القاهرة لما مات العاضد واستبد صلاح الدين بملك ديار مصر وكان أول ما بدأ به طلائع أن مضى ماشياً الى دار نصر وأخرج الظافر والخادم وغسلهما وكفنهما وحمل الظافر فى تابوت مغشى ومشى طلائع حافيا والناس كلهم حتى وصلوا الى القصر فصلى عليه ابنه الخليفة الفائز ودفن فى تربة القصر * (خط سقيفة العداس) * هذا الخط فيما بين درب شمس الدولة والبندقانيين كان يقال له أولا سقيفة العداس ثم عرف بالصاغة القديمة ثم عرف بالاساكفة ثم هو الآن يعرف بالحريريين الشراربيين وبسوق الزجاجين وفيه يباع الزجاج وهو خط عامر وهذا العداس هو على بن عمر بن العداس أبو الحسن ضمن في أيام المعز لدين الله كورة بوصير فخلع عليه وحمله وسار خليفته بالبنود والطبول في جمادى الاولى سنة أربع وستين وثلثمائة فلما كان في أول خلافة العزيز بالله بن المعز لدين الله ولاه الوساطة وهى رتبة الوزارة بعد موت الوزير يعقوب بن كلس ولم يلقبه بالوزير فجلس في القصر لتسع عشرة خلت من ذى الحجة سنة احدى وثمانين وثلثمائة وأمر ونهى ونظر في الاموال ورتب العمال وأمر أن لا يطلق شئ الا بتوقيعه ولا ينفذ الا ما أمر به وقرره وأمره العزيز بالله أن لا يرتفق أى يرتشى ولا يرتزق يعنى أنه لا يقبل هدية ولا يضيع ديناراً ولا درهما فأقام سنة وصرف في أول المحرم من سنة ثلاث وثمانين فقرر في ديوان الاستيفاء الى أن كان جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة حسن لابي طاهر محمود النحوى الكاتب وكان منقطعاً اليه أن يلقى الحاكم بأمر الله ويبلغه ما تشكوه الناس من تظافر النصارى وغلبتهم على المملكة وتوازرهم وأن فهد بن ابراهيم هو الذى يقوى نفوسهم ويفوض أمر الاموال والدواوين اليهم وأنه آفة على المسلمين وعدة للنصارى فوقف أبو طاهر للحاكم ليلا فى وقت طوافه في الليل وبلغه ذلك ثم قال يا مولانا ان كنت تؤثر جمع الاموال واعزاز الاسلام فأرنى رأس فهد بن ابراهيم في طشت والا لم يتم من هذا شئ فقال له الحاكم ويحك ومن يقوم بهذا الامر الذى تذكره ويضمنه فقال عبدك على بن عمر بن العداس فقال ويحك أو يفعل هذا قال نعم يا أمير المؤمنين قال قل له يلقانى ههنا في غد ومضى الحاكم فجاء أبو طاهر

الى ابن العـداس وأعلمه بما جرى فقال ويحك قتلتني وقتلت نفسك فقال معاذ الله أفنصبر لهـذا الكلب الكافر على ما يفعل بالاسلام والمسلمين ويتحكم فيهم من النهب بالاموال والله ان لم تسع في قتله ليسعين في قتلك فلما كان في الليلة القابلة وقف على بن عمر العداس للحاكم ووافقه على ما يحتاج اليه فوعده بانجاز ما اتفقا عليه وأمره بالكتمان وانصرف الحاكم فلما صبح ركب العداس الى دار قائد القواد حسين بن جوهر القائد فالتقى عنده فهد بن ابراهيم فقال له فهد يا هذا كم تؤذيني وتقدح فيّ عند سلطاني فقال العداس والله ما يقدح ولا يؤذيني عنـد سلطاني ويسعي عليّ غيرك فقال فهد سلط الله على من يؤذي صاحبه فينا ويسعي به سيف هـذا الامام الحاكم بأمر الله فقال العداس آمين وعجل ذلك ولا تمهله فقتل فهد في ثامن جمادى الآخرة وضربت عنقه وكان له منذ نظر في الرياسة خمس سنين وتسعة أشهر واثنى عشر يوما وقتل العداس بعده بتسعة وعشرين يوما واستجيب دعاء كل منهما في الآخر وذهبا جميعاً ولا يظلم ربك أحدا وذلك أن الحاكم خلع على العداس في رابع عشره وجعله مكان فهـد وخلع على ابنه محمد بن على فهناه الناس واستمر الى خامس عشرى رجب منها فضربت رقبة أبي طاهر محمود بن النحوى وكان ينظر في أعمال الشام لكثرة ما رفع عليـه من التجبر والعسف ثم قتل العـداس في سادس شعبان سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وأحرق بالنار * (خط البندقانيين) هـذا الخط كان قديماً اصطبل الجميزة أحد اصطبلات الخلفاء الفاطميين فلما زالت الدولة اختط وصارت فيه مساكن وسوق من جملته عـدة دكاكين لعمل قسى البندق فعرف الخط بالبندقانيين لذلك ثم انه احترق يوم الجمعة للنصف من صفر سنة احدى وخمسين وسبعمائة والناس في صلاة الجمعة فما قضى الناس الصلاة الا وقد عظم أمره فركب اليه والى القاهرة والنيران قد ارتفع لهبها واجتمع الناس فلم يعرف من أين كان ابتداء الحريق واتفق هبوب رياح عاصفة فحملت شرر النار الى أمد بعيـد ووصلت أشعتها الى أن رؤيت من القلعـة فركب الوزير منجك بمماليك الامراء وجمعت السقاؤون لطفي النار فعجزوا عن اطفائها واشتد الامر فركب الامير شيخو والامير طاز والامير مغلطاى أمير أخور وترجلوا عن خيولهم ومنعوا النهابة من التعرض الى نهب البيوت التي احترقت وعم الحريق دكاكين البندقانيين ودكاكين الرسامين وحوانيت الفقاعين والفنـدق المجاور لها والربع علوه وعملت الى الجانب الذى يلي بيت بيبرس ركن الدين الملقب بالملك المظفر والربع المجاور لعالي زقاق الكنيسة فما زال الامير شيخو واقفاً بنفسه ومماليكه ومعه الامراء الى أن هدم ما هنالك والنار تأكل ما تمر به الى أن وصلت الى بئر الدلاء التي كانت تعرف قديماً ببئر زويلة ومنها كان يستقى لاصطبل الجميزة فأحرقت ما جاور البئر من الاماكن الى حوانيت الفكاه والطباخ وما يجاورها من الحوانيت والربع المجاور لدار الجوكنـدار

وكادت أن تصل الى دار القاضى عـلاء الدين على بن فضل الله كاتب السر المجاورة لحمام الشيخ نجم الدين بن عبود ولم يبق أحد في ذلك الخط حتي حول متاعه خوفا من الحريق فكان أهل البيت بينماهم في نقل ثيابهم واذا بالنار قد أحاطت بهم فيتركون ما فى الدار وينجون بأنفسهم والامر يعظم والهدم واقع فى الدور المجاورة لاماكن الحريق خشية من تعلق النار بها فسرى الى جميع البلد الى أن أتى الهدم على سائر ما كان هنالك فأقام الامر كذلك يومين وليلتين والامراء وقوف فلما خف انصرف الامراء ووقف والى القاهرة ومعه عـدة من الامراء لطفى ما بقى فاستمروا في طفئه ثلاثة أيام أخر وكان المصاب بهذا الحريق عظيما تلف فيه للناس من المال والثياب والمصاغ وغيره بالحريق والنهب مالا يعلم قدره الا الله هـذا مع ما كان فيـه الامراء من منع النهابة وكفهم عن أموال الناس الا أن الامر كان قد تجاوز الحد وعطب بالنار جماعة كثيرة ووصل حريق النار الى قيسارية طشتمر وربع بكتمر الساقى فلما كفى الله أمر هذا الحريق وأعان على طفئه بعد أن هدمت عدة أماكن جليلة ما بين رباع وحوانيت وقع الحريق في أماكن من داخل القاهرة وخارج باب زويلة ووجـد في بعض المواضع التي بها الحريق كعكات بزيت وقطران فعلم أن هذا من فعل النصارى كما وقع في الحريق الذى كان في أيام الملك الناصر وقد ذكر في خـبر السيرة الناصرية فنودى في الناس أن يحترسوا على مساكنهم فلم يبق أحد من الناس أعلاهم وأدناهم حتي أعد في داره أوعية ملآنة بالماء ما بين أحواض وأزيار وصاروا يتناوبون السهر في الليـل ومع ذلك فلا يدرى أهل البيت الا والنار قد وقعت في بيتهم فيتداركون طفئها لئلا تشتعل ويصعب أمرها وترك جماعـة من الناس الطبخ في الدور وتمادى ذلك في الناس من نصف صفر الى عاشر ربيع الاول فأحضر الامـير سيف الدين تشتمر شاد الدواوين نشابة في وسطها نفط قد وجدها في سطح داره فأراها للامراء وهى محروقة النصل فصدر أمر الوزير منجك للامير علاء الدين علي بن الكوراني والي القاهرة بالقبض على الحرافيش وتقييدهم وسجنهم خوفا من غائلتهم ونهبهم الناس عند وقوع الحريق فتتبعهم وقبض عليهم في الليل من بيوتهم ومن الحوانيت حتي خلت السكك منهم ثم ان الامراء كلموا الوزير في أمرهم فأمر باطلاقهم ونودى في البـلد أن لا يقيم فيها غريب وطلبوا الخفراء وولاة المراكز وأمروا بالاحتفاظ وتتبع الناس وأخـذ من تتوهم فيه ريبة أو يذكر بشئ من أمر هـذا والحريق أمره في تزايد وصار والى القاهرة من ذلك في تعب كبير لا ينام هو ولا أعوانه في الليـل ألبتة لكثرة الضجات في الليل ووقع حريق في شونة حلفاء بمصر مجاورة لمطابخ السكر السلطانية فركب القاضى علم الدين بن زنبور ناظر الخاص في جماعة وخرج عامة أهل مصر وتكاثروا على الشونة حتي طفئت ووقع الحريق في عـدة أماكن بمصر واستمر الحريق بمصر والقاهرة

مدة شهر من ابتدائه بالبندقانيين ولم يعلم له سبب واستمر أكثر خط البندقانيين خرابا الى أن عمر الامير يونس النوروزى دوا دار الملك الظاهر برقوق الربع فوق بئر الدلاء التي كانت تعرف ببئر زويلة وأنشأ بجوار درب الأنجب الحوانيت والرباع والقيسارية في سنة تسع وثمانين وسبعمائة ثم أنشأ الامير شهاب الدين أحمد الحاجب ابن أخت الامير جمال الدين يوسف الاستادار داره بجوار حمام ابن عبود فاتصل ظهرها بدكاكين البندقانيين فصار فيها ماكان من خراب الحريق هناك حيث الحوض الذى أنشأه تجاه دار بيبرس ولقد أدركنا في خط البندقانيين عدة كثيرة من الحوانيت التي يباع فيها الفقاع تبلغ نحو العشرين حانوتا وكانت من أنزه ما يرى فانها كانت كلها مرخمة بأنواع الرخام الملون وبها مصانع من ماء تجرى الى فوارات تقذف بالماء على ذلك الرخام حيث كيزان الفقاع مرصوصة فيستحسن منظرها الى الغاية لانها من الجانبين والناس يمرون بينهما وكان بهذا الخط عدة حوانيت لعمل قسى البندق وعدة حوانيت لرسم أشكال ما يطرز بالذهب والحرير وقد بقيت من هذه الحوانيت بقايا يسيرة وهو من أخطاط القاهرة الجسيمة * (خط دار الديباج) هذا الخط هو فيما بين خط البندقانيين والوزيرية وكان أولا يعرف بخط دار الديباج لان دار الوزير يعقوب بن كلس التي من جملتها اليوم المدرسة الصاحبية ودرب الحريرى والمدرسة السيفية عملت دارا ينسج فيها الديباج والحرير برسم الخلفاء الفاطميين وصارت تعرف بدار الديباج فنسب اليها الخط الى أن سكن هناك الوزير صفى الدين عبد الله ابن على بن شكر في أيام العادل أبى بكر بن أيوب فصار يعرف بخط سويقة الصاحب وهو خط جسيم به مساكن جليلة وسوق ومدرسة * (خط الملحيين) هذا الخط فيما بين الوزيرية والبندقانيين من وراء دار الديباج وتسميه العامة خط طواحين الملوحيين بواو بعد اللام وقبل الحاء المهملة وهو تحريف وانما هو خط الملحيين عرف بطائفة من طوائف العسكر في أيام الخليفة المستنصر بالله يقال لها الملحية وهم الذين قاموا بالفتنة في أيام المستنصر الى أن كان من الغلاء ما أوجب خراب البلاد ونهب خزائن الخليفة المستنصر فلما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى الى القاهرة وتقلد وزارة المستنصر وتجرد لاصلاح اقليم مصر وتتبع المفسدين وقتلهم وسار فى سنة سبع وستين وأربعمائة الى الوجه البحري وقتل لواته وقتل مقدمهم سليمان اللواتى وولده واستصفى أموالهم ثم توجه الى دمياط وقتل فيها عدة من المفسدين فلما أصلح جميع البر الشرقي عدى الى البر الغربى وقتل جماعة من الملحية وأتباعهم بثغر الاسكندرية بعد ما أقام أياماً محاصر البلد وهم يمتنعون عليه ويقاتلونه الى أن أخذها عنوة فقتل منهم عدة كثيرة وكان بهذا الخط عدة من الطواحين فسمى بخط طواحين الملحيين وبه الى الآن يسير من الطواحين (خط المسطاح) هذا الخط فيما بين خط

الملحيين وخط سويقة الصاحب وفيه اليوم سوق الرقيق الذى يعرف بسوق الجوار والمدرسة الحسامية وما دار به ويعرف بالمسطاح وبخارج باب القنطرة قريب من باب الشعرية أيضاً خط يعرف بالمسطاح (خط قصر أمير سلاح) هذا الخط تجاه حمام البيسرى بين القصرين يسلك فيه الى مدرسة الطواشي سابق الدين المعروفة بالسابقية وكان يخرج منه الى رحبة باب العيد من باب القصر الى أن هدمه الامير جمال الدين يوسف الاستادار وبني في مكانه القيسارية المستجدة بجوار مدرسته من رحبة باب العيد فصار هذا الخط غير نافذ وكان شارعا مسلوكا يمر فيه الناس والدواب بالاحمال فركب عليه جمال الدين المذكور دروبا لحفظ أمواله وكان هذا الخط من أخص أماكن القصر الكبير الشرقي فلما زالت الدولة الفاطمية وتفرق أمراء صلاح الدين يوسف القصر عرف هذا المكان بقصر شيخ الشيوخ ابن حمويه لسكنه فيه ثم عرف بعد ذلك بقصر أمير سلاح وبقصر سابق الدين وهو الى الآن يعرف بذلك وسبب شهرته بأمير سلاح أنه اتخذ به عمائر جليلة هي بيد ورثته الى الآن وأمير سلاح هذا هو (بكتاش الفخرى) الامير بدر الدين أمير سلاح الصالحى النجمى كان أولا مملوكا لفخر الدين ابن الشيخ فصار الى الملك الصالح نجم الدين أيوب وتقدم عنده من جملة من قدمه من المماليك البحرية الذين ملكوا الديار المصرية من بعد انقضاء الدولة الايوبية وتأمر في أيام الملك الصالح وتقدم في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى واستمر أميراً ماينيف على الستين سنة لم ينكب فيها قط وعظم فى أيام الملك المنصور قلاوون الالفى بحيث ان الامير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة بديار مصر فى أيام قلاوون تجارى مرة مع السلطان في حديث الامراء فقال له السلطان المنصور أما اليوم فما بقى فى الامراء غير أمير سلاح اذا قلت فارس خيل شجاع مايرد وجهه من عدوه واذا حلف مايخون واذا قال صدق فقال طرنطاى والله ياخوند له اقطاع عظيم ما كان يصلح الالى فاحمر وجه السلطان وغضب وقال له ويلك اياك أن تتكلم بهذا والله مكان يصل فيه سيف أمير سلاح مايصل نشابك ولا نشاب غيرك وكان كريماً شجاعا يسافر كل سنة مجرداً بالعسكر فيصل الى حلب للغارة ومحاصرة قلاع العدو فاشتهر بذلك في بلاد العدو وعظم صيته واشتدت مهابته وكانت له رغبة فى شراء المماليك والخيول باغلى القيم وكان يبعث للامراء المجردين معه النفقة ويقوم لهم بالشعير والاغنام وبلغت مماليكه الغاية فى الحشمة وكان اقطاع كل منهم فى السنة عشرين الف درهم فضة عنها يومئذ الف مثقال من الذهب ولكل من جنده خبز مبلغه فى السنة عشرة آلاف درهم سوى كلفهم من الشعير واللحم ومع ذلك فكان خيرا دينا له صدقات ومعروف واحسان كثير ومات بعد ماترك امرته فى مرضه الذي مات فيه للنصف من ربيع الآخر سنة ست وسبعمائة رحمه الله * وبهذا الخط عدة دور جليلة

يأتي ذكرها عند ذكر الدور من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (أولاد شيخ الشيوخ) جماعة أصلهم الذين ينتسبون اليه حمويه بن على يقال انه من ولد رزم بن يونان أحد قواد كسرى أنو شروان وولى قيادة جيش نصر بن نوح بن سامان ودبر دولته وهو جد شيخ الاسلام محمد وأخيه أبي سعد بنى حمويه بن محمد بن حمويه وكان محمد وأبو سعد من ملوك خراسان فتركا الدنيا وأقبلا على طريق الآخرة ومات ركن الاسلام أبو سعد بنجران من قرى جوين في سنة سبع وعشرين وخمسمائة ومات أخوه شيخ الاسلام محمد بها في سنة ثلاثين وخمسمائة وترك أبو سعد زين الدين أحمد وبنات وترك شيخ الاسلام محمد ولداً واحدا وهو أبو الحسن علي فتزوج على بن محمد بابنة عمه أبي سعد ورزق منها سعد الدين ومعين الدين حسناً وعماد الدين عمر وترك زين الدين أحمد بن أبي سعد ركن الدين أبا سعد وعزيز الدين وزين الدين القاسم فقدم عماد الدين عمر بن على بن محمد بن حمويه الى دمشق وصار شيخ الشيوخ بها وقدم عليه ابنه شيخ الشيوخ صدر الدين على فلما مات عمر فى رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة بدمشق أقر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده صدر الدين محمداً موضعه وصار شيخ الشيوخ بدمشق فتزوج بابنة القاضى شهاب الدين بن أبي عصرون ورزق منها عشرة بنين منهم عماد الدين عمر وفخر الدين يوسف وكمال الدين أحمد ومعين الدين حسن فأرضعت أمهم بنت أبى عصرون السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فصار أخا لاولاد صدر الدين شيخ الشيوخ من الرضاعة وقدم صدر الدين الى القاهرة وولى تدريس الشافعى بالقرافة ومشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعدا ثم سافر فمات بالموصل في رابع عشرة جمادى الاولى سنة سبع عشر وستمائة واستبد الملك الكامل بمملكة مصر بعد أبيه فرقي أولاد صدر الدين شيخ الشيوخ محمد بن حمويه الاربعة وبعث عماد الدين عمر فى الرسالة الى الخليفة ببغداد وجمع له بين رياسة العلم والقلم في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ولم يجتمع ذلك لاحد في زمانه وما زال على ذلك الى أن مات الملك الكامل وقام من بعده في سلطنة مصر ابنه الملك العادل أبو بكر بن الكامل فخرج الى دمشق ليحضر اليه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مردود بن العادل أبي بكر بن أيوب نائب السلطنة بدمشق فدس عليه من قتله على باب الجامع في سادس عشرى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة * وأما فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ صدر الدين فان الملك الكامل جعله أحد الامراء وألبسه الشربوش والقباء ونادمه وبعثه فى الرسالة عنه الى ملك الفرنج ثم الى أخيه المعظم بدمشق ثم الى الخليفة ببغداد وأقامه يتحدث بمصر فى تدبير المملكة وتحصيل الاموال ثم بعثه حتى تسلم حران والرها وجهزه الى مكة على عسكر فقاتل صاحبها الامير راجح الدين بن قتادة وأخذها بالسيف وقتل عسكر اليمن وما زال

مكرماً محترما حتى مات الملك الكامل فقبض عليه العادل ابن الكامل واعتقله فلما خلع العادل بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب أطلقه وأمره وبالغ في الاحسان اليه وبعثه على العساكر الى الكرك فأوقع بالخوارزمية وبدد شملهم وكانوا قد قدموا من المشرق الى غزة وأقام الدعوة للصالح فى بلاد الشام وعاد ثم قدمه على العساكر فأخذ طبرية من الفرنج وهدمها وأخذ عسقلان من الفرنج وهدم حصونها ونازل حمص حتى أشرف على أخذها ثم تقدم على العساكر بقتال الفرنج بدمياط فمات السلطان عند المنصورة وقام بتدبير الدولة بعده خمسة وسبعين يوماً الى أن استشهد في رابع ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة فحمل من المنصورة الى القرافة فدفن بها * وأما كمال الدين أحمد فان الملك الكامل استنابه بحران والجزيرة وولى تدريس المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر وتدريس الشافعي بالقرافة ومشيخة الشيوخ بديار مصر وقدمه الملك الصالح نجم الدين أيوب على العساكر غير مرة ومات بغزة في صفر سنة تسع وثلاثين وستمائة * وأما معين الدين حسن فانه ولى مشيخة الشيوخ بديار مصر وبعثه الملك الكامل في الرسالة عنه الى بغداد ثم أقامه نائب الوزارة الى أن مات فاستوزره الملك الصالح نجم الدين أيوب في ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة وجهزه على العساكر فى هيئة الملوك الى دمشق فقاتل الصالح اسماعيل بن العادل حتى ملكها ومات بها في ثانى عشرى رمضان سنة ثلاث وأربعين وستمائة وقد ذكرت أولاد شيخ الشيوخ فى كتاب تاريخ مصر الكبير واستقصيت فيه أخبارهم والله تعالى أعلم*

(خط قصر بشتاك) هذا الخط من جملة القصر الكبير ويتوصل اليه من تجاه المدرسة الكاملية حيث كان باب القصر المعروف بباب البحر وهدمه الملك الظاهر بيبرس كما تقدم في ذكر أبواب القصر وصار اليوم في داخل هذا الباب حارة كبيرة فيها عدة دور جليلة منها قصر الامير بشتاك وبه عرف هذا الخط * (وبشتاك هذا) هو الامير سيف الدين بشتاك الناصرى قربه الملك الناصر محمد بن قلاوون وأعلى محله وكان يسميه بعد موت الإمير بكتمر الساقي بالامير في غيبته وكان زائد التيه لايكلم استاداره وكاتبه الا بترجمان ويعرف بالعربي ولا يتكلم به وكان اقطاعه ست عشر طبلخانة أكبر من اقطاع قوصون ولما مات بكتمر الساقى ورثه في جميع أحواله واصطبله الذى على بركة الفيل وفي امرأته أم أحمد واشترى جاريته خونى بستة آلاف دينار ودخل معها ماقيمته عشرة آلاف دينار وأخذ ابن بكتمر عنده وزاد أمره وعظم محله فثقل على السلطان وأراد الفتك به فما تمكن وتوجه الى الحجاز وأنفق في الامراء وأهل الرتب والفقراء والمجاورين بمكة والمدينة شيأ كثيراً الى الغاية وأعطى من الالف دينار الى المائة دينار الى الدينار بحسب مراتب الناس وطبقاتهم فلما عاد من الحجاز لم يشعر به السلطان الا وقد حضر في نفر قليل من مماليكه وقال ان

أردت امساكي فها أنا قدجئت اليك برقبتي فغالطه السلطان وطيب خاطره وكان يرمى بأوابد ودواهي من أمر الزنا وجرده السلطان لامساك تنكر نائب الشام فحضر الى دمشق بعد امساكه هو وعشرة من الامراء فنزلوا القصر الابلق وحلف الامراء كلهم للسلطان ولذريته واستخرج ودائع تنكر وعرض حواصله ومماليكه وجواريه وخيله وسائر مايتعلق به ووسط طغاي وجغاى مملوكي تنكر في سوق الخيل ووسط دران أيضاً بحضوره يوم الموكب وأقام بدمشق خمسة عشر يوماً وعاد الى القاهرة وبقي في نفسه من دمشق وماتجاسر يفاتح السلطان في ذلك ولما مرض السلطان وأشرف على الموت البس الامير قوصون مماليكه فدخل بشتاك فعرف السلطان ذلك فجمع بينهما وتصالحا قدامه ونص السلطان على أن الملك بعده لولده أبي بكر فلم يوافق بشتاك وقال لا أريد الا سيدي أحمد فلما مات السلطان قام قوصون الى الشباك وطلب بشتاك وقال له ياأمير المؤمنين أنا ما يجئ مني سلطان لاني كنت أبيع الطسما والبرغالى والكشاتوين وأنت اشتريت مني وأهل البلاد يعرفون ذلك وأنت ما يجئ منك سلطان لانك كنت تبيع البوزا وأنا اشتريت منك وأهل البلاد يعرفون ذلك وهذا أستاذنا هو الذي وصى لمن هو أخبر به من أولاده وما يسعنا الا امتثال أمره حياً وميتاً وأنا ماأخالفك ان أردت أحمد أو غيره ولو أردت أن تعمل كل يوم سلطاناً ماخالفتك فقال بشتاك هذا كله صحيح والامر أمرك وأحضر المصحف وحلفا عليه وتعانقا ثم قاما الى رجلي السلطان فقبلاها ووضعا أبا بكر بن السلطان على الكرسي وقبلا له الارض وحلفا له وتلقب بالملك المنصور ثم ان بشتاك طلب من السلطان الملك المنصور نيابة دمشق فأمر له بذلك وكتب تقليده وبرز الى ظاهر القاهرة وأقام يومين ثم طلع في اليوم الثالث الى السلطان ليودعه فوثب عليه الامير قطلوبغا الفخري وأمسك سيفه وتكاثروا عليه فأمسكوه وجهزوه الى الاسكندرية فاعتقل بها ثم قتل في الخامس من ربيع الاول سنة اثنين وأربعين وسبعمائة لاول سلطنة الملك الاشرف كجك وكان شاباً أبيض اللون ظريفاً مديد القامة نحيفاً خفيف اللحية كانها عذار على حركاته رشاقة حسن العمة يتعمم الناس على مثالها وكان يشبه بأبي سعيد ملك العراق الا أنه كان غير عفيف الفرج زائد الهرج والمرج لم يعف عن مليحة ولا قبيحة ولم يدع أحداً يفوته حتي يمسك نساء الفلاحين وزوجات الملاحين واشتهر بذلك ورمى فيه بأوابد وكان زائد البذخ منهمكا على ما يقتضيه عنفوان الشبيبة كثير الصلف والتيه لا يظهر الرأفة ولا الرحمة في تأنيه ولما توجه بأولاد السلطان ليفرجهم في دمياط كان يذبح لسماطه في كل يوم خمسين رأسا من الغنم وفرساً لابد منه خارجا عن الاوز والدجاج وكان راتبه دائماً كل يوم من الفحم برسم المشوى مبلغ عشرين درهما عنها مثقال ذهب وذلك سوى الطوارئ وأطلق له السلطان كل يوم بقجة قماش من اللفافة الى الخف الى القميص واللباس

والملوطة والبغلطاق والقباء الفوقانى بوجه اسكندرانى على سنجاب طرى مطرز مزركش رقيق وكلوتة وشاش ولم يزل يأخذ ذلك كل يوم الى أن مات السلطان وأطلق له فى كل يوم واحد عن ثمن قرية تبنى بساحل الرملة مبلغ ألف ألف درهم فضة عنها يومئذ خمسون ألف مثقال من الذهب وهو أول من أمسك بعد موت الملك الناصر وقال الاديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ومن كتابه نقلت ترجمة بشتاك

قال الزمان وما سمعنا قوله * والناس فيه رهائن الاشراك
من ينصر المنصور من كيدى وقد * صاد الردى بشتاك لى بشراك

* (خط باب الزهومة)* هذا الخط عرف بباب الزهومة أحد أبواب القصر الكبير الشرقى الذي تقدم ذكره فانه كان هناك وقد صار الآن في هذا الخط سوق وفندق وعدة آدر يأتي ذكر ذلك كله في موضعه ان شاء الله تعالى * (خط الزراكشة العتيق) هذا الخط فيما بين خط باب الزهومة وخط السبع خوخ وبعضه من دار العلم الجديدة وبعضه من جملة القصر النافعى وبعضه من تربة الزعفران وفيه اليوم فندق المهمندار الذى يدق فيه الذهب وخان الخليلى وخان منجك ودار خواجا ودرب الحبش وغير ذلك كما ستقف عليه ان شاء الله * (خط السبع خوخ العتيق) هذا الخط فيما بين خط اصطبل الطارمة وخط الزراكشة العتيق كان فيه قديماً أيام الخلفاء الفاطميين سبع خوخ يتوصل منها الى الجامع الازهر فلما انقضت أيامهم اختط مساكن وسوقا يباع فيه الابر التي يخاط بها وغير ذلك فعرف بالابارين * (خط اصطبل الطارمة) هذا الخط كان اصطبلا لخاص الخليفة يشرف عليه قصر الشوك والقصر النافعى وقد تقدم الكلام عليه وكانت فيه طارمة يجلس الخليفة تحتها فعرف بذلك ثم هو الآن حارة كبيرة فيها عدة من المساكن وبه سوق وحمام ومساجد وهذا الخط فيما بين رحبة قصر الشوك ورحبة الجامع الازهر كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى فى ذكر الرحاب (خط الاكفانيين) هذا الخط كان يعرف بخط الخرقيين جمع خرقة (خط المناخ) هذا الخط فيما بين البرقية والعطوفية كان مواضع طواحين القصر وقد تقدم ذكره ثم اختط بعد ذلك وصار حارة كبيرة وهو الآن متداع للخراب (خط سويقة أمير الجيوش) كان حارة الفرحية وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى في الاسواق وهذا الخط فيما بين حارة برجوان وخط خان الوراقة (خط دكة الحسبة) هذا الخط يعرف اليوم بكسر الحطب وفيه سوق الابازرة وهو فيما بين البند قانين والمحمودية وفيه عدة أسواق ودور * (خط الفهادين) هذا الخط فيما بين الجوانية والمناخ * (خط خزانة البنود) هذا الخط فيما بين رحبة باب العيد ورحبة المشهد الحسيني وكان موضعه خزانة تعرف بخزانة البنود وكان أولا يعمل فيها السلاح ثم صارت سجناً لامراء الدولة وأعيانها ثم أسكن فيها الفرنج الى أن

هدمها الامير الحاج آل ملك وحكر مكانها فبنى فيه الطاحون والمساكن كما تقدم * (خط السفينة) هذا الخط فيما بين درب السلامى من رحبة باب العيد وبين خزانة البنود كان يقف فيه المتظلمون للخليفة كما تقدم ذكره ثم اختط فصار فيه مساكن وهو خط صغير * (خط خان السبيل) هذا الخط خارج باب الفتوح وهو من جملة أخطاط الحسينية قال ابن عبد الظاهر خان السبيل بناه الأمير بهاء الدين قراقوش وأرصده لابناء السبيل والمسافرين بغير أجرة وبه بئر ساقية وحوض انتهى وأدركنا هذا الخط في غاية العمارة يعمل فيه عرصة تباع بها الغلال وكان فيه سوق يباع فيه الخشب ويجتمع الناس هناك بكرة كل يوم جمعة فيباع فيه من الأوز والدجاج مالا يقدر قدره وكانت فيه أيضاً عدة مساكن مابين دور وحوانيت وغيرها وقد اختل هذا الخط * (خط بستان ابن صيرم) هذا الخط أيضا خارج باب الفتوح مما يلي الخليج وزقاق الكحل كان من جملة حارة البيازرة فانشأه زمام القصر المختار الصقلي بستانا وبني فيه منظرة عظيمة فلما زالت الدولة الفاطمية استولى عليه الأمير جمال الدين سونج بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل فعرف به ثم اختط وصار من أجل الاخطاط عمارة تسكنه الامراء والاعيان من الجند ثم هو الآن آيل الى الدثور * (خط قصر ابن عمار) هذا الخط من جملة حارة كتامة وهو اليوم درب يعرف بالقماحين وفيه حمام كرائى ودار خوند شقرا يسلك اليه من خط مدرسة الوزير كريم الدين بن غنام ويسلك منه الى درب المنصورى وابن عمار هذا هو أبو محمد الحسن بن عمار بن على بن أبي الحسين الكلبي من بني أبي الحسين أحد أمراء صقلية وأحد شيوخ كتامة وصاه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله لما احتضر هو والقاضي محمد بن النعمان على ولده أبي علي منصور فلما مات العزيز بالله واستخلف من بعده ابنه الحاكم بأمر الله اشترط الكتاميون وهم يومئذ أهل الدولة أن لاينظر في أمورهم غير أبي محمد بن عمار بعد ما تجمعوا وخرج منهم طائفة نحو المصلى وسألوا صرف عيسى بن مشطورس وأن تكون الوساطة لابن عمار فندب لذلك وخلع عليه في ثالث شوال سنة خمس وسبعين وثلثمائة وقلد بسيف من سيوف العزيز بالله وحمل على فرس بسرج ذهب ولقب بأمين الدولة وهو أول من لقب في الدولة الفاطمية من رجال الدولة وقيد بين يديه عدة دواب وحمل معه خمسون ثوبا من سائر البز الرفيع وانصرف الى داره في موكب عظيم وقرئ سجله فتولى قراءته القاضي محمد بن النعمان بجلوسه للوساطة وتلقيبه بأمين الدولة وألزم سائر الناس بالترجل اليه فترجل الناس بأسرهم له من أهل الدولة وصار يدخل القصر راكباً ويشق الدواوين ويدخل من الباب الذى يجلس فيه خدم الخليفة الخاصة ثم يعدل الى باب الحجرة التى فيها أمير المؤمنين الحاكم فينزل على بابها ويركب من هناك وكان الناس من الشيوخ والرؤساء على طبقاتهم يبكرون الى داره

فيجلسون في الدهاليز بغير ترتيب والباب مغلق ثم يفتح فيدخل اليه جماعة من الوجوه ويجلسون في قاعة الدار على حصير وهو جالس في مجلسه ولا يدخل له أحد ساعة ثم يأذن لوجوه من حضر كالقاضي ووجوه شيوخ كتامة والقواد فتدخل أعيانهم ثم يأذن لسائر الناس فيزدحمون عليه بحيث لايقدر أحد أن يصل اليه فمنهم من يومي بتقبيل الارض ولا يرد السلام على أحد ثم يخرج فلا يقدر أحد على تقبيل يده سوى أناس بأعيانهم الا أنهم يومئون الى تقبيل الارض وشرف أكابر الناس بتقبيل ركابه وأجل الناس من يقبل ركبته وقرب كتامة وأنفق فيهم الاموال وأعطاهم الخيول وباع ما كان بالاصطبلات من الخيل والبغال والنجب وغيرها وكانت شيئاً كثيراً وقطع أكثر الرسوم التى كانت تطلق لاولياء الدولة من الاتراك وقطع أكثر ما كان في المطابخ وقطع أرزاق جماعة وفرق كثيراً من جوارى القصر وكان به من الجوارى والخدم عشرة آلاف جارية وخادم فباع من اختار البيع وأعتق من سأل العتق طلباً للتوفير واصطنع أحداث المغاربة فكثر عبثهم وامتدت أيديهم الى الحرام في الطرقات وشلحوا الناس ثيابهم فضج الناس منهم واستغاثوا اليه بشكايتهم فلم يبد منه كبير نكير فأفرط الامر حتى تعرض جماعة منهم للغلمان الاتراك وأرادوا أخذ ثيابهم فثار بسبب ذلك شر قتل فيه غلام من الترك وحدث من المغاربة فتجمع شيوخ الفريقين واقتتلوا يومين آخرهما يوم الأربعاء تاسع شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة فلما كان يوم الخميس ركب ابن عمار لابسا آلة الحرب وحوله المغاربة فاجتمع الأتراك واشتدت الحرب وقتل جماعة وجرح كثير فعاد الي داره وقام برجوان بنصرة الأتراك فامتدت الأيدى الى دار ابن عمار واصطبلاته وذار رشا غلامه فنهبوا منها مالا يحصى كثرة فصار الى داره بمصر فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من شعبان واعتزل عن الامر فكانت مدة نظره احد عشر شهراً الا خمسة أيام فأقام بداره في مصر سبعة وعشرين يوما ثم خرج اليه الامر بعوده الى القاهرة فعاد الى قصره هذا ليلة الجمعة الخامس والعشرين من رمضان فأقام به لايركب ولا يدخل اليه أحد الا أتباعه وخدمه وأطلقت له رسومه وجراياته التى كانت في أيام العزيز بالله ومبلغها عن اللحم والتوابل والفواكه خمسمائة دينار في كل شهر وفي اليوم سلة فاكهة بدينار وعشرة أرطال شمع ونصف حمل ثلج فلم يزل بداره الى يوم السبت الخامس من شوال سنة تسعين وثلثمائة فأذن له الحاكم في الركوب الى القصر وأن ينزل موضع نزول الناس فواصل الركوب الى يوم الإثنين رابع عشره فحضر عشية الى القصر وجلس مع من حضر فخرج اليه الامر بالانصراف فلما انصرف ابتدره جماعة من الاتراك وقفوا له فقتلوه واحتزوا رأسه ودفنوه بمكانه وحمل الرأس الى الحاكم ثم نقل الى تربته بالقرافة فدفن فيها وكانت مدة حياته بعد عزله الى أن قتل ثلاث سنين وشهراً واحداً

وثمانية وعشرين يوماً وهو من جملة وزراء الدولة المصرية وولى بعده برجوان وقدمر ذكره

* (ذكر الدروب والأزقة) *

قد اشتملت القاهرة وظواهرها من الدروب والأزقة على شئ كثير والغرض ذكر مايتيسر لي من ذلك * (درب الأتراك) هذا الدرب أصله من خط حارة الديلم وهو من الدروب القديمة وقد تقدم ذكره فى الحارات ويتوصل اليه من خطة الجامع الازهر وقد كان فيما أدركناه من أعمر الاماكن أخبرني خادمنا محمد بن السعودى قال كنت أسكن فى أعوام بضع وستين وسبعمائة بدرب الاتراك وكنت أعانى صناعة الخياطة فجاءنى فى موسم عيد الفطر من الجيران أطباق الكعك والخشكنانج على عادة أهل مصر فى ذلك فملأت زيراً كبيرا كان عندى مما جاءنى من الخشكنانج خاصة لكثرة ماجاءنى من ذلك اذ كان هـذا الخط خاصاً بكثرة الاكابر والاعيان وقد خرب اليوم منه عدة مواضع *(درب الاسوانى) ينسب الى القاضى أبي محمد الحسن بن هبـة الله الاسوانى المعروف بابن عتاب * (درب شمس الدولة) هذا الدرب كان قديماً يعرف بحارة الامراء كما تقدم فلما كان مجيء الغزالى مصر واستيلاء صلاح الدين يوسف على مملكة مصر سكن فى هـذا المكان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن أيوب فعرف به وسمى من حينئـذ درب شمس الدولة وبه يعرف الى اليوم * (توران شاه) الملقب بالملك المعظم شمس الدولة بن نجم الدين أيوب ابن شادى بن مروان قدم الى القاهرة مع أهله من بلاد الشام في سنة أربع وستين وخمسمائة عند ماتقلد صلاح الدين يوسف بن أيوب وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد موت عمـه أسد الدين شيركوه وكانت له أعمال في واقعة السودان تولاها بنفسه واقتحم الهول فكان أعظم الاسباب في نصرة أخيه صلاح الدين وهزيمـة السودان ثم خرج اليهم بعد انهزامهم الى الجيزة فأفناهم بالسيف حتى أبادهم وأعطاه صلاح الدين قوص واسوان وعيذاب وجعلها له اقطاعاً فكانت عبرتها في تلك السنة مائتى ألف وستة وستين ألف دينـار ثم خرج الى غزو بلاد النوبة في سنة ثمان وستين وفتح قلعة ابريم وسبى وغنم ثم عاد بعد ماأقطع ابريم بعض أصحابه وخرج الى بلاد اليمن في سنة تسع وستين وكان بها عبد النبى أبو الحسن على ابن مهدى قد ملك زبيد وخطب لنفسه وكان الفقيه عمارة قـد انقطع الى شمس الدولة وصار يصف له بلاد اليمن ويرغبه فى كثرة أموالها ويغريه بأهلها وقال فيه قصيدته المشهورة التي أولهـا

العلم مذ كان محتاج الى القـلم * وشفرة السيف تستغنى عن القـلم

فبعثه ذلك على المسير الى بلاد اليمن فسار اليها فى مستهل رجب ودخـل مكة معتمراً وسار منها فنزل على زبيد فى سابع شوال وفى نهار الاثنين ثامن شوال فتحهـا بالسيف

وقبض على على بن مهدي واخوته وأقاربه واستولى على ما كان فى خزائنه من مال وتسلم الحصون التى كانت بيده وفى مستهل ذي القعدة توجه قاصداً عدن و بذل لياسر بن بلال فى كل سنة ثلاثين ألف دينار وسلمها اليه فما رغب فى ذلك وكان قصده أن يقيم بها نائبا عن المجلس الفخرى فلما أبى ذلك نزل عليها فى يوم الجمعة تاسع عشري ذى القعدة وملكها فى ساعة بالسيف وقبض على ياسر واخوته وولدئ الداعي فاحتوى على مافيها وقبض على عبد النبي واستولى أيضاً على تعز وتفكر وصنعا وظفار وغيرها من مدن اليمن وحصونها وتلقب بالملك المعظم وخطب لنفسه بعد الخليفة العباسى وما زال بها الى سنة احدى وسبعين فسار منها الى لقاء أخيه صلاح الدين ووصل اليه وملكه دمشق فى شهر ربيع الاول سنة اثنين وسبعين فأقام بها الى أن خرج السلطان صلاح الدين مرة من القاهرة الى بلاد الشام فجهزه فى ذى القعدة سنة أربع وسبعين الى مصر وكان قد عمله نائباً ببعلبك فاستناب عنه فيها ودخل الى القاهرة وأنعم عليه صلاح الدين بالاسكندرية فسار اليها وأقام بها الى أن توفى فى مستهل صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة بالاسكندرية فدفن بها وكان كريما واسع العطاء كثير الانفاق مات وعليه مائتا ألف دينار مصرية دينا فقضاها عنه أخوه صلاح الدين وكان سبب خروجه من اليمن أنه التاث بدنه بزبيد فارتجل له سيف الدولة مبارك بن منقذ

واذا أراد الله سوأ بامرئ * وأراد أن يحييه غير سعيد
أغراه بالترحال من مصر بلا * سبب وأسكنه بصقع زبيد

فخرج من اليمن كما تقدم * وحكى الاديب الفاضل مهذب الدين أبو طالب محمد بن على الحلى المعروف بابن الخيمي قال رأيت في النوم المعظم شمس الدولة وقد مدحته وهو في القبر ميت فلف كفنه ورماه الى وأنشدنى

لا تستقلن معروفاً سمحت به * ميتاً وأمسيت عنه عاريا بدنى
ولا تظنن جودى شانه بخل * من بعد بذلى بملك الشام واليمن
انى خرجت عن الدنيا وليس معى * من كل ماملكت كفى سوى كفنى

وهذا الدرب من أعمر أخطاط القاهرة به دار عباس الوزير وجماعة كما تراه ان شاء الله تعالى * (درب ملوخيا) هذا الدرب كان يعرف بحارة قائد القواد كما تقدم وعرف الآن بدرب ملوخيا وملوخيا كان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله ويعرف بملوخيا الفراش وقتله الحاكم وباشر قتله وفي هذا الدرب مدرسة القاضى الفاضل وقد اتصل به الآن الخراب * (درب السلسلة) هذا الدرب تجاه باب الزهومة يعرف بالسلسلة التي كانت تمد كل ليلة بعد العشاء الآخرة كما تقدم وكان يعرف بدرب افتخار الدولة الاسعد وعرف بسنان الدولة بن الكركندى وهو الآن درب عامر * (درب الشمسى) هذا الدرب

بسوق المهامزيين تجاه قيسارية العصفر عرف بالامير علاء الدين كشتفدى الشمسى أحد الامراء في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البند قدارى وقتل على عكافي سنة تسعين وستمائة بيد الفرنج شهيدا وكان هذا الدرب في القديم موضعه دار الضرب ثم صار من حقوق درب ابن طلائع بسوق الفرايين وقد هدم بعض هذا الدرب الأمير جمال الدين يوسف الاستادار لما اغتصب الحوانيت التي كانت على يمنة السالك من الخراطين الى سوق الخيميين وكانت في وقف المعظم تمرتاش الحافظي كما سيأتي ذكره عند ذكر مدرسته ان شاء الله تعالى * (درب ابن طلائع) هذا الدرب على يسرة من سلك من سوق الفرايين الآن الذى كان يعرف قديماً بالخرقيين طالباً الى الجامع الازهر ويسلك في هذا الدرب الى قيسارية السروج وباب سر حمام الخراطين ودار الامير الدمر وعرف هذا الدرب أولا بالامير نور الدولة أبى الحسن على بن نجا بن راجح بن طلائع ثم عرف بدرب الجاولى الكبير وهو الامير عز الدين جاولى الاسدى مملوك أسد الدين شيركوه بن شادى ثم عرف بدرب العماد سنينات ثم عرف بدرب الدمر وبه يعرف الى الآن * (الدمر أمير جان دار سيف الدين) أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون خرج الى الحج في سنة ثلاثين وسبعمائة وكان أمير حاج الركب العراقي تلك السنة يقال له محمد الحويج من أهل توريز بعثه أبو سعيد ملك العراق الى مصر وخف على قلب الملك الناصر ثم بلغه عنه مايكرهه فأخرجه من مصر ولما بلغه أن حويج في هذه السنة أمير الركب العراقى كتب الى الشريف عطيفة أمير مكة أن يعمل الحيلة في قتله بكل ما يمكن فأطلع على ذلك ابنه مباركا وخواص قواده فاستعدوا لذلك فلما وقف الناس بعرفة وعادوا يوم النحر الى مكة قصد العبيد اثارة فتنة وشرعوا في النهب لينالوا غرضهم من قتل أمير الركب العراقى فوقع الصارخ وليس عند المصريين خبر مما كتبه السلطان فنهض أمير الركب الامير سيف الدين خاص ترك والامير أحمد قريب السلطان والامير الدمر أمير جان دار في مماليكهم وأخذ الدمر يسب الشريف ورميثة وأمسك بعض قواده وأخدق به فقام اليه الشريف عطيفة ولاطفه فلم يرجع وكان حديد النفس شجاعا فأقدم اليهم وقد اجتمع قواد مكة وأشرافها وهم ملبسون يريدون الركب العراقى وضرب مبارك بن عطيفة بدبوس فأخطأه وضربه مبارك بحربة نفذت من صدره فسقط عن فرسه الى الارض فارتج الناس ووقع القتال فخرج أمير الركب العراقي واحترس على نفسه فسلم وسقط في يد أمير مكة اذ فات مقصوده وحصل مالم يكن بارادته ثم سكنت الفتنة ودفن الدمر وكان قتله يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة فكأنما نادى مناد في القاهرة والقلعة والناس في صلاة العيد بقتل الدمر ووقوع الفتنة بمكة ولم يبق أحد حتى تحدث بذلك وبلغ السلطان فلم يكترث بالخبر وقال أين مكة من مصر ومن أتى بهذا الخبر واستفيض هذا الخبر

بقتل الدمر حتى انتشر في اقليم مصر كله فما هو الا أن حضر مبشر الحاج في يوم الثلاثاء ثاني المحرم سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فأخبروا بالخبر مثلما أشيع فكان هذا من أغرب ماسمع به ولما بلغ السلطان خبر قتل الدمر غضب غضباً شديداً وصار يقوم ويقعد وأبطل السماط وأمر فجرد من العسكر ألف فارس كل منهم بخودة وجوشن ومائة فردة نشاب وفاس برأسين أحدهما للقطع والآخر للهدم ومع كل منهم جملان وفرسان وهجين ورسم لامير هذا العسكر أنه اذا وصل الى ينبع وعداه لا يرفع رأسه الى السماء بل ينظر الى الارض ويقتل كل من يلقاه من العربان الا من علم أنه أمير عرب فانه يقيده ويسجنه معه وجرد من دمشق ستمائة فارس على هذا الحكم وطلب الامير أيتمش أمير هذا الجيش ومن معه من الامراء والمقدمين وقال له بدار العدل يوم الحدمة واذا وصلت الى مكة لا تدع أحداً من الاشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم يسكن مكة وناد فيها من أقام بمكة حل دمه ولا تدع شيئاً من النخل حتى تحرقه جميعه ولا تترك بالحجاز دمنة عامرة وأخرب المساكن كلها وأقم في مكة بمن معك حتى أبعث اليك بعسكر ثانى وكان القضاة حاضرين فقال قاضى القضاة جلال الدين القزويني يامولانا السلطان هذا حرم قد أخبر الله عنه أن من دخله كان آمناً وشرفه فرد عليه جوابا في غضب فقال الامير ايتمش ياخوندفان حضر رميثة للطاعة وسأل الامان فقال أمنه ثم لما سكن عنه الغضب كتب باستقرار أهل مكة وتأمينهم وكتب امانا (نسخته) هـذا أمان الله سبحانه وتعالى وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم وأماننا للمجلس العالى الاسدى دمنة بن الشريف نجم الدين محمد أبي نمى بأن يحضر الى خدمة الصنجق الشريف صحبة الجناب العالى السيفى ايتمش الناصرى آمناً على نفسه وأهله وماله وولده وما يتعلق به لا يخشى حلول سطوة قاصمة ٠ ولا يخاف مؤاخذة حاسمة ٠ ولا يتوقع خديعة ولا مكرا ٠ ولا يحذر سوأ ولاضررا ٠ ولا يستشعر مخافة ولا ضرارا ولا يتوقع وجلا ٠ ولا يرهب بأسا وكيف يرهب من أحسن عملا ٠ بل يحضر الى خدمة الصنجق آمناً على نفسه وماله وآله ٠ مطمئناً واثقاً بالله ورسوله ٠ وبهذا الامان الشريف المؤكد الاسباب المبيض الوجه الكريم الاحساب ٠ وكلما يخطر بباله أنا نؤاخذ به فهو مغفور ٠ ولله عاقبة الامور ٠ وله منا الاقبال والتقديم ٠ وقد صفحنا الصفح الجميل وان ربك هو الخلاق العليم ٠ فليثق بهذا الامان الشريف ولا يسيء به الظنون ٠ ولا يصغى الى قول الذين لا يعلمون ٠ ولا يستشير في هذا الامر الا نفسه ٠ فيومه عندنا ناسخ لامسه ٠ وقد قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا ٠ فتمسك بعروة هـذا الامان فانها وثقى ٠ واعمل عمل من لا يضل ولا يشقى ٠ ونحن قد أمناك فلا تخف ٠ ورعينا لك الطاعة والشرف ٠ وعفا الله عما سلف ٠ ومن أمناه فقد فاز فطب نفساً وقر عينا فأنت أمير الحجاز والحمد لله وحده) وكان

الدمر فيه شهامة وشجاعة وله سعادة طائلة ضخمة ومتاجر وزراعات اقتنى بها أموالا جزيلة وزوج ابنه بابنة قاضي القضاة جلال الدين القزويني *(درب قيطون) هذا الدرب بين قيسارية جهاركس وقيسارية أمير على وهو نافذ الى خلف مستوقد حمام القاضى وكان من حقوق درب الاسوانى *(درب السراج) هـذا الدرب على يسرة من سلك من الجامع الازهر طالباً درب الاسوانى وخط الاكفانيين وكان من جملة خط درب الاسوانى ثم أفرد فصار من خط الجامع الازهر وكان يعرف أولا بدرب السراج ثم عرف بدرب الشامى وهو الآن يعرف بدرب ابن الصدر عمر *(درب القاضى) هذا الدرب يقابل مستوقد حمام القاضي على يمنة من سلك من درب الاسوانى الى الجامع الازهر وهو من حقوق درب الاسوانى كان يعرف اولا بزقاق عزاز غلام أمير الجيوش شاور السعدى وزير العاضد ثم عرف بالقاضى السعيد أبي المعالى هبة الله بن فارس ثم عرف بزقاق ابن الامام وعرف أخيرا بدرب ابن لؤلؤ وهو شمس الدين محمد بن لؤلؤ التاجر بقيسارية جهاركس

(درب البيضاء) هو من جملة خط الاكفانيين الآن المسلوك اليه من الجامع الازهر وسوق الفرايين عرف بذلك لأنه كان به دار تعرف بالدار البيضاء *(درب المنقدى)* هـذا الدرب بين سوق الخيميين وسوق الخراطين على يمنة من سلك من الخراطين الى الجامع الازهر كان يعرف قديماً بزقاق غزال وهو صنيعة الدولة أبو الظاهر اسماعيل بن مفضـل بن غزال ثم عرف بدرب المنقدى وهو الآن يعرف بدرب الامير بكتمر استادار العلاى *(درب خرابة صالح) هذا الدرب على يسرة من سلك من أول الخراطين الى الجامع الازهر كان موضعه في القـديم مارستانا ثم صار مساكن وعرف بخرابة صالح وفيه الآن دار الامير طينال التى صارت بيد ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر وفيه أيضاً باب سوق الصناديقين *(درب الحسام) هذا الدرب على يمنة من سلك من آخر سويقـة الباطلية الى الجامع الازهر عرف بحسام الدين لاجين الصفدى استادار الامير منجك *(درب المنصورى) هـذا الدرب بأول الحارة الصالحيـة تجاه درب أمير حسين عرف أولا بدرب الجوهرى وهو شهاب الدين أحمـد بن منصور الجوهرى كان حياً فى سـنة ثمـانين وستمائة وعرف أخيراً بدرب المنصورى وهو الامير قطلوبغا المنصورى حاجب الحجاب في أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين *(درب أمير حسين) هذا الدرب فى طريق من سلك من خط خان الدميري طالباً الى حارة الصالحية وحارة البرقية استجده الامير حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ومات في ليلة السبت رابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبعمائة وكان آخر من بقى من أولاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون وهو والد الملك الاشرف شعبان بن حسين *(درب القماحين) . هذا الدرب

كان يعرف بخط قصر ابن عمار من جملة حارة كتامة قريباً من الحارة الصالحية وفيه اليوم دار خوند شقرا وحمام كراى وراء مدرسة ابن الغنام *(درب العسل) هـذا الدرب على يمنة من خرج من خط السبع خوخ يريد المشهد الحسيني كان يعرف أولا بخوخة الامير عقيل ابن الخليفة المعز لدين الله أبى تميم معد أول خلفاء الفاطميين بالقاهرة ومات في سنة أربع وسبعين وثلثمائة هو وأخوه الامير تميم بن المعز بالقاهرة ودفنا بتربة القصر *(درب الجباسة) هذا الدرب تجاه من يخرج من سوق الابارين الى المشهد الحسيني وهو من جملة القصر الكبير وبه دار خونى التي تعرف اليوم بدار بهادر*(درب ابن عبد الظاهر) هذا الدرب بجوار فندق الذهب بخط الزراكشة العتيق وفي صفه وهو من حقوق دار العلم التى استجدت في خلافة الآمر ووزارة المأمون البطايحى فلما زالت الدولة احتط مساكن وسكن هناك القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فعرف به *(درب الخازن) هذا الدرب ملاصق لسور المدرسة الصالحية التي للحنابلة ومجاور لباب سر قاعة مدرسة الحنابلة والسبيل الذى على باب فندق مسرور الصغير استجده الامير علم الدين سنجر الخازن الاشرفي والى القاهرة المنسوب اليه حكر الخازن بخط الصليبة وسنجر هذا كانت فيه حشمة وله ثروة زائدة ويحب أهل العلم تنقل في المباشرات الى أن صار والى القاهرة فاشتهر بدقة الفهم وصدق الحدس الذى لا يكاد يخطئ مع عقل وسياسة واحسان الى الناس وعزل بالامير قديدار ومات عن تسعين سنة في ثامن جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة *(درب الحبيشى) هذا الدرب على يمنة من سلك من خط الزراكشة العتيق طالبا سوق الابارين وهو بجوار دار خواجا المجاورة لخان منجك أصله من جملة القصر النافعي وكان يعرف بخط القصر النافعى ثم عرف بخط سوق الوراقين وهو الآن يعرف بدرب الحبيشي وهو الامير سيف الدين بلبان الحبيشى أحد الامراء الظاهرية بيبرس *(درب بقولا) الصفار بحارة الروم كان يعرف بدرب الرومي الجزار *(درب دغمش) هـذا الدرب ينفذ الى الخوخة التي تخرج قبالة حمام الفاضل المرسوم لدخول النساء كان يعرف قديماً بدرب دغميش ويقال طغميش ثم عرف بدرب كوز الزير ويقال كوز الزيت ويعرف بدرب القضاة بني غنم من حقوق حارة الروم *(درب ارقطاى) هذا الدرب بحارة الروم كان يعرف بدرب الشماع ثم عرف بدرب شمخ وهو تاج العرب شمخ الحلبي ثم عرف بدرب المعظم وهو الامير عز الملك المعظم ابن قوام الدولة حير بجيم وباء موحدة ثم عرف بدرب ارسل وهو الامير عز الدين ارسل بن قرأ رسلان الكاملي والد الامير جاولي المعظمى المعروف بجاولى الصغير ثم عرف بدرب الباسمردى وهو الامير علم الدين سنجر الباسمردى أحد أكابر المماليك البحرية الصالحية النجمية وولى نيابة حلب ثم عرف

الى الآن بدرب ابن ارقطاى والعامة تقول رقطاى بغير همز وهو ارقطاى الامير سيف الدين الحاج ارقطاى أحد مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاون وصار الى أخيه الملك الناصر محمد فجمله جمدارا وكان هو والامير ايتمس نائب الكرك بينهما اخوة ولهما معرفة بلسان الترك القبجاقي ويرجع اليهما في الياسة التى هى شريعة جنكزخان التي تقول العامة وأهل الجهل في زماننا هذا حكم السياسة يريدون حكم الياسة ثم ان الملك الناصر أخرجه مع الامير تنكز الى دمشق ثم استقر في نيابة حمص لسبع مضين من رجب سنة عشر وسبعمائة فباشرها مدة ثم نقله الى نيابة صفد في سنة ثمان عشرة فأقام بها وعمر فيها املاكا وتربة فلما كان في سنة ست وثلاثين طلب الى مصر وجهز الأمير ايتمش أخوه مكانه وعمل أمير مائة بمصر فلما توجه العسكر الى اياس خرج معهم وعاد فكان يعمل نيابة الغيبة اذا خرج السلطان للصيد ثم أخرج الى نيابة طرابلس عوضاً عن طينال فأقام بها الى أن توجه الطنبغا الى طشطمر نائب حلب وكان معه بعسكر طرابلس فلما جرى من هروب الطنبغا ماجرى كان ارقطاي معه فامسك واعتقل بسكندرية ثم افرج عن ارقطاي في أول سلطنة الملك الصالح اسماعيل بوساطة الامير ملكتمر الحجازى وجعل أميراً الى أن مات الصالح وقام من بعده الملك الكامل شعبان ورسم له بنيابة حلب عوضاً عن الأمير يلبغا اليحياوى فحضر اليها في جمادى الاولى سنة ست وأربعين فأقام بها نحو خمسة أشهر ثم طلب الى مصر فحضر اليها فلم يكن غير قليل حتى خلع الكامل وتسلطن المظفر حاجي وولاه نيابة السلطنة بمصر فباشرها الى أن خلع المظفر وأقيم في السلطنة الملك الناصر استعفى من النيابة وسأل نيابة حلب فأجيب وولى نيابة حلب وخرج اليها وما زال فيها الى أن نقل منها الى نيابة دمشق ففرح أهلها به وساروا الى حلب فرحل عنها فنزل به مرض وسار وهو مريض فمات بعين مباركة ظاهر حلب يوم الاربعاء خامس جمادى الاولى سنة خمسين وسبعمائة وقد أناف عن السبعين فعاد أهل دمشق خائبين وكان زكيا فطناً محجاجا لسنا مع عجمة في لسانه وله تشييب مطبوع وميل الى الصور الجميلة مايكاد يملك نفسه اذا شاهدها مع كرم في المأكول * (درب البنادين) بحارة الروم يعرف بالبنادين من جملة طوائف العساكر في الدولة الفاطمية ثم عرف بدرب أمير جاندار وهو ينفذ الى حمام الفاضل المرسوم بدخول الرجال وأمير جاندار هذا هو الامير علم الدين سنجر الصالحى المعروف بأمير جندار * (درب المكرم) بحارة الروم يعرف بالقاضى المكرم جلال الدين حسين بن ياقوت البزار نسيب ابن سنا الملك * (درب الضيف) بحارة الديلم عرف بالقاضى ثقة الملك أبى منصور نصر بن القاضي الموفق أمير الملك أبي الظاهر اسماعيل بن القاضى أمين الدولة أبى محمد الحسن بن على بن نصر ابن الضيف كان موجودا في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وبه أيضاً رحبة تعرف

برحبة الضيف منسوبة اليه * (درب الرصاصي) بحارة الديلم هذا الدرب كان يعرف بحكر الامير سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء صهر بني رزيك من وزراء الدولة الفاطمية ثم عرف بحكر تاج الملك بدران بن الامير سيف الدين المذكور ثم عرف بالامير عز الدين أيبك الرصاصي * (درب ابن المجاور) هذا الدرب على يسرة من دخل من أول حارة الديلم كان فيه دار الوزير نجم الدين بن المجاور وزير الملك العزيز عثمان عرف به وهو يوسف ابن الحسين بن محمد بن الحسين أبو الفتح نجم الدين الفارسي الشيرازي المعروف بابن المجاور كان والده صوفياً من أهل فارس ثم من شيراز قدم دمشق وأقام في دويرة الصوفية بها وكان من الزهد والدين بمكان وأقام بمكة وبها مات في رجب سنة ست وثمانين وخمسمائة وكان أخوه أبو عبد الله قد سمع الحديث وحدث وقدم الى القاهرة ومات بدمشق أول رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة * (درب الكهارية) هذا الدرب فيه المدرسة الكهارية بجوار حارة الجودرية المسلوك اليه من القماحين ويتوصل منه الى المدرسة الشريفية * (درب الصفيرة) بتشديد الفاء هذا الدرب بجوار باب زويلة وهو من حقوق حارة المحمودية وكان نافذا الى المحمودية وهو الآن غير نافذ وأصله درب الصفيراء تصغير صفراء هكذا يوجد في الكتب القديمة وقد دخل بجميع ما كان فيه من الدور الجليلة بالجامع المؤيدي * (درب الانجب) هذا الدرب تجاه بئر زويلة التي من فوق فوهتها اليوم ربع يونس من خط البندقانيين يعرف بالقاضي الانجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن نصر بن علي أحد الشهود في أيام قاضي القضاة سنان الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسر وكان حياً في سنة بضع وعشرين وخمسمائة وينسب الى الحسين بن الانجب المقدسي أحد الشهود المعدلين وكان موجوداً في سنة ستمائة ثم عرف هذا الدرب بأولاد العميد الدمشقي فانه كان مسكنهم ثم عرف بالبساطي وهو قاضي القضاة جمال الدين يوسف * (درب كنيسة جدة) بضم الجيم هذا الدرب بالبندقانيين كان يعرف بدرب بنت جدة ثم عرف بدرب الشيخ السديد الموفق * (درب ابن قطز) هذا الدرب بجوار مستوقد حمام الصاحب ورباط الصاحب من خط سويقة الصاحب عرف بناصر الدين بن بلغاق بن الامير سيف الدين قطز المنصوري ومات بعد سنة ثمان وتسعين وستمائة * (درب الحريري) هذا الدرب من جملة دار الديباج هو ودرب ابن قطز المذكور قبله ويتوصل اليه اليوم من أول سويقة الصاحب وفيه المدرسة القطبية عرف بالقاضي نجم الدين محمد بن القاضي فتح الدين عمر المعروف بابن الحريري فانه كان ساكناً فيه * (درب ابن عرب) هذا الدرب بخط سويقة الصاحب كان يعرف بدرب بني أسامة الكتاب أهل الانشاء في الدولة الفاطمية ثم عرف بدرب بني الزبير الاكابر الرؤساء في الدولة الفاطمية ثم سكنه القاضي علاء الدين علي بن عرب محتسب

القاهرة في أيام الامير بليغاق وكيل بيت المال فعرف به الى اليوم وابن عرب هذا هو علاء الدين أبو الحسن على بن عبد الوهاب بن عثمان بن على بن محمـد عرف بابن عرب ولى الحسبة بالقاهرة في آخر صفر سنة خمس وستين وسبعمائة وولى وكالة بيت المال أيضاً وتوفي
* (درب ابن مغش) هذا الدرب تجاه المدرسة الصاحبية عرف أخيراً بتاج الدين موسى كاتب السعدى وناظر الخاص فى الايام الظاهرية برقوق وله به دار مليحة وكان ماجنا متهتكا يرمى بالسوء وأما الديانة فانه قبطى وعنه أخذ سعد الدين ابراهيم بن غراب وظيفة ناظر الخاص وعاقبه بين يديه ثم صار يتردد بعد ذلك الى مجلسه وهلك في واقعة تيمور لنك بدمشق في شعبان سنة ثلاث وثمانمائة بعد ما احترق بالنار لما احترقت دمشق وأ كل الكلاب بعضه *(درب مشترك) هـذا الدرب يقرب من درب العداس تجاه الخط الذي كان يعرف بالمسطاح وفيه الآن سوق الجوارى عرف أولا بدرب الاخناي قاضى القضاة برهان الدين المالـكي فانه كان يسكن فيه ثم هو الآن يقال له درب مشترك وهذه كلة تركية أصلها بلسانهم اج ترك بضم الهمزة واشمامها ثم جيم بين الجيم والشين ومعني ذلك ثلاث وترك بتاء مثناة من فوق ثم راء مهملة وكاف ومعناها النخل ومعنى هذا الاسم ثلاث نخيل وعربته العامة فقالت مشترك وهو مشترك السلاح دار الظاهر برقوق فانه سكن بها ومات فى سنة
* (درب العداس) هذا الدرب فيما بين دار الديباج والوزيرية عرف بعلي بن عمر العداس صاحب سقيفة العداس * (درب كاتب سيدى) هـذا الدرب من جملة خط الملحيين كان يعرف بدرب تقي الدين الاطرياني أحد موقعى الحـكم عند قاضي القضاة تقي الدين الاخناوى ثم عرف بالوزير الصاحب علم الدين عبد الوهاب القبطى الشهير بكاتب سيدى * (الوزير كاتب سيدى) * تسمى لما أسلم بعبـد الوهاب بن القسيس وتلقب علم الدين وعرف بين الكتاب الاقباط بكاتب سيدى وترقي في الخدم الديوانية حتى ولى ديوان المرتجع وتخصص بالوزير الصاحب شمس الدين ابراهيم كاتب ارلان فلما أشرف من مرضه على الموت عين للوزارة من بعده علم الدين هذا فولاه الملك الظاهر وظيفة الوزارة بعد موت الوزير شمس الدين في سادس عشرى شعبان سـنة تسع وثمانين وسبعمائة فباشر الوزارة الى يوم السبت رابع عشرى رمضان سـنة تسعين وسبعمائة ثم قبض عليـه وأقيم في منصب الوزارة بدله الوزير الصاحب كريم الدين بن الغنام وسلمه اليه وكان قد أراد مصادرة كريم الدين فاتفق استقراره في الوزارة وتمكنه منه فألزمه بحمل مال قرره عليه فيقال انه حمل في هذا اليوم ثلثمائة ألف درهم عنها اذ ذاك نحو العشرة آلاف مثقال ذهباً ومات بعد ذلك من هـذه السنة وكان كاتبا بليغاً كتب بيده بضعاً وأربعين رزمة من الورق وكانت أيامه ساكنة والاحوال متمشية وفيه لين * (درب مخاص) هذا الدرب بحـارة زويلة عرف بمخاص

الدولة أبي الحيا مطرف المستنصرى ثم عرف بدرب الرايض وهو الأمير طراز الدولة الرايض باصطبل الخلافة * (درب كوكب) هذا الدرب هو الآن زقاق شارع يسلك فيه من حارة زويلة الى درب الصقالبة عرف أولا بالقائد الأعز مسعود المستنصر ثم عرف بكوكب الدولة ابن الخناكي * (درب الوشاقى) بحارة زويلة عرف بالامير حسام الدين سنقر الوشاقي المعروف بالاعسر السلاح دار أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب * (درب الصقالبة) بحارة زويلة عرف بطائفة الصقالبة أحد طوائف العساكر في أيام الخلفاء الفاطميين وهم جماعة * (درب الكنجي) بحارة زويلة كان يعرف بدرب حليلة ثم عرف بالامير شمس الدين سنقر شاه الكنجي الحاجب الظاهرى قتله قلاون أول سلطنته * (درب رومية) هذا الدرب كان في القديم فيما بين زقاق القابلة ودرب الزراق فزقاق القابلة فيه اليوم كنيسة اليهود بحارة زويلة ويتوصل منه الى السبع سقايات ودار بيبرس التي عرفت بدار كاتب السر ابن فضل الله تجاه حمام ابن عبود ودرب الزراق هو اليوم من جملة خط سويقة الصاحب وبينهما الآن دور لايوصل اليه الا بعد قطع مسافة ودرب رومية كان يعرف أولا بزقاق حسين بن أدريس العزيزى أحد أتباع الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ثم عرف بدرب رومية وهو بجوار زقاق القابلة الذي عرف بزقاق العسل ثم عرف بزقاق المعصرة وعرف اليوم بزقاق الكنيسة *(درب الخضيرى) هذا الدرب يقابل باب الجامع الاقمر البحرى وهو من جملة حقوق القصر الصغير الغربى عرف بالامير عز الدين ايدمر الخضيرى أحد أمراء الملك المنصور قلاوون *(درب شعلة) هو الشارع المسلوك فيه من باب درب ملوخيا الى خط الفهادين والعطوفية وقد خرب *(درب نادر) هذا الدرب بجوار المدرسة الجمالية فيما بين درب راشد ودرب ملوخيا عرف بسيف الدولة نادر الصقلبي وتوفى لاثنتى عشرة خلت من صفر سنة اثنين وثمانين وثلثمائة فبعث اليه الخليفة العزيز بالله لكفنه خمسين قطعة من ديباج مثقل وخلف ثلثمائة ألف دينار عيناً وآنية من فضة وذهب وعبيدا وخيلا وغير ذلك مما بلغت قيمته نحو ثمانين ألف دينار وكان أحد الخدام ذكره المسيحي فى تاريخه وقد ذكر ابن عبد الظاهر أن بالسويقة التي دون باب القنطرة دربا يعرف بدرب نادر فلعله نسب اليه درب كان هناك في القديم أيضاً *(درب راشد) هذا الدرب تجاه خزانة البنود عرف بيمين الدولة راشد العزيزى *(درب النميرى) عرف بالامير سيف المجاهدين محمد بن النميرى أحد أمراء الخليفة الحافظ لدين الله وولى عسقلان في سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت ولايتها أكبر من ولاية دمشق وهذا الدرب كان ينفذ الى درب راشد وهو الآن غير نافذ وفي داخله درب يعرف باولاد الداية طاهر وقاسم الافضليين أحد أتباع الافضل بن أمير الجيوش وعرف الآن بدرب الطفل

وهو من جملة خطة قصر الشوك فانه قبالة باب قصر الشوك وبينهما سويقة رحبة الايدمرى *(درب قراصيا) هذا الدرب من جملة الدروب القديمة وكان تجاه باب قصر الزمرذ الذى في مكانه اليوم المدرسة الحجازية وهذا الدرب اليوم من جملة خطه رحبة باب العيد بجوار سجن الرحبة وقدهدمه الامير جمال الدين يوسف الاستادار وهدم كثيرا من دوره وعملها وكالة فمات ولم تكمل وهي الى الآن بغير تكملة ثم كمله الملك المؤيد شيخ وجعله وقفاً على جامعه وهو الى الآن خان عامر *(درب السلامى) هـذا الدرب من جملة خط رحبة باب العيد وفيه الى اليوم أحد أبواب القصر المسمى بباب العيد والعامة تسميه القاهرة وهـذا الدرب يسلك منه الى خط قصر الشوك والى المارستان العتيق الصلاحي والى دار الضرب وغير ذلك *(عرف بخواجا مجد الدين السـلامى) * اسماعيل بن محمد بن ياقوت الخواجا مجد الدين السلامى تاجر الخاص في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان يدخل الى بلاد الططر ويتجر ويعود بالرقيق وغيره واجتهد مع جوبان الى أن اتفق الصلح بين الملك الناصر وبين القان أبي سـعيد فانتظم ذلك بسفارته وحسن سعيه فازدادت وجاهته عند الملكين وكان الملك الناصر يسفره ويقرر معـه أمورا فيتوجه ويقضيها على وفق مراده بزيادات فأحبـه وقربه ورتب له الرواتب الوافرة في كل يوم من الدراهم واللحم والعليق والسكر والحلواء والـكماج والرقاق مما يبلغ في اليوم مائة وخمسين درهما عنها يومئذ ثمانيـة مثاقيل من الذهب وأعطاه قرية أراك ببعلبك وأعطي مماليكه اقطاعات في الحلقة وكان يتوجه الى الاردن ويقيم فيه الثلاث سنين والاربع والبريد لا ينقطع عنه ويجهز اليه التحف والاقمشة ليفرقها على من يراه من خواص أبي سعيد وأعيان الاردن ثقة بمعرفته ودرايته وكان النشو ناظر الخاص لا يفارقه ولا يصبر عنه ومن أملاكه ببلاد المشرق السلامية والبادورة والمراوزة والمناصف ولما مات الملك الناصر تغير عليه الامير قوصون وأخذ منه مبلغاً يسـيرا وكان ذا عقل وافر وفكر مصيب وخبرة بأخلاق الملوك وما يليق بخواطرها ودراية بما يتحفها به من الرقيق والجواهر ونطق سعيد وخلق رضى وشكالة حسـنة وطلعة بهية ومات في داره من درب السلامى هذا يوم الاربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ودفن بتربته خارج باب النصر ومولده في سنة احدى وسبعين وستمائة بالسلامية بلدة من أعمال الموصل على يوم منها بالجانب الشرقي وهى بفتح السـين المهملة وتشديد اللام وبعد الميم ياء مثناة من تحت مشددة ثم تاء التأنيث *(درب خاص ترك) هذا الدرب برحبة باب العيد عرف بالامير الـكبير ركن الدين بيبرس المعروف بخاص الترك الـكبير أحد الامراء الصالحية النجمية أو بالامير عز الدين أيبك المعروف بخاص الترك الصغير سـلاح دار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى *(درب شاطى) هذا الدرب يتوصل منه الى قصر الشوك

عرف بالامير شرف الدين شاطى السلاح دار في أيام الملك المنصور قلاوون وكان أميرا كبيراً مقدما بالديار المصرية وأخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الشام فاقام بدمشق وكانت له حرمة وافرة وديانة وفيه خير ومات بها في الحادى والعشرين من شعبان سنة أثنين وثلاثين وسبعمائة *(درب الرشيدى) هذا الدرب مقابل باب الجوانية عرف بالامير عز الدين ايدمر الرشيدي مملوك الامير بلبان الرشيدي خوش داش الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وولى الامير ايدمر هذا استادارا لاستاذه بلبان ثم ولى استادارا للامير سلار ومات في تاسع عشر شوال سنة ثمان وسبعمائة وكان سكنه في هذا الدرب وكان عاقلا ذا ثروة وجاه وكان في القديم موضع هذا الدرب براحا قدام الحجر *(درب الفريجية) هذا الدرب على يمنة من خرج من الجلون الصغير طالبا درب الرشيدي المذكور وهو من الدروب التي كانت في أيام الخلفاء *(درب الاصفر) هذا الدرب تجاه خانقاه الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وموضع هذا الدرب هو المنحر الذي تقدم ذكره *(درب الطاوس) هـذا الدرب في الحدرة التي عند باب سر المارستان المنصوري على يمنة من ابتدا الخروج منه وكان موضعه بجوار باب الساباط أحد أبواب القصر الصغير وقد تقدم ذكره ودرب الطاوس أيضاً بالقرب من درب المداس فيما بين باب الخوخة والوزيرية *(درب مايجار) هذا الدرب بجوار جامع أمير حسين من حكر جوهر النوبى خارج القاهرة عرف بالامير مايجار الرومى الواقدى في أيام الملك الظاهر بيبرس وقد خربت تلك الديار في سلطنة الملك المؤيد شيخ *(درب كوسا) هو الآن يسلك فيـه على شاطئ الخليج الـكبير من قنطرة الامير حسين الي قنطرة الموسكي عرف بحسام الدين كوسا أحد مقـدمى الحلقة في أيام الملك المنصور قلاوون مات بعد سنة ثلاث وثمانين وستمائة وهذا الموضع تجاه دار الذهب التي تعرف اليوم بدار الامير حسين الططري السلاح دار الناصرى وقد خربت أيضاً *(درب الجاكي) هذا الدرب بالحـكر عرف بالامير شرف الدين ابراهيم بن على بن الجنيد الجاكي المهمندار المنصورى وقد دثر في أيام المؤيد على يد الامير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الاستادار لما خرب ماهناك *(درب الحرامى) بالحـكر عرف بسعد الدين حسين بن عمر ابن محمد الحرامى وابنه محيي الدين يوسف وكانا من أجناد الحلقة *(درب الزراق)بالحكر عرف بالامير عز الدين ايدمر الزراق أحد الامراء ولاه الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون نيابة غزة في سنة خمس وأربعين وسبعمائة فأقام بها مدة ثم استعفى بعد موت الملك الصالح وعاد الى القاهرة ثم توجه الى دمشق للحوطة على موجود الخاصكية يلبغا اليحياوى فى الايام المظفرية وعاد فلما ركب العسكر على الملك المظفر لم يكن معـه سوى الزراق واق سنقر وايدمر الشمسي فنقم الخاصكية عليهم ذلك وأخرجوهم الى الشام فوصلوا اليها في أول

شوال سـنة ثمان وأربعين فأقام الزراق بدمشق ثم ورد مرسوم السلطان حسن بتوجهه الى حلب فتوجه اليها على اقطاع وبها مات وكان دينا لينا فيه خير وكان هذا الدرب عامرا وفيه دار الزراق الدار العظيمة وقد خرب هـذا الدرب وما حوله منذ كانت الحوادث فى سنة ست وثمانمائة ثم نقضت الدار فى أيام المؤيدشيخ على يد ابن أبى الفرج *(زقاق طريف) بالطاء المهملة هذا الزقاق من أزقة البرقية عرف بالامير فخر الدين طريف بن بكتوت وكان يعرف بزقاق منار بن ميمون بن منـار توفى فى ذى الحجة سـنة اثنتين وثمانين وخمسمائة *(زقاق منعم) بحارة الديلم كان يعرف بمساطب الديلم والاتراك ثم عرف بالامير منعم الدولة باتكين البوسحاقى ثم عرف بزقاق جمال الدولة ثم بزقاق الجلاظى ثم بزقاق الصهرجتي وهو القاضى المنتخب ثقة الدولة أبو الفضل محمـد بن الحسين بن هبة الله بن وهيب الصهرجتى وكان حياً في سنة ستين وخمسمائة *(زقاق الحمام) بحارة الديلم عرف قديما بخوخة المنقدى ثم عرف بخوخة سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك ثم عرف بزقاق حمام الرصاصى ثم عرف بزقاق المزار *(زقاق الحرون) بحارة الديلم عرف بالامير الاوحـد سلطان الجيوش زرى الحرون رفيق العادل بن السـلار وزير مصر فى أيام الخليفة الظافر بأمر الله ثم عرف بابن مسافر عين القضاة ثم عرف بزقاق القبة *(زقاق الغراب) بالجودرية كان يعرف بزقاق أبى العز ثم عرف بزقاق ابن أبى الحسن العقيـلى ثم قيل له زقاق الغراب نسـبة الى أبى عبد الله محمد بن رضوان الملقب بغراب *(زقاق عامر) بالوزيرية عرف بعامر القماح في حارة الاقانصة *(زقاق فرج) بالجيم من جملة أزقة درب ملوخيـا عرف بفرج مهتار الطشتخاناه للملك المنصور قلاوون كان حيا فى سـنة ثلاث وثمانين وستمائة *(زقاق حدرة) الزاهدى بحـارة برجوان عرفت بالامير ركن الدين بيبرس الزاهـدى الرماح الاحدب أحد الامراء وممن له عدة غزوات في الفرنج ولما تمالأ الامراء على الملك السعيد ابن الظاهر وسبقهم الى القلعة كان قدامه بيبرس الزاهدى هذا فسقط عن فرسـه وخرجت له حدبة في ظهره ومات فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة وكان مكان هذه الحدرة أخصاصا وهي الآن مساكن بينها زقاق يسلك فيه من رأس الحارة الى رحبة الافيال

* (ذكر الخوخ) *

والقصد ايراد ماهو مشهور من الخوخ أولذكره فائدة والا فالخوخ والدروب والازقة كثيرة جداً * (الخوخ السبع) كانت سبع خوخ فيما يقال متصلة باصطبل الطارمة يتوصل منها الخلفاء اذا أرادوا الجامع الازهر فيخرجون من باب الديلم الذى هو اليوم باب المشهد الحسينى الى الخوخ ويعبرون منها الى الجامع الازهر فانه كان حينئذ فيما بين الخوخ والجامع رحبة كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا الخط يعرف أولا بخوخة الامير عقيل ولم

يكن فيه مسا كن ثم عرف بعد انقضاء دولة الفاطميين بخط الخوخ السبع وليس لهذه الخوخ اليوم أثر ألبتة ويعرف اليوم بالابارين * (باب الخوخة) * هو أحد أبواب القاهرة مما يلى الخليج في حد القاهرة البحري يسلك اليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودى وكان هذا الباب يعرف أولا بخوخة ميمون دبه ويخرج منه الى الخليج الكبير وميمون دبه يكنى بأبى سعيد أحد خدام العزيز بالله كان خصياً * (خوخة ايد غمش) هذه الخوخة في حكم أبواب القاهرة يخرج منها الى ظاهر القاهرة عند غلق الابواب في الليل وأوقات الفتن اذا غلقت الابواب فينتهى الخارج منها الى الدرب الاحمر واليانسية ويسلك من هناك الى باب زويلة ويصار اليها من داخل القاهرة اما من سوق الرقيق أو من حارة الروم من درب أرقطاي وهذه الخوخة بجوار حمام ايد غمش وهو * (أيد غمش الناصرى) * الامير علاء الدين أصله من مماليك الامير سيف الدولة بلبان الصالحي ثم صار الى الملك الناصر محمد بن قلاوون فلما قدم من الكرك جعله أميرا خور عوضاً عن الامير بيبرس الحاجب ولم يزل حتى مات الملك الناصر فقام مع قوصون ووافقه على خلع الملك المنصور أبي بكر ابن الملك الناصر ثم لما هرب الطنبغا الفخرى اتفق الامراء مع ايد غمش على الامير قوصون فوافقهم على محاربته وقبض على قوصون وجماعته وجهزهم الى الاسكندرية وجهز من أمسك الطنبغا ومن معه وأرسلهم أيضاً الى الاسكندرية وصار ايد غمش في هذه النوبة هو المشار اليه فى الحل والعقد.فأرسل ابنه فى جماعة من الامراء والمشايخ الى الكرك بسبب احضار أحمد ابن الملك الناصر محمد فلما حضر أحمد من الكرك وتلقب بالملك الناصر واستقر أمره بمصر أخرج ايد غمش نائباً بحلب فسار الى عين جالوت واذا بالفخرى قد صار اليه مستجيراً به فآمنه وأنزله في خيمة فلما ألقى عنه سلاحه واطمأن قبض عليه وجهزه الى الملك الناصر أحمد وتوجه الى حلب فأقام بها الى أن استقر الملك الصالح اسماعيل بن محمد في السلطنة نقله عن نيابة حلب الى نيابة دمشق فدخلها في يوم العشرين من صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وما زال بها الى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة منها فعاد من مطعم طيوره وجلس بدار السعادة حتى انقضت الخدمة وأكل الطارى وتحدث ثم دخل الى داره فاذا جواريه يختصمن فضرب واحدة منهن ضربتين وشرع في الضربة الثالثة فسقط ميتا ودفن من الغد في تربته خارج ميدان الحصى ظاهر دمشق وكان جواداً كريماً وله مكانة عند الملك الناصر الكبير بحيث انه امر أولاده الثلاثة وكان قد بعث الملك الصالح بالقبض عليه فبلغ القاصد موته في قطيا فعاد * (خوخة الارقي) بحارة الباطلية يخرج منها الى سوق الغنم وغيره وهى بجوار داره * (خوخة عسيلة) هذه الخوخة من الخوخ القديمة الفاطمية وهى بحارة الباطلية مما يلى حارة الديلم في ظهر الزقاق المعروف بخرابة العجيل بجوار دار

الست حدق * (خوخة الصالحية) هذه الخوخة بجوار حبس الديلم قريبة من دار الصالح طلائع بن رزيك التي هدمها ابن قايماز وعمرها وكانت تعرف هذه الخوخة أولا بخوخة بختكين وهو الامير جمال الدولة بختكين الظاهري ثم عرفت بخوخة الصالح طلائع بن رزيك لان داره كانت هناك وبها كان سكنه قبل أن يلي وزارة الظافر * (خوخة المطوع) هذه الخوخة بحارة كتامة في أولها مما يلي الجامع الازهر عند اصطبل الحسام الصفدي عرفت بالمطوع الشيرازي * (خوخة حسين) هذه الخوخة في الزقاق الضيق المقابل لمن يخرج من درب الاسواني ويسلك فيه الى حكر الرصاصي بحارة الديلم ويعرف هذا الزقاق بزقاق المزار وفيه قبر تزعم العامة ومن لا علم عنده أنه قبر يحيي بن عقب وأنه كان مؤدباً للحسين ابن علي بن أبي طالب وهو كذب مختلق وافك مفترى كقولهم في القبر الذي بحارة برجوان انه قبر جعفر الصادق وفي القبر الآخر انه قبر أبي تراب النخشبي وفي القبر الذي على يسرة من خرج من باب الحديد ظاهر زويلة انه قبر زارع النوى وانه صحابي وغير ذلك من أكاذيبهم التي اتخذها لهم شياطينهم أنصاباً ليكونوا لهم عزاً وسيأتي الكلام على هذه المزارات في مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * (وحسين هذا) * هو الامير سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء صهر بني رزيك وزوج ابنة الصالح بن رزيك وكان كردياً قدمه الصالح بن رزيك ابن الصالح لما ولي الوزارة ونوه به فلما مات وقام من بعده ابنه رزيك بن الصالح في الوزارة كان حسين هذا هو مدبر أمره بوصية الصالح واستشار حسينا في صرف شاور عن ولاية قوص فأشار عليه بابقائه فأبى وولى الامير ابن الرفعة مكانه وبلغ ذلك شاور فخرج من قوص الى طريق الواحات فلما سمع رزيك بمسيره رأى في النوم مناما عجيباً فأخبر حسينا بأنه رأى مناما فقال ان بمصر رجلا يقال له أبو الحسن علي بن نصر الارتاحي وهو حاذق في التعبير فاحضره وقال رأيت كأن القمر قد أحاط به حنش وكأنني رواس في حانوت فغالطه الارتاحي في تعبير الرؤيا وظهر ذلك لحسين فأمسك حتى خرج وقال له مالك تجيبني كلامك والله لا بد أن تصدقني ولا بأس عليك فقال يا مولاي القمر عندنا هو الوزير كما أن الشمس الخليفة والحنش المستدير عليه حبس مصحف وكونه رواس اقلبها تجده شاور مصحفاً وما وقع لي غير هذا فقال حسين اكتم هذا عن الناس وأخذ حسين في الاهتمام بأمره ووطأ انه يريد التوجه الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان قد أحسن الى أهلها وحمل اليها مالا وقماشاً وأودعه عند من يثق به هذا وأمر شاور يقوى ويتزايد ويصل الارجاف به الى أن قرب من القاهرة فصاح الصائح في بني رزيك وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف فارس فأول من نجا بنفسه حسين وسار فسأل عنه رزيك فقالوا خرج فانقطع قلبه لان حسينا كان مذكورا بالشجاعة مشهورا بها وله تقدم

في الدولة ومكانة وممارسة للحروب وخبرة بها ولم يثبت بعد خروج حسين بل انهزم الى ظاهر اطفيح فقبض عليه ابن النيض مقدم العرب وأحضره الى شاور فحبسه وصدقت رؤياه ومات حسين في سنة *(خوخة الحلبي) هـذه الخوخة في آخر اصطبل الطارمة بجوار حمام الامير علم الدين سنجر الحلبي وفي ظهر داره * (سنجر الحلبي) * أحد المماليك الصالحية ترقي في الخدم الى أن ولاه الملك المظفر سيف الدين قطز نيابة دمشق فلما قتل قطز على عين جالوت وقام من بعده فى السلطنة بالديار المصرية الملك الظاهر بيبرس ثار سنجر بدمشق في سنة ثمان وخمسين وستمائة ودعا الي نفسه وتلقب بالملك المجاهد وبقي اشهرا والملك الظاهر يكاتب أمراء دمشق الى أن خامروا على سنجر وحاصروه بقلعة دمشق أياماً فلما خشي أن يقبض عليه فر من القلعة الى بعلبك فجهز اليه الظاهر الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى وما زال يحاصره حتى أخذه أسيراً وبعث به الى الديار المصرية فاعتقله الظاهر وما زال في الاعتقال من سنة تسع وخمسين الى سنة تسع وثمانين وستمائة مدة تنيف على ثلاثين سنة مدة أيام الملك الظاهر وولديه وأيام الملك المنصور قلاوون فلما ولى الملك الاشرف خليل بن قلاوون أخرجه من السجن وخلع عليه وجعله أحد الأمراء الاكابر على عادته فلم يزل أميراً بمصر إلى أن مات على فراشه في سنة أثنين وتسعين وستمائة وقد جاوز تسعين سنة وانحنى ظهره وتقوس * (خوخة الجوهرة) هذه الخوخة بآخر حارة زويلة عرفت اليوم بخوخة الوالى لقربها من دار الامير علاء الدين الكوراني والى القاهرة وكان من خير الولاة يحفظ كتاب الحاوى في الفقه على مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه وأقام في ولاية القاهرة من محرم سنة تسع وأربعين وسبعمائة بعد أستدمر القلنجي والى القاهرة الى * (خوخة مصطفى) هذه الخوخة بآخر زقاق الكنيسة من حارة زويلة يخرج منها الى القبو الذى عند حمام طاب الزمان المسلوك منه الى قبو منظرة اللؤلؤة على الخليج عرفت بالامير فارس المسلمين مصطفى أحد أمراء بني أيوب الملوك وهو أيضاً صاحب هذا الحمام * (خوخة ابن المأمون) هذه الخوخة في حارة زويلة بالدرب الذى بقرب حمام الكوبك ويقال لهـذه الخوخة اليوم باب حارة زويلة وأصلها خوخة فى دوب ابن المأمون البطائحي * (خوخة كوتية أق سنقر) هذه الخوخة في الزقاق الذى بظهر المدرسة الفخرية بآخر سويقة الصاحب كان يسلك منها الى الخليج من جوار باب الذهب وموضعها بحذاء بيت القاضى أمين الدين ناظر الدولة ولم تزل الى أن بنى المهتار عبد الرحمن البابادارة بجوارها فى سنى بضع وتسعين وسبعمائة فسدها وعرفت هذه الخوخة أخيراً بخوخة المسيري وهو قمر الدين بن السعيد المسيري * (خوخة أمير حسين) هذه الخوخة من جملة الوزيرية يخرج منها الى تجاه قنطرة أمير حسين فتحها الامير شرف الدين

حسين بن أبي بكر بن اسماعيل بن حيدرة بيك الرومي حين بني القنطرة على الخليج الكبير وأنشأ الجامع بحكر جوهر النوبي * وجرى في فتح هذه الخوخة أمر لا بأس بايراده وهو أن الامير حسين قصد أن يفتح في السور خوخة لتمر الناس من أهل القاهرة فيها الى شارع بين السورين ليعمر جامعه فمنعه الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة من ذلك الا بمشاورة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان للامير حسين اقدام على السلطان وله به مؤانسة فعرفه أنه أنشأ جامعاً وسأله أن يفسح له في فتح مكان من السور ليصير طريقاً نافذاً يعرفيه الناس من القاهرة ويخرجون اليه فأذن له في ذلك وسمح به فنزل الى السور وخرق منه قدر باب كبيروذهن عليه رنكه بعد ماركب هناك باباً ومر الناس منه واتفق أنه اجتمع بالخازن والى القاهرة وقال له على سبيل المداعبة كم كنت تقول ماأخليك تفتح في السور باباً حتى تشاور السلطان هاأنا قد شاورته وفتحت باباً على رغم أنفك فحنق الخازن من هذا القول وصعد الى القلعة ودخل على السلطان وقال ياخوند أنت رسمت للامير شرف الدين أن يفتح في السور باباً وهو سور حصين على البلد فقال السلطان انما شاورني أن يفتح خوخة لاجل حضور الناس الصلاة في جامعه فقال الخازن ياخوند مافتح الا باباً يعادل باب زويلة وعمل عليه رنكه وقصد يعمل سلطاناً على البارد وما جرت عادة أحد بفتح سور البلد فأثر هذا الكلام من الخازن في نفس السلطان أثراً قبيحاً وغضب غضباً شديداً وبعث الى النائب وقد اشتد حنقه بأن يسفر حسين بن حيدر الى دمشق بحيث لايبيت في المدينة فخرج من يومه من البلد بسبب ماتقدم ذكره

* (ذكر الرحاب) *

الرحبة باسكان الحاء وفتحها الموضع الواسع وجمعها رحاب اعلم أن الرحاب كثيرة لاتتغير الا بأن يبني فيها فتذهب ويبقى اسمها أو يبني فيها ويذهب اسمها ويجهل وربما انهدم بنيان وصار موضعه رحبة أو داراً أو مسجداً والغرض ذكر مافيه فائدة * (رحبة باب العيد) هذه الرحبة كان أولها من باب الريح أحد أبواب القصر الذي أدركنا هدمه على يد الامير جمال الدين الاستادار في سنة احدى عشرة وثمانمائة والى خزانة البنود وكانت رحبة عظيمة في الطول والعرض غاية في الاتساع يقف فيها العساكر فارسها وراجلها في أيام مواكب الاعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه من باب العيد ويذهبون في خدمته لصلاة العيد بالمصلى خارج باب النصر ثم يعودون الى أن يدخل من الباب المذكور الى القصر وقد تقدم ذكر ذلك ولم تزل هذه الرحبة خالية من البناء الى مابعد الستمائة من الهجرة فاختط فيها الناس وعمروا فيها الدور والمساجد وغيرها فصارت خطة كبيرة من أجل أخطاط القاهرة وبقي اسم رحبة باب العيد باقياً عليها لاتعرف الا به * (رحبة قصر الشوك) هذه الرحبة

كانت قبلي القصر الكبير الشرقي في غاية الاتساع كبيرة المقدار وموضعها من حيث دار الامير الحاج أل ملك بجوار المشهد الحسيني والمدرسة الملكية الى باب قصر الشوك عند خزانة البنود وبينها وبين رحبة باب العيد خزانة البنود والسفينة وكان السالك من باب الديلم الذى هو اليوم المشهد الحسيني الى خزانة البنود يمر في هذه الرحبة ويصير سور القصر على يساره والمناخ ودار افتكين على يمينه ولا يتصل بالقصر بنيان ألبتة وما زالت هذه الرحبة باقية الى أن خرب القصر بفناء أهله فاختط الناس فيها شيأ بعد شئ حتى لم يبق منها سوى قطعة صغيرة تعرف برحبة الايدمرى * (رحبة الجامع الازهر) هذه الرحبة كانت أمام الجامع الازهر وكانت كبيرة جداً تبتدئ من خط اصطبل الطارمة الى الموضع الذى فيه مقعد الاكفانيين اليوم ومن باب الجامع البحري الى حيث الخراطين ليس بين هذه الرحبة ورحبة قصر الشوك سوى اصطبل الطارمة فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الازهر تترجل العساكر كلها وتقف في هذه الرحبة حتى يدخل الخليفة الى الجامع وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر الجوامع ولم تزل هذه الرحبة باقية الى أثناء الدولة الايوبية فشرع الناس في العمارة بها الى أن بقي منها قدام باب الجامع البحري هذا القدر اليسير * (رحبة الحلى) هذه الرحبة الآن من خط الجامع الازهر ومن بقية رحبة الجامع التي تقدم ذكرها عرفت بالقاضى نجم الدين أبى العباس أحمد بن شمس الدين على بن نصر الله بن مظفر الحلى التاجر العادل لانها تجاه داره * (رحبة البانياسى) هذه الرحبة بدرب الاتراك تجاه دار الامير طيدمر الجمدار الناصرى وعرفت بالامير نجم الدين محمود بن موسى البانياسى لان داره كانت فيها ومسجده المعلق هناك ومات بعد سنة خمسمائة * (رحبة الايدمري) هذه الرحبة من جملة رحبة باب قصر الشوك وعرفت بالايدمري لان داره هناك * (والايدمرى) * هذا مملوك عز الدين ايدمر الحلى نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر بيبرس ترقى في الخدم حتى تأمر في أيام الملك الظاهر بيبرس وعلت منزلته في أيام الملك المنصور قلاوون ومات سنة سبع وثمانين وستمائة ودفن بتربته في القرافة بجوار الشافعي رضى الله عنه * (رحبة البدرى) هذه الرحبة يدخل اليها من رحبة الايدمرى من باب قصر الشوك ومن جهة المارستان العتيق وهي من جملة القصر الكبير عرفت بالامير بيدمر البدرى صاحب المدرسة البدرية فان داره هناك * (رحبة ضروط) هذه الرحبة بجوار دار أل ملك وهي من جملة رحبة قصر الشوك عرفت بالامير ضروط الحاجب فانه كان يسكن هناك * (رحبة اقبغا) هذه الرحبة هى الآن سوق الخيميين وهى من جملة رحبة الجامع الازهر التي مر ذكرها عرفت بالامير اقبغا عبد الواحد أستادار الملك الناصر وصاحب المدرسة الاقبغاوية * (رحبة مقبل) هذه الرحبة كانت تعرف بخط بين المسجدين لان هناك مسجدين أحدهما يقابل

الآخر ويسلك من هذه الرحبة الى سويقة الباطلية والى زقاق تريده وعرفت أخيراً بالامير زين الدين مقبل الرومى أمير جاندار الملك الظاهر برقوق *(رحبة ألدمر) هذه الرحبة في الدرب أول سوق الفراين مما يلى الا كفانيين عرفت بالامير سيف الدين ألدمر الناصرى المقتول بمكة * (رحبة قردية) هذه الرحبة بخط الا كفانيين تجاه دار الامير قرديه الجمدار الناصرى وكانت هذه الدار تعرف قديماً بالامير سنجر الشكارى وله أيضاً مسجد معلق يدخل من تحته الى الرحبة المذكورة وهناك اليوم قاعة الذهب التي فيها الذهب الشريط لعمل المزركش * (رحبة المنصوري) قبالة دار المنصورى عرفت بالامير قطلوبغا المنصورى المقدم ذكره * (رحبة المشهد) هذه الرحبة تجاه المشهد الحسينى كانت رحبة فيما بين باب الديلم أحد أبواب القصر الذى هو الآن المشهد الحسينى وبين اصطبل الطارمة * (رحبة أبى البقاء) هذه الرحبة من جملة رحبة باب العيد تجاه باب قاعة ابن كتيلة بخط السقيفة عرفت بقاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن على بن تمام السبكي الشافعي ومولده في سنة سبع وسبعمائة أحد العلماء الا كابر تقلد قضاء القضاة بديار مصر والشام ومات في * (رحبة الحجازية) هذه الرحبة تجاه المدرسة الحجازية وهى من جملة رحبة باب العيد عرفت برحبة الحجازية * (رحبة قصر بشتاك) هذه الرحبة تجاه قصر بشتاك وهى من جملة القضاء الذى بين القصرين * (رحبة سلار) تجاه حمام البيسري ودار الامير سلار نائب السلطنة هي أيضاً من جملة الفضاء الذى كان بين القصرين * (رحبة الفخري) هذه الرحبة بخط الكافورى تجاه دار الامير سيف الدين قطلوبغا الطويل الفخرى السلاح دار الاشرفي أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون * (رحبة الا كز) بخط الكافورى هذه الرحبة تجاه دار الامير سيف الدين الا كز الناصرى الوزير وتعرف أيضاً برحبة الابو بكرى لانها تجاه دار الامير سيف الدين الابو بكرى السلاح دار الناصرى وهى شارعة في الطريق يسلك اليها من دار الامير تنكز ويتوصل منها الى دار الامير مسعود وبقية الكافورى * (رحبة جعفر) هذه الرحبة تجاه حارة برجوان يشرف عليها شباك مسجد تزعم العوام أن فيه قبر جعفر الصادق وهو كذب مختلق وافك مفترى ما اختلف أحد من أهل العلم بالحديث والآثار والتاريخ والسير أن جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام مات قبل بناء القاهرة بدهر وذلك انه مات سنة ثمان وأربعين ومائة والقاهرة بلا خلاف اختطت فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعد موت جعفر الصادق بنحو مائتي سنة وعشر سنين والذى أظنه أن هذا موضع قبر جعفر بن أمير الجيوش بدر الجمالي المكنى بأبى محمد الملقب بالمظفر ولما ولى أخوه الافضل ابن أمير الجيوش الوزارة من بعد أبيه جعل أخاه المظفر جعفرا يلى العلامة عنه ونعت بالاجل المظفر سيف الامام جلال

الاسلام شرف الانام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين أبي محمد جعفر بن أمير الجيوش بدر الجمالى وتوفي ليلة الخميس لسبع خلون من جمادى الاولى سنة أربع عشرة وخمسمائة مقتولا يقال قتله خادمه جوهر بمباطنة من القائد أبى عبد الله محمد بن فاتك البطائحى ويقال بل كان يخرج فى الليل يشرب فجاء ليلة وهو سكران فازحمه دراب حارة برجوان وتراميا بالحجارة فوقعت ضربة في جنبه آلت به الى الموت والذي نقل أنه دفن بتربة أبيه أمير الجيوش فاما أن يكون دفن هنا أولا ثم نقل أو لم يدفن هنا ولكنه من جملة ماينسب اليه فانه بجوار دار المظفر التى من جملتها دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى وما قاربها كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر دار المظفر * (رحبة الأفيال) هذه الرحبة من جملة حارة برجوان يتوصل اليها من رأس الحارة ويسلك فى حدرة الزاهدى اليها وأدركتها ساحة كبيرة والمشيخة تسميها رحبة الافيال وكذا يوجد في مكاتيب الدور القديمة ويقال ان الفيلة في أيام الخلفاء كانت تربط بهذه الرحبة أمام دار الضيافة ولم تزل خربة الى ما بعد سنة سبعين وسبعمائة فعمر بها دويرات ووجد فيها بئر متسعة ذات وجهين تشبه أن تكون البئر التي كانت سوّاس الفيلة يستقون منها ثم طمت هذه البئر بالتراب *(رحبة مازن) هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه باب دار مازن التي خربت وفيها المسجد المعروف بمسجد بني الكويك *(رحبة اقوش) هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه قاعة الامير جمال الدين اقوش الرومى السلاح دار الناصرى التى حل وقفها بهاء الدين محمد بن البرجي ثم بيعت من بعده ومات اقوش سنة خمس وسبعمائة *(رحبة برلغى) هذه الرحبة عند باب سر المدرسة القراسنقرية تجاه دار الامير سيف الدين برلغى الصغير طهر الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهذه الرحبة من جملة خط دار الوزارة *(رحبة لؤلؤ) هذه الرحبة بحارة الديلم فى الدرب الذى بخط ابن الزلابي وهى تجاه دار الامير بدر الدين لؤلؤ الزردكاش الناصرى وهو من جملة من فر مع الامير قراسنقر واقوش الافرم الى ملك التتر بوسعيد *(رحبة كوكاى) هذه الرحبة بحارة زويلة عرفت بالامير سيف الدين كوكاى السلاح دار الناصرى وفيها المدرسة القطبية الجديدة *(رحبة ابن أبي ذكري) هذه الرحبة بحارة زويلة وهى التى فيها البئر السابلة بالقرب من المدرسة العاشورية عرفت بالامير ابن أبى ذكرى وهى من الرحاب القديمة التي كانت أيام الخلفاء وبها الآن سوق حارة اليهود القرايين *(رحبة بيبرس) هذه الرحبة يتوصل اليها من سويقة المسعودى ومن حمام ابن عبود عرفت بالملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير فان بصدرها داره التى كانت سكنه قبل أن يتقلد سلطنة ديار مصر وقد حل وقفها وبيعت *(رحبة بيبرس الحاجب) هذه الرحبة بخط حارة العدوية عند باب سر الصاغة عرفت بالامير بيبرس الحاجب

لان داره بها وبيبرس هذا هو الذى ينسب اليه غيط الحاجب بجوار قنطرة الحاجب وبهذه الرحبة الآن فندق الامير الطواشى زمام الدور السلطانية زين الدين مقبل وبه صار الآن هذا الخط يعرف بخط فندق الزمام بعد ما كنا نعرفه يعرف بخط رحبة بيبرس الحاجب
* رحبة الموفق) تعرف هذه الرحبة بحارة زويلة تجاه دار الصاحب الوزير موفق الدين أبي البقاء هبة الله ابن ابراهيم المعروف بالموفق الكبير وهى بالقرب من خوخة الموفق المتوصل منها الى الكافورى من حارة زويلة * رحبة أبى تراب) هذه الرحبة فيما بين الخرشتف وحارة برجوان تشبه أن تكون من جملة الميدان أدركتها رحبة بها كيمان تراب وسبب نسبتها الى أبى تراب أن هناك مسجدا من مساجد الخلفاء الفاطميين تزعم العامة ومن لاخلاق له أن به قبر أبى تراب النخشبى وهذا القول من أبطل الباطل وأقبح شئ في الكذب فان أبا تراب النخشبى هو أبو تراب عسكر بن حصين النخشبي صحب حاتما الاصم وغيره وهو من مشايخ الرسالة ومات بالبادية نهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين قبل بناء القاهرة بنحو مائة وثلاث سنين وقد أخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل ابن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومى خال أبى رحمه الله قبل أن يختلط قال اخبرنى مؤدبي الذى قرأت عليه القرآن أن هذا المكان كان كوما وأن شخصاً حفر فيه ليبنى عليه دارا فظهرت له شرافات فما زال يتبع الحفر حتى ظهر هذا المسجد فقال الناس هذا أبو تراب من حينئذ ويؤيد ما قال انى أدركت هذا المسجد محفوفا بالكيمان من جهاته وهو نازل فى الارض ينزل اليه بنحو عشر درج وما برح كذلك الى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة فنقلت الكيمان التراب التى كانت هناك حوله وعمر مكانها ما هنالك من دور وعمل عليها درب من بعد سنة تسعين وسبعمائة وزالت الرحبة والمسجد على حاله وأنا قرأت على بابه في رخامة قد نقش عليها بالقلم الكوفى عدة أسطر تتضمن أن هذا قبر أبى تراب حيدرة بن المستنصر بالله أحد الخلفاء الفاطميين وتاريخ ذلك فيما أظن بعد الاربعمائة ثم لما كان في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة سولت نفس بعض السفهاء من العامة له أن يتقرب بزعمه الى الله تعالى بهدم هذا المسجد ويعيد بناءه فجبي من الناس مالا شحذه منهم وهدم المسجد وكان بناء حسنا وردمه بالتراب نحو سبعة أذرع حتى ساوي الارض التى تسلك المارة منها وبناه هذا البناء الموجود الآن وبلغنى أن الرخامة التى كانت على الباب نصبوها على شكل قبر أحدثوه في هذا المسجد وبالله ان الفتنة بهذا المكان وبالمكان الآخر من حارة برجوان الذى يعرف بجعفر الصادق لعظيمة فانهما صارا كالانصاب التي كانت تتخذها مشركوا العرب يلجأ اليهما سفهاء العامة والنساء فى أوقات الشدائد وينزلون بهذين الموضعين كربهم وشدائدهم التي لا ينزلها العبد الا بالله ربه ويسئلون فى هذين الموضعين مالا يقدر عليه الا الله تعالى

وحده من وفاء الدين من غير جهـة معينة وطلب الولد ونحو ذلك ويحملون النذور من الزيت وغيره اليهما ظناً أن ذلك يجيهم من المكاره ويجلب اليهم المنافع ولعمرى أن هى الا كرة خاسرة ولله الحمد على السلامة *(رحبة ارقطاى) هذه الرحبة بحارة الروم قدام دار الامير الحاج ارقطاى نائب السلطنة بالديار المصرية *(رحبة ابن الضيف) هـذه الرحبة بحارة الديلم وهى من الرحاب القديـمة عرفت بالقاضى أمين الملك اسماعيل بن أمين الدولة الحسن بن علىّ بن نصر بن الضيف وفي هذه الرحبة الدار المعروفة باولاد الامير طنبغا الطويل بجوار حكر الرصاصي وتعرف هـذه الرحبة أيضاً بحمدان البزاز وبابن المخزومي *(رحبة وزير بغداد) هذه الرحبة بدرب ملوخيا عرفت بالامير الوزير نجم الدين محمود ابن على بن شردين المعروف بوزير بغداد قدم الى مصر يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثمـان وثلاثين وسبعمائة هو وحسام الدين حسن بن محمد بن محمد الغورى الحنفى فارّين من العراق بعد قتل موسى ملك التتر فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمـد بن قلاون باقطاع امرة تقدمـة ألف مكان الامير طاز بغا عند وفاته في ليلة السبت ثامن عشرى جمادى الاولى من السـنة المذكورة فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاون وقام في الملك من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر بن محمد قلد الوزارة بالديار المصرية للامير نجم الدين محمود وزير بغداد فى يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وبنى له دار الوزارة بقلعة الجبل وأدركناها دار النيابة وعمل له فيها شباك يجلس فيه وكان هذا قد أبطله الملك الناصر محمد وخربت قاعة الصاحب فلم يزل الى أن صرف في أيام الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاون عن الوزارة بالامير ملكتمر السرجوانى فى مستهل رجب سـنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ثم أعيد في آخر ذى الحجة بعد تمنع منه واشترط أن يكون جمال الكفاة ناظر الخاص معه صفة مشير فأجيب الى ذلك فلمـا قبض على جمال الكفاة صرف وزير بغداد وولى بعده الوزارة الامير سيف الدين ايتمش الناصرى فى يوم الاربعاء ثانى عشرى ربيع الآخر سنة خمس وأربعين بحكم استـعفائه منها فباشرها ايتمش قليلا وسأل أن يعفى من المباشرة فأعفى وذلك لقلة المتحصل وكثرة المصروف في الانعام على الجوارى والخدام وحواشيهم وكانت الكلف في كل سنة ثلاثين ألف ألف دينار والمتحصل خمسة عشر ألف ألف نحو النصف ومرتب السكر فى شهر رمضان كان ألف قنطار فبلغ ثلاثة آلاف قنطار *(رحبة الجامع الحاكمي) هذه الرحبة من غير قاهرة المعز التي وضعها القائد جوهر وكانت من جملة الفضاء الذى كان بين باب النصر والمصلى فلما زاد أمير الجيوش بدر الجمالى فى مقدار السور صارت من داخل باب النصر الآن وكانت كبيرة فيما بين الحجر والجامع الحـاكمي وفيما بين باب النصر القديم وباب النصر الموجود الآن ثم بنى فيها المدرسة القاصدية التي هى تجاه الجامع

وما فى صفها الى حمام الجاولى وبنى فيها الشيخ قطب الدين الهرماس دارا ملاصقة لجدار الجامع ثم هدمت كما سيأتى فى خبرها ان شاء الله تعالى عند ذكر الدور وفى موضعها الآن الربع والحوانيت سفله والقاعة الجارى ذلك فى أملاك ابن الحاجب وأدركت انشاءها فيما بعد سنة ثلاثين وهذه الرحبة تؤخذ أجرتها لجهة وقف الجامع *(رحبة كتبغا) هذه الرحبة من جملة اصطبل الجميزة وهى الآن من خط الصيارف يسلك اليها من الجملون الكبير بسوق الشرابشيين ومن خط طواحين الملحيين وغيره عرفت بالملك العادل زين الدين كتبغا فانها تجاه داره التي كان يسكنها وهو أمير قبل أن يستقر فى السلطنة وسكنها بنوه من بعده فعرفت به ثم حل وقفها فى زمننا وبيعت *(رحبة خوند) هذه الرحبة بآخر حارة زويلة فيما بينها وبين سويقة المسعودى يتوصل اليها من درب الصقالبة ومن سويقة المسعودى وهى من الرحاب القديمة كانت تعرف في أيام الخلفاء برحبة ياقوت وهو الامير ناصر الدولة ياقوت والى قوص أحد أجلاء الامراء ولما قام طلائع بن رزيك بالوزارة فى سنة تسع واربعين وخمسمائة هم ناصر الدولة ياقوت بالقيام عليه فبلغ طلائع الملقب بالصالح ابن رزيك ذلك فقبض عليه وعلى أولاده واعتقلهم فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فلم يزل في الاعتقال الى أن مات فيه يوم السبت سابع عشر رجب سنة ثلاث وخمسين فأخرج الصالح أولاده من الاعتقال وأمرهم وأحسن اليهم ثم عرفت هذه الرحبة من بعده بولده الامير ربيع الاسلام محمد بن ياقوت ثم عرفت فى الدولة الايوبية برحبة ابن منقذ وهو الامير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ ثم عرفت برحبة الفلك المسيري وهو الوزير فلك الدين عبد الرحمن المسيرى وزير الملك العادل أبى بكر بن الملك العادل بن أيوب ثم عرفت الآن برحبة خوند وهى الست الجليلة أردوتكين ابنة نوغيه السلاح دار زوج الملك الاشرف خليل بن قلاون وامرأة أخيه من بعده الملك الناصر محمد وهي صاحبة تربة الست خارج باب القرافه وكانت خيرة وماتت أيما فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة * (رحبة قرا سنقر) هذه الرحبة برأس حارة بهاء الدين تجاه دار الامير قرا سنقر وبها الآن حوض تشرب منه الدواب * (رحبة بيغرا) بدرب ملوخيا عرفت بالامير سيف الدين بيغرا لانها تجاه داره * (رحبة الفخرى) بدرب ملوخيا عرفت بالامير منكلى بغا الفخرى صاحب التربة بظاهر باب النصر لانها تجاه داره * (رحبة سنجر) هذه الرحبة بحارة الصالحية في آخر درب المنصورى عرفت بالامير سنجر الجمقدار علم الدين الناصري لانها تجاه داره ثم عرفت برحبة ابن طرغاي وهو الامير ناصر الدين محمد بن الامير سيف الدين طرغاي الجاشنكير نائب طرابلس * (رحبة ابن علكان) هذه الرحبة بالجودرية في الدرب المجاور للمدرسة الشريفية عرفت بالامير شجاع الدين عثمان بن علكان

الكردي زوج ابنة الامير يازكوج الاسدي وبابنه منها الامير أبو عبد الله سيف الدين محمد ابن عثمان وكان خيرا استشهد على غزة بيد الفرنج في غرة شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وستمائة وكانت داره ودار أبيه بهذه الرحبة ثم عرفت بعد ذلك برحبة الامير علم الدين سنجر الصيرفي الصالحي * (رحبة ازدمر) بالجودرية هذه الرحبة بالدرب المذكور أعلاه عرفت بالامير عز الدين ازدمر الاعمى الكاشف لانها كانت أمام داره * (رحبة الاختاي) هذه الرحبة فيما بين دار الديباج والوزيرية بالقرب من خوخة أمير حسين عرفت بقاضي القضاة برهان الدين ابراهيم بن قاضي القضاة علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الاختاي المالكي لانها تجاه داره وقد عمر عليها درب في أعوام بضع وتسعين وسبعمائة * (رحبة باب اللوق) رحاب باب اللوق خمس رحاب ينطلق عليها كلها الآن رحبة باب اللوق وبها تجتمع أصحاب الحلق وارباب الملاعب والحرف كالمشعبذين والخايلين والحواة والمتأفنين وغير ذلك فيحشر هنالك من الخلائق للفرجة ولعمل الفساد مالا يحصر كثرة وكان قبل ذلك في حدود ماقبل الثمانين وسبعمائة من سني الهجرة انما تجتمع الناس لذلك في الطريق الشارع المسلوك من جامع الطباخ بالخط المذكور الى قنطرة قدادار * (رحبة التبن) هذه الرحبة قريبة من رحبة باب اللوق في بحرى منشاة الجوانية شارعة في الطريق العظمى المسلوك فيها من رحبة باب اللوق الى قنطرة الدكة ويتوصل اليها السالك من عدة جهات وكانت هذه الرحبة قديما تقف بها الجمال باحمال التبن لتباع هناك ثم اختطت وعمرت وصارت بها سويقة كبيرة عامرة بأصناف المأكولات والخط انما يعرف برحبة التبن وقد خرب بعد سنة ست وثمانمائة * (رحبة الناصرية) هذه الرحبة كانت فيما بين الميدان السلطاني والبركة الناصرية أيام كانت تلك الخطة عامرة وكان يتفق في ليالي أيام ركوب السلطان الى الميدان في كل سنة من الاجتماع والانس ماستقف على بعض وصفه عند ذكر المتنزهات ان شاء الله تعالى وقد خربت الاماكن التي كانت هناك وجهلت هذه الرحبة إلا عند القليل من الناس * (رحبة ارغون ازكه) والعامة تقول رحبة ازكي بياء وهي رحبة كبيرة بالقرب من البركة الناصرية وهذه الرحبة وما حولها من جملة بستان الزهري الآتي ذكره ان شاء الله في الاحكار وعرفت بالامير ارغون ازكي

* (ذكر الدور) *

قال ابن سيده الدار المحل يجمع البناء والعرصة التي هي من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها والجمع أدور وأدؤر وديار وديارة وديارات وديران ودور ودورات والدارة لغة في الدار والدار البلد والبيت من الشعر مازاد على طريقة واحدة وهو مذكر يقع على الصغير والكبير وقد يقال للمبني من غير الابنية التي هي الاخبية بيت وجمع البيت أبيات

وأبايت وبيوت وبيوتات والبيت أخص من الدار فكل دار بيت ولا ينعكس ولم تكن العرب تعرف البيت الا الخباء ثم لما سكنوا القرى والامصار وبنوا بالمدر واللبن سموا منازلهم التي سكنوها دورا وبيوتا وكانت الفرس لاتبيح شريف البنيان كما لاتبيح شريف الاسماء الا لاهل البيوتات كصنيعهم في النواويس والحمامات والقباب الخضر والشرف على حيطان الدار وكالعقد على الدهليز * (دار الاحمدى) هذه الدار من جملة حارة بهاء الدين وبها مشترف عال فوق بدنة من بدنات سور القاهرة ينظر منه أرض الطبالة وخارج باب الفتوح وهي أحدى الدور الشهيرة عرفت بالامير بيبرس الاحمدى * (بيبرس الاحمدى) ركن الدين أمير جاندار تنقل في الخدم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الى أن صار أمير جاندار أحد المقدمين فلما مات الملك الناصر قوى عزم قوصون على اقامة الملك المنصور أبي بكر بعد أبيه وخالف بشتاك فلما نسب المنصور الى اللعب حضر الى باب القصر بقلعة الجبل وقال أى شئ هذا اللعب فلما ولى الناصر أحمد أخرجه لنيابة صفد فأقام بها مدة ثم أحس من الناصر أحمد بسوء فخرج من صفد بعسكره الى دمشق وليس بها نائب فهم الامراء بامساكه ثم أخروا ذلك وأرسلوا اليه الاقامة فقدم البريد من الغد بامساكه فكتب الامراء من دمشق الي السلطان يشفعون فيه فعاد الجواب بأنه لابد من القبض عليه ونهب ماله وقطع رأسه وارساله فأبوا من ذلك وخلعوا الطاعة وشقوا العصا جميعا فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من مصر بخلع الناصر أحمد واقامة الصالح اسماعيل في الملك بدله والاحمدى مقيم بقصر تنكز من دمشق فورد عليه مرسوم بنيابة طرابلس فتوجه اليها وأقام بها نحو الشهرين ثم طلب الى مصر فسار اليها وأخرج لمحاصرة أحمد بالكرك فحصره مدة ولم ينل منه شيأ ثم عاد الى القاهرة فأقام بها حتى مات فى يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة ست وأربعين وسبعمائة وله من العمر نحو الثمانين سنة وكان أحد الابطال الموصوفين بقوة النفس وشدة العزم ومحبة الفقراء وايثار الصالحين وله مماليك قد عرفوا بالشجاعة والنجدة وكان ممن يقتدى برأيه وتتبع آثاره لمعرفته بالايام والوقائع وما برحت ذريته بهذه الدار الى الآن وأظنها موقوفة عليهم * (دار قرا سنقر) هذه الدار برأس حارة بهاء الدين أنشأها الامير شمس الدين قرا سنقر وبها كان سكنه وهى احدى الدور الجليلة ووجد بها فى سنة أثنتي عشرة وسبعمائة لما احيط بها أثنان وثلاثون ألف ألف دينار ومائة ألف وخمسون ألف درهم فضة وسروج مذهبة وغير ذلك فحمل الجميع الى بيت المال ولم تزل جارية في اوقاف المدرسة القرا سنقرية الى أن اغتصبها الامير جمال الدين يوسف الاستادار فيما اغتصب من الاوقاف وجعلها وقفا على مدرسته التي أنشأها برحبة باب العيد فلما قتله الملك الناصر فرج ابن برقوق وارتجع جميع ماخلفه وصار في جملة الاموال السلطانية ثم أفرد من الاوقاف

التي جعلها جمال الدين على مدرسته شيأ وجعل باقيها لاولاده وعلى تربتـه التي انشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق بالصحراء تحت الجبل خارج باب النصر فلما قتل الملك الناصر فرج صارت هذه الدار بيد الامير طوغان الدوادار وكانوا كسارق من سارق وما من قتيل يقتل الا وعلى ابن آدم الاول كفل منه لانه أول من سن القتل * (دار البلقيني) هـذه الدار تجـاه مدرسة شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني من حارة بهاء الدين انشأها قاضي قضاة العساكر بدر الدين محمد بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الشافعي ومات في يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الآخر سـنة احدى وتسعين وسبعمائة ولم تكمل فاشتراها أخوه قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام وكملها وبها الآن سكنه وهي من أجل دور القاهرة صورة ومعنا وقد ذكرت الاخوين أباهما في كتابي المنعوت بدرر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة فانظر هناك أخبـارهم * (دار منكوتمر) هذه الدار بحارة بهاء الدين بجوار المدرسة المنكوتمرية انشأها الامير منكوتمر نائب السلطنة بجوار مدرسته الآتي ذكرها عند ذكر المدارس ان شاء الله تعالى وهي من الدور الجليلة وبها الى اليوم بعض ذريته وهي وقف * (دار المظفر) هذه الدار كانت بحارة برجوان انشأها أمير الجيوش بدر الجمالي الى أن مات فلما ولي الوزارة من بعده ابنه الافضل ابن أمير الجيوش وسكن دار القباب التي عرفت بدار الوزارة وقد تقدم ذكرها صار أخوه المظفر أبو محمد جعفر بن أمير الجيوش بهذه الدار فعرفت به وقيل لها دار المظفر وصارت من بعده دار الضيافة كما مر في هذا الكتاب وآخر ماأعرفه انها كانت ربعا وحماما وخرائب فسقط الربع بعد سنة سبعين وسبعمائة وكانت الحمام قد خربت قبل ذلك فلم تزل خرابا الى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة فشرع قاضي القضاة شمس الدين محمـد بن احمد بن أبي بكر الطرابلسي الحنفي في عمارتها فلما حفر أساس جداره القبـلي ظهر تحت الردم عتبة عظيمة من حجر صوان مانع يشبه أن يكون عتبة دار المظفر وكان الامير جهاركس الخليـلي اذ ذاك يتولى عمارة المدرسة التي انشأها الملك الظاهر برقوق بخط بين القصرين فبعث بالرجال لهذه العتبة وتكاثروا على جرها الى العمارة فجعلها في المزملة التي تشرب منها الناس المـاء بدهليز المدرسة الظاهرية وكمل قاضي القضاة شمس الدين بناء داره حيث كانت دار المظفر فجاءت من إحسن دور القـاهرة وتحول اليها بأهله وما زال فيها حتى مات بها وهو متقلد وظيفة قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية في ليـلة السبت الثامن عشر من ذى الحجة سنة تسع وتسعين وسبعمائة وله من العمر سبعون سنة وأشهر ومولده بطرابلس الشام وأخـذ الفقه على مذهب أبي حنيفة رحمه الله عن جماعة من أهل طرابلس ثم خرج منها الى دمشق فقرأ على صدر الدين محمـد بن منصور الحنفي ووصل الى القاهرة وقاضي الحنفية بها قاضي

القضاة جمال الدين عبد الله التركماني فلازمه وولاه العقود وأجلسه ببعض حوانيت الشهود فتكسب ممن تحمل الشهادة مدة وقرأ على قاضي القضاة سراج الهدى ولازمه فولاه نيابة القضاء بالشارع فباشرها مباشرة مشكورة وأجازه العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي بالافتاء والتدريس فلما مات صدر الدين بن منصور قلده الملك الظاهر برقوق قضاء القضاة مكانه في يوم الاثنين ثاني عشري شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وسبعمائة فباشر القضاء بعفة وصيانة وقوة في الاحكام لها النهاية ومهابة وحرمة وصولة تذعن لها الخاصة والعامة الي أن صرف في سابع عشر رمضان سنة احدي وتسعين وسبعمائة بشيخنا قاضي القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم التركماني فلم يزل الى أن عزل مجد الدين وولي من بعده قاضي القضاة وناظر الجيوش جمال الدين محمود القيصري وهو ملازم داره وما بيده من التدريس وهو على حال حسنة وتجلد من الكافة الى أن استدعاه السلطان في يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الاول سنة تسع وتسعين وسبعمائة فقلده وظيفة القضاء عوضا عن محمود القيصري فلم يزل حتي مات من عامه رحمه الله تعالى وهذه الدار على يسرة من سلك من باب حارة برجوان طالبا المسجد المسمى بجعفر وأما الحمام فانها في مكانها اليوم ساحة بجوار دار قاضي القضاة شمس الدين ومن جملة حقوق دار المظفر رحبة الافيال وحدرة الزاهدى الى الدار المعروفة بسكنى قريباً من حمام الرومى * (دار ابن عبد العزيز) هذه الدار بحارة برجوان على يمنة من سلك من باب الحارة طالبا حمام الرومى هي أيضاً من جملة دار المظفر كانت طاحونا ثم خربت فابتدأ عمارتها فخر الدين أبو جعفر محمد بن عبد اللطيف ابن الكويك ناظر الاحباس ومات ولم تكمل فصارت لامرأته وابنة عمه خديجة فماتت في رجب سنة اثنتين وستين وسبعمائة وقد تزوجت من بعده بالقاضي الرئيس بدر الدين حسن ابن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبي طالب بن علي بن عبد الله بن سيدهم النجمي السيراوني فانتقلت اليه ومات في سنة أربع وسبعين وسبعمائة في العشرين من جمادى الاولى وورثه من بعد موته كريم الدين ابن أخيه وهو عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبي طالب بن علي بن عبد الله بن سيدهم ومات آخر ربيع الاول سنة سبع وثمانمائة عن سبعين سنة وولي نظر الجيوش بديار مصر للظاهر برقوق فباعها لقريبه شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد العزيز وكملها وسكنها مدة طويلة الى أن باعها في سنة خمس وتسعين وسبعمائة بألفي دينار ذهباً لخوند فاطمة ابنة الامير منجك فوقفتها على عتقائها وهي الى اليوم بيدهم وتعرف ببيت ابن عبد العزيز المذكور لطول سكنه بها وكان خبيراً عارفا يلي كتابة ديوان الجيش وعدة مباشرات ومات ليلة الثاني عشر من صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة * (دار الجقدار) هذه الدار على يسرة من سلك من باب حارة برجوان

تحت القبو طالباً حمام الرومى عرفت بالامير علم الدين سنجر الجمقدار من الامراء البرجية وقدمه الملك الناصر محمد تقدمة ألف بعد مجيئه من الكرك الى مصر ثم أخرجه الى الشام فأقام بها الى أن حضر قطلوبغا الفخرى في نوبه أحمد بالكرك فحضر معهم واستقر من الامراء بالديار المصرية الى أن مات يوم الجمعة تاسع رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة وقد كبر وارتعش وكان روميا ألثغ ثم صار لخالد بن الزراد المقدم فلما قبض عليه ومات في ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة تحت المقارع ارتجعت عنه لديوان السلطان حسن فصارت في يد ورثته الى أن باع بعض أولاده اسهما منها فاشتراها الامير سودون الشيخونى نائب السلطنة ثم تنقلت وبعضها وقف بيد أولاد السلطان حسن بن محمد بن قلاوون الى أن ملك ماتملك منها بالشراء قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى الكركي وسكنها الى أن سافر فصارت من بعده لورثته فباعوها للشيخ زين الدين أبى بكر القمنى وهى بيده الآن * (دار أقوش) الرومى بحارة برجوان هذه الدار من أجل دور القاهرة وبابها من نحاس بديع الصنعة يشبه باب المارستان المنصورى وكان تجاهها اصطبل كبير يعلوه ربع فيه عدة مساكن عرفت بالامير جمال الدين أقوش الرومى السلاح دار الناصرى وتوفي سنة سبع وسبعمائة وهى مما وقفه على تربته بالقرافة وقد خرب اصطبلها وعلوه وبيع نقض ذلك وتداعت الدار أيضا للسقوط فبيعت انقاضا وصارت من جملة الاملاك * (دار بنت السعيدى) هذه الدار بحارة برجوان عرفت بقاعة حنيفة بنت السعيدى الى أن اشتراها شهاب الدين أحمد بن طوغان دوادار الامير سودون الشيخونى نائب السلطان في سنة تسع وتسعين وسبعمائة فأخذ عدة مساكن مما حولها وهدمها وصيرها ساحة بها فصارت من أعظم الدور اتساعا وزخرفة وفيها آبار سبعة معينة وفسقية ينقل اليها الماء بساقية على فوهة بئر وما زال صاحبها شهاب الدين فيها الى أن سافر الى الاسكندرية في محرم سنة ثمان وثمانمائة فمات رحمه الله وانتقلت من بعده لغير واحد بالبيع * (دار الحاجب) هذه الدار فيما بين الخرشتف وحارة برجوان كان مكانها من جملة الميدان وكان يسلك من حارة برجوان في طريق شارعه الى باب الكافورى فلما عمر الامير بكتمر هذه الدار جعل اصطبلها حيث كانت الطريق وركب بابا بخوخة مما يلى حارة برجوان واشترط عليه الناس ان لايمنع المارة من سلوك هذا المكان فوفي بما اشترط وما برح الناس يمرون من هذا الطريق في وسط الاصطبل على باب داره سالكين من حارة برجوان الى الكافورى والخرشتف ومنها الى حارة برجوان وأنا سلكت من هذه الطريق غير مرة وكان يقال لها خوخة الحاجب ثم لما طال الامد وذهبت المشيخة نسيت هذه الطريق وقفل الباب وانقطع سلوك الناس منه وصارت تلك الطريق من جملة حقوق الدار وما برحت هذه الدار ينصب على بابها الطوارق

دائما كما كانت عادة دور الامراء في الزمن القديم فلما تغيرت الرسوم وبطل ذلك قلعت الطوارق من جانبي الباب وأعلى اسكفته وباب هذه الدار تجاه باب الكافورى وعرفت بالامير سيف الدين بكتمر الحاجب صاحب الدار خارج باب النصر والمدرسة بجواره ثم حل وقفها سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وبيعت كما بيع غيرها من الاوقاف وهناك ترى ترجمته * (دار تنكز) هذه الدار بخط الكافورى كانت للامير ايبك البغدادى وهى من أجل دور القاهرة وأعظمها أنشأها الامير تنكز نائب الشام وأظنه أوقفها فى جملة ماأوقف وكان بها ولده وسكنها قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن جماعة فأنفق في زخرفتها على ما أشيع سبعة عشر ألف درهم عنها يومئذ ماينيف عن سبعمائة دينار مصرية ولم تزل هذه الدار وقفا الى ان بيعت على انها ملك في سنة احدى وعشرين وثمانمائة بدون ألف دينار لزين الدين عبد الباسط بن خليل فجدد بناءها وبني تجاهها جامعه * (تنكز الاشرفى) سيف الدين أبو سعيد خليل جلبه الى مصر وهو صغير الخواجا علاء الدين السوسى فنشأ بها عند الملك الاشرف خليل بن قلاوون فلما ملك السلطان الناصر محمد بن قلاوون امره امرة عشرة قبل توجهه الى الكرك وسافر معه الى الكرك وترسل عنه منها الى الافرم فاتهمه ان معه كتباً الى الامراء بالشام وعرض عليه العقوبة فارجف منه وعاد الى الناصر فقال له ان عدت الى الملك فانت نائب دمشق فلما عاد الى الملك جهزه الى دمشق فوصلها في العشرين من ربيع الآخر سنة اثني عشرة وسبعمائة فباشر النيابة وتمكن فيها وسار بالعساكر الى ملطية وافتتحها في محرم سنة خمس عشرة وعظم شأنه وأمن الرعايا حتي لم يكن أحد من الامراء يظلم ذميا فضلا عن مسلم خوفامن بطشه وشدة عقوبته وكان السلطان لايفعل شيئاً بمصر الا ويشاوره فيه وهو بالشام وقدم غير مرة على السلطان فاكرمه وأجله بحيث انه أنعم عليه في قدومه الى مصر سنة ثلاث وثلاثين بما مبلغه ألف ألف درهم وخمسون ألف درهم عنها خمسون ألف دينار ونيف سوي الخيل وزادت أملاكه وسعادته وانشأ جامعا بدمشق بديع الوصف بهج الزي وعدة مواضع وكان الناس في أيامه قد أمنوا كل سوء الا انه كان يتخيل خيالا فيحتد خلقه ويشتد غضبه فهلك بذلك كثير من الناس ولا يقدر أحد أن يوضح له الصواب لشدة هيبته وكان اذا غضب لايرضى ألبتة بوجه واذا بطش كان بطشه بطش الجبارين ويكون الذنب صغيراً فلا يزال يكبره حتي يخرج في عقوبة فاعله عن الحد ولم يزل الى أن أشيع بدمشق انه يريد العبور الى بلاد الططر فبلغ ذلك السلطان فتنكر له وجهز اليه من قبض عليه في ثالث عشرى ذي الحجة سنة أربعين وأحيط بماله وقدم الامير بشتاك الى دمشق لقبضه وخرج الى مصر ومعه من مال تنكز وهو من الذهب العين ثلاثمائة ألف وستة وثلاثون ألف دينار ومن الدراهم الفضة ألف ألف وخمسمائة

ألف درهم ومن الجوهر واللؤلؤ والزركش والقماش ثمانمائة حمل ثم استخرج بعد ذلك من بقايا أمواله أربعون ألف دينار وألف ألف ومائة ألف درهم فلما وصل تنكز الى قلعة الجبل جهز الى الاسكندرية واعتقل فيها نحو الشهر وقتل في محبسه ودفن بها في يوم الثلاثاء حادى عشرى المحرم سنة احدى وأربعين وسبعمائة ومن الغريب انه أمسك يوم الثلاثاء ودخل مصر يوم الثلاثاء ودخل الاسكندرية يوم الثلاثاء وقتل يوم الثلاثاء ثم نقل الى دمشق فدفن بتربته جوار جامعه ليلة الخامس من رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة بعد ثلاث سنين ونصف بشفاعة ابنته * (دار أمير مسعود) هذه الدار بآخر خط الكافورى عرفت بالامير بدر الدين مسعود بن خطير الرومى أحد الامراء بمصر أخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون في ذى الحجة سنة أربعين وسبعمائة الى نيابة غزة ثم نقل منها الى امرة دمشق وولى نيابة طرابلس ثم أعيد الى دمشق وأصله من أتباع الامير تنكز فشكره عند الملك الناصر وقدمه حتى صار أميرا حاجباً فلما قتل تنكز أخرجه لنيابة غزة وتنقل في نيابة طرابلس ثلاث مرات الى أن استعفى من النيابة فأنعم عليه بامرة في دمشق وعلى ولديه بامرة طبلخاناه وما زال مقيما بها حتى مات في سابع شوال سنة أربع وخمسين وسبعمائة بدمشق ومولده بها ليلة السبت سابع جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وستمائة * (دار نائب الكرك) هذه الدار فيما بين خط الخرشتف وخط باب سر المارستان المنصوري وهى من جملة أرض الميدان عرفت بالامير اقوش الاشرفي المعروف بنائب الكرك صاحب الجامع * (اقوش الاشرفي) * جمال الدين ولاه الملك الناصر محمد بن قلاون نيابة دمشق بعد مجيئه من الكرك وعزله تنكز بعد قليل واعتقله الى شهر رجب سنة خمس عشرة وسبعمائة ثم افرج عنه وجعله رأس الميمنة وصار يقوم له اذا قدم مميزا له عن غيره من الامراء وكان لايلبس مصقولا ويمشى من داره هذه الى الحمام وهو حامل المئزر والطاسة وحده فيدخل الحمام ويخرج عرياناً فاتفق مرة ان رجلا رآه فعرفه وأخذ الحجر وحك رجله وغسله وهو لايكلمه كلمة واحدة فلما خرج وصار الى داره طلب الرجل وضربه وقال له أنا مالى مملوك ماعندى غلام مالى طاسة حتى تتجرأ على أنت وكان يتوجه الى معبد له في الجبل الاحمر وينفرد فيه وحده اليومين والثلاثة ويدخل منه الى القاهرة وهو ماش وذيله على كتفه حتى يصل الى داره وباشر نظر المارستان المنصورى مباشرة جيدة ثم أخرجه السلطان الى نيابة طرابلس فى أول سنة أربع وثلاثين وسبعمائة فأقام بها ثم طلب الاقالة فأعفى وقبض عليه واعتقل بقلعة دمشق ثم نقل منها الى صفد فحبس بها في برج ثم أخرج منها الى الاسكندرية فمات بها معتقلا في سنة ست وثلاثين وسبعمائة وكان عسوفا جبارا في بطشه مات عدة من الناس تحت الضرب قدامه وكان كريماً سمحا الى الغاية وعرف بنائب الكرك

لأنه أقام في نيابتها من سنة تسعين وستمائة الى سنة تسع وسبعمائة * (دار ابن صغير) هذه الدار من جملة الميدان وهى اليوم من خط باب سر المارستان المنصورى أنشأها علاء الدين على بن نجم الدين عبد الواحد بن شرف الدين محمد بن صغير رئيس الأطباء ومات بحلب عند ماتوجه اليها فى خدمة الملك الظاهر برقوق فى يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة ودفن بها ثم نقلته ابنته الى القاهرة ودفنته بظاهرها * (داربيبرس الحاجب) هذه الدار بخط حارة العدوية وهى الآن من خط باب سر المارستان عرفت بالامير بيبرس الحاجب صاحب غيط الحاجب فيما بين جسر بركة الرطلى والجرف * (بيبرس الحاجب) * الامير ركن الدين ترقى فى الخدم الى أن صار أميرا خور فلما حضر الملك الناصر من الكرك عزله بالامير ايد غمش وعمله حاجباً وناب فى الغيبة عن الامير تنكز بدمشق لما حج ثم تجرد الى اليمن وعاد فتنكر عليه السلطان وحبسه فى ذى القعدة سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأفرج عنه في رجب سنة خمس وثلاثين وجهزه من الاسكندرية الى حلب فصار بها أميراً من أمرائها ثم تنقل منها الى أمرة بدمشق بعد عزل تنكز فلم يزل بها الى أن توجه الفخرى وطشتمر الى مصر فأقره على نيابة الغيبة بدمشق وكان قد أسن ومات فى شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وادركنا له حفيدا يعرف بعلاء الدين أمير على بن شهاب الدين أحمد بن بيبرس الحاجب قرأ القراآت السبع على والده وكان حسن الاداء للقراءة مشهوراً بالعلاج يعالج بمائة وعشرة أرطال مات وهو ساح فى سابع ربيع الآخر سنة احدى وثمانمائة * (دار عباس) هذه الدار كانت فى درب شمس الدولة عرفت بالوزير عباس بن يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس أصله من المغرب وترقى فى الخدم حتى ولى الغربية ولقب بالامير ركن الاسلام وكانت أمه تحت الامير المظفر على بن السلار والى البحيراء والاسكندرية فلما رحل على بن السلار الى القاهرة وأزال الوزير نجم الدين سليمان بن مصال من الوزارة واستقر مكانه في وزارة الخليفة الظافر بأمر الله وتلقب بالعادل قدمه لمحاربة بن مصال فلم ينل غرضاً فخرج اليه عباس حتى ظفر به وولى ناصر الدين نصير بن عباس ولاية مصر بشفاعة جدته أم عباس فاختص به الخليفة الظافر واشتغل به عمن سواه وكان جريا مقداما فخرج اليه أبو عباس بالعسكر لحفظ عسقلان من الفرنج ومعه من الامراء ملهم والضرغام وأسامة بن منقذ وكان أسامة خصيصاً بعباس فلما نزلوا بلبيس تذاكر عباس وأسامة مصر وطيبها وماهم خارجون اليه من مقاساة السفر ولقاء العدو فتأوه عباس أسفاً على مفارقة لذاته بمصر وأخذ يثرب على العادل بن السلار فقال له أسامة لو أردت كنت انت سلطان مصر فقال كيف لى بذلك قال هذا ولدك ناصر الدين بينه وبين الخليفة مودة عظيمة فخاطبه على لسانه أن تكون سلطان مصر موضع زوج أمك فانه يحبك

ويكرهه فاذا أجابك فاقتله وصر فى منزلته فاعجب عباس ذلك وجهز ابنه لتقرير ماأشار به أسامة فسار الى القاهرة ودخلها على حين غفلة من العادل واجتمع بالخليفة وفاوضه فيما تقرر فأجابه اليه ونزل الى دار جدته وكان من قتله للعادل على بن سلار ما كان فماج الناس وسرح الطائر من القصر الى عباس وهو على بلبيس فى الانتظار فقام من فوره ودخل القاهرة سحر يوم الاحد ثانى عشر المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فوجد عدة من الاتراك قد نفروا وخرجوا يداً واحدة الى الشام فصار الى القصر وخلع عليه خلع الوزارة فباشر الامور وضبط الاحوال وأكرم الامراء وأحسن الى الاجناد وازدادت مخالطة ولده للخليفة فخاف أن يقتله كما قتل ابن السلار فما زال به حتى قتل الخليفة الظافر كما تقدم ذكره وصار الى القصر على العادة فلما جلس فى مقطع الوزارة سأل الاجتماع على الخليفة فدخل الزمام الى دور الحرم فلم يجد الخليفة فلما عاد اليه أحضر أخوى الظافر واتهمهما بقتله وقتلهما قدامه واستدعى بولد الظافر عيسى ولقبه بالفائز بنصر الله وكثرت النياحة على الظافر وبحث أهل القصر على كيفية قتله فكتبوا الى طلائع بن رزيك وهو والى الاشمونين يستدعونه لحشد وسار فاضطرب عباس وكثرت مناكدة أهل القاهرة له حتى انه مر يوما فرمي من طاقة تشرف على شارع بقدر مملوء طعاما حارا فعول على الفرار وخرج ومعه ابنه وأسامة ابن منقذ وجميع مالهم من اتباع ومال وسلاح ودخل طلائع الى القاهرة واستقر في وزارة الخليفة الفائز فسير أهل القصر الى الفرنج البريد بطلب عباس فخرجوا اليه وكانت بينهم وبينه وقعة فر فيها أسامة في جماعة الى الشام فظفر به الفرنج وقتلوه وأخذوا ابنه فى قفص من حديد وجهزوه الى القاهرة وذلك في شهر ربيع الاول سنة تسع وأربعين وخمسمائة فلما وصل ابنه الى القصر قتل وصلب على باب زويلة وأحرق بعد ذلك ثم عرفت هذه الدار بعد ذلك بدار تقي الدين صاحب حماه ثم خربت وحكر مكانها فصار يعرف بحكر صاحب حماه وبني فيه عدة دور وموضعها الآن بداخل درب شمس الدولة بالقرب من حمام عباس التي تعرف اليوم بحمام الكويك * (دار ابن فضل الله) هذه الدار فيما بين حارة زويلة والبندقانيين كان موضعها من جملة اصطبل الجميزة عرفت بابن فضل الله * وبنو فضل الله جماعة أولهم بمصر * (شرف الدين) عبد الوهاب بن الصاحب جمال الدين أبي المآثر فضل الله ابن الامير عز الدين الحلي بن دعجان العمري ولي كتابة السر للملك الناصر محمد بن قلاون ثم صرف عنها وولاه كتابة السر بدمشق فلم يزل بها حتى مات في ثالث شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة وقد عمر وبلغ أربعاً وتسعين سنة وخلف أموالا جمة ورثاه الشهاب محمود وقد ولي بعده وارثاه علاء الدين على بن غانم والجمال ابن نباتة وكان فاضلا بارعاً أديبا عاقلا وقورا ناهضا ثقة أميناً مشكورا مليح الخط جيد الانشاء حدث عن الشيخ

عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام وغيره ومنهم (محي الدين) يحيى بن الصاحب جمال الدين أبي المآثر فضل الله بن مجلي بن دعجان بن خلف بن نصر بن منصور بن عبد الله ابن علي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العمري ولي كتابة السر بالديار المصرية عن الملك الناصر نقل اليها من كتابة سر دمشق لما مرض علاء الدين باستدعائه الى مصر وأقيم بدله في كتابة سر دمشق شرف الدين أبو بكر ابن الشهاب محمود وكان استقراره في محرم سنة ثلاثين وسبعمائة فباشرها الى ثاني عشر شعبان سنة ثنتين وثلاثين ونقل منها الى كتابة السر بدمشق وطلب شرف الدين ابن الشهاب محمود فاستقر في كتابة السر بمصر الى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وطلب محي الدين من دمشق هو وابنه شهاب الدين أحمد فوصلا الى القاهرة غرة جمادى الاولى وخلع عليهما ورسم لهما بكتابة السر ونقل ابن الشهاب محمود الى كتابة السر بدمشق فلم يزل محي الدين يباشر كتابة السر هو وابنه الى أن كان من تنكز السلطان لولده شهاب الدين ما كان وذلك انه كان استعفى من الوظيفة لثقل سمعه وكبر سنه فأذن له أن يقيم ابنه القاضي شهاب الدين يباشر عنه فصار الاسم لمحي الدين والمباشر ابنه شهاب الدين الى أن حضر الامير تنكز نائب الشام الى القلعة وسأل السلطان في علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد ابن مفضل المعروف بابن القطب أن يوليه كتابة السر بدمشق وكان السلطان لايمنع تنكز شيأ يسأله فخلع عليه وأقره في ذلك عوضاً عن جمال الدين عبد الله ابن الاثير فأخذ شهاب الدين ينقصه عند السلطان بأنه نصراني الاصل وليس من أهل صناعة الانشاء ونحو ذلك والسلطان مغض عنه غير ملتفت الى ما يرمي به رعاية لتنكز فلما كتب توقيع ابن القطب أراد تكثير الالقاب والزيادة له في المعلوم فامتنع شهاب الدين من كتابة ذلك وكان حاد المزاج قوي النفس شرس الاخلاق ففاجأ السلطان بغلظة ومخاشنة في القول وكان من كلامه كيف تعمل قبطيا أسلميا كاتب السر وتزيد في معلومه وبالغ في الجراءة حتى قال مايفلح من يخدمك وخدمتك على حرام ونهض قائماً لشدة حنقه وكان هذا منه بحضرة الامراء فغضبوا لذلك وهموا بضرب عنقه فأغضى السلطان عنه وبلغ محي الدين ما كان من ابنه فبادر الى السلطان وقبل الارض واعترف بخطأ ابنه واعتذر عن تأخره بثقل سمعه فرسم له أن يكون ابنه علاء الدين علي يدخل ويقرأ البريد فاعتذر بأنه صغير لايقوم بالوظيفة فقال السلطان أنا أربيه مثل ما أعرف فصار يخلف أباه كما كان شهاب الدين وانقطع شهاب الدين في منزله مدة سنين الى أن مات أبوه محي الدين في يوم الاربعاء تاسع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة عن ثلاث وتسعين سنة وهو متمتع بحواسه فدفن ظاهر القاهرة ثم نقل الى تربتهم من سفح قاسيون بدمشق وكان صدرا معظما رزينا كامل السود دحركا كاتبا

بارعا دبر الاقاليم بكفايته وحسن سياسته ووفور عقله وأمانته وشدة تحرزه وله النظم والنثر البديع الرايق فمن شعره

تضاحكني ليلى فأحسب ثغرها * سنا البرق لكن أين منه سنا البرق

وأخفت نجوم الصبح حين تبسمت * فقمت بفرعيها أشد على الشرق

وقلت سواء جنح ليل وشعرها * ولم أدر أن الصبح من جهة الفرق

* (علاء الدين) * على بن يحيى بن فضل الله العمرى استقل بوظيفة كتابة السر قبل موت ابيه محي الدين وخلع عليه يوم الاثنين رابع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وله من العمر أربع وعشرون سنة فخرج وفي خدمته الحاجب والدوادار وتقدم أمر السلطان للموقعين بامتثال ما يأمرهم به عن السلطان فشق ذلك على أخيه شهاب الدين وحسده وربما قيل انه سمه فكان يعتريه دم منه الى أن مات ثم انه كتب قصة يسأل فيها السفر الى الشام وشكا كثرة الكلفة وكان قبل ذلك جرى ذكره في مجلس السلطان فذمه وتهدده فعند ماقرئت عليه قصته تحرك ما كان ساكنا من غضبه ورسم بايقاع الحوطة عليه فحمل من داره الى قاعة الصاحب من قلعة الجبل في رابع عشرى شعبان سنة تسع وثلاثين وخرج اليه الامير طاجار الدوادار وأمر به فعرى من ثيابه ليضرب بالمقارع فرفق به ولم يضربه واستكتبه خطه بحمل عشرة آلاف فأحيط بداره وأخرج سائر ماوجد له وبيع عليه وأرسل مملوكه الى بلاد الشام فباع كل ماله فيها واقترض خمسين الف درهم حتي حمل من ذلك كله مائة وأربعين الف درهم عنها سبعة آلاف دينار فسكن أمره وخف الطلب عنه وأقام الى ثالث عشر ربيع الآخر سنة أربعين مدة سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً ففرج الله عنه بأمر عجيب وهو أنه لما كان يباشر عن أبيه وقع شخص من الكتاب بشئ زور فرسم السلطان بقطع يده فلم يزل شهاب الدين يتلطف في أمره حتي عفا السلطان عنه من قطع يده وأمر به فسجن طول هذه السنين الى أن قدر الله سبحانه انه رفع قصة يسأل فيها العفو عنه فلما قرئت على السلطان لم يعرفه فسأل عن خبره وشأنه فقيل له لايعرف خبر هذا الا شهاب الدين بن فضل الله فبعث اليه بقاعة الصاحب يستخبره عنه فطالعه بقصته وما كان منه فألان الله له قلب السلطان ورسم بالافراج عن الرجل وعن شهاب الدين وعن مملوكه ففرج الله عن الثلاثة ونزل شهاب الدين الى داره وأقام الى أن قبض السلطان على الامير تنكز نائب الشام فاستدعى شهاب الدين الى حضرته وحلفه وولاه كتابة السر بدمشق عوضاً عن شرف الدين خالد بن عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن خالد بن نصر المخزومي المعروف بابن القيسراني فباشرها حتي مات بدمشق وانفرد أخوه علاء الدين بكتابة السر الى أن مات ليلة الجمعة التاسع والعشرين

من شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة بمنزله من القاهرة عن سبع وخمسين سنة وترك ستة بنين وأربع بنات * (بدر الدين) محمـد بن علي بن يحيي بن فضل الله ولاه الملك الاشرف شعبان بن حسين كتابة السر وأبوه في مرض موته يوم الخميس ثامن عشري شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة وله من العمر تسع عشرة سنة وجعل أخاه عز الدين حمزة نائبا عنه فبـاشر الى شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة فصرف بأوحـد الدين عبد الواحد بن اسماعيل بن يس ولزم داره فلم يره أحد ألبتة الى أن مات أوحد الدين فنزل اليه الامير يونس الدوادار واستدعاه فركب بثياب جلوسه من غير خف ولافرجية ولاشاش وصعد الى القلعة فخلع عليه في اليوم الرابع من ذى الحجة سنة ست وثمانين فلماثار الامير يلبغا الناصري على الملك الظاهر وخلعه من الملك وأقام الملك الصـالح حاجي بن الاشرف شعبان بن حسين ولقبه بالملك المنصور ثم خرج الملك الظاهر برقوق من محبسه بالكرك وسار الى محاربة الامير تمربغا منطاش ومعه المنصور حاجى فخرج ابن فضل الله فلما انهزم منطاش على شقحب واستولى برقوق على المنصور والخليفة والقضاة والخزائن وكان ابن فضل الله وأخوه عز الدين فى من فرّ مع منطاش الى دمشق فأقام بها واسـتولى برقوق على تخت الملك بقلعة الجبل فولى علاء الدين عليّ بن عيسى الـكركي كتابة السر وأخـذ ابن فضل الله يتحيل في الخروج من دمشق وسير الى السلطان مطالعة فيها من شعره

يقبل الارض عبد بعد خدمتكم * قد مسه ضرر مامثـله ضرر
حصر وحبس وترسـيم أقام به * وفرقة الاهل والاولاد والفـكر
لـكنه والوري مستبشرون بكم * يرجو بكم فرجا يأتى وينتظـر
والشغل يقضى لان الناس قد ندموا * اذ عاينوا الجور من منطاش ينتشر
جوزوا كمافرطوا فى حقكم ورأوا * ظلما عظيما به الا كبـاد تنفطر
والله ان جاءهم من بابكم أحـد * قاموا لـكم معه بالروح وانتصروا
الله ينصركم طـول المـدا أبدا * ياءمن زمانهم من دهرنا غـرر

قدم الى القاهرة ومعه أخوه عز الدين حمزة وجمال الدين محمود القيصرى ناظر الجيش وتاج الدين عبد الرحيم بن أبي شاكر وشمس الدين محمد بن الصاحب فمـا زال في داره الى أن سافر الملك الظاهر الى بلاد الشام في سنة ثلاث وتسعين فتقدم أمره اليه بالمسير مع العسكر فسار بطالا وقدر الله تعالى ضعف علاء الدين الـكركي فولاه كتابة السر وصرف الـكركي في شوال وكانت هذه ولاية ثالثة فباشر وتمكن هذه المرة من سلطانه تمكنا زائدا الى أن سافر السلطان الى البلاد الشـامية في سنة ست وتسعين فمـات بدمشق يوم الثلاثاء لعشرين من شوال سنة ست وتسعين وسبعمائة ودفن بتربتهم بسفح قاسـيون ومات أخوه

حمزة بدمشق أيضاً في أوائل المحرم سنة سبع وتسعين وسبعمائة ودفن بها وانقطع بموتهما هذا البيت فلم يبق من بعدهما الا كما قال الله سبحانه فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * ومن شعر البدر محمد بن فضل الله ما كتبه عنواناً لكتاب الملك الظاهر برقوق جوابا عن كتاب تمرلنك الوارد الى مصر في سنة ست وتسعين وسبعمائة وعنوانه

سلام واهداء السلام من البعد * دليل على حفظ المودة والعهد

فافتتح البدر العنوان بقوله

طويل حياة المرء كاليوم فى العد * تخبرنه أن لايزيد على العد
فلا بد من نقص لكل زيادة * لان شديد البطش يقتص للعبد

وكتب فيه من شعره أيضاً جواباً عن كثرة تهديد تمرلنك وافتخاره

السيف والرمح والنشاب قدعلمت * منا الحروب فسل منها تلبيكا
اذا التقينا تجد هذا مشاهدة * في الحرب فاثبت فأمر الله آتيكا
بخدمة الحرمين الله شرفنا * فضلا وماسكنا الامصار تمليكا
وبالجيل وحلو النصر عودنا * خذ التواريخ واقرأها فتنبيكا
والانبياء لنا الركن الشديد وكم * بجاههم من عدو راح مفكوكا
ومن يكن ربه الفتاح ناصره * ممن يخاف وهذا القول يكفيكا

(وقال)

اذا المرء لم يعرف قبيح خطيئة * ولا الذنب منه مع عظيم بليته
فذلك عين الجهل منه مع الخطا * وسوف يرى عقباه عند منيته
وليس يجازى المرء الا بفعله * وما يرجع الصياد الا بنيته

وهذه الدار كانت موجودة قبل بنى فضل الله وتعرف بدار بيبرس فعمر فيها محيي الدين وابنه علاء الدين وكانت من أبهج دور القاهرة وأعظمها وما زالت بيد أولاد بدر الدين وأخيه عز الدين حمزة الى أن تغلب الامير جمال الدين على أموال الخلق فأخذ ابن أخيه الامير شهاب الدين أحمد الحاجب المعروف بسيدي أحمد ابن أخت جمال الدين دار بنى فضل الله منهم كما أخذ خاله دور الناس وأوقافهم وعوض أولاد ابن فضل الله عنها وغير كثيرا من معالمها وشرع في الازدياد من العمارة اقتداء بخاله فأخذ دورا كانت بجوار مستوقد حسام ابن عبود المقابلة لدار ابن فضل الله واغتصب لها الرخام والاحجار والاخشاب وهدم عدة دور وكثيرا من الترب بالقرافة منها تربة الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكانت عجيبة البناء وأدخل ذلك في عمارته المذكورة ووسع فيها من جهة البندقانيين ما كان خرابا منذ

الحريق الذى تقدم ذكره وأنشأ من هناك حوض ماء يشرب منه الدواب فلما قارب ا كمالها قبض الملك الناصر فرج على خاله جمال الدين يوسف استادار وقتله وكان أحمد هـذا ممن قبض عليه معه فوضع الامير تغرى بردى وهو يومئذ أجل أمراء الناصر يده على هذه الدار وما رضى بأخذها حتى طلب كتابها فاذا به قد تضمن أن احمد قد وقف هذه الدار فلم يزل بقضاة العصر حتى حكموا له بهذه الدار وجعلوها له بطريق من طرقهم فأقام فيها حتى أخرجه الناصر لنيابة دمشق في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة فنزل بها الامير دمرداش فلما قتل الناصر وقام من بعده الملك المؤيد شيخ وقبض على الامير دمرداش ثارت ابنة جمال الدين وهي امرأة أحمد المذكور ولها منه أولاد وأرادت استرجاع الدار كما فعلت في مدرسة أبيها وكان لها ولورثة تغري بردي مخاصمات واستقرت لبنى تغرى بردى * (دار بيبرس) هذه الدار فيما بين دار ابن فضل الله والسبع قاعات فى ظهر حارة زويلة وقريبة من سويقة المسعودى تشبه أن تكون من جملة اصطبل الجميزة كانت دار الشريف بن تغلب صاحب المدرسة الشريفية برأس حارة الجودرية ثم عرفت بالامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فانه كان يسكنها وهو أمير قبـل أن يلي السلطنة وجدد رخامها من الرخام الذى دل عليـه الامير ناصر الدين محمد بن الامير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح بالقصر الذى عرف بقصر أمير سلاح من جملة قصر الخلفاء كما سيأتى خبر ذلك عند ذكر الخانقاة الركنية بيبرس فان بيبرس هذا هو الذى أنشأها ولم تزل الى أن هدمها ناصر الدين محمـد بن البـارزى الحموي كاتب السر بعد مااشتراها نقضاً كما اشترى غيرها من الاوقاف وذلك في سنة احدى وعشرين وثمانمائة * (السبع قاعات) هذه الدار عرفت بالسبع قاعات وهي يتوصل اليها من جوار دار بيبرس المذكورة ومن سويقة الصاحب وقد صارت عدة مساكن جليلة ومكانها من جملة اصطبل الجميزة أنشأها الوزير الصاحب علم الدين بن زنبور ووقفها من جملة ماوقف فلما قبض عليه الامير صرغتمش حل أوقافه ووعد بالسبع قاعات خوند قطلوبك ابنة الامير تنكز الحسامى نائب الشام أم السلطان الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون ولقنه الشريفان شرف الدين على بن حسين بن محمد نقيب الاشراف وأبو العبـاس الصفراوي أن الناصر لما قبض على كريم الدين الكبير بعث الى كريم الدين من شهد عليه أن جميع ماصار بيده من الاملاك وقفها وطلقها انما هو من مال السلطان دون ماله وشهد بذلك عند قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فأثبت بهذه الشهادة أن أملاك كريم الدين جارية في أملاك السلطان فأقر السلطان ماوقفه كريم الدين منها على حاله وسماه الوقف الناصرى فلما جلس السلطان الملك الصالح بدار العدل وحضر قاضى القضاة والامراء وغيرهم من أهـل الدولة على العادة تكلم الامير صرغتمش مع قاضى القضاة عز الدين عبـد العزيز بن بدر الدين

محمد بن جماعة في حل أوقاف ابن زنبور فانها ملك السلطان ومن ماله اشتراها وذكر قضية كريم الدين فأجابه بأن تلك القضية كانت صحتها مشهورة وذلك أن خزائن السلطان وحواصله وأمواله كلها كانت بيد كريم الدين وفي داره يتصرف فيها على مايختاره جعل له السلطان بتوكيله والاذن له في التصرف بخلاف ابن زنبور فانه كان يتصرف في ماله الذى اكتسبه من المتجر وغيره فما وقفه وثبت وقفه وحكم قضاة الاسلام بصحته لاسبيل الى حله وساعده في ذلك القاضى موفق الدين عبد الله الحنبلي وتردد الكلام بينهما في ذلك فاحتج عليهما الامير صرغتمش بما لقناه الشريفان من مشاطرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عماله وأخذه من كل عامل نصف ماله وان مال الوزير جميعه من مال السلطان فقال له ابن جماعة ياأمير ان كنت تبحث معنا في هذه المسئلة بحثنا معك وان كان أحد قد ذكرها لك فليحضر حتى نبحث معه فيها فان الذى ذكر لك هذه المسئلة انما قصد أن تصادر الناس وتأخذ أموالهم فوافقه رفقته الثلاثة قضاة على قوله وأراد ابن جماعة بقوله هذا التعريض بالشريفين وكان اختصاصهما بالامير صرغتمش وقيامهما على ابن زنبور مشهورا فشق هذا على الامير صرغتمش وانفض المجلس وقد اشتد حنقه لما رد عليه من كلامه وعورض فيه من مراده فبعثت خوند أم السلطان الى ابن جماعة تعرفه ماوعدت به من مصير السبع قاعات اليها وأكدت عليه في أن لايعارضها في حل أوقاف ابن زنبور فأجابها بتقبيح هذا وخوفها سوء عاقبته فكفت عنه ولقوة غيظ الامير صرغتمش مرض مرضا شديداً من انفتاح صدره ونفثه الدم حتى خيف عليه الموت ثم عوفي بعد ذلك بأيام وذلك كله في سنة أربع وخمسين وسبعمائة واستمرت السبع قاعات وقفاً بيد ذرية ابن زنبور الى يومنا هذا الا ان الامير صرغتمش المذكور أخذ رخامها ووجد فيها شيئاً كثيراً من صيني ونحاس وقماش وغير ذلك قد أخفي في زواياها * (علم الدين) عبد الله بن تاج الدين أحمد ابن ابراهيم المعروف بابن زنبور أول ماباشر به استيفاء الوجه القبلي شريكا لوهب بن سنجر وطلع صحبته الامير علم الدين عبد الرزاق كاشف الوجه القبلي ونهض فيه فلما كانت مصادرة ابن الجيعان كاتب الاصطبل طلب السلطان سائر الكتاب وكان منهم ابن زنبور فعرضهم ليختار منهم فشكر الفخر ناظر الجيش منه وقال هو ولد تاج الدين رفيقه وشكره الاكوز فلما انفض المجلس طلبه وخلع عليه فباشر نظر الاصطبل في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ونال فيه سعادة طائلة واستمر الى أن مات السلطان الملك الناصر محمد وحكم الامير ايدغمش فباشر استيفاء الصحبة فلما قبض على جمال الكفاة ناظر الخاص وناظر الجيش وعلى الموفق ناظر الدولة وعلى الصفي ناظر البيوت المعروف بكاتب قوصون في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ومات جمال الكفاة في العقوبة يوم الاحد سادس شهر ربيع الاول عين ابن زنبور

لوظيفة نظر الخاص ثم قرر فيها القاضى موفق الدين هبة الله بن ابراهيم ناظر الدولة وكان ابن زنبور وهو مستوفى الصحبة قد سيره حمال الكفاة قبل القبض عليه لكشف القلاع الشامية ومعه جارا كتمر الحاجب ابعادا له وكان الامير أرغون العلائى يعنى به فلما قبض على حمال الكفاة تحدث له العلائى مع السلطان الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون في نظر الخاص فبعث في طلبه ثم لم يحضر الا بعد شهر فتحدث الوزير نجم الدين محمود بن على المعروف بوزير بغداد مع السلطان فى ولاية الموفق نظر الخاص فخلع عليه وحضر ابن زنبور من الشام فباشر نظر الدولة علم الدين بن سهلوك وابن زنبور على ما هى عادته فى استيفاء الصحبة ونهض في المباشرة وحصل الاموال ودخل هو والوزير نجم الدين وشكيا توقف الدولة من كثرة الانعامات والاطلاقات للخدم والجوارى ومن يلوذ بهم فتقرر الحال مع الامراء على كتابة أوراق بكلفة الدولة فلما قرئت بحضر من الامراء بلغت الكلف ثلاثين ألف ألف درهم واتحصل خمسة عشر ألف درهم فابطل ما استجد بعد موت الملك الناصر بأسره فلم يستمر غير شهر واحد حتى عاد الامر على ما كان عليه بحيث بلغ مصروف الحوائج خاناه في كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم بعد ما كانت في أيام الناصر محمد ثلاثة عشر ألف درهم فلما مت الملك الصالح اسماعيل وأقيم فى الملك من بعده أخوه الملك الكامل سيف الدين شعبان بن محمد صرف الموفق عن نظر الخاص ونقل ابن زنبور من استيفاء الصحبة اليها واستقر فخر الدين السعيد في استيفاء الصحبة وذلك فى ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة فباشر ذلك الى اخريات رجب نيفا وثمانين يوما فولى الملك الكامل نظر الخاص لفخر الدين ابن السعيد مستوفى الدولة وأعاد ابن زنبور من نظر الخاص الى استيفاء الدولة فلما كان في المحرم سنة سبع وأربعين اعيد نجم الدين وزير بغداد إلى الوزارة وقرر ابن زنبور في نظر الدولة فاستمر الى أن قتل الكامل شعبان وأقيم فى الملك من بعده أخوه الملك المظفر حاجي في مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين فطلب ابن زنبور وأعيد الى نظر الخاص وقبض على فخر الدين بن السعيد وطولب بالحمل وأضيف اليه نظر الجيش فباشر ذلك الى سنة احدى وخمسين فاضيف اليه الوزارة في يوم الخميس سابع عشرى ذى القعدة وخلع عليه وكان له يوم عظيم جدا فلما كان يوم السبت جلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة في دست الوزارة واستدعى جميع المباشرين وطلب المقدم ابن يوسف وشد وسطه على ما كان عليه وطلب العاملين وسلفهم على اللحم وغيره واستكتب المباشرين انه لم يكن في بيت المال ولا الاهرا من الدراهم والغلال شيء ألبتة ودخل بها وقرأها على السلطان والامراء وشرع في عرض أرباب الوظائف كلهم وطلب حساب الاقاليم بأسرها وولى صهره فخر الدين ماجد فرويتة نظر البيوت

وأنفق جامكية شهر وحمل الرواتب الى الدور السلطانيــة والاسمطة من السكر والزيت والقــلوبات وغــير ذلك وأقام بكتمر المومني في وظيفــة شد الدواوين وألزم نفسه في المجلس السلطاني بحضرة الامراء انه يباشر الوزارة بغير معلوم وقرر ابنه في ديوان المماليك والتزم انه لايتناول معلوما بل يوفر المعــلومين للسلطان وابطل رمى الشعير والبرسيم من بلاد مصر وكان يحصل برميها ضرر كبير فان ذلك كان يحصل من سائر البــلاد فيغرم على كل اردب أكثر من ثمنــه والتزم بتكفية بيت المال من الشعير والبرسيم بغــير ذلك فبطل على يديه وكتب به مرسوم وكتب نقشا على حجر في جانب باب القلة من قلعــة الجبل وأمر بقيــاس أراضى الجــيزة فجاء زيادتها عن الارتفــاع الذي مضى ثلثمائة ألف درهم وعنها خمسة عشر ألف دينار فلم يزل الى سابع عشرى شوال ســنة ثلاث وخمسين وسبعمائة فاحيط به وقبض عليه حسدا له على ما صار اليــه ولم يجتمع لغيره في الدولة التركية وتولى القيام عليه الامير صرغتمش لانه علم أنه من جهة الامير شيخو ويقوم له بجميع ما يختاره وأعانه عليــه الامير طاز وما زال يدأب في ذلك الى أن عاد السطان الملك الصالح من دمشق في يوم الاثنين خامس عشرى شوال ســنة ثلاث وخمسين وسبعمائة الى قلعة الجبل وعمل يوم الخميس سماطا مهما في القلعــة ولمــا انفض السماط خلع على سائر أرباب الوظائف من الامراء وعلى الوزير وسائر المباشرين فاتفق لما قدره الله تعالى أنه حضر الى الامير صرغتمش وهو يومئــذ رأس نوبة عشر تشريف غير تشريفه ودون رتبتــه فاخذه ودخل الى الامير شيخو وألقى البقجة قدامه وقال انظر فعل الوزير معى وكشف الخلعة فقال شيخو هــذا غلط فقام وقد أخذه من الغضب شبه الجنون وقال هــذا شغل الوزير وأنا ما أصبر على ان أهان لهذا الحد ولا بد لى من القبض عليه ومهما شئت أنت افعل بى وخرج فاذا الوزير داخل لشيخو وعليه خلعة فصاح في مماليكه خذوه فكشفوا الخلعة عنه وسحبوه الى بيت صرغتمش وسرح مماليكه في القبض على جميع حاشية الوزير فقبض على سائر من يلوذ به لانهم كانوا قد اجتمعوا بالقلعــة وخالطت العــامة المماليك في القبض على الــكتاب وأخذوا منهم في ذلك اليوم شيئاً كثيرا حتى ان بعض الغلمان صار اليه في ذلك اليوم ســتة عشر دواة من دوي الــكتاب فلم يمكن منها أربابها الا بمال يأخذه على كل دواة ما بين عشرين الى خمسين درهما وأما ما سلبوه من العمائم والثياب والمهاميز الفضة فشيء كثير وخرج الامير قشتمر الحاجب وغيره في جماعة الى دوره التى بالصوصة من مصر فأوقعوا الحوطة على حريمــه وأولاده وختموا سائر بيوته وبيوت حواشيه وكانوا قد اجتمعوا وتزينوا لقدوم رجالهم من السفر وأنزل الوزير في مكان مظلم من بيت صرغتمش فلمــا أصبح طلب ولد الوزير وصار به صرغتمش الى بيت أبيه وأحضر أمه ليعاقبــه وهى تنظره حتى يدلوه على المال ففتحوا له

خزانة وجد فيها خمسة عشر ألف دينار وخمسين ألف درهم فضة وأخرج من بئر صندوق فيه ستة آلاف دينار وشيء من المصالح وحضرت أحماله من السفر فوجد فيها ستة آلاف دينار ومائة وخمسون ألف درهم فضة وغير ذلك من تحف وثياب وأصناف وألزم والى مصر باحضار بناته فنودي عليهن في مصر والقاهرة وهجمت عدة دور بسببهن ونال الناس من نكاية أعدائهم في هذه الكائنة كل غرض فانه كان الرجل يتوجه الى أحد من جهة صرغتمش ويرمى عدوه بأن عنده بعض حواشي ابن زنبور فيؤخذ بمجرد التهمة ولقى الناس من ذلك بلاء عظيما ثم حمل الى داره وعرى ليضرب فدل على مكان استخرج منه نحو من خمسة وستين ألف دينار فضرب بعد ذلك وعريت زوجته وضرب ولده فوجد له شيء كثير الى الغاية قال الصفدى خليل بن ايبك الملقب صلاح الدين في كتاب أعيان العصر وأما ما أخذ منه في المصادرة فى حال حياته فنقلت من خط الشيخ بدر الدين الحمصى في ورقة بخطه على ما أملاه القاضى شمس الدين محمد البهنسى أوانى ذهب وفضة ستون قنطارا جوهر ستون رطلا لؤلؤ أردبان ذهب مصكوك مائتا ألف وأربعة آلاف دينار ضمن صندوق ستة آلاف حياصة ضمن صناديق زركش ستة آلاف كلوته ذخائر عدة قماش بدنه ألفان وستمائة فرجية بسط (٣) آلاف صنجة دراهم خمسون ألف درهم شاشات ثلثمائة شاش دواب عاملة سبعة آلاف حلابة ستة آلاف خيل وبغال ألف دراهم ثلاثة ارادب معاصر سكر خمسة وعشرون معصرة اقطاعات سبعمائة كل اقطاع خمسة وعشرون ألف درهم عبيد مائة خدام ستون جوارى سبعمائة أملاك القيمة عنها ثلاثمائة ألف دينار مراكب سبعمائة رخام القيمة عنه مائتا ألف درهم نحاس قيمته اربعة آلاف دينار سروج وبدلات خمسمائة مخازن ومتاجر أربعمائة ألف دينار نطوع سبعة آلاف دواب خمسمائة بساتين مائتان سواقي ألف وأربعمائة وكان في وقت القبض عليه اشد الناس قياما في افساد صورته الشريف شرف الدين على بن الحسين نقيب الاشراف والشريف أبو العباس الصفراوى وبدر الدين ناظر الخاص وأمين الدين والصواف واستادار الامير صرغتمش فأول مافتحوه من أبواب المكايد أن حسنوا لصرغتمش أن يأمره بالاشهاد عليه أن جميع ما له من الاملاك والبساتين والاراضى الوقف والطلق جميعها من مال السلطان دون ماله فصير اليه ابن الصدر عمر وشهود الخزانة فاشهد عليه بذلك ثم كتبوا فتيى في رجل يدعى الاسلام ووجد في بيته كنيسة وصلبان وشخوص من تصاوير النصارى ولحم الخنزير وزوجته نصرانية وقد رضى لها بالكفر وكذلك بناته وجواريه وانه لا يصلى ولا يصوم ونحو ذلك وبالغوا في تحسين قتله حتى قالوا لصرغتمش والله لو فتحت جزيرة قبرص ما كتب لك اجر من الله بقدر ما يؤجرك الله على ما فعلته مع هذا فاخرج في باشا وزنجير وضرب في رحبة

قاعة الصاحب من القدة بالمقارع. وتوالت عقوبته وأسلم لشاد الدواوين ليعاقبه حتى يموت فقام الامير شيخو فيأمره فرده صرغتمش الى داره وأكرمه وأقام عنده الى سابع عشرى المحرم سنة أربع وخمسين فاخرجه من داره وتسلمه شاد الدواوين وعاقبه عقوبة الموت في قاعة الصاحب فاتفق ركوب الامير شيخو من داره الى القلعة وابن زنبور يعاقب فغضب من ذلك ووقف ومنع من ضربه وبلغ الخبر صرغتمش فصعد الى القلعة وجرى له مع شيخو عدة مفاوضات كادت تفضي الى فتنة وآل الامر فيها الى تسفير ابن زنبور الى قوص فأخرج من ليلته وكانت مدة شدته ثلاثة أشهر وأقام بمدينة قوص الى ان عرض له مرض اقام به احد عشر يوما ومات يوم الاحد سابع عشر ذي القعدة سنة أربع وخمسين وسبعمائة وله بالقاهرة السبيل الذى على يسرة من دخل من باب زويلة بجوار خزانة شمائل وقد دخل في الجامع المؤيدي * (دار الدواذار) هذه الدار فيما بين حارة زويلة واصطبل الجميزة وهي اليوم من جملة خط السبع قاعات عرفت (٣) *(دار فتح الله) هذه الدار اليوم بخط سويقة المسعودي كان موضعها زقاقا يعرف بزقاق البنادة وفيه باب قاعة انشأها سعد الدين ابراهيم بن عبد الوهاب بن النجيب أبي الفضائل الميموني أحد مباشري ديوان الجيش وهي قاعة في غاية الملاحة من جودة رخام وكثرة دهان وحسن ترتيب ومات الميموني في ثاني ذي الحجة سنة خمس وتسعين وسبعمائة فسكنها فتح الله بن معتصم وهو يومئذ رئيس الاطباء فلما ولى كتابة السر شرذ الى العمارة فأخذ مافي الزقاق المذكور من الدور شيئاً بعد شيء وأخرج منها سكانها وهدمها وابتني قاعة تجاه قاعة الميموني وجعل فيها بئرا وفسقية ماء وبنى بها حماما ثم انشأ اصطبلا كبيرا لخيوله ولم يقنع بذلك حتى حمل القضاة على الحكم له باستبدال دار الميموني وكانت وقفا على أولاد الميموني ومن بعدهم على الحرمين فعمل له طرق فى جواز الاستبدال بها على ما صار القضاة يعتمدونه منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فلما تم حكم القضاة له بتملكها غير بابها وزاد في سعتها وأضاف اليها عدة مواضع مما كان بجوارها وغرس في جانبها عدة اشجار وزرع كثيرا من الازهار التي حملت اليه من بلاد الشام وبالغ في تحسين رخام هذه الدار وانشأ دهيشة كبسة الى الغاية بوسطها فسقية ماء ينحرط اليها الماء من شاذروان عجيب الصنعة بهج الزي وتشرف هذه الدهيشة على هذه الجنينة التي أبدع فيها كل الابداع وركب علو هذه القاعة الاروقة العظيمة وبنى بجوارها عدة مساكن لمماليكه ومسجدا معلقا كان يصلى فيه وراء امام راتب قرره له بمعلوم جار فجاءت هذه الدار من اجل دور القاهرة وابهجها ووقف ذلك كله مع اشياء غيرها على تربته التي انشأها خارج باب البرقية وعلى عدة جهات من البر فلما نكب اكره حتى رجع عن وقف هذه الدار على ما عينه في كتاب وقفه وجعلها وقفا

على أولاد السلطان الملك المؤيد شيخ فلما مات المؤيد عاد ذلك الى وقف فتح الله * (فتح الله) ابن معتصم بن نفيس الاسرايلي الداودي العناني التبريزي رئيس الاطباء وكاتب السر ولد بتبريز في سنة تسع وخمسين وسبعمائة وكان قد قدم جده نفيس الى القاهرة في سنة اربع وخمسين فأسلم وعظم بين الناس ثم قدم فتح الله مع ابيه فنشأ بالقاهرة في كفالة عمه ونظر في الطب وعاشر الفقهاء واتصل بصحبة بعض الامراء فعرف منه احد مماليكه وكان يسمى بشيخ فلما تأمر شيخ قربه وأنكحه أمة وفوض اليه أمر ديوانه ثم مات عمه بديع بن نفيس فأقره الملك الظاهر برقوق مكانه في رياسة الاطباء فباشرها مباشرة مشكورة واختص بالملك الظاهر برقوق اختصاصا كبيرا فلما مات بدر الدين محمود الكلستاني قلده وظيفة كتابة السر وخلع عليه في يوم الاثنين حادي عشر جمادى الاولى سنة احدى وثمانمائة ومات الظاهر وقد جعله أحد أوصيائه فما زال الى أوائل ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة فقبض عليه واستقر بدله في كتابة السر سعد الدين ابراهيم بن غراب وضرب حتى حمل مالا ثم أفرج عنه فلزم داره الى شهر رمضان فحمل الى دار الوزير فخر الدين ماجد بن غراب وألزم بمال آخر فحمله واطاق فقام الامير جمال الدين يوسف الاستادار في امره وما زال بالملك الناصر فرج الى أن اعاده الى كتابة السر في أوائل ذي الحجة فاستقر فيها وتمكن من اعدائه وأراه الله مصارعهم واتسعت أحواله وانفرد بسلطانه وانيط به جل الامور فاصبح عظيم المصر نافذ الامر قائما بتدبير الدولة لا يجد أحد من عظماء الدولة بدا من حسن سفارته وابدا للناس دينا وخيرا وتواضعا وحسن وساطة بين الناس وبين السلطان فلما كان من أمر الناصر وهزيمته على اللجون ما كان وقع فتح الله مع الخليفة المستعين بالله العباسي ابن محمد المتوكل على الله وعدة من كتاب الدولة في قبضة الامير ابن شيخ ونوروز وما زال عندهما حتى قتل الناصر وأقيم من بعده أمير المؤمنين المستعين بالله وهو على حاله من نفوذ الكلمة وتدبير الامور فلما استبد الامير شيخ بمملكة الديار المصرية واعتقل الخليفة وتلقب بالملك المؤيد شيخ في شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة أقر فتح الله على رتبته ثم قبض عليه يوم الخميس تاسع شوال وعوقب غير مرة واحيط بجميع امواله واسبابه وحواشيه وبيع عليه بعض ما وجد له وحمل ما تحصل منه فبلغ ما ينيف عن أربعين ألف دينار سوي ما أخذ مما لم يبع وهو ما يجاوز ذلك وما زال في العقوبة الى أن خنق في ليلة الاحد خامس عشر شهر ربيع سنة ست عشرة وثمانمائة وحمل من الغد الى تربته فدفن بها وكان رحمه الله من خير أهل زمانه رياضة وديانة وطيب مقال وتأله وتنسك ومحبة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن قيام مع السلطان في امر الناس وبه كفى الله عن الناس من شر الناصر فرج شيئاً كثيرا وقد ذكرته بأبسط من هذا في كتابي درر العقود

الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة وفي كتابي خلاصة التبر في أخبار كتاب السر * (دار ابن قرقه) هذه الدار من الدور القديمة وهي بخط سويقة المسعودي الى خطه بين السورين وقد تغيرت معالمها قال ابن عبدالظاهر دار ابن قرقه هي الآن سكن الامير صارم الدين المسعودي والى القاهرة باول حارة زويلة من جهة باب الخوخة على يسرة السالك الى داخل الحارة وهي معروفة اليوم والى جانبها الحمام المعروفة بابن قرقه أيضا وهذه الدار والحمام أنشأهما أبوسعيد بن قرقه الحكيم وباعهما في حال مصادرته مما خرج عليه فابتاعهما منه علم السعداء ثم سكنها الكامل ابن شاور وهما من جهة الخليج انتهى وهذه الدار والحمام قد هدمتا وصار موضع الدار الجامع المعروف بجامع ابن المغربي برأس سويقة الصاحب وما يجاوره من درر ابن أبي شاكر وآخر مابقي منها شيء هدمه الوزير الصاحب تاج الدين عبدالرحيم بن الوزير الصاحب فخر الدين عبدالله بن تاج الدين موسى بن أبي شاكر في رمضان سنة أربع وتسعين وسبعمائة *(وابن قرقه)* هذا كان يتولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح وكان ماهرا في علم الطب والهندسة ونحو ذلك من علوم الاوائل وقتله الخليفة الحافظ لدين الله من أجل انه دبر السم لابنه حسن بن الحافظ عند ما ثار الجند وطلبوا من الخليفة قتل ابنه حسن كما تقدم ذكره فلما سكنت الدهماء قبض عليه الخليفة واعتقله بخزانة البنود وقتله في سنة تسع وعشرين وخمسمائة *(دار خوند) هذه الدار من حقوق حارة زويلة عرفت بالست الجليلة خونداردوتكين ابنة نوغية السلاح دار الططرى تزوج بها الملك الاشرف خليل بن قلاون ومات عنها فتزوجها من بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاون وولدت منه ولدين وماتا ثم طلقها ونزلت من القلعة فسكنت هذه الدار وأنشأت لها تربة بالقرافة تعرف الآن بتربة الست وجعلت لها عدة أوقاف وكانت من الخير على جانب عظيم لها معروف وصدقات واحسان عميم وماتت ولها ما ينيف على الالف ما بين جارية وخادم اعتقتهم كلهم وخلفت اموالا تخرج عن الحد في الكثرة وكانت وفاتها في ليلة السبت ثالث عشري المحرم سنة أربع وعشرين وسبعمائة ودفنت بتربتها فتقدم أمر السلطان للامراء والقضاة لشهود جنازتها وحمل ما تركته من الاموال والجواهر وطلب أخوها جمال الدين خضر بن نوغية وصولح على ارثه منها بمائة وعشرين ألف درهم عنها يومئذ سبعة آلاف دينار ولم تزل هذه الدار الى ان هدمت فأخذها الامير صلاح الدين محمد استادار السلطان ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله في شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة وأدخلها في داره التي أنشأها فجاءت من أجل دور القاهرة *(دار الذهب) هذه الدار خارج القاهرة فيما بين باب الخوخة وباب سعادة بناها الافضل أبو القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي وكان فيما بين باب القنطرة وباب الخوخة منظرة اللؤلؤة التي تقدم ذكرها عند ذكر مناظر

الخلفاء ويجاورها من حيز باب الخوخة دار الفلك وبناها فلك الملك أحد الاستاذين الحاكمية ويلاصقها دار الذهب هذه ويجاور دار الذهب دار الشابورة ودار الذهب عرفت اخيرا بدار الامير بهادر الاعسر شاد الدواوين ثم الآن عرفت بدار الامير الوزير المشير الاستادار فخر الدين عبد الغني ابن الامير الوزير الاستادار تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج الارمني الاصل وعني بها وهدم كثيرا من الدور التي كانت تجاهها على بر الخليج الشرقي وانشأ هناك دارا يتطرق اليها من هذه الدار بساباط وأنشأ بجوارها جامعه الآتي ذكره وحمامه ثم هدم كثيرا من الدور التي كانت على الخليج وما وراءها بتلك الاحكار التي في الجانب الغربي من الخليج وغرس في أراضي تلك الدور الاشجار وجعلها بستانا تجاه داره فمات قبل أن تكمل وصار اكثر مواضع الدور التي خربها هناك كيمانا *(دار الحاجب) خارج باب النصر تجاه مصلى الاموات هذه الدار أنشأها الامير سيف الدين كهرداش المنصوري أحد المماليك الزراقين وهو الذى فتح جزيرة ارواد في المراكب المتوجهة الى بلاد الفرنج وتولى عمارة مأذنة المدرسة المنصورية لما تهدمت في الزلزلة وتقدم وكثرت أمواله ومات بدمشق في سنة أربع عشرة وسبعمائة فاشترى هذه الدار الامير سيف الدين بكتمر الحاجب ولم تزل بها ذريته من بعد الامير جمال الدين عبد الله بن بكتمر والامير ناصر الدين محمد بن عبد الله وبها الآن ولدا الامير ناصر الدين وهما الامير علي وعبد الرحمن وما برح هذا البيت فيه الامرة والسعادة *(بكتمر الحاجب) الامير سيف الدين كان أميرا خور ثم ولي شد الدواوين بدمشق في نيابة الافرم ولم يكن لاحد معه كلام في عزل ولا ولاية ثم ولي الحجوبية وتوجه الى صفد كاشفا على الامير ناهض الدين عمر بن أبي الخير والي الولاة وشاد الدواوين بها ومعه معين الدين بن حشيش فحرر الكشف ورفعه حتى قال فيه زين الدين عمر بن حلاوات موقع صفد

يا قاصدا صفدا فعد عن بلدة * من جور بكتمر الامير خراب
لا شافع تغني شفاعته ولا * جان له مما جناه متاب
حشر وميزان ونشر صحائف * وجرائد معروضة وحساب
وبها زبانية تحث على الورى * وسلاسل ومقامع وعقاب
ما فاتهم من كل ما وعدوا به * في الحشر الا راحم وهاب

ولما قدم الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك الى دمشق ولاه الحجوبية ودخل في خدمته الى مصر وهو حاجب ثم أخرجه ثانيا نائبا الى غزة في سنة عشر وسبعمائة فأقام بها قليلا وطلبه وولاه الوزارة بالديار المصرية عوضا عن الصاحب فخر الدين بن الخليلي في رمضان سنة عشر فباشر الوزارة الى أن قبض عليه مستهل ربيع الاول سنة

خمس عشرة واعتقل مدة سنة ونصف وأخذ كثير من ماله ثم أفرج عنه وأخرج الى صفد نائباً في سنة ست عشرة وأنعم عليه بمائة ألف درهم عنها يومئذ خمسة آلاف دينار فاقام بها عشرة أشهر وطلب الى مصر فصار من الامراء المشهورة فاذا تكلم السلطان في المشورة لا يرد عليه غيره لما عنده من المعرفة والخبرة وتزوج بابنة الامير جمال الدين اقوش المعروف بنائب الكرك وأولاده الذين ذكرنا منها وسرق له مال كثير من خزانته بهذه الدار ادعي انه مبلغ مائة ألف درهم وكان في الباطن على ما قيل سبعمائة ألف درهم فما جسر يتفوه خوفا من السلطان وكان اذ ذاك والى القاهرة الامير سيف الدين قدادار المنسوب اليه القنطرة على الخليج فتقدم أمر السلطان اليه بتتبع من سرق المال فدس اليه الامير بكتمر الساقي والوزير مغلطاى الجمالى والقاضى فخر الدين ناظر الجيش فى السر أن يتهاون في امر السرقة نكاية لبكتمر وأخذوا يحتجون لكل من اتهم ويقولون للسلطان لعن الله ساعة هذه العملة كل يوم يموت من الناس تحت المقارع عدة والى متى يقتل المتهم الذي لا ذنب له فلما طال الامر شكا بكتمر الى السلطان في دار العدل فأحضر الوالى وسبه السلطان فقال ياخوند اللصوص الذين امسكتهم وعاقبتهم اقروا أن سيف الدين بخشى خزنداره اتفق معهم على اخذ المال وجماعة من الزامه الذين في بابه فقال السلطان للجمالى الوزير احضر هؤلاء المذكورين وعاقبهم فأخذ بخشى وعصره وكان عزيزا عند بكتمر قد زوجه بابنته وهو يثق بعقله ودينه وأمانته فشق ذلك عليه واغتم غما شديدا مات منه فجأة فيما بين الظهر الى العصر من يومه سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وكان خبيرا بالامور بصيرا بالحوادث طويل الروح فى الكلام لا يمل من تطويله ولو قعد في الحكم الواحد بين الامير واليهودى ثلاثة أيام ولا يلحقه من ذلك سآمة ألبتة مع معرفة تامة وخبرة بالسياسة لم ير مثله في حق أصحابه لكثرة تذكرهم في غيبتهم والفكر فى مصالحهم وتفقد أحوالهم ومن جفاه منهم عتب عليه وكان سمحا بجاهه بخيلا بماله الى الغاية ساقط الهمة في ذلك وله متاجر وأملاك وسعادة لا تكاد تحصر ومع ذلك فله قدور يكريها لصلاقي الفول والحمص وغير ذلك من العدد والآلات ويماحك على أجرها مماحكة يستحى من ذكرها وأنشأ عدة دور واقتني كثيرا من البساتين وولى من بعده ابنه الامير جمال الدين عبد الله الامرة وكان حاجباً ولابيه فى سيرة البخل والحرص الشديد تابعا ومقلدا وتولى امرة الحاج غير مرة وخرج فى سنة ست وثمانين وسبعمائة من القاهرة لولاية كشف الجسور بالغربية فورد عليه كتاب السلطان الملك الظاهر برقوق بالانكار وفيه تهديد مهول فداخله الخوف ومرض فحمل في محفة الى القاهرة فدخلها يوم الاربعاء النصف من جمادي الاولى من تلك السنة فمات من يومه وأخذ اقطاعه الامير يودى وصار ابنه ناصر الدين أحمد

الامراء العشراوات سالكا طريق أبيه وجده فى الامساك الي أن مات خامس عشرى شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثمانمائة ودفن بتربتهم خارج باب النصر * (دار الجاولى) هذه الدار من جملة الحجر التى تقدم ذكرها وهي تجاه الخان المجاور لوكالة قوصون أنشأها الامير علم الدين سنجر الجاولى وجعلها وقفاً على المدرسة المعروفة بالجاولية بخط الكبش جوار الجامع الطولونى وعرفت في زماننا بقاعة البغادة لسكنى عبد الصمد الجوهرى البغدادى بها هو وأولاده في سنة سبع وأربعين وسبعمائة الى بعد سنة ست عشرة وثمانمائة وهى من الدور الجليلة الا انها قد تشعثت لطول الزمن * (دار أمير أحمد) هذه الدار بجوار دار الجاولي من غربها عرفت بأمير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاون وعرفت في زماننا بسكن أبو ذقن ناظر المواريث وهى من جملة مااغتصبه جمال الدين يوسف الاستادار من الدور الوقف وجعلها لاخيه شمس الدين محمد البيرى قاضى حلب وشيخ الخانقاه البيبرسية فغير بابها وشرع في عمارتها فقبض عليه عند القبض على أخيه وهوبها * (دار اليوسفى) هذه الدار بجوار باب الجوانية فيما بينها وبين الحوض المعد لشرب الدواب أنشأهاهى والحوض الامير سيف الدين بها در اليوسفى السلاح دار الناصري * (دار ابن البقرى) هذه الدار أنشأها الوزير الصاحب سعد الدين سعد الله بن البقرى ابن أخت القاضي شمس الدين شاكر بن غزيل البقري صاحب المدرسة البقرية أظهر الاسلام وباشر في الخدم الديوانية الى أن ولاه الملك الظاهر برقوق وظيفة نظر الديوان المفرد ونظر الخاص عوضاً عن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس في ثالث شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فباشر ذلك الى تاسع شهر رمضان سنة خمس وثمانين فقبض عليه ونزل الامير يونس الدوادار والامير قرقماس الخازندار الى داره هذه وأحاط بها وأخذ جميع ما فيها من المال والثياب والاوانى والحلى والجوارى وغير ذلك وحمل الى القلعة فبلغ قيمة ما وجد بداره في هذه النوبة مائتي ألف دينار وسلم ابن البقري لشاد الدواوين بقاعة الصاحب من القلعة فضرب بالمقارع نيفاً وثلاثين شيباً وولى موفق الدين أبو الفرج نظر الخاص ثم ان الملك الظاهر لما عاد الي المملكة بعد ثورة الامير يلبغا الناصري والامير تمربغا منطاش عليه وخلعه من الملك وسجنه بالكرك ثم قيامه بأهل الكرك ودخوله الى القاهرة وعوده الى المملكة ولى ابن البقرى الوزارة في يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين وسبعمائة عوضا عن موفق الدين أبي الفرج ثم صرف فى يوم الخميس لعشرين من شهر رمضان وأعيد الوزير أبو الفرج وأحيط بدور ابن البقرى وأسلم هو وابنه تاج الدين عبدالله الى الامير ناصر الدين محمد بن اقبغا آض فلما استقر الامير ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدى في الوزارة يوم الثلاثاء سابع عشري ذى الحجة منها عوضا عن الوزير أبي الفرج

اشترط على السلطان أمورا منها استخدام الوزراء المعزولين فجلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة وبعث الى من بالقاهرة من الوزراء المعزولين وهم شمس الدين عبد الله المقسى وعلم الدين عبد الوهاب بن الطنساوي المعروف بسن ابرة وسعد الدين سعد الله بن البقري وموفق الدين أبو الفرج وفخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن ابراهيم بن مكانس فأقر المقسى وسن ابرة معا في نظر الدولة وأقر ابن البقرى ناظر البيوت ومستوفي الدولة وقرر أبا الفرج في استيفاء الصحبة وابن مكانس في استيفاء الدولة شريكا لابن البقرى فكانوا يركبون في خدمته دائما ويجلسون بين يديه وربما وقف ابن البقرى على قدميه بحضرته بعد أن كان ابن الحسام دواداره ولا يزال قائما بين يديه فعد الناس هذا من أعظم المحن التي لم يشاهد في الدولة التركية مثلها وهو أن يصير الرجل خادما لمن كان في خدمته فنعوذ بالله من المحن ثم ان الوزير ابن الحسام قبض على ابن البقرى وألزمه بحمل سبعين ألف درهم ثم أعيد الى الوزارة بعد القبض على الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن موسى بن أبي بكر بن أبي شاكر في ذى القعدة سنة خمس وتسعين وقبض عليه وعلى ولده في حادي عشرى شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وسلما مع عدة من الكتاب لشاد الدواوين ثم أفرج عنهما على حمل مال فلما ولى الامير ناصر الدين محمد بن رجب ابن كلفت الوزارة بعد الوزير أبي الفرج قرر ابن البقرى في نظر الدولة عوضا عن بدر الدين الاقفهسى واستخدم بقية الوزراء كما فعل الوزير ابن الحسام فلما خلع السلطان على الامير ناصر الدين محمد بن تنكز وجعله استادار الاملاك في رجب سنة سبع وتسعين قرر ابن البقري ناظر الاملاك وخلع عليه فصار يتحدث في نظر الدولة ونظر الاملاك فلما كان يوم الخميس رابع رجب سنة ثمان وتسعين أعيد الى الوزارة وصرف عنها الامير مبارك شاه ناظر الظاهرى واستقر بدر الدين محمد بن محمد الطوخي في نظر الدولة ثم قبض عليه في يوم الخميس رابع ربيع الاول سنة تسع وتسعين وأحيط بسائر ماقدر عليه من موجوده وولى الوزارة بعده ابن الطوخي وعوقب عقاباً شديداً في دار الامير علاء الدين على بن الطبلاوي ثم أخرج نهارا وهو عار مكشوف الرأس وبيده حبل يجر به وثيابه مضمومة بيده الاخرى والناس تراه من درب قراصيا برحبة باب العيد في السوق الى دار ابن الطبلاوى وقد انتهك بدنه من شدة الضرب فسجن بدار هناك ثم خنق فى ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسبعمائة وكان أحد كتاب الدنيا الذين انتهت اليهم السيادة فى كتابة الرسوم الديوانية مع عفة الفرج وجودة الرأى وحسن التدبير الا انه لم يؤت سعدا فى وزارته ومابرح ينكب كل قليل وكان يظهر الاسلام ويكتب بخطه كتب الحديث وغيرها ويتهم فى باطن الامر بالتشدد فى النصرانية وولى ابنه تاج الدين عبد الله الوزارة ونظر

الخاص ومات قتيلا تحت العقوبة عند الامير جمال الدين يوسف الاستادار في سنة ثمان وثمانمائة ودار ابن البقري هذه من أعظم دور القاهرة وهى من جملة خط حارة الجوانية في أولها * (دار طولباى) هذه الدار بجوار حمام الاعسر برأس حارة الجوانية تجاه درب الرشيدى أنشأها الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير ثم عرفت بخوند طولباى الناصرية جهة الملك الناصر * (طلنباي) ويقال دلبية ويقال طلوبية ابنة طغاجي بن هندر بن بكر ابن دوشى خان ابن جنكزخان ذات الستر الرفيع الخاتونى كان السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاون قدجهز الامير ايدغدى الخوارزمى في سنة ست عشرة وسبعمائة يخطب الى ازبك ملك التتار بنتا من الذرية الجنكزية فجمع أزبك أمراء التومانات وهم سبعون أميرا وكلمهم الرسول في ذلك فنفروا منه ثم اجتمعوا ثانيا بعد ماوصلت اليهم هداياهم وأجابوا ثم قالوا الا أن هذا لايكون الا بعد أربع سنين سنة سلام وسنة خطبة وسنة مهاداة وسنة زواج واشتطوا في طلب المهر فرجع السلطان عن الخطبة ثم توجه سيف الدين طوخي بهدية وخلعة لأزبك فلبسها وقال لطوخي قد جهزت لاخي الملك الناصر ما كان طلب وعينت له بنتا من بيت جنكزخان من نسل الملك ياطرخان فقال طوخي لم يرسلنى السلطان فى هذا فقال أزبك أنا أرسلها اليه من جهتي وأمر طوخى بحمل مهرها فاعتذر بعدم المال فقال نحن نقترض من التجار فاقترض عشرين ألف دينار وحملها ثم قال لابد من عمل فرح تجتمع فيه الخواتين فاقترض مالا آخر نحو سبعة آلاف دينار وعمل الفرح وجهزت الخاتون طلنباى ومعها جماعة من الرسل وهم بانجار من كبار المغل وطقبغاومنعوش وطرحي وعثمان وبكتمر وقرطبا والشيخ برهان الدين امام الملك أزبك وقاضى حراى فساروا في زمن الخريف وأقلعوا فلم يجدوا ريحا تسير بهم فأقاموا في بر الروم على مينا ابن مشتا خمسة أشهر وقام بخدمتهم هو والاشكري ملك قسطنطينية وأنفق عليهم الاشكرى ستين ألف دينار فوصلوا الى الاسكندرية فى شهر ربيع الاول سنة عشرين وسبعمائة فلما طلعت الخاتون من المراكب حملت فى خركاة من الذهب على العجل وجرها المماليك الى دار السلطنة بالاسكندرية وبعث السلطان الى خدمتها عدة من الحجاب وثماني عشرة من الحرم ونزلت في الحراقة فوصلت الى القلعة يوم الاثنين خامس عشرى ربيع الاول المذكور وفرش لها بالمناظر فى الميدان دهليز أطلس معدنى ومد لهم سماط وفى يوم الخميس ثانى عشريه أحضر السلطان رسل أزبك ووصل رسل ملك الكرج ورسل الاشكرى بتقادمهم ثم بعث الى الميدان الامير سيف الدين ارغون النائب والامير بكتمر الساقي والقاضى كريم الدين ناظر الخاص فمشوا فى خدمة الخاتون الى القلعة وهي فى عز ثم عقد عليها يوم الاثنين سادس ربيع الآخر على ثلاثين ألف دينار حالة المعجل منها عشرون ألفا وعقد العقد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وقبل عن السلطان

النائب أرغون وبنى عليها وأعاد الرسل بعد أن شملهم من الانعام ما أربى على أملهم ومعهم هدية جليلة فساروا فى شعبان وتأخر قاضى حراى حتى حج وعاد فى سنة احدى وعشرين وماتت فى رابع عشرى ربيع الآخر سنة خمس وستين وسبعمائه ودفنت بتربتها خارج باب البرقية بجوار تربة خوند طغاى أم انوك *(دار حارس الطير) هــذه الدار بداخل درب قراصيا بخط رحبة باب العيد عرفت بالامير سيف الدين سنبغا حارس الطير ترقى فى الخدم الى أن صار نائب السلطنة بديار مصر فى أيام السلطان حسن بن محمد بن قلاون بعد يلبغاروس ثم عزل بالامير قبلاى وجهز الى نيابة غزة فاقام بهـا شهراً وقبض عليه وحضر مقيداً الى الاسكندرية فى شعبان سنة اثنين وخمسين وسبعمائة فسجن بها مدة ثم أخرج الى القدس فاقام بطالا مدة ثم نقل الى نيابة غزة فى شعبـان سنة ست وخمسين وسـبعمائة *(الدار القردمية) هــذه الدار خارج باب زويلة بخط الموازيين من الشارع المسلوك فيه الى رأس المنجبية بناها الامير الجاى الناصرى مملوك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وكان من أمره أنه ترقى فى الخدم السلطانية حتى صار دوادار السلطان بغير امرة رفيقاً للامير بهـاء الدين ارسلان الدوادار فلما مات بهاء الدين استقر مكانه بامرة عشرة مدة ثلاث سنين ثم أعطى امرة طبلخاناه وكان فقيهاً حنفياً يكتب الخط المليح ونسـخ بخطه القرآن الـكريم فى ربعة وكان عفيفاً عن الفواحش حليما لا يكاد يغضب مكباً على الاشتغال بالعلم محباً لاقتناء الـكتب مواظباً على مجالسة أهل العلم وبالغ فى اتقان عمارة هذه الدار بحيث انه أنفق على بوابتها خاصة مائة ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو الخمسة آلاف مثقال من الذهب فلمـا تم بناؤها لم يمتع بها غير قليل ومرض فمات فى أوائل شهر رجب وقيل فى رمضان سنة اثنين وثلاثين وسـبعمائة وهو كهل فدفن بقرافة مصر فسكنها من بعده خوند عائشـة خاتون المعروفة بالقردمية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون زماناً فعرفت بها وكانت هــذه المرأة ممن يضرب بغناها وسعادتها المثل الا أنها عمرت طويلا وتصرفت فى مالها تصرفا غير مرضي فتلف فى اللهو حتي صارت تمد من جملة المساكين وماتت فى الخامس من جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وتحدتها من ليف ثم سكن هذه الدار الامير جمال الدين محمود ابن على الاستادار مدة وأنشأ تجاهها مدرسة *(دار الصالح) هذه الدار بحارة الديلم قريباً من السجن وكانت دار الصالح طلائع بن رزيك يسكنها وهو أمير قبـل أن يلى الوزارة بناها في سنة سبع وأربعين وخمسمائة وما زالت باقية الى أن خربها الامير الوزير ركن الدين عمر بن محمد بن قايماز في سنة أربع وتسعين وسبعمائة وبناها على ما هي عليه الآن *(دار بهادر) هذه الدار بالقاهرة جوار المشهد الحسيني في درب جرجي المقابل للابارين المسلوك منه الى دار الضرب وغيره أنشأها الامير بهادر راس نوبة أحد مماليك الملك المنصورقلاوون

واتفق أنه كان ممن مالأ الامير بدر الدين بيدرا على قتل الملك الاشرف خليل بن قلاوون فلما قدر الله بانتقاض أمر بيدر أو قتله واقامة الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد أخيه الاشرف خليل قبض على جماعة ممن وافق على قتل الملك الاشرف خليل وقد تجمعت المماليك الاشرفية مع الامير علم الدين سنجر الشجاعي وهو يومئذ وزيرا للديار المصرية في دار النيابة من قلعة الجبل عند الامير زين الدين كتبغا نائب السلطنة واذا بالامير بهادر المذكور قد حضر هو والامير جمال الدين أقوش الموصلي الحاجب المعروف بتميلة وكانا قد اختفيا فرقا من سطوة الاشرفية حتى دبر أمرهما النائب وأذن لهما في طلوع القلعة فما هو الا أن أبصرهما الاشرفية سلوا سيوفهم وضربوا رقبتيهما في أسرع وقت فدهش الحاضرون وما استطاعوا أن يتكلموا خوفا من الاشرفية واتفق في بناء هذه الدار ما فيه عبرة لمن اعتبر وذلك أن بهادر هذا لما حفر أساسها وجد هناك قبوراً كثيرة فاخرج تلك العظام ورماها فبلغ ذلك قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد فبعث اليه ينهاه عن نبش القبور ورمى العظام ويخوفه عاقبة ذلك فقال اذا مت يجروا رجلي ويرموني فقال القاضي لما أعيد عليه هذا الجواب وقد يكون ذلك فقدر الله أنه لما ضربت رقبته ورقبة اقوش ربط في رجليهما حبل وجرا من دار النيابة بالقلعة الى المجاير بالكيمان نعوذ بالله من سوء عاقبة القضاء ثم عرفت هذه الدار ببيت الامير جركتمر ابن بهادر المذكور وكان خصيصاً بالامير قوصون فبعثه لقتل السلطان الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما نفاه الى مدينة قوص بعد خلعه فتولى قتله فلما قبض على قوصون قبض على جركتمر في ثاني شعبان سنة اثنين وأربعين وسبعمائة وقتل بالاسكندرية هو وقوصون في ليلة الثلاثاء ثامن عشر شوال تولى قتلهما الامير ابن طشتمر طلبة وأحمد بن صبيح وكان جركتمر هذا فيه أدب وحشمة واول أمره كان من أصحاب الامير بيبرس الجاشنكيري فقدمه وأعطاه امرة عشرة ثم اتصل بالامير ارغون النائب فأعطاه امرة طبلخاناه وكان يلعب بالاكرة ويجيد في لعبها الى الغاية ثم عرفت هذه الدار بالامير سيف الدين بهادر المنجكي استادار الملك الظاهر برقوق لسكنه بها وتجديد عمارتها وأنشأ بجوارها حماماً وكانت وفاته يوم الاثنين الثاني من جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة وهذه الدار باقية الى اليوم تسكنها الامراء *(دار البقر) هذه الدار خارج القاهرة فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل بالخط الذي يقال له اليوم حدرة البقر كانت داراً للابقار التي برسم السواقي السلطانية ومنشرا للزبل وفيه ساقية ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأها داراً واصطبلا وغرس بها عدة أشجار وتولى عمارتها القاضي كريم الدين عبد الكريم الكبير فبلغ المصروف على عمارتها ألف ألف درهم وعرفت بالامير طقتمر الدمشقي ثم عرفت بدار الامير طاش تمر حمص اخضر وهذه الدار باقية الى وقتنا

هذا ينزلها أمراء الدولة ✽(قصر بكتمر الساقى) هـذا القصر من أعظم مساكن مصر وأجلها قدراً وأحسنها بناناً وموضعه تجاه الكبش على بركة الفيل أنشأه الملك الناصر محمد ابن قلاون لكن أجل أمراء دولته الامير بكتمر الساقى وأدخل فيه أرض الميدان التى أنشأها الملك العادل كتبغا وقصد أن يأخذ قطعة من بركة الفيل ليتسع بها الاصطبل الذي للامير بكتمر بجوار هذا القصر فبعث الى قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى ليحكم باستبدالها على قاعدة مذهبه فامتنع من ذلك تنزهاً وتورعا واجتمع بالسلطان وحدثه فى ذلك فلما رأى كثرة ميل السلطان الى أخذ الارض نهض من المجلس مغضباً وصار الى منزله فأرسل القاضى كريم الدين الكبير ناظر الخواص الى سراج الدين الحنفى عن أمر السلطان وقلده قضاء مصر منفرداً عن القاهرة فحكم باستبدال الارض في غرة رجب سنة سبع عشرة وسبعمائة فلم يلبث سوى مدة شهرين ومات في أول شهر رمضان فاستدعى السلطان قاضى القضاة شمس الدين الحريرى وأعاده الى ولايته وكمل القصر والاصطبل على هيئة قل ما رأت الاعين مثلها بلغت النفقة على العمارة في كل يوم مبلغ ألف وخمسمائة درهم فضة مع جاه العمل لان العجل التي تحمل الحجارة من عند السلطان والحجارة أيضا من عند السلطان والفعلة فى العمارة أهل السجون المقيدون من المحابيس وقدر لو لم يكن في هذه العمارة جاه ولا سخرة لكان مصروفها في كل يوم مبلغ ثلاثة آلاف درهم فضة وأقاموا في عمارته مدة عشرة أشهر فتجاوزت النفقة على عمارته مبلغ ألف ألف درهم فضة عنها زيادة على خمسين ألف دينار سوى ما حمل وسوى من سخر فى العمل وهو بحو ذلك فلما تمت عمارته سكنه الامير بكتمر الساقى وكان له في اصطبله هذامائة شطل نحاس لمائة سائس كل سائس على ستة أرؤس خيل سوى ما كان له في الحشارات والنواحي من الخيل وكان من المغرب يغلق باب اصطبله فلا يصير لاحد به حس ولما تزوج أنوك بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون بابنة الامير بكتمر الساقى فى سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة خرج شوارها من هذا القصر وكان عدة الحمالين ثمانمائة حمال المساند الزركش على أربعين حمالا عدتها عشرة مساند والمدورات ستة عشر حمالا والكراسى اثنا عشر حمالا وكراسى لطاف أربعة حمالين وفضيات تسعة وعشرون حمالا وسلم الدكك أربعة حمالين والدكك والتخوت الابنوس المفضضة والموشقة مائة واثنين وستين حمالا والنحاس الكفت ثمانية وأربعين حمالا والصينى ثلاثة وثلاثين حمالا والزجاج المذهب اثنى عشر حمالا والنحاس الشامى اثنين وعشرين حمالا والبعلبكي المدهون اثني عشر حمالا والخونجات والحافي والزبادي والنحاس تسعة وعشرين حمالا وصناديق الحوائج خاناه ستة حمالين وغير ذلك تتمة العدة والبغال المحملة الفرش واللحف والبسط والصناديق التي فيها المصاغ تسعة وتسعين بغلا قال العلامة صلاح

ا

الدين خليل بن ايبك الصفدى قال لى المهذب الكاتب الزركش والمصاغ ثمانون قنطارا بالمصري ذهب ولما مات بكتمر هذا صار هذا الوقف من بعده من جملة أوقافه فتولى أمره وأمر سائر أوقافه أولاده حتي انقرض أولاده وأولاد أولاده فصار أمر الاوقاف الى ابن ابنته وهو أحمد بن محمد بن قرطاى المعروف بأحمد بن بنت بكتمر وهذا القصر في غاية من الحسن ولا ينزله الا أعيان الامراء الى أن كانت سنة سبع عشرة وثمانمائة وكان العسكر غائباً عن مصر مع الملك المؤيد شيخ فى محاربة الامير نوروز الحافظي بدمشق عمد هذا المذكور الى القصر فأخذ رخامه وشبابيكه وكثيراً من سقوفه وأبوابه وغير ذلك وباع الجميع وعمل بدل ذلك الرخام البلاط وبدل الشبابيك الحديد بالخشب وفطن به أعيان الناس فقصدوه وأخذوا منه أصنافا عظيمة بثمن وبغير ثمن وهو الآن قائم البناء يسكنه الامراء

*(الدار البيسرية) هذه الدار بخط بين القصرين من القاهرة كانت في آخر الدولة الفاطمية لما قويت شوكة الفرنج قد أعدت لمن يجلس فيها من قصاد الفرنج عند ماتقرر الامر معهم على أن يكون نصف مايحصل من مال البلد للفرنج فصار يجلس في هذه الدار قاصد معتبر عند الفرنج يقبض المال فلما زالت الدولة بالغز ثم زالت دولة بنى أيوب وولى سلطنة مصر الملوك من الترك الى أن كانت أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري شرع الامير ركن الدين بيبرس الشمسى الصالحي النجمى في عمارتها في سنة تسع وخمسين وستمائة وتأنق فى عمارتها وبالغ في كثرة المصروف عليها فأنكر الملك الظاهر ذلك من فعله وقال له ياأمير بدر الدين أى شئ خليت للغزاة والترك فقال صدقات السلطان والله ياخوند مابنيت هذه الدار الا حتي يصل خبرها الى بلاد العدو ويقال بعض مماليك السلطان عمر دارا غرم عليها مالا عظيما فأعجب من قوله ذلك السلطان وأنعم عليه بألف دينار عينا وعد هذا من أعظم انعام السلطان فجاء سعة هذة الدار باصطبلها وبستانها والحمام بجانبها نحو فدانين ورخامها من أبهج رخام عمل في القاهرة وأحسنه صنعة فكثر تعجب الناس اذ ذاك من عظمها لما كان فيه أمراء الدولة ورجالها حينئذ من الاقتصاد حتى ان الواحد منهم اذا صار أميرا لايتغير عن داره التي كان يسكنها وهو من الاجناد وعند ماكملت عمارة هذه الدار وقفها وأشهد عليه بوقفها اثنين وتسعين عدلا من جملتهم قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد وقاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز وقاضى القضاة تقى الدين بن رزين قبل ولايتهم القضاء في حال تحملهم الشهادة ومازالت بيد ورثة بيسرى الى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة فشرهت نفس الامير قوصون الى أخذها وسأل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في ذلك فأذن له في التحدث مع ورثة بيسري فأرسل اليهم ووعدهم ومناهم وأرضاهم حتي أذعنوا له فبعث السلطان الى قاضى القضاة شرف الدين الحرانى الحنبلي يلتمس منه الحكم باستبدالها

كما حكم باستبدال بيت قتال السبع وحمامه الذى أنشأ جامعه بخط خارج الباب الجديد من الشارع فأجاب الى ذلك ونزل اليها علاء الدين بن هلال الدولة شاد الدواوين ومعه شهود القيمة فقومت بمائة ألف درهم وتسعين ألف درهم نقرة وتكون الغبطة للايتام عشرة آلاف درهم نقرة لتتم الجملة مائتي ألف درهم نقرة وحكم قاضي القضاة شرف الدين الحرانى ببيعها وكان هذا الحكم مما شنع عليه فيه ثم اختلفت الايدى في الاستيلاء على هذه الدار واقتدى القضاة بعضهم ببعض فى الحكم باستبدالها وآخر ما حكم به من استبدالها فى أعوام بضع وثمانين وسبعمائة فصارت من جملة الاوقاف الظاهرية برقوق وهى الآن بيد ابنة بيرم وكان لها باب بوابته من أعظم ماعمل من البوابات بالقاهرة ويتوصل الى هذه الدار من هذا الباب وهو بجوار حمام بيسرى من شارع بين القصرين وقد بنى تجاه هذا الباب حوانيت حتى خفى وصار يدخل الى هذه الدار من باب آخر بخط الخرشتف *(بيسرى)* الامير شمس الدين الشمسى الصالحى النجمى أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب البحرية تنقل فى الخدم حتى صار من أجل الامراء فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى واشتهر بالشجاعة والكرم وعلو الهمة وكانت له عدة مماليك راتب كل واحد منهم مائة رطل لحم وفيهم من له عليه فى اليوم مبلغ ستين عليقة لخيله وبلغ عليق خيله وخيل مماليكه فى كل يوم ثلاثة آلاف عليقة سوي عاف الجمال وكان ينعم بالالف دينار وبالخمسمائة غير مرة ولما فرق الملك العادل كتبغا المماليك على الامراء بعث اليه بستين مملوكا فأخرج اليهم في يومهم لكل واحد فرسين وبغلا وشكا اليه استاداره كثرة خرجه وحسن له الاقتصاد في النفقة فخلق عليه وعزله وأقام غيره وقال لايرنى وجهه أبداً ولم يعرف عنه انه شرب الماء فى كوز واحد مرتين وانما يشرب كل مرة فى كوز جديد ثم لا يعاود الشرب منه وتنكر عليه الملك المنصور قلاوون فسجنه فى سنة ثمانين وستمائة وما زال فى سجنه الي أن مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الاشرف خليل فأفرج عنه فى سنة اثنين وتسعين وستمائة بعد عوده من دمشق بشفاعة الامير بيدرا والامير سنجر الشجاعي وأمر أن يحمل اليه تشريف كامل ويكتب له منشور بامرة مائة فارس وانه يلبس التشريف من السجن فجهز التشريف وحمل اليه المنشور فى كيس حرير أطلس وعظم فيه تعظيما زائدا وأثني عليه ثناء جما وسار اليه بيدر والشجاعى والدوادار والافرم الى السجن ليمشوا فى خدمته الى أن يقف بين يدى السلطان فامتنع من لبس التشريف والتزم بأيمان مغلظة أنه لايدخل على السلطان الا بقيده ولباسه الذى كان عليه فى السجن وتسامعت الامراء وأهل القلعة بخروجه فهرعوا اليه وكان لخروجه نهار عظيم ودخل على السلطان بقيده فأمر به ففك بين يديه وأفيض عليه التشريف فقبل الارض وأكرمه السلطان وأمره فنزل الى داره وخرج الناس الى رؤيته وسروا

بخلاصه فبعث اليه السلطان عشرين فرساً وعشرين اكديشا وعشرين بغلا وأمر جميع الامراء أن يبعثوا اليه فلم يبق أحد حتي سير اليه مايقدر عليه من التحف والسلاح وبعث اليه أمير سلاح ألفى دينار عينا وكانت مدة سجنه احدى عشرة سنة وأشهراً فصار يكتب بعد خروجه من السجن بيسرى الاشرفى بعد ما كان يكتب بيسري الشمسى وما زال الى أن تسلطن الملك المنصور لاجين فأخذ الامير منكوتمر يغريه بالامير بيسرى ويخوفه منه وانه قد تعين للسلطنة فعمله كاشف الجيزة وأمره أن يحضر الخدمة يومى الاثنين والخميس بالقلعة ويجلس رأس الميمنة تحت الطواشي حسام الدين بلال المغيثى لاجل كبره وتقدمه ثم زاد منكوتمر فى الاغراء به والسلطنة تستمهله الى أن قبض عليه وسجنه فى سنة سبع وتسعين وستمائة وأحاط بسائر موجوده وحبس عدة من مماليكه فسر منكوتمر بمسكه سرورا عظيما واستمر فى السجن الى أن مات فى تاسع عشر شوال سنة ثمان وتسعين وستمائة وعليه ديون كثيرة ودفن بتربته خارج باب النصر رحمه الله تعالى * (قصر بشتاك) هذا القصر هو الآن تجاه الدار البيسرية وهو من جملة القصر الكبير الشرقي الذى كان مسكنا للخلفاء الفاطميين ويسلك إليه من الباب الذى كان يعرف فى أيام عمارة القصر الكبير فى زمن الخلفاء بباب البحر وهو يعرف اليوم بباب قصر بشتاك تجاه المدرسة الكاملية وما زال الى أن اشتراه الامير بدر الدين بكتاش الفخرى المعروف بامير سلاح وأنشأ دورا واصطبلات ومساكن له ولحواشيه وصار ينزل اليه هو والامير بدر الدين بيسرى عند انصرافهما من الخدمة السلطانية بقلعة الجبل فى موكب عظيم زائد الحشمة ويدخل كل منهما الى داره وكان موضع هذا القصر عدة مساجد فلم يتعرض لهدمها وأبقاها على ماهي عليه فلمامات أمير سلاح وأخذ الامير قوصون الدار البيسرية كما تقدم ذكره أحب الامير بشتاك أن يكون له أيضاً دار بالقاهرة وذلك أن قوصون وبشتاك كانا يتناظران فى الامور ويتضادان في سائر الاحوال ويقصد كل منهما أن يسامي الآخر ويزيد عليه فى التجمل فأخذ بشتاك يعمل فى الاستيلاء على قصر أمير سلاح حتي اشتراه من ورثته فأخذ من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قطعة أرض كانت داخل هذا القصر من حقوق بيت المال وهدم دارا كانت قد أنشئت هناك عرفت بدار قطوان الساقي وهدم أحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من آثار الخلفاء يسكنها جماعة الفقراء وأدخل ذلك فى البناء الا مسجدا منها فانه عمره ويعرف اليوم بمسجد الفجل فجاء هذا القصر من أعظم مبانى القاهرة فان ارتفاعه فى الهواء أربعون ذراعا ونزول أساسه فى الارض مثل ذلك والماء يجرى بأعلاه وله شبابيك من حديد تشرف على شارع القاهرة وينظر من أعلاه عامة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين وهو مشرق جليل مع حسن بنائه وتأنق زخرفته والمبالغة فى تزويقه وترخيمه وأنشأ أيضاً

فى أسفله حوانيت كان يباع فيها الحلوى وغيرها فصار الامر أخيراً كما كان أولا بتسمية الشارع بين القصرين فانه كان أولا كما تقدم بالقاهرة القصر الكبير الشرقي الذى قصر بشتاك من جملته وتجاهه القصر الغربي الذى الخرشتف من جملته فصار قصر بشتاك وقصر بيسرى وما بينهما من الشارع يقال له بين القصرين ومن لاعلم له يظن انما قيل لهذا الشارع بين القصرين لاجل قصر بيسرى وقصر بشتاك وليس هذا بصحيح وانما قيل له بين القصرين قبل ذلك من حين بنيت القاهرة فانه كان بين القصرين القصر الكبير الشرقي والقصر الصغير الغربي وقد تقدم ذلك مشروحا مبيناً * ولما أكمل بشتاك بناء هذا القصر والحوانيت التى في أسفله والخان المجاور له فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة لم يبارك له فيه ولا تمتع به وكان اذا نزل اليه ينقبض صدره ولا تنبسط نفسه مادام فيه حتي يخرج منه فترك المجئ اليه فصار يتعاهده أحياناً فيعتريه ماتقدم ذكره فكرهه وباعه لزوجة بكتمر الساقي وتداوله ورثتها الى أن أخذه السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فاستقر بيد أولاده الى أن تحكم الامير الوزير المشير جمال الدين الاستادار في مصر اقام من شهد عند قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى بأن هذا القصر يضر بالجار والمار وإنه مستحق للازالة والهدم كما عمل ذلك فى غير موضع بالقاهرة فحكم له باستبداله وصار من جملة أملاكه فلما قتله الملك الناصر فرج بن برقوق استولى على سائر ما تركه وجعل هذا القصر فيما عينه للتربة التى أنشاها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر فاستمر في جملة أوقاف التربة المذكورة الى أن قتل الملك الناصر بدمشق فى حرب الامير شيخ والامير نوروز وقدم الامير شيخ الى مصر هو والخليفة المستعين بالله العباسي ابن محمد وقف له من بقى من أولاد جمال الدين وأقاربه وكان لاهل الدولة يومئذ بهم عناية فحكم قاضى القضاة صدر الدين على بن الادمى الحنفى بارتجاع أملاك جمال الدين التي وقفها على ما كانت عليه فتسلمها أخوه وصار هذا القصر اليهم وهو الآن بيدهم *(قصر الحجازية)

هذا القصر بخط رحبة باب العيد بجوار المدرسة الحجازية كان يعرف أولا بقصر الزمرذ فى أيام الخلفاء الفاطميين من أجل ان باب القصر الذى كان يعرف بباب الزمرذ كان هناك كما تقدم ذكره فى هذا الكتاب عند ذكر القصور فلما زالت الدولة الفاطمية صار من جملة ماصار بيد ملوك بني أيوب واختلفت عليه الايدى الى أن اشتراه الامير بدر الدين أمير مسعود بن خطير الحاجب من اولاد الملوك بنى أيوب واستمر بيده الى أن رسم بتسفيره من مصر الى مدينة غزة واستقر نائب السلطنة بها في سنة احدى وأربعين وسبعمائة وكاتب الامير سيف الدين قوصون عليه وملكه اياه فشرع في عمارة سبع قاعات لكل قاعة اصطبل ومنافع ومرافق وكانت مساحة ذلك عشرة افدنة فمات قوصون قبل ان يتم بناء

ما أراد من ذلك فصار يعرف بقصر قوصون الى ان اشترته خوندتتر الحجازية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوج الامير ملكتمر الحجازى فعمرته عمارة ملوكية وتأنقت فيه تأنقا زائدا وأجرت الماء الى أعلاه وعملت تحت القصر اصطبلا كبيرا لخيول خدامها وساحة كبيرة يشرف عليها من شبابيك حديد فجاء شيئاً عجيبا حسنه وأنشأت بجواره مدرستها التى تعرف الى اليوم بالمدرسة الحجازية وجعلت هذا القصر من جملة ماهو موقوف عليها فلما ماتت سكنه الامراء بالاجرة الى أن عمر الامير جمال الدين يوسف الاستادار داره المجاورة للمدرسة السابقية وتولى استادارية الملك الناصر فرج صار يجلس برحبة هذا القصر والمقعد الذى كان بها وعمل القصر سجنا يحبس فيه من يعاقبه من الوزراء والاعيان فصار موحشاً يروع النفوس ذكره لما قتل فيه من الناس خنقا وتحت العقوبة من بعد ماأقام دهراً وهو مغنى صبابات وملعب أتراب وموطن أفراح ودار عز ومنزل لهو ومحل أمانى النفوس ولذاتها ثم لما فحش كلب جمال الدين وشنع شرهه في اغتصاب الاوقاف أخذ هذا القصر يتشعث شئ من زخارفه وحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى باستبداله كما تقدم الحكم في نظائره فقلع رخامه فلما قتل صار معطلا مدة وهم الملك الناصر فرج ببنائه رباطا ثم انثنى عزمه عن ذلك فلما عزم على المسير الى محاربة الامير شيخ والأمير نوروز في سنة أربع عشرة وثمانمائة نزل اليه الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم بن البشيري وقلع شبابيك الحديد لتعمل آلات حرب وهو الآن بغير رخام ولا شبابيك قائم على أصوله لا يكاد ينتفع به الا ان الامير المشير بدر الدين حسن بن محمد الاستادار لما سكن في بيت الامير جمال الدين جعل ساحة هذا القصر اصطبلا لخيوله وصار يحبس في هذا القصر من يصادره أحياناً * وفي رمضان سنة عشرين وثمانمائة ذكر الامير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الاستادار مايجده المسجونون في السجن المستجد عند باب الفتوح بعد هدم خزانة شمائل من شدة الضيق وكثرة الغم فعين هذا القصر ليكون سجنا لارباب الجرائم وأنعم على جهة وقف جمال الدين بعشرة آلاف درهم فلوسا عن أجرة سنتين فشرعوا في عمله سجنا وأزالوا كثيرا من معالمه ثم ترك على مابقى فيه ولم يتخذ سجناً * (قصر يلبغا اليحياوى) هذا القصر موضعه الآن مدرسة السلطان حسن المطلة على الرميلة تحت قلعة الجبل وكان قصرا عظيما أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ببنائه لسكن الامير يلبغا اليحياوى وأن يبني أيضاً قصر يقابله برسم سكنى الامير الطنبغا الماردينى لتزايد رغبته فيهما وعظيم محبته لهما حتى يكونا تجاهه وينظر اليهما من قلعة الجبل فركب بنفسه الى حيث سوق الخيل من الرميلة تحت القلعة وسار الى حمام الملك السعيد وعين اصطبل الامير أيدغمش أميرا خور وكان تجاهها ليعمره هو وما يقابله قصرين متقابلين ويضاف اليه

اصطبل الامير طاشتمر الساقى واصطبل الجوق وأمر الامير قوصون أن يشترى مايجاور اصطبله من الاملاك ويوسع في اصطبله وجعل أمر هذه العمارة الى الامير اقبغاعبدالواحد فوقع الهدم فيما كان بجوار بيت الامير قوصون وزيد في الاصطبل وجعل باب هذا الاصطبل من تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة وأمر السلطان بالنفقة على العمارة من مال السلطان على يد النشو وكان للملك الناصر رغبة كبيرة في العمارة بحيث انه افرد لها ديوانا وبلغ مصروفها في كل يوم اثنى عشر ألف درهم نقرة وأقل ما كان يصرف من ديوان العمارة في اليوم برسم العمارة مبلغ ثمانية آلاف درهم نقرة فلما كثر الاهتمام في بناء القصرين المذكورين وعظم الاجتهاد في عمارتهما وصار السلطان ينزل من القلعة لكشف العمل ويستحث على فراغهما وأول مابدئ به قصر يلبغا اليحياوى فعمل أساسه حضيرة واحدة انصرف عليها وحدها مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة ولم يبق في القاهرة ومصر صانع له تعلق في العمارة الا وعمل فيها حتى كمل القصر فجاء في غاية الحسن وبلغت النفقة عليه مبلغ أربعمائة ألف ألف وستين ألف درهم نقرة منها ثمن لازورد خاصة مائة ألف درهم فلما كملت العمارة نزل السلطان لرؤيتها وحضر يومئذ من عند الامير سيف الدين طرغاى نائب حلب تقدمة من جملتها عشرة أزواج بسط أحدها حرير وعدة أوانى من بلور ونحوه وخيل وبخاتى فأنعم بالجميع على الامير يلبغا اليحياوي وأمر الامير أقبغا عبد الواحد أن ينزل الى هذا القصر ومعه اخوان سلار برفقته وسائر أرباب الوظائف لعمل مهم فبات النشو ناظر الخاص هناك لتعبية مايحتاج اليه من اللحوم والتوابل ونحوها فلما تهيأ ذلك حضر سائر أمراء الدولة من أول النهار وأقاموا بقصر يلبغا اليحياوى في أكل وشرب ولهو وفي آخر النهار حضرت اليهم التشاريف السلطانية وعدتها أحد عشر تشريفاً برسم أرباب الوظائف وهم الامير أقبغا عبد الواحد والاستادار والامير قوصون الساقي والامير بشتاك والامير طقوزدمر أمير مجلس في آخرين وحضر لبقية الامراء خلع وأقبية على قدر مراتبهم فلبس الجميع التشاريف والخلع والاقبية وأركبوا الخيول المحضرة اليهم من الاصطبل السلطانى بسروج وكنابيش مابين ذهب وفضة بحسب مراتبهم وساروا الى منازلهم وذبح فى هذا المهم ستمائة رأس غنم وأربعون بقرة وعشرون فرساً وعمل فيه ثلثمائة قنطار سكر برسم المشروب فان القوم يومئذ لم يكونوا يتظاهرون بشرب الخمر ولا شئ من المسكرات ألبتة ولا يجسر أحد على عمله في مهم ألبتة وما زالت هذه الدار باقية الى أن هدمها السلطان الملك الناصر حسن وأنشأ موضعها مدرسته الموجودة الآن * (اصطبل قوصون) هذا الاصطبل بجوار مدرسة السلطان حسن وله بابان باب من الشارع بجوار حدرة البقر وبابه الآخر تجاه باب السلسلة الذى يتوصل منه الى الاصطبل السلطانى وقلعة الجبل أنشأه الامير علم الدين سنجر الجمقدار فأخذه منه الامير

سيف الدين قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال فزاد فيه قوصون اصطبل الامير سنقر الطويل وأمره الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارة هذا الاصطبل فبنى فيه كثيراً وأدخل فيه عدة عمائر مابين دور واصطبلات فجاء قصراً عظيما الى الغاية وسكنه الامير قوصون مدة حياة الملك الناصر * فلما مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر عمل عليه قوصون وخلعه وأقام بعده بدله الملك الاشرف كجك بن الملك الناصر محمد فلما كان في سنة اثنين وأربعين وسبعمائة حدث فى شهر رجب منها فتنة بين الامير قوصون وبين الامراء وكبيرهم ايدغمش أميراخور فنادى ايدغمش فى العامة يا كسابة عليكم باصطبل قوصون انهبوه هذا وقوصون محصور بقلعة الجبل فأقبلت العامة من السؤال والغلمان والجند الى اصطبل قوصون فمنعهم المماليك الذين كانوا فيه ورموهم بالنشاب وأتلفوا منهم عدة فثارت مماليك الامير يلبغا اليحياوى من أعلى قصر يلبغا وكان بجوار قصر قوصون حيث مدرسة السلطان حسن ورموا مماليك قوصون بالنشاب حتى انكفوا عن رمى النهابة فاقتحم غوغا الناس اصطبل قوصون وانهبوا ما كان بركاب خاناته وحواصله وكسروا باب القصر بالفوس وصعدوا اليه بعد ماتسلقوا الى القصر من خارجه فخرجت مماليك قوصون من الاصطبل يدا واحدة بالسلاح وشقوا القاهرة وخرجوا الى ظاهر باب النصر يريدون الامراء الواصلين من الشام فأتت النهابة على جميع مافى اصطبل قوصون من الخيل والسروج وحواصل المال التي كانت بالقصر وكانت تشتمل من أنواع المال والقماش والأوانى الذهب والفضة على ما لا يحد ولا يعد كثرة وعند ماخرجت العامة بما نهبته وجدت مماليك الامراء والاجناد قد وقفوا على باب الاصطبل فى الرميلة لانتظار من يخرج وكان اذا خرج أحد بشئ من النهب أخذه منه أقوى منه فان امتنع من اعطائه قتل واحتمل النهابة أكياس الذهب ونثروها في الدهاليز والطرق وظفروا بجواهر نفيسة وذخائر ملوكية وأمتعة جليلة القدر وأسلحة عظيمة وأقمشة مثمنة وجروا البسط الرومية والامدية وما هو من عمل الشريف وتقاتلوا عليها وقطعوها قطعاً بالسكاكين وتقاسموها وكسروا أوانى البلور والصيني وقطعوا سلاسل الخيل الفضة والسروج الذهب والفضة وفككوا اللجم وقطعوا الخيم وكسروا الخركاوات وأتلفوا سترها وأغشيتها الاطلس والزركش *وذكر عن كاتب قوصون أنه قال أما الذهب المكيس والفضة كان ينيف على أربعمائة ألف دينار وأما الزركش والحوايص والمعصبات مابين خوانجات واطباق فضة وذهب فانه فوق المائة ألف دينار والبلور والمصاغ المعمول برسم النساء فانه لا يحصر وكان هناك ثلاثة أكياس أطلس فيها جوهر قد جمعه في طول أيامه لكثرة شغفه بالجوهر لم يجمع مثله ملك كان ثمنه نحو المائة ألف دينار وكان في حاصله عدة مائة وثمانين زوج بسط منها ما طوله من أربعين ذراعا الى ثلاثين ذراعا عمل البلاد وستة عشر زوج من عمل الشريف بمصر ثمن كل زوج

اثنا عشر ألف درهم نقرة منها أربعة أزواج بسط من حرير وكان من جملة الخام نوبة خام جميعها أطلس معدنى قصب جميع ذلك نهب وكسر وقطع وانحط سعر الذهب بديار مصر عقيب هذه النهبة من دار قوصون حتى بيع المثقال باحد عشر درهما لكثرته فى أيدى الناس بعد ما كان سعر المثقال عشرين درهماً ومن حينئذ تلاشى أمر هذا القصر لزوال رخامه فى النهب وما برح مسكنا لا كابر الامراء وقد اشتهر أنه من الدور المشؤمة وقد ادركت فى عمرى غير واحد من الامراء سكنه وآل أمره الى مالا خير فيه وممن سكنه الامير بركة الزيني ونهب نهبة فاحشة وأقام عدة أعوام خرابا لا يسكنه أحدثم أصلح وهو الآن من أجل دور القاهرة *(دار أرغون الكاملى) هذه الدار بالجسر الاعظم على بركة الفيل أنشأها الامير أرغون الكاملى فى سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأدخل فيها من أرض بركة الفيل عشرين ذراعا *(ارغون الكاملى) الامير سيف الدين نائب حلب ودمشق تبناه الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون وزوجه أخته من أمه بنت الامير أرغون العلائي في سنة خمس وأربعين وسبعمائة وكان يعرف أوّلا بأرغون الصغير فلما مات الملك الصالح وقام من بعده فى مملكة مصر أخوه الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون اعطاه امرة مائة وتقدمة الف ونهى أن يدعى أرغون الصغير وتسمي أرغون الكاملى فلما مات الامير قطليجا الحموي في نيابة حلب رسم له الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون بنيابة حلب فوصل اليها يوم الثلاثاء حادى عشر شهر رجب سنة خمسين وسبعمائة وعمل النيابة بها على أحسن ما يكون من الحرمة والمهابة وهابه التركمان والعرب ومشت الاحوال به ثم جرت له فتنة مع أمراء حلب فخرج في نفر يسير الى دمشق فوصلها لثلاث بقين من ذى الحجة سنة احدى وخمسين فاكرمه الامير ايتمش الناصرى نائب دمشق وجهزه الى مصر فأنعم عليه السلطان وأعاده الى نيابة حلب فأقام بها الى أن عزل ايتمش من نيابة دمشق في أول سلطنة الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون فنقل من نيابة حلب الى نيابة دمشق فدخلها في حادي عشرى شعبان سنة اثنتين وخمسين وأقام بها فلم يصف له بها عيش فاستعفى فلم يجب وما زال بها الى أن خرج يلبغا روس وحضر الى دمشق فخرج الى لد واستولى يلبغا روس على دمشق فلما خرج الملك الصالح من مصر وسار الى بلاد الشام بسبب حركة يلبغا روس تلقاه أرغون وسار بالعساكر الى دمشق ودخل السلطان بعده وقد فر يلبغا روس فقلده نيابة حلب في خامس عشرى شهر رمضان وعاد السلطان الى مصر فلم يزل الامير أرغون بحلب وخرج منها الى الابلستين في طلب ابن دلغادر وحرقها وحرق قراها ودخل الى قيصرية وعاد الى حلب فى رجب سنة أربع وخمسين فلما خلع الملك الصالح باخيه الملك الناصر حسن في شوال سنة خمس وخمسين طلب الامير أرغون من حلب فى آخر

شوال فحضر الى مصر وعمل أمير مائة مقدم ألف الى تاسع صفر سنة ست وخمسين فأمسك وحمل الى الاسكندرية واعتقل فيها وعنده زوجته ثم نقل من الاسكندرية الى القدس فأقام بها بطالا وبنى هناك تربة ومات بها يوم الخميس لخمس بقين من شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمائة *(دار طاز) هـذه الدار بجوار المدرسة البندقدارية تجاه حمام الفارقانى على يمنة من سلك من الصليبة يريد حدرة البقر وباب زويلة أنشأها الامير سيف الدين طاز في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وكان موضعها عدة مساكن هدمها برضا أربابها وبغـير رضاهم وتولى الامـير منجك عمارتها وصار يقف عليها بنفسه حتى كملت فجاءت قصرا مشيدا واصطبلا كبيرا وهي باقية الي يومنا هـذا يسكنها الامراء وفي يوم السبت سابع عشرى جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين عمل الامـيرطاز في هذه الدار وليمة عظيمة حضرها السلطان الملك الصالح صالح وجميع الامراء فلما كان وقت انصرافهم قدم الامير طاز للسلطان أربعة أفراس بسروج ذهب وكنابيش ذهب وقدم للامير سنجر فرسين كذلك والامير صرغتمش فرسين ولـكل واحد من أمراء الالوف فرسا كذلك ولم يعهد قبل هـذا أن أحدا من ملوك الاتراك نزل الى بيت أمير قبل الصالح هذا وكان يوما مذكورا *(طاز) الامير سيف الدين أمير مجلس اشتهر ذكره في أيام الملك الصالح اسماعيل ولم يزل أميرا الى أن خلع الملك الـكامل شعبان وأقيم المظفر حاجي وهو أحد الامراء الستة أرباب الحـل والعقد فلما خلع الملك المظفر وأقيم الملك الناصر حسن زادت وجاهته وحرمته وهو الذى أمسك الامير يلبغا روس في طريق الحجاز وأمسك أيضا الملك المجاهد سيف الاسلام على ابن المؤيد صاحب بلاد اليمن بمكة وأحضره الى مصر وهو الذي قام في نوبة السلطان حسن لما خلع وأجلس الملك الصالح صالح على كرسى الملك وكان يلبس في درب الحجاز عباءة وسر قولا ويخفى نفسه ليتجسس على أخبار يلبغا روس ولم يزل على حاله الى ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فخلع الصالح وأعيد الناصر حسن فأخرج طاز الى نيابة حلب وأقام بها *(دار صرغتمش) هذه الدار بخط بئر الوطاويط بالقرب من المدرسة الصرغتمشية المجاورة لجامع أحمد بن طولون من شارع الصليبة كان موضعها مساكن فاشتراها الامـير صرغتمش وبناها قصرا واصطبلا في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وحمـل اليه الوزراء والـكتاب والاعيان من الرخام وغيره شيئاً كثيرا وقد ذكر التعريف به عند ذكر المدرسة الصرغتمشية من هذا الـكتاب في ذكر المدارس وهذه الدار عامرة الى يومنا هذا يسكنها الامراء ووقع الهدم في القصر خاصة في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة *(دار الماس) هـذه الدار بخط حوض ابن هنس فيما بينه وبين حدرة البقر بجوار جامع الماس أنشأها الامير الماس الحاجب واعتنى برخامها عناية كبيرة واستدعى به من البلاد فلما

قتل في صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلع ما في هذه الدار من الرخام فقلع جميعه ونقل الى القلعة وهذه الدار باقية الى يومنا هذا ينزلها الامراء *(دار بهادر المقدم) هذه الدار بخط الباطلية من القاهرة أنشأها الامير الطواشى سيف الدين بهادر مقدم المماليك السلطانية في أيام الملك الظاهر برقوق * وبهادر هذا من مماليك الامير يلبغا وأقام في تقدمة المماليك جميع الايام الظاهرية وكثر ماله وطال عمره حتى هرم ومات في أيام الملك الناصر فرج وهو على امرته وفى وظيفته تقدمة المماليك السلطانية يوم الاحد سابع عشر رجب سنة اثنتين وثمانمائة وموضع هذه الدار من جملة ما كان احترق من الباطلية في أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم في ذكر حارة الباطلية عند ذكر الحارات من هذا الكتاب ولما مات المقدم بهادر استقرت من بعده منزلا لامراء الدولة وهي باقية على ذلك الى يومنا هذا *(دار الست شقراء) هذه الدار من جملة حارة كتامة وهى اليوم بالقرب من مدرسة الوزير الصاحب كريم الدين بن غنام بجوار حمام كراي وهى من الدور الجليلة عرفت بخوند الست شقراء ابنة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون وتزوجها الامير روس ثم انحط قدرها واتضعت فى نفسها الى أن ماتت في يوم الثلاثاء ثامن عشرى جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وسبعمائة *(دار ابن عنان) هذه الدار بخط الجامع الازهر أنشأها نور الدين على بن عنان التاجر بقيسارية جهاركس من القاهرة وتاجر الخاص الشريف السلطانى فى أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد ابن قلاوون كان ذا ثروة ونعمة كبيرة ومال متسع فلما زالت دولة الاشرف أجمع وداخله وهم أظهر فاقة وتذكر أنه دفن مبلغا كبيرا من الالف مثقال ذهب فى هذه الدار ولم يعلم به أحد سوى زوجته أم أولاده فاتفق أنه مرض وخرس ومرضت زوجته أيضاً فمات يوم الجمعة ثامن عشر شوال سنة تسع وثمانين وسبعمائة وماتت زوجته أيضاً فأسف أولاده على فقد ماله وحفروا مواضع من هذه الدار فلم يظفروا بشيء ألبتة وأقامت مدة بأيديهم وهى من وقف أبيهم ومات ولده شمس الدين محمد بن على بن عنان يوم السبت تاسع صفر سنة ثلاث وثمانمائة ثم باعوها سنة سبع عشر وثمانمائة كما بيع غيرها من الاوقاف *(دار بهادر الاعسر) هذه الدار بخط بين السورين فيما بين سويقة المسعودى من القاهرة وبين الخليج الكبير الذي يعرف اليوم بخليج اللؤلؤة كان مكانها من جملة دار الذهب التي تقدم ذكرها في ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب والى يومنا هذا بجوار هذه الدار قبو فيما بينها وبين الخليج يعرف بقبو الذهب من جملة اقباء دار الذهب ويمر الناس من تحت هذا القبو * بهادر هذا هو الامير سيف الدين بهادر الاعسر اليحياوي كان مشرفا بمطبخ الامير سيف الدين لجا الامير شكار ثم صار زردكاش الامير الكبير يلبغا الخاصكي وولى بعد ذلك مهمندار السلطان

بدار الضيافة وولى وظيفة شد الدواوين الى أن قدم الامير يلبغا الناصري نائب حلب بعساكر الشام الى مصر وأزال دولة الملك الظاهر برقوق في جمادي سنة احدى وتسعين وسبعمائة قبض عليه ونفاه من القاهرة الى غزة ثم عاد بعدذلك الى القاهرة وأقام بها الى أن مات بهذه الدار في يوم عيد الفطر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وحصرت تركته وكان فيها عدة كتب في أنواع من العلوم وهذهالدار باقية الى يومناهذا وعلى بابها بئر بجانبها حوض يملأ لشرب الدواب منه *(دار ابن رجب) هذهالدار من جملة أراضى البستان الذى يقال له اليوم الكافورى كان اصطبلا للامير علاء الدين على بن كلفت التركمانى شاد الدواوين فيما بين داره ودار الامير تنكز نائب الشام فلما استقر ناصر الدين محمد بن رجب في الوزارة أنشأ هذا الاصطبل مقعداً صار يجلس فيه وقصراً كبيراً واستولى من بعده على ذلك كله أولاده فلما عمر الامير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته بخط رحبة باب العيد أخذ هذا القصر والاصطبل في جملة ما أخذ من أملاك الناس وأوقافهم فلما قتله الملك الناصر فرج واستولى على جميع ماخلفه أفرد هذا القصر والاصطبل فيما أفرده للمدرسة المذكورة فلم يزل من جملة أوقافها الى أن قتل الملك الناصر فرج وقدم الامير شيخ نائب الشام الى مصر فلما جلس على تخت الملك وتلقب بالملك المؤيد في غرة شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة وقف اليه من بقي من أولاد علاء الدين على بن كلفت وهما امرأتان كانت احداهما تحت الملك المؤيد قبل أن يلى نيابة طرابلس وهو من جملة أمراء مصر في أيام الملك الظاهر برقوق وذكرتا ان الامير جمال الدين الاستادار أخذ وقف أبيهما بغير حق وأخرجتا كتاب وقف أبيهما ففوض أمر ذلك لقاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقيني الشافعى فلم يجد بيد أولاد جمال الدين مستندا فقضى بهذا المكان لورثة ابن كلفت وبقائه على ما وقفه حسبما تضمنه كتاب وقفه فتسلم مستحقوا وقف ابن كلفت القصر والاصطبل وهو الآن بايديهم وبينهم وبين أولاد ابن رجب نزاع فى القصر فقط *(محمد بن رجب) ابن محمد بن كلفت الامير الوزير ناصر الدين نشأ بالقاهرة على طريقة مشكورة فلما استقر ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدى شاد الدواوين بعد انتقال الامير جمال الدين محمود بن على من شاد الدواوين الى استادارية السلطان في يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة أقام ابن رجب هذا استادارا عند الامير سودون باق وكانت أول مباشراته ثم ولى شد الدواوين بعد الامير ناصر الدين محمد بن اقبغا آص في ثامن شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين فباشر ذلك الى أن صرف بابن اقبغا آص في سابع عشرى ذى الحجة وعوض في شد الدواوين بشد دواليب الخاص عوضاً عن خاله الامير ناصر الدين محمد بن الحسام عند انتقاله الى الوزارة فلم يزل الى أن توجه الملك الظاهر برقوق الى

الشام وأقام الامير محمود الاستادار فقدم عليه ابن رجب بكتاب السلطان وهو مختوم فاذا فيه أن يقبض على ابن رجب ويلزمه بحمل مبلغ مائة وستين ألف درهم نقرة فقبض عليه في رابع شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وأخذ منه مبلغ سبعين ألف درهم نقرة فلما كان في يوم الاثنين رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين صرف السلطان عن الوزارة الصاحب موفق الدين أبا الفرج واستقر بابن رجب في منصب الوزارة وخلع عليه فلم يغير زى الامراء وباشر الوزارة على قالب ضخم وناموس مهاب وصار أميرا وزيرا مدبر الممالك وسلك سيرة خاله الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام في استخدام كل من باشر الوزارة فاقام الصاحب سعد الدين بن نصر الله بن البقرى ناظر الدولة والصاحب كريم الدين عبدالكريم ابن الغنام ناظر البيوت والصاحب علم الدين عبدالوهاب سن ابرة مستوفي الدولة والصاحب تاج الدين عبدالرحيم بن أبي شاكر رفيقاً له في استيفاء الدولة وأنعم عليه بامرة عشرين فارساً في سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين فلم يزل على ذلك الى أن مات من مرض طويل في يوم الجمعة لاربع بقين من صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وهو وزير من غير نكبة فكانت جنازته من الجنائز المذكورة وقد ذكرته في كتاب درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة *(دار القليجي) هذه الدار من جملة خط قصر بشتاك كانت أولا من بعض دور القصر الكبير الشرقي الذى تقدم ذكره عند ذكر قصور الخلفاء ثم عرفت بدار جمال الكفاة وهو القاضي جمال الدين ابراهيم المعروف بجمال الكفاة ابن خالة النشو ناظر الخاص كان أولا من جملة الكتاب النصارى فاسلم وخدم في بستان الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى كان ميداناً للملك الظاهر بيبرس بأرض اللوق ثم خدم في ديوان الامير بيدمر البدرى فلما عرض السلطان دواوين الامراء واختار منهم جماعة كان من جملة من اختاره السلطان جمال الكفاة هذا فجعله مستوفياً الى أن مات المهذب كاتب الامير بكتمر الساقي فولاه السلطان مكانه في ديوان الامير بكتمر فخدمه الى أن مات فخدم بديوان الامير بشتاك الى أن قبض الملك الناصر على النشو ناظر الخاص ولاه وظيفة نظر الخاص بعد النشو ثم أضاف اليه وظيفة نظر الجيش بعد المكين بن قزوينة عند غضبه عليه ومصادرته فباشر الوظيفتين الى أن مات الملك الناصر فاستمر فى أيام الملك المنصور أبي بكر والملك الاشرف كجك والملك الناصر أحمد فلما ولى الملك الصالح اسمعيل جعله مشير الدولة مع مابيده من نظر الخاص والجيش وكان الوزير اذ ذاك الامير نجم الدين محمود وزير بغداد وكتب له توقيع باستقراره في وظيفة الاشارة فعظم أمره وكثر حساده الى أن قبض عليه وضرب بالمقارع وخنق ليلة الاحد سادس شهر ربيع الاول سنة خمس وأربعين وسبعمائة ودفن بجوار زاوية ابن عبود من القرافة وكانت مدة نظره فى الخاص خمس سنين وشهرين تنقص

أياماً وكان مليح الوجه حسن العبارة كثير التصرف ذكياً يعرف باللسان التركي ويتكلم به ويعرف باللسان النوبي والتكروري ولم تزل هذه الدار بغير تكملة الى أن ترأس القاضي شمس الدين محمد بن أحمد القليجي الحنفي كان أولا يكتب على ميضة الغزل وهي يومئذ مضمنة لديوان السلطان ثم اتصل بقاضي القضاة سراج الدين عمر بن اسحاق الهندي وخدمه فرفع من شأنه واستنابه في الحكم فعيب ذلك على الهندي وقال فيه شمس الدين محمد بن محمد الصائغ الحنفي

ولما رأينا كاتب المكس قاضيا * علمنا بان الدهر عاد الى ورا

فقلت لصحبي ليس هذا تعجبا * وهل يجلب الهندي شيئاً سوى الخرا

وولي أفتاء دار العلم وناب عن القضاة في الحكم بعد مباشرة توقيع الحكم عدة سنين فعظم ذكره وبعد صيته وصار يتوسط بين القضاة والامراء في حوائجهم ويخدم أهل الدولة فيما يعن لهم من الامور الشرعية فصار كثير من أمور القضاة لا يقوم به غيره حتى لقد كان شيخنا الاستاذ قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون يسميه دريد بن الصمة يعني أنه صاحب رأي القضاة كما أن دريد بن الصمة كان صاحب رأي هوازن يوم حنين فلما نجم أمره أخذ هذه الدار وقد تم بناء جدرانها فرخمها وزخرفها وبيضها فجاءت في أعظم قالب وأحسن هندام وأبهج زى وسكنها الى أن مات يوم الثلاثا لعشرين من شهر رجب سنة سبع وتسعين وسبعمائة بعد ما وقفها فاستمرت في يد أولاده مدة الى أن أخذها الامير جمال الدين يوسف الاستادار كما أخذ غيرها من الدور *(دار بهادر المعزى)هذه الدار بدرب راشد المجاور لخزانة البنود من القاهرة عمرها الامير سيف الدين بهادر المعزى كان أصله من أولاد مدينة حلب من أبناء التركمان واشتراه الملك المنصور لاجين قبل أن يلي سلطنة مصر وهو في نيابة السلطنة بدمشق فترقي حتى صار أحد أمراء الالوف الى أن مات في يوم الجمعة تاسع شعبان سنة تسع وثلاثين وسبعمائة عن ابنتين احداهما تحت الامير أسدمر المعزى والاخرى تحت مملوكه اقتمر وترك مالا كثيرا منه ثلاثة عشر ألف دينار وستمائة ألف درهم نقرة وأربعمائة فرس وثلثمائة جمل ومبلغ خمسين ألف أردب غلة وثمان حوايص ذهب وثلاث كلوتات زركش واثنى عشر طراز زركش وعقارا كثيرا فأخذ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جميع ما خلفه وكان جميل الصورة معروفا بالفروسية ورمي في القبق النشاب بيمينه ويساره ولعب الرمح لعبا جيدا وكان لين الجانب حلو الكلام جميل العشرة الا أنه كان مقترا على نفسه في مأكله وسائر أحواله لكثرة شحه بحيث أنه اعتقل مرة فجمع من راتبه الذي كان يجري عليه وهو في السجن مبلغ اثنى عشر ألف درهم نقرة أخرجها معه من الاعتقال *(دار طينال) هذه الدار بخط الخراطين في داخل الدرب

الذى كان يعرف بخربة صالح كان موضعها وما حولهـا في الدولة الفاطمية مارستانا وأنشأ هذه الدار * الامير طينال أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون أقامه ساقيا ثم عمله حاجبا صغيرا ثم أعطاه امرة دكتمر وجعله أمير مائة مقدم ألف فباشر ذلك مدة ثم أخرجه لنيابة طرابلس فأقام بها زمانا ثم نقله الى نيابة صفد فمات بها في ثالث شهر ربيع سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وكان تترى الجنس قصيرا الى الغاية مليح الوجه مشكورا في أحكامه محبا لجمع المال شحيحا وهذه الدار تشتمل على قاعتين متجاورتين وهى من الدور الجليلة ولطينال أيضاً قيسارية بسويقة أمير الجيوش *(دار الهرماس) هذه الدار كانت بجوار الجامع الحاكمي من قبليه شارعة في رحبة الجامع على يسرة من يمر الى باب النصر عمرها الشيخ قطب الدين محمد بن المقدسى المعروف بالهرماس وسكنها مـدة وكان أثيرا عند السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد بن قـلاوون له فيه اعتقاد كبير فعظم عند الناس قدره واشتهر فيما بينهم ذكره الى أن دبت بينـه وبين الشيخ شمس الدين محمد بن النقاش عقارب الحسد فسعى به عند السلطان الى أن تغير عليـه وأبعده ثم ركب في يوم سـنة احدى وستين وسبعمائة من قلعـة الجبل بعساكره الى باب زويلة فعند ما وصـل اليه ترجل الامراء كلهم عن خيولهم ودخـلوا مشاة من باب زويلة كما هى العـادة وصار السلطان راكبا بمفرده وابن النقـاش أيضاً راكب بجانبه وسائر الامراء والمماليك مشاة في ركابه على ترتيبهم الى أن وصل السلطان الى المـارستان المنصورى بين القصرين فنزل اليـه ودخل القبة وزار قبر أبيه وجدّه واخوته وجلس وقد حضر هناك مشايخ العلم والقضاة فتذاكروا بين يديه مسائل علمية ثم قام الى النظر فى أمور المرضى بالمارستان فدار عليهم حتي انتهى غرضه من ذلك وخرج فركب وسار نحو باب النصر والناس مشاة فى ركابه الا ابن النقاش فانه راكب بجانبه الى أن وصل الى رحبة الجامع الحاكمى فوقف تجاه دار الهرماس وأمر بهدمها فهدمت وهو واقف وقبض على الهرماس وابنه وضرب بالمقارع عدة شيوب ونفى من القاهرة الى مصياف فقال الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى فى ذلك

قد ذاق هرماس الخساره * من بعد عز وجساره
حسب البهتـان يبـقى * أخـرب الله دياره

فلما قتل السلطان فى سنة اثنين وستين عاد الهرماس الى القاهرة وأعاد بعض داره فلما كانت سنة ثمانين وسبعمائة صارت هذه الدار الى الامير جمال الدين عبـد الله بن بكتمر الحاجب فانشأها قاعة وعدة حوانيت وربعا علو ذلك وانتقـل من بعده الى أولاده وهو بأيديهم الى اليوم * (دار أوحد الدين) هذه الدار بداخل درب السلامى فى رحبـة باب العيد مقابل قصر الشوك والى جانب المارستان العتيق الصلاحي كان موضعهـا من حقوق

القصر الكبير وصار أخيراً طاحونا فهدمها القاضى أوحد الدين عبد الواحد أيام كان يباشر توقيع الامير الكبير برقوق بعد سنة ثمانين وسبعمائة فلما حفر أساس هذه الدار وجد فيه هيئة قبة معقودة من لبن وفي داخلها انسان ميت قد بليت أكفانه وصار عظما نخراً وهو في غاية طول القامة يكون قدر خمسة أذرع وعظام ساقيه خلاف ماعهد من الكبر ودماغه عظيم جداً فلما كملت هذه الدار سكنها أيام مباشرته وظيفة كتابة السر الي أن مات بها وقد حبسها على أولاده فاستمرت بأيديهم الى أن أخذها منهم الامير جمال الدين يوسف الاستادار كما أخذ غيرها من الاوقاف فاستمرت في جملة مابيده الى أن قتله الملك الناصر فرج فقبضها فيما قبض مما خلفه جمال الدين فلما قتل الملك الناصر فرج واستقل الملك المؤيد شيخ بمملكة مصر استرجع أولاد جمال الدين ما كان أخذه الناصر من أملاك جمال الدين وصارت بايديهم الي أن وقف له أولاد أوحد الدين في طلب دار أبيهم فعقد لذلك مجلس اجتمع فيه القضاة فتبين أن الحق بيد أولاد أوحد الدين فقضى باعادة الدار الى ماوقفها عليه أوحد الدين فتسلمها أولاد أوحد الدين من ورثة جمال الدين وهي الآن بأيديهم * (عبد الواحد) بن اسماعيل ابن ياسين الحنفى أوحد الدين كاتب السر ولد بالقاهرة ونشأ بها في كنف قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن على التركمانى الحنفى لصهارة كانت بين ابيه وبين التركمانية وباشر توقيع الحكم مدة واتفق أن أميراً من أمراء الملك الاشرف شعبان بن حسين يعرف بيونس الرماح مات فادعى برقوق العثمانى أحد المماليك اليلبغاوية أنه ابن عم يونس هذا وأنه يستحق ارثه لموته عن غير ولد وحضر الى المدرسة الصالحية بين القصرين حيث يجلس القضاة للحكم بين الناس حتي يثبت ما ادعاه فلما أراد الله من اسعاد جد أوحد الدين لم يقف برقوق على أحد من موقعي الحكم الا عليه وأخبره بما يريد فبادر الى توريق سؤال باسم برقوق وانهائه أنه ابن عم يونس الرماح وان عنده بينة تشهد بذلك ودخل بهذا السؤال الى قاضى القضاة وأنهى العمل حتي ثبت أن برقوق ابن عم يونس يستحق ارثه فلما فرغ من ذلك دفع برقوق الى أوحد الدين مبلغ دراهم أجرة توريقه كما هي عادة أهل مصر في هذا فامتنع من أخذها وألحف برقوق في سؤاله وهو يمتنع فتقلد له برقوق المنة بذلك واعتقد أمانته وخيره وصار لكثرة ركونه اليه اذا قدم فلاحو اقطاعه يبعثهم اليه حتي يحاسبهم عما حملوه من الخراج فلما قتل الملك الاشرف وثارت المماليك وكان من أمرهم ما كان الى أن تغلب برقوق وصار من جملة الامراء واستولى على الاصطبل السلطانى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة وصار أميرا خور أقام أوحد الدين موقعاً عنده وما زال أمر برقوق يزداد قوة حتي أنيطت به أمور المملكة كلها فصار أوحد الدين صاحب الحل والعقد وكاتب السر بدر الدين محمد بن على بن فضل الله اسما لا معنى له الى أن جلس الامير برقوق على تخت المملكة

في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة فقرر القاضي أوحد الدين في وظيفة كتابة السر عوضا عن ابن فضل الله وخلع عليه في يوم السبت ثاني عشر شوال من السنة المذكورة فباشر كتابة السر على القالب الجائر وضبط الامور أحسن ضبط وعكف سائر الناس على بابه لتمكنه من سلطانه وكان الامير يونس الدوادار يرى أنه أكثر الناس من الامراء تمكينا من السلطان وجرت العادة بانتماء كاتب السر الى الدوادار فأحب أوحد الدين الاستبداد على الامير يونس الدوادار فقال للسلطان سرا في غيبة يونس ان السلطان يرسم بكتابة مهمات الدولة وأسرار المملكة الى البلاد الشامية وغيرها والامير الدوادار يريد من المملوك أن يطلع على ذلك فلم يقدر المملوك على مخالفته ولا أمكنه اعلامه الا باذن فأنف السلطان من ذلك وقال الحذر أن يطلع على شيء من مهمات السلطان أو أسراره فقال أخاف منه أن سأل ولم أعلمه فقال السلطان ماعليك منه فرأى أنه قد تمكن حينئذ فأمسك أياما ثم أراد الازدياد من الاستبداد فقال للسلطان سرا قد رسم السلطان أن لا يطلع أحد على سر السلطان ولا يعرف بما يكتب من المهمات وطائفة البريدية كلهم يمشون فى خدمة الدوادار فاذا اقتضت آراء السلطان تسفير أحد منهم في مهم يحتاج المملوك الى استدعائه من خدمة الامير الدوادار فاذا التمس مني أني أخبره بالمعنى الذى توجه فيه البريدى لاأقدر على اعلامه بذلك ولا آمن ان كتمته وانصرف فلما كان من الغد وطلع الامراء الى الخدمة على العادة قال السلطان للامير يونس الدوادار أرسل البريدية كلهم الى كاتب السر ليمشوا ويركبوا معه فلم يجد بدا من ارسالهم وحصل عنده من ارسالهم المقيم المقعد فصار البريدية يركبون نوباً في خدمة أوحد الدين ويتصرف في أمور الدولة وحده مع سلطانه فانفرد بالكلمة وخضع له الخاص والعام الا انه نغص عليه في نفسه ومرض مرضاً طويلا سقطت معه شهوة الطعام بحيث انه لم يكن يشتهي شيئاً من الغذاء وتنوع له المأكل بين يديه لكي تميل نفسه الى شيء منها ومتى تناول غذاء تقيأه في الحال وما زال على ذلك الى أن مات عن سبع وثلاثين سنة في يوم السبت ثاني ذي الحجة سنة ست وثمانين وسبعمائة ودفن خارج باب النصر فلم يتأخر أحد من الامراء والاعيان عن جنازته وكان حسن السياسة رضي الخلق عاقلا كثير السكون جيد السيرة جميل الصورة حسن الهيئة عارفا بأمر دنياه محبا للمداراة صاحب باطن قليل العلم رحمه الله * (ربع الزيتي) هذا الربع كان بجوار قنطرة الحاجب التي على الخليج الناصرى وكان يشتمل على عدة مساكن ينزلها أهل الخلاعة للقصف فانه كان يشرف من جهاته الاربع على رياض وبساتين ففي شرقيه غيط الزيتي وقد خرب وموضعه اليوم بركة ماء وفي غربيه غيط الحاجب بيبرس وأدركته عامراً وهو اليوم مزارع بعد ما كان له باب كبير بجانبه حوض ماء للسبيل وعليه سياج من طين دائر به ومن قبلي هذا الربع الخليج وقنطرة

الحاجب والجنينة التي بأرض الطبالة ومن بحريه بساتين تتصل بالبعل وكوم الريش ومازال هذا الربع معمورا باللذات آهلا بكثرة المسرات الى أن كانت سنة الغرقة وهي سنة خمس وخمسين وسبعمائة فخربت دور كوم الريش وغيرها ووصل ماء النيل الى قنطرة الحاجب فخرب ربع الزيتي وأهمل أمره حتى صار كوما عظيما تجاه قنطرة الحاجب وغيط الحاجب وسمعت من أدركته يخبر عن هذا الربع بعجائب من الملاذ التي كانت فيه وكانت العامة تقول في هزلها ستي أين كنتي وأين رحتي وأين جيتي قالت من ربع الزيتي

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

*(الدار التي في أول البرقية من القاهرة التي حيطانها حجارة بيض منحوتة) هذه الدار بقي منها جدار على يمين من سلك من المشهد الحسيني يريد باب البرقية وبقي منها أيضاً جدار على يمين من سلك من رحبة الايدمري الى باب البرقية وهي دار الامير صبيح بن شاهنشاه أحد أمراء الدولة الفاطمية في أيام الصالح طلائع بن رزيك وكانت في غاية الكبر والتحسين قال بعض أصحاب الصالح يا مولانا أبقاك الله حتى تتم دار ابن شاهنشاه وكان الضرغام قبل أن يلي وزارة مصر قد فرس العادل أباشجاع رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك فظهر منه فارسا في غاية الفروسية بحيث انه قد حضر في يوم عيد الحلقة وأخذ رمحا وحربة وقوسا وسهما فأخذ الحلقة بالرمح ورمي بالسهم فأصاب الغرض وحذف بالحربة فأثبتها في المرمى ولعب بالرمح في غاية الحسن ثم دخل صبيح بن شاهنشاه فعمل مثل ذلك فتحرك الضرغام وكان يلبس عمامة بعذبة وأكمام واسعة على زي المصريين يومئذ فتلثم بعذبته ولف أكمامه وأخذ رمحه ولعب به في غاية الحسن وطرد كذلك ودخل في الحلقة وأخذها فعجب منه كل من في العسكر فأخذ عند ذلك الامير صبيح بن شاهنشاه المبخرة وأتى اليه وقال يامولاي كفاك الله أمر العين فان هذا شيء ما يقدر عليه أحد وجعل يدور حول فرسه ويبخره والضرغام يتبسم ويعجبه ذلك وبعد هذا كان قتل ابن شاهنشاه على يده في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ولم تكمل هذه الدار *(دار التمر) هذه الدار بمدينة مصر من خارجها فيما انحسر عنه ماء النيل بعد الخمسمائة من سني الهجرة وتعرف اليوم بصناعة التمر تجاه الصاغة بخط سوق المعاريج ومن جملتها بيت برهان الدين ابراهيم الحلي ومدرسته وهذه الدار وقفها القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني على فكاك الاسرى من المسلمين ببلاد الفرنج * قال القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر في كتاب الدر النظيم في أوصاف القاضي الفاضل عبد الرحيم ومن جملة بنائه دار التمر بمصر المحروسة ولها دخل عظيم يجمع ويشترى به الاسرى من بلاد الفرنج وذلك مستمر الى هذا الوقت وفي كل وقت يحضر بالاسارى فيلبسون ويطوفون ويدعون له وسمعتهم مراراً يقولون يا ألله يا رحمن يا رحيم ارحم القاضي الفاضل

عبد الرحيم وقال القاضي جمال الدين بن شيث كان للقاضي الفاضل ربع عظيم يؤجره بمبلغ كبير فلما عزم على الحج ركب ومرّ به ووقف عليه وقال أللهم انك تعلم ان هـذا الخان ليس شئ أحب الى منه أو قال أعز على منه أللهم فاشهد انى وقفته على فكاك الاسرى من بلاد الفرنج وقال ابن المتوج ومن جملة الاوقاف الوقف الفاضلى وهو الدار المشهورة بصناعة التمر الوقف على فكاك الاسري من يد العدو المشتملة على مخازن وأخصاص وشون ومنازل علوية وحوانيت بمجازها وظاهرها وهى اثنا عشر حانوتاً وخمسة مقاعد وثمانيـة وخمسون مخزناً وخمسة عشر خصاً وست قاعات وساحة وست شون وخمسة وسبعون منزلا وخمسة مقاعد علوية الاجرة عن ذلك جميعه الى آخر شعبان سنة تسع وثمانين وستمائة فى كل شهر ألف ومائة وست وثلاثون درهما نقرة واستجد بهـا القاضي جمال الدين الوجيزى خليفة الحـكم بمصر حين كان ينظر في الاوقاف داراً من ريع الوقف فأ كلها البحر فامر ببناء زربية أمامها من مال الوقف *(عمارة أم السلطان) هـذه العمارة من جملة المتحر كانت دارا تعرف بالامير جمال الدين ايدغدى العزيزي ولهـا باب من الدرب الاصفر الذى هو الآن تجاه خانقاه بيبرس وباب من المحايريين تجاه الجامع الاقمر عرفت هـذه الدار بالامير مظفر الدين موسى الصـالح على بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الالفى ثم خربت فانشأتها خوند أم الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وجعلت منها قيسارية بخط الركن المخلق يباع بها الجلود ويعلوها ربع جليل لسكن العامة يشتمل على عدة طباق ووقفت ذلك على مدرستها بخط التبانة خارج باب زويلة فلم تزل جارية في وقفها الى أن اغتصبها الوزير الامير جمال الدين يوسف الاستادار فيما أخذ من الاوقاف وجعلها وقفاً على مدرسته بخط رحبة باب العيد من القاهرة وجعلت خوند بركة من جملة هذه الدار قاعة لم يعمر فيها سوى بوابتها لا غير وهى أجل بوابات الدور وقد دخلت أيضاً فيما أخذه جمال الدين وصارت بيد مباشرى مدرسته الى أن أخذها السلطان الملك الاشرف أبو العزيزى برسباى الدقاقى الظاهرى وابتدأ بعمارتها وكالة فى شوال سنة خمس وعشرين وثمانمائة فكملت فى رجب سنة ست وعشرين وغير من الطراز المنقوش فى الحجارة بجانبي باب الدخول اسم شعبان بن حسين وكتب برسباى فجاءت من أحسن المباني ويعلوها طباق للسكنى ولم يسخر في عمارتها أحد من الناس كما أحـدثه ولاة السوء في عمائرهم بل كان العمـال من البنايين والفعلة ونحوهم يوفون أجورهم من غير عنف ولا عسف فانه كان القائم على عمارتهـا القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش وهـذه عادته في أعماله أن لا يكلف فيهـا العمال غير طاقتهم ويدفع اليهم أجورهم والله أعلم

(ذكر الحمامات)

قال ابن سيده الحمام والحميم والحميمة جميعاً الماء الحار والحميمة أيضاً المحض اذا سخن وقد أحمه وحمه وكلما سخن فقد حم قال ابن الاعرابى والحمائم جمع الحميم الذى هو الماء الحار وهذا خطأ لان فعيلا لا يجمع على فعائل وانما هو جمع الحميمة الذى هو الماء الحار لغة في الحميم مذكر وهو أحد ما جاء من الاسماء على فعال نحو القذاف والجبان والجمع حمامات قال سيبويه جمعوه بالالف والتاء وان كان مذكراً حيث لم يكسر جعلوا ذلك عوضاً من التكسير والاستحمام الاغتسال بالماء الحار وقيل هو الاغتسال بأى ماء كان والحميم العرق واستحم الرجل عرق وأما قولهم لداخل الحمام اذا خرج طاب حميمك فقد يعني به العرق أي طاب عرقك واذا دعى له بطيب العرق فقد دعى له بالصحة لان الصحيح يطيب عرقه وروى عن سفيان الثورى أنه قال ما درهم ينفقه المؤمن هو فيه أعظم أجراً من درهم يعطيه صاحب حمام ليخليه له وقال محمد بن اسحاق فى كتاب المبتدى ان أول من اتخذ الحمامات والطلاء بالنورة سليمان بن داود عليهما السلام وأنه لما دخل ووجد حميمه قال أواه من عذاب الله أواه * وذكر المسيحي فى تاريخه أن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أول من بنى الحمامات بالقاهرة • وذكر الشريف أسعد الجوانى عن القاضى القضاعى أنه كان في مصر الفسطاط ألف ومائة وسبعون حماماً • وقال ابن المتوج ان عدة حمامات مصر في زمنه بضع وسبعون حماماً • وذكر ابن عبد الظاهر أن عدة حمامات القاهرة الى آخر سنة خمس وثمانين وستمائة تقرب من ثمانين حماماً • وأقل ما كانت الحمامات ببغداد فى أيام الخليفة الناصر أحمد ابن المستنصر نحو الالفى حمام *(حمامى السيدة العمة) قال ابن عبد الظاهر حمامي الكافى يعرفان بحمامى السيدة العمة وانتقلتا الى الكامل بن شاور ثم الى ورثة الشريف بن ثعلب وهما الآن بأيديهم ولا تدور الا الواحدة وهاتان الحمامان كانتا على يمنة من يدخل من أول حارة الروم تجاه ربع الحاجب لؤلؤ المعروف الآن بربع الزياتين علو الفندق الذى بابه بسوق الشوايين وكانت احداهما برسم الرجال والاخرى برسم النساء وقد خربتا ولم يبق لهما أثر ألبتة *(حمام الساباط) قال ابن عبد الظاهر كان فى القصر الصغير باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة فى العيد يخرج منه الى الميدان وهو الخرشتف الآن الى المنحر لينحر فيه الضحايا • قلت حمام الساباط هذا يعرف فى زمننا بحمام المارستان المنصورى وهو برسم دخول النساء عند باب سر المارستان المنصورى وهذا الحمام هو حمام القصر الصغير الغربى ويعرف أيضاً بحمام الصنيمة فلما زالت دولة الخلفاء الفاطميين من القاهرة باعها القاضى مؤيد الدين أبو المنصور محمد بن المنذر بن محمد العدل الانصارى الشافعى وكيل بيت المال فى أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب للامير عز الدين

ايبك العزيزى هي وساحات تحاذيها بألف ومائتي دينار فى ذى الحجة سنة تسعين وخمسمائة ثم باعها الامير عز الدين ايبك للشيخ أمين الدين قيماز بن عبد الله الحموي التاجر بألف وستمائة دينار فورثها من بعده من استحق ارثه ثم اشترى من الورثة نصفها الامير الفارس صارم الدين خطلبا الكاملي العادلي في سنة سبع وثلاثين وستمائة وانتقلت أيضاً منها حصة الى ملك الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى الصالحي النجمي استادار الملك الظاهر بيبرس في سنة ثمان وسبعين وستمائة فلما تملك الملك المنصور قلاوون الالفي وأنشأ المارستان الكبير المنصورى صارت فيما هو موقوف عليه وهى الآن في أوقافه ولها شهرة في حمامات القاهرة *(حمام لولو) هذه الحمام برأس رحبة الايدمرى ملاصقة لدار السنانى أنشأها الامير حسام الدين لؤلؤ الحاجب فى أيام (٣) *(حمام الصنيمة) هذه الحمام كانت بالقرب من خزانة البنود على يسرة من سلك في رحبة باب العيد الى قصر الشوك وقد خربت وعمل في موضعها مبيضة للغزل بالقرب من الجمالية *(حمام تتر) هذه الحمام كانت بخط دار الوزارة الكبرى وقد خربت وصار مكانها داراً عرفت بالامير الشيخ على وهى الدار المجاورة للمدرسة النابلسية فى الزقاق المقابل للخانقاه الصلاحية سعيد السعداء *(وتتر هذا) بتاءين مفتوحتين كل منهما منقوط بنقطتين من فوق أحد مماليك أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب استولى على هذه الحمام وكانت معدة لدار الوزارة في مدة الدولة الفاطمية فعرفت به وما حولها والى الآن يعرف ذلك الخط بخط خرائب تتر والعامة تقول خرائب التتر بالتعريف وهو خطأ *(حمام كرجي) هذه الحمام كانت بخط خرائب تتر أيضاً في جوار المدرسة النابلسية تجاه باب الخانقاه الصلاحية عرفت بالامير علم الدين كرجي الاسدى أحد الامراء الاسدية فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد خربت هذه الحمام وبنى فى مكانها هذا البناء الذى تجاه باب الخانقاه بأول الزقاق *(حمام كتيلة) هذه الحمام كانت داخل باب الخوخة برأس سويقة الصاحب عرفت أخيراً بالامير صارم الدين ساروج شاد الدواوين ثم خربت فى أيام (٣) ومكانها الآن مسمط يذبح فيه الغنم وتسمط *(حمام ابن أبى الدم) هذه الحمام كانت فيما بين سويقة المسعودى وباب الخوخة أنشأها ابن أبى الدم اليهودى أحد كتاب الانشاء في أيام الخليفة الحاكم وتولى ابن خيران الديوان ونقل عنه أنه وسع بين السطور في كتاب كتبه الى الخليفة (٣) وهذه مكاتبة الاعلى الى الادني فلما حضر وأنكر عليه ألحق بين السطر والسطر سطراً مناسباً للفظ والمعنى من غير أن يظهر ذلك فعفا عنه وقد خربت وصار مكانها درباً فيه دور يعرف بسكن القاضى بدر الدين حسن البرديني أحد خلفاء الحاكم العزيزى الشافعى وأدركت بعض آثار هذه الحمام *(حمام الحصينية) هذه الحمام كانت فى سويقة الصاحب من داخل درب الحصينية الذى يعرف اليوم

بدرب ابن عرب وقد خربت *(حمام الذهب) هـذه الحمام كانت بدار الذهب أحد مناظر الخلفاء الفاطميين التي ذكرت في المناظر من هذا الكتاب وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها أثر *(حمام ابن قرقة) هذه الحمام كانت بخط سويقة المسعودى من حارة زويلة أنشأها أبو سعيد بن قرقة الحكيم متولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح في الدولة الفاطمية بجوار داره التي تقدمت في الدور من هذا الكتاب ثم عرفت هذه الحمام في الدولة الأيوبية بالامير صارم الدين المسعودى والى القاهرة المنسوب اليه سويقة المسعودى المذكورة في الاسواق من هذا الكتاب ثم خربت هذه الحمام وعمل في موضعها فندق عرف أخيرا بفندق عمار الحمامي بجوار جامع ابن المغربى من جانبه الغربى وأخذت بئر هذه الحمام فعملت للحمام التي تعرف اليوم بحمام السلطان *(حمام السلطان) هذه الحمام يتوصل اليها الآن من سويقة المسعودى ومن قنطرة الموسكي وهى من الحمامات القديمة عرفت في الدولة الفاطمية بحمام الاوحد ثم عرفت في الدولة الايوبية بحمام ابن يحي وهو القاضى المفضل هبة الله ابن يحي العدل ثم عرفت بحمام الطيبرسى ثم هى الآن تعرف بحمام السلطان *(حمام خوند) هذه الحمام بجوار رحبة خوند المذكورة في الرحاب من هذا الكتاب وكانت برسم الدار التي تعرف الآن بدار خوند اردتكين ثم أفردت وصارت الى الآن حماما يدخله عامة الرجال في أوائل النهار ثم تعقبهم النساء من بعد الى أن هدمها الامير صلاح الدين محمد استادار السلطان ابن الامير الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله في شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة وعمل موضعها من جملة داره التي هناك *(حمام ابن عبود) هذه الحمام موضعها فيما بين اصطبل الجميزة المذكورة في اصطبلات الخلفاء من هذا الكتاب وبين رأس حارة زويلة وهي من الحمامات القديمة عرفت بحمام الفلك وهو القاضى فلك الملك العادل ثم عرفت بالامير على بن أبي الفوارس ثم عرفت بابن عبود وهو الشيخ نجم الدين أبو على الحسين بن محمد بن اسماعيل بن عبود القرشى الصوفي مات فى يوم الجمعة ثالث عشرى شوال سنة اثنين وعشرين وسبعمائة بعد ما عظم قدره ونفذ في أرباب الدولة نهيه وأمره وهو صاحب الزاوية المعروفة بزاوية ابن عبود بسفح الجبل قريبا من الدينورى من القرافة فانظرها في الزوايا من هذا الكتاب ولم تزل هذه الحمام جارية في أوقاف التربة المذكورة الى أن تسلط الامير جمال الدين على أموال أهل مصر فاغتصب ابن أخته الامير شهاب الدين أحمد المعروف بسيدي أحمد ابن أخت جمال الدين هذه الحمام واغتصب دار ابن فضل الله التي تجاه هـذه الحمام واغتصب آدرا أخر بجوارها وعمر هناك دارا عظيمة كما قد ذكر في الدور من هذا الكتاب *(حمام الصاحب) هذه الحمام بسويقة الصاحب عرفت بالصاحب الوزير صفى الدين عبد الله بن شكر الدميري صاحب المدرسة الصاحبية

التي بسويقة الصاحب ثم تعطلت مدة سنين فلما ولي الامير تاج الدين الشوبكي ولاية القاهرة في ايام الملك المؤيد شيخ جددها وأدار بها الماء في سنة سبع عشرة وثمانمائة *(حمام السلطان) هـذه الحمام كان موضعها قديما من جملة دار الديباج وهي الآن بخط بين العواميد من البندقانيين بجوار خوخة سوق الجوار ومدرسة سيف الاسلام أنشأها الامـير فخر الدين عثمان بن قزل استادار السلطان الملك الـكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وتنقلت الى أن صارت في أوقاف الملك الناصر محمد بن قلاوون *(حماما طغريك) هاتان الحمامان بجوار فندق فخر الدين بالقرب من سويقة حارة الوزيرية أنشأهما الامير حسام الدين طغريك المهراني أحد الامراء الايوبية *(حمام السوباشي) هذه الحمام كانت بدرب طلائع بخط الخروقيين الذي يعرف اليوم بسوق الفرايين عرفت بالامير الفارس همام الدين أبو سعيد برغش السوباشي واسمه عمرو بن تحت بن شيرك العزيزي والي القاهرة *(حمام عجينة) هذه الحمام كانت بخط الاكفانيين أنشأها الامير فخر الدين أخو الامير عز الدين موسك في الدولة الايوبية وتنقلت حتى صارت بيد أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقداري مما أوقف عليهم وعرفت أخيرا بحمام عجينة ثم خربت بعد سنة أربعين وسبعمائة وموضعها الآن خربة بجوار الفندق الكبير المعد لديوان المواريث *(حمام دري) هذه الحمام كانت بخط الاكفانيين الآن عرفت بشهاب الدولة دري الصغير غلام المظفر بن أمير الجيوش قال الشريف محمـد ابن أسعد الجواني في كتاب النقط لمعجم ما أشكل من الخطط شهاب الدولة دري المعروف بالصغير المظفري غلام المظفر أمير الجيوش كان أرمنيا وأسلم وكان من المشددين في مذهب الامامية وقرأ الجمل في النحو للزجاجي وكتاب اللمع لابن جني وكانت له خرائط من القطن الابيض في يديه ورجليه وكان يتولى خزائن الـكسوة ولا يدخل على بسط السلطان ولا بسط الخليفة الحافظ لدين الله ولا يدخل مجلسه الا بتلك الخرائط في رجليه ولا يأخذ من أحد شيئاً الا وفي يديه خريطة يظن أن كل من لمسه نجسه وسوسة منه فاذا اتفق أنه صافح أحدا أو مس رقعة بيده من غير خريطة لا يمس ثوبه بها أبدا حتى يغسلها فان لمس ثوبه بها غسل الثوب وكان الاستاذون المحنكون يرمون له في بساط الخليفة الحافظ العنب فاذا مشى عليه وانفجر ووصل ماؤه الى رجليه سبهم وحرد فيعجب الخليفة من ذلك ويضحك ولا يؤاخذه بما صدر منه ومات بعد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها أثر يعرف *(حمام الرصاصي) هذه الحمام كانت بحارة الديلم أنشأها الامير سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء المرواني حامل السيف المنصور وأوقفها هي وجميع الآدر المجاورة لها على أولاده وذريته فلما زالت الدولة الفاطمية عرفت بالامير عز الدين أيبك الرصاصي ولم تزل باقية الى بعد سنة أربعين وسبعمائة ثم خربت *(حمام الجيوشي) هـذه الحمام

كانت بحارة برجوان على يمنة من دخل من رأس الحارة وكانت من حقوق دار المظفر ابن أمير الجيوش ثم صارت بعد زوال الدولة الفاطمية من جملة ما أوقفه الملك العادل أبو بكر ابن أيوب على رباطه الذي كان بخط النخالين من فسطاط مصر ثم وضع بنو الكويك اصهار قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة أيديهم عليها في جملة ما وضعوا أيديهم عليه من الاوقاف بحارة ابن جماعة وانتفعوا بريعها مدة سنين ثم خربوها بعد سنة أربعين وسبعمائة وموضعها الآن بجوار دار قاضي القضاة شمس الدين محمد الطرابلسي وبعضها داخل في الدار المذكورة وبئرها بجوار القبو الذى يسلك من تحته الى حمام الرومى داخل حارة برجوان ويعلو هذا العقد حاصل الماء الذى للحمام ويمر على مجراه من حجرة مركبة على جدار بجوار القبو الى الحمام المذكورة وآثار هذا الجدار باقية الى اليوم وكان قد استأجر هذه البئر والقبو بعد تعطل الحمام القاضي أبو الفداء تاج الدين اسمعيل بن أحمد ابن الخطباء المخزومى من مباشري أوقاف رباط العادل وبنى على البئر وبجوارها دارا سكنها مدة أعوام وأنشأ باعلى حاصل الماء المركب على القبو مشرفا عاليا تأنق فى ترخيمه ودهانه وكتب بدائره

مشترف كم شبهوه الادبا * لحسنه اذ جاء شيئاً عجبا
فقال قوم قلعة مبنية * وآخرون شبهوه مرقبا
وشاعر أعجبه ترخيمه * فقال تلك روضة فوق الربا
وقائل ماذا ترى تشبيهه * فقلت هذا منبر ابن الخطبا

ثم خربت هذه الدار بعد موت ابن الخطباء واحترقت فى سنة تسع وثمانمائة وآثارها باقية وما زال ابن الخطباء يدفع حكر هذه البئر وهذا القبو لجهة الرباط العادلى حتى خرب وعفى أثره وجهل مكانه وقد رأيته في سنة أربع وتسعين وسبعمائة عامرا *(حمام الرومى) هذه الحمام بجوار حارة برجوان عرفت بالامير سنقر الرومى الصالحي أحد الامراء في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري أنشأها بجوار اسطبله الذي يعرف اليوم باسطبل ابن الكويك وذلك تجاه رحبة داره التي عرفت بدار مازان ووقف هذه الدار والاسطبل والحمام المذكورة في سنة اثنين وستين وستمائة فأما الدار فانها صارت أخيرا بيد رجل من عامة الناس يعرف بعيسى البناء فباعها أنقاضا بعد ماخرّبها فى سنة سبع وثمانمائة لرجل من المباشرين فهدمها ليعمرها عمارة جليلة فلم يمهل وعاجله القضاء فمات وصارت خربة فابتاعها بعض الناس من ورثة المذكور وشرع فى عمارة شيء منها وأما الاصطبل والحمام فوضع بنو الكويك أيديهم عليهما مدة أعوام حتى صارا ملكا لهم يورثان وهما الآن بيد شرف الدين محمد بن محمد بن الكويك وقد جعل ما يخصه من الحمام وقفا على نفسه ثم على اناس من

بعده وفي هذه الحمام حصة أيضاً وقفها شيخنا برهان الدين ابراهيم الشامى الضرير على أمته وهى بيدها *(سنقر الرومى) الصالحي النجمى أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب البحرية ترقى عنده في الخدم حتى صار جامدار وكان من خوشداشية بيبرس البندقدارى وأصدقائه فلما قتل الفارس اقطاي في أيام الملك المعز أيبك التركمانى وخرج البحرية من القاهرة الى بلاد الشام كان سنقر ممن خرج ورافق بيبرس وارتفق بصحبته ونال منه مالا وثيابا وغير ذلك وتنقل معه في الكرك الى أن كان من أمره في الصيد مع صاحب الكرك فطلب سنقر من بيبرس شيأ فلم يجبه وامتنع من اعطائه فحنق وفارقه الى مصر فأقام بها ثم ان بيبرس قدم الى مصر بعد ذلك وقد صار أميراً فلم يعبأ سنقر به ولا قدم اليه شيئاً كعادة الخوشداشية فلما صار الامر الى بيبرس وملك بعد قطز قدم سنقر وأعطاه الاقطاعات الجليلة ونوّه بقدره فلم يرض فصار اذا ورد عليه الانعام السلطانى لا يأخذه بقبول ويخلو كل وقت بجماعة بعد جماعة ويفرق فيهم المال فيبلغ ذلك السلطان ويغضى عنه وربما بعث اليه وحذره مع الامير قلاوون وغيره فلم ينته ثم انه قتل مملوكين من مماليكه بغير ذنب فعز قتلهما على السلطان فطلبه في رابع عشرى ذى الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة واعتقله فقال أريد أعرف ذنبى فبعث اليه السلطان يعدد ذنوبه فتحسر وقال أواه لو كنت حاضراً قتل الملك المظفر قطز حتى أعاند فى الذى جرى وكان كثيراً مايقول ذلك وبلغ هذا القول منه السلطان في حال امرته فقال انت أخي وتحسر كونك ماقدرت أن تعين على * (حماما سويد) هاتان الحامان بآخر سويقة أمير الجيوش عرفتا بالامير عز الدين معالى بن سويد وقد خربت احداهما ويقال انها غارت في الارض وهلك فيها جماعة وبقيت الاخرى وهي الآن بيد الخليفة أبى الفضل العباسى بن محمد المتوكل * (حمام طغلق) هذه الحمام بجوار درب المنصورى من خط حارة الصالحية صارت أخيراً بيد ورثة الامير قطلوبغا المنصوري حاجب الحجاب في أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين وكانت معدة لدخول الرجال ثم تعطلت بعد سنة تسعين وسبعمائة وأخذ حاصلها وعهدى بها بعد سنة ثمانمائة أطلالا واهية * (حمام ابن علكان) هذه الحمام كانت بحارة الجودرية أنشأها الامير شجاع الدين عثمان ابن علكان صهر الامير الكبير فخر الدين عثمان بن قزل ثم انتقلت الى الامير علم الدين سنجر الصيرفي الصالحي النجمى وما زالت الى أن خربت بعد سنة أربعين وسبعمائة فعمر مكانها الامير ازدمر الكاشف اسطبلا بعد سنة خمسين وسبعمائة * (حمام الصاحب) هذه الحمام بخط طواحين الملحيين * (حمام كتبغا الاسدى) هذه الحمام موضعها الآن المدرسة الناصرية بخط بين القصرين * (حمام ألنطمش خان) هذه الحمام كانت بجوار ميضاة الملك ركن الدين الظاهر بيبرس المجاورة للمدرسة الظاهرية بخط بين القصرين أنشأتها الخاتون

التطمش خان زوجة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ثم خربت وصار موضعها زقاقا فلما ولى كمال الدين عمر بن العديم قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية فى سلطنة الملك النـاصر فرج شرع في عمارة هذا الزقاق فمات ولم يكمله فوضع الامير جمال الدين يده في العمارة وأنشأها فندقا جعله وقفاً فيما وقف على مدرسته التى أنشأها برحبة باب العيد فلما قتله الملك النـاصر فرج واستولى على جميع ماتركه جعل هذا الفندق من جملة ماأرصده للتربة التى أنشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر * (حمام القاضى) هذه الحمام من جملة خط درب الاسوانى وهى من الحمامات القديمة كانت تعرف بانشاء شهاب الدولة بدر الخاص أحد رجال الدولة الفاطميـة ثم انتقلت الى ملك القاضى رضى الدين عبـد الناصر بن تقى الدين فعرفت به ثم صارت الى ملك القاضى السعيد أبى المعالى هبة الله بن فارس وصارت بعده الى ملك القاضى كمال الدين أبي حامد محمد ابن قاضى القضاة صـدر الدين عبد الملك بن درباس المارانى فعرفت بحمام القاضى الى اليوم ثم باع ورثة أبى حامد منها حصة للامـير عز الدين ايدمر الحلى نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وصارت منها حصـة الى الامير علاء الدين طيبرس الخازندارى فجعلها وقفاً على مدرسته المجاورة للجـامع الازهر * (حمام الخراطين) هذه الحمام أنشأها الامير نور الدين أبو الحسن على بن نجا بن راجح ابن طلائع فعرفت بحمام ابن طلائع وكان بجوارها ثم حمام أخرى تعرف بحمـام السوباشى فخربت ومستوقد حمام ابن طلائع هذه الى الآن من درب ابن طلائع الشارع بسوق الفرايين الآن ولها منه أيضاً باب وصارت أخيراً في وقف الامير علم الدين سنجر السرورى المعروف بالخياط والى القاهرة وتوفي في سنة ثمان وتسعين وستمائة فاغتصبها الامير جمال الدين يوسف الاستادار في جملة مااغتصب من الاوقاف والاملاك وغيرها وجعلها وقفاً على مدرسته برحبة باب العيد وهى الآن موقوفة عليها * (حمام الخشيبة) هذه الحمام بجوار درب السلسلة كانت تعرف بحمام قوام الدولة خير ثم صارت حماما لدار الوزير المأمون ابن البطائحى فلمـا قتل الخليفة الآمر بأحكام الله وعملت خشيبة تمنع الراكب أن يمر من تجاه المشـهد الذى بنى هناك عرفت هذه الحمام بخشيبة تصغير خشبة وقد تقدم ذلك مبسوطاً عند ذكر الاخطاط من هذا الـكتاب * قال ابن عبد الظاهر مدرسة السيوفيين وقفها الامير عز الدين فرج شاه على الحنفية وكانت هذه الدار قديماً تعرف بدار المأمون بن البطائحى وحمام الخشيبة كانت لها فبيعت وهذه الحمام هى الآن في أوقاف خوند طغاي ام انوك ابن الملك النـاصر محمـد بن قلاوون على تربتها التى في الصحراء خارج باب البرقية * (حمام الـكويك) هذه الحمام فيما بين حارة زويلة ودرب شمس الدولة أنشأها الوزير عباس أحد وزراء الدولة الفاطمية لداره التى موضعها الآن درب شمس الدولة ثم جددها شخص من التجار يعرف بنوز الدين على

ابن محمد بن أحمد بن محمود بن الكويك الربعى التكريتى في سنة تسع وأربعين وسبعمائة فعرفت به الى اليوم * (حمام الجويني) هذه الحمام بجوار حمام ابن الكويك فيما بينها وبين البندقانيين عرفت بالامير عز الدين ابراهيم بن محمد بن الجويني والي القاهرة في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب توفي سابخ جمادى الاولى سنة احدى وستمائة فانه أنشأها بجوار داره والعامة تقول حمام الجهيني بهاء وهو خطأ وتنقلت الى أن اشتراها القاضي أوحد الدين عبد الواحد بن ياسين كاتب السر الشريف في أيام الملك الظاهر برقوق بطريق الوكالة عن الملك الظاهر وجعلها وقفاً على مدرسته العظمى بخط بين القصرين وهي الآن في جملة الموقوف عليها * (حمام القفاصين) هذه الحمام بالقرب من رأس حارة الديلم أنشأها نجم الدين يوسف بن المجاور وزير الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب * (حمام الصغيرة) هذه الحمام على يمنة من سلك من رأس حارة بهاء الدين وهي تجاه دار قرا سنقر أنشأها الامير فخر الدين بن رسول التركماني ورسول هذا جد ملوك اليمن الآن وقد تعطلت هذه الحمام منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة * (حمام الاعسر) هذه الحمام موضعها من جملة دار الوزارة وهي الآن بجوار باب الجوانية أنشأها الامير شمس الدين سنقر المعزى الظاهرى المنصورى * (سنقر الاعسر) كان أحد مماليك الامير عز الدين ايدمر الظاهرى نائب الشام وجعله دواداره فباشر الدوادارية لاستاذه بدمشق ونفسه تكبر عنها فلما عزل أيدمر من نيابة الشام في أيام الملك المنصور قلاوون وحضر الى قلعة الجبل اختار السلطان عدة من مماليكه منهم سنقر الاعسر هذا فاشتراه وولاه نيابة الاستادارية ثم سيره في سنة ثلاث وثمانين وستمائة الى دمشق وأعطاه امرة وولاه شد الدواوين بها واستادارا فصارت له بالشام سمعة زائدة الى أن مات قلاوون وقام من بعده الاشرف خليل واستوزر الوزير شمس الدين السلعوس طلب سنقر الى القاهرة وعاقبه وصادره فتوصل حتى تزوج بابنة الوزير على صداق مبلغه ألف وخمسمائة دينار فأعاده الى حالته ولم يزل الى أن تسلطن الملك العادل كتبغا واستوزر الصاحب فخر الدين بن خليل وقبض على سنقر وعلى سيف الدين استدمر وصادرهما وأخذ من سنقر خمسمائة ألف درهم وعزله عن شد الدواوين وأحضره الى القاهرة فلما وثب الامير حسام الدين لاجين على كتبغا وتسلطن ولى سنقر الوزارة عوضاً عن ابن خليل في جمادى الاولى سنة ست وتسعين وسبعمائة ثم قبض عليه في ذى الحجة منها وذلك أنه تعاظم في وزارته وقام بحق المنصب يريد أن يتشبه بالشجاعى وصار لايقبل شفاعة أحد من الامراء ويخرق بنوابهم وكان في نفسه متعاظماً وعنده شمم الى الغاية مع سكون فى كلامه بحيث انه اذا فاوض السلطان في مهمات الدولة كما هي عادة الوزراء لايجيب السلطان بجواب شاف وصار يتبين منه للسلطان قلة الاكتراث به فأخذ في

ذمه وعيبه بما عنده من الكبر وصادفه الغرض من الامراء وشرعوا فى الحط عليه حتي صرف وقيد فأرسل يسأل السلطان عن الذنب الذي أوجب هذه العقوبة فقال ماله عندى ذنب غير كبره فانى كنت اذا دخل الىّ أحسب انه هو السلطان وأنا الأعسر فصدره منقام وحديثى معه كأنى أحدث أستاذى وقرر من بعده فى الوزارة ابن الخليلى فلما قتل لاجين وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الملك ثانياً أفرج عن بسنقر الاعسر وعن جماعة من الامراء وأعاد الاعسر الى الوزارة في جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وفى وزارته هذه كانت هزيمة الملك الناصر بعساكره من غازان فتولى ناصر الدين الشيخي والى القاهرة جباية الاموال من التجار وأرباب الاموال لاجل النفقة على العساكر وقرر فى وزارته على كل أردب غلة خروبة اذا طلع إلى الطحان وقرر أيضاً نصف السمسرة ومعناها انه كان للمنادى على الثياب أجرة دلالته على كل ما مبلغه مائة درهم درهمين فيؤخذ منه درهم منهما ويفضل له درهم واستخدم على هاتين الجهتين نحو مائتين من الاجناد البطالين وتحصل في بيت المال من أموال المصادرات مبلغ عظيم ثم خرج الوزير بمائة من مماليك السلطان وتوجه الى بلاد الصعيد وقد وقعت له فى النفوس مهابة عظيمة فكبس البلاد وأتلف كثيراً من المفسدين من أجل أنه لما حصلت وقعة غازان كثر طمع العربان فى المغل ومنعوا كثيرا من الخراج وعصوا الولاة وقطعوا الطريق وما زال يسير الى الاعمال القوصية فلم يدع فرسا لفلاح ولا قاض ولا متعمم حتى أخذه وتتبع السلاح ثم حضر بألف وستين فرسا وثمانمائة وسبعين جملا وألف وستمائة رمح وألف ومائتى سيف وتسعمائة درقة وستة آلاف رأس غنم وقتل عدة من الناس فتمهدت البلاد وقبض الناس مغلهم بتمامه واتفقت واقعة النصارى التي ذكرت عند ذكر كنائس النصارى من هذا الكتاب فى أيامه فامر بالتاج ابن سعيد الدولة أحد مستوفي الدولة وكان فيه زهو وحمق عظيم وله اختصاص بالامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فعرى وضرب بالمقارع ضرباً مبرحا فأظهر الاسلام وهو في العقوبة فأمسك عنه وألزمه بحمل مال فالتجأ الى زاوية الشيخ نصر المنبجي وترامي على الشيخ فقام في أمره حتى عفى عنه فكره الامراء الاعسر لكثرة شممه وتعاظمه فكلموا الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير واليه أمر الدولة فى ولاية الامير عز الدين أيبك البغدادى الوزارة وساعدهم على ذلك الامير سلار فولى الاعسر كشف القلاع الشامية واصلاح أمورها وترتيب رجالها وسائر ما يحتاج اليه وخلع على الامير أيبك خلع الوزارة فى آخر سنة سبعمائة فلما عاد استقر أحد أمراء الالوف وحج فى صحبة الامير سلار ومات بالقاهرة بعد أمراض فى سنة تسع وسبعمائة وكان عارفا خبيرا مهاباً له سعادات طائلة ومكارم مشهورة ولحاشيته ثروة متسعة وغالب مماليكه تأمروا بعده وممن مدحه الوداعي وابن الوكيل * (حمام الحسام) هذه الحمام بداخل باب

الجوانية *(حمام الصوفية) هـذه الحمام بجوار الخانقاه الصـلاحية سعيد السعداء أنشأها السـلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لصوفية الخانقاه وهي الى الآن جارية فى أوقافهم ولا يدخلها يهودى ولا نصراني *(حمام بهادر) هذه الحمام موضعها من جملة القصر وهى بجوار دار جرجي أنشأها الامير بهـادر استادار الملك الظاهر برقوق وقد تعطلت *(حمام الدود) هذه الحمام خارج باب زويلة فى الشارع تجاه زقاق خان حلب بجوار حوض سعد الدين مسعود بن هنس عرفت بالامير سيف الدين الدود الجاشـنكيرى أحد أمراء الملك المعز ايبك التركمانى وخال ولده الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز ايبك فلما وثب الامير سيف الدين قطز نائب السـلطنة بديار مصر على الملك المنصور على ابن الملك المعز ايبك واعتقله وجلس على سرير المملـكة قبض على الامير الدود فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة واعتقله وهذه الحمام الى اليوم بيد ذرية الدود من قبل بناته موقوفة عليهم *(حمام ابن أبى الحوافر) هذه الحمام خارج مدينة مصر بجوار الجامع الجديد النـاصرى كان موضعها وما حولها عامراً بماء النيل ثم انحسر عنه الماء وصار جزيرة فبنى الناس عليها بعد الخمسمائة من سنى الهجرة كما ذكر عند ذكر ساحل مصر من هذا الـكتاب وعرفت هذه الحمام بالقاضى فتح الدين أبى العباس أحمد ابن الشيخ جمال الدين أبى عمر وعثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل بن محمد بن أبى الحوافر رئيس الاطباء بديار مصر ومات ليـلة الخميس الرابع عشر من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة ودفن بالقرافة *(حمام قتال السبع) هذه الحمام خارج باب القوس من ظاهر القاهرة في الشارع المسلوك فيه من باب زويلة الى صليبة جامع ابن طولون وموضعها اليوم بجوار جامع قوصون عمرها الامير جمال الدين اقوش المنصورى المعروف بقتال السبع الموصلى بجانب داره التي هى اليوم جامع قوصون فلما أخذ قوصون الدار المذكورة وهدمها وعمر مكانها هذا الجامع أراد أخذ الحمام وكانت وقفاً فبعث الى قاضي القضاة شرف الدين الحنبلى الحرانى يلتمس منه حل وقفها فأخرب منها جانباً وأحضر شهود القيمة فكتبوا محضراً يتضمن أن الحمام المذكورة خراب وكان فيهم شاهد امتنع من الـكتابة فى المحضر وقال ما يسعنى من الله أن أدخل بكرة النهـار في هذا الحمام وأطهر فيها ثم أخرج منها وهي عامرة وأشهد بعد ضحوة نهار من ذلك اليوم أنها خراب فشهد غيره وأثبت قاضى القضاة الحنبلى المحضر المذكور وحكم ببيعهـا فاشتراها الامير قوصون من ورثة قتال السبع وهى اليوم عامرة بعمارة ما حولها *(حمام لؤلؤ) هذه الحمام برأس رحبة الايدمري ملاصقة لدار السنانى من القاهرة أنشأها الامير حسام الدين لؤلؤ الحاجب *(لؤلؤ الحاجب) كان أرمني الاصل ومن جملة أجناد مصر فى أيام الخلفاء الفاطميين فلما استولي صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة مصر خدم تقدمة

الاسطول وكان حيثما توجه فتح وانتصر وغنم ثم ترك الجندية وزوج بناته وكن أربعاً بجهاز كاف وأعطى ابنيه ما يكفيهما ثم شرع يتصدق بما بقى معه على الفقراء بترتيب لا خلل فيه ودواماً لا سآمة معه وكان يفرق فى كل يوم اثنى عشر ألف رغيف مع قدور الطعام واذا دخل شهر رمضان أضعف ذلك وتبتل للتفرقة من الظهر فى كل يوم الى نحو صلاة العشاء الآخرة ويضع ثلاثة مراكب طول كل مركب أحد وعشرون ذراعا مملوءة طعاماً ويدخل الفقراء أفواجاً وهو قائم مشدود الوسط كأنه راعى غنم وفى يده مغرفة وفى الاخرى جرة سمن وهو يصلح صفوف الفقراء ويقرب اليهم الطعام والودك ويبدأ بالرجال ثم بالنساء ثم بالصبيان وكان الفقراء مع كثرتهم لا يزدحمون لعلمهم أن المعروف يعمهم فاذا انتهت حاجة الفقراء بسط سماطاً للاغنياء تعجز الملوك عن مثله وكان له مع ذلك على الاسلام منة توجب أن يترحم عليه المسلمون كلهم وهى أن فرنج الشوبك والكرك توجهوا نحو مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لينبشوا قبره صلى الله عليه وسلم وينقلوا جسده الشريف المقدس الى بلادهم ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته الا بجعل فأنشأ البرنس ارباط صاحب الكرك سفناً حملها على البر الى بحر القلزم وأركب فيها الرجال وأوقف مركبين على جزيرة قلعة القلزم تمنع أهلها من استقاء الماء فسارت الفرنج نحو عيذاب فقتلوا وأسروا ومضوا يريدون المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم وذلك في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على حران فلما بلغه ذلك بعث الى سيف الدولة ابن منقذ نائبه على مصر يأمره بتجهيز الحاجب لؤلؤ خلف العدو فاستعد لذلك وأخذ معه قيوداً وسار فى طلبهم الى القلزم وعمر هناك مراكب وسار الى ايلة فوجد مراكب للفرنج فحرقها وأسر من فيها وسار الى عيذاب وتبع الفرنج حتى أدركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم الا مسافة يوم وكانوا ثلاثمائة ونيفاً وقد انضم اليهم عدة من العربان المرتدة فعند ما لحقهم لؤلؤ فرت العربان فرقا من سطوته ورغبة في عطيته فانه كان قد بذل الاموال حتى انه علق أكياس الفضة على رؤس الرماح فلما فرت العربان التجأ الفرنج الى رأس جبل صعب المرتقى فصعد اليهم في عشرة أنفس وضايقهم فيه فخارت قواهم بعد ما كانوا معدودين من الشجعان واستسلموا فقبض عليهم وقيدهم وحملهم الى القاهرة فكان لدخولهم يوم مشهود وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة بعد ما ساق رجلين من أعيان الفرنج الى منى ونحرهما هناك كما تنحر البدن التي تساق هديا الى الكعبة ولم يزل على فعل المعروف الى أن مات رحمه الله فى صميم الفلا وقد قرب منتهاه في اليوم التاسع من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بتربته من القرافة وهي التي حفر فيها البئر ووجد في قعرها عند الماء اسطام مركب وهذه الحمام تفتح تارة وتغلق كثيراً وهى باقية

الى يومنا هذا من جملة أوقاف الملك والله تعالى أعلم بالصواب

(ذكر القياسر)

ذكر ابن المتوج قياسر مصر وهي قيسارية المحلي وقيسارية الضيافة وقف المارستان المنصوري وقيسارية شبل الدولة وقيسارية ابن الارسوفي وقيسارية ورثة الملك الظاهر بيبرس وقيساريتا ابن ميسر وقد خربت كلها *(قيسارية ابن قريش) هذه القيسارية في صدر سوق الجملون الكبير بجوار باب سوق الوراقين ويسلك اليها من الجملون ومن سوق الاخفافيين المسلوك اليه من البندقانيين وبعضها الآن سكن الارمنيين وبعضها سكن البزازين قال ابن عبد الظاهر استجدها القاضي المرتضى ابن قريش في الايام الناصرية الصلاحية وكان مكانها اسطبلا انتهى * وهو القاضي المرتضى صفي الدين أبو المجد عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش المخزومي أحد كتاب الانشاء في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قتل شهيداً على عكا في يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمسمائة ودفن بالقدس ومولده في سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسمع السلفي وغيره *(قيسارية الشرب) هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه قيسارية جهاركس قال ابن عبد الظاهر وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على الجماعة الصوفية يعني بخانقاه سعيد السعداء وكانت اسطبلا انتهى وما برحت هذه القيسارية مرعية الجانب اكراما للصوفية الى أن كانت أيام الملك الناصر فرج وحدثت الفتن وكثرت مصادرات التجار انخرق ذاك السياج وعومل سكانها بأنواع من العسف وهي اليوم من أعمر أسواق القاهرة *(قيسارية ابن أبي أسامة) هذه القيسارية بجوار الجملون الكبير على يسرة من سلك الى بين القصرين يسكنها الآن الخردفوشية وقفها الشيخ الاجل أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن أبي أسامة صاحب ديوان الانشاء في أيام الخليفة الآمر باحكام الله وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة وينعت بالشيخ الاجل كاتب الدست الشريف ولم يكن أحد يشاركه في هذا النعت بديار مصر في زمانه وكان وقف هذه القيسارية في سنة ثمان عشرة وخمسمائة وتوفي في شوال سنة اثنين وعشرين وخمسمائة *(قيسارية سنقر الاشقر) هذه القيسارية على يسرة من يدخل من باب زويلة فيما بين خزانة شمائل ودرب الصغيرة تجاه قيسارية الفاضل أنشأها الامير شمس الدين سنقر الاشقر الصالحي النجمي أحد المماليك البحرية ولم تزل الى أن هدمت وأدخلت في الجامع المؤيدي لايام من جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة *(قيسارية أمير علي) هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه الجملون الكبير بجوار قيسارية جهاركس يفصل بينهما درب قيطون عرفت بالامير علي ابن الملك المنصور قلاون الذي عهد له بالملك ولقبه بالملك الصالح ومات في حياة أبيه كما قد ذكر في فندق الملك الصالح *(قيسارية رسلان) هذه

القيسارية فيما بين درب الصغيرة والحجارين أنشأها الامير بهاء الدين رسلان الدوادار وجعلها وقفا على خانقاه له بمنشأة المهرانى وكانت من أحسن القياسر فلما عزم الملك المؤيد شيخ على بناء مدرسته هدمها فى جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة وعوض أهل الخانقاه عنها خمسمائة دينار *(قيسارية جهاركس) قال ابن عبد الظاهر بناها الامير فخر الدين جهاركس فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكانت قبل ذلك يعرف مكانها بفندق الفراخ ولم تزل فى يد ورثته وانتقل الى الامير علم الدين ايتمش منها جزء بالميراث عن زوجته والى بنت شومان من أهل دمشق ثم اشتريت لوالدة خليل المسماة بشجر الدر الصالحية فى سنة خمس وخمسين وستمائة وهى مع حسنها واتقان بنائها كلها تجرد من الغصب جميع ما فيها وذكر بعض المؤرخين أن صاحبها جهاركس نادى عليها حين فرغت فبلغت خمسة وتسعين ألف دينار على الشريف فخر الدين اسماعيل بن ثعلب وقال لصاحبها أنا أنقدك ثمنها أى نقد شئت ان شئت ذهبا وان شئت فضة وان شئت عروض تجارة وقيسارية جهاركس تجرى الآن فى وقف الامير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بعد سلار على ورثته وقال القاضى شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان *(جهاركس) بن عبد الله فخر الدين أبو المنصور الناصرى الصلاحي كان من أكبر أمراء الدولة الصلاحية وكان كريما نبيل القدر علىّ الهمة بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم نر فى شيء من البلاد مثلها فى حسنها وعظمها واحكام بنائها وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا وربعا معلقا وتوفى في بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق ودفن في جبل الصالحية وتربته مشهورة هناك رحمه الله وجهاركس بفتح الجيم والهاء وبعد الالف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة ومعناه بالعربى أربعة أنفس وهو لفظ عجمى وقال الحافظ جمال الدين يوسف ابن أحمد بن محمود اليغمورى سمعت الامير الكبير الفاضل شرف الدين أبا الفتح عيسى ابن الامير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أحمد الهكارى البحترى الطائى المقدسى بالقاهرة ومولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالبيت المقدس شرفه الله تعالى وتوفي بدمشق في ليلة الاحد تاسع عشرى ربيع الآخر سنة تسع وستمائة ودفن بسفح جبل قاسيون رحمه الله قال حدثنى الامير صارم الدين خطلبا التبنينى صاحب الامير فخر الدين أبي المنصور جهاركس بن عبد الله الناصرى الصلاحي رحمه الله قال بلغ الامير فخر الدين أن بعض الاجناد عنده فرس قد دفع له فيه ألف دينار ولم يسمح ببيعه وهو في غاية الحسن فقال لى الامير ياخطلبا اذا ركبنا ورأيت فى الموكب هذا الفرس نبهني عليه حتى أبصره فقلت السمع والطاعة فلما ركبنا فى الموكب مع الملك العزيز عثمان ابن الملك الناصر رحمه الله رأيت الجندى على فرسه فتقدمت الى الامير فخر الدين وقلت له هذا الجندى وهذا

الفرس راكبه فنظر اليه وقال اذا خرجنا من سماط السلطان فانظر أين الفرس وعرفني به فلما دخلنا الى سماط الملك العزيزى عجل الامير فخر الدين وخرج قبل الناس فلما بلغ الى الباب قال لي أين الفرس قلت ها هو مع الركاب دار فقال لى ادعه فدعوته اليه فلما وقف بين يديه والفرس معه أمره الامير بأخذ الغاشية ووضع الامير رجله فى ركابه وركبه ومضي به الى داره وأخذ الفرس فلما خرج صاحبه عرفه الركاب دار بما فعله الامير فخر الدين فسكت ومضى الى بيته وبقى أياما ولم يطالب الفرس فقال لى الامير فخر الدين ياخطلبا ما جاء صاحب الفرس ولا طلبه أطلب لى صاحبه قال فاجتمعت به وأخبرته بأن الامير يطلب الاجتماع به فسارع الى الحضور فلما دخل عليه أكرمه الامير ورفع مكانه وحدثه وآنسه وبسطه وحضر سماطه فقربه وخصصه من طعامه فلما فرغ من الاكل قال له الامير يا فلان ما بالك ما طلبت فرسك وله عندنا مدة فقال يا خوند وما عسى أن يكون من هذا الفرس وما ركبه الامير الا وهو قد صلح له وكلما صلح للمولى فهو على العبد حرام ولقد شرفني مولانا بأن جعلني أهلا أن يتصرف في عبده والمملوك يحسب أن هذا الفرس قد أصابه مرض فمات وأما الآن فقد وقع في محله وعند أهله ومولانا أحق به وما أسعد المملوك اذا صلح لمولانا عنده شيء فقال له الامير بلغني أنك أعطيت فيه ألف دينار قال كذلك كان قال فلم لم تبعه فقال يا مولانا هذا الفرس جعلته للجهاد وأحسن ما جاهد الانسان على فرس يعرفه ويثق به وما مقدار هذا الفرس له اسوة برأسي فاستحسن الامير همته وشكره ثم أشار الى فتقدمت اليه فقال لى فى اذنى اذا خرج هذا الرجل فاخلع عليه الخلعة الفلانية من أفخر ملبوس الامير وأعطه ألف دينار وفرسه فلما نهض الرجل أخذته الى الفرش خاناه وخلعت عليه الخلعة ودفعت اليه الكيس وفيه ألف دينار فخدم وشكر وخرج فقدم اليه فرسه وعليه سرج خاص من سروج الامير وعدة فى غاية الجودة فقيل اركب فرسك فقال كيف أركبه وقد أخذت ثمنه وهذه الخلعة زيادة على ثمنه ثم رجع الى الامير فقبل الارض وقال يا خوند تشريف مولانا لا يرد وهذا ثمن الفرس قد أحضره المملوك فقال له الامير فخر الدين يا هذا نحن جربناك فوجدناك رجلا جيدا ولك همة وأنت أحق بفرسك خذ هذا ثمنه ولا تبعه لاحد فخدمه وشكره ودعا له وأخذ الفرس والخلعة والالف دينار وانصرف * وأخبرني أيضاً الامير شرف الدين بن أبى القاسم قال أخبرنى صارم الدين التبنيني أيضاً أن الامير فخر الدين خدم عنده بعض الاجناد فعرض عليه فأعجبه شكله وقال لديوانه استخدموا هذا الرجل فتكلموا معه وقدروا له فى السنة اثنى عشر ألف درهم فرضي الرجل وانتقل الى حلقة الامير قوصون وضرب خيمته وأحضر بركه فلما كان بعض الايام رجع الامير من الخدمة فعبر فى جنب خيمة هذا الرجل فرأى خيمة حسنة

وخيلا جيادا وجمالا وبغالا وبركا فى غاية الجودة فقال هذا البرك لمن فقيل هذا برك فلان الذي خدم عند الامير في هذه الايام فقال قولوا له مالك عندنا شغل تمضى في حال سبيلك فاما قيل للرّجل ذلك أمر بأن تحط خيمته وأتى الى وقال يامولانا أنا رائح وها أنا قدحملت بركي ولكن أشتهى منك أن تسأل الامير ما ذنبي قال فدخلت الى الامير وأخبرته بما قال الرجل فقال والله ماله عندى ذنب الاأن هذا البرك وهذه الهمة يستحق بها أضعاف ما أعطى فأنكرت عليه كيف رضي بهذا القدر اليسير وهو يستحق أن تكون أربعين ألف درهم وتكون قليلة فى حقه فاذا خدم بثلاثين ألف درهم يكون قد ترك لنا عشرة آلاف درهم فهذا ذنبه عندي فرجعت الى الرجل فاعلمته بما قال الامير فقال انما خدمت عند الامير ورضيت بهذا القدر لعلمي أن الامير اذا عرف حالى فما بعد لا يقنع لى بهذا الجاري فكنت على ثقة من احسان الامير أبقاه الله وأما الآن فلا أرضى أن أخدم الا بثلاثين ألف درهم كما قال الامير فرجعت الى الامير وأخبرته بما قال الرجل فقال يجرى له ما طلب وخلع عليه وأحسن اليه وكان الامير فخر الدين جهاركس مقدم الناصرية والحاكم بديار مصر فى أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب الى أن مات العزيز قال الامير فخر الدين جهاركس الى ولاية ابن الملك العزيز وفاوض فى ذلك الامير سيف الدين يازكوج الاسدى وهو يومئذ مقدم الطائفة الاسدية وكان الملك العزيز قد أوصى بالملك لولده محمدوأن يكون الامير الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدى مدبر أمره فأشار يازكوج باقامة الملك الافضل على بن صلاح الدين فى تدبير أمر ابن العزيز فكره جهاركس ذلك ثم انهم أقاموا ابن العزيز ولقبوه بالملك المنصور وعمره نحو تسع سنين ونصبوا قراقوش اتابكاوهم فى الباطن يختلفون عليه وما زالوايسعون عليه في ابطال أمر قراقوش حتي اتفقوا على مكاتبة الافضل المتقدم ذكره وحضوره الي مصر ويعمل أتابكية المنصور مدة سبع سنين حتى يتأهل بالاستبداد بالملك بشرط أن لا يرفع فوق رأسه سنجق الملك ولا يذكر اسمه في خطبة ولا سكة فلما سار القاصد الى الافضل بكتب الامراء بعث جهاركس في الباطن قاصداً على لسانه ولسان الطائفة الصلاحية بكتبهم الى الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكتب الى الامير ميمون القصرى صاحب نابلس يأمره بأن لا يطيع الملك الافضل ولا يخاف له فاتفق خروج الملك الافضل من صرخد ولقاه قاصد فخر الدين جهاركس فأخذ منه الكتب وقال له ارجع فقد قضيت الحاجة وسار الى القاهرة ومعه القاصد فلما خرج الامراء من القاهرة الى لقائه ببلبيس فعمل له فخر الدين سماطاً احتفل فيه احتفالا زائداً لينزل عنده فنزل عند أخيه الملك المؤيد نجم الدين مسعود فشق ذلك على جهاركس وجاء الى خدمته فلما فرغ من طعام أخيه صار الى خيمة جهاركس وقعد

ليأ كل فرأى جهاركس قاصده الذى سيره فى خدمة الافضل فدهش وأيقن بالشر فللحال استأذن الافضل أن يتوجه الى العرب المختلفين بأرض مصر ليصلح بينهم فأذن له وقام من فوره واجتمع بالامير زين الدين قراجا والامير أسد الدين قراسنقر وحسن لهما مفارقة الافضل فسارا معه الى القدس وغلبوا عليه ووافقهم الامير عز الدين أسامة والامير ميمون القصرى فقدم عليهم فى سبعمائة فارس وصاروا كلمة واحدة كتبوا الى الملك العادل يستدعونه للقيام بأتابكية الملك المنصور محمد بن العزيز بمصر وأما الافضل فانه لما دخل من بلبيس الى القاهرة قام بتدبير الدولة وأمر الملك بحيث لم يبق للمنصور معه سوى مجرد الاسم فقط وشرع في القبض على الطائفة الصلاحية أصحاب جهاركس ففروا منه الى جهاركس بالقدس فقبض على من قدر عليه منهم ونهب أموالهم فلما زالت دولة الافضل من مصر بقدوم الملك العادل أبى بكر بن أيوب استولى فخر الدين جهاركس على بانياس بامر العادل ثم انحرف عنه وكانت له أنباء الى أن مات فانقضى أمر الطائفة الصلاحية بموته وموت الامير قراجا وموت الامير أسامة كما انقضى أمر غيرهم * (قيسارية الفاضل) هذه القيسارية على يمنة من يدخل من باب زويلة عرفت بالقاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى وهى الآن فى أوقاف المارستان المنصورى أخبرنى شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد العزيز المذرى البشبيشى رحمه الله قال أخبرنى القاضى بدر الدين أبو اسحاق ابراهيم ابن القاضى صدر الدين أبى البركات أحمد بن فخر الدين أبي الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن المعروف بابن الخشاب أن قيسارية الفاضل وقفت بضع عشرة مرة منها مرتين أو أكثر زف كتاب وقفها بالاغانى في شارع القاهرة وهى الآن تشتمل على قيسارية ذات بحرة ماء للوضوء بوسطها وأخرى بجانبها يباع فيها جهاز النساء وشوارهن ويعلوها ربع فيه عدة مساكن * (قيسارية بيبرس) هذه القيسارية على رأس باب الجودرية من القاهرة كان موضعها دارا تعرف بدار الانماط اشتراها وما حولها الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى قبل ولايته السلطنة وهدمها وعمر موضعها هذه القيسارية والربع فوقها وتولى عمارة ذلك مجد الدين بن سالم الموقع فلما كملت طلب سائر تجار قيسارية جهاركس وقيسارية الفاضل وألزمهم باخلاء حوانيتهم من القيساريتين وسكناهم بهذه القيسارية وأكرههم على ذلك وجعل أجرة كل حانوت منها مائة وعشرين درهما نقرة فلم يسع التجار الا استئجار حوانيتها وصار كثير منهم يقوم بأجرة الحانوت الذى ألزم به في هذه القيسارية من غير أن يترك حانوته الذى هو معه باحدى القيساريتين المذكورتين ونقل أيضاً صناع الاخفاف وأسكنهم فى الحوانيت التي خارجها فعمرت من داخلها وخارجها بالناس في يومين وجاء الى مخدومه الامير بيبرس وكان قد ولى السلطنة وتلقب بالملك المظفر وقال بسعادة السلطان أسكنت القيسارية في يوم واحد فنظر اليه طويلا وقال ياقاضى ان كنت

أسكنتها في يوم واحد فهى تخلو في ساعة واحدة فجاء الامر كما قال وذلك أنه لما فر بيبرس من قلعة الجبل لم يبت في هذه القيسارية لاحد من سكانها قطعة قماش بل نقلوا كل ما كان لهم فيها وخلت حوانيتها مدة طويلة ثم سكنها صناع الاخفاف كل حانوت بعشرة دراهم وفي حوانيتها ما أجرته ثمانية دراهم وهي الآن جارية فى أوقاف الخانقاه الركنية بيبرس ويسكنها صناع الاخفاف وأكثر حوانيتها غير مسكون لخرابها ولقلة الاخفافيين ويعرف الخط الذى هي فيه اليوم بالاخفافيين رأس الحودرية * (القيسارية الطويلة) هذه القيسارية فى شارع القاهرة بسوق الخردفوشيين فيما بين سوق المهامزيين وسوق الجوخيين ولها باب آخر عند باب سر حمام الخراطين كانت تعرف قديماً بقيسارية السروج بناها (٣) *(قيسارية (٣)) هذه القيسارية تجاه قيسارية السروج المعروفة الآن بالقيسارية الطويلة بعضها وقفه القاضى الاشرف ابن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى على ملء الصهريج بدرب ملوخيا وبعضها وقف الصالح طلائع بن رزيك الوزير وقد هدمت هذه القيسارية وبناها الامير جانى بك دوادار السلطان الملك الاشرف برسباى الدقاقي الظاهري في سنة ثمان وعشرين وثمانمائة تربيعة تتصل بالوراقين ولها باب من الشارع وجعل علوها طباقا وعلى بابها حوانيت فجاءت من أحسن المبانى *(قيسارية العصفر) هذه القيسارية بشارع القاهرة لها باب من سوق المهامزيين وباب من سوق الوراقين عرفت بذلك من أجل أن العصفر كان يدق بها * أنشأها الامير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط والى القاهرة ووقفها في سنة اثنتين وتسعين وستمائة ولم تزل باقية بيد ورثته الى أن ولى القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى الحموي كتابة السر في أيام المؤيد شيخ فاستأجرها مدة أعوام من مستحقيها ونقل اليها العنبريين فصارت قيسارية عنبر وذلك فى سنة ست عشرة وثمانمائة ثم انتقل منها أهل العنبر الى سوقهم فى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة * (قيسارية العنبر) قد تقدم في ذكر الاسواق أنها كانت سجناً وان الملك المنصور قلاون عمرها في سنة ثمانين وستمائة وجعلها سوق عنبر *(قيسارية الفائزى) هذه القيسارية كانت بأول الخرّاطين مما يلي المهامزيين لها باب من المهامزيين وباب من الخرّاطين * أنشأها الوزير الاسعد شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن صاعد بن وهيب الفارسىّ كان من جملة نصارى صعيد مصر وكتب على مبايض ناحية سيوط بدرهم وثلث في كل يوم ثم قدم الى القاهرة وأسلم في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وخدم عند الملك الفائز ابراهيم ابن الملك العادل فنسب اليه وتولى نظر الديوان في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب مدّة يسيرة ثم ولى بعض أعمال ديار مصر فنقل عنه ماأوجب الكشف عليه فندب موفق الدين الامدىّ لذلك فاستقرّ عوضه وسجنه مدّة ثم أفرج عنه وسافر الى دمشق وخدم بها الامير جمال

الدين يغمور نائب السلطنة بدمشق فلما قدم الملك المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب من حصن كتيفا الى دمشق بعد موت أبيه ليأخذ مملكة مصر سار معه الى مصر في شوال سنة سبع وأربعين وستمائة فلما قامت شجرة الدر بتدبير المملكة بعد قتل المعظم تعلق بخدمة الامير عز الدين ايبك التركماني مقدم العساكر الى أن تسلطن وتلقب بالملك المعز فولاه الوزارة في سنة ثمان وأربعين وستمائة فأحدث مظالم كثيرة وقرر على التجار وذوى اليسار أموالا تجبى منهم وأحدث التقويم والتصقيع على سائر الاملاك وجبى منها مالا جزيلا ورتب مكوسا على الدواب من الخيل والجمال والحمير وغيرها وعلى الرقيق من العبيد والجوارى وعلى سائر المبيعات وضمن المنكرات من الخمر والمزر والحشيش وبيوت الزوانى بأموال وسمى هذه الجهات بالحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية وتمكن من الدولة تمكنا زائداً الى الغاية بحيث انه سار الى بلاد الصعيد بعساكر لمحاربة بعض الامراء وكان الملك المعز أيبك يكاتبه بالمملوك وكثر ماله وعقاره حتى انه لم يبلغ صاحب قلم في هذه الدول مابلغه من ذلك واقتنى عدة مماليك منهم من بلغ ثمنه ألف دينار مصرية وكان يركب في سبعين مملوكا من مماليكه سوى أرباب الاقلام والاتباع وخرج بنفسه الى أعمال مصر واستخرج أموالها وكان ينوب عنه في الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير وكان فاضلا يعرف اللسان التركي فصار يضبط له مجالس الامراء ويعرفه مايدور بينهم من الكلام فلم يزل على تمكنه وبسط يده وعظم شأنه الى أن قتل الملك المعز وقام من بعده ابنه الملك المنصور نور الدين علي وهو صغير فاستقر على عادته حتي شهد عليه الامير سابق الدين بوزبا الصيرفي والامير ناصر الدين محمد ابن الاطروش الكردي أمير جاندار انه قال المملكة لاتقوم بالصبيان الصغار والرأي أن يكون الملك الناصر صاحب الشام ملك مصر وأنه قد عزم على أن يسير اليه يستدعيه الى مصر ويساعده على أخذ المملكة نخافت أم السلطان منه وقبضت عليه وحبسته عندها بقلعة الجبل ووكلت بعذابه الصارم احمر عينه العمادى الصالحي فعاقبه عقوبة عظيمة ووقعت الحوطة على سائر أمواله وأسبابه وحواشيه وأخذ خطه بمائة ألف دينار ثم خنق لليال مضت من جمادى الاولى سنة خمس وخمسين وستمائة ولف في نخ ودفن بالقرافة واستقر من بعده في الوزارة قاضي القضاة بدر الدين السنجارى مع مابيده من قضاء القضاة ولم تزل هذه القيسارية باقية وكانت تعرف بقيسارية النشاب الى أن أخذها الامير جمال الدين يوسف الاستادار هى والحوانيت على يمنة من سلك من الخراطين يريد الجامع الازهر وفيما بينهما كان باب هذه القيسارية وكانت هذه الحوانيت تعرف بوقف تمرتاش وهدم الجميع وشرع في بنائه فقتل قبل أن يكمل وأخذه الملك الناصر فرج فبنيت الحوانيت التي هي على الشارع بسوق المهامزيين وصار ماتبقى ساحة عمرها القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقى

ناظر الجيش قيسارية يعلوها ربع وبني أيضاً على حوانيت جمال الدين ربعاً وذلك في سنة خمس وعشرين وثمانمائة وقال الامام عفيف الدين أبو الحسن عليّ بن عدلان يمدح الاسعد الفائزي رحمه الله ابن صاعد وابنه المرتضى

مـذ تولى أمورنا * لم أزل منه ذاهبه

وهو ان دام أمره * شدة العيش ذاهبه

* (قيسارية بكتمر) هذه القيسارية بسوق الحريريين بالقرب من سوق الوراقين كانت تعرف قديماً بالصاغة ثم صارت فندقا يقال له فندق حكم وأصلها من جملة الدار العظمى التي تعرف بدار المأمون بن البطائحي وبعضها المدرسة السيوفية * أنشأ هذه القيسارية الامير بكتمر الساقي في أيام الناصر محمد بن قلاوون * (قيسارية ابن يحيي) هذه القيسارية كانت تجاه باب قيسارية جهاركس حيث سوق الطيور وقاعات الحلوى * أنشأها القاضي المفضل هبة الله بن يحيي التميمي المعدل كان موثقا كاتباً في الشروط الحكمية في حدود سنة اربعين وخمسمائة في الدولة الفاطمية ثم صار من جملة العدول وبقي الى سنة ثمانين وله ابن يقال له كمال الدين عبد المجيد ابن القاضي المفضل ولكمال الدين ابن يقال له جلال الدين محمد بن كمال الدين عبد المجيد ابن القاضي المفضل هبة الله بن يحيي مات في آخر سنة ستين وسبعمائة وقد خربت هذه القيسارية ولم يبق لها أثر *(قيسارية طاشتمر) هذه القيسارية بجوار الوراقين لها باب كبير من سوق الحريريين على يسرة من سلك الى الزجاجين وباب من الوراقين * أنشأها الامير طاشتمر في أعوام بضع وثلاثين وسبعمائة وسكنها عقادو الازرار حتى غصت بهم مع كبرها وكثرة حوانيتها وكان لهم منظر بهيج فان أكثرهم من بياض الناس وتحت يد كل معلم منهم عدة صبيان من أولاد الاتراك وغيرهم فطال مامررت منها الى سوق الوراقين وداخلني حياء من كثرة من أمرّ به هناك ثم لما حدثت المحن في سنة ست وثمانمائة تلاشى أمرها وخرب الربع الذي كان علوها وبيعت أنقاضه وبقيت فيها اليوم بقية يسيرة *(قيسارية الفقراء) هذه القيسارية خارج باب زويلة بخط تحت الربع أنشأها (٣) *(قيسارية بشتاك) خارج باب زويلة بخط تحت الربع أنشأها الامير بشتاك الناصريّ وهي الآن (٣) *(قيسارية المحسني) خارج باب زويلة تحت الربع أنشأها الامير بدر الدين بيلبك المحسني والي الاسكندرية ثم والي القاهرة كان شجاعا مقداما فأخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الشام وبها مات في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فأخذ ابنه الامير ناصر الدين محمد بن بيلبك المحسني امرته فلما مات الملك الناصر قدم الى القاهرة وولاه الامير قوصون ولاية القاهرة في سابع عشر صفر سنة أثنتين وأربعين وسبعمائة فلما قبض على قوصون في يوم الثلاثاء آخر شهر رجب منها أمسك ابن المحسني وأعيد نجم الدين الى ولاية القاهرة ثم عزل

من يومه وولى الامير جمال الدين يوسف والى الجيزة فأقام أربعة أيام وعزل بطلب العامة عزله ورجمه فأعيد نجم الدين *(قيسارية الجامع الطولوني) هذه القيسارية كان موضعها في القديم من جملة قصر الامارة الذي بناه الامير أبو العباس أحمد بن طولون وكان يخرج منه الى الجامع من باب فى جداره القبلي فلما خرب صار ساحة أرض فعمر فيها القاضى تاج الدين المناوى خليفة الحكم عن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة قيسارية في سنة خمسين وسبعمائة من فائض مال الجامع الطولونى فكمل فيها ثلاثون حانوتا فلما كانت ليلة النصف من شهر رمضان من هذه السنة رأى شخص من أهل الخير رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وقد وقف على باب هذه القيسارية وهو يقول بارك الله لمن يسكن هذه القيسارية وكرر هذا القول ثلاث مرات فلما قص هذه الرؤيا رغب الناس فى سكناها وصارت الى اليوم هي وجميع ذلك السوق في غاية العمارة وفي سنة ثماني عشرة وثمانمائة أنشأها قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن نصير ابن رسلان البلقيني من مال الجامع المذكور قيسارية أخرى فرغب الناس في سكناها لوفور العمارة بذلك الخط *(قيسارية ابن ميسر الكبرى) هذه القيسارية أدركتها بمدينة مصر فى خط سويقة وردان وهي عامرة يباع بها القماش الجديد من الكتان الابيض والازرق والطرح وتمضى تجار القاهرة اليها في يومي الاحد والاربعاء لشراء الاصناف المذكورة وذكر ابن المتوج أن لها خمسة أبواب وأنها وقف ثم وقعت الحوطة عليها فجرت في الديوان السلطاني وقصدوا بيعها مراراً فلم يقدر أحد على شرائها وكان بها عمد رخام فاخذها الديوان وعوضت بعمد كدان وأنه شاهدها مسكونة جميعها عامرة انتهى وقد خرب ماحولها بعد سنة ستين وسبعمائة وتزايد الخراب حتى لم يبق حولها سوى كيمان فعمل لها باب واحد وتردد الناس اليها في اليومين المذكورين لاغير فلما كانت الحوادث منذ سنة ست وثمانمائة واستولى الخراب على اقليم مصر تعطلت هذه القيسارية ثم هدمت في سنة ست عشرة وثمانمائة *(قيسارية عبد الباسط) هذه القيسارية برأس الخراطين من القاهرة كان موضعها يعرف قديماً بعقبة الصباغين ثم عرف بالقشاشين ثم عرف بالخراطين وكان هناك مارستان ووكالة في الدولة الفاطمية وأدركنا بها حوانيت تعرف بوقف تمرتاش المعظمى فاخذها الامير جمال الدين الاستادار فيما أخذ من الاوقاف فلما قتل أخذ الناصر فرج جانباً منها وجدد عمارتها ووقفها على تربة أبيه الظاهر برقوق ثم أخذها زين الدين عبد الباسط بن خليل فى أيام المؤيد شيخ وعمل في بعضها هذه القيسارية وعلوها ووقفها على مدرسته وجامعه ثم أخذ السلطان الملك الاشرف برسباى بقية الحوانيت من وقف جمال الدين وجدد عمارتها في سنة سبع وعشرين وثمانمائة

(ذكر الخانات والفنادق)

*(خان مسرور) خان مسرور مكانان أحدهما كبير والآخر صغير فالكبير على يسرة من سلك من سوق باب الزهومة الى الحريريين كان موضعه خزانة الدرق التي تقدم ذكرها في خزائن القصر والصغير على يمنة من سلك من سوق باب الزهومة الى الجامع الازهر كان ساحة يباع فيها الرقيق بعد ما كان موضع المدرسة الكاملية هو سوق الرقيق * قال ابن الطوير خزانة الدرق كانت في المكان الذى هو خان مسرور وهى برسم استعمالات الاساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية وغير ذلك * وقال ابن عبد الظاهر فندق مسرور مسرور هذا من خدام القصر خدم الدولة المصرية واختص بالسلطان صلاح الدين رحمه الله وقدمه على حلقته ولم يزل مقدما فى كل وقت وله بر واحسان ومعروف ويقصد في كل حسنة وأجروبر وبطل الخدمة فى الايام الكاملية وانقطع الى الله تعالى ولزم داره ثم بنى الفندق الصغير الى جانبه وكان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق اشترى ثلثها من والدى رحمه الله والثلثين من ورثة ابن عنتر وكان قد ملك الفندق الكبير لغلامه ريحان وحبسه عليه ثم من بعده على الاسرى والفقراء بالحرمين وهو مائة بيت الا بيتا وبه مسجد تقام فيه الجماعة والجمع ولمسرور المذكور بر كثير بالشام وبمصر وكان قد وصى أن تعمل داره وهى بخط حارة الامراء مدرسة ويوقف الفندق الصغير عليها وكانت له ضيعة بالشام بيعت للامير سيف الدين أبى الحسن القيمرى بجملة كبيرة وعمرت المدرسة المذكورة بعد وفاته انتهى وقد أدركت فندق مسرور الكبير في غاية العمارة تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم وكان فيه أيضاً مودع الحكم الذى فيه أموال اليتامى والغياب وكان من أجل الخانات وأعظمها فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام منذ سنة تيمورلنك وتلاشت أحوال اقليم مصر قل التجار وبطل مودع الحكم فقلت مهابة هذا الخان وزالت حرمته وتهدمت عدة أماكن منه وهو الآن بيد القضاة *(فندق بلال المغيثى) هذا الفندق فيما بين خط حمام خشيبة وحارة العدوية أنشأه الامير الطواشي أبو المناقب حسام الدين بلال المغيثى أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك كان حبشى الجنس حالك السواد خدم عدة من الملوك واستقر لالا الملك الصالح على ابن الملك المنصور قلاوون وكان معظما الى الغاية يجلس فوق جميع أمراء الدولة وكان الملك المنصور قلاوون اذا رآه يقول رحم الله أستاذنا الملك الصالح نجم الدين أيوب أنا كنت أحمل شاروزة هذا الطواشى حسام الدين كلما دخل الى السلطان الملك الصالح حتي يخرج من عنده فأقدمها له وكان كثير البر والصدقات وله أموال جزيلة ومدحه عدة من الشعراء وأجاز على المديح وتجاوز عمره ثمانين سنة فلما خرج الملك الناصر محمد بن قلاون لقتال التتر في سنة تسع وتسعين وستمائة

سافر معه فمات بالسوادة ودفن بها ثم نقل منها بعد وقعة شقحب الى تربته بالقرافة فدفن هناك وما برح هذا الفندق يودع فيه التجار وأرباب الاموال صناديق المال ولقد كنت أدخل فيه فاذا بدائره صناديق مصطفة مابين صغير وكبير لايفضل عنها من الفندق غير ساحة صغيرة بوسطه وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجل وصفه فلما أنشأ الامير الطواشى زين الدين مقبل الزمام الفندق بالقرب منه وأنشأ الامير قلمطاى الفندق بالزجاجين وأخذ الامير بلبغا السالمى أموال الناس فى واقعة تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمائة تلاشي أمر هذا الفندق وفيه الى الآن بقية *(فندق الصالح) هذا الفندق بجوار باب القوس الذى كان أحد بابي زويلة فمن سلك اليوم من المسجد المعروف بسام بن نوح يريد باب زويلة صار هذا الفندق على يساره وأنشأه هو وما يعلوه من الربع الملك الصالح علاء الدين على ابن السلطان الملك المنصور قلاون وكان أبوه لما عزم على المسير الى محاربة التتر ببلاد الشام سلطنه وأركبه بشعار السلطنة من قلعة الجبل فى شهر رجب سنة تسع وسبعين وستمائة وشق به شارع القاهرة من باب النصر الى أن عاد الى قلعة الجبل وأجلسه على مرتبته وجلس الى جانبه فمرض عقيب ذلك ومات ليلة الجمعة الرابع من شعبان فأظهر السلطان لموته جزعاً مفرطاً وحزناً زائداً وصرخ بأعلى صوته واولداه ورمى كلوتته عن رأسه الى الارض وبقى مكشوف الرأس الى أن دخل الامراء اليه وهو مكشوف الرأس يصرخ واولداه فلما عاينوه كذلك ألقوا كلوتاتهم عن رؤسهم وبكوا ساعة ثم أخذ الامير طرنطاى النائب شاش السلطان من الارض وناوله للامير سنقر الاشقر فأخذه ومشى وهو مكشوف الرأس وباس الارض وناول الشاش للسلطان فدفعه وقال ايش أعمل بالملك بعد ولدى وامتنع من لبسه فقبل الامراء الارض يسألون السلطان فى لبس شاشه ويخضعون له فى السؤال ساعة حتى أجابهم وغطى رأسه فلما أصبح خرجت جنازته من القلعة ومعها الامراء من غير حضور السلطان وساروا بها الى تربة أمه المعروفة بتربة خاتون قريباً من المشهد النفيسى فواروه وانصرفوا فلما كان يوم السبت ثانيه نزل السلطان من القلعة وعليه البياض تحزنا على ولده وسار ومعه الامراء بثياب الحزن الى قبر ابنه وأقيم العزاء لموته عدة أيام * (خان السبيل) هذا الخان خارج باب الفتوح قال ابن عبد الظاهر خان السبيل بناه الامير بهاء الدين أبوسعيد قراقوش ابن عبدالله الاسدي خادم أسد الدين شيركوه وعتيقه لابناء السبيل والمسافرين بغير أجرة وبه بئر ساقية وحوض * وقراقوش هذا هو الذى بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الاهرام وعمر بالمقس رباطاً وأسر الفرنج في عكا وهو واليها فافتكه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بعشرة آلاف دينار وتوفي مستهل رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ودفن بسفح الجبل المقطم من القرافة

(خان منكورش) هذا الخان بخط سوق الخيميين بالقرب من الجامع الازهر قال ابن عبد الظاهر خان منكورش بناه الامير ركن الدين منكورش زوج أم الاوحد بن العادل ثم انتقل الى ورثته ثم انتقل الى الامير صلاح الدين أحمد بن شعبان الاربلي فوقفه ثم تحيل ولده في ابطال وقفه فاشتراه منه الملك الصالح بعشرة آلاف دينار مصرية وجعله مرصدا لوالدة خليل ثم انتقل عنها انتهى * قال مؤلفه ومنكورش هذا كان أحد مماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتقدم حتى صار أحد الامراء الصالحية وعرف بالشجاعة والنجدة واصابة الرأي وجودة الرمى وثبات الجاش فلما مات في شوال سنة سبع وسبعين وخمسمائة أخذ اقطاعه الامير ياركوج الاسدي وهذا الخان الآن يعرف بخان النشارين على يسرة من سلك من الخراطين الى الخيميين وهو وقف على جهات بر * (فندق ابن قريش) هذا الفندق قال ابن عبد الظاهر فندق ابن قريش استجده القاضى شرف الدين ابراهيم بن قريش كاتب الانشاء وانتقل الي ورثته انتهى (ابراهيم بن عبد الرحمن بن على بن عبد العزيز بن على بن قريش) أبو اسحاق القرشى المخزومى المصري الكاتب شرف الدين أحد الكتاب المجيدين خطا وانشاء خدم في دولة الملك العادل أبى بكر بن أيوب وفي دولة ابنه الملك الكامل محمد بديوان الانشاء وسمع الحديث بمكة ومصر وحدث وكانت ولادته بالقاهرة في أول يوم من ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وقرأ القرآن وحفظ كثيرا من كتاب المهذب في الفقه على مذهب الامام الشافعي وبرع في الادب وكتب بخطه مايزيد على أربعمائة مجلد ومات في الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة *(وكالة قوصون) هذه الوكالة في معنى الفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والشيرج والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب والرب ونحو ذلك وموضعها فيما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء كانت أخيرا دارا تعرف بدار تمويل البوعاني فأخربها وما جاورها الامير قوصون وجعلها فندقا كبيرا الى الغاية وبدائره عدة مخازن وشرط أن لايؤجر كل مخزن الا بخمسة دراهم من غير زيادة على ذلك ولا يخرج أحد من مخزنه فصارت هذه المخازن تتوارث لقلة أجرتها وكثرة فوائدها وقد أدركنا هذه الوكالة وان رؤيتها من داخلها وخارجها لتدهش لكثرة ماهنالك من أصناف البضائع وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يبتاعها ثم تلاشى أمرها منذ خربت الشام في سنة ثلاث وثمانمائة على يد تيمورلنك وفيها الى الآن بقية ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلثمائة وستين بيتا أدركناها عامرة كلها ويحزر أنها تحوى نحو أربعة آلاف نفس مابين رجل وامرأة وصغير وكبير فلما كانت هذه المحن في سنة ست وثمانمائة خرب كثير من هذه البيوت وكثير منها عامر آهل *(فندق دار التفاح) هذه الدار هى

فندق تجاه باب زويلة يرد اليه الفواكه على اختلاف أصنافها مما ينبت في بساتين ضواحي القاهرة ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية انما يباع في وكالة قوصون اذا قدم ومنها ينقل الى سائر أسواق القاهرة ومصر ونواحيهما وكان موضع دار التفاح هذه في القديم من جملة حارة السودان التي عملت بستاناً في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب * وأنشأ هذه الدار الامير طقوزدمر بعد سنة أربعين وسبعمائة ووقفها على خانقاه بالقرافة وبظاهر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها الفاكهة تذكر رؤيتها وشم عرفها الجنة لطيبها وحسن منظرها وتأنق الباعة في تنضيدها واحتفافها بالرياحين والازهار وما بين الحوانيت مسقوف حتى لايصل الى الفواكه حر الشمس ولا يزال ذلك الموضع غضا طريا الا أنه قد اختل منذ سنة ست وثمانمائة وفيه بقية ليست بذاك ولم تزل الى أن هدم علو الفندق وما بظاهره من الحوانيت في يوم السبت سادس عشر شعبان سنة احدى وعشرين وثمانمائة وذلك أن الجامع المؤيدى جاءت شبابيكه الغربية من جهة دار التفاح فعمل فيها كما صار يعمل في الاوقاف وحكم باستبدالها ودفع في ثمن نقضها ألف دينار افريقية عنها مبلغ ثلاثين ألف مؤيدى فضة ويحصل من أجرتها الى أن ابتدئ بهدمها في كل شهر سبعة آلاف درهم فلوساً عنها ألف مؤيدى فاستشنع هذا الفعل ومات الملك المؤيد ولم تكمل عمارة الفندق * (وكالة باب الجوّانية) هذه الوكالة تجاه باب الجوانية من القاهرة فيما بين درب الرشيدى ووكالة قوصون كان موضعها عدة مساكن فابتدأ الامير جمال الدين محمود بن على الاستادار بهدمها في يوم الاربعاء ثالث عشر جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبناها فندقا وربعا باعلاه فلما كملت رسم الملك الظاهر برقوق أن تكون دار وكالة يرد اليها مايصل الى القاهرة وما يرد من صنف متجر الشام في البحر كالزيت والرب والدبس ويصير مايرد في البر يدخل به على عادته الى وكالة قوصون وجعلها وقفاً على المدرسة الخانقاه التي أنشأها بخط بين القصرين فاستمر الامر على ذلك الى اليوم * (خان الخليلى) هذا الخان بخط الزراكشة العتيق كان موضعه تربة القصر التى فيها قبور الخلفاء الفاطميين المعروفة بتربة الزعفران وقد تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب * أنشأه الامير جهاركس الخليلى أميراخور الملك الظاهر برقوق وأخرج منها عظام الاموات فى المزابل على الحمير وألقاها بكيمان البرقية هوانا بها فانه كان يلوذ به شمس الدين محمد بن أحمد القليجي الذى تقدم ذكره في ذكر الدور من هذا الكتاب وقال له ان هذه عظام الفاطميين وكانوا كفاراً رفضة فاتفق للخليلي في موته أمر فيه عبرة لاولى الالباب وهو أنه لما ورد الخبر بخروج الامير يلبغا الناصري نائب حلب ومجيء الامير منطاش نائب ملطية اليه ومسيرهما بالعساكر الى دمشق أخرج الملك الظاهر برقوق خمسمائة من المماليك وتقدم لعدة من

الامراء بالمسير بهم فخرج الامير الكبير ايتمش الناصري والامير جهاركس الخليلي هذا والامير يونس الدوادار والامير أحمد بن بلبغا الخاصكي والامير ندكار الحاجب وساروا الى دمشق فالقيهم الناصري ظاهر دمشق فانكسر عسكر السلطان لمخامرة ابن بلبغا وندكار وفر أيتمش الى قلعة دمشق وقتل الخليلي في يوم الاثنين حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة وترك على الارض عاريا وسوأته مكشوفة وقد انتفخ وكان طويلا عريضا الى أن تمزق وبلي عقوبة من الله تعالى بما هتك من رمم الأئمة وأبنائهم ولقد كان عفا الله عنه عارفا خبيراً بأمر دنياه كثير الصدقة ووقف هذا الخان وغيره على عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير منه في اليوم رغيفان فعمل ذلك مدة سنين ثم لما عظمت الاسعار بمصر. وتغيرت نقودها من سنة ست وثمانمائة صار يحمل الى مكة مال ويفرق بها على الفقراء * (فندق طرنطاي) هذا الفندق كان بخارج باب البحر ظاهر المقس وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام وكان فيه ستة عشر عموداً من رخام طول كل عمود ستة أذرع بذراع العمل في دور ذراعين ويعلوه ربع كبير فلما كان في واقعة هدم الكنائس وحريق القاهرة ومصر في سنة احدى وعشرين وسبعمائة قدم تاجر بعد العصر بزيت وزن في مكسه عشرين ألف درهم نقرة سوى أصناف أخر قيمتها مبلغ تسعين ألف درهم نقرة فلم يتهيأ له الفراغ من نقل الزيت الى داخل هذا الفندق الا بعد العشاء الآخرة فلما كان نصف الليل وقع الحريق بهذا الفندق فى ليلة من شهر ربيع الآخر منها كما كان يقع فى غير موضع من فعل النصارى فأصبح وقد احترق جميعه حتى الحجارة التى كان مبنياً بها وحتى الاعمدة المذكورة وصارت كلها جيراً واحترق علوه وأصبح التاجر يستعطي الناس وموضع هذا الفندق

* (ذكر الاسواق) *

قال ابن سيدة والسوق التي يتعامل فيها تذكر وتؤنث والجمع أسواق وفى التنزيل الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق والسوقة لغة فيها والسوقة من الناس من لم يكن ذا سلطان الذكر والانثى في ذلك سواء وقد كان بمدينة مصر والقاهرة وظواهرها من الاسواق شئ كثير جداً قد باد أكثرها وكفاك دليلا على كثرة عددها أن الذى خرب من الاسواق فيما بين أراضى اللوق الى باب البحر بالمقس اثنان وخمسون سوقا أدركناها عامرة فيها مايبلغ حوانيته نحو الستين حانوتاً وهذه الخطة من جملة ظاهر القاهرة الغربى فكيف ببقية الجهات الثلاث مع القاهرة ومصر وسأذكر من أخبار الاسواق ماأجد سبيلا الى ذكره ان شاء الله تعالى * (القصبة) قال ابن سيدة قصبة البلد مدينته وقيل معظمه والقصبة هى أعظم أسواق مصر وسمعت غير واحد ممن أدركته من المعمرين يقول ان القصبة تحتوى على اثني عشر ألف حانوت كأنهم يعنون مابين أول الحسينية مما يلى الرمل الي المشهد النفيسى ومن اعتبر هذه المسافة

اعتبارا جيدا لا يكاد أن ينكر هذا الخبر وقد أدركت هذه المسافة بأسرها عامرة الحوانيت غاصة بأنواع المآكل والمشارب والامتعة تبهج رؤيتها ويعجب الناظر هيئتها ويعجز العادّ عن احصاء ما فيها من الانواع فضلا عن احصاء ما فيها من الاشخاص وسمعت الكافة ممن أدركت يفاخرون بمصر سائر البلاد ويقولون يرمى بمصر في كل يوم ألف دينار ذهبا على الكيمان والمزابل يعنون بذلك مايستعمله اللبانون والجبانون والطباخون من الشقاف الحمر التى يوضع فيها اللبن والتي يوضع فيها الجبن والتى تأكل فيها الفقراء الطعام بحوانيت الطباخين وما يستعمله بياعو الجبن من الخيط والحصر التى تعمل تحت الجبن في الشقاف وما يستعمله العطارون من القراطيس والورق الفوى والخيوط التي تشد بها القراطيس الموضوع فيها حوائج الطعام من الحبوب والافاويه وغيرها فان هذه الاصناف المذكورة اذا حملت من الاسواق وأخذ ما فيها ألقيت الى المزابل ومن أدرك الناس قبل هذه المحن وأمعن النظر فيما كانوا عليه من أنواع الحضارة والترف لم يستكثر ماذكرناه وقد اختل حال القصبة وخرب وتعطل أكثر ماتشتمل عليه من الحوانيت بعد ماكانت مع سعتها تضيق بالباعة فيجلسون على الارض في طول القصبة باطباق الخبز وأصناف المعايش ويقال لهم أصحاب المقاعد وكل قليل يتعرض الحكام لمنعهم واقامتهم من الاسواق لما يحصل بهم من تضييق الشوارع وقلة بيع أرباب الحوانيت وقد ذهب والله ماهناك ولم يبق الا القليل وفى القصبة عدة أسواق منها ما خرب ومنها ما هو باق وسأذكر منها ما يتيسر ان شاء الله تعالى

*(سوق باب الفتوح) هذا السوق في داخل باب الفتوح من حد باب الفتوح الآن الى رأس حارة بهاء الدين معمور الجانبين بحوانيت اللحامين والخضريين والفاميين والشرايحية وغيرهم وهو من أجل أسواق القاهرة وأعمرها يقصده الناس من أقطار البلاد لشراء أنواع اللحمان الضأن والبقر والمعز ولشراء أصناف الخضراوات وليس هو من الاسواق القديمة وانما حدث بعد زوال الدولة الفاطمية عند ما سكن قراقوش فى موضعه المعروف بحارة بهاء الدين وقد تناقص عما كان فيه منذ عهد الحوادث وفيه الى الآن بقية صالحة

*(سوق المرحلين) هذا السوق أدركته من رأس حارة بهاء الدين الى بحرى المدرسة الصيرمية معمور الجانبين بالحوانيت المملوأة برحالات الجمال وأقتابها وسائر ماتحتاج اليه يقصد من سائر اقليم مصر خصوصاً في مواسم الحج فلو أراد الانسان تجهيز مائة جمل وأكثر في يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه من ذلك لكثرة ذلك عند التجار في الحوانيت بهذا السوق وفي المخازن فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة وكثر سفر الملك الناصر فرج بن برقوق الى محاربة الامير شيخ والامير نوروز بالبلاد الشامية صار الوزراء يستدعون ما يحتاج اليه الجمال من الرحال والاقتاب وغيرها فاما لا يدفع ثمنها أو يدفع فيها الشيء اليسير من الثمن فاختل من

ذلك حال المرحلين وقلت أموالهم بعد ما كانوا مشتهرين بالغناء الوافر والسعادة الطائلة وخرب معظم حوانيت هذا السوق وتعطل أكثر ما بقي منها ولم يتأخر فيه سوى القليل *(سوق خان الرواسين) هذا السوق على رأس سويقة أمير الجيوش قيل له ذلك من أجل أن هناك خاناً تعمل فيه الرؤس المعمومة وكان من أحسن أسواق القاهرة فيه عدة من البياعين ويشتمل على نحو العشرين حانوتاً مملوأة بأصناف المآكل وقد اختل وتلاشي أمره *(سوق حارة برجوان) هذا السوق من الاسواق القديمة وكان يعرف في القديم أيام الخلفاء الفاطميين بسوق أمير الجيوش وذلك أن أمير الجيوش بدر الجمالى لما قدم الى مصر في زمن الخليفة المستنصر وقد كانت الشدة العظمى بني بحارة برجوان الدار التي عرفت بدار المظفر وأقام هذا السوق برأس حارة برجوان قال ابن عبد الظاهر والسويقة المعروفة بأمير الجيوش معروفة بأمير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر وهى من باب حارة برجوان الى قريب الجامع الحاكمى وهكذا نشهد مكاتيب دور حارة برجوان القديمة فان فيها والحد القبلى ينتهى الى سويقة أمير الجيوش وسوق حارة برجوان هو فى الحد القبلى من حارة برجوان وأدركت سوق حارة برجوان أعظم أسواق القاهرة ما برحنا ونحن شباب نفاخر بحارة برجوان سكان جميع حارات القاهرة فنقول بحارة برجوان حمامات يعني حمامى الرومي وحمام سويد فانه كان يدخل اليها من داخل الحارة وبها فرنان ولها السوق الذى لا يحتاج ساكنها الى غيره وكان هذا السوق من سوق خان الرواسين الى سوق الشماعين معمور الجانبين بالعدة الوافرة من بياعى لحم الضأن السليخ وبياعى اللحم السميط وبياعي اللحم البقرى وبه عدة كثيرة من الزياتين وكثير من الجبانين والخبازين واللبانين والطباخين والشوايين والبواردية والعطارين والخضريين وكثير من بياعى الامتعة حتى انه كان به حانوت لا يباع فيه الا حوائج المائدة وهي البقل والكراث والشمار والنعناع وحانوت لا يباع فيه الا الشيرج والقطن فقط برسم تعمير القناديل التي تسرج فى الليل وسمعت من أدركت أنه كان يشترى من هذا الحانوت فى كل ليلة شيرج مما يوضع فى القناديل بثلاثين درهما فضة عنها يومئذ دينار ونصف وكان يوجد بهذا السوق لحم الضأن النيء والمطبوخ الى ثلث الليل الاول ومن قبل طلوع الفجر بساعة وقد خرب أكثر حوانيت هذا السوق ولم يبق لها أثر وتعطل بأسره بعد سنة ست وثمانمائة وصار أوحش من وتد فى قاع بعد أن كان الانسان لا يستطيع أن يمر فيه من ازدحام الناس ليلا ونهاراً الا بمشقة وكان فيه قبانى برسم وزن الامتعة والمال والبضائع لا يتفرغ من الوزن ولا يزال مشغولا به ومعه من يستحثه ليزن له فلما كان بعد سنة عشر وثمانمائة أنشأ الامير طوغان الدوادار بهذا السوق مدرسة وعمر ربعاً وحوانيت فتحايى بعض الشيء وقبض على طوغان فى سنة ست عشرة وثمانمائة ولم

تكمل عمارة السوق وفيه الآن بقية يسيرة *(سوق الشماعين) هـذا السوق من الجامع الاقمر الى سوق الدجاجين كان يعرف في الدولة الفاطمية بسوق القماحين وعنده بنى المأمون ابن البطائحي الجامع الاقمر باسم الخليفة الآمر بأحكام الله وبنى تحت الجامع دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح وأدركت سوق الشماعين من الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية والفانوسية والطوافات لا تزال حوانيته مفتحة الى نصف الليل وكان يجلس به في الليـل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين لهن سيما يعرفن بهـا وزى يتميزن به وهو لبس الملاآت الطرح وفي أرجلهن سراويل من أديم أحمر وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال المشالقين فى وقت لعبهم وفيهن من تحمل الحديد معها وكان يباع في هذا السوق في كل ليلة من الشمع بمال جزيل وقد خرب ولم يبق به الا نحو الخمس حوانيت بعدما أدركتها تزيد على عشرين حانوتاً وذلك لقلة ترف الناس وتركهم استعمال الشمع وكان يعلق بهذا السوق الفوانيس في موسم الغطاس فتصير رؤيته فى الليل من أنزه الاشياء وكان به فى شهر رمضان موسم عظيم لكثرة ما يشترى ويكترى من الشموع الموكبية التي تزن الواحدة منهن عشرة أرطال فما دونهـا ومن المزهرات العجيبة الزى المليحة الصنعة ومن الشمع الذى يحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار وما فوقه كل ذلك برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح فيمر في ليالى شهر رمضان من ذلك ما يعجز البليغ عن حكاية وصفه وقد تلاشي الحال في جميع ما قلنا لفقر الناس وعجزهم *(سوق الدجاجين) هذا السوق كان مما يلى سوق الشماعين الى سوق قبو الخرشتف كان يباع فيـه من الدجاج والاوز شيء كثير جليل الى الغاية وفيه حانوت فيه العصافير التي يبتاعها ولدان الناس ليعتقوها فيباع منها في كل يوم عدد كثير جداً ويباع العصفور منها بفلس ويخدع الصبي بأنه يسبح فمن أعتقه دخل الجنة ولـكل واحد حينئذ رغبة في فعـل الخير وكان يوجد في كل وقت بهذه الحوانيت من الاقفاص التي بها هـذه العصافير آلاف ويباع بهذا السوق عدة أنواع من الطير وفي كل يوم جمعة يباع فيه بكرة أصناف القمارى والهزارات والشحارير والببغا والسمان وكنا نسمع أن من السمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم وكذلك بقيـة طيور المسموع يبلغ الواحد منها نحو الالف لتنافس الناس فيها وتوفر عدد المعتنين بها وكان يقال لهم غواة طيور المسموع سيما الطواشية فانه كان يبلغ بهـم الترف أن يقتنوا السمان ويتأنقوا في أقفاصه ويتغالوا في أثمانه حتي بلغنا أنه بيع طائر من السمان بألف درهم فضـة عنها يومئذ نحو الخمسين دينـاراً من الذهب كل ذلك لاعجابهم بصوته وكان صوته على وزن قول القائل طقطلق وعوع وكلـما كثر صياحه كانت المغالاة فى ثمنه فاعتبر بما قصصته عليك حال الترف الذى كان فيه أهل مصر ولا تتخذ حكاية ذلك هزؤا تسخر به فتكون ممن لا تنفعه المواعظ بل يمر بالآيات معرضاً غافلا فتحرم الخير

وكان بهـذا السوق قيسارية عملت مرة سوقا للـكتبيين ولها باب من وسط سوق الدجاجين وباب من الشارع الذى يسلك فيه من بين القصرين الى الركن المخلق فاتفق أن ولى نيابة النظر في المارستان المنصورى عن الامير الـكبير ايتمش النحاسي الظاهرى أمير يعرف بالامير خضر ابن التـكنزية فهدم هذا السوق والقيسارية وما يعلوها وأنشأ هذه الحوانيت والرباع التي فوقها تجاه ربع الـكامل الذى يعلو ما بين درب الخضيرى وقبو الخرشتف فلما كمل أسكن في الحوانيت عدة من الزياتين وغيرهم وبقى من الدجاجين بهـذا السوق بقية قليلة *(سوق بين القصرين) هـذا السوق أعظم أسواق الدنيا فيما بلغنا وكان في الدولة الفاطمية براحا واسعا يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس وراجل ثم لما زالت الدولة ابتذل وصار سوقا يعجز الواصف عن حكاية ما كان فيـه وقد تقدم ذكره في الخطط من هذا الـكتاب وفيه الى الآن بقية تحزنني رؤيتها اذ صارت الى هذه القلة * (سوق السلاح) هـذا السوق فيما بين المدرسة الظاهرية بيبرس وبين باب قصر بشتاك استجد فيما بعد الدولة الفاطمية في خط بين القصرين وجعل لبيع القسى والنشاب والزرديات وغير ذلك من آلات السلاح وكان تجاهـه خان يقابل الخان الذى هو الآن بوسط سوق السـلاح وعلى بابه من الجانبين حوانيت تجلس فيها الصيارف طول النهار فاذا كان عصريات كل يوم جلس أرباب المقاعـد تجاه حوانيت الصيارف لبيع أنواع من المآكل ويقابلهم تجاه حوانيت سوق السلاح أرباب المقاعد أيضاً فاذا أقبل الليل أشعلت السرج من الجانبين وأخذ الناس في التمشي بينهما على سبيل الاسترواح والتنزه فيمر هنالك من الخلاعات والمجون مالا يعبر عنه بوصف فلما أنشأ الملك الظاهر برقوق المدرسة الظاهرية المستجدة صارت في موضع الخان وحوانيت الصرف تجاه سوق السلاح وقل ما كان هنالك من المقاعد وبقى منها شيء يسير * (سوق القفيصات) بصيغة الجمـع والتصغير هكذا يعرف كانه جمع قفيص فانه كله معد لجلوس أناس على تخوت تجاه شبابيك القبة المنصورية وفوق تلك التخوت أقفاص صغار من حـديد مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور النسوان وخلاخيلهن وغير ذلك وهذه الاقفاص يأخذ أجرة الارض التي هي عليها مباشر المارستان المنصورى وأصل هذه الارض كانت من حقوق أرض موقوفة على جامع المقس فدخل بعضها في القبة المنصورية وصـار بعضها كما ذكرنا والى اليوم يدفع من وقف المارستان حكر هذه الارض لجامع المقس ولما ولى نظر المارستان الامير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الـكرك في سنة ست وعشرين وسبعمائة عمل فيه أشياء من ماله منها خيمة ذرعها مائة ذراع نشرها من أول جدار القبة المنصورية بحذاء المدرسة النـاصرية الى آخر حد المدرسة المنصورية بجوار الصاغة فصارت فوق مقاعد الاقفاص تظلهم من حر الشمس وعمل لها حبالا تمد بها عند الحر وتجمع بها اذا امتد الظل وجملها

مرتفعة في الجو حتى ينحرف الهواء ثم لما كان شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة نقلت الاقفاص منه الى القيسارية التي استجدت تجاه الصاغة *(سوق باب الزهومة)* هذا السوق عرف بذلك من أجل أنه كان هناك في الايام الفاطمية باب من أبواب القصر يقال له باب الزهومة تقدم ذكره في ذكر أبواب القصر من هذا الكتاب وكان موضع هذا السوق في الدولة الفاطمية سوق الصيارف ويقابله سوق السيوفيين من حيث الخشيبة الى نحو رأس سوق الحريريين اليوم وسوق العنبر الذى كان اذ ذاك سجنا يعرف بالمعونة ويقابل السيوفيين اذ ذاك سوق الزجاجين وينتهى الى سوق القشاشين الذي يعرف اليوم بالخراطين فلما زالت الدولة الفاطمية تغير ذلك كله فصار سوق السيوفيين من جوار الصاغة الى درب السلسلة وبنى فيما بين المدرسة الصالحية وبين الصاغة سوق فيه حوانيت مما يلي المدرسة الصالحية يباع فيها الامشاط بسوق الامشاطيين وفيه حوانيت فيما بين الحوانيت التي يباع فيها الامشاط وبين الصاغة بعضها سكن الصيارف وبعضها سكن النقليين وهم الذين يبيعون الفستق واللوز والزبيب ونحوه وفي وسط هذا البناء سوق الكتبيين يحيط به سوق الامشاطيين وسوق النقليين وجميع ذلك جار في أوقاف المارستان المنصوري * وكان سوق باب الزهومة من أجل أسواق القاهرة وأفخرها موصوفا بحسن المآكل وطيبها * واتفق فى هذا السوق أمر يستحسن ذكره لغرابته في زمننا وهو أنه عبر متولى الحسبة بالقاهرة في يوم السبت سادس عشر شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة على رجل بواردى بهذا السوق يقال له محمد بن خلف عنده مخزن فيه حمام وزرازير متغيرة الرائحة لها نحو خمسين يوما فكشف عنها فبلغت عدتها أربعة وثلاثين ألفا ومائة وستة وتسعين طائرا من ذلك حمام ألف ومائةوستة وتسعون وزرازير ثلاثة وثلاثون ألفاً كلها متغيرة اللون والريح فأدبه وشهره وفيه الى الآن بقايا *(سوق المهامزيين) هذا السوق مما استجد بعد زوال الدولة الفاطمية وكان بأوله حبس المعونة الذى عمله الملك المنصور قلاوون سوق العنبر ويقابله المارستان والوكالة ودار الضرب في الموضع الذى يعرف اليوم بدرب الشمسى وما بحذائه من الحوانيت الى حمام الخراطين وما تجاه ذلك وهذا السوق معد لبيع المهاميز وأدركت الناس وهم يتخذون المهماز كله قالبه وسقطه من الذهب الخالص ومن الفضة الخالصة ولا يترك ذلك الا من يتورع ويتدين فيتخذ القالب من الحديد ويطليه بالذهب أو الفضة ويتخذ السقط من الفضة وقد اضطر الناس الى ترك هذا فقل من بقى سقط مهمازه فضة ولا يكاد يوجد اليوم مهماز من ذهب وكان يباع بهذا السوق البدلات الفضة التي كانت برسم لجم الخيل وتعمل تارة من الفضة المجراة بالمينا وتارة بالفضة المطلية بالذهب فيبلغ زنة ما فى البدلة من خمسمائة درهم فضة الى ما دونها وقد بطل ذلك وكان

يباع به أيضاً سلاسل الفضة ومخاطم الفضة المطلية تجعل تحت لجم الحجور من الخيل خاصة فيركب بها أعيان الموقعين وأكابر الكتاب من القبط ورؤساء التجار وقد بطل ذلك أيضاً ويباع فيه أيضاً الدوى والطرف التى فيها الفضة والذهب كسكاكين الاقلام ونحوها وكانت تجار هذا السوق تعد من بياض العامة ويتصل بسوق المهامزيين هذا *(سوق اللجميين) ويباع فيه آلات اللجم ونحوها مما يتخذ من الجلد وفي هذا السوق أيضاً عدة وافرة من الطلائين وصناع الكفت برسم اللجم والركب والمهاميز ونحو ذلك وعدة من صناع مياتر السروج وقرابيسها وأدركت السروج تعمل ملونة ما بين أصفر وأزرق ومنها ما يعمل من الدبل ومنها ما يعمل سيوراً من الجلد البلغارى الاسود ويركب بهذه السروج السود القضاة ومشايخ العلم اقتداء بعادة بنى العباس في استعمال السواد على ما جدده بديار مصر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد زوال الدولة الفاطمية وأدركت السروج التى تركب بها الاجناد والكتاب يعمل للسرج فى قربوسه ستة أطواق من فضة مقبلة مطلية بالذهب ومقربات من فضة ولا يكاد أحد يركب فرسا بسرج سادج الا أن يكون من القضاة ومشايخ العلم واهل الورع فلما تسلطن الملك الظاهر برقوق اتخذ سائر الاجناد السروج المغرقة وهى التى جميع قرابيسها من ذهب أو فضة اما مطلية أوسادجة وكثر عمل ذلك حتى لم يبق من العسكر فارس الا وسرجه كما ذكرنا وبطل السرج المسقط فلما كانت الحوادث بعدسنة ستوثمانمائة غلب على الناس الفقر وكثرت الفتن فقلت سروج الذهب والفضة وبقى منها الى اليوم بقايا يركب بها أعيان الامراء وأماثل المماليك *(سوق الجوخيين) هذا السوق يلي سوق اللجميين وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج وغواشيها وأدركت الناس وقلما تجد فيهم من يلبس الجوخ وانما يكون من جملة ثياب الاكابر جوخ لا يلبس الا في يوم المطر وانما يلبس الجوخ من يرد من بلاد المغرب والفرنج وأهل الاسكندرية وبعض عوام مصر فاما الرؤساء والاكابر والاعيان فلا يكاد يوجد فيهم من يلبسه الا في وقت المطر فاذا ارتفع المطر نزع الجوخ وأخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب ابن الخطبا المخزومى خال أبى رحمه الله قال كنت أنوب في حسبة القاهرة عن القاضى ضياء الدين المحتسب فدخلت عليه يوما وانا لابس جوخة لها وجه صوف مربع فقال لى وكيف ترضى أن تلبس الجوخ وهل الجوخ الا لاجل البغلة ثم أقسم علىّ أن أخلعها وما زال بى حتى عرفته انى اشتريتها من بعض تجار قيسارية الفاضل فاستدعاه في الحال ودفعها اليه وأمره باحضار ثمنها ثم قال لى لا تعد الى لبس الجوخ استهجانا له فلما كانت هذه الحوادث وغلت الملابس دعت الضرورة أهل مصر الى ترك أشياء مما كانوا فيه من الترفه وصار معظم الناس يلبسون الجوخ فتجد الامير والوزير

والقاضي ومن دونهم ممن ذكرنا لباسهم الجوخ ولقد كان الملك الناصر فرج ينزل أحيانا الى الاصطبل وعليه قمجون من جوخ وهو ثوب قصير الكمين والبدن يخاط من الجوخ بغير بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه فتداول الناس لبسه واجتلب الفرنج منه شيئاً كثيراً لا توصف كثرته ومحل بيعه بهذا السوق ويلى سوق الجوخيين هذا *(سوق الشرابشيين) وهذا السوق مما أحدث بعد الدولة الفاطمية ويباع فيها الخلع التي يلبسها السلطان الامراء والوزراء والقضاة وغيرهم وانما قيل له سوق الشرابشيين لانه كان من الرسم في الدولة التركية ان السلطان والامراء وسائر العساكر انما يلبسون على رؤسهم كلوتة صفراء مضربة تضريبا عريضا ولها كلاليب بغير عمامة فوقها وتكون شعورهم مضفورة مدلاة بدبوقة وهى فى كيس حرير اما أحمر أو أصفر وأوساطهم مشدودة ببنود من قطن بعلبكي مصبوغ عوضا عن الحوائص وعليهم أقبية اما بيض أو مشجرة أحمر وأزرق وهى ضيقة الاكمام على هيئة ملابس الفرنج اليوم وأخفافهم من جلد بلغاري أسود وفي أرجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان ومن فوق القبا كمران بحلق وأبزيم وصوالق بلغاري كبار يسع الواحد منها أكثر من نصف ويبة غلة مغروز فيه منديل طوله ثلاثة أذرع فلم يزل هذا زيهم منذ استولوا بديار مصر على الملك من سنة ثمان وأربعين وستمائة الى أن قام فى المملكة الملك المنصور قلاوون فغير هذا الزي بأحسن منه ولبسوا الشاشات وأبطلوا لبس الكم الضيق واقترح كل أحد من المنصورية ملابس حسنة فلما ملك ابنه الاشرف خليل جمع خاصكيته ومماليكه وتخير لهم الملابس الحسنة وبدل الكلوتات الجوخ والصفر ورسم لجميع الامراء أن يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركش والطرازات الزركش والكنابيش الزركش والاقبية الاطلس المعدنى حتي يميز الامير بلبسه عن غيره وكذلك في الملبوس الابيض أن يكون رفيعاً واتخذ السروج المرصعة والاكوار المرصعة فعرفت بالاشرفية وكانت قبل ذلك سروجهم بقرابيس كبار شنعة وركب كبار بشعة فلما ملك ديار مصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون استجد العمائم الناصرية وهى صغار فلما قام الامير بلبغا العمرى الخاصكي عمل الكلوتات البلبغاوية وكانت كبارا واستجد الامير سلار في أيام الملك الناصر محمد القباء الذى يعرف بالسلارى وكان قبل ذلك يعرف ببغلوطاق فلما تملك الملك الظاهر برقوق عمل هذه الكلوتات الجركسية وهى أكبر من البلبغاوية وفيها عوج وأما الخلع فان السلطان كان اذا أمر أحداً من الاتراك ألبسه الشربوش وهو شئ يشبه التاج كأنه شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامة ويلبس معه على قدر رتبته اما ثوب بخ أو طرد وحش أو غيره فعرف هذا السوق بالشرابشيين نسبة الى الشرابيش المذكورة وقد بطل الشربوش في الدولة الجركسية وكان بهذا السوق عدة تجار لشراء التشاريف والخلع وبيعها على السلطان

في ديوان الخاص وعلى الامراء وينال الناس من ذلك فوائد جليلة ويقتنون بالمتجر في هذا الصنف سعادات طائلة فلما كانت هذه الحوادث منع الناس من بيع هذا الصنف الا للسلطان وصار يجلس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر مايحتاج اليه ومن اشترى من ذلك شيئاً سوى عمال السلطان فله من العقاب ماقدر عليه والامر على هذا الى يومنا الذى نحن فيه وأول من علمته خلع عليه من أهل الدول جعفر بن يحيي البرمكي وذلك ان أمير المؤمنين هارون الرشيد قال في اليوم الذى انعقد له فيه الملك ياأخي ياجعفر قد أمرت لك بمقصورة في دارى وما يصلح لها من الفراش وعشر جوار تكن فيها ليلة مبيتك عندنا فقال ياأمير المؤمنين مامن نعمة متواترة ولا فضل متظاهر الا ورأي أمير المؤمنين أجل وأتم ثم انصرف وقد خلع عليه الرشيد وحمل بين يديه مائة بدرة دراهم ودنانير وأمر الناس فركبوا اليه حتى سلموا عليه وأعطاه خاتم الملك ليختم به على مايريد فبلغ بذلك صيته أقطار الارض ووصل الى مالم يصل اليه كاتب بعده فاقتدى بالرشيد من بعده وخلعوا على أوليائهم وولاة أعمالهم واستمر ذلك الى اليوم وأول ماعرف شد السيوف فى أوساط الجند ان سيف الدين غازى ابن عماد الدين اتابك زنكي بن اق سنقر صاحب الموصل أمر الاجناد أن لايركبوا الا بالسيوف فى أوساطهم والدبابيس تحت ركبهم فلما فعل ذلك اقتدى به أصحاب الاطراف وهو أيضاً أول من حمل على رأسه الصنجق في ركوبه وغازى هذا هو أخو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ومات فى آخر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة وولى الموصل بعده أخوه قطب الدين مودود *(سوق الحوائصيين) هذا السوق يتصل بسوق الشرابشيين وتباع فيه الحوائص وهى التى كانت تعرف بالمنطقة فى القديم فكانت حوائص الاجناد أولا أربعمائة درهم فضة ونحوها ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الامراء الكبار ثلثمائة دينار وأمراء الطبلخانات مائتى دينار ومقدمى الحلقة من مائة وسبعين الى مائة وخمسين ديناراً ثم صار الامراء والخاصكية فى الايام الناصرية وما بعدها يتخذون الحياصة من الذهب ومنها ماهو مرصع بالجوهر ويفرق السلطان فى كل سنة على المماليك من حوائص الذهب والفضة شيئاً كثيرا وما زال الامر على ذلك الى أن ولى الناصر فرج فلما كان في أيام الملك المؤيد شيخ قل ذلك ووجد فى تركة الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور لما قبض عليه ستة آلاف حياصة وستة آلاف كلوتة جهاركس وما برح تجار هذا السوق من بياض العامة وقد قل تجار هذا السوق فى زمننا وصار أكثر حوانيته يباع فيها الطواقى التى يلبسها الصبيان وصارت الآن من ملابس الاجناد * (سوق الحلاويين) هذا السوق معد لبيع مايتخذ من السكر حلوى وانما يعرف اليوم بحلاوة منوعة وكان من أبهج الاسواق لما يشاهد فى الحوانيت التى بها من الأوانى وآلات النحاس الثقيلة الوزن البديعة الصنعة ذات

القيم الكبيرة ومن الحلاوات المصنعة عدة ألوان وتسمى المجمعة وشاهدت بهذا السوق السكر
ينادى عليه كل قنطار بمائة وسبعين درهما فلما حدثت المحن وغلا السكر لخراب الدواليب
التى كانت بالوجه القبلي وخراب مطابخ السكر التى كانت بمدينة مصر قل عمل الحلوى ومات
أكثر صناعها ولقد رأيت مرة طبقا فيه نقل وعدة شقاف من خزف أحمر فى بعضها اللبن وفى
بعضها أنواع الاجبان وفيما بين الشقاف الخيار والموز وكل ذلك من السكر المعمول بالصناعة
وكانت أيضاً لهم عدة أعمال من هذا النوع يحير الناظر حسنها وكان هذا السوق فى موسم
شهر رجب من أحسن الاشياء منظراً فانه كان يصنع فيه من السكر أمثال خيول وسباع
وقطاط وغيرها تسمى العلاليق واحدها علاقة ترفع بخيوط على الحوانيت فمنها مايزن عشرة
أرطال الى ربع رطل تشتري للاطفال فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لاهله
وأولاده وتمتلئ أسواق البلدين مصر والقاهرة وأريافهما من هذا الصنف وكذلك يعمل
في موسم نصف شعبان وقد بقى من ذلك الى اليوم بقية غير طائلة وكذلك كانت تروق
رؤية هذا السوق في موسم عيد الفطر لكثرة مايوضع فيه من حب الخشكنانج وقطع
البسندود والمشاش ويشرع فى عمل ذلك من نصف شهر رمضان فتملأ منه أسواق القاهرة
ومصر والارياف ولم ير فى موسم سنة سبع عشرة وثمانمائة من ذلك شئ بالاسواق ألبتة
فسبحان محيل الاحوال لا اله الا هو *(سوق الشوايين) هذا السوق أول سوق وضع
بالقاهرة وكان يعرف بسوق الشرايحيين وهو من باب حارة الروم الى سوق الحلاويين وما
زال يعرف بسوق الشرايحيين الى أن سكن فيه عدة من بياعي الشواء في حدود السبعمائة
من سنى الهجرة فزالت عنه النسبة الى الشرايحيين وعرف بالشوايين وهو الآن سكن المتعيشين
وانتقل سوق الشرايحيين في زماننا الى خارج باب زويلة وعرف بالبسطيين كما سيأتى ذكره
ان شاء الله تعالى قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز وفى شهر صفر من سنة خمس وستين
وثلثمائة أنشئ سوق الشرايحيين بالقاهرة وذكر ذلك ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة
وكان فى القديم باب زويلة الذى وضعه القائد جوهر عند رأس حارة الروم حيث العقد المجاور
الآن للمسجد الذى عرف اليوم بسام بن نوح وكان بجواره باب آخر موضعه الآن سوق
الماطيين فلما نقل أمير الجيوش باب زويلة الى حيث هو الآن اتسع ما بين سوق الشرايحيين
المذكور وبين باب زويلة الكبير وصار الآن فيه سوق الغرابليين وفيه عدة حوانيت تعمل
مناخل الدقيق والغرابيل ويقابلهم عدة حوانيت يصنع فيها الاغلاق المعروفة بالضبب وما
بعد ذلك الى باب زويلة فيه كثير من الحوانيت يجلس ببعضها عدة من الجبانين لبيع أنواع الجبن
المجلوب من البلاد الشامية وأدركنا هناك الى أن حدثت المحن من ذلك شيئاً كثيراً يجاوز
الحد فى الكثرة وفي بعض تلك الحوانيت قوم يجلسون لملاج من عساه ينصدع له عظم أو

ينكسر أو يصيبه جرح يعرفون بالمجبرين وهناك منهم بقية الى يومنا هـذا وبقية الحوانيت ما بين صيارفة وبياعى طرف ومتعيشين فى المآ كل وغيرها فهذه قصبة القاهرة وما فى ظاهر باب زويلة فانه خارج القاهرة والله تعالى أعلم

(الشارع خارج باب زويلة)

هذا الشارع هو تجاه من خرج من باب زويلة ويمتد فيما بين الطريق السالك ذات اليمين الى الخليج وبين الطريق المسلوك فيه ذات اليسار الى قلعة الجبل ولم يكن هذا الشارع موجوداً على ماهو عليه الآن عند وضع القاهرة وانمـا حدث بعد وضعها بعدة أعوام على غير هذه الهيئة فلما كثرت العمائر خارج باب زويلة بعد سـنة سبعمائة من سنى الهجرة صار على ماهو عليـه الآن فاما أول أمره فان الخليفة الحاكم بأمر الله أنشأ الباب الجديد على يسرة الخارج من باب زويلة على شاطئ بركة الفيل وهذا الباب أدركت عقده عند رأس المنجبية بجوار سوق الطيور ثم لمـا اختطت حارة اليانسية وحارة الهلالية صار ساحل بركة الفيل قبالتها واتصلت العمائر من البـاب الجديد الى الفضاء الذى هو الآن خارج المشهد النفيسى فلما كانت الشدة العظمى في خلافة المستنصر وخربت القطائع والعسكر صارت مواضعهـا خراباً الى خلافة الآمر بأحكام الله فعمر الناس حتى صارت مصر والقاهرة لا يتخللهما خراب وبنى الناس في الشارع من الباب الجديد الى الجبل عرضاً حيث قلعة الجبل الآن وبنى حائط يستر خراب القطائع والعسكر فعمر من الباب الجديد طولا الى باب الصفا بمدينة مصر حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون يصـلون العشاء الآخرة بالقاهرة ويتوجهون الى سكنهم فى مصر ولا يزالون في ضوء وسرج وسوق موقود من الباب الجـديد خارج باب زويلة الى باب الصـفا حيث الآن كوم الجارح والمعاش مسـتمر فى الليل والنهار ووقف القاضي الرئيس المختار العدل زكي الدين أبو العباس أحمـد بن مرتضى بن سـيد الاهل ابن يوسف حصة من البستان الـكبير المعروف يومئذ بالخاريق الـكبرى الكائن فيما بين القاهرة ومصر بعدوة الخليج على القربات وشرط أنّ الناظر يشترى في كل فصل من فصول الشتاء من قماش الـكتان الخام أو القطن مايراه ويعمل ذلك جبابا وبغالطيقا محشوّة قطناً وتفرّق على الأيتام الذكور والاناث الفقراء غير البالغين بالشارع الأعظم خارج باب زويلة فيدفع لـكل واحد جبة واحدة أو بغلطاقا فان تعذر ذلك كان على الأيتام المتصفين بالصفات المذكورة بالقاهرة ومصر وقرا فتيهما وكان هذا الوقف في سنة ستين وستمائة فلما كـثرت العمائر خارج باب زويلة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة سبعمائة صار هـذا الشارع أوّله تجـاه باب زويلة وآخره فى الطول الصليبـة التي تنتهى الى جامع ابن طولون وغيره لـكنهم لايريدون بالشارع سوى الى باب القوس الذى بسوق الطيوريين وهو الباب

الجديد وبعد باب القوس سوق الطيوريين ثم سوق جامع قوصون وسوق حوض ابن هنس وسوق ربع طفجي وهذه أسواق بها عدة حوانيت لكنها لا تنتهى الى عظم أسواق القاهرة بل تكون ابدا دونها بكثير فهذا حال القصبة والشارع خارج باب زويلة وقد بقيت عدة أسواق في جانبى القصبة ولها أبواب شارعة وفيها أسواق أخر فى نواحي القاهرة ومسالكها سيأتي ذكرها بحسب القدرة ان شاء الله تعالى * (سويقة أمير الجيوش) هذه السويقة الآن فيما بين حارة برجوان وحارة بهاء الدين كانت تعرف بسوق الخروقيين فيما بعد زوال الدولة الفاطمية وفى هذا السوق عمر الامير مازكوج الاسدى مدرسته المعروفة الآن بالازكجية وأدركت الناس الى هذا الزمن الذى نحن فيه لايعرفون هذا السوق الا بسوق أمير الجيوش ويعبرون عنه بصيغة التصغير ولا أعرف لهم مستنداً فى ذلك والذى تشهد به الاخبار أن سوق أمير الجيوش هو السوق الذى برأس حارة برجوان ويمتد الى رأس سويقة أمير الجيوش الآن وهذه السويقة من أكبر أسواق القاهرة بها عدة حوانيت فيها الرفاؤون والحياكون وعدة حوانيت للرسامين وعدة حوانيت للفرايين وعدة حوانيت للخياطين ومعظمها لسكن البزازين والخلعيين وفيها عدة من بياعى الاقباع ويباع فى هذا السوق سائر الثياب المخيطة والامتعة من الفرش ونحوها وهو شارع من شوارع القاهرة يسلك فيه من باب الفتوح وبين القصرين وباب النصر الى باب القنطرة وشاطئ النيل وغيره وكان مابعد هذا السوق الى باب القنطرة معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الطرائف والمغازل والكتان والانواع من المأكل والعطر وغيره وقد خرب أكثر هذه الحوانيت فى سنى المحنة وما بعدها ولسويقة أمير الجيوش عدة قياسر وفنادق والله أعلم * (سوق الجملون الصغير) هذا السوق يسلك فيه من رأس سويقة أمير الجيوش الى باب الجوانية وباب النصر ورحبة باب العيد وهو مجاور لدرب الفرحية وفيه المدرسة الصيرمية وباب زيادة الجامع الحاكمي وكان أولا يعرف بالامراء القرشيين بني النورى ثم عرف بالجملون الصغير وبجملون ابن صيرم وهو الامير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد الأمراء فى أيام الملك الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب واليه تنسب المدرسة الصيرمية والخط المعروف خارج باب الفتوح ببستان ابن صيرم وأدركت هذا الجملون معمور الجانبين من أوله الى آخره بالحوانيت ففى أوله كثير من البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان من الخام والازرق وأنواع الطرح وأصناف ثياب القطن وينادى فيه على الثياب بحراج حراج وفيه عدة من الخياطين وعدة من البابية المعدين لغسل الثياب وصقالها وبآخره كثير من الضببيين بحيث لو أراد أحد أن يشترى منه ألف ضبة فى يوم لما عسر عليه ذلك فلما حدثت المحن خرب هذا السوق بخلو حوانيته وصار مقفرا من ساكنيه ثم انه عمر بعد سنة عشر وثمانمائة وفيه الآن نفر من

البزازين وقليل ممن سواهم * (سوق المحايريين) هذا السوق فيما بين الجامع الاقمر وبين جملون ابن صيرم يسلك فيه من سوق حارة برجوان ومن سوق الشماعين الى الركن المخلق ورحبة باب العيد وهو من شوارع القاهرة المسلوكة وفيه عدة حوانيت لعمل المحاير التى يسافر فيها الى الحجاز وغيره وكان فيه تاجران قد تراضيا على مايشتريانه من المحاير المعرضة للبيع ولهذا السوق موسم عظيم عند سفر الحاج وعند سفر الناس الى القدس وبلغنى عن شيخ كان بهذا السوق أنه أوصى بعض صبيانه فقال له يابني لاتراع أحداً في بيع فانه لا يحتاج اليك الامرة في عمره فخذ عدلك فى ثمن المحارة فانك لاتخشى من عوده مرة أخرى اليك وسوف اذا عاد من سفره اما الى الحجاز أو القدس فانه يحتاج الى بيعها فتراقد عليه فى ثمنها واشترها بالرخيص وكذلك يفعل أهل هذا السوق الى اليوم فانهم لايراعون بائعاً ولا مشترياً الا أن سوقهم لم يبق كما أدركناه فانه حدث سوق آخر يباع فيه المحاير بسوق الجامع الطولوني وصار بسوق الخيميين أيضاً صناع للمحاير وبلغنى أن بالمحايريين هذه أوقف أهل مصر امرأة من جريد مؤتزرة بيدها ورقة فيها سب الخليفة الحاكم بأمر الله ولعنه عند مامنع النساء من الخروج في الطرقات فعند مامر من هناك حسبها امرأة تسأله حاجة فأمر بأخذ الورقة منها فاذا فيها من السب ماأغضبه فأمر بها أن تؤخذ فاذا هي من جريد قد ألبس ثياباً وعمل كهيئة امرأة فاشتد عند ذلك غضبه وأمر العبيد باحراق مدينة مصر فأضرموا فيها النار ولم أقف على هذا الخبر مسطوراً وقد ذكر المسبحي حريق الحاكم بأمر الله لمصر ولم يذكر قصة المرأة * (الصاغة) هذا المكان تجاه المدارس الصالحية بخط بين القصرين قال ابن عبد الظاهر الصاغة بالقاهرة كانت مطبخاً للقصر يخرج اليه من باب الزهومة وهو الباب الذى هدم وبنى مكانه قاعة شيخ الحنابلة من المدارس الصالحية وكان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع الالوان في كل يوم تفرق على أرباب الرسوم والضعفاء وسمي باب الزهومة أى باب الزفر لانه لايدخل باللحم وغيره الا منه فاختص بذلك انتهى . والصاغة الآن وقف على المدارس الصالحية وقفها الملك السعيد بركة خان المسمى بناصر الدين محمد ولد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى على الفقهاء المقررين بالمدارس الصالحية * (سوق الكتبيين) هذا السوق فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية أحدث فيما أظن بعد سنة سبعمائة وهو جار فى أوقاف المارستان المنصوري وكان سوق الكتب قبل ذلك بمدينة مصر تجاه الجانب الشرقى من جامع عمرو بن العاص فى أول زقاق القناديل بجوار دار عمرو وأدركته وفيه بقية بعد سنة ثمانين وسبعمائة وقد دثر الآن فلا يعرف موضعه وكان قد نقل سوق الكتبيين من موضعه الآن بالقاهرة الى قيسارية كانت فيما بين سوق الدجاجين المجاور للجامع الاقمر وبين سوق الحصريين

المجاور للركن المخلق وكان يعلو هذه القيسارية ربع فيه عدة مساكن فتضررت الكتب من نداوة أقبية البيوت وفسد بعضها فعادوا الى سوق الكتب الاول حيث هو الآن وما برح هذا السوق مجمعاً لأهل العلم يترددون اليه وقد أنشدت قديماً لبعضهم

مجالسة السوق مذمومة * ومنها مجالس قد تحتسب
فلا تقربن غير سوق الجياد * وسوق السلاح وسوق الكتب
فهاتيك آلة أهل الوغى * وهاتيك آلة أهل الادب

*(سوق الصنادقيين) هذا السوق تجاه المدرسة السيوفية كان موضعه في القديم من جملة المارستان ثم عرف بفندق الدبابليين وقيل له الآن سوق الصنادقيين وفيه تباع الصناديق والخزائن والاسرّة مما يعمل من الخشب وكان مايظاهرها قديماً يعرف بسكن الدجاجين وأدركناه يعرف بسوق السيوفيين وكان فيه عدّة طباخين لا يزال دخان كوانيهم منعقداً لكثرته حتي قال لى شيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم الحنفى ان قاضى القضاة جلال الدين جاد الله قال لى هذا السوق قطب دائرة الدخان وفى سوق الصنادقيين الى الآن بقية * (سوق الحريريين) هذا السوق من باب قيسارية العنبر الى خط البندقانيين كان يعرف قديماً بسقيفة العدّاس ثم عمل صاغة القاهرة ثم سكن هناك الاساكفة قال ابن عبد الظاهر وكانت الصاغة قديماً فيما تقدّم مكان الاساكفة الآن وهو الى الآن معروف بالصاغة القديمة وكان يعرف بسقيفة العداس كذا رأيت في كتب الاملاك وعرف هذا السوق في زماننا بالحريريين الشرابيين وعرف بعضه بسوق الزجاجين وكان يسكن فيه أيضاً الاساكفة فلما أنشأ الامير يونس الدوادار القيسارية على بئر زويلة بخط البندقانيين فى أعوام بضع وثمانين وسبعمائة نقل الاساكفة من هذا الخط ونقل منه أيضاً بياعى أخفاف النساء الى قيساريته وحوانيته المذكورة *(سوق العنبريين) هذا السوق فيما بين سوق الحريريين الشرابيين وبين قيسارية العصفر وهو تجاه الخراطين كان في الدولة الفاطمية مكانه سجناً لارباب الجرائم يعرف بحبس المعونة وكان شنيع المنظر ضيقاً لا يزال من يجتاز عليه يجد منه رائحة منكرة فلما كان في الدولة التركية وصار قلاوون من جملة الامراء الظاهرية بيبرس صار يمر من داره الى قلعة الجبل على حبس المعونة هذا فيشم منه رائحة رديئة ويسمع منه صراخ المسجونين وشكواهم الجوع والعرى والقمل فجعل على نفسه ان الله تعالى جعل له من الامر شيئاً أن يبنى هذا الحبس مكاناً حسناً فلما صار اليه ملك ديار مصر والشام هدم حبس المعونة وبناه سوقاً أسكنه بياعى العنبر وكان للعنبر اذ ذاك بديار مصر نفاق وللناس فيه رغبة زائدة لا يكاد يوجد بأرض مصر امرأة وان سفلت الا ولها قلادة من عنبر وكان يتخذ منه المخاد والكلل والستور وغيرها وتجار العنبر يعدون

من بياض الناس ولهم أموال جزيلة وفيهم رؤساء وأجلاء فلما صار الملك الى الملك الناصر محمد بن قلاوون جعل هـذا السوق وما فوقه من المساكن وقفا على الجامع الذى أنشأه بظاهر مصر جوار موردة الحلفاء المعروف بالجامع الجديد الناصرى وهو جار فى أوقافه الى يومنا هذا الا أن العنبر من بعد سنة سبعين وسبعمائة كثر فيه الغش حتى صار اسما لا معنى له وقلت رغبة الناس في استعماله فتلاشى أمر هذا السوق بالنسبة لما كان ثم لما حدثت المحن بعد سنة ست وثمانمائة قل ترفه أهـل مصر عن استعمال الـكثير من العنبر فطرق هذا السوق ما طرق غـيره من أسواق البلد وبقيت فيه بقية يسيرة الى أن خلع الخليفة المستعين بالله العباسي بن محمد في سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان نظر الجامع الجديد بيده وبيد أبيه الخليفة المتوكل على الله محمد فقصد بعض سفهاء العامة يكاتبه بتعطيل هـذا السوق فاستأجر قيسارية العصفر ونقـل سوق العنبر اليها وصار معطلا نحو سنتين ثم عاد أهل العنبر الى هذا السوق على عادتهم في سنة ثمان عشرة وثمانمائة *(سوق الخراطين) هذا السوق يسلك فيه من سوق المهامزيين الى الجامع الازهر وغيره وكان قديما يعرف بعقبة الصباغين ثم عرف بسوق القشاشين وكان فيما بين دار الضرب والوكالة الآمرية وبين المارستان ثم عرف الآن بسوق الخراطين وكان سوقا كبيرا معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع المهد الذى يربى فيه الاطفال وحوانيت الخراطين وحوانيت صناع السكاكين وصناع الدوى يشتمل على نحو الخمسين حانوتا فلما حدثت المحن تلاشى هذا السوق واغتصب الامير جمـال الدين يوسف الاستادار منه عدة حوانيت من أوله الى الحمـام التي تعرف بحمام الخراطين وشرع في عمارتها فعوجل بالقتل قبل اتمامها وقبض عليها الملك الناصر فرج فيما أحاط به من أمواله وأدخلها فى الديوان فقام بعمارة الحوانيت التي تجاه قيسارية العصفر من درب الشمسي الى أول الخراطين القـاضي الرئيس تقى الدين عبـد الوهاب بن أبي شاكر فلما كملت جعلها الملك الناصر فيما هو موقوف على تربته التي أنشأها على قـبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر وأفرد الحمام وبعض الحوانيت القديمة للمدرسة التى أنشأها الامير جمال الدين يوسف الاستاذار برحبة باب العيد وما يقابل هذه الحوانيت هووما فوقه وقف على المدرسة القراسنقرية وغيرها وهو متخرب متهدم *(سوق الجملون الـكبير) هذا السوق بوسط سوق الشرابشيين يتوصل منه الى البندقانيين والى حارة الجودرية وغيرها أنشئ فيه حوانيت سكنها البزازون وقفه السلطـان الملك الناصر محمد بن قلاون على تربة مملوكه بلبغا التركمانى عندما مات فى سنة سبع وسبعمائة ثم عمل عليه بابان بطرفيه بعد سنة تسعين وسبعمائة فصارت تغلق فى الليل وكان فيما أدركناه شارعا مسلوكا طول الليل يجلس تجاهه صاحب العسس الذى عرفته العامة فى زماننا بوالى الطوف من بعد صلاة العشاء في

كل ليلة وينصب قدامه مشعل يشعل بالنار طول الليل وحوله عدة من الاعوان وكثير من السقائين والنجارين والقصارين والهدادين بنوب مقررة لهم خوفا من أن يحدث بالقاهرة في الليل حريق فيتداركون اطفاءه ومن حدث منه في الليل خصومة أو وجد سكران أو قبض عليه من السراق تولى أمره والى الطوف وحكم فيه بما يقتضيه الحال فلما كانت الحوادث بطل هذا الرسم في جملة ما بطل وهذا السوق الآن جار في وقف (٣)
*(سوق الفرايين) هذا السوق يسلك فيه من سوق الشرابشيين الى الاكفانيين والجامع الازهر وغير ذلك كان قديما يعرف بسوق الخروقيين ثم سكن فيه صناع الفراء وتجاره فعرف بهم وصار بهذا السوق في أيام الملك الظاهر برقوق من أنواع الفراء ما يجل أثمانها وتتضاعف قيمها لكثرة استعمال رجال الدولة من الامراء والمماليك لبس السمور والوشق والقماقم والسنجاب بعد ما كان ذلك في الدولة التركية من أعز الاشياء التي لا يستطيع أحد أن يلبسها ولقد أخبرني الطواشي الفقيه الكاتب الحاسب الصوفي زين الدين مقبل الرومي الجنس المعروف بالشامي عتيق السلطان الملك الناصر الحسين بن محمد بن قلاون انه وجد في تركة بعض أمراء السلطان حسن قباء بفرو قاقم فاستكثر ذلك عليه وتعجب منه وصار يحكي ذلك مدة لعزة هذا الصنف واحترامه لكونه من ملابس السلطان وملابس نسائه ثم تبذلت الاصناف المذكورة حتى صار يلبس السمور آحاد الاجناد وآحاد الكتاب وكثير من العوام ولا تكاد امرأة من نساء بياض الناس تخلو من لبس السمور ونحوه والى الآن عند الناس من هذا الصنف وغيره من الفرو شيء كثير * (سوق البخانقيين) هذا السوق فيما بين سوق الجملون الكبير وبين قيسارية الشرب الآتي ذكرها ان شاء الله تعالى عند ذكر القياسر وباب هذا السوق شارع من القصبة ويعرف بسوق الخشيبة تصغير خشبة فانه عمل على بابه المذكور خشبة تمنع الراكب من التوصل اليه ويسلك من هذا السوق الى قيسارية الشرب وغيرها وهو معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الكوافي والطواقي التي تلبسها الصبيان والبنات وبظاهر هذا السوق أيضاً في القصبة عدة حوانيت لبيع الطواقي وعملها وقد كثر لبس رجال الدولة من الامراء والمماليك والاجناد ومن يتشبه بهم الطواقي في الدولة الجركسية وصاروا يلبسون الطاقية على رؤسهم بغير عمامة ويمرون كذلك في الشوارع والاسواق والجوامع والمواكب لا يرون بذلك بأسا بعد ما كان نزع العمامة عن الرأس عاراً وفضيحة ونوعوا هذه الطواقي ما بين أخضر وأحمر وأزرق وغيره من الالوان وكانت اولا ترتفع نحو سدس ذراع ويعمل أعلاها مدوراً مسطحا فحدث في أيام الملك الناصر فرج منها شيء عرف بالطواقي الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو ثلثي ذراع وأعلاها مدور مقبب وبالغوا في تبطين الطاقية بالورق والكثيرة فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه

الظاهر للناس وجعلوا من أسفل العصابة المذكورة زيقا من فرو القرض الاسود يقال له القندس في عرض نحو ثمن ذراع يصير دائرا بجبهة الرجل وأعلى عنقه وهم على استعمال هذا الزى الى اليوم وهو من أسمج ماعانوه ويشبه الرجال في لبس ذلك بالنساء لمنيين • أحدهما انه فشا في أهل الدولة محبة الذكران فقصد نساؤهم التشبه بالذكران ليستملن قلوب رجالهن فاقتدى بفعلهن في ذلك عامة نساء البلد • وثانيهما ماحدث بالناس من الفقر ونزل بهم من الفاقة فاضطر حال نساء أهل مصر الى ترك ما أدركنا فيه النساء من لبس الذهب والفضة والجواهر ولبس الحرير حتى لبسن هذه الطواقى وبالغن في عملها من الذهب والحرير وغيره وتواصين على لبسها ومن تأمل احوال الوجود عرف كيف تنشأ أمور الناس في عاداتهم وأخلاقهم ومذاهبهم * (سوق الخلعيين) هذا السوق فيما بين قيسارية الفاضل الآتي ذكرها ان شاء الله تعالى وبين باب زويلة الكبير وكان يعرف قديما بالخشابين وعرف اليوم بالزقيق تصغير زقاق وعرف أيضاً بسوق الخلعيين كأنه جمع خلعي والخلعى في زماننا هو الذى يتعاطى بيع الثياب الخليع وهى التي قد لبست وهذا السوق اليوم من أعمر أسواق القاهرة لكثرة ما يباع فيه من ملابس أهل الدولة وغيرهم وأكثر ما يباع فيه الثياب المخيطة وهو معمور الجوانب بالحوانيت ويسلك فيه من القصبة ليلا ونهاراً الى حارة الباطلية وخوخة ايدغمش وغير ذلك وفي داخل القاهرة أيضاً عدة أسواق وقد خرب الآن أكثرها * (سويقة الصاحب) هذه السويقة يسلك اليها من خط البندقانيين ومن باب الخوخة وغير ذلك وهي من الاسواق القديمة كانت في الدولة الفاطمية تعرف بسويقة الوزير يعنى أبا الفرج يعقوب ابن كلس وزير الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز الذى تنسب اليه حارة الوزيرية فانها كانت على باب داره التي عرفت بعده في الدولة الفاطمية بدار الديباج وصار موضعها الآن المدرسة الصاحبية ثم صارت تعرف بسويقة دار الديباج يعني دار الطراز ينسج فيها الديباج الذى هو الحرير وقيل لذلك الموضع كله خط دار الديباج ثم عرف هذا السوق بالسوق الكبير في أخريات الدولة الفاطمية فلما ولى صفى الدين عبدالله بن شكر الدميرى وزارة الملك العادل أبى بكر بن أيوب سكن في هذا الخط وأنشأ به مدرسته التي تعرف الى اليوم بالمدرسة الصاحبية وأنشأ به أيضاً رباطه وحمامه المجاورين للمدرسة المذكورة عرفت من حينئذ هذه السويقة بسويقة الصاحب المذكور واستمرت تعرف بذلك الى يومنا هذا ولم تزل من الاسواق المعتبرة يوجد فيها أكثر ما يحتاج اليه من المآكل لوفور نعم من يسكن هنالك من الوزراء وأعيان الكتاب فلما حدثت المحن طرقها ما طرق غيرها من أسواق القاهرة فاختلت عما كانت وفيها بقية * (سوق البندقانيين) هذا السوق يسلك اليه من سوق الزجاجين ومن سويقة الصاحب ومن سوق الابزاريين وغيره وكان يعرف قديما بسوق

بئر زويلة وكان هناك بئر قديمة تعرف ببئر زويلة برسم اصطبل الجميزة الذى كان فيه خيول الخلفاء الفاطميين وصار موضعه خط البندقانيين بعد ذلك كما ذكر عند اصطبلات الخلفاء الفاطميين من هذا الكتاب وموضع هذه البئر اليوم قيسارية يونس والربع الذى يعلوها وبقي منها موضع ركب عليه حجر وأعدت لملء السقائين منها فلما زالت الدولة واختط موضع اصطبل الجميزة الدور وغيرها وعرف موضع الاصطبل بالبندقانيين قيل لهذا السوق سوق البندقانيين وأدركته سوقا كبيرا معمور الجانبين بالحوانيت التي قد تهدم أعلاها منذ كان الحريق بالبندقانيين في سنة احدى وخمسين وسبعمائة كما ذكر في خط البندقانيين عند ذكر الاخطاط من هذا الكتاب وفي هذا السوق كثير من أرباب المعاش المعدين لبيع المأكولات من الشواء والطعام المطبوخ وأنواع الاجبان والالبان والبوارد والخبز والفواكه وعدة كثيرة من صناع قسى البندق وكثير من الرسامين وكثير من بياعي الفقاع فلما حدثت المحن بعد سنة ست وثمانمائة اختل هذا السوق خللا كبيراً وتلاشى أمره *(سوق الاخفافيين) هذا السوق بجوار سوق البندقانيين يباع فيه الآن أخفاف النسوان ونعالهن وهو سوق مستجد أنشأه الامير يونس النوروزى دوادار الملك الظاهر برقوق فى سنة بضع وثمانين وسبعمائة ونقل اليه الاخفافيين بياعى أخفاف النساء من خط الحريريين والزجاجين وكان مكانه مما خرب فى حريق البندقانيين فركب بعض القيسارية على بئر زويلة وجعل بابها تجاه درب الانجب وبنى بأعلاها ربعاً كبيراً فيه عدة مساكن وجعل الحوانيت بظاهرها وبظاهر درب الانجب وبني فوقها أيضاً عدة مساكن فعمر ذلك الخط بعمارة هذه الاماكن وبه الي الآن سكن بياعى أخفاف النساء ونعالهن التى يقال للنعل منها سرموزه وهو لفظ فارسى معناه رأس الخف فان سر رأس وموزه خف *(سوق الكفتيين) هذا السوق يسلك اليه من البندقانيين ومن حارة الجودرية ومن الجملون الكبير وغيره ويشتمل على عدة حوانيت لعمل الكفت وهو ما تطعم به أواني النحاس من الذهب والفضة وكان لهذا الصنف من الاعمال بديار مصر رواج عظيم وللناس فى النحاس المكفت رغبة عظيمة أدركنا من ذلك شيئاً لا يبلغ وصفه واصف لكثرته فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت ولا بد أن يكون فى شورة العروس دكة نحاس مكفت والدكة عبارة عن شيء شبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والآبنوس أو من خشب مدهون وفوق الدكة دست طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة وعدة الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض تبلغ كبراها ما يسع نحو الاردب من القمح وطول الاكفات التي نقشت بظاهرها من الفضة نحو الثلث ذراع فى عرض أصبعين ومثل ذلك دست أطباق عدتها سبعة بعضها فى جوف بعض ويفتح أكبرها نحو الذراعين وأكثر وغير ذلك من المنابر والسرج وأحقاق الاشنان والطشت والابريق والمبخرة فتبلغ قيمة الدكة

من النحاس المكفت زيادة على مائتي دينار ذهباً وكانت العروس من بنات الامراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب أو أماثل التجار تجهز في شورتها عند بناء الزوج عليها سبع دكك دكة من فضة ودكة من كفت ودكة من نحاس أبيض ودكة من خشب مدهون ودكة من صيني ودكة من بلور ودكة كداهي وهي آلات من ورق مدهون تحمل من الصين أدركنا منها في الدور شيئاً كثيراً وقد عدم هذا الصنف من مصر الا شيئاً يسيراً * حدثني القاضي الفاضل الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل أحمد بن عبد الوهاب ابن الخطباء المخزومي رحمه الله قال تزوج القاضي علاء الدين بن عرب محتسب القاهرة بامرأة من بنات التجار تعرف بست العمائم فلما قارب البناء عليها والدخول بها حضر اليه في يوم وكيلها وأنا عنده فبلغه سلامها عليه وأخبره أنها بعثت اليه بمائة ألف درهم فضة خالصة ليصاغ بها لها ما عساه اختل من الدكة الفضة فأجابه الى ما سأل وأمره باحضار الفضة فاستدعى الخدم من الباب فدخلوا بالفضة في الحال وبالوقت أمر المحتسب بصناع الفضة وطلائها فأحضروا وشرعوا في اصلاح ما أرسلته ست العمائم من أواني الفضة واعادة طلائها بالذهب فشاهدنا من ذلك منظراً بديعاً * وأخبرني من شاهد جهاز بعض بنات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون وقد حمل في القاهرة عند مازفت على بعض الامراء في دولة الملك الاشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قلاوون فكان شيئاً عظيما من جملته دكة من بلور تشتمل على عجائب منها زير من بلور قد نقش بظاهره صور ثابتة على شبه الوحوش والطيور وقدر هذا الزير ما يسع قربة ماء وقد قل استعمال الناس في زمننا هذا للنحاس المكفت وعز وجوده فان قوماً لهم عدة سنين قد تصدوا لشراء ما يباع منه وتحية الكفت عنه طلباً للفائدة وبقي بهذا السوق الى يومنا هذا بقية من صناع الكفت قليلة * (سوق الاقباعيين) بخط تحت الربع خارج باب زويلة مما يلي الشارع المسلوك فيه الى قنطرة الخرق ما كان منه على يمنة السالك الى قنطرة الخرق فانه جار في وقف الملك الظاهر بيبرس هو وما فوقه على المدرسة الظاهرية بخط بين القصرين وعلى أولاده ولم يزل الى يوم السبت خامس شهر رمضان سنة عشرين وثمانمائة فوقع الهدم فيه ليضاف الى عمارة الملك المؤيد شيخ المجاورة لباب زويلة وما كان من هذا السوق على يسرة من سلك الى القنطرة فانه جار في وقف اقبغا عبد الواحد على مدرسته المجاورة للجامع الازهر وبعضه وقف امرأة تعرف بدنيا *(سوق السقطيين) هذا السوق خارج باب زويلة بجوار دار التفاح أنشأه الامير أقبغا عبد الواحد وهو جار في وقفه *(سويقة خزانة البنود) هذه السويقة على باب درب راشد وتمتد الى خزانة البنود وكانت تعرف أولا بسويقة ريدان الصقلبي المنسوب اليه الريدانية خارج باب النصر *(سويقة المسعودي) هذه السويقة من حقوق حارة زويلة بالقاهرة تنسب الى الامير صارم الدين

قايماز المسعودى مملوك الملك المسعود اقسيس ابن الملك الكامل وولى المسعودي هذا ولاية القاهرة وكان ظالماً غاشما جباراً من أجل انه كان فى دار ابن فرقة التي من جملتها جامع ابن المغربي وبيت الوزير ابن أبي شاكر ثم ان فتح الدين بن معتصم الداودي التبريزى كاتب السر جددها فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة لانه كان يسكن هناك ومات المسعودى في يوم الاثنين النصف من ذي الحجة سنة أربع وستين وستمائة ضربه شخص فى دار العدل بسكين كان يريد أن يقتل بها الامير عز الدين الحلى نائب السلطنة فوقعت فى فؤاد المسعودى فمات لوقته *(سويقة طغلق) هذه السويقة على رأس الحارة الصالحية مما يلى الجامع الازهر عرفت بالامير سيف الدين طغلق السلاح دار صاحب حمام طغلق التي بالقرب من الجامع الازهر على باب درب المنصورى وصاحب دار طغلق التي عرفت اليوم بدار المنصورى في الدرب المذكور وأول ما عمرت هذه السويقة لم يكن فيها غير أربع حوانيت ثم عمرت عمارة كبيرة لما خربت سويقة الصالحية التي كانت مما يلى باب البرقية في حدود سنة ثمانين وسبعمائة ثم تلاشت من سنة ست وثمانمائة كما تلاشى غيرها من الاسواق وبقى فيها يسير جدا *(سويقة الصوانى) هذه السويقة خارج باب النصر وباب الفتوح بخط بستان ابن صيرم عرفت بالامير علاء الدين أبى الحسن على بن مسعود العسوانى مشد الدواوين في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وقيل بل قراجا الصواني أحد مقدمى الحلقة في أيام الملك المنصور قلاوون وكان فى حدود سنة احدى وثمانين وستمائة موجوداً وكانت داره هناك وكان أيضاً في أيام الملك المنصور قلاوون الامير زين الدين أبو المعالى أحمد بن شرف الدين أبى المفاخر محمد الصوانى شادّ الدواوين وكان يسكن بمدينة مصر والامير علم الدين سنجر الصوانى أحد الامراء المقدمين الالوف في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون والملك المظفر بيبرس وهو صاحب البئر التي بالباطلية المعروفة ببئر الدرابزين وعز الدين ايبك الصوانى *(سويقة البلشون) هذه السويقة خارج باب الفتوح عرفت بسابق الدين سنقر البلشون أحد مماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وسلاح دارايته وكان له أيضاً بستان بالمقس خارج القاهرة من جوار الدكة يعرف ببستان الباشون *(سويقة اللفت) هذه السويقة كانت خارج باب النصر من ظاهر القاهرة حيث البئر التى فى شمال مصلى الاموات المعروف ببئر اللفت تجاه دار ابن الحاجب كانت تشتمل على عدة حوانيت يباع فيها اللفت والكرنب ويحمل منها الى سائر أسواق القاهرة ويباع اليوم في بعض هذه الحوانيت الدريس لعلف الدواب *(سويقة زاوية الخدام) هذه السويقة خارج باب النصر بجرى سويقة اللفت كان فيها عدة حوانيت يباع فيها أنواع المآ كل فلما كانت سنة ست وثمانمائة خربت ولم يبق فيها سوى حوانيت لا طائل بها *(سويقة الرملة) هذه السويقة كانت فيما بين سويقة زاوية الخدّام

وجامع آل ملك حيث مصلى الاموات التي هناك كان فيها عدة حوانيت مملوأة بأصناف المآكل قد خرب سائرها ولم يبق لها أثر البتة *(سويقة جامع آل ملك) أدركتها الى سنة ست وثمانمائة وهى من الاسواق الكبار فيها غالب ما يحتاج اليه من الادام وقد خربت لخراب ما يجاورها *(سويقة أبي ظهير) كانت تلي سويقة جامع آل ملك أدركتها عامرة *(سويقة السنابطة) كانت هناك عرفت بقوم من أهل سنباط سكنوا بها أدركتها أيضاً عامرة *(سويقة العرب) هذه السويقة كانت تتصل بالريدانية خربت فى الغلاء الكائن فى سنة ست وسبعين وسبعمائة وأدركت حوانيت هذه السويقة وهي خالية من السكان الا يسيراً وعقودها من اللبن ويقال له وما وراءه خراب الحسينية وكانت فى غاية العمارة وكان بأولها مما يلى الحسينية فرن أدركته عامرا الى مابعد سنة تسعين وسبعمائة بلغنى أنه كان قبل ذلك في أعوام ستين وسبعمائة يخبز فيه كل يوم نحو سبعة آلاف رغيف لكثرة من حوله من السكان وتلك الاماكن اليوم لا ساكن فيها الا البوم ولايسمع بها الا الصدى*(سويقة العزى) هذه السويقة خارج باب زويلة قريباً من قلعة الجبل كانت من جملة المقابر التي خارج القاهرة فيمابين الباب الجديد والحارات وبركة الفيل وبين الجبل الذى عليه الآن قلعة الجبل فلما اختطت هذه الجهة كما تقدم ذكره عند ذكر ظواهر القاهرة عرفت هذه السويقة بالامير عز الدين أيبك العزى نقيب الجيوش واستشهد على عكا عندما فتحها الاشرف خليل ابن قلاوون في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة وهذه السويقة عامرة بعمارة ما حولها *(سويقة العياطين) هذه السويقة بخط المقس بالقرب من باب البحر عرفت بالفقير المعتقد مسعود بن محمد بن سالم العياط لسكنه بالقرب منها وله هناك مسجد بناه في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وأخبرني الشيخ المعمر حسام الدين حسن بن عمر الشهرزورى وكيل أبي رحمه الله أن النشو ناظر الخاص في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون طرح على أهل هذه السويقة عدة أمطار عسل قصب وألزمهم في ثمن كل قنطار بعشرين درهما فوقفوا الى السلطان وعيطوا حتى أعفاهم من ذلك فقيل لها من حينئذ سويقة العياطين ولفظة عياط عند أهل مصر بمعنى صياح والعياط الصياح وأصل ذلك في اللغة أن العطعطة تتابع الاصوات واختلافها في الحرب وهى أيضاً حكاية أصوات المجان اذا قالوا عيط عيط وذلك اذا غلبوا قوما وقد عطعطوا وعطعط بالذئب اذا قال له عاط عاط فحرف عامة مصر ذلك وجعلوا العياط الصياح واشتقوا منه الفعل فاعرف ذلك *(سويقة العراقيين) هذه السويقة بمدينة مصر الفسطاط وانما عرفت بذلك لان قريباً الازدى وزحافا الطائى وكانا من الخوارج خرجا على زياد بن أمية بالبصرة فاتهم زياد بهما جماعة من الازد وكتب الى معاوية بن أبى سفيان يستأذنه في قتلهم فأمر بتغريبهم عن أوطانهم فسيرهم الى مصر وأميرها

مسلمة بن مخلد وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وكان عددهم نحوا من مائتين وثلاثين فانزلوا بالظاهر أحد خطط مصر وكان اذ ذاك طرقا أراد أن يسدبهم ذلك الموضع فنزلوا في الموضع المعروف بكوم سراج وكان فضاء فبنوا لهم مسجدا واتخذوا سوقا لانفسهم فسمى سويقة العراقيين

(ذكر العوايد التي كانت بقصبة القاهرة)

اعلم أن قصبة القاهرة ما برحت محترمة بحيث انه كان في الدولة الفاطمية اذا قدم رسول متملك الروم ينزل من باب الفتوح ويقبل الارض وهو ماش الى أن يصل الى القصر وكذلك كان يفعل كل من غضب عليه الخليفة فانه يخرج الى باب الفتوح ويكشف رأسه ويستغيث بعفو أمير المؤمنين حتى يؤذن له بالمصير الي القصر وكانلها عوايد • منها أن السلطان من ملوك بنى أيوب ومن قام بعدهم من ملوك الترك لا بد اذا استقر في سلطنة ديار مصر أن يلبس خلعة السلطان بظاهر القاهرة ويدخل اليها راكبا والوزير بين يديه على فرس وهو حامل عهد السلطان الذى كتبه له الخليفة بسلطنة مصر على رأسه وقد أمسكه بيديه وجميع الامراء ورجال العساكر مشاة بين يديه منذ يدخل الى القاهرة من باب الفتوح أو من باب النصر الى أن يخرج من باب زويلة فاذا خرج السلطان من باب زويلة ركب حينئذ الامراء وبقية العسكر • ومنها أنه لايمر بقصبة القاهرة حمل تبن ولا حمل حطب ولا يسوق أحد فرسا بها ولا يمر بها سقاء الا وراويته مغطاة ومن رسم أرباب الحوانيت أن يعدوا عند كل حانوت زيرا مملوأ بالماء مخافة أن يحدث الحريق فى مكان فيطفأ بسرعة ويلزم صاحب كل حانوت أن يعلق على حانوته قنديلا طول الليل يسرج الى الصباح ويقام في القصبة قوم يكنسون الازبال والاتربة ونحوها ويرشون كل يوم ويجعل في القصبة طول الليل عدة من الخفراء يطوفون بها لحراسة الحوانيت وغيرها ويتعاهد كل قليل بقطع ما عساه تربى من الاوساخ في الطرقات حتى لا تعلو الشوارع * وأول من ركب بخلع الخليفة في القاهرة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب • قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة تاسع شهر رجب وصلت الخلع التي كانت نفذت الى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى من الخليفة ببغداد وهي جبة سوداء وطوق ذهب فلبسها نور الدين بدمشق اظهارا لشعارها وسيرها الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ليلبسها وكانت أنفذت له خلعة ذكر أنه استقصرها واستزراها واستصغرها دون قدره واستقر السلطان صلاح الدين بداره وباتت الخلع مع الواصل بها شاه ملك برأس الطابية فلما كان العاشر منه خرج قاضى القضاة والشهود والمقرئون والخطباء الى خيمته واستقر المسير بالخلعة وهو من الاصحاب النجمية وزينت البلد ابتهاجا بها وفيه

ضربت النوب الثلاث بالباب الناصرى على الرسم النورى في كل يوم فاما دمشق فالنوب المضروبة بها خمس على رسم قديم لان الاتابكية لها قواعد ورسوم مستقرة بينهم في بلادهم وفي حادي عشره ركب السلطان بالخلع وشق بين القصرين والقاهرة ولما بلغ باب زويلة نزع الخلع وأعادها الى داره ثم شمر للعب الاكرة ولم يزل الرسم كذلك في ملوك بني أيوب حتى انقضت أيامهم وقام من بعدهم ممـاليكهم الاتراك فجروا في ذلك على عادة ملوك بنى أيوب الى أن قام في مملكة مصر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وقتل هولاكو الخليفة المستعصم بالله وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد وقدم على الملك الظاهر أبو العباس أحمد ابن الخليفة الظاهر بالله ابن الخليفة الناصر في شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة فتلقاه وأكرمه وبايعه ولقبه بالخليفة المستنصر بالله وخطب باسمه على المنابر ونقش السكة باسمه فلما كان في يوم الاثنين الرابع من شعبان ركب السلطان الى خيمة ضربت له بالبستان الكبير من ظاهر القاهرة ولبس خلعة الخليفة وهي جبة سوداء وعمامة بنفسجية وطوق من ذهب وسيف بدّاوى وجلس مجلسا عاما حضر فيه الخليفة والوزير والقضاة والامراء والشهود وصعد القاضي فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب السر منبرا نصب له وقرأ تقليد السلطان الذى عهد به اليه الخليفة وكان بخط ابن لقمان ومن انشائه ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر وشق القاهرة وقد زينت له وحمل الوزير الصاحب بهاء الدين محمد بن على بن حنا التقليد على رأسه قدام السلطان والامراء ومن دونهم مشاة بين يديه حتى خرج من باب زويلة الى قلعة الجبل فكان يوما مشهوداً *وفي ثالث شوال سنة اثنتين وستين وستمائة سلطن الملك الظاهر بيبرس ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان وأركبه بشعار السلطنة ومشى قدامه وشق القاهرة كما تقدم وسائر الامراء مشاة من باب النصر الى قلعة الجبل .وقد زينت القاهرة وآخر من ركب بشعار السلطنة وخلعة الخلافة والتقليد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عند دخوله الى القاهرة من البلاد الشامية بعد قتل السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين واستيلائه على المملكة في ثامن جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة وقال المسبحي فى حوادث سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة نودى في السقائين أن يغطوا روايا الجمال والبغال لئلا تصيب ثياب الناس * وقال فى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أمر العزيز بالله أمير المؤمنين بنصب أزيار الماء مملوأة ماء على الحوانيت ووقود المصابيح على الدور وفي الاسواق * وفي ثالث ذى الحجة سنة احدى وتسعين وثلثمائة أمر أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله الناس بان يقدوا القناديل في سائر البلد على جميع الحوانيت وأبواب الدور والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة ففعل ذلك ولازم الحاكم بأمر الله الركوب في الليل وكان ينزل كل ليلة الى موضع موضع والى شارع شارع والى

زقاق زقاق وكان قد ألزم الناس بالوقيد فتناظروا فيه واستكثروا منه في الشوارع والازقة وزينت القياسر والاسواق بأنواع الزينة وصار الناس في القاهرة ومصر طول الليل في بيع وشراء وأكثروا أيضاً من وقود الشموع العظيمة وأنفقوا في ذلك أموالا عظيمة جليلة لاجل التلاهى وتبسطوا في المآكل والمشارب وسماع الاغانى ومنع الحاكم الرجال المشاة بين يديه من المشى بقربه وزجرهم وانتهرهم وقال لا تمنعوا أحدامنى فاحدق الناس به وأكثروا من الدعاء له وزينت الصاغة وخرج سائر الناس بالليل للتفرج وغلب النساء الرجال على الخروج بالليل وعظم الازدحام في الشوارع والطرقات وأظهر الناس اللهو والغناء وشرب المسكرات في الحوانيت وبالشوارع من أول المحرم سنة احدى وتسعين وثلثمائة وكان معظم ذلك من ليلة الاربعاء تاسع عشره الى ليلة الاثنين رابع عشريه فلما تزايد الامر وشنع أمر الحاكم بأمر الله أن لا تخرج امرأة من العشاء ومتى ظهرت امرأة بعد العشاء نكل بها ثم منع الناس من الجلوس فى الحوانيت فامتنعوا ولم يزل الحاكم على الركوب في الليل الى آخر شهر رجب ثم نودى فى شهر رجب سنة خمس وتسعين وثلثمائة أن لا يخرج أحد بعد العشاء الآخرة ولا يظهر لبيع ولا شراء فامتنع الناس * وفي سنة خمس وأربعمائة تزايد فى المحرم منها وقوع النار في البلد وكثر الحريق فى عدة أماكن فأمر الحاكم بامر الله الناس باتخاذ القناديل على الحوانيت وأزيار الماء مملوأة ماء وبطرح السقائف التي على أبواب الحوانيت والرواشن التي تظل الباعة فأزيل جميع ذلك من مصر والقاهرة

(ذكر ظواهر القاهرة المعزية)

اعلم أن القاهرة المعزية يحصرها أربع جهات وهي الجهة الشرقية والجهة الغربية والجهة الشمالية التي تسميها أهل مصر البحرية والجهة الجنوبية التي تعرف فى أرض مصر بالقبلية * فأما الجهة الشرقية فانها من سور القاهرة الذي فيه الآن باب البرقية والباب الجديد والباب المحروق وتنتهى هذه الجهة الى الجبل المقطم * وأما الجهة الغربية فانها من سور القاهرة الذى فيه باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة وتنتهى هذه الجهة الى شاطئ النيل * وأما الجهة القبلية فانها من سور القاهرة الذى فيه باب زويلة وتنتهى هذه الجهة الى حدّ مدينة مصر * وأما الجهة البحرية فانها من سور القاهرة الذى فيه باب النصر وباب الفتوح وتنتهي هذه الجهة الى بركة الجب التى تعرف اليوم ببركة الحاج وقد كانت هذه الجهة الشرقية عند ما وضعت القاهرة فضاء فيما بين السور وبين الجبل لا بنيان فيه البتة وما زال على هذا الى أن كانت الدولة التركية فقيل لهذا الفضاء الميدان الاسود وميدان القبق وسيرد ذكر هذا الميدان ان شاء الله تعالى فلما كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون عمل هذا الميدان مقبرة لأموات المسلمين وبنيت فيه الترب الموجودة الآن كما ذكر عند ذكر المقابر من هذا الكتاب وكانت الجهة الغربية

تنقسم قسمين أحدهما برّ الخليج الشرقي والآخر بر الخليج الغربي فأما بر الخليج الشرقي فكان عليه بستان الامير أبي بكر محمد بن طغج الاخشيد وميدانه وعرف هذا البستان بالكافوري فلما اختط القائد جوهر القاهرة أدخل هذا البستان في سور القاهرة وجعل بجانبه الميدان الذي يعرف اليوم بالخرشتف فصارت القاهرة تشرف من غربيها على الخليج وبنيت على هذا الخليج مناظر وهي منظرة اللؤلؤة ومنظرة دار الذهب ومنظرة غزالة كما ذكر عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وكان فيما بين البستان الكافوري والمناظر المذكورة وبين الخليج شارع تجلس فيه عامة الناس للتفرج على الخليج وما وراءه من البساتين والبرك ويقال لهذا الشارع اليوم بين السورين ويتصل بالبستان الكافوري وميدان الاخشيد بركة الفيل وبركة قارون ويشرف على بركة قارون الدور التي كانت متصلة بالعسكر ظاهر مدينة فسطاط مصر كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر البرك وعند ذكر العسكر وأما بر الخليج الغربي فان أوله الآن من موردة الحلفاء فيما بين خط الجامع الجديد خارج مصر وبين منشاة المهراني وآخره أرض التاج والخمس وجوه وما بعدها من بحري القاهرة وكان أول هذا الخليج عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات وكان مابين خط السبع سقايات وبين المعاريج بمدينة مصر غامرا بماء النيل كما ذكر في ساحل مصر من هذا الكتاب وكانت القنطرة التي يفتح سدها عند وفاء النيل ست عشرة ذراعا خلف السبع سقايات كما ذكر عند ذكر القناطر من هذا الكتاب وكان هناك منظرة السكرة التي يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج ولها بستان عظيم ويعرف موضعه اليوم بالمريس ويتصل ببستان منظرة السكرة جنان الزهري وهي من خط قناطر السباع الموجودة الآن بحذاء خط السبع سقايات الى أراضي اللوق ويتصل بالزهري عدة بساتين الى المقس وقد صار موضع الزهري وما كان بجواره على بر الخليج من البساتين يعرف بالحكورة من أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الى وقتنا هذا كما ذكر عند ذكر الاحكار من هذا الكتاب وكان الزهري وما بجواره من البساتين التي على بر الخليج الغربي والمقس كل ذلك مطل على النيل وليس لبر الخليج الغربي كبير عرض وانما يمر النيل في غربي البساتين على الموضع الذي يعرف اليوم باللوق الى المقس فيصير المقس هو ساحل القاهرة وتنتهي المراكب الى موضع جامع المقس الذي يعرف اليوم بجامع المقسي فكان مابين الجامع المذكور ومنية عقبة التي ببر الجيزة بحر النيل ولم يزل الامر على ذلك الى مابعد سنة سبعمائة الا أنه كان قد انحسر ماء النيل بعد الخمسمائة من سني الهجرة عن أرض بالقرب من الزهري عرفت بمنشاة الفاضل وبستان الخشاب وهذه المنشاة اليوم يعرف بعضها بالمريس مما يلي منشأة المهراني وانحسر أيضاً عن أرض تجاه البعل الذي في بحري القاهرة عرفت هذه الارض بجزيرة الفيل وما برح ماء

النيل يخسر عن شئ بعد شئ الى مابعد سنة سبعمائة فبقيت عدة رمال فيما بين منشاة المهراني وبين جزيرة الفيل وفيما بين المقس وساحل النيل عمر الناس فيها الاملاك والمناظر والبساتين من بعد سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وحفر الملك الناصر محمد بن قلاوون فيها الخليج المعروف اليوم بالخليج الناصرى فصار بر الخليج الغربى بعدذلك أضعاف ما كان أولا من أجل انطراد ماء النيل عن بر مصر الشرقي وعرف هذا البر اليوم بعدة مواضع وهى في الجملة خط منشاة المهراني وخط المريس وخط منشاة الكتبة وخط قناطر السباع وخط ميدان السلطان وخط البركة الناصرية وخط الحكورة وخط الجامع الطيبرسى وربع بكتمر وزريبة السلطان وخط باب اللوق وقنطرة الخرق وخط بستان العدة وخط زريبة قوصون وخط حكر ابن الاثير وفم الخور وخط الخليج الناصرى وخط بولاق وخط جزيرة الفيل وخط الدكة وخط المقس وخط بركة قرموط وخط أرض الطبالة وخط الجرف وأرض البعل وكوم الريش وميدان القمح وخط باب القنطرة وخط باب الشعرية وخط باب البحر وغير ذلك وسيأتي من ذكر هذه المواضع مايكفي ويشفي ان شاء الله تعالى * وكانت جهة القاهرة القبلية من ظاهرها ليس فيها سوى بركة الفيل وبركة قارون وهى فضاء يرى من خرج من باب زويلة عن يمينه الخليج وموردة السقائين وكانت تجاه باب الفتوح ويرى عن يساره الجبل ويرى تجاهه قطائع ابن طولون التى تتصل بالعسكر ويري جامع ابن طولون وساحل الحمراء الذى يشرف عليه جنان الزهري ويرى بركة الفيل التى كان يشرف عليها الشرف الذى فوقه قبة الهواء ويعرف اليوم هذا الشرف بقلعة الجبل وكان من خرج من مصلى العيد بظاهر مصر يرى بركتى الفيل وقارون والنيل فلما كانت أيام الخليفة الحاكم بأمر الله أبى على منصور بن العزيز بالله أبى منصور نزار ابن الامام المعز لدين الله أبى تميم معد عمل خارج باب زويلة باباً عرف بالباب الجديد واختط خارج باب زويلة عدة من أصحاب السلطان فاختطت المصامدة حارة المصامدة واختطت اليانسية والمنجبية وغيرها كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فلما كانت الشدة العظمى في خلافة المستنصر بالله اختلت أحوال مصر وخربت خراباً شنيعاً ثم عمر خارج باب زويلة في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله ووزارة المأمون محمد بن فاتك بن البطائحى بعد سنة خمسمائة فلما زالت الدولة الفاطمية هدم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حارة المنصورة التى كانت سكن العبيد خارج باب زويلة وعملها بستاناً فصار ما خرج عن باب زويلة بساتين الى المشهد النفيسي وبجانب البساتين طريق يسلك منها الى قلعة الجبل التى أنشأها السلطان صلاح الدين المذكور على يد الامير بهاء الدين قراقوش الاسدي وصار من يقف على باب جامع ابن طولون يرى باب زويلة ثم حدثت العمائر التى هى الآن خارج باب زويلة بعد سنة سبعمائة وصار خارج باب زويلة

الآن ثلاثة شوارع أحدها ذات اليمين والآخر ذات الشمال والشارع الثالث تجاه من خرج من باب زويلة وهذه الشوارع الثلاثة تشتمل على عدة أخطاط * فأما ذات اليمين فان من خرج من باب زويلة الآن يجد عن يمينه شارعا سالكا ينتهي به في العرض الى الخليج حيث القنطرة التي تعرف بقنطرة الخرق وينتهي به في الطول من باب زويلة الى خط الجامع الطولوني وجميع مافى هذا الطول والعرض من الاماكن كان بساتين الى مابعد السبعمائة وفى هذه الجهة اليمنى خط دار التفاح وسوق البنقطيين وخط تحت الربع وخط القشاشين وخط قنطرة الخرق وخط شق الثعبان وخط قنطرة آقسنقر وخط الحبانية وبركة الفيل وخط قبو الكرماني وخط قنطرة طقزدمر والمسجد المعلق وخط قنطرة عمرشاه وخط قناطر السباع وخط الجسر الأعظم وخط الكبش والجامع الطولونى وخط الصليبة وخط الشارع وما هناك من الحارات التي ذكرت عند ذكر الحارات من هذا الكتاب * وأما ذات اليسار فان من خرج من باب زويلة الآن يجد عن يساره شارعا ينتهى به فى العرض الى الجبل وينتهى به فى الطول الى القرافة وجميع مافى هذه الجهة اليسرى كان فضاء لا عمارة فيه البتة الى مابعد سنة خمسمائة من الهجرة فلما عمر الوزير الصالح طلائع بن رزيك جامع الصالح الموجود الآن خارج باب زويلة صار ماوراءه الى نحو قطائع ابن طولون مقبرة لاهل القاهرة الى أن زالت دولة الخلفاء الفاطميين وأنشأ السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب قلعة الجبل على رأس الشرف المطل على القطائع وصار يسلك الى القلعة من هذه الجهة اليسرى فيما بين المقابر والجبل ثم حدثت بعد المحن هذه العمائر الموجودة هناك شيأ بعد شئ من سنة سبعمائة وصار في هذه الشقة خط سوق البسطيين وخط الدرب الاحمر وخط جامع الماردينى وخط سوق الغنم وخط التبانة وخط باب الوزير وقلعة الجبل والرميلة وخط القبيبات وخط باب القرافة * وأما ماهو تجاه من خرج من باب زويلة فيعرف بالشارع وقد تقدم ذكره عند ذكر الاسواق من هذا الكتاب وهو ينتهى بالسالك الى خط الصليبة المذكور آنفاً والى خط الجامع الطولونى وخط المشهد النفيسى والى العسكر وكوم الجارح وغير ذلك من بقية خطط ظواهر القاهرة ومصر وكانت جهة القاهرة البحرية من ظاهرها فضاء ينتهى الى بركة الجب والى منية الاصبغ التي عرفت بالخندق والى منية مطر التى تعرف بالمطرية والى عين شمس وما وراء ذلك الا أنه كان تجاه القاهرة بستان ريدان ويعرف اليوم بالريدانية وعند مصلي العيد خارج باب النصر حيث يصلى الآن على الاموات كان ينزل هناك من يسافر الى الشام فلما كان قبل سنة خمسمائة ومات أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة سبع أوثمانين وأربعمائة بنى خارج باب النصر له تربة دفن فيها وبني أيضاً خارج باب الفتوح منظرة قد ذكر خبرها عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وصار أيضاً فيمابين

باب الفتوح والمطرية بساتين قد تقدم خبرها ثم عمرت الطائفة الحسينية بعد سنة خمسمائة خارج باب الفتوح عدة منازل اتصلت بالخندق وصار خارج باب النصر مقبرة الى ما بعد سنة سبعمائة فعمر الناس به حتى اتصلت العمائر من باب النصر الى الريدانية وبلغت الغاية من العمارة ثم تناقصت من بعد سنة تسع وأربعين وسبعمائة الى أن فحش خرابها من حين حدثت المحن في سنة ست وثمانمائة فهذا حال ظواهر القاهرة منذ اختطت والى يومنا هذا ويحتاج ما ذكر هنا الى مزيد بيان والله أعلم

(ذكر ميدان القبق)

هذا الموضع خارج القاهرة من شرقيها فيما بين النقرة التي ينزل من قلعة الجبل اليها وبين قبة النصر التي تحت الجبل الاحمر ويقال له أيضاً الميدان الاسود وميدان العيد والميدان الاخضر وميدان السباق وهو ميدان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى بنى به مصطبة في المحرم من سنة ست وستين وستمائة عند ما احتفل برمى النشاب وأمور الحرب وحث الناس على لعب الرمح ورمى النشاب ونحو ذلك وصار ينزل كل يوم الى هذه المصطبة من الظهر فلا يركب منها الى العشاء الآخرة وهو يرمى ويحرض الناس على الرمى والنضال والرهان فما بقى أمير ولا مملوك الا وهذا شغله وتوفر الناس على لعب الرمح ورمى النشاب وما برح من بعده من أولاده والملك المنصور سيف الدين قلاوون الالفى الصالحي النجمى والملك الاشرف خليل بن قلاوون يركبون فى الموكب لهذا الميدان وتقف الامراء والمماليك السلطانية تسابق بالخيل فيه قدامهم وتنزل العساكر فيه لرمى القبق والقبق عبارة عن خشبة عالية جداً تنصب في براح من الارض ويعمل بأعلاها دائرة من خشب وتقف الرماة بقسيها وترمي بالسهام جوف الدائرة لكى تمر من داخلها الى غرض هناك تمريناً لهم على احكام الرمى ويعبر عن هذا بالقبق في لغة الترك * قال جامع السيرة الظاهرية وفي سابع عشر المحرم من سنة سبع وستين وستمائة حث السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى جميع الناس على رمى النشاب ولعب الرمح خصوصاً خواصه ومماليكه ونزل الى الفضاء بباب النصر ظاهر القاهرة ويعرف بميدان العيد وبنى مصطبة هناك وأقام ينزل في كل يوم من الظهر ويركب منها عشاء الآخرة وهو واقف في الشمس يرمى ويحرض الناس على الرمى والرهان فما بقى أمير ولا مملوك الا وهذا شغله واستمر الحال في كل يوم على ذلك حتى صارت تلك الامكنة لا تسع الناس وما بقى لاحد شغل الا لعب الرمح ورمى النشاب وفي شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وستمائة تقدم السلطان الملك الظاهر الى عساكره بالتأهب للركوب واللعب بالقبق ورمى النشاب واتفقت نادرة غريبة وهو أنه أمر برش الميدان الاسود تحت القلعة لاجل الملعب فشرع الناس فى ذلك وكان يوماً شديد الحر فأمر السلطان

بتبطيل الرش رحمة للناس وقال الناس صيام وهذا يوم شديد الحر فبطل الرش وأرسل الله تعالى مطراً جودا استمر ليلتين ويوما حتي كثر الوحل وتلبدت الارض وسكن العجاج وبرد الجو ولطف الهواء فوكل السلطان من يحفظه من السوق فيه يوم اللعب وهو يوم الخميس السادس والعشرون من شهر رمضان وأمر بركوب جماعة لطيفة من كل عشرة أثنان وكذلك من كل أمير ومن كل مقدم لئلا تضيق الدنيا بهم فركبوا فى أحسن زى وأجمل لباس وأكمل شكل وأبهى منظر وركب السلطان ومعه من خواصه ومماليكه ألوف ودخلوا فى الطعان بالرماح فكل من أصاب خلع عليه السلطان ثم ساق في مماليكه الجواص خاصة ورتبهم أجمل ترتيب واندفق بهم اندفاق البحر فشاهد الناس أبهة عظيمة ثم أقيم القبق ودخل الناس لرمى النشاب وجعل لمن أصاب من المفاردة رجل الحلقة والبحرية الصالحية وغيرهم بغلطاقا بسنجاب وللامراء فرساً من خيله الخاص بتشاهيره ومراواته الفضية والذهبية ومزاخمه وما زال في هذه الايام على هذه الصورة يتنوع في دخوله وخروجه تارة بالرماح وتارة بالنشاب وتارة بالدبابيس وتارة بالسيوف مسلولة وذلك أنه ساق على عادته في اللعب وسل سيفه وسل مماليكه سيوفهم وحمل هو ومماليكه حملة رجل واحد فرأى الناس منظرا عجيباً وأقام على ذلك كل يوم من بكرة النهار الى قريب المغرب وقد ضربت الخيام للنزول للوضوء والصلاة وتنوع الناس فى تبديل العدد والآلات وتفاخروا وتكاثروا فكانت هذه الايام من الايام المشهودة ولم يبق أحد من أبناء الملوك ولا وزير ولا أمير كبير ولا صغير ولا مفردى ولا مقدم من مقدمي الحلقة ومقدمى البحرية الصالحية ومقدمي المماليك الظاهرية البحرية ولا صاحب شغل ولا حامل عصا في خدمة السلطان على بابه ولا حامل طير في ركاب السلطان ولا أحد من خواص كتاب السلطان الا وشرف بما يليق به على قدرمنصبه ثم تعدى احسان السلطان لقضاة الاسلام والأئمة وشهود خزانة السلطان فشرفهم جميعهم ثم الولاة كلهم وأصبحوا بكرة يوم الاحد ثامن عشرى شهر رمضان لابسين الخلع جميعهم فى أحسن صورة وأبهج زى وأبهى شكل وأجمل زينة بالكلوتات الزركش بالذهب والملابس التى ما سمع بأن أحدا جاد بمثلها وهى ألوف وخدم الناس جميعهم وقبلوا الارض وعليهم الخلع وركبوا ولعبوا نهارهم على العادة والاموال تفرق والاسمطة تصف والصدقات تنفق والرقاب تعتق وما زال الى أن أهل هلال شوال فقام الناس وطلعوا للهناء فجلس لهم وعليهم خلعه ثم ركب يوم العيد الى مصلاه في خيمة بشعار السلطنة وأبهة الملك فصلي ثم طلع قلعة الجبل وجلس على الاسمطة وكان الاحتفال بها كبيراً وأكل الناس ثم انتهبه الفقراء وقام الى مقر سلطانه بالقبة السعيدة وقد غلقت وفرشت بأنواع الستور والكلل والفرش وكان قد تقدم الى الامراء باحضار أولادهم فاحضروا وخلع عليهم الخلع المتصلة على قدرهم فلما كان هذا

اليوم أحضروا وختنوا باجمعهم بين يدى السلطان وأخرجوا فحملوا في المحفات الى بيوتهم وعمّ الهناء كل دار ثم أحضر الامير نجم الدين خضر ولد السلطان فختن ورمي للناس جملة من الاموال اجتمع منها خزانة ملك كبير فرقت على من باشر الختان من الحكماء والمزينين وغيرهم وانقضت هذه الايام وجري السلطان فيها على عادته كما كان من كونه لم يكلف أحدا من خلق الله تعالى بهدية يهديها ولا تحفة يتحفه بها في مثل هذه المسرة كما جرت عادة من تقدمه من الملوك ولم يبق من لا شمله احسانه غير أرباب الملاهى والاغاني فانه كان في أيامه لم ينفق لهم مباغ البتة *وممن لعب بهذا الميدان القبق السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاوون وعمل فيه المهم الذى لم يعمل في دولة ملوك الترك بمصر مثله وذلك أن خوندار دوتكين ابنة نوكيه ويقال نوغية السلحدارية اشتملت من السلطان الملك الاشرف على حمل فظن أنها تلد ابنا ذكرا يرث الملك من بعده فاخذ عند ما قاربت الوضع في الاحتفال ورسم لوزيره الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس أن يكتب الى دمشق بعمل مائة شمعدان نحاس مكفت بالقاب السلطان ومائة شمعدان أخر منها خمسون من ذهب وخمسون من فضة وخمسين سرجا من سروج الزركش ومائة وخمسين سرجا من المخيش وألف شمعة وأشياء كثيرة غير ذلك فقدر الله تعالى أنها ولدت بنتا فانقبض لذلك وكره ابطال ما قد اشتهر عنه عمله فاظهر أنه يريد ختان أخيه محمد وابن أخيه مظفر الدين موسى ابن الملك الصالح علىّ بن قلاوون فرسم لنقيب الجيش والحجاب بأعلام الامراء والعسكر أن يلبسوا كلهم آلة الحرب من السلاح الكامل هم وخيولهم ويصيروا بأجمعهم كذلك في الميدان الاسود خارج باب النصر فاهتم الامراء والعسكر اهتماما كبيرا لذلك وأخذوا في تحسين العدد وبالغوا في التأنق وتنافسوا في اظهار التجمل الزائد وخرج في اليوم الرابع من أعلام الامراء السوقة ونصبوا عدة صواوين فيها سائر البقول والمآ كل فصار بالميدان سوق عظيم ونزل السلطان من قلعة الجبل بعساكره وعليهم لأمة الحرب وقد خرج سائر من في القاهرة ومصر من الرجال والنساء الا من خلفه العذر لرؤية السلطان فأقام السلطان يومه وحصل في ذلك اليوم للناس بهذا الاجتماع من السرور مايعز وجود مثله وأصبح السلطان وقد استعد العسكر بأجمعه لرمى القبق ورسم للحجاب بأن لا يمنعوا أحدا من الجند ولا من المماليك ولا من غيرهم من الرمي ورسم للامير بيسرى والامير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح أن يتقدما الناس فى الرمي فاستقبل الامير بيسرى القبق وتحته سرج قد صنع قربوسه الذى من خلفه وطياً فصار مستلقيا على قفاه وهو يرمى ويصيب يمنة ويسرة والناس بأسرهم قد اجتمعوا للنظر حتى ضاق بهم الفضاء فلما فرغ دخل أمير سلاح من بعده وتلاه الامراء على قدر منازلهم واحدا واحدا فرموا ثم دخل بعد الامراء مقدموا الحلقة ثم الاجناد

والسلطان يعجب برميهم وتزايد سروره حتى فرغ الرمي فعاد الى مخيمه ودار السقاة على الامراء بأواني الذهب والفضة والبلور يسقون السكر المذاب وشرب الاجناد من أحواض قد ملئت من ذلك وكانت عدتها مائة حوض فشربوا ولهوا واستمروا على ذلك يومين وفي اليوم الثالث ركب السلطان واستدعى الامير يسرى وأمره بالرمى فسأل السلطان أن يعفيه من الرمي ويمن عليه بالتفرج في رمي النشاب من الامراء وغيرهم فأعفاه ووقف مع السلطان في منزلته وتقدم طغج وعين الغزال وأمير عمر وكيلكدى وقشتمر العجمى وبرلغي وأعناق الحسامي وبكتوت ونحو الخمسين من أمراء السلطان الشبان الذين أنشأهم من خاصكيته وعليهم تتريات حرير أطلس بطرازات زركش وكلوتات زركش وحوائص ذهب وكانوا من الجمال البارع بحيث يذهل حسنهم الناظر ويدهش جمالهم الخاطر فتعاظمت مسرة السلطان برؤيتهم وكثر اعجابه وداخله العجب واستخفه الطرب وارتجت الدنيا بكثرة من حضر هناك من أرباب الملاهى والاغانى وأصحاب الملعوب فلما انقضى اللعب عاد السلطان الى دهليزه فى زينته ومرح في مشيته تيها وصلفا فما هو الا أن عبر الدهليز والناس من الطرب والسرور في أحسن شئ يقع في العالم واذا بالجو قد أظلم وثار ريح عاصف أسود الى أن طبق الارض والسماء وقلع سائر تلك الخيم وألقى الدهليز السلطانى وتزايد حتى ان الرجل لايرى من بجانبه فاختلط الناس وماجوا ولم يعرف الامير من الحقير وأقبلت السوقة والعامة تنهب وركب السلطان يريد النجاة بنفسه الى القلعة وتلاحق العسكر به واختلفوا فى الطرق لشدة الهول فلم يصر الى القلعة حتى أشرف على التلف وحصل في هذا اليوم من نهب الاموال وانتهاك الحرم والنساء مالا يمكن وصفه وما ظن كل أحد الا أن الساعة قد قامت فتنغص سرور الناس وذهب ما كان هناك وما استقر السلطان بالقلعة حتي سكن الريح وظهرت الشمس وكأن ما كان لم يكن فأصبح السلطان وطلب أرباب الملاهى بأجمعهم وحضر الامراء لختان أخيه وابن أخيه وعمل مهم عظيم فى القاعة التى أنشأها بالقلعة وعرفت بالاشرفية وقد ذكر خبر هذا المهم عند ذكر القلعة من هذا الكتاب وما برح هذا الميدان فضاء من قلعة الجبل الى قبة النصر ليس فيه بنيان وللملوك فيه من الاعمال ماتقدم ذكره الى أن كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون فترك النزول اليه وبنى مسطبة برسم طعم طيور الصيد بالقرب من بركة الحبش وصار ينزل هنالك ثم ترك تلك المسطبة فى سنة عشرين وسبعمائة وعاد الى ميدان القبق هذا وركب اليه على عادة من تقدمه من الملوك الى أن بنيت فيه الترب شيئاً بعد شئ حتى انسدت طريقه واتصلت المبانى من ميدان القبق الى تربة الروضة خارج باب البرقية وبطل السباق منه ورمى القبق فيه من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاون كما ذكر عند ذكر المقابر من هذا الكتاب وأنا أدركت عواميد من رخام قائمة بهذا الفضاء تعرف بين الناس بعواميد السباق بين كل

عمودين مسافة بعيدة وما برحت قائمة هنالك الى مابعد سنة ثمانين وسبعمائة فهدمت عند
ماعمر الامير يونس الدوادار الظاهري تربته تجاه قبة النصر ثم عمر أيضاً الامير قجماس ابن
عم الملك الظاهر برقوق تربة هنالك وتتابع الناس في البنيان الى أن صار كما هو الآن
والله أعلم

* (ذكر بر الخليج الغربي) *

قد تقدم أن هذا الخليج حفر قبل الاسلام بدهر وأن عمرو بن العاص رضى الله عنه
جدّد حفره فى عام الرمادة باشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى صب
ماء النيل فى بحر القلزم وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها حتى عبرت منه الى البحر الملح
وانه ما برح على ذلك الى سنة خمسين ومائة فطم ولم يبق منه الا ماهو موجود الآن الا
أن فم هذا الخليج الذى يصب فيه الماء من بحر النيل لم يكن عند حفره هذا الفم الموجود
الآن ولست أدرى أين كان فمه عند ابتداء حفره فى الجاهلية فان مصر فتحت وماء النيل
عند الموضع الذى فيه الآن جامع عمرو بن العاص بمصر وجميع مابين الجامع وساحل النيل
الآن انحسر عنه الماء بعد الفتح وآخر ما كان ساحل مصر من عند سوق المعاريج الذى هو
الآن بمصر الى تجاه الكبش من غربيه وجميع ماهو الآن موجود من الارض التي فيما
بين خط السبع سقايات الى سوق المعاريج انحسر عنه الماء شيئاً بعد شئ وغرس بساتين
فعمل عبد العزيز بن مروان أمير مصر قنطرة على فم هذا الخليج في سنة تسع وستين من
الهجرة بأوله عند ساحل الحمراء ليتوصل من فوق هذه القنطرة الى جنان الزهري الآتي
ذكرها ان شاء الله تعالى وموضع هذه القنطرة بداخل حكر أقبغا المجاور لخط السبع
سقايات وما برحت هذه القنطرة عندها السد الذى يفتح عند الوفاء الى مابعد الخمسمائة من
الهجرة فانحسر ماء النيل عن الارض وغرست بساتين فعمل الملك الصالح نجم الدين أيوب
ابن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادى هذه القنطرة التي تعرف اليوم
بقنطرة السد خارج مصر ليتوصل من فوقها الى بستان الخشاب وزيد فى طول الخليج ما
بين قنطرة السباع الآن وبين قنطرة السد المذكورة وصار مافي شرقيه مما انحسر عنه الماء
بستانا عرف ببستان الحارة وما في غربيه يعرف ببستان المحلى وكان بطرف خط السبع
سقايات كنيسة الحمراء وعدة كنائس أخر بعضها الآن بحكر أقبغا تعرف بزاوية الشيخ
يوسف العجمى لسكناه بها عند ماهدمت بعد سنة عشرين وسبعمائة ومابرحت هذه البساتين
موجودة الى أن استولى عليها الامير أقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاون
وقلع أخشابها وأذن للناس فى عمارتها فحكرها الناس وبنوا فيها الآدر وغيرها فعرفت بحكر
أقبغا * وبأول هذا الخليج الآن من غربيه منشاة المهرانى وقد تقدم خبرها فى هذا الكتاب

عند ذكر مدينة مصر ويجاور منشاة المهراني بستان الخشاب و بعضه الآن يعرف بالمريس وبعضه عمله الملك الناصر محمد بن قلاون ميدانا يشرف على النيل من غربيه ويعرف ساحل النيل هناك بموردة الجبس كما ذكر عند ذكر الميادين من هذا الكتاب ويجاور بستان الخشاب جنان الزهري وهذه المواضع التي ذكرت كلها مما انحسر عنه النيل ماخلا جنان الزهري فانها من قبل ذلك وستقف على خبرها وخبر مايجاورها من الاحكار ان شاء الله تعالى

* (ذكر الاحكار التي في غربي الخليج) *

قال ابن سيده الاحتكار جمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه انتظار وقت الغلاء به والحكرة والحكر جميعا مااحتكر وحكره يحكره حكرا ظلمه وتنقصه وأساء معاشرته انتهى فالتحكير على هذا المنع فقول أهل مصر حكر فلان أرض فلان يعنون منع غيره من البناء عليها * (حكر الزهري) هذا الحكر يدخل فيه جميع بر ابن التبان الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وشق الثعبان وبطن البقرة وسويقة القيمري وسويقة صفية وبركة الشقاف وبركة السباعين وقنطرة الحرق وحدرة المرادنيين وحكر الحلبي وحكر البواشقي وحكر كرجي وما بجانبه الى قناطر السباع وميدان المهاري الى الميدان الكبير السلطاني بموردة الجبس وكان هذا قديما يعرف بجنان الزهري ثم عرف ببستان الزهري قال أبو سعيد عبد الرحمن بن احمد ابن يونس في تاريخ الغرباء عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري يكنى أبا العباس وأمه أم عثمان بنت عثمان بن العباس بن الوليد بن عبد الملك ابن مروان مدني قدم مصر وولي الشرط بفسطاط مصر وحدث يروي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة روى عنه من أهل مصر أصبغ بن الفرج وسعيد بن أبي مريم وعثمان ابن صالح وسعيد بن عفير وغيرهم وهو صاحب الجنان التي بالقنطرة قنطرة عبد العزيز بن مروان تعرف بجنان الزهري وهو حبس على ولده الى اليوم وكان كتاب حبس الجنان عند جدي يونس بن عبد الاعلى وديعة عليه مكتوب وديعة لولد ابن العباس الزهري لايدفع لاحد الا أن يغري به سلطان والكتاب عندي الى الآن توفي عبد الوهاب بن موسى بمصر في رمضان سنة عشرة ومائتين وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي في كتاب معرفة الخطط والآثار حبس الزهري هو الجنان التي عند القنطرة بالحمراء وهو عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز الزهري قدم مصر وولي الشرط بها والجنان حبس على ولده * وقال القاضي تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج في كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل حبس الزهري فذكره ثم قال وهذا الحبس أكثره الآن أحكار ما بين بركة الشقاف وخليج شق الثعبان وقد استولى وكيل بيت المال على بعضه وباع من أرضه وآجر

منها واجتمع هو ومحبسه بين يدى الله عز وجل انتهى ولما طال الامد صار للزهرى عدة بساتين منها بستان أبى اليمان وبستان السراج وبستان الحبانية وبستان عزاز وبستان تاج الدولة قيماز وبستان الفرغاني وبستان أرض الطيلسان وبستان البطرك وغيط الكردى وغيط الصفار ثم عرف ببر ابن التبان بعد ذلك قال القاضى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة شاطئ الخليج المعروف ببر التبان *(ابن التبان المذكور) هو رئيس المراكب فى الدولة المصرية وكان له قدر وأبهة في الايام الآمرية وغيرها ولما كان فى الايام الآمرية تقدم الى الناس بالعمارة قبالة الخرق غربي الخليج فأول من ابتدأ وعمر الرئيس ابن التبان فانه أنشأ مسجداً وبستاناً ودارا فعرفت تلك الخطة به الى الآن ثم بني سعد الدولة والى القاهرة وناهض الدولة على وعدى الدلة أبو البركات محمد بن عثمان وجماعة من فراشى الخاص واتصلت العمارة بالآجر والسقوف النقية والابواب المنظومة من باب البستان المعروف بالعدة على شاطئ الخليج الغربى الى البستان المعروف بأبى اليمن ثم ابتني جماعة غيرهم ممن يرغب في الاجرة والفرجة على التراع التي تتصرف من الخليج الى الزهرى والبساتين من المنازل والدكاكين شيئاً كثيرا وهى الناحية المعروفة الآن بشق الثعبان وسويقة القيمرى الى أن وصل البناء الى قبالة البستان المعروف بنور الدولة الربعي وهذا البستان معروف في هذا الوقت بالخطة المذكورة وهو متلاشى الحال بسبب ملوحة بئره وبستان نور الدولة هو الآن الميدان الظاهرى والمناظر به وتفرقت الشوارع والطرق وسكنت الدكاكين والدور وكثر المترددون اليه والمعاش فيه الى أن استتاب والى القاهرة بها نائبا عنه ثم تلاشت تلك الاحوال وتغيرت الى أن صارت اطلالا وعفت تلك الآثار ثم بعد ذلك حكر آدرا وبساتين وبنى على غير تلك الصفة المقدم ذكرها وبني على ما هو عليه ثم حكر بستان الزهرى آدرا ولم يبق منه الا قطعة كبيرة بستانا وهو الآن أحكار تعرف بالزهرى ويعرف البرّ جميعه ببرّ ابن التبان الى هذا الوقت وولايته تعرف بولاية الحكر وبنى به حمام الشيخ نجم الدين بن الرفعة وحمام تعرف بالقيمرى وحمام تعرف بحمام الدابة على شاطئ الخليج انتهى * وبستان أبى اليمان يعرف اليوم مكانه بحكر اقبغا وفيه جامع الست مسكة وسويقة السباعين * وبستان السراج فى أرض باب اللوق يعرف موضعه الآن بحكر الخليلى ويأتى ذكرهما ان شاء الله تعالى • وقيماز هو تاج الدولة صهر الامير بهرام الارمنى وزير الخليفة الحافظ لدين الله وقتل عند دخول الصالح طلائع بن رزيك الى القاهرة فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة • وعزاز هو غلام الوزير شاور بن مجير السعدى وزير الخليفة العاضد لدين الله *(حكر الخليلى) هذا الحكر هو الخط الذي بقرب سويقة السباعين وجامع الست مسكة وهو بجوار حكر الزهرى وكان بستانا يعرف ببستان أبى

اليمان ومنهم من يكتب بستان أبي اليمن بغير ألف بعد الميم ثم عرف ببستان ابن جن حلوان وهو الجمال محمد بن الزكي يحيي بن عبد المنعم بن منصور التاجر في ثمرة البساتين عرف بابن جن حلوان مات في سنة احدى وتسعين وستمائة وحد هذا البستان القبلي الى الخليج وكان فيه بابه والهماليا والحد البحرى ينتهى الى غيط قيماز والشرقي الى الآدر المحتكرة والغربي ينتهي الى قطعة تعرف قديما بابن أبي التاج ثم عرف ببستان ابن السراج واستأجره ابن جن حلوان من الشيخ نجم الدين بن الرفعة الفقيه المشهور في سنة ثمان وثمانين وستمائة فعرف به ثم ان هذا البستان حكر بعد ذلك فعرف بحكر الحلبي وهو (٣) *(حكر قوصون) هذا الحكر مجاور لقناطر السباع كان بستانين أحدهما يعرف بالخاريق الكبرى والآخر يعرف بالخاريق الصغرى فأما الخاريق الكبرى فان القاضى الرئيس الاجل المختار العدل الامين زكي الدين أبا العباس أحمد بن مرتضى بن سيد الاهل بن يوسف وقف حصة من جميع البستان المذكور الكبير المعروف بالخاريق الكبرى الذى بين القاهرة ومصر بعدوة الخليج فيما بين البستانين المعروف أحدهما بالخاريق الصغرى ويعرف قديما بالشيخ الاجل ابن أبي أسامة ثم عرف بغيره والبستان الذى يعرف بدويرة دينار يفصل بينهما الطريق بخط بستان الزهرى وبستان أبي اليمن وكنائس النصارى قبالة جماميز السعدية والسبع سقايات ولهذا البستان حدود أربعة القبلي ينتهى الى الخليج الفاصل بينه وبين المواضع المعروفة بجماميز السعدية والسبع سقايات والحد الشرقي ينتهى الى البستان المعروف بالخاريق الصغرى المقابل للمجنونة والبحرى ينتهى الى البستان المعروف قديما بابن أبي أسامة الفاصل بينه وبين بستان أبي اليمن المجاور للزهرى والحد الغربي ينتهى الى الطريق وجعل هذا البستان على القربات بعد عمارته وشرط أن الناظر يشترى في كل فصل من فصول الشتاء ما يراه من قماش الكتان الخام أو القطن ويصنع ذلك جبابا وبغالطيق محشوة قطنا ويفرقها على الايتام الذكور والاناث الفقراء غير البالغين بالشارع الاعظم خارج باب زويلة لكل واحد جبة أو بغلطاق فان تعذر ذلك كان على الايتام المتصفين بالصفة المذكورة بالقاهرة ومصر وقرافتيهما فان تعذر ذلك كان للفقراء والمساكين أينما وجدوا وتاريخ كتاب هذا الوقف في ذي الحجة سنة ستين وستمائة وأما الخاريق الصغرى فانه بعدوة الخليج قبالة المجنونة بالقرب من بستان أبي اليمن ثم عرف أخيرا ببستان بهادر رأس نوبة ومساحته خمسة عشر فدانا فاشتراه الامير قوصون وقلع غروسه وأذن للناس في البناء عليه فحكروه وبنوا فيه الآدر وغيرها وعرف بحكر قوصون* (حكر الحلبي) هذا الحكر الآن يعرف بحكر بيبرس الحاجب وهو مجاور للزهرى ولبركة الشقاف من غربيها وأصله من جملة أراضي الزهرى اقتطع منه وباعه القاضى مجد الدين بن الخشاب وكيل بيت المال لابني

السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاوون فى سنة أربع وتسعين وستمائة وكان يعرف حين هـذا البيع ببستان الجمال بن جن حلوان وبغيط الـكردى وببستان الطيلسان وببستان الفرغاني وحد هذه القطعة القبلي الى بركة الطوابين والى الهـدير الصغير والحد البحرى ينتهى الى بستان الفرغانى والى بستان البواشقى والحد الشرقى الى بركة الشقاف والى الطريق الموصلة الى الهدير الصغير والحد الغربى الى بستان الفرغانى ثم انتقل هذا البستان الى الامير ركن الدين بيبرس الحاجب فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون وحكره فعرف به *(حكر البواشقى) عرف بالامير أزدمر البواشقى مملوك الرشيدى الـكبير أحد المماليك البحرية الصالحية وممن قام على الملك المعز أيبك عند ما قتل الامير فارس الدين اقطاى فى ذي القعدة سنة احدي وخمسين وستمائة وخرج الى بلاد الروم ثم عرف الآن بحكر كرجي وهو بجوار حكر الحلبي المعروف بحكر بيبرس *(حكر أقبغا) هـذا الحـكر بجوار السبع سقايات بعضه بجانب الخليج الغربى وبعضه بجانب الخليج الشرقى كان بستانا يعرف قديما بجنان الحارة ويسلك اليه من خط قناطر السباع على يمنة السالك طالبا السبع سقايات بالقرب من كنيسـة الحمراء وكان بعضـه بستانا يعرف ببسـتان المحلى وهو الذي فى غربي الخليج وكان ببسـتان جنان الحـارة بجوار بركة قارون وينتهى الى حوض الدمياطي الموجود الآن على يمنة من سلك من خط السبع سقايات الى قنطرة السدّ فاستولى عليه الامير أقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون وأذن للناس فى تحكيره فحـكر وبنى فيه عدّة مساكن والى يومنا هذا يجبي حكره ويصرف فى مصارف المدرسة الاقبغاوية المجاورة للجامع الازهر بالقاهرة وأول من عمر في حكر أقبغا هـذا أستادار الامـير جنـكل بن البابا فتبعه الناس وفي موضع هذا الحـكر كانت كنيسة الحمراء التي هدمها العـامة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون كما ذكر عند ذكر الـكنائس من هـذا الـكتاب وهى اليوم زاوية تعرف بزاوية الشيخ يوسف العجمى وقد ذكرت في الزوايا أيضاً وهذا الحـكر لما بني الناس فيه عرف بالآدر لـكثرة من سكن فيه من التتر والوافدية من أصحاب الامـير جنـكل بن البابا وعمر تجاه هـذا الحـكر الامير جنـكل حمامين هما هنالك الى اليوم وانتشا بعمارة هذا الحـكر بظاهره سوق وجامع وعمر ماعلى البركة أيضاً واتصلت العمارة منه فى الجانبين الى مدينة مصر واتصلت به عمائر أيضاً ظاهر القاهرة بعد ماكان موضع هـذا الحـكر مخوفا يقطع فيه الزعار الطريق على المـارة من القاهرة الى مصر وكان والى مصر يحتاج الى أن يركز جماعة من أعوانه بهذا المـكان لحفظ من يمر من المفسدين فصار لما حكر كأنه مدينة كبيرة وهو الى الآن عامر وأكثر من يسكنه الامراء والأجناد وهذا الحـكر كان يعرف قديماً بالحمراء الدنيا وقد ذكر خبر الحمراوات الثلاث عند ذكر خطط مدينة فسطاط مصر

من هذا الكتاب وفى هذا الحكر أيضاً كانت قنطرة عبد العزيز بن مروان التى بناها على الخليج ليتوصل منها الى جنان الزهرى وبعض هذا الحكر مما انحسر عنه النيل وهى القطعة التى تلى قنطرة السد * (حكر الست حدق) هذا الحكر يعرف اليوم بالمريس وكان بساتين من بعضها بستان الخشاب فعرف بالست حدق من أجل أنها أنشأت هناك جامعا كان موضعه منظرة السكرة فبنى الناس حوله وأكثر من كان يسكن هناك السودان وبه يتخذ المزر ومأوى أهل الفواحش والقاذورات وصار به عدة مساكن وسوق كبير يحتاج محتسب القاهرة أن يقيم به نائباً عنه للكشف عما يباع فيه من المعايش وقد أدركنا المريس على غاية من العمارة الا أنه قد اختل منذ حدثت الحوادث من سنة ست وثمانمائة وبه الى الآن بقية من فساد كبير *(حكر الست مسكة) هذا الحكر بسويقة السباعين بقرب جوار حكر الست حدق عرف بالست مسكة لانها أنشأت به جامعاً وهذا الحكر كان من جملة الزهرى ثم أفرد وصار بستانا تنقل الى جماعة كثيرة فلما عمرت الست مسكة فى هذا الحكر الجامع بنى الناس حوله حتى صار متصلا بالعمارة من سائر جهاته وسكنه الامراء والأعيان وأنشأوا به الحمامات والاسواق وغير ذلك * وكانت حدق ومسكة من جوارى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون نشأتا فى داره وصارتا قهرمانتين لبيت السلطان يقتدى برأيهما فى عمل الاعراس السلطانية والمهمات الجليلة التى تعمل فى الاعياد والمواسم وترتيب شؤون الحريم السلطانى وتربية أولاد السلطان وطال عمرهما وصار لهما من الاموال الكثيرة والسعادات العظيمة مايجل وصفه وصنعا براً ومعروفا كبيرا واشتهرا وبعد صيتهما وانتشر ذكرهما *(حكر طقزدمر) هذا الحكر كان بستاناً مساحته نحو الثلاثين فداناً فاشتراه الامير طقزدمر الحموى نائب السلطنة بديار مصر ودمشق وقلع أخشابه وأذن للناس فى البناء عليه فحكروه وأنشأوا به الدور الجليلة واتصلت عمارة الناس فيه بسائر العمائر من جهاته وأنشأ الامير طقزدمر فيه أيضاً على الخليج قنطرة ليمر عليها من خط المسجد المعلق الى هذا الحكر وصار هذا الحكر مسكن الامراء والاجناد وبه السوق والحمامات والمساجد وغيرها وهو مما عمر فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون ومات طقزدمر فى ليلة الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وسبعمائة *(اللوق) يقال لاق الشيء يلوقه لوقا ولوقه لينه وفي الحديث الشريف لا آكل الا ما لوّق لي ولواق أرض معروفة قاله ابن سيده فكأن هذه الارض لما انحسر عنها ماء النيل كانت أرضا لينة والى الآن فى أراضي مصر ما اذا زال عنها ماء النيل لا تحتاج الى الحرث للينها بل تلاق لوقا فصواب هذا المكان أن يقال فيه أراضي اللوق بفتح اللام الا أن الناس انما عهدناهم يقولون قديما باب اللوق وأراضى باب اللوق بضم اللام ويجوز أن يكون من اللق بضم اللام وتشديد القاف قال ابن سيده واللق كل

أرض ضيقة مستطيلة واللاق الارض المرتفعة ومنه كتاب عبد الملك بن مروان الى الحجاج
لا تدع خقا ولا لقا الا زرعته حكاه الهروي في الغريبين انتهى والخق بضم الخاء المعجمة
وتشديد القاف الغدير اذا جف وقيل الخق ما اطمأن من الارض واللاق ما ارتفع منها وأراضي
اللوق هذه كانت بساتين ومزدرعات ولم يكن بها في القديم بناء ألبتة ثم لما انحسر الماء عن منشأة
الفاضل عمر فيها كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب ويطلق اللوق في زمننا على المكان
الذي يعرف اليوم بباب اللوق المجاور لجامع الطباخ المطل على بركة الشقاف وما يسامته الى
الخليج الذي يعرف اليوم بخليج فم الخور وينتهي اللوق من الجانب الغربي الى منشأة
المهراني ومن الجانب الشرقي الى الدكة بجوار المقس وكان القاضي الفاضل قد اشترى قطعة
كبيرة من أراضي اللوق هذه من بيت المال وغيره بجملة كبيرة من المال ووقفها على العين
الزرقاء بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ٠ وعرفت هذه الارض ببستان ابن
قريش وبعضها دخل في الميدان الظاهري وعوض عنها أراض بأكثر من قيمتها وكان متحصل
هذا الوقف يحمل في كل سنة الى المدينة لتنظيف العين وتنظيف مجاريها وأما الجانب الغربي
من خليج فم الخور المعروف اليوم بحكر ابن الاثير وبسويقة الموفق وموردة الملح وساحل
بولاق كله فانه محدث عمر بعد سنة سبعمائة كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى قريبا فان
النيل كان يمر من ساحل الحمراء بغربي الزهري على الاراضي التي لما انحسر عنها عرفت
باراضي اللوق الى أن ينتهي الى ساحل المقس وكانت طاقات المناظر التي بالدكة تشرف
على النيل الاعظم ولا يحول بينها وبين رؤية بر الجيزة شيء ويمر النيل من الدكة الى
المقس ويمتد الى زريبة جامع المقس الذي هو الآن على الخليج الناصري فلما انحسر
ماء النيل عن أراضي اللوق اتصلت بالمقس وصارت عدة أماكن تعرف بظاهر اللوق
وهي بستان ابن ثعلب ومنشأة ابن ثعلب وباب اللوق وحكر قردميه وحكر كريم الدين
ورحبة التبن وبستان السعيدي وبركة قرموط وخور الضبي وصار بين اللوق وبين
منشأة المهراني التي هي بأول بر الخليج الغربي منشأة الفاضل والمنشأة المستجدة وحكر
الخليلي وحكر الساباط ويعرف بحكر بستان القاصد وحكر كريم الدين الصغير وحكر
المطوع وحكر العين الزرقاء وفي غربي هذه المواضع على شاطئ النيل زريبة قوصون وموردة
البلاط وموردة الجبس وخط الجامع الطيبرسي وزريبة السلطان وربع بكتمر وأول ما بنيت
الدور للسكن في اللوق أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وذلك أنه جهز
كشافه من خواصه مع الامير جمال الدين الرومي السلاح دار والامير علاء الدين أقسنقر
الناصري ليعرف أخبار هولاكو ومعهم عدة من العربان فوجدوا طائفة من التتر مستأمنين
وقد عزموا على قصد السلطان بمصر وذلك أن الملك بركة خان ملك التتر كان قد بعثهم نجدة

هولاكو فلما وقع بينهما كتب اليهم بركة يأمرهم بمفارقة هولاكو والمصير اليه فان تعذر عليهم ذلك صاروا الى عسكر مصر فانه كان قد ركن الى الملك الظاهر وترددت القصاد بينهم بعد واقعة بغداد ورحيل هولاكو عن حلب فاختلف هولاكو مع ابن عمه بركة خان وتواقعا فقتل ولد هولاكو في المصاف وانهزم عسكره وفر الى قلعة في بحيرة أذربيجان فلما وردت الاخبار بذلك الى مصر كتب السلطان الى نواب الشام باكرامهم وتجهيز الاقامات لهم وبعث اليهم بالخلع والانعامات فوصلوا الى ظاهر القاهرة وهم نيف على مائتى فارس بنسائهم وأولادهم في يوم الخميس رابع عشرى ذي الحجة سنة ستين وستمائة فخرج السلطان يوم السبت سادس عشريه الى لقائهم بنفسه ومعه العساكر فلم يبق أحد حتى خرج لمشاهدتهم فاجتمع عالم عظيم تبهر رؤيتهم العقول وكان يوما مشهودا فأنزلهم السلطان في دور كان قد أمر بعمارتها من أجلهم فى أراضى اللوق وعمل لهم دعوة عظيمة هناك وحمل اليهم الخلع والخيول والاموال وركب السلطان الى الميدان وأركبهم معه للعب الاكرة وأعطى كبراءهم أمريات فمنهم من عمله أمير مائة ومنهم دون ذلك ونزل بقيتهم من جملة البحرية وصار كل منهم من سعة الحال كالامير فى خدمته الاجناد والغلمان وأفرد لهم عدة جهات برسم مرتبهم وكثرت نعمهم وتظاهروا بدين الاسلام فلما بلغ التتار ما فعله السلطان مع هؤلاء وفد عليه منهم جماعة بعد جماعة وهو يقابلهم بمزيد الاحسان فتكاثروا بديار مصر وتزايدت العمائر فى اللوق وما حوله وصار هناك عدة أحكار عامرة آهلة الى أن خربت شيئاً بعد شيء وصارت كيماناً وفيها ما هو عامر الى يومنا هذا ولما قدمت رسل القان بركة فى سنة احدى وستين وسبعمائة أنزلهم السلطان الملك الظاهر باللوق وعمل لهم فيه مهما وصار يركب فى كل سبت وثلاثاء للعب الاكرة باللوق فى الميدان * وفى سادس ذى الحجة من سنة احدى وستين قدم من المغل والبهادرية زيادة على ألف وثلثمائة فارس فأنزلوا فى مساكن عمرت لهم باللوق بأهاليهم وأولادهم وفي شهر رجب سنة احدى وستين وسبعمائة قدمت رسل الملك بركة ورسل الاشكري فعملت لهم دعوة عظيمة باللوق * فأما بستان ابن ثعلب فانه كان بستاناً عظيم القدر مساحته خمسة وسبعون فداناً فيه سائر الفواكه بأسرها وجميع ما يزدرع من الاشجار والنخل والكروم والنرجس والهليون والورد والنسرين والياسمين والخوخ والكمثرى والنارنج والليمون التفاحي والليمون الراكب والختن والجميز والقراصيا والرمان والزيتون والتوت الشامي والمصرى والمرسين والتامرحنا والبان وغير ذلك وبه الآبار المعينة وله المحاليات وفيه منظرة عظيمة وعدة دور ومن حقوق هذا البستان الارض التي تعرف اليوم ببركة قرموط والارض التى تعرف اليوم بالخور قبالة الارض المعروفة بالبيضاء بجوار بستان السراج وبستان الزهرى وبستان البورجي فيما بين هذه البساتين وبين خليج الذكة والمقس

وكان على بستان ابن ثعلب سور مبنى وله باب جليل وحده القبلى الى منشأة ابن ثعلب وحده البحرى الى الارض المجاورة للميدان السلطانى الصالحي والى أرض الجزائر وفي هذا الحد أرض الخور وهى من حقوقه وحده الشرقي الى بستان الدكة وبستان الامير قراقوش وحده الغربى الى الطريق المسلوك فيها الى موردة السقائين قبالة بستان السراج وموردة السقائين هذه موضع قنطرة الخرق الآن * وابن ثعلب هذا هو الشريف الامير الكبير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الجعفرى الزينبى أحد أمراء مصر فى أيام الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وغيره وصاحب المدرسة الشريفية بجوار درب كركامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة وانتقل من بعده الى ابنه الامير حصن الدين ثعلب فاشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى بثلاثة آلاف دينار مصرية في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة وكان باب هذا البستان في الموضع الذي يقال له اليوم باب اللوق وكان هذا البستان ينتهى الى خليج الخور وآخره من المشرق ينتهى الى الدكة بجوار المقس ثم انقسم بعد ذلك قطعا وحكرت أكثر أرضه وبنى الناس عليها الدور وغيرها وبقيت منه الى الآن قطعة عرفت ببستان الامير أرغون النائب بديار مصر أيام الملك الناصر ثم عرف بعد ذلك ببستان ابن غراب وهو الآن على شاطئ الخليج الناصرى على يمنة من سلك من قنطرة قدادار بشاطئ الخليج من جانبه الشرقى الى بركة قرموط وبقيت من بستان ابن ثعلب قطعة تعرف ببستان بنت الامير بيبرس الى الآن وهو وقف ومن جملة بستان ابن ثعلب أيضاً الموضع الذي يعرف ببركة قرموط والموضع المعروف بفم الخور *(وأما منشأة ابن ثعلب) فانها بالقرب من باب اللوق وحكرت فى أيام الشريف فخر الدين بن ثعلب المذكور فعرفت به وهى تعرف اليوم بمنشأة الجوانية لان جوانية الفم كانوا يسكنون فيها فعرفت بهم وأدركتها في غاية العمارة بالناس والمساكن والحوانيت وغيرها وقد اختلت بعد سنة ست وثمانمائة وأكثرها الآن زرائب للبقر *(وأما باب اللوق) فانه كان هناك الى مابعد سنة أربعين وسبعمائة بمدة باب كبير عليه طوارق حربية مدهونة على ما كانت العادة فى أبواب القاهرة وأبواب القلعة وأبواب بيوت الامراء وكان يقال له باب اللوق فلما أنشأ القاضى صلاح الدين بن المغربى قيساريته التى بباب اللوق وجعلها لبيع غزل الكتان هدم هذا الباب وجعله فى الركن من جدار القيسارية القبلى مما يلي الغربى وهذا هو باب الميدان الذى أنشأه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل لما اشترى بستان ابن ثعلب وقد ذكر خبر هذا الميدان عند ذكر الميادين من هذا الكتاب *(وأما حكر قردمية)فانه على يمنة من سلك من باب اللوق المذكور الى قنطرة قدادار وكان من جملة بستان ابن ثعلب فحكر وصار أخيرا

بيد ورثة الامير قوصون وكان حكرا عامرا الى ما بعد سنة تسع وأربعين وسبعمائة خرب عند وقوع الوباء الكبير بمصر وحفرت أراضيه وأخذ طينها فصارت بركة ماء عليها كيمان خلف الدور التى على الشارع المسلوك فيه الى قنطرة قدادار * (وأما حكر كريم الدين) فانه على يسرة من سلك من باب اللوق الى رحبة التبن والى الدكة وكان يعرف قبل كريم الدين بحكر الصهيوني وهذا الحكر الآن آئل الى الدثور * (وأما رحبة التبن) فانها في بحرى منشأة الجوانية شارعة فى الطريق العظمى التي يسلك فيها الى قنطرة الدكة من رحبة باب اللوق عرفت بذلك لانه كانت أحمال التبن تقف بها لتباع هناك فان القاهرة كانت توفر من مرور احمال التبن والحطب ونحوهما بها ثم احتكرت من جملة مااحتكر في غربي الخليج وصار بها عدة مساكن وسوق كبير وقد أدركته غاصا بالعمارة وانما اختل حال هذا الخط من سنة ست وثمانمائة * (وأما بستان السعيدى) فانه يشرف على الخليج الناصرى في هذا الوقت وأدركنا ماحوله عامرا وقد خربت الدور التي كانت هناك من جهة الطريق الشارع من باب اللوق الى الدكة وبها بقية آئلة الى الدثور * (وأما بركة قرموط) فانها من حقوق بستان ابن ثعلب ولما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى رمى فيها ماخرج عند حفره من الطين وادركناها من أعمر بقعة فى أرض مصر وهي الآن خراب كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب * (وأما الخور) فان الخور فى اللغة مصب الماء وهو هنا اسم للارض التي مابين الخليج الناصرى والخليج الذى يعرف بفم الخور وجميع هذه الارض من جملة بستان ابن ثعلب وكان يعرف بالخور الصغير لانه كانت به مناظر تعرف بمناظر الصعي تشرف على النيل وكان على شاطئ الخليج الكبير في هذا الجانب الغربي الذى نحن في ذكره بجوار بستان الخشاب الذى كان يتوصل اليه من قنطرة السد وبعضه الآن الميدان السلطانى بستان يعرف بالجزيرة يعنى بستان الجزيرة المعروف بالصعي وكان من البساتين الجليلة * (وهذا الصعي) هو الشيخ كريم الدولة عبدالواحد ابن محمد بن على الصعي مات في شهر رمضان سنة ثلاث وستمائة بمصر وكان له أخ يعرف بعبد العظيم بن محمد الصعي * ولما انحسر ماء النيل عن الرملة التي قيل لها منية بولاق تجاه المقس وعمرت هناك الدور اتصلت من قبلها بالخور وأنشئ بشاطئ النيل الذى بالخور دور تجل عن الوصف وانتظمت صفاً واحداً من بولاق الى منشأة المهرانى وموردة الحلفاء ومن موردة الحلفاء على ساحل مصر الجديد الى دير الطين غربى بركة الحبش لو أحصى ماأنفق على بناء هذه الدور لقام بخراج مصر أيام كانت عامرة وقد خرب معظمها من سنة ست وثمانمائة وقد تقدم ذكر منشأة الفاضل * (وأما حكر الساباط) وحكر كريم الدين الصغير وحكر المطوع وحكر العين الزرقاء فانها بالقرب من الميدان الكبير السلطانى وقد خربت بعد ما

كانت عامرة بالدور والمتنزهات * (بستان العدة) هذا المكان من جملة الاحكار التى فى غربى الخليج وهو بجوار قنطرة الخرق وبجوار حكر النوبى قريب من باب اللوق تجاه الدور المطلة على الخليج من شرقيه المقابلة لباب سعادة وحارة الوزيرية كان بستانا جليلا وقفه الامير فارس المسلمين بدر بن رزيك أخو الصالح طلائع بن رزيك صاحب جامع الصالح خارج باب زويلة ثم انه خرب فحكر وبني عليه عدة مساكن وحكره يتعاطاه ورثة فارس المسلمين * (حكر جوهر النوبى) هذا الحكر تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربى فى شرقى بستان العدة ويسلك منه الى قنطرة أمير حسين من طريق تجاه باب جامع أمير حسين الذى تعلوه المئذنة وما زال بستانا الى نحو سنة ستين وستمائة فحكر وبنى فيه الدور في أيام الظاهر بيبرس وعرف بجوهر النوبى أحد الأمراء في الايام الكاملية وقد تقدم بديار مصر تقدما زائداً وكان خصياً وهو ممن ثار على الملك العادل أبي بكر بن الكامل وخلعه فلما ملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بعد أخيه العادل قبض على جوهر فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة * (حكر خزائن السلاح) هذا الحكر كان يعرف قديماً بحكر الاوسية وهو فيما بين الدكة وقنطرة الموسكي وقفه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب على مصالح خزائن السلاح هو وعدة أماكن بمدينة مصر مع مدينة قليوب وأراضيها في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وستمائة وظهر كتاب الوقف المذكور من الخزائن السلطانية فى جمادى الاولى سنة خمس عشرة وسبعمائة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون وقد خرب أكثر هذا الحكر وصار كيمانا * (حكر تكان) هذا الحكر بجوار سويقة العجمى الفاصلة بينه وبين حكر خزائن السلاح وكان يعرف قديماً بحكر كوبج وحده القبلي ينتهى الى حكر ابن الاسد جفريل والحد البحرى ينتهى الى حكر العلائى والحد الشرقي ينتهى الي حكر البغدادية والحد الغربى ينتهى الى حكر خزائن السلاح وسويقة العجمى * وتكان هو الامير سيف الدين تكان ويقال تكام بالميم عوضاً عن النون وهذا الحكر استقر أخيرا فى أوقاف خوندارد وتكين ابنة نوكيه السلاح دار زوجة الملك الاشرف خليل بن قلاون على تربتها التى أنشأتها خارج باب القرافة التى تعرف اليوم بتربة الست وقد خرب هذا الحكر وبيعت أنقاضه فى أعوام بضع وتسعين وسبعمائة وجعل بعضه بستاناً فى سنة ست وتسعين وسبعمائة * (حكر ابن الاسد جفريل) هذا الحكر فى قبلى حكر تكان كان بستاناً فحكر وعرف بالامير شمس الدين موسى ابن الامير أسد الدين جفريل أحد أمراء الملك الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب بمصر * (حكر البغدادية) هذا الحكر بجوار خليج الذكر كان من أعظم البساتين في الدولة الفاطمية فأزال الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب أشجاره ونخله وجعله ميداناً ثم حكر وصارت فيه عدة مساكن وهو

الآن خراب يباب لا يأويه الا البوم والرخم *(حكر خطلبا) هذا الحكر حده القبلي الى الخليج وحده البحري الى الكوم الفاصل بينه وبين حكر الاوسية المعروف بالجاولي وحده الشرقي الى بستان الجليس الذي عرف بابن منقذ والحد الغربي الى زقاق هناك وكان هذا الحكر بستاناً اشتراه جمال الدين الطواشي من جمال الدين عمر بن ناصح الدين داود ابن اسماعيل الملكي الكاملي في سنة ست عشرة وستمائة ثم ابتاعه منه الطواشي محيي الدين صندل الكاملي في سنة عشرين وستمائة وباعه للامير الفارس صارم الدين خطلبا الكاملي في سنة احدى وعشرين وستمائة فعرف به * وهو خطلبا بن موسى الامير صارم الدين الفارسي التبتي الموصلي الكاملي استقر في ولاية القاهرة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم أضيفت له ولاية الفيوم في سنة سبع وسبعين وخمسمائة ثم صرف عنها وسار متسلمه الى اليمن ليتسلمها فتسلمها في جمادى الاولى وسار هو في سادس شوال منها واليا على مدينة زبيد باليمن ومعه خمسمائة رجل ورفيقه الامير باخل فبلغت النفقة عليه عشرين ألف دينار وكتب للطواشية بنفقة عشرة دنانير لكل منهم على اليمن فأقام باليمن مدة ثم قدم الى القاهرة وصار من أصحاب الامير فخر الدين جهاركس وتأخر الى أيام الملك الكامل وصار من أمرائه بالقاهرة الى أن مات في ثالث شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة * (حكر ابن منقذ) هذا الحكر خارج باب القنطرة بعدوة خليج الذكر وكان بستانا يعرف ببستان الشريف الجليس ويعرف أيضاً بالبطائحي ثم عرف بالامير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ نائب الملك المعز سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الدين أيوب بن شادي على مملكة اليمن وانتقل بعد ابن منقذ الى الشيخ عبد المحسن ابن عبد العزيز بن علي المخزومي المعروف بابن الصيرفي فوقفه على جهات تؤول أخيراً الى الفقراء والمساكين المقيمين بمشهد السيدة نفيسة والفقراء والمساكين المتقلين في حبوس القاهرة في سنة ثلاث وأربعين وستمائة ثم أزيلت أنشاب هذا البستان وحكرت أرضه وبنيت الدور والمساكن عليها وهو الآن خراب * (حكر فارس المسلمين بدر بن رزيك) هذا الحكر تجاه منظرة اللؤلؤة كان من جملة البركة المعروفة ببطن البقرة ثم حكر وبني فيه وأكثره الآن خراب *(حكر شمس الخواص مسرور) هذا الحكر فيما بين خليج الذكر وحكر ابن منقذ كان بستاناً لشمس الخواص مسرور الطواشي أحد الخدام الصالحية مات في نصف شوال سنة سبع وأربعين وستمائة بالقاهرة ثم حكر وبني فيه الدور وموضعه الآن كيمان * (حكر العلائي) هذا الحكر يجاور حكر تكان من بحريه وكان بستانا جليل القدر ثم حكر وصار بعضه وقف تذكار بي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس وقفته في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة على نفسها ثم من بعدها على الرباط الذي أنشأته داخل الدرب

الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وهو الرباط المعروف برواق البغدادية وعلى المسجد الذى بحكر سيف الاسلام خارج باب زويلة وعلى تربتها التي بجوار جامع ابن عبد الظاهر بالقرافة وصار بعض هذا الحكر في وقف الامير سيف الدين بهادر العلائى متولى البهنساء وكان وقفه في سنة احدى وأربعين وسبعمائة فعرف بالحكر العلائى المذكور وأدركت هذا الحكر وهو من أعمر الاحكار وفيه درب الامير عز الدين أيدمر الزراق أمير جاندار ووالى القاهرة وداره العظيمة ومساكنه الكثيرة فلما حدثت المحن منذ سنة ست وثمانمائة خرب هذا الحكر وأخذت أنقاضه وبقيت دار الزراق الى سنة سبع عشرة وثمانمائة فشرع في الهدم فيها لاجل أنقاضها الجليلة * (حكر الحريرى) هذا الحكر بجوار حكر العلائي المذكور من حده البحرى وهو من جملة الارض المعروفة بالأرض البيضاء وكان بستانا ثم حكر وصار في وقف خزائن السلاح وأدركناه عامرا وفيه سوق يعرف بالسويقة البيضاء كانت بها عدة حوانيت وقد خرب هذا الحكر وهذا الحريرى هو الصاحب محي الدين *(حكر المساح) عرف بالامير شمس الدين سنقر المساح أحد أمراء الظاهر بيبرس قبض عليه في عدة من الامراء في ذى الحجة سنة تسع وستين وستمائة *(الدكة) هذا المكان كان بستاناً من أعظم بساتين القاهرة فيما بين أراضى اللوق والمقس وبه منظرة للخلفاء الفاطميين تشرف طاقاتها على بحر النيل الاعظم ولا يحول بينها وبين بر الجيزة شئ فلما زالت الدولة الفاطمية تلاشى أمر هذا البستان وخرب فحكر موضعه وبنى الناس فيه فصار خطة كبيرة كأنه بلد جليل وصار به سوق عظيم وسكنه الكتاب وغيرهم من الناس وأدركته عامرا ثم انه خرب منذ سنة ست وثمانمائة وبه الآن بقية عما قليل تدثر كما دثر ما هنالك وصار كيمانا

(ذكر المقس وفيه الكلام على المكس وكيف كان أصله في أول الاسلام)

اعلم أن المقس قديم وكان في الجاهلية قرية تعرف بأم دنين وهى الآن محلة بظاهر القاهرة في بر الخليج الغربي وكان عند وضع القاهرة هو ساحل النيل وبه أنشأ الامام المعز لدين الله أبو تميم معد الصناعة التي ذكرت عند ذكر الصناعات من هذا الكتاب وبه أيضاً أنشأ الامام الحاكم بأمر الله أبو على منصور جامع المقس الذى تسميه عامة أهل مصر في زمننا بجامع المقسى وهو الآن يطل على الخليج الناصرى قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر وقد ذكر مسير عمرو بن العاص رضى الله عنه الى فتح مصر فتقدم عمرو بن العاص رضى الله عنه لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى بلبيس فقاتلوه بها نحوا من شهر حتى فتح الله سبحانه وتعالى عليه ثم مضى لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى أم دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يستمده فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف فقاتلهم وذكر تمام الخبر وقال القاضى أبو عبد الله القضاعى المقس كانت ضيعة تعرف بأم دنين وانما سميت المقس لان العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس فقيل المكس فقلب فقيل المقس قال المؤلف رحمه الله الماكس هو العشار وأصل المكس في اللغة الجباية قال ابن سيدة في كتاب المحكم المكس الجباية مكسه يمكسه مكسا والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الاسواق في الجاهلية ويقال للعشار صاحب مكس والمكس انتقاص الثمن في البياعة قال الشاعر

أفى كل أسواق العراق أتاوة * وفى كل ما باع أمرؤ مكس درهم

الا ينتهى عنا رجال وتتقى * محارمنا لا يدرأ الدم بالدم

الاتاوة الخراج ومكس درهم أى نقص درهم فى بيع ونحوه قال وعشر القوم يعشرهم عشرا وعشورا وعشرهم أخذ عشر أموالهم وعشر المال نفسه وعشره كذلك والعشار قابض العشر ومنه قول عيسى بن عمرو لابن هبيرة وهو يضرب بين يديه بالسياط تالله ان كانت الا ثيابا في اسفاط قبضها عشاروك وقال الجاحظ ترك الناس مما كان مستعملا في الجاهلية أمورا كثيرة فمن ذلك تسميتهم للاتاوة بالخراج وتسميتهم لما يأخذه السلطان من الحلوان والمكس بالرشوة وقال الخارجي * أفى كل أسواق العراق اتاوة * البيت وكما قال العبدي فى الجارود

اكابن المعلى خلتنا أم حسبتنا * صوارى نعطي الماكسين مكوسا

الصوارى الملاحون والمكس ما يأخذه العشار انتهى ويقال ان قوم شعيب عليه السلام كانوا مساكين لا يدعون شيئاً الا مكسوه ومنه قيل للمكس البخس لقوله تعالى ولا تبخسوا الناس أشياءهم وذكر أحمد بن يحيى البلاذرى عن سفيان الثورى عن ابراهيم بن مهاجر قال سمعت زياد بن جرير يقول أنا أول من عشر فى الاسلام وعن سفيان عن عبد الله ابن خالد عن عبد الرحمن بن معقل قال سألت زياد بن جرير من كنتم تعشرون فقال ما كنا نعشر مسلما ولا معاهدا بل كنا نعشر تجار أهل الحرب كما كانوا يعشرونا اذا أتيناهم وقال عبد الملك بن حبيب السلمي في كتاب سيرة الامام العدل في مال الله عن السائب ابن يزيد أنه قال كنت على سوق المدينة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكنا نأخذ من القبط العشر وقال ابن شهاب كان ذلك يؤخذ منهم فى الجاهلية فألزمهم ذلك عمر بن الخطاب وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأخذ بالمدينة من القبط من الحنطة والزبيب نصف العشر يريد بذلك أن يكثر الحمل إلى المدينة من الحنطة والزبيب وكان يأخذ من القطنية العشر وقال مالك

رحمه الله والسنة أن ما أقام الذمة في بلادهم التي صالحوا عليها فليس عليهم فيها الا الجزية الا أن يتجروا في بلاد المسلمين ويختلفوا فيها فيؤخذ منهم العشر فيما يديرون من التجارة وان اختلفوا في العام الواحد مرارا الى بلاد المسلمين فعليهم كلما اختلفوا العشر واذا اتجر الذمي في بلاده من أعلاها الى أسفلها ولم يخرج منها الى غيرها فليس عليه شيء مثل أن يتجر الذمي الشامي في جميع الشام أو الذمي المصري في جميع مصر أو الذمي العراقي في جميع العراق وليس العمل عندنا على قول عمر بن عبدالعزيز لزريق بن حيان واكتب لهم بما يؤخذ منهم كتابا الى مثله من الحول ومن مر بك من أهل الذمة فخذ مما يديرون من التجارات من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير فان نقص منها ثلث دينار فدعها ولا تأخذ منها شيئاً والعمل على أن يؤخذ منهم العشر وان خرجوا في السنة مرارا من كل ما اتجروا به قل أو كثر وهذا قول ربيعة وابن هرمز وقال القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمي أحد أصحاب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه في كتاب الرسالة الى أمير المؤمنين هارون الرشيد وهو كتاب جليل القدر حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم بن المهاجر قال سمعت أبي يذكر قال سمعت زياد بن جرير قال أول من بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه منا على العشور أنا فأمرني أن لا افتش احدا وما مر على من شيء أخذت من حساب أربعين درهما درهما من المسلمين وأخذت من أهل الذمة من عشرين واحدا وممن لاذمة له العشر وأمرني أن أغلظ على نصارى بني تغلب قال انهم قوم من العرب وليسوا من أهل الكتاب فلعلهم يسلمون قال وكان عمر رضي الله عنه قد اشترط على نصارى بني تغلب أن لا ينصروا أولادهم وحدثنا أبو حنيفة عن الهيثم عن أنس بن سيرين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال بعثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على العشور وكتب لي عهد أن آخذ من المسلمين مما اختلفوا به لتجاراتهم ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر وحدثنا عاصم بن سليمان الاحول عن الحسن قال كتب أبو موسى الاشعري الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أهل الحرب فيأخذون منهم العشر فكتب اليه عمر رضي الله عنه خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما وليس فيما دون المائتين شيء فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم فما زاد فبحسابه. وحدثنا عبدالملك بن جريج عن عمرو بن شعيب قال ان أهل منبج قوما من أهل الشرك وراء البحر كتبوا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعنا ندخل أرضك تجارا وتعشرنا قال فشاور عمر رضي الله عنه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فأشاروا عليه به فكانوا أول من عشره من أهل الحرب وحدثنا السدي بن اسماعيل

عن عامر الشعبي عن زياد بن جرير الاسدى قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعثه على عشور العراق والشام وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العشر ومن أهــل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر فمر عليه رجل من بنى تغلب من نصارى العرب ومعه فرس فقوموها بعشرين ألفا فقال أمسك الفرس وأعطنى ألفا أو خذ منى تسعة عشر ألفا وأعطنى الفرس قال فأعطاه ألفا وأمسك الفرس قال ثم مر عليه راجعا في سنته فقال أعطنى ألفــا أخري فقال له التغلبي كلما مررت بك تأخذ منى ألفا قال نعم فرجع التغلبي الى عمر بن الخطاب رضى الله عنــه فوافاه بمكة وهو في بيت له فاستأذن عليه فقال من أنت فقــال أنا رجل من نصارى العرب وقص عليه قصته فقــال له عمر رضى الله عنــه كفيت ولم يزده على ذلك قال فرجع الرجل الى زياد بن جرير وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفاً فوجد كتاب عمر رضى الله عنــه قد سبق اليــه من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئاً الى مثل ذلك اليوم من قابل الا أن تجد فضلا قال فقال الرجل قد والله كانت نفسى طيبة أن أعطيك ألفا وانى أشهد الله تعالى أنى برىء من النصرانية وانى على دين الرجل الذى كتب اليك هذا الـكتاب * وحدثنى يحيي بن سعيد عن زريق بن حيان وكان على مكس مصر فذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب اليه أن انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم وما ظهر لك من التجارات من كل أربعين دينارا دينارا فما نقص فبحسابه حتى تبلغ عشرين دينارا فان نقصت فدعها ولا تأخذ منها واذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجاراتهم من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ثم دعها لا تأخذ منها شيئاً واكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم الى مثلها من الحول * وحدثنى أبو حنيفة عن حماد عن ابراهيم أنه قال اذا مر أهل الذمة بالخمر للتجارة أخذ من قيمتها نصف العشر ولا يقبل قول الذمي في قيمتها حتى يؤتى برجلين من أهــل الذمة يقومانها عليــه فيؤخذ نصف العشر من الذمى * وحدثنا قيس بن الربيع عن أبى فزارة عن يزيد بن الاصم عن عبــد الله بن الزبير رضى الله عنهما أنه قال ان هذه المعاصر والقناطر سحت لا يحل أخذها فبعث عمالا الى اليمن ونهاهم أن يأخذوا من عاصر أو قنطرة أو طريق شيئاً فقــدموا فاستقل المــال فقالوا نهيتنا فقال خذوا كما كنتم تأخذون * وحدثنا محمد بن عبيد الله عن أنس بن سيرين قال أرادوا أن يستعملونى على عشور الابلة فأبيت فلقينى أنس بن مالك رضي الله عنه فقال ما يمنعك قلت العشور أخبث ما عمل عليه الناس قال فقال لى لم لا تفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه صنعه فجعل على أهل الاسلام ربع العشر وعلى أهل الذمة نصف العشر وعلى أهل المنزل ممن ليس له ذمة العشر وقال أبو الحسن المسعودى ان كيقباذ أحد ملوك الفرس أول من أخذ العشر من

الارض وعمر بلاد بابل ومملكة الفرس ورأيت في التوراة التي في يد اليهود ان أول من أخرج العشر من مواشيه وزروعه وجميع ماله خليل الله ابراهيم عليه السلام وكان يدفع ذلك الى ملك أورشليم التي هي أرض القدس واسمه ملكي صادق فلما مات الخليل ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه اقتدى به بنوه في ذلك من بعده وصاروا يدفعون العشر من أموالهم الى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام فأوجب على بني اسرائيل اخراج العشر في كل ما ملكت أيمانهم من جميع أموالهم بأنواعها وجعل ذلك حقاً لسبط لاوى الذين هم قرابة موسى عليه السلام * وقال ابن يونس في تاريخ مصر كان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه أحد من شهد فتح مصر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والي لعمرو ابن العاص رضى الله عنه على المكس وكان زريق بن حيان على مكس ايلة في خلافة عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه قال مؤلفه رحمه الله ومع ذلك فقد كان أهل الورع من السلف يكرهون هذا العمل روى ابن قتيبة في كتاب الغريب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله سهيلا كان عشاراً(١) باليمن فمسخه الله شهابا وروى ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن ميمون عن أبي ابراهيم المعافري عن خالد بن ثابت أن كعباً أوصاه وتقدم اليه حين مخرجه مع عمرو ابن العاص أن لا يقرب المكس فهذا أعزك الله معنى المكس عند أهل الاسلام لا ما أحدثه الظالم هبة الله بن صاعد الفائزي وزير الملك المعز أيبك التركماني أول من أقام من ملوك الترك بقلعة الجبل من المظالم التي سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية وتعرف اليوم بالمكوس فذلك الرجس النجس الذي هو أقبح المعاصي والذنوب الموبقات لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده وتكرر ذلك منه وانتهاكه للناس وأخذ أموالهم بغير حقها وصرفها في غير وجهها وذلك الذي لا يقربه متق وعلى آخذه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * ولنرجع الى الكلام في المقس فنقول من الناس من يسميه المقسم بالميم بعد السين قال ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة وسمعت من يقول أنه المقسم قيل لان قسمة الغنائم عند الفتوح كانت به ولم أره مسطوراً وقال العماد محمد بن أبي الفرج محمد ابن حامد الكاتب الاصفهاني في كتاب سنا البرق الشامي وجلس الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب في البرج الذي بجوار جامع المقسم في السابع والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وهذا المقسم على شاطيء النيل يزار وهناك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذي قسمت فيه الغنائم عند استيلاء الصحابة رضي الله عنهم على مصر فلما أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بادارة السور على مصر والقاهرة

---

(١) (قوله كان عشارا باليمن) ينافي ما تقدم عن يحيى بن سعيد من انه كان على مكس مصر فلعله ولي المحلين فليحرر اه

تولى ذلك الامير بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التي تلي القاهرة عند المقسم وبني فيه برجا مشرفا على النيل وبني مسجداً جامعاً واتصلت العمارة منه الى البلد وجامعه تقام فيه الجمعة والجماعات وهذا البرج عرف بقلعة قراقوش وما برح هنالك الى أن هدمه الصاحب الوزير شمس الدين عبدالله المقسى وزير الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون في سنة بضع وسبعين وسبعمائة عند ما جدد جامع المقس الذى أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله فصار يعرف بجامع المقسى هذا الى اليوم وما برح جامع المقس هذا يشرف على النيل الاعظم الى ما بعد سنة سبعمائة بعدة أعوام * قال جامع السيرة الطولونية وركب أحمد بن طولون في غداة باردة الى المقس فأصاب بشاطئ النيل صيادا عليه خلق لا يواريه منه شيء ومعه صبي له في مثل حاله وقد ألقى شبكته فى البحر فلما رآه رق لحاله وقال يا نسيم ادفع الى هذا عشرين ديناراً فدفعها اليه ولحق ابن طولون فسار أحمد بن طولون ولم يبعد ورجع فوجد الصياد ميتاً والصبي يبكي ويصيح فظن ابن طولون أن بعض سودانه قتله وأخذ الدنانير منه فوقف بنفسه عليه وسأل الصبي عن أبيه فقال له هذا الغلام وأشار الى نسيم الخادم دفع الى أبي شيئاً فلم يزل يقلبه حتي وقع ميتاً فقال فتشه يا نسيم فنزل وفتشه فوجد الدنانير معه بحالها فحرض الصبي أن يأخذها فأبى وقال هذه قتلت أبي وان أخذتها قتلتني فأحضر ابن طولون قاضي المقس وشيوخه وأمرهم أن يشتروا للصبي داراً بخمسمائة دينار تكون لها غلة وأن تحبس عليه وكتب اسمه في أصحاب الجرايات وقال أنا قتلت أباه لان الغنى يحتاج الي تدريج والا قتل صاحبه هذا كان يجب أن يدفع اليه دينار بعد دينار حتي تأتيه هذه الجملة على تفرقة فلا تكثر في عينه * وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني رحمه الله في تعليق المتجددات لسنة سبع وسبعين وخمسمائة وفيه يعني يوم الثلاثاء لست بقين من المحرم ركب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أعز الله نصره لمشاهدة ساحل النيل وكان قد انحسر وتشمر عن المقس وما يليه وبعد عن السور والقلعة المستجدين بالمقس وأحضر أرباب الخبرة واستشارهم فاشير عليه باقامة الجراريف لرفع الرمال التي قد عارضت جزائرها طريق الماء وسدته ووقفت فيه وكان الافضل بن أمير الجيوش لما تربي قدام دار الملك جزيرة رمل كما هي اليوم أراد أن يقرب البحر وينقل الجزيرة فأشير عليه بأن يبنى مما يلي الجزيرة أنفا خارجا في البحر ليلقى التيار وينقل الرمل فعسر هذا وعظمت غرامته فاشار عليه ابن سيد بأن يأخذ قصارى فخار وتثقب ويعمل تحتها رؤس برابخ وتلطخ بالزفت وتكب القصارى عليها وتدفن في الرمل فاذا زاد النيل وركبها نزل من خروق القصارى الى الرؤس فأدارها الماء ومنعها القصارى أن تنحدر ودامت حركة الرمل بتحريك الماء للرؤس فانتقل الرمل وذكر أن للزفت خاصية في تحويل الرمل قال وفى هذا الوقت احترق

النيل وصار البحر مخايض يقطعها الراجل وتوحل فيه المراكب وتشمر الماء عن ساحل المقس ومصر وربي جزائر وملية أشفق منها على المقياس لئلا يتقلص النيل عنه ويحتاج الى عمل غيره وخشى منها أيضاً على ساحل المقس لكون بنيان السور كان اتصل بالماء وقد تباعد الآن عن السور وصار المد قوته من بر الغرب ووقع النظر في اقامة جراريف لتقطع الجزائر التي رباها البحر وعمل أنوف خارجة في بر الجيزة ليميل بها الماء الى هذا الجانب ولم يتم شيء من ذلك * وقال ابن المتوج في سنة خمسين وسبعمائة انتهى النيل في احتراقه الى أربعة أذرع وسبعة عشر أصبعاً وانتهى في زيادته الى ثمانية عشر ذراعا وكان مثل ذلك في دولة الملك الاشرف خليل بن قلاون وكان نيلا عظيما سد فيه باب المقس يعنى الباب الذى يعرف اليوم بباب البحر عند المقس وفي سنة اثنتين وستين وستمائة أحضر الى الملك الظاهر بيبرس طفل وجد ميتاً بساحل المقس له رأسان وأربعة أعين وأربعة أرجل وأربعة ايد وأخبرني وكيل أبي الشيخ المعمر حسام الدين حسن بن عمر السهروردى رحمه الله ومولده سنة اثنتين وسبعمائة بالمقس انه يعرف باب البحر هذا اذا خرج منه الانسان فانه يرى بر الجيزة لا يحول بينه وبينها حائل فاذا زاد ماء النيل صار الماء عند الوكالة التى هي الآن خارج باب البحر المعروفة بوكالة الجبن واذا كان أيام احتراق النيل بقيت الرمال تجاه باب البحر وذلك قبل أن يحفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري فلما حفر الخليج المذكور أنشأ الناس البساتين والدور كما يجيء ان شاء الله تعالى ذكره وأدركنا المقس خطة في غاية العمارة بها عدة أسواق ويسكنها أمم من الاكراد والاجناد والكتاب وغيرهم وقد تلاشت من بعد سنة سبع وسبعين وسبعمائة عند حدوث الغلاء بمصر في أيام الملك الاشرف شعبان ابن حسين فلما كانت المحن منذ سنة ست وثمانمائة خربت الاحكار والمقس وغيره وفيه الى الآن بقية صالحة وبه خمسة جوامع تقام بها الجمعة وعدة أسواق ومعظمه خراب

(ذكر ميدان القمح)

هذا المكان خارج باب القنطرة يتصل من شرقيه بعدوة الخليج ومن غربيه بالمقس وبعضهم يسميه ميدان الغلة وكان موضعاً للغلال أيام كان المقس ساحل القاهرة وكانت صبر القمح وغيره من الغلال توضع من جانب المقس الى باب القنطرة عرضاً وتقف المراكب من جامع المقس الى منية الشيرج طولا ويصير عند باب القنطرة في أيام النيل من مراكب الغلة وغيرها ما يستر الساحل كله * قال ابن عبد الظاهر المكان المعروف بميدان الغلة وما جاوره الى ما وراء الخليج لما ضعف أمر الخلافة وهجرت الرسوم القديمة من التفرج في اللؤلؤة وغيرها بنت الطائفة الفرحية الساكنون بالمقس لانهم ضاق بهم المقس قبالة اللؤلؤة حارة سميت بحارة اللصوص بسبب تعديهم فيها مع غيرهم الى أن غيروا تلك المعالم وقدكان

ذلك قديما بستاناً سلطانياً يسمى بالمقسي أمر الظاهر بن الحاكم بنقل أنشابه وحفره وجعله بركة قدام اللؤلؤة مختلطة بالخليج وكان للبستان المقدم ذكره ترعة من البحر يدخل منها الماء اليه وهو خليج الذكر الآن قام بابقائها على حالها مسلطة على البركة والخليج يستنقع الماء فيها فلما نسي ذلك على ما ذكرناه عمد المذكورون وغيرهم الى اقتطاع البركة من الخليج وجعلوا بينها وبين الخليج جسراً وصار الماء يصل اليها من الترعة دون الخليج وصارت منتزها للسودان المذكورين فى أيام النيل والربيع ولما كانت الايام الآمرية أحب اعادة النزهة فتقدم وزيره المأمون بن البطائحي باحضار عرفاء السودان المذكورين وأنكر عليهم ذلك فاعتذروا بكثرة الرمال فامر بنقل ذلك وأعطاهم انعاما فبنوا حارة بالقرب من دار كافور التي أسكنت بها الطائفة المأمونية قبالة بستان الوزير ومن المساجد الثلاثة المعلقة في شرقيها ثم أحضر الابقار من البساتين والعدد والآلات ونقض الجسر الذى بين البركة والخليج وعمق البركة الى أن صار الخليج مسلطا عليها قال مؤلفه رحمه الله تعالى هذه البركة عرفت ببطن البقرة وقد ذكر خبرها عند ذكر البرك من هذا الكتاب وقد صار هذا الميدان اليوم سوقا تباع فيه القشة من النحاس العتيق والحصر وغير ذلك وفي بعضه سوق الغزل وبه جامع يشرف على الخليج وسكن هناك طائفة من المشارقة الحياك وفيه سوق عامر بالمعايش

(ذكر أرض الطبالة)

هذه الارض على جانب الخليج الغربي بجوار المقس كانت من أحسن منتزهات القاهرة يمر النيل الأعظم من غربيها عندما يندفع من ساحل المقس حيث جامع المقس الآن الى أن ينتهي الى الموضع الذى يعرف بالجرف على جانب الخليج الناصرى بالقرب من بركة الرطلى ويمر من الجرف الى غربي البعل فتصير أرض الطبالة نقطة وسط من غربيها النيل الاعظم ومن شرقيها الخليج ومن قبليها البركة المعروفة ببطن البقرة والبساتين التي آخرها حيث الآن باب مصر بجوار الكبارة وحيث المشهد النفيسى ومن بحريها أرض البعل ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمس وجوه وقبة الهواء فكانت رؤية هذه الارض شيئاً عجيبا فى أيام الربيع وفيها يقول سيف الدين على بن قزل المشد

الى طبالة يعزون أرضها * لها من سندس الريحان بسط
وقد كتب الشقيق بها سطوراً * وأحسن شكلها للطل نقط
رياض كالعرائس حين تجلي * يزين وجهها تاج وقرط

وانما قيل لها أرض الطبالة لان الامير أبا الحارث ارسلان البساسيرى لما غاضب الخليفة القائم بأمر الله العباسي وخرج من بغداد يريد الانتماء الى الدولة الفاطمية بالقاهرة

أمده الخليفة المستنصر بالله ووزيره الناصر لدين الله عبد الرحمن البازورى حتى استولى على بغداد وأخذ قصر الخلافة وأزال دولة بنى العباس منها وأقام الدولة الفاطمية هناك وسير عمامة القائم وثيابه وشباكه الذى كان اذا جلس يستند اليه وغير ذلك من الاموال والتحف الى القاهرة فى سنة خمسين وأربعمائة فلما وصل ذلك الى القاهرة سر الخليفة المستنصر سروراً عظيما وزينت القاهرة والقصور ومدينة مصر والجزيرة فوقفت نسب طبالة المستنصر وكانت امرأة مرجلة تقف تحت القصر في المواسم والاعياد وتسير أيام الموكب وحولها طائفتها وهى تضرب بالطبل وتنشد فأنشدت وهى واقفة تحت القصر

يا بنى العباس ردوا * ملك الامر معد * ملككم ملك معار * والعوارى تسترد

فأعجب المستنصر ذلك منها وقال لها تمنى فسألت أن تقطع الارض المجاورة للمقس فأقطعها هذه الارض وقيل لها من حينئذ أرض الطبالة وأنشأت هذه الطبالة تربة بالقرافة الكبري تعرف بتربة نسب قال ابن عبد الظاهر أرض الطبالة منسوبة الى امرأة مغنية تعرف بنسب وقيل بطرب مغنية المستنصر قال فوهبها هذه الارض المعروفة بأرض الطبالة وحكرت وبنيت آدرا وبيوتا وكانت من ملح القاهرة وبهجتها انتهى ثم ان أرض الطبالة خربت في سنة ست وتسعين وستمائة عند حدوث الغلاء والوباء في سلطنة الملك العادل كتبغا حتي لم يبق فيها انسان يلوح وبقيت خراباً الى ما بعد سنة احدى عشرة وسبعمائة فشرع الناس فى سكناها قليلا قليلا فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة كانت هذه الارض بيد الامير بكتمر الحاجب فما زال بالمهندسين حتى مروا بالخليج من عند الجرف على بركة الطوابين التى تعرف اليوم ببركة الحاجب وبركة الرطلى فمروا به من هناك حتي صب في الخليج الكبير من آخر أرض الطبالة فعمر الامير بكتمر المذكور هناك القنطرة التي تعرف بقنطرة الحاجب على الخليج الناصري وأقام جسرا من القنطرة المذكورة الى قريب من الجرف فصار هذا الجسر فاصلا بين بركة الحاجب والخليج الناصرى وأذن للناس في تحكيره فبنوا عليه وعلى البركة الدور وعمرت بسبب ذلك أرض الطبالة وصار بها عدة حارات منها حارة العرب وحارة الاكراد وحارة البزازرة وحارة العياطين وغير ذلك وبقي فيها عدة أسواق وحمام وجوامع تقام بها الجمعة وأقبل الناس على التنزه بها أيام النيل والربيع وكثرت الرغبات فيها لقربها من القاهرة وما برحت على غاية من العمارة الى أن حدث الغلاء في سنة سبع وسبعين وسبعمائة أيام الاشرف شعبان بن حسين فخرب كثير من حارات أرض الطبالة وبقيت منها بقية الى أن دثرت منذ سنة ست وثمانمائة وصارت كيماناً وبقي فيها من العامر الآن الاملاك المطلة على البركة التي ذكرت عند ذكر البرك من هذا الكتاب وفيها بقعة تعرف بالجنينة تصغير جنة من أخبث بقاع الارض يعمل

فيها بمعاصي الله عز وجل وتعرف ببيع الحشيشة التي يبتلعها أراذل الناس وقد فشت هـذه الشجرة الخبيثة فى وقتنا هـذا فشوا زائدا وولع بها أهل الخلاعـة والسخف ولوعا كثيرا وتظاهروا بها من غير احتشام بعد ما أدركناها تعد من أرذل الخبائث وأقبح القاذورات وما شيء في الحقيقة أفسد لطباع البشر منها ولاشتهارها في وقتنا هذا عند الخاص والعـام بمصر والشام والعراق والروم تعين ذكرها والله تعالى أعلم

(ذكر حشيشة الفقراء)

قال الحسن بن محمد في كتاب السوانح الأدبية في مدائح القنبية سألت الشيخ جعفر بن محمد الشيرازي الحيدري ببلدة تسـتر في سنة ثمان وخمسين وستمائة عن السبب في الوقوف على هـذا العقار ووصوله الي الفقراء خاصة وتعديه الى العوام عامة فذكر لى أن شيخه شيخ الشيوخ حيدرا رحمه الله كان كثير الرياضة والمجـاهدة قليل الاستعمال للغذاء قد فاق في الزهادة وبرز في العبادة وكان مولده بنشاور من بلاد خراسان ومقامـه بجبل بين نشاور ومارماه وكان قد اتخذ بهذا الجبل زاوية وفي صحبته جماعة من الفقراء وانقطع في موضع منها ومكث بها أكثر من عشر سنين لا يخرج منها ولا يدخل عليه أحد غيرى للقيام بخدمته قال ثم ان الشيخ طلع ذات يوم وقد اشتد الحر وقت القائلة منفردا بنفسه الى الصحراء ثم عاد وقد علا وجهـه نشاط وسرور بخلاف ماكنا نعهده من حاله قبل وأذن لاصحـابه فى الدخول عليه وأخذ يحادثهم فلما رأينا الشيخ على هذه الحالة من المؤانسة بعد اقامته تلك المدة الطويلة في الخلوة والعزلة سألناه عن ذلك فقال بينما أنا في خلوتى اذ خطر ببالى الخروج الى الصحراء منفردا فخرجت فوجدت كل شيء من النبات ساكنا لا يتحرك لعدم الريح وشدة القيظ ومررت بنبات له ورق فرأيته في تلك الحال يميس بلطف ويتحرك من غير عنف كالثمل النشوان فجعلت أقطف منه أوراقا وآكلها فحدث عندى من الارتياح ما شاهدتموه وقوموا بنا حتى أوقفكم عليه لتعرفوا شـكله قال فخرجنا الى الصحراء فأوقفنا على النبات فلما رأيناه قلنا هذا نبات يعرف بالقنب فأمرنا أن نأخذ من ورقه ونأكله ففعلنا ثم عدنا الى الزاوية فوجدنا فى قلوبنا من السرور والفرح ما عجزنا عن كتمانه فلما رآنا الشيخ على الحالة التي وصفنا أمرنا بصيانة هذا العقار وأخذ علينا الايمان أن لا نعلم به أحدا من عوام الناس وأوصانا أن لا نخفيه عن الفقراء وقال ان الله تعالى قد خصكم بسر هذا الورق ليذهب بأكله همومكم الكثيفة ويجلو بفعله أفـكاركم الشريفة فراقبوه فيما أودعكم وراعوه فيما استرعاكم قال الشيخ جعفر فزرعتها بزاوية الشيخ حيدر بعد أن وقفنا على هذا السر فى حياته وأمرنا بزرعها حول ضريحه بعد وفاته وعاش الشيخ حيدر بعد ذلك عشر سنين وأنا فى خدمته لم أره يقطع أكلها فى كل يوم وكان يأمرنا بتقليل الغذاء وأكل

هذه الحشيشة وتوفى الشيخ حيدر سنة ثمان عشرة بزاويته فى الجبل وعمل على ضريحه قبة عظيمة وأتته النذور الوافرة من أهل خراسان وعظموا قدره وزاروا قبره واحترموا أصحابه وكان قد أوصى أصحابه عند وفاته أن يوقفوا ظرفاء أهل خراسان وكبراءهم على هذا العقار وسره فاستعملوه .قال ولم تزل الحشيشة شائعة ذائعة في بلاد خراسان ومعاملات فارس ولم يكن يعرف أكلها أهل العراق حتى ورد اليها صاحب هرمز ومحمد بن محمد صاحب البحرين وهما من ملوك سيف البحر المجاور لبلاد فارس في أيام الملك الامام المستنصر بالله وذلك في سنة ثمان وعشرين وستمائة فحملها أصحابهما معهم وأظهروا للناس أكلها فاشتهرت بالعراق ووصل خبرها الى أهل الشام ومصر والروم فاستعملوها قال وفي هذه السنة ظهرت الدراهم ببغداد وكان الناس ينفقون القراضة وقد نسب اظهار الحشيشة الى الشيخ حيدر الاديب محمد بن علي بن الاعمى الدمشقي فى أبيات وهي

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر * معنبرة خضراء مثل الزبرجد
يعاطيكها ظبي من الترك اغيد * يميس على غصن من البان املد
فتحسبها في كفه اذ يديرها * كرقم عذار فوق خد مورد
يرنحها أدنى نسيم تنسمت * فتهفو الى برد النسيم المردد
وتشدو على أغصانها الورق في الضحى * فيطربها سجع الحمام المغرد
وفيها معان ليس في الخمر مثلها * فلا تستمع فيها مقال مفند
هي البكر لم تنكح بماء سحابة * ولا عصرت يوما برجل ولا يد
ولا عبث القسيس يوما بكأسها * ولا قربوا من دنها كل مقعد
ولا نص في تحريمها عند مالك * ولا حد عند الشافعي وأحمد
ولا أثبت النعمان تنجيس عينها * فخذها بحد المشرفي المهند
وكف أكف الهم بالكف واسترح * ولا تطرح يوم السرور الى غد

وكذلك نسب اظهارها الى الشيخ حيدر الاديب أحمد بن محمد بن الرسام الحلبي فقال

ومهفهف بادى النفار عهدته * لا ألتقيه قط غير معبس
فرأيته بعض الليالى ضاحكا * سهل العريكة ريضا في المجلس
فقضيت منه مآربي وشكرته * اذ صار من بعد التنافر مؤنسي
فأجابني لا تشكرن خلائقي * واشكر شفيعك فهو خمر المفلس
فحشيشة الافراح تشفع عندنا * للعاشقين ببسطها للانفس
واذا هممت بصيد ظبي نافر * فاجهد بأن يرعى حشيش القنبس
واشكر عصابة حيدر اذ أظهروا * لذوى الخلاعة مذهب المتخمس

ودع المطـل للسرور وخاني * من حسن ظن الناس بالمتمس

وقد حدثني الشيخ محمد الشيرازى القاندرى أن الشيخ حيدرا لم يأ كل الحشيشـة في عمره البتة وانما عامة أهل خراسان نسبوها اليه لاشتهار أصحابه بها وان اظهارهـا كان قبل وجوده بزمان طويل وذلك انه كان بالهنـد شيخ يسمى بيرطن هو أول من أظهر لاهل الهند أ كلها ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك ثم شاع أمرها في بلاد الهند حـتي ذاع خبرها ببلاد اليمن ثم فشا الى أهل فارس ثم ورد خبرها الى أهل العراق والروم والشـام ومصر في السنة التي قدمت ذ كرها * قال وكان بيرطن في زمن الا كاسرة وأدرك الاسلام وأسلم وان الناس من ذلك الوقت يستعملونها وقد نسب اظهارها الى أهل الهند على بن مكي في أبيات أنشدنيها من لفظه وهى

الافا كفف الاحزان عنى مع الضر * بعذراء زفت في ملاحفها الخضر
تجلت لنا لمـا تحلت بسندس * فجلت عن التشبيه في النظم والنثر
بدت تملأ الابصار نورا بحسنهـا * فأخجلن نور الروض والزهر بالزهر
عروس يسر النفس مكنون سرها * وتصبح في كل الحواس اذا تسرى
فللذوق منها مطعم الشهد رائقا * وللشم منها فائق المسك بالنشر
وفى لونها للطرف أحسن نزهة * يميل الى رؤياه من سائر الزهر
تركب من قان وأبيض فانثنت * تتيه على الازهـار عالية القدر
فيكسف نور الشمس حمرة لونها * وتخجل من مبيضه طلعة البدر
علت رتبة في حسنها وكأنها * زبرجد روض جاده وابل القطر
تبدت فأبدت ما أجن من الهوى * وجاءت فولت جند همي والفكر
جميلة اوصـاف جليلة رتبة * تعالت فعالى في مدائحها شعرى
فقم فانتقف جيش الهم واكفف بدالعنا * بهندية امضى من البيض والسمر
بهندية فى اصل اظهار أ كلها * الى الناس لاهندية اللون كالسمر
تزيل لهيب الهم عنا بأ كلها * وتهدى لنا الافراح في السر والجهر

قال وأنا أقول انه قديم معروف منذ أوجد الله تعالى الدنيا وقد كان على عهد اليونانيين والدليل على ذلك ما نقله الاطباء في كتبهم عن بقراط وجالينوس من مزاج هـذا العقار وخواصه ومنافعه ومضاره قال ابن جزلة في كتاب منهاج البيان القنب الذى هو ورق الشهدانج منه بستاني ومنه برى والبستاني اجوده وهو حار يابس في الدرجة الثالثة وقيل حرارته في الدرجة الاولى ويقال انه بارد يابس في الدرجة الاولى والبرى منه حار يابس في الدرجة الرابعة قال ويسمى بالـكنف أنشدني تقى الدين الموصلي

كف كف الهموم بالكف فالكف * شفاء للعاشق المهموم
بابنة القنب الكريمة لا بابـ * ـنة كرم بعد البنت الكروم

قال والفقراء انما يقصدون استعماله مع ما يجدون من اللذة تجفيفا للمنى وفي ابطاله قطع الشهوة الجماع كي لا تميل نفوسهم الى ما يوقع في الزنا وقال بعض الاطباء ينبغى لمن يأ كل الشهدانج أو ورقه أن يأكله مع اللوز أو الفستق أو السكر أو العسل أو الخشخاش ويشرب بعده السكنجبين ليدفع ضرره واذا قلى كان أقل لضرره ولذلك جرت العادة قبل أكله أن يقلى واذا أكل غير مقلى كان كثير الضرر وأمزجة الناس تختلف في اكله فمنهم من لا يقدر أن يأكله مضافا الى غيره ومنهم من يضيف اليه السكر أو العسل أو غيره من الحلاوات وقرأت فى بعض الكتب أن جالينوس قال انها تبرئ من التخمة وهى جيدة للهضم وذكر ابن جزلة فى كتاب المنهاج أن بزر شجر القنب البستانى هو الشهدانج وثمره يشبه حب السمنة وهو حب يعصر منه الدهن وحكي عن حنين بن اسحاق أن شجرة البري تخرج فى القفار المنقطعة على قدر ذراع وورقه يغلب عليه البياض وقال يحي بن ماسويه في كتاب تدبير أبدان الاصحاء أن من غلب على بدنه البلغم ينبغى أن تكون أغذيته مسخنة مجففة كالزبيب والشهدانج وقال صاحب كتاب اصلاح الادوية ان الشهدانج يدر البول وهو عسر الانهضام ردىء الخلط للمعدة قال ولم أجد لازالة الزفر من اليد أبلغ من غسلها بالحشيشة ورأيت من خواصها أن كثيرا من ذوات السموم كالحية ونحوها اذا شمت ريحها هربت ورأيت أن الانسان اذا أكلها ووجد فعلها في نفسه وأحب أن يفارقه فعلها قطر في منخريه شيئاً من الزيت وأكل من اللبن الحامض ومما يكسر قوة فعلها ويضعفه السباحة في الماء الجارى والنوم يبطله * قال مؤلفه رحمه الله تعالى دع نزاهة القوم فما بلى الناس بأفسد من هذه الشجرة لاخلاقهم ولقد حدثنى القاضى الرئيس تاج الدين اسماعيل بن عبد الوهاب ابن الخطباء المخزومي قبل اختلاطه عن الرئيس علاء الدين بن نفيس أنه سئل عن هذه الحشيشة فقال اعتبرتها فوجدتها تورث السفالة والرذالة وكذلك جربنا فى طول عمرنا من عاناها فانه ينحط فى سائر أخلاقه الى مالا يكاد أن يبقى له من الانسانية شيء ألبتة وقد قال ابن البيطار في كتاب المفردات ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب الهندي ولم أره بغير مصر ويزرع في البساتين ويقال له الحشيشة عندهم أيضاً وهو يسكر جدا اذا تناول منه الانسان قدر درهم أو درهمين حتي ان من أكثر منه يخرجه الى حد الرعونة وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال الى الجنون وربما قتلت ورأيت الفقراء يستعملونها على أنحاء شتي فمنهم من يطبخ الورق طبخاً بليغا ويدعكه باليد دعكا جيدا حتى يتعجن ويعمل منه أقراصاً ومنهم من يجففه قليلا ثم يحمصه ويفركه باليد ويخلط به قليل سمسم مقشور وسكر

ويسفه ويطيل مضغه فانهم يطربون عليه ويفرحون كثيراً وربما أسكرهم فيخرجون به الى الجنون أو قريب منه وهذا ماشاهدته من فعلها واذا خيف من الاكثار منه فليبادر الى القئ بسمن وماء سخن حتى تنقى منه المعدة وشراب الحماض لهم في غاية النفع فانظر كلام العارف فيها واحذر من افساد بشريتك وتلاف أخلاقك باستعمالها ولقد عهدناها وما يرمى بتعاطيها الا أراذل الناس ومع ذلك فيأنفون من انتسابهم لها لما فيها من الشنعة وكان قد تتبع الامير سودون الشيخوني رحمه الله الموضع الذى يعرف بالجنينة من أرض الطبالة وباب اللوق وحكر واصل ببولاق وأتلف ماهنا لك من هذه الشجرة الملعونة وقبض على من كان يبتلعها من أطراف الناس ورذلائهم وعاقب على فعلها بقلع الاضراس فقلع أضراس كثير من العامة فى نحو سنة ثمانين وسبعمائة وما برحت هذه الخبيثة تعد من القاذورات حتى قدم سلطان بغداد أحمد بن أويس فاراً من تيمورلنك الى القاهرة فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة فتظاهر أصحابه بأكلها وشنع الناس عليهم واستقبحوا ذلك من فعلهم وعابوه عليهم فلما سافر من القاهرة الى بغداد وخرج منها ثانياً وأقام بدمشق مدة تعلم أهل دمشق من أصحابه التظاهر بها * وقدم الى القاهرة شخص من ملاحدة العجم صنع الحشيشة بعسل خلط فيها عدة أجزاء مجففة كعرق اللفاح ونحوه وسماها العقدة وباعها بخفية فشاع أكلها وفشا فى كثير من الناس مدة أعوام فلما كان فى سنة خمس عشرة وثمانمائة شنع التجاهر بالشجرة الملعونة فظهر أمرها واشتهر أكلها وارتفع الاحتشام من الكلام بها حتى لقد كادت أن تكون من تحف المترفين وبهذا السبب غلبت السفالة على الاخلاق وارتفع ستر الحياء والحشمة من بين الناس وجهروا بالسوء من القول وتفاخروا بالمعايب وانحطوا عن كل شرف وفضيلة وتحلوا بكل ذميمة من الاخلاق ورذيلة فلولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ولولا الحس لما حكمت عليهم بالحيوانية وقد بدا المسخ فى الشمائل والاخلاق المنذر بظهوره على الصور والذوات عافانا الله تبارك وتعالى من بلائه وأرض الطبالة الآن بيد ورثة الحاجب

(ذكر أرض البعل والتاج)

قال ابن سيده البعل الارض المرتفعة التى لا يصيبها المطر الا مرة واحدة في السنة وقيل البعل كل شجر أو زرع لا يسقى وقيل البعل ما سقته السماء وقد استبعل الموضع والبعل من النخل ما شرب بعروقه من غير سقى ولا ماء سماء وقيل هو ما اكتفى بماء السماء والبعل ما أعطى من الاتاوة على سقى النخل واستبعل الموضع والنخل صار بعلا وأرض البعل هذه بجانب الخليج تتصل بأرض الطبالة كانت بستانا يعرف بالبعل وفيه منظرة أنشأه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وجعل على هذا البستان سورا والى جانب بستان البعل هذا بستان التاج وبستان الخمس وجوه وقد ذكرت مناظر هذه البساتين وما كان فيها

للخلفاء الفاطميين من الرسوم عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وأرض البعل فى هذا الوقت مزرعة تجاه قنطرة الاوز التى على الخليج يخرج الناس للتنزه هناك أيام النيل وأيام الربيع وكذلك أرض التاج فانها اليوم قد زالت منها الاشجار واستقرت من أراضى المنية الخراجية وفي أيام النيل ينبت فيها نبات يعرف بالبشنين له ساق طويل وزهره شبه اللينوفر واذا أشرقت الشمس انفتح فصار منظراً أنيقا واذا غربت الشمس انضم ويذكر أن من العصافير نوعاصغيرا يجلس العصفور منه فى داخل البشنينة فاذا أقبل الليل انضمت عليه وغطست فى الماء فبات فى جوفها آمنا الى أن تشرق الشمس فتصعد البشنينة وتنفتح فيطير العصفور وهو شيء مابرحنا نسمعه وهذا البشنين يصنع من زهره دهن يعالج به في البرسام وترطيب الدماغ فينجع وأصله يعرف بالبيارون يجمعه الاعراب ويأكلونه نيأ ومطبوخا وهو يميل الى الحرارة يسيرا ويزيد في الباه ويسخن المعدة ويقويها ويقطع الزحير ذكر ذلك ابن البيطار فى كتاب المفردات وفي أيام الربيع تزرع هذه الاراضى فتذكر بحسنها ونضارتها جنة الخلد التى وعد المتقون وأدركت بهذه الارض بقايا نخل وأشجار وقد تلفت

(ذكر ضواحي القاهرة)

قال ابن سيده ضواحي كل شيء نواحيه البارزة للشمس والضواحي من النخل ما كان خارج السور على صفة عالية لانها تضحي للشمس وفى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لاهل بدر لكم الصامتة من النخل ولنا الضاحية من البعل يعنى بالصامتة ما أطاف به سور المدينة وضواحي الروم ما ظهر من بلادهم وبرز ويقال فى زماننا لما خرج عن القاهرة مما هو فى جنبتي الخليج من القرى ضواحى القاهرة وقد عرفت أصل ذلك من اللغة وتعرف البلاد التي من الضواحي فى غربى الخليج بالحبس الجيوشي وهى بهتين والاميرية والمنية وكان أيضاً بناحية الجيزة من جملة الحبس الجيوشى ناحية سفط ونهيا ووسيم حبس هذه البلاد أمير الجيوش بدر الجمالى على عقبه * فلما زالت الدولة الفاطمية جعل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الاسطول لاخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب وسلمه له فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة وأفرد لديوان الاسطول من الابواب الديوانية الزكاة التى كانت تجبى من الناس بمصر والحبس الجيوشى بالبرين والنطرون والخراج وما معه من ثمن القرظ وساحل السنط والمراكب الديوانية واشناوطنتدي وأخيل ورثة أمير الجيوش على غير الحبس الذى لهم ثم أفتى الفقهاء ببطلان الحبس وقبضت النواحي وصارت من جملة أموال الخراج فعرفت ببلاد الملك وهذه الضواحى الآن منها ماهو وقف ومنها ماهو في الديوان السلطانى وخراجها يتميز على غيرها من النواحى ويزرع اكثرها من الكتان والمقاثى وغيرها .

(ذكر منية الامراء)

قال ياقوت فى كتاب المشترك المنية ثلاثة وأربعون موضعا وجميعها بمصر غير واحدة وبمصر من القرى المسماة بهذا الاسم ما يقارب المائتين قال ومنية الشيرج ويقال لها منية الامير ومنية الامراء بليدة فيها أسواق على فرسخ من القاهرة فى طريق الاسكندرية وذكر الشريف محمد ابن اسعد الجوانى النسابة أن قتلى أهل الشام الذين قتلوا فى وقعة الخندق بين مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن جحدم أمير مصر فى سنة خمس وستين من الهجرة دفنوا حيث موضع منية الشيرج هذه وكانوا نحوا من الثمانمائة * وقال ابن عبد الظاهر منية الامراء من الحبس الجيوشى الشرقي الذى كان حبسه أمير الجيوش ثم ارتجع وفى كل سنة يأكل البحر منها جانبا ويجدد جامعها ودورها حتى صار جامعها القديم ودورها فى بر الجيزة وغلب البحر عليها وهذه المنية من محاسن منتزهات القاهرة وكانت قد كثرت العمائر بها واتخذها الناس منزل قصف ودار لعب ولهو ومغنى صبابات وبها كان يعمل عيد الشهيد الذى تقدم ذكره عند ذكر النيل من هذا الكتاب لقربها من ناحية شبرا وبها سوق في كل يوم أحد يباع فيه البقر والغنم والغلال وهو من أسواق مصر المشهورة وأكثر من كان يسكن بها النصارى وكانت تعرف بعصر الخمر وبيعه حتى انه لما عظمت زيادة ماء النيل فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكانت الغرقة المشهورة وغرقت شبرا والمنية تلف فيها من جرار الخمر ما ينيف على ثمانين ألف جرة مملوأة بالخمر وباع نصرانى واحد مرة في يوم عيد الشهيد بها خمرا باثني عشر ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو الستمائة دينار وكسر منها الامير يلبغا السالمي في صفر سنة ثلاث وثمانمائة ما ينيف على أربعين ألف جرة مملوأة بالخمر وما برحت تغرق في الانيال العالية الى أن عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة الجسر من بولاق الى المنية كما ذكر عند ذكر الجسور من هذا الكتاب فأمن أهلها من الغرق وأدركناها عامرة بكثرة المساكن والناس والاسواق والمناظر وتقصد للنزهة بها أيام النيل والربيع لا سيما فى يومي الجمعة والاحد فانه كان للناس بها فى هذين اليومين مجتمع ينفق فيه مال كثير ثم لما حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة ألح المناسر بالهجوم عليها في الليل وقتلوا من أهلها عدة فارتحل الناس منها وخلت أكثر دورها وتعطلت حتي لم يبق بها سوى طاحون واحدة لطحن القمح بعد ما كان بها ما ينيف على ثمانين طاحونة وبها الآن بقية وهى جارية في الديوان السلطاني المعروف بالمفرد

(ذكر كوم الريش)

هذا اسم لبلد فيما بين أرض البعل ومنية الشيرج كان النيل يمر بغربيها بعد مروره بغربى أرض البعل وأدركت آثار الجروف باقية من غربى البعل وغربى كوم الريش الى أطراف المنية

حتي تغيرت الاحوال من بعد سنة ست وثمانمائة ففاض ماء النيل في ايام الزيادة ونزل في الدرب الذي كان يسلك فيه من أرض الطبالة الى المنية فانقطع هذا الدرب وترك الناس سلوكه وكان كوم الريش من أجل منتزهات القاهرة ورغب أعيان الناس في سكناها للتنزه بها * وأخبرني شيخنا قاضي القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم الحنفي وخال أبي تاج الدين اسماعيل بن أحمد ابن الخطباء انهما أدركا بكوم الريش عدة أمراء يسكنون فيها دائما وانه كان من جملة من يسكن فيها دائما نحو الثمانمائة من الجند السلطاني وأنا أدركت بها سوقا عامرا بالمعايش بأنواعها من المآكل لا أعرف اليوم بالقاهرة مثله في كثرة المآكل وأدركت بها حماما وجامعين تقام بهما الجمعة وموقف مكارية ومنارة لا يقدر الواصف أن يعبر عن حسنها لما اشتملت عليه من كل معنى رائق بهج وما برحت على ذلك الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فطرقها أنواع الرزايا حتى صارت بلاقع وجهلت طرقها وتغيرت معاهدها ونزل بها من الوحشة ما أبكاني وأنشدت في رؤيتها عند ما شاهدتها خرابا

قفرا كأنك لم تكن تلهو بها * في نعمة وأوانس أتراب

وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد

(ذكر بولاق)

قد تقدم في غير موضع من هذا الكتاب أن ساحل النيل كان بالمقس وأن الماء انحسر بعد سنة سبعين وخمسمائة عن جزيرة عرفت بجزيرة الفيل وتقلص ماء النيل عن سور القاهرة الذي ينتهي الى المقس وصارت هناك رمال وجزائر ما من سنة الا وهي تكثر حتى بقي ماء النيل لا يمر بها الا أيام الزيادة فقط وفي طول السنة ينبت هناك البوص والحلفاء وتنزل المماليك السلطانية لرمي النشاب في تلك التلال الرمل فلما كان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة رغب الناس في العمارة بديار مصر لشغف السلطان الملك الناصر بها ومواظبته عليها فكأنما نودي في القاهرة ومصر أن لا يتأخر أحد من الناس عن انشاء عمارة وجدّ الامراء والجند والكتاب والتجار والعامة في البناء وصارت بولاق حينئذ تجاه بولاق التكرور يزرع فيها القصب والقلقاس على ساقية تنقل الماء من النيل حيث جامع الخطيري الآن فعمر هناك رجل من التجار منظرة وأحاط جدارا على قطعة أرض غرس فيها عدة أشجار وتردد اليها للنزهة فلما مات انتقلت الى ناصر الدين محمد بن الجوكندار فعمر الناس بجانبها دوراً على النيل وسكنوا ورغبوا في السكنى هناك فامتدت المناظر على النيل من الدار المذكورة الى جزيرة الفيل وتفاخروا في انشاء القصور العظيمة هناك وغرسوا من ورائها البساتين العظيمة وأنشأ القاضي ابن المغربي رئيس الاطباء بستانا اشتراه منه القاضي كريم الدين ناظر الخاص للامير سيف الدين طشتمر الساقي بنحو مائة ألف درهم فضة وكثر

التنافس بين الناس في هـذه الناحية وعمروها حتي انتظمت العمارة فى الطول على حافة النيل من منية الشيرج الى موردة الحلفاء بجوار الجامع الجديد خارج مصر وعمر في العرض على حافة النيل الغربية من تجاه الخندق بحرىّ القاهرة الى منشاة المهرانى وبقيت هذه المسافة العظيمة كلها بساتين وأحكارا عامرة بالدور والاسواق والحمامات والمساجد والجوامع وغيرها وبلغت بساتين جزيرة الفيـل خاصة ماينيف على مائة وخمسين بستانا بعد ما كانت فى سـنة احدي عشرة وسبعمائة نحو العشرين بسـتانا وأنشأ القاضى الفاضل جلال الدين القزوينيّ وولده عبد الله دارا عظيمة على شاطئ النيل بجزيرة الفيـل عند بستان الامير ركن الدين بيبرس الحاجب وأنشأ الامير عز الدين الخطيرى جامعه ببولاق على النيل وأنشأ بجواره ربعين وأنشأ القاضى شرف الدين بن زنبور بستانا وأنشأ القاضى فخر الدين المعروف بالفخر ناظر الجيش بستانا وحكر الناس حول هذه البساتين وسكنوا هناك ثم حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى سنة خمس وعشرين وسبعمائة فعمر الناس على جانبي هذا الخليج وكان أول من عمر بعد حفر الخليج الناصري المهاميزي أنشأ بستانا ومسجدا هما موجودان الى اليوم وتبعه الناس فى العمارة حتي لم يبق فى جميع هذه المواضع مكان بغير عمارة وبقى من يمر بها يتعجب اذ ما بالعهد من قدم بينا هى تلال رمل وحلافي اذ صارت بساتين ومناظر وقصورا ومساجد وأسواقا وحمامات وأزقة وشوارع وفي ناحية بولاق هذه كان خص الـكيالة الذى يؤخذ فيه مكس الغلة الى أن أبطله الملك الناصر محمد بن قلاوون كما ذكر في الروك الناصرى من هذا الـكتاب ولما كانت سنة ست وثمانمائة انحسر ماء النيل عن ساحل بولاق ولم يزل يبعد حتى صار على ما هو عليه الآن وناحية بولاق الآن عامرة وتزايدت العمائر بها وتجدد فيها عدة جوامع وحمامات ورباع وغيرها

(ذكر ما بين بولاق ومنشأة المهراني)

وكان فيما بين بولاق ومنشأة المهرانى خط فم الخور وخط حكر ابن الاثـير وخط زريبة قوصون وخط الميدان السلطانى بموردة الملح وخط منشأة الـكتبة * فأما فم الخور فـكان فيه من المناظر الجليلة الوصف عدة تشرف على النيل ومن ورائها البساتين ويفصل بين البساتين والدور المطلة على النيل شارع مسلوك وأنشئ هناك حمام وجامع وسوق وقد تقدم ذكر الخور وأنشأ هناك القاضى علاء الدين بن الاثير دارا على النيـل وكان اذ ذاك كاتب السر وبني الناس بجواره فعرف ذلك الخط بحكر ابن الاثير واتصلت العمارة من بولاق الى فم الخور ومن فم الخور الي حكر ابن الاثير وما برح فيه من مساكن الاكابر من الوزراء والاعيان ومن الدور العظيمة ما يتجاوز الوصف * وأما الزريبة فان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما وهب البستان الذى كان بالميدان الظاهرى للامير قوصون أنشأ قدامه

على النيل زريبة ووقفها فعمر الناس هناك حتي انتظمت العمارة من حكر ابن الاثير الى الزريبة وعمر هناك حمام وسوق كبير وطواحين وعدة مساكن اتصلت باللوق * وأما زريبة السلطان فان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما عمر ميدان المهارى المجاور لقناطر السباع الآن أنشأ زريبة في قبلى الجامع الطيبرسى وحفر لاجل بناء هـذه الزريبة البركة المعروفة الآن بالبركة الناصرية حتى استعمل طينها في البناء وأنشأ فوق هـذه الزريبة دار وكالة وربعين عظيمين جعل أحدهما وقفا على الخانقاه التي أنشأها بناحية سرياقوس وأنعم بالآخر على الامير بكتمر الساقى فانشأ الامير بكتمر بجواره حمامين احداهما برسم الرجال والاخرى برسم النساء فكثر بناء الناس فيما هنالك حتى اتصلت العمارة من بحرى الجامع الطيبرسي بزريبة قوصون وصار هناك أزقة وشوارع ودروب ومساكن من وراء المناظر المطلة على النيل تتصل بالخليج وأكثر الناس من البناء في طريق الميدان السلطانى فصارت العمائر منتظمة من قناطر السباع الى الميدان من جهاته كلها وتنافس الناس في تلك الاماكن وتغالوا في أجرها وعمر المكين ابراهيم بن قزوينة ناظر الجيش في قبلى زريبة السلطان حيث كان بستان الخشاب دارا جليلة وعمر أيضاً صلاح الدين الكحال والصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام وعدة من الكتاب فقيل لهذه الخطة منشأة الكتاب وأنشأ فيها الصاحب أمين الدين خانقاه بجوار داره وعمر أيضاً كريم الدين الصغير حتى اتصلت العمارة بمنشأة المهرانى فصار ساحل النيل من خط دير الطين قبلى مدينة مصر الى منية الشيرج بحرى القاهرة مسافة لا تقصر عن أزيد من نصف بريد بكثير كلها منتظمة بالمناظر العظيمة والمساكن الجليلة والجوامع والمساجد والخوانك والحمامات وغيرها من البساتين لا تجد فيما بين ذلك خرابا ألبتة وانتظمت العمارة من وراء الدور المطلة على النيل حتى أشرفت على الخليج فبلغ هـذا البر الغربى من وفور العمارة وكثرة الناس وتنافسهم في الاقبال على اللذات وتأنقهم فى الانهماك فى المسرات ما لا يمكن وصفه ولايتأتى شرحه حتى اذا بلغ الكتاب أجله وحدثت المحن من سـنة ست وثمانمائة وتقاص ماء النيل عن البر الشرقي وكثرت حاجات الناس وضروراتهم وتساهل قضاة المسلمين في الاستبدال فى الاوقاف وبيع نقضها اشترى شخص الربعين والحمامين ودار الوكالة التي ذكرت على زريبة السلطان بجوار الجامع الطيبرسى في سنة سبع وثمانمائة وهدم ذلك كله وباع أنقاضه وحفر الاساسات واستخرج ما فيها من الحجر وعمله جيرا فنال من ذلك ربحا كثيرا وتتابع الهدم في شاطئ النيل وباع الناس أنقاض الدور فرغب في شرائها الامراء والاعيان وطلاب الفوائد من العامة حتى زال جميع ما هنالك من الدور العظيمة والمناظر الجليلة وصار الساحل من منشأة المهرانى الى قريب من بولاق كيمانا موحشة وخرائب مقفرة كأن لم تكن مغني

صبابات وموطن أفراح وملعب أتراب ومرتع غزلان تفتن النساك هناك وتعيد الحليم فيها سفيها سنة الله في الذين خلوا من قبل وانى اذا تذكرت ما صارت اليه أنشد قول عبد الله بن المعتز

سلام على تلك المعاهد والربا * سلام وداع لا سلام قدوم

وصار بهذا العهد مابين أول بولاق من قبليه الى أطراف جزيرة الفيل عامراً من غربيه المفضي الى النيل ومن شرقيه الذى ينتهى الى الخليج الا أن النيل قد نشأت فيه جزائر ورمال بعد بها الماء عن البرّ الشرقيّ وكثر العناء لبعده وفي كل عام تكثر الرمال ويبعد الماء عن البر ولله عاقبة الامور فهذا حال الجهة الغربية من ظواهر القاهرة في ابتداء وضعها والى وقتنا هذا وبقى من ظواهر القاهرة الجهة القبلية والجهة البحرية وفيهما أيضاً عدة أخطاط تحتاج الى شرح وتبيان والله تعالى أعلم بالصواب

(ذكر خارج باب زويلة)

اعلم أن خارج باب زويلة جهتان جهة تلى الخليج وجهة تلى الجبل فأما الجهة التى تلى الخليج فقد كانت عند وضع القاهرة بساتين كلها فيما بين القاهرة الى مصر وعندى فيما ظهر لى أن هذه الجهة كانت فى القديم غامرة بماء النيل وذلك انه لاخلاف بين أهل مصر قاطبة أن الاراضي التى هى من طين ابليز لاتكون الا من أرض ماء النيل فان أرض مصر تربة رملة سبخة وما فيها من الطين طرح يعلوها عند زيادة ماء النيل مما يحمله من البلاد الجنوبية من مسيل الاودية فلذلك يكون لون الماء عند الزيادة متغيرا فاذا مكث على الارض قعد ما كان فى الماء من الطين على الارض فسماه أهل مصر ابليز وعليه تزرع الغلال وغيرها وما لا يشمله ماء النيل من الارض لايوجد فيه هذا الطين البتة وانت ان عرفت أخبار مصر بتأملك ماتضمنه هذا الكتاب ظهر لك أن موضع جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه كان كروما مشرفة على النيل وأن النيل انحسر بعد الفتح عما كان تجاه الحصن الذى يقال له قصر الشمع وعما هو الآن تجاه الجامع وما زال ينحسر شيئاً بعد شئ حتي صار الساحل بمصر من عند سوق المعاريج الآن الى قريب من السبع سقايات وجميع الاراضى التى فيها الآن المراغة خارج مصر الى نحو السبع سقايات وما يقابل ذلك من بر الخليج الغربى كان غامراً بالماء كما تقدم وكان فى الموضع الذى تجاه المشهد المعروف بزيد وتسميه العامة الآن مشهد زين العابدين بساتين شرقيها عند المشهد النفيسى وغربيها عند السبع سقايات منها بساتين عرفت بجنان بني مسكين وعندها بني كافور الاخشيدى داره على البركة التي تجاه الكبش وتعرف اليوم ببركة قارون ومنها بستان يعرف ببستان ابن كيسان ثم صار صاغة وهو الآن يعرف ببستان الطواشى ومنها بستان عرف آخراً بجنان الحارة وهو من حوض الدمياطي الذى بقرب قنطرة السد

الآن الى السبع سقايات وبقرب السبع سقايات بركة الفيل ويشرف على بركة الفيل بساتين من دائرها والى وقتنا هـذا عليها بستان يعرف بالحبانية وهم بطن من درما بن عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن بعل بن عمرو بن الغوث بن طي فدرما فخـذ من طي والحبانيون بطن من درما وبستان الحبانية فصل الناس بينه وبين البركة بطريق تسلك فيها المارة وكان من شرقي بركة الفيل أيضاً بساتين منها بستان سيف الاسلام فيما بين البركة والجبل الذى عليه الآن قلعة الجبل وموضعه الآن المساكن التى من جملتها درب ابن البابا الى زقاق حلب وحوض ابن هنس وعدة بساتين أخر الى باب زويلة* وكذلك شقة القاهرة الغربيـة كانت أيضاً بساتين فموضع حارة الوزيرية الى الكافورى كان ميـدان الاخشيد وبجانب الميدان بستانه الذى يقال له اليوم الكافورى وما خرج عن باب الفتوح الى منية الاصبغ الذى يعرف اليوم بالخندق كان ذلك كله بساتين على حافة الخليج الشرقية وقـد ذكرت هذه المواضع في هذا الكتاب مبينة وعند التأمل يظهر أن الخليج الكبير عند ابتداء حفره كان أوله اما عند مدينة عين شمس أو من بحريها لأجل أن القطعة التي بجانب هذا الخليج من غربيه والقطعة التي هى بشرقيه فيما بين عين شمس وموردة الحلفاء خارج مدينة فسطاط مصر جميعهما طين ابليز والطين المذكور لايكون الا من حيث يمر ماء النيل فتعـين أن ماء النيل كان في القديم على هذه الارض التي بجانبي الخليج فينتج أن أول الخليج كان عند آخر النيل من الجهة البحرية وينتهى الطين الى نحو مدينة عين شمس من الجانب الشرقى ويصير مابعد الخندق فى الجهة البحرية رملا لاطين فيه وهذا بين لمن تأمله وتدبره وفى هذه الجهة التى تلي الخليج خارج باب زويلة حارات قد ذكرت عند ذكر الحارات من هـذا الكتاب وبقيت هناك أشياء نحتاج أن نعرّف بها وهى * (حوض ابن هنس)* وهو حوض ترده الدواب وينقل اليه الماء من بئر وبه صارت تلك الخطـة تعرف وهى تلى حارة حلب ويسلك اليها من جانبه وهو وقف الامير سعد الدين مسعود بن الامير بدر الدين هنس بن عبد الله أحد الحجاب الخاص فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سلخ شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة وعمل بأعلاه مسجداً مرتفعاً وساقية ماء على بئر معـين ومات يوم السبت عاشر شوال سنة سبع وأربعين وستمائة ودفن بجوار الحوض وكان هذا الحوض قد تعطل في عصرنا فجدده الامير تتر أحد الامراء الكبار في الدولة المؤيدية في سنة احدى وعشرين وثمانمائة ومات هنس أمير جندار السلطان الملك العزيز عثمان في سنة احدى وتسعين وخمسمائة * (مناظر الكبش)* هذه المناظر آثارها الآن على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى مشرفة على البركة التي تعرف اليوم ببركة قارون عند الجسر الاعظم الفاصل بين بركة الفيل وبركة قارون أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك

العادل أبي بكر بن أيوب في أعوام بضع وأربعين وستمائة وكان حينئذ ليس على بركة الفيل بناء ولا فى المواضع التى فى بر الخليج الغربى من قنطرة السباع الى المقس سوى البساتين وكانت الارض التي من صليبة جامع ابن طولون الى باب زويلة بساتين وكذلك الارض التي من قناطر السباع الى باب مصر بجوار الكبارة ليس فيها الا البساتين وهذه المناظر تشرف على ذلك كله من أعلى جبل يشكر وترى باب زويلة والقاهرة وترى باب مصر ومدينة مصر وترى قلعة الروضة وجزيرة الروضة وترى بحر النيل الاعظم وبر الجيزة فكانت من أجل منتزهات مصر وتأنق في بنائها وسماها الكبش فعرفت بذلك الى اليوم وما زالت بعد الملك الصالح من المنازل الملوكية وبها أنزل الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسى لما وصل من بغداد الى قلعة الجبل وبايعه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بالخلافة فأقام بها مدة ثم تحول منها الى قلعة الجبل وسكن بمناظر الكبش أيضاً الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان في أول خلافته وفيها أيضاً كانت ملوك حماه من بنى أيوب تنزل عند قدومهم الى الديار المصرية وأول من نزل منهم فيها الملك المنصور لما قدم على الملك الظاهر بيبرس في المحرم سنة ثلاث وسبعين وستمائة ومعه ابنه الملك الافضل نور الدين على وابنه الملك المظفر تقى الدين محمود فعند ماحل بالكبش أتاه الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى بالسماط فمدّه بين يديه ووقف كما يفعل بين يدي الملك الظاهر فامتنع الملك المنصور من الرضا بقيامه على السماط وما زال به حتي جلس ثم وصلت الخلع والمواهب اليه والى ولده وخواصه وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة أنزل بهذه المناظر نحو ثلثمائة من مماليك الاشرف خليل بن قلاوون عند ماقبض عليهم بعد قتل الاشرف المذكور ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون هدم هذه المناظر المذكورة في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وبناها بناء آخر وأجرى الماء اليها وجدّد بها عدة مواضع وزاد فى سعتها وأنشأ بها اصطبلا تربط فيه الخيول وعمل زفاف ابنته على ولد الامير أرغون نائب السلطنة بديار مصر بعد ماجهزها جهازا عظيما منه بشخاناه وداير بيت وستارات طرز ذلك بثمانين ألف مثقال ذهب مصرى سوى مافيه من الحرير وأجرة الصناع وعمل سائر الاوانى من ذهب وفضة فبلغت زنة الاوانى المذكورة مابنيف على عشرة آلاف مثقال من الذهب وتناهي في هذا الجهاز وبالغ فى الانفاق عليه حتي خرج عن الحد في الكثرة فانها كانت أول بناته ولما نصب جهازها بالكبش نزل من قلعة الجبل وصعد الى الكبش وعاينه ورتبه بنفسه واهتم فى عمل العرس اهتماما ملوكياً وألزم الأمراء بحضوره فلم يتأخر أحد منهم عن الحضور ونقط الامراء الاغاني على مراتبهم من أربعمائة دينار كل أمير الى مائتى دينار سوى الشقق الحرير واستمر الفرح ثلاثة أيام بلياليها فذكر الناس حينئذ انه لم يعمل فيما سلف عرس أعظم منه حتى حصل لكل جوقة من جوق

الاغانى اللاتى كن فيه خمسمائة دينار مصرية ومائة وخمسون شقة حرير وكان عـدة جوق الاغانى التى قسم عليهن ثمان جوق من أغانى القاهرة سوى جوق الاغانى السلطانية وأغاني الامراء وعدتهن عشرون جوقة لم يعرف ماحصل لهذه العشرين جوقة من كثرة ماحصل ولما انقضت أيام العرس أنعم السلطان لـكل امرأة من نساء الامراء بتعبية قماش على مقدارها وخلع على سائر أرباب الوظائف من الامراء والـكتاب وغيرهم فكان مهما عظيما تجاوز المصروف فيه حد الكثرة وسكن هذه المناظر أيضاً الامير صرغتمش في أيام السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وعمر الباب الذى هو موجود الآن وبدتي الحجر اللتين بجانبي باب الـكبش بالحدرة ثم ان الامير يلبغا العمرى المعروف بالخاصكي سكنه الى أن قتل في سنة ثمان وستين وسبعمائة فسكنه من بعده الامير اسـتدمر الى أن قبض عليـه الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وأمر بهدم الـكبش فهـدم وأقام خراباً لاساكن فيه الى سنة خمس وسبعين وسبعمائة فحكره الناس وبنوا فيه مساكن وهو على ذلك الى اليوم * (خط درب ابن البابا) هذا الخط يتوصل اليه من تجاه المدرسة البندقـدارية بجوار حمام الفارقاني ويسلك فيه الى خط واسع يشتمل على عدة مساكن جليلة ويتوصل منه الى الجامع الطولوني وقناطر السباع وغير ذلك وكان هذا الخط بستانا يعرف ببستـان أبى الحسين بن مرشد الطائى ثم عرف ببستان نامش ثم عرف أخيراً ببستان سيف الاسلام طغتكين بن أيوب وكان يشرف علي بركة الفيل وله دهاليز واسعة عليها جواسق تنظر الى الجهات الاربع ويقابله حيث الدرب الآن المدرسة البندقدارية وما فى صفها الى الصليبـة بستان يعرف ببستان الوزير ابن المغربي وفيه حمام مليحة ويتصل ببستان ابن المغربي بستان عرف أخيراً ببستان شجر الدر وهو حيث الآن سكن الخلفاء بالقرب من المشهد النفيسى ويتصل ببستان شجر الدر بساتين الى حيث الموضع المعروف اليوم بالـكبارة من مصر ثم ان بستان سيف الاسلام حكره أمير يعرف بعلم الدين الغنمى فبنى الناس فيـه الدور في الدولة التركية وصار يعرف بحكر الغنمي وهو الآن يعرف بدرب ابن البابا وهو الامير الجليـل الكبير جنكلى بن محمد بن البابا بن جنكلى بن خليل بن عبد الله بدر الدين العجلى رأس الميمنة وكبير الامراء الناصرية محمد بن قلاون بعد الامير جمال الدين نائب الـكرك قدم الى مصر في أوائل سنة أربع وسبعمائة بعد ماطلبه الملك الاشرف خليل بن قلاوون ورغب في الحضور الى الديار المصرية وكتب له منشوراً باقطاع جيد وجهزه اليه فلم يتفق حضوره الا فى أيا الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان مقامه بالقرب من آمد فاكرمه وعظمه وأعطاه امرة ولم يزل مكرماً معظماً وفى آخر وقته بعد خروج الامير أرغون النائب من مصر كان السلطان يبعث اليه الذهب مع الامير بكتمر الساقى وغيره ويقول له لاتبس الارض علي هذا ولا تنزله في ديوانك وكان أولا يجلس

رأس الميمنة ثاني نائب الكرك فلما سار نائب الكرك لنيابة طرابلس جلس الامير جنكلي رأس الميمنة وزوج السلطان ابنه ابراهيم بن محمد بن قلاوون بابنة الامير بدر الدين وما زال معظما في كل دولة بحيث ان الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون كتب له عنه الاتابكي الوالدي البدري وزادت وجاهته في أيامه الى أن مات يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجة سنة ست وأربعين وسبعمائة وكان شكلا مليحا حليما كثير المعروف والجود عفيفا لا يستخدم مملوكا أمرد ألبتة واقتصر من النساء على امرأته التي قدمت معه الى مصر ومنها أولاده وكان يحب العلم وأهله ويطارح بمسائل علمية ويعرف ربع العبادات ويجيده ويتكلم على الخلاف فيه ويميل الى الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية ويعادى من يعاديه ويكرم أصحابه ويكتب كلامه مع كثرة الاحسان الى الناس بماله وجاهه وكان ينتسب الى ابراهيم ابن أدهم وهو من محاسن الدولة التركية رحمه الله *(حكر الخازن) هذا المكان فيما بين بركة الفيل وخط الجامع الطولوني كان من جملة البساتين ثم صار اصطبلا للجوق الذى فيه خيول المماليك السلطانية فلما تسلطن الملك العادل كتبغا أخرج منه الخيول وعمله ميداناً يشرف على بركة الفيل في سنة خمس وتسعين وستمائة ونزل اليه ولعب فيه بالاكرة أيام سلطنته كلها الي أن خامه الملك المنصور لاجين وقام في الملك من بعده فأهمل أمره وعمر فيه الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة بيتا فعرف من حينئذ بحكر الخازن وتبعه الناس في البناء هناك وأنشأوا فيه الدور الجليلة فصار من أجل الاخطاط وأعمرها واكثر من يسكن به الامراء والمماليك * (سنجر الخازن) الامير علم الدين الاشرفي أحد مماليك الملك المنصور قلاوون وتنقل في أيام ابنه الملك الاشرف خليل وصار أحد الخزان فعرف بالخازن ثم ولى شد الدواوين مع الصاحب أمين الدين وانتقل منها الى ولاية البهنسا ثم الى ولاية القاهرة وشد الجهات فباشر ذلك بعقل وسياسة وحسن خلق وقلة ظلم ومحبة للستر وتغافل عن مساوى الناس واقالة عثرات ذوى الهيآت مع العصبية والمعرفة وكثرة المال وسعة الحال واقتناء الاملاك الكثيرة ثم انه صرف عن ولاية القاهرة بالامير قدادار في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة فوجد الناس من عزله بقدادار شدة وما زال بالقاهرة الى أن مات ليلة السبت ثامن جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة فوجد له أربعة عشر ألف أردب غلة عتيقة وأموال كثيرة وله من الآثار مسجد بناه فوق درب استجده بحكر الخازن وخانقاه بالقرافة دفن فيها عفا الله عنه *(ربع البزادرة) هذا الربع تحت قلعة الجبل بسوق الخيل عمر بعد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وكان مكانه لا عمارة فيه فبنى الاجناد بجواره عدة مساكن واستجدوا حكرين من جواره فامتدت العمائر الى تربة شجر الدر حيث كان البستان المعروف بشجر الدر وهناك الآن سكن الخلفاء وامتدت

العمائر من تربة شجر الدر الى المشهد النفيسي ومروا من تجاه المشهد بالعمائر الى أن اتصلت بعمائر مصر وباب القرافة *(خط قناطر السباع) كان هذا الخط في أول الاسلام يعرف بالحمراء نزل فيه طائفة تعرف ببني الازرق وبنى روبيل ثم دثرت هذه الخطة وبقيت صحراء فيها ديارات وكنائس للنصارى تعرف بكنائس الحمراء فلما زالت دولة بنى أمية ودخل أصحاب بنى العباس الى مصر فى سنة أثنتين وثلاثين ومائة نزلوا في هذه الخطة وعمروابها فصارت تتصل بالعسكر وقد تقدم خبر العسكر في هذا الكتاب فلما خرب العسكر وصار هذا المكان بساتين وغيرها الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون البركة الناصرية وأنشأ ميدان المهارى والزريبة والربعين بجوار الجامع الطيبرسى على شاطئ النيل بنى الناس فى حكر أقبغا واتصلت العمائر من خط السبع سقايات وخط قناطر السباع حتى اتصلت بالقاهرة ومصر والقرافة وذلك كله من بعد سنة عشرين وسبعمائة *(بئر الوطاويط) هذه البئر أنشأها الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن خترابه لينقل منها الماء الى السبع سقايات التى أنشأها وحبسها لجميع المسلمين التي كانت بخط الحمراء وكتب عليها بسم الله الرحمن الرحيم لله الامر من قبل ومن بعد وله الشكر وله الحمد ومنه المن على عبده جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات وما وفقه له من البناء لهذه البئر وجريانها الى السبع سقايات التي أنشأها وحبسها لجميع المسلمين وحبسه وسبله وقفا مؤبدا لا يحل تغييره ولا العدول بشئ من مائه ولا ينقل ولا يبطل ولا يساق الا الى حيث مجراه الى السقايات المسبلة فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وذلك في سنة خمس وخمسين وثلثمائة وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم * فلما طال الامر خربت السقايات والى اليوم يعرف موضعها بخط السبع سقايات وبنى فوق البئر المذكورة وتولد فيها كثير من الوطاويط فعرفت ببئر الوطاويط ولما أكثر الناس من بناء الاماكن في أيام الناصر محمد بن قلاون عمر هذا المكان وعرف الى اليوم بخط بئر الوطاويط وهو خط عامر فهذا ما في جهة الخليج مما خرج عن باب زويلة * وأما جهة الجبل فانها كانت عند وضع القاهرة صحراء وأول من أعلم انه عمر خارج باب زويلة من هذه الجهة الصالح طلائع بن رزيك فانه أنشأ الجامع الذي يقال له جامع الصالح ولم يكن بين هذا الجامع وبين هذا الشرف الذي عليه الآن قلعة الجبل بناء البتة الا أن هذا الموضع الآن عمل الناس فيه مقبرة فيما بين جامع الصالح وبين هذا الشرف من حين بنيت الحارات خارج باب زويلة فلما عمرت قلعة الجبل عمر الناس بهذه الجهة شيئاً بعد شيء وما برح من بنى هناك يجد عند الحفر رمم الاموات وقد صارت هذه الجهة في الدولة التركية لا سيما بعد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة من أعمر الاخطاط وأنشأ فيها الامراء الجوامع والدور الملوكية

وتجددت هناك عدة أسواق وصار الشارع خارج باب زويلة يفصل بين هذه الجهة وبين الجهة التي من حد الخليج وكلتا هاتين الجهتين الآن عامرة وفي جهة الجبل خط البسطين وخط الدرب الاحمر وخط سوق الغنم وخط جامع الماردينى وخط التبانة وخط باب الوزير وخط المصنع وخط سويقة العزى وخط مدرسة الجاني وخط الرميلة وخط القبيبات وخط باب القرافة

(ذكر خارج باب الفتوح)

اعلم أن خارج باب الفتوح الى الخندق كان كله بساتين وتمتد البساتين من الخندق بحافتي الخليج الى عين شمس فيقابل باب الفتوح من خارجه المنظرة المقدم ذكرها عند ذكر المناظر التي كانت للخلفاء من هذا الكتاب ويلى هذه المنظرة بستان كبير عرف بالبستان الجيوشى أوله من عند زقاق الكحل الى المطرية ويقابله في بر الخليج الغربى بستان آخر يتوصل اليه من باب القنطرة وينتهي الى الخندق وقد ذكر خبر هذين البستانين عند مناظر الخلفاء وكان بين هذين البساتين بستان الخندق وكان على حافة الخليج من شرقيه فيما بين زقاق الكحل وباب القنطرة حيث المواضع التي تعرف اليوم ببركة جناق وبالكداسين الى قريب من حارة بهاء الدين حارة تعرف بحارة البيازرة احتطت فى نحو من سنة عشرين وخمسمائة وكانت مناظرها تشرف على الخليج وبجوارها بستان مختار الصقلي وعرف بعد ذلك ببستان ابن صيرم الذي حكر وبنيت فيه المساكن الكثيرة بعد ذلك وكان أيضاً خارج باب الفتوح حارة الحسينية وهم الريحانية احدى طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين وهذه الحارة اختطت بعد الشدة العظمى التي كانت بمصر في خلافة المستنصر فصارت على يمين من خرج من باب الفتوح الى صحراء الهليلج ويقابلها حارة أخرى تنتهي الى بركة الارمن التي عند الخندق وتعرف اليوم ببركة قراجا وقد ذكرت هذه الحارات عند ذكر حارات القاهرة وظواهرها من هذا الكتاب

(ذكر الخندق)

هذا الموضع قرية خارج باب الفتوح كانت تعرف أولا بمنية الاصبغ ثم لما اختط القائد جوهر القاهرة أمر المغاربة أن يحفروا خندقا من جهة الشام من الجبل الى الابليز عرضه عشرة أذرع في عمق مثلها فبدئ به يوم السبت حادى عشرى شعبان سنة ستين وثلثمائة وفرغ فى أيام يسيرة وحفر خندقا آخر قدامه وعمقه ونصب عليه باب يدخل منه وهو الباب الذى كان على ميدان البستان الذى للاخشيد وقصد أن يقاتل القرامطة من وراء هذا الخندق فقيل له من حينئذ الخندق وخندق العبيد والحفرة ثم صار بستانا جليلا من جملة البساتين السلطانية فى أيام الخلفاء الفاطميين وأدركناها من منتزهات القاهرة

البهجة الى أن خربت * قال ابن عبد الحكم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أقطع ابن سندر منية الاصبغ فحاز لنفسه منها ألف فدان كما حدثنا يحيى بن خالد عن الليث ابن سعد رضى الله عنه ولم يبلغنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقطع أحدا من الناس شيئاً من أرض مصر الا ابن سندر فانه أقطعه منية الاصبغ فلم تزل له حتى مات فاشتراها الاصبغ بن عبد العزيز من ورثته فليس بمصر قطيعة أقدم منها ولا أفضل وكان سبب اقطاع عمر رضى الله عنه ما أقطعه من ذلك كما حدثنا عبدالملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه كان لزنباع بن روح الجذامي غلام يقال له سندر فوجده يقبل جارية له فجبه وجدع أنفه وأذنه فأتى سندر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى زنباع فقال لا تحملوهم من العمل مالا يطيقون وأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون فان رضيتم فأمسكوا وان كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله ومن مثل به أو أحرق بالنار فهو حر وهو مولى الله ورسوله فأعتق سندر فقال أوص بي يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بك كل مسلم فلما توفى رسول الله صلي الله عليه وسلم أتى سندر أبا بكر رضي الله عنه فقال احفظ فيَّ وصية رسول الله صلي الله عليه وسلم فعاله أبو بكر رضى الله عنه حتى توفي ثم أتى عمر رضى الله عنه فقال احفظ فيَّ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه نعم ان رضيت أن تقيم عندى أجريت عليك ما كان يجرى عليك أبو بكر رضى الله عنه والا فانظر أى موضع أكتب لك فقال سندر مصر لانها أرض ريف فكتب له الى عمرو بن العاص احفظ فيه وصية رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما قدم الى عمرو رضى الله عنه أقطع له أرضاً واسعة ودارا فجعل سندر يعيش فيها فلما مات قبضت فى مال الله تعالى قال عمرو بن شعيب ثم أقطعها عبد العزيز بن مروان الاصبغ بعد فهى من خير أموالهم قال ويقال سندر وابن سندر وقال ابن يونس مسروح بن سندر الخصى مولى زنباع بن روح ابن سلامة الجذامي يكني أبا الاسود له صحبة قدم مصر بعد الفتح بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالوصاة فاقطع منية الاصبغ بن عبد العزيز روى عنه أهل مصر حديثين روى عنه مزيد بن عبد الله البزني وربيعة بن لقيط التجيبي ويقال سندر الخصى وابن سندر أثبت توفى بمصر فى أيام عبد العزيز بن مروان ويقال كان مولاه وجده يقبل جارية له فجبه وجدع أنفه وأذنيه فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا ذلك اليه فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زنباع فقال لا تحملوهم يعني العبيد مالا يطيقون وأطعموهم مما تأكلون فذكر الحديث بطوله وذكر عن عثمان بن سويد بن سندر أنه أدرك مسروح بن سندر الذى جدعه زنباع بن روح وكان جده لامه فقال كان ربما تغدى معى بموضع من قرية عثمان واسمها سمسم وكان لابن سندر الى جانبها قرية يقال لها قلون قطيعة وكان له مال

كثير من رقيق وغير ذلك وكان ذا دهاء منكرا جسيما وعمر حتى أدرك زمان عبد الملك ابن مروان وكان لروح(٣) بن سلامة أبى زنباع فورثه أهل التعدد بروح يوم مات وقال القضاعى مسروح بن سندر الخصى ويكنى أبا الاسود له صحبة ويقال له سندر دخل مصر بعد الفتح سنة اثنتين وعشرين وقال الكندى في كتاب الموالى قال أقبل عمرو بن العاص رضى الله عنه يوما يسير وابن سندر معه فكان ابن سندر ونفر معه يسيرون بين يدى عمرو بن العاص رضى الله عنه وأثاروا الغبار فجعل عمرو عمامته على طرف أنفه ثم قال اتقوا الغبار فانه أوشك شيء دخولا وأبعده خروجا واذا وقع على الرئة صار نسمة فقال بعضهم لاولئك النفر تنحوا ففعلوا الا ابن سندر فقيل له ألا تنحي يا ابن سندر فقال عمرو دعوه فان غبار الخصى لا يضر فسمعها ابن سندر فغضب وقال أما والله لو كنت من المؤمنين ما آذيتني فقال عمرو يغفر الله لك أنا بحمد الله من المؤمنين فقال ابن سندر لقد علمت اني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوصى بى فقال أوصى بك كل مؤمن * وقال ابن يونس اصبغ بن عبد العزيز بن مروان ابن الحكم يكنى أبا ريان حكى عنه أبو حبرة عبد الله بن عباد المغافرى وعون بن عبد الله وغيره توفى ليلة الجمعة لاربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين قبل أبيه وقال أبو الفرج على بن الحسين الاصبهانى في كتاب الاغانى الكبير عن الرياشى أنه قال عن سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام أن أبا عذرتها عبد الله بن الحسن بن على ثم خلفه عليها العثمانى ثم مصعب بن الزبير ثم الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان قال وكان يتولى مصر فكتبت اليه سكينة ان مصر أرض وخمة فبنى لها مدينة تسمى بمدينة الاصبغ وبلغ عبد الملك تزوجه اياها فنفس بها عليه وكتب اليه اختر مصر أو سكينة فبعث اليه بطلاقها ولم يدخل بها ومتعها بعشرين ألف دينار قلت في هذا الخبر أوهام منها أن الاصبغ لم يل مصر وانما كان مع أبيه عبد العزيز بن مروان ومنها أن الذى بناه الاصبغ لسكينة منية الاصبغ هذه وليست مدينة ومنها أن الاصبغ لم يطلق سكينة وانما مات عنها قبل أن يدخل عليها وقال ابن زولاق في كتاب اتمام كتاب الكندى في أخبار أمراء مصر وفي شوال يعني من سنة ستين وثلثمائة كثر الارجاف بوصول القرامطة الى الشام ورئيسهم الحسن ابن محمد الاعسم وفي هذا الوقت ورد الخبر بقتل جعفر بن فلاح قتله القرامطة بدمشق ولما قتل ملكت القرامطة دمشق وصاروا الى الرملة فانحاز معاذ بن حيان الى يافا متحصناً بها وفي هذا الوقت تأهب جوهر القائد لقتال القرامطة وحفر خندقا وعمل عليه بابا ونصب عليه بابى الحديد اللذين كانا على ميدان الاخشيد وبنى القنطرة على الخليج وحفر خندق .

(٣) (قوله وكان لروح الخ) هكذا في النسخ وفي بعضها أهل اليعدد بالتحتية وانظر ما معنى هذه العبارة اه

السرى بن الحكم وفرق السلاح على رجال المغاربة والمصريين ووكل بأبي الفضل جعفر ابن الفضل بن الفرات خادما يبيت معه في داره ويركب معه حيث كان وأنفذ الى ناحية الحجاز فتعرف خبر القرامطة وفى ذى الحجة كبس القرامطة القلزم وأخذوا واليها ثم دخلت سنة احدى وستين وثلثمائة وفي المحرم بلغت القرامطة عين شمس فاستعد جوهر للقتال لعشر بقين من صفر وغلق أبواب الطابية وضبط الداخل والخارج وأمر الناس بالخروج اليه وأن يخرج الاشراف كلهم فخرج اليه أبو جعفر مسلم وغيره بالمضارب وفي مستهل ربيع الاول التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة وكان يوم جمعة فقتل من الفريقين جماعة وأسر جماعة وأصبحوا يوم السبت متكافئين ثم غدوا يوم الاحد للقتال وسار الحسن الاعسم بجميع عساكره ومشى للقتال على الخندق والباب مغلق فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب واقتتلوا قتالا شديدا وقتل خلق كثير ثم ولى الاعسم منهزما ولم يتبعه القائد جوهر ونهب سواد الاعسم بالجب ووجدت صناديقه وكتبه وانصرف في الليل على طريق القلزم ونهب بنو عقيل وبنو طى كثيرا من سواده وهو مشغول بالقتال وكان جميع ماجرى على القرمطى بتدبير جوهر وجوائز أنفذها ولو أراد أخذ الاعسم في انهزامه لاخذه ولكن الليل حجز فكره جوهر اتباعه خوفا من الحيلة والمكيدة وحضر القتال خلق من رعية مصر وأمر جوهر بالنداء فى المدينة من جاء بالقرمطى أو برأسه فله ثلثمائة ألف درهم وخمسون خلعة وخمسون سرجا محلي على دوابها وثلاث جوائز ومدح بعضهم القائد جوهرا بأبيات منها

كأن طراز النصر فوق جبينه * يلوح وأرواح الورى بيمينه

ولم يتفق على القرامطة منذ ابتداء أمرهم كسرة أقبح من هذه الكسرة ومنها فارقهم من كان قد اجتمع اليهم من الكافورية والاخشيدية فقبض جوهر على نحو الالف منهم وسجنهم مقيدين وقال ابن زولاق في كتاب سيرة الامام المعز لدين الله ومن خطه نقلت وفى هذا الشهر يعنى المحرم سنة ثلاث وستين وثلثمائة تبسطت المغاربة في نواحي القرافة والمغاير وما قاربها فنزلوا في الدور وأخرجوا الناس من دورهم ونقلوا السكان وشرعوا في السكني في المدينة وكان المعز قد أمرهم أن يسكنوا أطراف المدينة فخرج الناس واستغاثوا بالمعز فأمرهم أن يسكنوا نواحي عين شمس وركب المعز بنفسه حتي شاهد المواضع التي ينزلون فيها وأمر لهم بمال يبنون به وهو الموضع الذى يعرف اليوم بالخندق والحفرة وخندق العبيد وجعل لهم والياً وقاضياً ثم سكن أكثرهم بالمدينة مخالطين لاهل مصر ولم يكن القائد جوهر يسمح لهم سكنى المدينة ولا المبيت بها وحظر ذلك عليهم وكان مناديه ينادي كل عشية لا يبيتن أحد في المدينة من المغاربة • وقال ياقوت منية الاصبغ تنسب الى الاصبغ

ابن عبد العزيز بن مروان ولا يعرف اليوم بمصر موضع يعرف بهذا الاسم وزعموا أنها القرية المعروفة بالخندق قريباً من شرقي القاهرة • وقال ابن عبد الظاهر الخندق هو منية الاصبغ وهو الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان قال مؤلفه رحمه الله وقد وهم ابن عبد الظاهر فجعل أن الخندق احتفره العزيز بالله وانما احتفره جوهر كما تقدم وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز الناس من القاهرة اليها ليتنزهوا بها في أيام النيل والربيع ويسكنها طائفة كبيرة وفيها بساتين عامرة بالنخيل الفخر والثمار وبها سوق وجامع تقام به الجمعة وعليه قطعة أرض من أرض الخندق يتولاها خطيبه فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة خربت قرية الخندق ورحل أهلها منها ونقلت الخطبة من جامعه الى جامع بالحسينية وبقى معطلا من ذكر الله تعالى واقامة الصلاة مدة ثم في شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة هدمه الامير طوغان الدوادار وأخذ عمده وخشبه فلم يبق الا بقية اطلاله وكانت قرية الخندق كأنها من حسنها ضرة لكوم الريش وكانتا تجاهها من شرقيها فخربتا جميعاً *(صحراء الاهليلج) هذه البقعة شرقي الخندق في الرمل واليها كانت تنتهي عمارة الحسينية من جهة باب الفتوح وكان بها شجر الاهليلج الهندى فعرفت بذلك وأظن أن هذا الاهليلج كان من جملة بستان ريدان الذى يعرف اليوم موضعه بالريدانية

(ذكر خارج باب النصر)

أما خارج القاهرة من جهة باب النصر فانه عند ما وضع القائد جوهر القاهرة كان فضاء ليس فيه سوى مصلي العيد الذي بناه جوهر وهذا المصلى اليوم يصلى على من مات فيه وما برح ما بين هذا المصلى وبستان ريدان الذى يعرف اليوم بالريدانية لا عمارة فيه الى أن مات أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة سبع وثمانين وأربعمائة فدفن خارج باب النصر بحرى المصلى وبنى على قبره تربة جليلة وهى باقية الى اليوم هناك فتتابع بناء الترب من حينئذ خارج باب النصر فيما بين التربة الجيوشية والريدانية وقبر الناس موتاهم هناك لا سيما أهل الحارات التي عرفت خارج باب الفتوح بالحسينية وهي الريدانية وحارة البزادرة وغيرها ولم تزل هذه الجهة مقبرة الى ما بعد السبعمائة بمدة فرغب الامير سيف الدين الحاج ال ملك في البناء هناك وأنشأ الجامع المعروف به فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وعمر داراً وحماماً فاقتدى الناس به وعمروا هناك وكان قد بنى تجاه المصلى قبل ذلك الامير سيف الدين كهرداس المنصورى دارا تعرف اليوم بدار الحاجب فسكن فى هذه الجهة أمراء الدولة وعملوا فيما بين الريدانية والخندق مناخات الجمال وهى باقية هناك فصارت هذه الجهة في غاية العمارة وفيها من باب النصر الى الريدانية سبعة أسواق جليلة يشتمل كل سوق منها على عدة حوانيت كثيرة فمنها سوق اللفت وهو تجاه باب بيت الحاجب الآن عند البئر كان فيه من جانبيه

حوانيت يباع فيها اللفت ومن هذا السوق يشتري أهل القاهرة هـذا الصنف والـكرنب وتعرف هذه البئر الى اليوم ببئر اللفت ويليها سويقة زاوية الخدام وأدركت بهـذه السويقة بقية صالحة ويلى ذلك سوق جامع ال ملك وكان سوقا عامراً فيه غالب ما يحتاج اليه من المآكل والادوية والفواكه والخضر وغيرها وأدركته عامرا ويليه سويقة السنابطة عرفت بقوم من أهل ناحية سنباط سكنوا بها وكانت سوقا كبيرا وأدركته عامرا ويليها سويقة أبي ظهير وأدركتها عامرة ويليها سويقة العرب وكانت تتصل بالريدانية وتشتمل على حوانيت كثيرة جدا أدركتها عامرة وليس فيها اسكان وكانت كلها من لبن معقود عقودا وكان بأول سويقة العرب هذه فرن أدركته عامرا آهلا بلغني أنه كان يخبز فيه أيام عمارة هذا السوق وماحوله كل يوم نحو السبعة آلاف رغيف وكان من وراء هذا السوق أحواش فيهـا قباب معقودة من لبن أدركتها قائمة وليس فيها سكان وكان من جملة هذه الاحواش حوش فيه أربعمائة قبة يسكن فيها البزادرة والمكارية أجرة كل قبة درهمان في كل شهر فيتحصل من هـذا الحوش في كل شهر مبلغ ثمانمائة درهم فضة وكان يعرف بحوش الاجمدى فلما كان الغلاء في زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين سنة سبع وسبعين وسبعمائة خرب كثير مما كان بالقرب من الريدانية واختلت أحوال هذه الجهة الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فتلاشت وهدمت دورها وبيعت أنقاضها وفيها بقية آئلة الى الدثور

(الريدانية)

كانت بستاناً لريدان الصقلبي أحد خدام العزيز بالله نزار بن المعز كان يحمـل المظلة على رأس الخليفة واختص بالحاكم ثم قتله في يوم الثلاثاء لعشر بقين من ذى الحجة سـنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وريدان ان كان اسما عربيا فانه من قولهم ريح ريدة ورادة وريدانة أى لينة الهبوب وقيل ريح ريدة كثيرة الهبوب

(ذكر الخلجان التى بظاهر القاهرة)

اعلم أن الخليج جمعه خلجان وهو نهر صغير يختلج من نهر كبير أو من بحر وأصل الخلج الانتزاع خلجت الشيء من الشيء اذا انتزعته وبأرض مصر عدة خلجان منها بظاهر القاهرة خليج مصر وخليج فم الخور وخليج الذكر والخليج الناصرى وخليج قنطرة الفخر وسترى من أخبارها ما فيه كفاية ان شاء الله تعالى

(ذكر خليج مصر)

هذا الخليج بظاهر مدينة فسطاط مصر ويمر من غربي القاهرة وهو خليج قديم احتفره بعض قدماء ملوك مصر بسبب هاجر أم اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن صـلوات الله وسلامه عليهما حين أسكنها وابنها اسماعيل خليل الله ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بمكة ثم

تمادت الدهور والاعوام فجدد حفره ثانياً بعض من ملك مصر من ملوك الروم بعد الاسكندر فلما جاء الله سبحانه بالاسلام وله الحمد والمنة وفتحت أرض مصر على يد عمرو بن العاص جدد حفره باشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في عام الرمادة وكان يصب في بحر القلزم فتسير فيه السفن الى البحر الملح وتمر فى البحر الى الحجاز واليمن والهند ولم يزل على ذلك الى أن قدم محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبي طالب بالمدينة النبوية والخليفة حينئذ بالعراق أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فكتب الى عامله على مصر يأمره بطم خليج القلزم حتى لا تحمل الميرة من مصر الى المدينة فطمه وانقطع من حينئذ اتصاله ببحر القلزم وصار على ما هو عليه الآن وكان هذا الخليج أولا يعرف بخليج مصر فلما أنشأ جوهر القائد القاهرة بجانب هذا الخليج من شرقيه صار يعرف بخليج القاهرة وكان يقال له أيضاً خليج أمير المؤمنين يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لانه الذى أشار بتجديد حفره والآن تسميه العامة بالخليج الحاكمي وتزعم أن الحاكم بأمر الله أبا على منصورا احتفره وليس هذا بصحيح فقد كان هذا الخليج قبل الحاكم بمدد متطاولة ومن العامة من يسميه خليج اللؤلؤة أيضاً * وسأقص عليك من أخبار هذا الخليج ما وقفت عليه من الانباء * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه فى أخبار طيطوس بن ماليا ابن كلكن بن خربتا بن ماليق بن تدراس بن صا بن مرقونس بن صا بن قبطيم بن مصر ابن بيصر بن حام بن نوح وجلس على سرير الملك بعد أبيه ماليا وكان جبارا جزياً شديد البأس مهاباً فدخل عليه الاشراف وهنوه ودعوا له فأمرهم بالاقبال على مصالحهم ومابينهم ووعدهم بالاحسان والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام وأن الفراعنة سبعة هو أولهم وأنه استخف بأمر الهياكل والكهنة وكان من خبر ابراهيم عليه السلام معه أن ابراهيم لما فارق قومه اشفق من المقام بالشام لئلا يتبعه قومه ويردوه الى النمرود لانه كان من أهل كوثا من سواد العراق فخرج الى مصر ومعه سارة امرأته وترك لوطا بالشام وسار الى مصر وكانت سارة أحسن نساء وقتها ويقال أن يوسف عليه السلام ورث جزأ من جمالها فلما سار الى مصر رأى الحرس المقيمون على أبواب المدينة سارة فعجبوا من حسنها ورفعوا خبرها الى طيطوس الملك وقالوا دخل الى البلد رجل من أهل الشرق معه امرأة لم ير أحسن منها ولا أجمل فوجه الملك الى وزيره فأحضر ابراهيم صلوات الله عليه وسأله عن بلده فأخبره وقال ماهذه المرأة منك فقال أختى فعرف الملك بذلك فقال مره أن يجئني بالمرأة حتى أراها فعرفه ذلك فامتعض منه ولم تمكنه مخالفته وعلم أن الله تعالى لا يسوؤه في أهله فقال لسارة قومى الى الملك فانه قد طلبك فقالت وما يصنع بى الملك وما رآنى قبل قال أرجو أن يكون لخير فقامت معه حتى أتوا قصر الملك

فأدخلت عليه فنظر منهـا منظرا راعه وفتنته فأمر باخراج ابراهيم عليـه السلام فأخرج وندم على قوله انها أخته وانما أراد انها أخته في الدين ووقع في قلب ابراهيم عليه السلام ما يقع في قلب الرجل على أهـله وتمنى انه لم يدخل مصر فقال اللهم لا تفضح نبيك في أهله فراودها الملك عن نفسها فامتنعت عليه فذهب ليمد يده اليها فقالت انك ان وضعت يدك على أهلـكت نفسك لان لي ربا يمنعني منك فلم يلتفت الى قولها ومد يده اليها فجفت يده وبقي حائرا فقال لها أزيلي عني ما قد أصابني فقالت على أن لا تعاود مثل ما أتيت قال نعم فدعت الله سبحانه وتعالى فزال عنـه ورجعت يده الى حالها فلمـا وثق بالصحة راودها ومناها ووعدها بالاحسان فامتنعت وقالت قد عرفت ما جرى ثم مد يده اليها فجفت وضربت عليه أعضاؤه وعصبه فاستغاث بها وأقسم بالآلهة انها ان أزالت عنه ذلك فانه لا يراودها فسألت الله تعالى فزال عنه ذلك ورجع الى حاله فقال ان لك لربا عظيما لا يضيعك فأعظم قدرها وسألها عن ابراهيم فقالت هو قريبي وزوجي قال فانه قد ذكر أنك أخته قالت صدق أنا أخته في الدين وكل من كان على ديننا فهو أخ لنا قال نعم الدين دينكم ووجه بهـا الى ابنته جوريا وكانت من الـكمال والعقـل بمكان كبير فألقى الله تعالى محبة سارة فى قلبها فكانت تعظمها وأضافتها أحسن ضيافة ووهبت لها جوهرا ومالا فأتت به ابراهيم عليه السلام فقال لها رديه فلا حاجة لنا به فردته وذكرت ذلك جوريا لابيها فعجب منهما وقال هذا كريم من أهل بيت الطهارة فتحيلى في برها بكل حيلة فوهبت لها جارية قبطية من أحسن الجوارى يقال لها آجر وهى هاجر أم اسماعيل عليه السلام وجعلت لها سلالا من الجلود وجعلت فيها زادا وحلوى وقالت يكون هذا الزاد معك وجعلت تحت الحلوى جوهرا نفيسا وحليا مكللا فقالت سارة أشاور صاحبي فأتت ابراهيم عليه السلام واستأذنته فقال اذا كان مأكولا فخذيه فقبلتـه منها وخرج ابراهيم فلما مضى وأمعنوا فى السير أخرجت سارة بعض تلك السلال فأصابت الجوهر والحلى فعرفت ابراهيم عليه السلام ذلك فباع بعضه وحفر من ثمنـه البئر التى جعلها للسبيل وفرق بعضه في وجوه البر وكان يضيف كل من مر به وعاش طيطوس الى أن وجهت هاجر من مكة تعرفه انها بمكان جـدب وتستغيثه فأمر بحفر نهر في شرقي مصر بسفح الجبل حتى ينتهى الى مرقى السفن فى البحر الملح فكان يحمـل اليهـا الحنطة وأصناف الغـلات فتصل الى جدة وتحمل من هناك على المطايا فأحيى بلد الحجاز مدة ويقـال انما حليت الكعبة في ذلك العصر مما أهداه ملك مصر وقيل انه لـكثرة ما كان يحمله طوطيس الى الحجاز سمته العرب وجرهم الصادوق ويقـال انه سأل ابراهيم عليه السلام أن يبارك له فى بلده فدعا بالبركة لمصر وعرفه أن ولده سيملـكها ويصير أمرها اليهم قرنا بعد قرن * وطوطيس أول فرعون كان بمصر وذلك انه أكثر

من القتل حتى قتل قراباته وأهل بيتــه وبنى عمه وخــدمه ونساءه وكثيراً من الكهنة والحكماء وكان حريصاً على الولد فلم يرزق ولدا غير ابنتــه جوريا أو جورياق وكانت حكيمة عاقلة تأخذ على يده كثيرا وتمنعه من سفك الدماء فأبغضته ابنتــه وأبغضه جميع الخاصة والعامة فلما رأت أمره يزيد خافت على ذهاب ملــكهم فسمته وهلك وكان ملــكه سبعين سنة واختلفوا فيمن يملك بعــده وأرادوا أن يقيموا واحدا من ولد اتريب فقام بعض الوزراء ودعا لجورياق فتم لهــا الامر وملــكت فهذا كان أول أمر هــذا الخليج * ثم حفره مرة ثانية ادريان قيصر أحد مــلوك الروم ومن الناس من يسميه اندروياوس ومنهم من يقول هورياوس قال في تاريخ مدينة رومة وولي الملك ادريان قيصر أحد ملوك الروم وكانت ولايته احــدى وعشرين سنة وهو الذى درس اليهود مرة ثانية اذ كانوا راموا النفاق عليه وهو الذى جدد مدينة يروشالم يعنى مدينة القدس وأمر بتبديل اسمها وأن تسمى ايليا وقال علماء أهل الــكتاب عن ادريان هذا وغزا القدس وأخربه في الثانية من ملــكه وكان ملــكه في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة من سنى الاسكندر وقتل عامة أهل القدس وبنى على باب مدينة القدس منارا وكتب عليها هذه مدينة ايليا ويسمى موضع هذا العمود الآن محراب داود ثم سار من القدس الى بابل فحارب ملــكها وهزمه وعاد الى مصر فحفر خليجا من النيل الى بحر القلزم وسارت فيه السفن وبقى رسمه عند الفتح الاسلامى فحفره عمرو بن العاص وأصاب أهل مصر منــه شدائد وألزمهم بعبادة الاصنام ثم عاد الى بلاده بممالك الروم فابتلى بمرض أعيى الاطباء فخرج يسير في البلاد يبتغى من يداويه فمر على بيت المقدس وكان خرابا ليس فيه غير كنيسة للنصارى فأمر ببناء المدينة وحصنها وأعاد اليهــا اليهود فاقاموا بها وملــكوا عليهم رجلا منهم فبلغ ذلك ادريان قيصر فبعث اليهم جيشا لم يزل يحاصرهم حتى مات أكثرهم جوعا وعطشا وأخذها عنوة فقتل من اليهود ما لا يحصى كثرة وأخرب المدينة حتى صارت تلالا لاعامر فيها ألبتة وتتبع اليهود يريد أن لا يدع منهم على وجه الارض أحدا ثم أمر طائفة من اليونانيين فتحولوا الى مدينة القدس وسكنوا فيهــا فــكان بين خراب القدس الخراب الثانى على يد طيطوس وبين هذا الخراب ثلاث وخمسون سنة فعمرت القــدس باليونان ولم يزل قيصر هذا ملــكا حتى مات فهذا خبر حفر هــذا الخليج في المرة الثانية فلما جاء الاسلام جدد عمرو بن العاص حفره * قال ابن عبد الحــكم ذكر حفر خليج أمير المؤمنين رضي الله عنه حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال ان الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في سنة الرمادة فــكتب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص وهو بمصر من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصي بن العاصى سلام أما بعد فلعمرى يا عمرو وما تبالى اذا شبعت

أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معي فياغوثاه ثم ياغوثاه يردد ذلك فكتب اليه عمرو من عبد الله عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين أما بعد فيا لبيك ثم يالبيك قد بعثت اليك بعير أولها عندك وآخرها عندى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فبعث اليه بعير عظيمة فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضا فلما قدمت على عمر رضى الله عنه وسع بها على الناس ودفع الي أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص يقسمونها على الناس فدفعوا الى أهل كل بيت بعيرا بما عليه من الطعام ليأكلوا الطعام ويأتدموا باحمه ويحتذوا بجلده وينتفعوا بالوعاء الذي كان فيه الطعام فيما أرادوا من لحاف أو غيره فوسع الله بذلك على الناس فلما رأي ذلك عمر رضى الله عنه حمد الله وكتب الى عمرو بن العاص أن يقدم عليه هو وجماعة من أهل مصر معه فقدموا عليه فقال عمر يا عمرو ان الله قد فتح على المسلمين مصر وهى كثيرة الخير والطعام وقد ألقى في روعى لما أحببت من الرفق باهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين أن احفر خليجا من نيلها حتي يسيل فى البحر فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام الى المدينة ومكة فان حمله على الظهر يبعد ولا نبلغ به ما نريد فانطلق أنت وأصحابك فتشاوروا في ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم فانطلق عمرو فأخبر من كان معه من أهل مصر فثقل ذلك عليهم وقالوا نتخوف أن يدخل من هذا ضرر على مصر فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له ان هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد اليه سبيلا فرجع عمرو بذلك الى عمر فضحك عمر رضى الله عنه حين رآه وقال والذى نفسى بيده لكأنى أنظر اليك يا عمرو والى أصحابك حين أخبرتهم بما أمرنا به من حفر الخليج فثقل ذلك عليهم وقالوا يدخل من هذا ضرر على أهل مصر فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له ان هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد اليه سبيلا فعجب عمرو من قول عمر وقال صدقت والله يا أمير المؤمنين لقد كان الامر على ما ذكرت فقال له عمر رضى الله عنه انطلق بعزيمة منى حتى تجد في ذلك ولا يأتى عليك الحول حتى تفرغ منه ان شاء الله تعالى فانصرف عمرو وجمع لذلك من الفعلة ما بلغ منه ما أراد ثم احتفر الخليج في حاشية الفسطاط الذى يقال له خليج أمير المؤمنين فساقه من النيل الى القلزم فلم يأتى الحول حتي جرت فيه السفن فحمل فيه ما أراد من الطعام الى المدينة ومكة فنفع الله بذلك أهل الحرمين وسمى خليج أمير المؤمنين ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد عمر بن عبد العزيز ثم ضيعه الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل فانقطع فصار منتهاه الى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم قال ويقال ان عمر رضى الله قال لعمرو حين قدم عليه يا عمرو ان العرب قد تشاءمت بى وكادت

أن تغلب على رحلي وقد عرفت الذي أصابها وليس جند من الاجناد أرجى عندي أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جندك فان استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يغيثهم الله تعالى فقال عمرو ماشئت يا أمير المؤمنين قد عرفت انه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الاسلام فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واستد وتركه التجار فان شئت أن نحفره فننشىء فيه سفنا يحمل فيها الطعام الى الحجاز فعلته فقال عمر رضى الله عنه نعم فافعل فلما خرج عمرو من عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكر ذلك لرؤساء أهل أرضه من قبط مصر فقالوا له ماذا جئت به أصلح الله الامير تريد أن تخرج طعام أرضك وخصبها الى الحجاز وتخرب هذه فان استطعت فاستقل من ذلك فلما ودع عمر رضى الله عنه قال له يا عمرو انظر الى ذلك الخليج ولا تنسين حفره فقال له يا أمير المؤمنين انه قد انسد وتدخل فيه نفقات عظيمة فقال له أما والذي نفسي بيده انى لاظنك حين خرجت من عندى حدثت بذلك أهل أرضك فعظموه عليك وكرهوا ذلك أعزم عليك الا ما حفرته وجعلت فيه سفنا فقال عمرو يا أمير المؤمنين انه متى ما يجد أهل الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة الحجاز لا يخفوا الى الجهاد قال فانى سأجعل من ذلك أمراً لا يحمل في هذا البحر الازرق أهل المدينة وأهل مكة فحفره عمرو وعالجه وجعل فيه السفن قال ويقال ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كتب الى عمرو بن العاص الى العاصى بن العاصى فانك لعمرى لا تبالى اذا سمنت أنت ومن معك أن أعجف أنا ومن معي فياغوثاه وياغوثاه فكتب اليه عمرو أما بعد فيالبيك ثم يا لبيك أتتك عير أولها عندك وآخرها عندى مع انى أرجو أن أجد السبيل الى أن أحمل اليك في البحر ثم ان عمرا ندم على كتابه فى الحمل الى المدينة في البحر وقال ان أمكنت عمر من هذا خرب مصر ونقلها الى المدينة فكتب اليه انى نظرت فى أمر البحر فاذا هو عسر ولا يلتام ولا يستطاع فكتب اليه عمر رضى الله عنه الى العاصى بن العاصى قد بلغني كتابك تعتل فى الذى كنت كتبت الى به من أمر البحر وأيم الله لتفعلن أولا قلعن باذنك ولا بعثن من يفعل ذلك فعرف عمرو أنه الجد من عمر رضي الله عنه ففعل فبعث اليه عمر رضى الله عنه أن لا تدع بمصر شيئاً من طعامها وكسوتها وبصلها وعدسها وخلها الا بعثت الينا منه قال ويقال ان الذى دل عمرو بن العاص على الخليج رجل من القبط فقال لعمرو أرأيت ان دللتك على مكان تجرى فيه السفن حتى تنتهى الى مكة والمدينة اتضع عني الجزية وعن أهل بيتى قال نعم فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه أن افعل فلما قدمت السفن خرج عمر رضى الله عنه حاجا أو معتمرا فقال للناس سيروا بنا ننظر الى السفن التى سيرها الله تعالى الينا من أرض فرعون حتى أتتنا فأتى الجار وقال اغتسلوا من ماء البحر فانه مبارك فلما قدمت السفن الجار وفيها الطعام

صك عمر رضى الله عنــه للناس بذلك الطعام صكوكا فتبايع التجار الصكوك بينهم قبـل أن يقبضوها فلقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه العلاء بن الاسود رضى الله عنـه فقال كم ربح حكيم بن حزام فقـال ابتاع من صكوك الجار بمـائة ألف درهم وربح عليها مائة ألف فلقيه عمر رضي الله عنه فقال له يا حكيم كم ربحت فأخبره بمثل خبر العلاء قال عمر رضى الله عنه فبعته قبل أن تقبضه قال نعم قال عمر رضى الله عنـه فان هذا بيع لا يصح فاردده فقال حكيم ما علمت أن هذا بيع لا يصح وما أقدر على رده فقال عمر رضي الله عنـه لا بد فقـال حكيم والله ما أقدر على ذلك وقد تفرق وذهب ولـكن رأس مالى وربحي صدقة * وقال القضاعى في ذكر الخليج أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنـه عمرو ابن العاص عام الرمادة بحفر الخليج الذى بحاشية الفسطاس الذى يقال له خليج أمير المؤمنين فساقه من النيل الى القلزم فلم يأت عليه الحول حتي جرت فيه السفن وحمل فيه ماأراد من الطعام الى المدينة ومكة فنفع الله تعالى بذلك أهل الحرمين فسمى خليج أمير المؤمنـين * وذكر الـكندي فى كتاب الجند العربى أن عمرا حفره في سنة ثلاث وعشرين وفرغ منه في ستة أشهر وجرت فيـه السفن ووصلت الى الحجاز في الشهر السابع ثم بنى عليه عبـد العزيز بن مروان قنطرة في ولايته على مصر قال ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمـل فيه عمر بن عبد العزيز ثم أضاعته الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل فانقطع وصار منتهاه الى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم وقال ابن قديد أمر أبو جعفر المنصور بسد الخليج حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ليقطع عنه الطعام فسد الى الآن وذكر البلاذرى أن أبا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال يكتب الساعة الى مصر أن تقطع الميرة عن أهل الحرمين فانهم فى مثل الحرجة اذا لم تأتهم الميرة من مصر * وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة لفتح الخليج وهذا الخليج هو الذى حفره عمرو بن العاص لما ولى على مصر في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بحر فسطاط مصر الحلو وألحقه بالقلزم بشاطئ البحر الملح فكانت مسافته خمسة أيام لتقرب معونة الحجاز من ديار مصر في أيام النيل فالمراكب النيلية تفرغ ماتحمله من ديار مصر بالقلزم فاذا فرغت حملت مافي القلزم مما وصل من الحجاز وغيره الى مصر وكان مسلكا للتجار وغـيرهم في وقته المعلوم وكان أول هذا الخليج من مصر يشق الطريق الشارع المسلوك منـه اليوم الى القاهرة حافا بالقربوص الذى على البستان المعروف بابن كيسان مادا وآثاره اليوم مادة باقية الى الحوض المعروف بسيف الدين حسين صهر ابن رزيك والبستان المعروف بالمشتهى وفيه آثار المنظرة التى كانت معدة لجلوس الخليفة لفتح الخليج من هذا الطريق ولم تكن الآدر المبنية على الخليج ولا شئ منها هناك وما برح هذا الخليج منتزها لاهل القاهرة يعـبرون

فيه بالمراكب للنزهة الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج المعروف الآن بالخليج الناصرى * قال المسبحي وفي هذا الشهر يعنى المحرم سنة احدى وأربعمائة منع الحاكم بأمر الله من الركوب في القوارب الى القاهرة في الخليج وشدد في المنع وسدت أبواب القاهرة التي يتطرق منها الى الخليج وأبواب الطاقات من الدور التى تشرف على الخليج وكذلك أبواب الدور والخوخ التي على الخليج * قال القاضى الفاضل في متجددات حوادث سنة أربع وتسعين وخمسمائة ونهى عن ركوب المتفرجين في المراكب في الخليج وعن اظهار المنكر وعن ركوب النساء مع الرجل وعلق جماعة من رؤساء المراكب بأيديهم قال وفي يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان ظهر في هذه المدة من المنكرات مالم يعهد في مصر في وقت من الاوقات ومن الفواحش ماخرج من الدور الى الطرقات وجرى الماء في الخليج بنعمة الله تعالى بعد القنوط ووقوف الزيادة في الذراع السادس عشر فركب أهل الخلاعة وذوو البطالة في مراكب في نهار شهر رمضان ومعهم النساء الفواجر وبأيديهن المزاهر يضربن بها وتسمع أصواتهن ووجوههن مكشوفة وحرفاؤهن من الرجال معهن في المراكب لا يمنعون عنهن الايدى ولا الابصار ولا يخافون من أمير ولا مأمور شيئاً من أسباب الانكار وتوقع أهل المراقبة مايتلو هذا الخطب من المعاقبة * وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون وفي سنة ست وسبعمائة رسم الاميران بيبرس وسلار بمنع الشخاتير والمراكب من دخول الخليج الحاكمي والتفرج فيه بسبب مايحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات اللاتى تجمع الخمر وآلات الملاهى والنساء المكشوفات الوجوه المتزينات بأفخر زينة من كوافي الزركش والقنابيز والحلي المظيم ويصرف على ذلك الاموال الكثيرة ويقتل فيه جماعة عديدة ورسم الاميران المذكوران لمتولى الصناعة بمصر أن يمنع المراكب من دخول الخليج المذكور الا ما كان فيه غلة أو متجرا وما ناسب ذلك فكان هذا معدودا من حسناتهما ومسطوراً في صحائفهما قال مؤلفه رحمه الله تعالى أخبرني شيخ معمر ولد بعد سنة سبعمائة يعرف بمحمد المسعودي انه أدرك هذا الخليج والمراكب تمر فيه بالناس للنزهة وانها كانت تعبر من تحت باب القنطرة غادية ورائحة والآن لايمر بهذا الخليج من المراكب الا مايحمل متاعا من متجر أو نحوه وصارت مراكب النزهة والتفرج انما تمر فى الخليج الناصرى فقط وعلى هذا الخليج الكبير فى زماننا هذا أربع عشرة قنطرة يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى فى القناطر وحافتا هذا الخليج الآن معموتان بالدور وسيأتى ان شاء الله ذكر ذلك فى مواضعه من هذا الكتاب وقال ابن سعد وفيها خليج لايزال يضعف بين خضرتيها حتى يصير كما قال الرصافى

مازالت الأنحاء تأخذه * حتي غدا كذؤابة النجم

وقلت فى نور الكتان الذى على جانبى هذا الخليج

أنظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه باجفان لها حدق
قد سل سيفاً عليه للصبا شطب * فقابلته بأحداق بها ارق
واصبحت في يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فقم نزرها ووجه الارض متضح * أو عند صفرته ان كنت تغتبق

قال وقد ذكر مصر ولا ينكر فيها اظهار أواني الخمر ولا الات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق وعليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمجانة حتي ان المحتشمين والرؤساء لايجيزون العبور به فى مركب وللسرج في جانبيه بالليل منظر فتان وكثيراً مايتفرج فيه أهل الستر وفى ذلك أقول

لاتركبن فى خليج مصر * الا اذا يسدل الظلام
فقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام
صفان للحرب قد أظلا * سلاح ما بينهم كلام
ياسيدى لاتسر اليه * الا اذا هوّم النيام
والليل ستر على التصابى * عليه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليه * منها دنانير لاترام
وهو قد امتد والمباني * عليه في خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا * هناك أثمارها الاثام

وقال ابن عبد الظاهر عن مختصر تاريخ ابن المأمون ان أول من رتب حفر خليج القاهرة على الناس المأمون بن البطائحيّ وكذلك على أصحاب البساتين في دولة الافضل وجعل عليه واليا بمفرده ولله در الاسعد بن خطير المماتي حيث يقول

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائي مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم فى مجره

وقال بهاء الدين أبو الحسن على بن الساعاتي فى يوم كسر الخليج

ان يوم الخليج يوم من الحسـ * ـن بديع المرئي والمسموع
كم لديه من ليث غاب صؤول * ومهاة مثل الغزال المروع
وعلى السد عزة قبل أن تمـ * ـلكه ذلة المحب الخضوع

كسر واجسره هناك فحاكي * كسر قلب يتلوه فيض دموع

* (ذكر خليج فم الخور وخليج الذكر) *

قال ابن سيده في كتاب المحكم في اللغة الخور مصب الماء في البحر وقيل هو خليج من البحر والخور المطمئن من الارض وخليج فم الخور يخرج الآن من بحر النيل ويصب في الخليج الناصرى ليقوي جرى الماء فيه ويغزره وكان قبل أن يحفر الخليج الناصري يمد خليج الذكر وكان أصله ترعة يدخل منها ماء النيل للبستان الذى عرف بالمقسى ثم وسع قال ابن عبد الظاهر وكان يخرج من البحر لمقسى الماء في البرابخ فوسعه الملك الكامل وهو خليج الذكر ويقال ان خليج الذكر حفره كافور الاخشيدى فلما زال البستان المقسي في أيام الخليفة الظاهر بن الحاكم وجعله بركة قدام المنظرة المعروفة باللؤلؤة صار يدخل الماء اليها من هذا الخليج وكان يفتح هذا الخليج قبل الخليج الكبير ولم يزل حتى أمر الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة أربع وعشرين وسبعمائة بحفره فحفر واوصل بالخليج الكبير وشرع الامراء والجند في حفره من أخريات جمادى الآخرة فلما فتح كادت القاهرة أن تغرق فسدت القنطرة التي عليه فهدمها الماء ومن حينئذ عزم السلطان على حفر الخليج الناصرى وأنا أدركت آثاره وفيه ينبت القصب المسمى بالفارسي وأخبرني الشيخ المعمر حسام الدين حسين بن عمر الشهرزورى انه يعرف خليج الذكر هذا وفيه الماء وسبح فيه غير مرة وأراني آثاره وكان الماء يدخل اليه من تحت قنطرة الدكة الآتي ذكرها في القناطر ان شاء الله تعالى وعلى خليج فم الخور الآن قنطرة وعلى خليج الذكر قنطرة يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى عند ذكر القناطر وانما قيل له خليج الذكر لان بعض أمراء الملك الظاهر ركن الدين بيبرس كان يعرف بشمس الدين الذكر الكركي كان له فيه أثر من حفره فعرف به وكان للناس عند هذا الخليج مجتمع يكثر فيه لهوهم ولعبهم * قال المسبحي وفي يوم الثلاثاء لخمس بقين منه يعني المحرم سنة خمس عشرة وأربعمائة كان ثالث الفتح فاجتمع بقنطرة المقس عند كنيسة المقس من النصارى والمسلمين في الخيام المنصوبة وغيرها خلق كثير للاكل والشرب واللهو ولم يزالوا هناك الى أن انقضى ذلك اليوم وركب أمير المؤمنين يعنى الظاهر لاعزاز دين الله أبا الحسن على بن الحاكم بأمر الله في مركبه الى المقس وعليه عمامة شرب مفوطة بسواد وثوب دبيقي من شكل العمامة ودار هناك طويلا وعاد الى قصره سالماً وشوهد من سكر النساء وتهتكهن وحملهن في قفاف الحمالين سكارى واجتماعهن مع الرجال أمر يقبح ذكره .

* (ذكر الخليج الناصري) *

هذا الخليج يخرج من بحر النيل ويصب في الخليج الكبير وكان سبب حفره أن الملك

الناصر محمد بن قلاون لما أنشأ القصور والخانقاه بناحية سرياقوس وجعل هناك ميدانا يسرح اليه وأبطل ميدان القبق المعروف بالميدان الاسود ظاهر باب النصر من القاهرة وترك المسطبة التي بناها بالقرب من بركة الحبش لمطعم الطيور والجوارح اختار أن يحفر خليجاً من بحر النيل لتمر فيه المراكب الى ناحية سرياقوس لحمل مايحتاج اليه من الغلال وغيرها فتقدم الى الامير سيف الدين أرغون نائب السلطنة بديار مصر بالكشف عن عمل ذلك فنزل من قلعة الجبل بالمهندسين وأرباب الخبرة الى شاطئ النيل وركب النيل فلم يزل القوم في فحص وتفتيش الى أن وصلوا بالمراكب الى موردة البلاط من أراضي بستان الخشاب فوجدوا ذلك الموضع أوطأ مكان يمكن أن يحفر الا أن فيه عدة دور فاعتبروا فم الخليج من موردة البلاط وقدروا أنه اذا حفر مر الماء فيه من موردة البلاط الى الميدان الظاهرى الذى أنشأه الملك الناصر بستانا ويمر من البستان الى بركة قرموط حتى ينتهى الى ظاهر باب البحر ويمر من هناك على أرض الطبالة فيصب في الخليج الكبير فلما تعين لهم ذلك عاد النائب الى القلعة وطالعه بما تقرر فبرز أمره لسائر أمراء الدولة باحضار الفلاحين من البلاد الجارية في اقطاعاتهم وكتب الى ولاة الاعمال بجمع الرجال لحفر الخليج فلم يمض سوى أيام قلائل حتى حضر الرجال من الاعمال وتقدم الى النائب بالنزول للحفر ومعه الحجاب فنزل لعمل ذلك وقاس المهندسون طول الحفر من موردة البلاط حيث تعين فم الخليج الى أن يصب في الخليج الكبير وألزم كل أمير من الامراء بعمل أقصاب فرضت له فلما أهل شهر جمادى الاولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقع الشروع فى العمل فبدؤا بهدم ما كان هناك من الاملاك التي من جهة باب اللوق الى بركة قرموط وحصل الحفر في البستان الذي كان للنائب فأخذوا منه قطعة ورسم أن يعطى أرباب الاملاك أثمانها فمنهم من باع ملكه وأخذ ثمنه من مال السلطان ومنهم من هدم داره ونقل أنقاضها فهدمت عدة دور ومساكن جليلة وحفر في عدة بساتين فانتهى العمل في سلخ جمادى الآخرة على رأس شهرين وجرى الماء فيه عند زيادة النيل فأنشأ الناس عدة سواق وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها فسر السلطان بذلك وحصل للناس رفق وقويت رغبتهم فيه فاشتروا عدة أراض من بيت المال غرست فيها الاشجار وصارت بساتين جليلة وأخذ الناس في العمارة على حافتي الخليج فعمر ما بين المقس وساحل النيل ببولاق وكثرت العمائر على الخليج حتى اتصلت من أوله بموردة البلاط الى حيث يصب في الخليج الكبير بأرض الطبالة وصارت البساتين من وراء الاملاك المطلة على الخليج وتنافس الناس في السكنى هناك وأنشأوا الحمامات والمساجد والاسواق وصار هذا الخليج مواطن افراح ومنازل لهو ومغنى صبابات وملعب أتراب ومحل تيه وقصف فيما يمر فيه من المراكب وفيما عليه من الدور

وما برحت مراكب النزهة تمر فيه بأنواع الناس على سبيل اللهو الى أن منعت المراكب منه بعد قتل الاشراف كما يرد عند ذكر القناطر ان شاء الله تعالى

* (ذكر خليج قنطرة الفخر) *

هذا الخليج يبتدئ من الموضع الذى كان ساحل النيل ببولاق وينتهى الى حيث يصب في الخليج الناصرى ويصب أيضاً فى خليج لطيف تسقى منه عدة بساتين وكل من هذين الخليجين معمور الجانبين بالاملاك المطلة عليه والبساتين وجميع المواضع التى يمر فيها الخليج الناصري وأرض هذين الخليجين كانت غامرة بالماء ثم انحسر عنها الماء شيئاً بعد شئ كما ذكر في ظواهر القاهرة .وهذا الخليج حفر بعد الخليج الناصري

* (ذكر القناطر) *

اعلم أن قناطر الخليج الكبير عدتها الآن أربع عشرة قنطرة وعلى خليج فم الخور قنطرة واحدة وعلى خليج الذكر قنطرة واحدة وعلى الخليج الناصرى خمس قناطر وعلى بحر أبى المنجا قنطرة عظيمة وبالجيزة عدة قناطر

* (ذكر قناطر الخليج الكبير) *

قال القضاعى القنطرتان اللتان على هذا الخليج يعنى خليج مصر الكبير أما التي فى طرف الفسطاط بالحمراء القصوى فان عبد العزيز بن مروان بن الحكم بناها فى سنة تسع وستين وكتب عليها اسمه وابتنى قناطر غيرها وكتب على هذه القنطرة المذكورة هذه القنطرة أمر بها عبدالعزيز بن مروان الامير أللهم بارك له في أمره كله وثبت سلطانه على ماترضى وأقر عينه فى نفسه وحشمه آمين • وقام ببنائها سعد أبو عثمان وكتب عبد الرحمن فى صفر سنة تسع وستين ثم زاد فيها تكين أمير مصر في سنة ثمان عشرة وثلثمائة ورفع سمكها ثم زاد عليها الاخشيد فى سنة احدى وثلاثين وثلثمائة ثم عمرت في أيام العزيز باللهوقال ابن عبد الظاهر وهذه القنطرة ليس لها أثر في هذا الزمان قلت موضعها الآن خلف خط السبع سقايات وهذه القنطرة هى التي كانت تفتح عند وفاء النيل فى زمن الخلفاء فلما انحسر النيل عن ساحل مصر اليوم أهملت هذه القنطرة وعملت قنطرة السد عند فم بحر النيل فان النيل كان قد ربى الجرف حيث غيط الجرف الذى على يمنة من سلك من المراغة الى باب مصر بجوار الكبارة * (قنطرة السد) هذه القنطرة موضعها مما كان غامراً بماء النيل قديماً وهى الآن يتوصل من فوقها الى منشأة المهرانى وغيرها من بر الخليج الغربى وكان النيل عند انشائها يصل الى الكوم الاحمر الذى هو جانب الخليج الغربى الآن تجاه خط بين الزقاقين فان النيل كان قد ربى جرفا قدام الساحل القديم كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فأهملت القنطرة الاولى لبعد النيل وقدمت هذه القنطرة الى حيث كان النيل ينتهى وصار

تتوصل منها الى بستان الخشاب الذى موضعه اليوم يعرف بالمريس وما حوله وكان الذى أنشأه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فى أعوام بضع وأربعين وستمائة ولها قوسان وعرفت الآن بقنطرة السد من أجل أن النيل لما انحسر عن الجانب الشرقي وانكشفت الاراضي التي عليها الآن خط بين الزقاقين الى موردة الحلفاء وموضع الجامع الجديد الى دار النحاس وما وراء هذه الاماكن الى المراغة وباب مصر بجوار الكبارة وانكشف من أراضي النيل أيضاً الموضع الذى يعرف اليوم بمنشأة المهراني صار ماء النيل اذا بدت زيادته يجعل عند هذه القنطرة سد من التراب حتى يسند الماء اليه الى أن تنتهي الزيادة الى ست عشرة ذراعا فيفتح السد حينئذ ويمر الماء فى الخليج الكبير كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب والامر على هذا الى اليوم *(قناطر السباع) هذه القناطر جانبها الذى يلي خط السبع سقايات من جهة الحمراء القصوى وجانبها الآخر من جهة جنان الزهرى وأول من أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ونصب عليها سباعا من الحجارة فان رنكه كان على شكل سبع فقيل لها قناطر السباع من أجل ذلك وكانت عالية مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان السلطانى في موضع بستان الخشاب حيث موردة البلاط وتردد اليه كثيرا صار لايمر اليه من قلعة الجبل حتي يركب قناطر السباع فتضرر من علوها وقال للامراء ان هذه القنطرة حين أركب الى الميدان وأركب عليها يتألم ظهرى من علوها ويقال انه أشاع هذا والقصد انما هو كراهته لنظر أثر أحد من الملوك قبله وبغضه أن يذكر لاحد غيره شئ يعرف به وهو كلما يمر بها يرى السباع التي هي رنك الملك الظاهر فأحب أن يزيلها لتبقى القنطرة منسوبة اليه ومعروفة به كما كان يفعل دائماً فى محو آثار من تقدمه وتخليد ذكره ومعرفة الآثار به ونسبتها له فاستدعى الامير علاء الدين على بن حسن المروانى والى القاهرة وشاد الجهات وأمره بهدم قناطر السباع وعمارتها أوسع مما كانت بعشرة أذرع وأقصر من ارتفاعها الاول فنزل ابن المروانى وأحضر الصناع ووقف بنفسه حتي انتهت في جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة في أحسن قالب على ماهى عليه الآن ولم يضع سباع الحجر عليها وكان الامير الطنبغا الماردينى قد مرض ونزل الى الميدان السلطانى فأقام به ونزل اليه السلطان مرارا فبلغ الماردينى ما يتحدث به العامة من أن السلطان لم يخرب قناطر السباع الا حتى تبقى باسمه وانه رسم لابن المروانى أن يكسر سباع الحجر ويرميها في البحر فاتفق أنه عوفى عقيب الفراغ من بناء القنطرة وركب الى القلعة فسر به السلطان وكان قد شغفه حبا فسأله عن حاله وحادثه الى أن جرى ذكر القنطرة فقال له السلطان أعجبتك عمارتها فقال والله ياخوند لم يعمل مثلها ولكن ما كملت فقال كيف قال السباع التى كانت عليها لم توضع مكانها والناس يتحدثون أن السلطان له

غرض في ازالتها لكونها رنك سلطان غيره فامتعض لذلك وأمر فى الحال باحضار ابن المرواني وألزمه باعادة السباع على ماكانت عليه فبادر الى تركيبها في أماكنها وهى باقية هناك الي يومنا هذا الا أن الشيخ محمدا المعروف بصائم الدهر شوه صورها كما فعل بوجه أبي الهول ظناً منه أن هذا الفعل من جملة القربات ولله در القائل

وانما غاية كل من وصل * صيد بنى الدنيا بأنواع الحيل

*(قنطرة عمر شاه) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل منها الى بر الخليج الغربى *(قنطرة طقزدمر) هذه القنطرة على الخليج الكبير بخط المسجد المعلق يتوصل منها الى بر الخليج الغربى وحكر قوصون وغيره *(قنطرة اق سنقر) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من خط قبو الكرمانى ومن حارة البديعيين التي تعرف اليوم بالحبانية ويمر من فوقها الى بر الخليج الغربى وعرفت بالامير اق سنقر شادّ العمائر السلطانية فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون عمرها لما أنشأ الجامع بالبركة الناصرية ومات بدمشق سنة أربعين وسبعمائة *(قنطرة باب الخرق) يقال للارض البعيدة التى تخرقها الريح لاستوائها الخرق وهذه القنطرة على الخليج الكبير كان موضعها ساحلا وموردة للسقائين فى أيام الخلفاء الفاطميين فلما أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب الميدان السلطاني بأرض اللوق وعمر به المناظر في سنة تسع وثلاثين وستمائة أنشأ هذه القنطرة ليمر عليها الى الميدان المذكور وقيل لها قنطرة باب الخرق *(قنطرة الموسكى) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من باب الخوخة وباب القنطرة ويمر فوقها الى بر الخليج الغربى أنشأها الامير عز الدين موسك قريب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان خيرا يحفظ القرآن الكريم ويواظب على تلاوته ويحب أهل العلم والصلاح ويؤثرهم ومات بدمشق يوم الاربعاء ثامن عشرى شعبان سنة أربع وثمانين وخمسمائة *(قنطرة الامير حسين) هذه القنطرة على الخليج الكبير ويتوصل منها الى بر الخليج الغربى فلما أنشأ الامير سيف الدين حسين بن أبي بكر بن اسماعيل بن خيدر بك الرومي الجامع المعروف بجامع الامير حسين فى حكر جوهر النوبي أنشأ هذه القنطرة ليصل من فوقها الى الجامع المذكور وكان يتوصل اليها من باب القنطرة فثقل عليه ذلك واحتاج الى أن فتح في السور الخوخة المعروفة بخوخة الامير حسين من الوزيرية فصارت تجاه هذه القنطرة وقد ذكر خبرها عند ذكر الخوخ من هذا الكتاب والله تعالى أعلم *(قنطرة باب القنطرة) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من القاهرة ويمر فوقها الى المقس وأرض الطبالة وأول من بناها القائد جوهر لما نزل بمناخه وأدار السور عليه وبنى القاهرة ثم قدم عليه القرمطى فاحتاج الى الاستعداد لمحاربته فحفر الخندق وبنى هذه القنطرة على الخليج عند باب جنان أبى المسك كافور

الاخشيدى الملاصق للميدان والبستان الذى للامير أبى بكر محمد الاخشيد ليتوصل من القاهرة الى المقس وذلك فى سنة ثنتين وستين وثلثمائة وبها تسمى باب القنطرة وكانت مرتفعة بحيث تمر المراكب من تحتها وقد صارت في هـذا الوقت قريبة من أرض الخليج لا يمكن المراكب العبور من تحتها وتسد بأبواب خوفا من دخول الزعار الى القاهرة *(قنطرة باب الشعرية) هذه القنطرة على الخليج الكبير يسلك اليها من باب الفتوح ويمشى من فوقها الى أرض الطبالة وتعرف اليوم بقنطرة الخروبي *(القنطرة الجديدة) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من زقاق الكحل وخط جامع الظاهر ويتوصل منها الى أرض الطبالة والى منية الشيرج وغير ذلك أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة عند ما انتهى حفر الخليج الناصرى وكان ما على جانبى الخليج من القنطرة الجديدة هـذه الى قناطر الاوز عامرا بالاملاك ثم خربت شيئا بعد شيء من حين حدث فصل الباردة بعد سنة ستين وسبعمائة وفحش الخراب هناك منذ كانت سنة الشراقي في زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة فلما غرقت الحسينية بعد سنة الشراقى خربت المساكن التى كانت في شرقى الخليج ما بين القنطرة الجديدة وقناطر الاوز وأخذت أنقاضها وصارت هذه البرك الموجودة الآن *(قناطر الاوز) هذه القناطر على الخليج الكبير يتوصل اليها من الحسينية ويسلك من فوقها الى أراضى البعل وغيرها وهي أيضاً مما أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأدركت هناك أملاكا مطلة على الخليج بعد سنة ثمانين وسبعمائة وهذه القناطر من أحسن منتزهات أهل القاهرة أيام الخليج لما يصير فيه من الماء ولما على حافته الشرقية من البساتين الانيقة الا أنها الآن قد خربت وتجاه هذه القنطرة منظرة البعل التى تقدم ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء وبقيت آثارها الى الآن أدركناها يعطن فيها الكتان وبها عرفت الارض التي هناك فسميت الى الآن بأرض البعل وكان هناك صف من شجر السنط قد امتد من تجاه قناطر الاوز الى منظرة البعل وصار فاصلا بين مزرعتين يجلس الناس تحته في يومى الاحد والجمعة للنزهة فيكون هناك من أصناف الناس رجالهم ونسائهم مالا يقع عليـه حصر ويباع هناك مآكل كثيرة وكان هناك حانوت من طين تجاه القنطرة يباع فيها السمك أدركتها وقد استؤجرت بخمسة آلاف درهم في السنة عنها يومئذ نحو مائتين وخمسين مثقالا من الذهب على أنه لا يباع فيها السمك الا نحو ثلاثة أشهر أو دون ذلك ولم يزل هذا السنط الى نحو سنة تسعين وسبعمائة فقطع والى اليوم تجتمع الناس هناك ولكن شتان بين ما أدركنا وبين ما هو الآن وقيل لها قناطر الاوز *(قناطر بني وائل) هذه القناطر على الخليج الكبير تجاه التاج أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعرفت

بقناطر بني وائل من أجل أنه كان بجانبها عدة منازل يسكنها عرب ضعاف بالجانب الشرقي يقال لهم بنو وائل ولم يزالوا هناك الى نحو سنة تسعين وسبعمائة وكان بجانب هذه القناطر من الجانب الغربي مقعد أحدثه الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقري لاخذ المكوس واستمر مدة ثم خرب ولم ير أحسن منظرا من هذه القنطرة في أيام النيل وزمن الربيع *(قنطرة الاميرية) هذه القنطرة هي آخر ما على الخليج الكبير من القناطر بضواحي القاهرة وهي تجاه الناحية المعروفة بالاميرية فيما بينها وبين المطرية أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعند هذه القنطرة ينسد ماء النيل اذا فتح الخليج عند وفاء زيادة النيل ست عشرة ذراعا فلا يزال الماء عند سد الاميرية هذا الى يوم النوروز فيخرج والى القاهرة اليه ويشهد على مشايخ أهل الضواحي بتغليق أراضي نواحيهم بالري ثم يفتح هذا السد فيمر الماء الى جسر شيبين القصر ويسد عليه حتى يروى ما على جانبي الخليج من البلاد فلا يزال الماء واقفا عند سد شيبين الى يوم عيد الصليب وهو اليوم السابع عشر من النوروز فيفتح حينئذ بعد شمول الري جميع تلك الاراضي وليس بعد قنطرة الاميرية هذه قنطرة سوى قنطرة ناحية سرياقوس وهي أيضاً انشاء الملك الناصر محمد ابن قلاون وبعد قنطرة سرياقوس جسر شيبين القصر وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجسور من هذا الكتاب *(قنطرة الفخر) هذه القنطرة بجوار موردة البلاط من أراضي بستان الخشاب برأس الميدان وهي أول قنطرة عمرت على الخليج الناصري على فمه أنشأها القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله بن خروف القبطي المعروف بالفخر ناظر الجيش في سنة خمس وعشرين وسبعمائة عند انتهاء حفر الخليج الناصري ومات في رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وقد أناف على السبعين سنة وتمكن في الرياسة تمكنا كبيرا *(قنطرة قدادار) هذه القنطرة على الخليج الناصري يتوصل اليها من اللوق ويمشي فوقها الى بر الخليج الناصري مما يلي الفيل وأول ما وضعت كانت تجاه البستان الذي كان ميدانا في زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان الموجود الآن بموردة البلاط من جملة اراضي بستان الخشاب فغرس في الميدان الظاهري الاشجار وصار بستانا عظيما كما ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب وعرفت هذه القنطرة بالامير سيف الدين قدادار مملوك الامير برلغي وكان من خبره أنه تنقل في الخدم حتى ولي الغربية من أراضي مصر في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فلقي أهل البلاد منه شرا كثيرا ثم انتقل الى ولاية البحيرة فلما كان في سنة أربع وعشرين كثرت الشناعة في القاهرة بسبب الفلوس وتمنت الناس فيها وامتنعوا من أخذها حتى وقف الحال وتحسن السعر وكان حينئذ يتقلد الوزارة الامير علاء الدين مغلطاي الجمالي ويتقلد

ولاية القاهرة الامير علم الدين سنجر الخازن فلما توجه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون من قلعة الجبل الى السرحة بناحية سرياقوس بلغه توقف الحال وطمع السوقة في الناس وأن متولي القاهرة فيه لين وأنه قليل الحرمة على السوقة وكان السلطان كثير النفور من العامة شديد البغض لهم ويريد كل وقت من الخازن أن يبطش بالحرافيش ويؤثر فيهم آثاراً قبيحة ويشهر منهم جماعة فلم يبلغ من ذلك غرضه فكرهه واستدعى الامير أرغون نائب السلطنة وتقدم اليه بالاغلاظ في القول على الخازن بسبب فساد حال الناس وهم ببروز أمره بالقبض عليه وأخذ ماله فما زال به النائب حتى عفا عنه وقال السلطان يعزله ويولى من ينفع في مثل هذا الامر فاختار ولاية قدادار عوضه لما يعرف من يقظته وشهامته وجراءته على سفك الدماء فاستدعاه من البحيرة وولاه ولاية القاهرة في أول شهر رمضان من السنة المذكورة فأول ما بدأ به أن أحضر الخبازين والباعة وضرب كثيرا منهم بالمقارع ضربا مبرحا وسمر عدة منهم في دراريب حوانيتهم ونادى في البلد من رد فلسا سمر ثم عرض أهل السجن ووسط جماعة من المفسدين عند باب زويلة فهابته العامة وذعروا منه وأخذ يتتبع من عصر خمرا وأحضر عريف الحمالين والزمه باحضار من كان يحمل العنب فلما حضروا عنده استملاهم أسماء من يشترى العنب ومواضع مساكنهم ثم أحضر خفراء الحارات والاخطاط ولم يزل بهم حتى دلوه على سائر من عصر الخمر فاشتهر ذلك بين الناس وخافوه فخول أهل حارة زويلة وأهل حارتى الروم والديلم وغير ذلك من الاماكن ما عندهم من الخمر وصبوها في البلاليع والاقنية وألقوها في الازقة وبذلوا المال لمن يأخذها منهم فحصل لكثير من العامة والاطراف منها شيء كثير حتى صارت تباع كل جرة خمر بدرهم ويمر الناس بأبواب الدور والازقة فترى من جرار الخمر شيئاً كثيراً ولا يقدر أحد أن يتعرض لشيء منها ثم ركب وكبس خط باب اللوق وأخذ منه شيئاً كثيراً من الحشيش وأحرقه عند باب زويلة واستمر الحال مدة شهر ما من يوم الا ويهرق فيه خمر عند باب زويلة ويحرق حشيش فطهر الله به البلد من ذلك جميعه وتتبع الزعار وأهل الفساد فخافوه وفروا من البلد فصار السلطان يشكره ويثني عليه لما يبلغه من ذلك وأما العامة فانه ثقل عليها وكرهته حتي أنه لما تأمر ابن الامير بكتمر الساقي وركب الى القبة المنصورية على العادة ومعه أبوه والنائب وسائر الامراء صاحت العامة للامير بكتمر الساقي يا أمير بكتمر بحياة ولدك اعزل هذا الظالم ورد علينا والينا يعنون الخازن فلما عرف بكتمر السلطان ذلك أعجبه وقال يا أمير ما تخشى العامة والسوقة الا ظالما مثل هذا ما يخاف الله تعالى وزاد اعجاب السلطان به حتي قال له لا تشاور في امر المفسدين فلم يغتر بذلك ورفع اليه جميع ما يتفق له وشاوره في كل جليل وحقير وقال له ان جماعة من الكتاب والتجار قد عصروا

الخمر واستأذنه في طابهم ومصادرتهم فتقدم له بمشاورة النائب فى ذلك واعلامه أن السلطان قد رسم بالكشف عمن عصر من الكتاب والتجار الخمر فلما صار الى النائب وعرفه الخبر أهانه وقال ان السلطان لا يرضى كبس بيوت الناس وهتك حريمهم وسترهم واقامة الشناعات وقام من فوره الى السلطان وعرفه ما يكون في فعل ذلك من الفساد الكبير وما زال به حتى صرف رأيه عما أشار به قدادار من كبس الدور وأخذ الناس فى معاقبته والاخراق به فى كل وقت فانه كان يعني بالخازن ولم يعجبه عزله عن الولاية فكثر جور قدادار وزاد تتبعه للناس ونادى أن لا يعمل أحد حلقة فيما بين القصرين ولا يسمر هناك وأمر أن لا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الآخرة وأقام عنه نائبا من بطالي الحسينية ضمن المسطبة منه فى كل يوم بثلثمائة درهم وانحصر الناس منه وضاقوا به ذرعا لكثرة ماهتك أستارهم وخرق بكثير من المستورين وتسلطت المتصنعة وأرباب المظالم على الناس وكانوا اذا رأوا سكران او شموا منه رائحة خمر أحضروه اليه فتوقى الناس شره وشكاه الامراء غير مرة الى السلطان فلم يلتفت لما يقال فيه والنائب مستمر على الاخراق به الى أن قبض عليه السلطان فخلا الجو لقدادار وأكثر من سفك الدماء واتلاف النفوس والتسلط على العامة لبغضهم اياه والسلطان يعجبه منه ذلك بحيث انه ابرز مرسوما لسائر عماله وولاته اذ أحدا منهم لا يقتص ممن وجب عليه القصاص فى النفس أو القطع الا أن يشاور فيه ويطالع بامره ماخلا قدادار متولى القاهرة فانه لا يشاور على مفسد ولا غيره ويده مطلقة في سائر الناس فدهى الناس منه بعظائم وشرع في كبس بيوت السعداء ومشت جماعة من المتصنعين في البلد وكتبوا الاوراق ورموها فى بيوت الناس بالتهديد فكثرت أسباب الضرر وكثر بلاء الناس به وتعنت على الباعة ونادى أن لا يفتح أحد حانوته بعد عشاء الآخرة فامتنع الناس من الخروج بالليل حتى كانت المدينة في الليل موحشة واستجد على كل حارة دربا وألزم الناس بعمل ذلك فجبيت بهذا السبب دراهم كثيرة وصار الخفراء في الليل يدورون ومعهم الطبول فى كل خط فظفر بانسان قد سرق شيئاً من بيت فى الليل وتزيا بزى النساء فسمره على باب زويلة وما زال على ذلك حتى كثرت الشناعة فعزله السلطان فى سنة تسع وعشرين بناصر الدين ابن المحسني فأقام الى أيام الحج وسافر الى الحجاز ورجع وهو ضعيف فمات في سادس عشر صفر سنة ثلاثين وسبعمائة *(قنطرة الكتبة)* هذه القنطرة على الخليج الناصري بخط بركة قرموط عرفت بذلك لكثرة من كان يسكن هناك من الكتاب أنشأها القاضي شمس الدين عبد الله بن أبى سعيد بن أبى السرور الشهير بغبريال بن سعيد ناظر الدولة وولى نظر الدواوين بدمشق فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة نقل اليها من نظر البيوت بديار مصر ثم استدعى من دمشق وقرر فى وظيفة ناظر النظار شريكا للقاضي

شهاب الدين الاقفهسى واستقر كريم الدين الصغير مكانه ناظرا بدمشق وذلك في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة ثم صرف غبريال من النظر بديار مصر وسفر الى دمشق في ثامن عشر صفر سنة ست وعشرين وطلب كريم الدين الصغير من دمشق ثم قرر في مكان غبريال فى وظيفة النظر بديار مصر الخطير كاتب أرغون أخو الموفق وأعيد غبريال الى نظر دمشق ومات بدمشق بعد ما صودر وأخذ منه نحو ألفي ألف درهم في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وأدركنا الاملاك منتظمة بجانبي هذا الخليج من أوله بموردة البلاط الى هذه القنطرة ومن هذه القنطرة الى حيث يصب في الخليج الكبير فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة شرع الناس فى هدم ماعلى هذا الخليج من المناظر البهجة والمساكن الجليلة وبيع أنقاضها حتى ذهب ما كان على هذا الخليج من المنازل ما بين قنطرة الفخر التي تقدم ذكرها وآخر خط بركة قرموط وأصبحت موحشة قفراء بعد ما كانت مواطن أفراح ومغنى صبابات لا يأويها الا الغربان والبوم سنة الله في الذين خلوا من قبل *(قنطرة المقسى) هذه القنطرة على خليج فم الخور وهو الذي يخرج من بحر النيل ويلتقي مع الخليج الناصرى عند الدكة فيصيران خليجا واحدا يصب فى الخليج الكبير كان موضعها جسرا يستند عليه الماء اذا بدت الزيادة الى أن تكمل أربعة عشر ذراعا فيفتح ويمر الماء فيه الى الخليج الناصرى وبركة الرطلي ويتأخر فتح الخليج الكبير حتى يرقى الماء ستة عشر ذراعا فلما انطرد ماء النيل عن البر الشرقي بقي تجاه هذا الخليج في أيام احتراق النيل رملة لا يصل اليها الماء الا عند الزيادة وصار يتأخر دخول الماء في الخليج مدة واذا كسر سد الخليج الكبير عند الوفاء مر الماء بهذا الخليج مرورا قليلا وما زال موضع هذه القنطرة سدا الى أن كانت وزراة الصاحب شمس الدين أبي الفرج عبدالله المقسى في أيام السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين فأنشأ بهذا المكان القنطرة فعرفت به واتصلت العمائر أيضاً بجانبي هذا الخليج من حيث يبتدئ الي أن يلتقي مع الخليج الناصرى ثم خرب أكثر ما عليه من العمائر والمساكن بعد سنة ست وثمانمائة وكان للناس بهذا الخليج مع الخليج الناصرى في أيام النيل مرور في المراكب للنزهة يخرجون فيه عن الحد بكثرة التهتك والتمتع بكل ما يلهي الى أن ولى أمر الدولة بعد قتل الملك الاشرف شعبان بن حسين الاميران برقوق وبركة فقام الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر فى منع المراكب من المرور بالمتفرجين في الخليج واستفتى شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني فكتب له بوجوب منعهم لكثرة ما ينتهك فى المراكب من الحرمات ويجاهر به من الفواحش والمنكرات فبرز مرسوم الاميرين المذكورين بمنع المراكب من الدخول الى الخليج وركبت سلسلة على قنطرة المقسى هذه فى شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانين وسبعمائة فامتنعت

المراكب بأسرها من عبور هذا الخليج الا أن يكون فيها غلة أو متاع فقلق الناس لذلك وشق عليهم * وقال الشهاب أحمد بن العطار الدنيسري فى ذلك

حديث فم الخور المسلسل ماؤه * بقنطرة المقسى قد سار فى الخلق
الا فاعجبوا من مطلق ومسلسل * يقول لقد أوقفتم الماء فى حلقى

وقال

تسلست قنطرة المقسي * مما قد جرى والمنع أضحى شاملا
وقال أهل طينة في جمعهم * قوموا بنا نقطع السلاسلا

ولم تزل مراكب الفرجة ممتنعة من عبور الخليج الى أن زالت دولة الظاهر برقوق في سنة احدى وتسعين وسبعمائة فأذن في دخولها وهى مستمرة الى وقتنا هذا *(قنطرة باب البحر) هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصل اليها من باب البحر ويمر الناس من فوقها الى بولاق وغيره وهى مما أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون عند انتهاء حفر الخليج الناصرى في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد كان موضعها فى القديم غامرا بالماء عند ما كان جامع المقس مطلا على النيل فلما انحسر الماء عن بر القاهرة صار ما قدام باب البحر رملة فاذا وقف الانسان عند باب البحر رأى البر الغربي لا يحول بينه وبين رؤيته بنيان ولا غيره فاذا كان أوان زيادة ماء النيل صار الماء الى باب البحر وربما جلفط في بعض السنين خوفا من غرق المقس ثم لما طال المدى غرق خارج باب البحر بأرض باطن اللوق وغرس فيه الاشجار فصار بساتين ومزارع وبقى موضع هذه القنطرة جرفا ورمى الناس عليه التراب فصار كوما يشنق عليه أرباب الجرائم ثم نقل ما هنالك من التراب وأنشئت هذه القنطرة ونودى في الناس بالعمارة فأول ما بني في غربى هذه القنطرة مسجد المهاميزى وبستانه ثم تتابع الناس في العمارة حتى انتظم ما بين شاطئ النيل ببولاق وباب البحر عرضاً وما بين منشأة المهرانى ومنية الشيرج طولا وصار ما بجانبي الخليج معمورا بالدور ومن ورائها البساتين والاسواق والحمامات والمساجد وتقسمت الطرق وتعددت الشوارع وصار خارج القاهرة من الجهة الغربية عدة مدائن *(قنطرة الحاجب) هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصل اليها من أرض الطبالة ويسير الناس عليها الى منية الشيرج وغيرها أنشأها الامير سيف الدين بكتمر الحاجب في سنة ست وعشرين وسبعمائة وذلك أنه كانت أرض الطبالة بيده فلما شرع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون في حفر الخليج الناصري التمس بكتمر من المهندسين اذا وصلوا بالحفر الى حيث الجرف أن يمروا به على بركة الطوابين التى تعرف اليوم ببركة الرطلى وينتهوا من هناك الى الخليج الكبير ففعلوا ذلك وكان قصدهم أولا انه اذا انتهى الحفر الى الجرف مروا فيه الى الخليج الكبير من طرف البعل فلما تهيأ لبكتمر

ذلك عمرت له أراضي الطبالة كما يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى عند ذكر البرك فعمرت هذه القنطرة في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأسند اليها جسرا عمله حاجزا بين بركة الحاجب المعروفة ببركة الرطلي وبين الخليج الناصري وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجسور ولما عمرت هذه القنطرة اتصلت العمائر فيما بينها وبين كوم الريش وعمر قبالتها ربع عرف بربع الزيتي وكان على ظهر القنطرة صفان من حوانيت وعليها سقيفة تقي حر الشمس وغيره فلما غرق كوم الريش في سنة بضع وستين وسبعمائة صار هذا الكوم الذي خارج القنطرة ومن تحت هذه القنطرة يصب الخليج الناصري في الخليج الكبير ويمر الى حيث القنطرة الجديدة وقناطر الاوز وغيرها كما تقدم ذكره *(قنطرة الدكة) هذه القنطرة كانت تعرف بقنطرة الدكة ثم عرفت بقنطرة التركماني من أجل ان الامير بدر الدين التركماني عمرها وهذه القنطرة كانت على خليج الذكر وقد انطم ما تحتها وصارت معقودة على التراب لتلاف خليج الذكر ولله در ابراهيم المعمار حيث يقول

يا طالب الدكة نلت المنى * وفزت منها ببلوغ الوطر
قنطرة من فوقها دكة * من تحتها تاتي خليج الذكر

(قناطر بحر أبي المنجا) هذه القناطر من أعظم قناطر مصر وأكبرها أنشأها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري في سنة خمس وستين وستمائة وتولى عمارتها الامير عز الدين ايبك الافرم *(قناطر الجيزة) قال في كتاب عجائب البنيان ان القناطر الموجودة اليوم في الجيزة من الابنية العجيبة ومن أعمال الجبارين وهي نيف واربعون قنطرة عمرها الامير قراقوش الاسدي وكان على العمائر في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بما هدمه من الاهرام التي كانت بالجيزة وأخذ حجرها فبني منه هذه القناطر وبنى سور القاهرة ومصر وما بينهما وبني قلعة الجبل وكان خصيا روميا سامي الهمة وهو صاحب الاحكام المشهورة والحكايات المذكورة وفيه صنف الكتاب المشهور المسمى بالفاشوش في احكام قراقوش وفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة تولى امر هذه القناطر من لا بصيرة عنده فسدها رجاء أن يحبس الماء فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت ومع ذلك فما روي ما رجا أن يروى وفي سنة ثمان وسبعمائة رسم الملك المظفر بيبرس الجاشنكير برمها فعمر ما خرب منها وأصلح ما فسد فيها فحصل النفع بها وكان قراقوش لما أراد بناء هذه القناطر بنى رصيفا من حجارة ابتدأ به من حيز النيل بازاء مدينة مصر كأنه جبل ممتد على الارض مسيرة ستة أميال حتى يتصل بالقناطر

(ذكر البرك)

قال ابن سيده البركة مستنقع الماء والبركة شبه حوض يحفر في الارض انتهى وقد رأيت

بخط معتبر ما مثاله وملؤا البركة ماء فنصب الباء وكسر الراء وفتح الكاف والتاء * (بركة الحبش) هذه البركة كانت تعرف ببركة المغافر وتعرف ببركة حمير وتعرف أيضاً باصطبل قرة وعرفت أيضاً باصطبل قامش وهي من أشهر برك مصر وهي في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين الجبل والنيل وكانت من الموات فاستنبطها قرة بن شريك العبسي أمير مصر وأحياها وغرسها قصباً فعرفت باصطبل قرة وعرفت أيضاً باصطبل قامش وتنقلت حتى صارت تعرف ببركة الحبش ودخلت في ملك أبي بكر الماردانى فجعلها وقفاً ثم أرصدت لبنى حسن وبنى حسين ابنى على بن أبي طالب رضى الله عنهم فلم تزل جارية في الاوقاف عليهم الى وقتنا هذا . قال أبو بكر الكندى في كتاب الامراء وقدم قرة بن شريك من وفادته في سنة ثلاث وتسعين فاستنبط الاصطبل لنفسه من الموات وأحياه وغرسه قصبا فكان يسمى اصطبل قرة ويسمى أيضاً اصطبل القامش يعنون القصب كما يقولون قامش مروان . وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وكان الاصطبل للازد فاشتراه منهم الحكم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم فبناه وكان يجرى على الذى يقرأ في المصحف الذى وضعوه في المسجد الذى يقال له مصحف أسماء من كراه في كل شهر ثلاثة دنانير فلما حيزت أموالهم يعنى أموال بنى أمية وضمت الى مال الله حيز الاصطبل فيما حيز وكتب بأمر المصحف الى أمير المؤمنين أبي العباس السفاح فكتب أن أقروا مصحفهم في مسجدهم على حاله وأجروا على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير في كل شهر من مال الله تعالى . وقال القضاعي بركة الحبش كانت تعرف ببركة المغافر وحمير وتعرف باصطبل قامش وكانت في ملك أبي بكر محمد بن على الماردانى بجميع ما تشتمل عليه من المزارع والجنان خلا الجنان التى في شرقيها وأظنها الجنان المنسوبة الى وهب بن صدقة وتعرف بالحبش فانى رأيت في شرط هذه البركة أن الحد الشرقي ينتهي الى الفضاء الفاصل بينها وبين الجنان المعروفة بالحبش فدل على أن الجنان خارجة عنها وذكر ابن يونس في تاريخه أن في قبلى بركة الحبش جنانا تعرف بقتادة بن قيس بن حبشى الصدفى شهد فتح مصر والجنان تعرف بالحبش وبه تعرف بركة الحبش وذكر بعد هذا الشرط أن الحد البحرى ينتهى الى البئر الطولونية والى البئر المعروفة بموسى بن أبي خليد وهذه البئر هى البئر المعروفة بالنعش ورأيت في كتاب شرط هذه البركة أنها محبسة على البئرين اللتين استنبطهما أبو بكر الماردانى في بنى وائل بحضرة الخليج والقنطرة المعروفة احداها بالفندق والاخرى بالعتيق وعلى السرب الذى يدخل منه الماء الى البئر الحجارة المعروفة بالزوا التى في بنى وائل ذات القناطر التي يجرى فيها الماء الى المصنعة التى بحضرة العقبة التى يصار منها الى يحصب وهي المصنعة المعروفة بدليله وعلى القنوات المتصلة بها التي تصب الى المصنعة ذات العمد الرخام القائمة فيها المعروفة

بسمينة وهي التي في وسط يحصب ويقال ان هناك كانت سوق ليحصب وذكر في هذا الشرط
دارا له في موضع السقاية المعروفة بسقاية زوف وشرط أن تنشأ هذه الدار مصنعة على
مثل هذه المصنعة المقدم ذكرها المعروفة بسمينة وهي سقاية زوف اليوم وعلى القناة التي
يجري فيها الماء الى مصنعة ذكر أنه كان أنشأها عند البئر المعروفة اليوم ببئر القبة وبالحوض الذي
هناك بحضرة المسجد المعروف بمسجد القبة وكانت هذه المصنعة تسمى ريا وجعل هذا الحبس
أيضاً على البئر التي له بالحبانية بحضرة الخندق وذكر أنها تعرف بالقبانية وان ماءها يجرى
الى المصنعة المقابلة للميدان من دار الامارة في طريق المصلى القديم ثم الى المصنعة التي تحت
مسجده المقابل لدار عبد العزيز ثم الى المصنعة المقابلة لمسجد التربة المجاورة لمسجد الاخضر
وتاريخ هذا الشرط شهر رمضان سنة سبع وثلثمائة وجعل ما يفضل عن جميع ذلك مصروفا
فى ابتياع بقر وكباش تذبح ويطبخ لحمها ويبتاع أيضاً معها خبز ودراهم وأكسية وأعبية
ويتصدق بذلك على الفقراء والمساكين بالمغافر وغيرها من القبائل بمصر وكان بناؤه السقايتين
اللتين بالموقف والسقايات التي بالمغافر وبزوف ويحصب وبني وائل وعمل المجارى في سنة
أربع وقيل في سنة ثلاث وثلثمائة وقد حبس أبو بكر على الحرمين ضياعا كان ارتفاعها نحو
مائة ألف دينار منها سيوط وأعمالها وغيرها انتهى * وفى تواريخ النصارى أن الامير أحمد
ابن طولون صادر البطريق ميخائيل بطرك اليعاقبة على عشرين ألف دينار فباع النصارى
رباع الكنائس بالاسكندرية وأرض الحبش بظاهر مصر والكنيسة المجاورة للمعلقة
بقصر الشمع بمصر لليهود قلت هكذا في تواريخهم ولا أعلم كيف ملكوا أرض الحبش فلعل
الماردانى هو الذى اشتراها ثم وقفها * وقال ابن المتوج بركة الحبش هذه البركة مشهورة
في مكانها وقد اتصل ثبوت وقفها عند قاضى القضاة بدر الدين أبى عبد الله محمد بن سعد الله
ابن جماعة رحمة الله عليه على أنها وقف على الاشراف الاقارب والطالبيين نصفين بينهما بالسوية
النصف الاول على الاقارب والنصف الآخر على الطالبيين وثبت قبله عند قاضى القضاة بدر
الدين أبى المحاسن يوسف بن الحسن السنجارى أن النصف منها وقف على الاشراف الاقارب
بالاستفاضة بتاريخ ثالث عشر ربيع الاول سنة أربعين وستمائة وهم الاقارب الحسينيون وهو
اذ ذاك قاضى القضاة بالقاهرة والوجه البحرى وما نع ذلك من البلاد الشامية المضافة الى
ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب وثبت عند قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد
السلام رحمه الله تعالى وكان قاضى القضاة بمصر والوجه القبلي وخطيب مصر بالاستفاضة
أيضاً أن البركة المذكورة وقف على الاشراف الطالبيين بتاريخ التاسع والعشرين من شهر
ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة وبعدهما قاضى القضاة وجيه الدين البهنسي فى ولايته ثم
نفذها بعد تنفيذ وجيه الدين المذكور فى شعبان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة قاضى القضاة

بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة وهو حاكم الديار المصرية خلا ثغر الاسكندرية ويأتي أصل خبر هذه البركة مبينا مشروحا من أصلها فى مكانه ان شاء الله تعالى * قال فمن جملة الاوقاف بركة الاشراف المشهورة ببركة الحبش وهذه البركة حدودها أربعة الحد القبلي ينتهي بعضه الى أرض العدوية يفصل بينهما جسر هناك وباقيه الى غيطان بساتين الوزير والحد البحري ينتهي بعضه الى ابنية الآدر التي هناك المطلة عليها والى الطريق والى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الشعيبية والحد الشرقى الى حد بساتين الوزير المذكورة والحد الغربي ينتهى بعضه الى بحر النيل والى أراضى دير الطين والى بعض حقوق جزيرة ابن الصابونى وجسر بستان المعشوق الذى هو من حقوق الجزيرة المذكورة وهذه البركة وقف الاشراف الاقارب والطالبيين نصفين بينهما بالسوية والذى يشاهدته من أمرها أني وقفت على اسجال قاضى القضاة بدر الدين أبي المحاسن يوسف السنجارى رحمة الله تعالى عليه تاريخه ثاني عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة وهو حين ذاك حاكم القاهرة والوجه البحرى على محضر شهد فيه بالاستفاضة أن نصف هذه البركة وقف على الاشراف الاقارب الحسينيين وثبت ذلك عنده ورأيت اسجال الشيخ قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله على محضر شهد فيه بالاستفاضة وهو حين ذلك قاضى مصر والوجه القبلى وأشهد عليه أنه ثبت عنده أن البركة المذكورة جميعها وقف على الاشراف الطالبيين وتاريخ اسجاله التاسع والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة ثم نفذهما جميعا في تاريخ واحد قاضى القضاة وجيه الدين البهنسى وهو قاضى القضاة حين ذلك ثم نفذهما قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة وهو قاضى القضاة بالديار المصرية واستقر النصف من ريع هذه البركة على الاشراف الاقارب مع قلتهم والنصف على الاشراف الطالبيين مع كثرتهم وتنازعوا غير مرة على أن تكون بينهم الجميع بالسوية فلم يقدروا على ذلك وعقد لهم مجلس غير مرة فلم يقدروا على تغييره وأحسن ما وصفت به بركة الحبش قول عيسى بن موسى الهاشمى أمير مصر وقد خرج الى الميدان الذى بطرف المقابر فقال لمن معه أتتأملون الذى أرى قالوا وما الذي يرى الامير قال أرى ميدان رهان وجنان نخل وبستان شجر ومنازل سكنى وذروة جبل وجبانة أموات ونهرا عجاجا وأرض زرع ومراعى ماشية ومرتع خيل وساحل بحر وصائد نهر وقانص وحش وملاح سفينة وحادي ابل ومفازة رمل وسهلا وجبلا فهذه ثمانية عشر متنزها فى أقل من ميل فى ميل وأين هذه الاوصاف من وصف بعضهم قصر أنس بالبصرة فى قوله

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شيء يشاكله * من منزل حاضرا ان شئت أو بادى

تاتى به السفن والاعياس حاضرة * والضب والنون والملاح والحادى

وقال

زروادى القصر نعم القصر والوادى * وحبذا أهله من حاضر بادى

تاتى قراقرة والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادى

هكذا أنشدهما أبو الفرج الاصبهاني رحمه الله تعالى في كتاب الاغانى ونسبهما لابن عيينة بن المنهال بن محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة شاعر من ساكنى البصرة وقيل ان اسمه عذرة وقيل اسمه أبو عيينة وكنيته أبو المنهال وكان بعد المائتين • وأنشد أبو العلاء المعرى في رسالة الصاهل والساحج

يا صاح ألم بأهل القصر والوادى * وحبذا أهله من حاضر بادى

ترى قراقرة والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادى

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي وفى هذا الوقت من السنة يعني أيام النيل تكون أرض مصر أحسن شيء منظرا ولا سيما منتزهاتها المشهورة ودياراتها المطروقة كالجزيرة والجيزة وبركة الحبش وما جرى مجراها من المواضع التي يطرقها أهل الخلاعة والقصف • ويتناوبها ذوو الآداب والظرف • واتفق أن خرجنا في مثل هذا الزمان الى بركة الحبش وافترشنا من زهرها أحسن بساط واستظللنا من دوحها بأوفى رواق فظللنا نتعاطى من زجاجات الاقداح • شموسا فى خلع بدور • وجسوم نار فى غلائل نور • الى أن جرى ذهب الاصيل على لجين الماء • ونشبت نار الشفق بفحمة الظلماء • فقال بعضهم (وهو أمية المذكور من قوله المشهور)

لله يومى ببركة الحبش * والافق بين الضياء والغبش

والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم في يمين مرتعش

ونحن في روضة مفوفة * ديج بالنور عطفها ووشى

قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نسجها على فرش

فعاطني الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش

وأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعي الهوى فلم يطش

فأسقني بالكبار مترعة * فهن أشفى لشدة العطش

وقال أيضاً

علل فؤادك باللذات والطرب * وباكر الراح بالبانات والنخب

أما ترى البركة الغناء لابسة * وشيا من النور حاكته يد السحب

وأصبحت من جديد الروض في حلل * قد أبرز القطر منها كل محتجب

من سوسن شرق بالطـل محجره * والاقحوان شهى الظـلم والشنب
فانظر الى الورد يحكي خد محتشم * ونرجس ظل يبدى لحظ مرتقب
والنيل من ذهب يطفو على ورق * والراح من ورق يطفو على ذهب
ورب يوم نقمنا فيه غلتنـا * بجـاحم من فم الابريق ملتهب
شمس من الراح حيانا بهـا قمر * موف على غصن يهـتز في كثب
أرخي ذوائبـه واهتز منعطفـا * كصعدة الرمح في مسودة العذب
فاطرب ودونكها فاشرب فقد بعثت * على التصابي دواعي اللهو والطرب

وقال

يا نزهة الرصد المصرى قد جمعت * من كل شيء حلا في جانب الوادى
فذا غدير وذا روض وذا جبل * والضب والنون والملاح والحـادى

وقال ابراهيم بن الرفيق فى تاريخه حدثني محمد الـكمينى وكان أديبـا فاضلا قد سافر ورأى بلدان المشرق قال ما رأيت قط أجمل من أيام النوروز والفطاس والميلادوالمهرجان وعيد الشعانين وغير ذلك من أيام اللهو التي كانوا يسخون فيها بأموالهم رغبة في القصف والعزف وذلك أنه لا يبقى صغير ولا كبير الا خرج الى بركة الحبش متنزها فيضربون عليها المضارب الجليلة والسرادقات والقباب والشراعات ويخرجون بالاهـل والولد ومنهم من يخرج بالقينـات المسمعات المماليك والمحررات فيأكلون ويشربون ويسمعون ويتفكهون وينعمون فاذا جاء الليل أمر الامير تميم بن المعز مائتى فارس من عبيده بالعسس عليهم فى كل ليلة الى أن يقضوا من اللهو والنزهة أربهم وينصرفوا فيسكرون وينامون كما ينام الانسان فى بيته ولا يضيع لاحـد منهم ما قيمته حبة واحدة وركب الامير تميم فى عشارى ويتبعه أربعـة زواريق مملوءة فاكهة وطعاما ومشروبا فان كانت الليالى مقمرة والا كان معه من الشموع مايعيد الليـل نهارا فاذا مر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتا أمرهم باعادته وسألهم عما عز عليهم فيأمر لهم به ويأمر لمن يغنى لهم وينتقل منهم الى غيرهم بمثل هـذا الفعل عامة ليله ثم ينصرف الى قصوره وبساتينه التي على هذه البركة فلا يزال على هـذه الحال حتي تنقضي هذه الايام ويتفرق الناس وقال محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى الحنفى وتوفي بدمشق سنة احدى وخمسين وستمائة يصف بركة الحبش في أيام الربيع

اذا زين الحسناء قرط فهذه * يزينهـا من كل ناحية قرط
ترقرق فيها أدمع الطل غدوة * فقلت لآل قد تضمنها قرط

وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب وخرجت مرة حيث بركة الحبش التي يقول فيهـا أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى عفا الله عنه

لله يومى ببركة الحبش * والأفق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم في يمين مرتعش

وعاينت من هذه البركة أيام فيض النيل عليها أبهج منظر ثم زرتها أيام غاض الماء وبقيت فيها مقطعات بين خضر من القرط والكتان تفتن الناظر وفيها أقول

يابركة الحبش التي يومى بها * طول الزمان مبارك وسعيد
حتى كأنك فى البسيطة جنة * وكأن دهرى كله بك عيد
ياحسن مايبدو بك الكتان فى * نواره اوزره معقود
والماء منك سيوفه مسلولة * والقرط فيك رواقه ممدود
وكأن أبراجا عليك عرائس * جليت وطيرك حولها غريد
ياليت شعرى هل زمانك عائد * فالشوق فيه مبدئ ومعيد

وكان ماء النيل يدخل الى بركة الحبش من خليج بني وائل وكان خليج بني وائل مما يلى باب مصر من الجهة القبلية الذى يعرف الى يومنا هذا بباب القنطرة من أجل أن هذه القنطرة كانت هناك * قال ابن المتوج ورأيت ماء النيل فى زمن النيل يدخل من تحته الى خليج بنى وائل * قلت وفي أيام الناصر محمد بن قلاون استولى النشو ناظر الخاص على بركة الحبش وصار يدفع الى الاشراف من بيت المال مالا في كل سنة فلما مات الناصر وقام من بعده ابنه المنصور أبو بكر أعيدت لهم

* (ذكر الماردانى) *

هو أبو بكر محمد بن على بن محمد بن رستم بن أحمد وقيل محمد بن على بن أحمد بن عيسى بن رستم وقيل محمد بن على بن أحمد بن ابراهيم بن الحسين بن عيسى بن رستم الماردانى أحد عظماء الدنيا ولد بنصيبين لثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وقدم الى مصر في سنة اثنتين وسبعين ومائتين وخلف أباه على بن أحمد الماردانى أيام نظره فى أمور أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وسنه يومئذ خمس عشرة سنة وكان معتدل الكتابة ضعيف الخط من النحو واللغة ومع ذلك فكان يكتب الكتب الى الخليفة فمن دونه على البديهة من غير نسخة فيخرج الكتاب سليما من الخلل ولما قتل أبوه فى سنة ثمانين ومائتين استوزره هارون بن خمارويه فدبر أمر مصر الى أن قدم محمد بن سليمان الكاتب من بغداد الى مصر وأزال دولة بنى طولون وحمل رجالهم الى العراق فكان أبو بكر ممن حمله فأقام ببغداد الى أن قدم بصحبة العساكر لقتال خباسة فدبر أمر البلد وأمر ونهى وحدث بمصر عن أحمد بن عبد الجبار العطاردى وغيره بسماعه منهم فى بغداد وكان قليل الطلب للعلم تغلب عليه محبة الملك وطلب السيادة ومع ذلك كان يلازم تلاوة القرآن

الكريم ويكثر من الصلاة ويواظب على الحج وملك بمصر من الضياع الكبار مالم يملكه أحد قبله وبلغ ارتفاعه في كل سنة أربعمائة ألف دينار سوى الخراج ووهب وأعطى وولى وصرف وأفضل ومنع ورفع ووضع وحج سبعاً وعشرين حجة أنفق فى كل حجة منها مائة وخمسين ألف دينار وكان تكين أمير مصر يشيعه اذا خرج للحج ويتلقاه اذا قدم وكان يحمل الى الحجاز جميع مايحتاج اليه ويفرق بالحرمين الذهب والفضة والثياب والحلوى والطيب والحبوب ولا يفارق أهل الحجاز الا وقد أغناهم وقيل مرة وهو بالمدينة النبوية على سا كنها أفضل الصلاة والسلام مابات في هذه الليلة أحد بمكة والمدينة وأعمالهما الا وهو شبعان من طعام أبى بكر المارداني * ولما قدم الامير محمد بن طغج الاخشيد الى مصر استتر منه فانه كان منعه من دخول مصر وجمع العساكر لقتاله فاجتمع له زيادة على ثلاثين ألف مقاتل وحارب بهم بعد موت تكين أمير مصر ومرت به خطوب لكثرة فتن مصر اذ ذاك وأحرقت دوره ودور أهله ومجاوريه وأخذت أمواله واستتر فقبض على خليفته وعماله فكتب الى بغداد يسأل امارة مصر وكتب محمد بن تكين بالقدس يسأل ذلك فعاد الجواب بامارة ابن تكين وأن يكون الماردانى يدبر أمر مصر ويولى من شاء فظهر عند ذلك من الاستتار وأمر ونهى ودبر أمر البلد وصار الجيش بأسره يغدو الى بابه فانفق فى جماعة واصطنع قوما وقتل عدة من اصحاب ابن تكين وكان محمد بن تكين بالقدس وأمر مصر كله للماردانى بمفرده ومعه أحمد بن كيغلغ وقد قدم من بغداد بولاية ابن تكين على مصر وولاية أبى بكر المارداني تدبير الامور فاستمال أبو بكر أحمد بن كيغلغ حتى صارمعه على ابن تكين وحاربه وكان من أمره ما كان الى أن قدمت عساكر الاخشيد فقام أبو بكر لمحاربتهم ومنع الاخشيد من مصر فكان الاخشيد غالبا له ودخل البلد فاستتر منه أبو بكر الى أن دل عليه فأخذه وسلمه الى الفضل بن جعفر بن الفرات فلما صار الى ابن الفرات قال له ايش هذا الاستيحاش والتستر وانت تعلم أن الحج قد أظل ويحتاج لاقامة الحج فقال له أبو بكر ان كان الىّ فخمسة عشر ألف دينار فقال ابن الفرات ايش خمسة عشر ألف دينار قال ماعندى غير هذا فقال ابن الفرات بهذا ضربت وجه السلطان بالسيف ومنعت أمير البلد من الدخول ثم صاح ياشادن خذه اليك فأقيم وادخل الى بيت وكان يومئذ صائماً فامتنع من تناول الطعام والشراب ولزم تلاوة القرآن والصلاة طول يومه وليلته وأصبح فامتنع ابن الفرات من الاكل اجلالا له فلما كان وقت الفطر من الليلة الثانية امتنع أبو بكر من الفطر كما امتنع في الليلة الاولى فامتنع ابن الفرات أيضاً من الاكل وقال لاآكل أبداً أو يأكل أبو بكر فلما بلغ ذلك أبا بكر أكل فأخذ ابن الفرات في مصادرته وقبض على ضياعه التي بالشام ومصر وتتبع أسبابه ثم خرج به معه الى الشام وعاد به الى مصر ثم خرج به ثانياً الى الشام

فمات الفضل بن الفرات بالرملة ورجع أبو بكر الى مصر فرد اليه الاخشيد أمور مصر كلها وخلع على ابنه وتقلد السيف ولبس المنطقة ولبس أبو بكر الدراعة تنزها ثم تنكر عليه الاخشيد وقبضه فى سنة احدى وثلاثين وثلثمائة وجعله فى دار وأعد له فيها من الفرش والآلات والاوانى والملبوس والطيب والطرائف وأنواع المآكل والمشارب مابلغ فيه الغاية وتفقدها بنفسه وطافها كلها فقيل له عملت هذا كله لمحمد بن على الماردانى فقال نعم هذا ملك وأردت أن لايحتقر بشيء لنا ولايحتاج أن يطلب حاجة الاوجدها فانه ان فقد عندنا شيأ مما يريده استدعي به من داره فسقط نحن من عينيه عند ذلك فلم يزل معتقلا حتى خرج الاخشيد الى لقاء أمير المؤمنين المتقى لله فحمله معه ولما مات الاخشيد بدمشق كان أبو بكر بمصر فقام بأمر أونوجور بن الاخشيد وقبض على محمد بن مقاتل وزير الأخشيد وأمر ونهي وصرف الامور الى أن كانت واقعة غلبون واتصال أبي بكر به فلما عادت الاخشيدية قبض على أبي بكر ونهبت دوره وأحرق بعضها وأخذ ابنه وقام أبو الفضل جعفر بن الفضل ابن الفرات بأمر الوزارة فعند ما قدم كافور الاخشيدي من الشام بالعساكر التى كانت مع الاخشيد أطلق أبا بكر وأكرمه ورد اليه ضياعه وضياع ابنه فلما ماتت أم ولده لحقه كافور ومعه الامير اونوجور عند المقابر وترجلا له وعزياه ثم ركب معه حتى صليا عليها فلما مرض مرض موته عاده كافور مرارا الى أن مات في شهر شوال سنة خمس وأربعين وثلثمائة فدفن بداره ثم نقل الى المقابر وكانت فضائله جمة منها أنه أقام أربعين سنة يصوم الدهر كله ويركب كل يوم الى المقابر بكرة وعشية فيقف له الموكب حتي يمضي الى تربة أولاده وأهله فيقرأ عندهم ويدعو لهم وينصرف الى المساجد في الصحراء فيصلى بها والناس وقوف له الا انه كان في غاية العجلة لايراجع فيما يريده ولو كان ما كان ولما أراد المقتدر أن يقيم وزيراً كتبت رقعة فيها أسماء جماعة وأنفذت الى على بن عيسى ليشير بواحد منهم وكان أبو بكر ممن كتب معهم اسمه فكتب تحت كل اسم واحد منهم مايستحقه من الوصف وكتب تحت اسم أبي بكر محمد بن على الماردانى مترف عجول وبني أبو بكر السقايات والمساجد في المغافر وفى يحصب وبني وائل وليس لشيء منها اليوم أثر يعرف ومرت له فى هذا الكتاب أخبار وقد أفرد له ابن زولاق سيرة كبيرة وهذا منها والله أعلم

(ذكر بساتين الوزير)

هذه البساتين في الجهة القبلية من بركة الحبش وهى قرية فيها عدة مساكن وبساتين كثيرة وبها جامع تقام فيه الجمعة وعرفت بالوزير أبي الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن محمد المغربى وبنو المغربى أصلهم من البصرة وصاروا الى بغداد وكان أبو الحسن على بن محمد تخلف على ديوان المغرب ببغداد فنسب به الى المغرب وولد ابنه

الحسين بن علي ببغداد فتقلد أعمالا كثيرة منها تدبير محمد بن ياقوت عند استيلائه على أمر الدولة ببغداد وكان خال ولده علي وهو أبو علي هارون بن عبد العزيز الاوارجي الذي مدحه أبو الطيب المتنبي من أصحاب أبي بكر محمد بن رائق فلما لحق ابن رائق ما لحقه بالموصل صار الحسين ابن علي بن المغربي الى الشام والى الاخشيد وأقام عنده وصار ابنه أبو الحسن علي بن الحسين ببغداد فأنفذ الاخشيد غلامه فاتك المجنون فحمله ومن يليه الى مصر ثم خرج ابن المغربي من مصر الى حلب ولحق به سائر أهله ونزلوا عند سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبدالله بن حمدان مدة حياته وتخصص به الحسين بن علي بن محمد المغربي ومدحه أبو نصر ابن نباتة وتخصص أيضاً علي بن الحسين بسعد الدولة بن حمدان ومدحه أبو العباس النامي ثم شجر بينه وبين ابن حمدان ففارقه وصار الى بكجور بالرقة فحسن له مكاتبة العزيز بالله نزار والتحيز اليه فلما وردت على العزيز مكاتبة بكجور قبله واستدعاه وخرج من الرقة يريد دمشق فوافاه عبد العزيز بولاية دمشق وخلفه فتسلمها وخرج لمحاربة ابن حمدان بحلب بمشورة علي بن المغربي فلم يتم له أمر وتأخر عنه من كاتبه فقال لابن المغربي غررتني فيما أشرت به علي وتنكر له ففر منه الى الرقة وكانت بين بكجور وبين ابن حمدان خطوب آلت الى قتل ابن بكجور ومسير ابن حمدان الى الرقة ففر ابن المغربي منها الى الكوفة وكاتب العزيز بالله يستأذنه في القدوم فأذن له وقدم الى مصر في جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وثلثمائة وخدم بها وتقدم في الخدم فحرض العزيز على أخذ حلب فقلد يجو تكين بلاد الشام وضم اليه أبا الحسن بن المغربي ليقوم بكتابته ونظر الشام وتدبير الرجال والاموال فسار الى دمشق في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وخرج الى حلب وحارب أبا الفضائل بن حمدان وغلامه لؤلؤا فكاتب لؤلؤ أبا الحسن ابن المغربي واستماله حتى صرف يجو تكين عن محاربة حلب وعاد الى دمشق وبلغ ذلك العزيز بالله فاشتد حنقه على ابن المغربي وصرفه بصالح بن علي الروذبادي واستقدم ابن المغربي الى مصر ولم يزل بها حتى مات العزيز بالله وقام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله أبو علي منصور فكان هو وولده أبو القاسم حسين من جلسائه فلما شرع الحاكم بأمر الله في قتل رجال الدولة من القواد والكتاب والقضاة قبض على عليّ ومحمد ابني المغربي وقتلهما ففر منه أبو القاسم حسين بن علي بن المغربي الى حسان ابن مفرج بن الجراح فأجاره وقلد الحاكم يارجتكين الشام فخافه ابن جراح لكثرة عساكره فحسن له ابن المغربي مهاجمته فطرق يارجتكين في مسيره على غفلة وأسره وعاد الى الرملة فشن الغارات على رساتيقها وخرج العسكر الذي بالرملة فقاتل العرب قتالا شديدا كادت العرب أن تنهزم لولا نبهها ابن المغربي وأشار عليهم باشهار النداء بأباحة النهب والغنيمة فثبتوا ونادوا في الناس فاجتمع لهم خلق كثير وزحفوا الى الرملة فملكوها والعوافي النهب والهتك

والقتل فانزعج الحاكم لذلك انزعاجا عظيما وكتب الى مفرج بن جراح يحذره سوء العاقبة ويلزمه باطلاق يارجتكين من يد حسان ابنه وارساله الى القاهرة ووعده على ذلك بخمسين ألف دينار فبادر ابن المغربي لما بلغه ذلك الى حسان وما زال يغريه بقتل يارجتكين حتى أحضره وضرب عنقه فشق ذلك على مفرج وعلم انه فسد ما بينهم وبين الحاكم فأخذ ابن المغربي يحسن لمفرج خلع طاعة الحاكم والدعاء لغيره الى أن استجاب له فراسل أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوى أمير مكة يدعوه الي الخلافة وسهل له الامر وسير اليه بابن المغربى يحثه على المسير وجرأه على أخذ مال تركة بعض المياسير ونزع المحاريب الذهب والفضة المنصوبة على الكعبة وضربها دنانير ودراهم وسماها الكعبية وخرج ابن المغربى من مكة فدعا العرب من سليم وهلال وعوف بن عامر ثم سار به وبمن اجتمع عليه من العرب حتى نزل الرملة فتلقاه بنو الجراح وقبلوا له الارض وسلموا عليه بامرة المؤمنين ونادى في الناس بالامان وصلى بالناس الجمعة فانتغص الحاكم لذلك وأخذ في استمالة حسان ومفرج وغيرهما وبذل لهم الاموال فتنكروا على أبي الفتوح وقلد أيضاً مكة بعض بنى عم أبي الفتوح فضعف أمره وأحس من حسان بالغدر فرجع الى مكة وكاتب الحاكم واعتذر اليه فقبل عذره وأما ابن المغربى فانه لما انحل أمر أبي الفتوح ورأى ميل بنى الجراح الى الحاكم كتب اليه

وأنت وحسبي أنت تعلم أن لى * لساناً أمام المجد يبنى ويهدم

وليس حليما من تباس يمينه * فيرضى ولكن من تعض فيحلم

فسير اليه أمانا بخطه وتوجه ابن المغربي قبل وصول أمان الحاكم اليه الى بغداد وبلغ القادر بالله خبره فاتهمه بانه قدم في فساد الدولة العباسية فخرج الى واسط واستعطف القادر فعطف عليه وعاد الى بغداد ثم مضى الى قرواش بن المقلد أمير العرب وسار معه الى الموصل فأقام بها مدة وخافه وزير قرواش فأخرجه الى ديار بكر فأقام عند أميرها نصير الدولة أبى نصر أحمد بن مروان الكردي وتصرف له وكان يلبس في هذه المدة المرقعة والصوف فلما تصرف غير لباسه وانكشف حاله فصار كمن قيل فيه وقد ابتاع غلاما تركياً كان يهواه قبل أن يبتاعه

تبدل من مرقعة ونسك * بأنواع الممسك والشفوف

وعن له غزال ليس يحوي * هواه ولا رضاه بلبس صوف

فعاد أشد ما كان انتهاكا * كذاك الدهر مختلف الصروف

وأقام هناك مدة طويلة في أعلى حال وأجل رتبة وأعظم منزلة ثم كوتب بالمسير الى الموصل ليستوزره صاحبها فسار عن ميا فارقين وديار بكر الى الموصل فتقلد وزارتها وتردد

الى بغداد في الوساطة بين صاحب الموصل وبين السلطان أبي على بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة أبى نصر بن عضد الدولة أبي شجاع بن ركن الدولة أبي على بن بويه واجتمع برؤساء الديلم والاتراك وتحدث في وزارة الحضرة حتي تقلدها بغير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدراعة فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وأربعمائة فأقام شهوراواغرى رجال الدولة بعضهم ببعض وكانت أمور طويلة آلت الى خروجه من الحضرة الى قرواش فتجدد للقادر بالله فيه سوء ظن بسبب ما أثاره من الفتنة العظيمة بالكوفة حتي ذهبت فيها عدة نفوس وأموال ففر الى أبي نصر بن مروان فاكرمه وأقطعه ضياعا وأقام عنده فكوتب من بغداد بالعود اليها فبرز عن ميا فارقين يريد المسير الى بغداد فسم هناك وعاد الى المدينة فمات بها لايام خلت من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة ومولده بمصر ليلة الثالث عشر من ذى الحجة سنة سبعين وثلثمائة وكان أسمر شديد السمرة بساطا عالما بليغا مترسلا متفننا فى كثير من العلوم الدينية والادبية والنحوية مشارا اليه في قوّة الذكاء والفطنة وسرعة الخاطر والبديهة عظيم القدر صاحب سياسة وتدبير وحيل كثيرة وأمور عظام دوّخ الممالك وقلب الدول وسمع الحديث وروى وصنف عدة تصانيف وكان ملولا حقودا لاتلين كبده ولا تحل عقده ولا يخلى عوده ولا ترجي وعوده وله رأي يزين له العقوق ويبغض اليه رعاية الحقوق كأنه من كبره قد ركب الفلك واستولى على ذات الحبك وكان بمصر من بنى المغربي أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين المغربي قد قتل الحاكم جده محمدا مع أبيه على بن الحسين كما تقدم فلما نشأ أبو جعفر سار الى العراق وخدم هناك وتنقلت به الاحوال ثم عاد الى مصر واصطنعه الوزير البارزى وولاه ديوان الجيش وكانت السيدة أم المستنصر بالله تعنى به فلما مات الوزير البارزى وولى بعده الوزير أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي قبض عليه فى جملة أصحاب البارزى واعتقله فتقررت له الوزارة وهو فى الاعتقال وخلع عليه فى الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمسين وأربعمائة ولقب بالوزير الاجل الكامل الاوحد صفى أمير المؤمنين وخالصته فما تعرض لاحد ولا فعل فى البابلي مافعله البابلي فيه وفى أصحاب البارزى فأقام سنتين وشهورا وصرف فى تاسع شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وكان الوزراء اذا صرفوا لم يتصرفوا فاقترح أبو الفرج بن المغربى للمصرف أن يتولى بعض الدواوين فولى ديوان الانشاء الذى يعرف اليوم بوظيفة كتابة السر وهو الذى استنبط هذه الوظيفة بديار مصر واستحدث استخدام الوزراء بعد صرفهم عن الوزارة ولم يزل نابه القدر الى أن توفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة * (بركة الشعيبية) * هذه البركة موضعها خلف جسر الافرم فيما بينه وبين الجرف الذى يعرف اليوم بالرصد وكانت تجاور بركة الحبش من بحريها وقد انقطع عنها الماء وصارت بساتين ومزارع وغير ذلك * قال ابن

المتوج بركة الشعيبية بظاهر مصر كان يدخل اليها ماء النيل وكان لها خليجان أحدهما من قبلها وهو الآن بجوار منظرة الصاحب تاج الدين بن حنا المعروفة بمنظرة المعشوق والثانى من بحريها ويقال له خليج بني وائل عليه قنطرة بها عرف باب القنطرة بمصر وكان يجرى فيهما الماء من النيل اليها فكان الماء يدخل اليها في كل سنة ويعمها ويدخل اليها الشخاتير وكان بدائرها من جانبها الشرقي آدر كثيرة وكانت نزهة المصريين فلما استأجرها الامير عز الدين أيبك الافرم من الناظر عليها من جهة الحكم العزيزى حازها بالجسور عن الماء وغرس فيها الاشجار والكروم وحفر الآبار وهذه البركة مساحتها أربعة وخمسون فدانا ولها حدود أربعة الحد القبلي ينتهى بعضه الى بعض أرض المعشوق الجاري في وقف ابن الصابوني والى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش وفي هذا الجسر الآن قنطرة يدخل اليها الماء من خليج بركة الاشراف والحد البحرى كان ينتهى بعضه الى منظرة قاضى القضاة بدر الدين السنجارى والى جسره والحد الشرقي ينتهى الى الآدر التى كانت مطلة عليها وقد خرب أكثرها وكانت مسكن أعيان المصريين من القضاة والكتاب والحد الغربى ينتهى الى جرف النيل ولما استأجرها الافرم شرط له خمسة أفدنة يعمر عليها ويؤجرها لمن يعمر عليها منها فدان واحد من بحريها وفدانان من غربيها ملاصقان لجدار البساتين وفدانان بالجرف الذي من حقوقها فلما مات الافرم طمع الامير علم الدين الشجاعى في ورثته وفي الوقف وأربابه فغصب أرض الجرف وجملتها فدانان ثم تركها فلما كان فى أثناء دولة الناصر محمد بن قلاوون ووزارة الاعسر بيعت أرضها لارباب الابنية التي عليها وهذه البركة وقفها الخطير بن مماتي ودخل معهم بنو الشعيبية لاختلاط أنسابهم بالتناسل وقال في موضع آخر ومن جملة الاوقاف بركة الخطير بن مماتي المشهورة ببركة الشعيبية ومساحة أرضها أربعة وخمسون فداناً وربع ولها حدود أربعة القبلي من البركة الصغرى منها الى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش وفيه قنطرة يمر منها الماء الى هذه البركة وباقى هذا الحد الى بعض أبنية مناظر المعشوق ومن جملة حقوق هذا الوقف المجاز المستطيل المسلوك فيه الى المنظرة المذكورة ومنه دهليزها والايوان البحري وهذا جميعه رأيته ترعة من تراع هذه البركة المذكورة يمر الماء فيها في زمن النيل اليها وكان باقي هذه المنظرة دارا مطلة على بحر النيل من شرقيها وعلى هذه الترعة من بحريها ثم ملكها الصاحب تاج الدين بن حنا وهدمها وردم الخليج وعمر المنظرة والحمام والبيوت الموجودة الآن وباقي ذلك كله فى أرض ابن الصابونى وحد هذه البركة من الجهة البحرية الى الطريق الآن وكان فيه جسر يعرف بجسر الحيات كان يفصل بين هذه البركة وبين بركة شطا وكان فيه قنطرة يجرى الماء فيها من هذه البركة الى بركة شطا وكان فى هذا الحد ترعة أخرى يجرى الماء فيها في زمن النيل من البحر الى

هذه البركة ورأيته يجرى فيها ورأيت الشخاتير تدخل فيها الى هـذه البركة وأما حدها الشرقى فانه كان الى أبنية الآدر المطلة على هذه البركة وأما حدها الغربى فانه كان الى بحر النيل ولم تزل كذلك الى أن استأجرها الامير عز الدين أيبك الافرم فردم هـذه الترعة وبنى حيطان هذا البستان وجسر عليه وزرع فيه الشتول والخضراوات وأقام على ذلك عدة سنين ثم استأجره اجارة ثانية واشترط البناء على ثلاثة أفدنة في جانبه الغربي وفدان في جانبه البحري فعمر الناس واستغني عن الجسور ورخص على الناس حتى رغبوا فى العمارة وآجر كل مائة ذراع من ذلك بعشرة دراهم نقرة وعمر البئر المشهورة ببئر السواقى فعمرت أحسن عمارة فلما توفي الافرم طمع الشجاعي في أرباب الوقف وفي ورثتـه ونزع منهم الفدانين المطلة على بحر النيل وابتاع ذلك من وكيل بيت المـال وأعانه عليه قوم آخرون يجتمعون عند الله تعالى

(ذكر المعشوق)

اعلم أن المعشوق اسم لمكان فيه أشجار بظاهر مصر من جملة خطة راشدة عرف أولا بجنان كهمس بن معمر ثم عرف بجنان الماردانى ثم عرف بجنان الامير تميم بن المعز لدين الله ثم جدده الافضـل بن أمير الجيوش فعرف به وآخرا صار من وقف ابن الصابونى فأخـذه الصاحب تاج الدين محمد بن حنا وعمر به مناظر وأوصى بعمارة رباط للآثار النبوية وأن توقف عليه فلما أنشئ الرباط المذكور أرصد لمصالحه وهو الآن وقف عليه وأرض هـذا البستان مما وقفه ابن الصابونى على بنيه وعلى رباطه المجاور لقبة الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه بالقرافة وبنو الصابونى يستأدون من المتحدث على رباط الآثار شيئاً فى كل سـنة عن حكر أرض بستان المعشوق قال القضاعي في ذكر خطة راشدة ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة راشدة والجنان المعروفة كانت تعرف بكهمس بن معمر ثم عرفت بالمازدانى وهو المعروف الآن بالامير تميم بن المعز * هذا وقد بني المعتمد على الله أحمد بن المتوكل في الجانب الشرقي من سر من رأى قصرا سماه المعشوق وأقام به وبين بغداد وتكريت منزلة فيها آثار بنـاء وقصور تسمى العاشق والمعشوق وفيه أنشد الشريف زهرة بن علي بن زهرة بن الحسن الحسيني وقد اجتاز به يريد الحج

قد رأيت المعشوق وهو من الهجـــر بحال تنبو النواظر عنه
أثر الدهر فيـه آثار سوء * قد ادالت يد الحوادث منـه

وقال ابن يونس (كهمس) بن معمر بن محمد بن معمر بن حبيب يكنى أبا القاسم كان أبوه بصرياً وولد هو بمصر وكان عاقلا وكانت القضاة تقبله حدث عن محمـد بن رمح وعيسى بن حماد زغبة وسلمة بن شبيب ونحوهم توفي فى يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الاول

سنة احدى عشرة وثلثمائة وقال ابن خلكان (تميم) بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب وهو الذي بنى القاهرة المعزية وكان تميم فاضلا شاعراً ماهرا لطيفاً ظريفاً ولم يل المملكة لان ولاية العهد كانت لاخيه العزيز فوليها بعد أبيه وأشعاره كلها حسنة وكانت وفاته في ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلثمائة وقد ذكر كلا من الماردانى وابن حنا والافضل وأما ابن مماتى فانه (اسعد) بن مهذب بن زكريا ابن قدامة بن نينا شرف الدين مماتى أبي المكارم بن سعيد بن أبي المليح الكاتب المصري أصله من نصارى سيوط من صعيد مصر واتصل جده أبو المليح بأمير الجيوش بدر الجمالي وزير مصر في أيام الخليفة المستنصر بالله وكتب في ديوان مصر وولى استيفاء الديوان وكان جوادا ممدوحا انقطع اليه أبو الطاهر اسماعيل بن محمد المعروف بابن مكيسة الشاعر فمن قوله فيه لما مات

طويت سماء المكرما * ت وكورت شمس المديح
وتناثرت شهب العلا * من بعد موت أبي المليح
ما كان بالنكس الدني * ء من الرجال ولا الشحيح
كفر النصارى بعد ما * عذروا به دون المسيح

ورثاه جماعة من الشعراء ولما مات ولى ابنه المهذب بن أبي المليح زكريا ديوان الجيش بمصر في آخر الدولة الفاطمية فلما قدم الامير أسد الدين شيركوه وتقلد وزارة الخليفة العاضد شدد على النصارى وأمرهم بشد الزنانير على أوساطهم ومنعهم من ارخاء الذؤابة التي تسمى اليوم بالعذبة فكتب لاسد الدين

يا أسد الدين ومن عدله * يحفظ فينا سنة المصطفى
كفى غيارا شد أوساطنا * فما الذي أوجب كشف القفا

فلم يسعفه بطلبته ولا مكنه من ارخاء الذؤابة وعند ما أيس من ذلك أسلم فقدم على الدواوين حتي مات فخلفه ابنه أبو المكارم أسعد بن مهذب الملقب بالخطير علي ديوان الجيش واستمر في ذلك مدة أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأيام ابنه الملك العزيز عثمان وولى نظر الدواوين أيضاً واختص بالقاضي الفاضل وحظي عنده وكان يسميه بلبل المجلس لما يرى من حسن خطابه وصنف عدة مصنفات منها تلقين اليقين فيه الكلام على حديث بني الاسلام على خمس وكتاب حجة الحق على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم وهو كبير وكان السلطان صلاح الدين يكثر النظر فيه وقال فيه القاضي الفاضل وقفت من الكتب على مالا تحصى عدته فما رأيت والله كتابا يكون قبالة باب منه وانه والله من أهم ما طالعه الملوك وكتاب قوانين الدواوين صنفه للملك العزيز فيما يتعلق بدواوين مصر ورسومها وأصولها

وأحوالها وما يجرى فيها وهو أربعة أجزاء ضخمة والذي يقع في أيدى الناس جزء واحد اختصره منه غير المصنف فان ابن مماتي ذكر فيه أربعة آلاف ضيعة من أعمال مصر ومساحة كل ضيعة وقانون ريها ومتحصلها من عين وغلة ونظم سيرة السلطان صلاح الدين يوسف ونظم كليله ودمنه وله ديوان شعر ولم يزل بمصر حتى ملك السلطان الملك العادل أبو بكر ابن أيوب ووزر له صفي الدين على بن عبد الله بن شكر فخافه الاسعد لما كان يصدر منه في حقه من الاهانة وشرع الوزير بن شكر في العمل عليه ورتب له مؤامرات ونكبه وأحال عليه الاجناد ففر من القاهرة وسقط في حلب فخدم بها حتى مات في يوم الاحد سلخ جمادى الاولى سنة ست وستمائة عن اثنتين وستين سنة وكان سبب تلقيب أبى مليح بمماتي انه كان عنده في غلاء مصر في ايام المستنصر قمح كثير وكان يتصدق على صغار المسلمين وهو اذ ذاك نصراني وكان الصغار اذ رأوه قالوا مماتي فلقب بها ومن شعره

تعاتبني وتنهي عن أمور * سبيل الناس أن ينهوك عنها
أتقدر أن تكون كمثل عيني * وحقك ما على أضر منها

وقال في أترجة كانت بين يدى القاضي الفاضل وهو معنى بديع

لله بل للحسن أترجة * تذكر الناس بأمر النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

(بركة شطا) هذه البركة موضعها الآن كيمان على يسرة من يخرج من باب القنطرة بمدينة مصر طالبا جسر الافرم ورباط الآثار كان الماء يعبر اليها من خليج بني وائل وموضعه على يمنة من يخرج من باب القنطرة المذكورة وكان عليه قنطرة بناها العزيز بالله بن المعز وبها سمى باب القنطرة هذا قال ابن المتوج بركة شطا بظاهر مصر على يسرة من مر من باب القنطرة وكان الماء يدخل اليها من خليج بني وائل من براخ بالسور المستجد ومن بركة الشعيبية من قنطرة في وسط الجسر المعروف بجسر الحيات الذى كان يفصل بين البركتين المذكورتين وكان بوسطها مسجد يعرف بمسجد الجلالة بقناطر بوسطها كان يسلك عليها اليه وكان يطل على بركة شطا آدر خربت بانقطاع الماء عنها وكان الى جانبها بستان فيه منظرة ودراية وطاحون وحمام وبظاهر بابه حوض سبيل وقف ذلك المخلص الموقع وقد خرب *(بركة قارون)* هذه البركة موضعها الآن فيما بين حدرة ابن قميحة خلف جامع ابن طولون وبين الجسر الاعظم الفاصل بين هذه البركة وبركة الفيل وعليها الآن عدة آدر وتعرف ببركة قراجا وكان عليها عدة عمائر جليلة في قديم الزمان عند ما عمر العسكر والقطائع فلما خرب العسكر والقطائع كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب خرب

ما كان من الدور على هذه البركة أيضا حتى انه كان من خرج من مصلى مصر القديم وموضعه الآن الكوم الذى يطل على قبر القاضى بكار بالقرافة الكبرى يرى بركة الفيل وقارون والنيل ولم يزل ما حول هذه البركة خرابا الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاون البركة الناصرية فى أراضي الزهرى وكانت واقعة الكنائس في سنة احدى وعشرين وسبعمائة فصار جانب هذه البركة الذى يلى خط السبع سقايات مقطع طريق فيه مركز يقيم فيه من جهة متولى مصر من يحرس المارة من القاهرة الى مصر ولم يكن هناك شيء من الدور وانما كان هناك بستان بجوار حوض الدمياطي الموجود الآن تجاه كوم الاسارى على يمنة من خرج وسلك من السبع سقايات الى قنطرة السد ويشرف هذا البستان على هذه البركة فحكر اقبغا عبد الواحد مكانه وصارت فيه الدور الموجودة الآن كما ذكر عند حكر اقبغا في ذكر الاحكار * قال القضاعي دار الفيل هي الدار التي على بركة قارون ذكر بنو مسكين انها من حبس جدهم وكان كافور أمير مصر اشتراها وبنى فيها دارا ذكر أنه أنفق عليها مائة ألف دينار ثم سكنها في رجب سنة ست وأربعين وثلثمائة وذكر اليمنى انه انتقل اليها في جمادى الآخرة من السنة المذكورة وانه كان أدخل فيها عدة مساجد ومواضع اغتصبها من أربابها ولم يقم فيها غير أيام قلائل ثم أرسل الى أبى جعفر مسلم الحسينى ليلا فقال له امض بى الى دارك فمضى به فمر على دار فقال لمن هذه فقال لغلامك نحرير التربية فدخلها وأقام فيها شهورا الى أن عمروا له دار خمارويه المعروفة بدار الحرم وسكنها وقيل ان سبب انتقاله من جنان بنى مسكين بخار البركة وقيل وباء وقع في غلمانه وقيل ظهر له بها جان وكانت دار الفيل هذه ينظر منها جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة قال أبو عمر الكندى فى كتاب الموالى ومنهم أبو غنيم مولى مسلمة بن مخلد الانصارى كان شريفا فى الموالى وولاه عبد العزيز بن مروان الجزيرة ثم عزله عنها وكان يجلس في داره التي يقال لها دار الفيل فينظر الى الجزيرة فيقول لاخوانه أخبرونى بأعجب شيء في الدنيا قالوا منارة الاسكندرية قال ما أصبتم شيئاً قال فيقولون له فقناة قرطا جنة فيقول ماصنعتم شيئاً قالوا فما تقول انت قال العجب أنى أنظر الى الجزيرة ولا أقدر أدخلها وعلى هذه البركة الآن عدة آدر جليلة وجامع وحمام وغير ذلك والله تعالى أعلم بالصواب *(بركة الفيل) هذه البركة فيما بين مصر والقاهرة وهى كبيرة جدا ولم يكن في القديم عليها بنيان ولما وضع جوهر القائد مدينة القاهرة كانت تجاه القاهرة ثم حدثت حارة السودان وغيرها خارج باب زويلة وكان ما بين حارة السودان وحارة اليانسية وبين بركة الفيل فضاء ثم عمر الناس حول بركة الفيل بعد الستمائة حتى صارت مساكنها أجل مساكن مصر كلها * قال ابن سعيد وقد ذكر القاهرة وأعجبني في ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن

يركب فيها بالليل وتسرج أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها أقول

أنظر الى بركة الفيل التي اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كأنما هي والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت

انظر الى بركة الفيل التي نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك محفوفا ببهجتها * تهيم وجدا وحبا في بدائعها

وماء النيل يدخل الى بركة الفيل من الموضع الذي يعرف اليوم بالجسر الاعظم تجاه الكبش وبلغني أنه كان هناك قنطرة كبيرة فهدمت وعمل مكانها هذه المجاديل الحجر التي يمر عليها الناس ويعبر ماء النيل الى هذه البركة أيضاً من الخليج الكبير من تحت قنطرة تعرف قديما وحديثا بالمجنونة وهي الآن لا تشبه القناطر وكأنها سرب يعبر منه الماء وفوقه بقية عقد من ناحية الخليج كان قد عقده الامير الطيبرس وبنى فوقه منتزها فقال فيه علم الدين بن الصاحب .

ولقد عجبت من الطبرس وصحبه * وعقولهم بعقوده مفتونه
عقدوا عقودا لا تصح لانهم * عقدوا لمجنون على مجنونه

وكان الطيبرس هذا يعتريه الجنون واتفق أن هذا العقد لم يصح وهدم وآثاره باقية الى اليوم *(بركة الشقاف) هذه البركة فى بر الخليج الغربي بجوار اللوق وعليها الجامع المعروف بجامع الطباخ في خط باب اللوق وكانت هذه البركة من جملة اراضي الزهرى كما ذكر فى حكر الزهري عند ذكر الاحكار وكان عليها في القديم عدة مناظر منها منظرة الامير جمال الدين موسى بن يغمور وذلك أيام كانت اراضى اللوق مواضع نزهة قبل أن تحتكر وتبنى دورا وذلك بعد سنة ستمائة والله تعالى أعلم *(بركة السباعين) عرفت بذلك لانه اتخذ عليها دار للسباع وهى موجودة هناك الى يومنا هذا وهى من جملة حكر الزهري وعليها الآن دور ولم تحدث بها العمارة الا بعد سنة سبعمائة وانما كان جميع ذلك الخط وماحوله من منشأة المهراني الى المقس بساتين ثم حكرت *(بركة الرطلى) هذه البركة من جملة أرض الطبالة عرفت ببركة الطوابين من أجل انه كان يعمل فيها الطوب فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى التمس الامير بكتمر الحاجب من المهندسين أن يجعلوا حفر الخليج على الجرف الى أن يمر بجانب بركة الطوابين هذه ويصب من بحرى ارض الطبالة في الخليج الكبير فوافقوه على ذلك ومر الخليج من ظاهر هذه البركة كما هو اليوم فلما جرى ماء النيل فيه روى أرض البركة فعرفت ببركة الحاجب

فانها كانت بيد الامير بكتمر الحاجب المذكور وكان في شرقى هذه البركة زاوية بها نخل كثير وفيها شخص يصنع الارطال الحديد التي تزن بها الباعة فسماها الناس بركة الرطلى نسبة لصانع الارطال وبقيت نخيل الزاوية قائمة بالبركة الى ما بعد سنة تسعين وسبعمائة فلما جرى الماء فى الخليج الناصرى ودخل منه الى هذه البركة عمل الجسر بين البركة والخليج فحكره الناس وبنوا فوقه الدور ثم تتابعوا فى البناء حول البركة حتى لم يبق بدائرها خلو وصارت المراكب تعبر اليها من الخليج الناصرى فتدورها تحت البيوت وهى مشحونة بالناس فتمر هنالك للناس أحوال من اللهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس فى المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء الفاجرات واختلاطهن بالرجال من غير انكار فاذا نضب ماء النيل زرعت هذه البركة بالقرط وغيره فيجتمع فيها من الناس في يوم الاحد والجمعة عالم لا يحصى لهم عدد وأدركت بهذه البركة من بعد سنة سبعين وسبعمائة الى سنة ثمانمائة أوقاتا انكشفت فيها عمن كان بها ايدى الغير ورقدت عن أهاليها أعين الحوادث وساعدهم لوقت اذ الناس ناس والزمن زمان ثم لما تكدر جو المسرات وتقلص ظل الرفاهة وانهلت سحائب المحن من سنة ست وثمانمائة تلاشى أمرها وفيها الى الآن بقية صبابة ومعالم أنس وآثار تنبئ عن حسن عهد ولله در القائل

في أرض طبالتنا بركة * مدهشة للعين والعقل

ترجح في ميزان عقلى على * كل بحار الارض بالرطل

* (البركة المعروفة ببطن البقرة) هذه البركة كانت فيما بين أرض الطبالة وأراضى اللوق يصل اليها ماء النيل من الخور فيمر فى خليج الذكر اليها وكانت تجاه قصر اللؤلؤة ودار الذهب فى بر الخليج الغربي وأول ماعرفت من خبر هذه البركة انها كانت بستانا كبيرا فيما بين المقس وجنان الزهري عرف بالبستان المقسى نسبة الى المقس ويشرف على بحر النيل من غربيه وعلى الخليج الكبير من شرقيه فلما كان فى أيام الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبي هاشم على بن الحاكم بأمر الله أمر بعد سنة عشر وأربعمائة بازالة انشاب هذا البستان وأن يعمل بركة قدام المنظرة التى تعرف باللؤلؤة فلما كانت الشدة العظمى في زمن الخليفة المستنصر بالله هجرت البركة وبنى فى موضعها عدة أماكن عرفت بحارة اللصوص اذ ذاك فلما كان في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله ووزارة الاجل المأمون محمد بن فاتك البطائحي ازيلت الابنية وعمق حفر الارض وسلط عليها ماء النيل من خليج الذكر فصارت بركة عرفت ببطن البقرة وما برحت الى مابعد سنة سبعمائة وكان قد تلاشى أمرها منذ كانت الغلوة في زمن الملك العادل كتبغا سنة سبع وتسعين وستمائة فكان من خرج من باب القنطرة يجد عن يمينه أرض الطبالة من جانب الخليج الغربي الى حد المقس ويجد بطن

البقرة عن يساره من جانب الخليج الغربي الى حد المقس وبحر النيل الاعظم يجرى في غربي بطن البقرة على حافة المقس الى غربى أرض الطبالة ويمر من حيث الموضع المعروف اليوم بالجرف الى غربى البعل ويجري الى منية الشيرج فكان خارج القاهرة أحسن منتزه في مصر من الامصار وموضع بطن البقرة يعرف اليوم بكوم الجاكي المجاور لميدان القمح وما جاور تلك الكيمان والخراب الى نحو باب اللوق وحدثنى غير واحد ممن لقيت من شيوخ المقس عن مشاهدة آثار هذه البركة واخبرنى عمن شاهد فيها الماء والى زمننا هذا موضع من غربى الخليج فيما يلي ميدان القمح يعرف ببطن البقرة بقيـة من تلك البركة يجتمع فيه الناس للنزهة * (بركة جناق) هذه البركة خارج باب الفتوح كانت بالقرب من منظرة باب الفتوح التى تقدم ذكرها في المناظر وكان ماحولها بساتين ولم يكن خارج باب الفتوح شيء من هذه الابنية وانما كان هناك بساتين فكانت هذه البركة فيما بين الخليج الكبير وبستان ابن صيرم فلما حكر بستان ابن صيرم وعمر في مكانه الآدر وغيرها وعمر الناس خارج باب الفتوح عمر ماحول هذه البركة بالدور وسكنها الناس وهى الى الآن عامرة وتعرف ببركة جناق * (بركة الحجاج) هذه البركة فى الجهة البحرية من القاهرة على نحو بريد منها عرفت أولا بجب عميرة ثم قيل لها أرض الجب وعرفت الى اليوم ببركة الحجاج من أجل نزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودهم وبعض من لامعرفة له بأحوال أرض مصر يقول جب يوسف عليه السلام وهو خطأ لا أصل له وما برحت هذه البركة منتزهاً لملوك القاهرة * قال ابن يونس عميرة بن تميم بن جزء التجيبى من بنى القرناء صاحب الجب المعروف بجب عميرة في الموضع الذى يبرز اليه الحاج من مصر لخروجهم الى مكة وقال أبو عمر الكندى فى كتاب الخندق ان فرسان الخندق من جب عميرة بن تميم بن جزء وصاحب جب عميرة من بني القرناء طعن فى تلك الايام فارتث فمات بعد ذلك * وقال فى كتاب الامراء ثم ان أهل الحوف خرجوا على ليث بن الفضل أمير مصر وكان السبب فى ذلك أن ليثاً بعث بمساح يمسحون عليهم أراضى زرعهم فانتقصوا من القصب أصابع فتظلم الناس الى ليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم ليث فى أربعة آلاف من جند مصر ليومين بقيا من شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى مع أهل الحوف لثنتي عشرة خلت من شهر رمضان فانهزم الجيش عن ليث وبقى في مائتين أو نحوها فحمل عليهم بمن معه فهزمهم حتي بلغ بهم غيفة وكان التقاؤهم فى أرض جب عميرة وبعث ليث الى الفسطاط بثمانين رأساً ورجع الى الفسطاط وقال المنسيحي ولاثنتي عشرة خلت من ذى القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة عرض أمير المؤمنين العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الجب فنصب له مضرب ديباج رومى فيه ألف ثوب مفوفة فضة ونصبت

له فازة مستقلة وقبة مثقلة بالجوهر وضرب لابنه المنصور مضرب آخر وعرضت العساكر فكانت عدتها مائة عسكر وأقبلت أسارى الروم وعدتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يوما عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب * وقال ابن ميسر كان من عادة أمير المؤمنين المستنصر بالله أن يركب فى كل سنة على النجب مع النساء والحشم الى جب عميرة وهو موضع نزهة بهيئة أنه خارج للحج على سبيل الهزؤ والمجانة ومعه الخمر فى الروايا عوضاً عن الماء ويسقيه الناس وقال أبو الخطاب بن دحية وخطب لبني عبيد ببغداد أربعين جمعة وذلك للمستنصر بل للبطال المستهتر أنشده العقيلى صبيحة يوم عرفة

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء * ولا تضحي ضحي الا بصهباء
وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم * الى منى قصفهم مع كل هيفاء

ووصل ألف القطع للضرورة وهو جائز فخرج في ساعته بروايا الخمر تزجي بنغمات حداة الملاهي وتساق * حتي أناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق * فاقام بها سوق الفسوق على ساق * وفى ذلك العام أخذه الله وأخذ أهل مصر بالسنين * حتى بيع القرص في أيامه بالثمن الثمين * وقال القاضى الفاضل في حوادث المحرم سنة سبع وسبعين وخمسمائة وفيه خرج السلطان يعنى صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بركة الجب للصيد ولعب الاكرة وعاد الى القاهرة في سادس يوم من خروجه وذكر من ذلك كثيراً عن السلطان صلاح الدين وابنه الملك العزيز عثمان * وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاون وفي حوادث صفر سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وفيه ركب السلطان الى بركة الحجاج للرمى على الكراكي وطلب كريم الدين ناظر الخاص ورسم أن يعمل فيها أحواشاً للخيل والجمال وميدانا وللأمير بكتمر الساقى مثله فأقام كريم الدين بنفسه فى هذا العمل ولم يدع أحداً من جميع الصناع المحتاج اليهم يعمل في القاهرة عملا فكان فيها نحو الألفي رجل ومائة زوج بقر حتي تمت المواضع فى مدة قريبة وركب السلطان اليها وأمر بعمل ميدان لنتاج الخيل فعمل ومابرح الملوك يركبون الى هذه البركة لرمى الكراكي وهم على ذلك الى هذا الوقت وقد خربت المبانى التي أنشأها الملك الناصر وادركنا بهذه البركة مراحا عظيما للاغنام التي يعلفها التركانى حب القطن وغيره من العلف فتبلغ الغاية في السمن حتى انه يدخل بها الى القاهرة محمولة على العجل لعظم جثتها وثقلها وعجزها عن المشي وكان يقال كبش زكاوى نسبة الى هذه البركة وشاهدت مرة كبشاً من كباش هذه البركة وزنت شقته اليمنى فبلغت زنتها خمسة وسبعين رطلا سوي الالية وبلغنى عن كبش انه وزن مافي بطنه من الشحم خاصة فبلغ أربعين رطلا وكانت ألايا تلك الكباش تبلغ الغاية في الكبر وقد بطل هذا من القاهرة منذ كانت الحوادث بعد سنة ست

وثمانمائة حتى لايكاد يعرفه اليوم الا أفراد من الناس وبركة الحجاج اليوم أرباب دركها قوم من العرب يعرفون ببنى صبرة وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى في كتاب الجوهر المكنون في معرفة القبائل والبطون بنو بطيخ بطن من لخم وهم ولد بطيخ بن مغالة ابن دعجان بن عميث بن كليب بن أبى الحارث بن عمرو بن رميمة بن جدس بن أريش بن أراش بن جديلة بن لخم ونخذها بنو صبرة بن بطيخ ولهم حارة مجاورة للخطة المعروفة اليوم بكوم دينار السايس وصبرة فى خندف وفي قيس ونزار ويمن فالتي فى خندف فى بنى جعفر الطيار بنو صبرة بن جعفر بن داود بن محمد بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن على ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب نخذ والتى فى قيس بنو صبرة بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان نخذ وأما التى فى نزار ففى شيبان بنو صبرة ابن عوف بن محكم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار نخذ واما التي فى يمن ففى لخم وجذام فأما التى فى لخم فبنو صبرة بن بطيخ بن مغالة بن دعجان بن عميث بن كليب بن أبى الحارث بن عمرو بن رميمة بن جدس بن أريش بن أراش بن جديلة ابن لخم وأما التى في جذام فبنو صبرة بن نصيرة بن غطفان بن سعد بن اياس بن حرام ابن جذام واليه يرجع الصبريون وهم بالشام والله تعالى أعلم * (بركة قرموط) هذه البركة فيما بين اللوق والمقس كانت من جملة بستان ابن ثعلب فلما حفر الملك الناصر محمد ابن قلاون الخليج الناصرى من موردة البلاط رمى ماخرج من الطين فى هذه البركة وبنى الناس الدور على الخليج فصارت البركة من ورائها وعرفت تلك الخطة كلها ببركة قرموط وادركنا بها دياراً جليلة تناهي أربابها في احكام بنائها وتحسين سقوفها وبالغوا في زخرفتها بالرخام والدهان وغرسوا بها الاشجار وأجروا اليها المياه من الآبار فكانت تعد من المساكن البديعة النزهة وأكثر من كان يسكنها الكتاب مسلموهم ونصاراهم وهم فى الحقيقة المترفون أولو النعمة فكم حوت تلك الديار من حسن ومستحسن وانى لاذكرها وما مررت بها قط الاوتبين لى من كل دار هناك آثار النعم اما روائح تقالى المطابخ أو عبير بخور العود والند أو نفحات الخمر أو صوت غناء أو دق هاون ونحو ذلك مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ورفاهة عيشهم وغضارة نعمهم ثم هى الآن موحشة خراب قد هدمت تلك المنازل وبيعت أنقاضها منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فزالت الطرق وجهلت الازقة وانكشفت البركة وبقى حولها بساتين خراب وبلغني أن المراكب كانت تعبر الى هذه البركة للتنزه وما أحسب ذلك كان فانها كانت من جملة البستان ولم ينقل انه كان بقربها خليج سوي الخور ويبعد أن يصل اليها والله أعلم * وقرموط هذا

هو أمين الدين قرموط مستوفى الخزانة السلطانية *(بركة قراجا) هـذه البركة خارج الحسينية قريباً من الخندق عرفت بالامير زين الدين قراجا التركمانى أحـد أمراء مصر أنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالامرة فى سنة سبع عشرة وسبعمائة *(البركة الناصرية) هذه البركة من جملة جنان الزهرى فلما خربت جنان الزهرى صار موضعها كوم تراب الى أن أنشأ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ميدان المهاري فى سنة عشرين وسبعمائة وأراد بناء الزريبة بجانب الجامع الطيبرسي احتاج في بنائها الى طين فركب وعين مكان هذه البركة وأمر الفخر ناظر الجيش فكتب أوراقا بأسماء الامراء وانتدب الامير بيبرس الحاجب فنزل بالمهندسين فقاسوا دور البركة ووزع على الامراء بالاقصاب فنزل كل أمير وضرب خيمة لعمل ما يخصـه فابتدؤا العمل في يوم الثلاثاء تاسع عشرى شهر ربيع الاول سنة احدي وعشرين وسبعمائة فتمادى الحفر الى جانب كنيسة الزهرى وكان اذ ذاك في تلك الارض عدة كنائس ولم يكن هناك شئ من العمائر التي هى اليوم حول البركة الناصرية ولا من العمائر التي في خط قناطر السباع ولا فى خط السبع سقايات الى قنطرة السد وانما كانت بساتين وكنائس وديورة للنصارى فاستولى الحفر على ما حول كنيسة الزهرى وصارت في وسط الحفر حتي تعلقت وكان القصد أن تسقط من غير تعمد هدمها فاراد الله تعالى هدمها على يد العامة كما ذكر في خبرها عند ذكر كنائس النصارى من هذا الكتاب فلما تم حفر البركة نقل ما خرج منها من الطين الى الزريبة وأجرى اليها الماء من جوار الميدان السلطانى الكائن بأراضى بستان الخشاب عند موردة البلاط فلما امتلأت بالماء صارت مساحتها سبعة أفدنة فحكر الناس ما حولها وبنوا عليها الدور العظيمة وما برح خط البركة الناصرية عامرا الى أن كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة فشرع الناس في هدم ما عليها من الدور فهدم كثير مما كان هناك والهدم مستمر الى يومنا هذا

(ذكر الجسور)

الجسر بفتح الجيم الذى تسـميه العامة جسرا عن ابن دريد وقال الخليل الجسر والجسر لغتان وهو القنطرة ونحوها مما يعبر عليه وقال ابن سـيده والجسر الذى يعبر عليه والجمع القليل أجسر قال

ان فراخا كفراخ الاوكر * بأرض بغدادوراء الاجسر   والكثير جسور

*(جسر الافرم) هذا الجسر بظاهر مدينة مصر فيما بين المدرسة المعزية برحبة الحناء قبلى مصر وبين رباط الآثار النبوية كان موضعه فى أول الاسلام غامرا بماء النيل ثم انحسر عنه الماء فصار فضاء الى مجرى خليج بنى وائل ثم ابتني الناس فيه مواضع وكان هنـاك المرى قريبا من الخليج ثم صار موضع جسر الافرم هذا ترعة يدخل منها ماء النيل الى البركة

الشعيبية فلما استأجر الامير عز الدين أيبك الافرم بركة الشعيبية وجعلها بستاناً كما تقدم ذكره في البرك ردم هذه الترعة وبنى حيطان البستان وجسر عليه فاقام على ذلك سنين ثم لما استأجر أرض البركة بعد ما غرسها بالاشجار اجارة ثانية اشترط البناء على ثلاثة أفدنة في جانب البستان الغربي وفدان في جانبه البحري ونادى في الناس بتحكيره وأرخص سعر الحكر وجعل حكر كل مائة ذراع عشرة دراهم فهرع الناس اليه واحتكروا منه المواضع وبنوا فيها الدور المطلة على النيل فاستغني بالعمائر عن عمل الجسر في كل سنة بين البحر والبستان الذى أنشأه وبقى اسم الجسر عليه الى يومنا هذا الا أن الآدر التي كانت هناك خربت منذ انطرد النيل عن البر الغربي بعد ما بلغ ذلك الخط الغاية في العمارة وكان سكن الوزراء والاعيان من الكتاب وغيرهم *(الجسر الاعظم) هذا الجسر في زماننا هذا قد صار شارعا مسلوكا يمشى فيه من الكبش الى قناطر السباع وأصله جسر يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل وبينهما سرب يدخل منه الماء وعليه أحجار يراها من يمر هناك وبلغني أنه كان هناك قنطرة مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطاني عند موردة البلاط أمر بهدم القنطرة فهدمت ولم يكن اذ ذاك على بركة الفيل من جهة الجسر الاعظم مبان وانما كانت ظاهرة يراها المار ثم أمر السلطان بعمل حائط قصير بطولها فأقيم الحائط وصفر بالطين الاصفر ثم حدثت الدور هناك *(الجسر بأرض الطبالة) هذا الجسر يفصل بين بركة الرطلي وبين الخليج الناصرى أقامه الامير الوزير سيف الدين بكتمر الحاجب في سنة خمس وعشرين وسبعمائة لما انتهى حفر الخليج الناصرى وأذن للناس في البناء عليه فحكر وبنيت فوقه الدور فصارت تشرف على بركة الرطلي وعلى الخليج وتجتمع العامة تحت مناظر الجسر وتمر بحافة الخليج للنزهة فكثر اغتباط غوغاء الناس وفساقهم بهذا الجسر الى اليوم وهو من أنزه فرج القاهرة لولا ما عرف به من القاذورات الفاحشة *(الجسر من بولاق الى منية الشيرج) كان السبب في عمل هذا الجسر أن ماء النيل قويت زيادته في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة حتى أخرق من ناحية بستان الخشاب ودخل الماء الى جهة بولاق وفاض الى باب اللوق حتى اتصل بباب البحر وبساتين الحور فهدمت عدة دور كانت مطلة على البحر وكثير من بيوت الحكورة وامتد الماء الى ناحية منية الشيرج فقام الفخر ناظر الجيش بهذا الامر وعرف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون أنه متى غفل دخل الماء الى القاهرة وغرق أهلها ومساكنها فركب السلطان الى البحر ومعه الامراء فرأى ما هاله وفكر فيما يدفع ضرر النيل عن القاهرة فاقتضى رأيه عمل جسر عند نزول الماء وانصرف فقويت الزيادة وفاض الماء على منشأة المهراني ومنشأة الكتبة وغرق بساتين بولاق والجزيرة حتي صار ما بين ذلك ملقة واحدة وركب الناس المراكب للفرجة ومروا

بها تحت الاشجار وصاروا يتناولون الثمار بأيديهم وهم في المراكب فتقدم السلطان لمتولى القاهرةومتولى مصر يبث الاعوان في القاهرة ومصر لرد الحمير والجمال التى تنقل التراب الى الكيمان وألزمهم بالقاء التراب بناحية بولاق ونودى في القاهرة ومصر من كان عنده تراب فليرمه بناحية بولاق وفي الاماكن التي قد علا عليها الماء فاهتم الناس من جهة زيادة الماء اهتماما كبيرا خوفا أن يخرق الماء ويدخل الى القاهره وألزم أرباب الاملاك التى ببولاق والخور والمناشئ أن يقف كل واحد على اصلاح مكانه ويحترس من عبور الماء على غفلة فتطلب كل أحد من الناس الفعلة من غوغاء الناس لنقل التراب حتى عدمت الحرافيش ولم تكن توجد لكثرة ما أخذهم الناس لنقل التراب ورميه وتضررت الآدر القريبة من البحر بنزها وغرقت الاقصاب والقلقاس والنيلة وسائر الدواليب التى بأعمال مصر فلما انقضت أيام الزيادة ثبت الماء ولم ينزل في أيام نزوله ففسدت مطامير الغلات ومخازنها وشونها وتحسن سعر السكر والعسل وتأخر الزرع عن أوانه لكثرة ما مكث الماء فكتب لولاة الاعمال بكسر الترع والجسور كي ينصرف الماء عن أراضى الزرع الى البحر الملح واحتاج الناس الي وضع الخراج عن بساتين بولاق والجزيرة ومسامحتهم بنظير ما فسد من الغرق وفسدت عدة بساتين الي أن أذن الله تعالي بنزول الماء فسقط كثير من الدور وأخذ السلطان في عمل الجسور واستدعى المهندسين وأمرهم باقامة جسر يصد الماء عن القاهرة خشية أن يكون نيل مثل هذا وكتب باحضار خولة البلاد فلما تكاملوا أمرهم فساروا الي النيل وكشفوا الساحل كله فوجدوا ناحية الجزيرة مما يلي المنية قد صارت أرضها وطيئة ومن هناك يخاف على البلد من الماء فلما عرفوا السلطان بذلك أمر بالزام من له دار على النيل بمصر أو منشأة المهرانى أو منشأة الكتاب أو بولاق أن يعمر قدامها على البحر زريبة وأنه لا يطلب منهم عليها حكر ونودى بذلك وكتب مرسوم بمسامحتهم من الحكر عن ذلك فشرع الناس في عمل الزرابي وتقدم الي الامراء بطلب فلاحي بلادهم واحضارهم بالبقر والجراريف لعمل الجسر من بولاق الي منية الشيرج ونزل المهندسون فقاسوا الارض وفرضوا لكل أمير أقصابا معينة وضرب كل أمير خيمته وخرج لمباشرة ما عليه من العمل فأقاموا في عمله عشرين يوما حتي فرغ وانضبط عندهم الاسواق فجاء ارتفاعه من الارض أربع قصبات في عرض ثماني قصبات فانتفع الناس به انتفاعا كبيرا وقدر الله سبحانه وتعالي أن الزرع في تلك السنة حسن الي الغاية وأفلح فلاحا عجيبا وانحط السعر لكثرة مازرع من الاراضى وخصب السنة وكان قد اتفق في سنة سبع عشرة وسبعمائة غرق ظاهر القاهرة أيضا وذلك أن النيل وفي ستة عشر ذراعا في ثالث عشر جمادي الاولى وهو التاسع والعشرون من شهر أبيب أحد شهور القبط ولم يعهد مثل ذلك فان الانيال البدرية يكون وفاؤها في العشر الاول من

مسري فلما كسر سد الخليج توقفت الزيادة مدة ايام ثم زاد وتوقف الى أن دخل تاسع توت والماء على سبعة عشر ذراعا وتسعة اصابع ثم زاد في يوم تسعة أصابع واستمرت الزيادة حتى صار على ثمانية عشر ذراعا وستة اصابع ففاض الماء وانقطع طريق الناس فيما بين القاهرة ومصر وفيما بين كوم الريش والمنية وخرج من جانب المنيــة وغرقها فكتب بفتح جميع الترع والجسور بسائر الوجه القبلي والبحرى وكسر بحر ابى المنجا وفتح سد بلبيس وغيره قبل عيد الصليب وغرقت الاقصاب والزراعات الصيفية وعم الماء ناحية منية الشيرج وناحية شبرا فخربت الدور التي هناك وتلف للناس مال كثير من جملته زيادة على ثمانين ألف جرة خمر فارغة تكسرت في ناحية المنية وشبرا عند هجوم الماء وتلفت مطامير الغلة من الماء حتى بيع قدح القمح بفلس والفلس يومئذ جزء من ثمانية وأربعين جزأ من درهم وصار من بولاق الى شـبرا بحرا واحــدا تمر فيه المراكب للنزهة في بساتين الجزيرة الى شبرا وتلفت الفواكه والمشمومات وقلت الخضر التي يحتاج اليها في الطعام وغرقت منشأة المهرانى وفاض الماء من عند خانقاه رسلان وأفسد بستان الخشابة واتصل الماء بالجزيرة التى تعرف بجزيرة الفيل الى شبرا وغرقت الاقصاب التي في الصعيد فانّ الماء أقام عليها ستة وخمسين يوما فعصرت كلها عسلا فقط وخربت سائر الجسور وعلاها الماء وتأخر هبوطه عن الوقت المعتاد فسقطت عدة دور بالقاهرة ومصر وفسدت منشأة الـكتاب المجاورة لمنشأة المهرانى فلذلك عمل السلطان الجسر المذكور خوفا على القاهرة من الغرق *(الجسر بوسط النيل) وكان سبب عمل هذا الجسر أن ماء النيل قوى رميه على ناحية بولاق وهدم جامع الخطيرى ثم جدد وقويت عمارته وتيار البحر لا يزداد من ناحية البر الشرقي الا قوة فأهم الملك الناصر أمره وكتب في سنة ثمان وثـلاثين وسبعمائة بطلب المهندسين من دمشق وحلب والبلاد الفراتية وجمع المهندسين من أعمال مصر كلها قبليها وبحريها فلما تـكاملوا عنده ركب بعساكره من قلعة الجبل الى شاطئ النيل ونزل فى الحراقة وبين يديه الامراء وسائر ارباب الخبرة من المهندسين وخولة الجسور وكشف امر شطوط النيل فاقتضي الحال أن يعمل جسرا فيما بين بولاق وناحية انبوبه من البر الغربي ليرد قوة التيار عن البر الشرقى الى البر الغربي وعاد الى القلعة فكتبت مراسيم الى ولاة الاعمال باحضار الرجال صحبة المشدين واستدعى شاد العمائر السلطانية وأمره بطلب الحجارين وقطع الحجر من الجبل وطلب رئيس البحر وشاد الصناعة لاحضار المراكب فلم يمض سوى عشرة ايام حتى تكامل حضور الرجال مع الشادين من الاقاليم وندب السلطان لهذا العمل الامير أقبغا عبد الواحد والامير برصبغا الحاجب فبرزا لذلك وأحضر والى القاهرة ووالى مصر وأمرا بجمع الناس وتسخير كل أحد للعمل فركبا وأخذا الحرافيش من الاماكن المعروفة بهم وقبضا على من وجد في

الطرقات وفي المساجد والجوامع وتنبهاهم في الاسحار ووقع الاهتمام الكبير في العمل من يوم الاحد عاشر ذى القعدة وكانت ايام القيظ فهلك فيه عدة من الناس والامير اقبغا في الحراقة يستحث الناس على انجاز العمل والمراكب تحمل الحجر من القص الكبير الى موضع الجسر وفي كل قليل يركب السلطان من القلعة ويقف على العمل ويهين أقبغا ويسبه ويستحثه حتى تم العمل للنصف من ذى الحجة وكانت عدة المراكب التى غرقت فيه وهى مشحونة بالحجارة اثنى عشر مركبا كل مركب منها تحمل ألف أردب غلة وعدة المراكب التى ملئت بالحجر حتى ردم وصار جسرا ثلاثة وعشرون ألف مركب سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسريقات وحفر في الجزيرة خليج وطىء فلما جرى النيل في ايام الزيادة مر فى ذلك الخليج ولم يتأثر الجسر من قوة التيار وصارت قوة جري النيل من ناحية أنبوبة بالبر الغربي ومن ناحية التكرورى أيضا فسر السلطان بذلك وأعجبه اعجابا كثيرا وكان هذا الجسر سبب انطراد الماء عن بر القاهرة حتى صار الى ما صار اليه الآن *(الجسر فيما بين الجيزة والروضة) كان السبب المقتضي لعمل هذا الجسر أن الملك الناصر لما عمل الجسر فيما بين بولاق وناحية أنبوبة وناحية التكرورى انطرد ماء النيل عن بر القاهرة وانكشفت أراض كثيرة وصار الماء يخاض من بر مصر الى المقياس وانكشف من قبالة منشأة المهرانى الى جزيرة الفيل والى منية الشيرج وصار الناس يجدون مشقة لبعد الماء عن القاهرة وغلت روايا الماء حتى بيعت كل راوية بدرهمين بعد ما كانت بنصف وربع درهم فشكا الناس ذلك الى الامير أرغون العلائى والى السلطان الملك الكامل شعبان ابن الملك الناصر محمد بن قلاون فطلب المهندسين ورئيس البحر وركب السلطان بأمرائه من القلعة الى شاطئ النيل فلم يتهيأ عمل لما كان من ابتداء زيادة النيل الا أن الرأى اقتضى نقل التراب والشقاف من مطابخ السكر التى كانت بمصر والقاء ذلك بالروضة لعمل الجسر فنقل شيء عظيم من التراب في المراكب الى الروضة وعمل جسر من الجيزة الى نحو المقياس فى طول نحو ثلثي ما بينهما من المسافة فعاد الماء الى جهة مصر عودا يسيرا وعجزوا عن ايصال الجسر الى المقياس لقلة التراب وقويت الزيادة حتى علا الماء الجسر بأسره واتفق قتل الملك الكامل بعد ذلك وسلطنة أخيه الملك المظفر حاجى بن محمد بن قلاون أول جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة فلما دخلت سنة ثمان وأربعين وقف جماعة من الناس للسلطان في أمر البحر واستغاثوا من بعد الماء وانكشاف الاراضى من تحت البيوت وغلاء الماء فى المدينة فأمر بالكشف عن ذلك فنزل المهندسون واتفقوا على اقامة جسر ليرجع الماء عن بر الجيزة الى بر مصر والقاهرة وكتبوا تقدير ما يصرف فيه مائة وعشرين ألف درهم فضة فأمر بجبايتها من أرباب الاملاك التى على شط النيل وأن يتولى القاضى ضياء الدين يوسف بن أبى

بكر المحتسب جبايتها واستخراجها فقيست الدور وأخذ عن كل ذراع من أراضيها خمسة عشر درهما وتولى قياسها أيضاً المحتسب ووالى الصناعة فبلغ قياسها سبعة آلاف وسبعمائة ذراع وجبي نحو السبعين ألف درهم فاتفق عزل الضياء عن الحسبة ونظر المارستان المنصورى ونظر الجوالى وولاية ابن الاطروش مكانه ثم قتل الملك المظفر وولاية أخيه الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون سلطنة مصر بعده في شهر رمضان منها فلما كان فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة وقع الاهتمام بعمل الجسر فنزل الامير بلبغا أروس نائب السلطنة والامير منجك الاستادار وكان قد عزل من الوزارة والامير قيلاى الحاجب وجماعة من الامراء ومعهم عدة من المهندسين الى البحر في الحراريق والمراكب الى بر الجيزة وقاسوا ما بين بر الجيزة والمقياس وكتب تقدير المصروف نحو المائة والخمسين ألف درهم وألف خشبة من الخشب وخمسمائة صارو ألف حجر في طول ذراعين وعرض ذراعين وخمسة آلاف شنفة وغير ذلك من أشياء كثيرة فركب النائب والوزير والامير شيخو والامراء الى الجيزة وأعادوا النظر في أمر الجسر ومعهم أرباب الخبرة فالتزم الامير منجك بعمل الجسر وان يتولى جباية المصروف عليه من سائر الامراء والاجناد والكتاب وأرباب الاملاك بحيث انه لا يبقى أحد حتى يؤخذ منه فرسم لكتاب الجيش بكتابة أسماء الجند وقرر على كل مائة دينار من الاقطاعات درهم واحد وعلى كل أمير من خمسة آلاف درهم الى أربعة آلاف درهم وعلى كل كاتب أمير ألف مائتا درهم وكاتب أمير الطبلخانات مائة درهم وعلى كل حانوت من حوانيت التجار درهم وعلى كل دار درهمان وعلى كل بستان الفدان من عشرين درهما الى عشرة دراهم وعلى كل طاحون خمسة دراهم عن الحجر وعلى كل صهريج في تربة بالقرافة أو في ظاهر القاهرة أو فى مدرسة من عشرة دراهم الى خمسة دراهم وعلى كل تربة من ثلاثة دراهم الى درهمين وعلى أصحاب المقاعد والمتعيشين فى الطرقات شيء وكشفت البساتين والدور التى استجدت من بولاق الي منية الشيرج والتى استجدت فى الحكورة والتى استجدت على الخليج الناصرى وعلى بركة الحاجب وفي حكر أخي صاروجا وقيست أراضيها كلها وأخذ عن كل ذراع منها خمسة عشر درهما وأخذ عن كل قمين من أقنة الطوب شيء وعن كل فاخورة من الفواخير شيء وفرض على كل وقف بالقاهرة ومصر والقرافتين من الجوامع والمساجد والخوانك والزوايا والربط شيء وكتب الي ولاة الاعمال بالجباية من ديورة النصارى وكنائسهم من مائتى درهم الى مائة درهم وقرر على الفنادق والخانات التى بالقاهرة ومصر شئ وقرر على ضامنة الاغانى مبلغ خمسين ألف درهم وأقيم لكل جهة شاد وصيرفي وكتاب وغير ذلك من المستحثين من الاعوان فنزل من ذلك بالناس بلاء كبير وشدة عظيمة فانه أخذ حتى من الشيخ والعجوز والارملة وجبي المال منهم بالعسف وابطل

كثير منهم سببه لسعيه فى الغرامة ودهى الناس مع الغرامة بتسلط الظلمة من العرفاء والضمان والرسل فكان يغرم كل أحد للقابض والشاد والصيرفي والشهود سوى ماقرر عليه جملة دراهم فكثر كلام الناس فى الوزير حتي صاروا يلهجون بقولهم هذه سخطة مرصصة نزلت من السماء على أهل مصر وقاسوا شدة أخرى في تحصيل الاصناف التي يحتاج اليها ونزل الوزير منجك وضرب له خيمة على جانب الروضة ونادى في الحرافيش والفعلة من أراد العمل يحضر ويأخذ أجرته درهماً ونصفاً وثلاثة أرغفة فاجتمع اليه عالم كثير وجعل لهم شيئاً يستظلون به من حر الشمس وأحسن اليهم ورتب عدة مراكب لنقل الحجر وأقام عدة من الحجارين في الجبل لقطع الحجر وجمالا وحميراً تنقلها من الجبل الى البحر ثم تحمل من البر فى المراكب الى بر الجيزة وابتدأ بعمل الجسر من الروضة الى ساقية علم الدين بن زنبور وعارضه بجسر آخر من بستان التاج اسحاق الى ساقية ابن زنبور وأقام أخشاباً من الجهتين وردم بينهما بالتراب والحجر والحلفاء ورتب الجمال السلطانية لقطع الطين من بر الروضة وحمله الى وسط الجسر وأمر أن لايبقى بالقاهرة ومصر صانع الا حضر العمل وألزم من كان بالقرب من داره كوم تراب أن ينقله الى الجسر فغرم كل واحد من الناس في نقل التراب من ألف درهم الى خمسمائة درهم وكان كل ما ينقل فى المراكب من الحجر وغيره يرمى في وسط جسر المقياس وتحمله الجمال الى الجسر ثم اقتضى الرأى حفر خليج يجرى الماء فيه عند زيادة النيل لتضعف قوة التيار عن الجسر فاحضرت الابقار والجراريف والرجال لاجل ذلك وابتدؤا حفره من رأس موردة الحلفاء تحت الدور الى بولاق وكانت الزيادة قدقرب أوانها فما انتهى الحفر حتى زاد ماء النيل وجرى فيه فسر الناس به سرورا كبيرا وانتهى عمل الجسر في أربعة أشهر الا أن الشناعة قويت على الوزير وبلغ الامراء النائب ما يقال عن منجك من كثرة جباية الاموال فحدثه في ذلك ومنعه فاعتذر بأنه لم يسخر أحداً ولا استعمل الناس الا بالاجرة وان في هذا العمل للناس عدة منافع وما علىّ من قول أصحاب الاغراض الفاسدة ونحو ذلك وتمادى على ما هو عليه فلما جرى الماء فى الخليج الذى حفر تحت البيوت من موردة الحلفاء الى بولاق مرت فيه المراكب بالناس للفرجة واحتاج منجك الى نقل خيمته من بر الروضة الى بر الجيزة وأحضر المراكب الكبار وملأها بالحجارة وغرق منها عشرة مراكب في البحر وردم التراب عليها الى أن كمل نحو ثلثي العمل فقويت زيادة الماء وبطل العمل فلما كثرت الزيادة جمع منجك الحرافيش والاسرى وردم على الجسر التراب وقواه فتحامل الماء عن البر الغربي الى البر الشرقى ومر من تحت الميدان السلطانى وزريبة قوصون الى بولاق فصار معظمه من هذه المواضع وحصل الغرض بكون الماء بالقرب من القاهرة وانتهى طول جسر منجك الى مائتين وتسعين قصبة في عرض ثمان

قصبات وارتفاع أربع قصبات والجسر الذي من الروضة الى المقياس طوله مائتان وثلاثون قصبة وعدة ما رمى في هذا العمل من المراكب المشحونة بالحجر اثنا عشر ألف مركب سوى التراب وغير ذلك وكان ابتداء العمل في مستهل المحرم وانتهاؤه في سلخ ربيع الآخر ولم تحصر الاموال التى جبيت بسببه فانه لم يبق بالقاهرة ومصر دار ولا فندق ولا حمام ولا طاحون ولا وقف جامع أو مدرسة أو مسجد أو زاوية ولا رزقة ولا كنيسة الا وجبى منه فكان الرجل الواحد يغرم العشرة دراهم ومن خصه درهمان يحتاج الى غرامة أمثالهما وأضعافهما وناهيك بمال يجبي من الديار المصرية على هذا الحكم كثرة وقد بقيت من جسر منجك هذا بقية هى معروفة اليوم في طرف الجزيرة الوسطى *(جسر الخليلى) هذا الجسر فيما بين الروضة من طرفها البحري وبين جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى تجاه الخور وكان سبب عمله أن النيل لما قوى رمي تياره على بر القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وقام فى عمل الجسر ليصير رمى التيار من جهة البر الغربي كما تقدم ذكره انطرد الماء عن بر القاهرة وانكشف ما تحت الدور من منشأة المهراني الى منية الشيرج وعمل منجك الجسر الذى مر ذكره ليعود الماء في طول السنة الى بر القاهرة فلم يتهيأ كما كان أولا وجرى فى الخليج الذى احتفره تحت الدور من موردة الحلفاء بمصر الى بولاق وصار تجاه هذا الخليج جزيرة والماء لا يزال ينطرد في كل سنة عن بر القاهرة الى أن استبد بتدبير مصر الامير الكبير برقوق فلما دخلت سنة أربع وثمانين وسبعمائة قصد الامير جهاركس الخليلى عمل جسر ليعود الماء الى بر القاهرة ويصير في طول السنة هناك ويكثر النفع به فيرخص الماء المحمول فى الروايا ويقرب مرسى المراكب من البلد وغير ذلك من وجوه النفع فشرع فى العمل أول شهر ربيع الاول وأقام الخوازيق من خشب السنط طول كل خازوق منها ثمانية أذرع وجعلها صفين فى طول ثلثمائة قصبة وعرض عشر قصبات وسمر فيها أفلاق النخل الممتدة وألقى بين الخوازيق ترابا كثيرا وانتصب هناك بنفسه ومماليكه ولم يجب من أحد مالا البتة فانتهى عمله في أخريات شهر ربيع الآخر وحفر في وسط البحر خليجا من الجسر الى زربية قوصون. وقال شعراء العصر في ذلك شعرا كثيرا منهم عيسى بن حجاج

جسر الخليلى المقر لقد رسا * كالطود وسط النيل كيف يريد
فاذا سألتم عنهما قلنا لكم * ذا ثابت دهرا وذاك يزيد

وقال الاديب شهاب الدين أحمد بن العطار

شكت النيل أرضه * للخليلى فاحصره
ورأى الماء خائفا * أن يطاها فجسره

وقال

رأى الخليلى قلب الماء حين طغى * بنى على قلبه جسرا وحيره
رأى ترمل أرضيه ووحدتها * والنيل قد خاف يغشاها فجسره

ومع ذلك ما ازداد الماء الا انطرادا عن بر القاهرة ومصر حتى لقد انكشف بعد عمل هذا الجسر شيء كثير من الاراضى التى كانت غامرة بماء النيل وبعد النيل عن القاهرة بعدا لم يعهد فى الاسلام مثله قط *(جسر شيبين) أنشاه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة بسبب أن اقليم الشرقية كانت له سدود كلها موقوفة على فتح بحر أبي المنجا وفي بعض السنين تشرق ناحية شيبين وناحية مرصفا وغير ذلك من النواحى التي أراضيها عالية فشكا الامير بشتاك من تشريق بعض بلاده التي فى تلك النواحي فركب السلطان من قلعة الجبل ومعه المهندسون وخولة البلاد وكانت له معرفة بأمور العمائر وحدس جيد ونظر سعيد ورأي مصيب فسار الكشف تلك النواحي حتى اتفق الرأى على عمل الجسر من عند شيبين القصر الى بنها العسل فوقع الشروع في عمله وجمع له من رجال البلاد اثنى عشر ألف رجل ومائتي قطعة جرافة وأقام فيه القناطر فصار محبسا لتلك البلاد واذا فتح بحر أبي المنجا امتلأت الاملاق بالماء واسند على هذا الجسر وفى أول سنة عمل هذا الجسر أبطل فتح بحر أبي المنجا تلك السنة وفتح من جسر شيبين هذا وحصل بهذا الجسر نفع كبير لبلاد العلو واستبحر منه عدة بلاد وطيئة والعمل على هذا الجسر الى يومنا هذا والله أعلم *(جسرا مصر والجيزة) اعلم أن الماء فى القديم كان محيطا بجزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة طول السنة وكان فيما بين ساحل مصر وبين الروضة جسر من خشب وكذلك فيما بين الروضة وبر الجيزة جسر من خشب يمر عليهما الناس والدواب من مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة وكان هذان الجسران من مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض وهى موثقة ومن فوق المراكب أخشاب ممتدة فوقها تراب وكان عرض الجسر ثلاث قصبات * قال القضاعي وأما الجسر فقال بعضهم رأيت فى كتاب ذكر انه خط أبى عبد الله بن فضالة صفة الجسر وتعطيله وازالته وانه لم يزل قائما الى أن قدم المأمون مصر وكان غربيا ثم أحدث المأمون هذا الجسر الموجود اليوم الذي تمر عليه المارة وترجع من الجسر القديم فبعد أن خرج المأمون عن البلد أتت ريح عاصف فقطعت الجسر الغربى فصدمت سفنه الجسر المحدث فذهبا جميعا فبطل الجسر القديم وأثبت الجديد ومعالم الجسر القديم معروفة الى هذه الغاية * وقال ابن زولاق فى كتاب اتمام أمراء مصر ولعشر خلون من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة سارت العساكر لقتال القائد جوهر ونزلوا الجزيرة بالرجال والسلاح والعدة وضبطوا الجسرين وذكر ما كان منهم الى أن قال في

عبور جوهر أقبلت العساكر فعبرت الجسر أفواجا أفواجا وأقبل جوهر في فرسانه الى المناخ بموضع القاهرة • وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله وفي مستهل رجب سنة أربع وستين وثلثمائة أصلح جسر الفسطاط ومنع الناس من ركوبه وكان قد أقام سنين معطلا * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب وذكر ابن حوقل الجسر الذي يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر الغربي المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم في المراكب لان هذين الجسرين قد احترما بحصولهما في حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذي بين الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان يعني الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان رأس هذا الجسر الذي ذكره ابن سعيد حيث المدرسة الخروبية من انشاء البدر أحمد بن محمد الخروبي التاجر على ساحل مصر قبلي خط دار النحاس ولم يزل هذا الجسر الى أن خرب الملك المعز ايبك التركماني قلعة الروضة بعد سنة ثمان وأربعين وستمائة فأهمل ثم عمره الملك الظاهر ركن الدين بيبرس على المراكب وعمله من ساحل مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة لاجل عبور العسكر عليه لما بلغه حركة الفرنج فعمل ذلك

* (الجسر من قليوب الى دمياط) هذا الجسر أنشأه السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري المعروف بالجاشنكير في أخريات سنة ثمان وسبعمائة وكان من خبره انه ورد القصاد بموافقة صاحب قبرس عدة من ملوك الفرنج على غزو دمياط وانهم أخذوا ستين قطعة فاجتمع الامراء واتفقوا على انشاء جسر من القاهرة الى دمياط خوفا من حركة الفرنج في أيام النيل فيتعذر الوصول الى دمياط وعين لعمل ذلك الامير أقوش الرومي الحسامي وكتب الامراء الى بلادهم بخروج الرجال والابقار ورسم للولاة بمساعدة أقوش وأن يخرج كل وال الى العمل برجال عمله وأبقارهم فما وصل أقوش الى ناحية فارسكور حتى وجد ولاة الاعمال قد حضروا بالرجال والابقار فرتب الامور فعمل فيه ثلثمائة جرافة بستمائة رأس بقر وثلاثين ألف رجل وأقام أقوش الحرمة وكان عبوساً قليل الكلام مهابا الى الغاية فجد الناس في العمل لكثرة من ضربه بالمقارع أو خزم أنفه أو قطع أذنه أو أخرق به الى أن فرغ في نحو شهر واحد فجاء من قليوب الى دمياط مسافة يومين في عرض أربع قصبات من أعلاه وست قصبات من أسفله ومشى عليه ستة رؤس من الخيل صفاً واحداً فعم النفع به وسلك عليه المسافرون بعد ما كان يتعذر السلوك أيام النيل لعموم الماء الاراضي والله تعالى أعلم

* (وقد وجد بخط المصنف رحمه الله في أصله هنا ما صورته) *

أمراء الغرب ببيروت بيت حشمة ومكارم مقامهم بجبال الغرب من بلاد بيروت ولهم

خدم على الناس وتفضيل وهم ينسبون الى الحسين بن اسحاق بن محمد التنوخي الذي مدحه أبو الطيب المتنبي بقوله

شدوا بابن اسحاق الحسين فصافحت * وقاربها كيزانها والنمارق

ثم كان كرامة بن بحير بن على بن ابراهيم بن الحسين بن اسحاق بن محمد التنوخي فهاجر الى الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكي فأقطعه الغرب وما معه بامرته فسمي أمير الغرب وكان منشوره بخط العماد الاصفهاني الكاتب فتحضر الامير كرامة بعد البداوة وسكن حصن بلجمور من نواحى اقطاعه ويعلو على تل أعمال بغير بناء ثم أنشأ أولاده هناك حصنا وما زلوا به وكان كرامة ثقيلا على صاحب بيروت وذلك أيام الفرنج فأراد أخذه مراراً فلم يجد اليه سبيلا فأخذ في الحيلة عليه وهادن أولاده وسألهم حتى نزلوا الى الساحل وألفوا الصيد بالطير وغيره فراسلهم حتى صار يصطاد معهم وأكرمهم وحباهم وكساهم ومازال يستدرجهم مرة بعد مرة ثم أخرج ابنه معه وهو شاب وقال قد عزمت على زواجه ثم دعا ملوك الساحل وأولاد كرامة الثلاثة فأتوه وتأخر أصغر أولاد كرامة مع أمه بالحصن في عدة قليلة فامتلأ الساحل بالشوانى والمدينة بالفرنج وتلقوهم بالشمع والاغانى فلما صاروا في القلعة وجلسوا مع الملوك غدر بهم وامسكهم وأمسك غلمانهم وغرقهم وركب بجموعه ليلا الى الحصن فاجفل الفلاحون والحريم والصبيان الى الجبال والشعر والكهوف وبلغ من بالحصن أن أولاد كرامة الثلاثة قد غرقوا ففتحوه وخرجت أمهم ومعها ابنها حجي بن كرامة وعمره سبع سنين ولم يبق من بنيهم سواه فأدرك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتوجه اليه لما فتح صيدا وبيروت وباس رجله في ركابه فلمس بيده رأسه وقال له أخذنا ثارك طب قلبك أنت مكان أبيك وأمر له بكتابة أملاك أبيه بستين فارساً فلما كانت أيام المنصور قلاون ذكر أولاد تغلب بن مسمر الشجاعى أن بيد الخليقة أملاكا عظيمة بغير استحقاق ومن جماتهم أمراء الغرب فحملوا الى مصر ورسم السلطان باقطاع أملاك الجبلية مع بلاد طرابلس لامرائها وجندها فأقطعت لعشرين فارساً من طرابلس فلما كانت أيام الاشرف خليل بن قلاون قدموا مصر وسألوا أن يخدموا على أملاكهم بالعدة فرسم لهم وأن يزيدوها عشرة أرماح فلما كان الروك الناصرى ونيابة الامير تنكر بالشام وولاية علاء الدين بن سعيد كشف تلك الجهات رسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون أن يستمر عليها بستين فارساً فاستمرت على ذلك ثم كان منهم الامير ناصر الدين الحسين بن خضر بن محمد بن حجي بن كرامة ابن بحير بن على المعروف بابن أمير الغرب فكثرت مكارمه واحسانه وخدمته كل من يتوجه الى تلك الناحية وكانت اقامته بقرية أعبية بالجبل وله دار حسنة في بيروت واتصلت خدمته الى كل غاد ورائح وباد الاكابر والاعيان مع رياسة كبيرة ومعرفة عدة صنائع يتقنها وكتابة

جيدة وترسل وعدة قصائد ومولده في محرم سنة ثمان وستين وستمائة وتوفى للنصف من شوال سنة احدى وخمسين وسبعمائة انتهى*(ووجد بخطه أيضاً من أخبار اليمن مامثاله)* كان ابتداء دولة بني زياد أن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن زياد سلمه المأمون مع عدة من بني أمية الى الفضل بن سهل بن ذى الرياستين فورد على المأمون اختلال اليمن فأثنى الفضل على محمد هذا فبعثه المأمون أميرا على اليمن فحج ومضى الى اليمن وتتج بها من بعد محاربته العرب وملك اليمن وبنى مدينة زبيد فى سنة ثلاث ومائتين وبعث مولاه جعفرا بهدية جليلة الى المأمون فى سنة خمس وعاد اليه فى سنة ست ومعه من جهة المأمون ألفا فارس فقوى ابن زياد وملك جميع اليمن وقلد جعفرا الجبال وبنى بها مدينة الدمجرة فظهرت كفاءة جعفر لكثرة دهائه فقتله ابن زياد ثم مات محمد بن زياد فملك بعده ابنه ابراهيم ثم ملك بعده ابنه أبو الجيش اسحاق بن ابراهيم وطالت مدته ومات سنة احدى وسبعين وثلثمائة وترك طفلا اسمه زياد فأقيم بعده وكفلته أخته هند ابنة اسحاق وتولى معها رشد عبد أبي الجيش حتى مات فولي بعد رشد عبده حسين بن سلامة وكان عفيفاً فوزر لهند ولاخيها حتى ماتا ثم انتقل الملك الى طفل من آل زياد وقام بأمره عمته وعبدالحسين بن سلامة اسمه مرجان وكان لمرجان عبدان قد تغلبا على أمره يقال لاحدهما قيس وللآخر نجاح فتنافسا على الوزارة وكان قيس عنوفا ونجاح رقيقا وكان مرجان سيدهما يميل الى قيس وعمة الطفل تميل الى نجاح فشكا قيس ذلك الى مرجان فقبض على الملك الطفل ابراهيم وعلى عمته تملك فبنى قيس عليهما جداراً فكان ابراهيم آخر ملوك اليمن من آل زياد وكان القبض عليه وعلى عمته سنة سبع وأربعمائة فكانت مدة بنى زياد مائتي سنة وأربعاً وستين سنة فعظم قتل ابراهيم وعمته تملك على نجاح وجمع الناس وحارب قيساً بزبيد حتي قتل قيس وملك نجاح المدينة فى ذى القعدة سنة أثنتى عشرة وقال لسيده مرجان مافعلت بمواليك وموالينا فقال هم في ذلك الجدار فأخرجهما وصلي عليهما ودفنهما وبنى عليهما مسجدا وجعل سيده مرجان موضعهما في الجدار ووضع معه جثة قيس وبني عليهما الجدار واستبد نجاح بمملكة اليمن وركب بالمظلة وضربت السكة باسمه ونجاح مولى مرجان ومرجان مولى حسين بن سلامة وحسين مولى رشد ورشد مولى بني زياد ولم يزل نجاح ملكا حتى مات سنة أثنتين وخمسين وأربعمائة سمته جارية أهداها اليه الصليحي وترك من الاولاد عدة فملك منهم سعيد الاحول واخوته عدة سنين حتى استولي عليهم الصليحى فهربوا الي دهلك ثم قدم منهم جياش بن نجاح الي زبيد متنكرا وأخذ منها وديعة وعاد الى دهلك فقدمها أخوه سعيد الاحوق بعد ذلك واختفى بها واستدعى أخاه جياشا وسارا في سبعين رجلا يوم التاسع من ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وقصدوا الصليحي وقد سار الي الحج فوافوه عندبئرأم معبد

وقتلوه فى ثاني عشري ذى القعدة المذكور وقتل معه ابنه عبد الله واحتز سعيد رأسيهما واحتاط على امرأته أسماء بنت شهاب وعاد الي زبيد ومعه أخوه جياش والرأسان بين أيديهما علي هودج اسماء وملك اليمن فجمع المكرم ابن أسماء فى سنة خمس وسبعين وسار من الجبال الى زبيد وقاتل سعيدا ففر سعيد وملك المكرم واسمه أحمد وأنزل رأس الصليحي وأخيه ودفنهما وولي زبيد خاله أسعد بن شهاب وماتت اسماء أمه بعد ذلك فى صنعاء سنة سبع وسبعين ثم عاد ابنا نجاح الى زبيد وملكاها فى سنة تسع وسبعين ففر أسعد بن شهاب ثم غلبهما أحمد المكرم بن على الصليحي وقتل سعيد بن نجاح في سنة احدى وثمانين وفر أخوه جياش الى الهند ثم عاد وملك زبيد في سنة احدى وثمانين المذكورة فولدت له جاريته الهندية ابنه الفاتك بن جياش وبقى المكرم في الجبال يغير على بلاد جياش وجياش يملك تهامة حتى مات آخر سنة ثمان وتسعين فملك بعده ابنه فاتك وخالف عليه أخوه ابراهيم ومات فاتك سنة ثلاث وخمسمائة فملك بعده ابنه منصور بن فاتك وهو صغير فثار عليه عمه ابراهيم فلم يظفر وثار بزبيد عبد الواحد بن جياش وملكها فسار اليه عبد فاتك واستعادها ثم مات منصور وملك بعده ابنه فاتك بن منصور ثم ملك بعده ابن عمه فاتك ابن محمد بن فاتك بن جياش فى سنة احدى وثلاثين وخمسمائة حتى قتل سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وهو آخر ملوك بني نجاح فتغلب على اليمن على بن مهدى فى سنة أربع وخمسين *(وأما الصليحي) فانه على ابن القاضي محمد بن على كان أبوه فى طاعته أربعون ألفا فأخذ ابنه التشيع عن عامر بن عبد الله الرواحي أحد دعاة المستنصر وصحبه حتى مات وقد أسند اليه امر الدعوة فقام بها وصار دليلا لحاج اليمن عدة سنين ثم ترك الدلالة في سنة تسع وعشرين وأربعمائة وصعد رأس جبل مسار في ستين رجلا وجمع حتى ملك اليمن في سنة خمس وخمسين وأقام على زبيد أسعد بن شهاب بن على الصليحي وهو أخو زوجته وابن عمه ثم انه حج فقتله بنو نجاح فى ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين واستقرت التهائم لبني نجاح واستقرت صنعاء لاحمد بن علىّ الصليحيّ المقتول وتلقب بالملك المكرم ثم جمع وقصد سعيد ابن نجاح بزبيد وقاتله وهزمه الى دهلك وملك زبيد في سنة خمس وسبعين فعاد سعيد وملك زبيد في سنة تسع وسبعين فأتاه المكرم وقتله في سنة احدى وثمانين فملك جياش أخو سعيد ومات المكرم بصنعاء سنة أربع وثمانين فملك بعده أبو حمير سبا بن احمد المظفر بن علىّ الصليحي في سنة أربع وثمانين حتي مات سنة خمس وتسعين وهو آخر الصليحيين فملك بعده على بن ابراهيم بن نجيب الدولة فقدم من مصر الى جبال اليمن في سنة ثلاث عشر وخمسمائة وقام بأمر الدعوة والمملكة التى كانت بيد سبا ثم قبض عليه بامر الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى بعد سنة عشرين وخمسمائة وانتقل الملك والدعوة الى الزريع بن

عباس بن المكرم وآل الزريع من آل عدن وهم من حمدان ثم من جشم وبنو المكرم يعرفون بآل الذنب وكانت عدن للزريع بن عباس واحمد بن مسعود بن المكرم فقتلا على زبيد وولى بعدهما ولداهما أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود ثم استولى على الملك والدعوة سبأ بن أبي السعود بن زريع حتى مات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة فولى بعده ولده الاعز على بن سبا وكان مقامه بالرمادة فمات بالسل وملك اخوه المعظم محمد في سنة ثمان وثلاثين * وولى من الصليحيين أيضا الملكة السيدة سنة بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحى زوجة أحمد المكرم ولقبت بالحرة ومولدها سنة أربعين وأربعمائة وربتها أسماء بنت شهاب وتزوجها الملك المكرم أحمد بن أسماء وهو ابن على الصليحي سنة احدى وستين وولاها الامر في حياته فقامت بتدبير المملكة والحروب وأقبل زوجها على لذاته حتى مات وتولى ابن عمه سبأ فاستمرت في الملك حتى مات سبا وتولى ابن نجيب الدولة حتى ماتت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وشاركه فى الملك المفضل أبو البركات بن الوليد الحميرى وكان يحكم بين يدى الملكة الحرة وهي من وراء الحجاب ومات المفضل في رمضان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وملك بلاده ابنه الملك المنصور منصور بن المفضل حتى ابتاع منه محمد بن سبأ بن أبي السعود معاقل الصليحيين وعدتها ثمانية وعشرون حصنا بمائة ألف دينار في سنة سبع وأربعين وخمسمائة وبقى المنصور بعد حتي مات بعد ماملك نحو ثمانين سنة * (وأما على بن مهدى) فانه حميرى من سواحل زبيد كان أبوه مهدى رجلا صالحا ونشأ ابنه على طريقة حسنة وحج ووعظ وكان فصيحا حسن الصوت عالما بالتفسير وغيره يتحدث بالمغيبات فتكون كما يقول وله عدة اتباع كثيرة وجموع عديدة ثم قصد الجبال وأقام بها الى سنة احدى وأربعين وخمسمائة ثم عاد الى املاكه ووعظ ثم عاد الى الجبال ودعا الى نفسه فأجابه بطن من خولان فسماهم الانصار وسمى من صعد معه من تهامة المهاجرين وولى على خولان سبأ وعلى المهاجرين رجلا آخر وسمي كلا منهما شيخ الاسلام وجعلهما نقيبين علي طائفتيهما فلا يخاطبه أحد غيرهما وهما يوصلان كلامه الى من تحت ايديهما وأخذ يغادى الغارات ويراوحها على التهائم حتى أجلى البوادي ثم حاصر زبيد حتي قتل فاتك بن محمد آخر ملوك بنى نجاح فحارب ابن مهدى عبيد فاتك حتى غلبهم وملك زبيد يوم الجمعة رابع عشر رجب سنة أربع وخمسين وخمسمائة فبقى على الملك شهرين وأحدا وعشرين يوما ومات فملك بعده ابنه مهدى ثم عبد الغنى بن مهدى وخرجت المملكة عن عبد الغني الى أخيه عبد الله ثم عادت الى عبد الغني واستقر حتى سار اليه توران شاه بن ايوب من مصر في سنة تسع وستين وخمسمائة وفتح اليمن وأسر عبد الغني وهو آخر ملوك بني مهدى يكفر بالمعاصى ويقتل من يخالف اعتقاده ويستبيح وطء نسائهم واسترقاق اولادهم وكان حنفى الفروع ولاصحابه فيه غلو زائد

ومن مذهبه قتل من شرب الخمر ومن سمع الغناء ثم ملك توران شاه بن أيوب عدن من ياسر و ملك بلاد اليمن كلها واستقرت في ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وعاد شمس الدولة توران شاه بن أيوب الى مصر في شعبان سنة ست وسبعين واستخلف على عدن عز الدين عثمان بن الزنجيلي وعلى زبيد حطان بن كليل بن منقذ الكافى فمات شمس الدولة بالاسكندرية فاختلف نوابه فبعث السلطان صلاح الدين يوسف جيشا فاستولى على اليمن ثم بعث في سنة ثمان وسبعين أخاه سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب فقدم اليها وقبض على حطان بن كليل بن منقذ وأخذ أمواله وفيها سبعون غلاف زردية مملوأة ذهبا عينا وسجنه فكان آخر العهد به ونجا عثمان بن الزنجيلي بأمواله الى الشام فظفر بها سيف الاسلام وصفت له مملكة اليمن حتى مات بها فى شوال سنة ثلاث وتسعين فاقيم بعده ابنه الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب فخبط وادعى انه أموى وخطب لنفسه بالخلافة وعمل طول كمه عشرين ذراعا فثار عليه مماليكه وقتلوه فى سنة تسع وتسعين وأقاموا بعده أخاه الناصر ومات بعد أربع سنين فقام من بعده زوج أمه غازى بن حزيل أحد الامراء فقتله جماعة من العرب وبقى اليمن بغير سلطان فتغلبت أم الناصر على زبيد فقدم سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن أيوب الى اليمن فعبر يحمل ركوته على كتفه فملكته أم الناصر البلاد وتزوجت به فاشتد ظلمه وعتوه الى أن قدم الملك المسعود اقسيس ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب من مصر فى سنة اثنتي عشرة وستمائة فقبض عليه وحمله الى مصر فأجرى له الكامل ما يقوم به الى أن استشهد على المنصورة سنة سبع وأربعين وستمائة وأقام المسعود باليمن وحج وملك مكة أيضاً فى شهر ربيع الاول سنة عشرين وستمائة وعاد الى اليمن ثم خرج عنها واستخلف عليها استاداره علىّ بن رسول فمات بمكة سنة ست وعشرين فقام على بن رسول على ملك اليمن حتى مات فى سنة تسع وعشرين واستقر عوضه ابنه عمر بن على بن رسول وتلقب بالمنصور حتى قتل سنة ثمان وأربعين واستقر بعده ابنه المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول وصفا له اليمن وطالت أيامه انتهى ما ذكره المصنف بخطه في تاريخه عفا الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مقره ومثواه

* (ووجد بخطه أيضاً ما مثاله) * السلطان محمد بن طغلق شاه وطغلق يلقب غياث الدين وهو مملوك السلطان علاء الدين محمود بن شهاب الدين مسعود ملك الهند مقر ملكه مدينة دهلي وجميع البلاد برا وبحرا بيده الا الجزائر المغلغلة في البحر وأما الساحل فلم يبق منه قيد شبر الا وهو بيده وأول ما فتح فتح مملكة تكنك عدة قراها مائة ألف قرية وتسعمائة قرية ثم فتح بلاد حاجنكير وبها سبعون مدينة جليلة كلها بنادر على البحر ثم فتح بلاد لنكوتى وهى كرسى تسعة ملوك ثم فتح بلاد دوا كير وبها أربع وثمانون قلعة كلها جليلة

المقدار وبها ألف ألف قرية ومائتا ألف قرية ثم فتح بلاد ورسمند وكان بها ستة ملوك ثم
فتح بلاد المعبر وهو اقليم جليل له سبعون مدينة بنادر على البحر وجملة ما بيده ثلاثة
وعشرون اقليما وهى اقليم دهلي واقليم الدواكير واقليم الملتان واقليم كهران واقليم سامان
واقليم سوستان واقليم وجا واقليم هاسي واقليم سرستى واقليم المعبر واقليم تلنك كرات
واقليم بداون واقليم عوض واقليم التيوج واقليم لنكوتي واقليم بهار واقليم كره واقليم
ملاوه واقليم بهادر واقليم كلافور واقليم حاجنكز واقليم بليخ واقليم ورسمند وهذه الاقاليم
تشتمل على ألف مدينة ومائتي مدينة ومدينة دهلى دور عمرانها أربعون ميلا وجملة مايطلق
عليه اسم دهلي احدى وعشرون مدينة وفي دهلى ألف مدرسة كلها للحنفية الا واحدة
فانها للشافعية ونحو سبعين مارستانا وفى بلادها من الخوانك والربط نحو ألفين وبها جامع
ارتفاع مئذنته ستمائة ذراع في الهواء وللسلطان خدمة مرتين في كل يوم بكرة وبعد العصر
ورتب الامراء على هذه الانواع أعلاهم قدرا الخانات ثم الملوك ثم الامراء ثم الاسفهسلارية
ثم الجند وفي خدمته ثمانون خانا وعسكره تسعمائة ألف فارس وله ثلاثة آلاف فيل تلبس
فى الحروب البرك اصطونات الحديد المذهب وتلبس فى أيام السلم جلال الديباج وأنواع
الحرير وتزين بالقصور والاسرة المصفحة ويشد عليها بروج الخشب يركب فيها الرجال
للحرب فيكون على الفيل من عشرة رجال الى ستة وله عشرون ألف مملوك أتراك وعشرة
آلاف خادم خصي وألف خازندار وألف مشبقدار ومائتا ألف عبد ركابية تلبس السلاح
وتمشي بركابه وتقاتل رجالة بين يديه والاسفهسلارية لا يؤهل منهم أحد لقرب السلطان
وانما يكون منهم نوع الولاة والخان يكون له عشرة آلاف فارس وللملك ألف وللامير مائة
فارس وللاسفهسلار دون ذلك ولكل خان عبرة لكين كل لك مائة ألف تنكة كل تنكة ثمانية
دراهم ولكل ملك من ستين ألف تنكة الى خمسين ألف تنكة ولكل أمير من أربعين ألف
تنكة الى ثلاثين ألف تنكة ولكل اسفهسلار من عشرين ألف تنكة الى ما حولها ولكل
جندى من عشرة آلاف تنكة الى ألف تنكة ولكل مملوك من خمسة آلاف تنكة الى
ألف تنكة سوى طعامهم وكساويهم وعليقهم ولكل عبد في الشهر منان من الحنطة والارز
وفى كل يوم ثلاثة استار لحم وما يحتاج اليه وفي كل شهر عشر تنكات بيضاء وفي كل سنة
أربع كساو وللسلطان دار طراز فيها أربعة آلاف قزاز لعمل أنواع القماش سوى مايحمل
له من الصين والعراق والاسكندرية ويفرق كل سنة مائتي ألف كسوة كاملة في فصل
الربيع مائة ألف وفي فصل الخريف مائة ألف ففى الربيع غالب الكسوة من عمل
الاسكندرية وفي الخريف كلها حرير من عمل دار الطراز بدهلى وقماش الصين والعراق
ويفرق على الخوانك والربط الكساوى وله أربعة آلاف زركشي لعمل الزركش ويفرق

كل سنة عشرة آلاف فرس مسرجة وغير مسرجة سوى ما يعطى الاجناد من البراذين فانه بلا حساب يعطي جشارات ومع هذا فالخيل عنده غالية مطلوبة وللسلطان نائب من الخانات يسمى ابريت اقطاعه قدر اقليم بحر العراق ووزير اقطاعه كذلك وله أربعة نواب مسمى كل واحد منهم من أربعين ألف تنكة الى عشرين ألف تنكة وله أربعة ريبسان أى كتاب سر لكل واحد منهم ثلثمائة كاتب ولكل كاتب اقليم عشرة آلاف تنكة ولصدر جهان وهو قاضى القضاة قرى يحصل منها نحو ستين ألف تنكة ولصدر الاسلام وهو أكبر نواب القاضي ولشيخ الاسلام وهو شيخ الشيوخ مثل ذلك وللمحتسب ثمانية آلاف تنكة وله ألف طبيب ومائتا طبيب وعشرة آلاف بزدار تركب الخيل وتحمل طيور الصيد وله ثلاثة آلاف سواق لتحصيل الصيد وخمسمائة نديم وألفان ومائتان للملاهى سوي مماليكه وهم ألف مملوك وألف شاعر باللغات العربية والفارسية والهندية يجرى عليهم ديوانه ومتي غني أحد منهم لغيره قتله ولكل نديم قريتان أو قرية ومن أربعين ألف تنكة الى ثلاثين ألف تنكة الى عشرين ألف تنكة سوى الخلع والكساوى والافتقادات ويمد فى وقت كل خدمة في المرتين من كل يوم سماط يأكل منه عشرون ألفاً مثل الخانات والملوك والامراء والاسفهسلارية وأعيان الاجناد وله طعام خاص يأكل معه الفقهاء وعدتهم مائتا فقيه في الغداء والعشاء فيأكلون ويتباحثون بين يديه ويذبح في مطابخه كل يوم ألفان وخمسمائة رأس من البقر وألفا رأس من الغنم سوى الخيل وأنواع الطير ولا يحضر مجلسه من الجند الا الاعيان ومن دعته ضرورة الى الحضور والندماء وأرباب الاغانى يحضرون بالنوبة وكذلك الريبسان والاطباء ونحوهم لكل طائفة نوبة تحضر فيها للخدمة والشعراء تحضر فى العيدين والمواسم وأول شهر رمضان واذا تجدد نصر على عدو أو فتوح ونحو ذلك مما يهنى به السلطان وأمور الجند والعامة مرجعها الى ابريت وأمر القضاة كلهم مرجعه الى صدر جهان وأمر الفقهاء الى شيخ الاسلام وأمر الواردين والوافدين والادباء والشعراء الى الريبسان وهم كتاب السر وجهز هذا السلطان مرة أحد كتاب سره الى السلطان أبي سعيد رسولا وبعث معه ألف ألف تنكة ليتصدق بها في مشاهد العراق وخمسمائة فرس فقدم بغداد وقد مات أبو سعيد وكان هذا السلطان ترعد الفرائص لمهابته وتزلزل الارض لموكبه يجلس بنفسه لانصاف رعيته ولقراءة القصص عليه جلوساً عاماً ولا يدخل أحد عليه ومعه سلاح ولو السكين ويجلس وعنده سلاح كامل لا يفارقه أبدا واذا ركب فى الحرب فلا يمكن وصف هيئته وله أعلام سود فى أوساطها تباين من ذهب تسير عن يمينه وأعلام حمر فيها تباين من ذهب تسير عن يساره ومعه مائتا جمل نقارات وأربعون جملا كوسات كبارا وعشرون بوقا وعشرة صنوج ويدق له خمس نوب كل يوم واذا خرج الى الصيد كان في جف وعدة

من معه زيادة على مائة ألف فارس ومائتي فيل وأربعة قصور خشب على ثمانمائة جمل كل قصر منها على مائتي جمل كلها ملبسة حريرا مذهبا كل قصر طبقتان سوى الخيم والجركاوات واذا انتقل من مكان الى مكان للنزهة يكون معه نحو ثلاثين ألف فارس وألف جنيب مسرجة ملجمة بالذهب المرصع بالجوهر والياقوت واذا خرج في قصره من موضع الى آخر يمر راكباً وعلى رأسه الجبر والسلاح دارية ووراءه بأيديهم السلاح وحوله نحو اثنا عشر ألف مملوك مشاة لا يركب منهم الا حامل الجبر والسلاح دارية والجمدارية حملة القماش واذا خرج للحرب أو سفر طويل حمل على رأسه سبع جبورة منها اثنان مرصعان ليس لهما قيمة وله فخامة عظيمة وقوانين وأوضاع جليلة والخانات والملوك والامراء لا يركب أحد منهم في السفر والحضر الا بالاعلام وأكثر ما يحمل الخان سبعة أعلام وأكثر ما يحمل الامير ثلاثة وأكثر ما يجره الخان فى الحضر عشرة جنائب وأكثر ما يجر الامير في الحضر جنيبان وأما في السفر فحسبما يختار وكان للسلطان بر واحسان وفيه تواضع ولقد مات عنده رجل فقير فشهد جنازته وحمل نعشه على عنقه وكان يحفظ القرآن العزيز العظيم والهداية في فقه الحنفية ويجيد علم المعقول ويكتب خطاحسنا ولذته في الرياضة وتأديب النفس ويقول الشعر ويباحث العلماء ويؤاخذ الشعراء ويأخذ بأطراف الكلام علي كل من حضر على كثرة العلماء عنده والعلماء تحضر عنده وتفطر فى رمضان معه بتعيين صدرجهان لهم فى كل ليلة وكان لا يترخص في محذور ولا يقر على منكر ولا يتجاسر أحد في بلاده أن يتظاهر بمحرم وكان يشدد في الخمر ويبالغ في العقوبة علي من يتعاطاه من المقربين منه وعاقب بعض أكابر الخانات على شرب الخمر وقبض عليه وأخذ أمواله وجملتها أربعمائة ألف ألف مثقال وسبعة وثلاثون ألف ألف مثقال ذهبا أحمر زنتها ألف وسبعمائة قنطار بالمصرى وله وجوه بر كثيرة منها أنه يتصدق فى كل يوم بلكين عنهما من نقد مصر ألف ألف وستمائة ألف درهم وربما بلغت صدقته في يوم واحد خمسين لكا ويتصدق عند كل رؤية هلال شهر بلكين دائما وعليه راتب لاربعين ألف فقير كل واحد منهم درهم فى كل يوم وخمسة أرطال بر وأرز وقرر ألف فقيه فى مكاتب لتعليم الاطفال القرآن وأجرى عليهم الارزاق وكان لايدع بدهلي سائلا بل يجري علي الجميع الارزاق ويبالغ في الاحسان الى الغرباء وقدم عليه رسول من أبي سعيد مرة بالسلام والتودد فخلع عليه وأعطاه حملا من المال فلما أراد الانصراف أمره أن يدخل الخزانة ويأخذ ما يختار فلم يأخذ غير مصحف فسأله عن ذلك فقال قد أغناني السلطان بفضله ولم أجد أشرف من كتاب الله فزاد اعجابه به وأعطاه مالا جملته ثمانمائة تومان والتومان عشرة آلاف دينار وكل دينار ستة دراهم تكون جملة ذلك ثمانية آلاف ألف دينار عنها ثمانية وأربعون ألف ألف درهم وقصده شخص من بلاد فارس

وقدم له كتباً في الحكمة منها كتاب الشفاء لابن سينا فأعطاه جوهرا بعشرين ألف مثقال من الذهب وقصده آخر من بخاري بحملي بطيخ أصفر فتلف غالبه حتى لم يبق منه الا اثنتان وعشرون بطيخة فأعطاه ثلاثة آلاف مثقال ذهبا وكان قد التزم أن لا ينطق في اطلاقاته بأقل من ثلاثة آلاف مثقال ذهبا وبعث ثلاث لكوك ذهبا الى بلاد ما وراء النهر ليفرق على العلماء لك وعلى الفقراء لك ويبتاع له حوائج بلك وبعث للبرهان الضياء عزدجي شيخ سمرقند بأربعين ألف تنكة وكان لا يفارق العلماء سفرا وحضرا ومنار الشرع في أيامه قائم والجهاد مستمر فبلغ مبلغا عظيماً في اعلاء كلمة الايمان فنشر الاسلام في تلك الاقطار وهدم بيوت النيران وكسر البدود والاصنام واتصل به الاسلام الى أقصى الشرق وعمر الجوامع والمساجد وأبطل التثويب في الاذان ولم يخل له يوم من الايام من بيع آلاف من الرقيق لكثرة السبي حتى ان الجارية لا يتعدى ثمنها بمدينة دهلي ثمان تنكات والسرية خمس عشرة تنكة والعبد المراهق أربعة دراهم ومع رخص قيمة الرقيق فانه تبلغ قيمة الجارية الهندية عشرين ألف تنكة لحسنها ولطف خلقها وحفظها القرآن وكتابتها الخط وروايتها الاشعار والاخبار وجودة غنائها وضربها بالعود ولعبها بالشطرنج وهن يتفاخرن فتقول الواحدة آخذ قلب سيدي في ثلاثة أيام فتقول الاخرى أنا آخذ قلبه في يوم فتقول الاخرى أنا آخذ قلبه في ساعة فتقول الاخرى أنا آخذ قلبه في طرفة عين وكان ينعم على جميع من في خدمته من أرباب السيوف والاقلام بكل جليل من البلاد والاموال والجواهر والخيول المجللة بالذهب وغير ذلك الا الفيلة فانه لا يشاركه فيها أحد وللثلاثة آلاف فيل راتب عظيم فأكثرها مؤنة له في كل يوم أربعون رطلا من أرز وستون رطلا من شعير وعشرون رطلا من سمن ونصف حمل من حشيش وقيمتها جليل القدر اقطاعه مثل اقليم العراق واذا وقف السلطان للحرب كان أهل العلم حوله والرماة قدامه وخلفه وأمامه الفيلة كما تقدم عليها الفيالة وقدامها العبيد المشاة والخيل في الميمنة والميسرة فتهيأ له من النصر مالا تهيأ لاحد ممن تقدمه ففتح الممالك وهدم قواعد الكفار ومحا صور معابدهم وأبطل نخرهم وكان يجلس كل يوم ثلاثاء جلوسا عاما على تخت مصفح بالذهب وعلى رأسه حبر في موكب عظيم وينادي مناديه من له شكوى في شخص فينظر في ظلامات الناس وكان لا يوجد بدهلي في أيامه خمر البتة وأول من ملك مدينة دهلي قطب الدين أيبك وذلك أن شهاب الدين محمد بن سالم بن الحسين أحد الملوك الغورية فتح الهند بعد عدة حروب وأقطع مملوكه أيبك هذا مدينة دهلي فبعث أيبك عسكرا عليه محمد بن بختيار فاخذ الى تخوم الصين وذلك كله في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ثم ولي بعده ايتمش بن أيبك أربعين سنة فقام بعده ابنه علاء الدين علي بن ايتمش بن أيبك ثم أخوه معز الدين بن ايتمش ثم أخته رضية

خاتون فأقامت ثلاث سنين ثم أخوها ناصر الدين بن ايتمش فأقام أربعا وعشرين سنة ثم قام بعده مملوكه غياث الدين بليان سبعا وعشرين سنة ثم بعده معز الدين نيابا خمس سنين ثم ابنه شمس الدين كيمورس سبعة اشهر ثم خرج الملك عن بيت السلطان شمس الدين ايتمش وقويت التركان الملجية وكانوا أمراء يقال للواحد منهم خان واستبد كبيرهم جلال الدين فيروز سبع سنين ثم ابن أخيه علاء الدين محمود بن شهاب الدين مسعود اثنتين وعشرين سنة ومات سنة خمس عشرة وسبعمائة ثم ابنه شهاب الدين عمر بن محمود بن مسعود سنة واحدة ولقب غياث الدين ثم أخوه قطب الدين مبارك بن محمود أربع سنين وقتل سنة عشرين وسبعمائة ثم علاء الدين خسرو مملوك علاء الدين محمود سبعة أشهر وملك غياث الدين طغلق شاه مملوك السلطان علاء الدين محمود بن مسعود فى أول شعبان سنة عشرين وسبعمائة ثم ملك بعده ابنه محمد بن طغلق شاه صاحب الترجمة هذا آخر ماوجد بخطه رحمه الله تعالى * (ووجد بخطه أيضاً رحمه الله تعالى) * ما أحسن قول الاديب محمد بن حسن ابن شاور النقيب

مشت أيامكم لا بل تراها * جرت جريا على غير اعتياد
وما عقدت نواصيها بخير * ولا كانت تعد من الجياد

(بدخشان) مدينة فيما وراء النهر بها معدن اللعل البدخشانى وهو المسمى بالبلخش وبها معدن اللازورد الفائق وهما في جبل بها يحفر عليهما في معادنهما فيوجد اللازورد بسهولة ولا يوجد اللعل الا بتعب كبير وانفاق زائد وقد لايوجد بعد التعب الشديد والنفقة الكثيرة ولهذا عز وجوده وغلت قيمته * وأقصر ليل بلغار بالبحرين أربع ساعات ونصف * وأقصر ليل أفتكون ثلاث ساعات ونصف فهو أقصر من ليل بلغار بساعة واحدة وبين بلغار وأفتكون مسافة عشرين يوما بالسير المعتاد انتهى * السلطانية من عراق العجم بناها السلطان محمد خدابنده اوكانيق بن ارغون بن أبغا بن هولاكو وخدابنده ملك بعد أخيه محمود غازان وملك بعد خدابنده ابنه السلطان أبو سعيد بها درخان وكان الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا مع قائد السلطان محمد بن طشتمر بن استيمر بن عترجي ومذمات أبو سعيد لم يجمع بعده على طاعة ملك بل تفرقوا وقام في كل ناحية قائم انتهى (ووجد بخطه أيضاً مانصه) ولله در أبي اسحاق الاديب حيث قال

اذا كنت قد أيقنت أنك هالك * فما لك مما دون ذلك تشفق
ومما يشين المرء ذا الحلم أنه * يرى الامر حتما واقعا ثم يقلق

وحيث يقول

ومن طوى الخمسين من عمره * لاقي أموراً فيه مستنكره

وان تخطاهـا رأى بعدهـا * من حادثات الدهر مالم يره

انتهى ماوجد بخطه في أصله

* (ذكر الجزائر) *

اعلم أن الجزائر التي هي الآن في بحر النيل كلها حادثة في الملة الاسلامية ماعدا الجزيرة التي تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر فان العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص الى مصر وحاصروا الحصن الذي يعرف اليوم بقصر الشمع في مصر حتى فتحه الله تعالى عنوة على المسلمين كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر ولم يبلغني الى الآن متى حدثت وأماغيرهـا من الجزائر فكلها قد تجددت بعد فتح مصر * ويقال والله أعلم ان بلهيت الذي يعرف اليوم بأبي الهول طلسم وضعه القدماء لقلب الرمل عن بر مصر الغربي الذي يعرف اليوم ببر الجيزة وانه كان في البر الشرقي بجوار قصر الشمع صنم من حجارة على مسامتة أبي الهول بحيث لو امتد خيط من رأس أبي الهول وخرج على استواء لسقط على رأس هـذا الصنم وكان مستقبل المشرق وانه وضع أيضاً لقلب الرمل عن البر الشرقي فقدر الله سبحانه وتعالى أن كسر هذا الصنم على يد بعض أمراء الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة احدى عشرة وسبعمائة وحفر تحته حتى بلغ الحفر الى الماء ظنا أنه يكون هناك كنز فلم يوجـد شئ وكان هذا الصنم يعرف عند أهل مصر بسرية أبي الهول فكان عقيب ذلك غلبة النيـل على البر الشرقي وصارت هـذه الجزائر الموجودة اليوم وكذلك قام شخص من صوفية الخـانقاه الصلاحية سعيد السعداء يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر في تغيير المنكر أعوام بضع وثمانين وسبعمائة فشوه وجوه سباع الحجر التي على قناطر السباع خارج القاهرة وشوه وجـه أبي الهول فغلب الرمل على أراضي الجيزة ولا ينكر ذلك فلله في خليقته أسرار يطلع عليها من يشاء من عباده والـكل بخلقه وتقديره * وقد ذكر الاستاذ ابراهيم بن وصيف شـاه في كتاب أخبار مصر في خبر الواحات الداخلة أن في تلك الصحارى كانت أكثر مدن ملوك مصر العجيبة وكنوزهم الا أن الرمال غلبت عليها قال ولم يبق بمصر ملك الا وقد عمـل للرمال طلسما لدفعها ففسدت طلسماتها لقدم الزمان * وذكر ابن يونس عن عبـد الله بن عمرو بن العاص أنه قال اني لاعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر قال ابن سالم فقلت له مايخرجنا منها ياأبا محمد أعدو قال لا ولـكنكم يخرجكم منها نيلـكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الـكثبان من الرمل وتأكل سباع الارض حيتانه * وقال الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير قال ان الصحابي حدثه أنه سمع كعبا يقول ستعرك العراق عرك الاديم وتفت مصر فت البعرة قال الليث وحدثني رجل عن وهب المعافري انه قال وتشق الشام شق الشعرة وسأذكر من خبر هذه الجزائر المشهورة ماوصلت الى معرفته ان شاء الله تعالى

* (ذكر الروضة) *

اعلم أن الروضة تطلق فى زماننا هذا على الجزيرة التى بين مدينة مصر ومدينة الجيزة وعرفت في أول الاسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم قيل لها جزيرة الحصن وعرفت الى اليوم بالروضة والى هذه الجزيرة انتقل المقوقس لما فتح الله تعالى على المسلمين القصر وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط وبها أيضاً بني أحمد بن طولون الحصن وبها كانت الصناعة يعنى صناعة السفن الحربية أى كانت بها دار الصناعة وبها كان الجنان والمختار وبها كان الهودج الذى بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية وبها بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب القلعة الصالحية وبها الى اليوم مقياس النيل وسأورد من أخبار الروضة هنا مالا تجده مجتمعاً في غير هذا الكتاب * قال ابن عبد الحكم وقد ذكر محاصرة المسلمين للحصن فلما رأى القوم الجد من المسلمين علي فتح الحصن والحرص ورأوا صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب الحصن القبلي ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر وذلك فى جرى النيل وتخلف فى الحصن بعد المقوقس الاعرج فلما خاف فتح باب الحصن خرج هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة قال وكان بالجزيرة يعنى بعد فتح مصر فى أيام عبد العزيز بن مروان أمير مصر خمسمائة فاعل معدة لحريق يكون فى البلد أو هدم * وقال القضاعي جزيرة فسطاط مصر قال الكندي بنيت بالجزيرة الصناعة في سنة أربع وخمسين وحصن الجزيرة بناه أحمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ومائتين ليحرز فيه حرمه وماله وكان سبب ذلك مسير موسى بن بغا العراقي من العراق واليا على مصر وجميع أعمال ابن طولون وذلك فى خلافة المعتمد على الله فلما بلغ أحمد بن طولون مسيره استعد لحربه ومنعه من دخول أعماله فلما بلغ موسي بن بغا الى الرقة تثاقل عن المسير لعظم شأن ابن طولون وقوته ثم عرضت لموسي علة طالت به وكان بها موته وثاوره الغلمان وطلبوا منه الارزاق وكان ذلك سبب تركه المسير فلم يلبث موسى بن بغا أن مات وكفي ابن طولون أمره ولم يزل هذا الحصن علي الجزيرة حتي أخذه النيل شيئاً بعد شئ وقد بقيت منه بقايا متقطعة الى الآن وقد اختصر القاضي القضاعي رحمه الله في ذكر سبب بناء ابن طولون حصن الجزيرة * وقد ذكر جامع سيرة ابن طولون أن صاحب الزنج لما قدم البصرة في سنة أربع وخمسين ومائتين واستفحل أمره أنفذ اليه أمير المؤمنين المعتمد على الله تعالى أبو العباس احمد ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد رسولا في حمل أخيه الموفق بالله أبي أحمد طلحة من مكة اليه وكان الخليفة المهتدى بالله محمد بن الواثق بن المعتصم نفاه اليها

فلما وصل اليه جعل العهد بالخلافة من بعده لابنه المفوض وبعد المفوض تكون الخلافة للموفق طلحة وجعل غرب الممالك الاسلامية للمفوض وشرقها للموفق وكتب بينهما بذلك كتابا ارتهن فيه أيمانهما بالوفاء بما قد وقعت عليه الشروط وكان الموفق يحسد أخاه المعتمد على الخلافة ولا يراه أهلا لها فلما جعل المعتمد الخلافة من بعده لابنه ثم للموفق بعده شق ذلك عليه وزاد في حقده وكان المعتمد متشاغلا بملاذ نفسه من الصيد واللعب والتفرد بجواريه فضاعت الامور وفسد تدبير الاحوال وغاز كل من كان متقلدا عملا بما تقلده وكان في الشروط التي كتبها المعتمد بين المفوض والموفق انه ما حدث في عمل كل واحد منهما من حدث كانت النفقة عليه من مال خراج قسمه واستخلف على قسم ابنه المفوض موسي بن بغا فاستكتب موسي بن بغا عبيد الله بن سليمان بن وهب وانفرد الموفق بقسمه من ممالك الشرق وتقدم الى كل منهما أن لا ينظر في عمل الآخر وخلد كتاب الشروط بالكعبة وافرد الموفق لمحاربة صاحب الزنج وأخرجه اليه وضم معه الجيوش فلما كبر أمره وطالت محاربته اياه وانقطعت مواد خراج المشرق عن الموفق وتقاعد الناس عن حمل المال الذي كان يحمل في كل عام واحتجوا بأشياء دعت الضرورة الموفق الى أن كتب الى أحمد بن طولون وهو يومئذ أمير مصر في حمل ما يستعين به في حروب صاحب الزنج وكانت مصر في قسم المفوض لانها من الممالك الغربية الا أن الموفق شكا في كتابه الى ابن طولون شدة حاجته الى المال بسبب ما هو بسبيله وأنفذ مع الكتاب نحريرا خادم المتوكل ليقبض منه المال فما هو الا أن ورد نحرير على ابن طولون بمصر واذا بكتاب المعتمد قد ورد عليه يأمره فيه بحمل المال اليه على رسمه مع ما جري الرسم بحمله مع المال في كل سنة من الطراز والرقيق والخيل والشمع وغير ذلك وكتب أيضاً الى أحمد بن طولون كتاباً في السر ان الموفق انما أنفذ نحريرا اليك عينا ومستقصيا على أخبارك وانه قد كاتب بعض أصحابك فاحترس منه واحمل المال الينا وعجل انفاذه وكان نحرير لما قدم الى مصر أنزله أحمد بن طولون معه في داره بالميدان ومنعه من الركوب ولم يمكنه من الخروج من الدار التي أنزله بها حتى سار من مصر وتلطف في الكتب التي أجاب بها الموفق ولم يزل بنحرير حتى أخذ جميع ما كان معه من الكتب التي وردت من العراق الى مصر وبعث معه الى الموفق ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار وما جرى الرسم بحمله من مصر وأخرج معه العدول وسار بنفسه صحبته حتى بلغ به العريش وأرسل الى ماخوار متولى الشام فقدم عليه بالعريش وسلمه اليه هو والمال وأشهد عليه بتسليم ذلك ورجع الى مصر ونظر في الكتب التي أخذها من نحرير فاذا هي الى جماعة من قواده باستمالتهم الى الموفق فقبض على أربابها وعاقبهم حتى هلكوا في عقوبته فلما وصل جواب ابن طولون الى الموفق ومعه المال كتب اليه كتابا ثانيا يستقل فيه المال

ويقول ان الحساب يوجب أضعاف ما حملت وبسط لسانه بالقول والتمس فيمن معه من يخرج الى مصر ويتقلدها عوضاً عن ابن طولون فلم يجد أحدا عوضه لما كان من كيس أحمد ابن طولون وملاطفته وحوه الدولة فلما ورد كتاب الموفق على ابن طولون قال وأي حساب بيني وبينه أو حال توجب مكاتبتي بهذا أو غيره وكتب اليه بعد البسملة وصل كتاب الامير أيده الله تعالى وفهمته وكان أسعده الله حقيقا بحسن التخير لمثلي وتصييره اياي عمدته التي يعتمد عليها وسيفه الذي يصول به وسنانه الذي يتقي الاعداء بحده لاني دائب في ذلك وجعلته وكدي واحتملت الكلف العظام والمؤن الثقال باستجذاب كل موصوف بشجاعة واستدعاء كل منعوت بغني وكفاية بالتوسعة عليهم وتواصل الصلات والمعاون لهم صيانة لهذه الدولة وذبا عنها وحسما لاطماع المتشوفين لها والمنحرفين عنها ومن كانت هذه سبيله في الموالاة ومنهجه فى المناصحة فهو حرى أن يعرف له حقه ويوفر من الاعظام قدره ومن كل حال جليلة حظه ومنزلته فوملت بضد ذلك من المطالبة بحمل ما أمر به والجفاء فى المخاطبة بغير حال توجب ذلك ثم أكلف على الطاعة جعلا وألزم في المناصحة ثمنا وعهدى بمن استدعى ما استدعاه الامير من طاعته أن يستدعيه بالبذل والاعطاء والارغاب والارضاء والاكرام لا أن يكلف ويحمل من الطاعة مؤنة وثقلا وأنى لا أعرف السبب الذى يوجب الوحشة ويوقعها بيني وبين الامير أيده الله تعالى ولاثم معاملة تقتضى معاملة أو تحدث منافرة لان العمل الذى أنا بسبيله لغيره والمكاتبة في أموره الى من سواه ولا أنا من قبله فانه والامير جعفرا المفوض أيده الله تعالى قد اقتسما الاعمال وصار لكل واحد منهما قسم قد انفرد به دون صاحبه وأخذت عليه البيعة فيه انه من نقض عهده أو أخفر ذمته ولم يف لصاحبه بما أكد على نفسه فالامة بريئة منه ومن بيعته وفي حل وسعة من خلعه والذي عاملني به الامير من محاولة صرفي مرة واسقاط رسمي أخرى وما يأتيه ويسو منيه ناقض لشرطه مفسد لعهده وقد التمس أوليائى وأكثروا الطلب في اسقاط اسمه وازالة رسمه فآثرت الابقاء وان لم يؤثره واستعملت الاناة اذ لم تستعمل معي ورأيت الاحتمال والكظم أشبه بذوي المعرفة والفهم فصبرت نفسي على أحر من الجمر وأمر من الصبر وعلى ما لا يتسع به الصدر والامير أيده الله تعالي أولي من أعانني على ما أوثره من لزوم عهده وأتوخاه من تأكيد عقده بحسن العشرة والانصاف وكف الاذى والمضرة وأن لا يضطرنى الى ما يعلم الله عزوجل كرهي له أن أجعل ما قد أعددته لحياطة الدولة من الجيوش المتكاثفة والعساكر المتضاعفة التي قد ضرست رجالها الحروب وجرت عليهم محن الخطوب مصروفا الى نقضها فعندنا وفي حيزنا من يرى أنه أحق بهذا الامر وأولى من الامير ولو أمنونى على أنفسهم فضلا عن أن يعثروا مني على ميل أو قيام بنصرتهم لاشتدت شكوتهم ولصعب على السلطان معاركتهم والامير يعلم أن بازائه منهم احدا

قد كبر عليه وفض كل جيش أنهضه اليه على انه لا ناصر له الا لفيف البصرة وأوباش عامتها فكيف من يجد ركنا منيعا وناصرا مطيعا وما مثل الامير فى اصالة رأيه يصرف مائة ألف عنان عدة له فيجعلها عليه بغير ما سبب يوجب ذلك فان يكن من الامير اعتاب أو رجوع الى ما هو أشبه به وأولى والا رجوت من الله عز وجل كفاية أمره وحسم مادة شره واجراءنا في الحياطة على أجمل عادته عندنا والسلام * فلما وصل الكتاب الى الموفق أقلقه وبلغ منه مبلغا عظيما وأغاظه غيظا شديدا وأحضر موسى بن بغا وكان عون الدولة وأشد أهلها بأسا واقداما فتقدم اليه في صرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماخور فامتثل ذلك وكتب الى ماخور كتاب التقليد وأنفذه اليه فلما وصل اليه الكتاب توقف عن ارساله الى أحمد بن طولون لعجزه عن مناهضته وخرج موسى بن بغا عن الحضرة مقدرا أنه يدور عمل المفوض ليحمل الاموال منه وكتب الى ماخور أمير الشام والى أحمد بن طولون أمير مصر لما بلغه من توقف ماخور عن مناهضته يأمرهما بحمل الاموال وعزم على قصد مصر والايقاع بابن طولون واستخلاف ماخور عليها فسار الى الرقة وبلغ ذلك ابن طولون فأقلقه وغمه لا لانه يقصر عن موسى بن بغا لكن لتحمله هتك الدولة وان يأتي سبيل من قاوم السلطان وحاربه وكسر جيوشه الا أنه لم يجد بدا من المحاربة ليدفع عن نفسه وتأمل مدينة فسطاط مصر فوجدها لا تؤخذ الا من جهة النيل فأراد لكبر همته وكثرة فكره في عواقب الامور أن يبنى حصنا على الجزيرة التي بين الفسطاط والجيزة ليكون معقلا لحرمه وذخائره ثم يشتغل بعد ذلك بحرب من يأتى من البر وقد زاد فكره فيمن يقدم من النيل فأمر ببناء الحصن على الجزيرة واتخذ مائة مركب حربية سوى ما ينضاف اليها من العلابيات والحمائم والعشارية والسنابيك وقوارب الخدمة وعمد الى سد وجه البحر الكبير وان يمنع ما يجيء اليه من مراكب طرسوس وغيرها من البحر الملح الى النيل بأن توقف هذه المراكب الحربية في وجه البحر الكبير خوفا مما سيجيء من مراكب طرسوس كما فعل محمد بن سليمان من بعده بأولاده كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وجعل فيها من يذب عن هذه الجزيرة وأنفذ الى الصعيد والى أسفل الارض بمنع من يحمل الغلال الى البلاد ليمنع من يأتى من البر الميرة وأقام موسى بن بغا بالرقة عشرة أشهر وقد اضطربت عليه الاتراك وطالبوه بأرزاقهم مطالبة شديدة بحيث استتر منهم كاتبه عبيد الله بن سليمان لتعذر المال عليه وخوفه على نفسه منهم فخاف موسى بن بغا عند ذلك ودعته ضرورة الحال الى الرجوع فعاد الى الحضرة ولم يقم بها سوى شهرين ومات من علة فى صفر سنة أربع وستين ومائتين هذا وأحمد بن طولون يجد فى بناء الحصن على الجزيرة وقد ألزم قواده وثقاته أمر الحصن وفرقه عليهم قطعا قام كل واحد بما لزمه من ذلك وكد نفسه فيه

وكان يتعاهدهم بنفسه في كل يوم وهو فى غفلة عما صنعه الله تعالى له من الكفاية والغنى عما يعانيه ومن كثرة ما بذل فى هذا العمل قدر أن كل طوبة منه وقت عليه بدرهم صحيح ولما تواترت الاخبار بموت موسى بن بغا كف عن العمل وتصدق بمال كثير شكرا لله تعالى على ما من به عليه من صيانته عما يقبح فيه عنه الا حدوثة وما رأى الناس شيئاً كان أعظم من غظيم الجد في بناء هذا الحصن ومباكرة الصناع له في الاسحار حتى فرغوا منه فانهم كانوا يخرجون اليه من منازلهم في كل بكرة من تلقاء أنفسهم من غير استحثاث لكثرة ما سخابه من بذل المال فلما انقطع البناء لم ير أحد من الصناع التي كانت فيه مع كثرتها كانما هى نار صب عليها ماء فطفئت لوقتها ووهب للصناع مالا جزيلا وترك لهم جميع ما كان سلفا معهم وبلغ مصروف هذا الحصن ثمانين ألف دينار ذهبا وكان مما حمل أحمد ابن طولون على بناء الحصن أن الموفق أراد أن يشغل قلبه فسرقت نعله من بيت حظية لا يدخله الا ثقاته وبعثها الموفق اليه فقال له الرسول من قدر على أخذ هذه النعل من الموضع الذى تعرفه أليس هو بقادر على أخذ روحك فوالله أيها الامير لقد قام عليه أخذ هذه النعل بخمسين ألف دينار فعند ذلك أمر ببناء الحصن * وقال أبو عمر الكندى في كتاب أمراء مصر وتقدم أبو أحمد الموفق الى موسى بن بغا في صرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماجور التركي فكتب موسى بن بغا بذلك الى ماجور وهو والى دمشق يومئذ فتوقف لعجزه عن مقاومة أحمد بن طولون فخرج موسى بن بغا فنزل الرقة وبلغ ابن طولون انه سائر اليه ولم يجد بدا من محاربته فاخذ أحمد بن طولون فى الحذر منه وابتدأ في ابتناء الحصن الذي بالجزيرة التي بين الجسرين ورأى أن يجعله معقلا لماله وحرمه وذلك فى سنة ثلاث وستين ومائتين واجتهد أحمد بن طولون في بناء المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة وأظهر الامتناع من موسى بن بغا بكل ما قدر عليه وأقام موسى بن بغا بالرقة عشرة أشهر وأحمد بن طولون فى احكام أموره واضطربت أصحاب موسى بن بغا عليه وضاق بهم منزلهم وطالبوا موسى بالمسير أو الرجوع الى العراق فبينا هو كذلك توفى موسى بن بغا فى سنة أربع وستين ومائتين * وقال محمد بن داود لاحمد بن طولون وفيه تحامل

لما ثوى بن بغا بالرقتين ملا * ساقيه زرقا الى الكعبين والعقب
بنى الجزيرة حصنا يستجن به * بالعسف والضرب والصناع فى تعب
وراقب الجيزة القصوى تخندقها * وكاد يصعق من خوف ومن رعب
له مراكب فوق النيل راكدة * فما سوى القار للنظار والخشب
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت * بالشط ممنوعة من عزة الطلب
فما بناها لغزو الروم محتسبا * لكن بناها غداة الروع والعطب

وقال سعيد بن القاضي من أبيات

وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا * الى الحصن أو فاعبر اليه على الجسر
ترى أثرا لم يبـق من يستطيعه * من الناس في بدو البلاد ولا حضر
مآثر لا تبـلى وان باد أهلها * ومجـد يؤدي وارثيـه الى الفخر

وما زال حصن الجزيرة هذا عامرا أيام بني طولون وعملت فيه صناعة مصر التي تنشأ فيها المراكب الحربية فاستمر صناعة الى أن تقلد الامير محمد بن طغج الاخشيد امارة مصر من قبل أمير المؤمنين الراضي بالله وسير مراكب من الشأم عليها صاعد بن الكلكم فدخل تنيس وسارت مقدمته في البر ودخل صاعـد دمياط وسار فهزم جيش مصر الذي جهزه احمد بن كيغلغ اله بتدبير محمد بن على الماردانى على بحيرة نوسا وأقبل في مراكبه الى الفسطاط فكان بالجزيرة وقدم محمد بن طغج وتسلم البلد لست بقين من رمضان سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وفر منه جماعة الى الفيوم فخرج اليهم صاعدبن الكلكم فى مراكبه وواقعهم بالفيوم فقتل فى عـدة من أصحابه وقدمت الجماعـة في مراكب ابن كلكم فأرسوا بجزيرة الصناعة وحرقوها ثم مضوا الى الاسكندرية وساروا الى برقة فقال محمد بن طغج الصناعة هنا خطأ وأمر بعمل صناعة في بر مصر*وحكى ابن زولاق في سيرة محمد بن طغج أنه قال أذكر أني كنت آكل مع أبي منصور تكين أمير مصر وجرى ذكر الصناعـة فقال تكين صناعة يكون بيننا وبينها بحر خطأ فأشارت الجماعـة بنقلها فقال الى أى موضع فاردت أن أشير عليه بدار خديجـة بنت الفتح بن خاقان ثم سكت وقلت أدع هـذا الرأى لنفسي اذا ملكت مصر فبلغت ذلك والحمد لله وحده ولما أخذ محمد بن طغج دار خديجـة كان يتردد اليها حتى عملت فلما ابتدؤا بانشاء المراكب فيها صاحت به امرأة فقال خذوها فساروا بها الى داره فأحضرها مساء واستخبرها عن أمرها فقالت ابعث معي من يحمل المال فأرسل معها جماعة الى دار خديجة هذه فدلتهم على مكان استخرجوا منه عينا وورقا وحليا وثيابا وعدة ذخائر لم ير مثلها وصاروا بها الى محمد بن طغج فطلب المرأة ليكافئها على ما كان منها فلم توجد فكان هذا أول مال وصل الى محمد بن طغج بمصر قال واستدعي محمد بن طغج الاخشيد صالح بن نافع وقال له كان في نفسي اذا ملكت مصر ان أجعل صناعة العمارة في دار ابنة الفتح وأجعل موضع الصناعة من الجزيرة بستانا أسـميه المختار فاركب وخط لى بستانا ودارا وقدر لى النفقة عليهما فركب صالح بجماعة وخطوا بستانا فيه دار للغلمان ودار للنوبة وخزائن للكسوة وخزائن للطعام وصوروه وأتوا به فاستحسنه وقال كم قدرتم النفقة قالوا ثلاثين ألف دينار فاستكثرها فلم يزالوا يضعون من التقدير حتى صار خمسـة آلاف دينار فأذن في عمله ولما شرعوا فيه ألزمهم المال من عنـدهم فقسط على جماعة وفرغ من

بنائه فاتخذه الاخشيد متنزها له وصار يفاخر به أهل العراق وكان نقل الصناعة من الجزيرة الي ساحل النيل بمصر في شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة فلم يزل البستان المختار متنزها الي أن زالت الدولة الاخشيدية والكافورية وقدمت الدولة الفاطمية من بلاد المغرب الي مصر فكان يتنزه فيه المعز لدين الله معد وابنه العزيز بالله نزار وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس لها وال وقاض وكان يقال القاهرة ومصر والجزيرة فلما كانت أيام استيلاء الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي وحجره على الخلفاء أنشأ في بحري الجزيرة مكانا نزها سماه الروضة وتردد اليها ترددا كثيرا فكان يسير في العشاريات الموكبيات من دار الملك التي كانت سكنه بمصر الي الروضة ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة فلما قتل الافضل بن أمير الجيوش واستبد الخليفة الآمر بأحكام الله أبو علي منصور بن المستعلي بالله أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الروضة مكاناً لمحبوبته العالية البدوية سماه الهودج

*(الهودج) قال ابن سعيد في كتاب المحلي بالاشعار عن تاريخ القرطبي قد اكثر الناس فى حديث البدوية وابن مياح من بنى عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الخليفة الآمر بأحكام الله حتى صارت رواياتهم فى هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الخليفة الآمر كان قد ابتلي بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون فى البوادى فبلغه أن بالصعيد جارية من أكمل العرب وأظرف نسائهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزى بداة الاعراب وصار يجول فى الاحياء الى أن انتهي الي حيها وبات هناك في ضافة وتحيل حتي عاينها فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وسرير خلافته فأرسل الى أهلها يخطبها فأجابوه الى ذلك وزوجوها منه فلما صارت الى القصور صعب عليها مفارقة ما اعتادت وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان على شاطئ النيل في شكل غريب وكان بالاسكندرية القاضى مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن ابن حديد قد استولى على أمورها وصار قاضيها وناظرها ولم يبق لاحد معه فيها كلام وضمن أموالها بجملة يحملها وكان ذا مروأة عظيمة يحتذى أفعال البرامكة وللشعراء فيه مدائح كثيرة وممن مدحه ظافر الحداد وأمية بن أبي الصلت وجماعة وكان الافضل بن أمير الجيوش اذا أراد الاعتناء بأحد كتب معه كتابا الى ابن حديد هذا فيغنيه بكثرة عطائه وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام قطعة واحدة يحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من سعته وكان يجد فى نفسه برؤية هذا الجرن زيادة على أهل النعم ويباهى به أهل عصره فوشى به للبدوية محبوبة الخليفة فطلبته من الخليفة فأنفذ فى الحال باحضاره فلم يسع ابن حديد الا أن قلعه من مكانه وبعث به وفى نفسه حزازة من أخذه منه وخدم البدوية وخدم جميع من يلوذ بها

حتى قالت هذا الرجل أخجلنا بكثرة هداياه وتحفه ولم يكلفنا قط أمراً نقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما بلغه ذلك عنها قال مالى حاجة بعد الدعاء لله تعالى بحفظ مكانها وطول حياتها غير رد الجرن الذى أخذ من دارى التى بنيتها فى أيامهم من نعمهم الى مكانه فلما سمعت هذا عنه تعجبت منه وأمرت برد الجرن اليه فقيل له قد وصلت الى حد أن خيرتك البدوية في جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب في أخذ ذلك الجرن من مكانه وقد بانها الله أملها وبقيت البدوية متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه وهى بقصر الخليفة الآمر

يا ابن ميـاح اليك المشتكى * مالك من بعـدكم قد ملكا
كنت فى حى مرأ مطلقا * نائلا ماشئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر مؤصد * لا أرى الا حبيسا ممسكا
كم تثنينا بأغصان اللوا * حيث لانخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى * حيثما شاء طليق سلكا

* (فأجابها) *

بنت عمى والتي غذيتها * بالهوى حتي علا واحتنكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها * لو غدا ينفع منها المشتكى
مالك الامر اليه يشتكى * هالك وهو الذى قد هلكا
شأن داود غدا في عصرنا * مبديا بالتيه ماقد ملكا

فبلغت الآمر فقال لولا أنه أساء الادب فى البيت الرابع لرددتها الى حيه وزوجتها به * قال القرطبي وللناس في طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طئ في عصر الخليفة الآمر طراد بن مهلهل فلما بلغه قضية الآمر مع العالية البدوية قال

ألا أبلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الاليفين عن ألفة * بها سمر الحي بين الرحال
كذا كان آباؤك الاقدمون * سألت فقل لى جواب السؤال

فلما بلغ الآمر شعره قال جواب السؤال قطع لسانه على فضوله وأمر بطلبه في أحياء العرب ففر ولم يقدر عليه فقالت العرب ماأخسر صفقة طراد باع أبيات الحي بثلاثة أبيات ولم يزل الآمر يتردد الى الهودج بالروضة للنزهة فيه الى أن ركب من القصر بالقاهرة يريد الهودج في يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة فلما كان برأس الجسر وثب عليه قوم من النزارية قد كمنوا له في فرن تجاه رأس الجسر بالروضة وضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه وجرحوا جماعة من خدامه فحمل الى منظرة اللؤلؤة بشاطئ الخليج وقدمات

* (ذكر قلعة الروضة) *

اعلم أنه مابرحت جزيرة الروضة منتزهاً ملوكياً ومسكناً للناس كما تقدم ذكره الى أن ولي الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب سلطنة مصر فأنشأ القلعة بالروضة فعرفت بقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة وبالقلعة الصالحية وشرع في حفر أساسها يوم الاربعاء خامس شعبان وابتدأ بنيانها في آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشره وفي عاشر ذى القعدة وقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت بجزيرة الروضة وتحول الناس من مساكنهم التي كانوا بها وهدم كنيسة كانت لليعاقبة بجانب المقياس وأدخلها في القلعة وأنفق في عمارتها أموالا جمة وبنى فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجا وبنى بها جامعاً وغرس بها جميع الاشجار ونقل اليها عمد الصوان من البرابى وعمد الرخام وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج اليه من الغلال والازواد والاقوات خشية من محاصرة الفرنج فانهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر وبالغ في اتقانها مبالغة عظيمة حتى قيل انه استقام كل حجر فيها بدينار وكل طوبة بدرهم وكان الملك الصالح يقف بنفسه ويرتب مايعمل فصارت تدهش من كثرة زخرفها وتحير الناظر اليها من حسن سقوفها المزينة وبديع رخامها ويقال انه قطع من الموضع الذي أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى الى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه وخرب الهودج والبستان المختار وهدم ثلاثة وثلاثين مسجداً عمرها خلفاء مصر وسراة المصريين لذكر الله تعالى واقامة الصلوات واتفق له في هدم بعض هذه المساجد خبر غريب قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد الاسدى الشهير باليغمورى سمعت الامير الكبير الجواد جمال الدين أبا الفتح موسي ابن الامير شرف الدين يغمور ابن جلدك بن عبد الله قال ومن عجيب ماشاهدته من الملك الصالح أبي الفتوح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل رحمه الله تعالى أنه أمرنى أن أهدم مسجداً كان في جوار داره بجزيرة مصر فأخرت ذلك وكرهت أن يكون هدمه على يدى فأعاد الامر وأنا أكاسر عنه وكأنه فهم منى ذلك فاستدعى بعض خدمه من نوابى وأنا غائب وأمره أن يهدم ذلك المسجد وأن يبنى في مكانه قاعة وقدر له صفتها فهدم ذلك المسجد وعمر تلك القاعة مكانه وكملت وقدمت الفرنج الى الديار المصرية وخرج الملك الصالح مع عساكره اليهم ولم يدخل تلك القاعة التى بنيت فى المكان الذي كان مسجداً فتوفي السلطان في المنصورة وجعل فى مركب وأتى به الى الجزيرة فجعل في تلك القاعة التي بنيت مكان المسجد مدة الى أن بنيت له التربة التى في جنب مدارسه بالقاهرة في جانب القصر عفا الله عنه وكان النيل عند ماعزم الملك الصالح على عمارة قلعة الروضة من الجانب الغربى فيما بين الروضة وبر الجيزة وقد انطرد

عن بر مصر ولا يحيط بالروضة الا فى أيام الزيادة فلم يزل يغرق السفن في البر الغربي ويحفر فيما بين الروضـة ومصر ما كان هناك من الرمال حتي عاد ماء النيل الي بر مصر واستمر هناك فأنشأ جسرا عظيما ممتداً من بر مصر الى الروضة وجعل عرضه ثلاث قصبات وكان الامراء اذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم عند البر ويمشون فى طول هـذا الجسر الي القلعة ولا يمكن أحد من العبور عليه راكبا سوى السلطان فقط ولما كملت تحول اليها بأهله وحرمه واتخذها دار ملك وأسكن فيها معه مماليكه البحرية وكانت عدتهم نحو الالف مملوك * قال العلامة على بن سعيد في كتاب المغرب وقد ذكر الروضة هي أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت منتزها لاهل مصر فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنة وبنى بها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالى السمك لم تر عيني أحسن منه وفي هـذه الجزيرة كان الهودج الذي بناه الآمر خليفة مصر لزوجتـه البدوية التى هام فى حبها والمختار بستان الاخشيد وقصره وله ذكر في شعر تميم بن المعز وغيره ولشعراء مصر في هـذه الجزيرة أشعار منها قول أبي الفتح بن قادوس الدمياطى

أرى سرح الجزيرة من بعيد * كأحـداق تغازل فى المغازل

كأن مجرة الجـوزا أحاطت * وأثبتت المنازل فى المنـازل

وكنت أشق في بعض الليالى بالفسطاط على ساحلها فيزدهيني ضحك البدر فى وجه النيـل أمام سور هذه الجزيرة الدرى اللون ولم أنفصل عن مصر حتي كمل سور هذه القلعة وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين همة فى البناء وأبصرت في هذه الجزيرة ايواناً لجلوسه لم تر عيني مثاله ولا أقدر ما أنفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام الآبنوسى والكافورى والمجزع مايذهل الافكار ويستوقف الابصار ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة وفى بعضها حاظر حظر به على أصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج ينقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر وقد تفرجت كثيرا فى طرف هذه الجزيرة مما يلى بر القاهرة فقطعت فيه عشيات مذهبات لم تزل لاحزان الغربة مذهبات واذا زاد النيل فصل ما بينها وبين الفسطاط بالكلية • وفي أيام احتراق النيل يتصل برها ببر الفسطاط من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر فيه مراكب وركبت مرة هـذا النيل أيام الزيادة مع الصاحب المحسن محيي الدين بن ندا وزير الجزيرة وصعدنا الى جهـة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هـذه الجزيرة وأبراجها تتلالا والنيـل قد انقسم عنها فقلت

تأمل لحسن الصـالحية اذ بدت * وأبراجها مثـل النجوم تلالا

وللقلعة الغراء كالبـدر طالعا * تفرج صـدر الماء عنه هـلالا
ووافي اليها النيل من بعد غاية * كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها * فمـد يميناً نحوها وشـمالا
جرى قادما بالسعد فاختط حولها * من السعد أعلاما فزاد دلالا

ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بني أيوب فلما ملك السلطان الملك المعز عز الدين ايبك التركماني أول ملوك الترك بمصر أمر بهدمها وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزية في رحبة الحناء بمدينة مصر وطمع في القلعة من له جاه فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة فلما صارت مملكة مصر الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري اهتم بعمارة قلعة الروضة ورسم للامير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى اعادتها كما كانت فأصلح بعض ما تهدم فيها ورتب فيها الجاندارية وأعادها الى ما كانت عليـه من الحرمة وأمر بأبراجها ففرقت على الامراء وأعطى برج الزاوية للامير سيف الدين قلاون الالفي والبرج الذي يليـه للامير عز الدين الحلي والبرج الثالث من بروج الزاوية للامير عز الدين ارغان وأعطى برج الزاوية الغربي للامـير بدر الدين الشمسي وفرقت بقية الابراج على سائر الامراء ورسم أن تكون بيوتات جميع الامراء واصطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم فلما تسلطن الملك المنصور قلاون الالفي وشرع في بناء المارستان والقبة والمدرسة المنصورية نقل من قلعة الروضة هـذه ما يحتاج اليه من عمد الصوان وعمد الرخام التي كانت قبل عمارة القلعة في البرابي وأخذ منهـا رخاما كثيرا وأعتابا جليلة مما كان في البرابي وغير ذلك ثم أخذ منها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ما احتاج اليه من عمد الصوان في بناء الايوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل والجامع الجديد الناصري ظاهر مدينة مصر وأخذ غير ذلك حتى ذهبت كأن لم تكن وتأخر منهـا عقد جليل تسميه العامة القوس كان مما يلي جانبها الغربي أدركناه باقيا الى نحو سنة عشرين وثمانمائة وبقي من أبراجها عـدة قد انقلب أكثرها وبني الناس فوقهـا دورهم المطلة على النيل * قال ابن المتوج ثم اشترى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة مصر المعروفة اليوم بالروضة في شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وانما سميت بالروضة لانه لم يكن بالديار المصرية مثلها وبحر النيل حائز لها ودائر عليها وكانت حصينة وفيها من البساتين والعمائر والثمار مالم يكن في غيرها ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بها مدة فلما طال حصارها وهرب الروم منها خرب عمرو بن العاص بعض أبراجها وأسوارها وكانت مستديرة عليها واستمرت الى أن عمر حصنها احمد بن طولون في سنة ثلاث وستين ومائتين ولم يزل هـذا الحصن حتى خربه النيل ثم اشتراها الملك المظفر تقي الدين عمر المذكور

وبقيت على ملكه الى أن سير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده الملك العزيز عثمان الى مصر ومعه عمه الملك العادل وكتب الى الملك المظفر بأن يسلم لهما البلاد ويقدم عليه الى الشأم فلما ورد عليه الكتاب ووصل ابن عمه الملك العزيز وعمه الملك العادل شق عليه خروجه من الديار المصرية وتحقق أنه لا عود له اليها أبدا فوقف هذه المدرسة التى تعرف اليوم في مصر بالمدرسة التقوية التى كانت تعرف بمنازل العز ووقف عليها الجزيرة بكمالها وسافر الى عمه فملكه حماه ولم يزل الحال كذلك الى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب فاستأجر الجزيرة من القاضى فخر الدين أبى محمد عبد العزيز ابن قاضي القضاة عماد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد العلي بن عبد القادر السكرى مدرس المدرسة المذكورة لمدة ستين سنة فى دفعتين كل دفعة قطعة فالقطعة الاولى من جامع غين الى المناظر طولا وعرضا من البحر الى البحر واستأجر القطعة الثانية وهي باقي أرض الجزيرة بما فيها من النخل والجميز والغروس فانه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعت النخيل ودخلت في العمائر وأما الجميز فانه كان بشاطئ بحر النيل صف جميز يزيد على أربعين شجرة وكان أهل مصر فرجهم تحتها في زمن النيل والربيع قطعت جميعها فى الدولة الظاهرية وعمر بها شوانى عوض الشوانى التي كان قد سيرها الى جزيرة قبرس ثم سلم لمدرس التقوية القطعة المستأجرة من الجزيرة أولا فى سنة ثمان وتسعين وستمائة وبقى بيد السلطان القطعة الثانية وقد خربت قلعة الروضة ولم يبق منها سوى أبراج قد بنى الناس عليها وبقى أيضاً عقد باب من جهة الغرب يقال له باب الاصطبل وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها منتزها يشتمل على دور كثيرة وبساتين عدة وجوامع تقام بها الجماعات والاعياد ومساجد وقد خرب اكثر مساكن الروضة وبقى فيها الى اليوم بقايا * وبطرف الروضة (المقياس) الذى يقاس فيه ماء النيل اليوم ويقال له المقياس الهاشمى وهو آخر مقياس بنى بديار مصر * قال أبو عمر الكندى وورد كتاب المتوكل على الله بابتناء المقياس الهاشمى للنيل وبعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله بن دينار أمير مصر أبا الرداد المعلم وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخراج في كل شهر سبعة دنانير وذلك فى سنة سبع وأربعين ومائتين وعلامة وفاء النيل ستة عشر ذراعا أن يسبل أبو الرداد قاضى البحر الستر الاسود الخليفى على شباك المقياس فاذا شاهد الناس هذا الستر قد أسبل تباشروا بالوفاء واجتمعوا على العادة للفرجة من كل صوب وما أحسن قول شهاب الدين ابن العطار في تهتك الناس يوم تخليق المقياس

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم * ما أحسن الستر قالوا العفو مأمول
ستر الاله علينا لا يزال فما * أحلى تهتكنا والستر مسبول

(جزيرة الصابونى) هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار والرباط من جملتها وقفها أبوالملوك نجم الدين أيوب بن شادى وقطعة من بركة الحبش فجمل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده والنصف الآخر على صوفية بمكان بجوار قبة الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه يعرف اليوم بالصابونى * (جزيرة الفيل) هـذه الجزيرة هي الآن بلد كبير خارج باب البحر من القاهرة وتتصل بمنية الشيرج من بحرها ويمر النيل من غربيها وبها جامع تقام به الجمعة وسوق كبير وعدة بساتين جليلة وموضعها كله مما كان غامرا بالماء فى الدولة الفاطمية فلما كان بعد ذلك انكسر مركب كبير كان يعرف بالفيل وترك فى مكانه فرباعليه الرمل وانطرد عنه الماء فصارت جزيرة فيما بين المنية وأرض الطبالة سماها الناس جزيرة الفيل وصار الماء يمر من جوانبها فغربيها تجاه بر مسر الغربى وشرقيها تجاه البعل والماء فيما بينها وبين البعل الذى هو الآن قبالة قناطر الاوز فان الماء كان يمر بالمقس من تحت زربية جامع المقس الموجود الآن على الخليج الناصري ومن جامع المقس على أرض الطبالة الى غربى المصلى حتى ينتهى من تجاه التاج الى المنية وصارت هذه الجزيرة في وسط النيل وما برحت تتسع الى أن زرعت فى أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فوقفها على المدرسة التي أنشأها بالقرافة بجوار قبر الشافعى رضى الله عنه وكثرت أطيانها بانحسار النيل عنها فى كل سنة فلما كان في أيام الملك المنصور قلاوون الالفى تقرب مجد الدين أبو الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشاب المتحدث في الاحباس الى الامير علم الدين سنجر الشجاعى بأن فى أطيان هذه الجزيرة زيادة على ما وقفه السلطان صلاح الدين فأمر بقياس ما تجدد بها من الرمال وجعلها لجهة الوقف الصلاحي وأقطع الاطيان القديمة التي كانت فى الوقف وجعلها هى التي زادت فلما أمر الملك المنصور قلاوون بعمل المارستان المنصورى وقف بقية الجزيرة عليه فغرس الناس بها الغروس وصارت بساتين وسكن الناس من المزارعين هناك فلما كانت أيام الملك الناصر محمد بن قلاون بعد عوده الى قلعة الجبل من الكرك وانحسر النيل عن جانب المقس الغربى وصار ما هنالك رمالا متصلة من بحريها بجزيرة الفيل المذكورة ومن قبليها بأراضي اللوق افتتح الناس باب العمارة بالقاهرة ومصر فعمروا في تلك الرمال المواضع التي تعرف اليوم ببولاق خارج المقس وأنشأوا بجزيرة الفيل البساتين والقصور واستجد ابن المغربى الطيب بستانا اشتراه منه القاضى كريم الدين ناظر الخاص للامير سيف الدين طشتمر الساقي بنحو المائة ألف درهم فضة عنها زهاء خمسة آلاف مثقال ذهبا وتتابع الناس في انشاء البساتين حتى لم يبق بها مكان بغير عمارة وحكر ما كان منها وقفا على المـدرسة المجاورة للشافعي رضي الله عنه وما كان فيها من وقف المارستان وغرس ذلك كله بساتين فصارت تنيف على مائة وخمسين بستانا الى سنة وفاة

الملك الناصر محمد بن قلاون ونصب فيها سوق كبير يباع فيه اكثر ما يطلب من المآكل وابتنى الناس بها عدة دور وجامعا فبقيت قرية كبيرة وما زالت في زيادة ونمو فأنشأ قاضي القضاة جلال الدين القزويني رحمه الله الدار المجاورة لبستان الامير ركن الدين بيبرس الحاجب على النيل فجاءت في غاية من الحسن فلما عزل عن قضاء القضاة وسار الى دمشق اشتراها الامير بشتاك بثلاثين ألف درهم وخربها وأخذ منها رخاما وشبابيك وأبوابا ثم باع باقي نقضها بمائة ألف درهم فربح الباعة فى ذلك شيئاً كثيرا ونودي على زربيتها فحكرت وعمر عليها الناس عدة أملاك واتصلت العمارة بالاملاك من هذه الزربية الى منية الشيرج ثم خربت شيئاً بعد شيء وبقي ما على هذه الزربية من الاملاك وهي تعرف اليوم بدار الطنبدي التاجر * وأما بساتين الجزيرة فلم تزل محيا من عجائب الدنيا من حسن المنظر وكثرة المتحصل الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فتلاشت وخرب كثير منها لغلو العلوفات من الفول والتبن وشدة ظلم الدولة وتعطل معظم سوقها وفيها الى الآن بقية صالحة *(جزيرة اروى) هذه الجزيرة تعرف بالجزيرة الوسطى لانها فيما بين الروضة وبولاق وفيما بين بر القاهرة وبر الجيزة لم ينحسر عنها الماء الا بعد سنة سبعمائة وأخبرني القاضي الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل ابن أحمد بن عبد الوهاب ابن الخطباء المخزومي عن الطبيب الفاضل شمس الدين محمد بن الاكفاني انه كان يمر بهذه الجزيرة أول ما انكشفت ويقول هذه الجزيرة تصير مدينة أو قال تصير بلدة على الشك مني فاتفق ذلك وبنى الناس فيها الدور الجليلة والاسواق والجامع والطاحون والفرن وغرسوا فيها البساتين وحفروا الآبار وصارت من أحسن منتزهات مصر يحف بها الماء ثم صار ينكشف ما بينها وبين بر القاهرة فاذا كانت أيام زيادة ماء النيل أحاط الماء بها وفى بعض السنين يركبها الماء فتمر المراكب بين دورها وفى أزقتها ثم لما كثر الرمل فيما بينها وبين البر الشرقي حيث كان خط الزربية وفم الخور قل الماء هناك وتلاشت مساكن هذه الجزيرة منذ كانت الحوادث في سنة ست وثمانمائة وفيها الى اليوم بقايا حسنة *(الجزيرة التي عرفت بحليمة) هذه الجزيرة خرجت في سنة سبع وأربعين وسبعمائة ما بين بولاق والجزيرة الوسطى سمتها العامة بحليمة ونصبوا فيها عدة أخصاص بلغ مصروف الخص الواحد منها ثلاثة آلاف درهم نقرة في ثمن رخام ودهان فكان فيها من هذه الاخصاص عدة وافرة وزرع حول كل خص من المقاثي وغيرها ما يستحسن وأقام أهل الخلاعة والمجون هناك وتهتكوا بأنواع المحرمات وتردد الى هذه الجزيرة أكثر الناس حتى كادت القاهرة أن لا يثبت بها احد وبلغ اجرة كل قصبة بالقياس فى هذه الجزيرة وفي الجزيرة التي عرفت بالعلمية فيما بين مصر والجيزة مبلغ عشرين درهما نقرة فوقف الفدان هناك بمبلغ ثمانية آلاف درهم نقرة ونصبت في هذه الافدنة الاخصاص المذكورة وكان الانتفاع

بها فيما ذكر نحو ستة اشهر من السنة فعلى ذلك يكون الفدان فيها بمبلغ ستة عشر ألف درهم نقرة وأتلف الناس هناك من الاموال ما يجل وصفه فلما كثر تجاهرهم بالقبيح قام الامير ارغون العلائى مع الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاون في هدم هذه الاخصاص التى بهذه الجزيرة قياماً زائدا حتى أذن له فى ذلك قأمر والي مصر والقاهرة فنزلا على حين غفلة وكبسا الناس وأراقا الخمور وحرقا الاخصاص فتلف للناس في النهب والحريق وغير ذلك شئ كثير الى الغاية والنهاية وفي هذه الجزيرة يقول الاديب ابراهيم المعمار

جزيرة البحر جنت * بها عقول سليمة
لما حوت حسن مغنى * ببسطة مستقيمة
وكم يخوضون فيها * وكم مشوا بنميمة
ولم تزل ذا احتمال * ما تلك الا حليمة

(ذكر السجون)

قال ابن سيده السجن الحبس والسجان صاحب السجن ورجل سجين مسجون قال وحبسه يحبسه حبساً فهو محبوس وحبيس واحتبسه وحبسه أمسكه عن وجهه*وقال سيبويه حبسه ضبطه واحتبسه اتخذه حبساً والمحبس والمحبسة والمحتبس اسم الموضع وقال بعضهم المحبس يكون مصدراً كالحبس ونظيره الى الله مرجعكم أى رجوعكم ويسألونك عن المحيض أى الحيض * وروى الامام أحمد وأبو داود من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال ان النبيّ صلى الله عليه وسلم حبس في تهمة وفي جامع الخلال عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس في تهمة يوما وليلة فالحبس الشرعىّ ليس هو السجن في مكان ضيق وانما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرّف بنفسه سواء كان فى بيت أو مسجد أو كان يتولى نفس الخصم أو وكيله عليه وملازمته له ولهذا سماه النبيّ صلى الله عليه وسلم أسيرا كما روى أبو داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن أبيه رضى الله عنهما قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لى فقال لى الزمه ثم قال لى ياأخا بني تميم ماتريد أن تفعل بأسيرك وفي رواية ابن ماجه ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بى آخر النهار فقال مافعل أسيرك ياأخا بنى تميم وهذا كان هو الحبس على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه ولم يكن له محبس معد لحبس الخصوم ولكن لما انتشرت الرعية فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابتاع من صفوان بن أمية رضى الله عنه دارا بمكة بأربعة آلاف درهم وجعلها سجنا يحبس فيها ولهذا تنازع العلماء هل يتخذ الامام حبسا على قولين فمن قال لايتخذ حبسا احتج بأنه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لخليفته من بعده حبس ولكن يعوقه بمكان من الاماكن أو يقيم عليه حافظا

وهو الذى يسمى الترسيم أو يأمر غريمه بملازمته ومن قال له أن يتخذ حبسا احتج بفعل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ومضت السنة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أنه لايحبس على الديون ولكن يتلازم الخصمان وأول من حبس على الدين شريح القاضى وأما الحبس الذى هو الآن فانه لايجوز عند أحد من المسلمين وذلك انه يجمع الجمع الكثير في موضع يضيق عنهم غير متمكنين من الوضوء والصلاة وقد يرى بعضهم عورة بعض ويؤذيهم الحر فى الصيف والبرد فى الشتاء وربما يحبس أحدهم السنة وأكثر ولا جدة له وان أصل حبسه على ضمان وأما سجون الولاة فلايوصف مايحل بأهلها من البلاء واشتهر أمرهم انهم يخرجون مع الاعوان في الحديد حتى يشحذوا وهم يصرخون فى الطرقات الجوع فما تصدق به عليهم لاينالهم منه الا مايدخل بطونهم وجميع مايجتمع لهم من صدقات الناس يأخذه السجان وأعوان الوالى ومن لم يرضهم بالغوا في عقوبته وهم مع ذلك يستعملون فى الحفر وفي العمائر ونحو ذلك من الاعمال الشاقة والاعوان تستحثهم فاذا انقضى عملهم ردوا الى السجن في حديدهم من غير أن يطعموا شيئا الى غير ذلك مما لايسع حكايته هنا وقد قيل ان أول من وضع السجن والحرس معاوية *وقد كان في مدينة مصر وفي القاهرة عدة سجون وهى حبس المعونة بمصر وحبس الصيار بمصر وخزانة البنود بالقاهرة وحبس المعونة بالقاهرة وخزانة شمائل وحبس الديلم وحبس الرحبة والجب بقلعة الجبل * (حبس المعونة بمصر) ويقال أيضاً دار المعونة كانت أولا تعرف بالشرطة وكانت قبلى جامع عمرو بن العاص وأصله خطة قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رضى الله عنهم اختطها في أول الاسلام وقد كان موضعها فضاء وأوصى فقال ان كنت بنيت بمصر دارا واستعنت فيها بمعونة المسلمين فهى للمسلمين ينزلها ولاتهم وقيل بل كانت هى ودار الى جانبها لنافع بن عبد قيس الفهرى وأخذها منه قيس بن سعد وعوضه دارا بزقاق القناديل ثم عرفت بدار الفلفل لان أسامة بن زيد التنوخي صاحب خراج مصر ابتاع من موسى ابن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار كان كتب فيه الوليد بن عبد الملك ليهديه الى صاحب الروم تخزنه فيها فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين تولى الخلافة فكتب ان تدفع اليه ثم صارت شرطة ودار الصرف فلما فرغ عيسي بن يزيد الجلودى من زيادة عبد الله بن طاهر في الجامع بني شرطة في سنة ثلاث عشرة ومائتين فى خلافة المأمون ونقش في لوح كبير نصبه على باب الجامع الذى يدخل منه الى الشرطة مانصه • بركة من الله لعبده عبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين أمر باقامة هذه الدار الهاشمية المباركة على يد عيسى ابن يزيد الجلودى مولى أمير المؤمنين سنة ثلاث عشرة ومائتين ولم يزل هذا اللوح على باب الشرطة الى صفر سنة احدى وثمانين وثلثمائة فقلعه يانس العزيزى وصارت حبسا يعرف

بالمعونة الى أن ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فجعله مدرسة وهي التى تعرف اليوم بالشريفية * (حبس الصيار) هذا الحبس كان بمصر يحبس فيه الولاة بعد ماعمل حبس المعونة مدرسة وكان بأول الزقاق الذى فيه هذا الحبس حانوت يسكنه شخص يقال له منصور الطويل ويبيع فيه أصناف السوقة ويعرف هذا الرجل بالصيار من أجل أنه كانت له في هذا الزقاق قاعة يخزن فيها أنواع الصير المعروف بالملوحة فقيل لهذا الحبس حبس الصيار ونشأ لمنصور الصيار هذا ولد عرف بين الشهود بمصر بشرف الدين بن منصور الطويل فلما أحدث الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى المظالم في سلطنة الملك المعز أيبك التركمانى خدم شرف الدين هذا على المظالم في جباية التسقيع والتقويم ثم خدم بعد ابطال ذلك في مكس القصب والرمان فلما تولى قضاء القضاة تاج الدين عبدالوهاب ابن بنت الاعز تأذى عنده بماباشره من هذه المظالم وما زال هذا الحبس موجوداالى أن خربت مصر في الزمان الذي ذكرناه فخرب وبقي موضعه وما حوله كيانا * (خزانة البنود) هذه الخزانة بالقاهرة هي الآن زقاق يعرف بخط خزانة البنود على يمنة من سلك من رحبة باب العيد يريد درب ملوخيا وغيره وكانت أولا في الدولة الفاطمية خزانة من جملة خزائن القصر يعمل فيها السلاح يقال ان الخليفة الظاهر بن الحاكم أمر بها ثم انها احترقت في سنة احدى وستين وأربعمائة فعملت بعد حريقها سجنا يسجن فيه الامراء والاعيان الى أن انقرضت الدولة فأقرها ملوك بني أيوب سجنا ثم عملت منزلا للامراء من الفرنج يسكنون فيها بأهاليهم وأولادهم فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون بعد حضوره من الكرك فلم يزالوا بها الى أن هدمها الامير الحاج آل ملك الجوكندار نائب السلطنة بديار مصر في سنة أربع وأربعين وسبعمائة فاختط الناس موضعها دورا وقد ذكرت في هذا الكتاب عند ذكر خزائن القصر (حبس المعونة من القاهرة) هذا المكان بالقاهرة موضعه الآن قيسارية العنبر برأس الحريريين كان يسجن فيه أرباب الجرائم من السراق وقطاع الطريق ونحوهم في الدولة الفاطمية وكان حبسا حرجا ضيقا شنيعا يشم من قربه رائحة كريهة فلما ولي الملك الناصر محمد بن قلاون مملكة مصر هدمه وبناه قيسارية للعنبر وقد ذكر عند ذكر الاسواق من هذا الكتاب (خزانة شمائل) هذه الخزانة كانت بجوار باب زويلة على يسرة من دخل منه بجوار السور عرفت بالامير علم الدين شمائل والى القاهرة في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظرا يحبس فيها من وجب عليه القتل أو القطع من السراق وقطاع الطريق ومن يريد السلطان اهلاكه من المماليك وأصحاب الجرائم العظيمة وكان السجان بها يوظف عليه والى القاهرة شيئاً يحمله من المال له في كل يوم وبلغ ذلك في ايام الناصر فرج مبلغا كبيرا وما زالت هذه

الخزانة على ذلك الى أن هدمها الملك المؤيد شيخ المحمودي في يوم الاحد العاشر من شهر ربيع الاول سنة ثمان عشرة وثمانمائة وأدخلها في جملة ماهدمه من الدور التى عزم على عمارة أماكنها مدرسة * وشمائل هذا هو الامير علم الدين قدم الى القاهرة وهو من فلاحي بعض قرى مدينة حماه في أيام الملك الكامل محمد بن العادل فخدم جاندار في الركاب السلطاني الى أن نزل الفرنج على مدينة دمياط فى سنة خمس عشرة وستمائة وملكوا البر وحصروا أهلها وحالوا بينهم وبين من يصل اليهم فكان شمائل هذا يخاطر بنفسه ويسبح فى الماء بين المراكب ويرد على السلطان الخبر فتقدم عند السلطان وحظي لديه حتى أقامه أمير جاندار وجعله من أكبر أمرائه ونصبه سيف نقمته وولاه ولاية القاهرة فباشر ذلك الى أن مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك العادل أبو بكر فلما خلع بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب نقم على شمائل * (المقشرة) هذا السجن بجوار باب الفتوح فيما بينه وبين الجامع الحاكمى كان يقشر فيه القمح ومن جملته برج من أبراج السور على يمنة الخارج من باب الفتوح استجد بأعلاه دور لم تزل الى أن هدمت خزانة شمائل فعين هذا البرج والمقشرة لسجن أرباب الجرائم وهدمت الدور التى كانت هناك فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وعمل البرج والمقشرة سجنا ونقل اليه ارباب الجرائم وهو من أشنع السجون وأضيقها يقاسى فيه المسجونون من الغم والكرب مالا يوصف عافانا الله من جميع بلائه *(الجب بقلعة الجبل) هذا الجب كان بقلعة الجبل يسجن فيه الامراء وابتدئ عمله فى سنة احدى وثمانين وستمائة والسلطان حينئذ الملك المنصور قلاون ولم يزل الى أن هدمه الملك الناصر محمد بن قلاون فى يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة وذلك أن شاد العمائر نزل اليه ليصلح عمارته فشاهد أمرا مهولا من الظلام وكثرة الوطاويط والروائح الكريهة واتفق مع ذلك أن الامير بكتمر الساقي كان عنده شخص يسخر به ويمازحه فبعث به الى الجب ودلى فيه ثم أطلعه من بعد ما بات به ليلة فلما حضر الى بكتمر أخبره بما عاينه من شناعة الجب وذكر ما فيه من القبائح المهولة وكان شاد العمائر في المجلس فوصف ما فيه الامراء الذين بالجب من الشدائد فتحدث بكتمر مع السلطان في ذلك فأمر باخراج الامراء منه وردم وعمر فوقه أطباق المماليك وكان الذي ردم به هذا الجب النقض الذى هدم من الايوان الكبير المجاور للخزانة الكبرى والله أعلم بالصواب

* (ذكر المواضع المعروفة بالصناعة) *

لفظ الصناعة بكسر الصاد مأخوذ من قولك صنعه يصنعه صنعا فهو مصنوع وصنيع

(تنبيه) لم يذكر المؤلف في النشر جميع السجون التى ذكرها في اللف بل أسقط منها اثنين وهما حبس الديلم وحبس الرحبة وذكر بدلهما اثنين وهما المقشرة والجب فليحرر اه

عمله واصطنعه اتخذه والصناعة مايستصنع من أمر هذا أصل الكلمة من حيث اللغة وأما في العرف فالصناعة اسم لمكان قد أعد لانشاء المراكب البحرية التي يقال لها السفن واحدتها سفينة وهي بمصر على قسمين نيلية وحربية * فالحربية هي التي تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتمر من ثغر الاسكندرية وثغر دمياط وتنيس والفرما الى جهاد اعداء الله من الروم والفرنج وكانت هذه المراكب الحربية يقال لها الاسطول ولا أحسب هذا اللفظ عربيا * وأما المراكب النيلية فانها تنشأ لتمر في النيل صاعدة الى أعلى الصعيد ومنحدرة الى أسفل الارض لحمل الغلال وغيرها ولما جاء الله تعالى بالاسلام لم يكن البحر يركب للغزو في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأول من ركب البحر في الاسلام للغزو العلاء بن الحضرمي رضى الله عنه وكان على البحرين من قبل أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فاحب أن يؤثر في الاعاجم أثرا يعز الله به الإسلام على يديه فندب أهل البحرين الى فارس فبادروا الى ذلك وفرقهم أجنادا على أحدها الجارود بن المعلى رضى الله عنه وعلى الثاني سوار بن همام رضى الله عنه وعلى الثالث خليد بن المنذر بن ساوى رضى الله عنه وجعل خليدا على عامة الناس فحملهم في البحر الى فارس بغير اذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه لا يأذن لاحد في ركوب البحر غازيا كراهة للتغرير بجنده اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر رضى الله عنه فعبرت تلك الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا في اصطخر وبازائهم أهل فارس عليهم الهربذ فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم فقام خليد في الناس فقال أما بعد فان الله تعالى اذا قضى أمرا جرت المقادير على مطيته وان هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم الى حربهم وانما جئتم لمحاربتهم والسفن والارض بعد الآن لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فأجابوه الى القتال وصلوا الظهر ثم ناهزوهم فاقتتلوا قتالا شديدا في موضع يدعى طاوس فقتل من أهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قبلها وخرج المسلمون يريدون البصرة اذ غرقت سفنهم ولم يجدوا في الرجوع الى البحر سبيلا فاذا بهم وقد أخذت عليهم الطرق فعسكروا وامتنعوا وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاشتد غضبه على العلاء رضى الله عنه وكتب اليه بعزله وتوعده وأمره بأثقل الاشياء عليه وأبغض الوجوه اليه بتأمير سعد بن أبي وقاص عليه وقال الحق بسعد بن أبي وقاص بمن معك فخرج رضى الله عنه من البحرين بمن معه نحو سعد رضى الله عنه وهو يومئذ على الكوفة وكان بينهما تباين وتباعد وكتب عمر رضى الله عنه الى عتبة بن غزوان بأن العلاء بن الحضرمى حمل جندا من المسلمين في البحر فأقطعهم الى فارس وعصاني وأظنه لم يرد الله عز وجل بذلك فخشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا فاندب لهم الناس وضمهم اليك من قبل أن يجتاحوا فندب

عتبة رضى الله عنه الناس وأخبرهم بكتاب عمر رضى الله عنه فانتدب عاصم بن عمرو وعرفجة
ابن هرثمة وحذيفة بن محصن ومجزاة بن ثور ونهار بن الحارث والترجمان بن فلان والحصين
ابن أبي الحر والاحنف بن قيس وسعد بن أبي العرجاء وعبد الرحمن بن سهل وصعصعة بن
معاوية رضى الله تعالى عنهم فساروا من البصرة في اثني عشر ألفا على البغال يجنبون الخيل
وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم رضى الله عنهم فساحل بهم حتي التقى أبو سبرة وخليد حيث
أخذت عليهم الطرق وقد استصرخ أهل اصطخر أهل فارس كلهم فأتوهم من كل وجه
وكورة فالتقوا هم وأبو سبرة فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركون وعاد المسلمون
بالغنائم الى البصرة ورجع أهل البحرين الى منازلهم فلما فتح الله تعالى الشأم ألح معاوية بن أبي
سفيان وهو يومئذ على جند دمشق والاردن على عمر رضى الله عنه في غزو البحر وقرب
الروم من حمص وقال ان قرية من قري حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم
حتى اذا كاد ذلك يأخذ بقلب عمر رضى الله عنه أتهم معاوية لانه المشير وأحب عمر رضى
الله عنه أن يردعه فكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر أن صف لى البحر وراكبه
فان نفسى تنازعني اليه وأنا أشتهى خلافها فكتب اليه يا أمير المؤمنين انى رأيت البحر خلقا
كبيرا يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد حزن القلوب وان زل ازاغ العقول
يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق فلما
جاءه كتاب عمرو كتب رضى الله عنه الى معاوية لا والذى بعث محمدا بالحق لا أحمل
فيه مسلما أبدا انا قد سمعنا ان بحر الشأم يشرف على أطول شئ فى الارض يستأذن الله
تعالى في كل يوم وليلة أن يفيض على الارض فيغرقها فكيف أحمل الجنود فى هذا البحر
الكافر المستصعب وتالله لمسلم واحد أحب الي مما حوته الروم فاياك أن تعرض لى وقد تقدمت
اليك وقد علمت ما لقى العلاء مني ولم أتقدم اليه في مثل ذلك . وعن عمر رضى الله عنه أنه
قال لا يسألنى الله عز وجل عن ركوب المسلمين البحر أبدا . وروى عنه ابنه عبد الله رضى
الله عنهما أنه قال لولا آية في كتاب الله تعالى لعلوت راكب البحر بالدرة * ثم لما كانت
خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه غزا المسلمون في البحر وكان أول من غزا فيه معاوية
ابن أبي سفيان وذلك انه لم يزل بعثمان رضى الله عنه حتي عزم على ذلك فأخره وقال تنتخب
الناس ولا تقرع بينهم خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ففعل واستعمل على البحر
عبد الله بن قيس الحاسي خليفة بني فزارة فغزا خمسين غزوة من بين شاتية وصائفة فى البر
والبحر ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب وكان يدعو الله تعالى أن يرزقه العافية فى جنده ولا
يبتليه بمصاب أحد منهم حتى اذا أراد الله عز وجل أن يصيبه في جنده خرج فى قارب
طليعته فانتهى الى المرفاء من أرض الروم فثاربه الروم وهجموا عليه فقاتلهم فأصيب

وحده ثم قاتل الروم أصحابه فأصيبوا وغزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح في البحر لما أتاه قسطنطين بن هرقل سنة أربع وثلاثين في ألف مركب يريد الاسكندرية فسار عبد الله في مائتي مركب أو تزيد شيئاً وحاربه فكانت وقعة ذات الصواري التي نصر الله تعالى فيها جنده وهزم قسطنطين وقتل جنده وأغزى معاوية أيضاً عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه في البحر وأمره أن يتوجه الى رودس فسار اليها ونزل الروم على البرلس في سنة ثلاث وخمسين في امارة مسلمة بن مخلد الانصاري رضي الله عنه على مصر فخرج اليهم المسلمون في البر والبحر فاستشهد وردان مولى عمرو بن العاص في جمع كثير من المسلمين وبعث عبد الملك بن مروان لما ولي الخلافة الى عامله على افريقية حسان بن النعمان يأمره باتخاذ صناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية *ومنها كانت غزوة صقلية في أيام زيادة الله الاول بن ابراهيم بن الاغلب على شيخ الفتيا أسد بن الفرات ونزل الروم تنيس في سنة احدي ومائة في امارة بشر بن صفوان الكلبي على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك فاستشهد جماعة من المسلمين وقد ذكر في أخبار الاسكندرية ودمياط وتنيس والفرما من هذا الكتاب جملة من نزلات الروم والفرنج عليها وما كان في زمن الانشاء فانظره تجده ان شاء الله تعالى * وقد ذكر شيخنا العالم العلامة الاستاذ قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي تعليل امتناع المسلمين من ركوب البحر للغزو في أول الامر فقال والسبب في ذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والفرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم في التقلب على أعواده مرنوا عليه وأحكموا الدربة بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم خولا لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمما وتكررت ممارستهم البحر وثقافته استحدثوا بصرابها فتاقت أنفسهم الى الجهاد فيه وأنشأوا السفن والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب الى هذا البحر وعلى ضفته مثل الشأم وافريقية والمغرب والاندلس * وأول ما أنشئ الاسطول بمصر في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم عند ما نزل الروم دمياط في يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين وأمير مصر يومئذ عنبسة بن اسحاق فملكوها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال ومضوا الى تنيس فاقاموا باشتومها فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الاسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر وأنشئت الشواني برسم الاسطول وجعلت الارزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر وانتدب الامراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية

وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو وكان لا ينزل في رجال الاسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب هـذا وللناس اذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله واقامة دينه لا جرم انه كان لخدام الاسطول حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة في أنه يعد من جملتهم فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه وكان من غزو الاسطول بلادالعدو ما قد شحنت به كتب التواريخ * فكانت الحرب بين المسلمين والروم سجالا ينال المسلمون من العدو وينال العدو منهم ويأسر بعضهم بعضا لكثرة هجوم أساطيل الاسلام بلاد العدو فانها كانت تسير من مصر ومن الشام ومن أفريقية فلذلك احتاج خلفاء الاسلام الى الفداء وكان أول فداء وقع بحال في الاسلام أيام بنى العباس ولم يقع فى أيام بني أمية فداء مشهور وانما كان يفادى بالنفر بعد النفر في سواحل الشام ومصر والاسكندرية وبلاد ملطية وبقية الثغور الجزرية الى أن كانت خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد *(الفداء الاول) باللامس من سواحل البحر الرومى قريبا من طرسوس فى سنة تسع وثمانين ومائة وملك الروم يومئذ نقفور بن اشبراق وكان ذلك على يد القاسم بن الرشيد وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنسرين فى أعمال حلب ففودى بكل أسير كان ببلاد الروم من ذكر أو أنثى وحضر هذا الفداء من أهل الثغور وغيرهم من أهل الامصار نحو من خمسمائة ألف انسان بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوة قد أخذوا السهل والجبل وضاق بهم الفضاء وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزى معهم أسارى المسلمين فكان عدة من فودى به من المسلمين فى اثنى عشر يوما ثلاثة آلاف وسبعمائة أسير وأقام ابن الرشيد باللامس أربعين يوما قبل الايام التي وقع فيها الفداء وبعدها وقال مروان بن أبي حفصة فى هذا الفداء يخاطب الرشيد من أبيات

وفكت بك الاسرى التي شيدت بها * محابس ما فيها حميم يزورها

على حين أعيى المسلمين فكاكها * وقالوا سجون المشركين قبورها

*(الفداء الثانى) كان في خلافة الرشيد أيضاً باللامس فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وملك الروم نقفور وكان القائم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعى أمير الثغور الشامية حضره ألوف من الناس وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفين وخمسمائة من ذكر وأنثى *(الفداء الثالث) وقع في خلافة الواثق باللامس في المحرم سنة احدى وثلاثين ومائتين وملك الروم ميخائيل بن نوفيل وكان القائم به خاقان التركي وعدة من فودى به من المسلمين في عشرة أيام أربعة آلاف وثلثمائة واثنان وستون من ذكر وأنثى وحضر مع خاقان أبو رملة من قبل قاضي القضاة احمد بن أبي داود يمتحن الاسرى وقت المفاداة فمن قال منهم بخلق القرآن فودى به وأحسن اليه ومن أبى ترك بأرض الروم فاختار جماعة من الاسرى الرجوع الى

ارض النصرانية علي القول بذلك و خرج من الاسرى مسلم بن أبي مسلم الجرمي وكان له محل في الثغور وكتب مصنفه فى أخبار الروم وملوكهم وبلادهم فنالته محن على القول بخلق القرآن ثم تخاص *(الفداء الرابع) في خلافة المتوكل على الله باللامش أيضـاً في شوال سنة احدى وأربعين ومائتين والملك ميخائيل وكان القائم بهسيف خادم المتوكل وحضر معه جعفر بن عبد الواحد الهاشمى القاضى وعلى بن يحيي الارمني أمير الثغور الشاميـة وكانت عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفى رجل ومائة امرأة وكان مع الروم من النصارى المأسورين من أرض الاسلام مائة رجل ونيف فعوضوا مكانهم عـدة اعلاج اذ كان الفداء لا يقع على نصرانى ولا ينعقد *(الفـداء الخامس) فى خلافة المتوكل وملك الروم ميخائيل أيضاً باللامش مستهل صفر سنة ست وأربعين ومائتين وكان القائم به على ابن يحيي الارمنى امير الثغور ومعه نصر بن الازهر الشيعي من شيعة بني العباس المرسل الى الملك في أمر الفداء من قبل المتوكل وكانت عدة من فودى به من المسلمين في سبعة أيام ألفين وثلثمائة وسبعة وستين من ذكر وأنثى *(الفداء السادس) كان فى أيام المعتز والملك على الروم بسيل على يد شفيع الخادم في سنة ثلاث وخمسين ومائتين *(الفداء السابع) فى خلافة المعتضد باللامش في شوال سـنة ثلاث وثمانين ومائتين وملك الروم اليون بن بسيل وكان القائم به احمد بن طغان أمير الثغور الشامية وانطاكية من قبل الامير أبي الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وكانت الهدنة لهذا الفداء وقعت في سنة اثنتين وثمانين ومائتين فقتل ابو الجيش بدمشق في ذى القعدة من هذه السنة وتم الفداء في امارة ولده جيش ابن خمارويه وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى عشرة ايام ألفين واربعمائة وخمسة وتسعين من ذكر وأنثى وقيل ثلاثة آلاف *(الفداء الثامن) في خلافة المكتفى باللامش فى ذي القعدة سـنة اثنتين وتسعين ومائتين وملك الروم اليون ايضا وكان القائم به رستم ابن نزدوى امير الثغور الشامية وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى اربعة ايام ألفا ومائة وخمسة وخمسين من ذكر وأنثى وعرف بفداء الغدر وذلك أن الروم غـدروا وانصرفوا ببقية الاسارى *(الفداء التاسع) فى خلافة المكتفى وملك الروم اليون باللامش أيضاً فى شوال سنة خمس وتسعين ومائتين والقائم به رستم وكانت عدة من فودى به من المسلمين ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين من ذكر وانثى *(الفداء العاشر) في خلافة المقتدر باللامش في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلثمائة وملك الروم قسطنطين بن اليون بن بسيل وهو صغير فى حجر أرمانوس وكان القائم بهذا الفداء مونس الخادم وبشير الخادم الافشيني أمير الثغور الشامية وانطاكية والمتوسط له والمعاون عليه أبو عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقي التميمى الادنى من أهل أدنة وعدة من فودى به من المسلمين فى ثمانية أيام ثلاثة آلاف وثلثمائة وستة وثلاثون من ذكر

وأنثى * (الفداء الحادى عشر) في خلافة المقتدر وملك ارمانوس وقسطنطين على الروم وكان باللامس في شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثلثمائة والقائم به مفلح الخادم الاسود المقتدرى وبشير خليفة شمل الخادم على الثغور الشامية وعدة من فودى به من المسلمين فى تسعة عشر يوما ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وثلاثون من ذكر وأنثى * (الفداء الثانى عشر) في خلافة الراضى باللامس فى سلخ ذى القعدة وأيام من ذى الحجة سنة ست وعشرين وثلثمائة والملكان على الروم قسطنطين وارمانوس والقائم به ابن ورقاء الشيبانى من قبل الوزير أبى الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وبشير الشملي أمير الثغور الشامية وعدة من فودى به من المسلمين في ستة عشر يوما ستة آلاف وثلثمائة ونيف من ذكر وأنثى وبقى فى أيدى الروم من المسلمين الاسرى ثمانمائة رجل ردوا ففودى بهم في عدة مرار وزيدوا فى الهدنة بعد انقضاء الفداء مدة ستة أشهر لاجل من تخلف في أيدى الروم من المسلمين حتى جمع الاسارى منهم * (الفداء الثالث عشر) في خلافة المطيع باللامس في شهر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وثلثمائة والملك على الروم قسطنطين والقائم به نصر الشملي من قبل سيف الدولة أبى الحسن على بن حمدان صاحب جند حمص وجند قنسرين وديار بكر وديار مصر والثغور الشامية والجزرية وكانت عدة من فودى به من المسلمين ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين من ذكر وأنثى وفضل للروم على المسلمين قرضا مائتان وثلاثون لكثرة من كان في أيديهم فوفاهم سيف الدولة ذلك وحمله اليهم وكان الذى شرع في هذا الفداء الامير أبو بكر محمد بن طفج الاخشيد أمير مصر والشام والثغور الشامية وكان أبو عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقى الاذنى شيخ الثغور قدم اليه وهو بدمشق في ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ومعه رسول ملك الروم في اتمام هذا الفداء والاخشيد شديد العلة فتوفى يوم الجمعة لثمان خلون من ذى الحجة منها وسار أبو المسك كافور الاخشيدى بالجيش راجعا الى مصر وحمل معه أبا عمير ورسول ملك الروم الى فلسطين فدفع اليهما ثلاثين ألف دينار من مال الفداء فسارا الى مدينة صور وركبا البحر الى طرسوس فلما وصلا كاتب نصر الشملي أمير الثغور سيف الدولة بن حمدان ودعا له على منابر الثغور فجد في اتمام هذا الفداء فنسب اليه ووقعت أفدية أخرى ليس لها شهرة * فمنها فداء فى خلافة المهدى محمد على يد النقاش الانطاكي * وفداء في أيام الرشيد في شوال سنة احدي وثمانين ومائة على يد عياض ابن سنان أمير الثغور الشامية * وفداء في أيام الامين على يد ثابت بن نصر فى ذى القعدة سنة أربع وتسعين ومائة * وفداء في أيام الامين على يد ثابت بن نصر أيضاً في ذى القعدة سنة احدى ومائتين * وفداء في أيام المتوكل سنة سبع وأربعين ومائتين على يد محمد بن على * وفداء في أيام المعتمد على يد شفيع في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين * وفداء

كان في الاسكندرية فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة خرج فيه أبو بكر محمد بن على الماردانى من مصر ومعه الشريف أبو القاسم الرئيس والقاضى أبو حفص عمر ابن الحسين العباسي وحمزة بن محمد الكتانى في جمع كبير وكانت عدة من فودى به من المسلمين ستين نفساً بين ذكر وأنثى فلما سار الروم الى البلاد الشامية بعد سنة خمسين وثلثمائة اشتد أمرهم بأخذهم البلاد وقويت العناية بالاسطول فى مصر منذ قدم المعز لدين الله وأنشأ المراكب الحربية واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد واعتناء بالاسطول وواصلوا انشاء المراكب بمدينة مصر واسكندرية ودمياط من الشوانى الحربية والشلنديات والمسطحات وتسييرها الى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قواد الاسطول فى آخر أمرهم تزيد على خمسة آلاف مدونة منهم عشرة أعيان يقال لهم القواد واحدهم قائد وتصل جامكية كل واحد منهم الى عشرين ديناراً ثم الى خمسة عشر دينارا ثم الى عشرة دنانير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهى اقلها ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيها من النطرون فيصل دينارهم بالمناسبة الى نصف دينار وكان يعين من القواد العشرة واحد فيصير رئيس الاسطول ويكون معه المقدم والقاوش فاذا ساروا الى الغزو كان هو الذى يقلع بهم وبه يقتدى الجميع فيرسون بارسائه ويقلعون باقلاعه ولا بد أن يقدم على الاسطول أمير كبير من اعيان أمراء الدولة وأقواهم نفسا ويتولى النفقة فى غزاة الاسطول الخليفة بنفسه بحضور الوزير فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة وكانت فى أيام المعز لدين الله تزيد على ستمائة قطعة وآخر ماصارت اليه فى آخر الدولة نحو الثمانين شونة وعشر مسطحات وعشر حمالة فما تقصر عن مائة قطعة فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال وفيهم من كان يتمعش بمصر والقاهرة وفيهم من هو خارج عنهما فيجتمعون وكانت لهم المشاهرة والجرايات فى مدة أيام سفرهم وهم معروفون عند عشرين عريفاً يقال لهم النقباء واحدهم نقيب ولا يكره احد على السفر فاذا اجتمعوا اعلم النقباء المقدم فأعلم بذلك الوزير فطالع الوزير الخليفة بالحال فقرر يوما للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء من ديوان الانشاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئته فى مجلسه ويجلس الوزير فى مكانه ويحضر صاحبا ديوان الجيش وهما المستوفى والكاتب والمستوفى هو أميرهما فيجلس من داخل عتبة المجلس وهذه رتبة له يتميز بها ويجلس بجانبه من وراء العتبة كاتب الجيش فى قاعة الدار على حصر مفروشة وشرط هذا المستوفى أن يكون عدلا ومن أعيان الكتاب ويسمى اليوم فى زمننا ناظر الجيش وأما كاتب الجيش فانه كان فى غالب الامر يهوديا وللمجلس الذى فيه الخليفة والوزير انطاع تصب عليها الدراهم ويحضر الوزانون ببيت المال لذلك فاذا تهيأ الانفاق أدخل الغزاة مائة مائة فيقفون في أخريات من هو واقف في الخدمة من جانب

واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت في أوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة فيستدعي مستوفي الجيش من تلك الاوراق المنفق عليهم واحدا واحدا فاذا خرج اسمه عبر من الجانب الذي هو فيه الى الجانب الآخر فاذا تكملت عشرة وزن الوزانون لهم النفقة وكانت مقررة لكل واحد خمسة دنانير صرف ستة وثلاثين درهما بدينار فيسلمها لهم النقيب وتكتب باسمه وبيده وتمضى النفقة هكذا الى آخرها فاذا تم ذلك ركب الوزير من بين يدى الخليفة وانفض ذلك الجمع فيحمل الى الوزير من القصر مائدة يقال لها غداء الوزير وهى سبع مجنقات أوساط احداها بلحم الدجاج وفستق معمولة بصناعة محكمة والبقية شواء وهى مكمورة بالازهار فتكون النفقة على ذلك مدة أيام متوالية مرة ومتفرقة مرة فاذا تكاملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل النيل بالمقس خارج القاهرة وكان هناك على شاطئ النيل بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداع الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هناك للحركات فى البحر بين يديه وهى مزينة باسلحتها ولبودها وما فيها من المنجنيقات فيرمى بها وتحدر المراكب وتقلع وتفعل سائر ماتفعله عند لقاء العدو ثم يحضر المقدم والرئيس الى بين يدى الخليفة فيودعهما ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة ويعطى للمقدم مائة دينار وللرئيس عشرين دينارا ويحدر الاسطول الى دمياط ومن هناك يخرج الى بحر الملح فيكون له ببلاد العدو صيت عظيم ومهابة قوية والعادة أنه اذا غنم الاسطول ماعسى أن يغنم لايتعرض السلطان منه الى شئ البتة الا ماكان من الاسرى والسلاح فانه للسلطان وما عداهما من المال والثياب ونحوها فانه لغزاة الاسطول لايشاركهم فيه أحد فاذا قدم الاسطول خرج الخليفة أيضاً الى منظرة المقس وجلس فيها للقائه وقدم الاسطول مرة بألف وخمسمائة أسير وكانت العادة أن الاسرى ينزل بهم فى المناخ وتضاف الرجال الى من فيه من الاسرى ويمضى بالنساء والاطفال الى القصر بعد مايعطى منهم الوزير طائفة ويفرق مابقى من النساء على الجهات والاقارب فيستخدمونهن ويربونهن حتى يتقن الصنائع ويدفع الصغار من الاسرى الى الاستاذين فيربونهم ويتعلمون الكتابة والرماية ويقال لهم الترابى وفيهم من صار أميرا من صبيان خاص الخليفة ومن الاسرى من كان يستراب به فيقتل ومن كان منهم شيخاً لاينتفع به ضربت عنقه وألقى فى بئر كانت في خرائب مصر تعرف ببئر المنامة ولم يعرف قط عن الدولة الفاطمية أنها فادت أسيرا من الفرنج بمال ولا بأسير مثله وكان المنفق فى الاسطول كل سنة خارجا عن الصدد والآلات * ولم يزل الاسطول على ذلك الى أن كانت وزارة شاور ونزل مرى ملك الفرنج على بركة الحبش فأمر شاور بتحريق مصر وتحريق مراكب الاسطول فحرقت ونهبها العبيد فيما نهبوا فلما كان زوال الدولة الفاطمية على يد السلطان

صلاح الدين يوسف بن أيوب اعتني أيضاً بأمر الاسطول وأفرد له ديوانا عرف بديوان الاسطول وعين لهذا الديوان الفيوم باعمالها والحبس الجيوشى فى البرين الشرقى والغربى وهو من البر الشرقى بهتيين والاميرية والمنية ومن البر الغربى ناحية سفط ونهيا ووسيم والبساتين خارج القاهرة وعين له أيضاً الخراج وهو أشجار من سنط لاتحصى كثيرة في البهنساوية وسفط ريشين والاشمونين والاسيوطية والاخميمية والقوصية لم تزل بهذه النواحي لايقطع منها الا ما تدعو الحاجة اليه وكان فيها ماتبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار .وقد ذكر خبر هذا الخراج في ذكر أقسام مال مصر من هذا الكتاب وعين له أيضاً النطرون وكان قد بلغ ضمانه ثمانية آلاف دينار ثم أفرد لديوان الاسطول مع ماذكر الزكاة التي كانت تجبى بمصر وبلغت في سنة زيادة على خمسين ألف دينار وأفرد له المراكب الديوانية وناحية اشناي وطنبدى وسلم هذا الديوان لاخيه الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب فأقام في مباشرته وعمالته صفى الدين عبد الله بن على بن شكر وتقرر ديوان الاسطول الذى ينفق فى رجاله نصف وربع دينار بعد ما كان نصف وثمن دينار فلما مات السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب استمر الحال في الاسطول قليلا ثم قل الاهتمام به وصار لايفكر فى أمره الا عند الحاجة اليه فاذا دعت الضرورة الى تجهيزه طلب له الرجال وقبض عليهم من الطرقات وقيدوا فى السلاسل نهاراً وسجنوا فى الليل حتي لايهربوا ولا يصرف لهم الاشئ قليل من الخبز ونحوه وربما أقاموا الايام بغير شيء كما يفعل بالاسرى من العدو فصارت خدمة الاسطول عارا يسب به الرجال واذا قيل لرجل فى مصر ياأسطولى غضب غضباً شديدا بعد ما كان خدام الاسطول يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة فى أعداء الله ويتبرك بدعائهم الناس ثم لما انقرضت دولة بني أيوب وتملك الاتراك المماليك مصر أهملوا أمر الاسطول الى أن كانت أيام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فنظر فى أمر الشوانى الحربية واستدعي برجال الاسطول وكان الامراء قد استعملوهم فى الحراريق وغيرها وندبهم للسفر وأمر بعد الشوانى وقطع الاخشاب لعمارتها واقامتها على ما كانت عليه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب واحترز على الخراج ومنع الناس من التصرف في أعواد العمل وتقدم بعمارة الشوانى فى ثغرى الاسكندرية ودمياط وصار ينزل بنفسه الى الصناعة بمصر ويرتب مايجب ترتيبه من عمل الشوانى ومصالحها واستدعى بشوانى الثغور الى مصر فبلغت زيادة على أربعين قطعة سوى الحراريق والطرائد فانها كانت عدة كثيرة وذلك في شوال سنة تسع وستين وستمائة ثم سارت تريد قبرس وقد عمل ابن حسون رئيس الشوانى فى أعلامها الصلبان يريد بذلك أنها تخفى اذا عبرت البحر على الفرنج حتي تطرقهم على غفلة فكره الناس منه ذلك فلما قاربت قبرس تقدم ابن حسون في الليل ليهجم المينا فصدم

الشونة المقدمة شعبا فانكسرت وتبعتها بقيـة الشواني فتكسرت الشواني كلها وعـلم بذلك متملك قبرس فأسر كل من فيها وأحاط بما معهم وكتب الى السلطان يقرعه ويوبخـه وأن شوانيه قد تكسرت وأخذ مافيها وعدتها احدى عشرة شونة وأسر رجالها فحمد السلطان الله تعالى وقال الحمد لله منذ ملـكني الله تعالى ماخذل لى عسكر ولا ذلت لى راية ومازلت أخشى العين فالحمد لله تعالى بهذا ولا بغيره وأمر بانشاء عشرين شونة وأحضر خمس شوانى كانت على مدينة قوص من صعيد مصر ولازم الركوب الى صناعة العمـارة بمصر كل يوم في مدة شهر المحرم سنة سبعين وستمائة الى أن تنجزت فلما كان في نصف المحرم سنة احدى وسبعين وستمائة زاد النيـل حتى لعبت الشواني بين يديه فكان يوما مشهوداً وفي سنة اثنتين وتسعين وستمائة تقدم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليـل بن قلاون الى الوزير الصاحب شمس الدين محمـد بن السلعوس بتجهيز أمر الشواني فنزل الى الصناعة واستدعى الرئيس وهيأ جميع ماتحتاج اليه الشواني حتي كملت عدتها نحو ستين شونة وشحنها بالعدد وآلات الحرب ورتب بها عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح فأقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبـل ركوب السلطان بثلاثة أيام وصنعوا لهم قصورا من خشب وأخصاص القش على شاطئ النيـل خارج مدينة مصر وبالروضة واكتروا الساحات التي قدام الدور والزرابي بالمائتي درهم كل زريبة فمادونها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر الا وخرج أهله أو بعضهم لرؤية ذلك فصار جمعا عظيما وركب السلطان من قلعـة الجبل بكرة والناس قد ملأوا ما بين المقياس الى بستان الخشاب الي بولاق ووقف السلطان ونائبه الامير بيدر وبقية الامراء قدام دار النحاس ومنع الحجاب من التعرض لطرد العامة فبرزت الشواني واحدة بعد واحدة وقد عمل في كل شونة برج وقلعة تحاصر والقتال عليها والنفط يرمى عليها وعدة من النقابين فى أعمال الحيلة فى النقب وما منهم الا من أظهر في شونته عملا معجبا وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه وتقدم ابن موسى الراعى وهو في مركب نيلية فقرأ قوله تعـالي بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم ثم تلاها بقراءة قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى آخر الآية هذا والشوانى تتواصل بمحاربة بعضها بعضا الى أن أذن لصـلاة الظهر فمضي السلطان بعسكره عائدا الى القلعة فأقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ماهم عليـه من اللهو في اجتماعهم وكان شيئا يجل وصفه وأنفق فيه مال لا يعد بحيث بلغت أجرة المركب في هذا اليوم ستمائة درهم فما دونها وكان الرجل الواحد يؤخذ منه أجرة ركوبه فى المركب خمسة دراهم وحصل لعدة من الشوانية أجرة مراكبهم عن سنة في هذا اليوم وكان الخبز يباع اثنا عشر رطلا بدرهم فلكثرة اجتماع الناس بمصر بيع بسـبعة أرطال بدرهم فبلغ خبر الشوانى الى بلاد الفرنج

فبعثوا رسلهم بالهدايا يطلبون الصلح فلما كان المحرم سنة اثنتين وسبعمائة في سلطنة الناصر
محمد بن قلاون جهزت الشواني بالعدد والسلاح والنفطية والازودة وعين لها جماعة من
أجناد الحلقة وألزم كل أمير مائة بارسال رجلين من عدته وألزم أمراء الطبلخاناه والعشروات
باخراج كل أمير من عدته رجلا وندب الامير سيف الدين كهرداش المنصوري الزراق الي
السفر بهم ومعه جماعة من مماليك السلطان الزراقين وزينت الشواني أحسن زينة فخرج
معظم الناس لرؤيتها وأقاموا يومين بلياليهما على الساحل بالبرين وكان جمعاً عظيماً الى الغاية
وبلغت أجرة المركب الصغير مائة درهم لاجل الفرجة ثم ركب السلطان بكرة يوم السبت
ثاني عشر المحرم ومعه الامير سلار النائب والاميربيبرس الجاشنكير وسائر الامراء والعسكر
فوقفت المماليك على البر نحو بستان الخشاب وعدى الامراء في الحراريق الى الروضة
وخرجت الشواني واحدة بعد واحدة فلعبت منها ثلاثة وخرجت الرابعة وفيها الامير أقوش
القاري من مينا الصناعة حتي توسط البحر فلعب بها الريح الى أن مالت وانقلبت فصار
أعلاها أسفلها فتداركها الناس ورفعوا ما قدروا عليه من العدد والسلاح وسلمت الرجال
فلم يعدم منهم سوى أقوش وحده فتنكد الناس وعاد الامراء الى القلعة بالسلطان وجهز
شونة عوضاً عن التي غرقت وساروا الى مينا طرابلس ثم ساروا ومعهم عدة من طرابلس
فأشرفوا من الغد على جزيرة أرواد من أعمال قبرس وقاتلوا أهلها وقتلوا أكثرهم وملكوها
في يوم الجمعة ثامن عشرى صفر واستولوا على ما فيها وهدموا أسوارها وعادوا الى طرابلس
وأخرجوا من الغنائم الخمس للسلطان واقتسموا ما بقى منها وكان معهم مائتان وثمانون أسيرا
فسر السلطان بذلك سرورا كثيرا *(صناعة المقس)* قال ابن أبي طي في تاريخه عند
ذكر وفاة المعز لدين الله انه أنشأ دار الصناعة التي بالمقس وأنشأ بها ستمائة مركب لم ير مثلها
في البحر على مينا * وقال المسبحي ان العزيز بالله بن المعز هو الذى بنى دار الصناعة التي
بالمقس وعمل المراكب التى لم ير مثلها فيما تقدم كبرا ووثاقة وحسنا * وقال في حوادث سنة
ست وثمانين وثلثمائة ووقعت نار في الاسطول وقت صلاة الجمعة لست بقين من شهر ربيع
الآخر فأحرقت خمس عشاريات وأتت على جميع ما في الاسطول من العدة والسلاح حتي
لم يبق منه غير ستة مراكب فارغة لا شيء فيها فحمل البحريون السلاح واتهموا الروم
النصارى وكانوا مقيمين بدار مانك بجوار الصناعة التي بالمقس وحملوا على الروم هم وجموع
من العامة معهم فنهبوا أمتعة الروم وقتلوا منهم مائة رجل وسبعة رجال وطرحوا جثثهم في
الطرقات وأخذ من بقى فحبس بصناعة المقس ثم حضر عيسى بن نسطورس خليفة أمير
المؤمنين العزيز بالله في الاموال ووجوهها بديار مصر والشام والحجاز ومعه يانس الصقلبي
وهو يومئذ خليفة العزيز بالله على القاهرة عند مسيره الى الشام ومعهما مسعود الصقلبي متولى

الشرطة وأحضروا الروم من الصناعة فاعترفوا بأنهم الذين أحرقوا الاسطول فكتب بذلك الى العزيز بالله وهو مبرز يريد السفر الى الشام وذكر له في الكتاب خبر من قتل من الروم وما نهب وانه ذهب فى النهب ما يبلغ تسعين ألف دينار فطاف أصحاب الشرط فى الاسواق بسجل فيه الامر برد ما نهب من دار مانك وغيرها والتوعد لمن ظهر عنده منه شئ وحفظ أبو الحسن يانس البلد وضبط الناس وأمر عيسى بن نسطورس أن يعد للوقت عشرون مركبا وطرح الخشب وطلب الصناع وبات في الصناعة وجد الصناع في العمل واغلب أحداث الناس وعامتهم يلعبون برؤس القتلي ويجرون بأرجلهم في الاسواق والشوارع ثم قرنوا بعضهم الى بعض على ساحل النيل بالمقس وأحرقوا يوم السبت وضرب بالجرس على البلد أن لا يتخلف أحد ممن نهب شيئا حتى يحضر ما نهبه ويرده ومن علم عليه بشئ أو كتم شيئا أو جحده أو أخره حلت به العقوبة الشديدة وتتبع من نهب فقبض علي عدة قتل منهم عشرون رجلا ضربت أعناقهم وضرب ثلاثة وعشرون رجلا بالسياط وطيف بهم وفي عنق كل واحد رأس رجل ممن قتل من الروم وحبس عدة أناس وأمر بمن ضربت أعناقهم فصلبوا عند كوم دينار وورد المضروبون الى المطبق وكان ضرب من ضرب من النهابة وقتل من قتل منهم برقاع كتبت لهم تناول كل واحد منهم رقعة فيها مكتوب اما بقتل أوضرب فأمضى فيهم بحسب ما كان فى رقاعهم من قتل أو ضرب واشتد الطلب على النهابة فكان الناس يدل بعضهم على بعض فاذا أخذ احد ممن اتهم بالنهب حلف بالايمان المغلظة انه ما بقى عنده شئ وجد عيسى بن نسطورس فى عمل الاسطول وطلب الخشب فلم يدع عند أحد خشبا علم به الا أخذه منه وتزايد اخراج النهابة لما نهبوه فكانوا يطرحونه في الازقة والشوارع خوفا من أن يعرفوا به وحبس كثير ممن أحضر شيئا أو عرف عليه من النهب فلما كان يوم الخميس ثامن جمادي الاولى ضربت أعناقهم كلهم على يد أبي أحمد جعفر صاحب يانس فانه قدم فى عسكر كثير من اليانسية حتى ضربت أعناق الجماعة واغلقت الاسواق يومئذ وطاف متولى الشرطة وبين يديه أرباب النفط بعددهم والنار مشتعلة واليانسية ركاب بالسلاح وقد ضرب جماعة وشهرهم بين يديه وهم ينادى عليهم هذا جزاء من أثار الفتن ونهب حريم أمير المؤمنين فمن نظر فليعتبر فما تقال لهم عثرة ولا ترحم لهم عبرة في كلام كثير من هذا الجنس فاشتد خوف الناس وعظم فزعهم فلما كان من الغد نودى معاشر الناس قد آمن الله من أخذ شيئا او نهب شيئا علي نفسه وماله فليرد من بقى عنده شئ من النهب وقد أجلناكم من اليوم الى مثله وفي سابع جمادى الآخرة نزل ابن نسطورس الي الصناعة وطرح مركبين في غاية الكبر من التى استعملها بعد حريق الاسطول وفي غرة شعبان نزل أيضا وطرح بين يديه أربعة مراكب كبارا من المنشأة بعد الحريق

واتفق موت العزيز بالله وهو سائر الى الشام في مدينة بلبيس فلما قام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله في الخلافة أمر فى خامس شوال بحط الذين صلبهم ابن نسطورس فتسلمهم اهلهم وأعطي لاهل كل مصلوب عشرة دنانير برسم كفنه ودفنه وخلع علي عيسى بن نسطورس واقره فى ديوان الخاص ثم قبض عليه فى ليلة الاربعاء سابع المحرم سنة سبع وثمانين وثلثمائة واعتقله الى ليلة الاثنين سابع عشريه فاخرجه الاستاذ برجوان وهو يومئذ يتولى تدبير الدولة الى المقس وضرب عنقه فقال وهو ماض الى المقس كل شيء قد كنت أحسبه الاموت العزيز بالله ولكن الله لا يظلم أحدا والله انى لاذكر وقد ألقيت السهام للقوم المأخوذين في نهب دار مانك وفى بعضها مكتوب يقتل وفى أخرى يضرب فأخذ شاب ممن قبض عليه رقعة منها فجاء فيها يقتل فأمرت به الى القتل فصاحت أمه ولطمت وجهها وحلفت أنها وهو ما كانا ليلة النهب فى شيء من أعمال مصر وانما وردا مصر بعد النهب بثلاثة أيام وناشدتني الله تعالى أن أجعله من جملة من يضرب بالسوط وأن يعفى من القتل فلم ألتفت اليها وأمرت بضرب عنقه فقالت أمه ان كنت لابد قاتله فاجعله آخر من يقتل لاتمتع به ساعة فأمرت به فجعل أول من ضرب عنقه فلطخت بدمه وجهها وسبقتنى وهى منبوشة الشعر ذاهلة العقل الى القصر فلما وافيت قالت لى أقتلته كذلك يقتلك الله فأمرت بها فضربت حتى سقطت الى الارض ثم كان من الامر ما ترون مما أنا صائر اليه وكان خبره عبرة لمن اعتبر وفي نصف شعبان سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ركب الحاكم بأمر الله الى صناعة المقس لتطرح المراكب بين يديه *(صناعة الجزيرة) هذه الصناعة كانت بجزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة وهى أول صناعة عملت بفسطاط مصر بنيت في سنة أربع وخمسين من الهجرة وكان قبل بنائها هناك خمسمائة فاعل تكون مقيمة أبداً معدة لحريق يكون فى البلاد أو هدم ثم اعتنى الامير أبو العباس أحمد بن طولون بانشاء المراكب الحربية في هذه الصناعة وأطافها بالجزيرة ولم تزل هذه الصناعة الى أيام الملك الامير أبي بكر محمد ابن طفج الاخشيد فأنشأ صناعة بساحل فسطاط مصر وجعل موضع هذه الصناعة البستان المختار كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب *(صناعة مصر) هذه الصناعة كانت بساحل مصر القديم يعرف موضعها بدار خديجة بنت الفتح بن خاقان امرأة الامير أحمد ابن طولون الى أن قدم الامير أبو بكر محمد بن طفج الاخشيد أميرا على مصر من قبل الخليفة الراضي عوضا عن أحمد بن كيغلغ في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وقد كثرت الفتن فلم يدخل عيسى بن أحمد السلمي أبو مالك كبير المغاربة في طاعته ومضى ومعه بحكم وعليّ بن بدر ونظيف النوشري وعليّ المغربي الى الفيوم فبعث اليهم الاخشيد صاعد بن الكلكم بمراكبه فقاتلوه وقتلوه وأخذوا مراكبه وركب فيها على بن بدر وبحكم وقدموا

مدينة مصر أول يوم من ذي القعدة فأرسوا بجزيرة الصناعة وركب الاخشيد فى جيشه ووقف حيالهم والنيل بينهم وبينه فكره ذلك وقال صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشيء فأقام بحكم وعلى بن بدر الى آخر النهار ومضوا الى جهة الاسكندرية وعاد الاخشيد الى داره فأخذ في تحويل الصناعة من موضعها بالجزيرة الى دار خديجة بنت الفتح فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان اذ ذاك عندها سلم ينزل منه الى الماء وعند ما ابتدأ في انشاء المراكب بها صاحت به امرأة فأمر بأخذها اليه فسألته أن يبعث معها من يحمل المال فسير معها طائفة فأتت بهم الى دار خديجة هذه ودلتهم على موضع منها فأخرجوا منه عينا وورقا وحليا وغيره وطلبت المرأة فلم توجد ولا عرف لها خبر وكانت مراكب الاسطول مع ذلك تنشأ في الجزيرة وفي صناعتها الى أيام الخليفة الآمر بأحكام الله تعالى فلما ولي المأمون بن البطايحي أنكر ذلك وأمر أن يكون انشاء الشوانى والمراكب النيلية الديوانية بصناعة مصر هذه وأضاف اليها دار الزبيب وأنشأ بها منظرة لجلوس الخليفة يوم تقدمة الاسطول ورميه فأقر انشاء الحربيات والشلنديات بصناعة الجزيرة وكان لهذه الصناعة دهليز ماد بمساطب مفروشة بالحصر العبدانية بسطا وتازيرا وفيها محل ديوان الجهاد وكان يعرف في الدولة الفاطمية أن لا يدخل من باب هذه الصناعة أحد راكباً الا الخليفة والوزير اذا ركبا في يوم فتح الخليج عند وفاء النيل فان الخليفة كان يدخل من بابها ويشقها راكبا والوزير معه حتى يركب النيل الى المقياس كما قد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب ولم تزل هذه الصناعة عامرة الى ما قبل سنة سبعمائة ثم صارت بستانا عرف ببستان ابن كيسان ثم عرف في زمننا ببستان الطواشي وكان فيما بين هذه الصناعة والروضة بحر ثم تربى جرف عرف موضعه بالجرف وأنشيء هناك بستان عرف ببستان الجرف وصار في جملة أوقاف خانقاه المواصلة وقيل لهذا الجرف بين الزقاقين وكان فيه عدة دور وحمام وطواحين وغير ذلك ثم خرب من بعد سنة ست وثمانمائة وخرب بستان الجرف أيضاً والى اليوم بستان الطواشى فيه بقية وهو على يسرة من يريد مصر من طريق المراغة وبظاهره حوض ماء ترده الدواب ومن وراء البستان كيمان فيها كنيسة للنصارى قال ابن المتوج وكان مكان بستان ابن كيسان صناعة العمارة وأدركت فيه بابها وبستان الجرف المقابل لبستان ابن كيسان كان مكانه بحر النيل وان الجرف تربى فيه

(ذكر الميادين)

*(ميدان ابن طولون) كان قد بناه وتأنق فيه تأنقا زائدا وعمل فيه المناخ وبركة الزئبق والقبة الذهبية وقد ذكر خبر هذا الميدان عند ذكر القطائع من هذا الكتاب

* (ميدان الاخشيد) هذا الميدان أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد أمير مصر

بجوار بستانه الذى يعرف اليوم فى القاهرة بالكافورى ويشبه أن يكون موضع هذا الميدان اليوم حيث المكان المعروف بالبندقانيين وحارة الوزيرية وما جاور ذلك وكان لهذا البستان بابان من حديد قلعهما القائد جوهر عند ما قدم القرمطي الى مصر يريد أخذها وجعلهما على باب الخندق الذي حفره بظاهر القاهرة قريبا من مدينة عين شمس وذلك في سنة ستين وثلثمائة وكان هـذا الميدان من اعظم اماكن مصر وكانت فيه الخيول السلطانية في الدولة الاخشيدية *(ميدان القصر)* هذا الميدان موضعه الآن فى القاهرة يعرف بالخرنشف عمل عند بناء القاهرة بجوار البستان الكافورى ولم يزل ميدانا للخلفاء الفاطميين يدخل اليه من باب التبانين الذي موضعه الآن يعرف بقبو الخرنشف فلما زالت الدولة الفاطمية تعطل وبقى الى أن بنى به الغز اصطبلات بالخرنشف ثم حكر وبني فيه فصار من أخطاط القاهرة * (ميدان قراقوش) هذا الميدان خارج باب الفتوح *(ميدان الملك العزيز)هذا الميدان كان بجوار خليج الذكر وكان موضعه بستانا * قال القاضى الفاضل فى متجددات ثالث عشرى شهر رمضان سنة أربع وتسعين وخمسمائة خرج أمر الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بقطع النخل المثمر المستغل تحت اللؤلؤة بالبستان المعروف بالبغدادية وهـذا البستان كان من بساتين القاهرة الموصوفة وكان منظره من المناظر المستحسنة وكان له مستغل وكان قد عنى الاولون به لمجاورته اللؤلؤة واطلال جميع مناظرها عليه وجعل هذا البستان ميدانا وحرث أرضه وقطع مافيه من الاصول انتهى ثم حكر الناس أرض هذا البستان وبنوا عليها وهو الآن داثر فيه كيمان وأتربة انتهى * (الميدان الصالحي) هذا الميدان كان بأراضى اللوق من بر الخليج الغربى وموضعه الآن من جامع الطباخ بباب اللوق الى قنطرة قدادار التي على الخليج الناصرى ومن جملته الطريق المسلوكة الآن من باب اللوق الى القنطرة المذكورة وكان أولا بستانا يعرف ببستان الشريف بن ثعلب فاشتراه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بثلاثة آلاف دينار مصرية من الامير حصن الدين ثعلب ابن الامير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الجعفرى في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة وجعله ميدانا وأنشأ فيه مناظر جليلة تشرف على النيل الاعظم وصار يركب اليه ويلعب فيه بالكرة وكان عمل هذا الميدان سببا لبناء القنطرة التي يقال لها اليوم قنطرة الخرق على الخليج الكبير لجوازه عليها وكان قبل بنائها موضعها موردة سقائى القاهرة وما برح هذا الميدان تلعب فيه الملوك بالكرة من بعد الملك الصالح الى أن انحسر ماء النيل من تجاهه وبعد عنه فأنشأ الملك الظاهر ميدانا على النيل وفي سلطنة الملك المعز عز الدين أيبك التركماني الصالحي النجمى قال له منجمه ان امرأة تكون سبباً فى قتله فأمر أن تخرب الدور

والحوانيت التي من قلعة الجبل بالتبانة الى باب زويلة والى باب الخرق والى باب اللوق الى الميدان الصالحي وأمر أن لايترك باب مفتوح بالاماكن التي يمر عليها يوم ركوبه الى الميدان ولا تفتح أيضاً طاقة وما زال باب هذا الميدان باقيا وعليه طوارق مدهونة الى مابعد سنة أربعين وسبعمائة فأدخله صلاح الدين بن المغربي في قيسارية الغزل التي أنشأها هناك ولاجل هذا الباب قيل لذلك الخط باب اللوق ولما خرب هذا الميدان حكر وبني موضعه ما هنالك من المساكن ومن جملته حكر مرادى وهو على يمنة من سلك من جامع الطباخ الى قنطرة قدادار وهو في أوقاف خانقاه قوصون وجامع قوصون بالقرافة وهذا الحكر اليوم قد صار كيانا بعد كثرة العمارة به * (الميدان الظاهري) هذا الميدان كان بطرف أراضي اللوق يشرف على النيل الاعظم وموضعه الآن تجاه قنطرة قدادار من جهة باب اللوق أنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي لما انحسر ماء النيل وبعد عن ميدان أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب وما زال يلعب فيه بالكرة هو ومن بعده من ملوك مصر الى أن كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة فنزل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون اليه وخرب مناظره وعمله بستانا من أجل بعد البحر عنه وأرسل الى دمشق فحمل اليه منها سائر أصناف الشجر وأحضر معها خولة الشام والمطعمين فغرسوها فيه وطعموها وما زال بستانا عظيما ومنه تعلم الناس بمصر تطعيم الاشجار في بساتين جزيرة الفيل وجعل السلطان فواكه هذا البستان مع فواكه البستان الذى أنشأه بسرياقوس تحمل بأسرها الى الشراب خاناه السلطانية بقلعة الجبل ولا يباع منها شيء البتة وتصرف كلفهما من الأموال الديوانية فجادت فواكه هذين البستانين وكثرت حتى حاكت بحسنها فواكه الشام لشدة العناية والخدمة بهما ثم ان السلطان لما اختص بالامير قوصون أنعم بهذا البستان عليه فعمر تجاهه الزريبة التي عرفت بزريبة قوصون على النيل وبني الناس الدور الكثيرة هناك سيما لما حفر الخليج الناصرى فان العمارة عظمت فيما بين هذا البستان والبحر وفيما بينه وبين القاهرة ومصر ثم ان هذا البستان خرب لتلاشى أحواله بعد قوصون وحكرت أرضه وبنى الناس فوقها الدور التى على يسرة من صعد القنطرة من جهة باب اللوق يريد الزريبة ثم لما خرب خط الزريبة خرب ماعمر بأرض هذا البستان من الدور منذ سنة ست وثمانمائة والله تعالى أعلم * (ميدان بركة الفيل) هذا الميدان كان مشرفا على بركة الفيل قبالة الكبش وكان أولا اصطبل الجوق برسم خيول المماليك السلطانية الى أن جلس الامير زين الدين كتبغا على تخت الملك وتلقب بالملك العادل بعد خلعه الملك الناصر محمد بن قلاون فى المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة فلما دخلت سنة خمس وتسعين كان الناس فى أشد مايكون من غلاء الاسعار وكثرة الموتان والسلطان خائف على نفسه ومتحرز من وقوع فتنة وهو مع ذلك

ينزل من قلعة الجبل الى الميدان الظاهرى بطرف اللوق فحسن بخاطره أن يعمل اصطبل الجوق المذكور ميدانا عوضا عن ميدان اللوق وذكر ذلك للامراء فأعجبهم ذلك فأمر باخراج الخيل منه وشرع فى عمله ميدانا وبادر الناس من حينئذ الى بناء الدور بجانبه وكان أول من أنشأ هناك الامير علم الدين سنجر الخازن فى الموضع الذي عرف اليوم بحكر الخازن وتلاه الناس في العمارة والامراء وصار السلطان ينزل الى هذا الميدان من القلعة فلا يجد في طريقه أحدا من الناس سوي أصحاب الدكاكين من الباعة لقلة الناس وشغلهم بما هم فيه من الغلاء والوباء ولقد رآه شخص من الناس وقد نزل الى الميدان والطرقات خالية فانشد ما قيل في الطبيب ابن زهر

قل للغلا أنت وابن زهر * بلغتما الحد والنهايه
ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما كفايه

وما برح هذا الميدان باقيا الى أن عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون قصر الامير بكتمر الساقي على بركة الفيل فادخل فيه جميع أرض هذا الميدان وجعله اصطبل قصر الامير بكتمر الساقي في سنة سبع عشرة وسبعمائة وهو باق الى وقتنا هذا *(ميدان المهارى) هذا الميدان بالقرب من قناطر السباع في بر الخليج الغربى كان من جملة جنان الزهرى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة عشرين وسبعمائة ومن وراء هذا الميدان بركة ماء كان موضعها كرم القاضى الفاضل رحمة الله عليه * قال جامع السيرة الناصرية وكان الملك الناصر محمد بن قلاون له شغف عظيم بالخيل فعمل ديوانا ينزل فيه كل فرس بشانه واسم صاحبه وتاريخ الوقت الذى حضر فيه فاذا حملت فرس من خيول السلطان أعلم به وترقب الوقت الذي تلد فيه واستكثر من الخيل حتى احتاج الى مكان برسم نتاجها فركب من قلعة الجبل فى سنة عشرين وسبعمائة وعين موضعا يعمله ميدانا برسم المهارى فوقع اختياره على أرض بالقرب من قناطر السباع وما زال واقفا بفرسه حتى حدد الموضع وشرع في نقل الطين البليزاليه وزرعه من النخل وغيره وركب على الآبار التي فيه السواقى فلم يمض سوى أيام حتى ركب اليه ولعب فيه بالكرة مع الخاصكية ورتب فيه عدة حجور للنتاج وأعدلها سواسا وأميرا خورية وسائر ما يحتاج اليه وبنى فيه أماكن ولازم الدخول اليه في ممره الى الميدان الذى أنشأه على النيل بموردة الملح فلما كان بعد أيام وأشهر حسن فى نفسه أن يبنى تجاه هذا الميدان على النيل الاعظم بجوار جامع الطيبرسى زريبة ويبرز بالمناظر التي ينشئها فيالميدان الى قرب البحر فنزل بنفسه وتحدث فى ذلك فكثر المهندسون المصروف في عينه وصعبوا الامر من جهة قلة الطين هناك وكان قد أدركه السفر للصعيد فترك ذلك وما برحت الخيول في هذا الميدان الى أن

مات الملك الظاهر برقوق فى سـنة احدى وثمانمائة واستمر بعده في أيام ابنه الملك الناصر فرج الا انه تلاشي أمره عما كان قبـل ذلك ثم انقطعت منه الخيول وصار براحا خاليا
*(ميدان سرياقوس) كان هـذا الميـدان شرقى ناحيـة سرياقوس بالقرب من الخانقاه أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في ذى الحجة سـنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وبنى فيه قصورا جليلة وعدة منازل للامراء وغرس فيه بستانا كبيرا نقل اليه من دمشق سائر الاشجار التي تحمل الفواكه وأحضر معها خولة بلاد الشام حتى غرسوها وطعموا الاشجار فأفلح فيه الكرم والسفرجل وسائر الفواكه فلما كمل فى سنة خمس وعشرين خرج ومعه الامراء والاعيان ونزل القصور التي هناك ونزل الامراء والاعيان على منازلهم فى الاماكن التي بنيت لهم واستمر يتوجه اليه فى كل سنة ويقيم به الايام ويلعب فيه بالكرة الى أن مات فعمل ذلك أولاده الذين ملكوا من بعده فكان السلطان يخرج في كل سنة من قلعة الجبل بعدما تنقضى أيام الركوب الى الميدان الكبير الناصرى على النيـل ومعه جميع أهل الدولة من الامراء والكتاب وقاضى العسكر وسائر أرباب الرتب ويسير الى السرحة بناحية سرياقوس وينزل بالقصور ويركب الي الميدان هناك للعب الكرة ويخلع على الامراء وسائر أهل الدولة ويقيم في هذه السرحة أياما فيمر للناس في اقامتهم بهذه السرحة أوقات لا يمكن وصف ما فيها من المسرات ولا حصر ما ينفق فيها من المآكل والهبات من الاموال ولم يزل هـذا الرسم مستمرا الى سنة تسع وتسعين وسبعمائة وهي آخر سرحة سار اليهـا السلطان بسرياقوس ومن هذه السنة انقطع السلطان الملك الظاهر برقوق عن الحركة لسرياقوس فانه اشتغل في سـنة ثمانمائة بتحرك المماليك عليه من وقت قيام الامير على باى الى أن مات وقام من بعده ابنه الملك الناصر فرج فما صفا الوقت فى أيامه من كثرة الفتن وتواتر الغـلوات والمحن الى أن نسي ذلك وأهمل أمر الميدان والقصور وخرب وفيه الى اليوم بقية قائمة ثم بيعت هذه القصور في صفر سنة خمس وعشرين وثمانمائة بمائة دينار لينقض خشبها وشبابيكها وغيرها فنقضت كلها وكان من عادة السلطان اذا خرج الى الصيد لسرياقوس أو شبرا أو البحيرة أنه ينعم على أكابر أمراء الدولة قدرا وسنا كل واحد بألف مثقال ذهبا وبرذون خاص مسرج ملجم وكنبوش مذهب وكان من عادته اذا مر في متصـيداته باقطاع أمير كبير قدم له من الغنم والاوز والدجاج وقصب السكر والشعير ما تسمو همة مثـله اليه فيقبله السلطان منه وينعم عليه بخلعة كاملة وربما أمر لبعضهم بمبلغ مال وكانت عادة الامراء أن يركب الامير منهم حيث يركب في المدينة وخلفه جنيب وأما أكابرهم فيركب بجنيبين هذا في المدينة والحاضرة وهكذا يكون اذا خرج الى سرياقوس وغيرها من نواحى الصـعيد ويكون في الخروج الى سرياقوس وغيرها من الاسفار لكل أمير طلب يشتمل على أكثر مماليكه وقدامهم خزانة

محمولة على جمل واحد يجره راكب آخر على جمل والمال على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك وأمام الخزانة عدة جنائب تجر على أيدى مماليك ركاب خيل وهجن وركاب من العرب على هجن وأمامها الهجن بأكوارها مجنوبة وللطبلخانات قطار واحد وهو أربعة ومركوب الهجان والمال قطاران وربما زاد بعضهم وعدد الجنائب فى كثرتها وقلتها الى رأى الامير وسعة نفسه والجنائب منها ما هو مسرج ملجم ومنها ما هو بعباءة لا غير وكان يضاهي بعضهم بعضاً في الملابس الفاخرة والسروج المحلاة والعدد المليحة وكان من رسوم السلطان فى خروجه الى سرياقوس وغيرها من الاسفار أن لا يتكلف اظهار كل شعار السلطنة بل يكون الشعار فى موكبه السائر فيه جمهور مماليكه مع المقدم عليهم واستاداره وأمامهم الخزائن والجنائب والهجن وأما هو نفسه فانه يركب ومعه عدة كبيرة من الامراء الكبار والصغار من الغرباء والخواص وجملة من خواص مماليكه ولا يركب فى السير برقبة ولا بعصائب بل يتبعه جنائب خلفه ويقصد في الغالب تأخير النزول الى الليل فاذا جاء الليل حملت قدامه فوانيس كثيرة ومشاعل فاذا قارب مخيمه تلقى بشموع موكبية في شمعدانات كفت وصاحت الجاويشية بين يديه ونزل الناس كافة الاحملة السلاح فانهم وراءه والوشاقية أيضاً وراءه وتمشى الطبر دارية حوله حتى اذا وصل القصور بسرياقوس أو الدهليز من المخيم نزل عن فرسه ودخل الى الشقة وهى خيمة مستديرة متسعة ثم منها الى شقة مختصرة ثم منها الى اللاجوق وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخل سور خركاه وفي صدر اللاجوق قصر صغير من خشب برسم المبيت فيه وينصب بازاء الشقة الحمام بقدور الرصاص والحوض على هيئة الحمام المبنى في المدن الا أنه مختصر فاذا نام السلطان طافت به المماليك دائرة بعد دائرة وطاف بالجميع الحرس وتدور الزفة حول الدهليز فى كل ليلة وتدور بسرياقوس حول القصر في كل ليلة مرتين الاولى منذ يأوى الى النوم والثانية عند قعوده من النوم وكل زفة يدور بها أمير جاندار وهو من أكابر الامراء وحوله الفوانيس والمشاعل والطبول والبيانة وينام على باب الدهليز النقباء وأرباب النوب من الخدم ويصحب السلطان في السفر غالب ما تدعو الحاجة اليه حتى يكاد يكون معه مارستان لكثرة من معه من الاطباء وأرباب الكحل والجراح والاشربة والعقاقير وما يجرى مجرى ذلك وكل من عاده طبيب ووصف له ما يناسبه يصرف له من الشراب خاناه أو الدواء خاناه المحمولين في الصحبة والله أعلم

*(الميدان الناصرى) هذا الميدان من جملة أراضى بستان الخشاب فيما بين مدينة مصر والقاهرة وكان موضعه قديما غامراً بماء النيل ثم عرف ببستان الخشاب فلما كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة هدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان الظاهرى وغرس فيه أشجارا كما تقدم وأنشأ هذا الميدان من أراضى بستان الخشاب فانه كان حينئذ مطلا على

النيل وتجهز في سنة ثمان عشرة وسبعمائة للركوب اليه وفرق الخيول على جميع الامراء واستجد ركوب الاوجاقية بكوافي الزركش على صفة الطاسات فوق رؤسهم وسماهم الجفتاوات فيركب منهم اثنان بثوبي حرير أطلس أصفر وعلى رأس كل منهما كوفية الذهب وتحت كل واحد فرس أبيض بحلية ذهب ويسيران معا بين يدى السلطان فى ركوبه من قلعة الجبل الى الميدان وفي عودته منه الى القلعة وكان السلطان اذا ركب الى هذا الميدان للعب الاكرة يفرق حوائص ذهب على الامراء المقدمين وركوبه الى هذا الميدان دائماً يوم السبت فى قوة الحر بعد وفاء النيل مدة شهرين من السنة فيفرق في كل ميدان على اثنين بالنوبة فنهم من تجيء نوبته بعد ثلاث سنين أو أربع سنين وكان من مصطلح الملوك أن تكون تفرقة السلطان الخيول على الامراء فى وقتين أحدهما عند ما يخرج الى مرابط خيله في الربيع عند اكمال تربيعها وفي هذا الوقت يعطى أمراء المئين الخيول مسرجة ملجمة بكنابيش مذهبة ويعطى أمراء الطبلخانات خيلا عريا * والوقت الثاني يعطي الجميع خيولا مسرجة ملجمة بلا كنابيش بفضة خفيفة وليس لامراء العشروات حظ في ذلك الا ما يتفقدهم به على سبيل الانعام وللخاصكية السلطان المقربين من أمراء المئين وأمراء الطبلخانات زيادة كثيرة من ذلك بحيث يصل الى بعضهم المائة فرس فى السنة وكان من شعار السلطان أن يركب الى الميدان وفى عنق الفرس رقبة حرير أطلس أصفر بزركش ذهب فتستر من تحت أذني الفرس الى حيث السرج ويكون قدامه اثنان من الاوشاقية راكبين على حصانين أشهبين برقبتين نظير ما هو راكب به كأنهما معدان لان يركبهما وعلى الاوشاقيين المذكورين قباآن أصفران من حرير بطراز من زركش بالذهب وعلى رأسهما قبعان مزركشان وغاشية السرج محمولة أمام السلطان وهي أديم مزركش مذهب يحملها بعض الركابدارية قدامه وهو ماش في وسط الموكب ويكون قدامه فارس يشبب بشبابة لا يقصد بنغمها الاطراب بل ما يقرع بالمهابة سامعه ومن خلف السلطان الجنائب وعلى رأسه العصائب السلطانية وهى صفر مطرزة بذهب بألقابه واسمه وهذا لايختص بالركوب الى الميدان بل يعمل هذا الشعار أيضاً اذا ركب يوم العيد أو دخل الى القاهرة أو الى مدينة من مدن الشام ويزداد هذا الشعار في يوم العيدين ودخول المدينة برفع المظلة على رأسه ويقال لها الجبر وهو أطلس أصفر مزركش من أعلاه قبة وطائر من فضة مذهبة يحملها يومئذ بعض أمراء المئين الاكابر وهو راكب فرسه الى جانب السلطان ويكون أرباب الوظائف والسلاحدارية كلهم خلف السلطان ويكون حوله وأمامه الطبردارية وهم طائفة من الاكراد ذوي الاقطاعات والامرة ويكونون مشاة وبأيديهم الاطبار المشهورة

* (ذكر قلعة الجبل) *

قال ابن سيده في كتاب المحكم القلعة بتحريك القاف واللام والعين وفتحها الحصن الممتنع في جبل وجمعها قلاع وقلع وأقلعوا بهذه البلاد بنوها فجعلوها كالقلعة وقيل القلعة بسكون اللام حصن مشرف وجمعه قلوع وهـذه القلعة على قطعة من الجبل وهى تتصل بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة فتصير القاهرة في الجهة البحرية منها ومدينة مصر والقرافة الكبرى وبركة الحبش في الجهة القبلية الغربية والنيل الاعظم في غربيها وجبل المقطم من ورائها في الجهة الشرقية وكان موضعها أولا يعرف بقبة الهواء ثم صار من تحته ميدان أحمد بن طولون ثم صار موضعها مقبرة فيها عدة مساجد الى أن أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول الملوك بديار مصر على يد الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدى في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وصارت من بعده دار الملك بديار مصر الى يومنا هذا وهي ثامن موضع صار دار المملكة بديار مصر وذلك أن دار الملك كانت أولا قبل الطوفان بمدينة أمسوس ثم صار تخت الملك بعد الطوفان بمدينة منف الى أن خربها بخت نصر ثم لما ملك الاسكندر بن فيلبش سار الى مصر وجدد بناء الاسكندرية فصارت دار المملكة من حينئذ بعد مدينة منف الاسكندرية الى أن جاء الله تعالى بالاسلام وقدم عمرو بن العاص رضى الله عنه بجيوش المسلمين الى مصر وفتح الحصن واختط مدينة فسطاط مصر فصارت دار الامارة من حينئذ بالفسطاط الى أن زالت دولة بني أمية وقدمت عساكر بنى العباس الى مصر وبنوا في ظاهر الفسطاط العسكر فصار الامراء من حينئذ تارة ينزلون في العسكر وتارة في الفسطاط الى أن بني احمد بن طولون القصر والميدان وأنشأ القطائع بجانب العسكر فصارت القطائع منازل الطولونية الى أن زالت دولتهم فسكن الامراء بعد زوال دولة بني طولون بالعسكر الى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر المعز لدين الله وبني القاهرة المعزية فصارت القاهرة من حينئذ دار الخلافة ومقر الامامة ومنزل الملك الى أن انقضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فلما استبد بعدهم بأمر سلطنة مصر بنى قلعة الجبل هذه ومات فسكنها من بعده الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب واقتدي به من ملك مصر من بعده من أولاده الى أن انقرضوا على يد مماليكهم البحرية وملكوا مصر من بعدهم فاستقروا بقلعة الجبل الى يومنا هذا وسأجمع ان شاء الله تعالى من أخبار قلعة الجبل هذه وذكر من ملكها ما فيه كفاية والله أعلم

* (ذكر ما كان عليه موضع قلعة الجبل قبل بنائها) *

اعلم أن أول ما عرف من خبر موضع قلعة الجبل انه كان فيه قبة تعرف بقبة الهواء

قال أبو عمرو الكندى في كتاب أمراء مصر وابتنى حاتم بن هرثمة القبة التى تعرف بقبة الهواء وهو أول من ابتناها وولى مصر الى أن صرف عنها فى جمادي الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة قال ثم مات عيسى بن منصور أمير مصر في قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ولما قدم أمير المؤمنين المأمون الى مصر فى سنة سبع عشرة ومائتين جلس بقبة الهواء هذه وكان بحضرته سعيد بن عفير فقال المأمون لعن الله فرعون حيث يقول أليس لى ملك مصر فلو رأى العراق وخصبها فقال سعيد بن عفير يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فان الله عز وجل قال ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون فما ظنك يا أمير المؤمنين بشئ دمره الله هذا بقيته ثم قال سعيد لقد بلغنا أن ارضاً لم تكن أعظم من مصر وجميع اهل الارض يحتاجون اليها وكانت الانهار بقناطر وجسور بتقدير حتي ان الماء يجرى تحت منازلهم وافنيتهم يرسلونه متى شاؤا ويحبسونه متى شاؤا وكانت البساتين متصلة لا تنقطع ولقد كانت الامة تضع المكتل على رأسها فيمتلئ مما يسقط من الشجر وكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج الى خمار لكثرة الشجر وفى قبة الهواء حبس المأمون الحارث بن مسكين قال الكندى في كتاب الموالى قدم المأمون مصر وكان بها رجل يقال له الحضرمى يتظلم من ابن اسباط وابن تميم فجلس الفضل بن مروان في المسجد الجامع وحضر مجلسه يحيى بن أكثم وابن أبي داود وحضر اسحاق بن اسماعيل ابن حماد بن زيد وكان على مظالم مصر وحضر جماعة من فقهاء مصر وأصحاب الحديث وأحضر الحارث بن مسكين ليولى قضاء مصر فدعاه الفضل بن مروان فبينا هو يكلمه اذ قال الحضرمى للفضل سل أصلحك الله الحارث عن ابن أسباط وابن تميم قال ليس لهذا أحضرناه قال أصلحك الله سله فقال الفضل للحارث ما تقول في هذين الرجلين فقال ظالمين غاشمين قال ليس لهذا أحضرناك فاضطرب المسجد وكان الناس متوافرين فقام الفضل وصار الى المأمون بالخبر وقال خفت على نفسي من ثوران الناس مع الحارث فأرسل المأمون الى الحارث فدعاه فابتدأه بالمسألة فقال ماتقول في هذين الرجلين فقال ظالمين غاشمين قال هل ظلماك بشئ قال لا قال فعاملتهما قال لا قال فكيف شهدت عليهما قال كما شهدت أنك أمير المؤمنين ولم أرك قط الا الساعة وكما شهدت أنك غزوت ولم أحضر غزوك قال اخرج من هذه البلاد فليست لك ببلاد وبع قليلك وكثيرك فانك لاتعاينها ابدا وحبسه في رأس الجبل فى قبة ابن هرثمة ثم انحدر المأمون الى البشرود وأحضره معه فلما فتح البشرود أحضر الحارث فلما دخل عليه سأله عن المسألة التي سأله عنها بمصر فرد عليه الجواب بعينه فقال فأى شئ تقول في خروجنا هذا قال أخبرنى عبد الرحمن بن القاسم عن مالك أن الرشيد كتب اليه فى أهل دهلك يسأله عن قتالهم فقال ان كانوا خرجوا عن

ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم وان كانوا انما شقوا العصا فقتالهم حلال فقال المأمون أنت تيس وما لك أتيس منك ارحل عن مصر قال يا أمير المؤمنين الى الثغور قال الحق بمدينة السلام فقال له أبو صالح الحراني يا أمير المؤمنين تغفر زلته قال ياشيخ تشفعت فارتفع ولما بني أحمد بن طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء هذه كان كثيرا مايقيم فيها فانها كانت تشرف على قصره واعتني بها الامير أبو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وجعل لهاالستور الجليلة والفرش العظيمة في كل فصل مايناسبه فلما زالت دولة بني طولون وخرب القصر والميدان كانت قبة الهواء مما خرب كما تقدم ذكره عند ذكر القطائع من هذا الكتاب ثم عمل موضع قبة الهواء مقبرة وبنى فيها عدة مساجد * قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط في الخطط والمساجد المبنية على الجبل المتصلة بالجامع المطلة على القاهرة المعزية التي فيها المسجد المعروف بسعد الدولة والترب التي هناك تحتوي القلعة التي بناها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على الجميع وهي التي تعمها بالقاهرة وبنيت هذه القلعة في مدة يسيرة وهذه المساجد هي مسجد سعد الدولة ومسجد معز الدولة والى مصر ومسجد مقدم بن عليان من بني بويه الديلمي ومسجد العدة بناه أحد الاستاذين الكبار المستنصرية وهو عدة الدولة وكان بعد مسجد معز الدولة ومسجد عبد الجبار بن عبد الرحمن بن شبل بن علي رئيس الرؤساء وكان في الكفاة أبي يعقوب بن يوسف الوزير بهمدان ابن علي بناه وانتقل بالارث الى ابن عمه القاضي الفقيه أبي الحجاج يوسف ابن عبد الجبار بن شبل وكان من أعيان السادة ومسجد قسطة وكان غلاما أرمنيا من غلمان المظفر بن أمير الجيوش مات مسموما من اكلة هريسة * وقال الحافظ أبو الطاهر السلفي سمعت أبا منصور قسطة الارمني والي الاسكندرية يقول كان عبد الرحمن خطيب ثغر عسقلان يخطب بظاهر البلد في عيد من الاعياد فقيل له قد قرب منا العدو فنزل عن المنبر وقطع الخطبة فبلغه أن قوما من العسكرية عابوا عليه فعله فخطب في الجمعة الاخرى داخل البلد في الجامع خطبة بليغة قال فيها قد زعم قوم أن الخطيب فزع وعن المنبر نزع وليس ذلك عارا على الخطيب فانما ترسه الطيلسان وحسامه اللسان وفرسه خشب لايجرى مع الفرسان وانما العار على من تقلد الحسام وسن السنان وركب الجياد الحسان وعند اللقاء يصيح الى عسقلان وكان قسطة هذا من عقلاء الامراء المائلين الى العدل المثابرين على مطالعة الكتب وأكثر ميله الى التواريخ وسير المتقدمين وكان مسجده بعد مسجد شقيق الملك ومسجد الديلمي كان على قرنة الجبل المقابل للقلعة من شرقيها الى البحري وقبره قدام الباب وتربة وخشي الامير والد السلطان رضوان بن ولخشي المنعوت بالافضل كان من الاعيان الفضلاء الادباء ضرب على طريقة ابن البواب وأبي علي بن

مقلة وكتب عدة ختمات وكان كريماً شجاعاً يلقب فحل الامراء وكانت هذه التربة آخر الصف ومسجد شقيق الملك الاستاذ خسروان صاحب بيت المال أضيف الى سور القلعة البحرى الى المغرب قليلا ومسجد أمين الملك صارم الدولة مفلح صاحب المجلس الحافظى كان بعد مسجد القاضى أبي الحجاج المعروف بمسجد عبد الجبار وهو في وسط القلعة وبعده تربة لاون أخى يانس ومسجد القاضي النبيه كان لهمام الدولة غنام ومات رسولا ببلاد الشام وشراه منه وانشأه القاضى النبيه وقبره به وكان القاضى من الاعيان * وقال ابن عبد الظاهر أخبرنى والدى قال كنا نطلع اليها يعنى الى المساجد التى كانت موضع قلعة الجبل قبل أن تسكن فى ليالى الجمع نبيت متفرجين كما نبيت في جواسق الجبل والقرافة * قال مؤلفه رحمه الله وبالقلعة الآن مسجد الردينى وهو أبو الحسن على بن مرزوق بن عبد الله الردينى الفقيه المحدث المفسر كان معاصرا لابي عمر وعثمان بن مرزوق الحوفي وكان ينكر على أصحابه وكانت كلمته مقبولة عند الملوك وكان يأوى بمسجد سعد الدولة ثم تحول منه الى مسجد عرف بالردينى وهو الموجود الآن بداخل قلعة الجبل وعليه وقف بالاسكندرية وفى هذا المسجد قبر يزعمون أنه قبره وفي كتب المزارات بالقرافة أنه توفي ودفن بها في سنة أربعين وخمسمائة بخط سارية شرقى تربة الكيزوانى واشتهر قبره باجابة الدعاء عنده

* (ذكر بناء قلعة الجبل) *

وكان سبب بنائها أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما أزال الدولة الفاطمية من مصر واستبد بالامر لم يتحول من دار الوزارة بالقاهرة ولم يزل يخاف على نفسه من شيعة الخلفاء الفاطميين بمصر ومن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى سلطان الشام رحمة الله عليه فامتنع أولا من نور الدين بأن سير أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب في سنة تسع وستين وخمسمائة الى بلاد اليمن لتصير له مملكة تعصمه من نور الدين فاستولى شمس الدولة على ممالك اليمن وكفى الله تعالى صلاح الدين أمر نور الدين ومات فى تلك السنة فخلاله الجو وامن جانبه وأحب أن يجعل لنفسه معقلا بمصر فانه كان قد قسم القصرين بين أمرائه وأنزلهم فيهما فيقال ان السبب الذى دعاه الى اختيار مكان قلعة الجبل أنه عاق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة فعاق لحم حيوان آخر في موضع القلعة فلم يتغير الا بعد يومين وليلتين فأمر حينئذ بانشاء قلعة هناك وأقام على عمارتها الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى فشرع في بنائها وبني سور القاهرة الذى زاده فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وهدم ماهنا لك من المساجد وأزال القبور وهدم الاهرام الصغار التي كانت بالجيزة تجاه مصر وكانت كثيرة العدد ونقل ماوجد بها من الحجارة وبني به السور والقلعة وقناطر الجيزة وقصد أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة ومصر فمات السلطان قبل أن يتم الغرض

من السور والقلعة فاهمل العمل الى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في قلعة الجبل واستنابته فى مملكة مصر وجعله ولى عهد فأتم بناء القلعة وأنشأ بها الآدر السلطانية وذلك فى سنة أربع وستمائة وما برح يسكنها حتى مات فاستمرت من بعده دار مملكة مصر الى يومنا هذا وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب يقيم بها أياما وسكنها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين في أيام أبيه مدة ثم انتقل منها الى دار الوزارة * قال ابن عبد الظاهر وسمعت حكاية تحكى عن صلاح الدين أنه طلعها ومعه أخوه الملك العادل فلما رآها التفت الى أخيه وقال ياسيف الدين قد بنيت هذه القلعة لاولادك فقال ياخوند من الله عليك أنت وأولادك وأولاد أولادك بالدنيا فقال مافهمت ما قلت لك أنا نجيب مايأتى لى أولاد نجباء وانت غير نجيب فأولادك يكونون نجباء فسكت (قال مؤلفه رحمه الله) وهذا الذى ذكره صلاح الدين يوسف من انتقال الملك عنه الى أخيه وأولاد أخيه ليس هو خاصاً بدولته بل اعتبر ذلك في الدول تجد الامر ينتقل عن أولاد القائم بالدولة الى بعض أقاربه * هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائم بالملة الاسلامية ولما توفى صلى الله عليه وسلم انتقل امر القيام بالملة الاسلامية بعده الي أبي بكر الصديق رضى الله عنه واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى فهو رضي الله عنه يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب ثم لما انتقل الامر بعد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم الى بنى أمية كان القائم بالدولة الاموية معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية فلم تفلح أولاده وصارت الخلافة الى مروان ابن الحكم بن العاص بن أمية فتوارثها بنو مروان حتي انقضت دولتهم بقيام بني العباس رضى الله عنه فكان أول من قام من بني العباس عبد الله بن محمد السفاح ولما مات انتقلت الخلافة من بعده الى أخيه أبى جعفر عبد الله بن محمد المنصور واستقرت في بنيه الى أن انقرضت الدولة العباسية من بغداد وكذا وقع في دول العجم أيضاً فأول ملوك بني بويه عماد الدين أبو على الحسن بن بويه والقائم من بعده في السلطنة أخوه حسن بن بويه وأول ملوك بني سلجوق طغريل والقائم من بعده في السلطنة ابن أخيه البارسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق وأول قائم بدولة بني أيوب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولما مات اختلف أولاده فانتقل ملك مصر والشام وديار بكر والحجاز واليمن الى أخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب واستمر فيهم الى أن انقرضت الدولة الايوبية فقام بمملكة مصر المماليك الاتراك وأول من قام منهم بمصر الملك المعز أيبك فلما مات لم يفلح ابنه على فصارت المملكة الى قطز وأول من قام بالدولة الجركسية الملك الظاهر برقوق وانتقلت المملكة من بعد ابنه الملك الناصر فرج الى الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى وقد جمعت فى هذا

فصلا كبيرا وقلما تجد الامر بخلاف ماقلته لك ولله عاقبة الامور * قال ابن عبد الظاهر والملك الكامل هو الذى اهتم بعمارتها وعمارة أبراجها البرج الاحمر وغيره فكملت في سنة أربع وستمائة وتحول اليها من دار الوزارة ونقل اليها أولاد العاضد وأقاربه وسجنهم فى بيت فيها فلم يزالوا فيه الى أن حولوا منه فى سنة احدى وسبعين وستمائة * قال وفي آخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة شرع السلطان الملك المنصور قلاون في عمارة برج عظيم على جانب باب السر الكبير وبنى علوه مشترفات وقاعات مرخمة لم ير مثلها وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة ويقال ان قراقوش كان يستعمل فى بناء القلعة والسور خمسين ألف أسير * (البئر التي بالقلعة) * هذه البئر من العجائب استنبطها قراقوش قال ابن عبد الظاهر وهذه البئر من عجائب الابنية تدور البقر من أعلاها فتنقل الماء من نقالة فى وسطها وتدور أبقار في وسطها تنقل الماء من أسفلها ولها طريق الى الماء ينزل البقر الى معينها فى مجاز وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل ان أرضها مسامتة أرض بركة الفيل وماؤها عذب سمعت من يحكى من المشايخ أنها لما نقرت جاء ماؤها حلوا فأراد قراقوش أو نوابه الزيادة في مائها فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها وذكر القاضى ناصر الدين شافع بن على فى كتاب عجائب البنيان أنه ينزل الى هذه البئر بدرج نحو ثلثمائة درجة

* (ذكر صفة القلعة) *

وصفة قلعة الجبل أنها بناء على نشز عال يدور بها سور من حجر بأبراج وبدنات حتى تنتهى الى القصر الابلق ثم من هناك تتصل بالدور السلطانية على غير أوضاع أبراج القلاع ويدخل الى القلعة من بابين أحدهما بابها الاعظم المواجه للقاهرة ويقال له الباب المدرج وبداخله يجلس والى القلعة ومن خارجه تدق الخليلية قبل المغرب والباب الثاني باب القرافة وبين البابين ساحة فسيحة فى جانبها بيوت وبجانبها القبلى سوق للمآكل ويتوصل من هذه الساحة الى دركاه جليلة كان يجلس بها الامراء حتى يؤذن لهم بالدخول وفى وسط الدركاه باب القلعة ويدخل منه في دهليز فسيح الي ديار وبيوت والى الجامع الذى تقام به الجمعة ويمشى من دهليز باب القلعة فى مداخل أبواب الي رحبة فسيحة فى صدرها الايوان الكبير المعد لجلوس السلطان في يوم المواكب واقامة دار العدل وبجانب هذه الرحبة ديار جليلة ويمر منها الى باب القصر الابلق وبين يدى باب القصر رحبة دون الاولى يجلس بها خواص الامراء قبل دخولهم الى الخدمة الدائمة بالقصر وكان بجانب هذه الرحبة محاذيا لباب القصر خزانة القصر ويدخل من باب القصر فى دهاليز خمسة الى قصر عظيم ويتوصل منه الى الايوان الكبير بباب خاص ويدخل منه أيضاً الى قصور ثلاثة ثم الى دور الحرم السلطانية

والى البستان والحمام والحوش وباقي القلعة فيه دور ومساكن للماليك السلطانية وخواص الامراء بنسائهم وأولادهم ومماليكهم ودواوينهم وطشتخاناتهم وفرشخاناتهم وشربخاناتهم ومطابخهم وسائر وظائفهم وكانت أكابر أمراء الالوف وأعيان أمراء الطبلخاناه والعشراوات تسكن بالقلعة الى آخر أيام الناصر محمد بن قلاون وكان بها أيضاً طباق المماليك السلطانية ودار الوزارة وتعرف بقاعة الصاحب وبها قاعة الانشاء وديوان الجيش وبيت المال وخزانة الخاص وبها الدور السلطانية من الطشتخاناه والركابخاناه والحوائجخاناه والزردخاناه وكان بها الجب الشنيع لسجن الامراء وبها دار النيابة وبها عدة أبراج يحبس بها الامراء والمماليك وبها المساجد والحوانيت والاسواق وبها مساكن تعرف بخرائب التتر كانت قدر حارة خربها الملك الاشرف برسباى في ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ومن حقوق القلعة الاصطبل السلطاني وكان ينزل اليه السلطان من جانب ايوان القصر ومن حقوقها أيضاً الميدان وهو فاصل بين الاصطبلات وسوق الخيل من غربيه وهو فسيح المدى وفيه يصلي السلطان صلاة العيدين وفيه يلعب بالاكرة مع خواصه وفيه تعمل المدات أوقات المهمات أحيانا ومن رأى القصور والايوان الكبير والميدان الاخضر والجامع يقر لملوك مصر بعلو الهمم وسعة الانفاق والكرم *(باب الدرفيل) هذا الباب بجانب خندق القلعة ويعرف أيضاً بباب المدرج وكان يعرف قديما بباب سارية ويتوصل اليه من تحت دار الضيافة وينتهى منه الى القرافة وهو فيما بين سور القلعة والجبل * والدرفيل هو الامير حسام الدين لاجين الايدمري المعروف بالدرفيل دوادار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري مات في سنة اثنتين وسبعين وستمائة *(دار العدل القديمة) هذه الدار موضعها الآن تحت القلعة يعرف بالطبلخاناه والذى بنى دار العدل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري في سنة احدى وستين وستمائة وصار يجلس بها لعرض العساكر في كل اثنين وخميس وابتدأ بالحضور فى أول سنة اثنتين وستين وستمائة فوقف اليه ناصر الدين محمد بن أبي نصر وشكا انه أخذ له بستان فى أيام المعز ايبك وهو بأيدى المقطعين وأخرج كتاباً مثبتا وأخرج من ديوان الجيش ما يشهد بأن البستان ليس من حقوق الديوان فأمر برده عليه فتسلمه وأحضرت مرافعة في ورقة مختومة رفعها خادم أسود فى مولاه القاضى شمس الدين شيخ الحنابلة تضمنت انه يبغض السلطان ويتمنى زوال دولته فانه لم يجعل للحنابلة مدرسا فى المدرسة التى أنشأها بخط بين القصرين ولم يول قاضياً حنبليا وذكر عنه أموراً قادحة فبعث السلطان الورقة الى الشيخ فحضر اليه وحلف انه ماجرى منه شيء وأن هذا الخادم طردته فاختلق علىّ ماقال فقبل السلطان عذره وقال ولو شتمتني أنت فى حل وأمر بضرب الخادم مائة عصا وغلت الاسعار بمصر حتى بلغ أردب

القمح نحو مائة درهم وعدم الخبز فنادى السلطان فى الفقراء أن يجتمعوا تحت القلعة ونزل في يوم الخميس سابع ربيع الآخر منها وجلس بدار العدل هـذه ونظر في أمر السعر وأبطل التسعير وكتب مرسوماً الى الامراء ببيع خمسمائة أردب في كل يوم ما بين مائتين الى مادونهما حتي لا يشترى الخزان شيئاً وأن يكون البيع للضعفاء والارامل فقط دون من عداهم وأمر الحجاب فنزلوا تحت القلعـة وكتبوا أسماء الفقراء الذين تجمعوا بالرميلة وبعث الى كل جهـة من جهات القاهرة ومصر وضواحيهما حاجباً لـكتابة أسماء الفقراء وقال والله لو كان عنـدى غلة تـكفى هؤلاء لفرقتها ولمـا انتهى احضار الفقراء أخذ منهم لنفسه ألوفاً وجعل باسم ابنـه الملك السعيد ألوفا وأمر ديوان الجيش فوزع باقيهم على كل أمير من الفقراء بعدة رجاله ثم فرق ما بقى على الاجناد ومفاردة الحلقة والمقدمين والبحرية وجعل طائفة التركمان ناحية وطائفة الاكراد ناحية وقرر لـكل واحد من الفقراء كفايته لمدة ثلاثة اشهر فلما تسـلم الامراء والاجناد ماخصهم من الفقراء فرق من بقى منهم على الاكابر والتجار والشهود وعين لارباب الزوايا مائة اردب قمح في كل يوم تخرج من الشون السلطانية الى جامع أحمد بن طولون وتفرق على من هناك ثم قال هؤلاء المساكين الذين جمعناهم اليوم ومضى النهار لابدلهم من شئ وأمر ففرق في كل منهم نصف درهم ليتقوت به في يومه ويستمر له من الغد ماتقرر فأنفق فيهم جملة مال وأعطى للصاحب بهاء الدين على ابن محمد بن حنا طائفة كبيرة من العميان وأخذ الاتابك سيف الدين اقطاى طائفة التركمان ولم يبق أحـد من الخواص والامراء الحواشى ولا من الحجاب والولاة وارباب المناصب وذوى المراتب واصحاب الاموال حتي أخذ جماعة من الفقراء على قدر حاله وقال السلطان للامير صارم الدين المسعودى والى القاهرة خذ مائة فقير وأطعمهم لله تعالى فقال نعم قد أخذتهم دائما فقال له السلطان هذا شئ فعلته ابتداء من نفسك وهذه المائة خذها لاجلى فقال للسلطان السمع والطاعة وأخذ مائة فقير زيادة على المائة التي عينت له وانقضى النهار في هـذا العمل وشرع الناس في فتح الشون والمخازن وتفرقة الصدقات على الفقراء فنزل سعر القمح ونقص الاردب عشرين درهما وقل وجود الفقراء الى أن جاء شهر رمضان وجاء المغل الجديد فأول يوم من بيع الجديد نقص سعر أردب القمح أربعـين درهما ورقا وفى اليوم الذى جلس فيـه السلطان بدار العدل للنظر فى أمور الاسعار قرئت عليه قصة ضمان دار الضرب وفيها انه قد توقفت الدراهم وسألوا ابطال النـاصرية فان ضمانهم بمبلغ مائتى ألف وخمسين ألف درهم فوقع عليها يحط عنهم منها مبلغ خمسين ألف درهم وقال نحط هـذا ولا نؤذى الناس في أموالهم * وفي مستهل شهر رجب منها جلس أيضاً بدار العدل فوقف له بعض الاجناد بصغير يتيم ذكر أنه وصيه وشكا من قضيته فقال السلطان

لقاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز ان الاجناد اذا مات أحد منهم استولى خجداشه على موجوده فيموت الوصي ويكبر اليتيم فلا يجد له مالا وتقدم اليه أن لا يمكن وصياً من الانفراد بتركة ميت ولكن يكون نظر القاضى شاملا له وتصير أموال الايتام مضبوطة بامناء الحكم ثم انه استدعى نقباء العساكر وأمرهم بذلك فاستمر الحال فيه على ماذكر * وفى خامس عشرى شعبان سنة ثلاث وستين وستمائة جلس بدار العدل واستدعى تاج الدين ابن القرطبي وقال له قد أضجرتنى مما تقول عندى بمصالح لبيت المال فتحدث الآن بما عندك فتكلم في حق قاضي القضاة تاج الدين وفي حق متولى جزيرة سواكن وفي حق الامراء وانهم اذا مات منهم أحد أخذ ورثته اكثر من استحقاقهم فأنكر عليه وأمر بحبسه وتحدث السلطان فى أمر الاجناد وانه اذا مات أحدهم في مواطن الجهاد لا يصل اليه شاهد حتى يشهد عليه بوصيته وانه يشهد بعض اصحابه فاذا حضر الى القاهرة لا تقبل شهادته وكان الجندى في ذلك الوقت لا تقبل شهادته فرأى السلطان أن كل امير يعين من جماعته عدة ممن يعرف خيره ودينه ليسمع قولهم وألزم مقدمى الاجناد بذلك فشرع قاضي القضاة في اختيار رجال جياد من الاجناد وعينهم لقبول شهادتهم ففرحت العساكر بذلك وجلس أيضا فى تاسع عشريه بدار العدل فوقف له شخص وشكا أن الاملاك الديوانية لا يمكن أحد من سكانها أن ينتقل منها فأنكر السلطان ذلك وأمر أن من انقضت مدة اجارته وأراد الخلو فلا يمنع من ذلك وله فى ذلك عدة أخبار كلها صالحة رحمه الله تعالى ومابرحت دار العدل هذه باقية الى أن استجد السلطان الملك المنصور قلاون الايوان فهجرت دار العدل هذه الى أن كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فهدمها السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاون وعمل موضعها الطبلخاناه فاستمرت طبلخاناه الى يومنا الا انه كان في ايام عمارتها انما يجلس بها دائما فى ايام الجلوس نائب دار العدل ومعه القضاة وموقع دار العدل والامراء فينظر نائب دار العدل فى امور المتظلمين وتقرأ عليه القصص وكان الامر على ذلك في ايام الظاهر بيبرس وأيام ابنه الملك السعيد بركة ثم أيام الملك المنصور قلاون *(الايوان) المعروف بدار العدل هذا الايوان أنشأه السلطان الملك المنصور قلاون الالفى الصالحى النجمى ثم جدده ابنه السلطان الملك الاشرف خليل واستمر جلوس نائب دار العدل به فلما عمل الملك الناصر محمد بن قلاون الروك أمر بهدم هذا الايوان فهدم واعاد بناءه على ماهو عليه الآن وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام به عمدا عظيمة نقلها اليه من بلاد الصعيد ورخمه ونصب في صدره سرير الملك وعمله من العاج والآبنوس ورفع سمك هذا الايوان وعمل أمامه رحبة فسيحة مستطيلة وجعل بالايوان باب سر من داخل القصر وعمل باب الايوان مسبوكا من حديد بصناعة بديعة تمنع الداخل اليه وله منه باب يغلق فاذا أراد أن يجلس فتح حتى ينظر منه

ومن تخاريم الحديد بقية العسكر الواقفين بساحـة الايوان وقرر للجلوس فيه بنفسه يوم الاثنين ويوم الخميس فاستمر الامر على ذلك وكان أولا دون ماهو اليوم فوسع في قبته وزاد في ارتفاعه وجعل قدامه دركاه كبيرة فجاء من اعظم المباني الملوكية وأول ماجلس فيه عنـد انتهاء عمل الروك بعد مارسم لنقيب الجيش ان يستدعى سائر الاجناد فلما تكامل حضورهم جلس وعين أن يحضر في كل يوم مقدما ألوف بمضافيهما فكان المقدم يقف بمضافيه ويستدعي بمضافيه من تقدمته على قدر منازلهم فيتقدم الجندى الى السلطان فيسأله أنت ابن من ومملوك من ثم يعطيه مثالا واستمر على ذلك من مستهل المحرم سنة خمس عشرة وسبعمائة الى مستهل صفر منها وما برح بعد ذلك يواظب على الجلوس به فى يومي الاثنين والخميس وعنده أمراء الدولة والقضاة والوزير وكاتب السر وناظر الجيش وناظر الخاص وكتاب الدست وتقف الاجناد بين يديه على قدر اقدارهم فلما مات الملك الناصر اقتدى به في ذلك أولاده من بعده واستمروا على الجلوس بالايوان الى أن استبد بمملـكة مصر الملك الظاهر برقوق فالتزم ذلك أيضا الا أنه صار يجلس فيه اذا طلعت الشمس جلوسا يسيرا يقرأ عليه فيه بعض قصص لا لمعني سوى اقامة رسوم المملـكة فقط وكان من قبله من ملوك بني قلاون انما يجلسون بالايوان سحرا على الشمع وكان موضع جلوس السلطان في الايوان للنظر في المظالم فأعرض الملك الظاهر عن ذلك وجعل لنفسه يومين يجلس فيهما بالاصطبل السلطانى للحكم بين الناس كما سيأتى ذكره عن قريب ان شاء الله تعالى وصـار الايوان في أيام الظاهر برقوق وأيام ابنه الملك الناصر فرج وأيام الملك المؤيد شيخ انما هو شئ من بقايا الرسوم الملوكية لاغير

(ذكر النظر في المظالم)

اعلم أن النظر فى المظالم عبارة عن قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة وكان من شروط الناظر في المظالم أن يكون جليل القدر نافذ الامر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع لانه يحتاج في نظره الى سطوة الحماة وتثبت القضاة فيحتاج الى الجمع بين صفتى الفريقين وأن يكون بجلالة القدر نافذ الامر في الجهتين وهي خطة حدثت لفساد الناس وهى كل حكم يعجز عنه القاضى فينظر فيه من هو أقوى منـه يدا وأول من نظر في المظالم من الخلفاء امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وأول من أفرد للظلامات يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين من غـير مباشرة النظر عبد الملك بن مروان فكان اذا وقف منها على مشكل واحتاج فيها الى حكم ينفذ رده الى قاضيه ابن ادريس الازدى فينفذ فيه أحكامه وكان ابن ادريس هو المباشر وعبد الملك الآمر ثم زاد الجور فكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها ثم جلس لها خلفاء بني العباس وأول من جلس منهم المهدى محمد ثم الهادي

موسى ثم الرشيد هارون ثم المأمون عبد الله وآخر من جلس منهم المهتدى بالله محمد بن الواثق وأول من أعلم أنه جلس بمصر من الامراء للنظر في المظالم الامير أبو العباس أحمد بن طولون فكان يجلس لذلك يومين في الاسبوع فلما مات وقام من بعده ابنه أبو الجيش خارويه جعل على المظالم بمصر محمد بن عبيدة بن حرب في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائتين ثم جلس لذلك الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى وابتدأ ذلك في سنة أربعين وثلثمائة وهو يومئذ خليفة الامير أبي القاسم أو نوجور بن الاخشيد فعقد مجلسا صار يجلس فيه كل يوم سبت ويحضر عنده الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات وسائر القضاة والفقهاء والشهود ووجوه البلد وما برح على ذلك مدة أيامه بمصر الى أن مات فلم ينتظم امر مصر بعده الى أن قدم القائد أبو الحسين جوهر بجيوش المعز لدين الله أبي تميم معد فكان يجلس للنظر في المظالم ويوقع على رقاع المتظلمين فمن توقيعاته بخطه على قصة رفعت اليه سوء الاجترام اوقع بكم طول الانتقام • وكفر الانعام • اخرجكم من حفظ الذمام • فالواجب فيكم ترك الايجاب • واللازم لكم ملازمة الاجتناب • لانكم بدأتم فأسأتم • وعدتم فتعديتم • فابتداؤكم ملوم • وعودكم مذموم • وليس بينهما فرجة تقتضى الا الذم لكم • والاعراض عنكم • ليرى أمير المؤمنين رأيه فيكم • ولما قدم المعز لدين الله الى مصر وصارت دار خلافة استقر النظر في المظالم مدة يضاف الى قاضى القضاة وتارة ينفرد بالنظر فيه أحد عظماء الدولة فلما ضعف جانب المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر وكانت الشدة العظمى بمصر قدم أمير الجيوش بدر الجمالى الى القاهرة وولى الوزارة فصار أمر الدولة كله راجعا اليه واقتدي به من بعده من الوزراء وكان الرسم في ذلك أن الوزير صاحب السيف يجلس للمظالم بنفسه ويجلس قبالته قاضي القضاة وبجانبه شاهدان معتبران ويجلس بجانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال ويقف بين يدى الوزير صاحب الباب واسفهسلار العساكر وبين أيديهما الحجاب والنواب على طبقاتهم ويكون هذا الجلوس يومين في الاسبوع وآخر من تقلد المظالم فى الدولة الفاطمية رزيك ابن الوزير الاجل الملك الصالح طلائع بن رزيك في وزارة ابيه وكتب له سجل عن الخليفة منه وقد قلدك أمير المؤمنين النظر فى المظالم وانصاف المظلوم من الظالم وكانت الدولة اذا خلت من وزير صاحب سيف جلس للنظر في المظالم صاحب الباب في باب الذهب من القصر وبين يديه الحجاب والنقباء وينادى مناد بحضرته يا أرباب الظلامات فيحضرون اليه فمن كانت ظلامته مشافهة أرسلت الى الولاة أو القضاة رسالة بكشفها ومن تظلم من اهل النواحي التي خارج القاهرة ومصر فانه يحضر قصة فيها شرح ظلامته فيتسلمها الحاجب منه حتى تجتمع القصص فيدفعها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل بعد توقيعه عليها الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما أشار اليه الموقع بالقلم الدقيق ثم تحمل التواقيع فى خريطة الى ما بين

يدي الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج في خريطتها الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع الى صاحبه * وأول من بنى دار العدل من الملوك السلطان الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي رحمة الله تعالى عليه بدمشق عند ما بلغه تعدي ظلم نواب أسد الدين شيركوه بن شادى الى الرعية وظلمهم الناس وكثرة شكواهم الى القاضي كمال الدين الشهرزوري وعجزه عن مقاومتهم فلما بنيت دار العدل أحضر شيركوه نوابه وقال ان نور الدين ما أمر ببناء هذه الدار الا بسببي والله لئن أحضرت الى دار العدل بسبب أحد منكم لاصلبنه فامضوا الى كل من كان بينكم وبينه منازعة في ملك أو غيره فافصلوا الحال معه وأرضوه بكل طريق أمكن ولو أتى على جميع ما بيدي فقالوا ان الناس اذا علموا بذلك اشتطوا فى الطلب فقال لخروج أملاكي عن يدى أسهل على من أن يراني نور الدين بعين أنى ظالم أو يساوى بيني وبين أحد من العامة في الحكومة فخرج أصحابه وعملوا ما أمرهم به من ارضاء أخصامهم وأشهدوا عليهم فلما جلس نور الدين بدار العدل في يومين من الاسبوع وحضر عنده القاضي والفقهاء أقام مدة لم يحضر أحد يشكو شيركوه فسأل عن ذلك فعرف بما جري منه ومن نوابه فقال الحمد لله الذى جعل اصحابنا ينصفون من أنفسهم قبل حضورهم عندنا وجلس أيضاً السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في يومي الاثنين والخميس لاظهار العدل ولما تسلطن الملك المعز أيبك التركماني أقام الامير علاء الدين ايدكين البندقداري في نيابة السلطنة بديار مصر فواظب الجلوس فى المدارس الصالحية بين القصرين ومعه نواب دار العدل ليرتب الامور وينظر في المظالم فنادى باراقة الخمور وابطال ما عليها من المقرر وكان قد كثر الارجاف بمسير الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الشام لاخذ مصر فلما انهزم الملك الناصر واستبد الملك المعز أيبك أحدث وزيره من المكوس شيأ كثيرا ثم ان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى بني دار العدل وجلس بها للنظر فى المظالم كما تقدم فلما بنى الايوان الملك الناصر محمد بن قلاون واظب الجلوس يوم الاثنين والخميس فيه وصار يفصل فيه الحكومات فى الاحايين اذا أعيي من دونه فصلها فلما استبد الملك الظاهر برقوق بالسلطنة عقد لنفسه مجلسا بالاصطبل السلطانى من قلعة الجبل وجلس فيه يوم الاحد ثامن عشرى شهر رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة وواظب ذلك فى يومى الاحد والاربعاء ونظر فى الجليل والحقير ثم حول ذلك الى يومى الثلاثاء والسبت وأضاف اليهما يوم الجمعة بعد العصر وما زال على ذلك حتى مات فلما ولى ابنه الملك الناصر فرج بعده واستبد بأمره جلس للنظر في المظالم بالاصطبل اقتداء بأبيه وصار كاتب السر فتح الدين فتح الله يقرأ القصص عليه كما كان يقرؤها على أبيه فانتفع اناس وتضرر آخرون

بذلك وكان الضرر أضعاف النفع ثم لما استبد الملك المؤيد شيخ بالمملكة جلس أيضا للنظر في المظالم كما جلسا والأمر على ذلك مستمر الى وقتنا هذا وهو سنة تسع عشرة وثمانمائة وقد عرف النظر في المظالم منذ عهد الدولة التركية بديار مصر والشام بحكم السياسة وهو يرجع الى نائب السلطنة وحاجب الحجاب ووالى البلد ومتولى الحرب بالاعمال وسيرد ان شاء الله تعالى الكلام في حكم السياسة عن قريب

(ذكر خدمة الايوان المعروف بدار العدل)

كانت العادة أن السلطان يجلس بهذا الايوان بكرة الاثنين والخميس طول السنة خلا شهر رمضان فانه لا يجلس فيه هذا المجلس وجلوسه هذا انما هو للمظالم وفيه تكون الخدمة العامة واستحضار رسل الملوك غالبا فاذا جلس للمظالم كان جلوسه على كرسى اذا قعد عليه يكاد تلحق الارض رجله وهو منصوب الى جانب المنبر الذى هو تخت الملك وسرير السلطنة وكانت العادة أولا أن يجلس قضاة القضاة من المذاهب الاربعة عن يمينه واكبرهم الشافعي وهو الذى يلى السلطان ثم الى جانب الشافعى الحنفى ثم المالكى ثم الحنبلي والى جانب الحنبلي الوكيل عن بيت المال ثم الناظر فى الحسبة بالقاهرة ويجلس على يسار السلطان كاتب السر وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين المعروفين بكتاب الدست وموقعي الدست تكملة حلقة دائرة فان كان الوزير من أرباب الاقلام كان بين السلطان وكاتب السر وان كان الوزير من أرباب السيوف كان واقفاً على بعد مع بقية أرباب الوظائف وان كان نائب السلطنة فانه يقف مع أرباب الوظائف ويقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من السلاحدارية والجمدارية والخاصكية ويجلس على بعد بقدر خمسة عشر ذراعا عن يمنته ويسرته ذوو السن والقدر من أكابر أمراء المئين ويقال لهم أمراء المشورة ويليهم من أسفل منهم أكابر الامراء وأرباب الوظائف وهم وقوف وبقية الامراء وقوف من وراء أمراء المشورة ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادارية لاعطاء قصص الناس واحضار الرسل وغيرهم من الشكاة وأصحاب الحوائج والضرورات فيقرأ كاتب السر وموقعو الدست القصص على السلطان فان احتاج الى مراجعة القضاة راجعهم فيما يتعلق بالامور الشرعية والقضايا الدينية وما كان متعلقا بالعسكر فان كانت القصص فى أمراء الاقطاعات قرأها ناظر الجيش فان احتاج الى مراجعة فى أمر العسكر تحدث مع الحاجب وكاتب الجيش فيه وما عدا ذلك يأمر فيه السلطان بما يراه وكانت العادة الناصرية أن تكون الخدمة فى هذا الايوان على ماتقدم ذكره في بكرة يوم الاثنين وأما بكرة يوم الخميس فان الخدمة على مثل ذلك الا انه لايتصدى السلطان فيه لسماع القصص ولا يحضره أحد من القضاة ولا الموقعين ولا كاتب الجيش الا ان عرضت حاجة الى طلب أحد منهم وهذا القعود عادته طول

السنة ماعدا رمضان وقد تغير بعد الايام الناصرية هذا الترتيب فصارت قضاة القضاة تجلس عن يمنة السلطان ويسرته فيجلس الشافعي عن يمينه ويليه المالكى ويليه قاضى العسكر ثم محتسب القاهرة ثم مفتي دار العدل الشافعى ويجلس الحنفى عن يسرة السلطان ويليه الحنبلى وصارت القصص تقرأ والقضاة وناظر الجيش يحضرون فى يوم الخميس أيضا وكانت العادة أيضا انه اذا ولى أحد المماليك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون فانه عندولايته يحضر الامراء الى داره بالقلعة وتفاض عليه الخلعة الخليفية السوداء ومن تحتها فرجية خضراء وعمامة سوداء مدورة ويقلد بالسيف العربى المذهب ويركب فرس النوبة ويسير والامراء بين يديه والغاشية قدامه والجاويشية تصيح والشبابة السلطانية ينفخ بهاوالطبردارية حواليه الى أن يعبر من باب النحاس الى درج هذا الايوان فينزل عن الفرس ويصعد الى التخت فيجلس عليه ويقبل الامراء الارض بين يديه ثم يتقدمون اليه ويقبلون يده على قدر رتبهم ثم مقدمو الحلقة فاذا فرغوا حضر القضاة والخليفة فتفاض التشاريف على الخليفة ويجلس مع السلطان على التخت ويقلد السلطان المملكة بحضور القضاة والامراء ويشهد عليه بذلك ثم ينصرف ومعه القضاة فيمد السماط للامراء فاذا انقضى أكلهم قام السلطان ودخل المقصورة وانصرف الامراء * ومما قيل في هذا الايوان لما بناه السلطان الملك الناصر

شرفت أيواناً جلست بصدره * فشرحت بالاحسان منه صدورا
قد كاد يستعلى الفراقد رفعة * اذ حاز منك الناصر المنصورا
ملك الزمان ومن رعية ملكه * من عدله لايظلمون نقيرا
لازال منصور اللواء مؤيدا * أبد الزمان وضده مقهورا

وقيل أيضاً

ياملكا اطلع من وجهه * ايوانه لما بدا بدراً
انسيتنا بالعدل كسرى ولن * نرضى لنا جبرا به كسرا

* (القصر الابلق) * هذا القصر يشرف على الاصطبل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في شعبان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وانتهت عمارته في سنة أربع عشرة وأنشأ بجواره جنينة ولما كمل عمل فيه سماطاً حضره الامراء وأهل الدولة ثم أفيضت عليهم الخلع وحمل الى كل أمير من أمراء المئين ومقدمى الالوف ألف دينار ولكل من مقدمى الحلقة خمسمائة درهم ولكل من أمراء الطبلخاناه عشرة آلاف درهم فضة عنها خمسمائة دينار فبلغت النفقة على هذا المهم خمسمائة الف الف درهم وخمسمائة الف درهم وكانت العادة أن يجلس السلطان بهذا القصر كل يوم للخدمة ماعدا يومي الاثنين والخميس فانه يجلس للخدمة بدار العدل كما تقدم ذكره وكان يخرج الى هذا القصر من القصور الجوانية فيجلس تارة على

تحت الملك المنصوب بصدر ايوان هذا القصر المطل على الاصطبل وتارة يقعـد دونه على الارض والامراء وقوف على ماتقدم خلا أمراء المشورة والقرباء من السلطان فانه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس ولا يحضر هذا المجلس من الامراء الكبار الا من دعت الحاجـة الى حضوره ولا يزال السلطان جالسا الى الثالثة من النهـار فيقوم ويدخل الى قصـوره الجوانية ثم الى دار حريمه ونسائه ثم يخرج فى أخريات النهار الى قصوره الجوانية فينظر في مصالح ملـكه ويعبر اليه الى قصوره الجوانية خاصته من أرباب الوظائف فى الاشغـال المتعلقة به على ماتدعو الحاجة اليه ويقال لها خدمة القصر وهذا القصر تجاه بابه رحبـة يسلك اليها من الرحبة التي تجاه الايوان فيجلس بالرحبة التي على باب القصر خواص الامراء قبل دخولهم الى خدمة القصر ويمشى من باب القصر فى دهاليز مفروشة بالرخام قد فرش فوقه أنواع البسط الى قصر عظيم البناء شاهق فى الهواء بايوانين أعظمهما الشمالى يطل منه على الاصطبلات السلطانية ويمتد النظر الى سوق الخيل والقاهرة وظواهرها الى نحو النيل وما يليه من بلاد الجيزة وقراها وفى الايوان الثاني القبلي باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه إلى الايوان الـكبير أيام الموكب ويدخل من هذا القصر الى ثلاثة قصور جوانية منها واحد مسامت لارض هذا القصر واثنان يصعد اليهما بدرج في جميعها شبابيك حديد تشرف على مثل منظرة القصر الـكبير وفي هذه القصور كلها مجارى الماء مرفوعا من النيل بدواليب تديرها الابقار من مقره الى موضع ثم الى آخر حتي ينتهى الماء الى القلعـة ويدخل الى القصور السلطانية والى دور الامراء الخواص المجاورين للسلطان فيجرى الماء في دورهم وتدور به حماماتهم وهو من عجائب الاعمال لرفعته من الارض الى السماء قريباً من خمسمائة ذراع من مكان الى مكان ويدخل من هذه القصور الى دور الحريم وهذه القصور جميعهـا من ظاهرها مبنية بالحجر الاسود والحجر الاصفر موزرة من داخلها بالرخام والفصوص المذهبة المشجرة بالصدف والمعجون وأنواع الملونات وسقوفها كلها مذهبة قد موهت باللازورد والنور يخرق فى جدرانها بطاقات من الزجاج القبرسى الملون كقطع الجوهر المؤلفة في العقود وجميع الاراضى قد فرشت بالرخام المنقول اليها من اقطار الارض مما لا يوجـد مثله وتشرف الدور السلطانية من بعضها على بساتين واشجار وساحات للحيوانات البديعة والابقار والاغنام والطيور الدواجن وسيأتى ان شاء الله تعالى ذكر هذه القصور والبساتين والاحواش مفصلا * وكان بهذا القصر الابلق رسوم وعوايد تغير كثير منها وبطل معظمها وبقيت الى الآن بقايا من شعار المملكة ورسوم السلطنة وسأقص من أنباء ذلك ان شاء الله تعالى مالا تراه بغير هذا الـكتاب مجموعا والله يؤتى فضله من يشاء *(الاسمطة السلطانية) وكانت العادة أن يمد بالقصر في طرفي النهار من كل يوم أسمطة جليلة لعامة الأمراء خلا

البرانيين وقليل ماهم فبكرة يمد سماط أول لايأكل منه السلطان ثم ثان بعده يسمى الخاص قد يأكل منه السلطان وقد لايأكل ثم ثالث بعده ويسمى الطارى ومنه مأكول السلطان وأما في آخر النهار فيمتد سماطان الاول والثاني المسمى بالخاص ثم ان استدعي بطار حضر والا فلا ماعدا المشوى فانه ليس له عادة محفوظة النظام بل هو على حسب مايرسم به وفي كل هذه الاسمطة يؤكل ما عليها ويفرق نوالات ثم يدتى بعدها الاقسماء المعمولة من السكر والافاويه المطيبة بماء الورد المبردة وكانت العادة أن يبيت في كل ليلة بالقرب من السلطان أطباق فيها أنواع من المطجنات والبوارد والقطر والقشطة والجبن المقلى والموز والسكاج وأطباق فيها من الاقسماء والماء البارد برسم أرباب النوبة فى السهر حول السلطان ليتشاغلوا بالمأكول والمشروب عن النوم ويكون الليل مقسوما بينهم بساعات الرمل فاذا انتهت نوبة نبهت التي تليها ثم ذهبت هى فنامت الى الصباح هكذا أبدا سفرا وحضرا وكانت العادة أيضاً أن يبيت في المبيت السلطانى من القصر أو المخيم ان كان فى السرحة المصاحف الكريمة لقراءة من يقرأ من أرباب النوبة ويبيت أيضاً الشطرنج ليتشاغل به عن النوم* وبلغ مصروف السماط في كل يوم عيد الفطر من كل سنة خمسين ألف درهم عنها نحو ألفين وخمسمائة دينار تنهبه الغلمان والعامة وكان يعمل في سماط الملك الظاهر برقوق فى كل يوم خمسة آلاف رطل من اللحم سوى الاوز والدجاج وكان راتب المؤيد شيخ في كل يوم لسماطه وداره ثمانمائة رطل من اللحم فلما كان فى المحرم سنة ست وعشرين وثمانمائة سأل الملك الاشرف برسباى عن مقدار ما يطبخ له فى كل يوم بكرة وعشياً فقيل له ستمائة رطل فى الوجبتين فأمر أن يطبخ بين يديه لانه بلغه أنه يؤخذ مما ذكر لشاد الشرابخاناه ونحوه مائة وعشرون رطلا فجعل راتب اللحم فى كل يوم بزيادة أيام الخدمة ونقصان أيام عدم الخدمة خمسمائة رطل وستة أرطال عن وجبتى الغداء والعشاء ومن الدجاج ستة وعشرين طائرا ولعمل المامونية رطلين ونصفاً من السكر وما يعمل برسم الجدارية فانه يعسل النحل

(ذكر العلامة السلطانية)

قد جرت العادة أن السلطان يكتب خطه على كل مايأمر به فأما مناشير الامراء والجند وكل من له اقطاع فانه يكتب عليه علامته وكتبها الملك الناصر محمد بن قلاون (الله أملي) وعمل ذلك الملوك بعده الى اليوم وأما تقاليد النواب وتواقيع أرباب المناصب من القضاة والوزراء والكتاب وبقية أرباب الوظائف وتواقيع أرباب الرواتب والاطلاقات فانه يكتب عليها اسمه واسم أبيه ان كان أبوه ملكا فيكتب مثلا محمد بن قلاون أو شعبان بن حسين أو فرج بن برقوق وان لم يكن أبوه ممن تسلطن كبرقوق أو شيخ فانه يكتب اسمه فقط ومثاله برقوق أو شيخ وأما كتب البريد وخلاص الحقوق والظلامات فانه يكتب أيضاً

عليها اسمه وربما كرّم المكتوب اليه فكتب اليه أخوه فلان أو والده فلان وأخوه يكتب للاكابر من أرباب الرتب والذى يعلم عليه السلطان اما اقطاع فالرسم فيه أن يقال خرج الامر الشريف واما وظائف ورواتب واطلاقات فالرسم في ذلك أن يقال رسم بالامر الشريف وأعلى مايعلم عليه ما افتتح بخطبة أولها الحمد لله ثم ما افتتح بخطبة أولها أما بعد حمد الله حتى يأتى على خرج الامر في المناشير أو رسم بالامر في التواقيع ثم بعد هذا أنزل الرتب وهو أن يفتتح في المناشير خرج الامر وفى التواقيع رسم بالامر وتمتاز المناشير المفتتح فيها بالحمد لله أول الخطبة أن تطغر بالسواد وتتضمن اسم السلطان وألقابه وقد بطلت الطغرا في وقتنا هذا وكانت العادة أن يطالع نواب المملكة السلطان بما يتجدد عندهم تارة على أيدي البريدية وتارة على أجنحة الحمام فتعود اليهم الاجوبة السلطانية وعليها العلامة فاذا ورد البريدي أحضره أمير جاندار وهو من أمراء الالوف والدوادار وكاتب السر بين يدى السلطان فيقبل البريدى الارض ويأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدى ثم يناوله للسلطان فيفتحه ويجلس حينئذ كاتب السر ويقرأه على السلطان سرا فان كان أحد من الامراء حاضرا تنحى حتى يفرغ من القراءة ويأمر السلطان فيه بأمر وان كان الخبر على أجنحة الحمام فانه يكتب في ورق صغير خفيف ويحمل على الحمام الازرق وكان لحمام الرسائل مراكز كما كان للبريد مراكز وكان بين كل مركزين من البريد أميال وفى كل مركز عدة خيول كما بيناه فى ذكر الطريق فيما بين مصر والشام وكانت مراكز الحمام كل مركز منها ثلاثة مراكز من مراكز البريد فلا يتعدى الحمام ذلك المركز وينقل عند نزوله المركز ماعلى جناحه الي طائر آخر حتى يسقط بقلعة الجبل فيحضره البراج ويقرأ كاتب السر البطاقة وكل هذا مما يعلم عليه بالقصر ومما كان يحضر الي القصر بالقلعة في كل يوم ورقة الصباح يرفعها والى القاهرة ووالى مصر وتشتمل على انهاء ما تجدد في كل يوم وليلة بحارات البلدين وأخطاطهما من حريق أو قتل قتيل أو سرقة سارق ونحو ذلك ليأمر السلطان فيه بأمره *(الاشرفية) هذا القصر المعروف بالاشرفية أنشأه الملك الاشرف خليل بن قلاون فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة ولما فرغ صنع به مهماً عظيما لم يعمل مثله فى الدولة التركية وختن أخاه الملك الناصر محمد بن قلاون وابن أخيه الامير موسى بن الصالح على بن قلاون وجمع سائر أرباب الملاهى وجميع الامراء ووقف الخزندارية بأكياس الذهب فلما قام الامراء من الخاصكية للرقص نثر الخزندارية على كل من قام للرقص حتى فرغ الختان فأنعم على كل أمير من الامراء بفرس كامل القماش وألبس خلعة عظيمة وأنعم على عدة منهم كل واحد بألف دينار وفرس وأنعم على ثلاثين من الامراء الخاصكية لكل واحد مبلغ خمسة آلاف دينار وأنعم على البلبيل المغني بألف دينار وكان الذى عمل فى هذا المهم

من الغنم ثلاثة آلاف رأس ومن البقر ستمائة رأس ومن الخيل خمسمائة اكديش ومن السكر برسم المشروب ألف قنطار وثمانمائة قنطار وبرسم الحلوى مائة وستون قنطارا وبلغت النفقة على هـذا المهم في عمل السماط والمشروب والاقبية والطراز والسروج وثياب النساء مبلغ ثلثمائة ألف دينار عينا *(اليسرية) ومن جملة دور القلعة قاعة اليسرية أنشأها السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون وكان ابتداء بنائها في أول يوم من شعبان سنة احدى وستين وسبعمائة ونهاية عمارتها في ثامن عشرى ذى الحجة من السنة المذكورة فجاءت من الحسن في غاية لم ير مثلها وعمل لهـذه القاعة من الفرش والبسط مالا تدخل قيمته تحت حصر فمن ذلك تسعة وأربعون ثريا برسم وقود القناديل جملة مادخل فيها من الفضة البيضاء الخالصة المضروبة مائتا ألف وعشرون ألف درهم وكلها مطلية بالذهب وجاء ارتفاع بناء هذه القاعة طولا في السماء ثمانية وثمانين ذراعا وعمل السلطان بها برجا يبيت فيه من العاج والآبنوس مطعم يجلس بين يديه واكناف وباب يدخل منه الى أرض كذلك وفيه مقرنص قطعة واحدة يكاد يذهل الناظر اليه بشبابيك ذهب خالص وطرازات ذهب مصوغ وشرافات ذهب مصوغ وقبة مصوغة من ذهب صرف فيه ثمـانية وثلاثون ألف مثقـال من الذهب وصرف في مؤنه وأجره تتمة ألف ألف درهم فضة عنها خمسون ألف دينار ذهبا وبصدر ايوان هذه القاعة شباك حديد يقارب باب زويلة يطل على جنينة بديعة الشكل * (الدهيشة) عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون في سنة خمس وأربعين وسبعمائة وذلك أنه بلغه عن الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه أنه عمر بحماه دهيشة لم ير مثلها فقصد مضاهاته وبعث الامير أقجبا والجيبج المهندس لكشف دهيشة حماه وكتب لنـائب حلب ونائب دمشق بحمل ألفى حجر بيض وألفى حجر حمر من حلب ودمشق وحشرت الجمال لحملها حتى وصلت الى قلعة الجبل وصرف في حمولة كل حجر من حلب اثنا عشر درهما ومن دمشق ثمانية دراهم واستدعى الرخام من سائر الامراء وجميع الـكتاب ورسم باحضار الصـناع للعمل ووقع الشروع فيها حتى تمت في شهر رمضان منها وقد بلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم سوى ماقدم من دمشق وحلب وغيرهما وعمل لها من الفرش والبسط والآلات مايجل وصفه وحضر بها سائر الاغاني وكان مهما عظيما *(السبع قاعات) هذه القاعات تشرف على الميدان وباب القرافة عمرها الملك الناصر محمد بن قلاون وأسكنها سراريه ومات عن ألف ومائتى وصيفة مولدة سوى من عداهن من بقيـة الاجناس *(الجامع بالقلعة) هذا الجامع أنشأه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكان قبـل ذلك هناك جامع دون هـذا فهدمه السلطان وهدم المطبخ والحوائجخاناه والفراشخاناه وعمله جامعا ثم أخربه في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وبناه

هذا البناء فلما تم بناؤه جلس فيه واستدعى جميع مؤذني القاهرة ومصر وجميع القراء والخطباء وعرضوا بين يديه وسمع تأذينهم وخطابتهم وقراءتهم فاختار منهم عشرين مؤذناً رتبهم فيه وقرر فيه درس فقه وقارئاً يقرأ في المصحف وجعل عليه أوقافاً تكفيه وتفيض وصار من بعده من الملوك يخرجون أيام الجمع الى هـذا الجامع ويحضر خاصة الامراء معه من القصر ويجيء باقيهم من باب الجامع فيصلي السلطان عن يمين المحراب في مقصورة خاصة به ويجلس عنده أكابر خاصته ويصلي معه الامراء خاصتهم وعامتهم خارج المقصورة عن يمنتها ويسرتها على مراتبهم فاذا انقضت الصلاة دخل الى قصوره ودور حرمه وتفرق كل أحد الى مكانه وهـذا الجامع متسع الارجاء مرتفع البناء مفروش الارض بالرخام مبطن السقوف بالذهب وبصدره قبة عالية يليها مقصورة مستورة هي والرواقات بشبابيك الحديد المحكمة الصنعة ويحف صحنه رواقات من جهاته *(الدار الجديدة) هذه الدار عند باب سر القلعة المطل على سوق الخيل عمرها الملك الظاهر بيبرس البندقداري في سنة أربع وستين وستمائة وعمل بها في جمادى الاولى منها دعوة للامراء عند فراغها *(خزانة الكتب) وقع بها الحريق يوم الجمعة رابع صفر سنة احدى وتسعين وستمائة فتلف بها من الكتب في الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شئ كثير جدا كان من ذخائر الملوك فانتهبها الغلمان وبيعت أوراقاً محرقة ظفر الناس منها بنفائس غريبة ما بين ملاحم وغيرها وأخذوها بأبخس الاثمان *(القاعة الصالحية) عمرها الملك الصالح نجم الدين أيوب وكانت سكن الملوك الى أن احترقت في سادس ذي الحجة سنة أربع وثمانين وستمائة واحترق معها الخزانة السلطانية *(باب النحاس) هذا الباب من داخل الستارة وهو أجل أبواب الدور السلطانية عمره الناصر محمد بن قلاون وزاد في سعة دهليزه *(باب القلة) عرف بذلك من أجل انه كان هناك قلة بناها الملك الظاهر بيبرس وهدمها الملك المنصور قلاون في يوم الاحد عاشر شهر رجب سنة خمس وثمانين وستمائة وبنى مكانها قبة فرغت عمارتها في شوال منها ثم هدمها الملك الناصر محمد بن قلاون وجدد باب القلة على ماهو عليه الآن وعمل له بابا ثانياً *(الرفرف) عمره الملك الاشرف خليل بن قلاون وجعله عاليا يشرف على الجيزة كلها وبيضه وصور فيه أمراء الدولة وخواصها وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها وكان مجلسا يجلس فيه السلطان واستمر جلوس الملوك به حتى هدمه الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وعمل بجواره برجا بجوار الاصطبل نقل اليه المماليك *(الجب) كان بالقلعة جب يحبس فيه الامراء وكان مهولا مظلما كثير الوطاويط كريه الرائحة يقاسي المسجون فيه ماهو كالموت أو أشد منه عمره الملك المنصور قلاون في سنة احدي وثمانين وستمائة فلم يزل الى أن قام الامير بكتمر الساقي في أمره مع

الملك الناصر محمد بن قلاون حتى أخرج من كان فيه من المحابيس ونقلهم الى الابراج وردمه وعمر فوق الردم طباقا في سنة تسع وعشرين وسبعمائة * (الطبلخاناه تحت القلعة) ذكر هشام بن الكلبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم الشام تلقاه المقلسون من أهل الاديان بالسيوف والريحان فكره عمر رضى الله عنه النظر اليهم وقال ردوهم فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه انها سنة الاعاجم فان منعتهم ظنوا أنه نقض لعهدهم فقال عمر رضى الله عنه دعوهم والتقليس الضرب بالطبل أو الدف * وهذه الطبلخاناه الموجودة الآن تحت القلعة فيما بين باب السلسلة وباب المدرج كانت دار العدل القديمة التي عمرها الملك الظاهر بيبرس وتقدم خبرها فلما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة هدمها الناصر محمد بن قلاون وبناها هذه الطبلخاناه الموجودة الآن تحت قلعة الجبل فيما بين باب السلسلة وبين باب المدرج وصار ينزل الى عمارتها كل قليل وتولى شد العمارة بها آق سنقر شاد العمائر ووجد في أساسها أربعة قبور كبار المقدار عليها قطع رخام منقوش عليها أسماء المقبورين وتاريخ وفاتهم فنبشوا ونقلوا قريباً من القلعة فكانوا خلقا كبيرا عظيما في الطول والعرض على بعضهم ملاءة دبيقية ملونة ساعة مستها الايدى تمزقت وتطايرت هباء وفيهم اثنان عليهما آلة الحرب وعدة الجهاد وبهما آثار الدماء والجراحات وفي وجه أحدهما ضربة سيف بين عينيه والجرح مسدود بقطنة فلما أمسكت القطنة ورفعت عن الجرح فوق الحاجب نبع من تحتها دم يظن أنه جرح طري فكان في ذلك موعظة وذكرى وكانت الطبلخاناه ساحة بغير سقف فلما ولى الامير سودون طاز أميراخور وسكن الاصطبل السلطاني عمر هذه الطباق فوق الطباق وكان الغرض من عمارتها صحيحاً فان المدرسة الاشرفية كانت حينئذ قائمة تجاه الطبلخاناه ولما كان زمان الفتن بين أمراء الدولة تحصن فوقها طائفة ليرموا على الاصطبل والقلعة فأراد ببناء هذه الطباق فوق الطباق أن يجعل بها رماة حتى لايقدر أحد يقيم فوق المدرسة الاشرفية وقد بطل ذلك فان الملك الناصر فرج بن برقوق هدم المدرسة الاشرفية كما ذكر في هذا الكتاب عند ذكر المدارس * (الطباق بساحة الايوان) عمرها الملك الناصر محمد بن قلاون وأسكنها المماليك السلطانية وعمر حارة تختص بهم وكانت الملوك تعنى بها غاية العناية حتى ان الملك المنصور قلاون كان يخرج في غالب أوقاته الى الرحبة عند استحقاق حضور الطعام للمماليك ويأمر بعرضه عليه ويتفقد لحمهم ويختبر طعامهم في جودته ورداءته فمتى رأى فيه عيبا اشتد على المشرف والاستادار ونهرهما وحل بهما منه أى مكروه وكان يقول كل الملوك عملوا شيئا يذكرون به مابين مال وعقار وأنا عمرت أسوارا وعملت حصونا مانعة لى ولاولادى وللمسلمين وهم المماليك وكانت المماليك أبدا تقيم بهذه الطباق لا تبرح فيها فلما تسلطن الملك الاشرف خليل بن قلاون سمح للمماليك أن ينزلوا من القلعة في النهار

ولا يبيتوا الا بها فكان لايقـدر أحد منهم أن يبيت بغيرها ثم ان الملك الناصر محمـد بن
قلاون سمح لهم بالنزول الى الحمـام يوما فى الاسبوع فكانوا ينزلون بالنوبة مع الخـدام ثم
يعودون آخر نهارهم ولم يزل هذا حالهم الى أن انقرضت أيام بنى قلاون وكانت للمماليك
بهذه الطباق عادات جميلة أولها أنه اذا قدم بالمملوك تاجره عرضه على السلطـان ونزله فى
طبقة جنسه وسلمه لطواشى برسم الـكتابة فأول مايبدأ به تعليمه مايحتاج اليـه من القرآن
الـكريم وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر اليها كل يوم ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعـالى
ومعرفة الخط والتمرن بآداب الشريعة وملازمة الصلوات والاذكار وكان الرسم اذ ذاك أن
لايجلب التجار الا المماليك الصغار فاذا شب الواحد من المماليك علمه الفقيه شيئاً من الفقـه
واقرأه فيه مقدمة فاذا صار الى سن البلوغ أخذ فى تعليمه أنواع الحرب من رمى السهام
ولعب الرمح ونحو ذلك فيتسلم كل طائفة معـلم حتى يبلغ الغاية فى معرفة مايحتاج اليـه واذا
ركبوا الى لعب الرمح أو رمى النشاب لايجسر جندى ولا أمير أن يحدثهم أويدنومنهم فينقل
اذن الى الخدمة ويتنقل فى أطوارها رتبة بعد رتبة الى أن يصير من الامراء فلا يبلغ هذه
الرتبة الا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت آدابه وامتزج تعظيم الاسلام وأهله بقلبه واستدساعده
في رماية النشاب وحسن لعبه بالرمح ومرن على ركوب الخيل ومنهم من يصير فى رتبة فقيه
عارف أو أديب شاعر أو حاسب ماهر هذا ولهم أزمة من الخدام واكابر من رؤس النوب
يفحصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافي ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ويناقشونه على
حركاته وسكناته فان عثر أحد من مؤدبيه الذي يعلمه القرآن أو الطواشى الذى هو مسـلم
اليه أو رأس النوبة الذى هو حاكم عليه على انه اقترف ذنباً أو أخل برسم أو ترك أدباً من
آداب الدين أو الدنيا قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه وبلغ من تأديبهم أن
مقدم المماليك كان اذا أتاه بعض مقدمى الطباق في السحر يشاور على مملوك أنه يغتسل من
جنابة فيبعث من يكشف عن سبب جنابته ان كان من احتلام فينظر في سراويله هل فيه
جنابة أم لا فان لم يجد به جنابة جاءه الموت من كل مكان فلذلك كانوا سادة يدبرون الممالك
وقادة يجاهدون فى سبيل الله وأهل سياسة يبالغون في اظهار الجميل ويردعون من جار
أو تعدى وكانت لهم الادرارات الـكثيرة من اللحوم والاطعمة والحلاوات والفواكه
والـكسوات الفاخرة والمعاليم من الذهب والفضة بحيث تتسع أحوال غلمانهم ويفيض عطاؤهم
على من قصدهم ثم لـما كانت أيام الظاهر برقوق راعى الحال فى ذلك بعض الشئ الى أن
زالت دولته في سنة احدى وتسعين وسبعمائة فلما عاد الى المملكة رخص للمماليـك في
سكنى القاهرة وفي التزوج فنزلوا من الطباق من القلعة ونكحوا نساء أهل المدينة واخلدوا
الى البطالة ونسوا تلك العوايد ثم تلاشت الاحوال في أيام الناصر فرج بن برقوق وانقطعت

الرواتب من اللحوم وغيرها حتى عن مماليك الطباق مع قلة عددهم ورتب لكل واحد منهم في اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس فصار غذاؤهم في الغالب الفول المصلوق عجزا عن شراء اللحم وغيره هذا وبقي الجلب من المماليك انما هم الرجال الذين كانوا في بلادهم مابين ملاح سفينة ووقاد في تنور خباز ومحول ماء في غيط أشجار ونحو ذلك واستقر رأى الناصر على أن تسليم المماليك للفقيه يتلفهم بل يتركون وشؤنهم فبدلت الارض غير الارض وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم وأخسهم قدرا وأشحهم نفساً وأجهلهم بأمر الدنيا واكثرهم اعراضا عن الدين مافيهم الا من هو أزنى من قرد وألص من فأرة وأفسد من ذئب لاجرم أن خربت أرض مصر والشام من حيث يصب النيل الى مجرى الفرات بسوء ايالة الحكام وشدة عبث الولاة وسوء تصرف أولي الامر حتي انه مامن شهر الا ويظهر من الخلل العام مالا يتدارك فرطه وبلغت عدة المماليك السلطانية في أيام الملك المنصور قلاون ستة آلاف وسبعمائة فأراد ابنه الاشرف خليل تكميل عدتها عشرة آلاف مملوك وجعلهم طوائف فأفرد طائفتى الارمن والجركس وسماها البرجية لانه أسكنها فى أبراج بالقلعة فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة وأفرد جنس الخطا والقبجاق وأنزلهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمرذية وجعل منهم جمدارية وسقاة وسماهم خاصكية وعمل البرجية سلاحدارية وجمقدارية وجاشنكيرية وأوشاقية ثم شغف الملك الناصر محمد بن قلاون بجلب المماليك من بلاد أزبك وبلاد تورز وبلاد الروم وبغداد وبعث في طلبهم وبذل الرغائب للتجار في حملهم اليه ودفع فيهم الاموال العظيمة ثم أفاض على من يشتريه منهم أنواع العطاء من عامة الاصناف دفعة واحدة في يوم واحد ولم يراع عادة ابيه ومن كان قبله من الملوك في تنقل المماليك في أطوار الخدم حتى يتدرب ويتمرن كما تقدم وفي تدريجه من ثلاثة دنانير في الشهر الى عشرة دنانير ثم نقله من الجامكية الى وظيفة من وظائف الخدمة بل اقتضى رأيه أن يملأ أعينهم بالعطاء الكثير دفعة واحدة فأتاه من المماليك شئ كثير رغبة فيما لديه حتي كان الاب يبيع ابنه للتاجر الذى يجلبه الى مصر وبلغ ثمن المملوك في أيامه الى مائة ألف درهم فما دونها وبلغت نفقات المماليك في كل شهر الى سبعين ألف درهم ثم تزايدت حتي صارت في سنة ثمان واربعين وسبعمائة مائتين وعشرين ألف درهم *(دار النيابة) كان بقلعة الجبل دار نيابة بناها الملك المنصور قلاون في سنة سبع وثمانين وستمائة سكنها الامير حسام الدين طرنطاى ومن بعده من نواب السلطنة وكانت النواب تجلس بشباكها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأبطل النيابة وأبطل الوزارة أيضا فصار موضع دار النيابة ساحة فلما مات الملك الناصر أعاد الامير قوصون دار النيابة عند استقراره في نيابة السلطنة

فلم تكمل حتى قبض عليه فولى نيابة السلطنة الامير طشتمر حمص أخضر وقبض عليه فتولى بعده نيابة السلطنـة الامير شمس الدين آق سنقر في أيام الملك الصالح اسماعيل ابن الملك الناصر محمـد بن قلاون فجلس بها في يوم السبت أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة في شباك دار النيابة وهو أول من جلس بها من النواب بعد تجديدها وتوارثها النواب بعده وكانت العادة أن يركب جيوش مصر يومى الاثنين والخميس في الموكب تحت القلعة فيسيرون هناك من رأس الصوة الى باب القرافة ثم تقف العسكر مع نائب السلطنة وينادي على الخيل بينهم وربما نودى على كثير من آلات الجند والخيم والجركاوات والاسلحـة وربما نودى على كثير من العقار ثم يطلعون الى الخدمة السلطانية بالايوان بالقلعة على ما تقدم ذكره فاذا مثل النائب فى حضرة السلطان وقف فى ركن الايوان الى أن تنقضى الخدمة فيخرج الى دار النيابة والامراء معـه ويعد السماط بين يديه كما يعد سماط السلطان ويجلس جلوسا عاماً للناس وتحضره أرباب الوظائف وتقف قدامه الحجاب وتقرأ القصص وتقـدم اليه الشكاة ويفصل أمورهم فكان السلطان يكتفى بالنائب ولا يتصدى لقراءة القصص عليه وسماع الشكوى تعويلا منه على قيام النائب بهذا الامر واذا قرئت القصص على النائب نظر فان كان مرسومه يكفى فيها أصدره عنه وما لا يكفى فيه الا مرسوم السلطان أمر بكتابته عن السلطان وأصدره فيكتب ذلك وينبه فيـه على انه باشارة النائب ويميز عن نواب السلطان بالممالك الشامية بأن يعبر عنه بكافل المملكة الشريفة الاسلامية وما كان من الامور التي لابد له من احاطة علم السلطان بها فانه اما أن يعلمه بذلك منه اليـه وقت الاجتماع به أو يرسل الى السلطان من يعلمه به ويأخذ رأيه فيـه وكان ديوان الاقطاع وهو الجيش فى زمان النيابة ليس لهم خدمة الا عند النائب ولا اجتماع الا به ولا يجتمع ناظر الجيش بالسلطان في أمر من الامور فلما أبطل الملك الناصر محمد بن قلاون النيابة صار ناظر الجيش يجتمع بالسلطان واستمر ذلك بعد اعادة النيابة وكان الوزير وكاتب السر يراجعان النـائب في بعض الامور دون بعض ثم اضمحلت نيابة السلطنة في أيام الناصر محمد بن قلاون وتلاشت أوضاعها فلما مات أعيدت بعده ولم تزل الى أثناء أيام الظاهر برقوق وآخر من وليها على أكثر قوانينها الامير سودون الشيخي وبعـده لم يل النيابة أحد في الايام الظاهرية ثم ان الناصر فرج بن برقوق أقام الامير تمراز في نيابة السلطنة فلم يسكن دار النيابة في القلعـة ولا خرج عما يعرفه من حال حاجب الحجاب ولم يل النيابة بعـد تمراز أحد الى يومنا هـذا وكانت حقيقة النائب أنه السلطان الثانى وكانت سائر نواب الممالك الشامية وغيرها تكاتبه في غالب ماتكاتب فيه السلطان ويراجعونه فيـه كما يراجع السلطان وكان يستخدم الجند ويخرج الاقطاعات من غير مشاورة ويعين الامرة لكن بمشاورة السلطان وكان النائب هو المتصرف

المطلق التصرف فى كل أمر فيراجع في الجيش والمال والخبر وهو البريد وكل ذى وظيفة لايتصرف الابامره ولايفصل أمرا معضلا الابمراجعته وهو الذي يستخدم الجند ويرتب في الوظائف الاماكان منها جليلا كالوزارة والقضاء وكتابة السر والجيش فانه يعرض على السلطان من يصلح وكان قل أن لايجاب فى شئ يعينه وكان من عدا نائب السلطنة بديار مصر يليه فى رتبة النيابة وكل نواب الممالك تخاطب بملك الامراء الا نائب السلطنة بمصر فانه يسمى كافل الممالك تمييزا له وابانة عن عظيم محله وبالحقيقة ماكان يستحق اسم نيابة السلطنة بعد النائب بمصر سوى نائب الشام بدمشق فقط وانما كانت النيابة تطلق أيضا على أكابر نواب الشام وليس لاحد منهم من التصرف ماكان لنائب دمشق الا أن نيابة السلطنة بحلب تلى رتبة نيابة السلطنة بدمشق وقد اختلت الآن الرسوم واتضعت الرتب وتلاشت الاحوال وعادت اسماء لا معنى لها وخيالات حاصلها عدم والله يفعل ما يشاء

(ذكر جيوش الدولة التركية وزيها وعوايدها)

اعلم انه قدكان بقلعة الجبل مكان معد لديوان الجيش وأدركت منه بقية الى أثناء دولة الظاهر برقوق وكان ناظر الجيش وسائر كتاب الجيش لا يبرحون في أيام الخدمة نهارهم مقيمين بديوان الجيش وكانت لهـذا الديوان عوايد قد تغير أكثرها ونسى غالب رسومه وكانت جيوش الدولة التركية بديار مصر على قسمين منهم من هو بحضرة السلطان ومنهم من هو فى أقطار المملكة وبلادها وسكان بادية كالعرب والتركمان وجندها مختلط من أتراك وجركس وروم وأكراد وتركمان وغالبهم من المماليك المبتاعين وهم طبقات أكابرهم من له امرة مائة فارس وتقدمة ألف فارس ومن هـذا القبيل تكون أكابر النواب وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين ثم أمراء الطبلخاناه ومعظمهم من تكون له امرة أربعين فارسا وقد يوجد فيهم من له أزيد من ذلك الى السبعين ولاتكون الطبلخاناه لاقل من أربعين ثم أمراء العشراوات ممن تكون له امرة عشرة وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولايعدون فى أمراء العشراوات ثم جند الحلقـة وهؤلاء تكون مناشيرهم من السلطان كما أن مناشير الامراء من السلطان وأما أجناد الامراء فمناشيرهم من أمرائهم وكان منشور الامير يعين فيه للامير ثلث الاقطاع ولاجناده الثلثان فلا يمكن الامير ولا مباشروه أن يشاركوا أحدا من الاجناد فيما يخصهم الا برضاهم وكان الامير لايخرج أحداً من أجناده حتى يتبين للنائب موجب يقتضي اخراجه فحينئذ يخرجه نائب السلطان ويقيم عند الامير عوضه وكان لـكل أربعين جنـدياً من جند الحلقة مقدم عليهم ليس له عليهم حكم الا اذا خرج العسكر لقتال فكانت مواقف الاربعين مع مقدمهم وترتيبهم في موقفهم اليـه ويبلغ بمصر اقطاع بعض أكابر أمراء المئين المقدمين من السلطان مائتي ألف دينار جيشية وربما زاد على ذلك وأما

غيرهم فدون ذلك يعبر أقلها الى ثمانين ألف دينار وما حولها وأما الطبلخاناه فمن ثلاثين ألف دينار الى ثلاثة وعشرين ألف دينار وأما العشراوات فأعلاها سبعة آلاف دينار الى مادونها وأما اقطاعات أجناد الحلقة فأعلاها ألف وخمسمائة دينار وهذا القدر وما حوله اقطاعات أعيان مقدمى الحلقة ثم بعد ذلك الاجناد بابات حتى يكون أدناهم مائتين وخمسين دينارا وسيرد تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى • وأما اقطاعات جند الامراء فانها على ما يراه الامير من زيادة بينهم ونقص • وأما اقطاعات الشام فانها لا تقارب هذا بل تكون على الثلثين مما ذكرنا ما خلا نائب السلطنة بدمشق فانه يقارب اقطاعه أعلى اقطاعات أكابر أمراء مصر المقربين وجميع جند الامراء تعرض بديوان الجيش ويثبت اسم الجندي وحليته ولا يستبدل أميره به غيره الا بتنزيل من عوض به وعرضه وكانت للامراء على السلطان فى كل سنة ملابس ينعم بها عليهم ولهم فى ذلك حظ وافر وينعم على أمراء المئين بخيول مسرجة ملجمة ومن عداهم بخيول عرى ويميز خاصتهم على عامتهم وكان لجميع الامراء من المئين والطبلخاناه والعشراوات على السلطان الرواتب الجارية فى كل يوم من اللحم وتوابله كلها والخبز والشعير لعليق الخيل والزيت ولبعضهم الشمع والسكر والكسوة في كل سنة وكذلك لجميع مماليك السلطان وذوى الوظائف من الجند وكانت العادة اذا نشأ لاحد الامراء ولد أطلق له دنانير ولحم وخبز وعليق حتي يتأهل للاقطاع فى جملة الحلقة ثم منهم من ينتقل الى امرة عشرة أو الى امرة طبلخاناه بحسب الحظ واتفق للاميرين طرنطاي وكتبغا أن كلا منهما زوج ولده بابنة الآخر وعمل لذلك المهم العظيم ثم سأل الامير طرنطاى وهو اذ ذاك نائب السلطان الامير بيلبك الايدمرى والامير طيبرس أن يسألا السلطان الملك المنصور قلاون في الانعام على ولده وولد الامير كتبغا باقطاعين فى الحلقة فقال لهما والله لو رأيتهما في مصاف القتال يضربان بالسيف أو كانا في زحف قدامي أستقبح أن أعطى لهما اخبازا في الحلقة خشية أن يقال أعطى الصبيان الاخباز ولم يجب سؤالهما هذا وهم من قد عرفت لكن كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله اذا مات الجندى أعطى اقطاعه لولده فان كان صغيرا رتب معه من يلى أمره حتي يكبر فكان أجناده يقولون الاقطاعات أملا كنا يرثها اولادنا الولد عن الوالد فنحن نقاتل عليها وبه اقتدى كثير من ملوك مصر في ذلك وللامراء المقدمين حوائص ذهب في وقت الركوب الى الميدان ولكل أمير من الخواص على السلطان مرتب من السكر والحلوى في شهر رمضان ولسائرهم الاضحية فى عيد الاضحى على مقادير رتبهم ولهم البرسيم لتربيع دوابهم ويكون في تلك المدة بدل العليق المرتب لهم وكانت الخيول السلطانية تفرق على الامراء مرتين في كل سنة مرة عند مايخرج السلطان الى مرابط خيوله في الربيع عند

اكتمال تربيتها ومرة عند لعبه بالاكرة في الميدان ولخاصة السلطان المقربين زيادة كثيرة من ذلك بحيث يصل الى بعضهم في السنة مائة فرس ويفرق السلطان أيضا الخيول على المماليك السلطانية في أوقات أخر وربما يعطى بعض مقدمي الحلقة ومن نفق له فرس من المماليك يحضر من لحمه والشهادة بأنه نفق فيعطى بدله ولخاصة السلطان المقربين انعام من الانعامات كالعقارات والابنية الضخمة التى ربما أنفق على بعضها زيادة على مائة ألف دينار ووقع هذا في الايام الناصرية مرارا كما ذكر عند ذكر الدور من هذا الكتاب ولهم أيضا تساوى القماش المنوع ولهم عند سفرهم الى الصيد وغيره العلوفات والانزال وكانت لهم آداب لايخلون بها منها انهم اذا دخلوا الى الخدمة بالايوان أو القصر وقف كل أمير في مكانه المعروف به ولا يجسر أحد منهم ولا من المماليك أن يحدث رفيقه فى الخدمة ولا بكلمة واحدة ولا يلتفت الى نحوه أيضاً ولا يجسر أحد منهم ولا من المماليك أن يجتمع بصاحبه فى نزهة ولا فى رمي النشاب ولا غير ذلك ومن بلغ السلطان عنه أنه اجتمع بآخر نفاه أو قبض عليه واختلف زى الامراء والعساكر في الدولة التركية وقد بينا ما كان عليه زيهم حتى غيره الملك المنصور قلاون عند ذكر سوق الشرابشيين وصار زيهم اذا دخلوا الى الخدمة بالاقبية التترية والكلاوات فوقها ثم القباء الاسلامى فوقها وعليه تشد المنطقة والسيف ويتميز الامراء والمقدمون وأعيان الجند بلبس اقبية قصيرة الاكمام فوق ذلك وتكون اكمامها اقصر من القباء التحتانى بلا تفاوت كبير فى قصر الكم والطول وعلى رؤسهم كلهم كلوتات صغار غالبها من الصوف الملطي الاحمر وتضرب ويلف فوقها عمائم صغار ثم زادوا فى قدر الكلوتات وما يلف فوقها في أيام الامير يلبغا الخاصكي القائم بدولة الاشرف شعبان بن حسين وعرفت بالكلوتات الطرخانية وصاروا يسمون تلك الصغيرة ناصرية فلما كانت أيام الظاهر برقوق بالغوا في كبر الكلوتات وعملوا في شدتها عوجا وقيل لها كلوتات جركسية وهم على ذلك الى اليوم ومن زيهم لبس المهماز على الاخفاف ويعمل المنديل في الحياصة على الصولق من الجانب الايمن ومعظم حوائص المماليك فضة وفيهم من كان يعملها من الذهب وربما عملت باليشم وكانت حوائص امراء المئين الاكابر التى تخرج اليهم مع الخلع السلطانية من خزانة الخاص يرصع ذهبها بالجواهر وكان معظم العسكر يلبس الطرز ولا يكفت مهمازه بالذهب ولا يلبس الطراز الامن له اقطاع في الحلقة وأما من هو بالجامكية أو من اجناد الامراء فلا يكفت مهمازه بالذهب ولا يلبس طرازا وكانت العساكر من الامراء وغيرهم تلبس المنوع من الكمخا والخطاى والكنجي والمخمل والاسكندرانى والشرب ومن النصافي والاصواف الملونة ثم بطل لبس الحرير فى أيام الظاهر برقوق واقتصروا الى اليوم على لبس الصوف الملون فى الشتاء ولبس النصافي المصقول فى الصيف وكانت العادة أن السلطان يتولي بنفسه استخدام الجند فاذا وقف

قدامه من يطلب الاقطاع المحلول ووقع اختياره على أحد أمر ناظر الجيش بالكتابة له فيكتب ورقة مختصرة تسمى المثال مضمونها حيز فلان كذا ثم يكتب فوقه اسم المستقر له ويناولها السلطان فيكتب عليها بخطه يكتب ويعطيها الحاجب لمن رسم له فيقبل الارض ثم يعاد المثال الى ديوان الجيش فيحفظ شاهدا عندهم ثم تكتب مربعة مكملة بخطوط جميع مباشري ديوان الاقطاع وهم كتاب ديوان الجيش فيرسمون علاماتهم عليها ثم تحمل الى ديوان الانشاء والمكاتبات فيكتب المنشور ويعلم عليه السلطان كما تقدم ذكره ثم يكمل المنشور بخطوط كتاب ديوان الجيش بعد المقابلة على حجة أصله واستجد السلطان الملك المنصور قلاون طائفة سماها البحرية وهي أن البحرية الصالحية لما تشتتوا عند قتل الفارس اقطاى في أيام المعز أيبك بقيت أولادهم بمصر في حالة رذيلة فعند ماأفضت السلطنة الى قلاون جمعهم ورتب لهم الجوامك والعليق واللحم والكسوة ورسم أن يكونوا جالسين على باب القلعة وسماهم البحرية والى اليوم طائفة من الاجناد تعرف بالبحرية وأما البلاد الشامية فليس للنائب بالمملكة مدخل فى تأمير أمير عوض أمير مات بل اذا مات أمير سواء كان كبيرا أو صغيرا طولع السلطان بموته فأمر عوضه اما ممن فى حضرته ويخرجه الى مكان الخدمة أو ممن هو في مكان الخدمة أو ينقل من بلد آخر من يقع اختياره عليه وأما جند الحلقة فانهم اذا مات أحدهم استخدم النائب عوضه وكتب المثال على نحو من ترتيب السلطان ثم كتب المربعة وجهزها مع البريد الى حضرة السلطان فيقابل عليها فى ديوان الاقطاع ثم ان امضاها السلطان كتب عليها يكتب فتكتب المربعة من ديوان الاقطاع ثم يكتب عليها المنشور كما تقدم في الجند الذين بالحضرة وان لم يمضها السلطان أخرج الأقطاع لمن يريد ومن مات من الامراء والجند قبل استكمال مدة الخدمة حوسب ورثته على حكم الاستحقاق ثم اما يرتجع منهم أو يطلق لهم على قدر حصول العناية بهم واقطاعات الامراء والجند منها ماهو بلاد يستغلها مقطعها كيف شاء ومنها ماهو نقد على جهات يتناولها منها ولم يزل الحال على ذلك حتى راك الملك الناصر محمد بن قلاون البلاد كما تقدم في أول هذا الكتاب عند الكلام على الخراج ومبلغه فأبطل عدة جهات من المكوس وصارت الاقطاعات كلها بلادا والذى استقر عليه الحال في اقطاعات الديار المصرية مما رتبه الملك الناصر محمد بن قلاون فى الروك الناصرى وهو عدة الجيوش المنصورة بالديار المصرية أربعة وعشرون ألف فارس تفصيل ذلك أمراء الالوف ومماليكهم ألفان وأربعمائة وأربعة وعشرون فارسا تفصيل ذلك نائب ووزير والوف خاصكية ثمانية أمراء وألوف خرجية أربعة عشر أميرا ومماليكهم ألفان وأربعمائة فارس * أمراء طبلخاناه ومماليكهم ثمانية آلاف ومائتا فارس تفصيل ذلك خاصكية أربعة وخمسون اميرا وخرجية مائة وستة وأربعون أميرا ومماليكهم ثمانية آلاف فارس *

كشاف وولاة بالاقاليم خمسمائة وأربعة وسبعون. تفصيل ذلك ثغر الاسكندرية واحد والبحيرة واحد . والغربية واحد . والشرقية واحد. والمنوفية واحد. وقطيا واحد. وكاشف الجيزة واحد. والفيوم واحد .والبهنسا واحد. والاشمونين واحد. وقوص واحد .واسوان واحد. وكاشف الوجه البحري واحد. وكاشف الوجه القبلي واحد . ومماليكهم خمسمائة وستون* أمراء العشراوات ومماليكهم ألفان ومائتا فارس. تفصيل ذلك خاصكية ثلاثون . وخرجية مائة وسبعون أميرا ومماليكهم ألفان* ولاة الاقاليم سبعة وسبعون اميرا .تفصيلهم اشمون الرمان واحد وقليوب واحد .والجيزة واحد. وتروجا واحد. وحاجب الاسكندرية واحد .واطفيح واحد ومنفلوط واحد . ومماليكم سبعون فارسا* .مقدمو الحلقة والاجناد أحد عشر ألفا ومائة وستة وسبعون فارسا .تفصيل ذلك مقدمو المماليك السلطانية أربعون. مقدموا الحلقة مائة وثمانون نقباء الالوف أربعة وعشرون نقيبا . مماليك السلطان وأجناد الحلقة عشرة آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا . تفصيل ذلك مماليك السلطان ألفا مملوك .أجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا * عبرة ذلك الخاصكية الالوف والنائب والوزير كل منهم مائة ألف دينار وكل دينار عشرة دراهم. الارتفاع ألف ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال كل أردب واحد من القمح بعشرين درهما. والحبوب كل أردب منها بعشرة دراهم من ذلك الكلف مائة ألف درهم والخالص تسعمائة ألف درهم * الالوف الخرجية كل منهم خمسة وثمانون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم .الارتفاع ثمانمائة ألف وخمسون ألفا بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح فيه .من ذلك الكلف سبعون ألف درهم والخالص لكل منهم سبعمائة وثمانون ألف درهم * الطبلخاناه الخاصكية كل منهم أربعون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم. الارتفاع أربعمائة ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح فيه. من ذلك الكلف خمسة وثلاثون ألف درهم والخالص لكل منهم ثلثمائة وخمسة وستون ألف درهم * الطبلخاناه الخرجية ثلاثون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم . الارتفاع مائتا ألف وأربعون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح من ذلك. الكلف أربعة وعشرون ألف درهم والخالص مائتا ألف وستة عشر ألف درهم * العشراوات الخاصكية كل منهم عشرة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم. الارتفاع مائتا ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح. من ذلك الكلف سبعة آلاف درهم والخالص لكل منهم ثلاثة وتسعون ألف درهم * العشراوات الخرجية كل منهم سبعة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم. الارتفاع سبعون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح . من ذلك الكلف خمسة آلاف درهم لكل منهم خمسة وستون ألف درهم * الكشاف لكل منهم عشرون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم .الارتفاع مائة ألف وستون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح

من ذلك الكلفة خمسة عشر ألف درهم والخالص مائة ألف وخمسة وأربعون ألف درهم* الولاة الاصطبلخاناه كل منهم خمسة عشر ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم . الارتفاع مائة وعشرون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح . من ذلك الكلف عشرة آلاف درهم والخالص لكل منهم مائة ألف وعشرة آلاف درهم * الولاة العشراوات لكل منهم خمسة آلاف دينار كل دينار سبعة دراهم . الارتفاع خمسة وثلاثون ألف درهم بما فيه من ثمن المغل على ماشرح . من ذلك الكلف ثلاثة آلاف درهم والخالص لكل منهم اثنان وثلاثون ألف درهم * مقدمو مماليك السلطان كل منهم ألف ومائتا دينار كل دينار عشرة دراهم . الارتفاع اثنا عشر ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ماشرح . من ذلك الكلف ألف درهم والخالص لكل منهم أحد عشر ألف درهم * مقدمو الحلقة كل منهم ألف دينار كل دينار تسعة دراهم . الارتفاع تسعة آلاف درهم بما فيه من ثمن الغلال . من ذلك الكلف تسعمائة درهم والخالص لكل منهم ثمانية آلاف درهم ومائة درهم * نقباء الالوف لكل منهم أربعمائة دينار كل دينار تسعة دراهم . الارتفاع ثلاثة آلاف وستمائة درهم بما فيه من ثمن الغلال . من ذلك الكلف أربعمائة درهم والخالص لكل منهم ثلاثة آلاف ومائتا درهم *مماليك السلطان ألفان* بابة أربعمائة مملوك لكل منهم ألف وخمسمائة دينار كل دينار عشرة دراهم عنها خمسة عشر ألف درهم * بابة خمسمائة مملوك كل واحد ألف وثلثمائة دينار سعره عشرة دراهم عنها ثلاثة عشر ألف درهم * بابة خمسمائة مملوك لكل منهم ألف دينار ومائتا دينار عنها اثنا عشر ألف درهم * بابة ستمائة مملوك لكل واحد ألف دينار عنها عشرة آلاف درهم * أجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارساً * بابة ألف وخمسمائة فارس لكل منهم تسعمائة دينار بتسعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا لكل منهم ثمانمائة دينار بثمانية آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا كل منهم سبعمائة دينار عنها سبعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة جندى لكل منهم ستمائة دينار بستة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة كل منهم بخمسمائة دينار بخمسة آلاف درهم * بابة ألف ومائة جندى لكل منهم أربعمائة دينار بأربعة آلاف درهم * بابة ألف واثنين وثلاثين جنديا لكل منهم ثلثمائة دينار سعر عشرة دراهم عنها ثلاثة آلاف درهم * وأرباب الوظائف من الامراء بعد النيابة والوزارة أمير سلاح والدوادار والحجبة وأمير جاندار والاستادار والمهمندار ونقيب الجيوش والولاة * فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاون حدث بين أجناد الحلقة نزول الواحد منهم عن اقطاعه لآخر بمال أو مقايضة الاقطاعات بغيرها فكثر الدخيل فى الاجناد بذلك واشترت السوقة والاراذل الاقطاعات حتى صار في زمننا أجناد الحلقة أكثرهم أصحاب حرف وصناعات وخربت منهم أراضي اقطاعاتهم *

وأول ماحدث ذلك أن السلطان الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاون لما تسلطن فى شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة تمكن منه الامير شجاع الدين اغرلو شاد الدواوين واستجد أشياء منها المقايضة بالاقطاعات في الحلقة والنزول عنها فكان من أراد مقايضة أحد باقطاعه حمل كل منهما مالا لبيت المال يقرر عليهما ومن اختار حيزا بالحلقة يزن على قدر عبرته في السنة دنانير يحملها لبيت المال فان كانت عبرة الحيز الذى يريده خمسمائة دينار في السنة حمل خمسمائة دينار ومن أراد النزول عن اقطاعه حمل مالالبيت المال بحسب مايقرر عليه اغرلو وأفرد لذلك ولما يؤخذ من طالبى الوظائف والولايات ديوانا سماه ديوان البدل وكان يعين فى المنشور الذى يخرج بالمقايضة المبلغ الذى يقوم به كل من الجنديين وكان ابتداء هذا في جمادى الاولى من السنة المذكورة فقام الامراء في ذلك مع السلطان حتى رسم بابطاله فلما ولى الامير منجك اليوسفى الوزارة وسيره في المال فتح في سنة تسع وأربعين باب النزول والمقايضات فكان الجندى يبيع اقطاعه لكل من بذل له فيه مالا فأخذ كثير من العامة الاقطاعات فكان يبذل في الاقطاع مبلغ عشرين ألف درهم واقل منه على قدر متحصله وللوزير رسم معلوم ثم منع من ذلك فلما كانت نيابة الامير سيف الدين قبلاى فى سنة ثلاث وخمسين مشى أحوال الاجناد فى المقايضات والنزولات فاشترى الاقطاعات الباعة وأصحاب الصنائع وبيعت تقادم الحلقة وانتدب لذلك جماعة عرفت بالمهيسين بلغت عدتهم نحو الثلثمائة مهيس وصاروا يطوفون على الاجناد ويرغبونهم فى النزول عن اقطاعاتهم او المقايضة بها وجعلوا لهم على كل ألف درهم مائة درهم فلما فحش الامر أبطل الامير شيخون العمرى النزولات والمقايضات عند ما استقر رأس نوبة واستقل بتدبير أمور الدولة وتقدم لمباشرى ديوان الجيش أن لايأخذوا رسم المنشور والمحاسبة سوى ثلاثة دراهم بعد ما كانوا يأخذون عشرين درهما

* (ذكر الحجبة) *

وكانت رتبة الحجبة في الدولة التركية جليلة وكانت تلى رتبة نيابة السلطنة ويقال لأكبر الحجبة حاجب الحجاب وموضوع الحجبة أن متوليها ينصف من الامراء والجند تارة بنفسه وتارة بمشاورة السلطان وتارة بمشاورة النائب وكان اليه تقديم من يعرض ومن يرد وعرض الجند فان لم يكن نائب السلطنة فانه هو المشار اليه فى الباب والقائم مقام النواب في كثير من الامور وكان حكم الحاجب لايتعدى النظر في مخاصمات الاجناد واختلافهم في أمور الاقطاعات ونحو ذلك. ولم يكن أحد من الحجاب فيما سلف يتعرض للحكم في شيء من الامور الشرعية كتداعى الزوجين وأرباب الديون وانما يرجع ذلك الى قضاة الشرع ،ولقد عهدنا دائما أن الواحد من الكتاب أو الضمان ونحوهم يفر من باب الحاجب ويصير الى باب أحد القضاة

ويستجير بحكم الشرع فلا يطمع أحد بعد ذلك في أخذه من باب القاضى وكان فيهم من يقيم الاشهر والاعوام في ترسيم القاضى حماية له من أيدى الحجاب ثم تغير ماهنا لك وصار الحاجب اليوم اسما لعدة جماعة من الامراء ينتصبون للحكم بين الناس لالغرض الا لتضمين أبوابهم بمال مقرر فى كل يوم على رأس نوبة النقباء وفيهم غير واحد ليس لهم على الامرة اقطاع وانما يرتزقون من مظالم العباد وصار الحاجب اليوم يحكم في كل جليل وحقير من الناس سواء كان الحكم شرعيا أو سياسياً بزعمهم وان تعرض قاض من قضاة الشرع لاخذ غريم من باب الحاجب لم يمكن من ذلك ونقيب الحاجب اليوم مع رذالة الحاجب وسفالته وتظاهره من المنكر بما لم يكن يعهد مثله يتظاهر به أطراف السوقة فانه يأخذ الغريم من باب القاضي ويحكم فيه من الضرب وأخذ المال بما يختار فلا ينكر ذلك أحد البتة وكانت أحكام الحجاب أولا يقال لها حكم السياسة وهى لفظة شيطانية لايعرف أكثر أهل زمننا اليوم اصلها ويتساهلون في التلفظ بها ويقولون هذا الامر مما لايمشى في الاحكام الشرعية وانما هو من حكم السياسة ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وسأبين معنى ذلك وهو فصل عزيز

* (ذكر أحكام السياسة) *

اعلم أن الناس في زمننا بل ومنذ عهد الدولة التركية بديار مصر والشام يرون أن الاحكام على قسمين حكم الشرع وحكم السياسة ولهذه الجملة شرح فالشريعة هى ماشرع الله تعالى من الدين وأمر به كالصلاة والصيام والحج وسائر أعمال البر واشتق الشرع من شاطئ البحر وذلك أن الموضع الذى على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب وتسميه العرب الشريعة فيقولون للابل اذا وردت شريعة الماء وشربت قد شرع فلان ابله وشرعها بتشديد الراء اذا أوردها شريعة الماء والشريعة والشراع والشرعة المواضع التى يحدر الماء فيها ويقال شرع الدين يشرعه شرعاً بمعنى سنه قال الله تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ويقال ساس الامر سياسة بمعنى قام به وهوسائس من قوم ساسة وسوس وسوسه القوم جعلوه يسوسهم والسوس الطبع والخلق فيقال الفصاحة من سوسه والكرم من سوسه أى من طبعه فهذا أصل وضع السياسة في اللغة ثم رسمت بأنها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الاحوال * والسياسة نوعان سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهى من الاحكام الشرعية علمها من علمها وجهلها من جهلها وقد صنف الناس في السياسة الشرعية كتبا متعددة. والنوع الآخر سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها وليس مايقوله أهل زماننا في شئ من هذا وانما هى كلمة مغلية أصلها ياسه تحرفها أهل مصر وزادوا بأولها سينا فقالوا سياسة وأدخلوا عليها الالف واللام فظن من لاعلم عنده أنها كلة عربية وما الامر فيها الا ماقلت لك. واسمع الآن

كيف نشأت هذه الكلمة حتى انتشرت بمصر والشام وذلك أن جنكزخان القائم بدولة التتر في بلاد الشرق لما غلب الملك أونك خان وصارت له دولة قرر قواعد وعقوبات أثبتها في كتاب سماه ياسه ومن الناس من يسميه يسق والاصل في اسمه ياسه ولما تم وضعه كتب ذلك نقشاً في صفائح الفولاذ وجعله شريعة لقومه فالتزموه بعده حتى قطع الله دابرهم وكان جنكزخان لايتدين بشيء من أديان أهل الارض كما تعرف هذا ان كنت اشرفت على أخباره فصار الياسه حكماً بتاً بقي في أعقابه لايخرجون عن شيء من حكمه * وأخبرني العبد الصالح الداعي الى الله تعالى أبو هاشم أحمد بن البرهان رحمه الله انه رأى نسخة من الياسه بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد ومن جملة ماشرعه جنكزخان في الياسه أن من زنى قتل ولم يفرق بين المحصن وغير المحصن ومن لاط قتل ومن تعمد الكذب أوسحر أو تجسس على أحد أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل ومن بال في الماء أو على الرماد قتل ومن اعطى بضاعة فخسر فيها فانه يقتل بعد الثالثة ومن أطعم أسير قوم أو كساه بغير اذنهم قتل ومن وجد عبداً هارباً أو أسيرا قد هرب ولم يرده على من كان في يده قتل وأن الحيوان تكتف قوائمه ويشق بطنه ويمرس قلبه الى أن يموت ثم يؤكل لحمه وأن من ذبح حيواناً كذبيحة المسلمين ذبح ومن وقع حمله أو قوسه أو شيء من متاعه وهو يكر أو يفر في حالة القتال وكان وراءه أحد فانه ينزل ويناول صاحبه ماسقط منه فان لم ينزل ولم يناوله قتل وشرط أن لايكون على أحد من ولد علي ابن أبي طالب رضى الله عنه مؤنة ولا كلفة وأن لايكون على أحد من الفقراء ولا القراء ولا الفقهاء ولا الاطباء ولا من عداهم من أرباب العلوم وأصحاب العبادة والزهد والمؤذنين ومغسلي الاموات كلفة ولامؤنة وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى وجعل ذلك كله قربة الى الله تعالى وألزم قومه أن لا يأكل أحد من يد أحد حتى يأكل المناول منه أولا ولو أنه أمير ومن يناوله اسير وألزمهم أن لا يتخصص أحد بأكل شيء وغيره يراه بل يشركه معه في أكله وألزمهم أن لا يتميز احد منهم بالشبع على أصحابه ولا يتخطى أحد نارا ولا مائدة ولا الطبق الذي يؤكل عليه وأن من مر بقوم وهم يأكلون فله أن ينزل ويأكل معهم من غير اذنهم وليس لاحد منعه وألزمهم أن لا يدخل أحد منهم يده فى الماء ولكنه يتناول الماء بشيء يغترفه به ومنعهم من غسل ثيابهم بل يلبسونها حتى تبلى ومنع أن يقال لشيء انه نجس وقال جميع الاشياء طاهرة ولم يفرق بين طاهر ونجس وألزمهم أن لايتعصبوا لشيء من المذاهب ومنعهم من تفخيم الالفاظ ووضع الالقاب وانما يخاطب السلطان ومن دونه ويدعى باسمه فقط وألزم القائم بعده بعرض العساكر وأسلحتها اذا أرادوا الخروج الى القتال وانه يعرض كل ماسافر به عسكره وينظر

حتى الابرة والخيط فمن وجده قد قصر في شئ مما يحتاج اليه عند عرضه اياه عاقبه وألزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من السخر والكلف في مدة غيبتهم فى القتال وجعل على العساكر اذا قدمت من القتال كلفة يقومون بها للسلطان ويؤدونها اليه وألزمهم عند رأس كل سنة بعرض سائر بناتهم الابكار على السلطان ليختار منهن لنفسه وأولاده ورتب لعساكره أمراء وجعلهم أمراء ألوف وأمراء مئين وأمراء عشراوات وشرع أن اكبر الامراء اذا أذنب وبعث اليه الملك أخس من عنده حتي يعاقبه فانه يلقى نفسه الى الارض بين يدى الرسول وهو ذليل خاضع حتي يمضى فيه ما أمر به الملك من العقوبة ولو كانت بذهاب نفسه وألزمهم أن لايتردد الامراء لغير الملك فمن تردد منهم لغير الملك قتل ومن تغير عن موضعه الذي يرسم له بغير اذن قتل وألزم السلطان باقامة البريد حتى يعرف أخبار مملكته بسرعة وجعل حكم الياسه لولده جقتاى بن جنكزخان فلما مات التزم من بعده من أولاده وأتباعهم حكم الياسه كالتزام أول المسلمين حكم القرآن وجعلوا ذلك ديناً لم يعرف عن أحد منهم مخالفته بوجه فلما كثرت وقائع التتر في بلاد المشرق والشمال وبلاد القبجاق وأسروا كثيراً منهم وباعوهم تنقلوا في الاقطار واشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم سماهم البحرية ومنهم من ملك ديار مصر وأولهم المعز أيبك ثم كانت لقطز معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت وهزم التتار وأسر منهم خلقاً كثيرا صاروا بمصر والشام ثم كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بيبرس وملؤا مصر والشام وخطب للملك بركة بن يوشى بن جنكزخان على منابر مصر والشام والحرمين فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغل وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم هذا وملوك مصر وأمراؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعباً من جنكزخان وبنيه وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم وكانوا انما ربوا بدار الاسلام ولقنوا القرآن وعرفوا أحكام الملة المحمدية فجمعوا بين الحق والباطل وضموا الجيد الى الردىء وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالامور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج وناطوا به أمر الاوقاف والايتام وجعلوا اليه النظر فى الاقضية الشرعية كتداعى الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك واحتاجوا في ذات أنفسهم الى الرجوع لعادة جنكزخان والاقتداء بحكم الياسه فلذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوايدهم والاخذ على يد قويهم وانصاف الضعيف منه على مقتضى مافي الياسه وجعلوا اليه مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية عند الاختلاف في أمور الإقطاعات لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب وكانت من أجل القواعد وأفضلها حتى تحكم القبط في الاموال وخراج الاراضي فشرعوا في الديوان مالم يأذن به الله تعالى ليصير لهم ذلك سبيلا الى أكل مال الله تعالى بغير حقه وكان مع ذلك يحتاج

الحاجب الى مراجعة النائب أو السلطان في معظم الامور هذا وستر الحياء يومئذ مسدول وظل العدل صاف وجناب الشريعة محترم وناموس الحشمة مهاب فلا يكاد أحد أن يزيغ عن الحق ولايخرج عن قضية الحياء ان لم يكن له وازع من دين كان له ناه من عقل ثم تقلص ظل العدل وسفرت أوجه الفجور وكشر الجور أنيابه وقلت المبالاة وذهب الحياء والحشمة من الناس حتى فعل من شاء ما شاء وتعدت منذعهد المحن التي كانت في سنة ست وثمانمائة الحجاب وهتكوا الحرمة وتحكموا بالجور تحكما خفي معه نور الهدى وتسلطوا على الناس مقتاً من الله لاهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت أيديهم ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون * وكان أول ما حكم الحجاب في الدولة التركية بين الناس بمصر أن السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاون استدعى الامير شمس الدين آق سنقر الناصري نائب طرابلس ليوليه نيابة السلطنة بديار مصر عوضاً عن الامير سيف الدين بيغوا أميراً حاجباً كبيرا يحكم بين الناس فخلع عليه في جمادى الاولى سنة ست وأربعين وسبعمائة فحكم بين الناس كما كان نائب السلطنة يحكم وجلس بين يديه موقعان من موقعي السلطان لمكاتبة الولاة بالاعمال ونحوهم .فاستمر ذلك ثم رسم في جمادى الآخرة منها أن يكون الامير رسلان بصل حاجباً مع بيغوا يحكم بالقاهرة على عادة الحجاب فلما انقضت دولة الكامل بأخيه الملك المظفر حاجي بن محمد استقر الامير سيف الدين ارقطاى نائب السلطنة فعاد أمر الحجاب الى العادة القديمة الى أن كانت ولاية الامير سيف الدين جرجي الحجابة فى أيام السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاون فرسم له أن يحدث في أرباب الديون ويفصلهم من غرمائهم بأحكام السياسة ولم تكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا فى الامور الشرعية وكان سبب ذلك وقوف تجار العجم للسلطان بدار العدل في أثناء سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وذكروا أنهم ماخرجوا من بلادهم الا لكثرة ما ظلمهم التتار وجاروا عليهم وأن التجار بالقاهرة اشتروا منهم عدة بضائع وأكلوا أثمانها ثم هم يثبتون على يد القاضي الحنفى اعسارهم وهم في سجنه وقد أفلس بعضهم فرسم للامير جرجي باخراج غرمائهم من السجن وخلاص مافي قبلهم للتجار وأنكر على قاضي القضاة جمال الدين عبد الله التركماني الحنفى ماعمله ومنع من التحدث في أمر التجار والمدينين فأخرج جرجي غرماء التجار من السجن وعاقبهم حتى أخذ للتجار أموالهم منهم شيئاً بعد شئ وتمكن الحجاب من حينئذ من التحكم على الناس بما شاؤا *(أمير جاندار) موضوع أمير جاندار التسلم لباب السلطان ولرتبة البرددارية وطوائف الركابية والخرامانية والجندارية وهو الذى يقدم البريد اذا قدم مع الدوادار وكاتب السر واذا أراد السلطان تقرير أحد من الامراء على شئ أو قتله بذنب كان ذلك على يد أمير جاندار وهو أيضاً المتسلم للزردخاناه وكانت أرفع السجون قدرا

ومن اعتقل بها لا تطول مدته بها بل يقتـل أو يخلى سبيله وهو الذى يدور بالزفة حول السلطان فى سفره مساء وصباحا *(الاستادار) اليه أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وهو الذى كان يمشى بطلب السلطان في السرحات والاسفار وله الحكم فى غلمان السلطان وباب داره واليه أمور الجاشنكيرية وان كان كبيرهم نظيره في الامرة من ذوى المئين وله أيضا الحديث المطلق والتصرف التام في استدعاء مايحتاجه كل من في بيت من بيوت السلطان من النفقات والكساوى ومايجري مجرى ذلك ولم تزل رتبة الاستادار على ذلك حتي كانت ايام الظاهر برقوق فأقام الامير جمال الدين محمود بن على ابن أصفر عينه استادارا وناط به تدبير أموال المملكة فتصرف في جميع مايرجع الى أمر الوزير وناظر الخاص وصارا يترددان الى بابه ويمضيان الامور برأيه فجاءت من حينئذ رتبة الاستادار بحيث انه صار فى معنى ما كان فيـه الوزير فى أيام الخلفاء سيما اذا اعتبرت حال الامير جمال الدين يوسف الاستادار في أيام الناصر فرج بن برقوق كما ذكرناه عند ذكر المدارس من هذا الكتاب فانك تجده انما كان كالوزير العظيم لعموم تصرفه ونفوذ أمره فى سائر احوال المملكة واستقر ذلك لمن ولى الاستادارية من بعده والامر على هـذا الى اليوم *(أمير سلاح)هذا الامير هو مقدم السلاحدارية والمتولى لحمل سلاح السلطان فى المجامع الجامعة وهو المتحدث في السلاح خاناه ومايستعمل بها ومايقدم اليها ويطلق منها وهو أبدا من أمراء المئين *(الدوادار) ومن عادة الدولة أن يكون بها من أمرائها من يقال له الدوادار وموضوعه لتبليغ الرسائل عن السلطان وابلاغ عامة الامور وتقديم القصص الى السلطان والمشاورة علي من يحضر الي الباب وتقديم البريد هو وأمير جاندار وكاتب السر وهو الذى يقدم الى السلطان كل ماتؤخذ عليه العلامة السلطانية في المناشير والتواقيع والكتب وكان يخرج عن السلطان بمرسوم ممـا يكتب فيعين رسـالته فى المرسوم واختلفت آراء ملوك الترك في الدوادار فتارة كان من امراء العشراوات والطبلخاناه وتارة كان من امراء الالوف فلمـا كانت أيام الاشرف شعبـان بن حسين بن محمد بن قلاون ولى الامير اقتمر الحنبلى وظيفة الدوادارية وكان عظيما فى الدولة فصار يخرج المراسيم السلطانية بغير مشاورة كما يخرج نائب السلطنة ويعين في المرسوم اذ ذاك انه كتب برسالته ثم نقل الى نيابة السلطنة وأقام الاشرف عوضه الامير طاش تمر الدوادار وجعله من اكبر أمراء الالوف فاقتدى به الملك الظاهر برقوق وجعل الامير يونس الدوادار من اكبر امراء الالوف فعظمت منزلته وقويت مهابته ثم لما عادت الدولة الظاهرية بعد زوالها ولى الدوادارية الامير بوطا فتحكم تحكما زائدا عن المعهود في الدوادارية وتصرف كتصرف النواب وولى وعزل وحكم في القضايا المعضلة فصار ذلك من بعده عادة لمن ولى الدوادارية سيما لما ولى الامير يشبك والامير حكم الدوادارية في أيام

الناصر فرج فانهما تحكما فى جليل أمور الدولة وحقيرها من المال والبريد والاحكام والعزل والولاية وما برح الحال على هذا فى الايام الناصرية وكذلك الحال فى الايام المؤيدية يقارب ذلك *(نقابة الجيوش) هذه الرتبة كانت في الدولة التركية من الرتب الجليلة ويكون متوليها كأحد الحجاب الصغار وله تحلية الجند فى عرضهم ومعه يمشى النقباء فاذا طلب السلطان أو النائب أو حاجب الحجاب أميراً أو جنديا كان هو المخاطب في الارسال اليه وهو الملزوم باحضاره واذا أمر أحد منهم بالترسيم على أمير أو جندى كان نقيب الجيش هو الذى يرسم عليه وكان من رسمه انه هو الذى يمشى بالحراسة السلطانية في الموكب حالة السرحة وفى مدة السفر ثم انحطت اليوم هذه الرتبة وصار نقيب الجيش عبارة عن كبير من النقباء المعدين لترويع خلق الله تعالى وأخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر عند طلب أحد الى باب الحاجب ويضيفون الى أكلهم أموال الناس بالباطل افتراءهم على الله تعالى بالكذب فيقولون على المال الذى يأخذونه باطلا هذا حق الطريق والويل لمن نازعهم في ذلك وهم أحد أسباب خراب الاقليم كما بين في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الاسباب التي أوجبت خراب الاقليم * (الولاية) وهى التى يسميها السلف الشرطة وبعضهم يقول صاحب العسس والعسس الطواف بالليل لتتبع أهل الريب يقول عس يعس عسا وعسسا وأول من عس بالليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه امره أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعس المدينة • خرّج ابو داود عن الاعمش عن زيد قال اتى عبد الله بن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله رضى الله عنه انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لناشئ نأخذ به • وذكر الثعلبى عن زيد بن وهب انه قال قيل لابن مسعود رضى الله عنه هل لك فى الوليد بن عتبة تقطر لحيته خمرا فقال انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شئ نأخذ به وكان عمر رضى الله عنه يتولى فى خلافته العسس بنفسه ومعه مولاه أسلم رضى الله عنه وكان ربما استصحب معه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه * (قاعة الصاحب) وكانت وظيفة الوزارة اجلّ رتب أرباب الاقلام لان متوليها ثانى السلطان اذا أنصف وعرف حقه الا أن ملوك الدولة التركية قدّموا رتبة النيابة على الوزارة فتأخرت الوزارة حتى قعد بها مكانها ووليها في الدولة التركية أناس من أرباب السيوف وأناس من أرباب الاقلام فصار الوزير اذا كان من أرباب الاقلام يطلق عليه اسم الصاحب بخلاف ماذا كان من أرباب السيوف فانه لايقال له الصاحب وأصل هذه الكلمة في اطلاقها على الوزير أن الوزير اسماعيل بن عباد كان يصحب مؤيد الدولة أبا منصور بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمى صاحب بلاد الرى وكان مؤيد الدولة شديد الميل اليه والمحبة له فسماه الصاحب وكان الوزير حينئذ أبو الفتح على بن العميد يباديه لشدة تمكنه من مؤيد الدولة فتلقب الوزراء بعد ابن عباد

بالصاحب ولا أعلم أحدا من وزراء خلفاء بني العباس ولا وزراء الخلفاء الفاطميين قيل له الصاحب وقد جمعت فى وزراء الاسلام كتابا جليل القدر وأفردت وزراء مصر فى تصنيف بديع والذى أعرف أن الوزير صفى الدين عبد الله بن شكر وزير العادل والكامل من ملوك مصر من بنى أيوب كان يقال له الصاحب وكذلك من بعده من وزراءمصرالى اليوم وكان وضع الوزير أنه اقيم لنفاذ كلمة السلطان وتمام تصرفه غير أنها انحطت عن ذلك بنيابة السلطنة ثم انقسم ما كان للوزير الى ثلاثة هم الناظر فى المال وناظر الخاص وكاتب السرفانه يوقع فى دار العدل ما كان يوقع فيه الوزير بمشاورة واستقلال ثم تلاشت الوزارة فى أيام الظاهر برقوق بما أحدثه من الديوان المفرد وذلك انه لما ولى السلطنة أفرد اقطاعه لما كان أميرا قبل سلطنته وجعل له ديوانا سماه الديوان المفرد وأقام فيه ناظرا وشاهدين وكتابا وجعل مرجع هذا الديوان الى الاستادار وصرف مايحصل منهفي جوامك مماليكاستجدها شيئاً بعد شئ حتى بلغت خمسة آلاف مملوك وأضاف الى هذا الديوان كثيرا منأعمال الديار المصرية وبذلك قوى جانب الاستادار وضعفت الوزارةحتي صارالوزيرقصارىنظره التحدث في امر المكوس فيستخرجها من جهاتها ويصرفها فى ثمن اللحم وحوائج المطبخ وغيرذلك ولقد كان الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى يقول الوزارة اليوم عبارة عن حوائج كاش عفش يشترى اللحم والحطب وحوائج الطعام وناظر الخاص غلامصلف يشترى الحرير والصوف والنصافى والسنجاب وأما ما كان للوزراء ونظار الخاص فى القديمفقدبطل ولقد صدق فيما قال فان الامر على هذا وما رأينا الوزارة من بعد انحطاط رتبتها يرتفعقدر متوليها الا اذا اضيفت الى الاستادارية كما وقع للامير جمال الدين يوسف الاستادار والأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج وأما من ولى الوزارة بمفردها سيما من أرباب الأقلام فانما هو كاتب كبير يتردد ليلا ونهارا الى باب الاستادار ويتصرف بأمره ونهيه وحقيقة الوزارة اليوم انها انقسمت بين أربعة وهم كاتب السر والاستادار وناظر الخاص والوزير فأخذ كاتب السر من الوزارة التوقيع على القصص بالولايات والعزل ونحوذلكفيدارالعدل وفى داره وأخذ الاستادار التصرف فى نواحي أرض مصر والتحدث فى الدواوين السلطانية وفى كشف الاقاليم وولاة النواحي وفي كثير من أمور أرباب الوظائف وأخذناظر الخاص جانباً كبيرا من الاموال الديوانية السلطانية ليصرفها فى تعلقات الخزانة السلطانية وبقى للوزير شئ يسير جداً من النواحي والتحدث فى المكوس وبعضالدواوينومصارف المطبخ السلطانى والدواوين وأشياء أخر واليه مرجع ناظر الدولة وشاد الدواوين وناظر بيت المال وناظر الاهراء ومستوفى الدولة وناظر الجهات وأما ناظر البيوت وناظر الاصطبلات فان أمرها يرجع الى غيره والله أعلم * (نظر الدولة) هذه الوظيفة يقال لمتوليها ناظرالنظار

ويقال له ناظر المال وهو يعرف اليوم بناظر الدولة وتلى رتبته رتبة الوزارة فاذا غاب الوزير أو تعطلت الوزارة من وزير قام ناظر الدولة بتدبير الدولة وتقدم الى شاد الدواوين بتحصيل الاموال وصرفها في النفقات والكلف واقتصر الملك الناصر محمد بن قلاون على ناظر الدولة مدة أعوام من غير تولية وزير ومشى أمور الدولة على ذلك حتى مات ولا بد أن يكون مع ناظر الدولة مستوفون يضبطون كليات المملكة وجزئياتها ورأس المستوفين مستوفى الصحبة وهو يتحدث فى سائر المملكة مصرا وشاما ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان فتكون تارة بما يعمل في البلاد وتارة بالاطلاقات وتارة باستخدام كتاب في صغار الاعمال ومن هذا النحو وما يجرى مجراه وهى وظيفة جليلة تلى نظر الدولة وبقية المستوفين كل منهم حديثه مقيد لايتعدى حديثه قطرا من أقطار المملكة وهذا الديوان أعني ديوان النظر هو أرفع دواوين المال وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية وكل ديوان من دواوين المال انما هو فرع هذا الديوان واليه يرفع حسابه وتتناهي أسبابه واليه يرجع أمر الاستيمار الذى يشتمل على أرزاق ذوى الاقلام وغيرهم مياومة ومشاهرة ومسانهة من الرواتب وكانت أرزاق ذوى الاقلام مشاهرة من مبلغ عين وغلة وكان لاعيانهم الرواتب الجارية في اليوم من اللحم بتوابله أو غير توابله والخبز والعليق لدوابهم وكان لاكابرهم السكر والشمع والزيت والكسوة في كل سنة والاضحية وفى شهر رمضان السكر والحلوى وأكثرهم نصيبا الوزير وكان معلومه في الشهر مائتين وخمسين دينارا جيشية مع الاصناف المذكورة والغلة وتبلغ نظير المعلوم ثم مادون ذلك من المعلوم لمن عدا الوزير وما دون دونه وكان معلوم القضاة والعلماء أكثره خمسون دينارا فى كل شهر مضافا لما بيدهم من المدارس التي يستدرون من أوقافها وكان أيضاً يصرف على سبيل الصدقات الجارية والرواتب الدارة على جهات مابين مبلغ وغلة وخبز ولحم وزيت وكسوة وشمع هذا سوى الارض من النواحي التي يعرف المرتب عليها بالرزق الاحباسية وكانوا يتوارثون هذه المرتبات ابنا عن اب ويرثها الاخ عن أخيه وابن العم عن ابن العم بحيث ان كثيراً ممن مات وخرج ادراره من مرتبه لاجنبي لما جاء قريبه وقدم قصته يذكر فيها أولويته بما كان لقريبه أعيد اليه ذلك المرتب ممن كان خرج باسمه * (نظر البيوت) كان من الوظائف الجليلة وهي وظيفة متوليها منوط بالاستادار فكل مايتحدث فيه استادار السلطان فانه يشاركه فى التحدث وهذا كان أيام كون الاستادار ونظره لايتعدى بيوت السلطان وما تقدم ذكره فأما منذ عظم قدر الاستادار ونفذت كلمته فى جمهور أموال الدولة فان نظر البيوت اليوم شيء لامعنى له * (نظر بيت المال) كان وظيفة جليلة معتبرة وموضوع متوليها التحدث في حمول المملكة مصرا وشاما الى بيت المال بقلعة الجبل وفي صرف ماينصرف منه تارة بالوزن وتارة

بالتسبيب بالاقلام وكان أبدا يصعد ناظر بيت المال ومعه شهود بيت المال وصيرفى بيت المال وكاتب المال الى قلعة الجبل ويجلس فى بيت المال فيكون له هناك أمر ونهى وحال جليلة لكثرة الحمول الواردة وخروج الاموال المصروفة فى الرواتب لاهل الدولة وكانت أمرا عظيما بحيث أنها بلغت في السنة نحو أربعمائة ألف دينار وكان لا يلي نظر بيت المال الا من هو من ذوى العدالات المبرزة ثم تلاشي المال وبيت المال وذهب الاسم والمسمى ولا يعرف اليوم بيت المال من القلعة ولا يدرى ناظر بيت المال من هو

*(نظر الاصطبلات) هذه الوظيفة جليلة القدر الى اليوم وموضوعها الحديث في أموال الاصطبلات والمناخات وعليقها وأرزاق من فيها من المستخدمين ومابها من الاستعمالات والاطلاق وكل مايبتاع لها أو يبتاع بها وأول من استجدها الملك الناصر محمد بن قلاون وهو أول من زاد في رتبة أميراخور واعتني بالاوجاقية والعرب الركابة وكان أبوه المنصور قلاون يرغب في خيل برقة أكثر من خيل العرب ولا يعرف عنه انه اشترى فرسا بأكثر من خمسة آلاف درهم وكان يقول خيل برقة نافعة وخيل العرب زينة بخلاف الناصر محمد فانه شغف باستدعاء الخيول من عرب آل مهنا وآل فضل وغيرهم وبسببها كان يبالغ في اكرام العرب ويرغبهم في أثمان خيولهم حتي خرج عن الحد في ذلك فكثرت رغبة آل مهنا وغيرهم فى طلب خيول من عداهم من العربان وتتبعوا عتاق الخيل من مظانها وسمحوا بدفع الأثمان الزائدة على قيمتها حتى أتتهم طوائف العرب بكرائم خيولهم فتمكنت آل مهنا من السلطان وبلغوا في أيامه الرتب العلية وكان لا يحب خيول برقة واذا أخذ منها شيئاً أعده للتفرقة على الامراء البرانيين ولا يسمح بخيول آل مهنا الا لاعز الامراء وأقرب الخاصكية منه وكان جيد المعرفة بالخيل شياتها وأنسابها لا يزال يذكر أسماء من أحضرها اليه ومبلغ ثمنها فلما اشتهر عنه ذلك جلب اليه أهل البحرين والحساء والقطيف وأهل الحجاز والعراق كرائم خيولهم فدفع لهم في الفرس من عشرة آلاف درهم الى عشرين الى ثلاثين ألف درهم عنها ألف وخمسمائة مثقال من الذهب سوى ما ينعم به على مالكه من الثياب الفاخرة له ولنسائه ومن السكر ونحوه فلم تبق طائفة من العرب حتى قادت اليه عتاق خيلها وبلغ من رغبة السلطان فيها انه صرف فى أثمانها دفعة واحدة من جهة كريم الدين ناظر الخاص ألف ألف درهم في يوم واحد وتكرر هذا منه غير مرة وبلغ ثمن الفرس الواحد من خيول آل مهنا الستين ألف درهم والسبعين ألف درهم واشترى كثيراً من الحجور بالثمانين ألفا والتسعين ألفا واشترى بنت الكرشاء بمائة ألف درهم عنها خمسة آلاف مثقال من الذهب هذا سوي الانعامات بالضياع من بلاد الشام وكان من عنايته بالخيل لا يزال يتفقدها بنفسه فاذا أصيب منها فرس أو كبر سنه بعث به الى الجشار وتنزى الفحول المعروفة

عنده على الحجور بين يديه وكتاب الاصطبل تؤرخ تاريخ نزوها واسم الحصان والحجرة فتوالدت عنده خيول كثيرة اغتنى بها عن الجلب ومع ذلك فلم تكن عنده في منزلة مايجلب منها وبهذا ضخمت سعادة آل مهنا وكثرت أموالهم وضياعهم فعز جانبهم وكثر عددهم وهابهم من سواهم من العرب وبلغت عدة خيول الجشارات في أيامه نحو ثلاثة آلاف فرس وكان يعرضها في كل سنة ويدوّغ أولادها بين يديه ويسلمها للعربان الركابة وينعم على الامراء الخاصكية بأكثرها ويتبجح بها ويقول هذه فلانة بنت فلان وهذا فلان ابن فلانة وعمره كذا وشراء أم هـذا كذا وكذا كان لايزال يؤكد على الامراء فى تضمير الخيول ويلزم كل أمير أن يضمر أربعـة أفراس ويتقدم لاميراخور أن يضمر للسلطان عدة منها ويوصيه بكتمان خبرها ثم يشيع أنها لايدغمش أميراخور ويرسلها مع الخيـل في حلبة السباق خشـية أن يسبقها فرس أحد من الامراء فلا يحتمل ذلك فانه ممن لايطيق شيئاً ينقص ملـكه وكان السباق في كل سنة بميدان القبق ينزل بنفسه وتحضر الامراء بخيولها المضمرة فيجربها وهو على فرسه حتى تنقضي نوبها وكانت عدتها مائة وخمسين فرساً فما فوقها فاتفق انه كان عنـد الامير قطلوبغا الفخري حصان أدهم سبق خيل مصر كلها في ثلاث سنين متوالية أيام السباق وبعث اليه الامير مهنا فرساً شهباء على انها ان سبقت خيل مصر فهى للسلطان وان سبقها فرس ردت اليـه ولا يركبها عنـد السباق الا بدوى قادها فركب السلطان للسباق فى أمرائه على عادته ووقف معه سليمان وموسى ابنا مهنا وأرسلت الخيول من بركة الحاج على عادتها وفيها فرس مهنا وقد ركبها البـدوى عريا بغـير سرج فأقبلت سائر الخيول تتبعها حتى وصلت المدى وهى عرى بغير سرج والبدوى عليها بقميص وطاقية فلما وقفت بين يدى السلطان صاح البدوى السعادة لك اليوم يامهنا لاشقيت فشق على السلطان أن خيله سبقت وأبطل التضمير من خيله وصارت الامراء تضمر على عادتها ومات الناصر محمد عن أربعة آلاف وثمانمائة فرس وترك زيادة على خمسة آلاف من الهجن الاصائل والنوق المهريات والقرشيات سوى أتباعها وبطل بعـده السباق فلما كانت أيام الظاهر برقوق عني بالخيـل أيضاً ومات عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف جمل

*(ديوان الانشاء) وكان بجوار قاعة الصاحب بقلعة الجبل ديوان الإنشاء يجلس فيه كاتب السر وعنـده موقعو الدرج وموقعو الدست فى أيام المواكب طول النهار ويحمل اليهم من المطبخ السلطانى المطاعم وكانت الـكتب الواردة وتعاليق ما يكتب من البـاب السلطانى موضوعة بهذه القاعة وأنا جلست بها عند القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى أيام مباشرتى التوقيع السلطاني الى نحو السبعين والسبعمائة فلما زالت دولة الظاهر برقوق ثم عادت اختلت امور كثيرة منها أمر قاعة الانشاء بالقلعـة وهجرت وأخذ ما كان فيها من

الاوراق وبيعت بالقنطار ونسى رسمها وكتابة السر رتبة قديمة ولها أصل في السنة • فقد خرّج أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الاشعث السجستانى فى كتاب المصاحف من حديث الاعمش عن ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو قال السريانيــة فقلت نعم قال فتعلمتها فى سبع عشرة ليلة ولم يزل خلفاء الاسلام يختارون لـكتابة سرهم الواحد بعد الواحد وكان موضوع كتابة السر في الدولة التركية على ما استقر عليــه الامر في أيام الناصر محمد بن قلاون أن لمتوليها المسمى بكاتب السر وبصاحب ديوان الأنشاء ومن الناس من يقول ناظر ديوان الانشاء قراءة الـكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها اما بخطه أو بخط كتاب الدست أو كتاب الدرج بحسب الحال وله تسفير الاجوبة بعــد أخذ علامة السلطان عليها وله تصريف المراسيم ورودا وصدورا وله الجلوس بين يدى السلطان بدار العدل لقراءة القصص والتوقيع عليها بخطه في المجلس فصار يوقع فيما كان يوقع عليه بقـلم الوزارة وصار اليه التحدث فى مجلس السلطان عند عقد المشورة وعند اجتماع الحكام لفصل أمر مهم وله التوسط بين الامراء والسلطان فيما يندب اليه عند الاختلاف أو التدبير واليه ترجع أمور القضاة ومشايخ العـلم ونحوهم فى سائر المملكة مصرا وشاما فيمضي من أمورهم ما أحب ويشاور السلطان فيما لابد من مشاورته فيه وكانت العادة أن يجلس تحت الوزير فلما عظم تمـكن القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر من الدولة جلس فوق الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم البشيري فاستمر ذلك لمن بعــده ورتبة كاتب السر أجل الرتب وذلك انها منتزعة من الملك فان الدولة العباسية صار خلفاؤها في أول أمرهم منذ عهد أبى العباس السفاح الى أيام هارون الرشيد يستبدون بأمورهم فلما صارت الخلافــة الى هارون ألقى مقاليــد الامور الى يحيى بن جعفر البرمكي فصار يحيي يوقع على رقاع الرافعــين بخطه فى الولايات وازالة الظلامات واطلاق الارزاق والعطيات فجلت لذلك رتبتــه وعظمت من الدولة مكانته وكان هو أول من وقع من وزراء خلفاء بني العباس وصار من بعده من الوزراء يوقعون على القصص كما كان يوقع وربمـا انفرد رجل بديوان السر وديوان الترسل ثم أفردت فى أخريات دولة بني العباس واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزراء وكانوا ببغداد يقال لهم كتاب الانشاء وكبيرهم يدعى رئيس ديوان الانشاء ويطلق عليــه تارة صاحب ديوان الانشاء وتارة كاتب السر ومرجع هذا الديوان الى الوزير وكان يقال له الديوان العزيز وهو الذى يخاطبه الملوك في مكاتبات الخلفــاء وكان في الدولة السلجوقية يسمى ديوان الانشاء بديوان الطغرا واليه ينسب مؤيد الدين الطغرائي والطغرا هى طرة المـكتوب فيكتب

أعلى من البسملة بقلم غليظ ألقاب الملك وكانت تقوم عندهم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب ويستغنى بها عن علامة السلطان وهى لفظة فارسية وفى بلاد المغرب يقال لرئيس ديوان الانشاء صاحب القلم الاعلى وأما مصر فانه كان بها في القديم لما كانت دار امارة ديوان البريد ويقال لمتوليه صاحب البريد واليه مرجع مايرد من دار الخلافة على ايدى اصحاب البريد من الكتب وهو الذى يطالع بأخبار مصر وكان لامراء مصر كتاب ينشئون عنهم الكتب والرسائل الى الخليفة وغيره فلما صارت مصر دار خلافة كان القائد جوهر يوقع على قصص الرافعين الى أن قدم المعز لدين الله فوقع وجعل أمر الاموال وما يتعلق بها الى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن فوليا أموال الدولة ثم فوض العزيز بالله أمر الوزارة ليعقوب بن كلس فاستبد بجميع أحوال المملكة وجرى مجرى يحيى بن جعفر البرمكى وكان يوقع ومع ذلك ففى امراء الدولة من يلى البريد وجرى الامر فيما بعد على أن الوزراء يوقعون وقد يوقع الخليفة بيده فلما كانت أيام المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر وصرف أبا جعفر محمد بن جعفر بن المغربي عن وزارته افرد له ديوان الانشاء فوليه مدة طويلة وادرك ايام امير الجيوش بدر الجمالى وصار يلي ديوان الانشاء بعده الاكابر الى أن انقرضت الدولة وهو بيد القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيساني فاقتدت بهم الدولة الايوبية ثم الدولة التركية في ذلك وصار الامر على هذا الى اليوم وصار متولى رتبة كتابة السر اعظم أهل الدولة الا أنه في الدولة التركية يكون معه من الامراء واحد يقال له الدوادار منزلته منزلة صاحب البريد فى الزمن الاول ومنزلة كاتب السر منزلة صاحب ديوان الانشاء الا انه يتميز بالتوقيع على القصص تارة بمراجعة السلطان وتارة بغير مراجعة فلذلك يحتاج اليه سائر أهل الدولة من أرباب السيوف والاقلام ولا يستغني عن حسن سفارته نائب الشام فمن دونه ولله الامر كله وأما في الدولة الايوبية فان كتاب الدرج كانوا في الدولة الكاملية قليلين جدا وكانوا فى غاية الصيانة والنزاهة وقلة الخلطة بالناس واتفق أن الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير كان من جملتهم فسمع الملك الصالح نجم الدين أيوب عنه انه يحضر فى السماعات فصرفه من ديوان الانشاء وقال هذا الديوان لايحتمل مثل هذا وكانت العادة أن لايحضر كتاب الانشاء الديوان يوم الجمعة فعرض للملك الصالح فى بعض ايام الجمع شغل مهم فطلب بعض الموقعين فلم يجد أحدا منهم فقيل له انهم لايحضرون يوم الجمعة فقال استخدموا في الديوان كاتبا نصرانيا يقعد يوم الجمعة لمهم يطرأ فاستخدم الامجد بن العسال كاتب الدرج لهذا المعنى * (نظر الجيش) قد تقدم انه كان يجلس بالقلعة دواوين الجيش في ايام الموكب وتقدم فى ذكر الاقطاعات وذكر النيابة مايدل على حال متولى نظر الجيش ولا بد مع ناظر الجيش أن يكون من المستوفين من يضبط كليات المملكة وجزئياتها فى الاقطاعات

وغيرها * (نظر الخاص) هـذه الوظيفة وان كان لها ذكر قديم من عهد الخلفاء الفاطميين فان متوليها لم يبلغ من جلالة القدر مابلغ اليـه فى الدولة التركية وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاون لما ابطل الوزارة واقام القاضى كريم الدين الـكبير في وظيفة نظر الخاص صار متحدثا فيما هو خاص بمال السلطان يتحدث في مجموع الامر الخاص بنفسه وفى القيام بأخذ رأيه فيه فبقى تحدثه فيه وبسببه كأنه هو الوزير لقربه من السلطـان وزيادة تصرفه والى ناظر الخاص التحدث في الخزانة السلطانية وكانت بقلعة الجبل وكانت كبيرة الوضع لانها مستودع أموال المملـكة وكان نظر الخزانة منصبا جليلا الى أن استحدثت وظيفة نظر الخاص فضعف أمر نظر الخزانة وأمر الخزانة أيضا وصارت تسمى الخزانة الـكبرى وهو اسم اكبر من مسماه ولم يبق بها الا خلع يخلع منها أو مايحضر اليها ويصرف أولا فأولا وصار نظر الخزانة مضافا الى ناظر الخاص وكان الرسم أن لايلى نظر الخزانة الا القضاة او من يلحق بهم وما برحت الخزانة بقلعة الجبل حتى عملها الامير منطاش سجنا لمماليك الظاهر برقوق في سنة تسعين وسبعمائة فتلاشت من حينئذ ونسى أمرها وصـارت الخلع ونحوها عند ناظر الخاص في داره وكانت لاهل الدولة فى الخلع عوايد وهم على ثلاثة أنواع أرباب السيوف والاقلام والعلمـاء فأما أرباب السيوف فكانت خلع اكابر امراء المئين الاطلس الاحمر الرومي وتحته الاطلس الاصفر الرومى وعلى الفوقاني طرز زركش ذهب وتحته سنجاب وله سجف من ظاهره مع القشاء قندس وكلوتة زركش بذهب وكلاليب ذهب وشاش لانس رفيع موصول به فى طرفيه حرير ابيض مرقوم بألقاب السلطـان مع نقوش باهرة من الحرير الملون مع منطقة ذهب ثم تختلف أحوال المنطقة بحسب مقاديرهم فأعلاها ماعمل بين عمدها بوا كر وسطي ومجنبتان بالبلخش والزمرذ واللؤلؤ ثم ما كان بيكارية واحدة مرصعة ثم ما كان بيكارية واحدة غير مرصعة وأما من تقلد ولاية كبيرة منهم فانه يزاد سيفا محلى بذهب يحضر من السلاح خاناه ويحليه ناظر الخاص ويزاد فرسا مسرجا ملجما بكنبوش ذهب والفرس من الاصطبل وقماشـه من الركاب خاناه ومرجع العمل فى سروج الذهب والـكنابيش الى ناظر الخاص وكان رسم صاحب حماه من اعلى هذه الخلع ويعطي بدل الشاش اللانس شاش من عمـل الاسكندرية حرير شبيه بالطول وينسج بالذهب ويعرف بالمثمر ويعطى فرسين أحدهما كما ذكر والآخر يكون عوض كنبوشه زنارى اطلس أحمر وكانت لنائب الشام على ما استقر فى ايام الناصر محمد بن قلاون مثل هذا وزيد لتـكن تركية زركش ذهب دائرة بالقباء الفوقانى ودون هذه الرتبة فى الخلع نوع يسمى طرزوحش يعمل بدار الطراز التي كانت بالاسكندرية وبمصر وبدمشق وهو مجوخ جاخات كتابة بألقـاب السلطان وجاخات طرزوحش وجاخات ألوان ممتزجة بقصب مذهب يفصل بين هذه الجاخات

نقوش وطراز هذا يكون من القصب وربما كبر بعضهم فركب عليه طرازا مزركشا بالذهب وعليه فروسنجاب وقندس كما تقدم وتحت القباء الطرزوحش قباء من المقترح الاسكندراني الطرح وكلوتة زركش بكلاليب وشاش على ماتقدم وحياصة ذهب فتارة تكون ببيكارية وتارة لايكون بها بيكارية وهذه لاصاغر امراء المئين ومن يلحق بهم ودون هذه الرتبة في الخلع كمخا عليه نقش من لون آخر غير لونه وقد يكون من نوع لونه بتفاوت بينهما وتحته سنجاب بقندس والبقية كما تقدم الا أن الحياصة والشاش لايكونان باطراف رقم بل تكون مجوخة بأخضر وأصفر مذهب والحياصة لاتكون بيكارية ودون هذه المرتبة كمخا تكون واحدة بسنجاب مقندس والبقية على مذكر وتكون الكلوتة خفيفة الذهب وجانباها يكادان يكونان خاليين بالجملة ولا حياصة له ودون هذه الرتبة مجوم لون واحد والبقية على ماذكر خلا الكلوتة والكلاليب ودون هذه الرتبة مجوم مقندس وهو قباء ملون بجاخات من أحمر وأخضر وازرق وغير ذلك من الالوان بسنجاب وقندس وتحته قباء اماأزرق أو أخضر وشاش ابيض بأطراف من نسبة ماتقدم ذكره ثم دون هذا من هذا النوع وأما الوزراء والكتاب فأجل ما كانت خلعهم الكمخا الابيض المطرز برقم حرير ساذج وسنجاب مقندس وتحته كمخا أخضر وبقيار كان من عمل دمياط مرقوم وطرحة ثم دون هذه الرتبة عدم السنجاب بل يكون القندس بدائر الكمين وطول الفرج ودونها ترك الطرحة ودونها أن يكون التحتاني مجوما ودون هذا أن يكون الفوقاني من الكمخا لكنه غير ابيض ودونه أن يكون الفوقاني مجوما ابيض ودونه أن يكون تحته عنابي وأما القضاة والعلماء فان خلعهم من الصوف بغير طراز ولهم الطرحة واجلهم أن يكون ابيض وتحته أخضر ثم مادون ذلك وكانت العادة أن أهبة الخطباء وهي السواد تحمل الى الجوامع من الخزانة وهي دلق مدور وشاش أسود وطرحة سوداء وعلمان أسودان مكتوبان بأبيض أو بذهب وثياب المبلغ قدام الخطيب مثل ذلك خلا الطرحة وكانت العادة اذا خلقت الاهبة المذكورة اعيدت الى الخزانة وصرف عوضها وكانت للسلطان عادات بالخلع تارة في ابتداء سلطنته وتشمل حينئذ الخلع سائر ارباب المملكة بحيث خلع في يوم واحد عند اقامة الاشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاون ألف ومائتا تشريف في وقت لعبه بالكرة على اناس جرت عوايدهم بالخلع فى ذلك الوقت كالجوكندارية والولاة ومن له خدمة فى ذلك وتارة فى اوقات الصيد عندمايسرح فاذا حصل أحد شيأ مما يصيده خلع عليه واذا أحضر أحد اليه غزالا أو نعاما خلع عليه قباء مسجفا مما يناسب خلعة مثله على قدره وكذلك يخلع على البزدارية وجملة الجوارح ومن يجرى مجراهم عند كل صيد وكانت العادة أيضا أن ينعم على غلمان الطشت خاناه والشراب خاناه والفراش خاناه ومن يجرى مجراهم في كل سنة عند اوان الصيد وكانت العادة أن من يصل الى الباب

من البلاد او يردعليه او يهاجر من مملكة أخرى اليه أن ينعم عليه مع الخلع بأنواع الادرارات والارزاق والانعامات وكذلك التجار الذين يصلون الى السلطان ويبيعون عليه لهم مع الخلع الرواتب الدائمة من الخبز واللحم والتوابل والحلوى والعليق والمسامحات بنظير كل مايباع من الرقيق المماليك والجوارى مع ما يسامحون به أيضا من حقوق أخرى تطلق وكل واحد من التجار اذا باع على السلطان ولورأسا واحدا من الرقيق فله خلعة مكملة بحسبه خارجا عن الثمن وعما ينعم به عليه او يسفر به من مال السبيل على سبيل القرض ليتاجر به وأما جلابة الخيل من عرب الحجاز والشام والبحرين وبرقة وبلاد المغرب فان لهم الخلع والرواتب والعلوفات والانزال ورسوم الاقامات خارجا عن مسامحات تكتب لهم بالمقررات عن تجارة يتجرون بها مما اخذوه من اثمان الخيول وكان يثمن الفرس بأزيد من قيمته حتي ربما بلغ ثمنه على السلطان الذي يأخذه محضره نظير قيمته عليه عشر مرات غيرالخلع وسائر ماذكر ولم يبق اليوم سوى مايخلع على ارباب الدولة وقد استجد فى الايام الظاهرية وكثر في ايام الناصر فرج نوع من الخلع يقال له الجبة يلبسه الوزير ونحوه من ارباب الرتب العلية جعلوا ذلك ترفعا عن لبس الخلعة ولم تكن الملوك تلبس من الثياب الا المتوسط وتجمل حوائصها بغير ذهب فلم تزدحياصة الناصر محمد على مائة درهم فضة ولم يزد أيضا سقط سرجه على مائة درهم فضة على عباءة صوف تدمرى او شامي فلما كانت دولة اولاده بالغوا في الترف وخالفوا فيه عوايد أسلافهم ثم سلك الظاهر برقوق في ملابسه بعض ما كان عليه الملوك الا كابر لا كله وترك لبس الحرير *(الميدان بالقلعة) هذا الميدان من بقايا ميدان احمد بن طولون الذى تقدم ذكره عند ذكر القطائع من هذا الكتاب ثم بناه الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب في سنة احدى عشرة وستمائة وعمر الى جانبه بركا ثلاثا لسقيه وأجرى الماء اليها ثم تعطل هذا الميدان مدة فلما قام من بعده ابنه الملك العادل أبو بكر محمد بن الكامل محمد اهتم به ثم اهتم به الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل اهتماما زائدا وجدد له ساقية أخرى وأنشأ حوله الاشجار فجاء من أحسن شيء يكون الى أن مات فتلاشى امر الميدان بعده وهدمه الملك المعز ايبك سنة احدى وخمسين وستمائة وعفت آثاره فلما كانت سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ابتدأ الملك الناصر محمد بن قلاون عمارته فاقتطع من باب الاصطبل الى قريب باب القرافة وأحضر جميع جمال الامراء فنقلت اليه الطين حتي كساه كله وزرعه وحفر به الآبار وركب عليها السواقى وغرس فيه النخل الفاخر والاشجار المثمرة وأدار عليه هذا السور الحجر الموجود الآن وبنى حوضا للسبيل من خارجه فلما كمل ذلك نزل اليه ولعب فيه الكرة مع أمرائه وخلع عليهم واستمر يلعب فيه يومى الثلاثاء والسبت وصار القصر الابلق يشرف على هذا الميدان فجاء ميدانا فسيحا للمدى يسافر النظر في أرجائه واذا ركب السلطان

اليه نزل من درج تلي قصره الجواني فينزل السلطان الى الاصطبل الخاص ثم الى هذا الميدان وهو راكب وخواص الامراء فى خدمته فيعرض الخيول في أوقات الاطلاقات ويلعب فيه الكرة وكان فيه عدة من أنواع الوحوش المستحسنة المنظر وكانت تربط به أيضا الخيول الخاصة للتفسح وفي هذا الميدان أيضاً يصلي السلطان صلاة العيدين ويكون نزوله اليه في يوم العيد وصعوده من باب خاص من دهليز القصر غير المعتاد النزول منـه فاذا ركب من باب قصره ونزل الى منفذه من الاصطبل الى هذا الميدان ينزل في دهليز سلطاني قد ضرب له على اكمل مايكون من الابهة فيصلي ويسمع الخطبة ثم يركب ويعود الى الايوان الكبير ويمد به السماط ويخلع على حامل القبة والطير وعلى حامل السلاح والاستادار والجاشنكير وكثير من أرباب الوظائف وكانت العادة أن تعد للسلطان أيضاً خلعة العيد على أنه يلبسها كما كانت العادة فى أيام الخلفاء فينعم بها على بعض أكابر أمراء المئين ولم يزل الحال على هـذا الى أن كانت سنة ثمانمائة فصلى الملك الظاهر برقوق صلاة عيد النحر بجامع القلعة لتخوفه بعد واقعة الامير على باى فهجر الميدان واستمرت صلاة العيد بجامع القلعة من عامئـذ طول الايام الناصرية والمؤيدية * (الحوش) ابتدئ العمل فيه على أيام الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وكان قياسه اربعة فدادين وكان موضعه بركة عظيمة قدقطع مافيها من الحجر لعمارة قاعات القلعة حتي صارت غورا كبيرا ولما شرع في العمل رتب على كل أمير من أمراء المئين مائة رجل ومائة بهيمة لنقل التراب برسم الردم وعلى كل أمير من أمراء الطبلخاناه بحسبه وندب الامير أقبغا عبد الواحد شاد العمل فحضر من عند كل من الامراء أستاداره ومعه جنده ودوابه للعمل وأحضر الاسارى وسخر والى القاهرة ووالى مصر الناس وأحضرت رجال النواحي وجلس أستادار كل أمير في خيمة ووزع العمل عليهم بالاقصاب ووقف الامير أقبغا يستحث الناس في سرعة العمل وصار الملك الناصر يحضر في كل يوم بنفسه فنال الناس من العمل ضرر زائد وأخرق أقبغا بجماعة من اماثل النـاس ومات كثير من الرجال في العمل لشدة العسف وقوة الحر وكان الوقت صيفاً فانتهى عمله في ستة وثلاثين يوما وأحضر اليه من بلاد الصعيد ومن الوجه البحري ألفى رأس غنم وكثيرا من الابقار البلق لتوقف فى هذا الحوش فصار مراح غنم ومربط بقر وأجرى المـاء الى هذا الحوش من القلعة وأقام الاغنام حوله وتتبع في كل سنة المراحات من عيذاب وقوص الى مادونهما من البلاد حتي يؤخذ مابهما من الاغنام المختارة وجلبها من بلاد النوبة ومن اليمن فبلغت عدتها بعد موته ثلاثين ألف رأس سوى اتباعها وبلغ البقـل الاخضر الذى يشترى لفراخ الاوز في كل يوم خمسين درهما عنها زيادة على مثقالين من الذهب فلما كانت أيام الظاهر برقوق عمل المولد النبوى بهذا الحوش في أول ليلة جمعة من شهر ربيع الاول

فى كل عام فاذا كان وقت ذلك ضربت خيمة عظيمة بهذا الحوش وجلس السلطان وعن يمينه شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقينى ويليه الشيخ المعتقد ابراهيم برهان الدين بن محمد بن بهادر بن احمد بن رفاعة المغربى ويليه ولد شيخ الاسلام ومن دونه وعن يسار السلطان الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزرى المغربى ويليه قضاة القضاه الاربعة وشيوخ العلم ويجلس الامراء على بعد من السلطان فاذا فرغ القراء من قراءة القرآن الكريم قام المنشدون واحدا بعد واحد وهم يزيدون على عشرين منشدا فيدفع لكل واحد منهم صرة فيها أربعمائة درهم فضة ومن كل أمير من أمراء الدولة شقة حرير فاذا انقضت صلاة المغرب مدت أسمطة الاطعمة الفائقة فأكلت وحمل مافيها ثم مدت أسمطة الحلوى السكرية من الجوارشات والعقائد ونحوها فتؤكل وتخطفها الفقهاء ثم يكون تكميل انشاد المنشدين ووعظهم الى نحو ثلث الليل فاذا فرغ المنشدون قام القضاة وانصرفوا وأقيم السماع بقية الليل واستمر ذلك مدة أيامه ثم أيام ابنه الملك الناصر فرج

* (ذكر المياه التى بقلعة الجبل) *

وجميع مياه القلعة من ماء النيل تنقل من موضع الى موضع حتى تمر فى جميع مايحتاج اليه بالقلعة وقد اعتنى الملوك بعمل السواقى التى تنقل الماء من بحر النيل الى القلعة عناية عظيمة فأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة أربع سواق على بحر النيل تنقل الماء الى السور ثم من السور الى القلعة وعمل نقالة من المصنع الذى عمله الظاهر بيبرس بجوار زاوية تقى الدين رجب التى بالرميلة تحت القلعة الى بئر الاصطبل فلما كانت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة عزم الملك الناصر على حفر خليج من ناحية حلوان الى الجبل الاحمر المطل على القاهرة ليسوق الماء الى الميدان الذى عمله بالقلعة ويكون حفر الخليج فى الجبل فنزل لكشف ذلك ومعه المهندسون فجاء قياس الخليج طولا اثنين وأربعين ألف قصبة فيمر الماء فيه من حلوان حتى يحاذى القلعة فاذا حاذاها بنى هناك خبايا تحمل الماء الى القلعة ليصير الماء بها غزيرا كثيرا دائما صيفا وشتاء لاينقطع ولا يتكلف لحمله ونقله ثم يمر من محاذاة القلعة حتى ينتهى الى الجبل الاحمر فيصب من أعلاه الى تلك الارض حتى تزرع وعند ماأراد الشروع فى ذلك طلب الامير سيف الدين قطلوبك بن قرا سنقر الجاشنكير أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق بعد مافرغ من بناء القناة وساق العين الى القدس فحضر ومعه الصناع الذين عملوا قناة عين بيت المقدس على خيل البريد الى قلعة الجبل فأنزلوا ثم أقيمت لهم الجرايات والرواتب وتوجهوا الى حلوان ووزنوا مجرى الماء وعادوا الى السلطان وصوبوا رأيه فيما قصد والتزموا بعمله فقال كم تريدون قالوا ثمانين ألف دينار فقال ليس هذا بكثير فقال كم تكون مدة العمل فيه حتى يفرغ قالوا عشر سنين فاستكثر طول المدة ويقال ان

الفخر ناظر الجيش هو الذى حسن لهم أن يقولوا هذه المدة فانه لم يكن من رأيه عمل هذا الخليج وما زال يخيل للسلطان من كثرة المصروف عليه ومن خراب القرافة ماحمله على صرف رأيه عن العمل واعاد قطلوبك والصناع الى دمشق فمات قطلوبك عقيب ذلك في سنة تسع وعشرين وسبعمائة في ربيع الاول فلما كانت سنة احدي وأربعين وسبعمائة اهتم الملك الناصر بسوق الماء الى القلعة وتكثيره بها لاجل سقي الاشجار وملء الفساقي ولاجل مراحات الغنم والابقار فطلب المهندسين والبنائين ونزل معهم وسار فى طول القناطر التي تحمل الماء من النيل الى القلعة حتى انتهى الى الساحل فأمر بحفر بئر أخرى ليركب عليها القناطر حتي تتصل بالقناطر العتيقة فيجتمع الماء من بئرين ويصير ماء واحدا يجرى الى القلعة فيسقى الميدان وغيره فعمل ذلك ثم أحب الزيادة فى الماء أيضاً فركب ومعه المهندسون الى بركة الحبش وأمر بحفر خليج صغير يخرج من البحر ويمر الى حائط الرصد وينقر في الحجر تحت الرصد عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور ويركب على الآبار السواقي لتنقل الماء الى القناطر العتيقة التي تحمل الماء الى القلعة زيادة لمائها وكان فيما بين أول هذا المكان الذى عين لحفر الخليج وبين آخره تحت الرصد أملاك كثيرة وعدة بساتين فندب الامير أقبغا عبد الواحد لحفر هذا الخليج وشراء الاملاك من أربابها فحفر الخليج وأجراه فى وسط بستان الصاحب بهاء الدين بن حنا وقطع أنشابه وهدم الدور وجمع عامة الحجارين لقطع الحجر ونقر الآبار وصار السلطان يتعاهد النزول للعمل كل قليل فعمل عمق الخليج من فم البحر أربع قصبات وعمق كل بئر في الحجر أربعين ذراعا فقدر الله تعالى موت الملك الناصر قبل تمام هذا العمل فبطل ذلك وانطم الخليج بعد ذلك وبقيت منه الى اليوم قطعة بجوار رباط الآثار وما زالت الحائط قائمة من حجر في غاية الاتقان من احكام الصنعة وجودة البناء عند سطح الجرف الذى يعرف اليوم بالرصد قائماً من الارض في طول الجرف الى أعلاه حتى هدمه الامير يلبغا السالمي في سنة اثنتى عشرة وثمانمائة وأخذ ما كان به من الحجر فرم به القناطر التي تحمل الى اليوم الماء حتي يصل الى القلعة وكانت تعرف بسواقى السلطان فلما هدمت جهل اكثر الناس أمرها ونسوا ذكرها * (المطبخ) كان أولا موضعه في مكان الجامع فأدخله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فيما زاده في الجامع وبنى هذا المطبخ الموجود الآن وعمل عقوده بالحجارة خوفا من الحريق وكانت أحوال المطبخ متسعة جدا سيما في سلطنة الاشرف خليل بن قلاون فانه تبسط فى المآ كل وغيرها حتي لقد ذكر جماعة من الاعيان انهم اقاموا مدة سفرهم معه يرسلون كل يوم عشرين درهما فيشترى لهم بها مما يأخذه الغلمان أربع خوافق صيني مملوءة طعاما مفتخرا بالقلوبات ونحوها فى كل خافقية ماينيف على خمسة عشر رطل لحم أو عشرة أطيار دجاج سمان وبلغ

راتب الحوايج خاناه فى أيام الملك العادل كتبغا كل يوم عشرين ألف رطل لحم وراتب البيوت والجرايات غير أرباب الرواتب في كل يوم سبعمائة أردب قمحا واعتبر القاضى شرف الدين عبد الوهاب النشو ناظر الخاص أمر المطبخ السلطانى فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة فوجد عدة الدجاج الذى يذبح في كل يوم للسماط والخاصى التي تخص السلطان ويبعث بها الى الامراء سبعمائة طائر وبلغ مصروف الحوايج خاناه فى كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم فاكثر أولاد الناصر من مصروفها حتى توقفت أحوال الدولة فى أيام الصالح اسماعيل وكتبت أوراق بكلف الدولة في سنة خمس وأربعين وسبعمائة فبلغت في السنة ثلاثين ألف ألف درهم منها مصروف الحوايج خاناه فى كل يوم اثنان وعشرون ألف درهم وبلغ في أيام الناصر محمد ابن قلاون راتب السكر فى شهر رمضان خاصة من كل سنة ألف قنطار ثم تزايد حتى بلغ في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة ثلاثة آلاف قنطار ثمنها ستمائة ألف درهم عنها ثلاثون ألف دينار مصرية وكان راتب الدور السلطانيـــة في كل يوم من أيام شهر رمضان ستين قنطارا من الحلوى برسم التفرقة للدور وغيرها وكانت الدولة قد توقفت أحوالهـا فوفر من المصروف في كل يوم أربعـــة آلاف رطل لحم وستمائة كاجة سميذ وثلثمائة أردب من الشعير ومبلغ ألفى درهم في كل شهر وأضيف الى ديوان الوزارة سوق الخيـــل والدواب والجمال وكانت بيد عدة أجناد عوضوا عنها اقطاعات بالنواحي واعتبر في سنة ست وأربعين وسبعمائة متحصل الحاج علىّ الطباخ فوجد له على المعاملين في كل يوم خمسمائة درهم ولابنه أحمد في كل يوم ثلثمائة درهم سوى الاطعمة المفتخرة وغيرها وسوى ما كان يحصل له في عمل المهمات مع كثرتها ولقد تحصل له من ثمن الرؤس والاكارع وسقط الدجاج والاوز فى مهم عمله للامير بكتمر الساقى ثلاثة وعشرون ألف درهم عنها نحو ألفين ومائتي دينار فأوقعت الحوطة عليه وصودر فوجد له خمسة وعشرون دارا على البحر وفي عدة أماكن واعتبر مصروف الحوايج خاناه في سنة ثمـان وأربعين وسبعمائة فـكان فى كل يوم اثنــين وعشرين ألف رطل من اللحم *(ابراج الحمـام) كان بالقلعة ابراج برسم الحمـام التي تحمل البطائق وبلغت عدتها على ما ذكره ابن عبد الظاهر في كتاب تمـائم الحمائم الى آخر جمادى الآخرة سنة سبع وثمـانين وستمائة ألف طائر وتسعمائة طائر وكان بها عدة من المقدمين لـكل مقدم منهم جزء معلوم وكانت الطيور المذكورة لا تبرح في الابراج بالقلعة ماعدا طائفة منها فانها فى برج بالبرقية خارج القاهرة يعرف ببرج الفيوم رتبه الامير فخر الدين عثمان بن قزل أستادار الملك الـكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وقيل له برج الفيوم فان جميع الفيوم كانت في اقطاع ابن قزل وكانت البطائق ترد اليه من الفيوم ويبعثها من القاهرة الى الفيوم من هذا البرج فاستمر هذا البرج يعرف بذلك وكان بكل مركز حمام

فى سائر نواحي المملكة مصرا وشاما ما بين اسوان الى الفرات فلا تحصى عدة ما كان منها
فى الثغور والطرقات الشامية والمصرية وجميعها تدرج وتنقل من القلعة الى سائر الجهات
وكان لها بغال الحمل من الاصطبلات السلطانية وجامكيات البراجين والعلوفات تصرف من
الاهراء السلطانية فتبلغ النفقة عليها من الاموال مالا يحصى كثرة وكانت ضريبة العلف
لكل مائة طائر ربع ويبة فول في كل يوم وكانت العادة أن لاتحمل البطاقة الا فى جناح
الطائر لامور منها حفظ البطاقة من المطر وقوة الجناح ثم انهم عملوا البطاقة فى الذنب
وكانت العادة اذا بطق من قلعة الجبل الى الاسكندرية فلا يسرح الطائر الا من منية عقبة
بالجيزة وهي أول المرا كز واذا سرح الى الشرقية لايطلق الا من مسجد تبر خارج القاهرة
واذا سرح الى دمياط لايسرح الا من ناحية بيسوس وكان يسير مع البراجين من يوصلهم
الى هذه الاما كن من الجاندارية وكذلك كانت العادة فى كل مملكة يتوخى الابعاد فى
التسريح عن مستقر الحمام والقصد بذلك انها لاترجع الى أبراجها من قريب وكان يعمل
في الطيور السلطانية علائم وهى داغات فى أرجلها أو على مناقيرها ويسميها أرباب الملعوب
الاصطلاح وكان الحمام اذا سقط بالبطاقة لا يقطع البطاقة من الحمام الا السلطان بيده من
غير واسطة وكانت لهم عناية شديدة بالطائر حتى أن السلطان اذا كان يأ كل وسقط الطائر
لا يمهل حتى يفرغ من الا كل بل يحل البطاقة ويترك الا كل وهكذا اذا كان نائما لايمهل
بل ينبه * قال ابن عبد الظاهر وهذا الذى رأينا عليه ملوكنا وكذلك فى الموكب وفي لعب
الا كرة لانه بلمحة يفوت ولايستدرك المهم العظيم اما من واصل أوهارب واما من متجدد
في الثغور قال وينبغى أن تكتب البطائق في ورق الطير المعروف بذلك ورأيت الاوائل
لايكتبون في أولها بسملة وتؤرخ بالساعة واليوم لابالسنين وأنا أؤرخها بالسنة ولا يكثر في
نعوت المخاطب فيها ولايذكر حشو فى الالفاظ ولا يكتب الا لب الكلام وزبدته ولا بد
وأن يكتب سرّح الطائر ورفيقه حتى ان تأخر الواحد ترقب حضوره أو تطلب ولا يعمل
للبطائق هامش ولا تجمل ويكتب آخرها حسبلة ولا تعنون الا اذا كانت منقولة مثل
أن تسرح الى السلطان من مكان بعيد فيكتب لها عنوان لطيف حتي لايفتحها أحد وكل
وال تصل اليه يكتب في ظهرها أنها وصلت اليه ونقلها حتى تصل مختومة قال ومما شاهدته
وتوليت أمره انه في شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة حضر من جهة نائب الصبيبة نيف
وأربعون طائرا صحبة البراجين ووصل كتابه انه درجها الى مصر فأقامت مدة لم يكن شغل
تبطق فيه فقال براجوها قد أزف الوقت عليها في القرنصة وجرى الحديث مع الامير
بيدار نائب السلطنة فتقرر كتب بطائق على عشرة منها بوصولها لاغير وسرحت يوم أربعاء
جميعها فاتفق وقوع طائرين منها فأحضرت بطاقتهما وحصل الاستهزاء بها فلما كان بعد مدة

وصل كتاب السلطان أنها وصلت الى الصيبة في ذلك اليوم بعينه وبطق بذلك في ذلك اليوم بعينه الى دمشق ووصل الخبر الى دمشق في يوم واحد وهـذا مما أنا مصرفه وحاضره والمشير به * قال مؤلفه رحمه الله قد بطل الحمام من سائر المملكة الا ما ينقل من قطيا الى بابيس ومن بابيس الى قلعة الجبل ولا تسل بعد ذلك عن شيء وكانى بهذا القدر وقد ذهب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(ذكر ملوك مصر منذ بنيت قلعة الجبل)

اعلم أن الذين ولوا أرض مصر في الملة الاسلامية على ثلاثة أقسام * القسم الاول من ولى بفسطاط مصر منذ فتح الله تعالى أرض مصر على أيدي العرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وتابعيهم فصارت دار اسلام الى أن قدم القائد أبو الحسين جوهر من بلاد افريقية بعساكر مولاه المعز لدين الله أبي تميم معدّ وبنى القاهرة وهؤلاء يقال لهم أمراء مصر ومدتهم ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة أشهر وستة عشر يوما أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة وآخرها يوم الاثنين سادس عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وعدة هؤلاء الامراء مائة واثنا عشر أميرا * والقسم الثاني من ولى بالقاهرة منذ بنيتْ الى أن مات الامام العاضد لدين الله أبو محمد عبـد الله رحمه الله وهؤلاء يقال لهم الخلفاء الفاطميون ومدتهم بمصر مائتا سنة وثماني سنين وأربعـة أشهر واثنان وعشرون يوما أولها يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمـان وخمسين وثلثمائة وآخرها يوم الاحد عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وعدة هؤلاء الخلفاء أحد عشر خليفة * والقسم الثالث من ملك مصر بعد موت العاضد الى وقتنا هـذا الذى نحن فيه ويقال لهم الملوك والسلاطين وهم ثلاثة أقسام * القسم الاول ملوك بنى أيوب وهم أكراد * والقسم الثانى البحرية وأولادهم وهم مماليك أتراك لبني أيوب * والقسم الثالث مماليك أولاد البحرية وهم جراكسة وقد تقدم في هـذا الـكتاب ذكر الامراء والخلفاء وستقف ان شاء الله تعالى على ذكر من ملك من الاكراد والاتراك والجراكسة وتعرف أخبارهم على ماشرطنا من الاختصار اذ قد وضعت لبسط ذلك كتاباً سميته كتاب السلوك لمعرفـة دول الملوك وجردت تراجمهم فى كتاب التاريخ الـكبير المقفى فتطلبهما تجد فيهما مالا تحتاج بعـده الى سواهما في معناهما

* (ذكر من ملك مصر من الاكراد)*

اعلم أن النـاس قد اختلفوا فى الاكراد فذكر العجم أن الاكراد فضـل طعم الملك بيوراسف وذلك انه كان يأمر أن يذبح له كل يوم انسانان ويتخذ طعامه من لحومهما وكان له وزير يسمى ارمايل وكان يذبح واحدا ويستحيي واحدا ويبعث به الى جبـال فارس

فتوالدوا في الجبال وكثروا ومن الناس من ألحقهم باماء سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على نسائه المنافقات الشيطان الذي يقال له الجسد وعصم الله تعالى منه المؤمنات فعلق منه المنافقات فلما رد الله تعالى على سليمان عليه السلام ملكه ووضع هؤلاء الاماء الحوامل من الشيطان قال اكردوهم الى الجبال والاودية فربتهم أمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الاكراد والاكراد عند الفرس من ولد كرد بن اسفندام بن منوشهر وقيل هم ينسبون الى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر وقيل هم من ولد عمرو مزيقيا بن عامر ابن ماء السماء وقيل من بني حامد بن طارق من بقية أولاد حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهذه أقوال الفقهاء لهم ممن أراد الحظوة لديهم لما صار الملك اليهم وانما هم قبيل من قبائل العجم وهم قبائل عديدة كورانية بنو كوران وهذبانية وبشتوية وشاصنجانية وسرنجية وبزولية ومهرانية وزردارية وكيكانية وجاك وكردنيلية وروادية ودسنية وهكارية وحميدية وورلجية ومروانية وجلانية وسنيكية وجوني وتزعم المروانية أنها من بني مروان بن الحكم ويزعم بعض الهكارية انها من ولد عتبة بن أبي سفيان بن حرب * وأول من ملك مصر من الاكراد الايوبية * (السلطان الملك الناصر صلاح الدين) * أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أبي الشكر أيوب ابن شادي بن مروان الكردي من قبيل الروادية أحد بطون الهذبانية نشأ أبوه أيوب وعمه أسد الدين شيركوه ببلد دوين من أرض اذربيجان من جهة ارّان وبلاد الكرج ودخلا بغداد وخدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فبعث أيوب الى قلعة تكريت وأقامه بها مستحفظاً لها ومعه أخوه شيركوه وهو أصغر منه سناً فخدم أيوب الشهيد زنكي لما انهزم فشكر له خدمته واتفق بعد ذلك أن شيركوه قتل رجلا بتكريت فطرد هو وأخوه أيوب من قلعتها فمضيا الى زنكي بالموصل فآواهما وأقطعهما اقطاعا عنده ثم رتب أيوب بقلعة بعلبك مستحفظاً ثم أنعم عليه بأمرة واتصل شيركوه بنور الدين محمود بن زنكي في أيام أبيه وخدمه فلما ملك حلب بعد أبيه كان لنجم الدين أيوب عمل كثير في أخذ دمشق لنور الدين فتمكنا في دولته حتي بعث شيركوه مع الوزير شاور بن مجير السعدي الى مصر فسار صلاح الدين في خدمته من جملة أجناده وكان من أمر شيركوه ما كان حتى مات فأقيم بعده في وزارة العاضد ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب في يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة ولقبه بالملك الناصر وأنزله بدار الوزارة من القاهرة فاستمال قلوب الناس واقبل على الجد وترك اللهو وتعاضد هو والقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه الله على ازالة الدولة الفاطمية وولى صدر الدين بن درباس قضاء القضاة وعزل قضاة الشيعة وبني بمدينة مصر مدرسة للفقهاء المالكية ومدرسة للفقهاء

الشافعية وقبض على أمراء الدولة وأقام اصحابه عوضهم وأبطل المكوس بأسرها من أرض مصر ولم يزل يدأب في ازالة الدولة حتى تم له ذلك وخطب لخليفة بغداد المستضىء بأمر الله أبي محمد الحسن العباسي وكان العاضد مريضاً فتوفي بعد ذلك بثلاثة أيام واستبد صلاح الدين بالسلطنة من أول سنة سبع وستين وخمسمائة واستدعى أباه نجم الدين أيوب واخوته من بلاد الشام فقدموا عليه بأهاليهم وتأهب لغزو الفرنج وسار الى الشوبك وهي بيدالفرنج فواقعهم وعاد الى ايلة فجبى الزكوات من أهل مصر وفرقها على أصنافها ورفع الى بيت المال سهم العاملين وسهم المؤلفة وسهم المقاتلة وسهم المساكين وأنزل الغز بالقصر الغربي وأحاط بأموال القصر وبعث بها الى الخليفة ببغداد والى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بالشام فأتته الخلع الخليفية فلبسها ورتب نوب الطبلخاناه في كل يوم ثلاث مرات ثم سار الى الاسكندرية وبعث ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب على عسكر الى برقة وعاد الى القاهرة ثم سار في سنة ثمان وخمسين الى الكرك وهي بيد الفرنج فحصرها وعاد بغير طائل فبعث أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب الى بلاد النوبة فأخذ قلعة ابريم وعاد بغنائم وسبي كثير ثم سار لاخذ بلاد اليمن فملك زبيد وغيرها فلما مات نور الدين محمود بن زنكي توجه السلطان صلاح الدين فى أول صفر سنة سبعين الى الشام وملك دمشق بغير مانع وأبطل ما كان يؤخذ بها من المكوس كما أبطلها من ديارمصر وأخذ حمص وحماه وحاصر حلب وبها الملك الصالح مجير الدين اسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكي فقاتله أهلها قتالا شديدا فرحل عنها الى حمص وأخذ بعلبك بغير حصار ثم عاد الى حلب فوقع الصلح على أن يكون له مابيده من بلاد الشام مع المعرة وكفر طاب ولهم مابأيديهم وعاد فأخذ بغزاس بعد حصار وأقام بدمشق وندب قراقوش التقوى لاخذ بلاد المغرب فأخذ أجلن وعاد الى القاهرة وكانت بين السلطان وبين الحلبيين وقعة هزمهم فيها وحصرهم بحلب اياما وأخذ بزاعة ومنبج وعزاز ثم عاد الى دمشق وقدم القاهرة فى سادس عشرى ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين بعد ما كانت لعساكره حروب كثيرة مع الفرنج فأمر ببناء سور يحيط بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل وأقام على بنائه الامير بهاءالدين قراقوش الاسدى فشرع في بناء قلعة الجبل وعمل السور وحفر الخندق حوله وبدأ السلطان بعمل مدرسة بجوار قبر الامام الشافعي رضى الله عنه في القرافة وعمل مارستاناً بالقاهرة وتوجه الى الاسكندرية فصام بها شهر رمضان وسمع الحديث على الحافظ أبي طاهر أحمد السلفي وعمر الاسطول وعاد الى القاهرة وأخرج قراقوش التقوى الى بلاد المغرب وأمر بقطع ما كان يؤخذ من الحجاج وعوض أمير مكة عنه في كل سنة ألفي دينار وألف أردب غلة سوى اقطاعه بصعيد مصر وباليمن ومبلغه ثمانية آلاف أردب ثم سار من القاهرة في جمادى

الاولى سنة ثلاث وسبعين الى عسقلان وهي بيد الفرنج وقتل وأسر وسبي وغنم ومضي يريدهم بالرملة فقاتل البرنس ارباط متملك الكرك قتالا شديدا ثم عاد الى القاهرة ثم سار منها في شعبان يريد الفرنج وقد نزلوا على حماه حتى قدم دمشق وقد رحلوا عنها فواصل الغارات على بلاد الفرنج وعساكره تغزوا بلاد المغرب ثم فتح بيت الاحزان من عمل صفد وأخذه من الفرنج عنوة وسار في سنة ست وسبعين لحرب فتح الدين قليج ارسلان صاحب قونيه من بلاد الروم وعاد ثم توجه الى بلاد الارمن وعاد فخرب حصن بهنسا ومضي الى القاهرة فقدمها في ثالث عشر شعبان ثم خرج الي الاسكندرية وسمع بها موطأ الامام مالك على الفقيه أبي طاهر بن عوف وأنشأ بها مارستاناً ودارا للمغاربة ومدرسة وجدد حفر الخليج ونقل فوهته ثم مضى الي دمياط وعاد الي القاهرة ثم سار فى خامس المحرم سنة ثمان وسبعين على ايلة فأغار على بلاد الفرنج ومضى الي الكرك فعاثت عساكره ببلاد طبرية وعكا وأخذ الشقيف من الفرنج ونزل السلطان بدمشق وركب الي طبرية فواقع الفرنج وعاد فتوجه الي حلب ونازلها ثم مضى الي البيرة على الفرات وعدى الي الرها فأخذها وملك حران والرقة ونصيبين وحاصر الموصل فلم ينل منها غرضاً فنازل سنجار حتى أخذها ثم مضى على حران الي آمد فأخذها وسار على عين تاب الي حلب فملكها فى ثامن عشر صفر سنة تسع وسبعين وعاد الى دمشق وعبر الاران وحرق بيسان على الفرنج وخرب لهم عدة حصون وعاد الى دمشق ثم سار الى الكرك فلم ينل منها غرضاً وعاد ثم خرج فى سنة ثمانين من دمشق فنازل الكرك ثم رحل عنها الى نابلس فحرقها واكثر من الغارات حتى دخل دمشق ثم سار منها الى حماه ومضى حتى بلغ حران ونزل على الموصل وحصرها ثم سار عنها الى خلاط فلم يملكها فمضى حتي أخذ ميافارقين وعاد الى الموصل ثم رحل عنها وقد مرض الى حران فتقرر الصلح مع المواصلة على أن خطبوا له بها وبديار بكر وجميع البلاد الارتقية وضرب السكة فيها باسمه ثم سار الي دمشق فقدمها فى ثانى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وخرج منها فى أول سنة ثلاث وثمانين ونازل الكرك والشوبك وطبرية فملك طبرية في ثالث عشرى ربيع الآخر من الفرنج ثم واقعهم على حطين وهم فى خمسين ألفاً فهزمهم بعد وقائع عديدة واسر منهم عدة ملوك ونازل عكا حتى تسلمها في ثاني جمادى الاولى وأنقذ منها أربعة آلاف أسير مسلم من الاسر وأخذ مجدل يافا وعدة حصون منها الناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية والشقيف والنولة والطور وسبسطيه ونابلس وتبنين وصرخد وصيدا وبيروت وجبيل وأنقذ من هذه البلاد زيادة على عشرين ألف أسير مسلم كانوا في أسر الفرنج وأسر من الفرنج مائة ألف انسان ثم ملك منهم الرملة وبلد الخليل عليه السلام وبيت لحم من القدس ومدينة عسقلان ومدينة غزة وبيت جبريل ثم فتح

بيت المقدس في يوم الجمعة سابع عشرى رجب وأخرج منه ستين ألفا من الفرنج بعد ما أسر ستة عشر ألفاً مابين ذكر وأنثى وقبض من مال المفاداة ثلثمائة ألف دينار مصرية وأقام الجمعة بالاقصى وبنى بالقدس مدرسة للشافعية وقرر على من يرد كنيسة قمامة من الفرنج قطيعة يؤديها ثم نازل عكا وصور ونازل في سنة أربع وثمانين حصن كوكب وندب العساكر الى صفد والكرك والشوبك وعاد الى دمشق فدخلها سادس ربيع الاول وقد غاب عنها فى هذه الغزوة أربعة عشر شهرا وخمسة أيام ثم خرج منها بعد خمسة أيام فشن الغارات على الفرنج وأخذ منهم أنطرسوس وخرب سورها وحرقها وأخذ جبلة واللاذقية وصهيون والشغر وبكاس وبقراص ثم عاد الى دمشق آخر شعبان بعد مادخل حلب فملكت عساكره الكرك والشوبك والسلع في شهر رمضان وخرج بنفسه الى صفد وملكها من الفرنج في رابع عشر شوال وملك كوكب في نصف ذي القعدة وسار الى القدس ومضى بعد النحر الى عسقلان ونزل بعكا وعاد الى دمشق أول صفر سنة خمس وثمانين ثم سار منها في ثالث ربيع الاول ونازل شقيف أرنون وحارب الفرنج حروباً كثيرة ومضى الى عكا وقد نزل الفرنج عليها وحصروا من بها من المسلمين فنزل بمرج عكا وقاتل الفرنج من أول شعبان حتي انقضت السنة وقد خرج الالمان من قسطنطينية في زيادة على ألف ألف يريد بلاد الاسلام فاشتد الامر ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان بالخروبة على حصار الفرنج والامداد تصل اليه وقدم الالمان طرسوس يريد بيت المقدس فخرب السلطان سور طبرية ويافا وارسوف وقيسارية وصيدا وجبيل وقوي الفرنج بقدوم ابن الالمان اليهم تقوية لهم وقد مات أبوه بطرسوس وملك بعده فقدر الله تعالى موته أيضاً على عكا ودخلت سنة سبع وثمانين فملك الفرنج عكا في سابع عشر جمادى الآخرة وأسروا من بها من المسلمين وحاربوا السلطان وقتلوا جميع من أسروه من المسلمين وساروا الى عسقلان فرحل السلطان فى أثرهم وواقعهم بأرسوف فانهزم من معه وهو ثابت حتى عادوا اليه فقاتل الفرنج وسبقهم الى عسقلان وخربها ثم مضى الى الرملة وخرب حصنها وخرب كنيسة لد ودخل القدس فأقام بها الى عاشر رجب سنة ثمان وثمانين ثم سار الى يافا فأخذها بعد حروب وعاد الى القدس وعقد الهدنة بينه وبين الفرنج مدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر أولها حادى عشر شعبان على أن للفرنج من يافا الى عكا الى صور وطرابلس وانطاكية ونودى بذلك فكان يوماً مشهودا وعاد السلطان الى دمشق فدخلها خامس عشري شوال وقد غاب عنها أربع سنين فمات بها في يوم الاربعاء سابع عشرى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة عن سبع وخمسين سنة منها مدة ملكه بعد موت العاضد اثنتان وعشرون سنة وستة عشر يوما فقام من بعده بمصر ولده * (السلطان الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح

عثمان)* وقد كان يومئذ ينوب عنه بمصر وهو مقيم بدار الوزارة من القاهرة وعنده جل عساكر أبيه من الاسدية والصلاحية والاكراد فأتاه ممن كان عند أخيه الملك الافضل على الامير فخر الدين جهاركس والامير فارس الدين ميمون القصرى والامير شمس الدين سنقر الكبير وهم عظماء الدولة فأكرمهم وقدم عليه القاضى الفاضل فبالغ في كرامته وتنكر ما بينه وبين أخيه الافضل فسار من مصر لمحاربته وحصره بدمشق فدخل بينهما العادل أبو بكر حتى عاد العزيز الى مصر على صلح فيه دخل فلم يتم ذلك وتوحش ما بينهما وخرج العزيز ثانياً الى دمشق فدبر عليه عمه العادل حتى كاد أن يزول ملكه وعاد خائفا فسار اليه الافضل والعادل حتى نزلا بلبيس فجرت أمور آلت الى الصلح وأقام العادل مع العزيز بمصر وعاد الأفضل الى مملكته بدمشق فقام العادل بتدبير أمور الدولة وخرج بالعزيز لمحاربة الافضل فحصراه بدمشق حتى أخذاها منه بعد حروب وبعثاه الى صرخد وعاد العزيز الى مصر وأقام العادل بدمشق حتى مات العزيز في ليلة العشرين من محرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة عن سبع وعشرين سنة وأشهر منها مدة سلطنته بعد أبيه ست سنين تنقص شهراً واحدا فأقيم بعده ابنه *(السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد)* وعمره تسع سنين وأشهر بعهد من أبيه وقام بأمور الدولة بهاء الدين قراقوش الاسدى الاتابك فاختلف عليه أمراء الدولة وكاتبوا الملك الافضل على بن صلاح الدين فقدم من صرخد في خامس ربيع الاول فاستولى على الامور ولم يبق للمنصور معه سوى الاسم ثم سار به من القاهرة في ثالث رجب يريد أخذ دمشق من عمه العادل بعد ماقبض على عدة من الامراء وقد توجه العادل الى ماردين فحصر الافضل دمشق وقد بلغ العادل خبره فعاد وسار يريده حتى دخل دمشق فجرت حروب كثيرة آلت الى عود الافضل الى مصر بمكيدة دبرها عليه العادل وخرج العادل في أثره وواقعه على بلبيس فكسره فى سادس ربيع الآخر سنة ست وتسعين والتجأ الى القاهرة وطلب الصلح فعوضه العادل صرخد ودخل الى القاهرة في يوم السبت ثامن عشره وأقام بأتابكية المنصور ثم خلعه في يوم الجمعة حادى عشر شوال وكانت سلطنته سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما واستبد بالسلطنة بعده عم أبيه *(السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب)* فخطب له بديار مصر وبلاد الشام وحران والرها وميا فارقين وأخرج المنصور واخوته من القاهرة الى الرها واستناب ابنه الملك الكامل محمدا عنه . وعهد اليه بعده بالسلطنة وحلف له الامراء فسكن قلعة الجبل واستمر أبوه في دار الوزارة وفي أيامه توقفت زيادة النيل ولم يبلغ سوى ثلاثة عشر ذراعا تنقص ثلاثة أصابع وشرقت أراضى مصر الاالاقل وغلت الاسعار وتعذر وجود الاقوات حتى أكلت الجيف وحتى أكل الناس بعضهم بعضا وتبع ذلك فناء كبير

وامتد ذلك ثلاث سنين فبلغت عدة من كفنه العادل وحده من الاموات في مدة يسيرة نحو مائتي ألف وعشرين ألف انسان فكان بلاء شنيعا وعقب ذلك تحرك الفرنج على بلاد المسلمين في سنة تسع وتسعين فكانت معهم عدة حروب على بلاد الشام آلت الى أن عقد العادل معهم الهدنة فعاودوا الحرب في سنة ستمائة وعزموا على أخذ القدس وكثر عيثهم وفسادهم وكانت لهم وللمسلمين شؤون آلت الى نزولهم على مدينة دمياط في رابع ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة والعادل يومئذ بالشام فخرج الملك الكامل لمحاربتهم فمات العادل بمرج الصفر في يوم الخميس سابع جمادى الآخرة منها وحمل الى دمشق فكانت مدة سلطنته بديار مصر تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما * وقام من بعده ابنه (السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد) بعهد أبيه فأقام في السلطنة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما ومات بدمشق يوم الاربعاء حادى عشرى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة *واقيم بعده ابنه (السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر) فاشتغل باللهو عن التدبير وخرجت عنه حلب واستوحش منه الامراء لتقربه الشباب وسار أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الشرق الى دمشق وأخذها في أول جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وجرت له أمور آخرها انه سار الى مصر فقبض الامراء على العادل وخلعوه يوم الجمعة ثامن ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة فكانت سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيام

* وقام بعده بالسلطنة أخوه (السلطان الملك الصالح نجم الدين أبو الفتوح أيوب) فاستولى على قلعة الجبل في يوم الاحد رابع عشرى ذى القعدة وجلس على سرير الملك بها وكان قد خطب له قبل قدومه فضبط الامور وقام باعباء المملكة أتم قيام وجمع الاموال التي اتلفها أخوه وقبض على الامراء ونظر في عمارة أرض مصر وحارب عربان الصعيد وقدم مماليكه وأقامهم أمراء وبني قلعة الروضة وتحول من قلعة الجبل اليها وسكنها وملك مكة وبعث لغزو اليمن وعمر المدارس الصالحية بين القصرين من القاهرة وقرر بها دروسا أربعة للشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة وفي أيامه نزل الفرنج على دمياط في ثالث عشرى صفر سنة سبع وأربعين وعليهم الملك رواد فرنس وملكوها وكان السلطان بدمشق فقدم عند ما بلغه حركة الفرنج ونزل اشموم طناح وهو مريض فمات بناحية المنصورة مقابل الفرنج في يوم الاحد رابع عشر شعبان منها وكانت مدة سلطنته بعد أخيه تسع سنين وثمانية اشهر وعشرين يوما فقامت أم ولده خليل واسمها شجرة الدر بالامر وكتمت موته واستدعت ابنه توران شاه من حصن كيفا وسلمت اليه مقاليد الامور * فقام من بعده ابنه (السلطان الملك المعظم غياث الدين توران شاه) وقد سار من حصن كيفا في نصف شهر رمضان فمر على دمشق وتسلطن بقلعتها في يوم الاثنين لليلتين بقيتا منه وركب الي مصر

فنزل الصالحية طرف الرمل لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة فأعلن حينئذ بموت الصالح ولم يكن أحد قبل ذلك يتفوه بموت السلطان بل كانت الامور على حالها والخدمة تعمل بالدهليز والسماط يمد وشجرة الدر تدبر أمور الدولة وتوهم الكافة أن السلطان مريض ما لاحد عليه سبيل ولا وصول ثم سار المعظم من الصالحية الى المنصورة فقدمها يوم الخميس حادى عشريه فأساء تدبير نفسه وتهدد البحرية حتى خافوه وهم يومئذ جمرة العسكر فقتلوه بعد سبعين يوما فى يوم الاثنين تاسع عشرى المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة وبموته انقضت دولة بنى أيوب من ديار مصر بعد ما أقامت احدي وثمانين سنة وسبعة عشر يوما وملك منهم ثمانية ملوك

* (ذكر دولة المماليك البحرية) *

وهم الملوك الاتراك وكان ابتداء أمر هذه الطائفة أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب كان قد أقره أبوه السلطان الملك الكامل محمد ببلاد الشرق وجعل ابنه العادل أبا بكر ولى عهده في السلطنة بمصر فلما مات قام من بعده العادل في السلطنة وتنكر مابينه وبين ابن عمه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل أبى بكر بن أيوب وهو نائب دمشق فاستدعى الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الشرق ورتب ابنه المعظم توران شاه علي بلاد الشرق وأقره بحصن كيفا وقدم دمشق وملكها فكاتبه أمراء مصر تحثه على أخذها من أخيه العادل وخامر عليه بعضهم فسار من دمشق فى رمضان سنة ست وثلاثين فانزعج العادل انزعاجا كبيرا وكتب الى الناصر داود صاحب الكرك فسار اليه ليعاونه على أخيه الصالح فاتفق مسير الملك الصالح اسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب من حماه وأخذه دمشق للملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل محمد في سابع عشرى صفر سنة سبع وثلاثين والملك الصالح نجم الدين أيوب يومئذ على نابلس فانحل أمره وفارقه من معه حتي لم يبق معه الا مماليكه وهم نحو الثمانين وطائفة من خواصه نحو العشرين وأما الجميع فانهم مضوا الى دمشق وكان الناصر داود قد فارق العادل وسار من القاهرة مغاضبا له الى الكرك ومضى الى الصالح نجم الدين أيوب وقبضه بنابلس في ثانى عشر ربيع الاول منها وسجنه بالكرك فأقام مماليك الصالح بالكرك حتى خلص من سجنه في سابع عشرى شهر رمضان منها فاجتمع عليه مماليكه وقد عظمت مكانتهم عنده وكان من أمره ما كان حتى ملك مصر فرعى لهم ثباتهم معه حين تفرق عنه الاكراد واكثر من شرائهم وجعلهم أمراء دولته وخاصته وبطانته والمحيطين بدهليزه اذا سافر وأسكنهم معه في قلعة الروضة وسماهم البحرية وكانوا دون الالف مملوك قيل ثمانمائة وقيل سبعمائة وخمسون كلهم اتراك فلما مات الملك الصالح بالمنصورة أحس الفرنج بشئ من ذلك فركبوا من مدينة دمياط وساروا على فارسكور وواقعوا العسكر

في يوم الثلاثاء أول شهر رمضان سنة سبع وأربعين ونزلوا بقرية شرمساح ثم بالبرمون ونزلوا تجاه المنصورة فكانت الحروب بين الفريقين الى خامس ذى القعدة فلم يشعر المسلمون الا والفرنج معهم في المعسكر فقتل الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ وانهزم الناس ووصل رواد فرنس ملك الفرنج الى باب قصر السلطان فبرزت البحرية وحملوا على الفرنج حملة منكرة حتى ازاحوهم وولوا فأخذتهم السيوف والدبابيس وقتل من اعيانهم ألف وخمسمائة فظهرت البحرية من يومئذ واشتهرت ثم لما قدم الملك المعظم توران شاه أخذ فى تهديد شجرة الدر ومطالبتها بمال ابيه فكاتبت البحرية تذكرهم بما فعلته من ضبط المملكة حتي قدم المعظم وما هى فيه من الخوف منه فشق ذلك عليهم وكان قد وعد الفارس اقطاى المتوجه اليه من المنصورة لاستدعائه من حصن كيفا بامرة فلم يف له فتنكر له وهو من اكابر البحرية وأعرض مع ذلك عن البحرية واطرح جانب الامراء وغيرهم حتى قتلوه * وأجمعوا على أن يقيموا بعده في السلطنة سرية أستاذهم * (الملكة عصمة الدين أم خليل شجرة الدر الصالحية) * فأقاموها في السلطنة وحلفوا لها فى عاشر صفر ورتبوا الامير عز الدين أيبك التركمانى الصالحى أحد البحرية مقدم العسكر وسار عز الدين أيبك الرومى من العسكر الى قلعة الجبل وأنهى ذلك الى شجرة الدر فقامت بتدبير المملكة وعلمت على التواقيع بما مثاله والدة خليل ونقش على السكة اسمها ومثاله المستعصمة الصالحية ملكة المسلمين والدة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين وكانت البحرية قد تسلمت مدينة دمياط من الملك رواد فرنس بعد ماقرر على نفسه أربعمائة ألف دينار وعاد العسكر من المنصورة الى القاهرة في تاسع صفر وحلفوا لشجرة الدر فى ثالث عشره فخلعت عليهم وأنفقت فيهم الاموال ولم يوافق أهل الشام على سلطنتها وطلبوا الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز صاحب حلب فسار اليهم بدمشق وملكها فانزعج العسكر بالقاهرة وتزوج الامير عز الدين أيبك التركمانى بالملكة شجرة الدر ونزلت له عن السلطنة وكانت مدتها ثمانين يوما وملك بعدها *(السلطان الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركمانى الصالحى) * أحد المماليك الاتراك البحرية وكان قد انتقل الي الملك الصالح من اولاد ابن التركمانى فعرف بالتركمانى ورقاه في خدمه حتى صار من جملة الامراء ورتبه جاشنكيره فلما مات الصالح وقدمته البحرية عليهم في سلطنة شجرة الدر كتب اليهم الخليفة المستعصم من بغداد يذمهم على اقامة امرأة ووافق مع ذلك أخذ الناصر لدمشق وحركتهم لمحاربته فوقع الاتفاق على اقامة أيبك في السلطنة فأركبوه بشعار السلطنة في يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة ولقبوه بالملك المعز وجلس على تخت الملك بقلعة الجبل فورد الخبر من الغد بأخذ الملك المغيث عمر بن العادل الصغير الكرك والشوبك وأخذ الملك السعيد قلعة الصبيبة فاجتمع رأى الامراء على

اقامة الاشرف مظفر الدين موسى بن الناصر ويقال المسعود يوسف ابن الملك المسعود يوسف ويقال طسز ويقال أيضا اقسيس ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب شريكا للمعز في السلطنة فأقاموه معه وعمره نحو ست سنين في خامس جمادى الاولى وصارت المراسيم تبرز عن الملكين الا أن الامر والنهي للمعز وليس للاشرف سوى مجرد الاسم وولى المعز الوزارة لشرف الدين أبي سعيد هبة الله بن صاعد الفائزى وهو أول قبطى ولى وزارة مصر وخرج المعز بالعساكر وعربان مصر لمحاربة الناصر يوسف في ثالث ذى القعدة وخيم بمنزلة الصالحية وترك الاشرف بقلعة الجبل واقتتل مع الناصر فى عاشره فكانت النصرة له على الناصر وعاد فى ثاني عشره فنزل بالناس من البحرية بلاء لايوصف مابين قتل ونهب وسبي بحيث لو ملك الفرنج بلاد مصر مازادوا فى الفساد على مافعله البحرية وكان كبراؤهم ثلاثة الامير فارس الدين اقطاى وركن الدين بيبرس البندقدارى وبلبان الرشيدى ثم فى محرم سنة تسع وأربعين خرج المعز بالاشرف والعساكر فنزل بالصالحية وأقام بها نحو سنتين والرسل تتردد بينه وبين الناصر وأحدث الوزير الاسعد هبة الله الفائزى مظالم لم تعهد بمصر قبله فورد الخبر فى سنة خمسين بحركة التتر على بغداد فقطع المعز من الخطبة اسم الاشرف وانفرد بالسلطنة وقبض على الاشرف وسجنه وكان الاشرف موسى آخر ملوك بنى أيوب بمصر ثم ان المعز جمع الاموال فأحدث الوزير مكوسا كثيرة سماها الحقوق السلطانية وعاد المعز الى قلعة الجبل فى سنة احدى وخمسين وأوقع بعرب الصعيد وقبض على الشريف حصن الدين ثعلب بن ثعلب وأذل سائر عرب الوجهين القبلي والبحرى وأفناهم قتلا وأسرا وسبيا وزاد فى القطيعة على من بقى منهم حتى ذلوا وقلوا ثم قتل الفارس اقطاى ففر منه معظم البحرية بيبرس وقلاون في عدد كثير منهم الى الشام وغيرها ولم يزل الى أن قتلته شجرة الدر فى الحمام ليلة الاربعاء رابع عشرى ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة فكانت مدته سبع سنين تنقص ثلاثة وثلاثين يوما وكان ظلوما غشوما سفاكا للدماء أفنى عوالم كثيرة بغير ذنب وقام من بعده ابنه * (السلطان الملك المنصور نور الدين على بن المعز أيبك) * في يوم الخميس خامس عشرى ربيع الاول وعمره خمس عشرة سنة فدبر أمره نائب أبيه الامير سيف الدين قطز ثم خلعه فى يوم السبت رابع عشرى ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة فكانت مدته سنتين وثمانية اشهر وثلاثة أيام وقام من بعده * (السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز) * في يوم السبت وأخرج المنصور بن المعز منفيا هو وأمه الى بلاد الاشكرى وقبض على عدة من الامراء وسار فأوقع بجمع هولاكو على عين جالوت وهزمهم فى يوم الجمعة خامس عشرى رمضان سنة ثمان وخمسين وقتل منهم وأسر كثيرا بعد ماملكوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله عبدالله وأزالوا دولة بنى العباس وخربوا بغداد

وديار بكر وحلب ونازلوا دمشق فلكوها فكانت هذه الوقعة أول هزيمة عرفت للتترمنذ قاموا ودخل المظفر قطز الى دمشق وعاد منها يريد مصر فقتله الامير ركن الدين بيبرس البندقدارى قريبا من المنزلة الصالحية في يوم السبت نصف ذى القعدة منها فكانت مدته سنة تنقص ثلاثة عشر يوما وقام من بعده * (السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحي) * التركى الجنس أحد المماليك البحرية وجلس على تخت السلطنة بقلعة الجبل في سابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين فلم يزل حتى مات بدمشق في يوم الخميس سابع عشرى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة فكانت مدته سبع عشرة سنة وشهرين واثني عشر يوما وقام من بعده ابنه * (السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بركة قان) * وهو يومئذ بقلعة الجبل ينوب عن أبيه وقد عهد اليه بالسلطنة وزوجه بابنة الامير سيف الدين قلاون الالفى فجلس على التخت في يوم الخميس سادس عشري صفر سنة ست وسبعين الى أن خلعه الامراء في سابع ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وكانت مدته سنتين وشهرين وثمانية أيام لم يحسن فيها تدبير ملكه وأوحش ما بينه وبين الامراء فأقيم بعده أخوه * (السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس) * وعمره سبع سنين وأشهر وقام بتدبيره الامير قلاون اتابك العساكر ثم خلعه بعد مائة يوم وبعث به الى الكرك فسجن مع أخيه بركة بها وقام من بعده * (السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الالفى العلائى الصالحي) * أحد المماليك الاتراك البحرية كان قبجاقى الجنس من قبيلة برج اغلى فجلب صغيرا واشتراه الامير علاء الدين آق سنقر الساقى العادلى بألف دينار وصار بعد موته الى الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة سبع وأربعين وستمائة فجعله من جملة البحرية فتقلبت به الاحوال حتى صار أتابك العساكر في ايام العادل سلامش وذكر اسمه مع العادل على المنابر ثم جلس على التخت بقلعة الجبل فى يوم الاحد العشرين من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وتلقب بالملك المنصور وأبطل عدة مكوس فثار عليه الامير شمس الدين سنقر الاشقر بدمشق وتسلطن ولقب نفسه بالملك الكامل في يوم الجمعة رابع عشرى ذي الحجة فبعث اليه وهزمه واستعاد دمشق ثم قدمت التتر الى بلاد حلب وعاثوا بها فتوجه اليهم السلطان بعساكره وأوقع بهم على حمص في يوم الخميس رابع عشرى رجب سنة ثمانين وستمائة وهزمهم بعد مقتلة عظيمة وعاد الى قلعة الجبل وتوجه في سنة أربع وثمانين حتى نازل حصن المرقب ثمانية وثلاثين يوما وأخذه عنوة من الفرنج وعاد الى القلعة ثم بعث العسكر فغزا بلاد النوبة فى سنة سبع وثمانين وعاد بغنائم كثيرة ثم سار فى سنة ثمان وثمانين لغزو الفرنج بطرابلس فنازلها أربعة وثلاثين يوما حتى فتحها عنوة في رابع ربيع الآخر وهدمها جميعها وأنشأ قريبا منها مدينة طرابلس الموجودة الآن وعاد الى قلعة الجبل وبعث لغزو

النوبة ثانيا عسكرا فقتلوا وأسروا وعادوا ثم خرج لغزو الفرنج بعكا وهو مريض فمات خارج
القاهرة ليلة السبت سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة فكانت مدته احدى عشرة
سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوما وقام من بعده ابنه *(السلطان الملك الاشرف صلاح
الدين خليل) * في يوم الاحد سابع ذي القعدة المذكور وسار لفتح عكا في ثالث ربيع
الاول سنة تسعين وستمائة ونصب عليها اثنين وتسعين منجنيقا وقاتل من بها من الفرنج
أربعة وأربعين يوما حتي فتحها عنوة في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاولى وهدمها
كلها بما فيها وحرقها وأخذ صور وحيفا وعثليت وانطرسوس وصيدا وهدمها واجلى الفرنج
من الساحل فلم يبق منهم أحد ولله الحمد وتوجه الى دمشق وعاد الى مصر فدخل قلعة الجبل
يوم الاثنين تاسع شعبان ثم خرج في ثامن ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وستمائة بعد
ما نادى بالنفير للجهاد فدخل دمشق وعرض العساكر ومضى منها فنزل على حلب ونازل قلعة
الروم ونصب عليها عشرين منجنيقاً حتى فتحها بعد ثلاثة وثلاثين يوما عنوة وقتل من بها
من النصارى الارمن وسبى نساءهم وأولادهم وسماها قلعة المسلمين فعرفت بذلك وعاد الى
مصر فدخل قلعة الجبل في يوم الاربعاء ثاني ذى القعدة وسار في رابع المحرم سنة اثنتين
وتسعين حتي بلغ مدينة قوص من صعيد مصر ونادى فيها بالتجهز لغزو اليمن وعاد ثم سار
مخفا على الهجن في البرية الى الكرك ومضى الى دمشق فقدمها في تاسع جمادي الآخرة
وقصد غزو بهنسا وأخذها من الارمن فقدموا اليه وسلموها من تلقاء انفسهم وسلموا أيضاً
مرعش وتل حمدون ومضى من دمشق في ثاني رجب وعبر من حمص الى سلمية وهجم على
الامير مهنا بن عيسى وقبضه واخوته وحملهم في الحديد الى قلعة الجبل وعاد الى دمشق ثم
رجع الى مصر فقدم قلعة الجبل فى ثامن عشرى رجب ثم توجه للصيد فبلغ الطرانة وانفرد
في نفر يسير ليصطاد فاقتحم عليه الامير بيدار في عدة معه وقتلوه فى يوم السبت ثاني عشر
المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأربعة ايام ثم حمل
ودفن بمدرسة الاشرفية وأقيم من بعده أخوه * (السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون) *
وعمره سبع سنين وقام الامير زين الدين كتبغا بتدبيره ثم خلعه بعد سنة تنقص ثلاثة أيام
وقام من بعده * (السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري) * أحد مماليك الملك
المنصور قلاون وجلس على التخت بقلعة الجبل في يوم الاربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع
وتسعين وتلقب بالملك العادل فكانت ايامه شر أيام لما فيها من قصور مد النيل وغلاء الاسعار
وكثرة الوباء في الناس وقدوم الاويراتية فقام عليه نائبه الامير حسام الدين لاجين وهو عائد
من دمشق بمنزلة العرجاء في يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم سنة ست وتسعين ففر الى دمشق
واستولى لاجين على الامر فكانت مدته سنتين وسبعة عشر يوما وقدم لاجين بالعسكر الى

مصر وقام فى السلطنة * (السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى) * أحد مماليك المنصور قلاون وجلس على التخت بقلعة الجبل وتلقب بالملك المنصور في يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم المذكور واستناب مملوكه منكوتمر فنفرت القلوب عنه حتى قتل في ليلة الجمعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة فكانت مدته سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما ودبر الامراء بعده أمور الدولة حتى قدم من الكرك * (السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون) * وأعيد الى السلطنة مرة ثانية في يوم الاثنين سادس جمادى الاولى وقام بتدبير الامور الاميران سلار نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير أستادار حتى سار كانه يريد الحج فمضى الى الكرك وانخلع من السلطنة فكانت مدته تسع سنين وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً فقام من بعده * (السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير) * أحد مماليك المنصور قلاون في يوم السبت ثالث عشرى ذى الحجة سنة ثمان وسبعمائة حتى فر من قلعة الجبل في يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان سنة تسع وسبعمائة فكانت مدته عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً ثم قدم من الشام في العساكر * (السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاون) * وأعيد الى السلطنة مرة ثالثة في يوم الخميس ثانى شوال منها فاستبد بالامر حتي مات في ليلة الخميس حادى عشرى ذي الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وكانت مدته الثالثة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوما ودفن بالقبة المنصورية على أبيه وأقيم بعده ابنه * (السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر) * بعهد أبيه في يوم الخميس حادى عشرى ذى الحجة وقام الامير قوصون بتدبير الدولة ثم خلعه بعد تسعة وخمسين يوما في يوم الاحد لعشرين من صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة واقام بعده أخاه * (السلطان الملك الاشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاون) * ولم يكمل له من العمر ثمان سنين فتنكرت قلوب الامراء على قوصون وحاربوه وقبضوا عليه كما ذكر في ترجمته وخلعوا الاشرف فى يوم الخميس أول شعبان فكانت مدته خمسة أشهر وعشرة أيام وقام الامير أيدغمش بأمر الدولة وبعث يستدعى من بلاد الكرك * (السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاون) * وكان مقيما بقلعة الكرك من أيام أبيه فقدم على البريد فى عشرة من أهل الكرك ليلة الخميس ثامن عشرى شهر رمضان وعبر الدور من قلعة الجبل بمن قدم معه واحتجب عن الامراء ولم يخرج لصلاة العيد ولا حضر السماط على العادة الى أن لبس شعار السلطنة وجلس على التخت في يوم الاثنين عاشر شوال وقلوب الامراء نافرة منه لاعراضه عنهم فساءت سيرته ثم خرج الى الكرك في يوم الاربعاء ثانى ذى القعدة واستخلف الامير آق سنقر السلارى نائب الغيبة فلما وصل قبة النصر نزل عن فرسه ولبس ثياب العرب ومضى مع خواصه أهل الكرك على البريد وترك الاطلاب فسارت

على البر حتى وافته بالكرك فرد العسكر الى بلد الخليل وأقام بقلعة الكرك وتصرف أقبح تصرف فخلعه الامراء في يوم الاربعاء حادي عشرى المحرم سنة ثلاث وأربعين فكانت مدته ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما وأقاموا بعده أخاه * (السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل) * في يوم الخميس ثاني عشري المحرم المذكور وقام الامير ارغون زوج أمه بتدبير المملكة مع مشاركة عدة من الامراء وسارت الامراء والعساكر لقتال الناصر أحمد في الكرك حتى أخذ وقتل فلما أحضرت رأسه الى السلطان الصالح ورآها فزع ولم يزل يعتاده المرض حتى مات ليلة الخميس رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأحد عشر يوما وقام بعده أخوه * (السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان) * بعهد أخيه وجلس على التخت من غد فأوحش مابينه وبين الامراء حتى ركبوا عليه فركب لقتالهم فلم يثبت من معه وعاد الى القلعة منهزما فتبعه الامراء وخلعوه وذلك في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة فكانت مدته سنة وثمانية وخمسين يوما فأقيم بعده أخوه * (السلطان الملك المظفر زين الدين حاجي) * من يومه فساءت سيرته وانهمك في اللعب فركب الامراء عليه فركب اليهم وحاربهم فخانه من معه وتركوه حتى أخذ وذبح في يوم الاحد ثاني عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وكانت مدته سنة وثلاثة أشهر واثنى عشر يوما وأقيم من بعده أخوه * (السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى حسن بن محمد) * في يوم الثلاثاء رابع عشره وعمره احدى عشرة سنة فلم يكن له من الامر شيء والقائم بالامر الامير شيخو العمرى فلما أخذ في الاستبداد بالتصرف خلع وسجن في يوم الاثنين ثامن عشري جمادي الآخرة سنة اثنتين وخمسين فكانت مدته أربع سنين تنقص خمسة عشر يوماً منها تحت الحجر ثلاث سنين ونيف ومدة استبداده نحو من تسعة أشهر وأقيم من بعده أخوه * (السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح) * في يوم الاثنين المذكور فكثر لهوه وخرج عن الحد في التبذل واللعب فثار عليه الاميران شيخو وطاز وقبضا عليه وسجناه بالقلعة في يوم الاثنين ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فكانت مدته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وأعيد * (السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاون) * في يوم الاثنين المذكور فأقام حتى قام عليه مملوكه الامير يلبغا الخاصكي وقتله في ليلة الاربعاء تاسع جمادي الاولى سنة اثنتين وستين فكانت مدته هذه ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وأقيم من بعده ابن أخيه * (السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد ابن المظفر حاجي بن محمد بن قلاون) * وعمره أربع عشرة سنة في يوم الاربعاء المذكور وقام بالامر الامير يلبغا ثم خلعه وسجنه بالقلعة في يوم الاثنين رابع عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة وأقام بعده * (السلطان الملك الاشرف زين الدين أبا المعالى شعبان بن

حسين بن الناصر محمد بن المنصور قلاون) * وعمره عشر سنين في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان المذكور ولم يلِ من بني قلاون من أبوه لم يتسلطن سواه فأقام تحت حجر يلبغا حتى قتل يلبغا في ليلة الاربعاء عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة فأخذ يستبد بملكه حتى انفرد بتدبيره الى أن قتل في يوم الثلاثاء سادس ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة بعد ما أقيم بدله ابنه في السلطنة فكانت مدته اربع عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر يوما فقام بالامر ابنه *(السلطان الملك المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسين)* وعمره سبع سنين في يوم السبت ثالث ذي القعدة المذكور وأبوه حي فلم يكن حظه من السلطنة سوى الاسم حتى مات في يوم الاحد ثالث عشري صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فكانت مدته خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يوما فأقيم بعده أخوه *(السلطان الملك الصالح زين الدين حاجي)* في يوم الاثنين رابع عشرى صفر المذكور فقام بأمر الملك وتدبير الامور الامير الكبير برقوق حتى خلعه في يوم الاربعاء تاسع شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة فكانت مدته سنة وشهرين بنقصان أربعة أيام وبه انقضت دولة المماليك البحرية الاتراك وأولادهم ومدتهم مائة وست وثلاثون سنة وسبعة اشهر وتسعة أيام أولها يوم الخميس عاشر صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة وآخرها يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وعدتهم اربعة وعشرون ذكرا ما بين رجل وصبي وامرأة واحدة وأولهم امرأة وآخرهم صبي ولما اقيم الناصر حسن بعد أخيه المظفر حاجي طلب المماليك الجراكسة الذين قربهم المظفر بسفارة الامير أغرلو فانه كان يدعي انه كان چركسي الجنس وجلبهم من اماكن حتى ظهروا في الدولة وكبرت عمائمهم وكلوتاتهم فأخرجوا منفيين أنحس خروج فقدموا على البلاد الشامية والله تعالى أعلم

(ذكر دولة المماليك الجراكسة)

وهم واللاض والروس اهل مدائن عامرة وجبال ذات اشجار ولهم اغنام وزروع وكلهم في مملكة صاحب مدينة سراي قاعدة خوارزم وملوك هذه الطوائف لملك سراي كالرعية فان داروه وهادوه كف عنهم والا غزاهم وحصرهم وكم مرة قتلت عساكره منهم خلائق وسبت نساءهم وأولادهم وجلبتهم رقيقا الى الاقطار فأكثر المنصور قلاون من شرائهم وجعلهم وطائفة اللاض جميعاً في أبراج القلعة وسماهم البرجية فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة وعمل منهم أوشاقية وجمقدارية وجاشنكيرية وسلاحدارية وأولهم * (السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن آنص)* أخذ من بلاد الچركس وبيع ببلاد القرم فجلبه خواجا فخر الدين عثمان بن مسافر الى القاهرة فاشتراه منه الامير الكبير يلبغا الخاصكي وأعتقه وجعله من جملة مماليكه الاجلاب فعرف ببرقوق العثماني فلما قتل يلبغا

أخرج الملك الاشرف الأجلاب من مصر فسار منهم برقوق الى الكرك فأقام في عدة منهم مسجوناً بها عدة سنين ثم أفرج عنه وعمن كان معه فمضوا الى دمشق وخدموا عند الامير منجك نائب الشام حتى طلب الاشرف اليلبغاوية فقدم برقوق فى جملتهم واستقر في خدمة ولدى السلطان على وحاجي مع من استقر من خشداشيته فعرفوا باليلبغاوية الى أن خرج السلطان الى الحج فثاروا بعد سفره وسلطنوا ابنه علياً وحكم في الدولة منهم الامير قرطاى الشهابي فثار عليه خشداشية أينبك البدرى فأخرجه الى الشام وقام بعده بتدبير الدولة وخرج الى الشام فثارت عليه اليلبغاوية وفيهم برقوق وقد صار من جملة الامراء فعاد قبل وصوله بلبيس ثم قبض عليه وقام بتدبير الدولة غير واحد في أيام يسيرة فركب برقوق في يوم الاحد ثالث عشرى ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة وقت الظهيرة في طائفة من خشداشيته وهجم على باب السلسلة وقبض على الامير يلبغا الناصرى وهو القائم بتدبير الدولة وملك الاصطبل وما زال به حتى خلع الصالح حاجي وتسلطن فى يوم الاربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وقت الظهر فغير العوايد وأفنى رجال الدولة واستكثر من جلب الجراكسة الى أن ثار عليه الامير يلبغا الناصرى وهو يومئذ نائب حلب وسار اليه ففر من قلعة الجبل في ليلة الثلاثاء خامس جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وملك الناصرى القلعة وأعاد الصالح حاجي ولقبه بالملك المنصور وقبض على برقوق وبعثه الى الكرك فسجنه بها فثار الامير منطاش على الناصرى وقبض عليه وسجنه بالاسكندرية وخرج يريد محاربة برقوق وقد خرج من سجن الكرك وسار الى دمشق في عسكر فحاربه برقوق على شقحب ظاهر دمشق وملك ما معه من الخزائن وأخذ الخليفة والسلطان حاجي والقضاة وسار الى مصر فقدمها فى يوم الثلاثاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وتسعين واستبد بالسلطنة حتى مات ليلة الجمعة للنصف من شوال سنة احدى وثمانمائة فكانت مدته اتابكا وسلطانا احدى وعشرين سنة وعشرة اشهر وستة عشر يوما خلع فيها ثمانية اشهر وتسعة ايام وقام من بعده ابنه *(السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج)* فى يوم الجمعة المذكور وعمره نحو العشر سنين فدبر أمر الدولة الامير الكبير ايتمش ثم ثار به الامير يشبك وغيره ففر الى الشام وقتل بها ولم تزل ايام الناصر كلها كثيرة الفتن والشرور والغلاء والوباء وطرق بلاد الشام فيها الامير تيمورلنك فخربها كلها وحرقها وعمها بالقتل والنهب والاسر حتى فقد منها جميع انواع الحيوانات وتمزق أهلها في جميع اقطار الارض ثم دهمها بعد رحيله عنها جراد لم يترك بها خضراء فاشتد بها الغلاء على من تراجع اليها من أهلها وشنع موتهم واستمرت بها مع ذلك الفتن وقصر مد النيل بمصر حتى شرقت الاراضى الاقليلا وعظم الغلاء والفناء فباع أهل الصعيد أولادهم من الجوع وصاروا أرقاء مملوكين

وشمل الخراب الشنيع عامة أرض مصر وبلاد الشام من حيث يصب النيل من الجنادل الى حيث مجري الفرات وابتلي مع ذلك بكثرة فتن الاميرين نوروز الحافظي وشيخ المحمودي وخروجهما ببلاد الشام عن طاعته فتردد لمحاربتهما مرارا حتى هزماه ثم قتلاه بدمشق فى ليلة السبت سادس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة فكانت مدته منذ مات أبوه الى أن فر فى يوم الاحد خامس عشري ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة واختفى وأقيم بعده أخوه عبد العزيز ولقب الملك المنصور ست سنين وخمسة اشهر وأحد عشر يوما وأقام الناصر في الاختفاء سبعين يوما ثم ظهر في يوم السبت خامس عشر جمادي الآخرة واستولى على قلعة الجبل واستبد بملكه اقبح استبداد الى أن توجه لحرب نوروز وشيخ وقاتلهما على اللجون فى يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة خمس عشرة فانهزم الى دمشق وهما فى اثره وقد صار الخليفة المستعين بالله في قبضتهما ومعه مباشرو الدولة فنزل على دمشق وحصراه ثم ألزما الخليفة بخلعه من السلطنة فلم يجد بدأ من ذلك وخلعه فى يوم السبت خامس عشريه ونودى بذلك فى الناس فكانت مدته الثانية ست سنين وعشرة أشهر سواء وأقيم من بعده *(الخليفة المستعين بالله أمير المؤمنين أبو الفضل العباس بن محمد العباسي)* وأصل هؤلاء الخلفاء بمصر أن أمير المؤمنين المستعصم بالله عبد الله آخر خلفاء بنى العباس لما قتله هولاكو بن تولى ابن جنكزخان في صفر سنة ست وخمسين وستمائة ببغداد وخلت الدنيا من خليفة وصار الناس بغير امام قرشي الى سنة تسع وخمسين فقدم الامير أبو القاسم احمد ابن الخليفة الظاهر أبي نصر محمد ابن الخليفة الناصر العباسي من بغداد الى مصر فى يوم الخميس تاسع رجب منها فركب السلطان الملك الظاهر بيبرس الى لقائه وصعد به قلعة الجبل وقام بما يجب من حقه وبايعه بالخلافة وبايعه الناس وتلقب بالمستنصر ثم توجه لقتال التتر ببغداد فقتل في محاربتهم لايام خلت من المحرم سنة ستين وستمائة فكانت خلافته قريباً من سنة ثم قدم من بعده الامير أبو العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر من ذرية الخليفة الراشد بالله أبي جعفر منصور بن المسترشد في سابع عشرى ربيع الاول فأنزله السلطان فى برج بقلعة الجبل وأجري عليه مايحتاج اليه ثم بايعه في يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين بعد ما اثبت نسبه على قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز ولقبه بالحاكم بأمر الله وبايعه الناس كافة ثم خطب من الغد وصلي بالناس الجمعة في جامع القلعة ودعى له من يومئذ على منابر أراضى مصر كلها قبل الدعاء للسلطان ثم خطب له على منابر الشام واستمر الحال على الدعاء له ولمن جاء من بعده من الخلفاء ومازال بالبرج الى أن منعه السلطان من الاجتماع بالناس فى المحرم سنة ثلاث وستين فاحتجب وصار كالمسجون زيادة على سبع وعشرين سنة بقية أيام الظاهر بيبرس وايام ولديه محمد بركة

وسلامش وأيام قلاون فلما صارت السلطنة الى الاشرف خليل بن قلاون أخرجه من سجنه مكرما في يوم الجمعة العشرين من شهر رمضان سنه تسعين وستمائة وأمره فصعد منبر الجامع بالقلعة وخطب وعليه سواده وقد تقلد سيفا محلى ثم نزل فصلى بالناس صلاة الجمعة قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وخطب أيضا خطبة ثالثة في يوم الجمعة تاسع عشرى ربيع الاول سنة احدى وتسعين وحج سنة أربع وتسعين ثم منع من الاجتماع بالناس فامتنع حتى افرج عنه المنصور لاجين في سنة ست وتسعين وأسكنه بمناظر الكبش وأنعم عليه بكسوة له ولعياله وأجرى عليه مايقوم به وخطب بجامع القلعة خطبة رابعة وصلى بالناس الجمعة ثم حج سنة سبع وتسعين وتوفى ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة فكانت خلافته مدة أربعين سنة ليس له فيها امر ولا نهى انما حظ أن يقال أمير المؤمنين وكان قد عهد الى ابنه الامير أبي عبد الله محمد المستمسك ثم من بعده لاخيه أبي الربيع سليمان المستكفى فمات المستمسك في حياته واشتد جزعه عليه فعهد لابنه ابراهيم بن محمد المستمسك فلما مات الحاكم اقيم من بعده ابنه المستكفى بالله أبو الربيع سليمان بعهده له فشهد وقعة شقحب مع الملك الناصر محمد بن قلاون وعليه سواده وقد أرخى له عذبة طويلة وتقلد سيفا عربيا محلي ثم تنكر عليه وسجنه في برج بالقلعة نحو خمسة اشهر وأفرج عنه وأنزله الى داره قريبا من المشهد النفيسي بتربة شجرة الدر فأقام نحو ستة اشهر وأخرجه الى قوص فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وقطع راتبه وأجري له بقوص مايتقوت به فمات بها في خامس شعبان سنة أربعين وعهد الى ولده فلم يمض الملك الناصر محمد عهده وبويع ابن أخيه أبو اسحاق ابراهيم بن محمد المستمسك بن احمد الحاكم بيعة خفية لم تظهر في يوم الاثنين خامس عشري شعبان المذكور وأقام الخطباء اربعة اشهر لايذكرون فى خطبهم الخليفة ثم خطب له فى يوم الجمعة سابع ذى القعدة منها ولقب بالواثق بالله فلما مات الناصر محمد وأقيم بعده ابنه المنصور أبو بكر استدعى أبو القاسم احمد بن أبي الربيع سليمان وأقيم في الخلافة ولقب بالحاكم بعد ما كان يلقب بالمستنصر وكني بأبى العباس فى يوم السبت سلخ ذى الحجة سنة احدي وأربعين وسبعمائة فاستمر حتى مات في يوم الجمعة رابع شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة فأقيم بعده أخوه المعتضد بالله أبو بكر وكنيته أبو الفتح بن أبي الربيع سليمان في يوم الخميس سابع عشره واستقر مع ذلك في نظر مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ليستعين بما يرد الى ضريحها من نذر العامة على قيام أوده فان مرتب الخلفاء كان على مكس الصاغة وحسبه أن يقوم بما لابد منه فى قوتهم فكانوا ابدا في عيش غير موسع فحسنت حال المعتضد بما يبيعه من الشمع المحمول الى المشهد النفيسي ونحوه الى أن توفي يوم الثلاثاء عاشر جمادي الاولى سنة ثلاث وستين وكان يلثغ بالكاف وحج مرتين احداهما سنة أربع وخمسين

والثانية سنة ستين فأقيم بعده ابنه المتوكل على الله أبوعبد الله محمد بعهده اليه في يوم الخميس ثانى عشره وخلع عليه بين يدى السلطان الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجى وفوض اليه نظر المشهد ونزل الى داره فلم يزل حتي تنكر له الامير أينبك فى أول ذى القعدة سنة ثمان وسبعين بعد قتل الملك الاشرف شعبان بن حسين وأخرجه ليسير الى قوص وأقام عوضه فى الخلافة ابن عمه زكريا بن ابراهيم بن محمد في ثالث عشرى صفر سنة تسع وسبعين وكان قد أمر برد المتوكل من نفيه فرد الى منزله من يومه فأقام به حتى رضى عنه اينبك وأعاده في العشرين من ربيع الاول منها الى خلافته ثم سخط عليه الظاهر برقوق وسجنه مقيدا فى يوم الاثنين أول رجب سنة خمس وثمانين وقد وشى به انه يريد الثورة وأخذ الملك وأقيم بعده في الخلافة الواثق بالله أبو حفص عمر بن المعتصم ابى اسحاق ابراهيم بن محمد ابن الحاكم في يوم الاثنين المذكور فما زال خليفة حتى مات يوم السبت تاسع شوال سنة ثمان وثمانين فأقام الظاهر بعده فى الخلافة أخاه زكريا بن ابراهيم فى يوم الخميس ثامن عشريه ولقب بالمستعصم وركب بالخلعة وبين يديه القضاة من القلعة الى منزله فلما أشرف الظاهر برقوق على زوال ملكه وقرب الامير يلبغا الناصري نائب حلب بالعساكر استدعى المتوكل على الله من محبسه وأعاده الى الخلافة وخلع عليه فى يوم الاربعاء أول جمادى الاولى سنة احدي وتسعين وبالغ في تعظيمه وأنعم عليه فلم يزل على خلافته حتي توفي ليلة الثلاثاء ثامن عشرى رجب سنة ثمان وثمانمائة وهو أول من اتسعت أحواله من الخلفاء بمصر وصار له اقطاعات ومال فأقيم في الخلافة بعده ابنه المستعين بالله أبو الفضل العباس وخلع عليه فى يوم الاثنين رابع شعبان بالقلعة بين يدي الناصر فرج بن برقوق ونزل الى داره ثم سار مع الناصر الى الشام وحضر معه وقعة اللجون حتى انهزم فدعاه الاميران شيخ ونوروز فمضى من موقفه اليهما ومعه مباشرو الدولة فأنزلاه ووكلا به وسارا به لحصار الناصر ثم ألزماه حتى خلعه من السلطنة وأقاماه شيخ في السلطنة وبايعه ومن معه في يوم السبت خامس عشرى المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة وبعث الى نوروز وهو بشمالى دمشق حتى بايعه فنالوا باقامته اغراضهم من قتل الناصر وانتظام أمرهم ثم سار به شيخ الى مصر وأقام نوروز بدمشق فلما قدم به اسكنه القلعة ونزل هو بالحراقة من باب السلسلة وقام بجميع الامور وترك الخليفة في غاية الحصر حتى استبد بالسلطنة فكانت مدة الخليفة منذ أقاموه سلطانا سبعة اشهر وخمسة أيام ونقل الخليفة الى بعض دور القلعة ووكل به من يحفظه وأهله وقام من بعده بالسلطنة * (السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى)* أحد مماليك الظاهر برقوق فى يوم الاثنين أول شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة فسجن الخليفة في برج بالقلعة ثم حمله الى الاسكندرية فسجنه بها ولم يزل سلطانا حتي مات

في يوم الاثنين ثامن المحرم سنة أربع وعشرين فكانت مدته ثمان سنين وخمسة اشهر وستة ايام فأقيم بعده ابنه *(السلطان الملك المظفر شهاب الدين أبو السعادات احمد)* وعمره سنة واحدة ونصف فقام بأمره الامير ططر وفرق ما جمعه المؤيد من الاموال وخرج بالمظفر يريد محاربة الامراء بالشام فظفر بهم وخلع المظفر وكانت مدته ثمانية أشهر تنقص سبعة أيام وقام بعده *(السلطان الملك الظاهر أبو الفتح ططر)* أحد مماليك الظاهر برقوق وجلس على التخت بقلعة دمشق في يوم الجمعة تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين وقدم الى قلعة الجبل وهو موعوك البدن في يوم الخميس رابع شوال فثقل فى مرضه من يوم الاثنين ثانى عشريه حتى مات في يوم الاحد رابع عشرى ذي الحجة فكانت مدته ثلاثة أشهر ويومين فأقيم بعده ابنه *(السلطان الملك الصالح ناصر الدين محمد)* وعمره نحو عشر سنين فقام بأمره الامير برسباى الدقاقي ثم خلعه بعد أربعة أشهر وأربعة أيام وقام من بعده *(السلطان الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر برسباى)* أحد مماليك الظاهر برقوق وجلس على تخت الملك في يوم الاربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة

هذا آخر الجزء الثالث من أصل مصنفه الامام المقريزى رحمه الله تعالى ورضى عنه

(ووجد على هامش بعض النسخ ماصورته) وتوفى الاشرف برسباي ثالث عشر ذي الحجة سنة احدي وأربعين وثمانمائة فكانت مدته ست عشرة سنة وتسعة شهور ثم قام من بعده ولده *(الملك العزيز يوسف)* وسنه نحو خمس عشرة سنة ثم خلع في تاسع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة فكانت مدته نحو ثلاثة أشهر وقام من بعده *(الملك الظاهر جقمق)* في تاسع عشر ربيع المذكور وخلع نفسه من الملك في مرض موته وتولى بعده بعهده ولده *(الملك المنصور عثمان)* في حادى عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة فكانت مدة الظاهر جقمق أربع عشرة سنة ونحو عشرة شهور ثم خلع ولده المنصور عثمان فى سابع ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة فأقام في الملك أحدا وأربعين يوما وتولى عوضه *(الملك الاشرف اينال)* في ثامن ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وخلع نفسه في مرض موته فى جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة فكانت مدته ثمان سنين وشهرين وتولى بعده ولده *(الملك المؤيد احمد)* ثم خلع فى ثامن عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة فكانت مدته أربعة أشهر وتولى *(الملك الظاهر خشقدم)* تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة ومات عاشر شهر ربيع الاول بسنة اثنتين وسبعين فكانت مدته نحو ست سنين ونصف ثم تولى *(الملك الظاهر بلباى)* في حادى عشر الشهر المذكور ثم خلع فى سابع جمادى الاولى

من السنة المذكورة فكانت مدته ستة وخمسين يوما ثم تولى *(الملك الظاهر تمر بغا)* في ثامن جمادي الاولى المذكور ثم خلع فى العشر الاول من شهر رجب الفرد سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وكانت مدته نحو تسعة وخمسين يوما وتولى *(الملك الاشرف قايتباى)* في ثاني عشر رجب من السنة المذكورة وتوفى في ثانى عشرى ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة فكانت مدته تسعا وعشرين سنة وأربعة شهور وأياما وتولى بعده ولده *(الملك الناصر محمد)* فى التاريخ المذكور ثم قتل بالجيزة في آخر يوم الاربعاء النصف من ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة فكانت مدته سنتين وثلاثة اشهر وأياما ثم تولى خاله *(الملك الظاهر قانصوه الاشرفى قايتباى)* في ضحوة يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول المذكور ثم خلع فى سابع ذى الحجة سنة خمس وتسعمائة فكانت مدته نحو عشرين شهرا وتولى عوضه *(الملك الاشرف جان بلاط الاشرفي قايتباى)* وأتانا خبره بمنزله الجديدة في العود من المدينة الشريفة في يوم الجمعة سادس عشرى ذى الحجة سنة خمس وتسعمائة فكانت مدته ستة شهور وأياما ثم خلع في يوم السبت ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسعمائة وتولي *(الملك العادل طومان باى الاشرفي قايتباى)* ثم خلع سلخ رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته نحو مائة يوم وتولى بعده *(الملك الاشرف قانصوه الغورى الاشرفي قايتباى)* مستهل شوال من السنة المذكورة انتهى

والله تعالى اعلم
بالصواب

(تم الجزء الثالث من الخطط المقريزية ويليه الجزء الرابع وأوله ذكر المساجد الجامعة)

{ فهرست }

الجزء الثالث من كتاب الخطط للعلامة المقريزى

(تمت الفهرست)





كتاب الخطط المقريزية

المسماة

بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص
ذلك باخبار أقليم مصر والنيل وذكر القاهرة
وما يتعلق بها وبأقليمها (تأليف) سيدنا
الشيخ الامام علامة الأنام تقي الدين
أحمد بن على بن عبد القادر بن
محمد المعروف بالمقريزى
رحمه الله ونفع
بعلومه آمين

الجزء الرابع

(مبيعه بمكتبة ملتزمه)
(حضرة الفاضل الشيخ احمد علي المليجي الكتبي الشهير)
« بمصر قريباً من الجامع الازهر المنير »
(طبع بمطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٦ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ذكر المساجد الجامعة ﴾

اعلم أن أرض مصر لما فتحت فى سنة عشرين من الهجرة واختط الصحابة رضى الله عنهم فسطاط مصر كما تقدم لم يكن بالفسطاط غير مسجد واحد وهو الجامع الذى يقال له في مدينة مصر الجامع العتيق وجامع عمرو بن العاص وما برح الامر على هذا الى أن قدم عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من العراق في طلب مروان بن محمد في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فنزل عسكره في شمالى الفسطاط وبنوا هناك الابنية فسمى ذلك الموضع بالعسكر وأقيمت هناك الجمعة في مسجد فصارت الجمعة تقام بمسجد عمرو بن العاص وبجامع العسكر الى أن بني الامير أحمد بن طولون جامعه على جبل يشكر في سنة تسع وخمسين ومائتين حين بني القطائع فتلاشي من حينئذ جامع العسكر وصارت الجمعة تقام بجامع عمرو وبجامع ابن طولون الى أن قدم جوهر القائد من بلاد القيروان بالمغرب ومعه عساكر مولاه المعز لدين الله أبى تميم معد فبنى القاهرة وبنى الجامع الذى يعرف بالجامع الازهر فى سنة ستين وثلثمائة فكانت الجمعة تقام في جامع عمرو وجامع ابن طولون والجامع الازهر وجامع القرافة الذى يعرف اليوم بجامع الاولياء ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله بنى فى ظاهر القاهرة من جهة باب الفتوح الجامع الذى يعرف اليوم بجامع الحاكم فى سنة ثمانين وثلثمائة واكمله ابنه الحاكم بأمر الله أبو على منصور وبنى جامع المقس وجامع راشدة فكانت الجمعة تقام فى هذه الجوامع كلها الى أن انقرضت دولة الخلفاء الفاطميين فى سنة سبع وستين وخمسمائة فبطلت الخطبة من الجامع الازهر واستمرت فيما عداه فلما كانت الدولة التركية حدث بالقاهرة والقرافة ومصر وما بين ذلك عدة جوامع اقيمت فيها الجمعة وما برح الامر يزداد حتى بلغ عدد المواضع التى تقام بها الجمعة فيما بين مسجد تبر خارج القاهرة من بحريها الى دير الطين قبلى مدينة مصر زيادة على مائة موضع وسيأتي من ذكر ذلك ما فيه كفاية ان شاء الله تعالى * وقد بلغت عدة المساجد التي تقام بها الجمعة مائة وثلاثين مسجداً (منها) بمدينة مصر جامع عمرو بن العاص والجامع الجديد والمدرسة المعزية وجامع ابن اللبان وجامع القراء وجامع تقى التمار وجامع راشدة وجامع الفيلة

وجامع دير الطين وجامع بساتين الوزير (ومنها) بالقـرافة جامع الاولياء وجامع الافرم وخانكاه بكتمر وجامع ابن عبـدالظاهر وجامع الجوّاني وجامع الضراب وجامع قوصون وجامع الشافعي وجامع الديلمي وجامع محمود وجامع بقرب تربة الست (ومنها) بالروضـة جامع المقياس وجامع عين وجامع الرئيس وجامع الاباريقي وجامع المقسي (ومنها) بالحسينية خارج القاهرة جامع أحمد الزاهد وجامع آل ملك وجامع كراى وجامع الـكافورى بالقرب من السميساطية وجامع الخندق وجامع نائب الـكرك وجامع سويقة الجميزة وجامع قيـدار وجامع ابن شرف الدين وجامع الظاهر وجامع الحاج كمال التاجر تجدد هو وجامع سويقة الجميزة في أيام الظاهر برقوق (ومنها) خارج القاهرة ممـا يلي النيل . جامع كوم الريش جامع جزيرة الفيل . جامع أمين الدين بن تاج الدين موسى . جامع الفخر على النيل . جامع الاسيوطي . جامع الواسطي . جامع ابن بدر . جامع الخطيرى . جامع ابن غازى . جامع المقس جامع ابن التركماني . جامع بنت التركماني . جامع الطواشى . جامع باب الرخاء . جامع الزاهد جامع ميدان القمح . جامع صاروجا . جامع ابن زيد . جامع بركة الرطلي . جامع الـكيمختي جامع باب الشعرية . جامع ابن مياله . جامع ابن المغربى . جامع العجمى بقنطرة الموسكي . الجامع المعلق بقنطرة الموسكي أيضـاً . جامع الجاكي بسويقـة الريش . جامع السروجي بسويقة الريش أيضاً . جامع البكجرى . جامع ابن حسون بالدكة . جامع ابن المغربي على الخليج جامع الطباخ بخط اللوق . جامع الست نصـيرة بخط باب اللوق حيث كان الـكوم فحفر فاذا بقبر عرف بالست نصيرة وعمل عليـه مسجد وأقيمت به الجمعة في أيام الظاهر برقوق جامع شاكر بجوار قنطرة قدادار عمر سنة ست وعشرين وثمانمائة . جامع غيط القاصـد خلف قنطرة قدادار . جامع الجزيرة الوسطى . جامع كريم الدين بخط الزريبة . جامع ابن غلامها بخط الزريبة أيضا . الجامع الاخضر . جامع سويقة الموفق . جامع سلطان شاه باب الخرق . جامع زين الدين الخشاب خارج باب اللوق كان زاوية للفقراء فأقيمت به الجمعة بعد سنة ثمانمائة . جامع منكلي بسويقة القيمري (ومنها) فيما بين القاهرة ومصر جامع بشتاك . جامع الاسماعيلي على البركة الناصرية . جامع الست مسكة . جامع آق سنقر مجرى السقائين . جامع الشيخ محمد بن حسن الحنفي . جامع ست حدق بالمريس . جامع الطيبرسي . جامع الرحمة عمارة الصاحب أمين الدين عبدالله بن غنام . جامع منشأة المهراني جامع يونس بالسبع سقايات على البركة . جامع بركة الاستادار بحدرة ابن قميحة . جامع ابن طولون . جامع المشهد النفيسى . جامع البقلي بالقيبات . جامع شيخو . جامع قانباى راس سويقة منعم . جامع المـاس . جامع قوصون . جامع الصالح . مدرسة الناصر حسن سوق الخيل . جامع الجاى . جامع المـارديني . جامع اصلم (ومنها) بقلعة الجبل الجامع

الناصري. جامع التوبة. جامع الاصطبل. الجامع المؤيدى (ومنها) خارج القاهرة بالترب وما قرب من القلعة تربة جوشن وتربة الظاهر برقوق وتربة طشتمر حمص أخضر بالصحراء جامع الخضرى. جامع التوبة. الجامع المؤيدي (ومنها) بالقاهرة الجامع الازهر والجامع الحاكمي والجامع الاقمر ومدرسة الظاهر برقوق والمدرسة الصالحية والحجازية والمشهد الحسيني وجامع الفاكهاني والزمامية والصاحبية والبوبكرية والجامع المؤيدى والاشرفية وجامع الدواداری قريبا من البرقية وجامع التوبة بالبرقية. مدرسة ابن البقرى والباسطية

* (ذكر الجوامع) *

علم انه لما اتصلت مباني القاهرة المعزية بمباني مدينة فسطاط مصر بحيث صارتا كأنهما مدينة واحدة واتخذ أهل القاهرة وأهل مصر القرافتين لدفن أمواتهم ذكرت ما في هذه المواضع الاربعة من المساجد الجامعة واضفت اليها ما في جزيرة فسطاط مصر التي يقال لها الروضة من الجوامع أيضاً فانها متنزه أهل البلدين وجمعت الى ذلك ما في ظواهر القاهرة ومصر من الجوامع مع التعريف بحال من أسسها وبالله التوفيق

* (الجامع العتيق) *

هذا الجامع بمدينة فسطاط مصر ويقال له تاج الجوامع وجامع عمرو بن العاص وهو أول مسجد أسس بديار مصر في الملة الاسلامية بعد الفتح (خرّج) الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث معاوية بن قره قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من صلى صلاة مكتوبة في مسجد مصر من الامصار كانت له كحجة متقبلة فان صلى تطوعا كانت له كعمرة مبرورة وعن كعب من صلى في مسجد مصر من الامصار صلاة فريضة عدلت حجة متقبلة ومن صلى صلاة تطوع عدلت عمرة متقبلة فان أصيب في وجهه ذلك حرم لحمه ودمه على النار أن تطعمه وذنبه على من قتله * وأول مسجد بنى في الاسلام مسجد قبا ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال هشام بن عمار حدثنا المغيرة بن المغيرة حدثنا يحيى بن عطاء الخراساني عن أبيه قال لما افتتح عمر البلدان كتب الى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة وكتب الى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب الى أمراء أجناد الشام أن لا يتبددوا الى القرى وأن ينزلوا المدائن وأن يتخذوا فى كل مدينة مسجدا واحدا ولا تتخذ القبائل مساجد فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده * وقال أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ابن حفص الكندى في كتاب أخبار مسجد أهل الراية الاعظم وأول أمره وبنائه وزيادة الامراء فيه وغيرهم ومجالس الحكام والفقهاء منه وغير ذلك قال هبيرة بن أبيض عن شيخه

تجيب ان قيسبة بن كلثوم التجيبي أحد بني سوم سار من الشام الى مصر مع عمرو بن العاص فدخلها في مائة راحلة وخمسين عبدا وثلاثين فرسا فلما أجمع المسلمون وعمرو بن العاص على حصار الحصن نظر قيسبة بن كلثوم فرأى جنانا تقرب من الحصن فعرج اليها في أهله وعبيده فنزل وضرب فيها فسطاطه وأقام فيها طول حصارهم الحصن حتى فتحه الله عليهم ثم خرج قيسبة مع عمرو الى الاسكندرية وخلف أهله فيها ثم فتح الله عليهم الاسكندرية وعاد قيسبة الى منزله هذا فنزله واختط عمرو بن العاص داره مقابل تلك الجنان التي نزلها قيسبة وتشاور المسلمون أين يكون المسجد الجامع فرأوا أن يكون منزل قيسبة فسأله عمرو فيه وقال انا أختط لك ياأبا عبد الرحمن حيث أحببت فقال قيسبة لقد علمتم يا معاشر المسلمين اني حزت هذا المنزل وملكته وأني أتصدق به على المسلمين وارتحل فنزل مع قومه بني سوم واختط فيهم فبنى مسجدا في سنة احدى وعشرين من الهجرة وفي ذلك يقول أبو قبان بن نعيم بن بدر التجيبي

وبابليون قد سعدنا بفتحها * وحزنا لعمر الله فيأ ومغنما
وقيسبة الخير بن كلثوم داره * اباح حماها للصلاة وسلما
فكل مصل في فنانا صلاته * تعارف أهل المصر ماقلت فاعلما

(وقال) أبو مصعب قيس بن سلمة الشاعر في قصيدته التي امتدح فيها عبد الرحمن بن قيسبة

وأبوك سلم داره وأباحها * لجباه قوم ركع وسجود

(وقال) الليث بن سعد كان مسجدنا هذا حدائق وأعنابا * وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني ومن جملة مزارعها جامع مصر وقد بقي الى الآن من جملة الانشاب التي كانت في البستان في موضع الجامع شجرة زنزلخت وهي باقية الى الآن خلف المحراب الكبير والحائط الذى به المنبر ومن العلماء من قال ان هذه الشجرة باقية من عهد موسى عليه السلام وكان لها نظير شجرة أخرى في الوراقين احترقت في حريق مصر سنة أربع وستين وخمسمائة وظهر بالجامع العتيق بئر البستان التي كانت به وهي اليوم يستقى منها الناس الماء بموضع حلقة الفقيه ابن الجيزى المالكي * قال الكندى وقال يزيد بن أبي حبيب سمعت أشياخنا ممن حضر مسجد الفتح يقولون وقف على اقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الزبير بن العوام والمقداد وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر رضى الله عنهم وفي رواية أسس مسجدنا هذا أربعة من الصحابة أبو ذر وأبو بصيرة ومحمئة بن جزء الزبيدى ونبيه بن صواب * وقال عبد الله بن أبي جعفر أقام محرابنا هذا عبادة بن الصامت ورافع بن مالك وهما نقيبان وقال داود بن عقبة ان عمرو بن العاص بعث ربيعة بن شرحبيل بن حسنة وعمرو بن

علقمة القرشي ثم العدوى يقيمان القبلة وقال لهما قوما اذا زالت الشمس أو قال انتصفت الشمس فاجعلاها على حاجبيكما ففعلا * وقال الليث ان عمرو بن العاص كان يمد الحبال حتى اقيمت قبلة المسجد وقال عمرو بن العاص شرقوا القبلة تصيبوا الحرم قال فشرقت جدا فلما كان قرة بن شريك تيامن بها قليلا وكان عمرو بن العاص اذا صلى في مسجد الجامع يصلى ناحية الشرق الا الشئ اليسير وقال رجل من تجيب رأيت عمرو بن العاص دخل كنيسة فصلى فيها ولم ينصرف عن قبلتهم الا قليلا وكان الليث وابن لهيعة اذا صليا تيا منا وكان عمر بن مروان عم الخلفاء اذا صلى في المسجد الجامع تيامن وقال يزيد بن حبيب فى قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضا هاهي قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي نصبها الله عز وجل مقابل الميزاب وهى قبلة أهل مصر وأهل الغرب وكان يقرأها فلنولينك قبلة نرضاها بالنون وقال هكذا أقرأناها أبو الخير *وقال الخليل بن عبد الله الازدى حدثنى رجل من الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال ضع القبلة وأنت تنظر الى الكعبة ثم قال بيده فأماط كل جبل بينه وبين الكعبة فوضع المسجد وهو ينظر الى الكعبة وصارت قبلته الى الميزاب * وقال ابن لهيعة سمعت أشياخنا يقولون لم يكن لمسجد عمرو بن العاص محراب مجوف ولا أدرى بناه مسلمة أو بناه عبد العزيز * وأول من جعل المحراب قرة بن شريك * وقال الواقدى حدثنا محمد بن هلال قال أول من أحدث المحراب المجوف عمر بن عبد العزيز ليالي بنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عمر بن شبية أن عثمان بن مظعون تفل في القبلة فأصبح مكتئبا فقالت له امرأته مالى أراك مكتئبا قال لا شئ الا أني تفلت في القبلة وأنا أصلي فعمدت الى القبلة فغسلتها ثم عملت خلوقا فخلقتها فكانت أول من خلق القبلة * وقال أبو سعيد سلف الحميرى أدركت مسجد عمرو بن العاص طوله خمسون ذراعا في عرض ثلاثين ذراعا وجعل الطريق يطيف به من كل جهة وجعل له بابان يقابلان دار عمرو بن العاص وجعل له بابان في بحريه وبابان في غربيه وكان الخارج اذا خرج من زقاق القناديل وجد ركن المسجد الشرقى محاذيا الركن دار عمرو بن العاص الغربي وذلك قبل أن أخذ من دار عمرو بن العاص ما أخذ وكان طوله من القبلة الى البحرى مثل طول دار عمرو بن العاص وكان سقفه مطاطأ جدا ولا صحن له فاذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية وبينه وبين دار عمرو سبع أذرع * قلت وأول من جلس على منبر أو سرير ذى أعواد ربيعة بن محاسن وقال القضاعى فى كتاب الخطط وكان عمرو بن العاص قد اتخذ منبرا فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزم عليه في كسره ويقول أما يحسبك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك فكسره * قال مؤلفه رحمه الله وفى سنة احدى وستين ومائة أمر المهدى محمد بن أبي

جعفر المنصور بتقصير المنابر وجعلها بقدر منبر النبي صلى الله عليه وسلم قال القضاعى وأول من صلى عليه من الموتى داخل الجامع أبو الحسين سعيد بن عثمان صاحب الشرط في النصف من صفر وكانت وفاته فجأة فأخرج ضحوة يوم الاحد السادس عشر من صفر وصلى عليه خلف المقصورة وكبر عليه خمسا ولم يعلم أحد قبله صلى عليه فى الجامع * وذكر عمر بن شبة فى تاريخ المدينة أن أول من عمل مقصورة بلبن عثمان بن عفان وكانت فيها كوي تنظر الناس منها الى الامام وأن عمر بن عبد العزيز عملها بالساج قال القضاعى ولم تكن الجمعة تقام في زمن عمرو بن العاص بشئ من أرض مصر الا في هذا الجامع قال أبو سعيد عبد الرحمن بن يونس جاء نفر من بجافق الى عمرو بن العاص فقالوا انا نكون في الريف أفنجمع في العيدين الفطر والاضحى ويؤمنا رجل منا قال نعم قالوا فالجمعة قال لا ولا يصلى الجمعة بالناس الا من أقام الحدود وآخذ بالذنوب وأعطى الحقوق * وأول من زاد في هذا الجامع مسلمة بن مخلد الانصارى سنة ثلاث وخمسين وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية قال الكندى في كتاب أخبار مسجد أهل الراية ولما ضاق المسجد بأهله شكى ذلك الى مسلمة بن مخلد وهو الامير يومئذ فكتب فيه الى معاوية بن ابى سفيان فكتب اليه يأمره بالزيادة فيه فزاد فيه من شرقيه مما يلى دار عمرو بن العاص وزاد فيه من بحريه ولم يحدث فيه حدثا من القبلى ولا من الغربى وذلك في سنة ثلاث وخمسين وجعل له رحبة في البحرى منه كان الناس يصيفون فيها ولا طه بالنورة وزخرف جدرانه وسقوفه ولم يكن المسجد الذي لعمرو جعل فيه نورة ولا زخرف وامر بابتناء منار المسجد الذى في الفسطاط وأمر أن يؤذنوا في وقت واحد وأمر مؤذنى الجامع أن يؤذنوا للفجر اذا مضى نصف الليل فاذا فرغوا من أذانهم أذن كل مؤذن في الفسطاط فى وقت واحد قال ابن لهيعة فكان لاذانهم دوى شديد فقال عابد بن هشام الازدى ثم السلامانى لمسلمة بن مخلد

لقد مدت لمسلمة الليالى * على رغم العداة مع الامان
وساعده الزمان بكل سعد * وبلغه البعيد من الامانى
أمسلم فارتقى لا زلت تعلو * على الايام مسلم والزمان
لقد أحكمت مسجدنا فأضحى * كأحسن مايكون من المبانى
فتاه به البلاد وساكنوها * كما تاهت بزينتها الغوانى
وكم لك من مناقب صالحات * وأجدل بالصوامع للاذان
كأن تجاوب الاصوات فيها * اذا ما الليل ألقى بالجران
كصوت الرعد خالطه دوى * وأرعب كل مختطف الجنان

وقيل ان معاوية أمره ببناء الصوامع للاذان قال وجعل مسلمة للمسجد الجامع أربع

صوامع في أركانه الاربع وهو أول من جعلها فيه ولم تكن قبل ذلك قال وهو أول من جعل فيه الحصر وانما كان قبل ذلك مفروشا بالحصباء وأمر أن لايضرب بناقوس عند الاذان يعني الفجر وكان السلم الذى يصعد منه المؤذنون في الطريق حتى كان خالد بن سعيد لحوله داخل المسجد * قال القاضي القضاعي ثم ان عبد العزيز بن مروان هدمه في سنة تسع وسبعين من الهجرة وهو يومئذ أمير مصر من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة التي كانت في بحريه ولم يجد في شرقيه موضعا يوسعه به * وذكر أبو عمر الكندى في كتاب الامراء أنه زاد فيه من جوانبه كلها ويقال ان عبد العزيز بن مروان لما أكمل بناء المسجد خرج من دار الذهب عند طلوع الفجر فدخل المسجد فرأى في أهله خفة فأمر بأخذ الابواب على من فيه ثم دعا بهم رجلا رجلا فيقول للرجل ألك زوجة فيقول لا فيقول زوجوه ألك خادم فيقول لا فيقول أخدموه أحججت فيقول لا فيقول أحجوه أعليك دين فيقول نعم فيقول اقضوا دينه فأقام المسجد بعد ذلك دهرا عامرا ولم يزل الى اليوم وذكر أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان في ولايته على مصر من قبل أخيه الوليد أمر برفع سقف المسجد الجامع وكان مطاطأ وذلك في سنة تسع وثمانين ثم ان قرة بن شريك العبسى هدمه مستهل سنة اثنتين وتسعين بأمر الوليد بن عبد الملك وهو يومئذ أمير مصر من قبله وابتدأ في بنيانه في شعبان من السنة المذكورة وجعل على بنائه يحيي بن حنظلة مولى بنى عامر بن لؤى وكانوا يجمعون الجمعة في قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ونصب المنبر الجديد في سنة أربع وتسعين ونزع المنبر الذي كان في المسجد وذكر أن عمرو ابن العاص كان جعله فيه فلعله بعد وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان وذكر أنه حمل اليه من بعض كنائس مصر وقيل ان زكريا بن برقنى ملك النوبة أهداه الى عبد الله بن سعد بن أبى سرح وبعث معه نجاره حتى ركبه واسم هذا النجار بقطر من أهل دندرة ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتي زاد قرة بن شريك في الجامع فنصب منبرا سواه على ماتقدم شرحه ولم يكن يخطب في القرى الاعلى العصا الى أن ولى عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمي مصر من قبل مروان بن محمد فأمر باتخاذ المنابر في القرى وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وذكر أنه لايعرف منبرا أقدم منه يعني من منبر قرة بن شريك بعد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل كذلك الى أن قلع وكسر في أيام العزيز بالله بنظر الوزير يعقوب بن كلس في يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلثمائة وجعل مكانه منبر مذهب ثم اخرج هذا المنبر الي الاسكندرية وجعل في جامع عمرو بها وانزل الى الجامع المنبر الكبير الذى هو به الآن

وذلك في أيام الحاكم بأمر الله في شهر ربيع الاول سنة خمس واربعمائة وصرف بنو عبد السميع عن الخطابة وجعلت خطابة الجامع العتيق لجعفر بن الحسن بن خداع الحسيني وجعل الى أخيه الخطابة بالجامع الازهر وصرف بنو عبد السميع بن عمر بن الحسين بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس من جميع المنابر بعد أن أقاموا هم وسلفهم فيها ستين سنة وفي شهر ربيع الاول من هذه السنة وجد المنبر الجديد الذى نصب في الجامع قد لطخ بعذرة فوكل به من يحفظه وعمل له غشاء من أدم مذهب في شعبان من هذه السنة وخطب عليه ابن خداع وهو مغشى وزيادة قرة من القبلي والشرقي وأخذ بعض دار عمرو وابنه عبد الله بن عمرو فأدخله في المسجد وأخذ منهما الطريق الذى بين المسجد وبينهما وعوض ولد عمرو ماهو فى أيديهم اليوم من الرباع وأمر قرة بعمل المحراب المجوف على ماتقدم شرحه وهو المحراب المعروف بعمرو لانه في سمت محراب المسجد القديم الذى بناه عمرو وكانت قبلة المسجد القديم عند العمد المذهبة في صف التوابيت اليوم وهي أربعة عمد اثنان في مقابلة اثنين وكان قرة أذهب رؤسها وكانت مجالس قيس ولم يكن فى المسجد عمد مذهبة غيرها وكانت قديما حلقة أهل المدينة ثم زوق اكثر العمد وطوق فى ايام الاخشيد سنة أربع وعشرين وثلثمائة ولم يكن للجامع أيام قرة بن شريك غير هذا المحراب فأما المحراب الاوسط الموجود اليوم فعرف بمحراب عمر بن مروان عم الخلفاء وهو أخو عبد الملك وعبد العزيز ولعله أحدثه في الجدار بعد قرة وقد ذكر قوم أن قرة عمل هذين المحرابين وصار للجامع أربعة أبواب وهي الابواب الموجودة في شرقيه الآن آخرها باب اسرائيل وهو باب النحاسين وفى غربيه أربعة أبواب شارعة في زقاق كان يعرف بزقاق البلاط وفى بحريه ثلاثة أبواب وبيت المال الذى فى علو الفوارة بالجامع بناه أسامة بن زيد التنوخي متولى الخراج بمصر سنة سبع وتسعين فى أيام سليمان بن عبد الملك وأمير مصر يومئذ عبد الملك ابن رفاعة الفهمي وكان مال المسلمين فيه وطرق المسجد فى ليلة سنة خمس واربعين ومائة فى ولاية يزيد بن حاتم المهلبي من قبل المنصور طرقه قوم ممن كان بايع على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان أول علوى قدم مصر فنهبوا بيت المال ثم تضاربوا عليه بسيوفهم فلم يصل اليهم منه الا اليسير فأنفذ اليهم يزيد من قتل منهم جماعة وانهزموا وذكر أن هذا المكان تسور عليه لص فى امارة احمد بن طولون وسرق منه بدرتى دنانير فظفر به احمد بن طولون واصطنعه وعفا عنه * وفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة أمر العزيز بالله بعمل الفوارة تحت قبة بيت المال فعملت وفرغ منها في شهر رجب سنة تسع وسبعين وثلثمائة ثم زاد فيه صالح بن على بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو يومئذ أمير مصر من قبل أبي العباس السفاح في مؤخره أربع أساطين

وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو أول من ولي مصر لبني العباس فيقال انه أدخل في الجامع دار الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت غربى دار النحاس وكان الزبير تخلى عنها ووهبها لمواليه لخصومة جرت بين غلمانه وغلمان عمرو بن العاص واختط الزبير فيما يلى الدار المعروفة به الآن ثم اشتري عبد العزيز بن مروان دار الزبير من مواليه فقسمها بين ابنه الاصبغ وأبي بكر فلما قدم صالح بن على أخذها عن أم عاصم بنت عاصم بن أبي بكر وعن طفل يتيم وهو حسان بن الاصبغ فادخلها في المسجد وباب الكحل من هذه الزيادة وهو الباب الخامس من أبواب الجامع الشرقية الآن وعمر صالح بن على أيضا مقدم المسجد الجامع عند الباب الاول موضع البلاطة الحمراء ثم زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمي وهو يومئذ أمير مصر من قبل الرشيد في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة الرحبة التى فى مؤخره وهي نصف الرحبة المعروفة بأبي أيوب ولما ضاق الطريق بهذه الزيادة أخذ موسى ابن عيسى دار الربيع بن سليمان الزهري شركة بني مسكين بغير عوض للربيع ووسع بها الطريق وعوض بني مسكين ووصل عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خزاعة أميراً من قبل المأمون في شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وتوجه الى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثنتي عشرة ومائتين ورجع الى الفسطاط فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة وأمر بالزيادة فى المسجد الجامع فزيد فيه مثله من غربيه وعاد ابن طاهر الى بغداد لخمس بقين من رجب من السنة المذكورة وكانت زيادة ابن طاهر المحراب الكبير وما في غربيه الى حد زيادة الخازن فأدخل فيه الزقاق المعروف أولا بزقاق البلاط وقطعة كبيرة من دار الرمل ورحبة كانت بين يدى دار الرمل ودورا ذكرها القضاعى *وذكر بعضهم أن موضع فسطاط عمرو بن العاص حيث المحراب والمنبر قال وكان الذى تمم زيادة عبد الله بن طاهر بعد مسيره الى بغداد عيسي بن يزيد الجلودى وتكامل ذرع الجامع سوى الزيادتين مائة وتسعين ذراعا بذراع العمل طولا فى مائة وخمسين ذراعا عرضا ويقال ان ذرع جامع ابن طولون مثل ذلك سوى الرواق المحيط بجوانبه الثلاثة * ونصب عبد الله بن طاهر اللوح الاخضر فلما احترق الجامع احترق ذلك اللوح فجعل احمد بن محمد العجيفى هذا اللوح مكان ذلك وهو هذا اللوح الاخضر الباقى الى اليوم ورحبة الحارث هى الرحبة البحرية من زيادة الخازن وكانت رحبة يتبايع الناس فيها يوم الجمعة وذكر أبو عمر الكندى فى كتاب الموالى أن أبا عمرو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف مولى محمد بن ريان بن عبد العزيز بن مروان لما ولى القضاء من قبل المتوكل على الله فى سنة سبع وثلاثين ومائتين امر ببناء هذه الرحبة ليتسع الناس بها وحول سلم المؤذنين الى غربى المسجد وكان عند باب اسرائيل وبلط زيادة ابن طاهر وأصلح بنيان السقف وبنى

سقاية في الحذائين وأمر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب ليتسع الناس بها وزيادة أبي أيوب احمد بن محمد بن شجاع ابن أخت أبي الوزير أحمد بن خالد صاحب الخراج في ايام المعتصم كان أبو أيوب هذا أحد عمال الخراج زمن احمد بن طولون وزيادته في بقية الرحبة المعروفة برحبة أبي أيوب * والمحراب المنسوب الى أبي أيوب هو الغربي من هذه الزيادة عند شباك الحذائين وكان بناؤه في سنة ثمان وخمسين ومائتين ويقال ان أبا أيوب مات في سجن احمد بن طولون بعد أن نكبه واصطفى أمواله وذلك في سنة ست وستين ومائتين وأدخل أبو أيوب في هذه الزيادة أماكن ذكرها * قال وكان قد وقع في مؤخر المسجد الجامع حريق فعمر وزيدت هذه الزيادة في أيام احمد بن طولون ووقع في الجامع في ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين حريق اخذ من بعد ثلاث حنايا من باب اسرائيل الى رحبة الحارث بن مسكين فهلك فيه اكثر زيادة عبد الله بن طاهر والرواق الذي عليه اللوح الاخضر فأمر خمارويه بن احمد بن طولون بعمارته على يد احمد بن محمد العجيفي فأعيد على ما كان عليه وأنفق فيه ستة آلاف وأربعمائة دينار وكتب اسم خمارويه في دائر الرواق الذي عليه اللوح الاخضر وهي موجودة الآن وكانت عمارته في السنة المذكورة * وأمر عيسى النوشزي في ولايته الثانية على مصر في سنة أربع وتسعين ومئتين باغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلوات فكان يفتح للصلاة فقط واقام على ذلك اياما فضج أهل المسجد ففتح لهم * وزاد أبو حفص العباسي في أيام نظره في قضاء مصر خلافة لاخيه محمد الغرفة التي يؤذن فيها المؤذنون في السطح وكانت ولايته في رجب من سنة ست وثلاثين وثلثمائة وكان امام مصر والحرمين واليه اقامة الحج ولم يزل قاضيا بمصر خلافة لاخيه الى أن صرف من القضاء بالخصيبي في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة بعد قدومه من الحج ثم زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله الخازن رواقا واحدا من دار الضرب وهو الرواق ذو المحراب والشباكين المتصل برحبة الحارث ومقداره تسع اذرع وكان ابتداء ذلك في رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائه ومات قبل تمام هذه الزيادة وتممها ابنه علي ابن محمد وفرغت في العشر الأخر من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة * وزاد فيه الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس بأمر العزيز بالله الفوارة التي تحت قبة بيت المال وهو أول من عمل فيه فوارة وزاد فيه أيضا مساقف الخشب المحيطة بها على يد المعروف بالمقدسي الاطروش متولي مسجد بيت المقدس وذلك في سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ونصب فيها حباب الرخام التي للماء * وفي سنة سبع وثمانين وثلثمائة جدد بياض المسجد الجامع وقلع شيء كثير من الفسيفساء الذي كان في اروقته وبيض مواضعه ونقشت خمسة ألواح وذهبت ونصبت على ابوابه الخمسة الشرقية وهي التي عليها الآن وكان ذلك على يد برجوان الخادم وكان

اسمه ثابتا فى الالواح فقلع بعد قتله * وقال المسيحى فى تاريخه وفى سنة ثلاث وأربعمائة انزل من القصر الى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانيـة وتسعين مصحفا مابين ختمات وربعات فيها ماهو مكتوب كله بالذهب ومكن الناس من القراءة فيها وأنزل اليه أيضا تنور من فضة عمله الحاكم بأمر الله برسم الجامع فيه مائة ألف درهم فضة فاجتمع النـاس وعلق بالجامع بعد ان قلعت عتبتا الباب حتى أدخل به وكان من اجتماع الناس لذلك مايتجاوز الوصف * قال القضاعى وأمر الحاكم بأمر الله بعمل الرواقين اللذين في صحن المسجد الجامع وقلع عمد الخشب وجسر الخشب التى كان هناك وذلك في شعبان سنة ست وأربعمائة وكانت العمد والجسر قد نصبها أبو أيوب احمد بن محمد بن شجاع فى سنة سبع وخمسين ومائتين زمن احمد بن طولون لان الحر اشتد على الناس فشكوا ذلك الى ابن طولون فأمر بنصب عمد الخشب وجعل عليها الستائر فى السنة المذكورة وكان الحاكم قد أمر بأن تدهن هذه العمد الخشب بدهن أحمر وأخضر فلم يثبت عليها ثم أمر بقلعها وجعلها بين الرواقين * وأول ماعملت المقاصير فى الجوامع فى ايام معاوية بن أبى سفيان سنة أربع وأربعين ولعل قرة بن شريك لما بني الجامع بمصر عمل المقصورة * وفى سنة احدى وستين ومائة أمر المهدى بنزع المقاصير من مساجد الامصار وبتقصير المنابر فجعلت على مقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعيدت بعد ذلك * ولما ولى مصر موسى بن أبي العباس من أهل الشاش من قبل أبى جعفر اشناس أمر المعتصم أن يخرج المؤذنون الى خارج المقصورة وهو أول من أخرجهم وكانوا قبل ذلك يؤذنون داخلها ثم أمر الامام المستنصر بالله بن الظاهر بعمل الحجر المقابل للمحراب وبالزيادة في المقصورة في شرقيها وغربيها حتي اتصلت بالحذائين من جانبيها وبعمل منطقة فضة في صدر المحراب الكبير أثبت عليها اسم أمير المؤمنين وجعل لعمودى المحراب أطواق فضة وجرى ذلك على يد عبد الله بن محمد بن عبدون فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة * قال مؤلفه رحمه الله ولم تزل هذه المنطقة الفضة الى أن استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة مصر بعد موت الخليفة العاضد لدين الله فى محرم سنة سبع وستين وخمسمائة فقلع مناطق الفضة من الجوامع بالقاهرة ومن جامع عمرو بن العاص بمصر وذلك في حادى عشر شهر ربيع الاول من السنة المذكورة * قال القضاعي وفى شهر رمضان من سنة أربعين وأربعمائة جددت الخزانة التى فى ظهر دار الضرب فى طريق الشرطة مقابلة لظهر المحراب الكبير وفى شعبان من سنة احدى وأربعين وأربعمائة أذهب بقية الجدار القبلي حتى اتصل الاذهاب من جدار زيادة الخازن الى المنبر وجري ذلك على يد القاضى أبي عبد الله أحمد بن محمد بن يحيي بن أبى زكريا * وفي شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة عملت لموقف الامام في زمن الصيف

مقصورة خشب ومحراب ساج منقوش بعمودى صندل وتقلع هذه المقصورة في الشتاء اذا صلى الامام في المقصورة الكبيرة * وفي شعبان سنة أربع وأربعين وأربعمائة زيد في الخزانة مجلس من دار الضرب وطريق المستحم وزخرف هذا المجلس وحسن وجعل فيه محراب ورخم بالرخام الذى قلع من المحراب الكبير حين نصب عبد الله بن محمد بن عبدون منطقة الفضة في صدر المحراب الكبير وجرت هذه الزيادة على يد القاضى أبي عبد الله احمد بن محمد بن يحيى * وفي ذي الحجة من سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة عمر القاضى أبو عبد الله احمد بن محمد بن أبي زكريا غرفة المؤذنين بالسطح وحسنها وجعل لها روشنا على صحن الجامع وجعل بعدها ممرقا ينزل منه الى بيت المال وجعل للسطح مطلعا من الخزانة المستجدة فى ظهر المحراب الكبير وجعل له مطلعا آخر من الديوان الذي فى رحبة أبي أيوب * وفي شعبان من سنة خمس وأربعين وأربعمائة بنيت المئذنة التى فيما بين مئذنة عرفة والمئذنة الكبيرة على يد القاضى أبي عبد الله احمد بن أبي زكريا انتهى ماذكره القضاعى * وفى سنة أربع وستين وخمسمائة تمكن الفرنج من ديار مصر وحكموا في القاهرة حكما جائرا وركبوا المسلمين بالاذي العظيم وتيقنوا أنه لاحامي للبلاد من اجل ضعف الدولة وانكشفت لهم عورات الناس فجمع مرى ملك الفرنج بالساحل جموعه واستجد قوما وقوى بهم عساكره وسار الى القاهرة من بلبيس بعد أن أخذها وقتل كثيرا من أهلها فأمر شاور بن مجير السعدى وهو يومئذ مستول على ديار مصر ووزارة للعاضد باحراق مدينة مصر فخرج الناس اليوم التاسع من صفر من السنة المذكورة عشرون ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل مضرمة بالنيران وفرقت فيها ونزل مرى بجموع الفرنج على بركة الحبش فلما رأى دخان الحريق تحول من بركة الحبش ونزل على القاهرة مما يلى باب البرقية وقاتل اهل القاهرة وقد انحشر الناس فيها واستمرت النار في مصر أربعة وخمسين يوما والنهابة تهدم مابها من المبانى وتحفر لاخذ الخبايا الى أن بلغ مرى قدوم اسد الدين شيركوه بعسكر من جهة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فرحل في سابع شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وتراجع المصريون شيئاً بعد شيء الى مصر وتشعث الجامع فلما استبد السلطان صلاح الدين بمملكة مصر بعد موت العاضد جدد الجامع العتيق بمصر في سنة ثمان وستين وخمسمائة وأعاد صدر الجامع والمحراب الكبير ورخمه ورسم عليه اسمه وجعل في سقاية قاعة الخطابة قصبة الى السطح يرتفق بها أهل السطح وعمر المنظرة التي تحت المئذنة الكبيرة وجعل لها سقاية وعمر في كتف دار عمرو الصغرى البحرى مما يلى الغربي قصبة أخرى الى محاذاة السطح وجعل لها ممشاة من السطح اليها يرتفق بها أهل السطح وعمر غرفة الساعات وحررت فلم تزل مستمرة الى اثناء أيام الملك المعز عز الدين أيبك التركماني أول من ملك

من المماليك وجدد بياض الجامع وأزال شعثه وجلى عمده وأصلح رخامه حتى صار جميعه مفروشا بالرخام وليس فى سائر أرضه شيء بغير رخام حتى تحت الحصر * ولما تقلد قاضى القضاة تاج الدين عبـد الوهاب بن الاعز أبي القاسم خلف بن رشيد الدين محمود بن بدر المعروف بابن بنت الاعز العلائى الشافعي قضاء القضاة بالديار المصرية ونظر الاحبـاس فى ولايته الثانية أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى كشف الجامع بنفسه فوجد مؤخره قد مال الى بحريه ووجد سوره البحرى قد مال وانقلب علوه عن سمت سـفله ورأى في سطح الجامع غرفاً كثيرة محدثة وبعضها مزخرف فهدم الجميع ولم يدع بالسطح سوى غرفة المؤذنين القديمة وثلاث خزائن لرؤساء المؤذنين لاغـير وجمع أرباب الخبرة فاتفق الرأى على ابطال جريان الماء الى فوارة الفسقية وكان الماء يصل اليها من بحر النيـل فامر بابطاله لما كان فيه من الضرر على جدر الجامع وعمر بغلات بالزيادة البحرية تشد جدار الجامع البحري وزاد فى عمد الزيادة ماقوى به البغلات المذكورة وسد شـبا كين كانا فى الجدار المذكور ليتقوى بذلك وانفق المصروف على ذلك من مال الاحبـاس وخشى أن يتداعى الجامع كله الى السقوط فحدث الصاحب الوزير بهاء الدين على بن محمد بن سليم ابن حنا في مفاوضة السلطان فى عمارة ذلك من بيت المال فاجتمعا معا بالسلطان الملك الظاهر بيبرس وسألاه في ذلك فرسم بعمارة الجامع فهدم الجدار البحرى من مقدم الجامع وهو الجدار الذى فيه اللوح الاخضر وحط اللوح وأزيلت العمد والقواصر العشر وعمر الجدار المذكور وأعيدت العمد والقواصر كما كانت وزيد في العمد أربعة قرن بها أربعة مما هو تحت اللوح الاخضر والصف الثانى منه وفصل اللوح الاخضر أجزاء وجدد غيره وأذهب وكتب عليه اسم السلطان الملك الظاهر وجليت العمد كلها وبيض الجامع بأسره وذلك في شهر رجب سنة ست وستين وستمائة وصلى فيه بشهر رمضان بعد فراغه ولم تتعطل الصلاة فيه لاجـل العمارة * ولما كان فى شهور سنة سبع وثمانين وستمائة شكا قاضى القضـاة تقى الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن بنت الاعز للسلطان الملك المنصور قلاون سوء حال جامع عمرو بمصر وسوء حال الجامع الازهر بالقاهرة وأن الاحبـاس على أسوأ الاحوال وأن مجد الدين بن الحباب أخرب هذه الجهة لما كان يحدث فيها وتقرب بجزيرة الفيـل الوقف الصلاحي على مدرسة الشافعية الى الامير علم الدين الشجـاعى وذكر له بأن فى أطيانها زيادة فقاسوا ماتجـدد بها من الرمال وجعلوه للوقف وأقطعوا الاطيان القديمـة الجارية فى الوقف وتقرب أيضاً اليه بأن فى الاحباس زيادة من جملتها بالاعمال الغربيـة مامبلغه في السنة ثلاثون ألف درهم وأن ذلك لجهة عمارة الجامعين وسأل السـلطان في اعادة ذلك وابطال ماقطع منه فلم يجب الى ذلك وأمر الامير حسام الدين طرنطاي بعمارة

الجامع الازهر والامير عز الدين الافرم بعمارة جامع عمرو فحضر الافرم الى الجامع بمصر ورسم على مباشرى الاحباس وكشف المساجد لغرض كان في نفسه وبيض الجامع وجرد نصف العمد التى فيه فصار العمود نصفه الاسفل أبيض وباقيه بحاله ودهن واجهة غرفة الساعات بالسياقون وأجرى الماء من البئر التى بزقاق الاقفال الى فسقية الجامع ورمى ما كان بالزيادات من الاتربة وبطر العوام به فيما فعله بالجامع فصاروا يقولون نقل الديماس من البحر الى الجامع لكونه دهن الغرفة بالسياقون وألبس العواميد للشيخ العريان لكونه جرد نصفها التحتانى فصار أبيض الاسفل اسمر الاعلى كما كان الشيخ العريان فان نصفه الاسفل كان مستورا بمئزر أبيض وأعلاه عريان ولم يفعل بالجامع سوى ماذكر * ولما حدثت الزلزلة في سنة أثنتين وسبعمائة تشعث الجامع فاتفق الامير ان بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ أستادار الملك الناصر محمد بن قلاون والامير سلار وهو نائب السلطنة واليهما تدبير الدولة على عمارة الجامعين بمصر والقاهرة فتولى الامير ركن الدين بيبرس عمارة الجامع الحاكمي بالقاهرة وتولى الامير سلار عمارة جامع عمرو بمصر فاعتمد سلار على كاتبه بدر الدين بن خطاب فهدم الحد البحرى من سلم السطح الى باب الزيادة البحرية والشرقية وأعاده على ما كان عليه وعمل بابين جديدين للزيادة البحرية والغربية وأضاف الى كل عمود من الصف الاخير المقابل للجدار الذى هدمه عموداً آخر تقوية له وجرد عمد الجامع كلها وبيض الجامع بأسره وزاد في سقف الزيادة الغربية رواقين وبلط سفل ماأسقف منها وخرب بظاهر مصر وبالقرافتين عدة مساجد وأخذ عمدها ليرخم بها صحن الجامع وقلع من رخام الجامع الذى كان تحت الحصر كثيرا من الالواح الطوال ورص الجميع عند باب الجامع المعروف بباب الشرابيين فنقل من هناك الى حيث شاء ولم يعمل منه في صحن الجامع شيء البتة وكان فيما نقل من ألواح الرخام ماطوله أربعة أذرع فى عرض ذراع وسدس ذهب بجميع ذلك * ولما ولى علاء الدين بن مروانة نيابة دار العدل قسم جامعى مصر والقاهرة فجعل جامع القاهرة مع نبيه الدين بن السعرتى وجامع عمرو مع بهاء الدين بن السكرى فسقفت الزيادة البحرية الشرقية وكانت قد جعلت حاصلا للحصر وجعل لها درابزين بين البابين يمنع الجانبين من المار من باب الجامع الى باب الزيادة المسلوك منه الى سوق النحاسين وبلط أرضها ورقع بعض رخام صحن الجامع وبلط بعض المجازات وعمل عضائد أعتاب تحوز الصحن عن مواضع الصلاة * ولما كان فى شهور سنة ست وتسعين وستمائة اشترى الصاحب تاج الدين دارا بسوق الاكفانيين وهدمها وجعل مكانها سقاية كبيرة ورفعها الى محاذاة سطح الجامع وجعل لها ممشى يتوصل اليها من سطح الجامع وعمل فى أعلاها أربعة بيوت يرتفق بهم في الخلاء ومكانا برسم ازيار الماء العذب وهدم سقاية

الغرفة التي تحت المئذنة المعروفة بالمنظرة وبناها برجا كبيرا من الارض الى العلو حيث كان أولا وجعل بأعلى هذا البرج بيتا مرتفقا يختص بالغرفة المذكورة كما كان أولا وبيتا ثانيا من خارج الغرفة يرتفق به من هو خارج الغرفة ممن يقرب منها وعمر القاضي صدر الدين ابو عبد الله محمد بن البارنباري سقاية في ركن دار عمرو البحرى الغربي من داره الصغري بعد ما كانت قد تهدمت فأعادها كأحسن ما كانت ثم ان الجامع تشعث ومالت قواصره ولم يبق الا أن يسقط واهل الدولة بعد موت الملك الظاهر برقوق في شغل من اللهو عن عمل ذلك فانتدب الرئيس برهان الدين ابراهيم بن عمر بن على المحلي رئيس التجار يومئذ بديار مصر لعمارة الجامع بنفسه وذويه وهدم صدر الجامع بأسره فيما بين المحراب الكبير الى الصحن طولا وعرضا وأزال اللوح الاخضر وأعاد البناء كما كان أولا وجدد لوحا أخضر بدل الاول ونصبه كما كان وهو الموجود الآن وجرد العمد كلها وتتبع جدر الجامع فرم شعثها كله وأصلح من رخام الصحن ما كان قد فسد ومن السقوف ما كان قد وهي وبيض الجامع كله فجاء كما كان وعاد جديدا بعد ما كاد أن يسقط لولا أقام الله عزوجل هذا الرجل مع ماعرف من شحه وكثرة ضنته بالمال حتي عمره فشكر الله سعيه وبيض محياه وكان انتهاء هذا العمل في سنة أربع وثمانمائة ولم يتعطل منه صلاة جمعة ولاجماعة في مدة عمارته * قال ابن المتوج ان ذرع هذا الجامع اثنان وأربعون ألف ذراع بذراع البز المصري القديم وهو ذراع الحصر المستمر الى الآن فمن ذلك مقدمه ثلاثة عشر ألف ذراع وأربعمائة وخمسة وعشرون ذراعا ومؤخره مثل ذلك وصحنه سبعة آلاف وخمسمائة ذراع وكل من جانبيه الشرقي والغربي ثلاثة آلاف وثمانمائة وخمسة وعشرون ذارعا وذرعه كله بذراع العمل ثمانية وعشرون ألف ذراع وعدد أبوابه ثلاثة عشر بابا منها في القبلي باب الزيز لحته الذي يدخل منه الخطيب كان به شجرة زيز لحت عظيمة قطعت في سنة ست وستين وسبعمائة وفي البحري ثلاثة ابواب وفي الشرقي خمسة وفي الغربي أربعة وعدد عمده ثلثمائة وثمانية وسبعون عمودا وعدد ماذنه خمس وبه ثلاث زيادات فالبحرية الشرقية كانت لجلوس قاضي القضاة بها في كل اسبوع يومين وكان بهذا الجامع القصص * قال القضاعي روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لم يقص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان رضى الله عنهم وانما كان القصص في زمن معاوية رضى الله عنه * وذكر عمر بن شبة قال قيل للحسن متى أحدث القصص قال في خلافة عثمان بن عفان قيل من أول من قص قال تميم الدارى * وذكر عن ابن شهاب قال أول من قص في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم الدارى استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه حتى كان آخر ولايته فاذن له أن يذكر في يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر فاستأذن تميم عثمان بن عفان رضي الله عنه في ذلك

فأذن له أن يذكر يومين في الجمعة فكان تميم يفعل ذلك * وروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عليا رضى الله عنه قنت فدعا على قوم من أهل حربه فبلغ ذلك معاوية فأمر رجلا يقص بعد الصبح وبعد المغرب يدعو له ولاهل الشام قال يزيد وكان ذلك أول القصص * وروي عن عبد الله بن مغفل قال أمنا علي رضي الله عنه في المغرب فلما رفع رأسه من الركعة الثالثة ذكر معاوية أولا وعمرو بن العاص ثانيا وأبا الاعوز يعني السلمي ثالثا وكان أبو موسى الرابع * وقال الليث بن سعد هما قصصان قصص العامة وقصص الخاصة فأما قصص العامة فهو الذي يجتمع اليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم فذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه وأما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية ولى رجلا على القصص فاذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولاهل ولايته ولحشمه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة * ويقال ان أول من قص بمصر سليمان بن عتر التجيبي في سنة ثمان وثلاثين وجمع له القضاء الى القصص ثم عزل عن القضاء وأفرد بالقصص وكانت ولايته على القصص والقضاء سبعا وثلاثين سنة منها سنتان قبل القضاء ويقال انه كان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث مرات وكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويسجد في المفصل ويسلم تسليمة واحدة ويقرأ في الركعة الاولى بالبقرة وفى الثانية بقل هو الله أحد ويرفع يديه في القصص اذا دعا وكان عبد الملك بن مروان شكا الى العلماء ما انتشر عليه من أمور رعيته وتخوفه من كل وجه فأشار عليه أبو حبيب الحمصى القاضي بأن يستنصر عليهم برفع يديه الى الله تعالى فكان عبد الملك يدعو ويرفع يديه وكتب بذلك الى القصاص فكانوا يرفعون أيديهم بالغداة والعشي * وفى هذا الجامع مصحف اسماء وهو الذى تجاه المحراب الكبير * قال القضاعي كان السبب في كتب هذا المصحف أن الحجاج بن يوسف الثقفى كتب مصاحف وبعث بها الى الامصار ووجه الى مصر بمصحف منها فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك وكان الوالى يومئذ من قبل أخيه عبد الملك وقال يبعث الى جند أنا فيه بمصحف فأمر فكتب له هذا المصحف الذى فى المسجد الجامع اليوم فلما فرغ منه قال من وجد فيه حرفا خطأ فله رأس أحمر وثلاثون دينارا فتداوله القراء فأتى رجل من قراء الكوفة اسمه زرعة بن سهل الثقفى فقرأه تهجيا ثم جاء الى عبد العزيز بن مروان فقال له انى قد وجدت في المصحف حرفا خطأ فقال مصحفى قال نعم فنظر فاذا فيه ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة فاذا هى مكتوبة نجعة قد قدمت الجيم قبل العين فأمر بالمصحف فأصلح ما كان فيه وأبدلت الورقة ثم أمر له بثلاثين دينارا وبرأس أحمر ولما فرغ من هذا المصحف كان يحمل الى المسجد الجامع غداة كل جمعة من دار عبد العزيز فيقرأ فيه ثم يقص ثم يرد الى موضعه فكان أول من قرأ فيه عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى لانه كان يتولى

القصص والقضاء يومئذ وذلك في سنة ست وسبعين ثم تولى بعده القصص أبو الخير مرثد بن
عبد الله اليزني وكان قاضيا بالاسكندرية قبل ذلك ثم توفي عبد العزيز فى سنة ست وثمانين
فبيع هـذا المصحف في ميراثه فاشتراه ابنه أبو بكر بألف دينار ثم توفي أبو بكر فاشترته
أسماء ابنة أبي بكر بن عبد العزيز بسبعمائة دينار فأمكنت الناس منـه وشهرته فنسب اليها
فلما توفيت أسماء اشتراه أخوها الحكم بن عبد العزيز بن مروان من ميراثها بخمسمائة دينار
فأشار عليه توبة بن نمر الحضرمى القاضى وهو متولى القصص يومئذ بالمسجد الجامع بعد
عقبة بن مسلم الهمدانى واليه القضاء وذلك في سنة ثمان عشرة ومائة فجعله في المسجد الجامع
وأجرى على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير في كل شهر من غلة الاصطبل فكان توبة أول من
قرأ فيه بعد أن أقر في الجامع وتولى القصص بعد توبة أبو اسماعيل خير بن نعيم الحضرمي
القاضي في سنة عشرين ومائة وجمع له القضاء والقصص فكان يقرأ فى المصحف قائما ثم يقص
وهو جالس فهو أول من قرأ فى المصحف قائما ولم تزل الأئمة يقرؤن في المسجد الجامع في هذا
المصحف فى كل يوم جمعة الى أن ولى القصص أبو رجب العلاء بن عاصم الخولانى فى سنة
اثنتين وثمانين ومائة فقرأ فيه يوم الاثنين وكان قد جعل المطلب الخزاعى أمير مصر من قبل
المأمون رزق أبي رجب العلاء عشرة دنانير على القصص وهو أول من سلم فى الجامع تسليمتين
بكتاب ورد من المأمون يأمر فيه بذلك وصلى خلفه محمد بن ادريس الشافعى حين قدم الى
مصر فقال هكذا تكون الصلاة ماصليت خلف احد أتم صلاة من أبي رجب ولا أحسن *
ولما ولى القصص حسن بن الربيع بن سليمان من قبل عنبسة بن اسحاق أمير مصر من قبل
المتوكل في سنة أربعين ومائتين امر أن تترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة فتركها
الناس وأمر أن تصلى التراويح خمس تراويح وكانت تصلي قبل ذلك ست تراويح وزاد فى قراءة
المصحف يوما فكان يقرأ يوم الاثنين ويوم الخميس ويوم الجمعة * ولما ولى حمزة بن أيوب
ابن ابراهيم الهاشمى القصص بكتاب من المكتفى فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين صلى في
مؤخر المسجد حين نكس وأمر أن يحمل اليه المصحف ليقرأ فيه فقيل له انه لم يحمل المصحف
الى أحد قبلك فلو قمت وقرأت فيه فى مكانه فقال لا افعل ولـكن ائتونى به فان القرآن علينا
انزل والينا اتي فأتي به فقرأ فيه فى المؤخر وهو أول من قرأ في المصحف فى المؤخر و
يقرأ في المصحف بعد ذلك فى المؤخر الى أن تولى أبو بكر محمد بن الحسن السوسى الصلاة
والقصص في اليوم العشرين من شعبان سـنة ثلاث وأربعمائة فنصب المصحف فى مؤخر
الجامع حيال الفوارة وقرأ فيه أيام نكس الجامع فاستمر الامر على ذلك الى الآن * ولما تولى
القصص أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلم الملطى فى سنة احدي وثلثمائة عزم على القراءة
المصحف في كل يوم فتكلم على بن قديد فى ذلك ومنع منه وقال أعزم على أن يخلق المصحف

وبقطعه ايرى عبد العزيز بن مروان حيا فيكتب له مثله فرجع الى القراءة ثلاثة ايام * وكان قد حضر الى مصر رجل من أهل العراق وأحضر مصحفا ذكر أنه مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه وانه الذي كان بين يديه يوم الدار وكان فيه أثر الدم وذكر أنه استخرج من خزائن المقتدر ودفع المصحف الى عبد الله بن شعيب المعروف بابن بنت وليد القاضي فأخذه أبو بكر الخازن وجعله فى الجامع وشهره وجعل عليه خشباً منقوشاً وكان الامام يقرأ فيه يوما وفى مصحف أسماء يوما ولم يزل على ذلك الى أن رفع هذا المصحف واقتصر على القراءة فى مصحف أسماء وذلك في أيام العزيز بالله لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وسبعين وثلثمائة * وقد أنكر قوم أن يكون هذا المصحف مصحف عثمان رضى الله عنه لان نقله لم يصح ولم يثبت بحكاية رجل واحد * ورأيت أنا هذا المصحف وعلى ظهره منسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين هذا المصحف الجامع لكتاب الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه حمله المبارك مسعود بن سعد الهيتى لجماعة المسلمين القراء للقرآن التالين له المتقربين الى الله جل ذكره بقراءته والمتعلمين له ليكون محفوظاً أبداً ما بقى ورقه ولم يذهب اسمه ابتغاء ثواب الله عز وجل ورجاء غفرانه وجعله عدة ليوم فقره وفاقته وحاجته اليه أناله الله ذلك برأفته وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من نظر فيه وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر المصحف والمندرس يشبه أن يكون وتبصر في ورقه وقصد بإيداعه فسطاط مصر في المسجد الجامع جامع المسلمين العتيق ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه ومن عنى به وكان ذلك في يوم الثلاثاء مستهل ذى القعدة سنة سبع وأربعين وثلثمائة وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل * قال ابن المتوج ودليل بطلان ماقاله هذا المعترض ظهور التعصب على عثمان رضى الله عنه من تجيب وخافاتهم أن الناس قد جربوا هذا المصحف وهو الذى على الكرسى الغربي من مصحف أسماء أنه ما فتح قط الا وحدث حادث في الوجود لتحقيق ماحدث أولا والله أعلم * (قال القضاعى ذكر المواضع المعروفة بالبركة من الجامع يستحب الصلاة والدعاء عندها) * منها البلاطة التي خلف الباب الاول في مجلس بن عبد الحكم * ومنها باب البرادع روى عن رجل من صلحاء المصريين يقال له أبو هارون الخرقى قال رأيت الله عز وجل فى منامى فقلت له يارب انت ترانى وتسمع كلامي قال نعم ثم قال أريد أن أريك بابا من ابواب الجنة قلت نعم يارب فأشار الى باب أصحاب البرادع أو الباب الاقصى مما يلي رحبة حارث وكان أبو هارون هذا يصلى الظهر والعصر فيما بينهما * وقال ابن المتوج وعند المحراب الصغير الذى في جدار الجامع الغربى ظاهر المقصورة فيما بين بابى الزيادة الغربية الدعاء عنده مستجاب قال ومن ذلك باب مقصورة عرفة * ومنها عند

خرزة البئر التى بالجامع * ومنها قبال اللوح الاخضر * ومنها زاوية فاطمة ويقال انها فاطمة ابنة عفان لما وصى والدها أن تترك لله في الجامع فتركت في هذا المكان فعرف بها *ومنها سطح الجامع والطواف به سبع مرات يبدأ بالاولى من باب الخزانة الاولى التى يستقبلها الداخل من باب السطح وهو يتلو الى أن يصل الى زاوية السطح التى عند المئذنة المعروفة بعرفة يقف عندها ثم يدعو بما أراد ثم يمر وهو يتلو الى أن يصل الى الركن الشرقى عند المئذنة المشهورة بالكبيرة ثم يدعو بما أراد ويمر الى الركن البحرى الشرقى فيقف محاذيا لغرفة المؤذنين ويدعو ثم يمر وهو يتلو الى المكان الذى ابتدأ منه يفعل ذلك سبع مرات فان حاجته تقضي * قال القضاعى ولم يكن الناس يصلون بالجامع بمصر صلاة العيد حتى كانت سنة ست ويقال سنة ثمان وثلثمائة فصلى فيه رجل يعرف بعلى بن احمد بن عبد الملك الفهمى يعرف بابن أبي شيخة صلاة الفطر ويقال انه خطب من دفتر نظرا وحفظ عنه اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مشركون فقال بعض الشعراء ،

وقام في العيد لنا خاطب * فحرض الناس على الكفر

وتوفى سنة تسع وثلثمائة * (وبالجامع زوايا يدرس فيها الفقه) * منها زاوية الامام الشافعى رضى الله عنه يقال انه درس بها الشافعي فعرفت به وعليها أرض بناحية سنديس وقفها السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء * ومنها الزاوية المجدية بصدر الجامع فيما بين المحراب الكبير ومحراب الخمس داخل المقصورة الوسطى بجوار المحراب الكبير رتبها مجد الدين أبو الاشبال الحارث بن مهذب الدين أبي المحاسن مهلب بن حسن بن بركات بن على بن غياث المهلبى الازدى البهنسى الشافعى وزير الملك الاشرف موسى بن العادل أبي بكر ابن أيوب بحران وقرر في تدريسها قريبه قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسى وعمل على هذه الزاوية عدة أوقاف بمصر والقاهرة ويعد تدريسها من المناصب الجليلة وتوفي المجد في صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة بدمشق عن ثلاث وستين سنة * ومنها الزاوية الصاحبية حول عرفة رتبها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين محمد بن بهاء الدين بن حنا وجعل لها مدرسين أحدهما مالكى والآخر شافعي وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة بخط البراذعيين * ومنها الزاوية الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب الجامع الذى يدخل اليه من سوق الغزل رتبها كمال الدين السمنودى وعليها فندق بمصر موقوف عليها * ومنها الزاوية التاجية أمام المحراب الخشب رتبها تاج الدين السطحي وجعل عليها دورا بمصر موقوفة عليها * ومنها الزاوية المعينية في الجانب الشرقى من الجامع رتبها معين الدين الدهروطى وعليها وقف بمصر * ومنها الزاوية العلائية تنسب لعلاء الدين الضرير وهى في صحن الجامع

وهي لقراءة ميعاد * ومنها الزاوية الزينية رتبها الصاحب زين الدين لقراءة ميعاد أيضا ذكر ذلك ابن المتوج* واخبرني المقرى الاديب المؤرخ الضابط شهاب الدين احمد بن عبد الله ابن الحسن الاوحدى رحمه الله قال أخبرنى المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات قال أخبرنى العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي أنه أدرك بجامع عمرو ابن العاص بمصر قبل الوباء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه * قال ابن المأمون حدثنى القاضى المكين بن حيدرة وهو من أعيان الشهود بمصر أن من جملة الخدم التى كانت بيد والده مشارفة الجامع العتيق وان القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود عنده الى أن يعملوا ثمانية عشر ألف فتيلة وأن المطلق برسمه خاصة في كل ليلة برسم وقوده أحد عشر قنطارا ونصف زيتاً طيباً

(ذكر المحاريب التى بديار مصر وسبب اختلافها وتعيين الصواب فيها وتبيين الخطأ منها)

* اعلم أن محاريب ديار مصر التى يستقبلها المسلمون في صلواتهم أربعة محاريب . * أحدها محراب الصحابة رضى الله عنهم الذى أسسوه فى البلاد التى استوطنوها والبلاد التى كثر مرهم بها من اقليم مصر وهو محراب المسجد الجامع بمصر المعروف بجامع عمرو ومحراب المسجد الجامع بالجيزة وبمدينة بلبيس وبالاسكندرية وقوص واسوان وهذه المحاريب المذكورة على سمت واحد غير أن محاريب ثغر اسوان أشد تشريقا من غيرها وذلك أن اسوان مع مكة شرفها الله تعالى في الاقليم الثانى وهو الحد الغربى من مكة بغير ميل الى الشمال ومحراب بلبيس مغرب قليلا * والمحراب الثانى محراب مسجد أحمد بن طولون وهو منحرف عن سمت محراب الصحابة وقد ذكر في سبب انحرافه أقوال * منها أن أحمد بن طولون لما عزم على بناء هذا المسجد بعث الى محراب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ سمته فاذا هو مائل عن خط سمت القبلة المستخرج بالصناعة نحو العشر درج الى جهة الجنوب فوضع حينئذ محراب مسجده هذا مائلا عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب بنحو ذلك اقتداء منه بمحراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وخط له المحراب فلما أصبح وجد النمل قد أطاف بالمكان الذى خطه له رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقيل غير ذلك وانت ان صعدت الى سطح جامع ابن طولون رأيت محرابه مائلا عن محراب جامع عمرو بن العاص الى الجنوب ورأيت محراب المدارس التى حدثت الى جانبه قد انحرفت عن محرابه الى جهة الشرق وصار محراب جامع عمرو فيما بين محراب ابن طولون والمحاريب الاخر وقد عقد مجلس بجامع ابن طولون فى ولاية قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة حضره علماء الميقات منهم الشيخ تقى الدين محمد بن محمد بن موسي الغزولى

والشيخ أبو الطاهر محمد بن محمد ونظروا فى محرابه فأجمعوا على أنه منحرف عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب مغربا بقدر أربع عشرة درجة وكتب بذلك محضر وأثبت على ابن جماعة * والمحراب الثالث محراب جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر وما في سمته من بقية محاريب القاهرة وهى محاريب يشهد الامتحان بتقدم واضعها فى معرفة استخراج القبلة فانها على خط سمت القبلة من غير ميل عنه ولا انحراف البتة * والمحراب الرابع محاريب المساجد التي في قرى بلاد الساحل فانها تخالف محاريب الصحابة الا أن محراب جامع منية غمر قريب من سمت محاريب الصحابة فان الوزير أبا عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالمأمون البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله أبى على منصور بن المستعلي بالله أنشأ جامعا بمنية زفتا في سنة ست عشرة وخمسمائة فجعل محرابه على سمت المحاريب الصحيحة * وفي قرافة مصر بجوار مسجد الفتح عدة مساجد تخالف محاريب الصحابة مخالفة فاحشة وكذلك بمدينة مصر الفسطاط غير مسجد على هذا الحكم * فأما محاريب الصحابة التى بفسطاط مصر والاسكندرية فان سمتها يقابل مشرق الشتاء وهو مطالع برج العقرب مع ميل قليل الى ناحية الجنوب ومحاريب مساجد القرى وما حول مسجد الفتح بالقرافة فانها تستقبل خط نصف النهار الذى يقال له خط الزوال وتميل عنه الى جهة المغرب وهذا الاختلاف بين هذين المحرابين اختلاف فاحش يفضى الى ابطال الصلاة * وقد قال ابن عبد الحكم قبلة أهل مصر أن يكون القطب الشمالى على الكتف الايسر وهذا سمت محاريب الصحابة قال واذا طلعت منازل العقرب وتكملت صورته فنحا ذاته سمت القبلة لديار مصر وبرقة وافريقية وما والاها وفي الفرقدين والقطب الشمالى كفاية للمستدلين فانهم ان كانوا مستقبلين فى مسيرهم من الجنوب جهة الشمال استقبلوا القطب والفرقدين وان كانوا سائرين الى الجنوب من الشمال استدبروها وان كانوا سائرين الى الشرق من المغرب جعلوها على الاذن اليسرى وان كانوا سائرين من الشرق الى المغرب جعلوها على الاذن اليمنى وان كان مسيرهم الى النكباء التي بين الجنوب والصبا جعلوها على الكتف الايسر وان كان مسيرهم الى النكباء التي بين الجنوب والدبور جعلوها على الكتف الايمن وان كان مسيرهم الى النكباء التي بين الشمال والدبور جعلوها على الحاجب الايمن وان كان مسيرهم الى النكباء التى بين الشمال والصبا جعلوها على الحاجب الايسر *واذا عرف ذلك فانه يستحيل تصويب محرابين مختلفين فى قطر واحد اذا زاد اختلافهما على مقدار مايتسامح به في التيامن والتياسر وبيان ذلك أن كل قطر من اقطار الارض كبلاد الشام وديار مصر ونحرهما من الاقطار قطعة من الارض واقعة في مقابلة جزء من الكعبة والكعبة تكون في جهة من جهات ذلك القطر فاذا اختلف محرابان فى قطر واحد فانا نتيقن أن أحدهما صواب والآخر خطأ الا أن يكون القطر قريبا

من مكة وخطته التي هو محدود بها متسعة اتساعا كثيرا يزيد على الجزء الذي يخصه لو وزعت الكعبة أجزاء متماثلة فانه حينئذ يجوز التيامن والتياسر في محاريبه وذلك مثل بلاد البجة فانها على الساحل الغربي من بحر القلزم ومكة واقعة في شرقيها ليس بينهما الا مسافة البحر فقط وما بين جدة ومكة من البر وخطة بلاد البجة مع ذلك واسعة مستطيلة على الساحل أولها عيذاب وهى محاذية لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتميل عنها في الجنوب ميلا قليلا والمدينة شامية عن مكة بنحو عشرة أيام وآخر بلاد البجة من ناحية الجنوب سواكن وهى مائلة في ناحية الجنوب عن مكة ميلا كثيراً وهذا المقدار من طول بلاد البجة يزيد على الجزء الذى يخص هذه الخطة من الارض لو وزعت الارض أجزاء متساوية الى الكعبة فيتعين والحالة هذه التيامن أو التياسر فى طرفي هذه البلاد لطلب جهة الكعبة * وأما اذا بعد القطر عن الكعبة بعدا كثيرا فانه لايضر اتساع خطته ولا يحتاج فيه الى تيامن ولا تياسر لاتساع الجزء الذى يخصه من الارض فان كل قطر منها له جزء يخصه من الكعبة من أجل أن الكعبة من البلاد المعمورة كالكرة من الدائرة فالاقطار كلها في استقبال الكعبة محيطة بها كاحاطة الدائرة بمركزها وكل قطر فانه يتوجه الى الكعبة في جزء يخصه والاجزاء المنقسمة اذا قدرت الارض كالدائرة فانها تتسع عند المحيط وتتضايق عند المركز فاذا كان القطر بعيدا عن الكعبة فانه يقع في متسع الحد ولا يحتاج فيه الى تيامن ولا تياسر بخلاف ما اذا قرب القطر من الكعبة فانه يقع فى متضايق الجزء ويحتاج عند ذلك الى تيامن أو تياسر فان فرضنا أن الواجب اصابة عين الكعبة في استقبال الصلاة لمن بعد عن مكة وقد علمت ما فى هذه المسألة من الاختلاف بين العلماء فانه لايتسامح في اختلاف المحاريب بأكثر من قدر التيامن والتياسر الذى لايخرج عن حد الجهة فلو زاد الاختلاف حكم ببطلان أحد المحاربين ولا بد اللهم الا أن يكونا فى قطرين بعيدين بعضهما من بعض وليسا على خط واحد من مسامتة الكعبة وذلك كبلاد الشام وديار مصر فان البلاد الشامية لها جانبان وخطتها متسعة مستطيلة فى شمال مكة وتمتد اكثر من الجزء الخاص بها بالنسبة الى مقدار بعدها عن الكعبة وفى هذين القطرين يجرى ماتقدم ذكره في أرض البجة الا أن التيامن والتياسر ظهوره في البلاد الشامية اقل من ظهوره في أرض البجة من أجل بعد البلاد الشامية عن الكعبة وقرب أرض البجة وذلك أن البلاد الشامية وقعت في متسع الجزء الخاص بها فلم يظهر أثر التيامن والتياسر ظهورا كثيرا كظهوره فى أرض البجة لان البلاد الشامية لها جانب شرقى وجانب غربي ووسط فجانبها الغربى هو أرض بيت المقدس وفلسطين الى العريش أول حد مصر وهذا الجانب من البلاد الشامية يقابل الكعبة على حد مهب النكباء التي بين الجنوب والصبا وأما جانب البلاد الشامية الشرقي فانه ما كان

مشرقا عن مدينة دمشق الى حلب والفرات وما يسامت ذلك من بلاد الساحل وهذه الجهة تقابل الكعبة مشرقا عن أوسط مهب الجنوب قليلا وأما وسط بلاد الشام فانها دمشق وما قاربها وتقابل الكعبة على وسط مهب الجنوب وهذا هو سمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ميل يسير عنه الى ناحية المشرق * وأما مصر فانها تقابل الكعبة فيما بين الصبا ومهب النكباء التي بين الصبا والجنوب ولذلك لما اختلف هذان القطران أعني مصر والشام في محاذاة الكعبة اختلفت محاريبهما وعلى ذلك وضع الصحابة رضي الله عنهم محاريب الشام ومصر على اختلاف السمتين فأما مصر بعينها وضواحيها وما هو في حدها أو على سمتها أو في البلاد الشامية وما في حدها أو على سمتها فانه لايجوز فيها تصويب محرابين مختلفين اختلافا بينا فان تباعد القطر عن القطر بمسافة قريبة أو بعيدة وكان القطران على سمت واحد في محاذاة الكعبة لم يضر حينئذ تباعدهما ولا تختلف محاريبهما بل تكون محاريب كل قطر منهما على حد واحد وسمت واحد وذلك كمصر وبرقة وافريقية وصقلية والاندلس فان هذه البلاد وان تباعد بعضها عن بعض فانها كلها تقابل الكعبة على حد واحد وسمتها جميعها سمت مصر من غير اختلاف البتة وقد تبين بما تقرر حال الاقطار المختلفة من الكعبة في وقوعها منها * وأما اختلاف محاريب مصر فان له أسبابا أحدها حمل كثير من الناس قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه الحافظ أبو عيسى الترمذى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مابين المشرق والمغرب قبلة على العموم وهذا الحديث قد روى موقوفا على عمر وعثمان وعلى وابن عباس ومحمد ابن الحنيفة رضى الله عنهم وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا قال احمد بن حنبل هذا في كل البلدان قال هذا المشرق وهذا المغرب وما بينهما قبلة قيل له فصلاة من صلى بينهما جائزة قال نعم وينبغي أن يتحرى الوسط وقال احمد بن خالد قول عمر مابين المشرق والمغرب قبلة قاله بالمدينة فمن كانت قبلته مثل قبلة المدينة فهو في سعة مما بين المشرق والمغرب ولسائر البلدان من السعة في القبلة مثل ذلك بين الجنوب والشمال وقال أبو عمر بن عبد البر لاخلاف بين أهل العلم فيه * قال مؤلفه رحمه الله اذا تأملت وجدت هذا الحديث يختص بأهل الشام والمدينة وما على سمت تلك البلاد شمالا وجنوبا فقط والدليل على ذلك أنه يلزم من حمله على العموم ابطال التوجه الى الكعبة في بعض الاقطار والله سبحانه قد افترض على الكافة أن يتوجهوا الى الكعبة في الصلاة حيثما كانوا بقوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقد عرفت ان كنت تمهرت في معرفة البلدان وحدود الاقاليم أن الناس في توجههم الى الكعبة كالدائرة حول المركز فمن كان في الجهة الغربية من الكعبة فان جهة قبلة صلاته الى المشرق ومن كان في الجهة الشرقية من الكعبة فانه يستقبل في صلاته جهة المغرب

ومن كان في الجهة الشمالية من الكعبة فانه يتوجه في صلاته الى جهة الجنوب ومن كان في الجهة الجنوبية من الكعبة كانت صلاته الى جهة الشمال ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق والجنوب فان قبلته فيما بين الشمال والمغرب ومن كان من الكعبة فيما بين الجنوب والمغرب فان قبلتــه فيما بين الشمال والمشرق ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق والشمال فقبلته فيما بين الجنوب والمغرب ومن كان من الكعبة فيما بين الشمال والمغرب فقبلته فيما بين الجنوب والمشرق * فقد ظهر مايلزم من القول بعموم هذا الحديث من خروج أهل المشرق الساكنين به وأهل المغرب أيضاً عن التوجه الى الكعبة في الصلاة عينا وجهة لأن من كان مسكنه من البلاد ماهو في أقصى المشرق من الكعبة لو جعل المشرق عن يساره والمغرب عن يمينه لكان انمــا يستقبل حينئذ جنوب أرضه ولم يستقبل قط عين الكعبة ولا جهتها فوجب ولا بد حمل الحديث على أنه خاص بأهل المدينة والشام وما على سمت ذلك من البلاد بدليل ان المدينة النبوية واقعة بين مكة و بين أوسط الشام على خط مستقيم والجانب الغربي من بلاد الشام التي هي أرض المقدس وفلسطين يكون عن يمين من يستقبل بالمدينة الكعبة والجانب الشرقي الذى هو حمص وحلب وما والى ذلك واقع عن يسار من استقبل الكعبة بالمدينة والمدينة واقعــة في أوسط جهة الشام على جهــة مستقيمة بحيث لو خرج خط من الكعبة ومر على استقامة الى المدينة النبوية لنفذ منها الى أوسط جهة الشام سواء وكذلك لو خرج خط من مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجه على استقامة لوقع فيما بين الميزاب من الكعبة وبين الركن الشامى فلو فرضنا أن هذا الخط خرق الموضع الذى وقع فيه من الكعبة ومر لنفذ الى بيت المقدس على استواء من غير ميل ولا انحراف البتة وصار موقع هذا الخط فيما بين نكباء الشمال والدبور وهو بين القطب الشمالى وهو الى القطب الشمالى اقرب وأميل ومقابلته مابين أوسط الجنوب ونكباء الصبا والجنوب وهو الى الجنوب اقرب والمدينة النبوية مشرقة عن هذا السمت ومغربة عن سمت الجانب الآخر من بلاد الشام وهو الجانب الغربي تغريباً يسيرا فمن يستقبل مكة بالمدينة يصير المشرق عن يساره والمغرب عن يمينــه وما بينهما فهو قبلته وتكون حينئذ الشام بأسرها وجملة بلادها خلفه فالمدينة على هــذا في أوسط جهات البلاد الشامية ويشهد بصدق ذلك مارويناه من طريق مسلم رحمــه الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رقيت على بيت أختي حفصة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا لحاجته مستقبل الشام مستدبر القبلة وله أيضا من حديث ابن عمر بينا الناس في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستدار الى الكعبة فهذا أعزك الله أوضح دليل أن المدينة بين مكة والشام على حد واحد وأنها في أوسط جهة بلاد الشام فمن استقبل بالمدينة الكعبة

فقد استدبر الشام ومن استدبر بالمدينة الكعبة فقد استقبل الشام ويكون حينئذ الجانب الغربي من بلاد الشام وما على سمته من البلاد جهة القبلة عندهم أن يجعل الواقف مشرق الصيف عن يساره ومغرب الشتاء عن يمينه فيكون مابين ذلك قبلته وتكون قبلة الجانب الشرقي من بلاد الشام وما على سمت ذلك من البلدان أن يجعل المصلى مغرب الصيف عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره وما بينهما قبلته ويكون أوسط البلاد الشامية التي هي حد المدينة النبوية قبلة المصلى بها أن يجعل مشرق الاعتدال عن يساره ومغرب الاعتدال عن يمينه وما بينهما قبلة له فهذا أوضح استدلال على أن الحديث خاص بأهل المدينة وما على سمتها من البلاد الشامية وما وراءها من البلدان المسامتة لها وهكذا أهل اليمن وماعلى سمت اليمن من البلاد فان القبلة واقعة فيما هنالك بين المشرق والمغرب لكن على عكس وقوعها في البلاد الشامية فانه تصير مشارق الكواكب في البلاد الشامية التى على يسار المصلى واقعة عن يمين المصلى في بلاد اليمن وكذلك كل ما كان من المغارب عن يمين المصلى بالشام فانه ينقلب عن يسار المصلى باليمن وكل من قام ببلاد اليمن مستقبلا الكعبة فانه يتوجه الى بلاد الشام فيما بين المشرق والمغرب وهذه الاقطار سكانها هم المخاطبون بهذا الحديث وحكمه لازم لهم وهو خاص بهم دون من سواهم من أهل الاقطار الأخر ومن أجل حمل هذا الحديث على العموم كان السبب في اختلاف محاريب مصر * (السبب الثاني) في اختلاف محاريب مصر أن الديار المصرية لما افتتحها المسلمون كانت خاصة بالقبط والروم مشحونة بهم ونزل الصحابة رضي الله عنهم من أرض مصر في موضع الفسطاط الذى يعرف اليوم بمدينة مصر وبالاسكندرية وتركوا سائر قرى مصر بأيدى القبط كما تقدم في موضعه من هذا الكتاب ولم يسكن أحد من المسلمين بالقرى وانما كانت رابطة تخرج الي الصعيد حتى اذا جاء أوان الربيع انتشر الاتباع في القري لرعى الدواب ومعهم طوائف من السادات ومع ذلك فكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى الجند عن الزرع ويبعث الى أمراء الاجناد باعطاء الرعية أعطياتهم وأرزاق عيالهم وينهاهم عن الزرع * روى الامام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر من طريق ابن وهب عن حيوة ابن شريح عن بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة أن عمر بن الخطاب أمر مناديه أن يخرج الى أمراء الاجناد يتقدمون الى الرعية أن عطاءهم قائم وأن ارزاق عيالهم سابل فلا يزرعون ولا يزارعون * قال ابن وهب واخبرنى شريك بن عبد الرحمن المرادى قال بلغنا أن شريك بن سمي الغطفاني أتي الى عمرو بن العاص فقال انكم لاتعطونا مايحسبنا افتأذن لي بالزرع فقال له عمرو ماأقدر على ذلك فزرع شريك من غير اذن عمرو فلما بلغ ذلك عمرا كتب الي عمر بن الخطاب يخبره أن شريك بن سمي الغطفاني حرث بأرض مصر

فكتب اليه عمر أن ابعث الىّ به فلما انتهى كتاب عمر الى عمرو أقرأه شريكا فقال شريك لعمرو قتلتني ياعمرو فقال عمرو ماأنا بالذى قتلتك انت صنعت هذا بنفسك فقال له اذا كان هذا من رأيك فائذن لي بالخروج من غير كتاب ولك علي عهد الله أن أجعل يدى فى يده فاذن له بالخروج فلما وقف علي عمر قال تؤمنني ياأمير المومنين قال ومن أى الاجناد أنت قال من جند مصر قال فلعلك شريك بن سمى الغطيفي قال نعم ياأمير المؤمنين قال لاجعلنك نكالا لمن خلفك قال أو تقبل منى ماقبل الله تعالي من العباد قال وتفعل قال نعم فكتب الى عمرو بن العاص ان شريك بن سمى جاءنى تائبا فقبلت منه * قال وحدثنا عبد الله بن صالح ابن عبد الرحمن بن شريح عن أبي قبيل قال كان الناس يجتمعون بالفسطاط اذا قفلوا فاذا حضر مرافق الريف خطب عمرو بن العاص الناس فقال قد حضر مرافق الريف وبيمكم فانصرفوا فاذا حمض اللبن واشتد العود وكثر الذباب فحيّ على فسطاطكم ولا أعلمن ماجاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل جواده * وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال كان عمرو يقول للناس اذا قفلوا من غزوهم انه قد حضر الربيع فمن أحب منكم أن يخرج بفرسه يربعه فليفعل ولا أعلمن ماجاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل فرسه فاذا حمض اللبن وكثر الذباب ولوى العود فارجعوا الى قيروانكم * وعن ابن لهيعة عن الاسود بن مالك الحميرى عن بحير بن ذاخر المعافري قال رحت أنا ووالدى الى صلاة الجمعة تهجيرا وذلك بعد حميم النصارى بأيام يسيرة فأطلنا الركوع اذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس فذعرت فقلت ياأبت من هؤلاء فقال يابني هؤلاء الشرط فأقام المؤذنون الصلاة فقام عمرو بن العاص على المنبر فرأيت رجلا ربعة قصير القامة وافر الهامة أدعج أبلج عليه ثياب موشاة كأن به العقيان تأتلق عليه حلة وعمامة وجبة فحمد الله وأثنى عليه حمدا موجزا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم فسمعته يحض على الزكاة وصلة الارحام ويأمر بالاقتصاد وينهى عن الفضول وكثرة العيال واخفاض الحال في ذلك فقال يامعشر الناس اياكم وخلالا اربعا فانها تدعو الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى الذلة بعد العزة اياكم وكثرة العيال واخفاض الحال وتضييع المال والقيل بعد القال في غير درك ولا نوال ثم انه لابد من فراغ يؤول اليه المرء في توديع جسمه والتدبير لشانه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ومن صار الى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الاقل ولا يضيع المرء فى فراغه نصيب العلم من نفسه فيحوز من الخير عاطلا وعن حلال الله وحرامه غافلا يامعشر الناس انه قد تدلت الجوزاء وذلت الشعرى وأقلعت السماء وارتفع الوباء وقل الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السخائل وعلى الراعى بحسن رعيته حسن النظر فحيّ لكم على بركة الله تعالى الي ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده واربعوا خيلكم

وأسمنوها وسونوها واكرموها فانها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وأنفالكم واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا واياكم والمومسات المعسولات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم حدثني عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم فيكم صهرا وذمة فكفوا ايديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم ولا اعلمن ماأتى رجل قد اسمن جسمه وأهزل فرسه واعلموا أني معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن اهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم وتشوف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وحدثنى عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض فقال له أبو بكر رضى الله عنه ولم يارسول الله قال لانهم وأزواجهم في رباط الى يوم القيامة فاحمدوا الله معشر الناس على ماأولاكم فتمتعوا في ريفكم ماطاب لكم فاذا يبس العود وسخن الماء وكثر الذباب وحمض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد من الشجر فحي الى فسطاطكم على بركة الله ولا يقدن من أحد منكم ذو عيال الا ومعه تحفة لعياله على ماأطاق من سعته أو عسرته أقول قولى هذا وأستحفظ الله عليكم قال فحفظت ذلك عنه فقال والدى بعد انصرافنا الى المنزل لما حكيت له خطبته انه يابنى يحذر الناس اذا انصرفوا اليه على الرباط كما حذرهم على الريف والدعة * قال وكان اذا جاء وقت الربيع كتب لكل قوم بربيعهم ولبنهم الي حيث أحبوا وكانت القرى التى يأخذ فيها معظمهم منوف وسمنود واهناس وطحا وكان أهل الراية متفرقين فكان آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد يأخذون في منوف ووسيم وكانت هذيل تأخذ في ببا وبوصير وكانت عدوان تأخذ في بوصير وقرى علك والذى يأخذ فيه معظمهم بوصير ومنوف وسنديس واتريب وكانت بلى تأخذ في منف وطرانية وكانت فهم تأخذ في اتريب وعين شمس ومنوف وكانت مهرة تأخذ في مناونى وبسطة ووسيم وكانت لخم تأخذ فى الفيوم وطرانية وقربيط وكانت جذام تأخذ في قربيط وطرانية وكانت حضر موت تأخذ في ببا وعين شمس واتريب وكانت مراد تأخذ فى منف والفيوم ومعهم عبس بن زوف وكانت حمير تأخذ فى بوصير وقرى اهناس وكانت خولان تأخذ فى قرى اهناس والقيس والبهنسا وآل وعلة يأخذون فى سفط من بوصير وآل ابرهة يأخذون في منف وغفار وأسلم يأخذون مع وائل من جذام وسعد في بسطة وقربيط وطرانية وآل يسار بن ضبة في اتريب وكانت المعافر تأخذ في اتريب وسخا ومنوف وكانت طائفة من تجيب ومراد يأخذون باليدقون وكان بعض هذه القبائل ربما جاور بعضا في الربيع ولا يوقف فى معرفة ذلك على أحد الا

أن معظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا وكان يكتب لهم بالربيع فيربعون ما أقاموا وبالابن وكان لغفار وليث أيضاً مربع بأريب قال واقامت مدلج بخربتا فاتخذوها منزلا وكان معهم نفر من حمير حالفوهم فيها فهي منازلهم ورجعت خشين وطائفة من لخم وجذام فنزلوا أكناف صان وابليل وطرانية ولم تكن قيس بالحوف الشرقي قديما وانما أنزلهم به ابن الحبحاب وذلك انه وفد الى هشام بن عبد الملك فأمر له بفريضة خمسة آلاف رجل فجعل ابن الحبحاب الفريضة في قيس وقدم بهم فأنزلهم الحوف الشرقي بمصر فانظر أعزك الله ما كان عليه الصحابة وتابعوهم عند فتح مصر من قلة السكنى بالريف ومع ذلك فكانت القرى كلها في جميع الاقليم أعلاه وأسفله مملوءة بالقبط والروم ولم ينتشر الاسلام في قرى مصر الا بعد المائة من تاريخ الهجرة عند ما أنزل عبيد الله بن الحبحاب مولى سلول قيسا بالحوف الشرقي فلما كان فى المائة الثانية من سني الهجرة كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها وما برحت القبط تنقض وتحارب المسلمين الى ما بعد المائتين من سني الهجرة *قال أبو عمر ومحمد بن يوسف الكندى في كتاب أمراء مصر وفي امرة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر الى هشام بن عبد الملك بان ارض مصر تحتمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فنقضت كورة تنونمي وقربيط وطرانية وعامة الحوف الشرقى فبعث اليهم الحر بأهل الديوان فحاربوهم فقتل منهم خلق كثير وذلك أول نقض القبط بمصر وكان نقضهم فى سنة تسع ومائة ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة اشهر ثم نقض أهل الصعيد وحارب القبط عمالهم فى سنة احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر أهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا فظفر بهم وخرج بحنس وهو رجل من القبط من سمنود فبعث اليه عبد الملك بن مروان موسى بن نصير أمير مصر فقتل بحنس فى كثير من اصحابه وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وخالفت القبط أيضاً برشيد فبعث اليهم مروان ابن محمد الحمار لما دخل مصر فارا من بني العباس عثمان بن أبي سبعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة أمير مصر بناحية سخا ونابذوا العمال وأخرجوهم في سنة خمسين ومائة وصاروا الى شبراسنباط وانضم اليهم أهل البشرود والاوسية والنخوم فاتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبي على أهل الديوان ووجوه أهل مصر فخرجوا اليهم ولقيهم القبط وقتلوا من المسلمين فألقى المسلمون النار في عسكر القبط وانصرف العسكر الى مصر منهزما *وفي ولاية موسى بن على بن رباح على مصر خرج القبط ببلهيت فى سنة ست وخمسين ومائة فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم نقضت القبط في جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين مع من نقض من أهل اسفل الارض من العرب وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة العمال فيهم فكانت بينهم وبين الجيوش حروب امتدت الى أن قدم الخليفة

عبد الله أمير المؤمنين المأمون الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فعقد على جيش بعث به الى الصعيد وارتحل هو الى سخا وأوقع الافشين بالقبط فى ناحية البشرود حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسبي اكثرهم وتتبع كل من يومأ اليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى الفسطاط في صفر ومضى الى حلوان وعاد لثمان عشرة خلت من صفر فكان مقامه بالفسطاط وسخا وحلوان تسعة وأربعين يوما * فانظر أعزك الله كيف كانت اقامة الصحابة انما هي بالفسطاط والاسكندرية وانه لم يكن لهم كثير اقامة بالقرى وان النصارى كانوا متمكنين من القرى والمسلمون بها قليل وانهم لم ينتشروا بالنواحي الابعد عصر الصحابة والتابعين يتبين لك انهم لم يؤسسوا فى القرى والنواحي مساجد وتفطن لشئ آخر وهو أن القبط مابرحوا كما تقدم يثبتون لمحاربة المسلمين دالة منهم بماهم عليه من القوة والكثرة فلما أوقع بهم المأمون الوقعة التي قلنا غلب المسلمون على أماكنهم من القرى لما قتلوا منهم وسبوا وجعلوا عدة من كنائس النصارى مساجد وكنائس النصارى مؤسسة على استقبال المشرق واستدبار المغرب زعما منهم انهم أمروا باستقبال مشرق الاعتدال وأنه الجنة لطلوع الشمس منه فجعل المسلمون أبواب الكنائس محاريب عند ماغلبوا عليها وصيروها مساجد فجاءت موازيه لخط نصف النهار وصارت منحرفة عن محاريب الصحابة انحرافا كثيرا يحكم بخطئها وبعدها عن الصواب كما تقدم * (السبب الثالث) تساهل كثير من الناس فى معرفة أدلة القبلة حتى انك لتجد كثيرا من الفقهاء لا يعرفون منازل القمر صورة وحسابا وقد علم من له ممارسة بالرياضيات أن بمنازل القمر يعرف وقت السحر وانتقال الفجر فى المنازل وناهيك بما يترتب على معرفة ذلك من أحكام الصلاة والصيام وهذه المنازل التي للقمر من بعض مايستدل به على القبلة والطرقات وهي من مبادى العلم وقد جهلوه فمن اعوزه الادنى فحريه أن يجهل ماهو أعلى منه وأدق * (السبب الرابع) الاعتذار بنجم سهيل فان كثيرا مايقع الاعتذار عن مخالفة محاريب المتأخرين بأنها بنيت على مقابلة سهيل ومن هنا يقع الخطأ فان هذا أمر يحتاج فيه الى تحرير وهو أن دائرة سهيل مطلعها جنوب مشرق الشتاء قليلا وتوسطها فى أوسط الجنوب وغروبها يميل عن اوسط الجنوب قليلا فلعل من تقدم من السلف أمر ببناء المساجد في القرى على مقابلة مطالع سهيل ومطلعه فى سمت قبلة مصر تقريبا فجهل من قام بأمر البنيان فرق مابين مطالع سهيل وتوسطه وغروبه وتساهل فوضع المحراب على مقابلة توسط سهيل وهو أوسط الجنوب فجاء المحراب حينئذ منحرفا عن السمت الصحيح انحرافا لا يسوغ التوجه اليه البتة *(السبب الخامس) أن المحاريب الفاسدة بديار مصر اكثرها فى البلاد الشمالية التي تعرف بالوجه البحري والذى يظهر أن الغلط دخل على من وضعها من جهة ظنه أن هذه البلاد لها حكم بلاد الشام وذلك أن بلاد مصر التى فى

الساحل كثيرة الشبه ببلاد الشام في كثرة أمطارها وشدة بردها وحسن فواكهها فاستطرد الشبه حتى في المحاريب ووضعها على سمت المحاريب الشامية فجاء شيأ خطأ وبيان ذلك أن هذه البلاد ليست بشمالية عن الشام حتى يكون حكمها في استقبال الكعبة كالحكم في البلاد الشامية بل هى مغربة عن الجانب الغربى من الشام بعدة أيام وسمتاهما مختلفان فى استقبال الكعبة لاختلاف القطرين فان الجانب الغربى من الشام كما تقدم يقابل ميزاب الكعبة على خط مستقيم وهو حيث مهب النكباء التي بين الشمال والدبور ووسط الشام كدمشق وما والاها شمال مكة من غير ميل وهم يستقبلون أوسط الجنوب في صلاتهم بحيث يكون القطب الشمالى المسمى بالجدي وراء ظهورهم والمدينة النبوية بين هذا الحد من الشام وبين مكة مشرقة عن هذا الحد قليلا فاذا كانت مصر مغربة عن الجانب الغربى من الشام بأيام عديدة تعين ووجب أن تكون محاريبها ولابد مائلة الى جهة المشرق بقدر بعد مصر وتغريبها عن أوسط الشام وهذا أمر يدركه الحس ويشهد لصحته العيان وعلى ذلك اسس الصحابة رضى الله عنهم المحاريب بدمشق وبيت المقدس مستقبلة ناحية الجنوب وأسسوا المحاريب بمصر مستقبلة المشرق مع ميل يسير عنه الى ناحية الجنوب * فرض رحمك الله نفسك في التمييز وعود نظرك التأمل وأربأ بنفسك أن تقاد كما تقاد البهيمة بتقليدك من لا يؤمن عليه الخطأ فقد نهجت لك السبيل في هذه المسألة وألنت لك من القول وقربت لك حتى كأنك تعاين الاقطار وكيف موقعها من مكة * ولى هنا مزيد بيان فيه الفرق بين اصابة العين واصابة الجهة وهو أن المكلف لو وقف وفرضنا انه خرج خط مستقيم من بين عينيه ومر حتى اتصل بجدار الكعبة من غير ميل عنها الى جهة من الجهات فانه لابد أن ينكشف لبصره مدى عن يمينه وشماله لا ينتهى بصره الى غيره ان كان لا ينحرف عن مقابلته فلو فرضنا امتداد خطين من كلا عينى الواقف بحيث يلتقيان فى باطن الرأس على زاوية مثلثة ويتصلان بما انتهى اليه البصر من كلا الجانبين لكان ذلك شكلا مثلثا بقسمة الخط الخارج من بين العينين الى الكعبة بنصفين حتى يصير ذلك الشكل بين مثلثين متساويين فالخط الخارج من بين عيني مستقبل الكعبة الذى فرق بين الزاويتين هو مقابلة العين التي اشترط الشافعى رحمه الله وجوب استقباله من الكعبة عند الصلاة ومنتهى ما يكشف بصر المستقبل من الجانبين هو حد مقابلة الجهة التى قال جماعة من علماء الشريعة بصحة استقباله في الصلاة والخطان الخارجان من العينين الى طرفيه هما آخر الجهة من اليمين والشمال فمهما وقعت صلاة المستقبل على الخط الفاصل بين الزاويتين كان قد استقبل عين الكعبة ومهما وقعت صلاته منحرفة عن يمين الخط أو يساره بحيث لا يخرج استقباله عن منتهى حد الزاويتين المحدودتين بما يكشف بصره من الجانبين فانه مستقبل جهة الكعبة وان خرج استقباله عن حد الزاويتين من

أحد الجانبين فانه يخرج في استقباله عن حد جهة الكعبة وهذا الحد في الجهة يتسع ببعد المدى ويضيق بقربه فأقصي ماينتهي اليه اتساعه ربع دائرة الافق وذلك أن الجهات المتبرة في الاستقبال اربع المشرق والمغرب والجنوب والشمال فمن استقبل جهة من هذه الجهات كان أقصى ما ينتهى اليه سعة تلك الجهة ربع دائرة الافق وان انكشف لبصره اكثر من ذلك فلا عبرة به من اجل ضرورة تساوي الجهات فانا لوفرضنا انسانا وقف في مركز دائرة واستقبل جزأ من محيط الدائرة لكانت كل جهة من جهاته الاربع التى هى وراءه وأمامه ويمينه وشماله تقابل ربعا من أرباع الدائرة فتبين بما قلنا أن أقصى ماينتهى اليه اتساع الجهة قدر ربع دائرة الافق فأى جزء من أجزاء دائرة الافق قصده الواقف بالاستقبال في بلد من البلدان كانت جهة ذلك الجزء المستقبل ربع دائرة الافق وكان الخط الخارج من بين عيني الواقف الى وسط تلك الجهة هو مقابلة العين ومنتهى الربع من جانبيه يمنة ويسرة هو منتهى الجهة التي قد استقبلها فما خرج من محاريب بلد من البلدان عن حد جهة الكعبة لا تصح الصلاة لذلك المحراب بوجه من الوجوه وما وقع في جهة الكعبة صحت الصلاة اليه عند من يرى أن الفرض في استقبال الكعبة اصابة جهتها وما وقع فى مقابلة عين الكعبة فهو الاسد الافضل الاولى عند الجمهور * وان أنصفت علمت أنه مهما وقع الاستقبال في مقابلة جهة الكعبة فانه يكون سديدا وأقرب منه الى الصواب ما وقع قريبا من مقابلة العين يمنة أو يسرة بخلاف ما وقع بعيدا عن مقابلة العين فانه بعيد من الصواب ولعله هو الذى يجرى فيه الخلاف بين علماء الشريعة والله اعلم * وحيث تقرر الحكم الشرعى بالادلة السمعية والبراهين العقلية فى هذه المسألة فاعلم أن المحاريب المخالفة لمحاريب الصحابة التى بقرافة مصر وبالوجه البحرى من ديار مصر واقعة في آخر جهة الكعبة من مصر وخارجة عن حد الجهة وهي مع ذلك في مقابلة مابين البجة والنوبة لا فى مقابلة الكعبة فانها منصوبة على موازاة خط نصف النهار ومحاريب الصحابة علي موازاة مشرق الشتاء تجاه مطالع العقرب مع ميل يسير عنها الى ناحية الجنوب فاذا جعلنا مشرق الشتاء المذكور مقابلة عين الكعبة لاهل مصر وفرضنا جهة ذلك الجزء ربع دائرة الافق صار سمت المحاريب التى هى موازية لخط نصف النهار خارجا عن جهة الكعبة والذى يستقبلها فى الصلاة يصلى الى غير شطر المسجد الحرام وهو خطر عظيم فاحذره * واعلم أن صعيد مصر واقع فى جنوب مدينة مصر وقوص واقعة فى شرقي الصعيد وفيما بين مهب ريح الجنوب والصبا من ديار مصر فالمتوجه من مدينة قوص الى عيذاب يستقبل مشرق الشتاء سواء الي أن يصل الى عيذاب ولايزال كذلك اذا سار من عيذاب حتي ينتهى فى البحر الى جدة. فاذا سار من جدة في البر استقبل المشرق كذلك حتى يحل بمكة فاذا عاد من مكة استقبل المغرب فاعرف من هذا

أن مكة واقعة فى النصف الشرقى من الربع الجنوبى بالنسبة الى أرض مصر وهذا هو سمت محاريب الصحابة التي بديار مصر والاسكندرية وهو الذي يجب أن يكون سمت جميع محاريب اقليم مصر *(برهان آخر) وهو أن من سار من مكة يريد مصر على الجادة فانه يستقبل مابين القطب الشمالى الذى هو الجدى وبين مغرب الصيف مدة يومين وبعض اليوم الثالث وفي هذه المدة يكون مهب النكباء التي بين الشمال والمغرب تلقاء وجهه ثم يستقبل بعد ذلك في مدة ثلاثة أيام أوسط الشمال بحيث يبقى الجدى تلقاء وجهه الى أن يصل الى بدر فاذا سار من بدر الى المدينة النبوية صار مشرق الصيف تلقاء وجهه تارة ومشرق الاعتدال تارة الى أن ينتهى الى المدينة فاذا رجع من المدينة الى الصفراء استقبل مغرب الشتاء الى أن يعدل الى ينبع فيصير تارة يسير شمالا وتارة يسير مغربا ويكون ينبع من مكة على حد النكباء التي بين الشمال ومغرب الصيف فاذا سار من ينبع استقبل مابين الجدى ومغرب الثريا وهو مغرب الصيف وهبت النكباء تلقاء وجهه الى أن يصل الى مدين فاذا سار من مدين استقبل تارة الشمال وأخرى مغرب الصيف حتى يدخل ايلة ومن ايلة لايزال يستقبل مغرب الاعتدال تارة ويميل عنه الى جهة الجنوب مع استقبال مغرب الشتاء أخرى الى أن يصل الى القاهرة ومصر فلو فرضنا خطا خرج من محاريب مصر الصحيحة التى وضعها الصحابة ومر على استقامة من غير ميل ولا انحراف لاتصل بالكعبة ولصق بها *واعلم أن أهل مصر والاسكندرية وبلاد الصعيد وأسفل الارض وبرقة وافريقية وطرابلس المغرب وصقلية والاندلس وسواحل المغرب الى السوس الاقصى والبحر المحيط وما على سمت هذه البلاد يستقبلون فى صلاتهم من الكعبة مابين الركن الغربي الى الميزاب فمن أراد أن يستقبل الكعبة في شئ من هذه البلاد فليجعل بنات نعش اذا غربت خلف كتفه الايسر واذا طلعت على صدغه الايسر ويكون الجدى على أذنه اليسرى ومشرق الشمس تلقاء وجهه أوريح الشمال خلف أذنه اليسرى أوريح الدبور خلف كتفه الايمن أوريح الجنوب التي تهب من ناحية الصعيد على عينه اليمنى فانه حينئذ يستقبل من الكعبة سمت محاريب الصحابة الذين أمرنا الله باتباع سبيلهم ونهانا عن مخالفتهم بقوله عز وجل ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ألهمنا الله بمنه اتباع طريقهم وصيرنا بكرمه من حزبهم وفريقهم انه على كل شئ قدير

(جامع العسكر)

هذا الجامع بظاهر مصر وهو حيث الفضاء الذى هو اليوم فيما بين جامع احمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مدينة مصر وكان الى جانب الشرطة والدار التى يسكنها امراء مصر ومن هذه الدار الى الجامع باب وكان يجمع فيه الجمعة وفيه منبر ومقصورة وهذا الجامع

بناه الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في ولايته امارة مصر ملاصقا لشرطة العسكر التي كان يقال لها الشرطة العليا في سنة تسع وستين ومائة فكانوا يجمعون فيه وكانت ولاية الفضل امارة مصر من قبل المهدى محمد بن أبي جعفر المنصور على الصلاة والخراج فدخلها سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة في عسكر من الجند عظيم أتى بهم من الشام ومصر تضطرم لما كان في الحوف ولخروج دحية بن مصعب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان فقام في ذلك وجهز الجنود حتى أسر دحية وضرب عنقه في جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان يقول أنا أولى الناس بولاية مصر لقيامي في أمر دحية وقد عجز عنه غيري حتى كفيت أهل مصر أمره فعزله موسى الهادي لما استخلف بعد موت أبيه المهدي بعدما أقره فندم الفضل على قتله دحية وأظهر توبة وسار الى بغداد فمات عن خمسين سنة في سنة اثنتين وسبعين ومائة ولم يزل الجامع بالعسكر الى أن ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خزاعة على صلاة مصر وخراجها من قبل عبد الله أمير المؤمنين المأمون في ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين فزاد في عمارته وكان الناس يصلون فيه الجمعة قبل بناء جامع احمد بن طولون ولم يزل هذا الجامع الى مابعد الخمسمائة من سني الهجرة قال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وكان يطلق في الاربع ليالي الوقود وهي مستهل رجب ونصفه ومستهل شعبان ونصفه برسم الجوامع الستة الازهر والانور والاقمر بالقاهرة والطولوني والعتيق بمصر وجامع القرافة وللمشاهد التي تتضمن الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التي يكون لاربابها وجاهة جملة كثيرة من الزيت الطيب ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر والجامع بالمقس يسير ويعني بجامع ساحل الغلة جامع العسكر فان العسكر حينئذ كان قد خرب وجعلت انقاضه وصار الجامع بساحل مصر وهو الساحل القديم المذكور في موضعه من هذا الكتاب

﴿ ذكر العسكر ﴾

كان مكان العسكر في صدر الاسلام يعرف بعد الفتح بالحمراء القصوى وهي كما تقدم خطة بني الازرق وخطة بني روبيل وخطة بني يشكر بن جزيلة من لخم ثم دثرت هذه الحمراء وصارت صحراء فلما زالت دولة بني أمية ودخلت المسودة الى مصر في طلب مروان ابن محمد الجعدى في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهي خراب فضاء يعرف بعضه بجبل يشكر نزل صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وأبو عون عبد الملك بن يزيد بعسكرهما في هذا الفضاء وأمر عبد الملك أبو عون اصحابه بالبناء فيه فبنوا وسمي من يومئذ بالعسكر وصار امراء مصر اذا قدموا ينزلون فيه من بعد أبي عون وقال الناس من عهده كنا بالعسكر خرجنا الى العسكر وكنت في العسكر فصارت مدينة الفسطاط والعسكر ونزل الامراء من

عهد أبي عون بالعسكر فلما ولي يزيد بن حاتم امارة مصر وقام علي بن محمد بن عبد الله بن حسن وطرق المسجد كتب أبو جعفر المنصور الى يزيد بن حاتم يأمره أن يحول من العسكر الى الفسطاط وأن يجعل الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة الى أن قدم الامير أبو العباس أحمد بن طولون من العراق أميرا على مصر فنزل بالعسكر بدار الامارة التي بناها صالح بن علي بعد هزيمة مروان وقتله وكان لها باب الى الجامع الذي بالعسكر وكان الامراء ينزلون بهذه الدار الى أن نزلها أحمد بن طولون ثم تحول منها الى القطائع وجعلها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون عند امارته على مصر ديوانا للخراج ثم فرقت حجرا حجرا بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بني طولون وسكن محمد بن سليمان أيضا بدار في العسكر عند المصلى القديم ونزلها الامراء من بعده الى أن ولي الاخشيد محمد بن طغج فنزل بالعسكر أيضا ولما بني احمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر وبنى الجامع على جبل يشكر فعمر ملهنالك عمارة عظيمة بحيث كانت هناك دار على بركة قارون أنفق عليها كافور الاخشيدي مائة ألف دينار وسكنها وكان هناك مارستان احمد بن طولون أنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار * وقدمت عساكر المعز لدين الله مع كاتبه وغلامه جوهر القائد في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة والعسكر عامر غير أنه منذ بنى احمد بن طولون القطائع هجر اسم العسكر وصار يقال مدينة الفسطاط والقطائع فلما خرب محمد بن سليمان الكاتب قصر ابن طولون وميدانه كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب صارت القطائع فيها المساكن الجليلة حيث كان العسكر وأنزل المعز لدين الله عمه أبا علي في دار الامارة فلم يزل أهله بها الى أن خربت القطائع في الغلاء الكائن بمصر في خلافة المستنصر أعوام بضع وخمسين وأربعمائة فيقال انه كان هنالك ماينيف على مائة ألف دار ولا يتنكر ذلك فانظر مابين سفح الجبل حيث القلعة الآن وبين ساحل مصر القديم الذي يعرف اليوم بالكبارة وما بين كوم الجارح من مصر وقناطر السباع فهنالك كانت القطائع والعسكر ويخص العسكر من ذلك مابين قناطر السباع وحدرة ابن قميحة الى كوم الجارح حيث الفضاء الذي يتوسط فيما بين قنطرة السد وباب الخدم من جهة القرافة فهناك كان العسكر ولما استولى الخراب في المحنة زمن المستنصر أمر الوزير الناصر للدين عبد الرحمن اليازوري ببناء حائط يستر الخراب اذا توجه الخليفة الى مصر فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق وأمر فبني حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان في خلافة الآمر بأحكام الله أبي علي منصور بن المستعلي بالله أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالمأمون البطائحي فنودي مدة ثلاثة أيام في القاهرة ومصر بأن من كان له دار في الخراب أو مكان يعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شيء من أنقاضه

ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق فعمر الناس ما كان منه مما يلي القاهرة من حيث مشهد السيدة نفيسة الى ظاهر باب زويلة ونقلت أنقاض العسكر فصار الفضاء الذي يوصل اليه من مشهد السيدة نفيسة ومن الجامع الطولوني ومن قنطرة السد ويسلك فيه الى حيث كوم الجارح والعامر الآن من العسكر جبل يشكر الذي فيه جامع ابن طولون وماحوله الى قناطر السباع كما ستقف عليه انشاء الله تعالى .

* (جامع ابن طولون) *

هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء وقيل ان موسى عليه السلام ناجي ربه عليه بكلمات * وابتدأ في بناء هذا الجامع الامير أبو العباس احمد بن طولون بعد بناء القطائع في سنة ثلاث وستين ومائتين * قال جامع السيرة الطولونية كان احمد بن طولون يصلي الجمعة في المسجد القديم الملاصق للشرطة فلما ضاق عليه بني الجامع الجديد مما أفاء الله عليه من المال الذي وجده فوق الجبل في الموضع المعروف بتنور فرعون ومنه بنى العين فلما أراد بناء الجامع قدر له ثلثمائة عمود فقيل له ماتجدها أو تنفذ الى الكنائس في الارياف والضياع الخراب فتحمل ذلك فأنكر ذلك ولم يختره وتعذب قلبه بالفكر في أمره وبلغ النصراني الذي تولى له بناء العين وكان قد غضب عليه وضربه ورماه في المطبق الخبر فكتب اليه يقول أنا ابنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد الا عمودى القبلة فأحضره وقد طال شعره حتى نزل على وجهه فقال له ويحك ماتقول في بناء الجامع فقال أنا أصوره للامير حتى يراه عيانا بلا عمد الا عمودي القبلة فأمر بأن تحضر له الجلود فأحضرت وصوره له فأعجبه واستحسنه وأطلقه وخلع عليه وأطلق له للنفقة عليه مائة ألف دينار فقال له أنفق وما احتجت اليه بعد ذلك اطلقناه لك فوضع النصراني يده في البناء في الموضع الذي هو فيه وهو جبل يشكر فكان ينشر منه ويعمل الجير ويبني الى أن فرغ من جميعه وبيضه وخلقه وعلق فيه القناديل بالسلاسل الحسان الطوال وفرش فيه الحصر وحمل اليه صناديق المصاحف ونقل اليه القراء والفقهاء وصلى فيه بكار بن قتيبة القاضي وعمل الربيع بن سليمان باباً فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من بني لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بني الله له بيتاً في الجنة فلما كان أول جمعة صلاها فيه أحمد بن طولون وفرغت الصلاة جلس محمد بن الربيع خارج المقصورة وقام المستملي وفتح باب المقصورة وجلس أحمد بن طولون ولم ينصرف والغلمان قيام وسائر الحجاب حتى فرغ المجلس فلما فرغ المجلس خرج اليه غلام بكيس فيه ألف دينار وقال يقول لك الامير نفعك الله بما علمك وهذه لابي طاهر يعني ابنه وتصدق احمد بن طولون بصدقات عظيمة فيه وعمل

طعاما عظيما للفقراء والمساكين وكان يوما عظيما حسنا * وراح أحمد بن طولون ونزل فى الدار التى عملها فيه للامارة وقد فرشت وعلقت وحملت اليها الآلات والاوانى وصناديق الاشربة وما شاكلها فنزل بها أحمد وجدد طهره وغير ثيابه وخرج من بابها الى المقصورة فركع وسجد شكرا لله تعالى على ما اعانه عليه من ذلك ويسره له فلما أراد الانصراف خرج من المقصورة حتى أشرف على الفوارة وخرج الى باب الرمح فصعد النصرانى الذى بنى الجامع ووقف الى جانب المركب النحاس وصاح يا أحمد بن طولون يا أمير الامان عبدك يريد الجائزة ويسأل الامان أن لا يجرى عليه مثل ما جرى في المرة الاولى فقال له احمد بن طولون انزل فقد امنك الله ولك الجائزة فنزل وخلع عليه وأمر له بعشرة آلاف دينار وأجرى عليه الرزق الواسع الى أن مات * وراح أحمد بن طولون فى يوم الجمعة الى الجامع فلما رقى الخطيب المنبر وخطب وهو أبو يعقوب البلخي دعا للمعتمد ولولده ونسى أن يدعو لاحمد بن طولون ونزل عن المنبر فأشار أحمد الى نسيم الخادم أن اضربه خمسمائة سوط فذكر الخطيب سهوه وهو على مراقى المنبر فعاد وقال الحمد لله وصلى الله على محمد ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما اللهم وأصلح الامير أبا العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين وزاد في الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ثم نزل فنظر أحمد الى نسيم أن اجعلها دنانير ووقف الخطيب على ما كان منه فحمد الله تعالى على سلامته وهناه الناس بالسلامة * ورأى أحمد بن طولون الصناع يبنون في الجامع عند العشاء وكان في شهر رمضان فقال متى يشتري هؤلاء الضعفاء افطارا لعيالهم وأولادهم اصرفوهم العصر فصارت سنة الى اليوم بمصر فلما فرغ شهر رمضان قيل له قد انقضى شهر رمضان فيعودون الى رسمهم فقال قد بلغني دعاؤهم وقد تبركت به وليس هذا مما يوفر العمل علينا وفرغ منه في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين وتقرب الناس الى ابن طولون بالصلاة فيه وألزم أولادهم كلهم صلاة الجمعة في فوارة الجامع ثم يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الربيع بن سليمان ليكتبوا العلم مع كل واحد منهم وراق وعدة غلمان * وبلغت النفقة على هذا الجامع في بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار * ويقال ان احمد بن طولون رأى في منامه كأن الله تعالى قد تجلى ووقع نوره على المدينة التى حول الجامع الا الجامع فانه لم يقع عليه من النور شئ فتألم وقال والله مابنيته الا لله خالصاً ومن المال الحلال الذى لاشبهة فيه. فقال له معبر حاذق هذا الجامع يبقى ويخرب كل ما حوله لان الله تعالى قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا فكل شيء يقع عليه جلال الله عز وجل لايثبت وقد صح تعبير هذه الرؤيا فان جميع ما حول الجامع خرب دهرا طويلا كما تقدم في موضعه من هذا الكتاب وبقي الجامع عامرا ثم عادت العمارة لما حوله كما هي الآن * قال القضاعي رحمه الله وذكر أن السبب في بنائه

أن أهل مصر شكوا اليه ضيق الجامع يوم الجمعة من جنده وسودانه فأمر بانشاء المسجد الجامع بجبل يشكر بن جديلة من لخم فابتدأ بنيانه في سنة ثلاث وستين ومائتين وفرغ منه سنة خمس وستين ومائتين وقيل ان احمد بن طولون قال أريد أن أبني بناء ان احترقت مصر بقي وان غرقت بقي فقيل له يبني بالجير والرماد والآجر الاحمر القوى النار الى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام فانه لاصبر لها علي النار فبناه هذا البناء وعمل في مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والادوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة وبناه على بناء جامع سامرا. وكذلك المنارة وعلق فيه سلاسل النحاس المفرغة والقناديل المحكمة وفرشه بالحصر العبدانية والسامانية * (حديث الكنز) * قال جامع السيرة لما ورد على احمد بن طولون كتاب المعتمد بما استدعاه من رد الخراج بمصر اليه وزاده المعتمد مع ماطلب الثغور الشامية رغب بنفسه عن المعادن ومرافقها فأمر بتركها وكتب باسقاطها في سائر الاعمال ومنع المتقبلين من الفسخ على المزارعين وخطر الارتفاق على العمال وكان قبل اسقاط المرافق بمصر قد شاور عبد الله بن دسومة في ذلك وهو يومئذ أمين على أبي أيوب متولى الخراج فقال ان أمنني الامير تكلمت بما عندي فقال له قد أمنك الله عز وجل فقال أيها الامير ان الدنيا والآخرة ضرتان والحازم من لم يخالط احداهما مع الاخرى والمفرط من خالط بينهما فيتلف أعماله ويبطل سعيه وافعال الامير أيده الله الخير وتوكله توكل الزهاد وليس مثله من ركب خطة لم يحكمها ولو كنا نثق بالنعر دائما طول العمر لما كان شيء عندنا آثر من التضييق على انفسنا في العاجل بعمارة الآجل ولكن الانسان قصير العمر كثير المصائب مدفوع الى الآفات وترك الانسان ماقد أمكنه وصار في يده تضييع ولعل الذى حماه نفسه يكون سعادة لمن يأتي من بعده فيعود ذلك توسعة لغيره بما حرمه هو ويجتمع للامير أيده الله بما قد عزم على اسقاطه من المرافق في السنة بمصر دون غيرها مائة ألف دينار وان فسخ ضياع الامراء والمتقبلين في هذه السنة لأنها سنة ظمأ توجب الفسخ زاد مال البلد وتوفر توفرا عظيما ينضاف الى مال المرافق فيضبط به الامير ايده الله أمر دنياه وهذه طريقة امور الدنيا وأحكام امور الرياسة والسياسة وكل ما تدل الامير ايده الله اليه من امر غير هذا فهو مفسد لدنياه. وهذا رأيي والامير أيده الله على ماعساه يراه فقال له ننظر في هذا ان شاء الله وشغل قلبه كلامه فبات تلك الليلة بعد أن مضى أكثر الليل يفكر في كلام ابن دسومة فرأى في منامه رجلا من اخوانه الزهاد بطرسوس وهو يقول له ليس ماأشار به عليك من استشرته في أمر الارتفاق والفسخ برأى محمود عاقبته فلا تقبله ومن ترك شيئاً لله عز وجل عوضه الله عنه فأمض ما كنت عزمت عليه فلما اصبح أنفذ الكتب الى سائر الاعمال بذلك وتقدم به في سائر الدواوين

بإضاته ودعا بابن دسومة فعرفه بذلك فقال له قد اشار عليك رجلان الواحـد في اليقظة والآخر ميت في النوم وانت الى الحي اقرب وبضمانه أوثق فقال دعنا من هذا فاستأقيل منك وركب في غد ذلك اليوم الى نحو الصعيد فلما امعن في الصحراء ساخت في الارض يد فرس بعض غلمانه وهو رمل فسقط الغلام في الرمل فاذا بفتق ففتح فأصيب فيـه من المال ما كان مقداره ألف ألف دينار وهو الـكنز الذي شاع خبره وكتب به الى العراق احمد ابن طولون يخبر المعتمد به ويستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر وغيرها فبنى منه المارستان ثم اصاب بعده في الجبل مالا عظيما فبني منه الجامع ووقف جميع مابقى من المال في الصدقات وكانت صدقاته ومعروفه لاتحصي كثرة * ولما انصرف من الصحراء وحمل المال أحضر ابن دسومة وأراه المال وقال له بئس الصاحب والمستشار انت هذا أول بركة مشورة الميت في النوم ولولا أني امنتك لضربت عنقك وتغير عليه وسقط محله عنده ورفع اليه بعد ذلك انه قد أجحف بالناس وألزمهم اشياء ضجوا منها فقبض عليه وأخذ ماله وحبسه فمات في حبسه وكان ابن دسومة واسع الحيلة بخيل الـكف زاهدا في شكر الشاكرين لايهش الى شيء من أعمال البر وكان احمد بن طولون من أهل القرآن اذا جرت منه اسـاءة استغفر وتضرع * وقال ابن عبد الظاهر سمعت غير واحد يقول انه لما فرغ احمد بن طولون من بناء هذا الجامع أمر للناس بسماع مايقوله الناس فيه من العيوب فقال رجل محرابه صغـير وقال آخر مافيه عمود وقال آخر ليست له ميضأة فجمع الناس وقال أما المحراب فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لي فأصبحت فرأيت النمل قد أطافت بالمكان الذي خطه لي وأما العمد فاني بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الـكنز وما كنت لاشوبه بغيره وهذه العمد اما أن تكون من مسجد أو كنيسة فنزهته عنها وأما الميضأة فاني نظرت فوجدت مايكون بها من النجاسات فطهرته منها وها أنا أبنيها خلفه ثم أمر ببنائها * وقيل انه لما فرغ من بنائه رأى في منامه كأن نارا نزلت من السماء فأخذت الجامع دون ماحوله فلما اصبح قص رؤياه فقيل له أبشر بقبول الجامع لان النار كانت في الزمان الماضي اذا قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته ودليله قصة قابيل وهابيل * قال ورأيت من يقول انه عمل به منطقة دائرة بجميعه من عنبر ولم أر مصنفا ذكره الا انه مستفـاض من الافواه والنقلة وسمعت من يقول انه عمر ماحوله حتى كان خلفه مسطبة ذراع في ذراع أجرتهـا في كل يوم اثنا عشر درهما في بكرة النهار لشخص يبيع الغزل ويشتريه والظهر لخباز والعصر لشيخ يبيع الحمص والفول * وقيل عن احمد بن طولون انه كان لايعبث بشيء قط فاتفق انه أخذ درجا ابيض بيده وأخرجه ومده واستيقظ لنفسه وعلم أنه قد فطن به وأخذ عليه لكونه لم تكن تلك عادته فطلب المعمار على الجامع وقال تبنى المنارة التي للتأذين هكذا فبنيت على

تلك الصورة والعامة يقولون ان المشاري الذى على المنارة المذكورة يدور مع الشمس وليس صحيحاً وانما يدور مع دوران الرياح وكان الملك الكامل قد اعتني بوقودها ليلة النصف من شعبان ثم ابطلها وقال المسبحى ان الحاكم انزل الى جامع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفا * وفى سنة ست وسبعين وثلثمائة في ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى احترقت الفوارة التي كانت بجامع ابن طولون فلم يبق منها شيء وكانت في وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهى مذهبة على عشر عمد رخام وستة عشر عمود رخام في جوانبها مفروشة كلها بالرخام وتحت القبة قصعة رخام فسحتها أربعة اذرع في وسطها فوّارة تفور بالماء وفي وسطها قبة مزوّقة يؤذن فيها وفي أخرى على سلمها وفى السطح علامات الزوال والسطح بدرابزين ساج فاحترق جميع هذا في ساعة واحدة * وفى المحرم سنة خمس وثمانين وثلثمائة أمر العزيز بالله بن المعز بناء فوّارة عوضا عن التي احترقت فعمل ذلك على يد راشد الحنفي وتولى عمارتها ابن الرومية وابن البناء وماتت أم العزيز في سلخ ذى القعدة من السنة والله أعلم * (تجديد الجامع) * وكان من خبر جامع ابن طولون أنه لما كان غلاء مصر فى زمان المستنصر وخربت القطائع والعسكر عدم الساكن هناك وصار ماحول الجامع خرابا وتوالت الايام على ذلك وتشعث الجامع وخرب اكثره وصار أخيرا ينزل فيه المغاربة بأباعرها ومتاعها عند ماتمرّ بمصر أيام الحج فهيأ الله جل جلاله لعمارة هذا الجامع أن كان بين الملك الاشرف خليل بن قلاون وبين الامير بيدر امور موحشة تزايدت وتأكدت الى أن جمع بيدر من يثق به وقتل الاشرف بناحية تروجه في سنة ثلاث وتسعين وستمائة كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر مدرسته وكان ممن وافق الامير بيدرا على قتل الاشرف الامير حسام الدين لاجين المنصورى والامير قراسنقر فلما قتل بيدر فى محاربة مماليك الاشرف له فرّ لاجين وقراسنقر من المعركة فاختفى لاجين بالجامع الطولونى وقراسنقر في داره بالقاهرة وصار لاجين يتردد بمفرده من غير أحد معه في الجامع وهو حينئذ خراب لاساكن فيه وأعطى الله عهدا ان سلمه الله من هذه المحنة ومكنه من الارض أن يجدد عمارة هذا الجامع ويجعل له مايقوم به ثم انه خرج منه في خفية الى القرافة فأقام بها مدة وراسل قراسنقر فتحيل في لحاقه به وعملا أعمالا الى أن اجتمعا بالامير زين الدين كتبغا المنصورى وهو اذ ذاك نائب السلطنة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون والقائم بأمور الدولة كلها فأحضرهما الى مجلس السلطان بقلعة الجبل بعد أن أتقن أمرهما مع الامراء ومماليك السلطان فخلع عليهما وصار كل منهما الى داره وهو آمن فلم تطل ايام الملك الناصر في هذه الولاية حتي خلعه الامير كتبغا وجلس على تخت الملك وتلقب بالملك العادل فجعل لاجين نائب السلطنة بديار مصر وجرت أمور اقتضت قيام لاجين على كتبغا وهم بطريق

الشام ففر كتبغا الى دمشق واستولى لاجين على دست المملكة وسار الى مصر وجلس على سرير الملك بقلعة الجبل وتلقب بالملك المنصور في المحرم من سنة ست وتسعين وستمائة فأقام قراسنقر في نيابة السلطنة بديار مصر وأخرج الناصر محمد بن قلاون من قلعة الجبل الى كرك الشوبك فجعله فى قلعتها وأعانه اهل الشام على كتبغا حتى قبض عليه وجعله نائب حماه فأقام بها مدة سنين بعد سلطنة مصر والشام وخلع على الامير علم الدين سنجر الدوادارى واقامه فى نيابة دار العدل وجعل اليه شراء الاوقاف على الجامع الطولونى وصرف اليه كل مايحتاج اليه في العمارة واكد عليه في أن لايسخر فيه فاعلا ولا صانعا وأن لايقيم مستحثا للصناع ولا يشترى لعمارته شيئاً مما يحتاج اليه من سائر الاصناف الا بالقيمة التامة وأن يكون ماينفق على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته فابتاع منية اندونة من أراضى الجيزة وعرفت هذه القرية باندونة كاتب بمصر كان نصرانياً في زمن احمد بن طولون وممن نكبه وأخذ منه خمسين ألف دينار واشترى أيضا ساحة بجوار جامع أحمد بن طولون مما كان في القديم عامرا ثم خرب وحكرها وعمر الجامع وأزال كل ما كان فيه من تخريب وبلطه وبيضه ورتب فيه دروسا لالقاء الفقه على المذاهب الاربعة التي عمل أهل مصر عليها الآن ودرسا يلقى فيه تفسير القرآن الكريم ودرسا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ودرسا للطب وقرر للخطيب معلوما وجعل له اماما راتبا ومؤذنين وفراشين وقومة وعمل بجواره مكتبا لاقراء ايتام المسلمين كتاب الله عز وجل وغير ذلك من أنواع القربات ووجوه البر فبلغت النفقة على عمارة الجامع وثمن مستغلاته عشرين ألف دينار فلما شاء الله سبحانه أن يهلك لاجين زين له سوء عمله عزل الامير قراسنقر من نيابة السلطنة فعزله وولي مملوكه منكوتمر وكان عسوفا عجولا حادا ولاجين مع ذلك يركن اليه ويعول فى جميع أموره عليه ولايخالف قوله ولا ينقض فعله فشرع منكوتمر في تأخير أمراء الدولة من الصالحية والمنصورية وامجل في اظهار التهجم لهم والاعلان بما يريده من القبض عليهم واقامة أمراء غيرهم فتوحشت القلوب منه وتمالأت على بغضه ومشى القوم بعضهم الى بعض وكاتبوا اخوانهم من أهل البلاد الشامية حتى تم لهم مايريدون فواعد جماعة منهم اخوانهم على قتل السلطان لاجين ونائبه منكوتمر فما هو الى أن صلي السلطان العشاء الآخرة من ليلة الجمعة العاشر من شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة واذا بالامير كرجي وكان ممن هو قائم بين يديه تقدم ليصلح الشمعة فضربه بسيف قد أخفاه معه أطار به زنده وانقض عليه البقية ممن واعدوهم بالسيوف والخناجر فقطعوه قطعا وهو يقول الله الله وخرجوا من فورهم الى باب القلة من قلعة الجبل فاذا بالامير طغج قد جلس في انتظارهم ومعه عدة من الامراء وكانوا اذ ذاك يبيتون بالقلعة دائما فأمروا باحضار منكوتمر من دار النيابة بالقلعة وقتلوه بعد مضى

نصف ساعة من قتل أستاذه الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى رحمه الله فلقد كان مشكور السيرة * وفي سنة سبع وستين وسبعمائة جدد الامير يلبغا العمري الخاسكي درسا بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية وقرر لكل فقيه من الطلبة فى الشهر أربعين درهما وأردب قمح فانتقل جماعة من الشافعية الى مذهب الحنفية * وأول من ولى نظره بعد تجديده الامير علم الدين سنجر الجاولى وهو اذ ذاك دوادار السلطان الملك المنصور لاجين ثم ولى نظره قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ثم من بعده الامير بكتمر في ايام الناصر محمد بن قلاون فجدد في أوقافه طاحونا وفرنا وحوانيت فلما مات وليه قاضى القضاة عز الدين بن جماعة ثم ولاه الناصر للقاضى كريم الدين الكبير فجدد فيه مئذنتين فلما نكبه السلطان عاد نظره الى قاضى القضاة الشافعي وما برح الى ايام الناصر حسن بن محمد ابن قلاون فولاه للامير صرغتمش وتوفر في مدة نظره من مال الوقف مائة ألف درهم فضة وقبض عليه وهي حاصلة فباشره قاضى القضاة الى ايام الاشرف شعبان بن حسين ففوض نظره الى الامير الجاى اليوسفى الى أن غرق فتحدث فيه قاضى القضاة الشافعي الى أن فوض الملك الظاهر برقوق نظره الى الامير قطلوبغا الصفوى في العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة وكان الامير منطاش مدة تحكمه في الدولة فوضه الى المذكور في أواخر شوال سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم عاد نظره الى القضاة بعد الصفوى وهو بايديهم الى اليوم * وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة جدد الرواق البحرى الملاصق للمئذنة الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى الهويدى البازدار مقدم الدولة * وجدد ميضأة بجانب الميضأة القديمة وكان عبيد هذا بازدارا ثم ترقى حتى صار مقدم الدولة فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ثم ترك زى المقدمين وتزيا بزى الامراء وحاز نعمة جليلة وسعادة طائلة حتى مات يوم السبت رابع عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

* (ذكر دار الامارة) *

وكان بجوار الجامع الطولونى دار أنشأها الامير احمد بن طولون عند مابنى الجامع وجعلها في الجهة القبلية ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة بجوار المحراب والمنبر وجعل فى هذه الدار جميع مايحتاج اليه من الفرش والستور والآلات فكان ينزل بها اذا راح الى صلاة الجمعة فانها كانت تجاه القصر والميدان فيجلس فيها ويجدد وضوءه ويغير ثيابه وكان يقال لها دار الامارة وموضعها الآن سوق الجامع حيث البزازين وغيرهم ولم تزل هذه الدار باقية الى أن قدم الامام المعز لدين الله أبو تميم معد من بلاد المغرب فكان يستخرج فيها أموال الخراج * قال الفقيه الحسن بن ابراهيم بن زولاق في كتاب سيرة المعز ولست عشرة بقيت من المحرم يعني من سنة ثلاث وستين وثلثمائة قلد المعز لدين الله الخراج وجميع

وجوه الاعمال والحسبة والسواحل والاعشار والجوالى والاحباس والمواريث والشرطيين وجميع مايتضاف الى ذلك وما يطرأ فى مصر وسائر الاعمال أبا الفرج يعقوب بن يوسف ابن كلس وعسلوج بن الحسن وكتب لهما سجلا بذلك قرئ يوم الجمعة على منبر جامع احمد ابن طولون وجلسا غد هذا اليوم في دار الامارة في جامع احمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الاعمال ثم خربت هذه الدار فيما خرب من القطائع والعسكر وصار موضعها ساحة الى أن حكرها الدويداري عند تجديد عمارة الجامع كما تقدم وقد ذكر بناء القيسارية في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الاسواق

*(ذكر الاذان بمصر وما كان فيه من الاختلاف) *

اعلم أن أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنهما بالمدينة الشريفة وفى الاسفار وكان ابن أم مكتوم واسمه عمرو بن قيس ابن شريح من بنى عامر بن لؤي وقيل اسمه عبد الله وأمه أم مكتوم واسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة من بني مخزوم ربما أذن بالمدينة وأذن أبو محذورة واسمه أوس وقيل سمرة ابن معير بن لوذان بن ربيعة بن معير بن عريج بن سعد بن جمح وكان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يؤذن مع بلال فأذن له وكان يؤذن فى المسجد الحرام وأقام بمكة ومات بها ولم يأت المدينة * قال ابن الكلبي كان أبو محذورة لايؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة الا فى الفجر ولم يهاجر وأقام بمكة * وقال ابن جريج علم النبى صلي الله عليه وسلم أبا محذورة الاذان بالجعرانة حين قسم غنائم حنين ثم جعله مؤذنا فى المسجد الحرام * وقال الشعبي أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلال وأبو محذورة وابن أم مكتوم وقد جاء أن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يؤذن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المنبر وقال محمد بن سعد عن الشعبي كان لرسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاثة مؤذنين بلال وأبو محذورة وعمرو بن أم مكتوم فاذا غاب بلال أذن أبو محذورة واذا غاب أبو محذورة أذن ابن أم مكتوم * قلت لعل هذا كان بمكة * وذكر ابن سعد أن بلالا أذن بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم لابى بكر رضي الله عنه وأن عمر رضى الله عنه أراده أن يؤذن له فأبى عليه فقال له الى من ترى أن اجعل النداء فقال الى سعد القرظ فانه قد أذن لرسول الله صلي الله عليه وسلم فدعاه عمر رضى الله عنه فجعل النداء اليه والى عقبه من بعده وقد ذكر أن سعد القرظ كان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء * وذكر أبو داود في مراسيله والدار قطنى فى سننه قال بكير بن عبد الله الاشج كانت مساجد المدينة تسعة سوى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يصلون بأذان بلال رضى الله عنه * وقد كان عند فتح مصر الاذان انما هو بالمسجد الجامع المعروف بجامع عمرو وبه صلاة الناس بأسرهم وكان من هدى الصحابة

والتابعين رضى الله عنهم المحافظة على الجماعة وتشديد النكير على من تخلف عن صلاة الجماعة
* قال أبو عمرو الكندى فى ذكر من عرف على المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بفسطاط
مصر وكان أول من عرف على المؤذنين أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادى وهو من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أذن لعمر بن الخطاب سار الى مصر مع عمرو بن
العاص يؤذن له حتى افتتحت مصر فأقام على الاذان وضم اليه عمرو بن العاص تسعة رجال
يؤذنون هو عاشرهم وكان الاذان فى ولده حتى انقرضوا * قال أبو الخير حدثنى أبو مسلم
وكان مؤذنا لعمرو بن العاص أن الاذان كان أوله لااله الا الله وآخره لااله الا الله وكان
أبو مسلم يوصى بذلك حتى مات ويقول هكذا كان الاذان * ثم عرف عليهم أخوه شرحبيل
ابن عامر وكانت له صحبة وفى عرافته زاد مسلمة بن مخلد في المسجد الجامع وجعل له المنار
ولم يكن قبل ذلك وكان شرحبيل أول من رقى منارة مصر للاذان وان مسلمة بن مخلد
اعتكف فى منارة الجامع فسمع أصوات النواقيس عالية بالفسطاط فدعا شرحبيل بن عامر
فأخبره بما ساءه من ذلك فقال شرحبيل فانى أمدد بالاذان من نصف الليل الى قرب الفجر
فانههم أيها الامير أن ينقسوا اذا أذنت فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الاذان ومدد
شرحبيل ومطط اكثر الليل الى أن مات شرحبيل سنة خمس وستين * وذكر عن عثمان
رضى الله عنه انه أول من رزق المؤذنين فلما كثرت مساجد الخطبة أمر مسلمة بن مخلد
الانصارى فى امارته على مصر ببناء المنار في جميع المساجد خلا مساجد تجيب وخولان
فكانوا يؤذنون في الجامع أولا فاذا فرغوا أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد فكان
لاذانهم دوى شديد * وكان الاذان أولا بمصر كأذان أهل المدينة وهو الله اكبر الله اكبر
وباقيه كما هو اليوم فلم يزل الامر بمصر على ذلك فى جامع عمرو بالفسطاط وفي جامع العسكر
وفى جامع أحمد بن طولون وبقية المساجد الى أن قدم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله
وبنى القاهرة فلما كان فى يوم الجمعة الثامن من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة صلى
القائد جوهر الجمعة في جامع أحمد بن طولون وخطب به عبد السميع بن عمر العباسى
بقلنسوة وتبنى وطيلسان دبسى وأذن المؤذنون حي على خير العمل وهو أول ما أذن به
بمصر وصلى به عبد السميع الجمعة فقرأ سورة الجمعة واذا جاءك المنافقون وقنت فى الركعة
الثانية وانحط الى السجود ونسى الركوع فصاح به على بن الوليد قاضى عسكر جوهر بطلت
الصلاة أعد ظهرا أربع ركعات ثم أذن بحي على خير العمل في سائر مساجد العسكر الى
حدود مسجد عبد الله وأنكر جوهر على عبد السميع أنه لم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
في كل سورة ولا قرأها في الخطبة فأنكره جوهر ومنعه من ذلك * ولا ربع بقين من جمادى
الاولى المذكور أذن في الجامع العتيق بحي على خير العمل وجهروا في الجامع بالبسملة فى الصلاة

فلم يزل الامر على ذلك طول مدة الخلفاء الفاطميين الا أن الحاكم بأمر الله فى سنة أربعمائة أمر بجمع مؤذنى القصر وسائر الجوامع وحضر قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقى وقرأ أبو على العباسى سجلا فيه الامر بترك حي على خير العمل فى الاذان وأن يقال فى صلاة الصبح الصلاة خير من النوم وأن يكون ذلك من مؤذني القصر عند قولهم السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله فامتثل ذلك ثم عاد المؤذنون الى قول حي على خير العمل في ربيع الآخر سنة احدى وأربعمائة ومنع في سنة خمس وأربعمائة مؤذني جامع القاهرة ومؤذنى القصر من قولهم بعد الاذان السلام على أمير المؤمنين وأمرهم أن يقولوا بعد الاذان الصلاة رحمك الله * (ولهذا الفعل اصل) * قال الواقدى كان بلال رضى الله عنه يقف على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول السلام عليك يارسول الله وربما قال السلام عليك بأبي انت وأمي يارسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة السلام عليك يارسول الله * قال البلادرى وقال غيره كان يقول السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة يارسول الله فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه الخلافة كان سعد القرظ يقف على بابه فيقول السلام عليك ياخليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة ياخليفة رسول الله فلما استخلف عمر رضى الله عنه كان سعد يقف على بابه فيقول السلام عليك ياخليفة خليفة رسول الله ورحمة الله حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة ياخليفة خليفة رسول الله فلما قال عمر رضي الله عنه للناس انتم المؤمنون وأنا اميركم فدعى أمير المؤمنين استطالة لقول القائل ياخليفة خليفة رسول الله ولمن بعده خليفة خليفة خليفة رسول الله كان المؤذن يقول السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة ياأمير المؤمنين ثم ان عمر رضى الله عنه أمر المؤذن فزاد فيها رحمك الله ويقال ان عثمان رضي الله عنه زادها وما زال المؤذنون اذا أذنوا سلموا على الخلفاء وأمراء الاعمال ثم يقيمون الصلاة بعد السلام فيخرج الخليفة أو الامير فيصلى بالناس هكذا كان العمل مدة أيام بني أمية ثم مدة خلافة بني العباس ايام كانت الخلفاء وأمراء الاعمال تصلى بالناس * فلما استولى العجم وترك خلفاء بني العباس الصلاة بالناس ترك ذلك كما ترك غيره من سنن الاسلام ولم يكن احد من الخلفاء الفاطميين يصلى بالناس الصلوات الخمس في كل يوم فسلم المؤذنون فى ايامهم على الخليفة بعد الاذان للفجر فوق المنارات فلما انقضت أيامهم وغير السلطان صلاح الدين رسومهم لم يجاسر المؤذنون على السلام عليه احتراما للخليفة العباسى ببغداد فجعلوا عوض السلام على الخليفة السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمر ذلك قبل الاذان للفجر فى كل ليلة بمصر والشام والحجاز وزيد فيه بأمر المحتسب صلاح الدين عبد الله البرلسى الصلاة والسلام عليك

يارسول الله وكان ذلك بعد سنة ستين وسبعمائة فاستمر ذلك ولما تغلب أبو على بن كتيفات
ابن الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى على رتبة الوزارة في أيام الحافظ لدين
الله أبي الميمون عبد المجيد ابن الامير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله في سادس عشر ذى
القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسجن الحافظ وقيده واستولى على سائر مافي القصر
من الاموال والذخائر وحملها الى دار الوزارة وكان اماميا متشددا في ذلك خالف ما عليه
الدولة من مذهب الاسماعيلية وأظهر الدعاء للامام المنتظر وأزال من الاذان حي على خير
العمل وقولهم محمد وعلى خير البشر وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الذى تنتسب اليه
الاسماعيلية فلما قتل في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة عاد الامر الى الخليفة
الحافظ وأعيد الى الاذان ما كان أسقط منه * وأول من قال في الاذان بالليل محمد وعلى
خير البشر الحسين المعروف بأمير كابن شكنبه ويقال اشكنبه وهو اسم اعجمي معناه الكرش
وهو على بن محمد بن علي بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبي طالب
وكان أول تأذينه بذلك في أيام سيف الدولة بن حمدان بحلب في سنة سبع وأربعين وثلثمائة
قاله الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة ولم يزل الاذان بحلب يزاد فيه حي على خير
العمل ومحمد وعلى خير البشر الى أيام نور الدين محمود فلما فتح المدرسة الكبيرة المعروفة
بالحلاوية استدعى أبا الحسن على بن الحسن بن محمد البلخي الحنفى اليها فجاء ومعه جماعة
من الفقهاء وألقى بها الدروس فلما سمع الاذان أمر الفقهاء فصعدوا المنارة وقت الاذان وقال
لهم مروهم يؤذنوا الاذان المشروع ومن امتنع كبوه علي رأسه فصعدوا وفعلوا ماأمرهم به
واستمر الامر علي ذلك * وأما مصر فلم يزل الاذان بها علي مذهب القوم الى أن استبد
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة ديار مصر وأزال الدولة الفاطمية في سنة
سبع وستين وخمسمائة وكان ينتحل مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه وعقيدة الشيخ أبي
الحسن الاشعرى رحمه الله فأبطل من الاذان قول حي علي خير العمل وصار يؤذن في
سائر اقليم مصر والشام بأذان أهل مكة وفيه تربيع التكبير وترجيع الشهادتين فاستمر الامر
علي ذلك الى أن بنت الاتراك المدارس بديار مصر وانتشر مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه
فى مصر فصار يؤذن فى بعض المدارس التى للحنفية بأذان أهل الكوفة وتقام الصلاة أيضا
على رأيهم وما عدا ذلك فعلي ماقلنا الا انه في ليلة الجمعة اذا فرغ المؤذنون من التأذين سلموا
على رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو شيء أحدثه محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله
ابن عبد الله البرلسى بعد سنة ستين وسبعمائة فاستمر الى أن كان فى شعبان سنة احدى وتسعين
وسبعمائة ومتولى الامر بديار مصر الامير منطاش القائم بدولة الملك الصالح المنصور أمير حاج المعروف
بحاجي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون فسمع بعض الفقراء الخلاطين سلام المؤذنين على رسول

الله صلى الله عليه وسلم في ليلة جمعة وقد استحسن ذلك طائفة من اخوانه فقال لهم أتحبون أن يكون هذا السلام فى كل أذان قالوا نعم فبات تلك الليلة وأصبح متواجدا يزعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وانه أمره أن يذهب الى المحتسب ويبلغه عنه أن يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أذان فمضى الى محتسب القاهرة وهو يومئذ نجم الدين محمد الطنبدى وكان شيخا جهولا . وبابانا مهولا . سيء السيرة في الحسبة والقضاء . متهافتا على الدرهم ولو قاده الى البلاء . لايحتشم من أخذ البرطيل والرشوة . ولا يراعى في مؤمن الا ولا ذمة . قد ضرى على الآثام . وتجسد من أكل الحرام . يرى أن العلم ارخاء العذبة ولبس الجبة . ويحسب أن رضا الله سبحانه في ضرب العباد بالدرة وولاية الحسبة . لم تحمد الناس قط أياديه . ولا شكرت أبدا مساعيه . بل جهالاته شائعة . وقبائح أفعاله ذائعة . أشخص غير مرة الى مجلس المظالم وأوقف مع من أوقف للمحاكمة بين يدى السلطان من اجل عيوب فوادح . حقق فيها شكاته عليه القوادح . وما زال في السيرة مذموما . ومن العامة والخاصة ملوما . وقال له رسول الله يأمرك أن تتقدم لسائر المؤذنين بأن يزيدوا في كل أذان قولهم الصلاة والسلام عليك يارسول الله كما يفعل فى ليالى الجمع فأعجب الجاهل هذا القول وجهل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايأمر بعد وفاته الا بما يوافق ماشرعه الله على لسانه في حياته وقد نهى الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز عن الزيادة فيما شرعه حيث يقول أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فأمر بذلك في شعبان من السنة المذكورة وتمت هذه البدعة واستمرت الى يومنا هذا في جميع ديار مصر وبلاد الشام وصارت العامة وأهل الجهالة ترى أن ذلك من جملة الاذان الذى لايحل تركه وأدى ذلك الى أن زاد بعض أهل الالحاد في الاذان ببعض القرى السلام بعد الاذان على شخص من المعتقدين الذين ماتوا فلا حول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون * وأما التسبيح في الليل على المآذن فانه لم يكن من فعل سلف الامة وأول ماعرف من ذلك أن موسى بن عمران صلوات الله عليه لما كان ببنى اسرائيل في التيه بعد غرق فرعون وقومه اتخذ بوقين من فضة مع رجلين من بنى اسرائيل ينفخان فيهما وقت الرحيل ووقت النزول وفى أيام الاعياد وعند ثلث الليل الاخير من كل ليلة فتقوم عند ذلك طائفة من بنى لاوى سبط موسى عليه السلام ويقولون نشيدا منزلا بالوحى فيه تخويف وتحذير وتعظيم لله تعالى وتنزيه له تعالى الى وقت طلوع الفجر واستمر الحال على هذا كل ليلة مدة حياة موسى عليه السلام وبعده أيام يوشع بن نون ومن قام في بنى اسرائيل من القضاة الى أن قام بأمرهم داود عليه السلام وشرع في عمارة بيت المقدس فرتب في كل ليلة عدة من بني لاوى يقومون عند ثلث الليل الآخر فمنهم من يضرب بالآلات كالعود والسنطير والبربط

والدف والمزمار ونحو ذلك ومنهم من يرفع عقيرته بالنشائد المنزلة بالوحى على نبى الله موسى عليه السلام والنشائد المنزلة بالوحى على داود عليه السلام ويقال ان عدد بنى لاوى هذا كان ثمانية وثلاثين ألف رجل قد ذكر تفصيلهم فى كتاب الزبور فاذا قام هؤلاء بيت المقدس قام فى كل محلة من محال بيت المقدس رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله سبحانه من غير آلات فان الآلات كانت مما يختص ببيت المقدس فقط وقد نهوا عن ضربها فى غير البيت فيتسامع من قرية بيت المقدس فيقوم في كل قرية رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله تعالى حتى يعم الصوت بالذكر جميع قرى بني اسرائيل ومدنهم وما زال الامر على ذلك فى كل ليلة الى ان خرب بخت نصر بيت المقدس وجلا بني اسرائيل الى بابل فبطل هذا العمل وغيره من بلاد بنى اسرائيل مدة جلائهم في بابل سبعين سنة فلما عاد بنو اسرائيل من بابل وعمروا البيت العمارة الثانية أقاموا شرائعهم وعاد قيام بني لاوى بالبيت في الليل وقيام أهل محال القدس وأهل القرى والمدن على ما كان العمل عليه أيام عمارة البيت الأولى واستمر ذلك الى أن خرب القدس بعد قتل نبي الله يحيي بن زكريا وقيام اليهود على روح الله ورسوله عيسي ابن مريم صلوات الله عليهم على يد طيطش فبطلت شرائع بني اسرائيل من حينئذ وبطل هذا القيام فيما بطل من بلاد بني اسرائيل * (وأما فى الملة الاسلامية)* فكان ابتداء هذا العمل بمصر وسببه أن مسلمة بن مخلد أمير مصر بني منارا الجامع عمرو بن العاص واعتكف فيه فسمع أصوات النواقيس عالية فشكا ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين فقال انى أمدد الاذان من نصف الليل الى قرب الفجر فانههم أيها الامير أن ينقسوا اذا أذنت فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الاذان ومدد شرحبيل ومطط أكثر الليل ثم ان الامير أبا العباس أحمد بن طولون كان قد جعل فى حجرة تقرب منه رجالا تعرف بالمكبرين عدتهم اثنا عشر رجلا يبيت فى هذه الحجرة كل ليلة أربعة يجعلون الليل بينهم عقبا فكانوا يكبرون ويسبحون ويحمدون الله سبحانه في كل وقت ويقرأون القرآن بألحان ويتوسلون ويقولون قصائد زهدية ويؤذنون فى اوقات الاذان وجعل لهم أرزاقا واسعة تجرى عليهم فلما مات أحمد بن طولون وقام من بعده ابنه أبو الجيش خمارويه أقرهم بحالهم وأجراهم على رسمهم مع ابيه ومن حينئذ اتخذ الناس قيام المؤذنين في الليل على المآذن وصار يعرف ذلك بالتسبيح فلما ولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطنة مصر وولى القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الهدباني المارانى الشافعي كان من رأيه ورأى السلطان اعتقاد مذهب الشيخ أبى الحسن الاشعرى في الاصول فحمل الناس الى اليوم على اعتقاده حتى يكفر من خالفه وتقدم الامر الى المؤذنين أن يعلنوا في وقت التسبيح على المآذن بالليل بذكر العقيدة التى تعرف بالمرشدة فواظب المؤذنون على ذكرها فى كل ليلة بسائر جوامع مصر والقاهرة الى

وقتنا هذا * ومما أحدث أيضا التذكير في يوم الجمعة من أثناء النهار بأنواع من الذكر على المآذن ليتهيأ الناس لصلاة الجمعة وكان ذلك بعد السبعمائة من سني الهجرة قال ابن كثير رحمه الله في يوم الجمعة سادس ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وسبعمائة رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مآذن دمشق كما يذكر في مآذن الجامع الاموى ففعل ذلك

* (الجامع الازهر) *

هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة والذى أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى الامام أبي تميم معد الخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله لما اختط القاهرة وشرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلثمائة وجمع فيه وكتب بدائر القبة التي فى الرواق الاول وهي على يمنة المحراب والمنبر مانصه بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك في سنة ستين وثلثمائة * وأول جمعة جمعت فيه في شهر رمضان لسبع خلون منه سنة احدى وستين وثلثمائة ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جدد فيه أشياء وفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس الخليفة العزيز بالله في صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم مايكفى كل واحد منهم من الرزق الناض وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبنيت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى العصر وكان لهم أيضاً من مال الوزير صلة في كل سنة وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات ويقال ان بهذا الجامع طلسما فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به وكذا سائر الطيور من الحمام واليمام وغيره وهو صورة ثلاثة طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فنها صورتان في مقدم الجامع بالرواق الخامس منهما صورة فى الجهة الغربية في العمود وصورة في أحد العمودين اللذين على يسار من استقبل سدة المؤذنين والصورة الاخرى في الصحن فى الأعمدة القبلية مما يلى الشرقية ثم ان الحاكم بأمر الله جدده ووقف على الجامع الازهر وجامع المقس والجامع الحاكمى ودار العلم بالقاهرة رباعا بمصر وضمن ذلك كتابا نسخته * هذا كتاب أشهد قاضي القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقي على جميع مانسب اليه مما ذكر ووصف فيه من حضر من الشهود في مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر في شهر رمضان سنة أربعمائة أشهدهم وهو يومئذ قاضى عبد الله ووليه المنصور أبي على الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الامام العزيز بالله صلوات الله عليهما على القاهرة المعزية ومصر والاسكندرية والحرمين

حرسهما الله وأجناد الشام والرقة والرحبة ونواحي المغرب وسائر أعمالهن وما فتحه الله ويفتحه لامير المؤمنين من بلاد الشرق والغرب بمحضر رجل متكلم انه صحت عنده معرفة المواضع الكاملة والحصص الشائعة التي يذكر جميع ذلك ويحدد في هذا الكتاب وانها كانت من أملاك الحاكم الى أن حبسها على الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة والجامع بالمقس اللذين أمر بانشائهما وتأسيس بنائهما وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التي وقفها والكتب التي فيها قبل تاريخ هذا الكتاب منها مايخص الجامع الازهر والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة مشاعا جميع ذلك غير مقسوم ومنها مايخص الجامع بالمقس على شرائط يجرى ذكرها فمن ذلك ماتصدق به على الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة جميع الدار المعروفة بدار الضرب وجميع القيسارية المعروفة بقيسارية الصوف وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة الذى كله بفسطاط مصر ومن ذلك ماتصدق به على جامع المقس جميع أربعة الحوانيت والمنازل التي علوها والمخزنين الذى ذلك كله بفسطاط مصر بالراية في جانب الغرب من الدار المعروفة كانت بدار الخرق وهاتان الداران المعروفتان بدار الخرق في الموضع المعروف بحمام الفار ومن ذلك جميع الحصص الشائعة من أربعة الحوانيت المتلاصقة التي بفسطاط مصر بالراية أيضاً بالموضع المعروف بحمام الفار. وتعرف هذه الحوانيت بحصص القيسى بحدود ذلك كله وأرضه وبنائه وسفله وعلوه وغرفه ومرتفقاته وحوانيته وساحاته وطرقه وممراته ومجارى مياهه وكل حق هو له داخل فيه وخارج عنه وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محرمة محبسة بتة بتلة لايجوز بيعها ولا هبتها ولا تمليكها باقية على شروطها جارية على سبلها المعروفة في هذا الكتاب لايوهنها تقادم السنين ولا تغير بحدوث حدث ولا يستثنى فيها ولا يتأول ولا يستفتى بتجدد تحبيسها مدى الاوقات وتستمر شروطها على اختلاف الحالات حتي يرث الله الارض والسموات على أن يؤجر ذلك في كل عصر من ينتهى اليه ولايتها ويرجع اليه أمرها بعد مراقبة الله واجتلاب مايوفر منفعتها من اشهارها عند ذوى الرغبة في اجارة أمثالها فيبتدأ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة وبقاء العين ومرمته من غير اجحاف بما حبس ذلك عليه وما فضل كان مقسوما على ستين سهما فمن ذلك للجامع الازهر بالقاهرة المحروسة المذكور فى هذا الاشهاد الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع يصرف ذلك فيما فيه عمارة له ومصلحة وهو من العين المعزى الوازن ألف دينار واحدة وسبعة وستون ديناراً ونصف دينار وثمن دينار من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون ديناراً ومن ذلك لثمن ألف ذراع حصر عبدانية تكون عدة له بحيث لاينقطع من حصره عند الحاجة الى ذلك ومن ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة

لكسوة هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة اليها مائة دينار واحدة وثمانية دنانير ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج وفراخها اثنا عشر دينارا ونصف وربع دينار ومن ذلك لثمن عود هندى للبخور في شهر رمضان وأيام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر ديناراً ومن ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفلي سبعة دنانير ومن ذلك لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن الخيط وأجرة الخياطة خمسة دنانير ومن ذلك لثمن مشاقة لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلاً بالرطل الفلفلي دينار واحد ومن ذلك لثمن فحم للبخور عن قنطار واحد بالفلفلي نصف دينار ومن ذلك لثمن أزديين ملحا للقناديل ربع دينار ومن ذلك ماقدر لمؤنة النحاس والسلاسل والتنانير والقباب التى فوق سطح الجامع أربعة وعشرون دينارا ومن ذلك لثمن سلب ليف وأربعة أحبل وست دلاء أدم نصف دينار ومن ذلك لثمن قنطارين خرقا لمسح القناديل نصف دينار ومن ذلك لثمن عشر قفاف للخدمة وعشرة ارطال قنب لتعليق القناديل ولثمن مائتى مكنسة لكنس هذا الجامع دينار واحد وربع دينار ومن ذلك لثمن ازيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير ومن ذلك لثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل مع أجرة الحمل سبعة وثلاثون دينارا ونصف ومن ذلك لارزاق المصلين يعنى الائمة وهم ثلاثة وأربعة قومة وخمسة عشر مؤذنا خمسمائة دينار وستة وخمسون دينارا ونصف منها للمصلين لكل رجل منهم ديناران وثلثا دينار وثمن دينار فى كل شهر من شهور السنة والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران فى كل شهر ومن ذلك للمشرف على هذا الجامع فى كل سنة أربعة وعشرون دينارا ومن ذلك لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل مايخرج منه من الطين والوسخ دينار واحد ومن ذلك لمرمة مايحتاج اليه فى هذا الجامع في سطحه وأترابه وحياطته وغير ذلك مما قدر لكل سنة ستون دينارا ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تبن ونصف حمل جارية لعلف رأسى بقر للمصنع الذي لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وثلث دينار ومن ذلك للتبن لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير ومن ذلك لثمن فدانين قرط لترسيم رأسى البقر المذكورين فى السنة سبعة دنانير ومن ذلك لاجرة متولى العلف وأجرة السقاء والحبال والقواديس وما يجرى مجري ذلك خمسة عشر دينارا ونصف ومن ذلك لاجرة قيم الميضأة ان عملت بهذا الجامع اثنا عشر ديناراً والى هنا انقضى حديث الجامع الازهر وأخذ في ذكر جامع راشدة ودار العلم وجامع المقس ثم ذكر أن تنانير الفضة ثلاثة تنانير وتسعة وثلاثون قنديلا فضة فللجامع الازهر تنوران وسبعة وعشرون قنديلا ومنها لجامع راشدة تنور واثنا عشر قنديلا وشرط أن تعلق فى شهر رمضان وتعاد الى مكان جرت عادتها أن تحفظ به وشرط شروطا كثيرة في الاوقاف منها

أنه اذا فضل شيء واجتمع يشترى به ملك فان عاز شيئاً واستهدم ولم يف الريع بعمارته بيع وعمر به وأشياء كثيرة وحبس فيه أيضاً عدة آدر وقياسر لا فائدة في ذكرها فانها مما خربت بمصر * قال ابن عبد الظاهر عن هذا الكتاب ورأيت منه نسخة وانتقلت الى قاضي القضاة تقي الدين ابن رزين وكان بصدر هذا الجامع في محرابه منطقة فضة كما كان في محراب جامع عمرو بن العاص بمصر قلع ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب في حادي عشر ربيع الاول سنة تسع وستين وخمسمائة لانه كان فيها انتهاء خلفاء الفاطميين فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نقرة وقلع أيضا المناطق من بقية الجوامع * ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضاً وجدده الحافظ لدين الله وأنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربي الذي في مقدم الجامع بداخل الرواقات عرفت بمقصورة فاطمة من أجل أن فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها رؤيت بها في المنام ثم انه جدد في أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى * قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في كتاب سيرة الملك الظاهر لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وستمائة اقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك أن الامير عز الدين ايدمر الحلي كان جار هذا الجامع من مدة سنين فرعى وفقه الله حرمة الجار ورأى أن يكون كما هو جاره في دار الدنيا انه غدا يكون ثوابه جاره في تلك الدار ورسم بالنظر في أمره وانتزع له أشياء مغصوبة كان شئ منها في ايدى جماعة وحاط أموره حتى جمع له شيأ صالحا وجرى الحديث في ذلك فتبرع الامير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال الجزيل وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع في عمارته فعمر الواهي من أركانه وجدرانه وبيضه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه حتى عاد حرما في وسط المدينة واستجد به مقصورة حسنة وأثر فيه آثارا صالحة يثيبه الله عليها وعمل الامير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعي رحمه الله ورتب في هذه المقصورة محدثا يسمع الحديث النبوى والرقائق ووقف على ذلك الاوقاف الدارة ورتب به سبعة لقراءة القرآن ورتب به مدرسا أثابه الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدث في اقامة جمعة فيه فنودي في المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيبا واقيمت الجمعة فيه في اليوم المذكور وحضر الاتابك فارس الدين والصاحب بهاء الدين على بن حنا وولده الصاحب فخر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهودا ولما فرغ من الجمعة جلس الامير عز الدين الحلي والاتابك والصاحب وقرئ القرآن ودعي للسلطان وقام الامير عز الدين ودخل الى داره ودخل معه الامراء فقدم لهم كل ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين وانفصلوا وكان قد جرى الحديث في أمر جواز الجمعة في الجامع وما ورد فيه من اقاويل العلماء وكتب فيها فتيا أخذ فيها خطوط العلماء بجواز الجمعة في هذا الجامع واقامتها فكتب

جماعة خطوطهم فيها واقيمت صلاة الجمعة به واستمرت ووجد الناس به رفقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكمى * قال وكان سقف هذا الجامع قد بني قصيرا فزيد فيه بعد ذلك وعلى ذراعا واستمرت الخطبة فيه حتى بني الجامع الحاكمى فانتقلت الخطبة اليه فان الخليفة كان يخطب فيه خطبة وفي الجامع الأزهر خطبة وفي جامع ابن طولون خطبة وفي جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر لما استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلد وظيفة القضاء لقاضى القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعى فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقر الخطبة بالجامع الحاكمى من اجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى أن اعيدت الخطبة فى أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم ذكره ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة سقط الجامع الازهر والجامع الحاكمي وجامع مصر وغيره فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع فتولى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكمى وتولى الامير سلار عمارة الجامع الازهر وتولى الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح فجددوا مبانيها وأعادوا ما تهدم منها * ثم جددت عمارة الجامع الازهر على يد القاضي نجم الدين محمد بن حسين بن على الاسعردى محتسب القاهرة فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة * ثم جددت عمارته في سنة احدى وستين وسبعمائة عندما سكن الامير الطواشى سعد الدين بشير الجامدار الناصري فى دار الامير فخر الدين أبان الزاهدى الصالحي النجمى بخط الابارين بجوار الجامع الازهر بعد ماهدمها وعمرها داره التى تعرف هناك الى اليوم بدار بشير الجامدار فأحب لقربه من الجامع أن يؤثر فيه أثرا صالحا فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى عمارة الجامع وكان أثيرا عنده خصيصا به فأذن له فى ذلك وكان قد استجد بالجامع عدة مقاصير ووضعت فيه صناديق وخزائن حتي ضيقته فأخرج الصناديق والخزائن ونزع تلك المقاصير وتتبع جدرانه وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبيض الجامع كله وبلطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصحفا وجعل له قارئا وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتا لتسبيل الماء العذب في كل يوم وعمل فوقه مكتب سبيل لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين طعاما يطبخ كل يوم وانزل اليه قدورا من نحاس جعلها فيه ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مدرسهم لالقاء الفقه فى المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة باقية الى يومنا هذا ومؤذنو الجامع يدعون فى كل جمعة وبعد كل صلاة للسلطان حسن الى هذا الوقت الذى نحن فيه * وفى سنة أربع وثمانين وسبعمائة ولى الامير

الطواشي بهادر المقدم على المماليك السلطانية نظر الجامع الازهر فتنجز مرسوم السلطان الملك الظاهر برقوق بأن من مات من مجاوري الجامع الازهر عن غير وارث شرعي وترك موجودا فانه يأخذه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحري * وفي سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعمرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نقرة وكملت في ربيع الآخر من السنة المذكورة فعلقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها الى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتلوا ختمة شريفة ودعوا للسلطان فلم تزل هذه المئذنة الى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة فهدمت لميل ظهر فيها وعمل بدلها منارة من حجر على باب الجامع البحري بعد ما هدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقده وأخذ الحجر لها من مدرسة الملك الاشرف خليل التي كانت تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وقام بعمارة ذلك الامير تاج الدين التاج الشوبكي والى القاهرة ومحتسبها الى أن تمت في جمادي الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت في صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفي شوال منها ابتدئ بعمل الصهريج الذي بوسط الجامع فوجد هناك آثار فسقية ماء ووجد أيضا رمم أموات وتم بناؤه في ربيع الاول وعمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة يسبل فيه الماء وغرس بصحن الجامع أربع شجرات فلم تفلح وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عند ما بنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الاقبغاوية الى أن بني الامير أقبغا عبد الواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الاقبغاوية هناك وأما هذه الميضأة التي بالجامع الآن فان الامير بدر الدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الاقبغاوية * وفي سنة ثمان عشرة وثمانمائة ولي نظر هذا الجامع الامير سودوب القاضي حاجب الحجاب فجرت في أيام نظاره حوادث لم يتفق مثلها وذلك أنه لم يزل في هذا الجامع منذ بني عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه وبلغت عدتهم في هذه الايام سبعمائة وخمسين رجلا ما بين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الانس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره وصار أرباب الاموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس اعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكل قليل تحمل اليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما في المواسم فأمر في جمادى الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق

وخزائن وكراسى المصاحف زعما منه أن هذا العمل مما يثاب عليه وما كان الامن أعظم الذنوب وأكثرها ضرراً فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعذر الاماكن عليهم فساروا فى القرى وتبذلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع أكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم وذكر الله ثم لم يرضه ذلك حتى زاد فى التعدى وأشاع أن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس في الجامع مابين تاجر وفقيه وجندى وغيرهم منهم من يقصد بمبيته البركة ومنهم من لايجد مكانا يأويه ومنهم من يستروح بمبيته هناك خصوصاً فى ليالى الصيف وليالى شهر رمضان فانه يمتلئ صحنه وأكثر رواقاته فلما كانت ليلة الاحد الحادى عشر من جمادى الآخرة طرق الامير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة والوقت صيف وقبض على جماعة وضربهم في الجامع وكان قد جاء معه من الاعوان والغلمان وغوغاء العامة ومن يريد النهب جماعة فحل بمن كان في الجامع انواع البلاء ووقع فيهم النهب فأخذت فرشهم وعمائمهم وفتشت أوساطهم وسلبوا ما كان مربوطا عليها من ذهب وفضة وعمل ثوبا أسود للمنبر وعلمين مزوقين بلغت النفقة على ذلك خمسة عشر ألف درهم على مابلغني فعاجل الله الامير سودوب وقبض عليه السلطان في شهر رمضان وسجنه بدمشق

(جامع الحاكم)

هذا الجامع بني خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة وأول من أسسه أمير المؤمنين العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ثم أكمله ابنه الحاكم بامر الله فلما وسع أمير الجيوش بدر الجمالى القاهرة وجعل أبوابها حيث هي اليوم صار جامع الحاكم داخل القاهرة وكان يعرف أولا بجامع الخطبة ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الانور * قال الامير مختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن احمد المسبحى في تاريخ مصر وفيه يعني شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة مما يلي باب الفتوح من خارجه وبدئ بالبناء فيه وتحلق فيه الفقهاء الذين يتحلقون في جامع القاهرة يعني الجامع الازهر وخطب فيه العزيز بالله * وقال في حوادث سنة احدى وثمانين وثلثمائة لاربع خلون من شهر رمضان صلى العزيز بالله في جامعه صلاة الجمعة وخطب وكان في مسيره بين يديه أكثر من ثلاثة آلاف وعليه طيلسان وبيده القضيب وفى رجله الحذاء وركب لصلاة الجمعة في رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة الى جامعه ومعه ابنه منصور فجعلت المظلة على منصور وسار العزيز بغير مظلة * وقال في حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وأمر الحاكم بامر الله ان يتم بناء الجامع الذى كان الوزير يعقوب بن كلس بدأ في بنيانه عند باب الفتوح فقدر للنفقة عليه أربعون الف دينار فابتدئ في العمل فيه

وفي صفر سنة احدى وأربعمائة زيد فى منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أركان طول كل ركن مائة ذراع وفي سنة ثلاث وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج اليه جامع باب الفتوح من الحصر والقناديل والسلاسل فكان تكسير ماذرع للحصر ستة وثلاثين الف ذراع فبلغت النفقة على ذلك خمسة آلاف دينار * قال وتم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح وعاق على سائر أبوابه ستور ديبقية عملت له وعاق فيه تنانير فضة عدتها أربع وكثير من قناديل فضة وفرش جميعه بالحصر التي عملت له ونصب فيه المنبر وتكامل فرشه وتعليقه وأذن في ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة لمن بات فى الجامع الازهر أن يمضوا اليه فمضوا وصار الناس طول ليلتهم يمشون من كل واحد من الجامعين الى الآخر بغير مانع لهم ولا اعتراض من أحد من عسس القصر ولا أصحاب الطوف الى الصبح وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة وهى أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه * وفى ذى القعدة سنة أربع وأربعمائة حبس الحاكم عدة قياسر وأملاك على الجامع الحاكمي بباب الفتوح * قال ابن عبد الظاهر وعلى باب الجامع الحاكمي مكتوب انه أمر بعمله الحاكم أبو على المنصور في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وعلى منبره مكتوب انه أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمي المنشأ بظاهر باب الفتوح فى سنة ثلاث وأربعمائة ورأيت فى سيرة الحاكم وفى يوم الجمعة أقيمت الجمعة فى الجامع الذي كان الوزير أنشأه بباب الفتوح * ورأيت فى سيرة الوزير المذكور فى يوم الاحد عاشر رمضان سنة تسع وسبعين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة خارج الطابية مما يلى باب الفتوح قال وكان هذا الجامع خارج القاهرة فجدد بعد ذلك باب الفتوح وعلى البدنة التي تجاور باب الفتوح وبعض البرج مكتوب ان ذلك بنى سنة ثلاثين وأربعمائة فى زمن المستنصر بالله ووزارة أمير الجيوش(٣) فيكون بينهما سبع وثمانون سنة قال والفسقية وسط الجامع بناها الصاحب عبد الله بن على بن شكر وأجرى الماء اليها وأزالها القاضي تاج الدين بن شكر وهو قاضى القضاة فى سنة ستين وستمائة والزيادة التي الى جانبه قيل انها بناء ولده الظاهر على ولم يكملها وكان قد حبس فيها الفرنج فعملوا فيها كنائس هدمها الملك الناصر صلاح الدين وكان قد تغلب عليها وبنيت اصطبلات وبلغنى أنها كانت في الايام المتقدمة قد جعلت اهراء للغلال فلما كان فى الايام الصالحية ووزارة معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ للملك الصالح أيوب ولد الكامل ثبت عند الحاكم أنها من الجامع وأن بها محراباً فانتزعت واخرج الخيل منها وبقي فيها ماهو الآن في الايام المعزية على يد الركن الصيرفى ولم يسقف ثم جدد هذا الجامع فى سنة ثلاث وسبعمائة وذلك انه لما كان يوم الخميس ثالث عشري ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة تزلزلت أرض مصر

(٣) (قوله فيكون بينهما الخ) هكذا في نسخ الاصل وفيه نظر اهـ

والقاهرة وأعمالهما ورجف كل ما عليهما واهتز وسمع للحيطان قعقعة وللسقوف قرقعة ومارت الارض بما عليها وخرجت عن مكانها وتخيل الناس أن السماء قد انطبقت على الارض فهربوا من اماكنهم وخرجوا عن مساكنهم وبرزت النساء حاسرات وكثر الصراخ والعويل وانتشرت الخلائق فلم يقدر أحد على السكون والقرار لكثرة ماسقط من الحيطان وخر من السقوف والمآذن وغير ذلك من الابنية وفاض ماء النيل فيضا غير المعتاد وألقى ما كان عليه من المراكب التي بالساحل قدر رمية سهم وانحسر عنها فصارت على الارض بغير ماء واجتمع العالم في الصحراء خارج القاهرة وباتوا ظاهر باب البحر بحرمهم وأولادهم في الخيم وخلت المدينة وتشعثت جميع البيوت حتى لم يسلم ولا بيت من سقوط أو تسقط أو ميل وقام الناس في الجوامع يبتهلون ويسألون الله سبحانه طول يوم الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة فكان مما تهدم في هذه الزلزلة الجامع الحاكمي فانه سقط كثير من البدنات التي فيه وخرب أعالي المئذنتين وتشعث سقوفه وجدرانه فانتدب لذلك الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ونزل اليه ومعه القضاة والامراء فكشفه بنفسه وأمر برم ماتهدم منه واعادة ماسقط من البدنات فأعيدت وفي كل بدنة منها طاق وأقام سقوف الجامع وبيضه حتى عاد جديدا وجعل له عدة أوقاف بناحية الجيزة وفي الصعيد وفي الاسكندرية تغل كل سنة شيئا كثيرا ورتب فيه دروسا أربعة لاقراء الفقه على مذاهب الائمة الاربعة ودرسا لاقراء الحديث النبوي وجعل لكل درس مدرسا وعدة كثيرة من الطلبة فرتب في تدريس الشافعية قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي وفي تدريس الحنفية قاضي القضاة شمس الدين احمد السروجي الحنفي وفي تدريس المالكية قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة شرف الدين الحراني وفي درس الحديث الشيخ سعد الدين مسعودا الحارثي وفي درس النحو الشيخ أثير الدين أباحيان وفي درس القراآت السبع الشيخ نور الدين الشطنوفي وفي التصدير لافادة العلوم علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي وفي مشيخة الميعاد المجد عيسى بن الخشاب وعمل فيه خزانة كتب جليلة وجعل فيه عدة متصدرين لتلقين القرآن الكريم وعدة قراء يتناوبون قراءة القرآن ومعلما يقرئ أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل وحفر فيه صهريجا بصحن الجامع ليملأ في كل سنة من ماء النيل ويسبل منه الماء في كل يوم ويستقي منه الناس يوم الجمعة وأجرى على جميع من قرره فيه معالم دارة وهذه الاوقاف باقية الى اليوم الا أن أحوالها اختلت كما اختل غيرها فكان ماانفق عليه زيادة على أربعين ألف دينار * وجرى في بنائه لهذا الجامع أمر يتعجب منه وهو ماحدثني به شيخنا الشيخ المعروف المسند المعمر أبو عبد الله محمد بن ضرغام بن شكر المقرى بمكة في سنة سبع وثمانين وسبعمائة قال أخبرني من حضر عمارة الامير بيبرس للجامع الحاكمي عند سقوطه

في سنة الزنزلة انه لما شرع البناة في ترميم ماوهى من المئذنة التي هي من جهة باب الفتوح ظهر لهم صندوق في تضاعيف البنيان فاخرجه الموكل بالعمارة وفتحه فاذافيه قطن مامفوف على كف انسان بزنده وعليه أسطر مكتوبة لم يدر ماهى والكف طرية كانها قريبة عهد بالقطع ثم رأيت هذه الحكاية بخط مؤلف السيرة الناصرية موسى بن محمد بن يحيي أحد مقدمى الحلقة ثم جدد هذا الجامع وباط جبيه في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون في ولايته الثانية على يد الشيخ قطب الدين محمد الهرماس في سنة ستين وسبعمائة ووقف قطعة أرض على الهرماس وأولاده وعلى زيادة في معلوم الامام بالجامع وعلى مايحتاج اليه في زيت الوقود ومرمة في سقفه وجدرانه وجري في عمارة الجامع على يد الهرماس ماحدثني به الشيخ المعمر شمس الدين محمد بن على امام الجامع الطيبرسى بشاطئ النيل قال أخبرني محمد بن عمر البوصيري قال حدثنا قطب الدين محمد الهرماس أنه رأى بالجامع الحاكمي حجرا ظهر من مكان قد سقط منقوش عليه هذه الابيات الخمسة

ان الذي أسررت مكنون اسمه * وكتمته كيما افوز بوصله
مال له جذر تساوى في الهجا * طرفاه يضرب بعضه فى مثله
فيصير ذاك المال الا انه * في النصف منه تصاب أحرف كله
واذا نطقت بربعه متكلما * من بعد أوله نطقت بكله
لانقط فيه اذا تكامل عده * فيصير منقوطا بجملة شكله

قال وهذه الابيات لغز فى الحجر المكرم * وقال العلامة شمس الدين محمد بن النقاش فى كتاب العبر فى أخبار من مضى وغبر وفى هذه السنة يعني سنة احدى وستين وسبعمائة صودر الهرماس وهدمت داره التي بناها أمام الجامع الحاكمى وضرب ونفى هو وولده فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرون من ذى القعدة استفتى السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى وقف حصة طندتا وهى الارض التي كان قد سأله الهرماس ان يقفها على مصالح الجامع الحاكمي فعين له خمسمائة وستين فدانا من طين طندتا وطلب الموقعين وأمرهم أن يكتبوا صورة وقفها ويحضروه ليشهدوا عليه به وكان قد تقرر من شروطه في أوقافه ماقيل انه رواية عن أبي حنيفة رحمة الله تعالى عليه من أن للواقف أن يشترط فى وقفه التغيير والزيادة والنقص وغير ذلك فأحضر الكركي الموقع اليه الكتاب مطويا فقرأ منه طرته وخطبته وأوله ثم طواه وأعاده اليه مطويا وقال اشهدوا بما فيه دون قراءة وتأمل فشهدوا هم بالتفصيل الذى كتبوه وقرروه مع الهرماس ولما اطلع السلطان على ذلك بعد نفى الهرماس طلب الكركي وسأله عن هذه الواقعة فأجاب بما قد ذكرنا والله أعلم بصحة ذلك غير أن المعلوم المقرر أن السلطان ماقصد الا مصالح الجامع ثم سأله ازدمر الخازندار

هل وقفت حصة لطيفة على اولاد الهرماس فانه قد ذكر ذلك فقال نعم أنا وقفت عليهم جزأ يسيرا لم أعلم مقداره وأما التفصيل المذكور فى كتاب الوقف فلم أحققه ولم أطلع عليه فاستفتي المفتين فى هذه الواقعة فأما المفتون كابن عقيل وابن السبكي والبلقيني والبسطامى والهندى وابن شيخ الجبل والبغدادي ونحوهم فأجابوا ببطلان الحكم المترتب على هذه الشهادة الباطلة و بطلان التنفيذ وكان الحنفى حكم والبقية نفذوا وأما الحنفى فقال ان الوقف اذا صدر صحيحاً على الاوضاع الشرعية فانه لايبطل بما قاله الشاهد وهو جواب عن نفس الواقعة وأما الشافعى فكتب ما مضمونه ان الحنفى ان اقتضى مذهبه بطلان ما صححه أولا نفذ بطلانه وحاصل ذلك أن القضاة أجابوا بالصحة والمفتين أجابوا بالبطلان فطلب السلطان المفتين والقضاة فلم يحضر من الحكام غير نائب الشافعي وهو تاج الدين محمد بن اسحاق ابن المناوى والقضاة الثلاثة الشافعى والحنفى والحنبلى وجدوا مرضى لم يمكنهم الحضور الى سرياقوس فان السلطان كان قد سرح اليها على العادة في كل سنة فجمعهم السلطان فى برج من القصر الذى بميدان سرياقوس عشاء الآخرة وذكر لهم القضية وسألهم عن حكم الله تعالى فى الواقعة فأجاب الجميع بالبطلان غير المناوى فانه قال مذهب أبي حنيفة أن الشهادة الباطلة اذا اتصل بها الحكم صح ولزم فصرخت عليه المفتون شافعيهم وحنفيهم أما شافعيهم فانه قال ليس هذا مذهبك ولا مذهب الجمهور ولا هو الراجح فى الدليل والنظر وقال له ابن عقيل هذا مما ينقض به الحكم لو حكم به حاكم وادعى قيام الاجماع على ذلك وقال له سراج الدين البلقيني ليس هذا مذهب أبى حنيفة ومذهبه في العقود والفسوخ ما ذكرت من أن حكم الحاكم يكون هو المعتمد فى التحليل والتحريم وأما الاوقاف ونحوها فحكم الحاكم فيها لاأثر له كمذهب الشافعى وادعوا أن الاجماع قائم على ذلك وقاموا على المناوى في ذلك قومة عظيمة فقال نحن نحكم بالظاهر فقالوا له مالم يظهر الباطن بخلافه فقال قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر قالوا هذا الحديث كذب على النبى صلى الله عليه وسلم وانما الحديث الصحيح حديث انما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض الحديث قال المناوى الاحكام ماهي بالفتاوى قالوا له فهل تكون في الوجود حكم شرعى بغير فتوى من الله ورسوله وكان قد قال فى مجلس ابن الدريهم القائم على نفيس اليهودى المدعو برأس الجالوت بين اليهود لايلتفت لقول المفتين فقيل له فى هذا المجلس ها أنت قد قلت مرتين ان المفتين لايعتبر قولهم وان الفتاوى لايعتد بها وقد أخطأت فى ذلك أشد الخطأ وأنبأت عن غاية الجهل فان منصب الفتوى أول من قام به رب العالمين اذ قال في فى كتابه المبين يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وقال يوسف عليه السلام قضي الامر الذى فيه تستفتيان وقال النبي صلي الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها قد أفتانى الله ربي

فيما استفتيته وكل حكم جاء علي سؤال سائل تكفل ببيانه قرآن أو سنة فهو فتوى والقائم به مفت فكيف تقول لايلتفت الى الفتوي أو الى المفتين فقال سراج الدين الهندى وغيره هذا كفر ومذهب أبي حنيفة أن من استخف بالفتوى أو المفتين فهو كافر فاستدرك نفسه بعد ذلك وقال لم أرد الا أن الفتوى اذا خالفت المذهب فهي باطلة قالوا له وأخطأت في ذلك أيضا لان الفتوى قد تخالف المذهب المعين ولا تخالف الحق في نفس الامر قال فأردت بالفتوي التي تخالف الحق قالوا فأطلقت في موضع التقييد وذلك خطأ فقال السلطان حينئذ فاذا قدر هذا وادعيت أن الفتوى لاأثر لها فنبطل المفتين والفتوى من الوجود فتناكا وتحاروقال كيف أعمل في هـذا فتبين لبعض الحاضرين انه استشكل المسألة ولم يتبين له وجهها فقال لاشك أن مولانا السلطان لم ينكر صدور الوقف وانما انكر المصارف وأن تكون الجهة التي عينها هي هرماس وشهوده وقضاته وللسلطان أن يحكم فيها بعلمه ويبطل ماقرروه من عند أنفسهم قال كيف يحكم لنفسه قيل له ليس هذا حكما لنفسه لانه مقر بأصل الوقف وهو للمستحقين ليس له فيه شيء وانما بطال وصف الوقف وهو المصرف الذي قرر على غير جهة الوقف وله ان يوقع الشهادة على نفسه بحكم أن مصرف هذا الوقف الجهة الفلانية دون الفلانية ولم يزالوا يذكرون له أوجها تبين بطلان الوقف اما بأصله أو بوصفه الى أن قال يبطل بوصفه دون أصله وأذعن لذلك بعد اتعاب من العلماء وازعاج شديد من السلطان في بيان وجوه ذكروها تبين وجه الحق وانه انما وقفه على مصالح الجامع المذكور وهذا مما لايشك فيه عاقل ولا يرتاب فالتفت بعد ذلك وقال للحاضرين كيف نعمل في ابطاله فقالوا بما قررناه من اشهاد السلطان على نفسه بتفصيل صحيح وانه لم يزل كذلك منذ صدر منه الوقف الى هذا الحد وغير ذلك من الوجوه فجعل يوهم السلطان أن الشهود الذين شهدوا في هذا الوقف متي بطل هـذا الوقف ثبت عليهم التساهل وجرحوا بذلك وقدح ذلك فى عدالتهـم ومتي جرحوا الآن لزم بطلان شهادتهم في الاوقاف المتقدمة على هـذا التاريخ وخيل بذلك للسلطان حتى ذكر له اجماع المسلمين على أن جرح الشاهد لاينعطف على ما مضى من شهاداته السالفة ولو كفر والعياذ بالله وهذا مما لا خلاف فيه ثم استقر رأيه على أن يبطله بشاهدين يشهدان أن السلطان لما صدر منه هذا الوقف كان قد اشترط لنفسه التغيير والتبديل والزيادة والنقص وقام على ذلك * قال مؤلفه رحمه الله انظر تثبت القضاة وقايس بين هذه الواقعـة وما كان من تثبت القاضى تاج الدين المناوى وهو يومئذ خليفة الحكم ومصادمته الجبال وبين ما ستقف عليه من التساهل والتناقض فى خبر أوقاف مدرسة جمال الدين يوسف الاستادار وميز بعقلك فرق ما بين القضيتين وهـذه الارض التى ذكرت هي الآن بيد أولاد الهرماس بحكم الكتاب الذى حاول السلطان نقضه

فلم يوافق المناوى والجامع الآن متهدم وسقوفه كلها ما من زمن الا ويسقط منها الشيء بعد الشيء فلا يعاد وكانت ميضأة هذا الجامع صغيرة بجوار ميضأته الآن فما بينها وبين باب الجامع وموضعها الآن مخزن تعلوه طبقة عمرها شخص من الباعة يعرف بابن كرسون المراحلى وهذه الميضأة الموجودة الآن أحدثت وأنشأ الفسقية التى فيها ابن كرسون في أعوام بضع وثمانين وسبعمائة وبيض مئذنتي الجامع واستجد المئذنة التي بأعلى الباب المجاور للمنبر رجل من الباعة وكملت في جمادي الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة وخرق سقف الجامع حتي صار المؤذنون ينزلون من السطح الى الدكة التى يكبرون فوقها وراء الامام

(هيئة صلاة الجمعة في أيام الخلفاء الفاطميين) قال المسبحي وفي يوم الجمعة غرة رمضان سنة ثمانين وثلثمائة ركب العزيز بالله الى جامع القاهرة بالمظلة المذهبة وبين يديه نحو خمسة آلاف ماش وبيده القضيب وعليه الطيلسان والسيف فخطب وصلى صلاة الجمعة وانصرف فأخذ رقاع المتظلمين بيده وقرأ منها عدة فى الطريق وكان يوما عظيما ذكرته الشعراء * قال ابن الطوير اذا انقضى ركوب أول شهر رمضان استراح في أول جمعة فاذا كانت الثانية ركب الخليفة الى الجامع الانور الكبير في هيئة المواسم بالمظلة وما تقدم ذكره من الآلات ولباسه فيه ثياب الحرير البيض توقيرا للصلاة من الذهب والمنديل والطيلسان المقور الشعرى فيدخل من باب الخطابة والوزير معه بعد أن يتقدمه فى أوائل النهار صاحب بيت المال وهو المقدم ذكره في الاستاذين وبين يديه الفرش المختصة بالخليفة اذا صار اليه في هذا اليوم وهو محمول بأيدى الفراشين المميزين وهو ملفوف فى العراضى الديبقية فيفرش في المحراب ثلاث طراحات اما سامان أوديبقي ابيض أحسن مايكون من صنفهما كل منهما منقوش بالحمرة فتجعل الطراحات متطابقات ويعلق ستران يمنة ويسرة وفي الستر الايمن كتابة مرقومة بالحرير الاحمر واضحة منقوطة أولها البسملة والفاتحة وسورة الجمعة وفى الستر الايسر مثل ذلك وسورة اذا جاءك المنافقون قد أسبلا وفرشا في التعليق بجانبي المحراب لاصقين بجسمه ثم يصعد قاضى القضاة المنبر وفي يده مدخنة لطيفة خيزران يحضرها اليه صاحب بيت المال فيها جمرات ويجعل فيها ندّ مثلث لايشم مثله الا هناك فيبخر الذروة التي عليها الغشاء كالقبة لجلوس الخليفة للخطابة ويكرر ذلك ثلاث دفعات فيأتى الخليفة فى هيئة موقرة من الطبل والبوق وحوالى ركابه خارج أصحاب الركاب القراء وهم قراء الحضرة من الجانبين يطربون بالقراءة نوبة بعد نوبة يستفتحون بذلك من ركوبه من الكرسى على ما تقدم طول طريقه الى قاعة الخطابة من الجامع ثم تحفظ المقصورة من خارجها بترتيب اصحاب الباب واسفهسلار العساكر ومن داخلها الى آخرها صبيان الخاص وغيرهم ممن يجرى مجراهم ومن داخلها من باب خروجه الى المنبر واحد فواحد فيجلس في القاعة وان احتاج

الى تجديد وضوء فمل والوزير في مكان آخر فاذا أذن بالجمعة دخل اليه قاضى القضاة فقال له السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضى ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فيخرج ماشيا وحواليه الاستاذون المحنكون والوزير وراءه ومن يليهم من الخواص وبأيديهم الاسلحة من صبيان الخاص وهم أمراء وعليهم هذا الاسم فيصعد المنبر الى أن يصل الى الذروة تحت تلك القبة المبخرة فاذا استوى جالسا والوزير على باب المنبر ووجهه اليه فيشير اليه بالصعود فيصعد الى أن يصل اليه فيقبل يديه ورجليه بحيث يراه الناس ثم يزرر عليه تلك القبة لأنها كالهودج ثم ينزل مستقبلا فيقف ضابطا لباب المنبر فان لم يكن ثم وزير صاحب سيف زرر عليه قاضى القضاة كذلك ووقف صاحب الباب ضابطا للمنبر فيخطب خطبة قصيرة من مسطور يحضر اليه من ديوان الانشاء يقرأ فيها آية من القرآن الكريم ولقد سمعته مرة في خطابته بالجامع الازهر وقد قرأ فى خطبته رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية ثم يصلى على أبيه وجده يعنى بهما محمدا صلى الله عليه وسلم وعليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ويعظ الناس وعظا بليغا قليل اللفظ وتشتمل الخطبة على الفاظ جزلة ويذكر من سلف من آبائه حتي يصل الى نفسه فقال وأنا اسمعه اللهم وأنا عبدك وابن عبدك لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ويتوسل بدعوات فخمة تليق بمثله ويدعو للوزير ان كان وللجيوش بالنصر والتأليف وللعساكر بالظفر وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر ثم يختم بقوله اذكروا الله يذكركم فيطلع اليه من زرر عليه ويفك ذلك التزرير وينزل القهقرى وسبب التزرير عليهم قراءتهم من مسطور لا كعادة الخطباء فينزل الخليفة ويصير على تلك الطراحات الثلاث في المحراب وحده أماما ويقف الوزير وقاضى القضاة صفا ومن ورائهما الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون وأرباب الرتب من اصحاب السيوف والاقلام والمؤذنون وقوف وظهورهم الى المقصورة لحفظه فاذا سمع الوزير الخليفة أسمع القاضى فأسمع القاضى المؤذنين وأسمع المؤذنون الناس هذا والجامع مشحون بالعالم للصلاة وراءه فيقرأ ماهو مكتوب فى الستر الايمن فى الركعة الاولى وفي الركعة الثانية ما هو مكتوب في الستر الايسر وذلك علي طريق التذكار خيفة الارتجاج فاذا فرغ خرج الناس وركبوا أولا فأولا وعاد طالبا القصر والوزير وراءه وضربت البوقات والطبول فى العود فاذا أتت الجمعة الثانية ركب الى الجامع الازهر من القشاشين على المنوال الذى ذكرناه والقالب الذى وصفناه فاذا كانت الجمعة الثالثة أعلم بركوبه الى مصر للخطابة في جامعها فيزين له من باب القصر أهل القاهرة الى جامع ابن طولون ويزين له أهل مصر من جامع ابن طولون الى الجامع بمصر يرتب ذلك والى مصر كل أهل معيشة فى مكان فيظهر المختار من الآلات والستور المثمنات ويهتمون بذلك ثلاثة أيام بلياليهن والوالى مارّ وعائد بينهم وقد ندب

من يحفظ الناس ومتاعهم فيركب يوم الجمعة المذكور شاقا لذلك كله على الشارع الاعظم الى مسجد عبد الله الخراب اليوم الى دار الانماط الى الجامع بمصر فيدخل اليه من المعونة ومنها باب متصل بقاعة الخطيب بالزى الذى تقدم ذكره فى خطبة الجامعين بالقاهرة وعلى ترتيبهما فاذا قضى الصلاة عاد الى القاهرة من طريقه بعينها شاقا بالزينة الى أن يصل الى القصر ويعطى أرباب المساجد التي يمر عليها كل واحد دينارا * وقال ابن المأمون ووصل من الطراز الكسوة المختصة بغرة شهر رمضان وجمعتيه برسم الخليفة للغرة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من الشهر بدلة موكبية حرير مكملة منديلها وطيلسانها بياض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعرى وماهو برسم أخي الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة وبرسم أربع جهات للخليفة أربع حلل مذهبات وبرسم الوزير للغرة خلعة مذهبة مكملة موكبية وبرسم الجمعتين بدلتان حريريتان ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير في ذلك شئ فنذكره

* (جامع راشدة) *

هذا الجامع عرف بجامع راشدة لانه في خطة راشدة قال القضاعى خطة راشدة بن أدوب ابن جديلة من لخم هى متاخمة للخطة التي قبلها الى الدير المعروف كان بأبي تكموس ثم هدم وهو الجامع الكبير الذى براشدة وقد دثرت هذه الخطة ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة راشدة والجنان التي كانت تعرف بكهمس بن معر ثم عرفت بالماردانى وهى اليوم تعرف بالامير تميم * وقال المسبحى في حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وابتدئ بناء جامع راشدة في سابع عشر ربيع الآخر وكان مكانه كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى فبني بالطوب ثم هدم وزيد فيه وبني بالحجر وأقيمت به الجمعة وقال في سنة خمس وتسعين وثلثمائة وفيه يعني شهر رمضان فرش جامع راشدة وتكامل فرشه وتعليق قناديله وما يحتاج اليه وركب الحاكم بأمر الله عشية يوم الجمعة الخامس عشر منه وأشرف عليه وقال في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وفيه يعني شهر رمضان صلي الحاكم بجامعه الذى أنشأه براشدة صلاة الجمعة وخطب وفي شهر رمضان سنة أربعمائة أنزل بقناديل وتنور من فضة زنتها ألوف كثيرة فعلقت بجامع راشدة وفي سنة احدى وأربعمائة هدم وابتدئ في عمارته من صفر وفى شهر رمضان سنة ثلاث واربعمائة صلى الحاكم فى جامع راشدة صلاة الجمعة وعليه عمامة بغير جوهر وسيف محلى بفضة بيضاء دقيقة والناس يمشون بركابه من غير أن يمنع أحد منه وكان يأخذ قصصهم ويقف وقوفا طويلا لكل منهم واتفق يوم الجمعة حادى عشر جمادي الآخرة سنة أربع عشرة وأربعمائة أن خطب فيه خطيبتان معا على المنبر وذلك أن أباطالب على بن عبد السميع العباسي استقر في خطابته باذن قاضى القضاة أبي العباس أحمد بن محمد بن العوام بعد

سفر العفيف البخارى الى الشام فتوصل ابن عصفورة الى أن خرج له أمر أمير المؤمنين الظاهر لاعز ازدين الله أبي الحسن على بن الحاكم بأمر الله أن يخطب فصمدا جميعا المنبر ووقف أحدهما دون الآخر وخطبا معا ثم بعد ذلك استقر أبو طالب خطيبا وأن يكون ابن عصفورة يخالفه وقال ابن المتوج هذا الجامع فيما بين دير الطين والفسطاط وهو مشهور الآن بجامع راشدة وليس بصحيح وانما جامع راشدة كان جامعا قديم البناء بجوار هذا الجامع عمر فى زمن الفتح عمرته راشدة وهى قبيلة من القبائل كقبيلة تجيب ومهرة نزلت فى هذا المكان وعمروا فيه جامعا كبيرا أدركت أنا بعضه ومحرابه وكان فيه نخل كثير من نخل المقل ومن جملة مارأيت فيه نخلة من المقل عددت لها سبعة رؤس مفرعة منها فذاك الجامع هو المعروف بجامع راشدة وأما هذا الموجود الآن فمن عمارة الحاكم ولم يكن فى بناء الجوامع أحسن من بنائه وقيل عمرته حظية الخليفة وكان اسمها راشدة وليس بصحيح والاول هو الصحيح وفيه الآن نخل وسدر وبئر وساقية رجل وهو مكان خلوة وانقطاع ومحل عبادة وفراغ من تعلقات الدنيا * قال مؤلفه هذا وهم من ابن المتوج في موضعين *(أولهما) أن راشدة عمرت هذا الجامع فى زمن فتح مصر وهذا قول لم يقله أحد من مؤرخي مصر فهذا الكندى ثم القضاعى وعليهما يعول فى معرفة خطط مصر ومن قبلهما ابن عبد الحكم لم يقل أحد منهم ان راشدة عمرت زمن الفتح مسجدا ولا يعرف من هذا السلف رحمهم الله في جند من أجناد الامصار التي فتحتها الصحابة رضى الله عنهم انهم أقاموا خطبتين في مسجد واحد وقد حكينا ماتقدم عن المسبحي وهو مشاهد مانقله من بناء الجامع المذكور في موضع الكنيسة بأمر الحاكم بأمر الله وتغييره لبنائه غير مرة وتبعه القضاعى على ذلك وقد عد القضاعى والكندى في كتابيهما المذكور فيهما خطط مصر ماكان بمصر من مساجد الخطبة القديمة والمحدثة وذكرا مساجد راشدة ولم يذكرا فيها جامعا اختطته راشدة وذكرا هذا الدير وعين القضاعي اسمه هدم وبنى في مكانه جامع راشدة وناهيك بهما معرفة لآثار مصر وخططها * (والوهم الثاني) * الاستدلال على الوهم الاول بمشاهدة بقايا مسجد قديم ولا ادرى كيف يستدل بذلك فمن أنكر أن يكون قد كان هناك مسجد بل المدعي انه كان لراشدة مساجد لكن كونها اختطت جامعا هذا غير صحيح وقال ابن أبي طي في أخبار سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة في كتابه تاريخ حلب كانت النصاري اليعقوبية قد شرعوا فى انشاء كنيسة كانت قد اندرست لهم بظاهر مصر فى الموضع المعروف براشدة فثار قوم من المسلمين وهدموا مابني النصاري وأنهى الى الحاكم ذلك وقيل له ان النصارى ابتدأوا بناءها وقال النصارى انها كانت قبل الاسلام فأمر الحاكم الحسين بن جوهر بالنظر في حال الفريقين فمال فى الحكم مع النصارى وتبين للحاكم ذلك فأمر ان تبنى تلك الكنيسة مسجدا جامعا فبني في أسرع وقت وهو جامع راشدة

وراشدة اسم للكنيسة وكان بجواره كنيستان احداهما لليعقوبية والاخرى للنسطورية فهدمتا أيضا وبنيتا مسجدين وكان في حارة الروم بالقاهرة آدر للروم وكنيستان لهم فهدمتا وجعلتا مسجدين أيضا وحول الروم الى الموضع المعروف بالحمراء وأسس الروم ثلاث كنائس عوضا عما هدم لهم وهذا أيضا مصرح بأن جامع راشدة أسسه الحاكم وفيه وهم لكونه جعل راشدة اسما للكنيسة وانما راشدة اسم لقبيلة من العرب نزلوا عند الفتح هناك فعرفت تلك البقاع بخطة راشدة وقد جدد جامع راشدة مرارا وأدركته عامرا تقام فيه الجمعة ويمتلئ بالناس لكثرة من حوله من السكان وانما تعطل من اقامة الجمعة بعد حوادث سنة ست وثمانمائة وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة راشدة بطن من لخم وهم ولد راشدة بن الحارث بن أد بن جديلة من لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد وقيل راشدة بن أدوب ويقال لراشدة خالفة ولهم خطة بمصر بالجبل المعروف بالرصد المطل على بركة الحبش وقد دثرت الخطة ولم يبق في موضعها الا الجامع الحاكمي المعروف بجامع راشدة

* (جامع المقس) *

هذا الجامع أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس في (٣) لان المقس كان خطة كبيرة وهي بلد قديم من قبل الفتح كما تقدم ذكر ذلك في هذا الكتاب وقال في الكتاب الذى تضمن وقف الحاكم بأمر الله الاماكن بمصر على الجوامع كما ذكر في خبر الجامع الازهر مانصه ويكون جميع مابقي مما تصدق به على هذه المواضع يصرف في جميع مايحتاج اليه في جامع المقس المذكور من عمارته ومن ثمن الحصر العبدانية والمظفورة وثمن العود للبخور وغيره على ماشرح من الوظائف في الذى تقدم وكان لهذا الجامع نخل كثير في الدولة الفاطمية ويركب الخليفة الى منظرة كانت بجانبه عند عرض الاسطول فيجلس بها لمشاهدة ذلك كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر المناظر وفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة انشقت زربية من هذا الجامع في شهر رمضان لكثرة زيادة ماء النيل وخيف على الجامع السقوط فأمر بعمارتها * ولما بني السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب هذا السور الذى على القاهرة وأراد أن يوصله بسور مصر من خارج باب البحر الى الكوم الاحمر حيث منشأة المهراني اليوم وكان المتولى لعمارة ذلك الامير بهاء الدين قراقوش الاسدي أنشأ بجوار جامع المقس برجا كبيرا عرف بقلعة المقس في مكان المنظرة التى كانت للخلفاء فلما كان في سنة سبعين وسبعمائة جدد بناء هذا الجامع الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسي وهدم القلعة وجعل مكانها جنينة واتهمه الناس بأنه وجد هنالك مالا كثيرا وأنه عمر منه الجامع المذكور فصار العامة اليوم يقولون جامع المقسي ويظن من لاعلم عنده أن هذا الجامع من انشائه وليس كذلك بل انما جدده وبيضه وقد انحسر ماء النيل عن تجاه هذا

الجامع كما ذكر في خبر بولاق والمقس وصار هذا الجامع اليوم على حافة الخليج الناصري وأدركنا ماحوله في غاية العمارة وقد تلاشت المساكن التي هناك وبها الى اليوم بقية يسيرة ونظر هذا الجامع اليوم بيد أولاد الوزير المقسي فانه جدده وجعل عليه أوقافا ومدرس وخطيب وقومة ومؤذنين وغير ذلك وقال جامع السيرة الصلاحية وهذا المقسم على شاطئ النيل يزار وهناك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذى قسمت فيه الغنيمة عند استيلاء الصحابة رضى الله عنهم على مصر فلما أمر السلطان صلاح الدين بادارة السور على مصر والقاهرة تولى ذلك بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التي تلي القاهرة عند المقس وبنى فيه برجا يشرف على النيل وبنى مسجده جامعا واتصلت العمارة منه الى البلد وصار تقام فيه الجمع والجماعات

* (العزيز بالله) * أبو النصر نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد ولد بالمهدية من بلاد أفريقية في يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة وقدم مع أبيه الى القاهرة وولى العهد فلما مات المعز لدين الله أقيم من بعده فى الخلافة يوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة فأذعن له سائر عساكر أبيه واجتمعوا عليه وسير يذهب الى بلاد المغرب فرق في الناس وأقر يوسف بن ملكين على ولاية أفريقية وخطب له بمكة ووافى الشام عسكر القرامطة فصاروا مع افتكين التركي وقوى بهم وساروا الى الرملة وقاتلوا عساكر العزيز بيافا فبعث العزيز جوهرا القائد بعساكر كثيرة وملك الرملة وحاصر دمشق مدة ثم رحل عنها بغير طائل فأدركه القرامطة وقاتلوه بالرملة وعسقلان نحو سبعة عشر شهرا ثم خلص من تحت سيوف افتكين وسار الى العزيز فوافاه وقد برز من القاهرة فسار معه ودخل العزيز الى الرملة وأسر أفتكين في المحرم سنة ثمان وستين وثلثمائة فأحسن اليه وأكرمه اكراما زائدا فكتب اليه الشريف أبو اسماعيل ابراهيم الرئيس يقول يامولانا لقد استحق هذا الكافر كل عذاب والعجب من الاحسان اليه فلما لقيه قال ياابراهيم قرأت كتابك في أمر أفتكين وأنا أخبرك اعلم أنا قد وعدناه الاحسان والولاية فلما قبل وجاء الينا نصب فازاته وخيامه حذاءنا وأردنا منه الانصراف فلج وقاتل فلما ولى منهزما وسرت الى فازاته ودخلتها سجدت لله شكرا وسألته أن يفتح لى بالظفر به فجئ به بعد ساعة أسيرا أترى يليق بى غير الوفاء ولما وصل العزيز الى القاهرة اصطنع افتكين وواصله بالعطايا والخلع حتى قال لقد احتشمت من ركوبي مع الخليفة مولانا العزيز بالله ونظرى اليه بما غمرني من فضله واحسانه فلما بلغ العزيز ذلك قال لعمه حيدرة ياعم أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضة والجواهر ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وأن يكون ذلك كله من عندى ومات بمدينة بلبيس من مرض طويل بالقولنج والحصاة في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فحمل الى

القاهرة ودفن بتربة القصر مع آبائه وكانت مدة خلافته بعد أبيه المعز احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً ومات وعمره أثنتان وأربعون سنة وثمانية اشهر وأربعة عشر يوما وكان نقش خاتمه بنصر العزيز الجبار ينتصر الامام نزار ولما مات وحضر الناس الى القصر للتعزية الجموا عن أن يوزدوا في ذلك المقام شيئاً ومكثوا مطرقين لا ينبسون فقام صبي من أولاد الامراء الـكتاميين وفتح باب التعزية وأنشد

انظر الى العلياء كيف تضام * ومآتم الاحساب كيف تقام

خبرني ركب الركاب ولم يدع * للسفر وجه ترحل فأقاموا

فاستحسن الناس ايراده وكأنه طرق لهم كيف يوردون المراثي فنهض الشعراء والخطباء حينئذ وعزوا وأنشد كل واحد ماعمل في التعزية وخلف من الاولاد ابنه المنصور وولي الخلافة من بعده وابنة تدعى سيدة الملك وكان أسمر طوالا اصهب الشعر أعين اشهل عريض المنكبين شجاعا كريما حسن العفو والقدرة لا يعرف سفك الدماء البتة مع حسن الخلق والقرب من الناس والمعرفة بالخيل وجوارح الطير وكان محبا للصيد مغرى به حريصا على صيد السباع ووزر له يعقوب بن كلس أثنتى عشرة سنة وشهرين وتسعة عشر يوما ثم من بعده على بن عمر العداس سنة واحدة ثم أبو الفضل جعفر بن الفرات سنة ثم أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازيار سنة وثلاثة أشهر ثم أبو محمد بن عمار شهرين ثم الفضل بن صالح الوزيرى أياما ثم عيسى بن نسطورس سنة وعشرة أشهر وكانت قضاته أبو طاهر محمد بن أحمد ثم أبو الحسن على بن النعمان ثم أبو عبد الله محمد بن النعمان وخرج الى السفر أولا في صفر سنة سبع وستين وعاد من العباسية وخرج ثانيا وظفر بأفتكين وخرج ثالثا في صفر سنة أثنتين وسبعين ورجع بعد شهر الى قصره بالقاهرة وخرج رابعا في ربيع الاول سنة أربع وستين فنزل منية الاصبغ وعاد بعد ثمانية أشهر واثنى عشر يوما وخرج خامسا في عاشر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين فأقام مبرزا اربعة عشر شهرا وعشرين يوما ومات في هذه الخرجة ببلبيس * وهو أول من اتخذ من أهل بيته وزيرا أثبت اسمه على الطرز وقرن اسمه باسمه وأول من لبس منهم الخفين والمنطقة وأول من اتخذ منهم الاتراك واصطنعهم وجعل منهم القواد وأول من رمى منهم بالنشاب وأول من ركب منهم بالذؤابة الطويلة والحنك وضرب بالصوالجة ولعب بالرمح وأول من عمل مائدة في الشرطة السفلى في شهر رمضان يفطر عليها أهل الجامع العتيق وأقام طعاما في جامع القاهرة لمن يحضر في رجب وشعبان ورمضان واتخذ الحمير لركوبه اياها وكانت أمه أم ولد اسمها درزارة وكان يضرب بأيامه المثل في الحسن فانها كانت كلها أعياداً وأعراسا لـكثرة كرمه ومحبته للعفو واستعماله لذلك ولا أعلم له بمصر من الآثار غير تأسيس الجامع الحاكمي وما عدا ذلك فذهب اسمه ومحى رسمه

* (الحاكم بأمر الله) * أبو على منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد ولد بالقصر من القاهرة المعزية ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثلثمائة في الساعة التاسعة والطالع من برج السرطان سبع وعشرون درجة وسلم عليه بالخلافة فى مدينة بلبيس بعد الظهر من يوم الثلاثاء عشرى شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة وسار الى القاهرة فى يوم الاربعاء بسائر أهل الدولة والعزيز فى قبة على ناقة بين يديه وعلى الحاكم دراعة مصمت وعمامة فيها الجوهر وبيده رمح وقد تقلد السيف ولم يفقد من جميع ما كان مع العساكر شئ ودخل القصر قبل صلاة المغرب وأخذ فى جهاز أبيه العزيز بالله ودفنه ثم بكر سائر أهل الدولة الى القصر يوم الخميس وقد نصب للحاكم سرير من ذهب عليه مرتبة مذهبة في الايوان الكبير وخرج من قصره راكبا وعليه معممة الجوهر والناس وقوف في صحن الايوان فقبلوا له الارض ومشوا بين يديه حتي جلس على السرير فوقف من رسمه الوقوف وجلس من له عادة أن يجلس وسلم الجميع عليه بالامامة واللقب الذى اختير له وهو الحاكم بأمر الله وكان سنه يومئذ احدى عشرة سنة وخمسة أشهر وستة أيام فجعل أبا محمد الحسن بن عمار الكندى واسطة ولقب بأمين الدولة وأسقط مكوسا كانت بالساحل ورد الى الحسين بن جوهر القائد البريد والانشاء فكان يخلفه ابن سورين وأقر عيسى بن نسطورس على ديوان الخاص وقلد سليمان بن جعفر بن فلاح الشام فخرج بجيو تكين من دمشق وسار منها لمدافعة سليمان بن جعفر بن فلاح فبلغ الرملة وانضم اليه ابن الجراح الطائي فى كثير من العرب وواقع ابن فلاح فانهزم وفر ثم أسر فحمل الى القاهرة وأكرم واختلف أهل الدولة على ابن عمار ووقعت حروب آلت الى صرفه عن الوساطة وله فى النظر أحد عشر شهرا غير خمسة أيام فلزم داره وأطلقت له رسوم وجرايات وأقيم الطواشى برجوان الصقلى مكانه في الوساطة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلثمائة فجعل كاتبه فهد بن ابراهيم يوقع عنه ولقبه بالرئيس وصرف سليمان بن فلاح عن الشام بجيش بن الصمصامة وقلد فحل بن اسماعيل الكتامي مدينة صور وقلد يانس الخادم برقة وميسورا الخادم طرابلس ويمنا الخادم غزة وعسقلان فواقع جيش الروم على فاهية وقتل منهم خمسة آلاف رجل وغزا الى أن دخل مرعش وقلد وظيفة قضاء القضاة أبا عبد الله الحسين بن علي بن النعمان فى صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة بعد موت قاضى القضاة محمد بن النعمان وقتل الاستاذ برجوان لاربع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وله في النظر سنتان وثمانية أشهر غير يوم واحد وورد النظر في أمور الناس وتدبير المملكة والتوقيعات الى الحسين بن جوهر ولقب بقائد القواد فخلفه الرئيس بن فهد واتخذ الحاكم مجلسا في الليل يحضر فيه عدة من أعيان الدولة ثم أبطله ومات جيش بن

الصمصامة في ربيع الآخر سنة تسعين وثلثمائة فوصل ابنه بتركته الى القاهرة ومعه درج بخط أبيه فيه وصية وثبت بما خلفه مفصلا وأن ذلك جميعه لامير المؤمنين الحاكم بأمر الله لايستحق أحد من أولاده منه درهما وكان مبلغ ذلك نحو المائتي ألف دينار مابين عين ومتاع ودواب قد أوقف جميع ذلك تحت القصر فأخذ الحاكم الدرج ونظره ثم أعاده الى أولاد جيش وخلع عليهم وقال لهم بحضرة وجوه الدولة قد وقفت على وصية أبيكم رحمه الله وما وصى به من عين ومتاع فخذوه هنيئا مباركا لكم فيه فانصرفوا بجميع التركة وولي دمشق فحل بن تميم ومات بعد شهور فولى عليّ بن فلاح ورد النظر في المظالم لعبد العزيز بن محمد بن النعمان ومنع الناس كافة من مخاطبة أحد أو مكاتبته بسيدنا ومولانا الا أمير المؤمنين وحده وأبيح دم من خالف ذلك وفي شوال قتل ابن عمار * وفي سنة احدى وتسعين واصل الحاكم الركوب فى الليل كل ليلة فكان يشق الشوارع والازقة وبالغ الناس فى الوقود والزينة وأنفقوا الاموال الكثيرة في المآكل والمشارب والغناء واللهو وكثر تفرجهم على ذلك حتى خرجوا فيه عن الحد فمنع النساء من الخروج فى الليل ثم منع الرجال من الجلوس في الحوانيت * وفي رمضان سنة اثنتين وتسعين قلد تموصلت بن بكار دمشق عوضا عن ابن فلاح وابتدأ فى عمارة جامع راشدة فى سنة ثلاث وتسعين وقتل فهد بن ابراهيم وله منذ نظر في الرياسة خمس سنين وتسعة أشهر واثنا عشر يوما في ثامن جمادى الآخرة منها واقيم في مكانه عليّ بن عمر العداس وسار الامير ماروح لامارة طبرية ووقع الشروع في اتمام الجامع خارج باب الفتوح وقطع الحاكم الركوب في الليل ومات تموصلت فولى دمشق بعده مفلح اللحياني الخادم وقتل عليّ بن عمر العداس والاستاذ زيدان الصقلي وعدة كثيرة من الناس وقلد امارة برقة صندل الاسود في المحرم سنة أربع وتسعين وصرف الحسين بن النعمان عن القضاء فى رمضان منها وكانت مدة نظره فى القضاء خمس سنين وستة اشهر وثلاثة وعشرين يوما واليه كانت الدعوة أيضا فيقال له قاضى القضاة وداعي الدعاة وقلد عبد العزيز بن محمد بن النعمان وظيفة القضاء والدعوة مع ما بيده من النظر فى المظالم * وفى سنة خمس وتسعين أمر النصارى واليهود بشد الزنار ولبس الغيار ومنع الناس من أكل الملوخية والجرجير والتوكلية والدلينس وذبح الابقار السليمة من العاهة الا في أيام الاضحية ومنع من بيع الفقاع وعمله البتة وأن لايدخل أحد الحمام الا بمئزر وأن لاتكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج ولا يباع شيء من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وتتبع الناس فى ذلك كله وشدد فيه وضرب جماعة بسبب مخالفتهم ما أمروا به ونهوا عنه مما ذكر وخرجت العساكر لقتال بني قرة أهل البحيرة وكتب على أبواب المساجد وعلى الجوامع بمصر وعلى أبواب الحوانيت والحجر والمقابر سب السلف

ولعنهم واكره الناس على نقش ذلك وكتابتـه بالاصباغ في سائر المواضع واقبل الناس من سائر النواحي فدخلوا في الدعوة وجعل لهم يومان في الاسبوع وكثر الازدحام ومات فيـه جماعة ومنع الناس من الخروج بعد المغرب في الطرقات وأن لايظهر أحد بها لبيع ولاشراء فخلت الطرق من المارة وكسرت أواني الخمور وأريقت من سائر الاماكن واشتـد خوف الناس بأسرهم وقويت الشناعات وزاد الاضطراب فاجتمع كثير من الكتاب وغيرهم تحت القصر وضجوا يسألون العفو فكتب عدة أمانات لجميع الطوائف من أهل الدولة وغيرهم من الباعة والرعية وأمر بقتل الـكلاب فقتل منها مالايحصر حتي فقـدت وفتحت دار الحكمة بالقاهرة وحمل اليها الكتب ودخل اليها الناس فاشتدالطلب على الركابية المستخدمين في الركاب وقتل منهم كثير ثم عفى عنهم وكتب لهم أمان ومنع الناس كافة من الدخول من باب القاهرة ومنع الناس من المشى ملاصق القصر وقتل قاضي القضاة حسين بن النعمان وأحرق بالنار وقتل عدداً كثيراً من الناس ضربت أعناقهم * وفي سنة ست وتسعين خرج أبو ركوة يدعو الى نفسه وادعى أنه من بني أميـة فقام بأمره بنوقرة لكثرة ما أوقع بهم الحاكم وبايعوه واستجاب له لواتة ومزاتة وزنادة وأخذ برقة وهزم جيوش الحاكم غير مرة وغنم ما معهم فخرج لقتاله القائد فضل بن صالح في ربيع الاول وواقعه فانهزم منـه فضل واشتد الاضطراب بمصر وتزايدت الاسعار واشتد الاستعداد لمحاربة أبي ركوة ونزلت العسـاكر بالجيزة وسار أبو ركوة فواقعه القائد فضل وقتل عدة ممن معه فعظم الامر واشتد الخوف وخرج الناس فباتوا بالشوارع خوفا من هجوم عساكر أبي ركوة واستمرت الحروب فانهزم أبو ركوة في ثالث ذي الحجة الى الفيوم وتبعه القائد فضل بعد أن بعث الى القاهرة بستة آلاف رأس ومائة أسير الى أن قبض عليه ببلاد النوبة وأحضر الى القاهرة فقتل بها وخلع على القائد فضل وسيرت البشائر بقتله الى الاعمال * وفي سنة سبع وتسعين أمر بمحو سب السلف فمحى سائر ما كتب من ذلك وغلت الاسعار لنقص ماء النيـل فانه بلغ ستة عشر أصبعا من سبعة عشر ذراعا ثم نقص ومات يحجوتكين في ذي الحجة. واشتد الغلاء في سـنة ثمان وتسعين وولى علىّ بن فلاح دمشق وقبض جميع ما هو محبس على الكنائس وجعل في الديوان وأحرق عدة صلبان على باب الجامع بمصر وكتب الى سائر الاعمال بذلك * وفي سادس عشر رجب قرر مالك بن سعيد الفارقي في وظيفة قضاء القضاة وتسلم كتب الدعوة التي تقرأ بالقصر على الاولياء وصرف عبـد العزيز بن النعمان عن ذلك وصرف قائد القواد الحسين بن جوهر عما كان يليه من النظر في سابع شعبان وقرر مكانه صالح بن عليّ الروذبادي وقرر في ديوان الشام مكانه أبو عبد الله الموصلي الكاتب وأمر حسين بن جوهر وعبد العزيز بلزوم دورهما ومنعا من الركوب وسائر أولادهما ثم عفا عنهما بعـد أيام

وأمرا بالركوب وتوقفت زيادة النيل فاستسقى الناس مرتين وأمر بابطال عدة مكوس وتعذر وجود الخبز لغلائه وقلته وفتح الخليج في رابع توت والماء على خمسة عشر ذراعا فاشتد الغلاء * وفي تاسع المحرم وهو نصف توت نقص ماء النيل ولم يوف ستة عشر ذراعا فمنع الناس من التظاهر بالغناء ومن ركوب البحر للتفرج ومنع من بيع المسكرات ومنع الناس كافة من الخروج قبل الفجر وبعد العشاء الي الطرقات واشتد الامر على الكافة لشدة ماداخلهم من الخوف مع شدة الغلاء وتزايد الامراض في الناس والموت * فلما كان في رجب انحلت الاسعار وقرئ سجل فيه يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيماهم عليه صائمون ومفطرون وصلاة الخمسين للذى جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لامانع لهم عنها ولاهم منها يدفعون يخمس في التكبير على الجنائز المخمسون ولا يمنع من التربيع عليها المربعون يؤذن بحي على خير العمل المؤذنون ولا يؤذى من بها لايؤذنون لايسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف والحالف منهم بما حلف لكل مسلم مجتهد فى دينه اجتهاده * ولقب صالح بن على الروذبادي بثقة ثقات السيف والقلم وأعيد القاضى عبد العزيز بن النعمان الى النظر فى المظالم وتزايدت الامراض وكثر الموت وعزت الادوية وأعيدت المكوس التي رفعت وهدمت كنائس كانت بطريق المقس وهدمت كنيسة كانت بحارة الروم من القاهرة ونهب مافيها وقتل كثير من الخدام ومن الكتاب ومن الصقالبة بعد ماقطعت أيدى بعضهم من الكتاب بالشطور على الخشبة من وسط الذراع وقتل القائد فضل بن صالح فى ذى القعدة وفي حادى عشر صفر صرف صالح بن على الروذبادى وقرر مكانه ابن عبدون النصرانى الكاتب فوقع عن الحاكم ونظر وكتب بهدم كنيسة قمامة وجدد ديوان يقال له الديوان المفرد برسم من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم وكثرت الامراض وعزت الادوية وشهر جماعة وجد عندهم فقاع وملوخية ودلينس وضربوا وهدم دار القصر واشتد الامر على النصارى واليهود فى الزامهم لبس الغيار وكتب ابطال أخذ الخمس والنجاوى والفطرة وفر الحسين بن جوهر وأولاده وعبد العزيز بن النعمان وفر أبو القاسم الحسين بن المغربى وكتب عدة أمانات لعدة طوائف من شدة خوفهم وقطعت قراءة مجالس الحكمة بالقصر ووقع التشديد في المنع من المسكرات وقتل كثير من الكتاب والخدام والفراشين وقتل صالح بن على الروذبادى فى شوال * وفي رابع المحرم سنة احدى وأربعمائة صرف الكافي بن عبدون عن النظر والتوقيع وقرر بدله أحمد بن محمد القشوري الكاتب فى الوساطة والسفارة وحضر الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان إلى القاهرة فأكرما ثم صرف ابن القشورى بعد عشرة أيام من استقراره وضربت عنقه وقرر بدله زرعة بن عيسى بن نسطورس الكاتب النصرانى ولقب

بالشافي ومنع الناس من الركوب في المراكب في الخليج وسدت أبواب الدور التي على الخليج والطاقات المطلة عليه وأضيف الى قاضي القضاة مالك بن سعيد النظر فى المظالم وأعيدت مجالس الحكمة وأخذ مال النجوى وقتل ابن عبدون وأخذ ماله وضرب جماعة وشهروا من اجل بيعهم الملوخية والسمك الذى لاقشر له وبسبب بيع النبيذ وقتل الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان في ثانى عشر جمادى الآخرة سنة احدى وأربعمائة وأحيط بأموالهما وأبطلت عدة مكوس ومنع الناس من الغناء واللهو ومن بيع المغنيات ومن الاجتماع بالصحراء * وفي هذه السنة خلع حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح طاعة الحاكم وأقام أبا الفتوح حسين بن جعفر الحسنى أمير مكة خليفة وبايعه ودعا الناس الى طاعته ومبايعته وقاتل عساكر الحاكم * وفى سنة اثنتين وأربعمائة منع من بيع الزبيب وكوتب بالمنع من حمله وألقى في بحر النيل منه شئ كثير وأحرق شئ كثير ومنع النساء من زيارة القبور فلم ير فى الاعياد بالمقابر امرأة واحدة ومنع من الاجتماع على شاطئ النيل للتفرج ومنع من بيع العنب الا أربعة ارطال فما دونها ومنع من عصره وطرح كثير منه وديس في الطرقات وغرق كثير منه فى النيل ومنع من حمله وقطعت كروم الجيزة كلها وسير الى الجهات بذلك * وفى سنة ثلاث وأربعمائة نزع السعر وازدحم الناس على الخبز وفي ثانى ربيع الاول منها هلك عيسى بن نسطورس فأمر النصارى بلبس السواد وتعليق صلبان الخشب فى أعناقهم وأن يكون الصليب ذراعا فى مثله وزنته خمسة أرطال وأن يكون مكشوفا بحيث يراه الناس ومنعوا من ركوب الخيل وأن يكون ركوبهم البغال والحمير بسروج الخشب والسيور السود بغير حلية وأن يشدوا الزنانير ولا يستخدموا مسلما ولا يشتروا عبدا ولا أمة وتتبعت آثارهم فى ذلك فأسلم منهم عدة وقرر حسين بن طاهر الوزان في الوساطة والتوقيع عن الحاكم في تاسع عشرى ربيع الاول منها ولقب أمين الامناء ونقش الحاكم على خاتمه بنصر الله العظيم الولى ينتصر الامام أبو على وضرب جماعة بسبب اللعب بالشطرنج وهدمت الكنائس وأخذ جميع مافيها وما لها من الرباع وكتب بذلك الى الاعمال فهدمت بها وفيها لحق أبو الفتح بمكة ودعا للحاكم وضرب السكة باسمه وأمر الحاكم أن لايقبل أحد له الارض ولا يقبل ركابه ولا يده عند السلام عليه في المواكب فان الانحناء الى الارض لمخلوق من صنيع الروم وأن لايزاد على قولهم السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ولا يصلي أحد عليه في مكاتبة ولا مخاطبة ويقتصر فى مكاتبته على سلام الله وتحياته ونوامى بركاته على أمير المؤمنين ويدعى له بما يتفق من الدعاء لاغير فلم يقل الخطباء يوم الجمعة سوى اللهم صل على محمد المصطفى وسلم على أمير المؤمنين على المرتضي اللهم وسلم على أمراء المؤمنين آباء أمير المؤمنين اللهم اجعل أفضل سلامك على عبدك وخليفتك ومنع من ضرب الطبول والابواق حول القصر فصاروا

يطوفون بغير طبل ولا بوق وكثرت انعامات الحاكم فتوقف أمين الامناء حسين بن طاهر الوزان في امضائها فكتب اليه الحاكم بخطه بعد البسملة الحمد لله كما هو أهله

اصبحت لا أرجو ولا أتقي * الا الهي وله الفضـل

جدى نبي وامامى أبي * وديني الاخلاص والعدل

المال مال الله عز وجل والخلق عباد الله ونحن أمناؤه في الارض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام * وركب الحاكم يوم عيد الفطر الى المصلي بغير زينـة ولا جنائب ولا أبهة سوى عشرة افراس تقاد بسروج ولجم محلاة بفضة بيضاء خفيفة وبنود ساذجة ومظلة بيضاء بغير ذهب عليه بياض بغير طرز ولا ذهب ولا جوهر فى عمامته ولم يفرش المنبر ومنع الناس من سب السلف وضرب في ذلك وشهر وصلي صلاة عيد النحر كما صلى صلاة عيد الفطر من غير أبهة ونحر عنه عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي واكثر الحاكم من الركوب الى الصحراء بحذاء فى رجله وفوطة على رأسه * وفي سنة أربع وأربعمائة ألزم اليهود أن يكون فى أعناقهم جرس اذا دخلوا الحمام وأن يكون في أعناق النصارى صلبان ومنع الناس من الـكلام فى النجوم وأقيم المنجمون من الطرقات وطلبوا فتغيبوا ونفوا وكثرت هبات الحاكم وصدقاته وعتقه وأمر اليهود والنصاري بالخروج من مصر الى بلاد الروم وغيرها وأقيم عبد الرحيم بن الياس ولى العهد وأمر أن يقال فى السلام عليـه السلام علي ابن عم أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وصار يجلس بمكان في القصر وصار الحاكم يركب بدراعة صوف بيضاء ويتعمم بفوطة وفي رجله حذاء عربي بقبالين وعبد الرحيم يتولى النظر في أمور الدولة كلها وأفرط الحاكم فى العطاء ورد ما كان أخذ من الضياع والاملاك الى أربابها وفي ربيع الآخر أمر بقطع يدي أبي القاسم الجرجاني وكان يكتب للقائد غين ثم قطع يد غين فصار مقطوع اليدين وبعث اليه الحاكم بعد قطع يديه بالف من الذهب والثياب ثم بعـد ذلك أمر بقطع لسانه فقطع وأبطل عدة مكوس وقتل الـكلاب كلها واكثر من الركوب في الليل ومنع النساء من المشى فى الطرقات فلم تر امرأة فى طريق البتـة وأغلقت حماماتهن ومنع الاساكفة من عمـل خفافهن وتعطلت حوانيتهم واشتدت الاشاعة بوقوع السيف في الناس فتهاربوا وغلقت الاسواق فلم يبع شئ ودعي لعبد الرحيم بن اليـاس على المنابر وضربت السكة باسمه بولاية العهد وفي سنة خمس وأربعمائة قتل مالك بن سعيد الفارقي فى ربيع الآخر وكانت مدة نظره في قضاء القضاة ست سنين وتسعة اشهر وعشرة أيام وبلغ اقطاعه في السنة خمسة عشر ألف دينار وتزايد ركوب الحاكم حتي كان يركب في كل يوم عدة مرات واشترى الحمير وركبها بدل الخيل * وفى جمادى الآخرة منها قتل الحسـين ابن طاهر الوزان فكانت مدة نظره فى الوساطة سنتين وشهرين وعشرين يوما فأمر أصحاب

الدواوين بلزوم دواوينهم وصار الحاكم يركب حمارا بشاشية مكشوفة بغير عمامة ثم أقام عبد الرحيم بن أبي السيد الكاتب وأخاه أبا عبد الله الحسين فى الوساطة والسفارة وأقر فى وظيفة قضاء القضاة أحمد بن محمد بن أبي العوام وخرج الحاكم عن الحد في العطاء حتى اقطع نواتية المراكب والمشاعلية وبنى قرة فما اقطع الاسكندرية والبحيرة ونواحيهما وقتل ابني ابى السيد فكانت مدة نظرهما اثنين وستين يوما وقلد الوساطة فضل بن جعفر بن الفرات ثم قتله في اليوم الخامس من ولايته وغلب بنوقرة على الاسكندرية وأعمالها وأكثر الحاكم من الركوب فركب في يوم ست مرات مرة على فرس ومرة على حمار ومرة فى محفة تحمل على الاعناق ومرة في عشارى في النيل بغير عمامة واكثر من اقطاع الجند والعبيد الاقطاعات وأقام ذا الرياستين قطب الدولة أبا الحسن علىّ بن جعفر بن فلاح في الوساطة والسفارة وولى عبد الرحيم بن الياس دمشق فسار اليها في جمادى الآخرة سنة تسع وأربعمائة فأقام فيها شهرين ثم هجم عليه قوم فقتلوا جماعة ممن عنده وأخذوه في صندوق وحملوه الى مصر ثم أعيد الى دمشق فأقام بها الى ليلة عيد الفطر وأخرج منها * فلما كان لليلتين بقيتا من شوال سنة عشر وأربعمائة فقد الحاكم وقيل ان أخته قتلته وليس بصحيح وكان عمره ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وكانت مدة خلافته خمسا وعشرين سنة وشهرا وكان جوادا سفاكا للدماء قتل عددا لايحصى وكانت سيرته من أعجب السير وخطب له على منابر مصر والشام وافريقية والحجاز وكان يشتغل بعلوم الاوائل وينظر في النجوم وعمل رصدا واتخذ بيتا فى المقطم ينقطع فيه عن الناس لذلك ويقال أنه كان يعتريه جفاف في دماغه فلذلك كثر تناقضه وما أحسن ماقال فيه بعضهم كانت أفعاله لاتعلل • وأحلام وساوسه لاتؤول وقال المسبحي وفى محرم سنة خمس عشرة وأربعمائة قبض على رجل من بنى حسين ثار بالصعيد الاعلى فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله في جملة أربعة أنفس تفرقوا فى البلاد وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم وقطعة من الفوطة التي كانت عليه فقيل له لم قتلته فقال غيرة لله وللاسلام فقيل له كيف قتلته فأخرج سكيناً ضرب بها فؤاده فقتل نفسه وقال هكذا قتلته فقطع رأسه وأنفذ به الى الحضرة مع ماوجد معه وهذا هو الصحيح فى خبر قتل الحاكم لاما تحكيه المشارقة في كتبهم من أن أخته قتلته

* (جامع الفيلة) *

هذا الجامع بسطح الجرف المطل على بركة الحبش المعروف الآن بالرصد بناه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى شعبان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وبلغت النفقة على بنائه ستة آلاف دينار وانما قيل له جامع الفيلة لان فى قبلته تسع قباب فى أعلاه ذات قناطر اذا رآها الانسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيلة كالتي كانت تعمل فى المواكب أيام

الاعياد وعليها السرير وفوقها المدرعون أيام الخلفاء ولما كمل أقام فى خطابته الشريف الزكي أمين الدولة أبا جعفر محمد بن محمد بن هبة الله بن على الحسيني الافطسى النسابة الكاتب الشاعر الطرابلسى بعد صرفه من قضاء الغربية فلما رقى المنبر أول خطبة أقيمت في هذا الجامع قال بسم الله الحمد لله وارتج عليه فلم يدر مايقول وكان هناك الشيخ أبو القاسم على ابن منجب بن الصيرفى الكاتب وولده مختص الدولة أبو المجد وأبوعبدالله بن بركات النحوي ووجوه الدولة فلما اضجر من حضر نزل عن المنبر وقد حم فتقدم قيم الجامع وصلى ومضى الشريف الى داره فاعتل ومات وكان قد ولى قضاء عسقلان وغيرها ثم قدم الى مصر فولى الحكم بالمحلة وولى ديوان الاحباس وكان أحد الاعيان الادباء العارفين بالنسب ومن الشعراء المجيدين والنحاة اللغويين ولد بطرابلس الشام فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة وقدم الى القاهرة في سنة احدي وخمسمائة ومدح الافضل ومات في سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وخمسمائة وقد ترشح للنقابة بمصر ولم ينلها مع تطاعه اليها وذيل كتاب أبى الغنائم الزيدي النسابة ومن شعره بديها وقد نام مع جاريته على سطوح فطلع القمر عليهما فارتاعا من كشف الجيران عليهما

ولما تلاقينا وغاب رقيبنا * ورمت التشكي في خلو وفي سر
بدا ضوء بدر فافترقنا لضوئه * فيامن رأى بدراً نم على بدر

وأهل المطالب يذكرون أن الافضل وجد بموضع الصهريج مطلبا نختم عليه أشهراً الى أن نقله وعمله صهريجا وبني عليه هذا المسجد وهذا الشرف الذى عليه جامع الفيلة منظرة فى غاية الحسن لان فى قبليه بركة الحبش وبستان الوزير المغربي والعدوية ودير النسطورية وبئر أبي سلامة وهى بئر مدورة برسم الغنم وبئر النعش كان يستقى منها اصحاب الزوايا وهي بجوار عفصة الصغرى وهى بئر أبي موسى بن أبى خليد وسميت بئر النعش لأنها على هيئة النعش وماؤها يهضم الطعام وهو أصح الأمواه وشرقى هذا الجبل جبل المقطم والجبانة والمغافر والقرافة وآخر الاكحول وريحان ورعين والكلاع والاكسوع وغربى هذا الجبل المشوق والنيل وبستان اليهودى الى القبلة وطموه والاهرام وراشدة ويحرى هذا الجبل بستان الامير تميم وقنطرة خليج بني وائل ودير المداين وعقبة يحصب ومحرس قسطنطين والشرف وغير ذلك وهذا الجامع لاتقام فيه اليوم جمعة ولا جماعة لخراب ماحوله من القرافة وراشدة وينزل فيه أحيانا طائفة من العرب بابلهم يقال لهم المسلمية وعما قليل يدثر كما دثر غيره

(جامع المقياس)

هذا الجامع بجوار مقياس النيل من جزيرة الفسطاط أنشأه (٣)

(الجامع الاقمر)

قال ابن عبد الظاهر كان مكانه علافون والحوض مكان المنظرة فتحدث الخليفة الآمر مع الوزير المأمون بن البطايحي في انشائه جامعا فلم يترك قدام القصر دكانا وبني تحت الجامع المذكور في أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح لامن صوب القصر وكمل الجامع المذكور فى أيامه وذلك فى سنة تسع عشرة وخمسمائة وذكر أن اسم الآمر والمأمون عليه وقال غيره واشترىله حمام شمول ودار النحاس بمصر وحبسهما على سدنته ووقوده ومصابحه ومن يتولى أمره ويؤذن فيه وما زال اسم المأمون والآمر على لوح فوق المحراب وفيه تجديد الملك الظاهر بيبرس للجامع المذكور ولم تكن فيه خطبة لكنه يعرف بالجامع الاقمر فلما كان في شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة جدده الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا بن عبدالله السالمي أحد المماليك الظاهرية وأنشأ بظاهر بابه البحرى حوانيت يعلوها طباق وجدد فى صحن الجامع بركة لطيفة يصل اليها الماء من ساقية وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء الى من يتوضأ من بزابيز نحاس ونصب فيه منبرا فكانت أول جمعة جمعت فيه رابع شهر رمضان من السنة المذكورة وخطب فيه شهاب الدين أحمد بن موسى الحلبي أحد نواب القضاة الحنفية وارتبح عليه واستمر الى أن مات في سابع عشرى شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانمائة وبني على يمنة المحراب البحرى مئذنة وبيض الجامع كله ودهن صدره بلازورد وذهب فقلت له قد أعجبني ماصنعت بهذا الجامع ماخلا تجديد الخطبة فيه وعمل بركة الماء فان الخطبة غير محتاج اليها هاهنا لقرب الخطب من هـذا الجامع وبركة الماء تضيق الصحن وقد أنشأت ميضأة بجوار بابه الذى من جهـة الركن المخلق فاحتج لعمل المنبر بأن ابن الطوير قال في كتاب نزهة المقلتين في أخبار الدولتين عند ذكر جلوس الخليفـة فى المواليد الستة ويقدم خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ثم يحضر خطيب الجامع الاقمر فيخطب كذلك قال فهـذا أمر قد كان فى الدولة الفاطمية وما أنا بالذي أحـدثته وأما البركة ففيها عون على الصلاة لقربها من المصلين وجعل فوق المحراب لوحا مكتوبا فيه ماكان فيه أولا وذكر فيه تجديده لهذا الجامع ورسم فيه نعوته وألقابه وجدد أيضاً حوض هـذا الجامع الذى تشرب منه الدواب وهو فى ظهر الجامع تجاه الركن المخلق وبئر هذا الجامع قديمة قبل الملة الاسلامية كانت في دير من ديارات النصارى بهذا الموضع فلما قـدم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أدخل هـذا الدير فى القصر وهو موضع الركن المخلق تجاه الحوض المذكور وجعل هـذه البئر مما ينتفع به في القصر وهي تعرف ببئر العظام وذلك أن جوهرا نقل من الدير المذكور عظاما كانت فيه من رمم قوم يقـال انهم من الحواريين فسميت بئر العظام والعامـة تقول الى اليوم بئر المعظمـة وهي بئر كبيرة في غاية السعة وأول ماأعرف من اضافها الى الجامـع الاقمر أن العماد الدمياطي ركب على

فوهتها هذه المحال التي بها الآن وهى من جيد المحال وكان تركيبها بعد السبعمائة في أيام قاضى القضاة عز الدين عبدالعزيز بن جماعة الشافعي وبهذا الجامع درس من قديم الزمان ولم تزل مئذنته التي جددها السالمي والبركة الى سنة خمس عشرة وثمانمائة فولى نظر الجامع بعض الفقهاء فرأى هــدم المئذنة من أجل ميل حدث بها فهــدمها وأبطل الماء من البركة لافساد الماء بمروره جدار الجامع القبلي والخطبــة قائمة به الى الآن * (الآمر بأحكام الله)* أبو على المنصور بن المستعلى بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبي على منصور ولد يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وبويع له بالخلافة يوم مات أبوه وهو طفل له من العمر خمس سنين وأشهر وأيام في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين أحضره الافضل بن أمير الجيوش وبايع له ونصبه مكان أبيه ونعته بالآمر باحكام الله وركب الافضل فرسا وجعل فى السرج شيئاً وأركبه عليــه لينمو شخص الآمر وصار ظهره فى حجر الافضل فلم يزل تحت حجره حتى قتل الافضل ليلة عيد الفطر ســنة خمس عشرة وخمسمائة فاستوزر بعده القائد أبا عبد الله محمد بن فاتك البطايحى ولقبه بالمأمون فقام بأمر دولته الى أن قبض عليه في ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة فتفرغ الآمر لنفسه ولم يبق له ضــد ولا مزاحم وبقي بغير وزير وأقام صاحبي ديوان أحــدهما جعفر بن عبــد المنعم والآخر سامرى يقال له أبو يعقوب ابراهيم ومعهما مستوف يعرف بابن أبي نجاح كان راهبا ثم تحكم هــذا الراهب فى الناس وتمكن من الدواوين فابتدأ فى مطــالبة النصارى وحقق في جهاتهم الاموال وحملها أولا فأولا ثم أخذ في مصادرة بقية المباشرين والمعــاملين والضمناء والعمال وزاد الى أن عم ضرره جميع الرؤساء والقضاة والكتاب والسوقة بحيث لم يخل أحد من ضرره فلما تفاقم أمره قبض عليه الآمر وضرب بالنعال حتى مات بالشرطة فجر الى كرسى الجسر وسمر على لوح وطرح فى النيل وحــذف حتى خرج الى البحر الملح فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشر ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وثب جماعة على الآمر وقتلوه كما ذكر عند خبر الهودج وكان كريما سمحا الى الغاية كثير النزهة محبا للمال والزينة وكانت أيامه كلها لهوا وعيشة راضية لكثرة عطائه وعطاء حواشيه بحيث لم يوجد بمصر والقاهرة اذ ذاك من يشكو زمانه البتة الى أن نكد بالراهب على الناس فقبحت سيرته وكثر ظلمه واغتصابه للاموال * وفي أيامه ملك الفرنج كثيرا من المعاقــل والحصون بسواحل الشام فملــكت عكا في شعبان سنة سبع وتسعين وغزة فى رجب سنة اثنتين وخمسمائة وطرابلس في ذى الحجة منها وبانياس وجبيل وقلعة تبنين فيها أيضاً وملكوا صور في سنة ثمان عشرة وخمسمائة وكثرت المرافعات في أيامه وأحدثت رسوم لم تكن وعمر

الهودج بالروضــة ودكة ببركة الحبش وعمر تنيس ودمياط وجدد قصر القرافة وكانت نفسه تحدثه بالسفر والغارة الى بغداد ومن شعره فى ذلك

دع اللوم عنى لست منى بموثق * فلا بد لى من صدمة المتحقق
وأسقى جيادى من فرات ودجلة * واجمع شمل الدين بعد التفرق

وقال

أما والذي حجت الى ركن بيته * جراثيم ركبان مقــلدة شهبا
لاقتحمن الحرب حتى يقال لى * ملكت زمام الحرب فاعتزل الحربا
وينزل روح الله عيسى بن مريم * فيرضى بنا صحبا ونرضى به صحبا

وكان أسمر شديد السمرة يحفظ القرآن ويكتب خطا ضعيفا وهو الذى جدد رسوم الدولة واعاد اليها بهجتها بعد ما كان الافضل أبطل ذلك ونقــل الدواوين والاسمطة من القصر بالقاهرة الى دار الملك بمصر كما ذكر هناك وقضاته ابن ذكا النابلسى ثم نعمــة الله ابن بشير ثم الرشيد محمد بن قاسم الصقلى ثم الجليس بن نعمــة الله بن بشير النابلسى ثم صرفه ثانيا بمســلم بن الرسنى وعزله بأبى الحجاج يوسف بن أيوب المغربي ثم مات فولى محمد بن هبة الله بن ميسر وكتاب انشائه سنا الملك أبو محمد الزبيدى الحسني والشيخ أبو الحسن ابن أبي أسامة وتاج الرياسة أبو القاسم بن الصيرفي وابن أبي الدم اليهودى وكان نقش خاتمه الامام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين ووقع في آخر أيامه غلاء قاق الناس منه وكان جريأ على سفك الدماء وارتكاب المحظورات واستحسان القبائح وقتل وعمره أربع وثلاثون سنة وتسعة أشهر وعشرون يوما منها مدة خلافته تسع وعشرون سنة وثمانية أشهر ونصف وما زال محجورا عليه حتي قتل الافضل وكان يركب للنزهة دائما عندما استبد في يومي السبت والثلاثاء ويتحول في أيام النيل بحرمه الى اللؤلؤة على الخليج واختص بغلاميه برغش وهزار الملوك * (يلبغا السالمى) * أبو المعالى عبد الله الامير سيف الدين الحنفى الصوفي الظاهرى كان اسمه في بلاده يوسف وهو حر الاصل وآباؤه مسلمون فلما جلب من بلاد المشرق سمي يلبغا وقيل له السالمى نسبة الى سالم تاجره الذى جلبه فترقي في خدم السلطان الملك الظاهر برقوق الى أن ولاه نظر خانقاه الصلاح سعيد السعداء فى ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائه فأخرج كتاب الوقف وقصد أن يعمل بشرط الواقف وأخرج منها جماعة من بياض الناس فجرت أمور ذكرت فى خبر الخانقاه * وفي سابع عشرى صفر سنة ثمانمائة انعم عليه الملك الظاهر بامرة عشرة عوضا عن الامير بهادر فطيناس ثم نقله الى امرة طبلخاناه ثم جعله ناظرا على الخانقاه الشيخونية بالصليبة في تاسع شعبان سنة احدى وثمانمائة فعسف بمباشريها وأراد حملهم على مر الحق فنفرت منه القلوب ولما مرض الظاهر جعله أحد الاوصياء على

تركته فقام بتحليف المماليك السلطانية للملك الناصر فرج بن برقوق والانفاق عليهم بحضرة الناصر فأنفق عليهم كل دينار من حساب أربعة وعشرين درهما ولما انقضت النفقة نودي في البلد أن صرف كل دينار ثلاثون درهما ومن امتنع نهب ماله وعوقب فحصل للناس من ذلك شدة وكان قد كثر القبض على الامراء بعد موت الظاهر فتحدث مع الامير الكبير ايتمش القائم بتدبير دولة الناصر فرج بعد موت أبيه في أن يكون على كل أمير من المقدمين خمسون ألف درهم وعلى كل أمير من الطبلخاناه عشرون ألف درهم وعلى كل أمير عشرة خمسة آلاف درهم وعلى كل أمير خمسة ألفا درهم وخمسمائة درهم فرسم بذلك وعمل به مدة أيام الناصر وحصل به رفق للامراء ومباشريهم ثم خلع عليه واستقر استادار السلطان عوضا عن الامير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج الملكي يوم الاثنين ثالث عشر ذي القعدة من السنة المذكورة فأبطل تعريف منية بني خصيب وضمان العرصة وأخصاص الكيالين وكتب بذلك مرسوما سلطانيا وبعث الى والي الاشمونين وأبطل وفر الشون السلطانية وما كان مقررا على البردداري وهو في الشهر سبعة آلاف درهم وما كان مقررا على مقدم المستخرج وهو في الشهر ثلاثة آلاف درهم وكانت سماسرة الغلال تأخذ ممن يشتري شيئاً من الغلة على كل اردب درهمين سمسرة وكيالة ولواحة وأمانة فألزمهم أن لا يأخذوا عن كل أردب سوى نصف درهم وهدد على ذلك بالغرامة والعقوبة وركب في صفر سنة ثلاث وثمانمائة الى ناحية المنية وشبرا الخيمة من الضواحي بالقاهرة وكسر منها مايذيف على أربعين ألف جرة خمر وخرب بها كنيسة كانت للنصارى وحمل عدة جرار فكسرها تحت قلعة الجبل وعلى باب زويلة وشدد على النصارى فلم يمكنه أمراء الدولة من حملهم على الصغار والمذلة في ملبسهم وأمر فضرب الذهب كل دينار زنته مثقال واحد وأراد بذلك ابطال ماحدث من المعاملة بالذهب الافرنجي فضرب ذلك وتعامل الناس به مدة وصار يقال دينار سالمي الى أن ضرب الناصر فرج دنانير وسماها الناصرية وصار يحكم في الاحكام الشرعية فقلق منه أمراء الدولة وقاموا في ذلك فمنع من الحكم الا فيما يتعلق بالديوان المفرد وغيره مما هو من لوازم الاستادار وأخذ في مخاشنة الامراء عند ماعاد الناصر فرج وقد انهزم من تيمورلنك وشرع في اقامة شعار المملكة والنفقة على العساكر التي رجعت منهزمة فأخذ من بلاد الامراء وبلاد السلطان عن كل ألف دينار فرسا أو خمسمائة درهم ثمنها وجبي من أملاك القاهرة ومصر وظواهرها أجرة شهر وأخذ من الرزق عن كل فدان عشرة دراهم وعن الفدان من القصب المزروع والقلقاس والنيلة نحو مائة درهم وجبي من البساتين عن كل فدان مائة درهم وقام بنفسه وكبس الحواصل ليلا ونهارا ومعه جماعة من الفقهاء وغيرهم وأخذ مما فيهما من الذهب والفضة والفلوس نصف مايجد سواء كان صاحب المال غائباً أو حاضراً فعم ذلك أموال

التجار والايتام وغيرهم من سائر من وجد له مال وأخذ ما كان في الجوامع والمدارس وغيرها من الحواصل فشمل الناس من ذلك ضرر عظيم وصار يؤخذ من كل مائة درهم ثلاثة دراهم عن أجرة صرف وستة دراهم عن أجرة الرسول وعشرة دراهم عن أجرة نقيب فنفرت منه القلوب وانطلقت الالسن بذمه والدعاء عليه وعرض مع ذلك الجند وألزم من له قدرة على السفر بالتجهز للسفر الى الشام لقتال تيمورلنك ومن وجده عاجزاً عن السفر ألزمه بحمل نصف متحصل اقطاعه فقبض عليه في يوم الاثنين رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانمائة وسلم للقاضي سعد الدين ابراهيم بن غراب وقرر مكانه في الاستادارية فلم يزل الى يوم عيد الفطر من السنة المذكورة فأمر باطلاقه بعد أن حصر وأهين اهانة كبيرة ثم قبض عليه وضرب ضربا مبرحا حتي أشفي على الموت وأطلق في نصف ذي القعدة وهو مريض فأخرج الى دمياط وأقام بها مدة ثم أحضر الى القاهرة وقلد وظيفة الوزارة في سنة خمس وثمانمائة وجعل مشيرا فأبطل مكوس البحيرة وهو مايؤخذ على مايذبح من البقر والغنم واستعمل في أموره العسف وترك مداراة الامراء واستعجل فقبض عليه وعوقب وسجن الى أن أخرج في رمضان سنة سبع وثمانمائة وقلد وظيفة الاشارة وكانت للامير جمال الدين يوسف الاستادار فلم يترك عادته في الاعجاب برأيه والاستبداد بالامور واستعجال الاشياء قبل أوانها فقبض عليه في ذي الحجة منها وسلم للامير جمال الدين يوسف فعاقبه وبعث به الى الاسكندرية فسجن بها الى أن سعي جمال الدين في قتله بمال بذله للناصر فيه حتي أذن له في ذلك فقتل خنقا عصر يوم الجمعة وهو صائم السابع عشر من جمادى الآخرة سنة احدى عشرة وثمانمائة رحمه الله وكان كثير النسك من الصلاة والصوم والصدقة لايخل بشئ من نوافل العبادات ولا يترك قيام الليل سفرا ولا حضراً ولا يصلي قط الا بوضوء جديد وكلما أحدث توضأ واذا توضأ صلي ركعتين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويخرج في كثرة الصداقات عن الحد ويقرأ في كل ثلاثة أيام ختمة ولايترك أولاده في حال من الاحوال مع المروءة والهمة وسمع كثيرا من الحديث وقرأ بنفسه على المشايخ وكتب الخط المليح وقرأ القرا آت السبع وعرف التصوف والفقه والحساب والنجوم الا انه كان متهوراً في أخذ الاموال عسوفا لجوجا مصمما لاينقاد الى أحد ويستبد برأيه فيغلط غلطات لاتحتمل ويستخف بغيره ويعجب بنفسه ويريد أن يجعل غاية الامور بدايتها فلذلك لم يتم له أمر

(جامع الظافر)

هذا الجامع بالقاهرة في وسط السوق الذى كان يعرف قديما بسوق السراجيين ويعرف اليوم بسوق الشوايين كان يقال له الجامع الافخر ويقال له اليوم جامع الفاكهيين وهو من المساجد الفاطمية عمره الخليفة الظافر بنصر الله أبو المنصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله

أبي الميمون عبد المجيد بن الآمر بأحكام الله منصور ووقف حوانيته على سدنته ومن يقرأ فيه * قال ابن عبد الظاهر بناه الظافر وكان قبل ذلك زريبة تعرف بدار الكباش وبناه في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وسبب بنائه أن خادما رأى من مشرف عال ذباحا وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدها ورمى سكينته ومضى ليقضي حاجته فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفمه ورماها في البالوعة فجاء الجزار يطوف على السكين فلم يجدها وأما الخادم فانه استصرخ وخلصه منه وطولع بهذه القضية أهل القصر فأمروا بعمله جامعا ويسمى الجامع الاخر وبه حلقة تدريس وفقهاء ومتصدرون للقرآن وأول ما أقيمت به الجمعة في (٣)

* (جامع الصالح) *

هذا الجامع من المواضع التي عمرت في زمن الخلفاء الفاطميين وهو خارج باب زويلة * قال ابن عبد الظاهر كان الصالح طلائع بن رزيك لما خيف على مشهد الامام الحسين رضى الله عنه اذ كان بعسقلان من هجمة الفرنج وعزم على نقله قد بني هذا الجامع ليدفنه به فلما فرغ منه لم يمكنه الخليفة من ذلك وقال لا يكون الا داخل القصور الزاهرة وبني المشهد الموجود الآن ودفن به وتم الجامع المذكور واستمر جلوس زين الدين الواعظ به وحضور الصالح اليه فيقال ان الصالح لما حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم في جملة وصيته ماندمت قط في شئ عملته الا في ثلاثة الاول بنائي هذا الجامع على باب القاهرة فانه صار عونا لها والثاني توليتي لشاور الصعيد الاعلى والثالث خروجي الى بلبيس بالعساكر وانفاقي الاموال الجمة ولم أتم بهم الى الشام وافتح بيت المقدس وأستأصل ساقة الفرنج وكان قد أنفق في العساكر في تلك الدفعة مائة ألف دينار وبني في الجامع المذكور صهريجا عظيما وجعل ساقية على الخليج قريب باب الخرق تملأ الصهريج المذكور أيام النيل وجعل المجاري اليه وأقيمت الجمعة فيه في الايام المعزية في سنة بضع وخمسين وستمائة بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله البادرائي وخطب به أصيل الدين أبو بكر الاسعردي وهي الى الآن ولما حدثت الزلزلة سنة اثنتين وسبعمائة تهدم فعمر على يد الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار * (طلائع بن رزيك) * أبو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين قدم في أول أمره الى زيارة مشهد الامام على بن أبي طالب رضى الله عنه بأرض النجف من العراق في جماعة من الفقراء وكان من الشيعة الامامية وامام مشهد على رضى الله عنه يومئذ السيد ابن معصوم فزار طلائع وأصحابه وباتوا هنالك فرأى ابن معصوم في منامه على ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول له قد ورد عليك الليلة أربعون فقيرا من جملتهم رجل يقال له طلائع بن رزيك من أكبر محبينا قل له اذهب فقد وليناك مصر فلما اصبح أمر أن ينادى من فيكم طلائع بن رزيك فليقم الى السيد ابن معصوم فجاء طلائع وسلم عليه فقص

عليه مارأي فسار حينئذ الى مصر وترقى فى الخدم حتي ولى منية بنى خصيب فلما قتل نصر ابن عباس الخليفة الظافر بعث نساء القصر الى طلائع يستغثن به فى الاخذ بثار الظافر وجعلن في طي الكتب شعور النساء فجمع طلائع عند ماوردت عليه الكتب الناس وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير عباس فعند ماقرب من البلد فر عباس ودخل طلائع الى القاهرة فخلع عليه خلع الوزارة ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين فباشر البلاد أحسن مباشرة واستبد بالامر لصغر سن الخليفة الفائز بنصر الله الى أن مات فأقام من بعده عبد الله بن محمد ولقبه بالعاضد لدين الله وبايع له وكان صغيرا لم يبلغ الحلم فقويت حرمة طلائع وازداد تمكنه من الدولة فثقل على أهل القصر لكثرة تضييقه عليهم واستبداده بالامر دونهم فوقف له رجال بدهاليز القصر وضربوه حتي سقط على الارض على وجهه وحمل جريحا لايعي الى داره فمات يوم الاثنين تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة وكان شجاعا كريما جوادا فاضلا محبا لاهل الادب جيد الشعر رجل وقته فضلا وعقلا وسياسة وتدبيرا وكان مهابا فى شكله عظيما في سطوته وجمع اموالا عظيمة وكان محافظا على الصلوات فرائضها ونوافلها شديد المغالاة في التشيع صنف كتابا سماه الاعتماد فى الرد على أهل العناد جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن امامة على بن أبي طالب رضى الله عنه والكلام على الاحاديث الواردة فى ذلك وله شعر كثير يشتمل على مجلدين فى كل فن فمنه في اعتقاده

ياأمة سلكت ضلالا بينا * حتي استوى اقرارها وجحودها
ملتم الى أن المعاصى لم يكن * الا بتقدير الاله وجودها
لو صح ذا كان الاله بزعمكم * منع الشريعة أن تقام حدودها
حاشا وكلا أن يكون الهنا * ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

وله قصيدة سماها الجوهرية في الرد على القدرية وجدد الجامع الذى بالقرافة الكبرى ووقف ناحية بلقس على أن يكون ثلثاها على الاشرف من بني حسن وبنى حسين ابني على بن أبي طالب رضي الله عنهم وسبع قراريط منها على أشراف المدينة النبوية وجعل فيها قيراطا على بني معصوم امام مشهد على رضى الله عنه ولما ولى الوزارة مال على المستخدمين بالدولة وعلى الامراء واظهر مذهب الامامية وهو مخالف لمذهب القوم وباع ولايات الاعمال للامراء بأسعار مقررة وجعل مدة كل متول ستة أشهر فتضرر الناس من كثرة تردد الولاة على البلاد وتعبوا من ذلك وكان له مجلس في الليل يحضره أهل العلم ويدونون شعره ولم يترك مدة أيامه غزو الفرنج وتسيير الجيوش لقتالهم في البر والبحر وكان يخرج البعوث في كل سنة مرارا وكان يحمل في كل عام الى أهل الحرمين مكة والمدينة من الاشراف سائر مايحتاجون اليه من الكسوة وغيرها حتي يحمل اليهم ألواح الصبيان التي يكتب فيها والاقلام والمداد

وآلات النسا.ويحمل كل سنة الى العلويين الذين بالمشاهد جملا كبيرة وكان أهل العلم يفدون اليه من سائر البلاد فلا يخيب أمل قاصد منهم * ولما كان فى الليلة التي قتل صبيحتها قال فى هذه الليلة ضرب في مثالها أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنـه وأمر بقربة مملئة فاغتسل وصلى على رأى الامامية مائة وعشرين ركعة أحيي بها ليلهوخرج ليركب فعثروسقطت عمامته عن رأسه وتشوشت فقعد في دهليز دار الوزارة وأمر باحضـار ابن الضيف وكان يتعمم للخلفاء والوزراء وله على ذلك الجارى الثقيل فلما أخذ فى اصلاح العمامة قال رجل للصالح نعيذ بالله مولانا ويكفيه هذا الذىجرى أمرا يتطير منه فان رأى مولانا أن يؤخر الركوب فعل فقال الطيرة من الشيطـان ليس الى تأخير الركوب سبيل وركب فكان من ضربه ما كان وعاد محمولا فمات منها كما تقدم

* (ذكر الاحباس وما كان يعمل فيها) *

اعلم أنالاحباس في القديم لم تكن تعرف الا في الرباع وما يجرى مجراهـا من المباني وكلها كانت علي جهات بر فأما المسجد الجـامع العتيق بمصر فكان يلى امامته في الصلوات الخمس والخطابة فيه يوم الجمعـة والصلاة بالناس صلاة الجمعة أمير البلد فتارة يجمع للامير بين الصلاة والخراج وتارة يفرد الخراج عن الامير فيكون الامير اليه أمر الصلاة بالنـاس والحرب ولآخر أمر الخراج وهو دون مرتبة أمير الصلاةوالحرب وكان الامير يستخلف عنه في الصلاة صاحب الشرطة اذا شغـله أمر ولم يزل الامر على ذلك الى أن ولى مصر عنبسة بن اسحاق بن شمر من قبل المستنصر بن المتوكل على الصلاة والخراجفقدمها لخمس خلونمن ربيـع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين وأقام الىمستهل رجب سنةاثنتينوأربعين ومائتينوصرف فكان آخر من ولىمصرمنالعرب وآخر أميرصلى بالناس فى المسجد الجامع وصار يصلى بالناس رجل يرزق من بيت المال وكذلك المؤذنون ونحوهم وأما الاراضى فلم يكن سلف الامة من الصحابة والتابعين يتعرضون لها وانما حـدث ذلك بعد عصرهم حتي ان أحمد بن طولون لما بنى الجامع والمارستان والسقاية وحبس على ذلكالاحباس الـكثيرة لم يكن فيها سوى الرباع ونحوها بمصر ولم يتعرض الى شئ من أراضي مصر البتة وحبس أبو بكر محمد بن على الماردانى بركة الحبش وسيوط وغيرها على الحرمين وعلى جهـات بر وحبسغيره أيضـا فلما قدمتالدولة الفاطميـة من المغرب الى مصربطـل تحبيس البلاد وصـار قاضى القضـاة يتولى أمر الاحبـاس من الرباع واليـه أمر الجوامع والمشـاهد وصـار للاحبـاس ديوان مفرد وأول ماقـدم المعز أمر فى ربيع الآخر سـنة ثلاث وستين وثلثمائة بحمـل مال الاحباس من المودع الى بيت المال الذى لوجوه البر وطولب أصحاب الاحباس بالشرائط ليحملوا غلها وما يجب لهم فيها وللنصفمن شعبانضمنالاحباس

محمد بن القاضي أبي الطاهر محمد بن أحمد بألف ألف وخمسمائة ألف درهم في كل سنة يدفع الى المستحقين حقوقهم ويحمل مابقي الى بيت المال * وقال ابن الطوير الخدمة في ديوان الاحباس وهو أوفر الدواوين مباشرة ولا يخدم فيه الا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين بحكم أنها معاملة دينية وفيها عدة مدبرين ينوبون عن أرباب هذه الخدم في ايجاب أرزاقهم من ديوان الرواتب ويجزون لهم الخروج بأطلاق أرزاقهم ولا يوجب لاحد من هؤلاء خرج الا بعد حضور ورقة التعريف من جهة مشارف الجوامع والمساجد باستمرار خدمته ذلك الشهر جميعه ومن تأخر تعريفه تأخر الايجاب له وان تمادى ذلك استبدل به أو توفر مابإسمه لمصلحة أخرى خلا جواري المشاهد فانها لاتوفر لكنها تنقل من مقصر الى ملازم وكان يطلق لكل مشهد خمسون درهما في الشهر برسم الماء لزوارها ويجرى من معاملة سواقى السبيل بالقرافة والنفقة عليها من ارتفاعه فلا تخلو المصانع ولا الاحواض من الماء أبداً ولا يعترض أحد من الانتفاع به وكان فيه كاتبان ومعينان * وقال المسبحي في حوادث سنة ثلاث وأربعمائة وأمر الحاكم بأمر الله باثبات المساجد التي لاغلة لها ولا أحد يقوم بها وماله منها غلة لاتقوم بما يحتاج اليه فاثبت في عمل ورفع الى الحاكم بأمر الله فكانت عدة المساجد على الشرح المذكور ثمانمائة وثلاثين مسجدا ومبلغ مايحتاج اليه من النفقة في كل شهر تسعة آلاف ومائتان وعشرون درهما على ان لكل مسجد في كل شهر اثنى عشر درهما وقال في حوادث سنة خمس وأربعمائة وقرئ يوم الجمعة ثامن عشرى صفر سجل بتحبيس عدة ضياع وهى اطفيح وصول وطوخ وست ضياع أخر وعدة قياسر وغيرها على القراء والفقهاء والمؤذنين بالجوامع وعلى المصانع والقوام بها ونفقة المارستانات وأرزاق المستخدمين فيها وثمن الاكفان * وقال الشريف بن أسعد الجواني كان القضاة بمصر اذا بقي لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوما على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة يبدؤن بجامع المقس ثم القاهرة ثم المشاهد ثم القرافة ثم جامع مصر ثم مشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وما تشعث منه ومازال الامر على ذلك الى أن زالت الدولة الفاطمية فلما استقرت دولة بني أيوب أضيفت الاحباس أيضاً الى القاضي ثم تفرقت جهات الاحباس في الدولة التركية وصارت الى يومنا هذا ثلاث جهات * الاولى تعرف بالاحباس ويلي هذه الجهة دوادار السلطان وهو أحد الامراء ومعه ناظر الاحباس ولا يكون الا من أعيان الرؤساء وبهذه الجهة ديوان فيه عدة كتاب ومدبر واكثر ما في ديوان الاحباس الرزق الاحباسية وهى أراض من أعمال مصر على المساجد والزوايا للقيام بمصالحها وعلى غير ذلك من جهات البر وبلغت الرزق الاحباسية في سنة أربعين وسبعمائة عند ماحررها النشو ناظر الخاص في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون مائة الف وثلاثين الف فدان فدان عمل النشو بها أوراقا

وحدث السلطان فى اخراجها عمن هى باسمه وقال جميع هذه الرزق أخرجها الدواوين بالبراطيل والتقرب الى الامراء والحكام و اكثرها بأيدى أناس من فقهاء الارياف لايدرون الفقه يسمون أنفسهم الخطباء ولا يعرفون كيف يخطبون ولا يقرؤن القرآن وكثير منها بأسماء مساجد وزوايا معطلة وخراب وحسن له أن يقيم شادا وديوانا يسير في النواحي وينظر في المساجد التي هى عامرة ويصرف لها من رزقها النصف وما عدا ذلك يجري فى ديوان السلطان فعاجله الله وقبض عليه قبل عمل شىء من ذلك * الجهة الثانية تعرف بالاوقاف الحكمية بمصر والقاهرة ويلي هذه الجهة قاضى القضاة الشافعى وفيهاما حبس من الرباع على الحرمين وعلى الصدقات والاسرى وأنواع القرب ويقال لمن يتولى هذه الجهة ناظر الاوقاف فتارة ينفرد بنظر أوقاف مصر والقاهرة رجل واحد من أعيان نواب القاضى وتارة ينفرد بأوقاف القاهرة ناظر من الاعيان ويلي نظر أوقاف مصر آخر ولكل من أوقاف البلدين ديوان فيه كتاب وجباة وكانت جهة عامرة يحصل منها أموال جمة فيصرف منها لاهل الحرمين أموال عظيمة في كل سنة تحمل من مصر اليهم مع من يثق به قاضى القضاة وتفرق هناك صررا ويصرف منها أيضاً بمصر والقاهرة لطلبة العلم ولاهل الستر وللفقراء شيء كثير الا انها اختلت وتلاشت في زمننا هذا وعما قليل ان دام مانحن فيه لم يبق لها أثر البتة وسبب ذلك انه ولى قضاء الحنفية كمال الدين عمر بن العديم في أيام الملك الناصر فرج وولاية الامير جمال الدين يوسف تدبير الامور والمملكة فتظاهرا معا على اتلاف الاوقاف فكان جمال الدين اذا أراد أخذ وقف من الاوقاف أقام شاهدين يشهدان بأن هذا المكان يضر بالجار والمار وأن الحظ فيه أن يستبدل به غيره فيحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم باستبدال ذلك وشره جمال الدين في هذا الفعل كما شره فى غيره فحكم له المذكور باستبدال القصور العامرة والدور الجليلة بهذه الطريقة والناس على دين ملكهم فصار كل من يريد بيع وقف أو شراء وقف سعى عند القاضى المذكور بجاه أو مال فيحكم له بما يريد من ذلك واستدرج غيره من القضاة الى نوع آخر وهو أن تقام شهود القيمة فيشهدون بأن هذا الوقف ضار بالجار والمار وأن الحظ والمصلحة في بيعه أنقاضا فيحكم قاض شافعى المذهب ببيع تلك الانقاض واستمر الامر على هذا الى وقتنا هذا الذي نحن فيه ثم زاد بعض سفهاء قضاة زمننا في المعنى وحكم ببيع المساجد الجامعة إذا خرب ما حولها وأخذ ذرية واقفها ثمن أنقاضها وحكم آخر منهم ببيع الوقف ودفع الثمن لمستحقه من غير شراء بدل فامتدت الايدي لبيع الاوقاف حتى تلف بذلك سائر ما كان في قرافتي مصر من الترب وجميع ما كان من الدور الجليلة والمساكن الانيقة بمصر الفسطاط ومنشأة المهرانى ومنشأة الكتاب وزريبة قوصون وحكر ابن الاثير وسويقة الموفق وما كان فى

الحكورة من ذلك وما كان بالجوانية والعطوفية وغيرها من حارات القاهرة وغيرها فكان ما ذكر أحد أسباب الخراب كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب * الجهة الثالثة الاوقاف الاهلية وهى التي لها ناظر خاص اما من أولاد الواقف أو من ولاة السلطان أو القاضي وفي هذه الجهة الخوانك والمدارس والجوامع والترب وكان متحصلها قد خرج عن الحد في الكثرة لما حدث في الدولة التركية من بناء المدارس والجوامع والترب وغيرها وصاروا يفردون أراضى من أعمال مصر والشامات وفيها بلاد مقررة ويقيمون صورة يتملكونها بها ويجعلونها وقفا على مصارف كما يريدون فلما استبد الامير برقوق بأمر بلاد مصر قبل أن يتلقب باسم السلطنة هم بارتجاع هذه البلاد وعقد مجلسا فيه شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء وغيره فلم يتهيأ له ذلك فلما جلس على تخت الملك صار امراؤه يستأجرون هذه النواحي من جهات الاوقاف ويؤجرونها للفلاحين بأزيد مما استأجروا فلما مات الظاهر فحش الامر في ذلك واستولي أهل الدولة على جميع الاراضى الموقوفة بمصر والشامات وصار أجودهم من يدفع فيها لمن يستحق ريعها عشر مايحصل له والا فكثير منهم لايدفع شيئاً البتة لاسيما ما كان من ذلك في بلاد الشام فانه استهلك وأخذ ولذلك كان أسوأ الناس حالا فى هذه المحن التى حدثت منذ سنة ست وثمانمائة الفقهاء لخراب الموقوف عليهم وبيعه واستيلاء أهل الدولة على الاراضى

* (الجامع بجوار تربة الشافعى بالقرافة) *

هذا الجامع كان مسجدا صغيرا فلما كثر الناس بالقرافة الصغرى عند ماعمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المدرسة بجوار قبر الامام الشافعي رضى الله عنه وجعل لها مدرساً وطلبة زاد الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في المسجد المذكور ونصب به منبرا وخطب فيه وصليت الجمعة به في سنة سبع وستمائة

(جامع محمود بالقرافة)

هذا المسجد قديم والخطبة فيه متجددة وينسب لمحمود بن سالم بن مالك الطويل من أجناد السرى بن الحكم أمير مصر بعد سنة مائتين من الهجرة قال القضاعي المسجد المعروف بمحمود يقال ان محمودا هذا كان رجلا جنديا من جند السرى بن الحكم أمير مصر وانه هو الذى بنى هذا المسجد وذلك أن السرى بن الحكم ركب يوما فعارضه رجل فى طريقه فكلمه ووعظه بما غاظه فالتفت عن يمينه فرأى محموداً فأمره بضرب عنق الرجل ففعل فلما رجع محمود الى منزله تفكر وندم وقال رجل يتكلم بموعظة بحق فيقتل بيدي وأنا طائع غير مكره على ذلك فهلا امتنعت وكثر أسفه وبكاؤه وآلى على نفسه أن يخرج من الجندية ولا يعود

فيها ولم ينم ليلته من الغم والندم فلما اصبح غدا الى السرى فقال له انى لم انم فى هذه الليلة على قتل الرجل وأنا اشهد الله عز وجل وأشهدك أنى لاأعود في الجندية فأسقط اسمى منهم وان أردت نعمتي فهى بين يديك وخرج من بين يديه وحسنت توبته وأقبل على العبادة واتخذ المسجد المعروف بمسجد محمود وأقام فيه * وقال ابن المتوج المسجد الجامع المشهور بسفح المقطم هذا الجامع من مساجد الخطبة وهو بسفح الجبل المقطم بالقرافة الصغرى وأول من خطب فيه السيد الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد قاضي العسكر والمدرس بالمدرسة الناصرية الصلاحية بجوار جامع عمرو وبه عرفت بالشريفية وسفير الخلافة المعظمة وتوفي فى شوال سنة خمس وخمسين وستمائة وكان أيضاً نقيب الاشراف

* (جامع الروضة بقلعة جزيرة الفسطاط) *

قال ابن المتوج هذا الجامع عمره السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان أمام بابه كنيسة تعرف بابن لقاق بترك اليعاقبة وكان بها بئر مالحة وذلك مما عد من عجائب مصر أن في وسط النيل جزيرة بوسطها بئر مالحة وهذه البئر التي رأيتها كانت قبالة باب المسجد الجامع وانما ردمت بعد ذلك وهذا الجامع لم يزل بيد بني الرداد ولهم نواب عنهم فيه ثم لما كانت أيام السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى هدم هذا الجامع في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ووسعه بدور كانت الى جانبه وشرع فى عمارته فمات قبل الفراغ منه

* (جامع غين بالروضة) *

قال ابن المتوج المسجد الجامع بروضة مصر يعرف بجامع غين وهو القديم ولم تزل الخطبة قائمة فيه الى أن عمر جامع المقياس فبطلت الخطبة منه ولم تزل الخطبة بطالة منه الى الدولة الظاهرية فكثرت عمائر الناس حوله فى الروضة وقل الناس فى القلعة وصاروا يجدون مشقة في مشيهم من أوائل الروضة وعمر الصاحب محي الدين أحمد ولد الصاحب بهاء الدين على بن حنا داره على خوخة الفقيه نصر قبالة هذا الجامع فحسن له اقامة الجمعة في هذا الجامع لقربه منه ومن الناس فتحدث مع والده فشاور السلطان الملك الظاهر بيبرس فوقع منه بموقع لكثرة ركوبه بحر النيل واعتنائه بعمارة الشواني ولعبها فى البحر ونظره الى كثرة الخلائق بالروضة ورسم باقامة الخطبة فيه مع بقاء الخطبة بجامع القلعة لقوة نيته في عمارتها على ما كانت عليه فأقيمت الخطبة به في سنة ستين وستمائة وولى خطابته أقضى القضاة جمال الدين بن الغفارى وكان ينوب بالجيزة في الحكم ثم ناب فى الحكم بمصر عن قاضي القضاة وجيه الدين البهنسى وكان امامه في حال عطلته من الخطبة فلما أقيمت فيه الخطبة أضيفت اليه الخطابة فيه مع الامامة * غين أحد خدام الخليفة الحاكم بأمر الله خلع عليه في تاسع ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة وقلده سيفا وأعطاه سجلا قرئ فاذا فيه انه لقب

بقائد القواد وأمر أن يكتب بذلك ويكاتب به وركب وبين يديه عشرة أفراس بسروجها ولجمها وفي ذى القعدة من السنة المذكورة أنفذ اليه الحاكم خمسة آلاف دينار وخمسة وعشرين فرسا بسروجها ولجمها وقلده الشرطتين والحسبة بالقاهرة ومصر والجيزة والنظر فى أمور الجميع وأموالهم وأحوالهم كلها وكتب له سجلا بذلك قرئ بالجامع العتيق فنزل الى الجامع ومعه سائر العسكر والخلع عليه وحمل على فرسين وكان فى سجله مراعاة أمر النبيذ وغيره من المسكرات وتتبع ذلك والتشديد فيه وفى المنع من عمل الفقاع وبيعه ومن اكل الملوخيا والسمك الذى لاقشر له والمنع من الملاهى كلها والتقدم بمنع النساء من حضور الجنائز والمنع من بيع العسل وأن لايتجاوز فى بيعه أكثر من ثلاثة أرطال لمن لايسبق اليه ظنه أن يتخذ منه مسكرا فاستمر ذلك الى غرة صفر سنة أربع وأربعمائة فصرف عن الشرطتين والحسبة بمظفر الصقلي فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر منها أمر بقطع يدى كاتبه أبي القاسم على بن أحمد الجرجانى فقطعتا جميعا وذلك انه كان يكتب عند السيدة الشريفة أخت الحاكم فانتقل من خدمتها الى خدمة غبن خوفا على نفسه من خدمتها فسخطت لذلك فبعث اليها يستعطفها ويذكر في رقعته شيئاً وقفت عليه فارتابت منه فظنت أن ذلك حيلة عليها وانفذت الرقعة فى طي رقعتها الى الحاكم فلما وقف عليها اشتد غضبه وأمر بقطع يديه جميعا فقطعتا وقيل بل كان غبن هو الذى يوصل رقاع عقيل صاحب الخبر الى الحاكم فى كل يوم فيأخذها من عقيل وهى مختومة بخاتمه ويدفعها لكاتبه أبي القاسم الجرجاني حتي يخلوله وجه الحاكم فيأخذها حينئذ من كاتبه ويوقفه عليها وكان الجرجاني يفك الختم ويقرأ الرقاع فلما كان في يوم من الايام فك رقعة فوجد فيها طعنا على غبن أستاذه وقد ذكر فيها بسوء فقطع ذلك الموضع واصلحه وأعاد ختم الرقعة فبلغ ذلك عقيلا صاحب الخبر فبعث الى الحاكم يستأذنه في الاجتماع به خلوة في أمر مهم فأذن له وحدثه بالخبر فأمر حينئذ بقطع يدى الجرجاني فقطعتا ثم بعد قطع يديه بخمسة عشر يوماً فى ثالث جمادى الاولى قطعت يد غبن الاخرى وكان قد أمر بقطع يده قبل ذلك بثلاث سنين وشهر فصار مقطوع اليدين معا ولما قطعت يده حملت فى طبق الى الحاكم فبعث اليه بالاطباء ووصله بألوف من الذهب وعدة من اسفاط ثياب وعاده جميع أهل الدولة فلما كان ثالث عشره أمر بقطع لسانه فقطع وحمل الى الحاكم فسير اليه الاطباء ومات بعد ذلك

✽ (جامع الافرم) ✽

قال ابن المتوج هذا الجامع بسفح الرصد عمره الامير عز الدين ايبك بن عبد الله المعروف بالافرم أمير جاندار الملك الصالحى النجمى في شهور سنة ثلاث وستين وستمائة لما عمر المنظرة هناك وعمر بجوارها رباطاً للفقراء وقررهم عدة تنعقد بهم الجمعة وقرر اقامتهم

فيه ليلا ونهارا وقرر كفايتهم واعانهم على الاقامة وعمر لهم هذا الجامع يستغنون به عن السعى الى غيره وذكر أن الافرم أيضاً عمر مسجداً بجسر الشعيبية فى شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة جامعا هدم فيه عدة مساجد

* (الجامع بمنشأة المهراني) *

قال ابن المتوج والسبب فى عمارة هذا الجامع ان القاضى الفاضل كان له بستان عظيم فيما بين ميدان اللوق وبستان الخشاب الذي أكله البحر وكان يمير مصر والقاهرة من ثماره وأعنابه ولم تزل الباعة ينادون على العنب رحم الله الفاضل ياعنب الى مدة سنين عديدة بعد أن أكله البحر وكان قد عمر الى جانبه جامعا وبنى حوله فسميت بمنشأة الفاضل وكان خطيبه أخا الفقيه موفق الدين بن المهدوى الديباجى العثمانى وكان قد عمر بجواره دارا وبستانا وغرس فيه أشجاراً حسنة ودفع اليه فيه ألف دينار مصرية فى أول الدولة الظاهرية وكان الصرف قد بلغ فى ذلك الوقت كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصف درهم نقرة فاستولى البحر على الجامع والدار والمنشأة وقطع جميع ذلك حتى لم يبق له أثر وكان خطيبه موفق الدين يسكن بجوار الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا ويتردد اليه والى والده محيي الدين فوقف وضرع اليهما وقال اكون غلام هذا الباب ويخرب جامعى فرحمه الصاحب وقال السمع والطاعة يدبر الله ثم فكر فى هذه البقعة التى فيها هذا الجامع الآن وكانت تعرف بالكوم الاحمر مرصدة لعمل أقمنة الطوب الآجرية سميت بالكوم الاحمر وكان الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا قد عمر منظرة قبالة هذا الكوم وهى التى صارت دار ابن صاحب الموصل وكان فخر الدين كثير الاقامة فيها مدة الايام المعزية فقلق من دخان الاقمنة التى على الكوم الاحمر وشكا ذلك لوالده ولصهره الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى فأمرا بتقويمه فقوم مابين بستان الحلي وبحر النيل وابتاعه الصاحب بهاء الدين فلما مات ولده فخر الدين وتحدث مع الملك الظاهر بيبرس فى عمارة جامع هناك ملكه هذه القطعة من الارض فعمر السلطان بها هذا الجامع ووقف عليه بقية هذه الارض المذكورة فى شهر رمضان سنة احدى وسبعين وستمائة وجعل النظر فيه لاولاده وذريته ثم من بعدهم لقاضى القضاة الحنفى وأول من خطب فيه الفقيه موفق الدين محمد بن أبى بكر المهدوى العثمانى الديباجى الى أن توفى يوم الاربعاء ثالث عشر شوال سنة خمس وثمانين وستمائة وقد تعطلت اقامة الجمعة من هذا الجامع لخراب ماحوله وقلة الساكنين هناك بعد أن كانت تلك الخطة فى غاية العمارة وكان صاحبنا شمس الدين محمد بن الصاحب قد عزم على نقل هذا الجامع من مكانه فاخترمته المنية قبل ذلك

* (جامع دير الطين) *

قال ابن المتوج هذا الجامع بدير الطين في الجانب الشرقي عمره الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين ولد الصاحب بهاء الدين المشهور بابن حنا في المحرم سنة أثنتين وسبعين وستمائة وذلك انه لما عمر بستان المعشوق ومناظره وكثرت اقامته بها وبعد عليه الجامع وكان جامع دير الطين ضيقا لايسع الناس فعمر هذا الجامع وعمر فوقه طبقة يصلي فيها ويعتكف اذا شاء ويخلو بنفسه فيها وكان ماء النيل في زمنه يصل الى جدار هذا الجامع وولى خطابته للفقيه جمال الدين محمد ابن الماشطة ومنعه من لبس السواد لاداء الخطبة فاستمر الى حين وفاته في عاشر رجب سنة تسع وسبعمائة وأول خطبة أقميت فيه يوم الجمعة سابع صفر سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقد ذكرت ترجمة الصاحب تاج الدين عند ذكر رباط الآثار من هذا الكتاب * (محمد ابن علي بن محمد بن سليم بن حنا) * أبو عبد الله الوزير الصاحب فخر الدين ابن الوزير الصاحب بهاء الدين ولد في سنة اثنتين وعشرين وستمائة وتزوج بابنة الوزير الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى وناب عن والده في الوزارة وولى ديوان الاحباس ووزارة الصحبة في ايام الظاهر بيبرس وسمع الحديث بالقاهرة ودمشق وحدث وله شعر جيد ودرس بمدرسة أبيه الصاحب بهاء الدين التي كانت في زقاق القناديل بمصر وكان محبا لاهل الخير والصلاح مؤثرا لهم متفقدا الاحوالهم وعمر رباطا حسنا بالقرافة الكبرى رتب فيه جماعة من الفقراء ومن غريب مايتعظ به الاريب أن الوزير الصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير الذى كان بنو حنا يعادونه وعنه اخذوا الوزارة مات في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وستمائة بالسجن فأخرج كما تخرج الاموات الطرحاء على الطرقات من الغرباء ولم يشيع جنازته أحد من الناس مراعاة للصاحب بن حنا وكان فخر الدين هذا يتنزه في أيام الربيع بمنية القائد وقد نصبت له الخيام وأقيمت المطابخ وبين يديه المطربون فدخل عليه البشير بموت الوزير يعقوب بن الزبير وانه أخرج الى المقابر من غير أن يشيع جنازته أحد من الناس فسر بذلك ولم يتمالك نفسه وأمر المطربين فغنوه ثم قام على رجليه ورقص وهو وسائر من حضره وأظهر من الفرح والخلاعة ماخرج به عن الحد وخلع على البشير بموت المذكور خلعا سنية فلم يمض على ذلك سوى اقل من أربعة اشهر ومات في حادي عشرى شعبان من السنة المذكورة ففجع به أبوه وكانت له جنازة عظيمة ولما دلى في لحده قام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى صاحب البردة في ذلك الجمع الموفور بتربة ابن حنا من القرافة وانشد

نم هنيئاً محمد بن علي * بجميل قدمت بين يديكا
لم تزل عوننا على الدهر حتى * غلبتنا يد المنون عليكا

انت أحسنت فى الحياة الينا * أحسن الله فى الممات اليكا

فتباكي الناس وكان لها محل كبير ممن حضر رحمة الله عليهم أجمعين * وفى هذا الجامع يقول السراج الوراق

بنيتم على تقوي من الله مسجدا * وخير مبانى العابدين المساجد
فقل في طراز معلم فوق بركة * على حسنها الزاهي لها البحر حاسد
لها حلل حسني ولكن طرازها * من الجامع المعمور بالله واحد
هو الجامع الاحسان والحسن الذى * أقر له زيد وعمرو وخالد
وقد صافحت شهب الدجي شرفاته * فما هى بين الشهب الافراقد
وقد أرشد الضلال عالى مناره * فلا حائر عنه ولا عنه حائد
ونالت نواقيس الديارات وجمة * وخوف فلم يعدد لهن ساعد
فتبكي عليهن البطاريق في الدجى * وهن لديهم ملقيات كواسد
بذا قضت الايام مابين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

* (جامع الظاهر) *

هذا الجامع خارج القاهرة وكان موضعه ميدانا فأنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقارى جامعا * قال جامع السيرة الظاهرية وفي ربيع الآخر يعني سنة خمس وستين وستمائة اهتم السلطان بعمارة جامع بالحسينية وسير الاتابك فارس الدين اقطاى المستعرب والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا وجماعة من المهندسين لكشف مكان يليق أن يعمل جامعا فتوجهوا لذلك واتفقوا على مناخ الجمال السلطانية فقال السلطان لا والله لاجعلت الجامع مكان الجمال وأولي ماجعلته ميدانى الذي ألعب فيه بالكرة وهو نزهتي فلما كان يوم الخميس ثامن شهر ربيع الآخر ركب السلطان وصحبته خواصه والوزير الصاحب بهاء الدين على بن حنا والقضاة ونزل الى ميدان قراقوش وتحدث فى أمره وقاسه ورتب أموره وأمور بنائه ورسم بأن يكون بقية الميدان وقفا على الجامع بحكر ورسم بين يديه هيئة الجامع وأشار أن يكون بابه مثل باب المدرسة الظاهرية وأن يكون على محرابه قبة على قدر قبة الشافعى رحمة الله عليه وكتب في وقته الكتب الى البلاد باحضار عمد رخام من سائر البلاد وكتب باحضار الجمال والجواميس والابقار والدواب من سائر الولايات وكتب باحضار الآلات من الحديد والاخشاب النقية برسم الابواب والسقوف وغيرها ثم توجه لزيارة الشيخ الصالح خضر بالمكان الذى أنشأه له وصلى الظهر هناك ثم توجه الى المدرسة بالقاهرة فدخلها والفقهاء والقراء على حالهم وجلس بينهم ثم تحدث وقال هذا مكان قد جعلته لله عز وجل وخرجت عنه وقفا لله اذا مت لاتدفنونى هنا ولا تغيروا معالم هذا المكان فقد خرجت عنه،

لله تعالى ثم قام من ايوان الحنفية وجلس بالمحراب في ايوان الشافعية وتحدث وسمع القرآن والدعاء ورأى جميع الاماكن ودخل الى قاعة ولده الملك السعيد المبنية قريبا منها ثم ركب الى قلعة الجبل وولى عدة مشدين على عمارة الجامع وكان الى جانب الميدان قاعة ومنظرة عظيمة بناها السلطان الملك الظاهر فلما رسم ببناء الجامع طلبها الامير سيف الدين قشتمر العجمى من السلطان فقال الارض قد خرجت عنها لهذا الجامع فاستأجرها من ديوانه والبناء والاصناف وهبتك اياها وشرع فى العمارة فى منتصف جمادى الآخرة منها وفي أول جمادى الآخرة سنة ست وستين وستمائة سار السلطان من ديار مصر يريد بلاد الشام فنزل على مدينة يافا وتسلمها من الفرنج بأمان في يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة المذكور وسير أهلها فتفرقوا فى البلاد وشرع فيهدمها وقسم أبراجها على الامراء فابتدأ فى ذلك من ثاني عشريه وقاسوا شدة في هدمها لحصانتها وقوة بنائها لاسيما القلعة فانها كانت حصينة عالية الارتفاع ولها أساسات الى الارض الحقيقية وباشر السلطان الهدم بنفسه وبخواصه ومماليكه حتى غلمان البيوتات التي له وكان ابتداء هدم القلعة في سابع عشريه ونقضت من أعلاها ونظفت زلاقتها واستمر الاجناد فى كذلك ليلا ونهارا وأخذ من أخشابها جملة ومن ألواح الرخام التي وجدت فيها ووسق منها مركبا من المراكب التي وجدت فى يافا وسيرها الى القاهرة ورسم بأن يعمل من ذلك الخشب مقصورة في الجامع الظاهري بالميدان من الحسينية والرخام يعمل بالمحراب فاستعمل كذلك ولما عاد السلطان الى مصر في حادى عشرى ذى الحجة منها وقد فتح في هذه السفرة يافا وطرابلس وانطاكية وغيرها أقام الى أن أهلت سنة سبع وستين وستمائة فلما كملت عمارة الجامع في شوال منها ركب السلطان ونزل الى الجامع وشاهده فرآه في غاية مايكون من الحسن وأعجبه نجازه في أقرب وقت ومدة مع علو الهمة فخلع على مباشريه وكان الذى تولى بناءه الصاحب بهاء الدين بن حنا والامير علم الدين سنجر السرورى متولى القاهرة وزار الشيخ خضرا وعاد الى قلعته وفي شوال منها تمت عمارة الجامع الظاهرى ورتب به خطيبا حنفى المذهب ووقف عليه حكر مابقى من أرض الميدان ونزل السلطان اليه ورتب أوقافه ونظر في أموره * (بيبرس) الملك الظاهر ركن الدين البندقدارى أحد المماليك البحرية الذين اختص بهم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وأسكنهم قلعة الروضة كان أولا من مماليك الامير علاء الدين أيدكين البندقدارى فلما سخط عليه الملك الصالح أخذ مماليكه ومنهم الامير بيبرس هذا وذلك في سنة أربع وأربعين وستمائة وقدمه على طائفة من الجمدارية وما زال يترقى فى الخدم الى أن قتل المعز أيبك التركمانى الفارس أقطاى الجمدار فى شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة وكانت البحرية قد انحازت اليه فركبوا في نحو السبعمائة فلما ألقيت اليهم رأس أقطاى تفرقوا

واتفقوا على الخروج الى الشام وكانت أعيانهم يومئذ بيبرس البندقدارى وقلاون الالفى وسنقر الاشقر وبيسرى وترامق وتنكز فساروا الى الملك الناصر صاحب الشام ولم يزل بيبرس ببلاد الشام الى أن قتل المعز أيبك وقام من بعده ابنه المنصور علي وقبض عليه نائبه الامير سيف الدين قطز وجلس على تخت المملكة وتلقب بالملك المظفر فقدم عليه بيبرس فأمره المظفر قطز ولما خرج قطز الى ملاقاة التتار وكان من نصرته عليهم ما كان ورحل الى دمشق فوشى اليه بان الامير بيبرس قد تنكر له وتغير عليه وانه عازم على القيام بالحرب فأسرع قطز بالخروج من دمشق الى جهة مصر وهو مضمر لبيبرس السوء وعلم بذلك خواصه فبلغ ذلك بيبرس فاستوحش من قطز وأخذ كل منهما يحترس من الآخر على نفسه وينتظر الفرصة فبادر بيبرس وواعد الامير سيف الدين بلبان الرشيدى والامير سيف الدين بيدغان الركني المعروف بسم الموت والامير سيف الدين بلبان الهاروني والامير بدر الدين آنص الاصبهاني فلما قربوا في مسيرهم من القصر بين الصالحية والسعيدية عند القرين انحرف قطز عن الدرب للصيد فلما قضى منه وطره وعاد والامير بيبرس يسايره هو وأصحابه طلب بيبرس منه امرأة من سبي التتار فأنعم عليه بها فتقدم ليقبل يده وكانت اشارة بينه وبين أصحابه فعندما رأوا بيبرس قد قبض على يد السلطان المظفر قطز بادر الامير بكتوت الجوكندار وضربه بسيف على عاتقه أبانه واختطفه الامير آنص والقاه عن فرسه الى الارض ورماه بهادر المغربي بسهم فقتله وذلك يوم السبت خامس عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ومضوا الى الدهليز للمشورة فوقع الاتفاق على الامير بيبرس فتقدم اليه أقطاى المستعرب الجمدار المعروف بالاتابك وبايعه وحلف له ثم بقية الامراء وتلقب بالملك الظاهر وذلك بمنزلة القصير فلما تمت البيعة وحلف الامراء كلهم قال له الامير اقطاي المستعرب ياخوند لايتم لك أمر الا بعد دخولك الى القاهرة وطلوعك الى القلعة فركب من وقته ومعه الامير قلاون والامير بلبان الرشيدى والامير بيلبك الخازندار وجماعة يريدون قلعة الجبل فلقيهم في طريقهم الامير عز الدين أيدمر الحلي نائب الغيبة عن المظفر قطز وقد خرج لتلقيه فأخبروه بما جري وحلفوه فتقدمهم الى القلعة ووقف على بابها حتى وصلوا في الليل فدخلوا اليها وكانت القاهرة قد زينت لقدوم السلطان الملك المظفر قطز وفرح الناس بكسر التتار وعود السلطان فما راعهم وقد طلع النهار الا والمشاعلي ينادي معاشر الناس ترحموا على الملك المظفر وادعوا لسلطانكم الملك الظاهر بيبرس فدخل على الناس من ذلك غم شديد ووجل عظيم خوفا من عود البحرية الى ما كانوا عليه من الجور والفساد وظلم الناس * فأول مابدأ به الظاهر أنه أبطل ما كان قطز أحدثه من المظالم عند سفره وهو تصقيع الاملاك وتقويمها وأخذ زكاة ثمنها في كل سنة وجباية دينار من كل انسان وأخذ ثلث الترك الاهلية فبلغ ذلك في السنة

ستمائة الف دينار وكتب بذلك مسموحا قرئ على المنابر فى صبيحة دخوله الى القلعة وهو يوم الاحد سادس عشر ذى القعـدة المذكور وجلس بالايوان وحلف العساكر واستناب الامير بدر الدين بيلبك الخازندار بالديار المصرية واستقر الامير فارس الدين اقطاى المستعرب أتابكا على عادته والامير جمال الدين أقوش النجيبي أستادارا والامير عز الدين أيبك الافرم الصالحي أمير جاندار والامير لاجين الدرفيل وبلبان الرومى دوادارية والامير بهاء الدين يعقوب الشهر زورى أمـير اخور على عادته وبهاء الدين علي بن حنا وزيرا والامير ركن الدين التاجي الركني والامير سيف الدين بكجري حجابا ورسم باحضـار البحرية الذين تفرقوا في البلاد بطالين وسير الكتب الى الاقطار بما تجدد له من النعم ودعاهم الى الطاعة فأذعنوا له وانقادوا اليه وكان الامير علم الدين سنجر الحلبي نائب دمشق لما قتل قطز جمع الناس وحلفهم وتلقب بالملك المجاهد وثار علاء الدين الملقب بالملك السعيد ابن صاحب الموصل في حلب وظلم أهلها وأخذ منهم خمسين ألف دينار فقام عليه جماعة ومقدمهم الامير حسام الدين لاجين العزيزى وقبضوا عليـه فـبعث الظاهر الى لاجين بنيابة حلب * فلما دخلت سنة تسع وخمسين قبض الظاهر على جماعة من الامراء المعزية منهم الامـير سنجر الغتمى والامير بهادر المعزى والشجاع بكتوت ووصل الى السلطان الامام أبو العباس أحمد ابن الخليفة الظاهر العباسى من بغداد فى تاسع رجب فتلقاه السلطان في عساكره وبالغ فى اكرامـه وأنزله بالقلعة وحضر سائر الامراء والمقدمين والقضاة وأهل العلم والمشايخ بقاعة الاعمدة من القلعة بين يدى أبي العباس فتأدب السلطان الظاهر ولم يجلس على مرتبـة ولا فوق كرسى وحضر العربان الذين قدموا من العراق وخادم من طواشيـة بغداد وشهدوا بأن العباس أحمد ولد الخليفة الظاهر ابن الخليفة الناصر وشهد معهم بالاستفاضة الامير جمال الدين يحيي نائب الحكم بمصر وعلم الدين بن رشيق وصدر الدين موهوب الجزرى ونجيب الدين الحراني وسديد الزمنتي نائب الحكم بالقاهرة عند قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي وأسجل على نفسه بثبوت نسب أبي العباس أحمد وهو قائم على قدميه ولقب بالامام المستنصر بالله وبايعه الظاهر على كتاب الله وسنة نبيه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله وأخـذ أموال الله بحقها وصرفها في مستحقها فلما تمت البيعة قلد المستنصر بالله السلطان الملك الظاهر أمر البلاد الاسلامية وماسيفتحـه الله على يديه من بلاد الكفار وبايع الناس المستنصر على طبقاتهم وكتب الى الاطراف بأخـذ البيعة له واقامة الخطبة باسـمه على المنابر ونقشت السكة في ديار مصر باسـمه واسم الملك الظاهر معا * فلما كان يوم الجمعة سابع عشر رجب خطب الخليفة بالناس في جامع القلعة وركب السلطـان فى يوم الاثنين رابع شعبان الى خيمة ضربت له بالبستـان الكبير

ظاهر القاهرة وأفيضت عليه الخلع الخليفية وهي جبة سوداء وعمامة بنفسجية وطوق من ذهب وقلد بسيف عربي وجلس مجلسا عاما حضره الخليفة والوزير وسائر القضاة والامراء والشهود وصعد القاضي فخر الدين بن لقمان كاتب السر منبرا نصب له وقرأ تقليد السلطان المملكة وهو بخطه من انشائه ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر وشق القاهرة وقد زينت له وحمل الصاحب بهاء الدين بن حنا التقليد على رأسه قدام السلطان والامراء مشاة بين يديه وكان يوما مشهودا وأخذ السلطان في تجهيز الخليفة ليسير الى بغداد فرتب له الطواشي بهاء الدين صندلا الصالحي شرابيا والامير سابق الدين بوزبا الصيرفي أتابكا والامير جعفرا أستادارا والامير فتح الدين بن الشهاب أحمد أمير جاندار والامير ناصر الدين بن صيرم خازندار والامير سيف الدين بلبان الشمسي وفارس الدين أحمد بن أزدمر اليغموري دوادارية والقاضي كمال الدين محمد السنجاري وزيرا وشرف الدين أبا حامد كاتبا وعين له خزانة وسلاحخاناه ومماليك عدتهم نحو الاربعين منهم سلاحدارية وجمدارية وزردكاشية ورمحدارية وجعل له طشطخاناه وفراشخاناه وشرابخاناه واماما ومؤذنا وسائر أرباب الوظائف واستخدم له خمسمائة فارس وكتب لمن قدم معه من العراق باقطاعات وأذن له في الركوب والحركة حيث اختار وحضر الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وأخوه الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة وأخوهما المظفر فاكرمهم السلطان وأقرهم على ما بأيديهم وكتب لهم تقاليد وجهزهم في خدمة الخليفة وسار الخليفة في سادس شوال والسلطان في خدمته الى دمشق فنزل السلطان في القلعة ونزل الخليفة في التربة الناصرية بجبل الصالحية وبلغت نفقة السلطان على الخليفة ألف ألف وستين ألف دينار وخرج من دمشق في ثالث عشر ذي القعدة ومعه الامير بلبان الرشيدي والامير سنقر الرومي وطائفة من العسكر وأوصاهما السلطان أن يكونا في خدمة الخليفة حتي يصل الى الفرات فاذا عبر الفرات أقاما بمن معهما من العسكر بالبر الغربي من جهات حلب لانتظار ما يتجدد من أمر الخليفة بحيث ان احتاج اليهم ساروا اليه فسار الى الرحبة وتركه أولاد صاحب الموصل وانصرفوا الي بلادهم وسار الى مشهد علي فوجد الامام الحاكم بأمر الله قد جمع سبعمائة فارس من التركمان وهو علي عانة ففارقه التركمان وصار الحاكم الى المستنصر طائعاً له فأكرمه وأنزله معه وسارا الى عانة ورحلا الى الحديثة وخرجا منها الى هيت وكانت له حروب مع التتار في ثالث محرم سنة ستين وستمائة قتل فيها أكثر أصحابه وفر الحاكم وجماعة من الاجناد وفقد المستنصر فلم يوقف له على خبر فحضر الحاكم الى قلعة الجبل وبايعه السلطان والناس واستمر بديار مصر في مناظر الكبش وهو جد الخلفاء الموجودين اليوم * وفي سنة ست وستين قرر الظاهر بديار مصر أربعة قضاة وهم شافعي

ومالكي وحنفي وحنبلي فاستمر الامر على ذلك الى اليوم وحدث غلاءشديدبمصر وعدمت
الغلة فجمع السلطان الفقراء وعدهم وأخذ لنفسه خمسمائة فقير يموّنهم ولابنه السعيد بركة
خان خمسمائة فقير وللنائب بيلبك الخازندار ثلثمائة فقير وفرق الباقى على سائرالامراءورسم
لكل انسان في اليوم برطلى خبز فلم ير بعد ذلك في البلد أحد من الفقراء يسأل *
وفي ثالث شوال سنة اثنتين وستين أركب السلطان ابنه السعيد بركة بشعار السلطنة ومشى
قدامه وشق القاهرة والكل مشاة بين يديه من باب النصر الى قلعة الجبل وزينت البلد
وفيها رتب السلطان لعب القبق بميدان العيد خارج باب النصر وختن الملك السعيد ومعهألف
وستمائة وخمسة وأربعون صبيا من أولاد الناس سوى أولاد الامراء والاجناد وأمر لكل
صغير منهم بكسوة على قدره ومائة درهم ورأس من الغنم فكان مهما عظيما وأبطل ضمان
المزروجهاته وأمر بحرق النصارى في سنة ثلاث وستين فتشفع فيهم على أن يحملوا خمسين
ألف دينار فتركوا * وفى سنة أربع وستين افتتح قلعة صفد وجهز العساكر الى سيس
ومقدمهم الامير قلاون الالفى فحصر مدينة اياس وعدة قلاع * وفي سنة خمس وستين
أبطل ضمان الحشيش من ديار مصر وفتح يافا والشقيف وانطاكية * وفى سنة سبع
وستين حج فسار على غزة الى الكرك ومنها الى المدينة النبوية وغسل الكعبة بماء الورد
بيده ورجع الى دمشق فأراق جميع الخمور وقدم الى مصر في سنة ثمان وستين * وفى
سنة سبعين خرج الى دمشق * وفى سنة احدى وسبعين خرج من دمشق سائقا الى مصر
ومعه بيسرى وأقوش الرومى وجرسك الخازندار وسنقر الالفى فوصل الى قلعة الجبل
وعاد الى دمشق فكانت مدة غيبته أحد عشر يوما ولم يعلم بغيبته من فى دمشق حتي حضر
ثم خرج سائقاً من دمشق يريد كبس التتار فخاض الفرات وقدامه قلاون وبيسرى وأوقع
بالتتار على حين غفلة وقتل منهم شيئا كثيرا وساق خلفهم بيسرى الى سروج وتسلم السلطان
البيرة * ووقع بمصر في سنة اثنتين وسبعين وباء هلك به خلق كثير * وفى سنة ثلاث وسبعين
غزا السلطان سيس وافتتح قلاعا عديدة * وفى سنة أربع وسبعين تزوج السعيد بن السلطان
بابنة الامير قلاون وخرج العسكر الى بلاد النوبة فواقع ملكهم وقتل منهم كثيرا وفر باقيهم
وفي سنة خمس وسبعين سار السلطان لحرب التتار فواقعهم على الابلستين وقد انضم اليهم
الروم فانهزموا وقتل منهم كثير وتسلم السلطان قيسارية ونزل فيها بدار السلطان ثم خرج
الى دمشق فوعك بها من اسهال وحمي مات منها يوم الخميس تاسع عشري محرم سنة ست
وسبعين وستمائة وعمره نحو من سبع وخمسين سنة ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران
* وكان ملكا جليلا عسوفا عجولا كثير المصادرات لرعيته ودواوينه سريع الحركة فارسا
مقداما وترك من الذكور ثلاثة السعيد محمد بركة خان وملك بعده وسلامش وملك أيضا

والمسعود خضر ومن البنات سبع بنات وكان طويلا مليح الشكل وفتح الله على يديه مما كان مع الفرنج قيسارية وارسوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف وانطاكية وبقراص والقصير وحصن الاكراد والقرين وحصن عكا وصافيتا ومرقية وحلبا وناصف الفرنج على المرقب وبانياس وانطرسوس وأخذ من صاحب سيس دربساك ودركوس وتلميش وكفردين ورعبان ومرزبان وكينوك وأدنة والمصيصة وصار اليه من البلاد التي كانت مع المسلمين دمشق وبعلبك وعجلون وبصرى وصرخد والصلت وحمص وتدمر والرحبة وتل ناشر وصهيون وبلاطيس وقلعة الكهف والقدموس والعليقة والخوابي والرصافة ومصياف والقليعة والكرك والشوبك وفتح بلاد النوبة وبرقة وعمر الحرم النبوي وقبة الصخرة ببيت المقدس وزاد في أوقاف الخليل عليه السلام وعمر قناطر شبرامنت بالجيزية وسور الاسكندرية ومنار رشيد وردم فم بحر دمياط ووعر طريقه وعمر الشواني وعمر قلعة دمشق وقلعة الصبيبة وقلعة بعلبك وقلعة الصلت وقلعة صرخد وقلعة عجلون وقلعة بصري وقلعة شيزر وقلعة حمص وعمر المدرسة بين القصرين بالقاهرة والجامع الكبير بالحسينية خارج القاهرة وحفر خليج الاسكندرية القديم وباشره بنفسه وعمر هناك قرية سماها الظاهرية وحفر بحر أشموم طناح على يد الامير بلبان الرشيدى وجدد الجامع الازهر بالقاهرة وأعاد اليه الخطبة وعمر بلد السعيدية من الشرقية بديار مصر وعمر القصر الابلق بدمشق وغير ذلك * ولما مات كتم موته الامير بدر الدين بيلبك الخازندار عن العسكر وجعله في تابوت وعلقه ببيت من قلعة دمشق واظهر أنه مريض ورتب الاطباء يحضرون على العادة وأخذ العساكر والخزائن ومعه محفة محمولة في الموكب محترمة وأوهم الناس أن السلطان فيها وهو مريض فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان وسار الى أن وصل الى قلعة الجبل بمصر وأشيع موته رحمه الله تعالى

* (جامع ابن اللبان) *

هذا الجامع بجسر الشعيبية المعروف بجسر الافرم عمره الامير عز الدين أيبك الافرم فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة * قال ابن المتوج وكان سبب عمارته انه لما كثرت الخلائق في خطة هذا الجامع قصد الافرم أن يجعل خطبة في المسجد المعروف بمسجد الجلالة الذى ببركة الشقاف ظاهر سور الفسطاط المستجد وأن يزيد فيه ويعمره كما يختار فمنعه الفقيه مؤتمن الدين الحارث بن مسكين ورده عن غرضه فحسن له الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا عمارة هذا الجامع فى هذه البقعة لقربه منه فعمره في شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة لكنه هدم بسببه عدة مساجد وعرف هذا الجامع في زمننا هذا بالشيخ محمد بن اللبان الشافعى لاقامته فيه وأدركناه

عامرا وقد انقطعت منه فى هذه المحن اقامة الجمعة والجماعة لخراب ماحوله وبعد البحر عنه

* (الجامع الطيبرسى) *

هذا الجامع عمره الامير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش بشاطئ النيل فى أرض بستان الخشاب وعمر بجواره خانقاه في جمادى الاولى سنة سبع وسبعمائة وكان من أحسن منتزهات مصر واعمرها وقد خرب ماحوله من الحوادث والمحن التى بعد سنةست وثمانمائة بعد ما كانت العمارة منه متصلة الى الجامع الجديد بمصر ومنه الى الجامع الخطيرى ببولاق ويركب الناس المراكب للفرجة من هذا الجامع الى الجامعين المذكورين مصعدين ومنحدرين في النيل ويجتمع بهذا الجامع الناس للنزهة فتمر به أوقات ومسرات لايمكن وصفها وقد خرب هذا الجامع وأقفر من المساكن وصار مخوفا بعد ماكان ملهي وملعبا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولطيبرس هذا المدرسة الطيبرسية بجوار الجامع الازهر من القاهرة

* (الجامع الجديد الناصري) *

هذا الجامع بشاطئ النيل من ساحل مصر الجديد عمره القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وكان الشروع فيه يوم التاسع من المحرم سنة احدي عشرة وسبعمائة وانتهت عمارته في ثامن صفر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وأقيم في خطابته قاضى القضاة بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة الشافعي ورتب في امامته الفقيه تاج الدين بن مرهف فأول ماصلى فيه صلاة الظهر من يوم الخميس ثامن صفر المذكور وأقيمت فيه الجمعة يوم الجمعة تاسع صفر وخطب عن قاضى القضاة بدر الدين ابنه جمال الدين ولهذا الجامع أربعة أبواب وفيه مائة وسبعة وثلاثون عمودا منها عشرة من صوان في غاية السمك والطول وجملة ذرعه أحد عشر ألف ذراع وخمسمائة ذراع بذراع العمل من ذلك طوله من قبليه الى بحريه مائة وعشرون ذراعا وعرضه من شرقيه الى غربيه مائة ذراع وفيه ستة عشر شباكا من حديد وهو يشرف من قبليه على بستان العالمة وينظر من بحريه بحر النيل وكان موضع هذا الجامع في القديم غامرا بماء النيل ثم انحسر عنه النيل وصار رملة فى زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب يمرغ الناس فيها دوابهم أيام احتراق النيل فلما عمر الملك الصالح قلعة الروضة وحفر البحر طرح الرمل في هذا الموضع فشرع الناس فى العمارة على الساحل وكان موضع هذا الجامع شونة وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر الساحل الجديد بمصر فانظره وما برح هذا الجامع من أحسن منتزهات مصر الى أن خرب ماحوله وفيه الى الآن بقية وهو عامر * (محمد بن قلاون) السلطان الملك الناصر أبو الفتح ناصر الدين ابن الملك المنصور كان يلقب بحرفوش وأمه أشلون ابنة شنكاي ولد يوم السبت النصف من المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل من ديار

مصر وولى الملك ثلاث مرات الاولى بعد مقتل أخيه الملك الاشرف خليل بن قلاون فى رابع عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة وعمره تسع سنين تنقص يوما واحدا فأقام فى الملك سنة الا ثلاثة أيام وخلع بمملوك أبيه كتبغا المنصورى يوم الاربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة وأعيد الى المملكة ثانياً بعد قتل الملك المنصور لاجين يوم الاثنين سادس جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة فأقام عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوما وعزل نفسه وسار الى الكرك فولى الملك من بعده الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وتلقب بالملك المظفر في يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة ثم حضر من الكرك الى الشام وجمع العساكر فخامر على بيبرس معظم جيش مصر وانحل أمره فترك الملك فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة وطلع الملك الناصر الى قلعة الجبل يوم عيد الفطر من السنة المذكورة واستولى على ممالك مصر والشام والحجاز فأقام في الملك من غير منازع له فيه الى أن مات بقلعة الجبل فى ليلة الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وعمره سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام وله في ولايته الثالثة مدة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وعشرين يوما وجملة اقامته في الملك عن المدد الثلاث ثلاث وأربعون سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام ولما مات ترك ليلته ومن الغد حتى تم الامر لابنه أبى بكر المنصور في يوم الخميس المذكور ثم أخذ فى جهازه فوضع في محفة بعد العشاء الآخرة بساعة وحمل على بغلين وأنزل من القلعة الى الاصطبل السلطاني وسار به الامير ركن الدين بيبرس الاحمدى أمير جاندار والامير نجم الدين أيوب والى القاهرة والامير قطلوبغا الذهبى وعلم دار خوطا جار الدوادار وعبروا به الى القاهرة من باب النصر وقد غلقت الحوانيت كلها ومنع الناس من الوقوف للنظر اليه وقدام المحفة شمعة واحدة في يد علمدار فلما دخلوا به من باب النصر كان قدامه مسرجة فى يد شاب وشمعة واحدة وعبروا به المدرسة المنصورية بين القصرين ليدفن عند أبيه الملك المنصور قلاون وكان الامير علم الدين سنجر الجاولى ناظر المارستان قد جلس ومعه القضاة الاربعة وشيخ الشيوخ ركن الدين شيخ خانقاه سرياقوس والشيخ ركن الدين عمر ابن الشيخ ابراهيم الجعبرى فحطت المحفة وأخرج منها فوضع بجانب الفسقية التي بالقبة وأمر ابن أبي الظاهر مغسل الاموات بتغسيله فقال هذا ملك ولا أنفرد بتغسيله الا أن يقوم أحد منكم ويجرده على الدكة فاني أخشى أن يقال كان معه فص أو خاتم أو في عنقه خرزة فقام قطلوبغا الذهبي وعلمدار وجرداه مع الغاسل من ثيابه فكان على رأسه قبع أبيض من قطن ثيابه وعلى بدنه بغلطاق صدر أبيض وسراويل فنزعا وترك القميص عليه وغسل به ووجد في رجله الموجوعة بخشان مفتوحان فغسل من فوق القميص وكفن في نصفية وعملت له أخرى طراحة ومخدة ووضع

في تابوت من خشب وصلي عليه قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة الشافعي بمن حضر وأنزل الى قبر ابيه في سحلية من خشب قد ربطت بحبل ونزل معه الى القبر الغاسل والامير سنجر الجاولي ودفع الى الغاسل ثلثمائة درهم فباع ما نابه من الثياب بثلاثة عشر درهما سوى القبع فانه فقد وذكر الغاسل انه كان محنكا بخرقة معقدة بثلاث عقد فسبحان من لا يحول ولا يزول هذا ملك اعظم المعمور من الأرض مات غريبا وغسل طريحا ودفن وحيدا ان في ذلك لعبرة لاولى الالباب * (وفي ليلة السبت) قرأ القراء عند القبر بالقبة القرآن وحضر بعض الامراء وترك من الاولاد اثنى عشر ولدا ذكرا وهم أحمد وهو أسنهم وكان بالكرك وأبو بكر وتسلطن من بعده وشقيقه رمضان ويوسف واسماعيل وتسلطن أيضا وشعبان وتسلطن وحسين وكجك وتسلطن وأمير حاج وحسن ويدعي قمارى وتسلطن وصالح وتسلطن ومحمد وترك من البنات ثمانيا متزوجات سوى من خلف من الصغار وخلف من الزوجات جاريته طغاى وابنة الامير تنكز نائب الشام ومات وليس له نائب بديار مصر ولا وزير ولا حاجب متصرف سوى أن برسبغا الحاجب تحكم في متعلقات أمور الاقطاعات وليس معه عصا الحجوبية وبدر الدين بكتاش نقيب الجيوش وأقبغا عبد الواحد أستادار السلطان ومقدم المماليك وبيبرس الاحمدى أمير جاندار ونجم الدين أيوب والى القاهرة وجمال الدين جمال الكفاه ناظر الجيوش والموفق ناظر الدولة وصارم الدين أزبك شاد الدواوين وعز الدين عبد العزيز بن جماعة قاضي القضاة بديار مصر ونائب دمشق الامير ألطنبغا ونائب (٣) الامير طشتمر حمص أخضر ونائب طرابلس الحاج أرقطاى ونائب صفد الامير أصلم ونائب غزة الامير آق سنقر السلاري وصاحب حماه الملك الافضل ناصر الدين محمد بن المؤيد اسماعيل والامراء مقدمو الالوف بديار مصر يوم وفاته خمسة وعشرون أميرا وهم بدر الدين جنكلي ابن البابا والحاج آل ملك وبيبرس الاحمدي وعلم الدين سنجر الجاولى وسيف الدين كوكاى ونجم الدين محمود وزير بغداد هؤلاء برانية كبار والباقي مماليكه وخواصه وهم ولده الامير أبو بكر والامير قوصون والامير بشتاك وطقزدمر وأقبغا عبد الواحد الاستادار وايدغمش أمير اخور وقطلوبغا الفخري ويلبغا اليحياوى وملكتمر الحجازي وألطنبغا الماردانى وبهادر الناصرى واق سنقر الناصرى وقمارى الكبير وقمارى أمير شكار وطرغاى وأرتبغا أمير جاندار وبرسبغا الحاجب وبلدغي ابن العجوز أمير سلاح وبيغرا * وكان السلطان أبيض اللون قد وخطه الشيب وفي عينيه حول وبرجله اليمني ريح شوكة تنغص عليه أحيانا وتؤلمه وكان لايكاد يمس بها الارض ولا يمشى الا متكئا على أحد أو متوكئا على شئ ولا يصل الى الارض الا أطراف أصابعه وكان شديد البأس جيد الرأى يتولى الامور بنفسه ويجود لخواصه وكان مهابا عند أهل مملكته بحيث ان الامراء اذا كانوا عنده بالخدمة

يجسر أحد أن يكلم آخر كلمة واحدة ولا يلتفت بعضهم الى بعض خوفا منه ولا يمكن
احدا منهم أن يذهب الى بيت أحد البتة لافي وليمة ولا غيرها فان فعل أحد منهم شيئا
ن ذلك قبض عليه وأخرجه من يومه منفيا وكان مسددا عارفا بأمور رعيته وأحوال مملكته
أبطل نيابة السلطنة من ديار مصر من سنة سبع وعشرين وسبعمائة وأبطل الوزارة
صار يحدث بنفسه في الجليل من الامور والحقير ويستجلب خاطر كل أحد من صغير
وكبير لاسيما حواشيه فلذلك عظمت حاشية المملكة وأتباع السلطنة وتخولوا في النعم الجزيلة
حتى الخولة والكلابزية والاسرى من الارمن والفرنج وأعطى البازدارية الاخباز فى
الحلقة فمنهم من كان اقطاعه الالف دينار فى السنة وزوج عدة منهم بجواريه وأفني خلقا
كثيرا من الامراء بلغ عددهم نحو المائتى أمير وكان اذا كبر أحد من أمرائه قبض عليه
وسلبه نعمته وأقام بدله صغيرا من مماليكه الى أن يكبر فيمسكه ويقيم غيره ليأمن بذلك
شرهم وكان كثير التخيل حازما حتى انه اذا تخيل من ابنه قتله وفى آخر أيامه شره فى
جمع المال فصادر كثيرا من الدواوين والولاة وغيرهم ورمى البضائع على التجار حتى
خاف كل من له مال وكان مخادعا كثير الحيل لايقف عند قول ولا يوف بعهد ولا يبر في
يمين وكان محبا للعمارة عمر عدة أماكن منها جامع قلعة الجبل وهدمه مرتين وعمر القصر
الابلق بالقلعة ومعظم الاماكن التى بالقلعة وعمر المجرى الذى ينقل الماء عليه من بحر
النيل الى القلعة على السور وعمر الميدان تحت القلعة ومناظر الميدان على النيل وعمر قناطر
السباع على الخليج ومناظر سرياقوس والخانقاه بسرياقوس وحفر الخليج الناصرى بظاهر
القاهرة وعمر الجامع الجديد على شاطئ النيل بظاهر مصر وجدد جامع الفيلة الذى بالرصد
والمدرسة الناصرية بين القصرين من القاهرة وغير ذلك مما يرد فى موضعه من هذا الكتاب
وما زال يعمر منذ عاد الى ولاية الملك في المرة الثالثة الى أن مات وبلغ مصروف العمارة
في كل يوم من أيامه سبعة آلاف درهم فضة عنها ثلثمائة وخمسون دينارا سوى من يسخره
من المقيدين وغيرهم في عمل مايعمره وحفر عدة من الخلجانات والترع وأقام الجسور
بالبلاد حتي انه كان ينصرف من الاخباز علي ذلك ربع متحصل الاقطاعات وحفر خليج
الاسكندرية وبحر المحلة مرتين وبحر اللبيني بالجيزة وعمل جسر شبين وعمل جسر احباس
بالشرقية والقليوبية مدة ثلاث سنين متوالية فلم يجع فأنشأه بنيانا بالطوب والجير وأنفق فيه أموالا
عظيمة وراك ديار مصر وبلاد الشام وعرض الجيش بحضوره في سنة اثنتى عشرة وسبعمائة
وقطع ثمانمائة من الجند ثم قطع في مرة أخرى ثلاثة وأربعين جنديا في سنة احدى
وأربعين وسبعمائة ثم قطع خمسة وستين أيضا في رمضان سنة احدى وأربعين وسبعمائة
قبل وفاته بشهرين وفتح من البلاد جزيرة أرواد في سنة اثنتين وسبعمائة وفتح ملطية

فى سنة خمس عشرة وسبعمائة وفتح أناس في ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وخربها ثم عمرها الارمن فأرسل اليها جيشا فأخذها ومعها عـدة بلاد من بلاد الارمن في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأقام بها نائبامن أمراء حلب وعمر قلعة جعبر بعد أن دثرت وضربت السكة باسمه فى شوال سنة احدى وأربعين وسبعمائة قبل موته تولى ذلك الشيخ حسن بن حسين بحضور الامير شهاب الدين أحمد قريب السلطان وقد توجـه من مصر بهذا السبب وخطب له أيضاً فى أرتنا ببلاد الروم وضربت السكة باسمه وكذلك بلاد ابن قرمان وجبـال الاكراد وكثير من بلاد الشرق وكان من الذكاء المفرط على جانب عظيم يعرف مماليك أبيه ومماليك الامراء بأسمائهم ووقائعهم وله معرفة تامـة بالخيل وقيمها مع الحشمة والسيادة لم يعرف عنه قطانه شتم أحدا من خلق الله ولاسفه عليه ولا كلمه بكلمة سيئة وكان يدعو الامراء أرباب الاشغال بألقابهم وكانت همته علية وسياسته جيدة وحرمته عظيمة الى الغاية ومعرفته بمهادنة الملوك لامرمي وراءها يبذل فى ذلك من الاموال مالا يوصف كثرة فكان كتابه ينفـذ أمره فى سائر أقطار الارض كلها وهو مع ماذكرنا مؤيد فى كل أموره مظفر في جميع أحواله مسعود في سائر حركاته ماعانده أحد أو أضمر له سوأ الا وندم على ذلك أو هلك واشتهر فى حياته بديار مصر انه انوقعت قطرة من دمه على الارض لايطلع نيل مصر مدة سبع سنين فمتعه الله من الدنيا بالسعادة العظيمة في المدة الطويلة مع كثرة الطمأنينة والامن وسعة الاموال واقتنى كل حسن ومستحسن من الخيل والغلمان والجوارى وساعده الوقت فى كل مايحب ويختار الى أن أتاه الموت

(الجامع بالمشهد النفيسى)

قال ابن المتوج هـذا الجامع أمر بانشائه الملك الناصر محمد بن قلاون فعمر فى شهور سنة أربع عشرة وسبعمائة وولى خطابتـه علاء الدين بن نصر الله بن الجوهرى شـاهد الخزانة السلطانية وأول خطبتـه فيه يوم الجمعة ثامن صفر من السـنة المذكورة وحضر أمير المؤمنين المستكفى بالله أبو الربيع سليمان وولده وابن عمه والامير كهرداش متولى شد العمائر السلطانية وعمارة هذا الجامع ورواقاته والفسقية المستجدة وقيل ان جميع المصروف على هذا الجامع من حاصل المشهد النفيسى وما يدخل اليه من النذور ومن الفتوح

(جامع الامير حسين)

هذا الجامع كان موضعه بستانا بجوار غيط العدة أنشأه الامير حسين بن أبي بكر بن اسماعيل بن حيدر بك مشرف الرومى قدم مع أبيـه من بلاد الروم الى ديار مصر في سنة خمس وسبعين وستمائة وتخصص بالامير حسام الدين لاجين المنصوري قبل سلطنتـه فكانت له منه مكانة مكينة وصار أمير شكار وكان فيه بر وله صدقة وعنده تفقد لاصحابه

وأنشأ أيضاً القنطرة المعروفة بقنطرة الامير حسين على خليج القاهرة وفتح الخوخة في سور القاهرة بجوار الوزيرية وجري عليه من أجل فتحها ماقدذكر عند ذكرها في الخوخ من هذا الكتاب وتوفي في سابع المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة ودفن بهذا الجامع

(جامع الماس)

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة بناه الامير سيف الدين الماس الحاجب وكمل في سنة ثلاثين وسبعمائة وكان الماس أحد مماليك الناصر محمد بن قلاون فرقاه الى أن صار من أكبر الامراء ولما أخرج الامير أرغون الى نيابة حلب وبقي منصب النيابة شاغرا عظمت منزلة الماس وصار في منزلة النيابة الا انه لم يسم بالنائب ويركب الامراء الاكابر والاصاغر في خدمته ويجلس في باب القلة من قلعة الجبل في منزلة النائب والحجاب وقوف بين يديه ومابرح على ذلك حتى توجه السلطان الى الحجاز في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فتركه في القلعة هو والامير جمال الدين أقوش نائب الكرك والامير أقبغا عبد الواحد والامير طشتمر حمص أخضر هؤلاء الاربعة لاغير وبقية الامراء اما معه في الحجاز واما في اقطاعاتهم وأمرهم أن لايدخلوا القاهرة حتى يحضر من الحجاز فلما قدم من الحجاز نقم عليه وأمسكه في صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وكان لغضب السلطان عليه أسباب منها انه لما اقام في غيبة السلطان بالقلعة كان يراسل الامير جمال الدين أقوش نائب الكرك ويوادده وبدت منه في مدة الغيبة أمور فاحشة من معاشرة الشباب ومن كلام في حق السلطان فوشى به أقبغا وكان مع ذلك قد كثر ماله وزادت سعادته فهوى شابا من ابناء الحسينية يعرف بعمير وكان ينزل اليه ويجمع الاوباشية ويحضر الشباب ويشرب فحرك ذلك عليه ما كان ساكنا ويقال ان السلطان لما مات الامير بكتمر الساقي وجد في تركته جزدان فيه جواب الماس الى بكتمر الساقي انني حافظ القلعة الى أن يرد على منك ماأعتمده فلما وقف السلطان على ذلك أمر النشو بن هلال الدولة وشاهد الخزانة بايقاع الحوطة على موجده فوجدا له ستمائة ألف درهم فضة ومائة ألف درهم فلوسا وأربعة آلاف دينار ذهبا وثلاثين حياصة ذهبا كاملة بكفتياتها وخلعها وجواهر وتحفا وأقام الماس أقبغا عبد الواحد ثلاثة أيام وقتل خنقا بمحبسه في الثاني عشر من صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وحمل من القلعة الى جامعه فدفن به وأخذ جميع ما كان في داره من الرخام فقلع منها وكان رخاما فاخرا الى الغاية وكان اسمر طوالا غتميا لايفهم شيئاً بالعربي سادجا يجلس في بيته فوق لباد على ماأعتاده وبهذا الجامع رخام كثير نقله من جزائر البحر وبلاد الشام والروم

(جامع قوصون)

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة ابتدأ عمارته الامير قوصون في سنة ثلاثين

وسبعمائة وكان موضعه دارا بجوار حارة المصامدة من جانبها الغربي تعرف بدار أقوش نميله ثم عرفت بدار الامير جمال الدين قتال السبع الموصلي فأخذها من ولده وهدمها وتولى بناءه شاد العمائر واستعمل فيه الاسرى وكان قد حضر من بلاد توريز بناء فبنى مئذنتي هذا الجامع على مثال المئذنة التي عملها خواجا علي شاه وزير السلطان أبي سعيد في جامعه بمدينة توريز وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثلاثين وسبعمائة وخطب يومئذ قاضي القضاة جلال الدين القزويني بحضور السلطان ولما انقضت صلاة الجمعة أركبه الملك الناصر بغلة بخلعة سنية ثم منعه السلطان الملك الناصر أن يستقر في خطابته فولى فخر الدين شكر * (قوصون) الامير الكبير سيف الدين حضر من بلاد بركة الى مصر صحبة خوند ابنة أزبك امرأة الملك الناصر محمد بن قلاون في ثالث عشري ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة ومعه قليل عصي وطسما ونحو ذلك مما قيمته خمسمائة درهم ليتجر فيه فطاف بذلك في أسواق القاهرة وتحت القلعة وفي داخل قلعة الجبل فاتفق في بعض الايام انه دخل الى الاصطبل السلطاني ليبيع مامعه فأحبه بعض الاوشاقية وكان صبيا جميلا طويلا له من العمر مايقارب الثماني عشرة سنة فصار يتردد الى الاوشاقي الى أن رآه السلطان فوقع منه بموقع فسأل عنه فعرف بأنه يحضر ليبيع مامعه وان بعض الاوشاقية تولع به فأمر باحضاره اليه وابتاع منه نفسه ليصير من جملة المماليك السلطانية فنزله من جملة السقاة وشغف به وأحبه حبا كثيرا فأسلمه للامير بكتمر الساقي وجعله أمير عشرة ثم اعطاه امرة طبلخاناه ثم جعله أمير مائة مقدم ألف ورقاه حتى بلغه أعلى المراتب فأرسل الى البلاد وأحضر اخوته سوسون وغيره من أقاربه وامر الجميع واختص به السلطان بحيث لم ينل أحد عنده مانا له وزوجه بابنته وتزوج السلطان أخته فلما احتضر السلطان جعله وصيا على أولاده وعهد لابنه أبي بكر فأقيم في الملك من بعده وأخذ قوصون في أسباب السلطنة وخلع أبا بكر المنصور بعد شهرين وأخرجه الى مدينة قوص ببلاد الصعيد ثم قتله وأقام كجك ابن السلطان وله من العمر خمس سنين ولقبه بالملك الاشرف وتقلد نيابة السلطنة بديار مصر فأمر من حاشيته وأقاربه ستين أميرا واكثر من العطاء وبذل الاموال والانعام فصار أمر الدولة كله بيده هذا وأحمد ابن السلطان الملك الناصر مقيم بمدينة الكرك فخافه قوصون وأخذ في التدبير عليه فلم يتم له ماأراد من ذلك وحرك على نفسه ما كان ساكنا فطلب أحمد الملك لنفسه وكاتب الامراء والنواب بالمملكة الشامية والمصرية فأذعنوا اليه وكان بمصر من الامراء الامير أيدغمش والامير آل ملك وقماري والمارداني وغيرهم فتخيل قوصون منهم وأخذ في أسباب القبض عليهم فعلموا بذلك وخافوا الفوت فركبوا لحربه وحصروه بقلعة الجبل حتى قبضوا عليه في ليلة الاربعاء آخر شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ونهبت داره وسائر دور

حواشيه وأسبابه وحمل الى الاسكندرية صحبة الامير قبلاى فقتل بهاوكان كريما يفرق في كل سنة للاضحية ألف رأس غنما وثلثمائة بقرة ويفرق ثلاثين حياصة ذهبا ويفرق كل سنة عدة أملاك فيها مايبلغ ثمنه ثلاثين ألف درهم وله من الآثار بديار مصر سوى هذا الجامع الخانقاه بباب القرافة والجامع تجاهها وداره التى بالرميلة تحت القلعة تجاه باب السلسلة وحكر قوصون

* (جامع المارداني) *

هذا الجامع بجوار خط التبانة خارج باب زويلة كان مكانه أولا مقابر أهل القاهرة ثم عمر أماكن فلما كان في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة أخذت الاماكن من أربابها وتولى شراءها النشو فلم ينصف فى أثمانها وهدمت وبني مكانها هذا الجامع فبلغ مصروفه زيادة على ثلثمائة ألف درهم عنها نحو خمسة عشر ألف دينار سوى ماحمل اليه من الاخشاب والرخام وغيره من جهة السلطنة وأخذ ما كان في جامع راشدة من العمد فعملت فيه وجاء من أحسن الجوامع وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة رابع عشرى رمضان سنة أربعين وسبعمائة وخطب فيه الشيخ ركن الدين عمر بن ابراهيم الجعبرى ولم يتناول معلوما * (ألطنبغا المارداني الساقي) أمره الملك الناصر محمد بن قلاون وقدمه وزوجه ابنته فلما مات السلطان وتولى بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر ذكر أنه وشي بأمره الى الامير قوصون وقال قد عزم على امساكك فتحيل قوصون وخلع أبا بكر وقتله بقوص هذا مع أن ألطنبغا كان قد عظم عند المنصور اكثر مما كان عند ابيه فلما أقيم الاشرف كجك وماج الناس وحضر الامير قطلوبغا من الشام وشغب الامراء على قوصون كان ألطنبغا أصل ذلك كله ثم نزل الى الامير ايدغمش أميرا خور واتفق معه على ان يقبض على قوصون وطلع الى قوصون وشاغله وخذله عن الحركة طول الليل والامراء الكبار المشايخ عنده وما زال يساهره حتى نام وكان من قيام الامراء وركوبهم عليه ما كان الى أن أمسك وأخرج الي الاسكندرية ولما قدم ألطنبغا نائب الشام وأقام تقدم المارداني وقبض على سيفه ولم يجسر غيره على ذلك فقويت بهذه الحركات نفسه وصار يقف فوق التمرتاشي وهو اغاته فشق ذلك عليه وكتم في نفسه الى أن ملك الصالح اسماعيل فتمكن حينئذ التمرتاشي وصار الامر له وعمل على المارداني فلم يشعر بنفسه الا وقد أخرج على خمسة أرؤس من خيل البريد الى نيابة حماه في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين فسار اليها وبقى فيها نحو شهرين الى أن مات أيدغمش نائب الشام ونقل طقزدمر من نيابة حلب الى نيابة دمشق فنقل المارداني من نيابة حماه الى نيابة حلب وسار اليها فى أول رجب من السنة المذكورة وجاء الامير يلبغا اليحياوي الى نيابة حماه فأقام المارداني يسيرا في حلب ومرض ومات مستهل صفر سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان شابا طويلا رقيقا حلو الصورة لطيفا معشق الخطرة كريما صائب الحدس عاقلا

(جامع أصلم)

هذا الجامع داخل الباب المحروق أنشأه الامير بهاء الدين أصلم السلاحدار فى سنة ست وأربعين وسبعمائة *(أصلم) أحد مماليك الملك المنصور قلاون الالفى فلما فرقت المماليك السلطانية في نيابة كتبغا بعد قتل الملك الاشرف خليل بن قلاون وسلطنة الناصر محمد بن قلاون كان أصلم من نصيب الامير سيف الدين اقوش المنصورى ثم انتقل الى الامير سلار فلما حضر الملك الناصر محمد من الكرك بعد سلطنة بيبرس الجاشنكير خرج اليه أصلم بمنجا الملك وبشره بهروب بيبرس فأنعم عليه بامرة عشرة ثم تنقل الى أن صار أمير مائة مقدم ألف وخرج في التجريدة الى اليمن فلما عاد اعتقله السلطان خمس سنين لكلام نقل عنه ثم أخرجه واعاده الي منزلته ثم جهزه لنيابةصفدومات الناصروأصلم بصفد فخرج الامير قوصون مع الطنبغا نائب الشام الى حلب لامساك طشتمر فسار الى قارى ثم رجع وانضم الى الفخرى وأقام عنده على خان لاحين وتوجه معه صحبة عساكر الشام الى مصر فرسم له الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاون بامرة مائة في مصر على عادته وكان أحد المشايخ ويجلس رأس الحلقة ويجيد رمي النشاب مع سلامة صدر وخير الى أن مات في يوم السبت عاشر شعبان سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأنشأ بجوار هذا الجامع داراسنية وحوض ماء للسبيل وبهذا الجامع درس وله أوقاف وهو من أحسن الجوامع

(جامع بشتاك)

هذا الجامع خارج القاهرة بخط قبو الكرماني على بركة الفيل عمره الامير بشتاك فكمل فى شعبان سنة ست وثلاثين وسبعمائة وخطب فيه تاج الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني في يوم الجمعة سابع عشره وعمر تجاهه خانقاه على الخليج الكبير ونصب بينهما ساباطا يتوصل به من أحدهما الى الآخر وكان هذا الخط يسكنه جماعة من الفرنج والاقباط ويرتكبون من القبائح مايليق بهم فلما عمر هذا الجامع وأعلن فيه بالاذان واقامة الصلوات اشمأزت قلوبهم لذلك وتحولوا من هذا الخط وهو من أبهج الجوامع وأحسنها رخاما وانزهها وادركناه اذا قويت زيادة ماء النيل فاضت بركة الفيل وغرقته فيصير لجة ماء لكن منذ انحسر ماء النيل عن البلد الى جهة الغرب بطل ذلك وله من الآثار سوى ذلك قصر بشتاك بين القصرين وقد تقدم ذكره

(جامع اق سنقر)

هذا الجامع بسويقة السباعين على البركة الناصرية عمره الامير اق سنقر شاد العمائر السلطانية واليه تنسب قنطرة اق سنقر التي على الخليج الكبير بخط قبو الكرماني قبالة الحبانية وأنشأ أيضاً دارا جليلة وحامين بخط البركة الناصرية وكان من جملة الاوشاقية

في أول أيام الملك الناصر محمد بن قلاون ثم عمله أميراخور ونقله منها فجعله شاد العمائر السلطانية وأقام فيها مدة فأثرى ثراء كبيرا وعمر ماذكر وجعل على الجامع عدة أوقاف فعزل وصودر وأخرج من مصر الى حلب ثم نقل منها الى دمشق فمات بها في سنة أربعين وسبعمائة

* (جامع اق سنقر) *

هذا الجامع قريب من قلعة الجبل فيما بين باب الوزير والتبانة كان موضعه في القديم مقابر أهل القاهرة وأنشأه الامير اق سنقر الناصرى وبناه بالحجر وجعل سقوفه عقودا من حجارة ورخمه واهتم في بنائه اهتماما زائدا حتي كان يقعد على عمارته بنفسه ويشيل التراب مع الفعلة بيده ويتأخر عن غدائه اشتغالا بذلك وأنشأبجانبه مكتبالاقراء أيتام المسلمين القرآن وحانوتا لسقى الناس الماء العذب ووجد عند حفر أساس هذا الجامع كثيرا من الاموات وجعل عليه ضيعةمن قرى حلب تغل فى السنة مائة وخمسين ألف درهم فضةعنها نحو سبعة آلاف دينار وقرر فيه درسا فيه عدة من الفقهاء وولى الشيخ شمس الدين محمد ابن اللبان الشافعي خطابته وأقام له سائر مايحتاج اليه من أرباب الوظائف وبني بجواره مكانا ليدفن فيه ونقل اليه ابنه فدفنه هناك وهذا الجامع من أجل جوامع مصر الا انهلماحدثت الفتن ببلاد الشام وخرجت النواب عن طاعة سلطان مصر منذ مات الملك الظاهر برقوق امتنع حضور مغل وقف هذا الجامع لكونه فى بلاد حلب فتعطلالجامع من أرباب وظائفه الا الاذان والصلاة واقامة الخطبة فى الجمع والاعياد ولما كانت سنة خمس عشرة وثمانمائة أنشأ فى وسطه الامير طوغان الدوادار بركة ماء وسقفها ونصب عليها عمدا من رخام لحمل السقف أخذها من جامع الخندق فهدم الجامع بالخندق من أجل ذلك وصار الماء ينقل الى هذه البركة من ساقية الجامع التي كانت للميضأة فلما قبض الملك المؤيد شيخ الظاهرى على طوغان فى يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاولى سنة ست عشرة وثمانمائة وأخرجه الى الاسكندرية واعتقله بها أخذ شخص الثور الذى كان يدير الساقية فان طوغان كانأخذه منه بغير ثمن كما هى عادة أمرائنا فبطل الماء من البركة * (اق سنقر) السلارى الامير شمس الدين أحد مماليك السلطان الملك المنصور قلاون ولما فرقت المماليك فى نيابة كتبغا على الامراء صار الامير اق سنقر الى الامير سلار فقيل له السلارى لذلك ولما عاد الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك اختص به وزقاه في الخدم حتي صار أحدالامراء المقدمين وزوجه بابنته وأخرجه لنيابة صفد فباشرها بعفة الى الغاية ثم نقله من نيابة صفد الى نيابة غزة فلما مات الناصر وأقيم من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر وخلع بالاشرف كجك وجاء الفخري لحصار الكرك قام اق سنقر بنصرة أحمد ابن السلطان في الباطن وتوجه الفخري

الى دمشق لما توجه الطنبغا الى حلب ليطرد طشتمر نائب حلب فاجتمع به وقوى عزمه وقال له توجه أنت الى دمشق واملكها وأنا أحفظ لك غزة وقام فى هذه الواقعة قياما عظيما وأمسك الدروب فلم يحضر أحد من الشام أو مصر من البريد وغيره الا وقبض عليه وحمل الى الكرك وحلف الناس للناصر أحمد وقام بأمره ظاهرا وباطنا ثم جاءالى الفخرى وهو على خان لاجين وقوى عزمه وعضده وما زال عنده بدمشق الى أن جاء الطنبغا من حلب والتقوا وهرب الطنبغا فاتبعه اق سنقر الى غزة وأقام بها ووصلت العساكر الشامية الى مصر فلما أمسك الناصر أحمد طشتمر النائب وتوجه به الى الكرك أعطى نيابة ديار مصر لاق سنقر فباشر النيابة وأحمد فى الكرك الى أن ملك الملك الصالح اسماعيل بن محمد فأقره على النيابة وسار فيها سيرة مشكورة فكان لايمنع أحداشيئا طلبه كائنا من كان ولايرد سائلا يسأل ولو كان ذلك غير ممكن فارتزق الناس في أيامه واتسعت أحوالهم وتقدم من كان متأخرا حتي كان الناس يطلبون مالا حاجة لهم به ثم ان الصالح أمسكه هو وبيغرا أمير جاندار وأولاجا الحاجب وقراجا الحاجب من أجل أنهم نسبوا الى الممالأة والمداجاة مع الناصر أحمد وذلك يوم الخميس رابع المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان ذلك آخر العهد به واستقر بعده في النيابة الحاج آل ملك ثم أفرج عن بيغرا وأولاجا وقراجا في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة

* (جامع آل ملك) *

هذا الجامع في الحسينية خارج باب النصر أنشأه الامير سيف الدين الحاج آل ملك وكمل وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة تاسع جمادي الاولى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وهو من الجوامع المليحة وكانت خطته عامرة بالمساكن وقد خربت * (آل ملك) الامير سيف الدين أصله مما أخذ فى أيام الملك الظاهر من كسب الابلستين لما دخل الى بلاد الروم في سنة ست وسبعين وستمائة وصار الى الامير سيف الدين قلاون وهو أمير قبل سلطنته فأعطاه لابنه الامير على وما زال يترقي في الخدم الى أن صار من كبار الامراء المشايخ رؤس المشورة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون وكان لما خلع الناصر وتسلطن بيبرس يتردد بينهما من مصر الى الكرك فأعجب الناصر عقله وتأنيه وسير من الكرك يقول للمظفر لايعود يجئ الى رسولا غير هذا فلما قدم الناصر الى مصر عظمه ولم يزل كبيرا موقرا مبجلا فلما ولى الناصر أحمد السلطنة أخرجه الى نيابة حماه فأقام بها الى أن تولى الصالح اسماعيل فأقدمه الى مصر وأقام بها على حاله الى أن أمسك الامير اق سنقر السلاري نائب السلطنة بديار مصر فولاه النيابة مكانه فشدد فى الخمر الى الغاية وحد شاربها وهدم خزانة البنود وأراق خمورها وبني بها مسجدا وحكرها للناس فسكنت الى اليوم كما تقدم ذكره وأمسك الزمام

زمانا وكان يجلس للحكم فى الشباك بدار النيابة من قلعة الجبل طول نهاره لايمل ذلك ولا يسأم وتروح أرباب الوظائف ولا يبقى عنده الا النقباء البطالة وكان له فى قلوب الناس مهابة وحرمة الى أن تولى الكامل شعبان فأخرجه أول سلطنته الى دمشق نائبا بها عوضا عن الامير طقزدمر فلما كان فى أول الطريق حضر اليه من أخذه وتوجه به الى صفد نائبا بها فدخلها آخر ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وسبعمائة ثم سأل الحضور الى مصر فرسم له بذلك فلما توجه ووصل الى غزة أمسك نائبها ووجهه الى الاسكندرية في سنة سبع وأربعين فخنق بها وكان خيرا فيه دين وعبادة يميل الى أهل الخير والصلاح وتعتقد بركته وخرج له أحمد بن أيبك الدمياطي مشيخة وحدث بها وقرئت عليه مرات وهو جالس فى شباك النيابة بقلعة الجبل وعمر هذا الجامع ودارا مليحة عند المشهد الحسيني من القاهرة ومدرسة بالقرب منها وكان بركة من أحسن مايكون وخيله مشهورة موصوفة وكان يقول كل أمير لايقوم رمحه ويسكب الذهب الى أن يساوي السنان ماهو أمير رحمة الله عليه

* (جامع الفخر) *

في ثلاثة مواضع فى بولاق خارج القاهرة وفى الروضة تجاه مدينة مصر وفي جزيرة الفيل على النيل مابين بولاق ومنية السيرج * أما جامع الفخر بناحية بولاق فانه موجود تقام فيه الجمعة الى اليوم وكان أولا عند ابتداء بنائه يعرف موضعه بخط خص الكيالة وهو مكان كان يؤخذ فيه مكس الغلال المبتاعة وقد ذكر ذلك عند ذكر أقسام مال مصر من هذا الكتاب * وجامع الروضة باق تقام فيه الجمعة * وأما الجامع بجزيرة الفيل فانه كان باقياً الى نحو سنة تسعين وسبعمائة وصليت فيه الجمعة غير مرة ثم خرب وموضعه باق بجوار دار تشرف على النيل تعرف بدار الامير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة قريباً من الدار الحجازية (والفخر) هذا هو محمد بن فضل الله القاضي فخر الدين ناظر الجيش المعروف بالفخر كان فى نصرانيته متألهاً ثم أكره على الاسلام فامتنع وهم بقتل نفسه وتغيب أياما ثم أسلم وحسن اسلامه وأبعد النصارى ولم يقرب أحداً منهم وحج غير مرة وتصدق في آخر عمره مدة فى كل شهر بثلاثة آلاف درهم نقرة وبنى عدة مساجد بديار مصر وأنشأ عدة أحواض ماء للسبيل في الطرقات وبني مارستانا بمدينة الرملة ومارستانا بمدينة بلبيس وفعل أنواعا من الخير وكان حنفى المذهب وزار القدس عدة مرار وأحرم مرة من القدس بالحج وسار الى مكة محرما وكان اذا خدمه أحد مرة واحدة صار صاحبه طول عمره وكان كثير الاحسان لايزال فى قضاء حوائج الناس مع عصبية شديدة لاصحابه وانتفع به خلق كثير لوجاهته عند السلطان واقدامه عليه بحيث لم يكن لاحد من أمراء الدولة عند الملك الناصر محمد بن قلاون ماله من الاقدام ولقد قال السلطان مرة لجندى

طلب منه اقطاعا لاتطول والله لو أنك ابن قلاون ماأعطاك القاضي فخر الدين حيزا يقل أكثر من ثلاثة آلاف درهم وقال له السلطان فى يوم من الايام وهو بدار العدل يافخر الدين تلك القضية طلعت فاشوش فقال له ماقلت لك انها عجوز نحس يريد بذلك بنت كوكاى امرأة السلطان عند ما ادعت انها حبلى وله من الاخبار كثير وكان أولا كاتب المماليك السلطانية ثم صار من كتابة المماليك الى وظيفة نظر الجيش ونال من الوجاهة مالم ينله غيره في زمانه وكان الامير أرغون نائب السلطنة بديار مصر يكرهه واذا جلس للحكم يعرض عنه ويدير كتفه الى وجه الفخر فعمل عليه الفخر حتي سار للحج فقال للسلطان ياخوند مايقتل الملوك الا النواب بيدراقتل أخاك الملك الاشرف ولاجين قتل بسبب نائبه منكوتمر وخيل للسلطان الى أن أمر بسير الامير أرغون من طريق الحجاز الى نيابة حلب وحسن للسلطان أن لايستوزرأحدا بعد الامير الجمالى فلم يول أحدا بعده الوزارة وصارت المملكة كلها من أحوال الجيوش وأمور الاموال وغيرها متعلقة بالفخر الى أن غضب عليه السلطان ونكبه وصادره على أربعمائة ألف درهم نقرة وولى وظيفة نظر الشيخ قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية ثم رضى عن الفخر وأمر باعادة ماأخذ منه من المال اليه وهو أربعمائة ألف درهم نقرة فامتنع وقال أنا خرجت عنها للسلطان فليبن بها جامعا وبنى بها الجامع الناصري المعروف الآن بالجامع الجديد خارج مدينة مصر بموردة الحلفاء وزار مرة القدس وعبر كنيسة قمامة فسمع وهو يقول عند مارأى الضوء بها ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وباشر آخر عمره بغير معلوم وكان لايأخذ من ديوان السلطان معلوما سوى كماجة ويقول اتبرك بها ولما مات في رابع عشر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وله من العمرماينيف على سبعين سنة وترك موجودا عظيما الى الغاية قال السلطان لعنه الله خمس عشرة سنة مايدعنى أعمل ما أريد وأوصى للسلطان بمبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة فأخذ من تركته أكثر من ألف ألف درهم نقرة ومن حين مات الفخر كثر تسلط السلطان الملك الناصر وأخذه أموال الناس والى الفخر تنسب قنطرة الفخر التي على فم الخليج الناصرى المجاور لميدان السلطان بموردة الجبس وقنطرة الفخر التي على الخليج المجاور للخليج الناصرى وأدركت ولده فقيرا يتكفف الناس بعد مال لا يحد كثرة

(جامع نائب الكرك)

هذا الجامع بظاهر الحسينية مما يلي الخليج كان عامرا وعمر ماحوله عمارة كبيرة ثم خرب بخراب ماحوله من عهد الحوادث في سنة ست وثمانمائة عمره الامير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك وقد تقدم ذكره عند ذكر الدور من هذا الكتاب

(جامع الخطيريّ ببولاق)

هذا الجامع موضعه الآن بناحية بولاق خارج القاهرة كان موضعه قديما مغمورا بماء النيل الى نحو سنة سبعمائة فلما انحسر ماء النيل عن ساحل المقس صارما قدام المقس رمالا لايعلوها ماء النيل الا أيام الزيادة ثم صارت بحيث لايعلوها الماء البتة فزرع موضع هـذا الجامع بعد سنة سبعمائة وصار منتزها يجتمع عنده الناس ثم بنى هناك شرف الدين بن زنبور ساقية وعمر بجوارها رجل يعرف بالحاج محمد بن عز الفراش دارا تشرف على النيـل وتردد اليها فلما مات أخذها شخص يقال له تاج الدين بن الازرق ناظر الجهات وسكنهـا فعرفت بدار الفاسقين لكثرة مايجرى فيها من أنواع المحرمات فاتفق أن النشو ناظر الخاص قبض على ابن الازرق وصادره فباع هذه الدار في جملة ماباعه من موجود فاشتراها منه الامير عز الدين أيدمر الخطيرى وهدمها وبنى مكانها هذا الجامع وسماه جامع التوبة وبالغ في عمارته وتأنق في رخامه فجاء من أجل جوامع مصر وأحسنها وعمل له منبرا من رخام فى غاية الحسن وركب فيه عدة شبابيك من حديد تشرف على النيل الاعظم وجعـل فيه خزانة كتب جليلة نفيسة ورتب فيه درسا للفقهاء الشافعية ووقف عليه عدة أوقاف منهـا داره العظيمة التي هى في الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وكان جملة ماأنفق في هذا الجامع أربعمائة ألف درهم نقرة وكملت عمارته في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأقيمت به الجمعة فى يوم الجمعة عشرى جمادى الآخرة فلما خلص ابن الازرق من المصادرة حضر الى الامير الخطيري وادعى انه باع داره وهو مكره فدفع اليه ثمنها مرة ثانية ثم ان البحر قوى على هذا الجامع وهدمه فأعاد بناءه بجملة كثيرة من المال ورمى قدام زربيته ألف مركب مملوءة بالحجارة ثم انهدم بعد موته وأعيدت زربيته * (أيدمر الخطيرى) الامـير عز الدين مملوك شرف الدين أوحد بن الخطيرى الامير مسعود بن خطير انتقـل الى الملك الناصر محمد بن قلاون فرقاه حتى صار أحد أمراء الالوف بعد ماحبسه بعد مجيئه من الكرك الى مصر مدة ثم أطلقه وعظم مقداره الى أن بقى بمجلس رأس الميسرة ومعه امرة مائة وعشرين فارسـا وكان لايمكنـه السلطان من المبيت في داره بالقاهرة فينزل اليها بكرة ويطلع الى القلعة بعد العصر كذا أبدا فكانوا يرون ذلك تعظيما له وكان منور الشيبة كريما يحب التزوج الكثير والفخر بحيث انه لما زوج السلطان ابنته بالامير قوصون ضرب دينارين وزنهمـا أربعمائة مثقال ذهبا وعشرة آلاف درهم فضة برسم نقوط امرأته فى العرس اذا طلعت الى زفاف ابنة السلطان على قوصون وقيل له مرة هذا السكر الذى يعمل فى الطعام مايضر أن يعمل غير مكرر فقال لايعمل الا مكررا فانه يبقى في نفسى انه غير مكرر وكان لايلبس قباء مطرزا ولا مصقولا ولا يدع أحدا عنده يلبس ذلك وكان يخرج الزكاة وانشأ بجانب هذا

الجامع ربعا كبيرا تنافس الناس فى سكناه ولم يزل على حاله حتى مات يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن بتربتـه خارج باب النصر ولم يزل هـذا الجامع مجمعا يقصده سائر الناس للتنزه فيه على النيل ويرغب كل أحـد فى السكني بجواره وبالغت الاماكن التى بجواره من الاسواق والدور الغاية فى العمارة حتى صار ذلك الخط أعمر أخطاط مصر وأحسنها فلما كانت سنة ست وثمانمائة انحسر ماء النيل عما تجاه جامع الخطيري وصار رملة لايعلوها الماء الا فى أيام الزيادة وتكاثر الرمـل تحت شبابيك الجامع وقربت من الارض بعـد ماكان الماء تحتـه لايكاد يدرك قراره وهو الآن عامر الا ان الاجتماعات التي كانت فيه قبل انحسار النيل عما قبالته قات واتضع حال ما يجاوره من السوق والدور ولله عاقبة الامور

* (جامع قيدان) *

هذا الجامع خارج القاهرة على جانب الخليج الشرقى ظاهر باب الفتوح مما يلى قناطر الاوز تجاه ارض البعل كان مسجدا قديم البناء فجدده الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدى في محرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة وجدد حوض السبيل الذى فيه ثم ان الامير مظفر الدين قيدان الرومي عمل به منبرا لاقامة الخطبة يوم الجمعة وكان عامرا بعمارة ماحوله فلما حدث الغلاء في سنة ست وسبعين وسبعمائة أيام الملك الاشرف شعبـان بن حسين خرب كثير من تلك النواحي وبيعت أنقاضها وكانت الغرقة ايضا فصار مابين القنطرة الجـديدة المجاورة لسوق جامع الظاهر وبين قناطر الاوز المقابلة لارض البعل يبابا لاعامر له ولا ساكن فيه وخرب ايضا ماوراء ذلك من شرقيه الى جامع نائب الـكرك وتعطل هذا الجامع ولم يبق منه غير جدر آيلة الى العدم ثم جدده مقدم بعض المماليك السلطانيـة فى حدود الثلاثين والثمانمائة ثم وسع فيه الشيخ احمد بن محمد الانصارى العقاد الشهير بالازرارى ومات فى ثاني عشر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة

* (جامع الست حدق) *

هذا الجامع بخط المريس فى جانب الخليج الـكبير ممـا يلى الغرب بالقرب من قنطرة السد التي خارج مدينة مصر أنشأته الست حدق دادة الملك الناصر محمد بن قلاون وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة لعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة والى حدق هذه ينسب حكر الست حدق الذى ذكر عند ذكر الاحكار من هذا الـكتاب

* (جامع ابن غازى) *

هذا الجامع خارج باب البحر من القاهرة بطريق بولاق انشأه نجم الدين بن غازي دلال المماليك واقيمت فيه الخطبة فى يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الاولى سنة احدى وأربعين

وسبعمائة والى اليوم تقام فيه الجمعة وبقية الايام لايزال مغلق الابواب لقلة السكان حوله

* (جامع التركمانى) *

هذا الجامع فى المقس وهو من الجوامع المليحة البناء انشأه الامير بدر الدين محمد التركماني وكان ماحوله عامرا عمارة زائدة ثم تلاشي من الوقت الذى كان فيه الغلاء زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين وما برح حاله يختل الى أن كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة فخرب معظم ماهنالك وفيه الى اليوم بقايا عامرة لاسيما بجوار هذا الجامع * (التركمانى) محمد وينعت بالامير بدر الدين محمد ابن الامير فخر الدين عيسى التركمانى كان أولا شادا ثم ترقى في الخدم حتي ولى الجيزة وتقدم في الدولة الناصرية فولاه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون شادّ الدواوين والدولة حينئذ ليس فيها وزير فاستقل بتدبير الدولة مدة أعوام وكان يلي نظر الدولة تلك الايام كريم الدين الصغير فغص به ومازال يدبر عليه حتى اخرجه السلطان من ديار مصر وعمله شاد الدواوين بطرابلس فأقام هناك مدة سنتين ثم عاد الى القاهرة بشفاعة الامير تنكز نائب الشام وولى كشف الوجه البحرى مدة ثم اعطي امرة طبلخاناه وأعطى أخوه علي امرة عشرة وولده ابراهيم أيضا امرة عشرة وكان مهابا صاحب حرمة باسطة وكلمة نافذة ومات عن سعادة طائلة بالمقس فى ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وهو أمير

* (جامع شيخو) *

هذا الجامع بسويقة منعم فيما بين الصليبة والرميلة تحت قلعة الجبل انشأه الامير الكبير سيف الدين شيخو الناصري رأس نوبة الامراء في سنة ست وخمسين وسبعمائة ورفق بالناس في العمل فيه وأعطاهم أجورهم وجعل فيه خطبة وعشرين صوفيا وأقام الشيخ اكمل الدين محمد بن محمود الرومى الحنفى شيخهم ثم لما عمر الخانقاه تجاه الجامع نقل حضور الاكمل والصوفية اليها وزاد عدتهم وهذا الجامع من اجل جوامع ديار مصر * (شيخو) الامير الكبير سيف الدين أحد مماليك الناصر محمد بن قلاون حظي عند الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاون وزادت وجاهته حتي شفع في الامراء وأخرجهم من سجن الاسكندرية ثم انه استقر في أول دولة الملك الناصر حسن أحد أمراء المشورة وفى آخر الامر كانت القصص تقرأ عليه بحضرة السلطان في ايام الخدمة وصار زمام الدولة بيده فساسها أحسن سياسة بسكون وعدم شر وكان يمنع كل حزب من الوثوب على الآخر فعظم شأنه الى أن رسم السلطان بامساك الامير يلبغا روس نائب السلطنة بديار مصر وهو مسافر بالحجاز وكان شيخو قد خرج متصيدا الى ناحية طنان بالغربية فلما كان يوم السبت رابع عشرى شوال سنة احدى وخمسين وسبعمائة امسك السلطان الامير منجك الوزير وحلف الامراء لنفسه وكتب تقليد شيخو بنيابة طرابلس وجهزه اليه مع الامير سيف الدين طينال الجاشنكير فسار اليه وسفره

من بر افوصل الى دمشق ليلة الثلاثاء رابع ذي القعدة فظهر مرسوم السلطان باقامة شيخو في دمشق على اقطاع الامير بيلبك السالمي وتجهيز بيلبك الى القاهرة فخرج بيلبك من دمشق وأقام شيخو على اقطاعه بها فما وصل بيلبك الى القاهرة الا وقد وصل الى دمشق مرسوم بامساك شيخو وتجهيزه الى السلطان وتقييد مماليكه واعتقالهم بقلعة دمشق فأمسك وجهز مقيدا فلما وصل الى قطيا توجهوا به الى الاسكندرية فلم يزل معتقلا بها الى أن خلع السلطان الملك الناصر حسن وتولى أخوه الملك الصالح صالح فأفرج عن شيخو ومنجك الوزير وعدة من الامراء فوصلوا الى القاهرة في رابع شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وانزل في الاشرفية بقلعة الجبل واستمر على عادته وخرج مع الملك الصالح الى الشام في واقعة يلبغا روس وتوجه الى حلب هو والامير طاز وارغون الكاملي خلف يلبغا روس وعاد مع السلطان الى القاهرة وصمم حتي امسك يلبغا روس ومن معه من الامراء بعد ماوصلوا الى بلاد الروم وحزت رؤسهم وأمسك أيضا ابن دلغار واحضر الى القاهرة ووسط وعلق على باب زويلة ثم خرج بنفسه في طلب الاحدب الذى خرج بالصعيد وتجاوز في سفره قوص وأمسك عدة كثيرة ووسطهم حتي سكنت الفتن بأرض مصر وذلك في آخر سنة اربع وخمسين وأول سنة خمس وخمسين ثم خلع الملك الصالح وأقام بدله الملك الناصر حسنا في ثاني شوال واخرج الامير طاز من مصر الى حلب نائبا بها ومعه اخوته وصارت الامور كلها راجعة اليه وزادت عظمته وكثرت أمواله واملاكه ومستأجراته حتي كاد يكاثر أمواج البحر بما ملك وقيل له قارون عصره وعزيز مصره وأنشأ خلقا كثيرا فقوى بذلك حزبه وجعل في كل مملكة من جهته عدة امراء وصارت نوابه بالشام وفي كل مدينة امراء كبار وخدموه حتي قيل كان يدخل كل يوم ديوانه من اقطاعه واملاكه ومستأجراته بالشام وديار مصر مبلغ مائتي ألف درهم نقرة واكثر وهذا شئ لم يسمع بمثله في الدولة التركية وذلك سوى الانعامات السلطانية والتقادم التي ترد اليه من الشام ومصر وما كان يأخذ من البراطيل على ولاية الاعمال وجامعه هذا وخانقاهه التي بخط الصليبة لم يعمر مثلهما قبلهما ولا عمل في الدولة التركية مثل أوقافهما وحسن ترتيب المعالم بهما ولم يزل على حاله الى أن كان يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة فخرج عليه شخص من المماليك السلطانية المرتجعة عن الامير منجك الوزير يقال له باي فجاء وهو جالس بدار العدل وضربه بالسيف في وجهه وفي يده فارتجت القلعة كلها وكثر هرج الناس حتى مات من الناس جماعة من الزحمة وركب من الامراء الكبار عشرة وهم بالسلاح عليهم الى قبة النصر خارج القاهرة ثم أمسك باي فجاء وقرر فلم يعترف بشئ على أحد وقال أنا قدمت اليه قصة لينقلني من الجامكية الى الاقطاع فاقضى شغلي فأخذت في نفسي من ذلك فسجن مدة ثم سمر وطيف به الشوارع وبقي شيخو

عليلا من تلك الجراحة لم يركب الى أن مات ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ودفن بالخانقاه الشيخونية وقبره بها يقرأ عنده القرآن دائما

(جامع الجاكي)

هذا الجامع كان بدرب الجاكي عند سويقة الريش من الحكر في بر الخليج الغربي أصله مسجد من مساجد الحكر ثم زاد فيه الامير بدر الدين محمد بن ابراهيم المهمندار وجعله جامعا وأقام فيه منبرا في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة فصار أهل الحكر يصلون فيه الجمعة الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فخرب الحكر وبيعت أنقاض معظم الدور التي هناك وتعطل هذا الجامع من ذكر الله واقامة الصلاة لخراب ماحوله فحكم بعض قضاة الحنفية ببيع هذا الجامع فاشتراه شخص من الوعاظ يعرف بالشيخ أحمد الواعظ الزاهد صاحب جامع الزاهد بخط المقس وهدمه وأخذ أنقاضه فعملها في جامعه الذى بالمقس في أول سنة سبع عشرة وثمانمائة

(جامع التوبة)

هذا الجامع بجوار باب البرقية في خط بين السورين كان موضعه مساكن أهل الفساد وأصحاب الرأى فلما انشأ الامير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى خانقاهه المعروفة بالجمالية قريبا من خزانة البنود بالقاهرة كره مجاورة هذه الاماكن لداره وخانقاهه فأخذها وهدمها وبني هذا الجامع في مكانها وسماه جامع التوبة فعرف بذلك الى اليوم وهو الآن تقام فيه الجمعة غير أنه لايزال طول الايام مغلق الابواب لخلوه من ساكن وقد خرب كثير مما يجاوره وهناك بقايا من أماكن

(جامع صاروجا)

هذا الجامع مطل على الخليج الناصرى بالقرب من بركة الحاجب التى تعرف ببركة الرطلي كان خطة تعرف بجامع العرب فأنشأ بها هذا الجامع ناصر الدين محمد أخو الامير صاروجا نقيب الجيش بعد سنة ثلاثين وسبعمائة وكانت تلك الخطة قد عمرت عمارة زائدة وأدركت منها بقية جيدة الى أن دثرت فصارت كيمانا وتقام الجمعة الى اليوم في هذا الجامع أيام النيل

(جامع الطباخ)

هذا الجامع خارج القاهرة بخط باب اللوق بجوار بركة الشقاف كان موضعه وموضع بركة الشقاف من جملة الزهري أنشأه الامير جمال الدين أقوش وجدده الحاج على الطباخ في المطبخ السلطاني أيام الملك الناصر محمد بن قلاون ولم يكن له وقف فقام بمصالحه من ماله مدة ثم انه صودر في سنة ست وأربعين وسبعمائة فتعطل مدة نزول الشدة بالطباخ ولم تقم

فيه تلك المدة الصلاة * (على بن الطباخ) نشأ بمصر وخدم الملك الناصر محمد بن قلاون وهو بمدينة الكرك فلما قدم الى مصر جعله خوان سلار وسلمه المطبخ السلطانى فكثر ماله لطول مدته وكثرة تمكنه ولم يتفق لاحد من نظرائه ماآتفق له من السعادة الطائلة وذلك أن الافراح وما كان يصنع من المهمات والاعراس ونحوها مما كان يعمل في الدور السلطانية وعند الامراء والمماليك والحواشى مع كثرة ذلك في طول تلك الاعوام كانت كلها انما يتولى أمرها هو بمفرده فمما اتفق له في عمل مهم ابن بكتمر الساقي على ابنة الامير تنكز نائب الشام أن السلطان الملك الناصر استدعاه آخر النهار الذى عمل فيه المهم المذكور وقال له ياحاج على اعمل لي الساعة لوناً من طعام الفلاحين وهو خروف رميس يكون ملهوج فولى ووجهه معبس فصاح به السلطان ويلك مالك معبس الوجه فقال كيف ماأعبس وقد حرمتني الساعة عشرين ألف درهم نقرة فقال كيف حرمتك قال قد تجمع عندى رؤس غنم وبقر واكارع وكروش وأعضاد وسقط دجاج وأوز وغير ذلك مما سرقته من المهم وأريد أقعد وأبيعه وقد قلت لى اطبخ وبينما افرغ من الطبيخ تلف الجميع فتبسم السلطان وقال له رح اطبخ وضمان الذي ذكرت على وأمر باحضار والى القاهرة ومصر فلما حضر ألزمهما بطلب أرباب الزفر الى القلعة وتفرقة ماناب الطباخ من المهم عليهم واستخراج ثمنه فللحال حضر المذكورون وبيع عليهم ذلك فبلغ ثمنه ثلاثة وعشرين ألف درهم نقرة وهذا مهم واحد من ألوف مع الذى كان له من المعالم والجرايات ومنافع المطبخ ويقال انه كان يحصل له من المطبخ السلطاني في كل يوم على الدوام والاستمرار مبلغ خمسمائة درهم نقرة ولولده أحمد مبلغ ثلثمائة درهم نقرة فلما تحدث النشو في الدولة خرّج عليه تخاريج وأغرى به السلطان فلم يسمع فيه كلاما وما زال على حاله الى أن مات الملك الناصر وقام من بعده أولاده الملك المنصور أبو بكر والملك الاشرف كجك والملك الناصر أحمد والملك الصالح اسماعيل والملك الكامل شعبان فصادره في سنة ست وأربعين وسبعمائة وأخذ منه مالا كثيراً ومما وجد له خمس وعشرون دارا مشرفة على النيل وغيره فتفرقت حواشي الملك الكامل املاكه فأخذت أم السلطان ملكه الذى كان على البحر وكانت دارا عظيمة جدا وأخذت انقاض داره التي بالمحمودية من القاهرة وأقيم عوضه بالمطبخ السلطانى وضرب ابنه أحمد

* (جامع الاسيوطى) *

هذا الجامع بطرف جزيرة الفيل مما يلي ناحية بولاق كان موضعه في القديم غامرا بما النيل فلما انحسر عن جزيرة الفيل وعمرت ناحية بولاق أنشأ هذا الجامع القاضى شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عمر السيوطي ناظر بيت المال ومات في سنة تسع وأربعين وسبعمائة ثم جدد عمارته بعد ماتهدم وزاد فيه ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن محمد المعروف

بابن البارزى الحموى كاتب السر وأجرى فيه الماء وأقام فيه الخطبة يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة فجاء في أحسن هندام وأبدع زي وصلى فيه السلطان الملك المؤيد شيخ الجمعة في أول جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

* (جامع الملك الناصر حسن) *

هذا الجامع يعرف بمدرسة السلطان حسن وهو تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة الفيل وكان موضعه بيت الامير يلبغا اليحياوي الذى تقدم ذكره عند ذكر الدور وابتدأ السلطان عمارته في سنة سبع وخمسين وسبعمائة وأوسع دوره وعمله في أكبر قالب وأحسن هندام وأضخم شكل فلا يعرف في بلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هذا الجامع أقامت العمارة فيه مدة ثلاث سنين لاتبطل يوما واحدا وارصد لمصروفها في كل يوم عشرون ألف درهم عنها نحو ألف مثقال ذهباً * ولقد أخبرني الطواشى مقبل الشامى انه سمع السلطان حسنا يقول انصرف على القالب الذى بني عليه عقد الايوان الكبير مائة ألف درهم نقرة وهذا القالب مما رمى على الكيمان بعد فراغ العقد المذكور قال وسمعت السلطان يقول لولا أن يقال ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ماصرف عليه وفي هذا الجامع عجائب من البنيان منها أن ذرع ايوانه الكبير خمسة وستون ذراعا في مثلها ويقال انه أكبر من إيوان كسرى الذى بالمدائن من العراق بخمسة أذرع ومنها القبة العظيمة التي لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها ومنها المنبر الرخام الذي لانظير له ومنها البوّابة العظيمة ومنها المدارس الاربع التى بدور قاعة الجامع الى غير ذلك وكان السلطان قد عزم على أن يبني أربع منابر يؤذن عليها فتمت ثلاث منابر الى أن كان يوم السبت سادس شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة فسقطت المنارة التي على الباب فهلك تحتها نحو ثلثمائة نفس من الايتام الذين كانوا قد رتبوا بمكتب السبيل الذى هناك ومن غير الايتام وسلم من الايتام ستة أطفال فأبطل السلطان بناء هذه المنارة وبناء نظيرتها وتأخر هناك منارتان هما قائمتان الى اليوم ولما سقطت المنارة المذكورة لهجت عامة مصر والقاهرة بأن ذلك منذر بزوال الدولة فقال الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن على بن محمد السبكي في سقوطها

أبشر فسعدك ياسلطان مصر أتى * بشيره بمقال سار كالمثل
ان المنارة لم تسقط لمنقصة * لكن لسر خفى قد تبين لى
من تحتها قرىء القرآن فاستمعت * فالوجد في الحال أداها الى الميل
لو أنزل الله قرآنا على جبل * تصدعت رأسه من شدة الوجل
تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت * من خشية الله لا للضعف والخلل

وغاب سلطانها فاستوحشت ورمت * بنفسها لجوى في القلب مشتعل
فالحمد لله حظ العين زال بها * قد كان قدره الرحمن في الازل
لايعتري البؤس بعد اليوم مدرسة * شيدت بنيانها بالعلم والعمل
ودمت حتي ترى الدنيا بها امتلأت * علماً فليس بمصر غير مشتغل

فاتفق قتل السلطان بعد سقوط المنارة بثلاثة وثلاثين يوما ومات السلطان قبل أن يتم رخام هذا الجامع فأتمه من بعده الطواشى بشير الجمدار وكان قد جعل السلطان على هذا الجامع أوقافا عظيمة جدا فلم يترك منها الا شيء يسير وأقطع أكثر البلاد التى وقفت عليه بديار مصر والشام لجماعة من الامراء وغيرهم وصار هذا الجامع ضداً لقلعة الجبل فلما تكون فتنة بين أهل الدولة الا ويصعد عدة من الامراء وغيرهم الى أعلاه ويصير الرمى منه على القلعة فلم يحتمل ذلك الملك الظاهر برقوق وأمر فهدمت الدرج التي كان يصعد منها الى المنارتين والبيوت التى كان يسكنها الفقهاء ويتوصل من هذه الدرج الى السطح الذى كان يرمي منه علي القلعة وهدمت البسطة العظيمة والدرج التي كانت بجانبي هذه البسطة التى كانت قدام باب الجامع حتى لايمكن الصعود الى الجامع وسد من وراء الباب النحاس الذى لم يعمل فيما عهد باب مثله وفتح شباك من شبابيك أحد مدارس هذا الجامع ليتوصل منه الى داخل الجامع عوضاً عن الباب المسدود فصار هذا الجامع تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة وامتنع صعود المؤذنين الى المنارتين وبقى الاذان على درج هذا الباب وكان ابتداء هدم ماذكر فى يوم الاحد ثامن صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ثم لما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ في عمارة الجامع بجوار باب زويلة اشترى هذا الباب النحاس والتنور النحاس الذى كان معلقا هناك بخمسمائة دينار ونقلا في يوم الخميس سابع عشري شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة فركب الباب على البوابة وعلق التنور تجاه المحراب فلما كان في يوم الخميس تاسع شهر رمضان سنة خمس وعشرين وثمانمائة أعيد الاذان في المئذنتين كما كان وأعيد بناء الدرج والبسطة وركب باب بدل الباب الذى أخذه المؤيد واستمر الامر على ذلك *(الملك الناصر أبو المعالى الحسن بن محمد بن قلاون) * جلس على تخت الملك وعمره ثلاث عشرة سنة في يوم الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بعد أخيه الملك المظفر حاجي وأركب من باب الستارة بقلعة الجبل وعليه شعار السلطنة وفى ركابه الامراء الى أن نزل بالايوان السلطاني ومدبرو الدولة يومئذ الامير يلبغاروس والامير ألجيبغا المظفرى والامير شيخو والامير طاز وأحمد شاد الشراب خاناه وأرغون الاسماعيلي فخلع على يلبغاروس واستقر في نيابة السلطنة بديار مصر عوضا عن الحاج ارقطاى وقرر أرقطاى في نيابة السلطنة بحلب وخلع على الامير سيف الدين منجك اليوسفى واستقر في

الوزارة والاستادارية وقرر الامير أرغون شاه في نيابة السلطنة بدمشق فلما دخلت سنة تسع وأربعين كثر انكشاف الاراضى من ماء النيل بالبر الشرقى فيما يلي بولاق الى مصر فاهتم الامراء بسد البحر مما يلي الجيزة وفوض ذلك للامير منجك فجمع مالا كثيرا وأنفقه على ذلك فلم يفد فقبض على منجك فى ربيع الاول وحدث الوباء العظيم في هذه السنة وأخرج أحمد شاد الشرابخاناه لنيابة صفد والجيبغا لنيابة طرابلس فاستمر الجيبغا بها الى شهر ربيع الاول سنة خمسين فركب الى دمشق وقتل أرغون شاه بغير مرسوم فأنكر عليه وأمسك وقتل بدمشق * وفي سنة احدى وخمسين سار من دمشق عسكر عدته أربعة آلاف فارس ومن حلب الفا فارس الى مدينة سنجار ومعهم عدة كثيرة من التركمان فحصروها مدة حتى طلب أهلها الامان ثم عادوا وترشد السلطان واستبد بأمره وقبض على منجك ويلبغاروس وقبض بمكة على الملك المجاهد صاحب اليمن وقيد وحمل الى القاهرة فأطلق ثم سجن بقلعة الكرك فلما كان يوم الاحد سابع عشر جمادى الآخرة ركب الامراء على السلطان وهم طاز وأخوته ويلبغا الشمسى وبيغوا ووقفوا تحت القلعة وصعد الامير طاز وهو لابس الى القلعة في عدة وافرة وقبض على السلطان وسجنه بالدور فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأقيم بدله أخوه الملك الصالح صالح فأقام السلطان حسن مجمعا على الاشتغال بالعلم وكتب بخطه نسخة من كتاب دلائل النبوة للبيهقى الى يوم الاثنين ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأقامه الامير شيخو العمري فى السلطنة وقبض على الصالح وكانت مدة سجنه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما فرسم بامساك الامير طاز واخراجه لنيابة حلب * وفى ربيع الاول سنة سبع وخمسين هبت ريح عاصفة من ناحية الغرب من أول النهار الى آخر الليل اصفر منها الجو ثم احمر ثم اسود فتلف منها شئ كثير * وفي شعبان سنة تسع وخمسين ضرب الامير شيخو بعض المماليك بسيف فلم يزل عليلا حتى مات * وفى سنة تسع وخمسين كان ضرب الفلوس الجدد فعمل كل فلس زنة مثقال وقبض على الامير طاز نائب حلب وسجن بالاسكندرية وقرر مكانه فى نيابة حلب الامير منجك اليوسفى وأمسك الامير صرغتمش في شهر رمضان منها وكانت حرب بين مماليكه ومماليك السلطان انتصر فيها المماليك السلطانية وقبض على عدة أمراء فأنعم السلطان على مملوكه يلبغا العمري الخاصكى بتقدمة ألف عوضا عن تنكربغا الماردانى أمير مجلس بحكم وفاته * وفى سنة ستين فر منجك من حلب فلم يوقف له على خبر فأقر على نيابة حلب الامير بيدمر الخوارزمي وسار لغزو سيس فأخذ أدنه بأمان وأخذ طرسوس والمصيصة وعدة بلاد وأقام بها نوابا وعاد فلما كانت سنة اثنتين وستين عدى السلطان الى بر الجيزة وأقام بناحية كوم برا مدة طويلة لوباء كان بالقاهرة فتنكر الحال بينه وبين الامير يلبغا الى ليلة

الاربعاء تاسع جمادى الاولى فركب السلطان في جماعة ليكبس على الامير يلبغا وكان قد أحس بذلك وخرج عن الخيام وكمن بمكان وهو لابس في جماعة فلم يظفر السلطان به ورجع فثار به يلبغا فانكسر بمن معه وفر يريد قلعة الجبل فتبعه يلبغا وقد انضم اليه جمع كثير ودخل السلطان الى القلعة فلم يثبت وركب معه أيدمر الدوادار ليتوجه الى بلاد الشام ونزل الى بيت الامير شرف الدين موسى بن الازكشي أمير حاجب فبعث في الحال الى الامير يلبغا يعلمه بمجئ السلطان اليه فبعث من قبضه هو والامير أيدمر ومن حينئذ لم يوقف له على خبر البتة مع كثرة فحص اتباعه وحواشيه عن قبره وما آل اليه امره فكانت مدة ولايته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأياما وكان ملكا حازما مهابا شجاعا صاحب حرمة وافرة وكلمة نافذة ودين متين حلف غير مرة انه مالاط ولا شرب خمرا ولا زنى الا انه كان يبخل ويعجب بالنساء ولا يكاد يصبر عنهن ويبالغ في اعطائهن المال وعادى في دولته أقباط مصر وقصد اجتثاث أصلهم وكره المماليك وشرع في اقامة أولاد الناس أمراء وترك عشرة بنين وست بنات وكان أشقر أنمش وقتل وله من العمر بضع وعشرون سنة ولم يكن قبله ولا بعده في الدولة التركية مثله

(جامع القرافة)

هذا الجامع يعرف الآن بجامع الاولياء وهو بالقرافة الكبرى وكان موضعه يعرف في القديم عند فتح مصر بخطة المغافر وهو مسجد بني عبد الله بن مانع بن مورع يعرف بمسجد القبة * قال القضاعى كان القراء يحضرون فيه ثم بني عليه المسجد الجامع الجديد بنته السيدة المعزية في سنة ست وستين وثلثمائة وهى أم العزيز بالله نزار ولد المعز لدين الله أم ولد من العرب يقال لها تغريد وتدعى درزان وبنته على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسى المحتسب فى شهر رمضان من السنة المذكورة وهو على نحو بناء الجامع الازهر بالقاهرة وكان بهذا الجامع بستان لطيف في غربيه وصهريج وبابه الذى يدخل منه ذو المصاطب الكبير الاوسط تحت المنار العالى الذى عليه مصفح بالحديد الى حضرة المحراب والمقصورة من عدة أبواب وعدتها أربعة عشر بابا مربعة مطوبة الابواب قدام كل باب قنطرة قوس على عمودى رخام ثلاثة صفوف وهو منكدج مزوق باللازورد والزنجفر والزنجار وأنواع الاصباغ وفيه مواضع مدهونة والسقوف مزوقة ملونة كلها والحنايا والعقود التي على العمد مزوقة بأنواع الاصباغ من صنعة البصريين وبني المعلم المزوقين شيوخ الكتامى والنازوك وكان قبالة الباب السابع من هذه الابواب قنطرة قوس مزوقة في منحني حافتيها شاذروان مدرج بدرج وآلات سود وبيض وحمر وخضر وزرق وصفر اذا تطلع اليها من وقف فى سهم قوسها شائلا رأسه اليها ظن أن المدرج المزوق كأنه خشب كالمقرنص واذا أتى الى أحد قطرى

القوس نصف الدائرة ووقف عند أول القوس منها ورفع رأسه رأى ذلك الذى توهمه مسطحا لا تتوفيه وهذه من أنخر الصنائع عند المزوقين وكانت هذه القنطرة من صنعة بني المعلم وكان الصناع يأتون اليها ليعملوا مثلها فما يقدرون وقد جرى مثل ذلك للقصير وابن عزيز في أيام البازورى سيد الوزراء الحسن بن علي بن عبد الرحمن وكان كثيرا ما يحرض بينهما ويغرى بعضهما على بعض لانه كان أحب ما اليه كتاب مصور أو النظر الى صورة أو تزويق ولما استدعى ابن عزيز من العراق فأفسده وكان قد أتي به في محاربة القصير لان القصير كان يشتط فى أجرته ويلحقه عجب في صنعته وهو حقيق بذلك لانه في عمل الصورة كابن مقلة فى الخط وابن عزيز كابن البواب وقد أمعن شرح ذلك في الكتاب المؤلف فيه وهو طبقات المصورين المنعوت بضوء النبراس وأنس الجلاس فى أخبار المزوقين من الناس وكان البازوري قد أحضر بمجلسه القصير وابن عزيز فقال ابن عزيز أنا أصور صورة اذا رآها الناظر ظن انها خارجة من الحائط فقال القصير لكن أنا أصورها فاذا نظرها الناظر ظن انها داخلة فى الحائط فقالوا هذا أعجب فأمرهما أن يصنعا ماوعدا به فصور اصورة راقصتين فى صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين هذه ترى كأنها داخلة فى الحائط وتلك ترى كأنها خارجة من الحائط فصور القصير راقصة بثياب بيض في صورة حنية دهنها اسود كأنها داخلة فى صورة الحنية وصور ابن عزيز راقصة بثياب حمر فى صورة حنية صفراء كأنها بارزة من الحنية فاستحسن البازورى ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيرا من الذهب * وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتامى صورة يوسف عليه السلام فى الجب وهو عريان والجب كله أسود اذا نظره الانسان ظن أن جسمه باب من دهن لون الجب وكان هذا الجامع من محاسن البناء وكان بنو الجوهرى يعظون بهذا الجامع على كرسى فى الثلاثة أشهر فتمر لهم مجالس مبجلة تروق وتشوق ويقوم خادمهم زهر البان وهو شيخ كبير ومعه زنجلة اذا توسط أحدهم في الوعظ ويقول

وتصدقى لاتأمني أن تسألى * فاذا سألت عرفت ذل السائل

ويدور على الرجال والنساء فيلقى له فى الزنجلة مايسره الله تعالى فاذا فرغ من التطواف وضع الزنجلة أمام الشيخ فاذا فرغ من وعظه فرق على الفقراء ماقسم لهم وأخذ الشيخ ماقسم له وهو الباقي ونزل عن الكرسى وكان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون به في ليالي الصيف للحديث فى القمر فى صحنه وفى الشتاء ينامون عند المنبر وكان يحصل لقيمه القاضى أبي حفص الاشربة والحلوي وغير ذلك * قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة حدثني الامير أبو على تاج الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشي قال اجتمعنا ليلة جمعة جماعة من الامراء بنو معز الدولة وصالح وحاتم وراجح وأولادهم

وغلمانهم وجماعة ممن يلوذ بنا كابن الموفق والقاضى ابن داود وأبي المجد بن الصيرفى وأبي
الفصل روزة وأبي الحسن الرضيع فعملنا سماطا وجلسنا واستدعينا بمن في الجامع وأبي
حفص فأكلنا ورفعنا الباقى الى بيت الشيخ أبي حفص قيم الجامع ثم تحدثنا وتمناوكانت ليلة
باردة فنمناعند المنبر واذا انسان نصف الليل ممن نام فى هـذا الجامع من عابرى السبيل
قد قام قائما وهو يلطم على رأسه ويصيح واماله واماله فقلنا له ويلك ماشأنك وما الذى
دهاك ومن سرقك وما سرق لك فقال ياسيدي أنا رجل من أهل طرا يقال لى أبو كريت
الحاوى أمسى على الليل ونمت عندكم وأكلت من خيركم وسع الله عليكم ولى جمعة أجمع فى
ساتي من نواحي طرا والحى الكبير والجبل كل غريبة من الحيات والافاعى مالم يقدر عليه قط
حاو غيرى وقد انفتحت الساعـة السلة وخرجت الافاعى وأنا نائم لم اشعر فقلت له ايش
تقول فقال اى والله يالنجدات فقلنا ياعدو الله اهلكتنا ومعنا صبيان وأطفال ثم انا نبهنا
الناس وهربنا الى المنبر وطلعنا وازدحمنا فيه ومنا من طلع على قواعد العمد فتسلق وبقى
واقفا وأخذ ذلك الحاوى يحسس وفى يده كنف الحيـات ويقول قبضت الرقطاء ثم يفتح
السلة ويضع فيها ثم يقول قبضت أم قرنين ويفتح ويضع فيهاويقول قبضت الفلانى والفلانية
من الثعابين والحيات وهي معه بأسماء ويقول أبو تليس وأبو زعير ونحن نقول ايه الى أن
قال بس انزلوا مابقى على هم مابقى بهمكم كبير شئ قلنا كيف قال مابقى الاالبتراء وأم رأسين
انزلوا فما عليكم منهما قلنا كذا عليك لعنة الله ياعدو الله لانزلنا للصبح فالمغرور من تغره
وصحنا بالقاضى أبي حفص القيم فاوقد الشمعة ولبس صباغات الخطيب خوفا على رجليه وجاء
فنزلنا في الضوء وطلعنا المئذنة فنمنا الى بكرة وتفرق شملنا بعـد تلك الليلة وجمع القاضى
القيم عيـاله ثاني يوم وأدخلوا عصيا تحت المنبر وسعفا وشالوا الحصر فلم يظهر لهم شئ وبلغ
الحديث والى القرافة ابن شعلة الكتامى فأخذ الحاوى فلم يزل به حتي جمع ماقدر عليه
وقال ماأخليه الا الى السلطان وكان الوزير اذ ذاك يانس الارمني * وهذه القضية تشبه
قضية جرت لجعفر بن الفضل بن الفرات وزير مصر المعروف بابن حزابة وذلك انه كان
يهوى النظر الي الحيات والافاعي والعقارب وأم أربعة وأربعين ومايجرى هذا المجرى من
الحشرات وكان في داره قاعة لطيفة مرخمة فيها سلال الحيات ولها قيم فراش حاو من الحواة
ومعه مستخدمون برسم الخدمة ونقل السلال وحطها وكان كل حاو في مصر وأعمالها يصيد
مايقدر عليه من الحيات ويتباهون في ذوات العجب من أجناسها وفي الكبار وفي الغريب
المنظر وكان الوزير يثيبهم على ذلك أو في ثواب ويبذل لهم الجمل حتي يجتهدوا في تحصيله
وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ويدخـل المستخدمون والحواة فيخرجون مافي
السلال ويطارحونه على ذلك الرخام ويحرشون بين الهوام وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه

فلما كان ذات يوم انفذ رقعة الى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب وكان من أعيان كتاب أيامه وديوانه وكان عزيزا عنده وكان يسكن الى جوار دار ابن الفرات يقول له فيها نشعر الشيخ الجليل أدام الله سلامته انه لما كان البارحة عرض علينا الحواة الحشرات الجارى بها العادات انساب الى داره منها الحية البتراء وذات القرنين والعقربان الكبير وأبو صوفة وما حصلوا لنا الا بعدعناء ومشقة وبجملة بذلناها للحواة ونحن نأمر الشيخ وفقه الله بالتقدم الى حاشيته وصبيته بصون ماوجد منها الى أن تنفذ الحواة لاخذها وردها الى سللها فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب فى ذيلها أتانى أمر سيدنا الوزير خلد الله نعمته وحرس مدته بما أشار اليه فى أمر الحشرات والذي يعتمد عليه في ذلك أن الطلاق يلزمه ثلاثا ان بات هو وأحد من أهله في الدار والسلام * وفي سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الوزير أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالاجل المأمون البطائحي وكيله أبا البركات محمد بن عثمان برم شعث هذا الجامع وأن يعمر بجانبه طاحونا للسبيل ويبتاع لها الدواب ويتخير من الصالحين الساكنين بالقرافة من يجعله امينا عليها ويطلق له مايكفيه مع علف الدواب وجميع المؤن ويشترط عليه أن يواسي بين الضعفاء ويحمل عنهم كلفة طحن أقواتهم ويؤدى الامانة فيها ولم يزل هذا الجامع على عمارته الى أن احترق في السنة التي احترق فيها جامع عمرو بن العاص سنة أربع وستين وخمسمائة عند نزول مرى ملك الفرنج على القاهرة وحصارها كما تقدم ذكره عند ذكر خراب الفسطاط من هذا الكتاب وكان الذي تولى احراق هذا الجامع ابن سماقة باشارة الاستاذ مؤتمن الخلافة جوهر وهو الذى أمر المذكور بحريق جامع عمرو بمصر وسئل عن ذلك فقال لئلا يخطب فيه لبني العباس ولم يبق من هذا الجامع بعد حريقه سوى المحراب الاخضر وكان مؤذن هذا الجامع في أيام المستنصر ابن بقاء المحدث ابن بنت عبدالغنى بن سعيد الحافظ ثم جددت عمارة هذا الجامع فى أيام المستنصر بعد حريقه وأدركته لما كانت القرافة الكبرى عامرة بسكنى السودان التكاررة وهو مقصود للبركة فلما كانت الحوادث والمحن فى سنة ست وثمانمائة قل الساكن بالقرافة وصار هذا الجامع طول الايام مغلوقا وربما أقيمت فيه الجمعة

* (جامع الجيزة) *

بناه محمد بن عبد الله الخازن في المحرم سنة خمسين وثلثمائة بأمر الامير على بن عبد الله بن الاخشيد فتقدم كافور الى الخازن ببنائه فانه كان قد هدمه النيل وسقط في سنة أربعين وثلثمائة وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة فى مسجد جامع همدان وهو مسجد مزاحف بن عامر بن بكتل وقيل ان عقبة بن عامر في امرته على مصر أمرهم أن يجمعوا فيه قال التميمى وشارف بناء جامع الجيزة مع أبى بكر الخازن أبو الحسن بن

جعفر الطحاوى واحتاجوا الى عمد للجامع فمضى الخازن في الليل الى كنيسة بأعمال الجيزة فقلع عمدها ونصب بدلها أركانا وحمل العمد الى الجامع فترك أبو الحسن بن الطحاوى الصلاة فيه مذ ذاك تورعا * قال التميمى وقد كان يعني ابن الطحاوى يصلي في جامع الفسطاط القديم وبعض عمده أو أكثرها ورخامه من كنائس الاسكندرية وأرياف مصر وبعضه بناء قرة ابن شريك عامل الوليد بن عبد الملك

* (جامع منجك) *

هذا الجامع يعرف موضعه بالثغرة تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير أنشأه الامير سيف الدين منجك اليوسفي في مدة وزارته بديار مصر في سنة احدى وخمسين وسبعمائة وصنع فيه صهريجاً فصار يعرف الى اليوم بصهريج منجك ورتب فيه صوفية وقرر لهم في كل يوم طعاما ولحماً وخبزاً وفي كل شهر معلوما وجعل فيه منبرا ورتب فيه خطيبا يصلي بالناس فيه صلاة الجمعة وجعل على هذا الموضع عدة أوقاف منها ناحية بلقينة بالغربية وكانت مرصدة برسم الحاشية فقومت بخمسة وعشرين ألف دينار فاشتراها من بيت المال وجعلها وقفا على هذا المكان * (منجك) الامير سيف الدين اليوسفي لما امتنع أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاون بالكرك وقام في مملكة مصر بعده أخوه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل وكان من محاصرته بالكرك ما كان الى أن أخذ فتوجه اليه وقطع رأسه وأحضرها الى مصر وكان حينئذ أحد السلاحدارية فأعطى امرة بديار مصر وتنقل في الدول الى أن كانت سلطنة الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاون فأخرجه من مصر الى دمشق وجعله حاجبا بها موضع ابن طغريل فلما قتل الملك المظفر وأقيم بعده أخوه الملك الناصر حسن أقيم الامير سيف الدين يلبغاروس في نيابة السلطنة بديار مصر وكان أخا منجك فاستدعاه من دمشق وحضر الى القاهرة في ثامن شوال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة فرسم له بامرة تقدمة ألف وخلع عليه خلع الوزارة فاستقر وزيرا وأستادارا وخرج في دست الوزارة والامراء في خدمته من القصر الى قاعة الصاحب بالقلعة فجلس بالشباك ونفذ أمور الدولة ثم اجتمع الامراء وقرأ عليهم أوراقا تتضمن ماعلى الدولة من المصروف ووفر من جامكية المماليك مبلغ ستين ألف درهم في الشهر وقطع كثيرا من جوامك الخدم والجواري والبيوتات السلطانية ونقص رواتب الدور من زوجات السلطان وجواريه وقطع رواتب الاغاني وعرض الاسطبل السلطاني وقطع منه عدة أميراخورية وسراخورية وسواس وغلمان ووفر من راتب الشعير نحو الخمسين أردبا في كل يوم وقطع جميع الكلابزية وكانوا خمسين جوقة وأبقى منهم جوقتين ووفر جماعة من الاسري والعتالين والمستخدمين في العمائر وأبطل العمارة من بيت السلطان وكانت الحوائجخاناه تحتاج في كل يوم الى أحد وعشرين ألف

درهم نقرة فاقتطع منها مبلغ ثلاثة آلاف درهم وبقي مصروفها في اليوم ثمانيــة عشر ألف درهم نقرة وشرع ينكت على الدواوين ويحط على القاضي موفق الدين ناظر الدولة وعلى القاضي علم الدين بن زنبور ناظر الخواص ورسم أن لا يستقر في المعاملات سوى شـاهد واحد وعامل وشاد بغير معلوم وأغلظ على الـكتاب والدواوين وهددهم وتوعدهم فخافوه واجتمع بعضهم ببعض واشتوروا في أمرهم واتفقوا على مال يتوزعونه بينهم على قدر حال كل منهم وحملوه الى منجك سرا فلم يمض من استقراره في الوزارة شهر حتى صار الكتاب وأرباب الدواوين أحباءه وأخلاءه وتمكنوا منه أعظم ما كانوا قبل وزارته وحسنوا له أخذ الاموال فطلب ولاة الاقاليم وقبض على أقبغا والى الغربية والزمه بحمل خمسمائة ألف درهم نقرة وولى عوضه الامير استدمر القلنجي ثم صرفه وولى بدله قطليجا مملوك بكتمر واستقر باستدمر القلنجي في ولاية القاهرة وأضاف له التحدث في الجهات وولى البحرية لرجل من جهته وولى قوص لآخر واوقع الحوطة على موجود اسماعيل الواقدي متولى قوص وأخذ جميع خواصه وولى طغاي كشف الوجه القبلي عوضاً عن علاء الدين على بن الـكوراني وولى ابن المزوق قوص وأعمالها وولى مجد الدين موسى الهدباني الاشمونين عوضا عن ابن الازكشي وتسامعت الولاة وأرباب الاعمال بأن الوزير فتح باب الاخذ على الولايات فهرع الناس اليه من جهات مصر والشام وحلب وقصدوا بابه ورتب عنده جماعــة برسم قضـاء الاشغال فأتاهم أصحاب الاشغال والحوائج وكان السلطان صغيرا حظه من السلطنة أن يجلس بالايوان يومين في الاسبوع ويجتمع أهل الحل والعقد مع سائر الامراء فيه فاذا انقضت خدمة الايوان خرج الامير منكليبغا الفخرى والامير بيغرا والامير يلبغــا تتر والجـدى وارلان وغيرهم من الامراء ويدخل الى القصر الامير يلبغا روس نائب السلطنة والامير سيف الدين منجك الوزير والامير سيف الدين شيخو العمرى والامير الجيبغا المظفري والامير طيبرق ويتفق الحال بينهم على مايرونه هذا والوزير أخو النائب متمكن تمكنا زائدا وقدم من دمشق جماعة للسعي عند الوزير في وظائف منهم ابن السلموس وصلاح الدين بن المؤيد وابن الاجل وابن عبد الحق وتحدثوا مع ابن الاطروش محتسب القاهرة في أغراضهم فسعى لهم حتى تقرروا فيما عينوا ولما دخلت سنة تسع واربعين عرف الوزير السلطان والامراء انه لما ولى الوزارة لم يجد في الاهراء ولا في بيت المال شيئاً وسأل أن يكون هــذا بمحضر من الحـكام فرسم للقضاة بكشف ذلك فركبوا الى الاهراء بمصر والى بيت المال بقلعة الجبل وقد حضر الدواوين وسائر المباشرين وأشهدوا عليهم أن الامير منجك لما باشر الوزارة لم يكن بالاهراء ولا ببيت المال قدح غلة ولا دينار ولا درهم وقرئت المحاضر على السلطان والامراء فلما كان بعد ذلك توقف أمر الدولة على الوزير فشكا الى الامراء من كثرة الرواتب فاتفق الرأى على قطع

نحو ستين سواقا فقطعهم ووفر لحومهم وعليقهم وسائر ماباسمهم من الكساوى وغيرها وقطع من العرب الركابة والنجابة ومن أرباب الوظائف في بيت السلطان ومن الكتاب والمباشرين ماجملته في اليوم أحد عشر ألف درهم وفتح باب المقايضات باقطاعات الاجناد وباب النزول عن الاقطاعات بالمال فحصل من ذلك مالا كثيراً وحكم على أخيه نائب السلطنة بسبب ذلك وصار الجندى يبيع اقطاعه لكل من أراد سواء كان المنزول له جنديا أو عاميا وبلغ ثمن الاقطاع من عشرين ألف درهم الى مادونها وأخذ يسعى أن تضاف وظيفة نظر الخاص الى الوزارة واكثر من الحط على ناظر الخاص فاحترس ابن زنبور منه وشرع في ابعاده مرة بعد مرة مع الامير شيخو فمنع شيخو منجك من التحدث في الخاص وخرج عليه فشق ذلك على منجك وافترقا عن غير رضا فتغير يلبغا روس النائب على شيخو رعاية لاخيه وسأل أن يعفى من النيابة ويعفى منجك من الوزارة واستقراره في الاستادارية والتحدث في عمل حفر البحر وأن يستقر أستدمر العمرى المعروف بزسلان بصل في الوزارة فطلب وكان قد حضر من الكشف وألبس خلع الوزارة في يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول وكان منجك قد عزل من الوزارة في ثالث ربيع الاول المذكور وتولى أمر شد البحر فجبى من الاجناد من كل مائة دينار درهما ومن التجار والمتعيشين فى مصر والقاهرة من كل واحد عشرة دراهم الى خمسة دراهم الى درهم ومن أصحاب الاملاك والدور في مصر والقاهرة على كل قاعة ثلاثة دراهم وعلى كل طبقة درهمين وعلى كل مخزن أو اصطبل درهما وجعل المستخرج في خان مسرور بالقاهرة والمشد على المستخرج الامير بيلك فجبى مال كبير وأما استدمر فان أحوال الدولة توقفت في أيامه فسأل في الاعفاء فأعفى وأعيد منجك الى الوزارة بعد أربعين يوما وقد تمنع تمنعاً كبيراً ولما عاد الى الوزارة فتح باب الولايات بالمال فقصده الناس وسعوا عنده فولى وعزل وأخذ في ذلك مالا كثيرا فيقال انه أخذ من الامير مازان لما نقله من المنوفية الى الغربية ومن ابن الغساني لما نقله من الاشمونين الى البهنساوية ومن ابن سلمان لما ولاه منوف ستة آلاف دينار ووفر اقطاع شاد الدواوين وجعله باسم المماليك السلطانية ووفر جوامكهم ورواتبهم وشرع أوباش الناس فى السعي عنده فى الوظائف والمباشرات بمال وأتوه من البلاد فقضى أشغالهم ولم يرد أحداً طلب شيئاً ووقع فى أيامه الفناء العظيم فانحلت اقطاعات كثيرة فاقتضى رأى الوزير أن يوفر الجوامك والرواتب التى للحاشية وكتب لسائر أرباب الوظائف وأصحاب الاشغال والمماليك السلطانية مثالات بقدر جوامك كل منهم وكذلك لارباب الصدقات فأخذ جماعة من الاقباط ومن الكتاب ومن الموقعين اقطاعات في نظير جوامكهم وتوفر فى الدولة مال كبير عن الجوامك والرواتب * ولما دخلت سنة خمسين رسم الامير منجك الوزير لمتولى

القاهرة بطلب أصحاب الارباع وكتابة جميع أمـلاك الحارات والازقة وسائر أخطاط مصر والقاهرة ومعرفة أسماء سكانها والفحص عن أربابها ليعرف من توفر عنـه ملك بموته في الفناء فطلبوا الجميع وأمعنوا في النظر فكان يوجد فى الحارة الواحدة والزقاق الواحد ما يزيد على عشرين دارا خالية لايعرف أربابها فختموا على ماوجـدوه من ذلك ومن الفنادق والخانات والمخازن حتى يحضر أربابها * وفي شعبان عزل ولاة الاعمـال وأحضرهم الى القاهرة وولى غـيرهم وأضاف الى كل وال كشف الجسور التى فى عمله وضمن النـاس سائر جهات القاهرة ومصر بحيث انه لايحدث أحد معه من المقدمين والدواوين والشادين وزاد في المعاملات ثلثمائة ألف درهم وخلع عليه ونودى له بمصر والقاهرة فاشتـد ظلمه وعسفه وكثرت حوادثه * فلما كانت ليالى عيد الفطر عرف الوزير الامراء أن سماط العيد ينصرف عليه جملة ولا ينتفع به أحد فأبطله ولم يعمل تلك السنة * وفى ذي القعدة توقف حال الدولة ووقف ممـاليك السلطان وسائر العاملين والحوائجكاشية وانزعج السلطـان والامراء بسبب ذلك على الوزير فاحتج بكثرة الكلف وطلب الموفق ناظر الدولة فقـال ان الانعامات قد كثرت والكلف تزايدت وقد كانت الحوائجخاناه في أيام الملك الناصر محمد ابن قلاون في اليوم ينصرف فيهـا مبلغ ثلاثة عشر ألف درهم واليوم ينصرف فيها أثنان وعشرون ألف درهم فكتبت أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها وبمتحصل الخاص ومصروفه فجاءت أوراق الدولة ومتحصلها عشرة آلاف ألف درهم وكلفها أربعـة عشر ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم ووجد الانعام من الخاص والجيش بما خرج من البلاد زيادة على اقطاعات الامراء فكان زيادة على عشرين ألف دينار سوى جـلة من الغلال وان الذي استجد على الدولة من حين وفاة الملك الناصر فى ذى الحجة سنة احدى وأربعين الى مستهل المحرم سنة خمسين وسبعمائة وكانت جملة الانعامات والاقطاعات بنواحي الصعيـد والفيوم وبلاد الملك والوجه البحري وماأعطى من الرزق للخدام والجوارى سبعمائة ألف ألف وألف ألف وستمائة ألف معينة بأسماء أربابها من أمير وخادم وجارية وكانت النساء قد أسرفن فى عمل القمصان والبغالطيق حتى كان يفضل من القميص كثير على الارض وسعة الكم ثلاثة أذرع ويسمينه البهطـلة وكان يغرم على القميص ألف درهم وأكثر وبلغ ازار المرأة الى ألف درهم وبلغ الخف والسرموزة الى خمسمائة درهم وما دونها الى مائة درهم فأمر الوزير منجك بقطع أكمام النساء وأخرق بهن وأمر الوالى بتتبع ذلك ونودي بمنع النساء من عمل ذلك وقبض على جماعـة منهن وركب على سور القاهرة صور نساء عليهن تلك القمصـان بهيئة نساء قد قتلن عقوبة على ذلك فانكففن عن لبسها ومنع الاساكفة من عمل الاخفاف المثمنة ونودى في القياسر من باع ازار حرير ماله للسلطان فنودى على ازار ثمنه سبعمائة

وعشرون درهما فبلغ ثمانين درهما ولم يجسر أحـد أن يشتريه وبالغ الوزير فى الفحص
عن ذلك حتى كشف دكاكين غسالى الثياب وقطع ماوجد من ذلك فامتنع النساء من لبس
ما أحدثنه من تلك المنكرات ولما عظم ضرر الفار أيضاً من كثرة شكاية الناس فيه فلم يسمع
فيه الوزير قولا وقام فى أمره الامير مغلطاي أميراخور فاستوحش منه الوزير واتفق انه
كان قد حج محمد بن يوسف مقدم الدولة في محمل كبير بلغ عليق جماله في اليوم مائتي عليقة
ولما قدم في المحرم مع الحاج اهدى للنائب وللوزير وللامير طاز وللامير صرغتمش هـدايا
جليلة ولم يهد للامير شيخو ولا الامير مغلطاى شيئاً ثم لما عاب عليه الناس ذلك اهدى بعد
عدة أيام الامير شيخو هدية فردها عليه ثم انه أنكر على الوزير في مجلس السلطان مايفعله
ولاة البر وما عليه مقدم الدولة من كثرة المال وأغلظ في القول فرسم بعزل الولاة والقبض
على المقدم محمد بن يوسف وابن عمه المقدم أحمد بن زيد فلم يسع الوزير غير السكوت
* فلما كان في رابع عشرى شوال سنة احدى وخمسين قبض على الوزير منجك وقيـد
ووقعت الحوطة على سائر حواصله فوجدت له زردخاناه حمل خمسين جملا ولم يظهر من
النقد كثير مال فأمر بعقوبته فلما خوف أقر بصندوق فيه جوهر وقال سائر ما كان يحصل
لى من النقد كنت اشترى به أملاكا وضياعا وأصناف المتاجر فاحيط بسائر أمواله وحمـل
الى الاسكندرية مقيـدا واستقر الامير بلبان السنانى نائب البيرة أستادارا عوض منجك
بعد حضوره منها وأضيفت الوزارة الى القاضى علم الدين بن زنبور ناظر الخاص فلم يزل
منجك مسجونا بالاسكندرية الى أن خلع الملك الناصر حسن وأقيم بدله في المملكة اخوه
الملك الصالح صالح فأمر بالافراج عن الامير شيخو والامـير منجك فحضرا الى القاهرة
فى رجب سنة اثنتين وخمسين ولما استقر الامير منجك بالقاهرة بعث اليه الامير شيخو خمس
رؤس خيل وألفى دينار وبعث اليه جميع الامراء بالتقادم وأقام بطالا يجلس على حصير
فوقه ثوب سرج عتيق وكلما أتاه أحد من الامراء يبكى ويتوجع ويقول أخـذ جميع مالى
حتى صرت على الحصير ثم كتب فتوى تتضمن أن رجلا مسجونا في قيد هدد بالقتل ان لم
يبع أملاكه وانه خشى على نفسه القتل فوكل في بيعها فكتب له الفقهاء لايصح بيع المكره
ودار على الامراء وما زال بهم حتى تحـدثوا له مع السلطـان في رد أملاكه عليـه
فعـارضهم الامير صرغتمش ثم رضي ان يرد عليـه من أملاكه ما أنعم به السلطـان
على ممـاليكه فاسترد عـدة أمـلاك وأقام الى أن قام يلبغـاروس بحلب فاختفى
منجك وطلب فلم يوجد وأطلق النداء عليه بالقاهرة ومصر وهدد من أخفاه وألزم عربان
العائد باقتفاء أثره فلم يوقف له على خبر وكبس عليه عدة أماكن بالقاهرة ومصر وفتش عليه
حتى في داخل الصهريج الذى بجامعه فأعيي أمره وأدرك السلطان السفر لحرب يلبغا روس

فشرع في ذلك الى يوم الخميس رابع شعبان فخرج الامير طاز بن معه * وفي يوم الاثنين سابعه عرض الامير شيخو والامير صرغتمش اطلابهما وقد وصل الامير طاز الى بلبيس فحضر اليه من أخبره أنه رأى بعض أصحاب منجك فسير اليه وأحضره وفتشه فوجد معه كتاب منجك الى أخيه يلبغا روس وفيه انه مختف عند الحسام الصفدي استاداره فبعث الكتاب الى الامير شيخو فوافاه والاطلاب خارجة فاستدعى بالحسام وسأله فأنكر فعاقبه الامير صرغتمش فلم يعترف فركب الى بيت الحسام بجوار الجامع الازهر وهجمه فاذا بمنجك ومعه مملوك فكتفه وساريه مشهورا بين الناس وقد هرعوا من كل مكان الى القلعة فسجن بالاسكندرية الى أن شفع فيه الامير شيخو فأفرج عنه في ربيع الاول سنة خمس وخمسين ورسم أن يتوجه الى صفد بطالا فسار اليها من غير أن يعبر الى القاهرة فلما خلع الملك الصالح صالح وأعيد السلطان حسن في شوال منها نقل منجك من صفد وأنعم عليه بنيابة طرابلس عوضا عن ايتمش الناصري فسار اليها وأقام بها الى أن قبض على الامير طاز نائب حلب في سنة تسع وخمسين فولى منجك عوضا عنه ولم يزل بحلب الى أن فر منها في سنة ستين فلم يعرف له خبر وعوقب بسببه خلق كثير ثم قبض عليه بدمشق في سنة احدى وستين فحمل الى مصر وعليه بشت صوف عسلي وعلى رأسه مئزر صوف فلم يؤاخذه السلطان واعطاه امرة طبلخاناه ببلاد الشام وجعله طرخانا يقيم حيث شاء من البلاد الاسلامية وكتب له بذلك فلما قتل السلطان حسن وأقيم من بعده في المملكة الملك المنصور محمد بن المظفر حاجي في جمادي الاولى سنة اثنتين وستين خامر الامير بيدمر نائب الشام على الامير يلبغا العمري القائم بتدبير دولة الملك المنصور ووافقه جماعة من الامراء منهم الامير منجك فخرج الامير يلبغا بالمنصور والعساكر من قلعة الجبل الى البلاد الشامية فوافي دمشق ومشى الناس بينه وبين الامير بيدمر حتى تم الصلح وحلف الامير يلبغا انه لا يؤذي بيدمر ولا منجك فنزلا من قلعة دمشق وقيدهما وبعث بهما الى الاسكندرية فسجنا بها الى أن خلع الامير يلبغا المنصور وأقام بدله الملك الاشرف شعبان بن حسين وقتل الامير يلبغا فأفرج الملك الاشرف عن منجك وولاه نيابة السلطنة بدمشق عوضا عن الامير على الماردانى في جمادي الاولى سنة تسع وستين فلم يزل في نيابة دمشق الى أن حضر الى السلطان زائرا في سنة سبعين بتقادم كثيرة جليلة وعاد الى دمشق وأقام بها الى أن استدعاه السلطان في سنة خمس وسبعين الى مصر وفوض اليه نيابة السلطنة بديار مصر وعمله اتابك العساكر وجعل تدبير المملكة اليه وأن يخرج الامهات للبلاد الشامية وأن يولى ولاة اقاليم مصر والكشاف ويخرج الاقطاعات بمصر من عبرة ستمائة دينار الى مادونها وكانت عادة النواب قبله أن لا يخرج من الاقطاعات الا ماعبرته أربعمائة دينار فما دونها فعمل النيابة على قالب جائر وحرمة وافرة

الى أن مات حتف أنفه في يوم الخميس التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة وله من العمر نيف وستون سنة وشهد جنازته سائر الاعيان ودفن بتربته المجاورة لجامعه هذا وله سوي الجامع المذكور من الآثار بديار مصر خان منجك في القاهرة ودار منجك برأس سويقة العزى بالقرب من مدرسة السلطان حسن وله بالبلاد الشامية عدة آثار من خانات وغيرها رحمه الله

* (الجامع الاخضر) *

هذا الجامع خارج القاهرة بخط فم الخور عرف بذلك لان بابه وقبته فيهما نقوش وكتابات خضر والذي أنشأه خازندار الامير شيخو واسمه (٣)

* (جامع البكجري) *

هذا الجامع بحكر البكجرى قريبا من الدكة تعطلت الصلاة فيه منذ خربت تلك الجهات

* (جامع السروجي) *

هذا الجامع بحكر (٣)

* (جامع كرجي) *

هذا الجامع بحكر أقوش

* (جامع الفاخرى) *

هذا الجامع بسويقة الخادم الطواشى شهاب الدين فاخر المنصورى مقدم المماليك السلطانية ومات في سابع ذى الحجة سنة سبع وثمانمائة وكان ذا مهابة واخلاق حسنة مع سطوة شديدة ولهم بلبان الفاخري الامير سيف الدين نقيب الجيوش مات في سنة سبع وتسعين وستمائة وولى نقابة الجيش بعد طيبرس الوزيرى وكان جوادا عارفا بأمر الاجناد خيرا كثير الترف

* (جامع ابن عبد الظاهر) *

هذا الجامع بالقرافة الصغرى قبلي قبر الليث بن سعد كان موضعه يعرف بالخندق أنشأه القاضى فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر الجذامى السعدى الروحي من ولد روح بن زنباع الجذامى بجوار قبر أبيه وأول ما أقيمت به الخطبة فى يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة وكان يوما مشهودا لكثرة من حضر من الاعيان * ولد بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة وسمع من ابن الجميزى وغيره وحدث وكتب في الانشاء وساد فى دولة المنصور قلاون بعقله ورأيه وهمته وتقدم على والده القاضى محيي الدين. وهو ماهر في الانشاء والكتابة بحيث كان من جملة من يصرفهم بأمره ونهيه وكان الملك المنصور يعتمد عليه ويثق به ولما ولى القاضى فخر الدين ابن لقمان الوزارة قال له الملك المنصور من يلى عوضك كتابة السر فقال القاضى فتح الدين

ابن عبد الظاهر فولاه كتابة السر عوضا عن ابن لقمان وتمكن من السلطان وحظي عنده حتي أن الوزير فخر الدين بن لقمان ناول السلطان كتابا فأحضر ابن عبد الظاهر لقراءته على عادته فلما أخذ الكتاب من السلطان أمر الوزير أن يتأخر حتي يقرأه فتأخر الوزير ثم ان ابن لقمان صرف عن الوزارة وأعيد الى ديوان الانشاء فتأدب معه فلما ولى وزارة الملك الاشرف خليل بن قلاون شمس الدين بن السلعوس قال لفتح الدين اعرض على كل يوم ماتكتبه فقال لاسبيل لك الى ذلك ولا يطلع على أسرار السلطان الا هو فان اخترتم والا عينوا عوضى فلما بلغ السلطان ذلك قال صدق ولم يزل على حاله الى أن مات وأبوه حي بدمشق فى النصف من شهر رمضان سنة احدى وتسعين وسبعمائة فوجد فى تركته قصيدة مرثية قد عملها في رفيقه تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن الاثير لما مرض وطال مرضه فاتفق أن عوفي ابن الاثير ولم يتأخر ابن عبد الظاهر بعد عافيته سوى ليال يسيرة ومرض ومات فرثاه ابن الاثير بعد موته وولى وظيفة كتابة السر عوضاً عنه ولم يكن ابن عبد الظاهر مجيدا في صناعة الانشاء الا انه دبر الديوان وباشره أحسن مباشرة ومن شعره

ان شئت تنظرنى وتنظر حالتي * فانظر اذا هب النسيم قبولا
فتراه مثلى رقة ولطافة * ولاجل قلبك لا أقول عليلا
فهو الرسول اليك منى ليتني * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ولم يزل هذا الجامع عامرا الى أن حدثت المحن في سنة ست وثمانمائة واختلت القرافة لخراب ماحوله وهو اليوم قائم على أصوله

(جامع بساتين الوزير التي على بركة الحبش)

(جامع الخندق)

هذا الجامع بناحية الخندق خارج القاهرة ولم يزل عامرا بعمارة الخندق فلما خربت مساكن الخندق تلاشي أمره ونقلت منه الجمعة وبقى معطلا الى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة فأخذ الامير طوغان الحسني الدوادار عمده الرخام وسقوفه وترك جدرانه ومنارته وهي باقية وعما قليل تدثر كما دثر غيرها مما حولها

(جامع جزيرة الفيل) (٣)

(جامع الطواشى)

هذا الجامع خارج القاهرة فيما بين باب الشعرية وباب البحر أنشأه الطواشى جوهر السحرتى اللالا وهو من خدام الملك الناصر محمد بن قلاون ثم انه تأمر في تاسع عشرى شهر رجب سنة خمس وأربعين وسبعمائة

(جامع كراى)

هذا الجامع بالريدانية خارج القاهرة عمره الامير سيف الدين كراى المنصوري في سنة احدى وسبعمائة لكثرة ما كان هناك من السكان فلما خربت تلك الاماكن تعطل هذا الجامع وهو الآن قائم وجميع ما حوله داثر وعما قليل يدثر

(جامع القلعة)

هذا الجامع بقلعة الجبل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكان أولا مكانه جامع قديم وبجواره المطبخ السلطاني والحوائجخاناه والطشتخاناه والفراشخاناه فهدم الجميع وأدخلها في هذا الجامع وعمره أحسن عمارة وعمل فيه من الرخام الفاخر الملون شيئاً كثيرا وعمر فيه قبة جليلة وجعل عليه مقصورة من حديد بديعة الصنعة وفي صدر الجامع مقصورة من حديد أيضاً برسم صلاة السلطان فلما تم بناؤه جلس فيه السلطان بنفسه واستدعى جميع المؤذنين بالقاهرة ومصر وسائر الخطباء والقراء وأمر الخطباء فخطب كل منهم بين يديه وقام المؤذنون فأذنوا وقرأ القراء فاختار الخطيب جمال الدين محمد بن محمد بن الحسن القسطلاني خطيب جامع عمرو وجعله خطيبا بهذا الجامع واختار عشرين مؤذنا رتبهم فيه وجعل به قراء ودرساً وقارئ مصحف وجعل له من الاوقاف ما يفضل عن مصارفه فجاء من أجل جوامع مصر وأعظمها وبه الى اليوم يصلي سلطان مصر صلاة الجمعة والذى يخطب فيه ويصلي بالناس الجمعة قاضى القضاة الشافعي

(جامع قوصون)

هذا الجامع داخل باب القرافة تجاه خانقاه قوصون أنشأه الامير سيف الدين قوصون وعمر بجانبه حماما فعمرت تلك الجهة من القرافة بجماعة الخانقاه والجامع وهو باق الى يومنا

(جامع كوم الريش)

هذا الجامع عمارة دولات شاه

(جامع الجزيرة الوسطى)

أنشأه الطواشي مثقال خادم تذكار ابنة الملك الظاهر بيبرس وهو عامر الى يومنا هذا

(جامع ابن صارم)

هذا الجامع بخط بولاق خارج القاهرة أنشأه محمد بن صارم شيخ بولاق فيما بين بولاق وباب البحر

(جامع الكيمختي)

هذا الجامع يعرف اليوم بجامع الجنينة وهو بجانب موضع الكيمخت على شاطئ الخليج

من جملة أرض الطبالة كان موضعه دارا اشتراها معلم الكيمخت وكان يعرف بالحموي وعملها جامعا فضمن المعلم بعده رجل يعرف بالرومى فوقف عليه مواضع وجدد له مئذنة في جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانمائة ووسع في الجامع قطعة كانت منشراً وكان قبل ذلك قد جدد عمارته شخص يعرف بالفقيه زين الدين ريحان بعد سنة تسعين وسبعمائة وعمر بجانبه مساكن وهو الآن عامر بعمارة ماحوله

(جامع الست مسكة)

هذا الجامع بالقرب من قنطرة أق سنقر التي على الخليج الكبير خارج القاهرة أنشأته الست مسكة جارية الملك الناصر محمد بن قلاون وأقيمت فيه الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وقد ذكرت مسكة هذه عند ذكر الاحكار

(جامع ابن الفلك)

هذا الجامع بسويقة الجيزة من الحسينية خارج القاهرة أنشأه مظفر الدين بن الفلك (٣)

(جامع التكرورى)

هذا الجامع فى ناحية بولاق التكرورى وهذه الناحية من جملة قرى الجيزة كانت تعرف بمنية بولاق ثم عرفت ببولاق التكرورى فانه كان نزل بها الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى وكان يعتقد فيه الخير وجربت بركة دعائه وحكيت عنه كرامات كثيرة منها ان امرأة خرجت من مدينة مصر تريد البحر فأخذ السودان ابنها وساروا به فى مركب وفتحوا القلع فجرت السفينة وتعلقت المرأة بالشيخ تستغيث به فخرج من مكانه حتى وقف على شاطئ النيل ودعا الله سبحانه وتعالى فسكن الريح ووقفت السفينة عن السير فنادى من في المركب يطلب منهم الصبى فدفعوه اليه وناوله لامه وكان بمصر رجل دباغ أتاه عفص فأخذه منه أصحاب السلطان فأتى الى الشيخ وشكا اليه ضرورته فدعا ربه فرد الله عليه عفصه بسؤال أصحاب السلطان له فى ذلك وكان يقال له لم لاتسكن المدينة فيقول انى أشم رائحة كريهة اذا دخلتها ويقال انه كان في خلافة العزيز بن المعز وان الشريف محمد بن أسعد الجوانى جمع له جزأ فى مناقبه ولما مات بنى عليه قبة وعمل بجانبه جامع جدده ووسعه الامير محسن الشهابى مقدم المماليك وولى تقدمة المماليك عوضاً عن الطواشي عنبر السحرتي أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ومات في (٣) ثم ان النيل مال على ناحية بولاق هذه فيما بعد سنة تسعين وسبعمائة وأخذ منها قطعة عظيمة كانت كلها مساكن فخاف أهل البلد أن يأخذ ضريح الشيخ والجامع لقربهما منه فنقلوا الضريح والجامع الى داخل البلد وهو باق الى يومنا هذا

(جامع البرقية)

هذا الجامع بالقرب من باب البرقية بالقاهرة عمره الامير مغلطاى الفخري أخو الامير الماس الحاجب وكمل في المحرم سنة ثلاثين وسبعمائة وكان ظالما عسوفا متكبرا جبارا قبض عليه مع أخيه الماس في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وقتل معه

(جامع الحرانى)

هذا الجامع بالقرافة الصغرى في بحرى الشافعى عمره ناصر الدين بن الحرانى الشرابيشي في سنة تسع وعشرين وسبعمائة

(جامع بركة)

هذا الجامع بالقرب من جامع ابن طولون يعرف خطه بجدرة ابن قميحة عمره شخص من الجند يعرف ببركة كان يباشر أستادارية الامراء ومات بعد سنة احدى وثمانمائة

(جامع بركة الرطلى)

هذا الجامع كان يعرف موضعه ببركة الفول من جملة أرض الطبالة فلما عمرت بركة الرطلي كما تقدم ذكره أنشئ هذا الجامع وكان ضيقا قصير السقف وفيه قبة تحتها قبر يزار وهو قبر الشيخ خليل بن عبد ربه خادم الشيخ عبد العال وتوفى في المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فلما سكن الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم بن بركة البشيرى بجوار هذا الجامع هدمه ووسع فيه وبناه هذا البناء في سنة أربع عشرة وثمانمائة * وولد البشيرى في سابع ذي القعدة سنة ست وستين وسبعمائة وتنقل فى الخدم الديوانية حتي ولى نظر الدولة الى أن قتل الامير جمال الدين يوسف الاستادار فاستقر بعده في الوزارة بسفارة فتح الدين فتح الله بن كاتب السر في يوم الثلاثاء رابع عشر جمادي الاولى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة فباشر الوزارة بضبط جيد لمعرفته الحساب والكتابة الا انها كانت أيام محن احتاج فيها الى وضع يده وأخذ الاموال بأنواع الظلم فلما قتل الملك الناصر فرج واستبد الملك المؤيد شيخ صرفه عن الوزارة فى يوم الخميس خامس جمادى الاولى سنة ست عشرة وثمانمائة ودفن بالقرافة وهذا الجامع عامر بعمارة ما حوله

(جامع الضوة)

هذا الجامع فيما بين الطبلخاناه السلطانية وباب القلعة المعروف بباب المدرج على رأس الضوة أنشأه الامير الكبير شيخ المحمودى لما قدم من دمشق بعد قتل الملك الناصر فرج واقامة الخليفة أمير المؤمنين المستعين بالله العباسي ابن محمد فى سنة خمس عشرة وثمانمائة وسكن بالاصطبل السلطاني فشرع في بناء دار يسكنها فلما استبد بسلطنة مصر وتلقب بالملك المؤيد استغنى عن هذه الدار وكانت لم تكمل فعملها جامعا وخانقاه وصارت الجمعة تقام به

(جامع الحوش)

هذا الجامع في داخل قلعة الجبل بالحوش السلطانى أنشأه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتى عشرة وثمانمائة فصار يصلي فيه الخدام وأولاد الملوك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون الى أن قتل الناصر فرج

(جامع الاصطبل)

هذا الجامع فى الاصطبل السلطانى من قلعة الجبل عمره (٣)

(جامع ابن التركمانى)

هذا الجامع بالمقس خارج القاهرة

(جامع ٣)

هذا الجامع بخط السبع سقايات فيما بين القاهرة ومصر يطل على بركة قارون أنشأه (٣)

(جامع الباسطي)

هذا الجامع في بولاق خارج القاهرة أدركت موضعه وهو مطل على النيل طول السنة أنشأه شخص من عرض الفقهاء يعرف ٣ في سنة سبع عشرة وثمانمائة

* (جامع الحنفى) *

هذا الجامع خارج القاهرة أنشأه الشيخ شمس الدين محمد بن حسن بن على الحنفى فى سنة سبع عشرة وثمانمائة

* (جامع ابن الرفعة) *

هذا الجامع خارج القاهرة بحكر الزهري أنشأه الشيخ فخر الدين عبدالمحسن بن الرفعة ابن أبى المجد العدوي

* (جامع الاسماعيلى) *

أنشأه الامير أرغون الاسماعيلى على البركة الناصرية في شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

* (جامع الزاهد) *

هذا الجامع بخط المقس خارج القاهرة كان موضعه كوم تراب فنقله الشيخ المعتقد أحمد ابن(٣) المعروف بالزاهد وأنشأ موضعه هذا الجامع فكمل فى شهر رمضان سنة ثمان عشرة وثمانمائة وهدم بسببه عدة مساجد قد خرب ما حولها وبني بأنقاضها هذا الجامع وكان ساكنا مشهوراً بالخير يعظ الناس بالجامع الازهر وغيره ولطائفة من الناس فيه عقيدة حسنة ولم يسمع عنه الاخير مات يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة وثمانمائة أيام الطاعون ودفن بجامعه

* (جامع ابن المغربي) *

هذا الجامع بالقرب من بركة قرموط مطل على الخليج الناصرى أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربى رئيس الاطباء بديار مصر وبنى بجانبه قبة دفن فيها وعمل به درسا وقراء ومنبرا يخطب عليه في يوم الجمعة وكان عامرا بعمارة ماحوله فلما خرب خط بركة قرموط تعطل وهو آيل الى أن ينقض ويباع كما بيعت أنقاض غيره

* (جامع الفخرى) *

هذا الجامع بجوار دار الذهب التى عرفت بدار بهادر الاعسر المجاورة لقبو الذهب من خط بين السورين فيما بين الخوخة وباب سعادة ويتوصل اليه أيضاً من درب العداس المجاور لحارة الوزيرية أنشأه الامير فخر الدين عبد الغني ابن الامير تاج الدين عبد الرزاق ابن أبي الفرج الاستادار في سنة إحدي وعشرين وثمانمائة وخطب فيه يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان من السنة المذكورة وعمل فيه عدة دروس وأول من خطب فيه الشيخ ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب بن محمد البارنبارى الشافعى ثم تركه تنزهاً عنه وفى يوم الاحد ثامن شهر رمضان جلس فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالدائم البرماوى الشافعي للتدريس وأضيف اليه مشيخة التصوف وقرر قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى القدسى الحنفى في تدريس الحنفية وفى تدريس المالكية قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد المالكي وحضر البرماوى وظيفة التصوف بعد عصر يومه فمات الامير فخر الدين في نصف شوال منها ولم يكمل فدفن هناك

* (الجامع المؤيدى) *

هذا الجامع بجوار باب زويلة من داخله كان موضعه خزانة شمائل حيث يسجن أرباب الجرائم وقيسارية سنقر الاشقر ودرب الصفيرة وقيسارية بهاء الدين ارسلان أنشأه السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهري فهو الجامع الجامع لمحاسن البنيان الشاهد بفخامة أركانه وضخامة بنيانه أن منشئه سيد ملوك الزمان يحتقر الناظر له عند مشاهدته عرش بلقيس وايوان كسرى أنو شروان ويستصغر من تأمل بديع اسطوانه الخورنق وقصر غمدان ويعجب من عرف أوليته من تبديل الابدال وتنقل الامور من حال الى حال بينا هو سجن تزهق فيه النفوس ويضام المجهود اذ صار مدارس آيات وموضع عبادات ومحل سجود فالله يعمره ببقاء منشيه ويعلى كلمة الايمان بدوام ملك بانيه

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
أو ماترى الهرمين قد بقيا وكم * ملك محاه حوادث الازمان
ان البناء اذا تعاظم قدره * أضحى يدل على عظيم الشان

وأول ما ابتدئ به فى أمر هذا الجامع أن رسم فى رابع شهر ربيع الاول سنة ثمان عشرة وثمانمائة بانتقال سكان قيسارية سنقر الاشقر التي كانت تجاه قيسارية الفاضل ثم نزل جماعة من أرباب الدولة في خامسه من قلعة الجبل وابتدئ فى الهدم فى القيسارية المذكورة وما يجاورها فهدمت الدور التي كانت هناك في درب الصفيرة وهدمت خزانة شمائل فوجد بها من رمم القتلى ورؤسهم شيء كثير وافرد لنقل ماخرج من التراب عدة من الجمال والحمير بلغت علائقهم في كل يوم خمسمائة عليقة * وكان السبب في اختيار هذا المكان دون غيره أن السلطان حبس في خزانة شمائل هذه أيام تغلب الامير منطاش وقبضه على المماليك الظاهرية فقاسى في ليلة من البق والبراغيث شدائد فنذر لله تعالى ان تيسر له ملك مصر أن يجعل هذه البقعة مسجدا لله عز وجل ومدرسة لاهل العلم فاختار لذلك هذه البقعة وفاء لنذره * وفى رابع جمادى الآخرة كان ابتداء حفر الاساس وفي خامس صفر سنة تسع عشرة وثمانمائة وقع الشروع فى البناء واستقر فيه بضع وثلاثون بناء ومائة فاعل ووفيت لهم ولمباشريهم أجورهم من غير أن يكلف أحد فى العمل فوق طاقته ولا سخر فيه أحد بالقهر فاستمر العمل الى يوم الخميس سابع عشر ربيع الاول فأشهد عليه السلطان أنه وقف هذا مسجدا لله تعالى ووقف عليه عدة مواضع بديار مصر وبلاد الشام وتردد ركوب السلطان الى هذه العمارة عدة مرار * وفى شعبان طلبت عمد الرخام وألواح الرخام لهذا الجامع فأخذت من الدور والمساجد وغيرها وفى يوم الخميس سابع عشرى شوال نقل باب مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاون والتنور النحاس المكفت الى هذه العمارة وقد اشتراهما السلطان بخمسمائة دينار وهذا الباب هو الذى عمل لهذا الجامع وهذا التنور هو التنور المعلق تجاه المحراب وكان الملك الظاهر برقوق قد سد باب مدرسة السلطان حسن وقطع البسطة التى كانت قدامه كما تقدم فبقى مصراعا الباب والسد من ورائهما حتي نقلا مع التنور الذى كان معلقاً هناك * وفى ثامن عشريه دفنت ابنة صغيرة للسلطان فى موضع القبة الغربية من هذا الجامع وهي ثانى ميت دفن بها وانعقدت جملة ماصرف في هذه العمارة الى سلخ ذى الحجة سنة تسع عشرة على أربعين ألف دينار ثم نزل السلطان فى عشري المحرم الى هذه العمارة ودخل خزانة الكتب التى عملت هناك وقد حمل اليها كتبا كثيرة فى أنواع العلوم كانت بقلعة الجبل وقدم له ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر خمسمائة مجلد قيمتها ألف دينار فأقر ذلك بالخزانة وأنعم على ابن البارزي بأن يكون خطيبا وخازن الكتب هو ومن بعده من ذريته * وفى سابع عشر شهر ربيع الآخر منها سقط عشرة من الفعلة مات منهم أربعة وحمل ستة بأسوا حال * وفى يوم الجمعة ثانى جمادى الأولى أقيمت الجمعة به ولم يكمل منه سوى الايوان القبلي وخطب وصلي بالناس عز الدين عبد السلام المقدسي

أحد نواب القضاة الشافعية نيابة عن ابن البارزى كاتب السر * وفى يوم السبت خامس شهر رمضان منها ابتدئ بهدم ملك بجوار ربع الملك الظاهر بيبرس مما اشتراه الامير فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج الاستادار ليعمل ميضأة واستمر العمل هناك ولازم الامير فخر الدين الاقامة بنفسه واستعمل مماليكه والزامه فيه وجدد في العمل كل يوم فكملت فى سلخه بعد خمسة وعشرين يوما ووقع الشروع فى بناء حوانيت على بابها من جهة تحت الربع ويعلوها طباق وبلغت النفقة على الجامع الي أخريات شهر رمضان هذا سوى عمارة الامير فخر الدين المذكور زيادة على سبعين ألف دينار وتردد السلطان الى النظر فى هذا الجامع غير مرة * فلما كان فى أثناء شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين ظهر بالمئذنة التى أنشئت على بدنة باب زويلة التى تلي الجامع اعوجاج الي جهة دار التفاح فكتب محضر بجماعة المهندسين أنها مستحقة الهدم وعرض على السلطان فرسم بهدمها فوقع الشروع فى الهدم يوم الثلاثاء رابع عشره واستمر فى كل يوم فسقط يوم الخميس سادس عشره منها حجر هدم ملكا تجاه باب زويلة هلك تحته رجل فغلق باب زويلة خوفا على المارة من يوم السبت الى آخر يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الاولى مدة ثلاثين يوما ولم يعهد وقوع مثل هذا فقط منذ بنيت القاهرة * وقال أدباء العصر فى سقوط المنارة المذكورة شعرا كثيرا منه ماقاله حافظ الوقت شهاب الدين أحمد بن على بن حجر الشافعى رحمه الله .

لجامع مولانا المؤيد رونق * منارته تزهو من الحسن والزين
تقول وقد مالت عليهم تمهلوا * فليس على جسمى أضر من العين

فتحدث الناس أنه فى قوله بالعين قصد التورية لتخدم فى العين التي تصيب الاشياء فتتلفها وفي الشيخ بدر الدين محمود العينتابي فانه يقال له العيني أيضاً

فقال المذكور يعارضه

منارة كعروس الحسن اذ جليت * وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط * ماأوجب الهدم الا خسة الحجر

يعرض بالشهاب ابن حجر وكل منهما لم يصب الغرض فان العيني بدر الدين محمودا ناظر الاحباس والشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر كل منهما ليس له في المئذنة تعلق حتى تخدم التورية وأقعد منهما بالتورية من قال

على البرج من باب زويلة أسست * منارة بيت الله والمعهد المنجي
فأخلى بها البرج اللعين أمالها * الاقاصرخوا ياقوم باللعن للبرج

وذلك أن الذى ولى تدبير أمر الجامع المؤيدي هذا وولى نظر عمارته بهاء الدين محمد ابن البرجي فخدمت التورية في البرجي كما ترى وتداول هذا الناس فقال آخر

عتبنا على ميل المنار زويلة * وقلنا تركت الناس بالميل فى هرج
فقال قرينى برج نحس أملني * فلا بارك الرحمن في ذلك البرج

وقال الاديب شمس الدين محمد بن أحمد بن كمال الجوجرى أحد الشهود

منارة لثواب الله قد بنيت * فكيف هدت فقالوا نوضح الخبرا
أصابت العين أحجارا بها انفلقت * ونظرة العين قالوا تفلق الحجرا

وقال آخر

منارة قد هدمت بالقضا * والناس في هرج وفى رهج
أمالها البرج فمالت به * فلعنة الله على البرج

وفى ثالث جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين استقر الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر في تدريس الشافعية والشيخ يحيى بن محمد بن أحمد العجيسي البجائي المغربى فى تدريس المالكية وعز الدين عبد العزيز بن على بن الفخر البغدادى في تدريس الحنابلة وخلع عليهم بحضرة السلطان فدرس ابن حجر بالمحراب في يوم الخميس ثالث عشره ونزل السلطان وأقبل ليحضر عنده وهو فى القاء الدرس ومنعه من القيام له فلم يقم واستمر فيما هو بصدده وجلس السلطان عنده مليا ثم درس يحيى المغربي فى يوم الخميس خامس عشره ودرس فيه أيضاً الفخر البغدادى وحضر منهما قضاة القضاة والمشايخ * وفى سابع عشره استقر بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العينتابى ناظر الاحباس فى تدريس الحديث النبوى واستقر شمس الدين محمد بن يحيى فى تدريس القراآت السبع * وفي يوم الجمعة حادي عشري شوال منها نزل السلطان الى هذا الجامع وقد تقدم الى المباشرين من أمسه بتهيئة السماط العظيم للمدة فيه والسكر الكثير لتملأ البركة التي بالصحن من السكر المذاب والحلوى الكثيرة فهيئ ذلك كله وجلس السلطان بكرة النهار بالقرب من البركة في الصحن على تخت واستعرض الفقهاء فقرر من وقع اختياره عليه فى الدروس ومد السماط العظيم بأنواع المطاعم وملئت البركة بالسكر المذاب فأكل الناس ونهبوا وارتووا من السكر المذاب وحملوا منه ومن الحلوي ماقدروا عليه ثم طلب قاضى القضاة شمس الدين محمد بن سعد الديرى الحنفى وخلع عليه كاملية صوف بفرو سمور واستقر في مشيخة التصوف وتدريس الحنفية وجلس بالمحراب والسلطان عن يمينه ويليه ابنه المقام الصارمي ابراهيم وعن يساره قضاة القضاة ومشايخ العلم وحضر أمراء الدولة ومباشروها فألقى درسا مفيدا الى أن قرب وقت الصلاة فدعا بفض المجلس ثم حضرت الصلاة فصعد ناصر الدين محمد بن البارزي كاتب السر المنبر فخطب وصلى ثم خلع عليه واستقر خطيبا وخازن الكتب وخلع على شهاب الدين أحمد الاذرعي الامام واستقر في امامة الخمس وركب السلطان وكان يوما مشهودا

ولما مات المقام الصارمي ابراهيم ابن السلطان دفن بالقبة الشرقية ونزل السلطان حتى شهد دفنه فى يوم الجمعة ثاني عشرى جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وأقام حتى صلى به الخطيب محمد البارزى كاتب السر صلاة الجمعة بعدما خطب خطبة بليغة ثم عاد الى القلعة وأقام القراء على قبره يقرأون القرآن أسبوعا والامراء وسائر أهل الدولة يترددون اليه وكانت ليالى مشهودة * وفى يوم السبت آخره استقر في نظر الجامع المذكور الامير مقبل الدوادار وكاتب السر ابن البارزى فنزلا اليه جميعا وتفقدا أحواله ونظرا في أموره فلما مات ابن البارزي فى ثامن شوال منها انفرد الامير مقبل بالتحدث الى أن مات السلطان في يوم الاثنين ثامن المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فدفن بالقبة الشرقية ولم تكن عمرت فشرع في عمارتها حتى كملت فى شهر ذي القعدة منها وكذلك الدرج التي يصعد منها الى باب هذا الجامع من داخل باب زويلة لم تعمل الا فى شهر رمضان منها وبقيت بقايا كثيرة من حقوق هذا الجامع لم تعمل منها القبة التي تقابل القبة المدفون تحتها السلطان والبيوت المعدة لسكن الصوفية وغير ذلك فأفرد لعمارتها نحو من عشرين ألف دينار واستقر نظر هذا الجامع بعد موت السلطان بيد كاتب السر

* (الجامع الاشرفي) *

هذا الجامع فيما بين المدرسة السيوفية وقيسارية العنبر كان موضعه حوانيت تعلوها رباع ومن ورائها ساحات كانت قياسر بعضها وقف على المدرسة القطبية فابتدأ الهدم فيها بعد ما استبدلت بغيرها أول شهر رجب سنة ست وعشرين وثمانمائة وبني مكانها فلما عمر الايوان القبلى أقيمت به الجمعة في سابع جمادى الاولى سنة سبع وعشرين وخطب به الحموى الواعظ وقد ولي الخطابة المذكورة

* (الجامع الباسطى) *

هذا الجامع بخط الكافورى من القاهرة كان موضعه من جملة أراضى البستان ثم صار مما اختط كما تقدم ذكره فأنشأه القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل بن ابراهيم الدمشقى ناظر الجيوش فى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ولم يسخر أحدا فى عمله بل وفى لهم أجورهم حتى كمل فى أحسن هندام وأكيس قالب وأبدع زى ترتاح النفوس لرؤيته وتبتهج عند مشاهدته فهو الجامع الزاهر والمعبد الباهي الباهر ابتدئ فيه باقامة الجمعة في يوم الجمعة الثاني من صفر سنة ثلاث وعشرين ورتب في خطابته فتح الدين أحمد بن محمد ابن النقاش أحد شهود الحوانيت وموقعي القضاة ثم رتب به صوفية وولى مشيخة التصوف عز الدين عبد السلام بن داود بن عثمان المقدسى الشافعي أحد نواب الحكم فكان ابتداء حضورهم بعد عصر يوم السبت أول شهر رجب منها وأجرى للفقراء الصوفية الخبز في كل

يوم والمعلوم في كل شهر وبنى لهم مساكن وحفر صهريجاً يملأ من ماء النيل ويسبل في كل يوم فعم نفعه وكثر خيره * ثم تجدد في بولاق جامع ابن الجابي وجامع ابن السنيتي وتجدد في مصر جامع الحسنات بخط دار النحاس وفي حكر الصبان الجامع المعروف بالمستجد وبجامع الفتح وفي حارة الفقراء جامع عبد اللطيف الطواشي الساقي * وتجدد في خارج القاهرة بسويقة صفية جامع ابن درهم ونصف وفي خط معدية فريج جامع كزل بغاوفي رأس درب النيدي جامع حارس الطير وفي سويقة عصفور جامع القاضي أمين الدين بجانب زاوية الفقيه المعتقد أبي عبد الله محمد الفارقاني بني في سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وبخط البراذعيين ورأس حارة الحرمين جامع الحاج محمد المعروف بالمسكين مهتار ناظر الخاص * وتجدد في المراغة جامع الشيخ أبي بكر المعرّف بناه الحاج أحمد القماح وأقيمت خطبة بخانكاه الامير جاني بك الاشرفي خارج باب زويلة وتوفى يوم الخميس سابع عشري ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وثمانمائة وبخط باب اللوق جامع مقدم السقائين قريباً من جامع الست نصرة وبخط تحت الربع خارج باب زويلة جامع * وتجدد بالصحراء قريباً من تربة الظاهر برقوق خطبة في تربة السلطان الملك الاشرف برسباي الدقاقي * وتجدد في آخر سويقة أمير الجيوش بالقاهرة جامع أنشأه الفقير المعتقد محمد الغمري وأقيمت به الجمعة في يوم الجمعة رابع ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل أن يكمل * وتجدد في زاوية الشيخ أبي العباس البصير التي عند قنطرة الحرق خطبة * وتجدد في حدرة الكماجيين من أراضي اللوق خطبة بزاوية مطلة على غيط العدة * وتجدد بالصحراء خطبة في تربة الامير مشير الدولة كافور الزمام وتوفي في خامس عشر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثمانمائة * وتجدد بخط الكافوري خطبة أحدثها بنو وفاء في جامع لطيف جداً * وتجدد بمدرسة ابن البقري من القاهرة أيضاً خطبة في أيام المؤيد شيخ * وتجدد بحارة الديلم خطبة في مدرسة أنشأها الطواشي مشير الدولة المذكور * وتجدد عند قنطرة قدادار خطبة أنشأها شاكر البناء وخطبة بالقرب منها في جامع أنشأه الحاج ابراهيم البرددار الشهير بالحمصاني أحد الفقراء الاحمدية السطوحية في حدود الثلاثين والثمانمائة

* (ذكر مذاهب أهل مصر ونحلهم منذ افتتح عمرو بن العاص رضي الله عنه أرض مصر الى أن صاروا الى اعتقاد مذاهب الائمة رحمهم الله تعالى وما كان من الاحداث في ذلك)*

اعلم أن الله عز وجل لما بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى كافة الناس جميعاً عربهم وعجمهم وهم كلهم أهل شرك وعبادة لغير الله تعالى الا بقايا من أهل الكتاب كان من أمره صلى الله عليه وسلم مع قريش ما كان حتى هاجر من مكة الى المدينة فكانت الصحابة رضوان الله عليهم حوله صلى الله عليه وسلم يجتمعون اليه في كل وقت مع ما كانوا

فيه من ضنك المعيشة وقلة القوت فنهم من كان يحترف فى الاسواق ومنهم من كان يقوم على نخله ويحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل وقت ومنهم طائفة عند ماتجد أدنى فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت فاذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة أو حكم بحكم أو أمر بشيء أو فعل شيئاً وعاه من حضر عنده من الصحابة وفات من غاب عنه علم ذلك ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد خفى عليه ماعمله حمل بن مالك بن النابغة رجل من الاعراب من هذيل في دية الجنين وخفى عليه * وكان يفتى فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن مسعود وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعرى وسلمان الفارسى رضى الله عنهم * فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه تفرقت الصحابة رضى الله عنهم فنهم من خرج لقتال مسيلمة وأهل الردة ومنهم من خرج لقتال أهل الشام ومنهم من خرج لقتال أهل العراق وبقى من الصحابة بالمدينة مع أبي بكر رضى الله عنه عدة فكانت القضية اذا نزلت بأبى بكر رضى الله عنه قضي فيها بما عنده من العلم بكتاب الله أو سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم فان لم يكن عنده فيها علم من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل من بحضرته من الصحابة رضى الله عنهم عن ذلك فان وجد عندهم علما من ذلك رجع اليه والا اجتهد في الحكم * ولما مات أبو بكر وولى أمر الامة من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتحت الامصار وزاد تفرق الصحابة رضى الله عنهم فيما افتتحوه من الاقطار فكانت الحكومة تنزل بالمدينة أو غيرها من البلاد فان كان عند الصحابة الحاضرين لها فى ذلك أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم به والا اجتهد أمير تلك البلدة فى ذلك وقد يكون في تلك القضية حكم عن النبى صلى الله عليه وسلم موجود عند صاحب آخر وقد حضر المدنى مالم يحضر المصرى وحضر المصري مالم يحضر الشامي وحضر الشامى مالم يحضر البصرى وحضر البصرى مالم يحضر الكوفى وحضر الكوفي مالم يحضر المدني كل هذا موجود فى الآثار وفيما علم من مغيب بعض الصحابة عن مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات وحضور غيره ثم مغيب الذى حضر أمس وحضور الذى غاب فيدرى كل واحد منهم ماحضر ويفوته ماغاب عنه فمضى الصحابة رضى الله عنهم على ماذكرنا ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين فى البلاد التى تقدم ذكرها فانما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لايتعدون فتاويهم الا اليسير مما بلغهم عن غير من كان فى بلادهم من الصحابة رضى الله عنهم كاتباع أهل المدينة فى الاكثر فتاوى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما واتباع أهل الكوفة في الاكثر فتاوى

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه واتباع أهل مكة في الاكثر فتاوى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما واتباع أهل مصر في الاكثر فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ثم أتي من بعد التابعين رضي الله عنهم فقهاء الامصار كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان البتي وسوار بالبصرة والاوزاعي بالشام والليث بن سعد بمصر فجروا على تلك الطريق من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده فيما كان عندهم واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم وهو موجود عند غيرهم * (وأما مذاهب أهل مصر) * فقال أبو سعيد بن يونس ان عبيد بن مخمر المغافري يكنى أبا أمية رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شهد فتح مصر روى عنه أبو قبيل قال انه كان أول من أقرأ القرآن بمصر * وذكر أبو عمرو الكندي أن أبا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمي كان فقيها عفيفاً شريفا ولد سنة عشر ومائة وكان أول الناس اقراء بمصر بحرف نافع قبل الخمسين ومائة وتوفى سنة ثمان وثمانين ومائة وذكر عن أبي قبيل وغيره أن يزيد بن أبي حبيب أول من نشر العلم بمصر في الحلال والحرام وفي رواية ابن يونس ومسائل الفقه وكانوا قبل ذلك انما يحدثون في الفتن والترغيب * وعن عون بن سليمان الحضرمي قال كان عمر بن عبد العزيز قد جعل الفتيا بمصر الى ثلاثة رجال رجلان من الموالي ورجل من العرب فأما العربي فجعفر بن ربيعة وأما الموليان فيزيد ابن أبي حبيب وعبد الله بن أبي جعفر فكان العرب انكروا ذلك فقال عمر بن عبد العزيز ماذنبي ان كانت الموالي تسمو بأنفسها صعدا وانتم لاتسمون وعن ابن أبي قديد كانت البيعة اذا جاءت للخليفة أول من يبايع عبد الله بن أبي جعفر ويزيد بن أبي حبيب ثم الناس بعد * وقال أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر عن حيوة بن شريح قال دخلت على حسين ابن شفي بن مانع الاصبحي وهو يقول فعل الله بفلان فقلت ماله فقال عمد الى كتابين كان شفي سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أحدهما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا والآخر مايكون من الاحداث الى يوم القيامة فأخذهما فرمى بهما بين الخولة والرباب قال أبو سعيد بن يونس يعني بقوله الخولة والرباب مركبين كبيرين من سفن الجسر كانا يكونان عند رأس الجسر مما يلي الفسطاط يجوز من تحتهما لكبرهما المراكب * وذكر أبو عمرو الكندي أن أباسعيد عثمان بن عتيق مولى غافق أول من رحل من اهل مصر الى العراق في طلب الحديث توفى سنة أربع وثمانين ومائة انتهى * وكان حال أهل الاسلام من أهل مصر وغيرها من الامصار في أحكام الشريعة على ماتقدم ذكره ثم كثر الترحل الى الآفاق وتداخل الناس والتقوا وانتدب أقوام لجمع الحديث النبوي وتقييده فكان أول من دون العلم محمد ابن شهاب الزهري وكان أول من صنف وبوب سعيد بن عروبة والربيع

ابن صبيح بالبصرة ومعمر بن راشد باليمن وابن جريج بمكة ثم سفيان الثوري بالكوفة وحماد ابن سلمة بالبصرة والوليد بن مسلم بالشام وجرير بن عبد الحميد بالري وعبد الله بن المبارك بمرو وخراسان وهشيم بن بشير بواسط وتفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بتكثير الابواب وجودة التصنيف وحسن التأليف فوصلت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاد البعيدة الى من لم تكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شئ منها وجمعت الاحاديث المبينة لصحة أحد التأويلات المتأولة من الاحاديث وعرف الصحيح من السقيم وزيف الاجتهاد المؤدى الى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ترك عمله وسقط العذر عمن خالف ما بلغه من السنن ببلوغه اليه وقيام الحجة عليه وعلى هذا الطريق كان الصحابة رضى الله عنهم وكثير من التابعين يرحلون في طلب الحديث الواحد الايام الكثيرة يعرف ذلك من نظر في كتب الحديث وعرف سير الصحابة والتابعين * فلما قام هارون الرشيدى الخلافة وولى القضاء أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم أحد أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى بعد سنة سبعين ومائة فلم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر الا من أشار به القاضى أبو يوسف رحمه الله واعتنى به وكذلك لما قام بالاندلس الحكم المرتضى بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بعد أبيه وتلقب بالمنتصر في سنة ثمانين ومائة اختص بيحيي بن يحيي بن كثير الاندلسي وكان قد حج وسمع الموطأ من مالك الا أبوابا وحمل عن ابن وهب وعن ابن القاسم وغيره علما كثيراً وعاد الى الاندلس فنال من الرياسة والحرمة مالم ينله غيره وعادت الفتيا اليه وانتهى السلطان والعامة الى بابه فلم يقلد في سائر أعمال الاندلس قاض الا باشارته واعتنائه فصاروا على رأي مالك بعد ما كانوا على رأى الاوزاعى وقد كان مذهب الامام مالك أدخله الى الاندلس زياد بن عبد الرحمن الذى يقال له بسطور قبل يحيي بن يحيي وهو أول من أدخل مذهب مالك الاندلس وكانت أفريقية الغالب عليها السنن والآثار الى أن قدم عبد الله بن فروج أبو محمد الفارسى بمذهب أبي حنيفة ثم غلب أسد بن الفرات بن سنان قاضي أفريقية بمذهب أبي حنيفة ثم لما ولى سحنون بن سعيد التنوخى قضاء أفريقية بعد ذلك نشر فيهم مذهب مالك وصار القضاء في أصحاب سحنون دولا يتصاولون على الدنيا تصاول الفحول على الشول الى أن تولى القضاء بها بنو هاشم وكانوا مالكية فتوارثوا القضاء كما تتوارث الضياع ثم أن المعز بن باديس حمل جميع أهل أفريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه من المذاهب فرجع أهل أفريقية وأهل الاندلس كلهم الى مذهب مالك الى اليوم رغبة فيما عند السلطان وحرصا على طلب الدنيا اذ كان القضاء والافتاء في جميع تلك المدن وسائر القرى لا يكون الا لمن تسمى بالفقه على مذهب مالك فاضطرت العامة الى أحكامهم وفتاواهم ففشا هذا المذهب

هناك فشوا طبق تلك الاقطار كما فشا مذهب أبي حنيفة ببلاد المشرق حيث ان أبا حامد الاسفرايني لما تمكن من الدولة في أيام الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد قرر معه استخلاف أبي العباس أحمد بن محمد البارزى الشافعي عن أبي محمد بن الاكفانى الحنفى قاضى بغداد فأجيب اليه بغير رضا الاكفانى وكتب أبو حامد الى السلطان محمود بن سبكتكين وأهل خراسان أن الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية فاشتهر ذلك بخراسان وصار أهل بغداد حزبين وقدم بعد ذلك أبو العلاء صاعد بن محمد قاضي نيسابور ورئيس الحنفية بخراسان فأتاه الحنفية فثارت بينهم وبين أصحاب أبي حامد فتنة ارتفع أمرها الى السلطان فجمع الخليفة القادر الاشراف والقضاة وأخرج اليهم رسالة تتضمن ان الاسفرايني أدخل على أمير المؤمنين مداخل أوهمه فيها النصح والشفقة والامانة وكانت على أصول الدخل والخيانة فلما تبين له أمره ووضح عنده خبث اعتقاده فيما سأل فيه من تقليد البارزى الحكم بالحضرة من الفساد والفتنة والعدول بأمير المؤمنين عما كان عليه أسلافه من ايثار الحنفية وتقليدهم واستعمالهم صرف البارزى وأعاد الامر الى حقه وأجراه على قديم رسمه وحمل الحنفيين على ما كانوا عليه من العناية والكرامة والحرمة والاعزاز وتقدم اليهم بأن لا يلقوا أبا حامد ولا يقضوا له حقا ولا يردوا عليه سلاما وخلع على أبي محمد الاكفانى وانقطع أبو حامد عن دار الخلافة وظهر التسخط عليه والانحراف عنه وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة واتصل ببلاد الشام ومصر * (أول من قدم بعلم مالك) الى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيي مولى جمح وكان فقيها روى عنه الليث وابن وهب ورشيد بن سعد وتوفي بالاسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة ثم نشره بمصر عبد الرحمن ابن القاسم فاشتهر مذهب مالك بمصر أكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر أصحاب مالك بمصر ولم يكن مذهب أبي حنيفة رحمه الله يعرف بمصر * قال ابن يونس وقدم اسماعيل بن اليسع الكوفي قاضيا بعد ابن لهيعة وكان من خير قضاتنا غير انه كان يذهب الى قول أبي حنيفة ولم يكن أهل مصر يعرفون مذهب أبي حنيفة وكان مذهبه ابطال الاحباس فثقل أمره على أهل مصر وسئموه ولم يزل مذهب مالك مشتهرا بمصر حتى قدم الشافعى محمد بن ادريس الى مصر مع عبد الله بن العباس بن موسي بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس في سنة ثمان وتسعين ومائة فصحبه من أهل مصر جماعة من أعيانها كبنى عبد الحكم والربيع بن سليمان وأبى ابراهيم اسماعيل بن يحيي المزني وأبى يعقوب يوسف بن يحيي البويطي وكتبوا عن الشافعى ما ألفه وعملوا بما ذهب اليه ولم يزل أمر مذهبه يقوي بمصر وذكره ينتشر * قال أبو عمرو الكندى في كتاب أمراء مصر ولم يزل أهل مصر على الجهر بالبسملة في الجامع العتيق الى سنة ثلاث وخمسين ومائتين قال ومنع أرجون صاحب شرطة

زاحم ابن خاقان أمير مصر من الجهر بالبسملة في الصلوات بالمسجد الجامع وأمر الحسين
بن الربيع امام المسجد الجامع بتركها وذلك فى رجب سنة ثلاث وستين ومائتين ولم يزل أهل
مصر على الجهر بها في المسجد الجامع منذ الاسلام الى أن منع منها أرجون قال وأمر أن
تصلي التراويح في شهر رمضان خمس تراويح ولم يزل أهل مصر يصلون ست تراويح حتي جعلها
أرجون خمسا فى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ومنع من التثويب وأمر بالاذان
يوم الجمعة في مؤخر المسجد وأمر بالتغليس بصلاة الصبح وذلك انهم أسفروا بها ومازال
مذهب مالك ومذهب الشافعى رحمهما الله تعالى يعمل بهما أهل مصر ويولى القضاء من كان
يذهب اليهما أو الى مذهب أبي حنيفة رحمه الله الى أن قدم القائد جوهر من بلاد أفريقية
فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة بجيوش مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد وبني مدينة القاهرة
فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة وعمل به في القضاء والفتيا وأنكر ماخالفه ولم يبق
مذهب سواه وقد كان التشيع بأرض مصر معروفا قبل ذلك * قال أبو عمرو الكندى في
كتاب الموالى عن عبد الله بن لهيعة انه قال قال يزيد بن أبي حبيب نشأت بمصر وهي علوية
فقلبتها عثمانية * وكان ابتداء التشيع في الاسلام أن رجلا من اليهود فى خلافة أمير المؤمنين
عثمان بن عفان رضى الله عنه أسلم فقيل له عبد الله بن سبا وعرف بابن السوداء وصار ينتقل
من الحجاز الى أمصار المسلمين يريد اضلالهم فلم يطق ذلك فرجع الى كيد الاسلام وأهله
ونزل البصرة في سنة ثلاث وثلاثين فجعل يطرح على أهلها مسائل ولا يصرح فأقبل عليه
جماعة ومالوا اليه وأعجبوا بقوله فبلغ ذلك عبد الله بن عامر وهو يومئذ على البصرة فأرسل
اليه فلما حضر عنده سأله ماأنت فقال رجل من أهل الكتاب رغبت في الاسلام وفي جوارك
فقال ماشئ بلغني عنك اخرج عني فخرج حتي نزل الكوفة فأخرج منها فسار الى مصر
واستقر بها وقال في الناس العجب ممن يصدق أن عيسي يرجع ويكذب أن محمدا يرجع
وتحدث فى الرجعة حتى قبلت منه فقال بعد ذلك انه كان لكل نبى وصى وعلي بن أبي طالب
وصى محمد صلى الله عليه وسلم فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى أن علي بن أبى طالب وصيه في الخلافة على أمته واعلموا أن عثمان أخذ الخلافة بغير
حق فانهضوا فى هذا الامر وابدؤا بالطعن على أمرائكم فأظهروا الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر تستميلوا به الناس وبث دعاته وكاتب من مال اليه من أهل الامصار وكاتبوه ودعوا فى
السر الى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون الى الامصار كتبا يضعونها في عيب ولاتهم فيكتب
أهل كل مصر منهم الى أهل المصر الآخر بما يضعون حتي ملؤا بذلك الارض اذاعة وجاء
الى أهل المدينة من جميع الامصار فأتوا عثمان رضى الله عنه فى سنة خمس وثلاثين وأعلموه
ماأرسل به أهل الامصار من شكوى عمالهم فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وأسامة بن

زيد الى البصرة وعمار بن ياسر الى مصر وعبد الله بن عمر الى الشام لكشف سير العمال فرجعوا الى عثمان الاعمارا وقالوا ماانكرنا شيأ وتأخر عمار فورد الخبر الى المدينة بأنه قد استماله عبد الله ابن السوداء في جماعة فأمر عثمان عماله أن يوافوه بالموسم فقدموا عليه واستشاروه فكل أشار برأى ثم قدم المدينة بعد الموسم فكان بينه وبين على بن أبي طالب كلام فيه بعض الجفاء بسبب اعطائه أقاربه ورفعه لهم على من سواهم وكان المنحرفون عن عثمان قد تواعدوا يوما يخرجون فيه بأمصارهم اذا سار عنها الامراء فلم يتهيأ لهم الوثوب وعند مارجع الامراء من الموسم تكاتب المخالفون في القدوم الى المدينة لينظروا فيما يريدون وكان امير مصر من قبل عثمان رضى الله عنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى فلما خرج في شهر رجب من مصر فى سنة خمس وثلاثين استخلف بعده عقبة بن عامر الجهني في قول الليث بن سعد وقال يزيد بن أبي حبيب بل استخلف على مصر السائب بن هشام العامرى وجعل على الخراج سليم بن عتر التجيبي فانتزى محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف في شوال من السنة المذكورة وأخرج عقبة بن عامر من الفسطاط ودعا الى خلع عثمان رضى الله عنه واسعر البلاد وحرض على عثمان بكل شئ يقدر عليه فكان يكتب الكتب على لسان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ الرواحل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت ووجوههم الى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا الى طريق المدينة بمصر ثم يرسلون رسلا يخبرون بهم الناس ليلقوهم وقدأمرهم اذا لقيهم الناس أن يقولوا ليس عندنا خبر الخبر في الكتب فيجيء رسول أولئك الذين من فيذكر مكانهم فيتلقاهم ابن أبي حذيفة والناس يقولون نتلقى رسل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا القوهم قالوا لهم ماالخبر قالوا لاخبر عندنا عليكم بالمسجد ليقرأ عليكم كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيجتمع الناس في المسجد اجتماعا ليس فيه تقصير ثم يقوم القارئ بالكتاب فيقول انا نشكو الى الله واليكم ماعمل فى الاسلام وما صنع في الاسلام فيقوم اولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء فيبكون ثم ينزل عن المنبر ويتفرق الناس بما قرئ عليهم فلما رأت ذلك شيعة عثمان رضي الله عنه اعتزلوا محمد بن أبى حذيفة ونابذوه وهم معاوية بن حديج وخارجة بن حذافة وبسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد وعمرو بن قحزم الخولانى ومقسم بن بجرة وحمزة بن سرح بن كلال وأبو الكنود سعد بن مالك الازدى وخالد بن ثابت الفهمي في جمع كثير وبعثوا سلمة بن مخرمة التجيبي الى عثمان ليخبره بأمرهم وبصنيع ابن أبي حذيفة فبعث عثمان رضى الله عنه سعد بن أبي وقاص ليصلح أمرهم فبلغ ذلك ابن أبى حذيفة فخطب الناس وقال ألا ان الكذا والكذا قد بعث اليكم سعد بن مالك ليفل جماعتكم ويشتت كلمتكم ويوقع التخاذل بينكم فانفروا اليه

فخرج منهم مائة أو نحوها وقد ضرب فسطاطه وهو قائل فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب راحلته وعاد راجعا من حيث جاء وقال ضربكم الله بالذل والفرقة وشتت أمركم وجعل بأسكم بينكم ولا رضاكم بأمير ولا أرضاه عنكم * واقبل عبد الله بن سعد حتي بلغ جسر القلزم فاذا بخيل لابن أبي حذيفة فمنعوه أن يدخل فقال ويلكم دعوني أدخل على جندى فأعلمهم بما جئت به فاني قد جئتهم بخير فأبوا أن يدعوه فقال والله لوددت اني دخلت عليهم وأعلمتهم بما جئت به ثم مت فانصرف الى عسقلان وأجمع محمد بن أبي حذيفة على بعث جيش الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال من يتشرط في هذا البعث فكثر عليه من يتشرط فقال انما يكفينا منكم ستمائة رجل فتشرط من أهل مصر ستمائة رجل على كل مائة منهم رئيس وعلى جماعتهم عبد الرحمن بن عديس البلوى وهم كنانة بن بشر بن سلمان التجيبي وعروة بن سليم الليثى وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى وسودان بن ريان الاصبحي وذرع بن يشكر اليافعى وسجن رجال من أهل مصر في دورهم منهم بسر بن أرطاة ومعاوية بن خديج فبعث ابن أبي حذيفة الى معاوية بن خديج وهو أرمد ليكرهه على البيعة فلما بلغ ذلك كنانة بن بشر وكان رأس الشيعة الاولى دفع عن معاوية ما كره ثم قتل عثمان رضى الله عنه في ذى الحجة سنة خمس وثلاثين فدخل الركب الى مصر وهم يرتجزون

خذها اليك واحذرن أبا الحسن * انا نمر الحرب امرار الوسن * بالسيف كي تخمد نيران الفتن

فلما دخلوا المسجد صاحوا انا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله * فلما رأى ذلك شيعة عثمان قاموا وعقدوا لمعاوية بن خديج عليهم وبايعوه على الطلب بدم عثمان فسار بهم معاوية الى الصعيد فبعث اليهم ابن أبي حذيفة فالتقوا بدقناس من كورة البهنسا فهزم أصحاب ابن أبي حذيفة ومضى معاوية حتي بلغ برقة ثم رجع الى الاسكندرية فبعث ابن أبي حذيفة بجيش آخر عليهم قيس بن حرمل فاقتتلوا بخربتا أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فقتل قيس وسار معاوية بن أبي سفيان الى مصر فنزل سلمنت من كورة عين شمس في شوال فخرج اليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فمنعوه أن يدخلها فبعث اليه معاوية انا لا نريد قتال أحد انما جئنا نسأل القود لعثمان ادفعوا الينا قاتليه عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر وهما رأس القوم فامتنع ابن أبي حذيفة وقال لو طلبت منا جديا أرطب السرة بعثمان مادفعناه اليك فقال معاوية بن أبي سفيان لابن أبي حذيفة اجعل بيننا وبينكم رهنا فلا يكون بيننا وبينكم حرب فقال ابن أبي حذيفة فاني أرضى بذلك فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت بن مخرمة وخرج في الرهن هو وابن عيسى وكنانة بن بشر وأبو شمر بن ابرهة وغيرهم من قتلة عثمان فلما بلغوا لدسجنهم بها معاوية وسار الى دمشق

فهربوا من السجن غير أبي شمر بن ابرهة فانه قال لا أدخله أسيرا وأخرج منه آبقا وتبعهم صاحب فلسطين فقتلهم واتبع عبد الرحمن بن عديس رجل من الفرس فقال له عبد الرحمن ابن عديس اتق الله في دمي فاني بايعت النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فقال له الشجر في الصحراء كثير فقتله * وقال محمد بن أبي حذيفة في الليلة التي قتل في صباحها عثمان فان يكن القصاص لعثمان فسنقتل من الغد فقتل من الغد وكان قتل ابن أبي حذيفة وعبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر ومن كان معهم من الرهن في ذي الحجة سنة ست وثلاثين * فلما بلغ علي بن أبي طالب رضي الله عنه مصاب ابن أبي حذيفة بعث قيس بن سعد بن عبادة الانصاري على مصر وجمع له الخراج والصلات فدخلها مستهل شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين واستمال الخارجية بخربتا ودفع اليهم اعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وأحسن اليهم ومصر يومئذ من جيش علي رضي الله عنه الا أهل خربتا الخارجين بها * فلما ولي علي رضي الله عنه قيس بن سعد وكان من ذوي الرأي جهد معاوية ابن أبي سفيان وعمرو بن العاص على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها فامتنع عليهما بالدهاء والمكايدة فلم يقدرا على أن يلجا مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل علي رضي الله عنه فكان معاوية يحدث رجالا من ذوي رأي قريش فيقول ماابتدعت من مكايدة قط أعجب الي من مكايدة كدت بها قيس بن سعد حين امتنع مني قلت لاهل الشام لاتسبوا قيسا ولا تدعوا الى غزوه فان قيسا لنا شيعة تأتينا كتبه ونصيحته سرا ألا ترون ماذا يفعل باخوانكم النازلين عنده بخربتا يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويؤمن سربهم ويحسن الى كل راكب يأتيه منهم * قال معاوية وطفقت اكتب بذلك الى شيعتي من أهل العراق فسمع بذلك جواسيس علي بالعراق فأنهاه اليه محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر فاتهم قيسا فكتب اليه يأمره بقتال أهل خربتا وبخربتا يومئذ عشرة آلاف فابى قيس أن يقاتلهم وكتب الى علي رضي الله عنه انهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ منهم وقد رضوا مني بأن أو من سربهم واجري عليهم اعطياتهم وارزاقهم وقد علمت أن هواهم مع معاوية فلست بكائدهم بأمر أهون علي وعليك من الذي أفعل بهم وهم أسود العرب منهم بسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج فأبى عليه الا قتالهم فأبى قيس أن يقاتلهم وكتب الى علي رضي الله عنه ان كنت تتهمني فاعزلني وابعث غيري وكتب معاوية رضي الله عنه الى بعض بني أمية بالمدينة الى أن جزى الله قيس بن سعد خيرا فانه قد كف عن اخواننا من أهل مصر الذين قاتلوا في دم عثمان واكتموا ذلك فاني أخاف أن يعزله علي ان بلغه مابينه وبين شيعتنا حتى بلغ عليا رضي الله عنه ذلك فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة بدل قيس وتحول فقال علي ويحكم انه لم يفعل فدعوني قالوا لتعزلنه فانه

قد بدل فلم يزالوا به حتي كتب اليه انى قد احتجت الى قربك فاستخلف على عملك واقدم * فلما قرأ الكتاب قال هذا من مكر معاوية ولولا الكذب لمكرت به مكرا يدخل عليه بيته فوليها قيس بن سعد الى أن عزل عنها أربعة أشهر وخمسة أيام وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين ثم وليها الاشتر مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي من قبل أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه وذلك ان عبدالله بن جعفر كان اذا أراد أن لايمنعه على شيأ قال له بحق جعفر فقال له أسألك بحق جعفر الا بعثت الاشتر الى مصر فان ظهرت فهو الذي تحب والا استرحت منه ويقال كان الاشتر قد ثقل على علىّ رضى الله عنه وأبغضه وقلاه فولاه وبعثه فلما قدم قلزم مصر لقى بما ياتي العمال به هناك فشرب شربة عسل فمات فلما أخبر على بذلك قال لليدين وللفم وسمع عمرو بن العاص بموت الاشتر فقال ان لله جنودا من عسل أو قال ان لله جنودا من العسل * ثم وليها محمد بن أبي بكر الصديق من قبل على رضى الله عنهم وجمع له صلاتها وخراجها فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين فلقيه قيس بن سعد فقال له انه لايمنعني نصحى لك عزلك اياي ولقد عزلني عن غير وهن ولا عجز فاحفظ ماأوصيك به يدم صلاح حالك دع معاوية بن خديج ومسلمة بن مخلد وبسر بن أرطاة ومن ضوى اليهم على ماهم عليه لاتكفهم عن رأيهم فان أتوك ولم يفعلوا فاقبلهم وان تخلفوا عنك فلا تطلبهم وانظر هذا الحي من مضر فانت أولى بهم منى فالن لهم جناحك وقرب عليهم مكانك وارفع عنهم حجابك وانظر هذا الحى من مدلج فدعهم وما غلبوا عليه يكفوا عنك شأنهم وأنزل الناس من بعد على قدر منازلهم فان استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل فان هذا لاينقصك ولن تفعل انك والله ماعلمت لتظهر الخيلاء وتحب الرياسة وتسارع الى ماهو ساقط عنك والله موفقك فعمل محمد بخلاف ماأوصاه به قيس فبعث الى ابن خديج والخارجة معه يدعوهم الى بيعته فلم يجيبوه فبعث الى دور الخارجة فهدمها ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فنصبوا له الحرب وهموا بالنهوض اليه فلما علم أنه لاقوة له بهم أمسك عنهم ثم صالحهم على أن يسيرهم الي معاوية وأن ينصب لهم جسر أنقيوس يجوزون عليه ولا يدخلون الفسطاط ففعلوا ولحقوا بمعاوية فلما أجمع على رضى الله عنه ومعاوية على الحكمين اغفل على أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر * فلما انصرف علىّ الى العراق بعث معاوية رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى الله عنه في جيوش أهل الشام الى مصر فاقتتلوا قتالا شديدا انهزم فيه أهل مصر ودخل عمرو بأهل الشام الفسطاط وتغيب محمد بن أبي بكر فأقبل معاوية بن خديج في رهط ممن يعينه على من كان يمشي فى قتل عثمان وطلب ابن أبي بكر فدلتهم عليه امرأة فقال احفظوني فى أبي بكر فقال معاوية بن خديج قتلت ثمانين رجلا من قومي فى عثمان وأتركك وانت صاحبه فقتله

ثم جعله في جيفة حمار ميت فأحرقه بالنار فكانت ولاية محمد بن أبي بكر خمسة أشهر ومقتله لاربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين * ثم ولى عمرو بن العاص مصر من بعده فاستقبل بولايته هذه الثانية شهر ربيع الاول وجعل اليه الصلات والخراج وكانت مصر قد جعلها معاوية له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة على مصلحتها ثم خرج الى الحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله بن عمرو وقتل خارجة بن حذافة ورجع عمرو الى مصر فأقام بها وتعاقد بنو ملجم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل عليّ رضي الله عنه وعمرو ومعاوية رضى الله عنهما وتواعدوا على ليلة من رمضان سنة أربعين فمضى كل منهم الى صاحبه فلما قتل عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه واستقر الامر لمعاوية كانت مصر جندها وأهل شوكتها عثمانية وكثير من أهلها علوية فلما مات معاوية ومات ابنه يزيد بن معاوية كان على مصر سعيد بن يزيد الازديّ على صلاتها فلم يزل أهل مصر على الشنآن له والاعراض عنه والتكبر عليه منذ ولاه يزيد بن معاوية حتي مات يزيد في سنة أربع وستين ودعا عبد الله ابن الزبير الى نفسه فقامت الخوارج بمصر في أمره واظهروا دعوته وكانوا يحسبونه على مذهبهم وأوفدوا منهم وفدا اليه فسار منهم نحو الالفين من مصر وسألوه أن يبعث اليهم بأمير يقومون معه ويوازرونه وكان كريب بن أبرهة الصباح وغيره من أشراف مصر يقولون ماذا نرى من العجب أن هذه الطائفة المكتتمة تأمر فينا وتنهى ونحن لانستطيع أن نرد أمرهم ولحق بابن الزبير ناس كثير من أهل مصر *وكان أول من قدم مصر برأي الخوارج حجر بن الحارث بن قيس المذحجي وقيل حجر بن عمرو ويكني بأبي الورد وشهد مع عليّ صفين ثم صار من الخوارج وحضر مع الحرورية النهروان فخرج وصار الى مصر برأى الخوارج وأقام بها حتى خرج منها الى ابن الزبير في امارة مسلمة بن مخلد الانصارى على مصر * فلما مات يزيد بن معاوية وبويع ابن الزبير بعده بالخلافة بعث الى مصر بعبد الرحمن بن جحدم الفهرى فقدمها في طائفة من الخوارج فوثبوا على سعيد بن يزيد فاعتزلهم واستمر ابن جحدم وكثرت الخوارج بمصر منها وممن قدم من مكة فأظهروا في مصر التحكيم ودعوا اليه فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل فى قلوب ناس من شيعة بنى أمية منهم كريب بن ابرهة ومقسم بن بجرة وزياد بن حناطة التجيبي وعابس بن سعيد وغيرهم فصار أهل مصر حينئذ ثلاث طوائف علوية وعثمانية وخوارج * فلما بويع مروان بن الحكم بالشام في ذى القعدة سنة أربع وستين كانت شيعته من أهل مصر مع ابن جحدم فكاتبوه سراً حتى أتى مصر فى أشراف كثيرة وبعث ابنه عبد العزيز بن مروان في جيش الى ايلة ليدخل من هناك مصر وأجمع ابن جحدم على حربه ومنعه فحفر الخندق في شهر وهو الخندق الذى بالقرافة وبعث بمراكب في البحر ليخالف الى عيالات أهل الشام وقطع بعثا فى البر

وجهز جيشاً آخر الى ايلة لمنع عبد العزيز من المسير منهـا ففرقت المراكب ونجـا بعضها وانهزمت الجيوش ونزل مروان عين شمس فخرج اليه ابن جحدم فى أهل مصر فتحاربوا واستحر القتل فقتل من الفريقين خلق كثير ثم ان كريب بن ابرهة وعابس بن سعيدوزياد بن حناطة وعبد الرحمن بن موهب المغافري دخلوا في الصلح بين أهل مصر وبين مروان فتم ودخل مروان الى الفسطاط لغرة جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت ولاية ابن جحدم تسعة أشهر ووضع العطاء فبايعه الناس الا نفراً من المعافر قالوا لانخلع بيعةابن الزبير فقتل منهم ثمانين رجلا قدمهم رجلا رجلا فضرب أعناقهم وهم يقولون انا قدبايعناابن الزبير طائعين فلم نكن لننكث بيعته وضرب عنق الاكدر بن حمام بن عامر سيدلخم وشيخها وحضر هو وأبوه فتح مصر وكانا ممن ثار الى عثمان رضى الله عنه فتنادى الجند قتل الاكدر فلم يبق أحد حتى لبس سلاحه فحضر باب مروان منهم زيادة على ثلاثين ألفا وخشى مروان وأغلق بابه حتى أتاه كريب بن ابرهة وألقى عليه رداءه وقال للجند انصرفوا أنا له جار فما عطف أحد منهم وانصرفوا الى منازلهم وكان للنصف من جمادى الآخرة ويومئـذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص فلم يستطع أحد أن يخرج بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان ومن حينئذ غلبت العثمانية على مصر فتظاهروا فيها بسب علي رضي الله عنه وانكفت السنة العلوية والخوارج * فلما كانت ولاية قرة بن شريك العبسى على مصر من قبل الوليد ابن عبد الملك في سنة تسعين خرج الى الاسكندرية في سنة احدى وتسعين فتعاقدت السراة من الخوارج بالاسكندرية على الفتك به وكانت عدتهم نحوا من مائة فعقـدوا لرئيسهم المهاجر بن أبي المثنى التجيبي أحد بنى فهم عليهم عند منارة الاسكندرية وبالقرب منهم رجل يكنى أبا سليمان فبلغ قرة ماعزموا عليه فأتى لهم قبل أن يتفرقوا فأمر بحبسهم في أصل منارة الاسكندرية وأحضر قرة وجوه الجند فسألهم فأقروا فقتلهم ومضى رجـل ممن كان يرى رأيهم الى أبي سليمان فقتله فكان يزيد بن أبي حبيب اذا أراد أن يتكلم بشئ فيه تقية من السلطان تلفت وقال احذروا أبا سليمان ثم قال الناس كلهم من ذلك اليوم أبو سليمان * فلما قام عبد الله بن يحي الملقب بطالب الحق فى الحجاز على مروان بن محمد الجعدي قدم الى مصر داعيته ودعا الناس فبايع له ناس من تجيب وغيرهم فبلغ ذلك حسان بن عتاهية صاحب الشرطة فاستخرجهم فقتلهم حوثرة بن سهيل الباهلي أمير مصر من قبل مروان بن محمـد فلما قتل مروان وانقضت أيام بني أمية ببني العباس في سـنة ثلاث وثلاثين ومائة خمـدت جمرة أصحاب المذهب المرواني وهم الذين كانوا يسبون على بن أبي طـالب ويتبرؤن منـه وصاروا منذ ظهر بنو العباس يخافون القتل ويخشون أن يطلع عليهم أحد الا طائفـة كانت بناحية الواحات وغيرها فانهم أقاموا على مذهب المروانية دهرا حتي فنوا ولم يبق لهم الآن

بديار مصر وجود البتة * فلما كان في امارة حميد بن قحطبة على مصر من قبل أبي جعفر المنصور قدم الى مصر على بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب داعية لابيه وعمه فذكر ذلك لحميد فقال هذا كذب ودس اليه أن تغيب ثم بعث اليه من الغد فلم يجده فكتب بذلك الى أبي جعفر المنصور فعزل حميداً وسخط عليه في ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائة وولى يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة فظهرت دعوة بني حسن بن علي بمصر وتكلم الناس بها وبايع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله وهو أول علوى قدم مصر وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش الصدفي وكان جده ربيعة بن حبيش من خاصة علي بن أبي طالب وشيعته وحضر الدار في قتل عثمان رضى الله عنه فاستشار خالد أصحابه الذين بايعوا له فأشار عليه بعضهم أن يبيت يزيد ابن حاتم في العسكر وكان الامراء قد صاروا منذ قدمت عساكر بني العباس ينزلون في العسكر الذى بني خارج الفسطاط من شماليه كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب وأشار عليه آخرون أن يحوز بيت المال وأن يكون خروجهم في الجامع فكره خالد أن يبيت يزيد بن حاتم وخشي على اليمانية وخرج منهم رجل قد شهد امرهم حتى اتى الى عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وهو يومئذ على الفسطاط نخبره أنهم الليلة يخرجون فمضى عبد الله الى يزيد بن حاتم وهو بالعسكر فكان من أمرهم ما كان لعشر من شوال سنة خمس وأربعين ومائة فانهزموا ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين في ذي الحجة من السنة المذكورة الى مصر ونصبوه في المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا أمره وحمل على بن محمد الى أبي جعفر المنصور وقيل أنه اختفى عند عسامة بن عمرو بقرية طره فمرض بها ومات فقبر هناك وحمل عسامة الى العراق فحبس الى أن رده المهدى محمد بن أبي جعفر الى مصر وما زالت شيعة علي بمصر الى أن ورد كتاب المتوكل على الله الى مصر يامر فيه بأخراج آل أبي طالب من مصر الى العراق فأخرجهم اسحاق بن يحيى الختلي أمير مصر وفرق فيهم الاموال ليتجملوا بها وأعطى كل رجل ثلاثين ديناراً والمرأة خمسة عشر ديناراً فخرجوا لعشر خلون من رجب سنة ست وثلاثين ومائتين وقدموا العراق فأخرجوا الى المدينة فى شوال منها واستتر من كان بمصر على رأى العلوية حتى أن يزيد بن عبد الله أمير مصر ضرب رجلا من الجند في شيء وجب عليه فأقسم عليه بحق الحسن والحسين الا عفا عنه فزاده ثلاثين درة ورفع ذلك صاحب البريد الى المتوكل فورد الكتاب على يزيد بضرب ذلك الجندى مائة سوط فضربها وحمل بعد ذلك الى العراق في شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين وتتبع يزيد الروافض فحملهم الى العراق ودل في شعبان على رجل يقال له محمد بن علي بن الحسن بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب أنه بويع له فأحرق الموضع الذى كان به وأخذه فأقر على جمع من

الناس بايعوه فضرب بعضهم بالسياط وأخرج العلوي هو وجمع من آل أبي طالب الى العراق في شهر رمضان ومات المتوكل فى شوال فقام من بعده ابنه محمد المستنصر فورد كتابه الى مصر بأن لايقبل علوى ضيعة ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من أطرافها وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد الا العبد الواحد ومن كان بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة وكتب الى العمال بذلك ومات المستنصر فى ربيع الآخر وقام المستعين فأخرج يزيد ستة رجال من الطالبيين الى العراق في رمضان سنة خمسين ومائتين ثم أخرج ثمانية منهم في رجب سنة احدى وخمسين وخرج جابر بن الوليد المدلجي بأرض الاسكندرية في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين واجتمع اليه كثير من بنى مدلج فبعث اليه محمد بن عبيد الله بن يزيد بجيش من الاسكندرية فهزمهم وظفر بما معهم وقوى أمره وأتاه الناس من كل ناحية وضوى اليه كل من يومى اليه بشدة ونجدة فكان ممن أتاه عبدالله المريسي وكان لصا خبيثا ولحق به جريج النصرانى وكان من شرار النصارى وأولى بأسهم ولحق به أبو حرملة فرج النوبي وكان فاتكا فعقد له جابر على سنهور وسخا وشرقيون وبنا فمضى أبو حرملة في جيش عظيم فأخرج العمال وجبى الخراج ولحق به عبدالله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبدالله بن على بن الحسين ابن على بن أبي طالب الذي يقال له ابن الارقط فقوده أبو حرملة وضم اليه الاعراب وولاه بنا وبوصير وسمنود فبعث يزيد أمير مصر بجمع من الاتراك في جمادى الآخرة فقاتلهم ابن الارقط وقتل منهم ثم ثبتوا له فانهزم وقتل من أصحابه كثير وأسر منهم كثير ولحق ابن الارقط بأبي حرملة فى شرقيون فصار الى عسكر يزيد فانهزم أبو حرملة وقدم مزاحم بن خاقان من العراق فى جيش فحارب أبا حرملة حتى أسر فى رمضان واستأمن ابن الارقط فأخذ وأخرج الى العراق فى ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائتين ففر منهم ثم ظفر به وحبس ثم حمل الى العراق في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين بكتاب ورد على احمد بن طولون ومات أبو حرملة في السجن لاربع بقين من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وأخذ جابر بعد حروب وحمل الى العراق في رجب سنة أربع وخمسين وخرج في امرة أرجون التركى رجل من العلويين يقال له بغا الاكبر وهو احمد بن ابراهيم بن عبد الله بن طباطبا ابن اسماعيل بن ابراهيم بن حسن بن حسين بن علي بالصعيد فحاربه أصحاب أرجون وفر منهم فمات ثم خرج بغا الاصغر وهو احمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين الاسكندرية وبرقة في جمادى الاولى سنة خمس وخمسين ومائتين والامير يومئذ احمد بن طولون وسار في جمع الى الصعيد فقتل في الحرب وأتى برأسه الى الفسطاط في شعبان وخرج ابن الصوفي العلوي بالصعيد وهو ابراهيم بن محمد بن يحيي بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن

أبي طالب ودخل اسنا في ذى القعدة سنة خمس وخمسين ونهبها وقتل أهلها فبعث اليه ابن طولون بجيش فحاربوه فهزمهم فى ربيع الاول سنة ست وخمسين بهو فبعث ابن طولون اليه بجيش آخر فالتقيا باخميم في ربيع الآخر فانهزم ابن الصوفي وترك جميع مامعه وقتلت رجاله فأقام ابن الصوفي بالواح سنتين ثم خرج الى الاشمونين في المحرم سنة تسع وخمسين وسار الى اسوان لمحاربة أبي عبد الرحمن العمرى فظفر به العمرى وبجميع جيشه وقتل منهم مقتلة عظيمة ولحق ابن الصوفي باسوان فقطع لاهلها ثلثمائة ألف نخلة فبعث اليه ابن طولون بعثا فاضطرب أمره مع أصحابه فتركهم ومضى الى عيذاب فركب البحر الى مكة فقبض عليه بها وحمل الى ابن طولون فسجنه ثم أطلقه فصار الى المدينة ومات بها * وفي امارة هارون ابن خمارويه بن احمد بن طولون انكر رجل من أهل مصر أن يكون أحد خيرا من أهل البيت فوثبت اليه العامة فضرب بالسياط يوم الجمعة في جمادي الاولى سنة خمس وثمانين ومائتين * وفى امارة ذكا الاعور على مصر كتب على أبواب الجامع العتيق ذكر الصحابة والقرآن فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون فاجتمع الناس فى رمضان سنة خمس وثلثمائة الى دار ذكا يتشكرونه على ماأذن لهم فيه فوثب الجند بالناس فنهب قوم وجرح آخرون ومحي ماكتب على أبواب الجامع ونهب الناس في المسجد والاسواق وافطر الجند يومئذ ومازال أمر الشيعة يقوى بمصر الى أن دخلت سنة خمسين وثلثمائة ففى يوم عاشوراء كانت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند قبر كلثوم العلوية بسبب ذكر السلف والنوح قتل فيها جماعة من الفريقين وتعصب السودان على الرعية فكانوا اذا لقوا أحدا قالوا له من خالك فان لم يقل معاوية والا بطشوا به وشلحوه ثم كثر القول معاوية خال على وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة يناديان في كل يوم جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام معاوية خالى وخال المؤمنين وكاتب الوحى ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا أحسن مايقولونه والا فقد كانوا يقولون معاوية خال علي من هاهنا ويشيرون الى أصل الاذن ويلقون أبا جعفر مسلما الحسيني فيقولون له ذلك فى وجهه وكان بمصر اسود يصيح دائما معاوية خال علي فقتل بتنيس أيام القائد جوهر * ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ومحاربتهم الحاج ونهبهم خرج خلق من المصريين في شوال فلقوا كافور الاخشيدي بالميدان ظاهر مدينة مصر وضجوا وصاحوا معاوية خال على وسألوه أن يبعث لنصرة الحاج على الطالبيين * وفي شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة أخذ رجل يعرف بابن أبي الليث الملطي ينسب الى التشيع فضرب مائتي سوط ودرة ثم ضرب فى شوال خمسمائة سوط ودرة وجعل في عنقه غل وحبس وكان يتفقد في كل يوم لئلا يخفف عنه ويبصق فى وجهه فمات فى محبسه فحمل ليلا ودفن فمضت جماعة الى قبره لينبشوه وبلغوا الى

القبر فمنعهم جماعة من الاخشيدية والكافورية فأبوا وقالوا هـذا قبر رافضي فثارت فتنة وضرب جماعة ونهبوا كثيرا حتي تفرق الناس * وفي سنة ست وخمسين كتب في صفر على لمساجد ذكر الصحابة والتفضيل فأمر الاستاذ كافور الاخشيدى بازالته فحدثه جماعة في اعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال ماأحدث في أيامي مالم يكن وماكان في أيام غيري فلا أزيله وما كتب في أيامي أزيله ثم أمر من طاف وازاله من المساجد كلها * ولما دخل جوهر القائد بعساكر المعز لدين الله الى مصر وبني القاهرة أظهر مذهب الشيعة وأذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها حي على خير العمل وأعلن بتفضيل على بن أبي طالب على غيره وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم فشكا اليه جماعة من أهل المسجد الجامع أمر عجوز عمياء تنشد في الطريق فأمر بها فحبست فسر الرعية بذلك ونادوا بذكر الصحابة ونادوا معاوية خال على وخال المؤمنين فأرسل جوهر حين بلغه ذلك رجلا الى الجامع فنادى أيها الناس أقلوا القول ودعوا الفضول فانما حبسنا العجوز صيانة لها فلاينطقن أحد الاحلت به العقوبة الموجعة ثم أطلق العجوز * وفي ربيع الاول سنة اثنتين وستين عزر سليمان بن عروة المحتسب جماعة من الصيارفة فشغبوا وصاحوا معاوية خال على بن أبي طالب فهم جوهر أن يحرق رحبة الصيارفة لكن خشي على الجامع وأمر الامام بجامع مصر أن يجهر بالبسملة في الصلاة وكانوا لايفعلون ذلك وزيد في صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية وأمر في المواريث بالرد على ذوى الارحام وأن لايرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ولا ابن أخ ولا ابن عم ولا يرث مع الولد الذكر أوالانثى الا الزوج أوالزوجة والابوان والجدة ولا يرث مع الام الامن يرث مع الولد وخاطب أبو الطاهر محمد بن احمد قاضي مصر القائد جوهرا في بنت وأخ وانه كان حكم قديما للبنت بالنصف وللاخ بالباقي فقال لا أفعل فلما ألح عليه قال ياقاضي هذا عداوة لفاطمة عليها السلام فأمسك أبو الطاهر ولم يراجعه بعد في ذلك وصار صوم شهر رمضان والفطر على حساب لهم فأشار الشهود على القاضي أبي الطاهر أن لايطلب الهلال لان الصوم والفطر على الرؤية قد زال فانقطع طلب الهلال من مصر وصام القاضي وغيره مع القائد جوهر كما يصوم وافطروا كما يفطر * ولما دخل المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره من القاهرة المعزية أمر في رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة فكتب على سائر الاماكن بمدينة مصر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام * وفي صفر سنة خمس وستين وثلثمائة جلس على بن النعمان القاضي بجامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر وأملى مختصر ابيه في الفقه عن أهل البيت ويعرف هـذا المختصر بالاقتصار وكان جمعا عظيما وأثبت أسماء الحاضرين

ولما تولى يعقوب بن كلس الوزارة للعزيز بالله نزار بن المعز رتب في داره العلماء من الادباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأجرى لجميعهم الارزاق وألف كتابا في الفقه ونصب له مجلسا وهو يوم الثلاثاء يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل وتجرى بينهم المناظرات وكان يجلس أيضاً فى يوم الجمعة فيقرأ مصنفاته على الناس بنفسه ويحضر عنده القضاة والفقهاء والقراء والنحاة واصحاب الحديث ووجوه أهل العلم والشهود فاذا انقضى المجلس من القراءة قام الشعراء لانشاد مدائحهم فيه وجعل للفقهاء في شهر رمضان الاطعمة وألف كتابا في الفقه يتضمن ماسمعه من المعز لدين الله ومن ابنه العزيز بالله وهو مبوب على أبواب الفقه يكون قدره مثل نصف صحيح البخارى ملكته ووقفت عليه وهو يشتمل على فقه الطائفة الاسماعيلية وكان يجلس لقراءة هذا الكتاب على الناس بنفسه وبين يديه خواص الناس وعوامهم وسائر الفقهاء والقضاة والادباء وأفتي الناس به ودرسوا فيه بالجامع العتيق وأجرى العزيز بالله لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير ويلازمونه أرزاقا تكفيهم فى كل شهر وأمرلهم ببناء دار الى جانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة تحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى صلاة العصر وكان لهم من مال الوزير أيضا صلة فى كل سنة وعدتهم خمسة وثلاثون رجلا وخلع عليهم العزيز بالله في يوم عيد الفطر وحملهم على بغال * وفي سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة أمر العزيز بن المعز بقطع صلاة التراويح من جميع البلاد المصرية * وفي سنة احدى وثمانين وثلثمائة ضرب رجل بمصر وطيف به المدينة من اجل انه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله * وفى شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وثلثمائة جلس القاضى محمد بن النعمان على كرسى بالقصر فى القاهرة لقراءة علوم أهل البيت على الرسم المتقدم له ولاخيه بمصر ولابيه بالمغرب فمات في الزحمة أحد عشر رجلا * وفي جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وثلثمائة قبض على رجل من أهل الشام سئل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال لاأعرفه فاعتقله قاضي القضاة الحسن بن النعمان قاضي أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله على القاهرة المعزية ومصر والشامات والحرمين والمغرب وبعث اليه وهو فى السجن أربعة من الشهود وسألوه فأقر بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه نبى مرسل وسئل عن على بن أبى طالب فقال لاأعرفه فأمر قائد القواد الحسين بن جوهر باحضاره فخلا به ورفق في القول له فلم يرجع عن انكاره معرفة على بن أبى طالب فطولع الحاكم بأمره فأمر بضرب عنقه فضرب عنقه وصلب * وفى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة قبض على ثلاثة عشر رجلا وضربوا وشهروا على الجمال وحبسوا ثلاثة أيام من اجل انهم صلوا صلاة الضحى * وفي سنة خمس وتسعين وثلثمائة قرئ سجل في الجوامع بمصر والقاهرة والجزيرة بأن تلبس النصارى واليهود الغيار والزنار وغيارهم السواد غيار العاصين العباسيين

وأن يشدوا الزنار وفيه وقوع وفحش في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقرئ سجل آخر فيه منع الناس من أكل الملوخيا المحببة كانت لمعاوية بن أبي سفيان ومنعهم من أكل البقلة المسماة بالجرجير المنسوبة لعائشة رضى الله عنها ومن المتوكلية المنسوبة الى المتوكل والمنع من عجين الخبز بالرجل والمنع من اكل الدلينس ومن ذبح البقر الا ذا عاهة ماعدا أيام النحر فانه يذبح فيها البقر فقط والوعيد للنخاسين متى باعوا عبدا أو أمة لذمى وقرئ سجل آخر بأن يؤذن لصلاة الظهر في أول الساعة السابعة ويؤذن لصلاة العصر في أول الساعة التاسعة وقرئ أيضاً سجل بالمنع من عمل الفقاع وبيعه في الاسواق لما يؤثر عن على بن أبي طالب رضى الله عنه من كراهية شرب الفقاع وضرب فى الطرقات والاسواق بالجرس ونودي أن لايدخل أحد الحمام الا بمئزر ولا تكشف امرأة وجهها فى طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج ولا يباع شئ من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وقبض على جماعة وجدوا فى الحمام بغير مئزر فضربوا وشهروا * وكتب فى صفر من هذه السنة على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه من جميع جوانبه وعلى أبواب الحوانيت والحجر وعلى المقابر والصحراء سب السلف ولعنهم ونقش ذلك ولون بالاصباغ والذهب وعمل ذلك على أبواب الدور والقياسر واكره الناس على ذلك وتسارع الناس الى الدخول في الدعوة فجلس لهم قاضى القضاة عبد العزيز بن محمد بن النعمان فقدموا من سائر النواحي والضياع فكان للرجال يوم الاحد وللنساء يوم الاربعاء وللاشراف وذوى الاقدار يوم الثلاثاء وازدحم الناس على الدخول في الدعوة فمات عدة من الرجال والنساء * ولما وصلت قافلة الحاج مر بهم من سب العامة وبطشهم مالا يوصف فانهم ارادوا حمل الحاج على سب السلف فأبوا فحل بهم مكروه شديد * وفى جمادى الآخرة من هذه السنة فتحت دار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها القراء وحملت الكتب اليها من خزائن القصور ودخل الناس اليها وجلس فيها القراء والفقهاء والمنجمون والنحاة وأصحاب اللغة والاطباء وحصل فيها من الكتب في سائر العلوم مالم ير مثله مجتمعا وأجرى على من فيها من الخدام والفقهاء الارزاق السنية وجعل فيها مايحتاج اليه من الحبر والاقلام والمحابر والورق * وفى يوم عاشوراء من سنة ست وتسعين وثلثمائة كان من اجتماع الناس ماجرت به العادة وأعلن بسب السلف فيه فقبض على رجل نودي عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها صلي الله عليه وسلم ومعه من الرعاع مالا يقع عليه حصروهم يسبون السلف فلما تم النداء عليه ضرب عنقه واستهل شهر رجب من هذه السنة بيوم الاربعاء فخرج أمر الحاكم بأمر الله أن يؤرخ بيوم الثلاثاء وفي سنة سبع وتسعين وثلثمائة قبض على جماعة ممن يعمل الفقاع ومن السماكين ومن الطباخين وكبست الحمامات فأخذ عدة ممن وجد بغير مئزر فضرب الجميع لمخالفتهم الامر وشهروا

وفي تاسع ربيع الآخر أمر الحاكم بأمر الله بمحو ما كتب على المساجد وغيرها من سب السلف وطاف متولى الشرطة وألزم كل أحد بمحو ما كتب علي المساجد من ذلك ثم قرئ سجل في ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وثلثمائة بأن لايحمل شئ من النبيذ والمزر ولا يتظاهر به ولا بشئ من الفقاع والدلينس والسمك الذي لاقشر له والترمس العفن وقرئ سجل في رمضان على سائر المنابر بأنه يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون صلاة الخمس الدين فيما جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحي وصلاة التراويح لامانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون يخمس في التكبير على الجنائز المخمسون ولا يمنع من التربيع عليها المربعون يؤذن بحي علي خير العمل المؤذنون ولا يؤذى من بها لايؤذنون ولا يسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف والحالف منهم بما حلف لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده والى الله ربه معاده عنده كتابه وعليه حسابه * وفى صفر سنة أربعمائة شهر جماعة بعد ماضربوا بسبب بيع الفقاع والملوخيا والدلينس والترمس * وفي تاسع عشر شهر شوال أمر الحاكم بأمرالله برفع ما كان يؤخذ من الخمس والزكاة والفطرة والنجوي وأبطل قراءة مجالس الحكمة في القصر وأمر برد التثويب في الاذان وأذن للناس في صلاة الضحي وصلاة التراويح وأمر المؤذنين بأسرهم في الاذان بأن لايقولوا حي على خير العمل وأن يقولوا في الاذان للفجر الصلاة خير من النوم ثم أمر في ثاني عشرى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة باعادة قول حي على خير العمل في الاذان وقطع التثويب وترك قولهم الصلاة خير من النوم ومنع من صلاة الضحي وصلاة التراويح وفتح باب الدعوة وأعيدت قراءة المجالس بالقصر على ما كانت وكان بين المنع من ذلك والاذن فيه خمسة أشهر وضرب في جمادى من هذه السنة جماعة وشهروا بسبب بيع الملوخيا والسمك الذى لاقشر له وشرب المسكرات وتتبع السكارى فضيق عليهم * وفي يوم الثلاثاء سابع عشرى شعبان سنة احدى وأربعمائة وقع قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقى الى سائر الشهود والامناء بخروج الامر المعظم بأن يكون الصوم يوم الجمعة والعيد يوم الاحد * وفي شعبان سنة اثنتين وأربعمائة قرئ سجل يشدد فيه النكير على بيع الملوخيا والفقاع والسمك الذى لاقشر له ومنع النساء من الاجتماع في المآتم ومن اتباع الجنائز وأحرق الحاكم بأمر الله في هذا الشهر الزبيب الذى وجد في مخازن التجار وأحرق ماوجد من الشطرنج وجمع صيادى السمك وحلفهم بالايمان المؤكدة أن لايصطادوا سمكا بغير قشر ومن فعل ذلك ضربت عنقه وأحرق فى خمسة عشر يوما ألفين وثمانمائة وأربعين قطعة زبيب بلغ ثمن النفقة عليها خمسمائة دينار ومنع من بيع العنب الا أربعة ارطال فما دونها ومنع من اعتصاره وطرح عنبا كثيرا فى الطرقات وأمر بدوسه فامتنع الناس من التظاهر

بشيء من العنب في الاسواق واشتد الامر فيه وغرق منه ماحمل في النيل وأحصى مابالجيزة من الكروم فقطف ماعليها من العنب وطرح ماجمعه من ذلك تحت أرجل البقر لتدوسه وفعل مثل ذلك في جهات كثيرة وختم على مخازن العسل وغرق منه في أربعة أيام خمسة آلاف جرة واحدى وخمسين جرة فيها العسل وغرق من عسل النحل قدر احدي وخمسين زيراً * وفي جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة اشتد الانكار على الناس بسبب بيع الفقاع والزبيب والسمك الذي لاقشر له وقبض على جماعة وجد عندهم زبيب فضربت أعناقهم وسجنت عدة منهم وأطلقوا * وفي شوال اعتقل رجل ثم شهر ونودى عليه هذا جزاء من سب أبا بكر وعمر ويثير الفتن فاجتمع خلق كثير بباب القصر فاستغاثوا لاطاقة لنا بمخالفة المصريين ولا بمخالفة الحشوية من العوام ولا صبر لنا على ماجرى وكتبوا قصصاً فصرفوا ووعدوا بالمجيء في غد فبات كثير منهم بباب القصر واجتمعوا من الغد فصاحوا وضجوا فخرج اليهم قائد القواد غبن فنهاهم وأمرهم عن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أن يمضوا الى معايشهم فانصرفوا الى قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي وشكوا اليه فتبرم من ذلك فمضوا وفيهم من يسب السلف ويعرض بالناس فقرئ سجل في القصر بالترحم على السلف من الصحابة والنهي عن الخوض في ذلك وركن مرة فرأى لوحا على قيسارية فيه سب السلف فانكره وما زال واقفاً حتى قلع وضرب بالجرس في سائر طرقات مصر والقاهرة وقرئ سجل بتتبع الالواح المنصوبة علي سائر أبواب القياسر والحوانيت والدور والخانات والارباع المشتملة على ذكر الصحابة والسلف الصالح رحمهم الله بالسب واللعن وقلع ذلك وكسره وتعفية أثره ومحوما على الحيطان من هذه الكتابة وازالة جميعها من سائر الجهات حتى لايرى لها أثر في جدار ولا نقش في لوح وحذر فيه من المخالفة وهدد بالعقوبة ثم انتقض ذلك كله وعاد الامر الى ما كان عليه الى أن قتل الخليفة الآمر بأحكام الله أبوعلى منصور بن المستعلى بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد وثار أبو علي أحمد الملقب كتيفات بن الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش واستولى علي الوزارة في سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسجن الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد ابن الامير أبي القاسم محمد ابن الخليفة المستنصر بالله وأعلن بمذهب الامامية والدعوة للامام المنتظر وضرب دراهم نقشها الله الصمد الامام محمد ورتب في سنة خمس وعشرين أربعة قضاة اثنان أحدهما امامي والآخر اسماعيلي واثنان أحدهما مالكي والآخر شافعي فحكم كل منهما بمذهبه وورث علي مقتضاه وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الصادق وأبطل من الاذان حي على خير العمل وقولهم محمد وعلى خير البشر فلما قتل في المحرم سنة ست وعشرين عاد الامر الى ما كان عليه من مذهب الاسماعيلية وما برح حتى قدمت عساكر الملك العادل نور الدين محمود بن

زنكي من دمشق عليها أسد الدين شيركوه وولي وزارة مصر للخليفة العاضد لدين الله أبي محمد عبدالله ابن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله ومات فقام في الوزارة بعده ابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة وشرع في تغيير الدولة وازالتها وحجر على العاضد وأوقع بامراء الدولة وعساكرها وأنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية ومدرسة للفقهاء المالكية وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس المارانى الشافعى فلم يستنب عنه في اقليم مصر الا من كان شافعى المذهب فتظاهر الناس من حينئذ بمذهب مالك والشافعى واختفى مذهب الشيعة والاسماعيلية والامامية حتى فقد من أرض مصر كلها وكذلك كان السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر حنفيا فيه تعصب فنشر مذهب أبي حنيفة رحمه الله ببلاد الشام ومنه كثرت الحنفية بمصر وقدم اليها أيضاً عدة من بلاد الشرق وبني لهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المدرسة السيوفية بالقاهرة ومازال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ * وأما العقائد فان السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الاشعرى تلميذ أبي على الجبائي وشرط ذلك في أوقافه التى بديار مصر كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الامام الشافعي من القرافة والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفية بجوار جامع عمرو بن العاص بمصر والمدرسة المعروفة بالقمحية بمصر وخانكاه سعيد السعداء بالقاهرة فاستمر الحال على عقيدة الاشعري بديار مصر وبلاد الشام وأرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب أيضاً لادخال محمد بن تومرت رأى الاشعري اليها حتي انه صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد بحيث ان من خالفه ضرب عنقه والامر على ذلك الى اليوم ولم يكن فى الدولة الايوبية بمصر كثير ذكر لمذهب أبي حنيفة واحمد بن حنبل ثم اشتهر مذهب أبى حنيفة واحمد بن حنبل فى آخرها * فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ولى بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعي ومالكى وحنفى وحنبلي فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمائة حتى لم يبق فى مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الاسلام سوى هذه المذاهب الاربعة وعقيدة الاشعرى وعملت لاهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط فى سائر ممالك الاسلام وعودي من تمذهب بغيرها وانكر عليه ولم يول قاض ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس أحد مالم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب وأفتى فقهاء هذه الامصار فى طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ماعداها والعمل على هذا الى اليوم واذ قد بينا الحال فى سبب اختلاف الامة منذ توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم الى أن استقر العمل علي

مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل رحمة الله عليهم فلنذكر اختلاف عقائد أهل الاسلام منذ كان الى أن التزم الناس عقيدة الشيخ أبي الحسن الاشعري رحمه الله ورضي عنه

(ذكر فرق الخليقة واختلاف عقائدها وتباينها)

اعلم أن الذين تكلموا في أصول الديانات قسمان هما من خالف ملة الاسلام ومن أقر بها * فأما المخالفون لملة الاسلام فهم عشر طوائف * الاولى الدهرية * والثانية أصحاب العناصر * والثالثة الثنوية وهم المجوس ويقولون بأصلين هما النور والظلمة ويزعمون أن النور هو يزدان والظلمة هواهرمن ويقرون بنبوة ابراهيم عليه السلام وهم ثمان فرق الكيومرثية أصحاب كيومرت الذي يقال انه آدم والزروانية أصحاب زروان الكبير والزرادشتية أصحاب زرادشت بن بيورشت الحكيم والثنوية أصحاب الاثنين الازليين والمانوية أصحاب ماني الحكيم والمزركية أصحاب مزرك الخارجي والبيصانية أصحاب بيصان القائل بالاصلين القديمين والفرقونية القائلون بالاصلين وان الشر خرج على أبيه وانه تولد من فكرة فكرها في نفسه فلما خرج على أبيه الذي هو الاله بزعمهم عجز عنه ثم وقع الصلح بينهما على يد الندمات وهم الملائكة ومنهم من يقول بالتناسخ ومنهم من ينكر الشرائع والانبياء ويحكمون العقول ويزعمون أن النفوس العلوية تفيض عليهم الفضائل * والطائفة الرابعة الطبائعيون * والطائفة الخامسة الصابئة القائلون بالهياكل والارباب السماوية والاصنام الارضية وانكار النبوات وهم أصناف وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملطية ومنهم أصحاب الروحانيات وهم عباد الكواكب وأصنامها التي عملت على تمثالها والحنفاء هم القائلون بأن الروحانيات منها ماوجودها بالقوة ومنها ماوجودها بالفعل فما هو بالقوة يحتاج الى من يوجده بالفعل ويقرون بنبوة ابراهيم وانه منهم وهم طوائف الكاظمة أصحاب كاظم بن تارح ومن قوله أن الحق في الجمع بين شريعة ادريس وشريعة نوح وشريعة ابراهيم عليهم السلام ومنهم البيدانية أصحاب بيدان الاصغر ومن قوله اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح وأن النبوة من أسرار الالهية ومنهم القنطارية أصحاب قنطار بن ارفخشد ويقر بنبوة نوح ومن فرق الصابئة أصحاب الهياكل ويرون أن الشمس اله كل اله والحرانية ومن قولهم المعبود واحد بالذات وكثير بالاشخاص في رأى العين وهي المدبرات السبع من الكواكب والارضية الجزئية والعالمة الفاضلة *والطائفة السادسة اليهود * والسابعة النصارى *والثامنة أهل الهند القائلون بعبادة الاصنام ويزعمون أنها موضوعة قبل آدم ولهم حكم عقلية وأحكام وضعها الشلم أعظم حكامهم والمهندم قبله والبراهمة قبل ذلك فالبراهمة أصحاب برهام أول من أنكر نبوة البشر ومنهم البردة زهاد عباد رجال الرباد الذين يهجرون اللذات الطبيعية

وأصحاب الرياضة التامة وأصحاب التناسخ وهم أقسام الروحانية والبهادرية والناسوتية والباهرية والكابالية أهل الحيل ومنهم الطبيعيون أصحاب الرياضة الفاعلة حتى ان منهم من يجاهد نفسه حتى يسلطها على جسده فيصعد فى الهواء على قدر قوته وفي اليهود عباد النار وعباد الشمس والقمر والنجوم وعباد الاوثان *والطائفة التاسعة الزنادقة وهم طوائف منهم القرامطة * والعاشرة الفلاسفة أصحاب الفلسفة وكلمة فيلسوف معناها محب الحكمة فان فيلو محب وسوفا حكمة والحكمة قولية وفعلية وعلم الحكماء انحصر فى أربعة أنواع الطبيعي والمدني والرياضى والالهي والمجموع ينصرف الى علم ما وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذى يطلب فيه ماهيات الاشياء هو الالهي والذى يطلب فيه كيفيات الاشياء هو الطبيعي والذى يطلب فيه كميات الاشياء هو الرياضى ووضع بعد ذلك أرسطو صنعة المنطق وكانت بالقوة فى كلام القدماء فأظهرها ورتبها واسم الفلاسفة يطلق على جماعة من الهند وهم الطبيعيون والبراهمة ولهم رياضة شديدة وينكرون النبوة أصلا ويطلق أيضاً على العرب بوجه أنقص وحكمتهم ترجع الى أفكارهم و الى ملاحظة طبيعية ويقرون بالنبوات وهم أضعف الناس فى العلوم ومن الفلاسفة حكماء الروم وهم طبقات فمنهم أساطين الحكمة وهم أقدمهم ومنهم المشاؤون وأصحاب الرواق وأصحاب أرسطو وفلاسفة الاسلام * فمن فلاسفة الروم الحكماء السبعة أساطين الحكمة أهل ملطية وقونية وهم ثاليس الملطى وانكساغورس وانكسمالس وابنادقيس وفيثاغورس وسقراط وافلاطون * ودون هؤلاء فلوطس وبقراط وديمقراطيس وأسعزوالناس * ومنهم حكماء الاصول من القدماء ولهم القول بالسيمياء ولهم أسرار الخواص والحيل والكيمياء والاسماء الفعالة والحروف ولهم علوم توافق علوم الهند وعلوم اليونانيين وليس من موضوع كتابنا هذا ذكر تراجمهم فلذلك تركناها

(القسم الثاني فرق أهل الاسلام) الذين عناهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة ثنتان وسبعون هالكة وواحدة ناجية وهذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على احدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة قال البيهقى حسن صحيح وأخرجه الحاكم وابن حبان فى صحيحه بنحوه فأخرجه في المستدرك من طريق الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبى هريرة به وقال هذا حديث كثير في الاصول وقد روى عن سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وعوف بن مالك عن رسول الله صلي الله عليه وسلم بمثله وقد احتج مسلم بمحمد ابن عمرو عن أبى سلمة عن أبي هريرة واتفقا جميعا على الاحتجاج بالفضل ابن

موسى وهوثقة * واعلم أن فرق المسلمين خمسة أهل السنة والمرجئة والمعتزلة والشيعة والخوارج وقد افترقت كل فرقة منها على فرق فأكثر افتراق أهل السنة في الفتيا ونبذ ابن يسيرة من الاعتقادات وبقية الفرق الاربع منها من يخالف أهل السنة الخلاف البعيد ومنهم من يخالفهم الخلاف القريب فأقرب فرق المرجئة من قال الايمان انما هو التصديق بالقلب واللسان معا فقط وان الاعمال انما هي فرائض الايمان وشرائعه فقط وأبعدهم أصحاب جهم بن صفوان ومحمد بن كرام وأقرب فرق المعتزلة أصحاب الحسين النجار وبشر بن غياث المريسي وأبعدهم أصحاب أبي الهذيل العلاف وأقرب مذاهب الشيعة أصحاب الحسن بن صالح ابن حي وأبعدهم الامامية وأما الغالية فليسوا بمسلمين ولكنهم اهل ردة وشرك وأقرب فرق الخوارج أصحاب عبد الله بن يزيد الاباضي وأبعدهم الازارقة وأما البطيخية ومن جحد شيئاً من القرآن أو فارق الاجماع من العجاردة وغيرهم فكفار باجماع الامة وقد انحصرت الفرق الهالكة في عشر طوائف

* (الفرقة الاولى المعتزلة) * الغلاة في نفي الصفات الالهية القائلون بالعدل والتوحيد وأن المعارف كلها عقلية حصولا ووجوبا قبل الشرع وبعده وا كثرهم على أن الامامة بالاختيار وهم عشرون فرقة * احداها الواصلية * أصحاب واصل بن عطاء أبي حذيفة الغزال مولى بنى ضبة وقيل مولى بني مخزوم ولد بالمدينة سنة ثمانين ونشأ بالبصرة ولقي أبا هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية ولازم مجلس الحسن بن الحسين البصرى وأكثر من الجلوس بسوق الغزل ليعرف النساء المتعففات فيصرف اليهن صدقته فقيل له الغزال من اجل ذلك وكان طويل العنق جدا حتي عابه عمرو بن عبيد بذلك فقال من هذه عنقه لاخير عنده فلما برع واصل قال عمرو ربما اخطأت الفراسة وكان يلثغ بالراء ومع ذلك كان فصيحا لسنا مقتدرا على الكلام قد أخذ بجوامعه فلذلك أمكنه أن أسقط حرف الراء من كلامه واجتناب الحروف صعب جدا لاسيما مثل الراء لكثرة استعمالها وله رسالة طويلة لم يذكر فيها حرف الراء أحد بدائع الكلام وكان لكثرة صمته يظن به الخرس توفى سنة احدى وثلاثين ومائة وله كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب الفتيا وكتاب التوحيد وعنه أخذ جماعة وأخباره كثيرة ويقال لهم أيضاً الحسنية نسبة الى الحسن البصرى وأخذ واصل العلم عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وخالفه في الامامة واعتزاله على أربع قواعد هى نفي الصفات والقول بالقدر والقول بمنزلة بين المنزلتين وأوجب الخلود فى النار على من ارتكب كبيرة فلما بلغ الحسن البصرى عنه هذا قال هؤلاء اعتزلوا فسموا من حينئذ المعتزلة وقيل ان تسميتهم بذلك حدثت بعد الحسن وذلك أن عمرو بن عبيد لما مات الحسن وجلس قتادة مجلسه اعتزله في نفر معه فسماهم قتادة المعتزلة القاعدة الرابعة القول بأن احدى الطائفتين من

أصحاب الجمل وصفين مخطئة لا بعينها وكان فى خلافة هشام بن عبد الملك * والثانية العمروية * اصحاب عمرو ومن قوله ترك قول على بن أبي طالب وطلحة والزبير رضى الله عنهم وقال أبن منبه اعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن فسموا المعتزلة * والثالثة الهذلية * أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة أخذ عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء ونظر في الفلسفة ووافقهم فى كثير وقال جميع الطاعات من الفرائض والنوافل ايمان وانفرد بعشر مسائل وهى أن علم الله وقدرته وحياته هى ذاته وأثبت ارادات لامحل لها يكون البارى مريدا لها وقال بعض كلام الله لافي محل وهو قوله كن وبعضه في محل كالامر والنهي وقال في امور الآخرة كمذهب الجبرية وقال تنتهى مقدورات الله حتى لايقدر على احداث شئ ولا على افناء شئ ولا احياء شئ ولا اماتة شئ وتنقطع حركات أهل الجنة والنار ويصيرون الى سكون دائم وقال الاستطاعة عرض من الاعراض نحو السلامة والصحة وفرق بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح وقال تجب معرفة الله قبل ورود السمع وان المرء المقتول ان لم يقتل مات فى ذلك الوقت ولا يزاد العلم ولا ينقص بخلاف الرزق وقال ارادة الله عين المراد والحجة لاتقوم فيما غاب الا بخبر عشرين * والرابعة النظامية * أتباع ابراهيم بن سيار النظام بتشديد الظاء المعجمة زعيم المعتزلة وأحد السفهاء انفرد بعدة مسائل وهي قوله ان الله تعالى لايوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى وانها غير مقدورة لله وقال ليس لله ارادة وأفعال العباد كلها حركات والنفس والروح هو الانسان والبدن انما هو آلة فقط وان كل ماجاوز القدرة من الفعل فهو من الله وهو فعله وانكر الجوهر الفرد وأحدث القول بالطفرة وقال الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت وزعم أن الله خلق الموجودات دفعة على ماهى عليه وان الاعجاز في القرآن من حيث الاخبار عن الغيب فقط وانكر أن يكون الاجماع حجة وطعن فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال قبحه الله أبو هريرة أكذب الناس وزعم انه ضرب فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنع ميراث العترة وأوجب معرفة الله بالفكر قبل ورود الشرع وحرم نكاح الموالي العربيات وقال لاتجوز صلاة التراويح ونهى عن ميقات الحج وكذب بانشقاق القمر وأحال رؤية الجن وزعم أن من سرق مائتى دينار فما دونها لم يفسق وان الطلاق بالكتابة لايقع وان كان بنية وان من نام مضطجعا لاينتقض وضوؤه مالم يخرج منه الحدث وقال لايلزم قضاء الصلوات اذا فاتت * والخامسة الاسوارية * أتباع أبي علي عمرو بن قائد الاسوارى القائل ان الله تعالى لايقدر أن يفعل ماعلم أنه لا يفعله * والسادسة الاسكافية * أتباع أبي جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى ومن قوله ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ويقدر على ظلم الاطفال والمجانين وانه لايقال ان الله خالق المعازف والطنابير وان كان هو الذى خالق أجسامها * والسابعة الجعفرية * أتباع

جعفر بن حرب بن ميسرة ومن قوله ان فى فساق هذه الامة من هو شر من اليهود والنصارى والمجوس وأسقط الحد عن شارب الخمر وزعم أن الصغار من الذنوب توجب تخليد فاعلها فى النار وأن رجلا لو بعث رسولا الى امرأة ليخطبها فجاءته فوطئها من غير عقد لم يكن عليه حد ويكون وطؤه اياها طلاقا لها * والثامنة البشرية * أتباع بشر بن المعتمر ومن قوله الطعم واللون والرائحة والادراكات كلها من السمع يجوز أن تحصل متولدة وصرف الاستطاعة الى سلامة البنية والجوارح وقال لو عذب الله الطفل الصغير لكان ظالما وهو يقدر على ذلك وقال ارادة الله من جملة أفعاله ثم هي تنقسم الى صفة فعل وصفة ذات وقال باللطف المخزون وأن الله لم يخلقه لان ذلك يوجب عليه الثواب وان التوبة الاولى متوقفة على الثانية وانها لا تنفع الا بعدم الوقوع في الذي وقع فيه فان وقع لم تنفعه التوبة الاولى * والتاسعة المزدارية * أتباع أبي موسى عيسى بن صبيح المعروف بالمزدار تلميذ بشر بن المعتمر وكان زاهدا وقيل له راهب المعتزلة وانفرد بمسائل منها قوله ان الله قادر على أن يظلم ويكذب ولا يطعن ذلك في الربوبية وجوز وقوع الفعل الواحد من فاعلين على سبيل التولد وزعم أن القرآن مما يقدر عليه وأن بلاغته وفصاحته لا تعجز الناس بل يقدرون على الاتيان بمثلها وأحسن منها وهو أول المعتزلة في القول بخلق القرآن وقال من أجاز رؤية الله بالابصار بلا كيف فهو كافر والشاك فى كفره كافر أيضاً * والعاشرة الهشامية * أتباع هشام بن عمرو الفوطى الذي يبالغ في القدر ولا ينسب الى الله فعلا من الافعال حتى انه أنكر أن يكون الله هو الذى ألف بين قلوب المؤمنين وانه يحبب الايمان للمؤمنين وانه أضل الكافرين وعاند مافى القرآن من ذلك وقال لا تنعقد الامامة في زمن الفتنة واختلاف الناس وان الجنة والنار غير مخلوقتين ومنع أن يقال حسبنا الله ونعم الوكيل وقال لان الوكيل دون الموكل وقال لو أسبغ أحد الوضوء ودخل في الصلاة بنية القربة لله تعالي والعزم على اتمامها وركع وسجد مخلصاً في ذلك كله الا أن الله علم أنه يقطعها فى آخرها فان أول صلاته معصية ومنع أن يكون البحر انفلق لموسى وأن عصاه انقلبت حية وأن عيسى أحيي الموتي باذن الله وأن القمر انشق للنبى صلى الله عليه وسلم وانكر كثيراً من الامور التى تواترت كحصر عثمان بن عفان رضى الله عنه وقتله بالغلبة وقال انما جاءته شرذمة قليلة تشكو عماله ودخلوا عليه وقتلوه فلا يدرى قاتله وقال ان طلحة والزبير وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهم ماجاؤا للقتال في حرب الجمل وانما برزوا للمشاورة وتقاتل أتباع الفريقين في ناحية أخرى وان الامة اذا اجتمعت كلها وتركت الظلم والفساد احتاجت الى امام يسوسها فأما اذا عصت وفجرت وقتلت واليها فلا تنعقد الامامة لاحد وبنى على ذلك أن امامة علي رضى الله عنه لم تنعقد لانها كانت في حال الفتنة بعد قتل عثمان وهو أيضاً مذهب الاصم وواصل بن عطاء وعمرو بن

عبيد وأنكر اقتضاض الابكار في الجنة وأنكر أن الشيطان يدخل في الانسان وانما يوسوس له من خارج والله يوصل وسوسته الى قلب ابن آدم وقال لايقال خالق الله الكافر لانه اسم العبد والكفر جميعاً وأنكر أن يكون في أسماء الله الضار النافع * والحادية عشر الحائطية * أتباع أحمد بن حائط أحد أصحاب ابراهيم بن سيار النظام وله بدع شنيعة منها أن للخالق الهين أحدهما خالق وهو الاله القديم والآخر مخلوق وهو عيسى بن مريم وزعم أن المسيح ابن الله وانه هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة وانه هو المعنى بقول الله تعالى في القرآن هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وزعم في قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم علي صورته أن معناه خلقه اياه علي صورة نفسه وان معنى قوله عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر انما أراد به عيسي وزعم أن في الدواب والطيور والحشرات حتي البق والبعوض والذباب انبياء لقول الله سبحانه وان من أمة الا خلا فيها نذير وقوله تعالى ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها وذهب مع ذلك الى القول بالتناسخ وزعم أن الله ابتدأ الخلق في الجنة وانما خرج من خرج منها بالمعصية وطعن في النبي صلي الله عليه وسلم من أجل تعدد نكاحه وقال أن أباذر الغفارى انسك وأزهد منه قبحه الله وزعم أن كل من نال خيراً في الدنيا انما هو بعمل كان منه ومن ناله مرض أو آفة فبذنب كان منه وزعم أن روح الله تناسخت في الائمة * والثانية عشر الحمارية * أتباع قوم من معتزلة عسكرمكرم ومن مذهبهم أن الممسوخ انسان كافر معتقد الكفر وان النظر أوجب المعرفة وهو لافاعل له وكذلك الجماع أوجب الولد فشك في خالق الولد وان الانسان يخلق انواعا من الحيوانات بطريق التعفين وزعموا أنه يجوز أن يقدر الله العبد على خلق الحياة والقدرة * والثالثة عشر المعمرية * أتباع معمر بن عباد السلمى وهو أعظم القدرية غلوا وبالغ في رفع الصفات والقدرة بالجملة وانفرد بمسائل منها أن الانسان يدبر الجسد وليس بحال فيه والانسان عنده ليس بطويل ولا عريض ولاذي لون وتأليف وحركة ولا حال ولامتمكن وأن الانسان شيء غير هذا الجسد وهو حى عالم قادر مختار وليس هو بمتحرك ولا ساكن ولامتلون ولا يرى ولايلمس ولا يحل موضعا ولا يحويه مكان فوصف الانسان بوصف الالهية عنده فان مدبر العالم موصوف عنده كذلك وزعم ان الانسان منعم في الحياة وموزر في النار وليس هو في الجنة ولا في النار حالا ولا متمكنا وقال ان الله لم يخلق غير الاجسام والاعراض تابعة لها متولدة منها وأن الاعراض لاتتناهى في كل نوع وأن الارادة من الله للشيء غير الله وغير خلقه وان الله ليس بقديم لان ذلك أخذ من قدم يقدم فهو قديم * والرابعة عشر الثمامية * أتباع ثمامة بن اشرس

النمبري وجمع بين النقائض وقال العلوم كلها ضرورية فكل من لم يضطر الى معرفة الله فليس بمأمور بها وهو كالبهائم ونحوها وزعم أن اليهود والنصاري والزنادقة يصيرون يوم القيامة ترابا كالبهائم لاثواب لهم ولاعقاب عليهم البتة لانهم غير مأمورين اذهم غير مضطرين الى معرفة الله تعالى وزعم أن الافعال كلها متولدة لافاعل لها وان الاستطاعة هي السلامة وصحة الجوارح وان العقل هو الذي يحسن ويقبح فتجب معرفة الله قبل ورود الشرع وأن لافعل للانسان الا الارادة وما عداها فهو حدث * والخامسة عشر الجاحظية * أتباع أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وله مسائل تميز بها عن أصحابه منها أن المعارف كلها ضرورية وليس شئ من ذلك من أفعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة وان العباد لايخلدون في النار بل يصيرون من طبيعتها وان الله لايدخل أحدا النار وانما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها وان القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن أن يصير مرة رجلا ومرة حيوانا وان الله لايريد المعاصي وانه لايرى وان الله يريد بمعنى انه لايغلط ولا يصح في حقه السهو فقط وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام * والسادسة عشر الخياطية * أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط شيخ أبي القاسم الكعبي من معتزلة بغداد زعم أن المعدوم شيء وانه في العدم جسم ان كان في حدوثه جسما وعرض ان كان في حدوثه عرضا * والسابعة عشر الكعبية * أتباع أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي من معتزلة بغداد انفرد بأشياء منها أن ارادة الله ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مدبر لذاته ولا ارادته حادثة في محل وانما يرجع ذلك الى العلم فقط والسمع والبصر يرجع الى ذلك أيضاً وأنكر الرؤية وقال اذا قلنا انه يرى المرئيات فانما ذلك يرجع الى علمه بها وتمييزها قبل أن توجد * والثامنة عشر الجبائية * أتباع أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي من معتزلة البصرة تفرد بمقالات منها أن الله تعالى يسمى مطيعاً للعبد اذا فعل ماأراد العبد منه وأن الله محبل للنساء بخلق الولد فيهن وأن كلام الله عرض يوجد في امكنة كثيرة وفي مكان بعد مكان من غير أن يعدم من مكانه الاول ثم يحدث في الثاني وكان يقف في فضل علي على أبي بكر وفضل ابي بكر على علي ومع ذلك يقول ان ابا بكر خير من عمر وعثمان ولايقول ان عليا خير من عمر وعثمان * والتاسعة عشرة البهشمية * أتباع أبي هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي انفرد ببدع في مقالاته منها القول باستحقاق الذم من غير ذنب وزعم أن القادر منا يجوز أن يخلو عن الفعل والترك وأن القادر المأمور المنهي اذا لم يفعل فعلا ولاترك يكون عاصيا مستحق العقاب والذم لا على الفعل لانه لم يفعل ماأمر به وان الله يعذب الكافرين والعصاة لا على فعل مكتسب ولا على محدث منه وقال التوبة لاتصح من قبيح مع الاصرار على قبيح آخر يعلمه أو يعتقده قبيحا وان كان حسنا وان التوبة لاتصح مع الاصرار على منع حسنة واجبة عليه وان توبة

الزاني بعد ضعفه عن الجماع لاتصح وزعم أن الطهارة غير واجبة وانما أمر العبد بالصلاة في حال كونه متطهراوان الطهارة تجزئ بالماء المغصوب ولاتجزئ الصلاة في الارض المغصوبة وزعم أن الزنج والترك والهنود قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وقال أبو علي وابنه أبو هاشم الايمان هو الطاعات المفروضة * والفرقة العشرون من المعتزلة الشيطانية * أتباع محمد بن نعمان المعروف بشيطان الطاق وهو من الروافض شارك كلا من المعتزلة والروافض في بدعهم وقلما يوجد معتزلي الا وهو رافضي الا قليلا منهم انفرد بطامة وهي ان الله لايعلم الشئ الا ما قدره وأراده وأما قبل تقديره فيستحيل أن يعلمه ولو كان عالما بأفعال عباده لاستحال أن يمتحنهم ويختبرهم وللمعتزلة اسام منها الثنوية سموا بذلك لقولهم الخير من الله والشر من العبد ومنهم الكيسانية والناكتية والاحمدية والوهمية والبترية والواسطية والواردية سموا بذلك لقولهم لايدخل المؤمنون النار وانما يردون عليها ومن أدخل النار لايخرج منها قط ومنهم الحرقية لقولهم الكفار لاتحرق الا مرة والمفنية القائلون بفناء الجنة والنار والواقفية القائلون بالوقف في خلق القرآن ومنهم اللفظية القائلون ألفاظ القرآن غير مخلوقة والملتزقة القائلون الله بكل مكان والقبرية القائلون بانكار عذاب القبر

(الفرقة الثانية المشبهة) وهم يغلون في اثبات صفات الله تعالى ضد المعتزلة وهم سبع فرق * الهشامية * أتباع هشام بن الحكم ويقال لهم أيضاً الحكمية ومن قولهم الاله تعالى كنور السبيكة الصافية يتلألأ من جوانبه ويرمون مقاتل بن سليمان بأنه قال هو لحم ودم على صورة الانسان وهو طويل عريض عميق وان طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه وهو ذو لون وطعم ورائحة وهو سبعة أشبار بشبر نفسه ولم يصح هذا القول عن مقاتل * والجولقية * أتباع هشام بن سالم الجولقي وهو من الرافضة أيضاً ومن شنيع قوله أن الله تعالى على صورة الانسان نصفه الاعلى مجوف ونصفه الاسفل مصمت وله شعر أسود وليس بلحم ودم بل هو نور ساطع وله خمس حواس كحواس الانسان ويد ورجل وفم وعين وأذن وشعر أسود لا الفرج واللحية * والبيانية أتباع بيان بن سمعان القائل هو على صورة الانسان ويهلك كله الا وجهه لظاهر الآية كل شيء هالك الا وجهه * والمغيرية أتباع مغيرة ابن سعيد العجلي وهو أيضاً من الروافض ومن شنائعه قوله ان أعضاء معبودهم على صورة حروف الهجاء فالالف على صورة قدميه وزعم أنه رجل من نور على رأسه تاج من نور وزعم أن الله كتب باصبعه أعمال العباد من طاعة ومعصية ونظر فيهما وغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران عذب ومالح وزعم أنه بكل مكان لايخلو عنه مكان * والمنهالية أصحاب منهال بن ميمون * والزرارية أتباع زرارة بن أعين * واليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي وكلهم من الروافض وسيأتي ذكرهم ان شاء الله تعالى ومنهم أيضاً السابية

والشاكية والعملية والمستثنية والبدعية والعشرية والاثرية ومنهم الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني وهم طوائف الهيضمية والاسحاقية والجندية وغير ذلك الا أنهم يعدون فرقة واحدة لان بعضهم لايكفر بعضا وكلهم مجسمة الا أن فيهم من قال هو قائم بنفسه ومنهم من قال هو أجزاء مؤتلفة وله جهات ونهايات ومن قول الكرامية أن الايمان هو قول مفرد وهو قول لااله الا الله وسواء اعتقد أولا وزعموا أن الله جسم وله حد ونهاية من جهة السفل وتجوز عليه ملاقاة الاجسام التي تحته وانه على العرش والعرش مماس له وانه محل الحوادث من القول والارادة والادراكات والمرئيات والمسموعات وأن الله لو علم أحدا من عباده لايؤمن به لكان خلقه اياهم عبثا وأنه يجوز أن يعزل نبيا من الانبياء والرسل ويجوز عندهم على الانبياء كل ذنب لايوجب حدا ولا يسقط عدالة وانه يجب على الله تعالى تواتر الرسل وانه يجوز أن يكون امامان فى وقت واحد وأن عليا ومعاوية كانا امامين في وقت واحد الا أن عليا كان على السنة ومعاوية على خلافها وانفرد ابن كرام في الفقه باشياء منها ان المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان وأجاز الصلاة فى ثوب مستغرق في النجاسة وزعم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات تصح بغير نية وتكفى نية الاسلام وأن النية تجب في النوافل وانه يجوز الخروج من الصلاة بالاكل والشرب والجماع عمدا ثم البناء عليها وزعم بعض الكرامية أن لله علمين أحدهما يعلم به جميع المعلومات والآخر يعلم به العلم الاول

(الفرقة الثالثة القدرية) الغلاة فى اثبات القدرة للعبد في اثبات الخلق والايجاد وانه لايحتاج في ذلك الى معاونة من جهة الله تعالى

(الفرقة الرابعة المجبرة) الغلاة في نفى استطاعة العبد قبل الفعل وبعده ومعه ونفى الاختيار له ونفى الكسب وهاتان الفرقتان متضادتان ثم افترقت المجبرة على ثلاث فرق * الجهمية أتباع جهم بن صفوان الترمذى مولى راسب وقتل فى آخر دولة بنى أمية وهو ينفى الصفات الالهية كلها ويقول لايجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه وأن الانسان لايقدر على شئ ولا يوصف بالقدرة ولا الاستطاعة وان الجنة والنار يفنيان وتنقطع حركات أهلهما وان من عرف الله ولم ينطق بالايمان لم يكفر لان العلم لايزول بالصمت وهو مؤمن مع ذلك وقد كفره المعتزلة في نفى الاستطاعة وكفره أهل السنة بنفى الصفات وخلق القرآن ونفى الرؤية وانفرد بجواز الخروج على السلطان الجائر وزعم أن علم الله حادث لا بصفة يوصف بها غيره * والبكرية أتباع بكر ابن أخت عبد الواحد وهو يوافق النظام فى أن الانسان هو الروح ويزعم أن البارى تعالى يرى فى القيامة فى صورة يخلقها ويكلم الناس منها وأن صاحب الكبيرة منافق في الدرك الاسفل من النار وحاله أسوأ من حال الكافر وحرم أكل الثوم والبصل وأوجب الوضوء من قرقرة البطن * والضرارية أتباع ضرار

ابن عمر وانفرد باشياء منها أن الله تعالى يرى في القيامة بحاسة زائدة سادسة وانكر قراءة ابن مسعود وشك في دين عامة المسلمين وقال لعلهم كفار وزعم أن الجسم اعراض مجتمعة كما قالت النجارية ومن جملة المجبرة البطيخية اتباع اسماعيل البطيخي والصباحية أتباع أبي صباح بن معمر والفكرية والخوفية

(الفرقة الخامسة المرجئة) الارجاء اما مشتق من الرجاء لان المرجئة يرجون لاصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى فيقولون لايضر مع الايمان معصية كما أنه لاينفع مع الكفر طاعة أويكون مشتقا من الارجاء وهو التأخير لأنهم أخروا حكم أصحاب الكبائر الي الآخرة وحقيقة المرجئة أنهم الغلاة في اثبات الوعد والرجاء ونفي الوعيد والخوف عن المؤمنين وهم ثلاثة أصناف * صنف جمعوا بين الرجاء والقدر وهم غيلان وأبو شمر من بني حنيفة * وصنف جمعوا بين الارجاء والجبر مثل جهم بن صفوان * وصنف قال بالارجاء المحض وهم أربع فرق * اليونسية أتباع يونس بن عمرو وهو غير يونس بن عبد الرحمن القمي الرافضي زعم أن الايمان معرفة الله والخضوع له والمحبة والاقرار بأنه واحد ليس كمثله شئ * والغسانية أتباع غسان بن أبان الكوفي المنكر نبوة عيسى عليه السلام وتلمذ لمحمد بن الحسن الشيباني ومذهبه في الايمان كمذهب يونس الا انه يقول كل خصلة من خصال الايمان تسمي بعض الايمان ويونس يقول كل خصلة ليست بايمان ولا بعض ايمان وزعم غسان أن الايمان لايزيد ولا ينقص وعند أبي حنيفة رحمه الله الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان فلا يزيد ولا ينقص كقرص الشمس * والثوبانية أتباع ثوبان المرجي ثم الخارجي المعتزلي وكان يقال له جامع النقائص هاجر الخصائص ومن قوله الايمان هو المعرفة والاقرار والايمان فعل مايجب في العقل فعله فأوجب الايمان بالعقل قبل ورود الشرع وفارق الغسانية واليونسية في ذلك * والتؤمنية أتباع أبي معاذ التؤمني الفيلسوف زعم أن من ترك فريضة لايقال له فاسق على الاطلاق ولكن ترك الفريضة فسق وزعم أن هذه الخصال التي تكون جملتها ايمانا فواحدة ليست بايمان ولا بعض ايمان وأن من قتل نبيا كفر لا لاجل القتل بل لاستخفافه به وبغضه له * ومن فرق المرجئة المريسية اتباع بشر بن غياث المريسي كان عراقي المذهب في الفقه تلميذا للقاضي أبي يوسف يعقوب الحضرمي وقال بنفي الصفات وخلق القرآن فأكفرته الصفاتية بذلك وزعم أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالي ولاالاستطاعة مع الفعل فأكفرته المعتزلة بذلك وزعم أن الايمان هو التصديق بالقلب وهو مذهب ابن الربوبدي ولما ناظره الشافعي في مسألة خلق القرآن ونفي الصفات قال له نصفك كافر لقولك بخلق القرآن ونفي الصفات ونصفك مؤمن لقولك بالقضاء والقدر وخلق اكتساب العباد وبشر معدود من المعتزلة لنفيه الصفات وقوله بخلق القرآن * ومن فرق المرجئة الصالحية

أتباع صالح بن عمرو بن صالح والجحدرية أتباع جحدر بن محمد التميمي والزيادية أتباع محمد ابن زياد الكوفي والشبيبية أتباع محمد بن شبيب والناقضية والبهشمية * ومن المرجئة جماعة من الائمة كسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب بن دثار وعمرو بن ذر وحماد ابن سليمان وأبي مقاتل وخالفوا القدرية والخوارج والمرجئة في أنهم لم يكفروا بالكبائر ولا حكموا بتخليد مرتكبها في النار ولا سبوا أحدا من الصحابة ولا وقعوا فيهم * وأول من وضع الارجاء أبو محمد الحسن بن محمد المعروف بابن الحنفية بن علي بن أبي طالب وتكلم فيه وصارت المرجئة بعده أربعة أنواع الاول مرجئة الخوارج الثاني مرجئة القدرية الثالث مرجئة الجبرية الرابع مرجئة الصالحية وكان الحسن بن محمد بن الحنفية يكتب كتبه الى الامصار يدعو الى الارجاء الا انه لم يؤخر العمل عن الايمان كما قال بعضهم بل قال أداء الطاعات وترك المعاصي ليس من الايمان لا يزول بزوالها وقال ابن قتيبة أول من وضع الارجاء بالبصرة حسان بن بلال بن الحارث المزني وذكر بعضهم أن أول من وضع الارجاء أبا سلت السمان ومات سنة اثنتين وخمسين ومائة

* (الفرقة السادسة الحرورية) * الغلاة في اثبات الوعيد والخوف على المؤمنين والتخليد في النار مع وجود الايمان وهم قوم من النواصب الخوارج وهم مضادون المرجئة في النفي والاثبات والوعد والوعيد ومن مفرداتهم أن من ارتكب كبيرة فهو مشرك ومذهب عامة الخوارج انه كافر وليس بمشرك وقال بعضهم هو منافق في الدرك الاسفل من النار فعند الحرورية أن الاسم يتغير بارتكاب الكبيرة الواحدة فلا يسمى مؤمنا بل كافرا مشركا والحكم فيه انه يخلد في النار واتفقوا على أن الايمان هو اجتناب كل معصية وقيل لهم الحرورية لانهم خرجوا الى حروراء لقتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعدتهم اثنا عشر ألفاً ثم سار علي رضي الله عنه اليهم وناظرهم ثم قاتلهم وهم أربعة آلاف فانضم اليهم جماعة حتى بلغوا اثني عشر ألفاً

* (الفرقة السابعة النجارية) * أتباع الحسن بن محمد بن عبد الله النجار أبي عبد الله كان حائكا وقيل انه كان يعمل الموازين وانه كان من أهل قم كان من جملة المجبرة ومتكلميهم وله مع النظام عدة مناظرات منها انه ناظره مرة فلما لم يلحن بحجته رفسه النظام وقال له قم أخزى الله من ينسبك الى شيء من العلم والفهم فانصرف محموما واعتل حتى مات وهم أكثر معتزلة الري وجهاتها وهم يوافقون أهل السنة في مسألة القضاء والقدر واكتساب العباد وفي الوعد والوعيد وامامة أبي بكر رضي الله عنه ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات وخلق القرآن وفي الرؤية وهم ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة

* (الفرقة الثامنة الجهمية) * أتباع جهم بن صفوان وهم يوافقون أهل السنة في

مسألة القضاء والقدر مع ميل الى الجبر وينفون الصفات والرؤية ويقولون بخلق القرآن وهم فرقة عظيمة وعدادهم في المعطلة المجبرة

* (الفرقة التاسعة الروافض) * الغلاة في حب على بن أبي طالب وبغض أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية في آخرين من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وسموا رافضة لان زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم امتنع من لعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال هما وزيرا جدي محمد صلى الله عليه وسلم فرفضوا رأيه ومنهم من قال لانهم رفضوا رأى الصحابة رضى الله عنهم حيث بايعوا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما * وقد اختلف الناس في الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب الجمهور الى انه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال العباسية والربوبدية أتباع أبي هريرة الربوبدي وقيل أتباع أبي العباس الربوبدي هو العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه لانه العم والوارث فهو أحق من ابن العم وقال العثمانية وبنو أمية هو عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وذهب آخرون الى غير ذلك وقال الرافضة هو على بن أبي طالب ثم اختلفوا فى الامامة اختلافا كثيرا حتي بلغت فرقهم ثلثمائة فرقة والمشهور منها عشرون فرقة * الزيدية والصباحية اقروا امامة أبي بكر رضي الله عنه ورأوا انه لانص في امامة على رضي الله عنه واختلفوا فى امامة عثمان رضي الله عنه فأنكرها بعضهم وأقر بعضهم أنه الامام بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكن قالوا على أفضل من أبي بكر وامامة المفضول جائزة وقال الغلاة هو على بالنص ثم الحسن وبعده الحسين وصار بعد الحسين الامر شورى وقال بعضهم لم يرد النص الا بامامة على فقط وقال آخرون نص على علىّ بالوصف لابالعين والاسم وقال بعضهم قد جاء النص على امامة اثني عشر آخرهم المهدى المنتظر وفرقهم العشرون هى * الامامية وهم مختلفون فى الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعم اكثرهم أن الامامة في على بن أبي طالب وأولاده بنص النبي صلى الله عليه وسلم وأن الصحابة كلهم قد ارتدوا الا عليا وابنيه الحسن والحسين وأباذر الغفاري وسلمان الفارسي وطائفة يسيرة * وأول من تكلم في مذهب الامامية على بن اسماعيل بن هيثم التمار وكان من اصحاب علي بن ابى طالب وذهبت القطعية منهم الى أن الامامة في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في علي بن الحسين ثم فى محمد بن علي ثم في جعفر بن محمد ثم فى موسي بن جعفر ثم في علي بن موسي وقطعوا الامامة عليه فسموا القطعية لذلك ولم يكتبوا امامة محمد بن موسى ولا امامة الحسين بن محمد بن علي بن موسى وقالت الناروسية جعفر بن محمد لم يمت وهو حي ينتظر وقالت المباركية أتباع مبارك الامام بعد جعفر بن محمد ابنه اسماعيل بن جعفر ثم محمد بن اسماعيل وقالت الشميطية أتباع يحي ابن شميط الاحمسى كان مع المختار قائدا من قواده فانفذه اميرا على جيش البصرة يقاتل

مصعب بن الزبير فقتل بالمدار الامامة بعد جعفر في ابنه محمد وأولاده وقالت المعمرية أتباع معمر الامامة بعد جعفر في ابنه عبد الله بن جعفر وأولاده ويقال لهم الفطحية لان عبدالله ابن جعفر كان افطح الرجلين وقالت الواقفية الامام بعد جعفر ابنه موسي بن جعفر وهو حي لم يمت وهو الامام المنتظر وسموا الواقفيـة لوقوفهم علي امامة موسى وقالت الزرارية أتباع زرارة بن اعين الامام بعدجعفر ابنه عبد الله الا انه سأله عن مسـائل فلم يمكنه الجواب عنها فادعى امامة موسي بن جعفر من بعد ابيه وقالت المفضلية أتباع المفضل ابن عمر والامام بعد جعفر ابنه موسى وانه مات فانتقلت الامامة الى ابنه محمد بن موسى وقالت المفوضة من الامامية ان الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم وفوض اليه خلق العالم وتدبيره وقال بعضهم بل فوض ذلك الى علي بن أبي طالب * والفرقة الثانية من فرق الروافض الكيسانية أتباع كيسان مولى على بن أبي طالب وأخذ عن محمد بن الحنفية وقيل بل كيسان اسم المختار بن عبيد الثقفي الذي قام لاخذ ثار الحسين رضى الله عنه زعموا أن الامام بعد على ابنه محمد بن الحنفية لانه أعطاه الراية يوم الجمل ولان الحسين أوصي اليـه عند خروجه الى الكوفة ثم اختلفوا في الامام بعد ابن الحنفيـة فقال بعضهم رجع الامر بعده الى أولاد الحسن والحسين وقيل بل انتقل الى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وقالت الكربية أتباع أبي كرب بأن ابن الحنفيـة حي لم يمت وهو الامام المنتظر ومن قول الكيسانية أن البدا جائز على الله وهو كفر صريح * والفرقة الثالثة الخطابية أتباع ابى الخطاب محمد بن أبي ثور وقيل محمد بن أبي يزيد الاجدع ومذهبه الغلو في جعفر بن محمـد الصادق وهو أيضاً من المشبهة وأتباعه خمسون فرقة وكلهم متفقون على أن الائمة مثل على وأولاده كلهم أنبياء وانه لابد من رسولين لكل أمة أحدهما ناطق والآخر صامت فكان محمـد ناطقا وعلى صامتا وان جعفر بن محمد الصادق كان نبيا ثم انتقلت النبوة الى أبي الخطـاب الاجـدع وجوزوا كلهم شهادة الزور لموافقيهم وزعموا أنهم عالمون بما هو كائن الى يوم القيامة وقالت المعمرية منهم الامام بعد أبي الخطاب رجل اسمه معمر وزعموا أن الدنيـا لاتفنى وان الجنة هي مايصيبه الانسان من الخير في الدنيا والنار ضد ذلك وأباحوا شرب الخمر والزنى وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة وقالوا بالتناسخ وان الناس لايموتون وانما ترفع أرواحهم الى غيرهم وقالت البزيغية منهم ان جعفر بن محمد اله وليس هو الذى يراه الناس وانما تشبه على الناس وزعموا أن كل مؤمن يوحي اليه وأن منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد صلي الله عليه وسلم وزعموا أنهم يرون أمواتهم بكرة وعشيا وقالت العميرية منهم أتباع عمير بن بيان العجلي مثل ذلك كله وخالفوهم في أن الناس لايموتون وافترقت الخطابية بعد قتل أبي الخطاب فرقا منها فرقة زعمت أن الامام بعد أبي الخطاب عمير بن بيان العجلى

ومقالتهم كمقالة البزيغية الا أن هؤلاء اعترفوا بموتهم ونصبوا خيمة على كناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة جعفر الصادق فبلغ ذلك يزيد بن عمير فصلب عمير بن بيان فى كناسة الكوفة ومن فرقهم المفضلية أتباع مفضل الصيرفي زعم أن جعفر بن محمدالهفطرده ولعنه وزعمت الخطابية باجمعها أن جعفر بن محمد الصادق أودعهم جلدا يقال له جفر فيه كل مايحتاجون اليه من علم الغيب وتفسير القرآن وزعموا لعنهم الله أن قوله تعالى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة معناه عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وأن الخمر والميسر أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وأن الجبت والطاغوت معوية بنأبي سفيانوعمرو بن العاص رضى الله عنهما * والفرقة الرابعة الزيدية أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم القائلون بامامته وامامة من اجتمع فيه ست خصال العلم والزهد والشجاعة وأن يكون من أولاد فاطمة الزهراء رضى الله عنه حسنيا أوحسينيا ومنهم من زاد صباحة الوجه وأن لايكون فيه آفة وهم يوافقون المعتزلة في أصولهم كلها الا في مسألة الامامة وأخذ مذهب زيد بن على عن واصل بن عطاء وكان يفضل عليا علىأبي بكروعمر مع القول بامامتهما وهم أربع فرق الجارودية أتباع أبى الجارود ويكني أبا النجم زياد بن المنذر العبدى زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على امامة على بالوصف لابالتسمية وأن الناس كفروا بتركهم مبايعة على رضى الله عنه والحسن والحسين وأولادهما والجريرية أتباع سليم بن جرير ومن قوله لم يكفر الناس بتركهم مبايعة على بل اخطأ وابترك الافضل وهو على وكفروا الجارودية بتكفيرهم الصحابةالا انهم كفروا عثمان بنعفان بالاحداث التى احدثها وقالوا لم ينص على على امامة أحد وصار الامر من بعده شوري ومنهم البترية أتباع الحسن بن صالح بن كثير الابتر وقولهم ان عليا افضل واولى بالامامة غير ان ابا بكر كان اماما ولم تكن امامته خطأ ولا كفرا بل ترك على الامامة له واما عثمان فيتوقف فيه ومنهم اليعقوبية اتباع يعقوب وهم يقولون بأمامة ابى بكر وعمر ويتبرؤن ممن تبرأ منهما وينكرون رجعة الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة ويتبرؤن ممن دان بهاالا انهم متفقون على تفضيل علي على ابي بكر وعمر من غير تفسيقهما ولا تكفيرهما ولا لعنهما ولا الطعن على احد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين * والفرقة الخامسة السبائية اتباع عبد الله بن سبا الذى قال شفاها لعلى بن ابي طالب انت الاله وكان من اليهود ويقول فى يوشع بن نون مثل قوله ذلك في على وزعم ان عليا لم يقتل وانه حي لم يمتوانه فى السحاب وان الرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل الى الارض بعد حين قبحه الله * والفرقة السادسة الكاملية أتباع أبى كامل اكفر جميع الصحابة بتركهم بيعة علي وكفر عليا بتركه قتالهم وقال بتناسخ الانوار الالهية في الائمة *(والفرقة السابعة البيانية)* أتباع

بيان بن سمعان زعم أن روح الاله حل في الانبياء ثم في على وبعده فى محمد بن الحنفية ثم في ابنه ابى هاشم عبد الله بن محمد ثم حل بعد ابى هاشم في بيان بن سمعان يعني نفسه لعنه الله * والفرقة الثامنة المغيرة أتباع مغيرة بن سعيد العجلى مولى خالد ابن عبد الله طلب الامامة لنفسه بعد محمد بن عبد الله بن الحسن فخرج على خالد بن عبد الله القسرى بالكوفة في عشرين رجلا فعطعطوا به فقال خالد اطعمونى ماء وهو على المنبر فعير بذلك والمغيرة هذا قال بالتشبيه الفاحش وادعى النبوة وزعم أن معجزته علمه بالاسم الاعظم وانه يحيي الموتي وزعم أن الله لما اراد أن يخلق العالم كتب باصبعه أعمال عباده فغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مالح والآخر عذب فخلق من البحر العذب الشيعة وخلق الكفرة من البحر المالح وزعم أن المهدى يخرج وهو محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين بن على بن أبي طالب * والفرقة التاسعة الهشامية وهم صنفان أحدهما أتباع هشام بن الحكم والثاني أتباع هشام الجوالقى وهما يقولان لاتجوز المعصية على الامام وتجوز على الانبياء وأن محمدا عصى ربه في أخذ الفداء من أسرى بدر كذبا لعنهما الله وهما أيضاً مع ذلك من المشبهة * والفرقة العاشرة الزرارية أتباع زرارة بن أعين أحد الغلاة في الرفض ويزعم مع ذلك أن الله تعالى لم يكن فى الازل عالما ولا قادرا حتى اكتسب لنفسه جميع ذلك قبحه الله * والفرقة الحادية عشر الجناحية أتباع عبد الله بن معاوية ذي الجناحين ابن أبي طالب وزعم أنه اله وأن العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكمأة وان روح الاله دارت في الانبياء كما كانت في على وأولاده ثم صارت فيه ومذهبهم استحلال الخمر والميتة ونكاح المحارم وأنكروا القيامة وتأولوا قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات وزعموا أن كل مافي القرآن من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير كناية عن قوم يلزم بغضهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وكل مافى القرآن من الفرائض التي أمر الله بها كناية عمن يلزم موالاتهم مثل على والحسن والحسين وأولادهم * والثانية عشر المنصورية أتباع أبى منصور العجلى أحد الغلاة المشبهة زعم أن الامامة انتقلت اليه بعد محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب وأنه عرج به الى السماء بعد انتقال الامامة اليه وأن معبوده مسح بيده على رأسه وقال له يابنى بلغ عنى آية الكسف الساقط من السماء في قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم الآية وزعم أن أهل الجنة قوم تجب موالاتهم مثل على ابن أبي طالب وأولاده وأن أهل النار قوم تجب معاداتهم مثل أبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية رضى الله عنهم * والثالثة عشر الغرابية زعموا لعنهم الله أن جبريل أخطأ فانه أرسل الى على ابن أبى طالب فجاء الى محمد صلى الله عليه وسلم وجعلوا شعارهم اذا اجتمعوا أن يقولوا

العنوا صاحب الريش يعنون جبريل عليه السلام وعليهم اللعنة * والرابعة عشر الذمية بفتح الذال المعجمة زعموا أخذهم الله أن علي بن أبي طالب بعثه الله نبيا وانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ليظهر أمره فادعي النبوة لنفسه وأرضى عليا بأن زوجه ابنته ومولة ومنهم العليانية أتباع عليان بن ذراع السدوسي وقيل الاسدى كان يفضل عليا على النبى صلى الله عليه وسلم ويزعم أن عليا بعث محمدا وكان لعنه الله يذم النبي صلى الله عليه وسلم لزعمه أن محمدا بعث ليدعو الى على فدعا الى نفسه ومن العليانية من يقول بالهية محمد وعلى جميعا ويقدمون محمدا فى الالهية ويقال لهم الميمية ومنهم من قال بالهية خمسة وهم أصحاب الكساء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين وقالوا خمستهم شيء واحد والروح حالة فيهم بالسوية لافضل لواحد منهم على الآخر وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالهاء فقالوا فاطم قال بعضهم

توليت بعد الله فى الدين خمسة * نبيا وسبطيه وشيخا وفاطما

* والخامسة عشر اليونسية أتباع يونس بن عبد الله القمى أحد الغلاة المشبهة * والسادسة عشر الرزامية أتباع رزام بن سابق زعم أن الامامة انتقلت بعد على بن أبى طالب الى ابنه محمد بن الحنفية ثم الى ابنه أبى هاشم ثم الى على بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم الى ابنه محمد بن على فأوصى بها محمد الى أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح الظالم المتردد فى المذاهب الجاهل بحقوق أهل البيت * والسابعة عشر الشيطانية أتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق وقد شارك المعتزلة والرافضة في جميع مذهبهم وانفرد بأعظم الكفر قاتله الله وهو أنه زعم أن الله لا يعلم الشيء حتى يقدره وقبل ذلك يستحيل علمه * والثامنة عشر البسلمية وهم من الراوندية زعموا أن الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت في علي وأولاده الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ثم في أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وانتقلت منه الى علي بن عبد الله بن عباس بوصيته اليه ثم الى أبى العباس السفاح ثم الي أبي سلمة صاحب دولة بني العباس وقام بناحية كش فيما وراء النهر رجل من أهل مرو أعور يقال له هاشم ادعى أن أبا سلمة كان الهاً انتقل اليه روح الله ثم انتقل اليه بعده فانتشرت دعوته هناك واحتجب عن أصحابه واتخذ له وجها من ذهب فعرف بالمصيغ ثم ان أصحابه طلبوا رؤيته فوعدهم أن يريهم نفسه ان لم يحترقوا وعمل تجاه مرآه مرآة محرقة تعكس شعاع الشمس فلما دخلوا عليه احترق بعضهم ورجع الباقون وقد فتنوا واعتقدوا انه اله لا تدركه الابصار ونادوا في حروبهم بالهيته * والتاسعة عشر الجعفرية * والعشرون الصباحية وهم والزيدية أمثل الشيعة فانهم يقولون بامامة ابى بكر وانه لانص في امامة علي مع انه عندهم افضل وابو بكر مفضول * ومن فرق الروافض الحلوية والشاعية والشريكية يزعمون ان عليا شريك محمد صلى الله عليه وسلم والتناسخية القائلون ان الارواح تتناسخ واللاعنة والمخطئة

الذين يزعمون ان جبريل اخطأ والاسحاقية والخلفية الذين يقولون لاتجوز الصلاة خلف غير الامام والرجعية القائلون سيرجع علي بن ابي طالب وينتقم من اعدائه والمتربصية الذين يتربصون خروج المهدي والامرية والجبية والجلالية والكريبية أتباع ابي كريب الضرير والحزنية أتباع عبد الله بن عمرو الحزني

* (الفرقة العاشرة الخوارج) * ويقال لهم النواصب والحرورية نسبة الى حروراء موضع خرج فيه أولهم على علي رضى الله عنه وهم الغلاة في حب أبي بكر وعمر وبغض على ابن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين ولا أجهل منهم فانهم القاسطون المارقون خرجوا على علي رضي الله عنه وانفصلوا عنه بالجملة وتبرؤا منه ومنهم من صحبه ومنهم من كان في زمنه وهم جماعة قد دون الناس أخبارهم وهم عشرون فرقة * الاولى يقال لهم الحكمية لانهم خرجوا علي علي رضى الله عنه في صفين وقالوا لاحكم الا لله ولا حكم للرجال وانحازوا عنه الى حروراء ثم الى النهروان وسبب ذلك أنهم حملوه على التحاكم الى من حكم بكتاب الله فلما رضي بذلك وكانت قضية الحكمين أبي موسى الاشعري وهو عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص غضبوا من ذلك ونابذوا عليا وقالوا في شعارهم لاحكم الا لله ولرسوله وكان امامهم في التحكيم عبد الله بن الكواء * والثانية الازارقة أتباع أبي راشد نافع بن الازرق بن قيس بن نهار بن انسان بن أسد بن صبرة بن ذهل بن الدول بن حنيفة الخارج بالبصرة في أيام عبد الله بن الزبير وهم على التبري من عثمان وعلي والطعن عليهما وان دار مخالفيهم دار كفر وان من أقام بدار الكفر فهو كافر وأن أطفال مخالفيهم في النار ويحل قتلهم وانكروا رجم الزاني وقالوا من قذف محصنة حد ومن قذف محصنا لايحد ويقطع السارق في القليل والكثير * والثالثة النجدات ولم يقل فيهم النجدية ليفرق بينهم وبين من انتسب الى بلاد نجد فانهم أتباع نجد بن عويمر وهو عامر الحنفي الخارج باليمامة وكان رأسا ذا مقالة مفردة وتسمى بأمير المؤمنين وبعث عطية بن الاسود الى سجستان فأظهر مذهبه بعمرو فعرفت أتباعه بالعطوية ومذهبهم أن الدين أمر ان أحدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم والثاني الاقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة وما سوي ذلك من التحريم والتحليل وسائر الشرائع فان الناس يعذرون بجهلها وانه لايأثم المجتهد اذا أخطأ وان من خالف ان يعذب المجتهد فقد كفر واستحلوا دماء أهل الذمة في دار التقية وقالوا من نظر نظرة محرمة أو كذب كذبة أو أصر على صغيرة ولم يتب منها فهو كافر ومن زنى أو سرق أو شرب خمرا من غير أن يصر علي ذلك فهو مؤمن غير كافر * والرابعة الصفرية أتباع زياد بن الاصفر ويقال أتباع النعمان بن صفر وقيل بل نسبوا الى عبدالله ابن صفار وهو أحد بني مقاعس وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة

ابن تميم بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار وقيل عبد الله بن الصفار من بني صويم بن مقاعس وقيل سموا بذلك لصفرة علتهم وزعم بعضهم أن الصفرية بكسر الصاد وقد وافق الصفرية الازارقة في جميع بدعهم الا في قتل الاطفال ويقال للصفرية ايضاً الزيادية ويقال لهم ايضا النكار من اجل انهم ينقصون نصف علي وثلث عثمان وسدس عائشة رضي الله عنهم * والخامسة العجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد * والسادسة الميمونية أتباع ميمون ابن عمران وهم طائفة من العجاردة وافقوا الازارقة الا في شيئين أحدهما قولهم تجب البراءة من الاطفال حتي يبلغوا ويصفوا الاسلام والثاني استحلال أموال المخالفين لهم فلم تستحل الميمونية مال أحد خالفهم مالم يقتل المالك فاذا قتل صار ماله فيأ الا انهم ازدادوا كفرا على كفرهم وأجازوا نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات أولاد الاخوة وبنات أولاد الاخوات فقط * والسابعة الشعيبية وهم طائفة من العجاردة وافقوا الميمونية في جميع بدعهم الا في الاستطاعة والمشيئة فان الميمونية مالت الى القدرية * والثامنة الحمزية أتباع حمزة بن أدرك الشامى الخارج بخراسان فى خلافة هارون بن محمد الرشيد وكثر عيثه وفساده ثم فض جموع عيسى ابن علي عامل خراسان وقتل منهم خلقا كثيرا فانهزم منه عيسى الى كابل وآل أمر حمزة الى أن عرق في كرمان بواد هناك فعرفت أصحابه بالحمزية وكان يقول بالقدر فكفرته الازارقة بذلك وقال أطفال المشركين فى النار فكفرته القدرية بذلك وكان لايستحل غنائم أعدائه بل يأمر باحراق جميع مايغنمه منهم * والتاسعة الحازمية وهم فرقة من العجاردة قالوا في القدر والمشيئة كقول أهل السنة وخالفوا الخوارج فى الولاية والعداوة فقالوا لم يزل الله تعالى محبا لاوليائه ومبغضا لاعدائه * والعاشرة المعلومية مع المجهولية تباينا في مسألتين احداهما قالت المعلومية من لم يعرف الله تعالى بجميع اسمائه فهو كافر وقالت المجهولية لا يكون كافرا والثانية وافقت المعلومية اهل السنة في مسألة القدر والمشيئة والمجهولية وافقت القدرية في ذلك * والحادية عشر الصلتية أتباع عثمان بن أبي الصلت وهم طائفة من العجاردة انفردوا بقولهم من أسلم توليناه لكن نتبرأ من أطفاله لانه ليس للاطفال اسلام حتي يبلغوا * والثانية عشر والثالثة عشر الاحسنية والمعبدية وهما فرقتان من الثعالبة أتباع ثعلبة بن عامر وكان ثعلبة هذا مع عبد الكريم بن عجرد ثم اختلفا في الاطفال فقال عبد الكريم نتبرأ منهم قبل البلوغ وقال ثعلبة لانتبرأ منهم بل نقول نتولى الصغار فلم تزل الثعالبة علي هذا الى أن خرج رجل عرف بالاخنس فقال نتوقف عن جميع من في دار التقية الا من عرفنا منه ايمانا فانا نتولاه ومن عرفنا منه كفرا تبرأنا منه ولا يجوز أن نبدأ أحدا بقتال فتبرأت منه الثعالبة وسموه بالاخنس لانه خنس منهم أى رجع عنهم ثم خرجت فرقة من الثعالبة قيل لها المعبدية أتباع معبد فخالفت الثعالبة في اخذ الزكاة

من العبيد والبهائم وكفرت كل فرقة منهما الاخرى * والرابعة عشر الشيبانية أتباع شيبان بن سلمة الخارج فى ايام ابي مسلم الخراساني القائم بدعوة الخلفاء العباسيين وكان معه فتبرأت منه الثعالبة لمعاونته لابى مسلم وهو اول من أظهر القول بالتشبيه تعالى الله عن ذلك * والخامسة عشر الشبيبية اتباع شبيب بن يزيد بن ابي نعيم الخارج في خلافة عبد الملك بن مروان وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف الثقفى وهم على ما كانت عليه الحكمية الاولى الا انهم انفردوا عن الخوارج بجواز امامة المرأة وخلافتها واستخلف شبيب هذا أمه غزالة فدخلت الكوفة وقامت خطيبة وصلت الصبح بالمسجد الجامع فقرأت في الركعة الاولى بالبقرة وفي الثانية بآل عمران وأخبار شبيب طويلة * والسادسة عشر الرشيدية أتباع رشيد ويقال لهم أيضاً العشرية من أجل انهم كانوا يأخذون نصف العشر مما سقت الانهار فقال لهم زياد بن عبد الرحمن يجب فيه العشر فتبرأت كل فرقة من الاخرى وكفرتها بذلك * والسابعة عشر المكرمية * أتباع أبي المكرم ومن قوله تارك الصلاة كافر وليس كفره لترك الصلاة لكن لجهله بالله وكذا قوله في سائر الكبائر * والثامنة عشر الحفصية أتباع حفص بن المقدام أحد اصحاب عبد الله بن أباض تفرد بقوله من عرف الله تعالى وكفر بما سواه من رسول وغيره فهو كافر وليس بمشرك فانكر ذلك الاباضية وقالوا بل هو مشرك * والتاسعة عشر الاباضية أتباع عبد الله بن أباض من بني مقاعس واسمه الحرث بن عمرو ويقال بل ينسبون الى أباض بضم الهمزة وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجد بن عامر وخرج عبد الله بن اباض فى أيام مروان وكان من غلاة الحكمة * والفرقة العشرون اليزيدية أتباع يزيد بن أبي انيسة وكان اباضيا فانفرد ببدعة قبيحة وهى أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا جملة واحدة ينسخ به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم * ومن فرق الخوارج أيضاً الحارثية والاصومية أتباع يحيى ابن أصوم والبيهسية أتباع أبي البيهس الهيصم بن خالد من بني سعيد بن ضبعة كان فى زمن الحجاج وقتل بالمدينة وصلب واليعقوبية أتباع يعقوب بن على الكوفي ومن فرقهم الفضلية أتباع فضل بن عبد الله والشمراخية أتباع عبد الله بن شمراخ والضحاكية أتباع الضحاك والخوارج يقال لهم الشراة واحدهم شاري مشتق من شرى الرجل اذا أخذ ومعناه يستشري بالشر أو من قول الخوارج شرينا انفسنا لدين الله فنحن لذلك شراة وقيل انه من قولهم شاريته أى لاححته وماريته وقيل شري الرجل غضبا اذا استطار غضبا وقيل لهم هذا لشدة غضبهم على المسلمين

*(ذكر الحال في عقائد أهل الاسلام منذ ابتداء الملة الاسلامية الى أن انتشر مذهب الاشعرية) *

اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى الناس

جميعاً وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة فى كتابه العزيز الذى نزل به على قلبه صلى الله عليه وسلم الروح الامين وبما أوحى اليه ربه تعالى فلم يسأله صلى الله عليه وسلم أحد من العرب بأسرهم قرويهم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك كما كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك مما لله فيه سبحانه أمر ونهى وكما سألوه صلى الله عليه وسلم عن أحوال القيامة والجنة والنار اذ لو سأله انسان منهم عن شيء من الصفات الالهية لنقل كما نقلت الاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فى أحكام الحلال والحرام وفي الترغيب والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والفتن ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث معاجمها ومسانيدها وجوامعها ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات نعم ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل وانما أثبتوا له تعالى صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعز والعظمة وساقوا الكلام سوقا واحدا وهكذا أثبتوا رضى الله عنهم ماأطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفى مماثلة المخلوقين فأثبتوا رضي الله عنهم بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل ولم يتعرض مع ذلك احد منهم الى تأويل شيء من هذا ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت ولم يكن عند أحد منهم مايستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله ولا عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة فمضى عصر الصحابة رضي الله عنهم على هذا الى أن حدث في زمنهم القول بالقدر وأن الامر أنفة أي ان الله تعالى لم يقدر على خلقه شيئاً مما هم عليه * وكان أول من قال بالقدر فى الاسلام معبد بن خالد الجهنى وكان يجالس الحسن بن الحسين البصرى فتكلم في القدر بالبصرة وسلك اهل البصرة مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله وأخذ معبد هذا الرأى عن رجل من الاساورة يقال له أبو يونس سنسويه ويعرف بالاسواري فلما عظمت الفتنة به عذبه الحجاج وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة ثمانين ولما بلغ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما مقالة معبد فى القدر تبرأ من القدرية واقتدى بمعبد في بدعته هذه جماعة وأخذ السلف رحمهم الله في ذم القدرية وحذروا منهم كما هو معروف في كتب الحديث وكان عطاء بن يسار قاضياً يرى القدر وكان يأتي هو ومعبد الجهني الى الحسن البصرى فيقولان له ان

هؤلاء يسفكون الدماء ويقولون انما تجري أعمالنا على قدر الله فقال كذب أعداء الله فطعن عليه بهذا ومثله وحدث أيضاً في زمن الصحابة رضى الله عنهم مذهب الخوارج وصرحوا بالتكفير بالذنب والخروج على الامام وقتاله فناظرهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فلم يرجعوا الى الحق وقاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وقتل منهم جماعة كما هو معروف في كتب الاخبار ودخل في دعوة الخوارج خلق كثير ورمي جماعة من أئمة الاسلام بأنهم يذهبون الى مذهبهم وعد منهم غير واحد من رواة الحديث كما هو معروف عند أهله وحدث أيضاً في زمن الصحابة رضي الله عنهم مذهب التشيع لعلى بن أبي طالب رضي الله عنه والغلو فيه فلما بلغه ذلك أنكره وحرق بالنار جماعة ممن غلا فيه وأنشد

لما رأيت الامر أمراً منكرا * اججت ناري ودعوت قنبرا

وقام في زمنه رضى الله عنه عبد الله بن وهب بن سبا المعروف بابن السوداء السبأي وأحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بالامامة من بعده فهو وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته على أمته من بعده بالنص وأحدث القول برجعة علي بعد موته الى الدنيا وبرجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً وزعم أن عليا لم يقتل وانه حي وأن فيه الجزء الالهي وانه هو الذي يجئ في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه وأنه لابد أن ينزل الى الارض فيملأها عدلا كما ملئت جورا ومن ابن سبا هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة وصاروا يقولون بالوقف يعنون أن الامامة موقوفة على أناس معينين كقول الامامية بأنها فى الائمة الاثني عشر وقول الاسماعيلية بأنها فى ولد اسماعيل ابن جعفر الصادق وعنه أيضاً أخذوا القول بغيبة الامام والقول برجعته بعد الموت الى الدنيا كما تعتقده الامامية الى اليوم في صاحب السرداب وهو القول بتناسخ الارواح وعنه أخذوا أيضاً القول بأن الجزء الالهى يحل في الائمة بعد علي بن أبي طالب وانهم بذلك استحقوا الامامة بطريق الوجوب كما استحق آدم عليه السلام سجود الملائكة وعلى هذا الرأى كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر وابن سبأ هذا هو الذى أثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى قتل كما ذكر في ترجمة ابن سبا من كتاب التاريخ الكبير المقفى وكان له عدة أتباع فى عامة الامصار وأصحاب كثيرون فى معظم الاقطار فكثرت لذلك الشيعة وصاروا ضدا للخوارج وما زال أمرهم يقوى وعددهم يكثر * ثم حدث بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق فعظمت الفتنة به فانه نفى أن يكون لله تعالى صفة وأورد على أهل الاسلام شكوكا أثرت فى الملة الاسلامية آثارا قبيحة تولد عنها بلاء كبير وكان قبيل المائة من سني الهجرة فكثر اتباعه على أقواله التى تؤول الى التعطيل فأكبر أهل الاسلام بدعته وتمالؤا على انكارها وتضليل أهلها

وحذروا من الجهميـة وعادوهم في الله وذموا من جاس اليهم وكتبوا في الرد عليهم ما هو معروف عند أهله وفي أثناء ذلك حـدث مذهب الاعتزال منـذ زمن الحسن بن الحسين البصري رحمـه الله بعد المائتين من سني الهجرة وصنفوا فيـه مسائل في العـدل والتوحيـد واثبات أفعال العباد وأن الله تعالى لايخلق الشر وجهروا بأن الله لايرى في الآخرة وأنكروا عذاب القبر على البدن وأعلنوا بأن القرآن مخلوق محـدث الى غير ذلك من مسائلهم فتبعهم خلائق في بدعهم وأكثروا من التصنيف في نصرة مذهبهـم بالطرق الجدلية فنهى أئمة الاسـلام عن مذهبهم وذموا علم الـكلام وهجروا من ينتحله ولم يزل أمر المعتزلة يقوي وأتباعهم تكثر ومذهبهم ينتشر في الارض * ثم حـدث مذهب التجسيم المضاد لمذهب الاعتزال فظهر محمد بن كرام بن عراق بن حزابة أبو عبد الله السجستاني زعيم الطائفة الكرامية بعد المائتين من سني الهجرة وأثبت الصفات حتى انتهى فيهـا الى التجسيم والتشبيه وحج وقدم الشام ومات بزغرة في صفر سنة ست وخمسين ومائتين فدفن بالمقدس وكان هناك من أصحابه زيادة على عشرين ألفا على التعبد والتقشف سوى من كان منهم ببلاد المشرق وهم لايحصون لكثرتهم وكان اماما لطائفتي الشافعيـة والحنفية وكانت بين الكرامية بالمشرق وبين المعتزلة مناظرات ومنـاكرات وفتن كثيرة متعددة أزمانهـا هذا وأمر الشيعة يفشو في الناس حتي حدث مذهب القرامطة المنسوبين الى حمدان الاشعث المعروف بقرمط من أجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطوه وكان ابتداء أمر قرمط هذا في سنة أربع وستين ومائتين وكان ظهوره بسواد الكوفة فاشتهر مذهبـه بالعراق وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الخال والمدثر والمطوق وقام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنابي من أهل جنابة وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده حتى أوقعوا بعساكر بغـداد واخافوا خلفاء بني العباس وفرضوا الاموال التى تحمل اليهم في كل سنة على أهـل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن وغزوا بغـداد والشام ومصر والحجاز وانتشرت دعاتهم باقطار الارض فدخل جماعات من الناس في دعوتهم ومالوا الى قولهم الذي سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام وصرفها عن ظواهرها الى أمور زعموها من عنـد أنفسهم وتأويل آيات القرآن ودعواهم فيها تأويلا بعيدا انتحلوا القول به بدعا ابتـدعوها بأهوائهم فضلوا وأضلوا عالما كثيرا * هذا وقد كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ببغداد لما شغف بالعلوم القديمة بعث الى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة وأتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة فانتشرت مذاهب الفلاسفـة في النـاس واشتهرت كتبهم بعامة الامصار واقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها واكثروا من النظر فيها والتصفح لها فانجر على الاسلام واهله من علوم الفلاسفة مالا

يوصف من البلاء والمحنة في الدين وعظم بالفلسفة ضلال اهل البدع وزادتهم كفرا الى كفرهم
فلما قامت دولة بني بويه ببغداد في سنة اربع وثلاثين وثلثمائة واستمروا الى سنة سبع وثلاثين
واربعمائة واظهروا مذهب التشيع قويت بهم الشيعة وكتبوا على ابواب المساجد في سنة
احدى وخمسين وثلثمائة لعن الله معاوية بن ابى سفيان ولعن من اغضب فاطمة ومن منع الحسن
أن يدفن عند جده ومن نفى أباذر الغفارى ومن أخرج العباس من الشورى فلما كان الليل
حكه بعض الناس فأشار الوزير المهلبي أن يكتب باذن معز الدولة لعن الله الظالمين لاهل
البيت ولا يذكر أحد فى اللعن غير معاوية ففعل ذلك وكثرت ببغداد الفتن بين الشيعة
والسنية وجهر الشيعة في الاذان بحى على خير العمل في الكرخ وفشا مذهب الاعتزال
بالعراق وخراسان وما وراء النهر وذهب اليه جماعة من مشاهير الفقهاء وقوى مع ذلك أمر
الخلفاء الفاطميين بأفريقية وبلاد المغرب وجهروا بمذهب الاسماعيلية وبثوا دعاتهم بأرض مصر
فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها ثم ملكوها سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وبعثوا بعساكرهم
الى الشام فانتشرت مذاهب الرافضة فى عامة بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والكوفة
والبصرة وبغداد وجميع العراق وبلاد خراسان وماوراء النهر مع بلاد الحجاز واليمن والبحرين
وكانت بينهم وبين أهل السنة من الفتن والحروب والمقاتل مالا يمكن حصره لكثرته واشتهرت
مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة
والباطنية حتى ملأت الارض وما منهم الا من نظر فى الفلسفة وسلك من طرقها ماوقع عليه
اختياره فلم تبق مصر من الامصار ولا قطر من الاقطار الا وفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا*
وكان أبوالحسن على بن اسماعيل الاشعرى قد أخذ عن أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائي
ولازمه عدة أعوام ثم بدا له فترك مذهب الاعتزال وسلك طريق أبى محمد عبدالله بن محمد
ابن سعيد بن كلاب ونسج على قوانينه فى الصفات والقدر وقال بالفاعل المختار وترك القول
بالتحسين والتقبيح العقليين وما قيل في مسائل الصلاح والاصلح وأثبت أن العقل لا يوجب
المعارف قبل الشرع وأن العلوم وان حصلت بالعقل فلا تجب به ولا يجب البحث عنها الا
بالسمع وان الله تعالى لا يجب عليه شئ وأن النبوات من الجائزات العقلية والواجبات السمعية
الى غير ذلك من مسائله التي هى موضوع أصول الدين

* (وحقيقة مذهب الاشعري)* رحمه الله أنه سلك طريقا بين النفى الذى هو مذهب
الاعتزال وبين الاثبات الذى هو مذهب أهل التجسيم وناظر على قوله هذا واحتج لمذهبه
فمال اليه جماعة وعولوا على رأيه منهم القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي وأبو
بكر محمد بن الحسن بن فورك والشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن مهران الاسفرايني
والشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن على بن يوسف الشيرازى والشيخ أبو حامد محمد

ابن محمد بن احمد الغزالى وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني والامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى وغيرهم ممن يطول ذكره ونصروا مذهبه وناظروا عليه وجادلوا فيه واستدلوا له في مصنفات لاتكاد تحصر فانتشر مذهب ابى الحسن الاشعرى في العراق من نحو سنة ثمانين وثلثمائة وانتقل منه الى الشام فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ديار مصر كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك ابن عيسى بن درباس المارانى على هذا المذهب قد نشآ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق وحفظ صلاح الدين فى صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى وصار يحفظها صغار أولاده فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على مذهب الاشعرى وحملوا فى أيام دولتهم كافة الناس على التزامه فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب ثم في أيام مواليهم الملوك من الاتراك واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رحالات المغرب الي العراق وأخذ عن أبى حامد الغزالى مذهب الاشعري فلما عاد الى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم ثم مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن على القيسى وتلقب بأمير المؤمنين وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعده مدة سنين وتسموا بالموحدين فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت اذ هو عندهم الامام المعلوم المهدى المعصوم فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لايحصيها الا الله خالقها سبحانه وتعالى كما هو معروف في كتب التاريخ فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الاشعرى وانتشاره فى أمصار الاسلام بحيث نسى غيره من المذاهب وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه الا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الامام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه فانهم كانوا على ما كان عليه السلف لايرون تأويل ماورد من الصفات الى أن كان بعد السبعمائة من سني الهجرة اشتهر بدمشق وأعمالها تقى الدين أبو العباس احمد بن عبد الحكم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى فتصدى للانتصار لمذهب السلف وبالغ في الرد على مذهب الاشاعرة وصدع بالنكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية فافترق الناس فيه فريقان فريق يقتدى به ويعول على أقواله ويعمل برأيه ويري أنه شيخ الاسلام وأجل حفاظ أهل الملة الاسلامية وفريق يبدعه ويضلله ويزرى عليه باثباته الصفات وينتقد عليه مسائل منها ماله فيه سلف ومنها مازعموا أنه خرق فيه الاجماع ولم يكن له فيه سلف وكانت له ولهم خطوب كثيرة وحسابه وحسابهم على الله الذى لايخفى عليه شئ في الارض ولا فى السماء وله الى وقتنا هذا عدة أتباع بالشام وقليل بمصر * هذا وبين الاشاعرة والماتريدية أتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود

الماتريدي وهم طائفة الفقهاء الحنفية مقلدو الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمي ومحمد بن الحسن الشيباني رضى الله عنهم من الخلاف في العقائد ماهو مشهور في موضعه وهو اذا تتبع يبلغ بضع عشرة مسألة كان بسببها في أول الامر تباين وتنافر وقدح كل منهم في عقيدة الآخر الا أن الامر آل آخراً الى الاغضاء ولله الحمد فهذا أعزك الله بيان ما كانت عليه عقائد الامة من ابتداء الامر الى وقتنا هذا قد فصلت فيه ماأجمله أهل الاخبار وأجملت مافصلوا فدونك طالب العلم تناول ماقد بذلت فيه جهدى وأطلت بسببه سهرى وكدى في تصفح دواوين الاسلام وكتب الاخبار فقد وصل اليك صفوا ونلته عفوا بلا تكلف مشقة ولا بذل مجهود ولكن الله يمن على من يشاء من عباده * (أبو الحسن) على بن اسماعيل بن أبي بشر اسحاق بن سالم بن اسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى واسمه عبد الله بن قيس الاشعرى البصرى ولد سنة ست وستين ومائتين وقيل سنة سبعين وتوفى ببغداد سنة بضع وثلاثين وثلثمائة وقيل سنة أربع وعشرين وثلثمائة سمع زكريا الساجى وأبا خليفة الجمحى وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقرى وعبد الرحمن بن خلف الضبي المصرى وروى عنهم في تفسيره كثيرا وتلمذ لزوج أمه أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائى واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسياً ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى بالابصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعايبهم وأخذ من حينئذ في الرد عليهم وسلك بعض طريق أبي محمد عبد الله ابن محمد بن سعيد بن كلاب القطان وبنى على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفا منها كتاب اللمع وكتاب الموجز وكتاب إيضاح البرهان وكتاب التبيين على أصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل في الرد على أهل الافك والتضليل وكتاب الابانة وكتاب تفسير القرآن يقال انه في سبعين مجلداً وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبي بردة على عقبه وكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهما وكانت فيه دعابة ومزح كثير وقال مسعود بن شيبة في كتاب التعليم كان حنفى المذهب معتزلى الكلام لانه كان ربيب أبي على الجبائى وهو الذى رباه وعلمه الكلام وذكر الخطيب أنه كان يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي اسحاق المروزى الفقيه في جامع المنصور وعن أبي بكر بن الصيرفي كان المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى أظهر الله تعالى الاشعرى فحجزهم في أقماع السماسم * وجملة عقيدته أن الله تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حى بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وأن صفاته ازلية قائمة

بذاته تعالى لايقال هى هو ولا هى غيره ولا لاهى هو ولا غيره وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات وقدرته واحدة تتعلق بجميع مايصح وجوده وارادته واحدة تتعلق بجميع مايقبل الاختصاص وكلامه واحد هو أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات فى كلامه لاالى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلى فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم ازلى والدلالة وهى العبارات وهي القراءة مخلوقة محدثة قال وفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كما فرق بين الذكر والمذكور قال والكلام معنى قائم بالنفس والعبارة دالة على مافى النفس وانما تسمى العبارة كلاما مجازا قال وأراد الله تعالى جميع الكائنات خيرها وشرها ونفعها وضرها ومال في كلامه الى جواز تكليف مالا يطاق لقوله ان الاستطاعة مع الفعل وهو مكلف بالفعل قبله وهو غير مستطيع قبله على مذهبه قال وجميع أفعال العباد مخلوقة مبدعة من الله تعالى مكتسبة للعبد والكسب عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد قال والخالق هو الله تعالى حقيقة لايشاركه في الخلق غيره فأخص وصفه هو القدرة والاختراع وهذا تفسير اسمه البارئ قال وكل موجود يصح أن يرى والله تعالى موجود فيصح أن يرى وقد صح السمع بأن المؤمنين يرونه فى الدار الاخري في الكتاب والسنة ولا يجوز أن يرى في مكان ولا صورة مقابلة واتصال شعاع فان ذلك كله محال وماهية الرؤية له فيها رأيان أحدهما انه علم مخصوص يتعلق بالوجود دون العدم والثانى أنه ادراك وراء العلم وأثبت السمع والبصر صفتين ازليتين هما ادراكان وراء العلم وأثبت اليدين والوجه صفات خبرية اورد السمع بها فيجب الاعتراف به وخالف المنزلة في الوعد والوعيد والسمع والعقل من كل وجه وقال الايمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالاركان فروع الايمان فمن صدق بالقلب أي أقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاؤا به فهو مؤمن وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة حكمه الى الله اما أن يغفر له برحمته أو يشفع له رسول الله صلى الله عليه وسلم واما أن يعذبه بعدله ثم يدخله الجنة برحمته ولا يخلد في النار مؤمن قال ولا أقول انه يجب على الله سبحانه قبول توبته بحكم العقل لانه هو الموجب لايجب عليه شيء أصلا بل قد ورد السمع بقبول توبة التائبين واجابة دعوة المضطرين وهو المالك لخلقه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فلو أدخل الخلائق بأجمعهم النار لم يكن جورا ولو أدخلهم الجنة لم يكن حيفا ولا يتصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور لانه المالك المطلق والواجبات كلها سمعية فلا يوجب العقل شيأ البتة ولا يقتضى تحسينا ولا تقبيحا فمعرفة الله تعالى وشكر المنعم واثابة الطائع وعقاب العاصي كل ذلك بحسب السمع دون العقل ولا يجب على الله شيء لاصلاح ولا اصلح ولا لطف بل الثواب والصلاح واللطف والنعم كلها تفضل من

الله تعالى ولا يرجع اليه تعالى نفع ولا ضر فلا ينتفع بشكر شاكر ولا يتضرر بكفر كافر بل يتعالى ويتقدس عن ذلك وبعث الرسل جائز لا واجب ولا مستحيل فاذا بعث الله تعالى الرسول وأيده بالمعجزة الخارقة للعادة وتحدى ودعا الناس وجب الاصغاء اليه والاستماع منه والامتثال لاوامره والانتهاء عن نواهيه وكرامات الاولياء حق والايمان بما جاء فى القرآن والسنة من الاخبار عن الامور الغائبة عنا مثل اللوح والقلم والعرش والكرسى والجنة والنار حق وصدق وكذلك الاخبار عن الامور التى ستقع فى الآخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيه والحشر والمعاد والميزان والصراط وانقسام فريق فى الجنة وفريق فى السعير كل ذلك حق وصدق يجب الايمان والاعتراف به والامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين على واحد معين والائمة مترتبون فى الفضل ترتيبهم في الامامة قال ولا أقول فى عائشة وطلحة والزبير رضى الله عنهم الا انهم رجعوا عن الخطأ وأقول ان طلحة والزبير امن العشرة المبشرين بالجنة وأقول فى معاوية وعمرو بن العاص انهما بغيا على الامام الحق على بن أبى طالب رضى الله عنهم فقاتلهم مقاتلة أهل البغى وأقول ان أهل النهروان الشراة هم المارقون عن الدين وان عليا رضى الله عنه كان علي الحق في جميع أحواله والحق معه حيث دار * فهذه جملة من أصول عقيدته التى عليها الآن جماهير أهل الامصار الاسلامية والتى من جهر بخلافها أريق دمه والاشاعرة يسمون الصفاتية لاثباتهم صفات الله تعالى القديمة ثم افترقوا في الالفاظ الواردة في الكتاب والسنة كالاستواء والنزول والاصبع واليد والقدم والصورة والجنب والمجئ على فرقتين فرقة تؤول جميع ذلك على وجوه محتملة اللفظ وفرقة لم يتعرضوا للتأويل ولا صاروا الى التشبيه ويقال لهؤلاء الاشعرية الاسرية فصار للمسلمين في ذلك خمسة أقوال أحدها اعتقاد مايفهم مثله من اللغة وثانيها السكوت عنها مطلقا وثالثها السكوت عنها بعد نفى ارادة الظاهر ورابعها حملها على المجاز وخامسها حملها على الاشتراك ولكل فريق أدلة وحجاج تضمنتهما كتب أصول الدين ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

* (فصل) اعلم ان الله سبحانه طلب من الخلق معرفته بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس وغيره يعرفون فخالق تعالى الخلق وتعرف اليهم بالسنة الشرائع المنزلة فعرفه من عرفه سبحانه منهم على ماعرفهم فيما تعرف به اليهم وقد كان الناس قبل انزال الشرائع ببعثة الرسل عليهم السلام علمهم بالله تعالى انما هو بطريق التنزيه له عن سمات الحدوث وعن التركيب وعن الافتقار ويصفونه سبحانه بالاقتدار المطلق وهذا التنزيه هو المشهور عقلا ولا يتعداه عقل أصلا فلما أنزل الله شريعته على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأكمل دينه كان سبيل العارف بالله أن يجمع في معرفته بالله بين معرفتين

احداهما المعرفة التي تقتضيها الادلة العقليـة والاخرى المعرفة التى جاءت بها الاخبارات الالهية وأن يرد علم ذلك الى الله تعالى ويؤمن به وبكل ماجاءت به الشريعة على الوجه الذى أراده الله تعالى من غير تأويل بفكره ولا تحكم فيـه برأيه وذلك أن الشرائع انما انزلهـا الله تعالى لعدم استقلال العقول البشرية بادراك حقائق الاشياء على ما هى عليـه في علم الله وأنى لها ذلك وقد تقيدت بما عندها من اطلاق ماهنالك فان وهبها علما بمراده من الاوضاع الشرعية ومنحها الاطلاع على حكمه فى ذلك كان من فضله تعالى فلا يضيف العارف هذه المنة الى فكره فان تنزيهه لربه تعالى بفكره يجب أن يكون مطابقا لما أنزله سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة والا فهو تعالى منزه عن تنزيه عقول البشر بأفكارها فأنها مقيدة بأوطارها فتنزيهها كذلك مقيد بحسبها وبموجب أحكامها وآثارها الا اذا خلت عن الهوى فانها حيئنذ يكشف الله لها الغطاء عن بصائرها ويهديها الى الحق فتنزه الله تعالى عن التنزيهات العرفية بالافكار العادية وقد أجمع المسلمون قاطبة على جواز رواية الاحاديث الواردة في الصفات ونقلها وتبليغها من غير خلاف بينهم فى ذلك ثم أجمع أهـل الحق منهم على أن هذه الاحاديث مصروفة عن احتمال مشابهة الخالق لقول الله تعالي ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ولقول الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وهذه السورة يقال لها سورة الاخلاص وقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنها ورغب أمته فى تلاوتها حتى جعلها تعدل ثلث القرآن من أجل انهـا شاهدة بتنزيه الله تعالى وعدم الشبه والمثل له سبحانه وسميت سورة الاخلاص لاشتمالهـا على اخلاص التوحيد لله عن أن يشوبه ميل الى تشبيهـه بالخلق وأما الكاف التي فى قوله تعالى ليس كمثله شئ فانها زائدة وقد تقرر أن الكاف والمثل في كلام العرب انما للتشبيه فجمعهما الله تعالى ثم نفى بهما عنه ذلك فاذا ثبت اجماع المسلمين على جواز رواية هـذه الاحاديث ونقلها مع اجماعهم على أنها مصروفة عن التشبيه لم يبق فى تعظيم الله تعالى بذكرها الا نفى التعطيل لكون أعداء المرسلين سموا ربهم سبحانه اسماء نفوا فيها صفاته العلا فقال قوم من الكفار هو طبيعة وقال آخرون منهم هو علة الى غير ذلك من الحادهم في أسمائه سبحانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاحاديث المشتملة علي ذكر صفات الله العلا ونقلها عنه أصحابه البررة ثم نقلها عنهم أئمة المسلمين حتي انتهت الينا وكل منهـم يرويها بصفتها من غير تأويل لشيء منها مع علمنا أنهم كانوا يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصـير ففهمنا من ذلك أن الله تعالى أراد بما نطق به رسوله صلى الله عليه وسلم من هذه الاحاديث وتناولها عنه الصحابة رضى الله عنهم وبلغوها لامته أن يغص بهـا فى حلوق الكافرين وأن يكون ذكرها نكتا في قلب كل ضال معطـل مبتدع يقفو أثر المبتدعة

من أهل الطبائع وعباد العلل فلذلك وصف الله تعالى نفسه الكريمة بها في كتابه ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بما صح عنه وثبت فدل على أن المؤمن اذا اعتقد أن الله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد كان ذكره لهذه الاحاديث تمكين الاثبات وشجا في حلوق المعطلة وقد قال الشافعي رحمه الله الاثبات أمكن نقله الخطابي ولم يبلغنا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم أنهم أولوا هذه الاحاديث والذي يمنع من تأويلها اجلال الله تعالى عن أن تضرب له الامثال وانه اذا نزل القرآن بصفة من صفات الله تعالى كقوله سبحانه يد الله فوق أيديهم فان نفس تلاوة هذا يفهم منها السامع المعنى المراد به وكذا قوله تعالى بل يداه مبسوطتان عند حكايته تعالى عن اليهود نسبتهم اياه الى البخل فقال تعالى بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فان نفس تلاوة هذا مبينة للمعنى المقصود وايضا فان تأويل هذه الاحاديث يحتاج أن يضرب لله تعالى فيها المثل نحو قولهم في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى الاستواء الاستيلاء كقولك استوى الامير على البلد وأنشدوا قد استوى بشر على العراق فلزمهم تشبيه البارى تعالى ببشر وأهل الاثبات نزهوا جلال الله عن أن يشبهوه بالاجسام حقيقة ولا مجازا وعلموا مع ذلك أن هذا النطق يشتمل على كلمات متداولة بين الخالق وخلقه وتحرجوا أن يقولوا مشتركة لان الله تعالى لاشريك له ولذلك لم يتأول السلف شيئاً من أحاديث الصفات مع علمنا قطعا أنها عندهم مصروفة عما يسبق اليه ظنون الجهال من مشابهتها لصفات المخلوقين وتأمل تجد الله تعالى لما ذكر المخلوقات المتولدة من الذكر والانثى فى قوله سبحانه خالق لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه علم سبحانه ما يخطر بقلوب الخلق فقال عز من قائل ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الاسلام أن الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم وجلالة الخطر في أنفسها بحيث انهم كانوا يسمون انفسهم الاحرار والاسياد وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب وكانت العرب عند الفرس اقل الامم خطرا تعاظمهم الامر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة فى أوقات شتى وفي كل ذلك يظهر الله تعالى الحق وكان من قائميهم سنفادوا سنيس والمقفع وبابك وغيرهم وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خداشا وأبو مسلم السروج فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستبشاع ظلم على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى فقوم أدخلوهم الى القول بأن رجلا ينتظر يدعى المهدى عنده حقيقة الدين اذلا يجوز أن يؤخذ

الدين عن كفار اذ نسبوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر وقوم خرجوا الى القول بادعاء النبوة لقوم سموهم به وقوم سلكوا بهم الى القول بالحلول وسقوط الشرائع وآخرون تلاعبوا بهم فأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة وآخرون قالوا بل هي سبع عشرة صلاة في كل صلاة خمس عشرة ركعة وهو قول عبد الله بن عمرو بن الحارث الكندي قبل أن يصير خارجيا صفريا وقد أظهر عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي الاسلام ليكيد أهله فكان هو أصل اثارة الناس على عثمان بن عفان رضي الله عنه وأحرق علي رضي الله عنه منهم طوائف أعلنوا بالهيته ومن هذه الاصول حدثت الاسماعيلية والقرامطة * والحق الذي لاريب فيه أن دين الله تعالى ظاهر لاباطن فيه وجوهر لاسر تحته وهو كله لازم كل أحد لامسامحة فيه ولم يكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشريعة ولا كلمة ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ولد عم على شيء من الشريعة كتمه عن الاحمر والاسود ورعاة الغنم ولا كان عنده صلى الله عليه وسلم سر ولا رمز ولا باطن غير مادعا الناس كلهم اليه ولو كتم شيئاً لما بلغ كما أمر ومن قال هذا فهو كافر باجماع الامة وأصل كل بدعة في الدين البعد عن كلام السلف والانحراف عن اعتقاد الصدر الاول حتى بالغ القدري في القدر فجعل العبد خالقا لافعاله وبالغ الجبري في مقابلته فسلب عنه الفعل والاختيار وبالغ المعطل في التنزيه فسلب عن الله تعالى صفات الجلال ونعوت الكمال وبالغ المشبه في مقابلته فجعله كواحد من البشر وبالغ المرجئ في سلب العقاب وبالغ المعتزلي في التخليد في العذاب وبالغ الناصبي في دفع علي رضي الله عنه عن الامامة وبالغت الغلاة حتى جعلوه الها وبالغ السني في تقديم أبي بكر رضي الله عنه وبالغ الرافضي في تأخيره حتي كفره وميدان الظن واسع وحكم الوهم غالب فتعارضت الظنون وكثرت الاوهام وبلغ كل فريق في الشر والعناد والبغي والفساد الى أقصى غاية وأبعد نهاية وتباغضوا وتلاعنوا واستحلوا الاموال واستباحوا الدماء وانتصروا بالدول واستعانوا بالملوك فلو كان أحدهم اذا بالغ في أمر نازع الآخر في القرب منه فان الظن لايبعد عن الظن كثيرا ولا ينتهي في المنازعة الى الطرف الآخر من طرفي التقابل لكنهم أبوا الا ماقدمنا ذكره من التدابر والتقاطع ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك

(ذكر المدارس)

قال ابن سيده درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة ودارسه من ذلك كأنه عاوده حتى انقاد لحفظه وقد قرئ بهما وليقولوا درست ودارست ذاكرتهم وحكي درست أي قرئت وقرئ درست ودرست أي هذه أخبار قد عفت وانمحت ودرست أشد مبالغة والدراس المدارسة وقال ابن جني ودرسته إياه وأدرسته ومن الشاذ قراءة ابن حيوة وبما كنتم تدرسون والمدرس الموضع الذي يدرس فيه وقد ذكر الواقدي

أن عبد الله ابن أم مكتوم قدم مهاجرا الى المدينة مع مصعب بن عمير رضي الله عنهما وقيل قدم بعد بدر بيسير فنزل دار القراء ولما أراد الخليفة المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله جعفر بناء قصره في الشماسية ببغداد استزاد في الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد فسئل عن ذلك فذكر أنه يريده ليبني فيه دورا ومساكن ومقاصير يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجري عليهم الارزاق السنية ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه * والمدارس مما حدث في الاسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدث عملها بعد الاربعمائة من سني الهجرة وأول من حفظ عنه انه بني مدرسة في الاسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية وبني بها أيضاً الامير نصر بن سبكتكين مدرسة وبني بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة وبني بها أيضاً المدرسة السعيدية وبني بها أيضا مدرسة رابعة وأشهر ما بني في القديم المدرسة النظامية ببغداد لانها أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم وهي منسوبة الى الوزير نظام الملك أبي على الحسن بن على بن اسحاق بن العباس الطوسي وزير ملك شاه بن الب أرسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق في مدينة بغداد وشرع في بنائها في سنة سبع وخمسين وأربعمائة وفرغت في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة ودرس فيها الشيخ أبو اسحاق الشيرازي الفيروزبادي صاحب كتاب التنبيه في الفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ورحمه فاقتدى الناس به من حينئذ في بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفي بلاد الجزيرة وديار بكر * وأما مصر فانها كانت حينئذ بيد الخلفاء الفاطميين ومذهبهم مخالف لهذه الطريقة وانما هم شيعة اسماعيلية كما تقدم وأول ما عرف اقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس بديار مصر في خلافة العزيز بالله نزار بن المعز ووزارة يعقوب بن كلس فعمل ذلك بالجامع الازهر كما تقدم ذكره ثم عمل في دار الوزير يعقوب بن كلس مجلس يحضره الفقهاء فكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم وعمل أيضاً مجلس بجامع عمرو بن العاص من مدينة فسطاط مصر لقراءة كتاب الوزير ثم بني الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز دار العلم بالقاهرة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أبطل مذاهب الشيعة من ديار مصر وأقام بها مذهب الامام الشافعي ومذهب الامام مالك واقتدى بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فانه بني بدمشق وحلب وأعمالهما عدة مدارس للشافعية والحنفية وبني لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر * وأول مدرسة أحدثت بديار مصر المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر ثم المدرسة القمحية المجاورة للجامع أيضاً ثم المدرسة السيوفية التي بالقاهرة ثم اقتدى بالسلطان

صلاح الدين في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة أولاده وأمراؤه ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وأمرائهم وأتباعهم الى يومنا هذا وسأذكر مابديار مصر من المدارس وأعرف بحال من بناها على مااعتدته فى هذا الكتاب من التوسط دون الاسهاب وبالله استعين

* (المدرسة الناصرية) *

بجوار الجامع العتيق من مدينة مصر من قبليه * هذه المدرسة عرفت أولا بالمدرسة الناصرية ثم عرفت بابن زين التجار وهو أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقى المعروف بابن زين التجار أحد أعيان الشافعية درس بهذه المدرسة مدة طويلة ومات فى ذى القعدة سنة احدى وتسعين وخمسمائة ثم عرفت بالمدرسة الشريفية وهى الى الآن تعرف بذلك وكان موضعها يقال له الشرطة وذكر الكندى أنها خطة قيس بن سعد بن عبادة الانصارى وعرفت بدار الفلفل وقال ابن عبد الحكم كانت فضاء قبل ذلك وقيل كانت هى والدار التي الى جانبها لنافع بن عبد الله بن قيس الفهري فأخذها منه قيس بن سعد وسميت دار الفلفل لان أسامة بن زيد التنوخى صاحب الخراج بمصر ابتاع من موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار ليهديه الى صاحب الروم فخزنه فيها ولما فرغ عيسى بن يزيد الجلودي من بناء زيادة الجامع بنى هذه الدار شرطة في سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم صارت سجنا تعرف بالمعونة فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في أول المحرم سنة ست وستين وخمسمائة وأنشأها مدرسة برسم الفقهاء الشافعية وكان حينئذ يتولى وزارة مصر للخليفة العاضد وكان هذا من أعظم مانزل بالدولة وهي أول مدرسة عملت بديار مصر وللمالكات وقف عليها الصاغة وكانت بجوارها وقد خربت وبقى منها شيء يسير قرأت عليها اسم الخليفة العزيز بالله ووقف عليها أيضاً قرية تعرف (٣) وأول من ولى التدريس بها ابن زين التجار فعرفت به ثم درس بها بعده ابن قطيطة بن الوزان ثم من بعده كمال الدين أحمد بن شيخ الشيوخ وبعده الشريف القاضى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين ابن محمد الحنفي قاضى العسكر الارموى فعرفت به وقيل لها المدرسة الشريفية من عهده الى اليوم ولولا مايتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت فان الكيمان ملاصقة لها بعد ما كان حولها أعمر موضع في الدنيا وقد ذكر حبس المعونة عند ذكر السجون من هذا الكتاب

* (المدرسة القمحية) *

هذه المدرسة بجوار الجامع العتيق بمصر كان موضعها يعرف بدار الغزل وهو قيسارية يباع فيها الغزل فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية وكان الشروع فيها للنصف من المحرم سنة ست وستين وخمسمائة ووقف عليها قيسارية

الوراقين وعلوها بمصر وضيعة بالفيوم تعرف بالخنبوشية ورتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرس عدة من الطلبة وهذه المدرسة أجل مدرسة للفقهاء المالكية ويحصل لهم من ضيعتهم التي بالفيوم قمح يفرق فيهم فلذلك صارت لا تعرف الا بالمدرسة القمحية الى اليوم وقد أحاط بها الخراب ولولا ما يحصل منها للفقهاء لدثرت * وفى شعبان سنة خمس وعشرين وثمانمائة أخرج السلطان الملك الاشرف برسباي الدقاقى ناحيتى الاعلام والخنبوشية وكانتا من وقف السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على هذه المدرسة وانعم بهما على مماوكين من مماليكه ليكونا اقطاعا لهما

* (مدرسة يازكوج) *

هذه المدرسة بسوق الغزل في مدينة مصر وهى مدرسة معلقة بناها (٣)

* (مدرسة ابن الارسوفى) *

هذه المدرسة كانت بالبزازين التى تجاور خط النخالين بمصر عرفت بابن الارسوفي التاجر العسقلانى وكان بناؤها في سنة سبعين وخمسمائة وهو عفيف الدين عبد الله بن محمد الارسوفي مات بمصر في يوم الاثنين حادى عشرى ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

* (مدرسة منازل العز) *

هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز وعرفت بمنازل العز وكانت تشرف على النيل وصارت معدة لنزهة الخلفاء وممن سكنها ناصر الدولة حسين بن حمدان الى أن قتل وكان بجانبها حمام يعرف بحمام الذهب من جملة حقوقها وهي باقية فلما زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف أنزل في منازل العز الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فسكنها مدة ثم انه اشتراها والحمام والاصطبل المجاور لها من بيت المال في شهر شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وأنشأ فندقين بمصر بخط الملاحين وأنشأ ربعا بجوار أحد الفندقين واشترى جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة فلما اراد أن يخرج من مصر الى الشام وقف منازل العز على فقهاء الشافعية ووقف عليها الحمام وما حولها وعمر الاصطبل فندقا عرف بفندق النخلة ووقفه عليها ووقف عليها الروضة ودرس بها شهاب الدين الطوسي وقاضى القضاة عماد الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلي السكرى وعدة من الاعيان وهي الآن عامرة بعمارة ماحولها * الملك المظفر تقى الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان هو ابن أخي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قدم الى القاهرة في (٣) واستنابه السلطان على دمشق فى المحرم سنة احدى وسبعين ثم نقله الى نيابة حماه وسلم اليه سنجار لما أخذها فى ثاني رمضان سنة ثمان وسبعين فأقام بها ولحق السلطان على حلب فقدم عليه في سابع صفر سنة

تسع وسبعين فأقام الى أن بعثه الى القاهرة نائباً عنه بديار مصر عوضاً عن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فقدمها في شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأنعم عليه بالفيوم وأعمالها مع القايات وبوش وأبقى عليه مدينة حماه ثم خرج بعساكر مصر الى السلطان وهو بدمشق في سنة ثمانين لاجل أخذ الكرك من الفرنج فسار اليها وحصرها مدة ثم رجع مع السلطان الى دمشق وعاد الى القاهرة في شعبان وقد أقام السلطان على مملكة مصر ابنه الملك العزيز عثمان وجعل الملك المظفر كافلا له وقائماً بتدبير دولته فلم يزل على ذلك الى جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين فصرف السلطان أخاه الملك العادل عن حلب وأعطاه نيابة مصر فغضب الملك المظفر وعبر بأصحابه الى الجيزة يريد المسير الى بلاد المغرب واللحاق بغلامه بهاء الدين قراقوش التقوي فبلغ السلطان ذلك فكتب اليه ولم يزل به حتى زال مابه وسار الى السلطان فقدم عليه دمشق في ثالث عشرى شعبان فأقره على حماه والمعرة ومنبج وأضاف اليه ميافارقين فلحق به أصحابه ماخلا مملوكه زين الدين بوزبا فانه سار الى بلاد المغرب وكانت له في أرض مصر وبلاد الشام أخبار وقصص وعرفت له مواقف عديدة في الحرب مع الفرنج وآثار في المصافات وله في أبواب البر أفعال حسنة وله بمدينة الفيوم مدرستان احداهما للشافعية والاخرى للمالكية وبنى مدرسة بمدينة الرها وسمع الحديث من السلفي وابن عوف وكان عنده فضل وأدب وله شعر حسن وكان جوادا شجاعا مقداما شديد البأس عظيم الهمة كثير الاحسان ومات في نواحي خلاط ليلة الجمعة تاسع شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة ونقل الى حماه فدفن بها في تربة بناها على قبره ابنه الملك المنصور محمد

* (مدرسة العادل) *

هذه المدرسة بخط الساحل بجوار الربع العادلي من مدينة مصر الذى وقف على الشافعي عمرها الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فدرس بها قاضى القضاة تقى الدين أبو على الحسين بن شرف الدين أبي الفضل عبد الرحيم ابن الفقيه جلال الدين أبى محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشائر بن عبد الله بن محمد بن شاس فعرفت به وقيل لها مدرسة ابن شاس الى اليوم وهى عامرة وعرف خطها بالقشاشين وهي للمالكية

* (مدرسة ابن رشيق) *

هذه المدرسة للمالكية وهي بخط حمام الريش من مدينة مصر كان الكانم من طوائف التكرور لما وصلوا الى مصر في سنة بضع وأربعين وستمائة قاصدين الحج دفعوا للقاضى علم الدين بن رشيق مالا بناها به ودرس بها فعرفت به وصار لها في بلاد التكرور سمعة عظيمة وكانوا يبعثون اليها في غالب السنين المال

* (المدرسة الفائزية) *

هذه المدرسة فى مصر بخط (٣) أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزى قبل وزارته في سنة ست وثلاثين وستمائة ودرس بها القاضى محيى الدين عبد الله ابن قاضي القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة ثم قاضي القضاة صدرالدين موهوب الجزرى وهى للشافعية

* (المدرسة القطبية) *

هذه المدرسة بالقاهرة فى خط سويقة الصاحب بداخل درب الحريرى كانت هي والمدرسة السيفية من حقوق دار الديباج التي تقدم ذكرها وأنشأ هذه المدرسة الامير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدباني في سنة سبعين وخمسمائة وجعلها وقفاً على الفقهاء الشافعية وهو أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

* (المدرسة السيوفية) *

هذه المدرسة بالقاهرة وهي من جملة دار الوزير المأمون البطائحى وقفها السلطان السيد الاجل الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب على الحنفية وقرر فى تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجيتي ورتب له فى كل شهر احد عشر دينارا وباقى ريع الوقف يصرفه على مايراه لطلبة الحنفيــة المقررين عنده على قدر طبقــاتهم وجعل النظر للجبتي ومن بعده الى من له النظر فى امور المسلمين وعرفت بالمدرسة السيوفية من أجل أن سوق السيوفين كان حينئذ على بابها وهى الآن تجاه سوق الصنادقيين وقدوهم القاضى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر فانه قال فى كتاب الروضــة الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة مدرسة السيوفية وهي للحنفية وقفها عز الدين فرحشــاه قريب صلاح الدين وما أدرى كيف وقع له هذا الوهم فان كتاب وقفها موجود قد وقفت عليه ولخصت منه ماذكرته وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين وخطه على كتاب الوقف ونصه الحمد لله وبه توفيقى وتاريخ هذا الـكتاب تاسع عشرى شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ووقف على مستحقيها اثنتين وثلاثين حانوتاً بخط سويقة أمــير الجيوش وباب الفتوح وحارة برجوان وذكر فى آخر كتاب وقفها أن الواقف أذن لمن حضر مجلسه من العدول في الشهادة والقضــاء على لفظه بما تضمنه المسطور فشهدوا بذلك وأثبتوا شهــادتهم آخره وحكم حاكم المســلمين على صحة هذا الوقف بعد ماخاصم رجل من أهل هذا الوقف في ذلك وأمضاه لـكنه لم يذكر فى الـكتاب اسجال القاضي بثبوته بل ذكر رسم شهادة الشهود على الواقف وهم على بن ابراهيم بن نجا بن غنائم الانصارى الدمشقى والقاسم بن يحيي بن عبد الله بن قاسم الشهرزورى وعبد الله بن عمر بن عبد الله الشافعي وعبــد الرحمن بن على بن عبــد العزيز بن قريش

المخزومى وموسى بن حكر بن موسك الهدباني في آخرين * وهذه المدرسة هي أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر وهي باقية بأيديهم

* (المدرسة الفاضلية) *

هذه المدرسة بدرب ملوخيا من القاهرة بناها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى بجوار داره في سنة ثمانين وخمسمائة ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية وجعل فيها قاعة للاقراء أقرأ فيها الامام أبو محمد الشاطبي ناظم الشاطبية ثم تلميذه أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي ثم الشيخ على بن موسى الدهان وغيرهم ورتب لتدريس فقه المذهبين الفقيه أبا القاسم عبد الرحمن بن سلامة الاسكندرانى ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم يقال أنها كانت مائة ألف مجلد وذهبت كلها وكان أصل ذهابها أن الطلبة التى كانت بها لما وقع الغلاء بمصر في سنة أربع وتسعين وستمائة والسلطان يومئذ الملك العادل كتبغا المنصورى مسهم الضر فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب ثم تداولت أيدى الفقهاء عليها بالعارية فتفرقت وبها الى الآن مصحف قرآن كبير القدر جدا مكتوب بالخط الاول الذي يعرف بالكوفي تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان ويقال ان القاضى الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو في خزانة مفردة له بجانب المحراب من غربيه وعليه مهابة وجلالة والى جانب المدرسة كتاب برسم الايتام وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها وقد تلاشت لخراب ما حولها * (عبد الرحيم) ابن علي بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضي الفاضل محي الدين أبو علي ابن القاضى الاشرف اللخمى العسقلانى البيسانى المصرى الشافعي كان أبوه يتقلد قضاء مدينة بيسان فلهذا نسبوا اليها وكانت ولادته بمدينة عسقلان في خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ثم قدم القاهرة وخدم الموفق يوسف بن محمد بن الجلال صاحب ديوان الانشاء في أيام الحافظ لدين الله وعنه أخذ صناعة الانشاء ثم خدم بالاسكندرية مدة فلما قام بوزارة مصر العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك خرج أمره الى والى الاسكندرية بتسييره الى الباب فلما حضر استخدمه بحضرته وبين يديه في ديوان الجيش فلما مات الموفق بن الجلال في سنة ست وستين وخمسمائة وكان القاضي الفاضل ينوب عنه في ديوان الانشاء عينه الكامل بن شاور وسعي له عند أبيه الوزير شاور بن مجير فأقره عوضا عن ابن الجلال في ديوان الانشاء فلما ملك أسد الدين شيركوه احتاج الى كاتب فأحضره وأعجبه إتقانه وسمته ونصحه فاستكتبه الى أن ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب فاستخلصه وحسن اعتقاده فيه فاستعان به على ما أراد من ازالة الدولة الفاطمية حتي تم مراده فجعله وزيره

ومشيره بحيث كان لايصدر أمرا الا عن مشورته ولا ينفذ شيئاً الا عن رأيه ولا يحكم فى قضية الابتدبيره فلما مات صلاح الدين استمر على ما كان عليه عنـد ولده الملك العزيز عثمان في المكانة والرفعة وتقلد الامر فلما مات العزيز وقام من بعده ابنـه الملك المنصور بالملك ودبر أمره عمه الافضل كان معهما على حاله الى أن وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام لاخذ ديار مصر و خرج الافضل لقتاله فمات منكوبا أحوج ما كان الى الموت عند تولى الاقبال واقبال الادبار في سحر يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الآخر سنـة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بتربته من القرافة الصغري * قال ابن خلكان وزر للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتمكن منه غاية التمكن وبرز في صناعة الانشاء وفاق المتقدمين وله فيه الغرائب مع الاكثار أخبرنى أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات فى الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة وهو مجيـد فى أكثرها وقال عبد اللطيف البغدادى دخلنا عليـه فرأيت شيخاً ضئيلا كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الـكلام وكأنه يكتب بجملة أعضائه وكان له غرام فى الكتابة وتحصيـل الكتب وكان له الدين والعفاف والتقى والمواظبة على أوراد الليل والصيام وقراءة القرآن وكان قليل اللذات كثير الحسنات دائم التهجد ويشتغل بعلوم الادب وتفسير القرآن غير أنه كان خفيف البضاعة من النحو ولكن قوة الدراية توجب له قلة اللحن وكان لايكاد يضيع من زمانه شيئاً الا فى طاعة وكتب في الانشاء مالم يكتبه غيره * وحكي لى ابن القطان أحد كتابه قال لما خطب صلاح الدين بمصر للامام المستضيء بأمر الله تقـدم الى القاضى الفاضل بأن يكاتب الديوان العزيز وملوك الشرق ولم يكن يعرف خطابهم واصطلاحهم فأوعز الى العماد الكاتب أن يكتب فكتب واحتفل وجاء بها مفضوضة ليقرأها الفاضل متبجحا بها فقال لا أحتاج أن أقف عليها وأمر بختمها وتسليمها الى النجاب والعماد بمصر قال ثم أمرني أن ألحق النجاب ببلبيس وأن أفض الكتب وأكتب صدورها ونهايتها ففعلت ورجعت بها اليـه فكتب على حذوها وعرضها على السلطان فارتضاها وأمر بارسالها الى أربابها مع النجـاب كان متقللا في مطعمه ومنكحه وملبسه ولباسه البياض لايبلغ جميع ماعليـه دينـارين يركب معه غلام وركابي ولا يمكن أحدا أن يصحبه ويكثر زيارة القبور وتشييع الجنائز وعيادة المرضى وله معروف في السر والعلانية وأكثر أوقاته يفطر بعد مايتهور الليل وكان ضعيف البنية رقيق الصورة له حدبة يغطيها الطيلسان وكان فيه سوء خلق يكمد به فى نفسه لا يضر أحدا به ولاصحاب الادب عنده نفاق يحسن اليهم ولا يمن عليهـم ويؤثر أرباب البيوت والغرباء ولم يكن له انتقام من أعدائه الا بالاحسان اليهم أو بالاعراض عنهم وكان

دخله في كل سنة من اقطاع ورباع وضياع خمسين ألف دينار سوى متاجره للهند والمغرب وغيرهما وكان يقتني الكتب من كل فن ويجتلبها من كل جهة وله نساخ لايفترون ومجلدون لايبطلون قال لى بعض من يخدمه في الكتب ان عددها قد بلغ مائة الف وأربعة وعشرين ألفا وهذا قبل موته بعشرين سنة * وحكى لى ابن صورة الكتبي أن ابنه القاضي الاشرف التمس مني أن أطلب له نسخة الحماسة ليقرأها فاعلمت القاضي الفاضل فاستحضر من الخادم الحماسات فاحضر له خمسا وثلاثين نسخة وصار ينفض نسخة نسخة ويقول هذه بخط فلان وهذه عليها خط فلان حتى أتي على الجميع وقال ليس فيها مايصلح للصبيان وأمرني أن أشترى له نسخة بدينار

(المدرسة الازكشية)

هذه المدرسة بالقاهرة على رأس السوق الذى كان يعرف بالحروقيين ويعرف اليوم بسويقة أمير الجيوش بناها الامير سيف الدين أيازكوج الاسدى مملوك أسد الدين شيركوه وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعلها وقفا على الفقهاء من الحنفية فقط في سنة أثنتين وتسعين وخمسمائة وكان أيازكوج رأس الامراء الاسدية بديار مصر في أيام السلطان صلاح الدين وأيام ابنه الملك العزيز عثمان وكان الامير فخر الدين جهاركس رأس الصلاحية ولم يزل على ذلك الى أن مات في يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ودفن بسفح المقطم بالقرب من رباط الامير فخر الدين بن قزل

(المدرسة الفخرية)

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس عمرها الامير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومى أستادار الملك الكامل محمد بن العادل وكان الفراغ منها في سنة أثنتين وعشرين وستمائة وكان موضعها أخيرا يعرف بدار الامير حسام الدين ساروح بن أرتق شاد الدواوين ومولد الامير فخر الدين في سنة احدى وخمسين وخمسمائة بحلب وتنقل في الخدم حتى صار أحد الامراء بديار مصر وتقدم في أيام الملك الكامل وصار أستاداره واليه أمر المملكة وتدبيرها الى أن سافر السلطان من القاهرة يريد بلاد المشرق فمات بحران بعد مرض طويل في ثامن عشر ذى الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة وكان خيرا كثير الصدقة يتفقد أرباب البيوت وله من الآثار سوى هذه المدرسة المسجد الذي تجاهها وله أيضاً رباط بالقرافة والى جانبه كتاب سبيل وبنى بمكة رباطا

(المدرسة السيفية)

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندقانيين وخط الملحيين وموضعها من جملة دار الديباج قال ابن عبد الظاهر كانت دارا وهي من المدرسة القطبية فسكنها شيخ الشيوخ

يعني صدر الدين محمد بن حموية وبنيت في وزارة صفى الدين عبد الله بن علي بن شكران سيف الاسلام ووقفها وولى فيها عماد الدين ولد القاضي صدر الدين يعنى ابن درباس وسيف الاسلام هذا اسمه طفتكين بن أيوب * (طفتكين) ظهير الدين سيف الاسلام الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان الايوبي سيره أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بلاد اليمن في سنة سبع وسبعين وخمسمائة فملكها واستولى على كثير من بلادها وكان شجاعا كريما مشكور السيرة حسن السياسة قصده الناس من البلاد الشاسعة يستمطرون احسانه وبره وسار اليه شرف الدين بن عنين ومدحه بعدة قصائد بديعة فأجزل صلاته وأكثر من الاحسان اليه واكتسب من جهته مالا وافرا وخرج من اليمن فلما قدم الى مصر والسلطان اذ ذاك الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ألزمه أرباب ديوان الزكاة بدفع زكاة ما معه من المتجر فعمل .

ماكل من يتسمى بالعزيز لها * اهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين فرق فى فعالهما * هذاك يعطي وهذا يأخذ الصدقه

وتوفى سيف الاسلام في شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالمنصورة وهي مدينة باليمن اختطها رحمه الله تعالى

(المدرسة العاشورية)

هذه المدرسة بحارة زويلة من القاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة ورحبة كوكاي قال ابن عبد الظاهر كانت دار اليهودى ابن جميع الطبيب وكان يكتب لقراقوش فاشترتها منه الست عاشوراء بنت ساروح الاسدي زوجة الامير أيازكوج الاسدي ووقفتها على الحنفية وكانت من الدور الحسنة وقد تلاشت هذه المدرسة وصارت طول الايام مغلوقة لاتفتح الا قليلا فانها في زقاق لايسكنه الا اليهود ومن يقرب منهم فى النسب

(المدرسة القطبية)

هذه المدرسة في أول حارة زويلة برحبة كوكاى عرفت بالست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون المعروفة بدار اقبال العلائى ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب وشقيقة الملك الافضل قطب الدين أحمد واليه نسبت وكانت ولادتها في سنة ثلاث وستمائة ووفاتها ليلة الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وستمائة وكانت قد سمعت الحديث وخرج لها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهرى أحاديث ثمانيات حدثت بها وكانت عاقلة دينة فصيحة لها أدب وصدقات كثيرة وتركت مالا جزيلا وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء ويشترى لها وقف يغل فبنيت هذه المدرسة وجعل فيها درس للشافعية ودرس للحنفية وقراء وهى الى اليوم عامرة

* (المدرسة الخروبية) *

هذه المدرسة على شاطئ النيل من مدينة مصر أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى لما أنشأ بيتا كبيرا مقابل بيت اخيه عز الدين قبليه على شاطئ النيل وجعل فيه هذه المدرسة وهي ألطف من مدرسة أخيه وبجنبها مكتب سبيل ووقف عليها أوقافا وجعل بها مدرس حديث فقطومات بمكة فى آخر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة

* (مدرسة المحلي) *

هذه المدرسة على شاطئ النيل داخل صناعة التمر ظاهر مدينة مصر أنشأها رئيس التجار برهان الدين ابراهيم بن عمر بن على المحلى ابن بنت العلامة شمس الدين محمد بن اللبان وينتمي فى نسبه الى طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضى الله عنهم وجعل هذه المدرسة بجوار داره التى عمرها فى مدة سبع سنين وأنفق في بنائها زيادة على خمسين ألف دينار وجعل بجوارها مكتب سبيل لكن لم يجعل بها مدرسا ولا طلبة وتوفي ثانى عشرى ربيع الاول سنة ست وثمانمائة عن مال عظيم أخذ منه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق مائة ألف دينار وكان مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة ولم يكن مشكور السيرة فى الديانة وله من المآثر تجديد جامع عمرو بن العاص فانه كان قد تداعى الى السقوط فقام بعمارته حتي عاد قريبا مما كان عليه شكر الله له ذلك

* (المدرسة الفارقانية) *

هذه المدرسة بابها شارع فى سويقة حارة الوزيرية من القاهرة فتحت في يوم الاثنين رابع جمادى الاولى سنة ست وسبعين وستمائة وبها درس للطائفة الشافعية ودرس للطائفة الحنفية أنشأها الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى السلاحدار كان مملوكا للامير نجم الدين أمير حاجب ثم انتقل الى الملك الظاهر بيبرس فترقي عنده في الخدم حتي صار أحد الامراء الاكابر وولاه الاستادارية وناب عنه بديار مصر مدة غيبته وقدمه علي العساكر غير مرة وفتح له بلاد النوبة وكان وسيما جسيما شجاعا مقداما حازما صاحب دراية بالامور وخبرة بالاحوال والتصرفات مدبرا للدول كثير البر والصدقة ولما مات الملك الظاهر وقام من بعده فى ملك مصر ابنه الملك السعيد بركة قان ولاه نيابة السلطنة بديار مصر بعد موت الامير بدر الدين بيليك الخازندار فأظهر الحزم وضم اليه طائفة منهم شمس الدين اقوش وقطليجا الرومي وسيف الدين قليج البغدادى وسيف الدين بيجو البغدادى وسيف الدين شعبان أمير شكار وبكتمر السلاحدار وكانت الخاصكية تكرهه فاتفقوا مع مماليك بيليك الخازندار علي القبض عليه وتحدثوا مع الملك السعيد في ذلك وما زالوا به حتي قبضوا عليه بمساعدة الامير سيف الدين كوندك الساقي لهم وكان قد ربى مع السعيد في المكتب فلم يشعر وهو قاعد

بباب القلة من القلعة الا وقد سحب وضرب ونتفت لحيته وجر وقد ارتكب فى اهانته أمر شنيع الى البرج فسجن به ليالى قليلة ثم أخرج منه ميتا فى أثناء سنة ست وسبعين وستمائة وجهل قبره

* (المدرسة المهذبية) *

هذه المدرسة خارج باب زويلة من خط حارة حلب بجوار حمام قارى بناها الحكيم مهذب الدين أبو سعيد محمد بن علم الدين بن أبي الوحش بن أبي الخير بن أبي سليمان بن أبي حليقة رئيس الاطباء كان جده الرشيد أبو الوحش نصرانيا متقدما فى صناعة الطب فأسلم ابنه علم الدين فى حياته وكان لا يولد له ولد فيعيش فرأت أمه وهى حامل به قائلا يقول هيئوا له حلقة فضة قد تصدق بوزنها وساعة يوضع من بطن أمه تثقب اذنه وتوضع فيها الحلقة ففعلت ذلك فعاش فعاهدت أمه أباه أن لا يقلعها من اذنه فكبر وجاءته أولاد وكلهم يموت فولد له ابنه مهذب الدين أبو سعيد فعمل له حلقة فعاش وكان سبب اشتهاره بأبي حليقة أن الملك الكامل محمد بن العادل أمر بعض خدامه أن يستدعى بالرشيد الطبيب من الباب وكان جماعة من الاطباء بالباب فقال الخادم من هو منهم فقال السلطان أبو حليقة فخرج فاستدعاه بذلك فاشتهر بهذا الاسم ومات الرشيد فى سنة ست وسبعين وستمائة

* (المدرسة الخروبية) *

هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر تجاه المقياس بخط كرسي الجسر أنشأها كبير الخراربية بدر الدين محمد بن محمد بن على الخروبى بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة وضمها ثم واوسا كنة بعدها باء موحدة ثم ياء آخر الحروف التاجر فى مطابخ السكر وفى غيرها بعد سنة خمسين وسبعمائة وجعل مدرس الفقه بها الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل والمعيد الشيخ سراج الدين عمر البلقينى ومات سنة اثنتين وستين وسبعمائة وأنشأ أيضاً ربعين بخط دار النحاس من مصر على شاطئ النيل وربعين مقابل المقياس بالقرب من مدرسته ولبدر الدين هذا أخ من ابيه أسن منه يقال له صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى عاش بعد أخيه وأنجب فى أولاده وادركت لهم أولادا نجباء وكان أولا قليل المال ثم تمول وأنشأ تربة كبيرة بالقرافة فيما بين تربة الامام الشافعى وتربة الليث بن سعد مقابل السروتين وجددها حفيده نور الدين على بن عز الدين محمد بن صلاح الدين وأضاف اليها مطهرة حسنة ومات سنة تسع وستين وسبعمائة وشرط بدر الدين في مدرسته أن لا يلي بها أحد من العجم وظيفة من الوظائف فقال فى كل وظيفة منها ويكون من العرب دون العجم وكانت له مكارم جهز مرة ابن عقيل الى الحج بنحو خمسمائة دينار

* (المدرسة الخروبية) *

هذه المدرسة بخط الشون قبلي دار النحاس من ظاهر مدينة مصر أنشأها عز الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخروبي وهي أكبر من مدرسة عمه بدر الدين الا أنه مات سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل استيفاء ماأراد أن يجعل فيها فليس لها مدرس ولا طلبة ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة ونشأ في دنيا عريضة رحمه الله تعالى

* (المدرسة الصاحبية البهائية) *

هذه المدرسة كانت بزقاق القناديل من مدينة مصر قرب الجامع العتيق أنشأها الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم ن حنا في سنة أربع وخمسين وستمائة وكان اذ ذاك زقاق القناديل أعمر أخطاط مصر وانما قيل له زقاق القناديل من أجل انه كان سكن الاشراف وكانت أبواب الدور يعلق على كل باب منها قنديل * قال القضاعي ويقال انه كان به مائة قنديل توقد كل ليلة على ابواب الاكابر * وابن حنا هذا هو علي بن محمد بن سليم بفتح السين المهملة وكسر اللام ثم ياء آخر الحروف بعدها ميم ابن حنا بحاء مهملة مكسورة ثم نون مشددة مفتوحة بعدها ألف الوزير الصاحب بهاء الدين ولد بمصر في سنة ثلاث وستمائة وتنقلت به الاحوال في كتابة الدواوين الى أن ولي المناصب الجليلة واشتهرت كفايته وعرفت في الدولة نهضته ودرايته فاستوزره السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري في ثامن شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وستمائة بعد القبض على الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير وفوض اليه تدبير المملكة وأمور الدولة كلها فنزل من قلعة الجبل بخلع الوزارة ومعه الامير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار وجميع الاعيان والاكابر الى داره واستبد بجميع التصرفات وأظهر عن حزم وعزم وجودة رأى وقام بأعباء الدولة من ولايات العمال وعزلهم من غير مشاورة السلطان ولا اعتراض أحد عليه فصار مرجع جميع الامور ومصدرها عنه ومنشأ ولايات الخطط والاعمال من قلمه وزوالها عن أربابها لا يصدر الا من قبله وما زال على ذلك طول الايام الظاهرية فلما قام الملك السعيد بركة قان بأمر المملكة بعد موت أبيه الملك الظاهر أقره على ما كان عليه في حياة والده فدبر الامور وساس الاحوال وما تعرض له أحد بعداوة ولا سوء مع كثرة من كان يناويه من الامراء وغيرهم الا وصده الله عنه ولم يجد مايتعلق به عليه ولا مايبلغ به مقصوده منه وكان عطاؤه واسعاً وصلاته وكلفه للامراء والاعيان ومن يلوذ به ويتعلق بخدمته تخرج عن الحد في الكثرة وتجاوز القدر في السعة مع حسن ظن بالفقراء وصدق العقيدة في اهل الخير والصلاح والقيام بمعونتهم وتفقد أحوالهم وقضاء أشغالهم والمبادرة الى امتثال أوامرهم والعفة عن الاموال حتى انه لم يقبل من أحد في وزارته هدية الا أن تكون هدية فقير أو

شيخ معتقد يتبرك بما يصل من أثره وكثرة الصدقات في السر والعلانية وكان يستمين على ماالتزمه من المبرات ولزمه من الكلف بالمتاجر وقد مدحه عدة من الناس فقبل مديحهم وأجزل جوائزهم وما أحسن قول الرشيد الفارقي فيه

وقائل قال لى نبه لنا عمرا * فقلت ان عليا قد تنبه لى

مالى اذا كنت محتاجا الى عمر * من حاجة فلينم حسبي انتباه على

وقول سعد الدين بن مروان الفارقي في كتاب الدرج المختص به أيضاً

يمم عليا فهو بحر الندي * وناده في المضلع المعضل

فرفده بحر على مجدب * ووفده مفض الى مفصل

يسرع ان سيل نداه وهل * أسرع من سيل اتى من على

الا أنه أحدث في وزارته حوادث عظيمة وقاس أراضي الاملاك بمصر والقاهرة وأخذ عليها مالا وصادر أرباب الاموال وعاقبهم حتى مات كثير منهم تحت العقوبة واستخرج جوالى الذمة مضاعفة ورزئ بفقد ولديه الصاحب فخر الدين محمد والصاحب زين الدين فعوضه الله عنهما بأولادهما فما منهم الا نجيب صدر رئيس فاضل مذكور وما مات حتى صار جد جد وهو على المكانة وافر الحرمة في ليلة الجمعة مستهل ذى الحجة سنة سبع وسبعين وستمائة ودفن بتربته من قرافة مصر ووزر من بعده الصاحب برهان الدين الخضر بن حسن بن على السنجاري وكان بينه وبين ابن حنا عداوة ظاهرة وباطنة وحقود بارزة وكامنة فأوقع الحوطة على الصاحب تاج الدين محمد بن حنا بدمشق وكان مع الملك السعيد بها وأخذ خطه بمائة ألف دينار وجهزه على البريد الى مصر ليستخرج منه ومن أخيه زين الدين أحمد وابن عمه عز الدين تكملة ثلثمائة ألف دينار وأحيط بأسبابه ومن يلوذ به من أصحابه ومعارفه وغلمانه وطولبوا بالمال * وأول من درس بهذه المدرسة الصاحب فخر الدين محمد ابن بانيها الوزير الصاحب بهاء الدين الى أن مات يوم الاثنين حادى عشري شعبان سنة ثمان وستين وستمائة فوليها من بعده ابنه محيي الدين أحمد بن محمد الى أن توفى يوم الاحد ثامن شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة فدرس فيها بعده الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين الى أن مات فى يوم الاربعاء سابع صفر سنة أربع وسبعمائة فدرس بها ولده الصاحب شرف الدين وتوارثها أبناء الصاحب يلون نظرها وتدريسها الى أن كان آخرهم صاحبنا الرئيس شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ابن محمد بن أحمد بن الصاحب بهاء الدين وليها بعد أبيه عز الدين ووليها عز الدين بعد بدر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الصاحب بهاء الدين فلما مات صاحبنا شمس الدين محمد بن الصاحب لليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وضع بعض نواب

القضاة يده على مابقى لها من وقف وأقامت هذه المدرسة مدة أعوام معطلة من ذكر الله واقام الصلاة لايأويها أحد لخراب ماحولها وبها شخص يبيت بها كي لايسرق مابها من أبواب ورخام وكان لها خزانة كتب جليلة فنقلها شمس الدين محمد بن الصاحب وصارت تحت يده الى أن مات فتفرقت فى أيدى الناس وكان قد عزم على نقلها الى شاطئ النيل بمصر فمات قبل ذلك * ولما كان في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة أخذ الملك الناصر فرج بن برقوق عمد الرخام التى كانت بهذه المدرسة وكانت كثيرة العدد جليلة القدر وعمل بدلها دعائم تحمل السقوف الى أن كانت أيام الملك المؤيد شيخ وولى الامير تاج الدين الشوبكي الدمشقى ولاية القاهرة ومصر وحسبة البلدين وشد العمائر السلطانية فهدم هذه المدرسة في أخريات سنة سبع عشرة وأوائل سنة ثمانى عشرة وثمانمائة وكانت من أجل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر يتنافس الناس من طلبة العلم فى النزول بهـا ويتشاحنون في سكنى بيوتها حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة ثم تلاشى أمرهـا حتي هدمت وسيجهل عن قريب موضعها ولله عاقبة الامور

* (المدرسة الصاحبية) *

هذه المدرسة بالقاهرة فى سويقة الصاحب كان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن كلس ومن جملة دار الديباج أنشأها الصاحب صفى الدين عبد الله بن علي بن شكر وجعلها وقفاً على المالكية وبها درس نحو وخزانة كتب وما زالت بيد أولاده فلما كان في شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة جدد عمارتها القاضى علم الدين ابراهيم بن عبـد اللطيف بن ابراهيم المعروف بابن الزبير ناظر الدولة فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قـلاون واستجد فيها منبراً فصار يصلى بها الجمعة الى يومنا هذا ولم يكن قبل ذلك بها منبر ولا تصلى فيها الجمعة * (عبد الله بن علي بن الحسين) بن عبد الخـالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن ابراهيم بن عمار بن منصور بن علي صفى الدين أبو محمد الشيبي الدميرى المالكى المعروف بابن شكر ولد بناحية دميرة احدى قرى مصر البحرية في تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ومات أبوه فتزوجت أمه بالقاضى الوزير الاعز فخر الدين مقدام ابن القاضى الاجل أبى العباس أحمـد بن شكر المالـكى فرباه ونوه باسمه لانه كان ابن عمـه فعرف به وقيل له ابن شكر وسمع صفى الدين من الفقيه أبى الطاهر اسماعيل بن مكى ابن عوف وأبى الطيب عبد المنعم بن يحيي وغيره وحدث بالقاهرة ودمشق وتفقه على مذهب مالك وبرع فيه وصنف كتاباً في الفقه كان كل من حفظه نال منه حظاً وافراً وقصد بذلك أن يتشبه بالوزير عون الدين بن هبيرة كانت بداية أمره انه لما سلم السلطان صـلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الاسطول لاخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب وأفرد له من الابواب

الديوانية الزكاة بمصر والحبس الجيوشي بالبرين والنطرون والخراج و ما معه من ثمن القرظ وساحل السنط والمراكب الديوانية واسنا وطنبدى استخدم العادل في مباشرة ديوان هذه المعاملة الصفي بن شكر هذا وكان ذلك في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ومن حينئذ اشتهر ذكره وتخصص بالملك العادل فلما استقل بمملكة مصر فى سنة ست وتسعين وخمسمائة عظم قدره ثم استوزره بعد الصنيعة بن النجار فحل عنده محل الوزراء الكبار والعلماء المشاورين وباشر الوزارة بسطوة وجبروت وتعاظم وصادر كتاب الدولة واستصفى اموالهم ففر منه القاضي الاشرف ابن القاضى الفاضل الى بغداد واستشفع بالخليفة الناصر وأحضر كتابه الى الملك العادل يشفع فيه وهرب منه القاضى علم الدين اسماعيل بن أبي الحجاج صاحب ديوان الجيش والقاضي الاسعد اسعد بن مماتي صاحب ديوان المال والتجآ الى الملك الظاهر بحلب فأقاما عنده حتى ماتا وصادر بني حمدان وبني الحباب وبني الجليس وأكابر الكتاب والسلطان لايعارضه في شيء ومع ذلك فكان يكثر التغضب على السلطان ويتجنى عليه وهو يحتمله الى أن غضب فى سنة سبع وستمائة وحلف أنه مابقى يخدم فلم يحتمله وولى الوزارة عوضاً عنه القاضى الاعز فخر الدين مقدام بن شكر واخرجه من مصر بجميع أمواله وحرمه وغلمانه وكان ثقله على ثلاثين جملا وأخذ أعداؤه فى اغراء السلطان به وحسنوا له أن يأخذ ماله فأبى عليهم ولم يأخذ منه شيئاً وسار الى آمد فأقام بها عند ابن أرتق الى أن مات الملك العادل فى سنة خمسين وستمائة فطلبه الملك الكامل محمد ابن الملك العادل لما استبد بسلطنة ديار مصر بعد أبيه وهو فى نوبة قتال الفرنج على دمياط حين رأى أن الضرورة داعية لحضوره بعد ما كان يعاديه فقدم عليه فى ذى القعدة منها وهو بالمنزلة العادلية قريباً من دمياط فتلقاه وأكرمه وحادثه فيما نزل به من موت أبيه ومحاربة الفرنج ومخالفة الامير عماد الدين أحمد بن المشطوب واضطراب أرض مصر بثورة العربان وكثرة خلافهم فشجعه وتكفل له بتحصيل المال وتدبير الامور وسار الى القاهرة فوضع يده فى مصادرات أرباب الاموال بمصر والقاهرة من الكتاب والتجار وقرر على الاملاك مالا وأحدث حوادث كثيرة وجمع مالا عظيما أمد به السلطان فكثر تمكنه منه وقويت يده وتوفرت مهابته بحيث انه لما انقضت نوبة دمياط وعاد الملك الكامل الى قلعة الجبل كان ينزل اليه ويجلس عنده بمنظرته التي كانت على الخليج ويتحدث معه في مهمات الدولة ولم يزل على ذلك الى أن مات بالقاهرة وهو وزير في يوم الجمعة ثامن شعبان سنة اثنتين وعشرين وستمائة وكان بعيد الغور جماعا للمال ضابطا له من الانفاق في غير واجب قد ملأت هيبته الصدور وانقاد له على الرغم والرضا الجمهور وأخمد جمرات الرجال وأضرم رمادا لم يخطر ايقاده على بال وبلغ عند الملك الكامل بحيث انه بعث اليه بابنيه الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك العادل أبى

بكر ليزوراه في يوم عيد فقاما على رأسه قياماوانشد زكي الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن وهيب القوصيّ قصيدة زاد فيها حين رأى الملكين قياما على رأسه

لو لم تقم لله حق قيامه * ما كنت تقعد والملوك قيام

وقطع في وزارته الارزاق وكانت جملتها أربعمائة ألف دينار في السنة وتسارع أرباب الحوائج والاطماع ومن كان يخافه الى بابه وملؤا طرقاته وهو بينهم ولا يحفل بشيخ منهم وهو عالم وأوقع بالرؤساء وأرباب البيوت حتى استأصل شأفتهم عن آخرهم وقدم الاراذل في مناصبهم وكان جلدا قويا حل به مرة دوسطاريا قوية وأزمنت فيئس منه الاطباء وعند مااشتد به الوجع وأشرف على الهلاك استدعى بعشرة من وجوه الكتاب كانوا في حبسه وقال أنتم في راحة وأنا في الالم كلاوالله واستحضر المعاصير وآلات العذاب وعذبهم فصاروا يصرخون من العذاب وهو يصرخ من الالم طول الليل الى الصبح وبعد ثلاثة أيام ركب وكان يقول كثيرا لم يبق في قلبي حسرة الا كون البيساني لم تمرغ شيبته على عتباني يعني القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني فانه مات قبل وزارته وكان دري اللون تعلوه حمرة ومع ذلك فكان طلق المحيا حلو اللسان حسن الهيئة صاحب دهاء مع هوج وخبث في طيش ورعونة مفرطة وحقد لاتخبو ناره ينتقم ويظن انه لم ينتقم فيعود وكان لاينام عن عدوه ولا يقبل معذرة أحد ويتخذ الرؤساء كلهم أعداءه ولا يرضى لعدوه بدون الهلاك والاستئصال ولا يرحم احدا اذا انتقم منه ولا يبالي بعاقبة وكان له ولاهله كلمة يرونها ويعملون بها كما يعمل بالاقوال الالهية وهي اذا كنت دقاقا فلا تكن وتداوكان الواحد منهم يعيدها في اليوم مرات ويجعلها حجة عند انتقامه وكان قد استولى على الملك العادل ظاهرا وباطنا ولا يمكن أحدا من الوصول اليه حتى الطبيب والحاجب والفراش عليهم عيون له لا يتكلم أحد منهم فضل كلمة خوفا منه وكان أكبر أغراضه ابادة أرباب البيوت ومحو آثارهم وهدم ديارهم وتقريب الاسقاط وشرار الفقهاء وكان لا يأخذ من مال السلطان فلسا ولا ألف دينار ويظهر أمانة مفرطة فاذا لاح له مال عظيم احتجنه وبلغ اقطاعه في السنة مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وكان قد عمي فأخذ يظهر جلدا عظيما وعدم استكانة واذا حضر اليه الامراء والاكابر وجلسوا على خوانه يقول قدموا اللون الفلاني للامير فلان والصدر فلان والقاضي فلان وهو يبني أموره في معرفة مكان المشار اليه برموز ومقدمات يكابر فيها دوائر الزمان وكان يتشبه في ترسله بالقاضي الفاضل وفي محاضراته بالوزير عون الدين بن هبيرة حتى اشتهر عنه ذلك ولم يكن فيه أهلية هذا لكنه كان من دهاة الرجال . وكان اذا لحظ شخصا لايقنع له الا بكثرة الغني ونهاية الرفعة واذا غضب على أحد لايقنع في شأنه الا بمحو أثره من الوجود وكان كثيرا ماينشد

اذا حقرت امرأ فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لم يحصد به عنبا

وينشد كثيرا

تود عدوى ثم تزعـم انني * صديقك ان الرأى عنك لعازب

وأخذه مرة مرض من حمى قوية وحدث به النافض وهو في مجلس السلطان ينفـذ الاشغال فما تأثر ولا ألقى جنبه الى الارض حتى ذهبت وهو كذلك وكان يتعزز على الملوك الجبابرة وتقف الرؤساء على بابه من نصف الليل ومعهم المشاعل والشمع وعند الصبـاح يركب فلا يراهم ولا يرونه لانه اما أن يرفع رأسه الى السماء تيها وأما أن يعرج الى طريق غـير التي هم بها واما أن يأمر الجنادرة التي فى ركابه بضرب الناس وطردهم من طريقـه. ويكون الرجل قـد وقف على بابه طول الليل اما من أوله أو من نصفه بغلمانه ودوابه فيطرد عنه ولا يراه وكان له بواب يأخذ من الناس مالا كثيرا ومع ذلك يهينهم اهانة مفرطة وعليه للصاحب في كل يوم خمسة دنانير منها دينار ان برسم الفقاع وثلاثة دنانير برسم الحلوى وكسوة غلمانه ونفقاته عليه أيضاً ومع ذلك اقتني عقارا وقري ولما كان بعد موت الصاحب قدم من بغداد رسول الخليفة الظاهر وهو محي الدين أبو المظفر بن الجوزى ومعه خلعـة الخليفة للملك الكامل وخلع لاولاده وخلعة للصاحب صفى الدين فلبسها فخر الدين سليمان كاتب الانشاء وقبض الملك الكامل على أولاده تاج الدين يوسف وعز الدين محمـد وحبسهمـا وأوقع الحوطة على سائر موجوده رحمه الله وعفا عنه

(المدرسة الشريفية)

هذه المدرسة بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة وقفها الامير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر اسماعيـل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب ابن مسلم بن أبي جميل دحية بن جعفر بن موسي بن ابراهيم بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه الجعفري الزينبي أمـير الحاج والزائرين وأحد أمراء مصر في الدولة الايوبية وتمت فى سنة اثنتى عشرة وستمائة وهي من مدارس الفقهاء الشافعية * قال ابن عبد الظاهر وجري له فى وقفها حكاية مع الفقيـه ضياء الدين بن الوراق وذلك أن الملك العادل سيف الدين أبا بكر يعني ابن أيوب لما ملك مصر وكان قد دخلها على انه نائب للملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف فقوي عليه وقصد الاستبداد بالملك فأحضر الناس للحلف وكان من جملتهم الفقيه ضياء الدين بن الوراق فلما شرع الناس في الحلف قال الفقيه ضياء الدين ماهذا الحلف بالامس حلفتم للمنصور فان كانت تلك الايمان باطلة فهـذه باطلة وان كانت تلك صحيحـة فهذه باطلة فقال الصاحب صفى الدين بن شكر للعادل أفسـد عليك الامور هذا الفقيـه

وكان الفقيه لم يحضر الى ابن شكر ولا سلم عليه فأمر العادل بالحوطة على جميع موجود الفقيه وماله وأملاكه واعتقاله بالرصد مرسما عليه فيه لانه كان مسجده فأقام مدة سنين على هذه الصورة فلما كان في بعض الايام وجد غرة من المترسمين فحضر الى دار الوزارة بالقاهرة فبلغ العادل حضوره فخرج اليه فقال له الفقيه أعلم والله انى لاحاللتك ولا أبرأتك أنت تتقدمنى الى الله فى هذه المدة وأنا بعدك أطالبك بين يدى الله تعالى وتركه وعاد الى مكانه فحضر الشريف فخر الدين بن ثعلب الى الملك العادل فوجده متألما حزينا فسأله فعرفه فقال يامولانا ولم تجرد السم فى نفسك فقال خذ كل ماوقعت الحوطة عليه وكل ما استخرج من أجرة أملاكه وطيب خاطره وأما الفقيه ضياء الدين فانه أصبح وحضرت اليه جماعة من الطلبة للقراءة عليه فقال لهم رأيت البارحة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول يكون فرجك على يد رجل من أهل بيتي صحيح النسب فبينا هم في الحديث واذا بغبرة ثارت من جهة القرافة فانكشفت عن الشريف بن ثعلب ومعه الموجود كله فلما حضر عرفه الجماعة المنام فقال ياسيدى اشهد على أن جميع ما أملكه وقف وصدقة شكرا لهذه الرؤيا وخرج عن كل مايملكه وكان من جملة ذلك المدرسة الشريفية لانها كانت مسكنه ووقف عليها أملاكه وكذلك فعل فى غيرها ولم يحالل الفقيه الملك العادل ومات الملك العادل بعد ذلك ومات الفقيه بعده بمدة ومات الشريف اسماعيل بن ثعلب بالقاهرة في سابع عشر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة

(المدرسة الصالحية)

هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقى فبنى فيه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن ايوب هاتين المدرستين فابتدأ بهدم موضع هذه المدارس فى قطعة من القصر فى ثالث عشر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة ووضع أساس المدارس في رابع عشر ربيع الآخر سنة أربعين ورتب فيها دروسا أربعة للفقهاء المنتمين الى المذاهب الاربعة فى سنة احدى وأربعين وستمائة وهو أول من عمل بديار مصر دروسا أربعة في مكان ودخل في هذه المدارس باب القصر المعروف بباب الزهومة وموضعه قاعة شيخ الحنابلة الآن ثم اختط ماوراء هذه المدارس فى سنة بضع وخمسين وستمائة وجعل حكر ذلك للمدرسة الصالحية وأول من درس بها من الحنابلة قاضى القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن العماد ابراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسي الحنبلى الصالحى وفي يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وأربعين وستمائة اقام الملك المعز عز الدين أيبك التركماني الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى الصالحى فى نيابة السلطنة بديار مصر فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية هذه مع نواب دار العدل وانتصب

لكشف المظالم واستمر جلوسه بها مدة ثم ان الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس وقف الصاغة التي تجاهها وأماكن بالقاهرة وبمدينة المحلة الغربية وقطع أراضى جزائر بالاعمال الجيزية والاطفيحية على مدرسين أربعة عند كل مدرس معيدان وعدة طلبة وما يحتاج اليه من أئمة ومؤذنين وقومة وغير ذلك وثبت وقف ذلك على يد قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعي ونفذه قاضى القضاة شمس الدين أبو البركات محمد بن هبة الله بن شكرا المالكي وذلك في سنة سبع وسبعين وستمائة وهى جارية في وقفها الى اليوم فلما كان في يوم الجمعة حادى عشرى ربيع الاول سنة ثلاثين وسبعمائة رتب الامير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك جمال الدين الغزاوي خطيبا بايوان الشافعية من هذه المدرسة وجعل له في كل شهر خمسين درهما ووقف عليه وعلى مؤذنين وقفا جاريا فاستمرت الخطبة هناك الى يومنا هذا * (قبة الصالح) هذه القبة بجوار المدرسة الصالحية كان موضعها قاعة شيخ المالكية بنتها عصمة الدين والدة خليل شجرة الدر لاجل مولاها الملك الصالح نجم الدين أيوب عند ما مات وهو على مقاتلة الفرنج بناحية المنصورة فى ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة فكتمت زوجته شجرة الدر موته خوفا من الفرنج ولم تعلم بذلك أحدا سوي الامير فخر الدين بن يوسف بن شيخ الشيوخ والطواشي جمال الدين محسن فقط فكتما موته عن كل أحد وبقيت أمور الدولة على حالها وشجرة الدر تخرج المناشير والتواقيع والكتب وعليها علامة بخط خادم يقال له سهيل فلا يشك أحد في أنه خط السلطان وأشاعت أن السلطان مستمر المرض ولا يمكن الوصول اليه فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان الى أن انفذت الى حصن كيفا وأحضرت الملك المعظم توران شاه بن الصالح وأما الملك الصالح فان شجرة الدر أحضرته في حراقة من المنصورة الى قلعة الروضة تجاه مدينة مصر من غير أن يشعر به أحد الا من ائتمنته على ذلك فوضع في قاعة من قاعات قلعة الروضة الى يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة فنقل الي هذه القبة بعد ماكانت شجرة الدر قد عمرتها على ماهى عليه وخلعت نفسها من سلطنة مصر ونزلت عنها لزوجها عز الدين أيبك قبل نقله فنقله الملك المعز ايبك ونزل ومعه الملك الاشرف موسى ابن الملك المسعود وسائر المماليك البحرية والجمدارية والامراء من قلعة الجبل الى قلعة الروضة وأخرج الملك الصالح فى تابوت وصلى عليه بعد صلاة الجمعة وسائر الامراء وأهل الدولة قد لبسوا البياض حزنا عليه وقطع المماليك شعور رؤسهم وساروا به الى هذه القبة فدفن ليلة السبت فأصبح السلطانان ونزلا الى القبة وحضر القضاة وسائر المماليك وأهل الدولة وكافة الناس وغلقت الاسواق بالقاهرة ومصر وعمل عزاء للملك الصالح بين القصرين بالدفوف مدة ثلاثة أيام

آخرها يوم الاثنين ووضع عند القبر سناجق السلطان وبقجته وتركاشه وقوسه ورتب عنده القراء على ماشرطت شجرة الدر فى كتاب وقفهـا وجعلت النظر فيها للصاحب بهاء الدين على بن حنا وذريته وهي بيدهم الى اليوم وما أحسن قول الاديب جمال الدين أبى المظفر عبد الرحمن بن أبي سعيد محمد بن محمد بن عمر بن أبي القـاسم بن تخمش الواسطى المعروف بابن السنيرة الشاعر لما مر هو والامير نور الدين تكريت بالقاهرة بين القصرين ونظر الى تربة الملك الصالح هذه وقد دفن بقاعة شيخ المالكية فانشد

بثيت لارباب العـلوم مـدارسا * لتنجو بها من هول يوم المهالك
وضاقت عليك الارض لم تلق منزلا * تحـل به الا الى جنب مالك

وذلك أن هذه القبة التى فيها قبر الملك الصالح مجـاورة لايوان الفقهاء المالكية المنتمين الى الامام مالك بن أنس رضي الله عنه فقصد التورية بمالك الامام المشهور ومالك خازن النار اعاذنا الله منها .

* (المدرسة الـكاملية) *

هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة وتعرف بدار الحديث الـكاملية أنشأها السلطان الملك الـكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى ابن مروان فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وهى ثاني دار عملت للحديث فان أول من بنى دارا على وجه الارض الملك العـادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ثم بني الـكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ووقف عليها الربع الذي بجوارها على باب الخرنشف ويمتد الى الدرب المقابل للجامع الاقمر وهذا الربع من انشاء الملك الـكامل وكان موضعه من جملة القصر الغربي ثم صار موضعا يسكنه القماحون وكان موضع المدرسة سوقا للرقيق ودارا تعرف بابن كستول * وأول من ولى تدريس الـكاملية الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسـن بن على بن دحية ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن بن على بن دحية ثم الحافظ عبدالعظيم المنذرى ثم الرشيد العطـار وما برحت بيد أعيان الفقهاء الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة فتلاشت كما تلاشي غيرها وولى تدريسها صبي لايشارك الاناسى الا بالصورة ولا يمتاز عن البهيمة الا بالنطق واستمر فيها دهراً لايدرس بها حتى نسيت أوكادت تنسي دروسها ولا حول ولا قوة الا بالله * (الملك الـكامل) ناصر الدين أبو المعالى محمد ابن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الـكردى الايوبي خامس ملوك بنى أيوب الاكراد بديار مصر ولد في خامس عشرى ربيع الاول سنة ست وسبعين وخمسمائة وخلف أباه الملك العادل على بلاد الشرق فلما استولى على مملكة مصر قدم الملك الـكامل

الى القاهرة في سنة ست وتسعين وخمسمائة ونصبه أبوه نائباً عنه بديار مصر وأقطعه الشرقية وجعله ولى عهده وحلف له الامراء وأسكنه قلعة الجبل وسكن العادل في دار الوزارة بالقاهرة وصار يحكم بديار مصر مدة غيبة الملك العادل ببلاد الشام وغيرها بمفرده فلما مات الملك العادل ببلاد الشام استقل الملك الكامل بمملكة مصر في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة وهو على محاربة الفرنج بالمنزلة العادلية قريباً من دمياط وقد ملكوا البر الغربي فثبت لقتالهم مع ماحدث من الوهن بموت السلطان وثارت العربان بنواحي أرض مصر وكثر خلافهم واشتد ضررهم وقام الامير عماد الدين أحمد ابن الامير سيف الدين أبي الحسين على بن أحمد الهكارى المعروف بابن المشطوب وكان أجل الامراء الاكابر وله لفيف من الاكراد الهكارية يريد خلع الملك الكامل وتمليك أخيه الملك الفائز ابراهيم بن العادل ووافقه على ذلك كثير من الامراء فلم يجد الكامل بدّا من الرحيل في الليل جريدة وسار من العادلية الى أشموم طناح ونزل بها وأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل واحد هواه ولم يعرج واحد منهم على آخر وتركوا أثقالهم وسائر مامعهم فاغتنم الفرنج الفرصة وعبروا الى بر دمياط واستولوا على جميع ماتركه المسلمون وكان شيئاً عظيما وهم الملك الكامل بمفارقة أرض مصر ثم ان الله تعالى ثبته وتلاحقت به العساكر وبعد يومين قدم عليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق باشموم فاشتد عضده بأخيه وأخرج ابن المشطوب من العسكر الى الشام ثم أخرج الفائز ابراهيم الى الملوك الايوبية بالشام والشرق يستنفرهم لجهاد الفرنج وكتب الملك الكامل الى أخيه الملك الاشرف موسى شاه يستحثه على الحضور وصدر المكاتبة بهذه الابيات

يامسعدى ان كنت حقا مسعفى * فانهض بغير تلبث وتوقف
واحثث قلوصك مرقلا أوموجفا * بتجشم في سيرها وتعسف
واطو المنازل مااستطعت ولا تنخ * الا على باب المليك الاشرف
واقر السلام عليه من عبد له * متوقع لقدومه متشوف
واذا وصلت الى حماه فقل له * عني بحسن توصل وتلطف
ان تأت عبدك عن قليل تلقه * مابين كل مهند ومثقف
أو تبط عن انجاده فلقاؤه * بك في القيامة في عراص الموقف

وجد الكامل في قتال الفرنج وأمر بالنفير في ديار مصر وأتته الملوك من الاطراف فقدر الله أخذ الفرنج لدمياط بعد ماحاصروها ستة عشر شهراً واثنين وعشرين يوما ووضعوا السيف في أهلها فرحل الكامل من أشموم ونزل بالمنصورة وبعث يستنفر الناس وقوى الفرنج حتى بلغت عدتهم نحو المائتي ألف راجل وعشرة آلاف فارس وقدم عامة أهل أرض

مصر وأتت النجدات من البلاد الشامية وغيرها فصار المسلمون في جمع عظيم الى الغاية بلغت عدة فرسانهم خاصة نحو الاربعين ألفاً وكانت بين الفريقين خطوب آلت الي وقوع الصلح وتسلم المسلمون مدينة دمياط في تاسع عشرى رجب سنة ثمان عشرة وستمائة بعد ماأقامت بيد الفرنج سنة وأحد عشر شهراً تنقص ستة أيام وسار الفرنج الى بلادهم وعاد السلطان الى قلعة الجبل وأخرج كثيرا من الامراء الذين وافقوا ابن المشطوب من القاهرة الى الشام وفرق أخبازهم على مماليكه ثم تخوف من أمرائه في سنة احدى وعشرين بميلهم الى أخيه الملك المعظم فقبض على جماعة منهم وكاتب أخاه الملك الاشرف في موافقته على المعظم فقويت الوحشة بين الكامل والمعظم واشتد خوف الكامل من عسكره وهم أن يخرج من القاهرة لقتال المعظم فلم يجسر على ذلك وقدم الاشرف الى القاهرة فسر بذلك سرورا كثيراً وتحالفا على المعاضدة وسافر من القاهرة فمال مع المعظم فتحير الكامل في أمره وبعث الى ملك الفرنج يستدعيه الى عكا ووعده بأن يمكنه من بلاد الساحل وقصد بذلك أن يشغل سر أخيه المعظم فلما بلغ ذلك المعظم خطب للسلطان جلال الدين الخوارزمي وبعث يستنجد به على الكامل وابطل الخطبة للكامل فخرج الكامل من القاهرة يريد محاربته فى رمضان سنة أربع وعشرين وسار الى العباسة ثم عاد الى قلعة الجبل وقبض على عدة من الامراء ومماليك أبيه لمكاتبتهم المعظم وأنفق فى العسكر فاتفق موت الملك المعظم في سلخ ذى القعدة وقيام ابنه الملك الناصر داود بسلطنة دمشق وطلبه من الكامل الموادعة فبعث اليه خلعة سنية وسنجقا سلطانياً وطلب منه أن ينزل له عن قلعة الشوبك فامتنع الناصر من ذلك فوقعت المنافرة بينهما وعهد الملك الكامل الى ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأركبه بشعار السلطنة وأنزله بدار الوزارة وخرج من القاهرة في العساكر يريد دمشق فأخذ نابلس والقدس فخرج الناصر داود من دمشق ومعه عمه الاشرف وسارا الى الكامل يطلبان منه الصلح فلما بلغ ذلك الكامل رحل من نابلس يريد القاهرة فقدمها الناصر والاشرف وأقام بها الناصر وسار الاشرف والمجاهد الي الكامل فأدركاه بتل العجوز فأكرمهما وقرر مع الاشرف انتزاع دمشق من الناصر واعطاءها للاشرف على أن يكون للكامل مابين عقبة أفيق الى القاهرة وللاشرف من دمشق الى عقبة أفيق وأن يعين بجماعة من ملوك بني أيوب فاتفق قدوم الملك الانبرطور الى عكا باستدعاء الملك الكامل له فتحير الكامل في امره لعجزه عن محاربته وأخذ يلاطفه وشرع الفرنج في عمارة صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب فلما بلغ الناصر موافقة الاشرف للكامل عاد من نابلس الى دمشق واستعد للحرب فسار اليه الاشرف من تل العجوز وحاصره بدمشق وأقام الكامل بتل العجوز وقد تورط مع الفرنج فلم يجد بدا من اعطائهم القدس على أن لايجدد سوره وأن

تبقى الصخرة والاقصى مع المسلمين ويكون حكم قري القدس الى المسلمين وأن القرى التي فيما بين عكا ويافا وبين لد والقدس للفرنج وانعقدت الهدنة على ذلك لمدة عشر سنين وخمسة أشهر وأربعين يوما أولها ثامن ربيع الاول سنة ست وعشرين ونودى في القدس بخروج المسلمين منه وتسليمه الى الفرنج فكان أمرا مهولا من شدة البكاء والصراخ وخرجوا بأجمعهم فصاروا الى مخيم الكامل وأذنوا على بابه في غير وقت الاذان فشق عليه ذلك وأخذ منهم الستور وقناديل الفضة والآلات وزجرهم وقيل لهم امضوا حيث شئتم فعظم على المسلمين هذا وكثر الانكار على الملك الكامل وشنعت المقالة فيه وعاد الانبرطور الى بلاده بعد مادخل القدس وكان مسيره في آخر جمادي الآخرة سنة ست وعشرين وسير الكامل الى الآفاق بتسكين قلوب المسلمين وانزعاجهم لاخذ الفرنج القدس ورحل من تل العجوز يريد دمشق والاشرف على محاصرتها لجد فى القتال واشتد الامر على الناصر الى أن ترامى في الليل على الملك الكامل فأكرمه وأعاده الى قلعة دمشق وبعث من تسلمها منه وعوضه عن دمشق الكرك والشوبك والصلت والبلقاء والاغوار ونابلس وأعمال القدس ثم ترك الشوبك للكامل مع عدة مما ذكر وتسلم الكامل دمشق فى أول شعبان وأعطاها للاشرف وأخذ منه مامعه من بلاد الشرق وهى حران والرها وسروج وغير ذلك ثم سار الكامل فأخذ حماه وتوجه منها فقطع الفرات ثم سار الى جعبر والرقة ودخل حران والرها ورتب أمورها وأتته الرسل من ماردين وآمد والموصل وأربل وغير ذلك وأقيمت له الخطبة بماردين وبعث يستدعى عساكر الشام لقتال الخوارزمى وهو بخلاط ثم رحل الكامل من حران لامور حدثت وسار الى مصر فدخلها في شهر رجب سنة سبع وعشرين وقد تغير على ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب وخلعه من ولاية العهد وعهد الى ابنه الملك العادل أبي بكر ثم سار الى الاسكندرية في سنة ثمان وعشرين ثم عاد الى مصر وحفر بحر النيل فيما بين المقياس وبر مصر وعمل فيه بنفسه واستعمل فيه الملوك من أهله والامراء والجند فصار الماء دائما فيما بين مصر والمقياس وانكشف البر فيما بين المقياس والجيزة في أيام احتراق النيل وخرج من القاهرة الى بلاد الشام في آخر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين واستخلف على ديار مصر ابنه العادل وأسكنه قلعة الجبل وأخذ الصالح معه فدخل دمشق من طريق الكرك وخرج منها لقتال التتر وجعل ابنه الصالح على مقدمته فسار الى حران فرحل التتر عن خلاط ثم رحل الى الرها وسار الى آمد ونازلها حتي أخذها وأنعم على ابنه الصالح بحصن كيفا وبعثه اليه وعاد الى مصر في سنة ثلاثين فقبض على عدة من الامراء ثم خرج في سنة احدى وثلاثين الى دمشق وسار منها ودخل الدربند وقد أعجبته كثرة عساكره فانه اجتمع معه ثمانية عشر طلبا لثمانية عشر ملكا وقال هذه العساكر لم تجتمع لاحد من ملوك الاسلام ونزل على

النهر الازرق بأول بلاد الروم وقد نزلت عساكر الروم وأخذت عليه رأس الدربند ومنعوه فتحير لقلة الاقوات عنده ولاختلاف ملوك بني أيوب عليه ورحل الى مصر وقد فسد ما بينه وبين الاشرف وغيره وأخذ ملك الروم الرها وحران بالسيف فتجهز الكامل وخرج بعساكره من القاهرة فى سنة ثلاث وثلاثين وسار الى الرها ونازلها حتى أخذها وهدم قلعتها وأخذ حران بعد قتال شديد وبعث بمن كان فيها من الروم الى القاهرة في القيود وكانوا زيادة على ثلاثة آلاف نفس ثم خرج الى دنيسر وعاد الى دمشق وسار منها الى القاهرة فدخلها في سنة أربع وثلاثين ثم خرج في سنة خمس وثلاثين ونزل على دمشق وقد امتنعت عليه فضايقها حتى أخذها من أخيه الملك الصالح اسماعيل وعوضه عنها بعلبك وبصري وغيرها في تاسع عشر جمادى الاولى ونزل بالقلعة وأخذ يتجهز لاخذ حلب وقد نزل به زكام فدخل في ابتدائه الحمام فاندفعت المواد الى معدته فتورم وثارت فيه حمى فنهاه الاطباء عن القيء وحذروه منه فلم يصبر وتقيأ فمات لوقته في آخر نهار الاربعاء حادي عشر رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة عن ستين سنة منها ملكه أرض مصر نحو أربعين سنة استبد فيها بعد موت أبيه مدة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما وكان يحب العلم وأهله ويؤثر مجالستهم وشغف بسماع الحديث النبوى وحدث وبنى دار الحديث الكاملية بالقاهرة وكان يناظر العلماء ويمتحنهم بمسائل غريبة من فقه ونحو فمن أجاب عنها حظي عنده وكان يبيت عنده بقلعة الجبل عدة من أهل العلم على أسرة بجانب سريره ليسامروه وكان للعلم والادب عنده نفاق فقصده الناس لذلك وصار يطلق الارزاق الدارة لمن يقصده لهذا وكان مهابا حازما سديد الرأى حسن التدبير عفيفا عن الدماء وكان يباشر أمور مملكته بنفسه من غير اعتماد على وزير ولا غيره ولم يستوزر بعد الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر أحدا وانما كان ينتدب من يختاره لتدبير الاشغال ويحضر عنده الدواوين ويحاسبهم بنفسه واذا ابتدأت زيادة النيل خرج وكشف الجسور ورتب الامراء لعملها فاذا انتهى عمل الجسور خرج ثانيا وتفقدها بنفسه فان وقف فيها على خلل عاقب متوليها أشد العقوبة فعمرت أرض مصر في أيامه عمارة جيدة وكان يخرج من زكوات الاموات التى تجبى من الناس سهمى الفقراء والمساكين ويعين مصرف ذلك لمستحقيه شرعا ويفرز منه معالم الفقهاء والصلحاء وكان يجلس كل ليلة جمعة مجلسا لاهل العلم فيجتمعون عنده للمناظرة وكان كثير السياسة حسن المداراة وأقام على كل طريق خفراء لحفظ المسافرين الا انه كان مغرما بجمع المال مجتهدا فى تحصيله وأحدث في البلاد حوادث سماها الحقوق لم تعرف قبله ومن شعره قوله رحمه الله تعالى

اذا تحققتم ما عند صاحبكم * من الغرام فذاك القدر يكفيه

انتم سكنتم فؤادى وهو منزلكم * وصاحب البيت أدرى بالذى فيه

وقال له الطبيب علم الدين أبو النصر جرجس بن أبي حليقة في اليوم الذى مات فيه كيف نوم السلطان في ليلته فأنشد

ياخليلى خبرانى بصدق * كيف طعم الكرى فانى نسيت

ودفن أولا بقلعة دمشق ثم نقل الى جوار جامع بنى أمية وقبره هناك رحمه الله تعالى

(المدرسة الصيرمية)

هذه المدرسة من داخل باب الجملون الصغير بالقرب من رأس سويقة أمير الجيوش فيما بينها وبين الجامع الحاكمي بجوار الزيادة بناها الامير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب وتوفى في تاسع عشر صفر سنة ست وثلاثين وستمائة

* المدرسة المسرورية *

هذه المدرسة بالقاهرة داخل درب شمس الدولة كانت دار شمس الخواص مسرور أحد خدام القصر فجعلت مدرسة بعد وفاته بوصيته وأن يوقف الفندق الصغير عليها وكان بناؤها من ثمن ضيعة بالشام كانت بيده بيعت بعد موته وتولى ذلك القاضى كمال الدين خضر ودرس فيها وكان مسرور ممن اختص بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فقدمه على حلقته ولم يزل مقدما الى الايام الكاملية فانقطع الى الله تعالى ولزم داره الى أن مات ودفن بالقرافة الى جانب مسجده وكان له بر واحسان ومعروف ومن آثاره بالقاهرة فندق يعرف اليوم بخان مسرور الصفدي وله ربع بالشارع

(المدرسة القوصية)

هذه المدرسة بالقاهرة في درب سيف الدولة بالقرب من درب ملوخيا أنشأها الامير الكردي والي قوص

(مدرسة بحارة الديلم) (٣)

(المدرسة الظاهرية)

هذه المدرسة بالقاهرة من جملة خط بين القصرين كان موضعها من القصر الكبير يعرف بقاعة الخيم وقد تقدم ذكرها في أخبار القصر ومما دخل في هذه المدرسة باب الذهب المذكور في أبواب القصر فلما أوقع الملك الظاهر بيبرس البندقداري الحوطة على القصور والمناظر كما تقدم ذكره نزل القاضى كمال الدين طاهر ابن الفقيه نصر وكيل بيت المال وقوم قاعة الخيم هذه وابتاعها الشيخ شمس الدين محمد بن العماد ابراهيم المقدسى شيخ الحنابلة ومدرس المدرسة الصالحية النجمية ثم باعها المذكور للسلطان فأمر بهدمها وبناء

موضعها مدرسة فابتدئ بعمارتها في ثانى ربيع الآخر سنة ستين وستمائة وفرغ منها فى سنة اثنتين وستين وستمائة ولم يقع الشروع في بنائها حتى رتب السلطان وقفها وكان بالشام فكتب بما رتبه الى الامير جمال الدين بن يغمور وان لايستعمل فيها أحدا بغير أجرة ولا ينقص من أجرته شيئاً فلما كان يوم الاحد خامس صفر سنة اثنتين وستين وستمائة اجتمع أهل العلم بها وقد فرغ منها وحضر القراء وجلس أهل الدروس كل طائفة في ايوان منها الشافعية بالايوان القبلى ومدرسهم الشيخ تقى الدين محمد بن الحسن بن رزين الحموى والحنفية بالايوان البحرى ومدرسهم الصدر مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم الحلبي وأهل الحديث بالايوان الشرقي ومدرسهم الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطى والقراء بالقرا آت السبع بالايوان الغربى وشيخهم الفقيه كمال الدين المحلى وقرروا كلهم الدروس وتناظروا في علومهم ثم مدت الاسمطة لهم فأكلوا وقام الاديب أبو الحسين الجزار فانشد

الا هكذا يبني المدارس من بنى * ومن يتغالى فى الثواب وفى الثنا
لقد ظهرت للظاهر الملك همة * بها اليوم في الدارين قد بلغ المنا
تجمع فيها كل حسن مفرق * فراقت قلوبا للانام وأعينا
ومذ جاورت قبر الشهيد فنفسه النفيسة منها في سرور وفى هنا
وما هى الا جنة الخلد أزلفت * له فى غد فاختار تعجيلها هنا

وقال السراج الوراق أيضاً قصيدة منها

مليك له في العلم حب وأهله * فلله حب ليس فيه ملام
فشيدها للعلم مدرسة غدا * عراق اليها شيق وشآم
ولا تذكرن يوما نظامية لها * فليس يضاهى ذا النظام نظام
ولا تذكرن ملكا فبيبرس مالك * وكل مليك فى يديه غلام
ولما بناها زعزعت كل بيعة * متى لاح صبح فاستقر ظلام
وقد برزت كالروض في الحسن انبأت * بأن يديه في النوال غمام
ألم تر محرابا كأن أزاهرا * تفتح عنهن الغداة كمام

وقال الشيخ جمال الدين يوسف بن الخشاب

قصد الملوك حماك والخلفاء * فافخر فان محلك الجوزاء
أنت الذى أمراؤه بين الورى * مثل الملوك وجنده أمراء
ملك تزينت الممالك باسمه * وتجملت بمديحه الفصحاء
وترفعت لعلاه خير مدارس * حلت بها العلماء والفضلاء

يبقى كما يبقى الزمان وملكه * باق له ولحاسديه فناء
كم للفرنج وللتتار ببابه * رسل مناها العفو والاعفاء
وطريقه لبلادهم موطوءة * وطريقهم لبلاده عذراء
دامت له الدنيا ودام مخلدا * ماأقبل الاصباح والامساء

فلما فرغ هؤلاء الثلاثة من انشادهم افيضت عليهم الخلع وكان يوما مشهودا وجعل بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم وبني بجانبها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى وأجرى لهم الجرايات والكسوة وأوقف عليها ربع السلطان خارج باب زويلة فيما بين باب زويلة وباب الفرج ويعرف ذلك الخط اليوم به فيقال خط تحت الربع وكان ربعا كبيرا لكنه خرب منه عدة دور فلم تعمر وتحت هذا الربع عدة حوانيت هي الآن من أجل الاسواق وللناس فى سكناها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافسا يرتفعون فيه الى الحكام وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة الا انها قد تقادم عهدها فرثت وبها الى الآن بقية صالحة ونظرها تارة يكون بيد الحنفية وأحيانا بيد الشافعية وينازع في نظرها أولاد الظاهر فيدفعون عنه ولله عاقبة الامور

* (المدرسة المنصورية) *

هذه المدرسة من داخل باب المارستان الكبير المنصورى بخط بين القصرين بالقاهرة أنشأها هي والقبة التى تجاهها والمارستان الملك المنصور قلاون الالفى الصالحي على يد الامير علم الدين سنجر الشجاعى ورتب بها دروسا أربعة لطوائف الفقهاء الاربعة ودرسا للطب ورتب بالقبة درسا للحديث النبوى ودرسا لتفسير القرآن الكريم وميعادا وكانت هذه التداريس لايليها الا أجل الفقهاء المعتبرين ثم هى اليوم كما قيل

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد يسمي بالفقيه المدرس
فحق لاهل العلم أن يتمثلوا * ببيت قديم شارع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

* (القبة المنصورية) هذه القبة تجاه المدرسة المنصورية وهما جميعا من داخل باب المارستان المنصورى وهى من أعظم المباني الملوكية وأجلها قدرا وبها قبر تضمن الملك المنصور سيف الدين قلاون وابنه الملك الناصر محمد بن قلاون والملك الصالح عماد الدين اسماعيل ابن محمد بن قلاون وبها قاعة جليلة فى وسطها فسقية يصل اليها الماء من فوارة بديعة الزى وسائر هذه القاعة مفروش بالرخام الملون وهذه القاعة معدة لاقامة الخدام الملوكية الذين يعرفون اليوم في الدولة التركية بالطواشية واحدهم طواشى وهذه لفظة تركية أصلها بلغتهم طابوشي فتلاعبت بها العامة وقالت طواشي وهو الخصى وهؤلاء الخدام في كل يوم مايكفيهم

من الخبز النقي واللحم المطبوخ وفى كل شهر من المعاليم الوافرة مافيه غنية لهـم وأدركتهم ولهم حرمةوافرة وكلمة نافذة وجانب مرعىوبعد شيخهم من أعيان الناس يجلس على مرتبة وبقية الخدام في مجالسهم لايبرحون في عبادة وكان يستقر فى وظائف هذه الخدمة أكابر خدام السلطان ويقيمون عنهم نوابا يواظبون الاقامة بالقبة ويرون مع سعة أحوالهم وكثرة أموالهم من تمام فخرهم وكمال سيادتهم انتماءهم الى خدمة القبة المنصورية ثم تلاشى الحـال بالنسبة الى ماكان والخدام بهذه القاعة الى اليوم وقصد الملوك باقامة الخدام فى هذه القاعة التى يتوصل الى القبة منها اقامة ناموس الملك بعد الموت كما كان في مدةالحياة وهو الى اليوم لايمكنون أحدا من الدخول الى القبة الا من كان من أهلها ولله در يحيى بن حكم البكري الجياني المغربي الملقب بالغزال لجماله حيث يقول

أري أهل الثراء اذا توفوا * بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا الا مبـاهـاةوتيهـا * على الفقراء حتى في القبور

وفي هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب الاربعة وتعرف بدروس وقف الصالح وذلك ان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون قصد عمارة مدرسة فاخترمته المنية دون بلوغ غرضه فقام الامير ارغون العلائى زوج أمه فى وقف قرية تعرف بدهمشا الحمام من الاعمال الشرقية عن أم الملك الصـالح فأبته بطريق الوكالة عنهـا ورتب ماكان الملك الصالح اسماعيل قرره في حياته لو أنشأ مدرسة وجعل ذلك الامير ارغون مرتبا لمن يقوم به في القبة المنصورية وهو وقف جليل يحصل منه في كل سنة نحو الاربعة آلاف دينـار ذهبا ثم لما كانت الحوادث و خربت الناحية المذكورة تلاشى أمر وقف الصـالح وفيه الى اليوم بقية وكان لايلي تدريس دروسه الاقضاة القضاة فوليه الآن الصبيان ومن لايؤهل لو كان الانصاف له * وفي هذه القبـة أيضاً قراء يتناوبون القراءة بالشبابيك المطلة على الشارع طول الليل والنهار وهم من جهة ثلاثة اوقاف فطائفة من جهة وقف الملك الصالح اسماعيل وطائفة من جهة الوقف السيفى وهو منسوب الى الملك المنصور سيف الدين أبي بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاون * وبهذه القبة امام راتب يصلي بالخـدام والقراء وغيرهم الصلوات الخمس ويفتح له باب فيما بين القبة والمحراب يدخل منـه من يصلى من الناس ثم يغلق بعد انقضاء الصلاة * وبهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدة أحمال من الـكتب في انواع العلوم مما وقفه الملك المنصور وغيره وقدذهب معظم هذهالـكتب وتفرق فى ايدى الناس * وفي هذه القبة خزانة بها ثياب المقبورين بها ولهم فراش معلوم بمعلوم لتعهدهم ويوضع مايحصل من مال اوقاف المارستان بهذه القبة تحت ايدى الخدام وكانت العـادة انه اذا أمر السلطان أحداً من أمراء مصر والشام فانه ينزل من قلعة الجبل وعليه التشريف

والشربوش وتوقد له القاهرة فيمر الى المدرسة الصالحية بين القصرين وعمل ذلك من عهد سلطنة المعز ايبك ومن بعده فنقل ذلك الى القبة المنصورية وصار الامير يحلف عند القبر المذكور ويحضر تحليفه صاحب الحجاب وتمد أسمطة جليلة بهذه القبة ثم ينصرف الامير ويجلس له في طول شارع القاهرة الى القلعة أهل الاغانى لتزفه في نزوله وصعوده وكان هذا من جملة منتزهات القاهرة وقد بطل ذلك منذ انقرضت دولة بني قلاون* ومن جملة أخبار هذه القبة انه لما كان في يوم الخميس مستهل المحرم سنة تسعين وستمائة بعث الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون بجملة مال تصدق به في هذه القبة ثم أمر بنقل أبيه من القلعة فخرج سائر الامراء ونائب السلطنة الامير بيدرا بدر الدين والوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس التنوخي وحضروا بعد صلاة العشاء الآخرة ومشوا بأجمعهم قدام تابوت الملك المنصور الى الجامع الازهر وحضر فيه القضاة ومشايخ الصوفية فتقدم قاضي القضاة تقى الدين بن دقيق العيد وصلى على الجنازة وخرج الجميع أمامها الى القبة المنصورية حتى دفن فيها وذلك في ليلة الجمعة ثاني المحرم وقيل عاشره ثم عاد الوزير والنائب من الدهليز خارج القاهرة الى القبة المنصورية لعمل مجتمع بسبب قراءة ختمة كريمة في ليلة الجمعة ثامن عشرى صفر منها وحضر المشايخ والقراء والقضاة في جمع موفور وفرق في الفقراء صدقات جزيلة ومدت أسمطة كثيرة وتفرقت الناس اطعمتها حتى امتلأت الايدى بها وكانت احدى الليالى الغر كثر الدعاء فيها للسلطان وعساكر الاسلام بالنصر على أعداء الملة وحضر الملك الاشرف بكرة يوم الجمعة الى القبة المنصورية وفرق مالا كثيراً وكان الملك الاشرف قد برز يريد المسير لجهاد الفرنج وأخذ مدينة عكا فسار لذلك وعاد في العشرين من شعبان وقد فتح الله له مدينة عكا عنوة بالسيف وخرب أسوارها وكان عبوره الى القاهرة من باب النصر وقد زينت القاهرة زينة عظيمة فعند ماحاذى باب المارستان نزل الى القبة المنصورية وقد غصت بالقضاة والاعيان والقراء والمشايخ والفقهاء فتلقوه كلهم بالدعاء حتى جلس فأخذ القراء فى القراءة وقام نجم الدين محمد بن فتح الدين محمد بن عبد الله بن مهلهل بن غياث بن نصر المعروف بابن العنبرى الواعظ وصعد منبرا نصب له فجلس عليه وافتتح ينشد قصيدة تشتمل على ذكر الجهاد وما فيه من الاجر فلم يسعد فيها بحظ وذلك انه افتتحها بقوله

زر والديك وقف على قبريهما * فكانني بك قد نقلت اليهما

فعند ماسمع الاشرف هذا البيت تطير منه ونهض قائماً وهو يسب الامير بيدرا نائب السلطنة لشدة حنقه وقال ماوجد هذا شيئاً يقوله سوى هذا البيت فأخذ بيدرا في تسكين حنقه والاعتذار له عن ابن العنبري بأنه قد انفرد فى هذا الوقت بحسن الوعظ ولا نظير له فيه الا انه لم يرزق سعادة في هذا الوقت فلم يصغ السلطان الى قوله وسار فانفض المجلس

على غير شيء وصعد السلطان الى قلعة الجبل ثم بعد أيام سأل السلطان عن وقف المارستان وأحب أن يجدد له وقفاً من بلاد عكا التى افتتحها بسيفه فاستدعى القضاة وشاورهم فيما هم به من ذلك فرغبوه فيه وحثوه على المبادرة اليه فعين أربع ضياع من ضياع عكا وصور ليقفها على مصالح المدرسة والقبة المنصورية ما تحتاج اليه من ثمن زيت وشمع ومصابيح وبسط وكلفة الساقية وعلى خمسين مقرئاً يرتبون لقراءة القرآن الكريم بالقبة وامام راتب يصلي بالناس الصلوات الخمس في محراب القبة وستة خدام يقيمون بالقبة وهي الكابرة وتل الشيوخ وكردانة وضواحيها من عكا ومن ساحل صور معركة وصدفين وكتب بذلك كتاب وقف وجعل النظر في ذلك لوزيره الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس فلما تم ذلك تقدم بعمل مجتمع بالقبة لقراءة ختمة كريمة وذلك ليلة الاثنين رابع ذى القعدة سنة تسعين وستمائة فاجتمع القراء والوعاظ والمشايخ والفقراء والقضاة لذلك وخلع على عامة أرباب الوظائف والوعاظ وفرقت في الناس صدقات جمة وعمل مهم عظيم احتفل فيه الوزير احتفالا زائدا وبات الامير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة والامير الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس بالقبة وحضر السلطان ومعه الخليفة الحاكم بأمر الله احمد وعليه سواده فخطب الخليفة خطبة بليغة حرض فيها على أخذ العراق من التتار فلما فرغ من المهم افاض السلطان على الوزير تشريفا سنيا وفي يوم الخميس حادى عشر ربيع الاول سنة احدى وتسعين وستمائة اجتمع القراء والوعاظ والفقهاء والاعيان بالقبة المنصورية لقراءة ختمة شريفة ونزل السلطان الملك الاشرف وتصدق بمال كثير وآخر من نزل الى القبة المنصورية من ملوك بني قلاون السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون في سنة احدى وستين وسبعمائة وحضر عنده بالقبة مشايخ العلم وبحثوا فى العلم وزار قبر أبيه وجده ثم خرج فنظر في أمر المرضي بالمارستان وتوجه الى قلعة الجبل

* (المدرسة الناصرية) *

هذه المدرسة بجوار القبة المنصورية من شرقيها كان موضعها حماماً فأمر السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري بانشاء مدرسة موضعها فابتدئ في عملها ووضع أساسها وارتفع بناؤها عن الارض الى نحو الطراز المذهب الذى بظاهرها فكان من خلعه ما كان فلما عاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الى مملكة مصر فى سنة ثمان وتسعين وستمائة أمر باتمامها فكملت في سنة ثلاث وسبعمائة وهي من أجل مباني القاهرة وبابها من أعجب ماعملته أيدي بنى آدم فانه من الرخام الابيض البديع الزى الفائق الصناعة ونقل الى القاهرة من مدينة عكا وذلك أن الملك الاشرف خليل بن قلاون لما فتح عكا عنوة في سابع عشر جمادى الاولى سنة تسعين وستمائة اقام الامير علم الدين سنجر الشجاعي لهدم أسوارها

وتخريب كنائسها فوجد هذه البوابة على باب كنيسة من كنائس عكاوهي من رخام قواعدها وأعضادها وعمدها كل ذلك متصل بعضه ببعض فحمل الجميع الى القاهرة وأقام عنده الى أن قتل الملك الاشرف وتمادى الحال على هذا أيام سلطنة الملك الناصر محمد الاولى فلما خلع وتملك كتبغا أخذ دار الامير سيف الدين بلبان الرشيدى ليعملها مدرسة فدل على هذه البوابة فأخذها من ورثة الامير بيدرا فانها كانت قد انتقلت اليه وعملها كتبغا على باب هذه المدرسة فلما خلع من الملك وأقيم الناصر محمد اشترى هذه المدرسة قبل اتمامها والاشهاد بوقفها وولى شراءها وصيه قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى وأنشأ بجوار هذه المدرسة من داخل بابها قبة جليلة لكنها دون قبة أبيه ولما كملت نقل اليها أمه بنت سكباى بن قراجين ووقف على هذه المدرسة قيسارية أمير علي بخط الشرابشيين من القاهرة والربع الذى يعلوها وكان يعرف بالدهيشة ووقف عليها أيضاً حوانيت بخط باب الزهومة من القاهرة ودار العلم خارج مدينة دمشق فلما مات ابنه انوك من الخاتون طغاي في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول سنة احدى وأربعين وسبعمائة وعمره ثمانى عشرة سنة دفنه بهذه القبة وعمل عليها وقفاً يختص بها وهو باق الى اليوم يصرف لقراء وغير ذلك * وأول من رتب في تدريس المدرسة الناصرية من المدرسين قاضى القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكى ليدرس فقه المالكية بالايوان الكبير القبلي وقاضي القضاة شرف الدين عبد الغنى الحرانى ليدرس فقه الحنابلة بالايوان الغربي وقاضى القضاة أحمد بن السروجي الحنفى ليدرس فقه الحنفية بالايوان الشرقي والشيخ صدر الدين محمد بن المرحل المعروف بابن الوكيل الشافعي ليدرس فقه الشافعية بالايوان البحرى وقرر عند كل مدرس منهم عدة من الطلبة وأجرى عليهم المعاليم ورتب بها اماماً يؤم بالناس في الصلوات الخمس وجعل بها خزانة كتب جليلة وأدركت هذه المدرسة وهي محترمة الى الغاية يجلس بدهليزها عدة من الطواشية ولا يمكن غريب أن يصعد اليها وكان يفرق بها علي الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها السكر فى كل شهر لكل أحد منهم نصيب ويفرق عليهم لحوم الاضاحى فى كل سنة وقد بطل ذلك وذهب ما كان لها من الناموس وهى اليوم عامرة من أجل المدارس

* (المدرسة الحجازية) *

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة بجوار قصر الحجازية كان موضعها باباً من أبواب القصر يعرف بباب الزمرد أنشأتها الست الجليلة الكبرى خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون زوجة الامير بكتمر الحجازى وبه عرفت وجعلت بهذه المدرسة درسا للفقهاء الشافعية قررت فيه شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني ودرساً للفقهاء المالكية وجعلت بها منبراً يخطب عليه يوم الجمعة ورتبت لها

اماما راتبا يقيم بالناس الصلوات الخمس وجعلت بها خزانة كتب وانشأت بجوارها قبة من داخلها لتدفن تحتها ورتبت بشباك هذه القبة عدة قراء يتناوبون قراءة القرآن الكريم ليلا ونهارا وأنشأت به منارا عاليا من حجارة ليؤذن عليه وجعلت بجوار المدرسة مكتبا لاسبيل فيه عـدة من أيتام المسلمين ولهم مؤدب يعلمهم القرآن الكريم ويجرى عليهم في كل يوم لكل منهم من الخبز النقى خمسة أرغفة ومبلغ من الفلوس ويقام لكل منهم بكسوتي الشتاء والصيف وجعلت على هـذه الجهات عدة أوقاف جليـلة يصرف منها لارباب الوظائف المعاليم السنية وكان يفرق فيهم كل سنة أيام عيد الفطر الكعك والخشكنانك وفي عيد الاضحي اللحم وفي شهر رمضان يطبخ لهم الطعام وقد بطل ذلك ولم يبق غير المعـلوم في كل شهر وهى من المدارس الكيسة وعهدى بها محترمة الى الغاية يجلس بها عدة من الطواشية ولا يمكنون أحدا من عبور القبـة التي فيها قبر خوند الحجازية الا القراء فقط وقت قراءتهم خاصة * واتفق مرة أن شخصا من القراء كان فى نفسه شئ من أحد رفقائه فأتي الى كبير الطواشية بهذه القبة وقال له ان فلانا دخل اليوم الى القبـة وهو بغير سراويل فغضب الطواشي من هذا القول وعد ذلك ذنبا عظيما وفعلا محذورا وطلب ذلك المقرئ وأمر به فضرب بين يديه وصار يقول له تدخل على خوند بغير سراويل وهم باخراجه من وظيفة القراءة لولا ماحصل من شفاعة الناس فيه وكان لايلى نظر هذه المدرسـة الا الامراء الا كابر ثم صار يليها الخدام وغيرهم وكان انشاؤها في سنة احدى وستين وسبعمائة ولما ولى الامـير جمال الدين يوسف البجاسي وظيفة أستادارية السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق وعمر بجانب هـذه المدرسة داره ثم مدرستـه صار يحبس فى المدرسـة الحجازية من يصادره أو يعاقبه حتى امتلأت بالمسجونين والاعوان المرسمين عليهم فزالت تلك الابهة وذهب ذلك الناموس واقتدى بجمال الدين من سكن بعده من الاستادارية في داره وجعلوا هذه المدرسة سجنا ومع ذلك فهى من أبهج مدارس القاهرة الى الآن

(المدرسة الطيبرسية)

هذه المدرسة بجوار الجامع الازهر من القاهرة وهي غربيـه مما يلي الجهـة البحرية أنشأها الامير عـلاء الدين طيبرس الخازندارى نقيب الجيوش وجعلها مسجـدا لله تعالى زيادة فى الجامع الازهر وقرر بها درسا للفقهاء الشافعية وأنشأ بجوارها ميضأة وحوض ماء سبيل ترده الدواب وتأنق في رخامها وتذهيب سقوفها حتي جاءت فى أبدع زي وأحسن قالب وأبهج ترتيب لما فيها من اتقان العمل وجودة الصناعة بحيث انه لم يقدر أحـد على محاكاة ما فيها من صناعة الرخام فان جميعه أشكال المحاريب وبلغت النفقة عليها جملة كثيرة وانتهت عمارتها في سنة تسع وسبعمائة ولها بسط تفرش فى يوم الجمعة كلها منقوشة بأشكال

المحاريب أيضاً وفيها خزانة كتب ولها امام راتب * (طيبرس) بن عبد الله الوزيرى كان في ملك الامير بدر الدين بيلبك مملوك الخازندار الظاهرى نائب السلطنة ثم انتقل الى الامير بدر الدين بيدرا وتنقل فى خدمته حتى صار نائب الصبيبة ورأى مناما للمنصور لاجين يدل على انه يصير سلطان مصر وذلك قبل أن يتقلد السلطنة وهو نائب الشام فوعده ان صارت اليه السلطنة أن يقدمه وينوه به فلما تملك لاجين استدعاه وولاه نقابة الجيش بديار مصر عوضا عن بلبان الفاخري في سنة سبع وتسعين وستمائة فباشر النقابة مباشرة مشكورة الى الغاية من اقامة الحرمة وأداء الامانة والعفة المفرطة بحيث انه ماعرف عنه أنه قبل من أحد هدية البتة مع التزام الديانة والمواظبة على فعل الخير والغنى الواسع وله من الآثار الجميلة الجامع والخانقاه بأراضى بستان الخشاب المطلة على النيل خارج القاهرة فيما بينها وبين مصر بجوار المنشأة وهو أول من عمر في أراضى بستان الخشاب وقد تقدم ذكر ذلك ومن آثاره أيضاً هذه المدرسة البديعة الزي وله على كل من هذه الاماكن أوقاف جليلة ولم يزل في نقابة الجيش الى أن مات في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبعمائة ودفن في مكان بمدرسته هذه وقبره بها الى وقتنا هذا ووجد له من بعده مال كثير جدا وأوصى الى الامير علاء الدين علي الكوراني وجعل الناظر على وصيته الامير أرغون نائب السلطنة واتفق انه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضر اليه مباشروه حساب مصروفها فلما قدم اليه استدعى بطشت فيه ماء وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شيء منها وقال شيء خرجنا عنه لله تعالى لانحاسب عليه ولهذه المدرسة شبابيك في جدار الجامع تشرف عليه ويتوصل من بعضها اليه وما عمل ذلك حتى استفتي الفقهاء فيه فأفتوه بجواز فعله وقد تداولت أيدى نظار السوء على أوقاف طيبرس هذا فخرب أكثرها وخرب الجامع والخانقاه وبقيت هذه المدرسة عمرها الله بذكره

(المدرسة الاقبغاوية)

هذه المدرسة بجوار الجامع الازهر على يسرة من يدخل اليه من بابه الكبير البحرى وهى تشرف بشبابيك على الجامع مركبة فى جداره فصارت تجاه المدرسة الطيبرسية كان موضعها دار الامير الكبير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة فى أيام الملك الظاهر بيبرس وميضأة للجامع فانشأها الامير علاء الدين أقبغا عبد الواحد أستادار الملك الناصر محمد بن قلاون وجعل بجوارها قبة ومنارة من حجارة منحوتة وهى أول مئذنة عملت بديار مصر من الحجر بعد المنصورية وانما كانت قبل ذلك تبنى بالآجر بناها هى والمدرسة المعلم ابن السيوفي رئيس المهندسين في الايام الناصرية وهو الذى تولى بناء جامع الماردينى خارج باب زويلة وبنى مئذنته أيضاً وهي مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ولا انس بيوت العبادات

شيء البتة وذلك ان أقبغا عبد الواحد اغتصب أرض هذه المدرسة بأن أقرض ورثة ايدمر الحلي مالا وأمهل حتي تصرفوا فيه ثم أعسفهم في الطلب وألجأهم الى أن أعطوه دارهم فهدمها وبنى موضعها هذه المدرسة وأضاف الى اغتصاب البقعة أمثال ذلك من الظلم فبناها بأنواع من الغصب والعسف وأخذ قطعة من سور الجامع حتي ساوى بها المدرسة الطيبرسية وحشر لعملها الصناع من البنائين والنجارين والحجارين والمرخمين والفعلة وقرر مع الجميع أن يعمل كل منهم فيها يوما في كل أسبوع بغير أجرة فكان يجتمع فيها في كل أسبوع سائر الصناع الموجودين بالقاهرة ومصر فيجدون في العمل نهارهم كله بغير أجرة وعليهم مملوك من مماليكه ولاه شد العمارة لم ير الناس أظلم منه ولا أعتى ولا أشد بأسا ولا أقسى قلبا ولا أكثر عتا فلقي العمال منه مشقات لاتوصف وجاء مناسبا لمولاه وحمل مع هذا الى هذه العمارة سائر مايحتاج اليه من الامتعة وأصناف الآلات وأنواع الاحتياجات من الحجر والخشب والرخام والدهان وغيره من غير أن يدفع في شيء منه ثمنا البتة وانما كان يأخذ ذلك اما بطريق الغصب من الناس أو على سبيل الخيانة من عمائر السلطان فانه كان من جملة مابيده شد العمائر السلطانية وناسب هذه الافعال أنه ماعرف عنه قط انه نزل الى هذه العمارة الا وضرب فيها من الصناع عدة ضربا مؤلما فيصير ذلك الضرب زيادة على عمله بغير أجرة فيقال فيه كانت خصالك هذه بعمارى فلما فرغ من بنائها جمع فيها سائر الفقهاء وجميع القضاة وكان الشريف شرف الدين عليّ بن شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين نقيب الاشراف ومحتسب القاهرة حينئذ يؤمل أن يكون مدرسها وسعي عنده في ذلك فعمل بسطا على قياسها بلغ ثمنها ستة آلاف درهم فضة ورشاه بها ففرشت هناك ولما تكامل حضور الناس بالمدرسة وفي الذهن أن الشريف يلي التدريس وعرف أنه هو الذي أحضر البسط التي قد فرشت قال الامير أقبغا لمن حضر لا أولى في هذه الايام أحدا وقام فتفرق الناس وقرر فيها درسا للشافعية ولى تدريسه (٣) ودرسا للحنفية ولى تدريسه (٣) وجعل فيها عدة من الصوفية ولهم شيخ وقرر بها طائفة من القراء يقرؤن القرآن بشبا كها وجعل لها اماما راتبا ومؤذنا وفراشين وقومة ومباشرين وجعل النظر للقاضى الشافعي بديار مصر وشرط في كتاب وقفه أن لايلي النظر أحد من ذريته ووقف على هذه الجهات حوانيت خارج باب زويلة بخط تحت الربع وقرية بالوجه القبلي وهذه المدرسة عامرة الى يومنا هذا الا انه تعطل منها الميضأة وأضيفت الى ميضأة الجامع لتغلب بعض الامراء بمواطأة بعض النظار على بئر الساقية التي كانت برسمها * (أقبغا عبد الواحد) الامير علاء الدين أحضره الى القاهرة التاجر عبد الواحد بن بدال فاشتراه منه الملك الناصر محمد بن قلاون ولقبه باسم تاجره الذي أحضره فحظى عنده وعمله شاد العمائر فنهض فيها نهضة أعجب منه السلطان وعظمه

حتى عمله أستادار السلطان بعد الامير مغلطاى الجمالى في المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وولاه مقدم المماليك فقويت حرمته وعظمت مهابته حتي صار سائر من في بيت السلطان يخافه ويخشاه وما برح على ذلك الى أن مات الملك الناصر وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر فقبض عليه في يوم الاثنين سالخ المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وأمسك أيضا ولديه وأحيط بماله وسائر أملاكه ورسم عليه الامير طيبغا المجدى وبيع موجوده من الخيل والجمال والجوارى والقماش والاسلحة والاوانى فظهر له شئ عظيم الى الغاية من ذلك انه بيع بقلعة الجبل وبها كانت تعمل حلقات مبيعة سراويل امرأته بمبلغ مائتى ألف درهم فضة عنها نحو عشرة آلاف دينار ذهب وبيع له أيضاً قبقاب وشرموزة وخف نسائي بمبلغ خمسة وسبعين ألف درهم فضة عنها زيادة على ثلاثة آلاف دينار وبيعت بدلة مقانع بمائة ألف درهم وكثرت المرافعات عليه من التجار وغيرهم فبعث السلطان اليه شاد الدواوين يعرفه انه اقسم بتربة الشهيد يعني أباه انه متي لم يعط هؤلاء حقهم والاسمرتك على جمل وطفت بك المدينة فشرع اقبغا في استرضائهم واعطاهم نحو المائتي ألف درهم فضة ثم نزل اليه الوزير نجم الدين محمود بن سرور المعروف بوزير بغداد ومعه الحاج ابراهيم بن صابر مقدم الدولة لمطالبته بالمال فأخذا منه لؤلؤا وجواهر نفيسة وصعدا بها الى السلطان وكان سبب هذه النكبة انه كان قد تحكم في أمور الدولة السلطانية وأرباب الاشغال أعلاهم وأدناهم بما اجتمع له من الوظائف وكان عنده فراش غضب عليه وأوجعه ضربا فانصرف من عنده وخدم في دار الامير أبي بكر ولد السلطان فبعث اقبغا يستدعي بالفراش اليه فمنعه منه أبو بكر وأرسل اليه مع أحد مماليكه يقول له اني اريد أن تهبني هذا الغلام ولا تشوش عليه فلما بلغه المملوك الرسالة اشتد حنقه وسبه سبا فاحشاً وقال له قل لاستاذك يسير الفراش وهو جيد له وكان قبل ذلك اتفق أن الامير أبا بكر خرج من خدمة السلطان الى بيته فاذا الامير اقبغا قد بطح مملوكا وضربه فوقف أبو بكر بنفسه وسأل اقبغا في العفو عن المملوك وشفع فيه فلم يلتفت اقبغا اليه ولا نظر الى وجهه فخجل أبو بكر من الناس لسكونه وقف قائما بين يدي اقبغا وشفع عنده فلم يقم من مجلسه لوقوفه بل استمر قاعدا وأبو بكر واقف على رجليه ولا قبل مع ذلك شفاعته ومضى وفي نفسه منه حنق كبير فلما عاد اليه مملوكه وبلغه كلام اقبغا بسبب هذا الفراش أكد ذلك عنده ما كان من الاحنة وأخذ في نفسه الى أن مات أبوه الملك الناصر وعهد اليه من بعده. وكان قد التزم انه ان ملكه الله ليصادرن اقبغا وليضربنه بالمقارع وقال للفراش اقعد في بيتي. واذا حضر أحد لاخذك عرفت ما أعمل معه وأخذ أقبغا يترقب الفراش وأقام اناسا للقبض عليه فلم يتهيأ له مسكه فلما أفضى الامر الى أبي بكر استدعى الامير قوصون وكان هو القائم حينئذ بتدبير امور الدولة وعرفه ما التزمه

من القبض على اقبغا وأخذ ماله وضربه بالمقارع وذكر له واحدة من الامراء ماجرى له منه وكان لقوصون بأقبغا عناية فقال للسلطان السمع والطاعة يرسم السلطان بالقبض عليه ومطالبته بالمال فاذا فرغ ماله يفعل السلطان مايختاره وأراد بذلك تطاول المدة في أمر اقبغا فقبض عليه ووكل به رسل ابن صابر حتي انه بات ليلة قبض عليه من غير أن يأكل شيئاً وفي صبيحة تلك الليلة تحدث الامراء مع السلطان في نزوله الى داره محتفظا به حتي يتصرف في ماله ويحمله شيئا بعد شيء فنزل مع الجندى وباع مايملكه وأورد المال فلما قبض على الحاج ابراهيم ابن صابر وأقيم ابن شمس موضعه أرسله السلطان الى بيت أقبغا ليعصره ويضربه بالمقارع ويعذبه فبلغ ذلك الامير قوصون فمنع منه وشنع على السلطان كونه أمر بضربه بالمقارع وأمر بمراجعته فحنق من ذلك واطلق لسانه على الامير قوصون فلم يزل به من حضره من الامراء حتى سكت على مضض وكان قوصون يدبر في انتقاض دولة أبي بكر الى أن خلعه وأقام بعده أخاه الملك الاشرف كجك بن محمد بن قلاون وعمره نحو السبع سنين وتحكم في الدولة فأخرج أقبغا هو وولده من القاهرة وجعله من جملة أمراء الدولة بالشام فسار من القاهرة في تاسع ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة على حيز الامير مسعود بن خطير بدمشق ومعه عياله فأقام بها الى أن كانت فتنة الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاون وعصيانه بالكرك على أخيه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون فاتهم أقبغا بانه بعث مملوكا من مماليكه الى الكرك وأن الناصر أحمد خلع عليه وضربت البشائر بقلعة الكرك وأشاع أن أمراء الشام قد دخلوا في طاعته وحلفوا له وأن أقبغا قد بعث اليه مع مملوكه يبشره بذلك فلما وصل الى الملك الصالح كتاب عساف اخى شطى بذلك وصل في وقت وروده كتاب نائب الشام الامير طقزدمر يخبر فيه بأن جماعة من أمراء الشام قد كاتبوا أحمد بالكرك وكاتبهم وقد قبض عليهم ومن جملتهم أقبغا عبد الواحد فرسم بحمله مقيداً فحمل من دمشق الى الاسكندرية وقتل بها في آخر سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان من الظلم والطمع والتعاظم على جانب كبير وجمع من الاموال شيئاً كثيراً وأقام جماعة من أهل الشر لتتبع أولاد الامراء وتعرف أحوال من افتقر منهم أو احتاج الى شيء فلا يزالون به حتى يعطوه مالا على سبيل القرض بفائدة جزيلة الى أجل فاذا استحق المال اعسفه في الطلب وألجأه الى بيع ماله من الاملاك وحلها ان كانت وقفا بعنايته به وعين لعمل هذه الحيل شخصا يعرف بابن القاهري وكان اذا دخل لاحد من القضاة في شراء ملك أو حل وقف لايقدر على مخالفته ولا يجد بدا من موافقته * ومن غريب مايحكى عن طمع أقبغا أن مشد الحاشية دخل عليه وفي أصبعه خاتم بفص أحمر من زجاج له بريق فقال له أقبغا ايش هو هذا الخاتم فأخذ يعظمه وذكر أنه من تركة أبيه فقال بكم حسبوه عليك فقال بأربعمائة درهم

فقال أرنيه فناوله اياه فأخذه وتشاغل عنه ساعة ثم قال له والله فضيحة أن نأخذ خاتمك ولكن خذه انت وهات ثمنه ودفعه اليه وألزمه باحضار الاربعمائة درهم فما وسعه الا أن أحضرها اليه فعاقبه الله بذهاب ماله وغيره وموته غريباً

* (المدرسة الحسامية) *

هذه المدرسة بخط المسطاح من القاهرة قريباً من حارة الوزيرية بناها الامير حسام الدين طرنطاي المنصورى نائب السلطنة بديار مصر الى جانب داره وجعلها برسم الفقهاء الشافعية وهي فى وقتنا هذا تجاه سوق الرقيق ويسلك منها الى درب العداس والى حارة الوزيرية والى سويقة الصاحب وباب الخوخة وغير ذلك وكان بجانبها طبقة لخياط فطلبت منه بثلاثة أمثال ثمنها فلم يبعها وقيل لطرنطاى لو طلبته لاستحيي منك فلم يطلبه وتركه وطبقته وقال لاأشوش عليه * (طرنطاى) بن عبد الله الامير حسام الدين المنصورى رباه الملك المنصور قلاون صغيرا ورقاه في خدمه الى أن تقلد سلطنة مصر فجعله نائب السلطنة بديار مصر عوضاً عن الامير عز الدين ايبك الافرم الصالحى وخلع عليه فى يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثمان وسبعين وستمائة فباشر ذلك مباشرة حسنة الى أن كانت سنة خمس وثمانين فخرج من القاهرة بالعساكر الى الكرك وفيها الملك المسعود نجم الدين خضر وأخوه بدر الدين سلامش ابنا الملك الظاهر بيبرس في رابع المحرم وسار اليها فوافاه الامير بدر الدين الصوانى بعساكر دمشق في ألفي فارس ونازلا الكرك وقطعا الميرة عنها واستفسدا رجال الكرك حتى أخذا خضرا وسلامش بالامان في خامس صفر وتسلم الامير عز الدين ايبك الموصلى نائب الشوبك مدينة الكرك واستقر في نيابة السلطنة بها وبعث الامير طرنطاي بالبشارة الى قلعة الجبل فوصل البريد بذلك فى ثامن صفر ثم قدم بابني الظاهر فخرج السلطان الى لقائه في ثانى عشر ربيع الاول وأكرم الامير طرنطاى ورفع قدره ثم بعثه الى أخذ صهيون وبها سنقر الاشقر فسار بالعساكر من القاهرة فى سنة ست وثمانين ونازلها وحصرها حتى نزل اليه سنقر بالامان وسلم اليه قلعة صهيون وسار به الى القاهرة فخرج السلطان الى لقائه واكرمه ولم يزل على مكانته الى أن مات الملك المنصور وقام فى السلطنة بعده ابنه الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون فقبض عليه في يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة سنة تسع وثمانين وعوقب حتى مات يوم الاثنين خامس عشره بقلعة الجبل وبقى ثمانية أيام بعد قتله مطروحا بمجلس القاعة ثم أخرج فى ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة وقد لف فى حصير وحمل على جنوية الى زاوية الشيخ أبي السعود بالقرافة فغسله الشيخ عمر السعودى شيخ الزاوية وكفنه من ماله ودفنه خارج الزاوية ليلا وبقى هناك الى سلطنة العادل كتبغا فأمر بنقل جثته الى تربته التي أنشأها بمدرسته هذه وكان سبب القبض

عليه وقتله أن الملك الاشرف كان يكرهه كراهة شديدة فانه كان يطرح جانبه فى أيام أبيه ويغض منه ويهين نوابه ويؤذي من يخدمه لانه كان يميل الى أخيه الملك الصالح علاء الدين علي بن قلاون فلما مات الصالح علي وانتقلت ولاية العهد الى الاشرف خليل بن قلاون مال اليه من كان ينحرف عنه فى حياة أخيه الاطرنطاى فانه ازداد تماديا في الاعراض عنه وجري على عادته في أذى من ينسب اليه وأغري الملك المنصور بشمس الدين محمد بن السلعوس ناظر ديوان الاشرف حتى ضربه وصرفه عن مباشرة ديوانه والاشرف مع ذلك يتأكد حنقه عليه ولا يجد بدا من الصبر الى أن صار له الامر بعد أبيه ووقف الامير طرنطاي بين يديه فى نيابة السلطنة على عادته وهو منحرف عنه لما اسلفه من الاساءة عليه وأخذ الاشرف فى التدبير عليه الى أن نقل له عنه أنه يحدث سرا في افساد نظام المملكة واخراج الملك عنه وانه قصد أن يقتل السلطان وهو راكب فى الميدان الاسود الذى تحت قلعة الجبل عند ما يقرب من باب الاصطبل فلم يحتمل ذلك وعندها سير أربعة ميادين والامير طرنطاي ومن وافقه عند باب سارية حتى انتهى الى رأس الميدان وقرب من باب الاصطبل وفي الظن أنه يعطف الى باب سارية ليكمل التسيير على العادة فعطف الى جهة القلعة وأسرع ودخل من باب الاصطبل فبادر الامير طرنطاي عند ماعطف السلطان وساق فيمن معه ليدركوه ففاتهم وصار بالاصطبل فيمن خف معه من خواصه وما هو الا أن نزل الاشرف من الركوب فاستدعى بالامير طرنطاي فمنعه الامير زين الدين كتبغا المنصورى عن الدخول اليه وحذره منه وقال له والله انى أخاف عليك منه فلا تدخل عليه الا في عصبة تعلم انهم يمنعونك منه ان وقع أمر تكرهه فلم يرجع اليه وغره أن أحدا لايجسر عليه لمهابته في القلوب ومكانته من الدولة وأن الاشرف لايبادره بالقبض عليه. وقال لكتبغا والله لو كنت نائما ماجسر خليل ينبهني وقام ومشى الى السلطان ودخل ومعه كتبغا فلما وقف على عادته بادر اليه جماعة قد أعدهم السلطان وقبضوا عليه فأخذه اللكم من كل جانب والسلطان يعدد ذنوبه ويذكر له اساءته وبسبه فقال له ياخوند هذا جميعه قد عملته معك وقدمت الموت بين يدى ولكن والله لتندمن من بعدى هذا والايدى تتناوب عليه حتى ان بعض الخاصكية قلع عينه وسحب الى السجن فخرج كتبغا وهو يقول ايش اعمل ويكررها فأدركه الطلب وقبض عليه أيضاً ثم آل أمر كتبغا بعد ذلك الى أن ولى سلطنة مصر وأوقع الاشرف الحوطة على أموال طرنطاى وبعث الى داره الامير علم الدين سنجر الشجاعى فوجد له من العين ستمائة ألف دينار ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل مصرى عنها زيادة على مائة وسبعين قنطارا فضة سوى الاوانى ومن العدد والاسلحة والاقمشة والآلات والخيول والمماليك مايتعذر احصاء قيمته ومن الغلات والاملاك شئ كثير جدا ووجد له من البضائع

والاموال المسفرة على اسمه والودائع والمقارضات والقنود والاعسال والابقار والاغنام والرقيق وغير ذلك شيء يجل وصفه هـذا سوى ما أخفاه مباشروه بمصر والشام فلما حملت أمواله الى الاشرف جعل يقلبها ويقول

من عاش بعد عدوه * يوما فقـد بلغ المنى

واتفق بعد موت طرنطاى أن ابنه سأل الدخول على السلطان الاشرف فاذن له فلما وقف بين يديه جعل المنديل على وجهه وكان أعمى ثم مد يده وبكى وقال شيء لله وذكر أن لاهله أياما ماعندهم ماياً كلونه فرق له وأفرج عن أملاك طرنطاى وقال تبانعوا بريعها فسبحان من بيده القبض والبسط

(المدرسة المنكوتمرية)

هذه المدرسة بحارة بهاء الدين من القاهرة بناها بجوار داره الامير سيف الدين منكوتمر الحسامى نائب السلطنة بديار مصر فكملت فى صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة وعمل بها درسا للمالكية قرر فيه الشيخ شمس الدين محمد بن أبى القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسى المالكى ودرسا للحنفية درس فيه (٣) وجعل فيها خزانة كتب وجعل عليها وقفا ببلاد الشام وهي اليوم بيد قضاة الحنفية يتولون نظرها وأمرها متلاش وهى من المدارس الحسنة * (منكوتمر) هو أحد مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى ترقى فى خدمته واختص به اختصاصا زائدا الى أن ولى مملكة مصر بعد كتبغا فى سنة ست وتسعين وستمائة فجعله أحد الامراء بديار مصر ثم خلع عليه خلع نيابة السلطنة عوضا عن الامـير شمس الدين قراسنقر المنصورى يوم الاربعاء النصف من ذى القعدة فخرج سائر الامراء فى خدمته الى دار النيابة وباشر النيابة بتعاظم كثير وأعطي المنصب حقه من الحرمة الوافرة والمهابة التى تخرج عن الحـد وتصرف فى سائر أمور الدولة من غير أن يعارضه السلطان فى شيء البتة وبلغت عبرة اقطاعه في السـنة زيادة على مائة ألف دينار * ولما عمـل الملك المنصور الروك المعروف بالروك الحسامى فوض تفرقة مثالات اقطاعات الاجناد له فجلس في شباك دار النيابة بقلعة الجبل ووقف الحجاب بين يديه وأعطى لكل تقدمة مثالات فلم يجسر أحد أن يتحدث في زيادة ولا نقصان خوفا من سوء خلقه وشدة حمقه وبقى أياما فى تفرقة المثالات والناس على خوف شديد فان أقل الاقطاعات كان فى أيام الملك المنصور قلاون عشرة آلاف درهم فى السنة وأكثره ثلاثين ألف درهم فرجع فى الروك الحسامى أكثر اقطاعات الحلقة الى مبلغ عشرين ألف درهم وما دونها فشق ذلك على الاجناد وتقدم طائفة منهم ورموا مثالاتهم التى فرقت عليهم لان الواحد منهم وجد مثاله بحق النصف مما كان له قبل الروك وقالوا لمنكوتمر اما أن تعطونا مايقوم بكلفنا والا خذوا أخبازكم ونحن نخدم الامراء أو نصير

بطالين فغضب منكوتمر وأخرق بهم وتقدم الى الحجاب فضربوهم وأخذوا سيوفهم وأودعوهم السجون وأخـذ يخاطب الامراء بفحش ويقول ايما قواد شكا من خـبزه ويقول نقول للسلطان فعلت به وفعلت ايش يقول للسلطان ان رضى يخدم والا الى لعنة الله فشق ذلك على الامراء وأسروا له الشر ثم انه لم يزل بالسلطـان حتى قبض على الامـير بدر الدين بيسرى وحسن له اخراج أكابر الامراء من مصر فجردهم الى سيس واصبح وقد خلاله الجو فلم يرض بذلك حتى تحدث مع خوشداشيته بأنه لابد أن ينشىء له دولة جديدة ويخرج طفجي وكرجي من مصر ثم انه جهز حمدان بن صلغاي الى حلب فى صورة انه يستعجل العساكر من سيس وقرر معه القبض على عدة من الامراء وأمر عدة أمراء جعلهم له عدة وذخرا وتقدم الى الصاحب فخر الدين الخليلي بأن يعمل أوراقا تتضمن أسماء أرباب الرواتب ليقطع أكثرها فلم تدخل سنة ثمان وتسعين حتى استوحشت خواطر الناس بمصر والشام من منكوتمر وزاد حتي أراد السلطان أن يبعث بالامير طغا الى نيابة طرابلس فتنصل طغـا من ذلك فلم يعفه السلطان منه وألح منكوتمر فى اخراجه وأغلظ للامير كرجي فى القول وحط على سلار وبيبرس الجاشنكير وأنظارهم وغض منهم وكان كرجي شرس الاخلاق ضيق العطن سريع الغضب فهم غير مرة بالفتك بمنكوتمر وطفجي يسكن غضبه فبلغ السلطان فساد قلوب الامراء والعسكر فبعث قاضى القضاة حسام الدين الحسن بن احمد بن الحسن الرومى الحنفى الى منكوتمر يحدثه فى ذلك ويرجعه عما هو فيه فلم يلتفت الى قوله وقال أنا مالى حاجـة بالنيابة أريد أخرج مع الفقراء فلما بلغ السلطان عنه ذلك استدعاه وطيب خاطره ووعده بسفر طفجي بعد أيام ثم القبض على كرجي بعده فنقل هذا للامراء فتحالفوا وقتلوا السلطـان كما قد ذكر فى خبره وأول من بلغه خبر مقتـل السلطـان الامير منكوتمر فقام الى شباك النيابة بالقلعة فرأي باب القلة وقد انفتح وخرج الامراء والشموع تقد والضجة قد ارتفعت فقال والله قد فعلوها وأمر فغلقت أبواب دار النيابة وألبس مماليكه آلة الحرب فبعث الامراء اليه بالامير الحسام أستادار فعرفه بمقتل السلطان وتلطف به حتي نزل وهو مشدود الوسط بمنديل وسار به الى باب القلة والامير طفجي قد جلس في مرتبة النيابة فتقـدم الى طفجي وقبل يده فقام اليه وأجلسه بجانبه وقام الامراء في أمر منكوتمر يشفعون فيه فأمر به الى الجب وأنزلوه فيه وعند مااستقر به أدليت له القفة التي نزل فيها وتصايحوا عليه بالصعود فطلع عليهم واذا كرجي قد وقف على رأس الجب فى عدة من المماليك السلطانية فأخـذ يسب منكوتمر ويهينـه وضربه بلت ألقاه وذبحه بيـده على الجب وتركه وانصرف فكان بين قتـل أستاذه وقتـله ساعة من الليـل وذلك فى ليلة الجمعـة عاشر ربيع الاول سنـة ثمان وتسعين .

(المدرسة القراسنقرية)

هذه المدرسة تجاه خانقاه الصلاح سعيد السعداء فيما بين رحبة باب العيد وباب النصر كان موضعها وموضع الربع الذي بجانبها الغربي مع خانقاه بيبرس وما في صفها الى حمام الاعسر وباب الجوانية كل ذلك من دار الوزارة الكبرى التي تقدم ذكرها أنشأها الامير شمس الدين قرا سنقر المنصوري نائب السلطنة سنة سبعمائة وبني بجوار بابها مسجدا معلقا ومكتبا لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز وجعل بهذه المدرسة درسا للفقهاء ووقف على ذلك داره التي بحارة بهاء الدين وغيرها ولم يزل نظر هذه المدرسة بيد ذرية الواقف الى سنة خمس عشرة وثمانمائة ثم انقرضوا وهي من المدارس المليحة وكنا نعهد البريدية اذا قدموا من الشام وغيرها لاينزلون الا في هذه المدرسة حتى يتهيأ سفرهم وقد بطل ذلك من سنة تسعين وسبعمائة * (قرا سنقر بن عبد الله) الامير شمس الدين الجوكندار المنصوري صار الى الملك المنصور قلاون وترقي في خدمته الى أن ولاه نيابة السلطنة بحلب في شعبان سنة اثنتين وثمانين وستمائة عوضا عن الامير علم الدين سنجر الباشقردي فلم يزل فيها الى أن مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الاشرف خليل بن قلاون فلما توجه الاشرف الى فتح قلعة الروم عاد بعد فتحها الى حلب وعزل قرا سنقر عن نيابتها وولى عوضه الامير سيف الدين بلبان الطباخي وذلك في أوائل شعبان سنة احدى وتسعين وكانت ولايته على حلب تسع سنين فلما خرج السلطان من مدينة حلب خرج في خدمته وتوجه مع الامير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر في عدة من الامراء لقتال أهل جبال كسروان فلما عاد سار مع السلطان من دمشق الى القاهرة ولم يزل بها الى أن ثار الامير بيدرا على الاشرف فتوجه معه وأعان على قتله فلما قتل بيدرا فر قرا سنقر ولاجين في نصف المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة واختفيا بالقاهرة الى أن استقر الامر للملك الناصر محمد بن قلاون وقام في نيابة السلطنة وتدبير الدولة الامير زين الدين كتبغا فظهرا في يوم عيد الفطر وكانا عند فرارهما يوم قتل بيدرا أطلعا الامير بيحاص الزيني مملوك الامير كتبغا نائب السلطنة على حالهما فأعلم استاذه بأمرهما وتلطف به حتي تحدث في شأنهما مع السلطان فعفا عنهما ثم تحدث مع الامير بكتاش الفخري الى أن ضمن له التحدث مع الامراء وسعي في الصلح بينهما وبين الامراء والمماليك حتي زالت الوحشة وظهرا من بيت الامير كتبغا فأحضرهما بين يدي السلطان وقبلا الارض وأفيضت عليهما التشاريف وجعلهما امراء على عادتهما ونزلا الى دورهما فحمل اليهما الامراء ماجرت العادة به من التقادم فلم يزل قراسنقر علي امرته الي أن خلع الملك الناصر محمد بن قلاون من السلطنة وقام من بعده الملك العادل زين الدين كتبغا فاستمر على حاله الى أن ثار الامير حسام الدين لاجين نائب السلطنة بديار مصر على

الملك العادل كتبغا بمنزلة العوجاء من طريق دمشق فركب معه قرا سنقر وغيره من الامراء الى أن فر كتبغا واستمر الامر لحسام الدين لاجين وتلقب بالملك المنصور فلما استقر بقلعة الجبل خلع على الامير قراسنقر وجعله نائب السلطنة بديار مصر في صفر سنة ست وتسعين وستمائة فباشر النيابة الى يوم الثلاثاء النصف من ذى القعدة فقبض عليه وأحيط بموجوده وحواصله ونوابه ودواوينه بديار مصر والشام وضيق عليه واستقر في نيابة السلطنة بعده الامير منكوتمر وعد السلطان من أسباب القبض عليه اسرافه فى الطمع وكثرة الحمايات وتحصيل الاموال على سائر الوجوه مع كثرة ماوقع من شكاية الناس من مماليكه ومن كاتبه شرف الدين يعقوب فانه كان قد تحكم في بيته تحكما زائدا وعظمت نعمته وكثرت سعادته وأسرف في اتخاذ المماليك والخدم وانهمك في اللعب الكثير وتعدي طوره وقرا سنقر لايسمع فيه كلاما وحدثه السلطان بسببه وأغلظ في القول وألزمه بضربه وتأديبه أواخراجه من عنده فلم يعبأ بذلك وما زال قرا سنقر في الاعتقال الى أن قتل الملك المنصور لاجين وأعيد الملك الناصر محمد ابن قلاون الى السلطنة فأفرج عنه وعن غيره من الامراء ورسم له بنيابة الصبيبة فخرج اليها ثم نقل منها الى نيابة حماه بعد موت صاحبها الملك المظفر تقى الدين محمود بسفارة الامير بيبرس الجاشنكير والامير سلار ثم نقل من نيابة حماه بعد ملاقاة التتر الى نيابة حلب واستقر عوضه في نيابة حماه الامير زين الدين كتبغا الذى تولى سلطنة مصر والشام وذلك في سنة تسع وتسعين وستمائة وشهد وقعة شقحب مع الملك الناصر محمد بن قلاون ولم يزل على نيابة حلب الى أن خلع الملك الناصر وتسلطن الملك المظفر بيبرس الجاشنكير وصاحب الناصر في الكرك فلما تحرك لطلب الملك واستدعى نواب الممالك أجابه قراسنقر وأعانه برأيه وتدبيره ثم حضر اليه وهو بدمشق وقدم له شيأ كثيرا وسار معه الى مصر حتى جلس على تخت ملكه بقلعة الجبل فولاه نيابة دمشق عوضا عن الامير عز الدين الافرم فى شوال سنة تسع وسبعمائة وخرج اليها فسار الى غزة فى عدة من النواب وقبضوا على المظفر بيبرس الجاشنكير وسار به هو والامير سيف الدين الحاج بهادر الى الخطارة فتلقاهم الامير استدمر كرجي فتسلم منهم بيبرس وقيده وأركبه بغلا وأمر قرا سنقر والحاج بهادر بالسير الى مصر فشق على قراسنقر تقييد بيبرس وتوهم الشر من الناصر وانزعج لذلك انزعاجا كثيرا وألقى كلوتته عن رأسه الى الارض وقال لفراشه الدنيا فانية ياليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم فترجل من حضر من الامراء ورفعوا كلوتته ووضعوها على رأسه ورجع من فوره ومعه الحاج بهادر الى ناحية الشام وقد ندم على تشييع المظفر بيبرس فجد في سيره الى أن عبر دمشق وفى نفس السلطان منه كونه لم يحضر مع بيبرس وكان قد أراد القبض عليه فبعث الامير نوغاي القبجاقى أميرا بالشام ليكون له عينا على الامير قرا سنقر ففطن قرا سنقر لذلك وشرع نوغاي يحدث في حق

قرا سنقر بما لا يليق حتي ثقل عليه مقامه فقبض عليه بأمر السلطنة وسجن بقلعة دمشق ثم
ان السلطان صرفه عن نيابة دمشق وولاه نيابة حلب بسؤاله وذلك في المحرم سنة احدي
عشرة وسبعمائة وكتب السلطان الى عدة من الامراء بالقبض عليه مع الامير أرغون الدوادار
فلم يتمكن من التحدث في ذلك لكثرة ماضبط قرا سنقر أموره ولازمه عند قدومه عليه
بتقليد نيابة حلب بحيث لم يتمكن أرغون من الحركة الى مكان الاوقراسنقر معه فكثر
الحديث بدمشق أن أرغون انما حضر لمسك قراسنقر حتى بلغ ذلك الامراء وسمعه قراسنقر
فاستدعى بالامراء وحضر الامير أرغون فقال قراسنقر بلغنى كذا وها أنا أقول ان كان حضر
معك مرسوم بالقبض على فلا حاجة الى فتنه أنا طائع السلطان وهذا سيفى خذه ومد يده
وحل سيفه من وسطه فقال أرغون وقد علم أن هذا الكلام مكيدة وان قراسنقر لا يمكن
من نفسه انى لم أحضر الا بتقليد الامير نيابة حلب بمرسوم السلطان وسؤال الامير وحاشا
لله أن السلطان يذكر في حق الامير شيئاً من هذا فقال قراسنقر غدا نركب ونسافر وانفض
المجلس فبعث الى الامراء أن لا يركب أحد منهم لوداعه ولا يخرج من بيته وفرق ماعنده
من الحوائص ومن الدراهم على مماليكه ليتحملوا به على أوساطهم وأمرهم بالاحتراس
وقدم غلمانه وحواشيه في الليل وركب وقت الصباح في طلب عظيم وكانت عدة مماليكه ستمائة
مملوك قد جعلهم حوله ثلاث حلقات وأركب أرغون الى جانبه وسار على غير الجادة حتى
قارب حلب ثم غيرها في العشرين من المحرم وأعاد أرغون بعد ماأنعم عليه بألف دينار وخلعة
وخيل وتحف وأقام بمدينة حلب خائفاً يترقب وشرع بعمل الحيلة في الخلاص وصادق
العربان واختص بالامير حسام الدين مهنا أمير العرب وبابنه موسى وأقدمه الى حلب وأوقفه
على كتب السلطان اليه بالقبض عليه وانه لم يفعل ذلك ولم يزل به حتى أفسد مابينه وبين
السلطان ثم انه بعث يستأذن السلطان في الحج فأعجب السلطان ذلك وظن انه بسفره يتم له
التدبير عليه لما كان فيه من الاحتراز الكبير وأذن له فى السفر وبعث اليه بألفي دينار مصرية
فخرج من حلب ومعه أربعمائة مملوك معدة بالفرس والجنيب والهجن وسار حتى قارب الكرك
فبلغه أن السلطان كتب الى النواب وأخرج عسكرا من مصر اليه فرجع من طريق السماوة
الى حلب وبها الامير سيف الدين قرطاي نائب الغيبة فمنعه من العبور الى المدينة ولم يمكن
أحدا من مماليك قراسنقر أن يخرج اليه وكانت مكاتبة السلطان قد قدمت عليه بذلك فرحل
حينئذ الى مهنا امير العرب واستجار به فأكرمه وبعث الى السلطان يشفع فيه فلم يجد السلطان
بدا من قبول شفاعة مهنا وخير قراسنقر فيما يريد ثم أخرج عسكرا من مصر والشام لقتال
مهنا وأخذ قراسنقر فبلغه ذلك فاحترس على نفسه وكتب الى السلطان يسأله في صرخد
وقصد بذلك المطاولة فأجابه الى ذلك ومكنه من أخذ حواصله التي بحلب وأعطى مملوكه

ألف دينار فلما قدم عليه لم يطمئن وعبر الى بلاد الشرق في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة فى عدة من الامراء يريد خربندا فلما وصل الى الرحبة بعث بابنه فرج ومعه شيء من أثقاله وخيوله وأمواله الى السلطان بمصر ليعتذر من قصده خربندا ورحل بمن معه الى ماردين فتلقاه المغل وقام له نواب خربندا بالاقامات الى أن قرب الاردوا فركب خربندا اليه وتلقاه وأكرمه ومن معه وأنزلهم منزلا يليق بهم وأعطى قراسنقر المراغة من عمل اذربيجان وأعطى الامير جمال الدين أقوش الافرم همدان وذلك فى أوائل سنة ثنتى عشرة وسبعمائة فلم يزل هناك الى أن مات خربندا وقام من بعده أبو سعيد بركة بن خربندا فشق ذلك على السلطان وأعمل الحيلة فى قتل قراسنقر والافرم وسير اليهما الفداوية فجرت بينهم خطوب كثيرة ومات قراسنقر بالاسهال ببلد المراغة في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة يوم السبت سابع عشرى شوال قبل موت السلطان بيسير فلما بلغ السلطان موته في حادي عشر ذي القعدة عند ورود الخبر اليه قال ما كنت اشتهى يموت الا من تحت سيفي وأكون قد قدرت عليه وبلغت مقصودي منه وذلك انه كان قد جهز اليه عددا كثيرا من الفداوية قتل منهم بسببه مائة وعشرون فداويا بالسيف سوى من فقد ولم يوقف له على خبر وكان قراسنقر جسيما جليلا صاحب رأى وتدبير ومعرفة وبشاشة وجه وسماحة نفس وكرم زائد بحيث لا يستكثر على أحد شيئاً مع حسن الشاكلة وعظم المهابة والسعادة الطائلة وبلغت عدة مماليكه ستمائة مملوك مامنهم الا من له نعمة ظاهرة وسعادة وافرة وله من الآثار بالقاهرة هذه المدرسة ودار جليلة بحارة بهاء الدين فيها كان سكنه

* (المدرسة الغزنوية) *

هذه المدرسة برأس الموضع المعروف بسويقة أمير الجيوش تجاه المدرسة الباز كوجية بناها الأمير حسام الدين قايماز النجمي مملوك نجم الدين أيوب والد الملوك وأقام بها الشيخ شهاب الدين أبو الفضل احمد بن يوسف بن على بن محمد الغزنوى البغدادى المقرئ الفقيه الحنفي ودرس بها فعرفت به وكان اماما فى الفقه وسمع على الحافظ السلفي وغيره وقرأ بنفسه وسكن مصر آخر عمره وكان فاضلا حسن الطريقة متدينا وحدث بالقاهرة بكتاب الجامع لعبد الرزاق بن همام فرواه عنه جماعة وجمع كتابا في الشيب والعمر وقرأ عليه أبو الحسن السخاوى وأبو عمرو بن الحاجب ومولده ببغداد فى ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتوفي بالقاهرة يوم الاثنين النصف من ربيع الاول سنة تسع وتسعين وخمسمائة وهى من مدارس الحنفية .

* (المدرسة البوبكرية) *

هذه المدرسة بجوار درب العباسي قريبا من حارة الوزيرية بالقاهرة بناها الامير سيف

الدين اسنبغا ابن الامير سيف الدين بكتمر البوبكرى الناصرى ووقفها على الفقهاء الحنفية وبنى بجانبها حوض ماء للسبيل وسقاية ومكتبا للايتام وذلك فى سنة أثنتين وسبعين وسبعمائة وبنى قبالتها جامعا فمات قبل اتمامه وكان يسكن دار بدر الدين الامير طرنطاى المجاورة للمدرسة الحسامية تجاه سوق الجوارى فلذلك أنشأ هذه المدرسة بهذا المكان لقربه منه ثم لما كانت سنة خمس عشرة وثمانمائة جدد بهذه المدرسة منبرا وصار يقام بها الجمعة *(اسنبغا) ابن بكتمر الامير (٣)

* (المدرسة البقرية) *

هذه المدرسة فى الزقاق الذى تجاه باب الجامع الحاكمي المجاور للمنبر ويتوصل من هذا الزقاق الى ناحية المعطوف بناها الرئيس شمس الدين شاكر بن غزيل تصغير غزال المعروف بابن البقري أحد مسالمة القبط وناظر الذخيرة في أيام الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاون وهو خال الوزير الصاحب سعد الدين نصرالله بن البقري وأصله من قرية تعرف بدار البقر احدى قرى الغربية نشأ على دين النصارى وعرف الحساب وباشر الخراج الى أن أقدمه الامير شرف الدين بن الازكشي أستادار السلطان ومشير الدولة فى أيام الناصر حسن فاسلم على يديه وخاطبه بالقاضى شمس الدين وخلع عليه واستقر به فى نظر الذخيرة السلطانية وكان نظرها حينئذ من الرتب الجليلة وأضاف اليه نظر الاوقاف والاملاك السلطانية ورتبه مستوفيا بمدرسة الناصر حسن فشكرت طريقته وحمدت سيرته وأظهر سيادة وحشمة وقرب أهل العلم من الفقهاء وتفضل بأنواع من البر وأنشأ هذه المدرسة فى أبدع قالب وأبهج ترتيب وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية وقرر فى تدريسها شيخنا سراج الدين عمر بن على الانصارى المعروف بابن الملقن الشافعي ورتب فيها ميعادا وجعل شيخه صاحبنا الشيخ كمال الدين بن موسي الدميري الشافعي وجعل امام الصلوات بها المقرئ الفاضل زين الدين أبا بكر بن الشهاب أحمد النحوى وكان الناس يرحلون اليه فى شهر رمضان لسماع قراءته فى صلاة التراويح لشجا صوته وطيب نغمته وحسن أدائه ومعرفته بالقراآت السبع والعشر والشواذ ولم يزل ابن البقرى على حال السيادة والكرامة الى أن مرض مرض موته فأبعد عنه من يلوذ به من النصارى وأحضر الكمال الدميرى وغيره من أهل الخير فما زالوا عنده حتى مات وهو يشهد شهادة الاسلام فى سنة ست وسبعين وسبعمائة ودفن بمدرسته هذه وقبره بها تحت قبة فى غاية الحسن وولى نظر الذخيرة بعده أبو غالب ثم استجد فى هذه المدرسة منبر وأقيمت بها الجمعة في تاسع جمادى الاولى سنة أربع وعشرين وثمانمائة باشارة علم الدين داود الكويز كاتب السر

* (المدرسة القطبية) *

هذه المدرسة بأول حارة زويلة مما يلي الخرنشف في رحبة كوكاى عرفت بالست الجليلة عصمة الدين خاتون مؤنسة القطبية المعروفة بدار اقبال العلائي ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب بن شادى وكان وقفها في سنة خمس وستمائة وبها درس للفقهاء الشافعية وتصدير قرآآت وفقهاء يقرؤن

(مدرسة ابن المغربى)

هذه المدرسة آخر درب الصقالبة فيما بين سويقة المسعودى وحارة زويلة بناها صلاح الدين يوسف بن (٣) ابن المغربي رئيس الاطباء تجاه داره ومات قبل اكمالها فدفن بعد موته فى قبة تجاه جامعه المطل على الخليج الناصرى بقرب بركة قرموط وصارت هذه المدرسة قائمة بغير اكمال الى أن هدمها بعض ذريته في سنة أربع عشرة وثمانمائة وباع أنقاضها فصار موضعها طاحونة

(المدرسةالبيدرية)

هذه المدرسة برحبة الايدمرى بالقرب من باب قصر الشوك فيما بينه وبين المشهد الحسيني بناها الامير بيدر الايدمرى

(المدرسة البديرية)

هذه المدرسة بجوار بابسر المدرسة الصالحيةالنجمية كان موضعها من جملة تربة القصر التى تقدم ذكرها فنبش شخص من الناس يعرف بناصر الدين محمد بن محمد بن بدير العباسى ماهنالك من قبور الخلفاء وأنشأ هذه المدرسة فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وعمل فيها درس فقه للفقهاء الشافعية درس فيه شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن نصير بن رسلان البلقينى وهى مدرسة صغيرة لايكاد يصعد اليها أحد والعباسى هذا من قرية بطرف الرمل يقال لها العباسة وله في مدينة بلبيس مدرسة وقد تلاشت بعد ما كانت عامرة مليحة

(المدرسة الملكية)

هذه المدرسة بخط المشهد الحسيني من القاهرة بناها الامير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار تجاه داره وعمل فيها درسا للفقهاء الشافعية وخزانة كتب معتبرة وجعل لها عدة أوقاف وهى الى الآن من المدارس المشهورة وموضعها من جملة رحبةقصر الشوك وقدتقدم ذكرها عند ذكر الرحاب من هذا الكتاب ثم صار موضع هذه المدرسة دارا تعرف بدار ابن كرمون صهر الملك الصالح

(المدرسة الجمالية)

هذه المدرسة بجوار درب راشد من القاهرة على باب الزقاق المعروف قديما بدرب

سيف الدولة نادر بناها الامير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى وجعلها مدرسة للحنفية وخانقاه للصوفية وولى تدريسها ومشيخة التصوف بها الشيخ علاء الدين علي بن عثمان التركمانى الحنفى وتداولها ابنه قاضي القضاة جمال الدين عبد الله التركمانى الحنفى وابنه قاضي القضاة صدر الدين محمد بن عبد الله بن علي التركمانى الحنفى ثم قريبهم حميد الدين حماد وهي الآن بيد ابن حميد الدين المذكور وكان شأن هذه المدرسة كبيرا يسكنها أكابر فقهاء الحنفية وتعد من أجل مدارس القاهرة ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفي البلاد الشامية وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاة أمرها وتخريبهم أوقافها وتعطل منها حضور الدرس والتصوف وصارت منزلا يسكنه اخلاط ممن ينسب الى اسم الفقه وقرب الخراب منها وكان بناؤها في سنة ثلاثين وسبعمائة * (مغلطاى) بن عبد الله الجمالى الامير علاء الدين عرف بخرز وهى بالتركية عبارة عن الديك بالعربية اشتراه الملك الناصر محمد بن قلاون ونقله وهو شاب من الجامكية الى الامرة على اقطاع الامير صارم الدين ابراهيم الابراهيمي نقيب المماليك السلطانية المعروف بزير الامرة فى صفر سنة ثمان عشرة وسبعمائة وصار السلطان يندبه في التوجه الى المهمات الخاصة به ويطلعه على سره ثم بعثه أمير الركب الى الحجاز فى هذه السنة فقبض على الشريف أسد الدين رميثة بن أبى نمي صاحب مكة وأحضره الى قلعة الجبل في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وسبعمائة مع الركب فأنكر عليه السلطان سرعة دخوله لما أصاب الحاج من المشقة فى الاسراع بهم ثم انه جعل استادار السلطان لما قبض على القاضي كريم الدين عبد الكريم ابن المعلم هبة الله ناظر الخواص عند وصوله من دمشق بعد سفره اليها لاحضار شمس الدين غبريال فيوم حضر خلع عليه وجعل أستادارا عوضاً عن الامير سيف الدين بكتمر العلائى وذلك في جمادي الاولى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ثم أضاف اليه الوزارة وخلع عليه فى يوم الخميس ثامن رمضان سنة أربع وعشرين عوضا عن الصاحب أمين الملك عبد الله بن الغنام بعد ما استعفى من الوزارة واعتذر بأنه رجل عجمى فلم يعفه السلطان وقال أنا أخلي من يباشر معك ويعرفك ماتعمل وطلب شمس الدين غبريال ناظر دمشق منها وجعله ناظر الدولة رفيقا للوزير الجمالى فرفعت قصة الى السلطان وهو في القصر من القاعة فيها الحط على السلطان بسبب تولية الجمالى الوزارة والناس حاجبا وانه بسبب ذلك أضاع أو ضاع المملكة وأهانها وفرط فى أموال المسلمين والجيش وإن هذا لم يفعله أحد من الملوك فقد وليت الحجابة لمن لايعرف يحكم ولا يتكلم بالعربى ولا يعرف الاحكام الشرعية ووليت الوزارة والاستادارية لشاب لايعرف يكتب اسمه ولا يعرف مايقال له ولا يتصرف في أمور المملكة ولا في الاموال الديوانية الا أرباب الاقلام فانهم يأكلون المال ويحيلون على الوزير فلما وقف السلطان عليها أوقف عليها القاضى فخر

الدين محمد بن فضل الله المعروف بالفخر ناظر الجيش فقال هذه ورقة الكتاب البطالين
ممن انقطع رزقه وكثر حسده وقرر مع السلطان أن يلزم الوزير ناظر الدولة وناظر الخواص
باحضار أوراق في كل يوم تشتمل على أصل الحاصل وما حمل فى ذلك اليوم من البلاد
والجهات وما صرف وأنه لايصرف لاحد شيء البتة إلا بأمر السلطان وعلمه فلما حضر
الوزير الجمالى أنكر عليه السلطان وقال له ان الدواوين تلعب بك وأمر فأحضر التاج
اسحاق وغبريال ومجد الدين بن لعيبة وقرر معهم أن يحضروا آخر كل يوم أوراقا بالحاصل
والمصروف وقد فصلت بأسماء مايحتاج الى صرفه والى شرائه وبيعه فصاروا يحضرون كل
يوم الاوراق الى السلطان وتقرأ عليه فيصرف مايختار ويوقف مايريد ورسم أيضاً أن
مال الجيزة كله يحمل الى السلطان ولا يصرف منه شيء ثم لما كانت الفتنة بثغر الاسكندرية
بين أهلها وبين الفرنج وغضب السلطان على أهل الاسكندرية بعث بالجمالى اليها فسار من
القاهرة في أثناء رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة ودخل اليها فجلس بالخمس واستدعى
بوجوه أهل البلد وقبض على كثير من العامة ووسط بعضهم وقطع أيدى جماعة وأرجلهم
وصادر أرباب الاموال حتي لم يدع أحدا له ثروة حتي ألزمه بمال كثير فباع الناس حتى
ثياب نسائهم في هذه المصادرة وأخذ من التجار شيئاً كثيرا مع ترفقه بالناس فيما يرد عليه
من الكتب بسفك الدماء وأخذ الاموال ثم أحضر العدد التي كانت بالثغر مرصدة برسم
الجهاد فبلغت ستة آلاف عدة ووضعها فى حاصل وختم عليه وخرج من الاسكندرية بعد
عشرين يوما وقد سفك دماء كثيرة وأخذ منها مائتي ألف دينار للسلطان وعاد الى القاهرة
فلم يزل على حاله الى أن صرف عن الوزارة في يوم الاحد ثاني شوال سنة ثمان وعشرين
ورسم أن توفر وظيفة الوزارة من ولاية وزير فلم يستقر أحد في الوزارة وبقي الجمالى على
وظيفة الاستادارية وكان سبب عزله عن الوزارة توقف حال الدولة وقلة الواصل اليها
فعمل عليه الفخر ناظر الجيش والتاج اسحاق بسبب تقديمه لمحمد بن لعيبة فانه كان قد
استقر في نظر الدولة والصحبة والبيوت وتحكم في الوزير وتسلم قياده فكتبت مرافعات
في الوزير وأنه أخذ مالا كثيرا من مال الجيزة فخرج الامير أيتمش المجدى بالكشف عليه
وهم السلطان بايقاع الحوطة به فقام في حقه الامير بكتمر الساقي حتي عفى عنه وقبض على
كثير من الدواوين ثم انه سافر الى الحجاز فلما عاد توفى بسطح عقبة ايلة فى يوم الاحد
سابع عشر المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فصبر وحمل الى القاهرة ودفن بهذه الخانقاه
في يوم الخميس حادى عشرى المحرم المذكور بعد ماصلي عليه بالجامع الحاكمي وولى السلطان
بعده الاستادارية الامير أقبغا عبد الواحد وكان ينوب عن الجمالى في الاستادارية الطنقش
مملوك الافرم نقله اليها من ولاية الشرقية وكان الجمالي حسن الطباع يميل الى الخير مع كثرة

الحشمة ومما شكر عليه في وزارته انه لم يخل على أحد بولاية مباشرة وانشأ ناسا كثيرا وقصد من سائر الاعمال وكان يقبل الهدايا ويحب التقادم فخلت له الدنيا وجمع منها شيئاً كثيراً وكان اذا أخذ من أحد شيئاً على ولاية لايعزله حتى يعرف انه قد اكتسب قدر ماوزنه له ولو أكثر عليه في السعي فاذا عرف انه أخذ ماغرمه عزله وولى غيره ولم يعرف عنه انه صادر أحدا ولا اختلس مالا وكانت أيامه قليلة الشر الا انه كان يعزل ويولى بالمال فتزايد الناس في المناصب وكان له عقب بالقاهرة غير صالحين ولامصلحين

(المدرسة الفارسية)

هذه المدرسة بخط الفهادين من أول العطوفية بالقاهرة كان موضعها كنيسة تعرف بكنيسة الفهادين فلما كانت واقعة النصارى في سنة ست وخمسين وسبعمائة هدمها الامير فارس الدين البكي قريب الامير سيف الدين آل ملك الجوكندار وبنى هذه المدرسة ووقف عليها وقفا يقوم بما تحتاج اليه

(المدرسة السابقية)

هذه المدرسة داخل قصر الخلفاء الفاطميين من جملة القصر الكبير الشرقي الذي كان داخل دار الخلافة ويتوصل الى هذه المدرسة الآن من تجاه حمام البيسرى بخط بين القصرين وكان يتوصل اليها أيضاً من باب القصر المعروف بباب الريح من خط الركن المخلق وموضعه الآن قيسارية الامير جمال الدين يوسف الاستادار بني هذه المدرسة الطواشي الامير سابق الدين مثقال الانوكي مقدم المماليك السلطانية الاشرفية وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية قرر في تدريسه شيخنا شيخ الشيوخ سراج الدين عمر بن علي الانصاري المعروف بابن الملقن الشافعي وجعل فيها تصدير قراآت وخزانة كتب وكتابا يقرأ فيه أيتام المسلمين وبنى بينها وبين داره التي تعرف بقصر سابق الدين حوض ماء للسبيل هدمه الامير جمال الدين يوسف الاستادار لما بنى داره المجاورة لهذه المدرسة وولى سابق الدين تقدمة المماليك بعد الطواشي شرف الدين مختص الطقتمري في صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة ثم تنكر عليه الامير يلبغا الخاصكي القائم بدولة الملك الاشرف شعبان بن حسين وضربه ستمائة عصا وسجنه ونفاه الى اسوان في آخر شهر ربيع الاول سنة ثمان وستين فلم يكن غير قليل حتي قتل الامير يلبغا فاستدعى الاشرف سابق الدين من قوص وصرف ظهير الدين مختارا المعروف بشاذروان عن التقدمة وأعاده اليها فاستمر الى أن مات سنة ست وسبعين وسبعمائة

(المدرسة القيسرانية)

هذه المدرسة بجوار المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب فيما بينها وبين باب الخوخة

كانت دارا يسكنها القاضى الرئيس شمس الدين محمد بن ابراهيم القيسرانى أحد موقعى الدست بالقاهرة فوقفها قبل موته مدرسة وذلك فى ربيع الاول سنة احدي وخمسين وسبعمائة وتوفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وكان حشما كبير الهمة سعى بالامير سيف الدين بهادر الدمرداشي في كتابة السر بالقاهرة مكان علاء الدين على بن فضل الله العمرى فلم يتم ذلك ومات الامير بهادر فانحط جانبه. وكانت دنياه واسعة جدا وله عدة مماليك يتوصل بهم الى السعى في أغراضه عند أمراء الدولة وكان ينسب الى شح كبير

* (المدرسة الزمامية) *

هذه المدرسة بخط رأس البندقانيين من القاهرة فيما بين البندقانيين وسويقة الصاحب بناها الامير الطواشى زين الدين مقبل الرومى زمام الآدر الشريفة للسلطان الظاهر برقوق فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة وجعل بها درسا وصوفية. ومنبرا يخطب عليه في كل جمعة وبينها وبين المدرسة الصاحبية دون مدى الصوت فيسمع كل من صلى بالموضعين تكبير الآخر وهذا وأنظاره بالقاهرة من شنيع ماحدث في غير موضع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم على ازالة هذه المبتدعات

* (المدرسة الصغيرة) *

هذه المدرسة فيما بين البندقانيين وطواحين الملحيين ويعرف خطها ببيت محب الدين ناظر الجيوش ويعرف أيضاً بخط بين العواميد بنتها الست ايدكين زوجة الامير سيف الدين بكجا الناصري في سنة احدى وخمسين وسبعمائة

* (مدرسة تربة أم الصالح) *

هذه المدرسة بجوار المدرسة الاشرفية بالقرب من المشهد النفيسى فيما بين القاهرة ومصر موضعها من جملة ما كان بستانا أنشأها الملك المنصور قلاون على يد الامير علم الدين سنجر الشجاعى في سنة اثنتين وثمانين وستمائة برسم أم الملك الصالح علاء الدين على ابن الملك المنصور قلاون فلما كمل بناؤها نزل اليها الملك المنصور ومعه ابنه الصالح على وتصدق عند قبرها بمال جزيل ورتب لها وقفا حسنا على قراء وفقهاء وغير ذلك وكانت وفاتها في سادس عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة

* (مدرسة ابن عرام) *

هذه المدرسة بجوار جامع الامير حسين بحكر جوهر النوبي من بر الخليج الغربى خارج القاهرة أنشأها الامير صلاح الدين خليل بن عرام وكان من فضلاء الناس تولى نيابة الاسكندرية. وكتب تاريخا وشارك في علوم فلما قتل الامير بركة بسجن الاسكندرية ثارت مماليكه على الامير الكبير برقوق حنقا لقتله فانكر الامير برقوق قتله وبعث الامير يونس

النوروزي دواداره لكشف ذلك فنبش عنه قبره فاذا فيه ضربات عدة احداهن في رأسه فاتهم ابن عرام بقتله من غير اذن له في ذلك فأخرج بركة من قبره وكان بثيابه من غير غسل ولا كفن وغسله وكفنه وأحضر ابن عرام معه فسجن بخزانة شمائل داخل باب زويلة من القاهرة ثم عصر وأخرج يوم الخميس خامس عشر رجب سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة من خزانة شمائل وأمر به فسمر عريان بعد ماضرب عند باب القلة بالمقارع ستة وثمانين بحضرة الامير قطلودمر الخازندار والامير مامور حاجب الحجاب فلما أنزل من القلعة وهو مسمر على الجمل أنشد

لك قلبي تحله فدمى لم تحله
لك من قلبي المكا ن فلم لا تحله
قال ان كنت مالكا فلي الامر كله

وما هو الا أن وقف بسوق الخيل تحت القلعة واذا بمماليك بركة قد أكبت عليه تضربه بسيوفها حتى تقطع قطعا وحز رأسه وعلق على باب زويلة وتلاعبت ايديهم فأخذ واحد أذنه وأخذ واحد رجله واشترى آخر قطعة من لحمه ولا كها ثم جمع ماوجد منه ودفن بمدرسته هذه فقال في ذلك صاحبنا الاديب شهاب الدين أحمد بن العطار

بدأت أجزاء عرام خليل * مقطعة من الضرب الثقيل
وأبدت أبحر الشعر المراثي * محررة بتقطيع الخليل

* (المدرسة المحمودية) *

هذه المدرسة بخط الموازنيين خارج باب زويلة تجاه دار القردمية يشبه أن موضعها كان في القديم من جملة الحارة التي كانت تعرف بالمنصورية أنشاها الامير جمال الدين محمود بن علي الاستادار في سنة سبع وتسعين وسبعمائة ورتب بها درساً وعمل فيها خزانة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها وهي باقية الى اليوم لايخرج لاحد منها كتاب الا أن يكون في المدرسة وبهذه الخزانة كتب الاسلام من كل فن وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر *(محمود) بن علي بن اصفر عينه الامير جمال الدين الاستادار ولي شد باب رشيد بالاسكندرية مدة وكانت واقعة الفرنج بها في سنة سبع وستين وسبعمائة وهو مشد فيقال ان ماله الذي وجد له حصله يومئذ ثم انه سار الى القاهرة فلما كانت ايام الظاهر برقوق خدم استادارا عند الامير سودون باق ثم استقر شاد الدواوين الى أن مات الامير بهادر المنجكي أستادار السلطان فاستقر عوضاً عنه في وظيفة الاستادارية يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة ثم خلع عليه في يوم الخميس خامسه واستقر مشير الدولة فصار يحدث في دواوين السلطنة الثلاثة وهي الديوان المفرد الذي يحدث فيه الاستادار وديوان

الوزارة ويعرف بالدولة وديوان الخاص المتعلق بنظر الخواص وعظم أمره ونفذت كلمته لتصرفه في سائر أمور المملكة فلما زالت دولة الملك الظاهر برقوق بحضور الامير يلبغا الناصرى نائب حلب في يوم الاثنين خامس جمادي الآخرة سنة احدي وتسعين وسبعمائة بعساكر الشام الى القاهرة واختفى الظاهر ثم أمسكه هرب هو وولده فنهبت دوره ثم انه ظهر من الاستتار في يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة وقدم للامير يلبغا الناصرى مالا كثيرا فقبض عليه وقيده وسجنه بقلعة الجبل وأقيم بدله فى الاستادارية الامير علاء الدين اقبغا الجوهرى فلما زالت دولة يلبغا الناصرى بقيام الامير منطاش عليه قبض على اقبغا الجوهرى فيمن قبض عليه من الامراء وأفرج عن الامير محمود في يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وألبسه قباء مطرزا بذهب وأنزله الى داره ثم قبض عليه وسجن بخزانة الخاص في يوم الاحد سادس عشر ذى الحجة في عدة من الامراء والمماليك عند عزم منطاش على السفر لحرب برقوق عند خروجه من الكرك ومسيره الى دمشق فكانت جملة ما حمله الامير محمود من الذهب العين للامير يلبغا الناصرى وللامير منطاش ثمانية وخمسين قنطارا من الذهب المصرى منها ثمانية عشر قنطارا في ليلة واحدة فلم يزل في الاعتقال الى أن خرج المماليك مع الامير بوطا في ليلة الخميس ثاني صفر سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة فخرج معهم وأقام بمنزله الى أن عاد الملك الظاهر برقوق الى المملكة في رابع عشر صفر فخلع عليه واستقر أستادار السلطان على عادته في يوم الاثنين تاسع عشرى جمادى الاولى من السنة المذكورة عوضا عن الامير قرقماس الطشتمرى بعد وفاته ثم خلع على ولده الامير ناصر الدين محمد بن محمود فى يوم الخميس ثاني عشرى صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة واستقر نائب السلطنة بثغر الاسكندرية عوضا عن الامير ألطنبغا المعلم فقويت حرمة الامير محمود ونفذت كلمته الى يوم الاثنين حادى عشر رجب من السنة المذكورة فثار عليه المماليك السلطانية بسبب تأخر كسوتهم ورموه من أعلى القلعة بالحجارة وأحاطوا به وضربوه يريدون قتله لولا أن الله أغاثه بوصول الخبر الى الامير الكبير ايتمش وكان يسكن قريباً من القلعة فركب بنفسه وساق حتى أدركه وفرق عنه المماليك وسار به الى منزله حتى سكنت الفتنة ثم شيعه الى داره فكانت هذه الواقعة مبدأ انحلال أمره فان السلطان صرفه عن الاستادارية وولى الامير الوزير ركن الدين عمر بن قايماز فى يوم الخميس رابع عشره وخلع على الامير محمود قباء بطرز ذهب واستقر على امرته ثم صرف ابن قايماز عن الاستادارية وأعيد محمود في يوم الاثنين خامس عشر رمضان وأنعم على ابن قايماز بامرة طبلخاناه فجدد بثغر الاسكندرية دار ضرب عمل فيها فلوس ناقصة الوزن ومن حينئذ اختل حال الفلوس بديار مصر ثم لما خرج الملك الظاهر الى البلاد الشامية في سنة ست وتسعين سار في ركابه ثم حضر الى القاهرة

في يوم الاربعاء سابع صفر سنة سبع وتسعين وسبعمائة قبل حضور السلطان وكان دخوله يوما مشهودا فلما عاد السلطان الى قلعة الجبل حدث منه تغير على الامير محمود في يوم السبت ثالث عشري ربيع الاول وهم بالايقاع به فلما صار الى داره بعث اليه الامير عــلاء الدين على بن الطبلاوي يطلب منه خمسمائة ألف دينار وان توقف يحيط به ويضربه بالمقارع فنزل اليه وقرر الحال على مائة وخمسين ألف دينار فطلع على العادة الى القلعــة في يوم الاثنين خامس عشريه فسبه المماليك السلطانية ورجموه ثم ان السلطان غضب عليه وضربه فى يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر بسبب تأخر النفقة وأخذ أمره يحل فولى السلطان الامير صلاح الدين محمد ابن الامير ناصر الدين محمد ابن الامير تنكز أستادارية الاملاك السلطــانية فى يوم الاثنين خامس رجب وولى علاء الدين على بن الطبلاوى في رمضــان التحدث في دار الضرب بالقاهرة والاسكندرية والتحدث في المتجر السلطاني فوقع بينه وبين الامير محمود كلام كثير ورافعه ابن الطبلاوى بحضرة السلطان وخرج عليه من دار الضرب ستة آلاف درهم فضة فألزم السلطان محمودا بحمل مائة وخمســين ألف دينار فحملها وخلع عليه عند تكميله حملها فى يوم الاحد تاسع عشرى رمضان وخلع أيضاً على ولده الامير ناصر الدين وعلى كاتبه سعد الدين ابراهيم بن غراب الاسكندراني وعلى الامير عــلاء الدين علي بن الطبلاوى ثم ان محمودا وعك بدنه فنزل اليه السلطان فى يوم الاثنين ثالث عشرى ذى القعدة يعوده فقدم له عدة تقادم قبل بعضها ورد بعضها وتحدث الناس أنه استقلها فلما كان يوم السبت سادس صفر سنة ثمان وتسعين بعث السلطان الى الامير محمود الطواشي شاهين الحسني فأخذ زوجتيه وكاتبه سعد الدين ابراهيم بن غراب وأخذ مالا وقماشا على حمالين وصار بهما الى القلعة هذا ومحمود مريض لازم الفراش ثم عاد من يومه وأخذ الامير ناصر الدين محمد ابن محمود وحمله الى القلعة ثم نزل ابن غراب ومعه الامير الى بابي الخازندار في يوم الاحد سابعه وأخذا من ذخيرة بدار محمــود خمسين ألف دينار وفى يوم الخميس حادى عشره صرف محمود عن الاستادارية واستقر عوضه الامير سيف الدين قطلوبك العلائى أستادار الامير الــكبير ايتمش وقرر ســعد الدين بن غراب ناظر الديوان المفرد فاجتمع مع ابن الطبلاوى على عداوة محمود والسعي فى اهلاكه وسلم ابن محمود الى ابن الطبلاوى فى تاسع عشر ربيع الاول ليستخلص منه مائة ألف دينار ونزل الطواشي صندل المنجكي والطواشى شاهين الحسني فى ثالث عشريه ومعهما ابن الطبلاوي فأخذا من خربة خلف مدرسة محمود زيرين كبيرين وخمسة ازيار صغارا وجد فيها ألف ألف درهم فضة فحملت الى القلعة ووجد أيضاً بهذه الخربة جرتان في أحداها ستة آلاف دينار وفي الاخرى أربعة آلاف درهم فضة وخمسمائة درهم وقبض على مباشرى محمود ومباشرى ولده وعوقب محمود ثم أوقعت الحوطة

على موجود محمود فى يوم الخميس سابع جمادى الاولى ورسم عليه ابن الطبلاوى فى داره وأخذ مماليكه وأتباعه ولم يدع عنده غير ثلاث مماليك صغار وظهرت أموال محمود شيئا بعد شئ ثم سلم الى الامير فرج شاد الدواوين فى خامس جمادى الآخرة فنقله الى داره وعاقبه وعصره في ليلته ثم نقل فى شعبان الى دار ابن الطبلاوى فضربه وسعطه وعصره فلم يعترف بشئ وحكى عنه انه قال لو عرفت أنى أعاقب ما اعترفت بشيء من المال وظهر منه فى هذه المحنة ثبات وجلد وصبر مع قوة نفس وعدم خضوع حتى انه كان يسب ابن الطبلاوى اذا دخل اليه ولا يرفع له قدرا ثم ان السلطان استدعاه الى مابين يديه يوم السبت أول صفر سنة تسع وتسعين وحضر سعد الدين بن غراب فشافهه بكل سوء ورافعه في وجهه حتى استغضب السلطان على محمود وأمر بمعاقبته حتى يموت فأنزل الى بيت الامير حسام الدين حسين ابن أخت الفرس شاد الدواوين وكان أستادار محمود فلم يزل عنده فى العقوبة الى أن نقل من داره الى خزانة شمائل في ليلة الجمعة ثالث جمادى الاولى وهو مريض فمات بها في ليلة الاحد تاسع رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة ودفن من الغد بمدرسته وقد أناف على الستين سنة وكان كثير الصلاة والعبادة مواظبا على قيام الليل الا أنه كان شحيحا مسيكا شرها في الاموال رمي الناس منه فى رماية البضائع بدواه اذا نسبت الى ماحدث من بعده كانت عافية ونعمة وأكثر من ضرب الفلوس بديار مصر حتى فسد بكثرتها حال أقليم مصر وكان جملة ماحمل من ماله بعد نكبته هذه مائة قنطار ذهبا وأربعين قنطارا عنها ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار عينا وألف ألف درهم فضة وأخذ له من البضائع والغلال والقنود والاعسال ماقيمته ألف ألف درهم وا كثر

(المدرسة المهذبية)

هذه المدرسة بحارة حلب خارج القاهرة عند حمام قارى بناها الحكيم مهذب الدين محمد بن أبي الوحش المعروف بابن أبي حليقة تصغير حلقة رئيس الاطباء بديار مصر ولى رياسة الاطباء في حادى عشر رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة واستقر مدرس الطب بالمارستان المنصوري

(المدرسة السعدية)

هذه المدرسة خارج القاهرة بقرب حدرة البقر على الشارع المسلوك فيه من حوض ابن هنس الى الصليبة وهي فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل كان موضعها يعرف بخط بستان سيف الاسلام وهى الآن في ظهر بيت قوصون المقابل لباب السلسلة من قلعة الجبل بناها الامير شمس الدين سنقر السعدى نقيب المماليك السلطانية في سنة خمس عشرة وسبعمائة وبني بها أيضاً رباطا للنساء وكان شديد الرغبة فى العمائر محبا للزراعة كثير المال ظاهر الغني

وهو الذى عمر القرية التى تعرف اليوم بالنحريرية من أعمال الغربية وكانت اقطاعه ثم انه خرج من مصر بسبب نزاع وقع بينه وبين الامير قوصون فى أرض أخذها منه فسار الى طرابلس وبها مات فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

(المدرسة الطفجية)

هذه المدرسة بخط حدرة البقر أيضاً أنشأها الامير سيف الدين طفجي الاشرفي ولها وقف جيد (طفجي) الامير سيف الدين كان من جملة مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاون ترقي في خدمته حتي صار من جملة أمراء ديار مصر فلما قتل الملك الاشرف قام طفجي في المماليك الاشرفية وحارب الامير بيدرا المتولى لقتل الاشرف حتى أخذه وقتله فلما أقيم الملك الناصر محمد بن قلاون في المملكة بعد قتل بيدرا صار طفجي من أكابر الامراء واستمر على ذلك بعد خلع الملك الناصر بكتبغا مدة أيامه الى أن خلع الملك العادل كتبغا وقام في سلطنة مصر الملك المنصور لاجين وولى مملوكه الامير سيف الدين منكوتمر نيابة السلطنة بديار مصر فأخذ يواحش أمراء الدولة بسوء تصرفه واتفق أن طفجي حج في سنة سبع وتسعين وستمائة فقرر منكوتمر مع المنصور انه اذا قدم من الحج يخرجه الى طرابلس ويقبض على أخيه الامير سيف الدين كرجي فعند ماقدم طفجي من الحجاز فى صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة رسم له بنيابة طرابلس فثقل عليه ذلك وسعي باخوته الاشرفية حتى أعفاه السلطان من السفر فسخط منكوتمر وأبى الاسفر طفجي وبعث اليه يلزمه بالسفر وكان لاجين منقادا لمنكوتمر لايخالفه في شيء فتواعد طفجي وكرجي مع جماعة من المماليك وقتلوا لاجين وتولى قتله كرجي وخرج فاذا طفجي في انتظاره على باب القلة من قلعة الجبل فسر بذلك وأمر باحضار من بالقلعة من الامراء وكانوا حينئذ يبيتون بالقلعة دائما وقتل منكوتمر فى تلك الليلة وعزم على أنه يتسلطن ويقيم كرجي فى نيابة السلطنة فخذله الامراء وكان الامير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح قد خرج في غزاة وقرب حضوره فاستمهلوه بما يريد الى أن يحضر فأخر سلطنته وبقي الامراء في كل يوم يحضرون معه في باب القلة ويجلس في مجلس النيابة والامراء عن يمينه وشماله ويمد سماط السلطان بين يديه فلما حضر أمير سلاح بمن معه من الامراء نزل طفجي والامراء الى لقائهم بعد ما امتنع امتناعا كثيرا وترك كرجي يحفظ القلعة بمن معه من المماليك الاشرفية وقد نوى طفجي الشر للامراء الذين قد خرج الى لقائهم وعرف ذلك الامراء المقيمون عنده فى القلعة فاستعدوا له وسار هو والامراء الى ان لقوا الامير بكتاش ومعه من الاشرفية أربعمائة فارس تحفظه حتي يعود من اللقاء الى القلعة فعند ماوافاه بقبة النصر وتعانقا أعلمه بقتل السلطان فشق عليه وللوقت جرد الامراء سيوفهم وارتفعت الضجة فساق طفجي من الحلقة والامراء

وراءه الى أن أدركه قراقوش الظاهرى وضربه بسيف ألقاه عن فرسه الى الارض ميتـا ففر كرجى ثم أخذ وقتل وحمل طفجي في مزبلة من مزابل الحمامات على حمار الى مدرسته هـذه فدفن بها وقبره هناك الى اليوم وكان قتله فى يوم الخميس سادس عشر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة بعد خمسة أيام من قتل لاجين ومنكوتمر

(المدرسة الجاولية)

هذه المدرسة بجوار الكبش فيما بين القاهرة ومصر أنشأها الامـير علم الدين سنجر الجاولى فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وعمل بها درسا وصوفية ولها الى هذه الايام عدة أوقاف (سنجر) بن عبد الله الامير علم الدين الجاولى كان مملوك جاولى أحـد أمراء الملك الظاهر بيبرس وانتقل بعـد موت الامير جاولى الى بيت قلاون وخرج فى أيام الاشرف خليل بن قلاون الى الكرك واستقر فى جملة البحرية بها الى أيام العادل كتبغا فحضر من عند نائب الكرك ومعـه حوائجخاناه فرفعه كتبغا وأقامـه على الحوشخاناه السلطانية وصحب الامير سلار وواخاه فتقدم فى الخدمة وبقى أستادارا صغـيرا في أيام بيبرس وسلار فصار يدخل على السلطان الملك الناصر ويخرج ويراعى مصالحـه فى أمر الطعام ويتقرب اليه فلما حضر من الكرك جهزه الى غزة نائبا في جمادى الاولى سنة احدى عشرة و سبعمائة عوضا عن الامير سيف الدين قطلو أقتمر عبـد الخالق بعد امساكه وأضاف اليه مع غزة الساحل والقـدس وبلد الخليل وجبل نابلس وأعطاه اقطاعا كبيرا بحيث كان للواحد من مماليكه اقطاع يعمل عشرين ألفا وخمسة وعشرين ألفا وعمل نيابة غزة على القالب الجائر الى أن وقعت بينه وبين الامير تنكز نائب الشام بسبب دار كانت له تجاه جامع تنكز خارج دمشق من شمالها أراد تنكز أن يبتاعها منه فأبى عليه فكتب فيه الى الملك الناصر محمـد بن قلاون فأمسكه فى ثامن عشري شعبان سنة عشرين وسبعمائة واعتقله نحوا من ثمان سنين ثم أفرج عنه فى سنة تسع وعشرين وأعطاه امرة أربعين ثم بعد مدة أعطاه امرة مائة وقدمـه على ألف وجعله من أمراء المشورة فلم يزل على هذا الى أن مات الملك الناصر فتولى غسله ودفنه فلما ولى الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاون سلطنة مصر أخرجه الى نيابة حماه فأقام بها مـدة ثلاثة أشهر ثم نقله الى نيابة غزة فحضر اليها وأقام بها نحو ثلاثة أشهر أيضاً ثم أحضره الى القاهرة وقرره على ما كان عليه وولى نظر المارستان بعد نائب الكرك عند ما أخرج الى نيابة طرابلس ثم توجه لحصار الناصر أحمد بن محمد بن قلاون وهو ممتنع في الكرك فأشرف عليه في بعض الايام الناصر أحمد من قلعة الكرك وسبه وشيخـه فقال له الجاولى نعم أنا شيخ نحس ولكن الساعة ترى حالك مع الشيخ النحس ونقـل المنجنيق الى مكان يعرفه ورمى به فلم يخط القلعـة وهدم منها جانبا وطلع بالعسكر وأمسك أحمـد

وذبحه صبرا وبعث برأسه الى الصالح اسماعيل وعاد الى مصر فلم يزل على حاله الى أن مات في منزله بالكبش يوم الخميس تاسع رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة ودفن بمدرسته وكانت جنازته حافلة الى الغاية قد سمع الحديث وروى وصنف شرحا كبيرا على مسند الشافعي رحمه الله وأفتى في آخر عمره على مذهب الشافعي وكتب خطه على فتاوى عديدة وكان خبيرا بالامور عارفا بسياسة الملك كفوا لما وليه من النيابات وغيرها لايزال يذكر أصحابه في غيبتهم عنه ويكرمهم اذا حضروا عنده وانتفع به جماعة من الكتاب والعلماء والاكابر وله من الآثار الجميلة الفاضلة جامع بمدينة غزة في غاية الحسن وله بها أيضاً حمام مليح ومدرسة للفقهاء الشافعية وخان للسبيل وهو الذى مدن غزة وبنى بها أيضاً مارستانا ووقف عليه عن الملك الناصر أوقافا جليلة وجعل نظره لنواب غزة. وعمر بها أيضاً الميدان والقصر وبنى ببلد الخليل عليه السلام جامعا سقفه منه حجر نقر وعمل الخان العظيم بقاقون والخان بقرية الكثيب والقناطر بغابة أرسوف وخان رسلان فى حمراء بيسان ودارا بالقرب من باب النصر داخل القاهرة ودارا بجوار مدرسته على الكبش وسائر عمائره ظريفة انيقة محكمة متقنة مليحة وكان ينتمي الى الامير سلار ويجل ذكره

(المدرسة الفارقانية)

هذه المدرسة خارج باب زويلة من القاهرة فيما بين حدرة البقر وصليبة جامع ابن طولون وهى الآن بجوار حمام الفارقانى تجاه البندقدارى بناها والحمام المجاور لها الامير ركن الدين بيبرس الفارقانى وهو غير الفارقانى المنسوب اليه المدرسة الفارقانية بحارة الوزيرية من القاهرة

(المدرسة البشيرية)

هذه المدرسة خارج القاهرة بحكر الخازن المطل على بركة الفيل كان موضعها مسجدا يعرف بمسجد سنقر السعدى الذى بنى المدرسة السعدية فهدمه الامير الطواشى سعد الدين بشير الجمدار الناصرى وبنى موضعه هذه المدرسة فى سنة احدى وستين وسبعمائة وجعل بها خزانة كتب وهي من المدارس اللطيفة

(المدرسة المهمندارية)

هذه المدرسة خارج باب زويلة فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل يعرف خطها اليوم بخط جامع المارداني خارج الدرب الاحمر وهي تجاه مصلى الاموات على يمنة من سلك من الدرب الاحمر طالبا جامع المارداني ولها باب آخر في حارة اليانسية بناها الامير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار ونقيب الجيوش فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وجعلها مدرسة وخانقاه وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية وبنى الى جانبها القيسارية والربع الموجودين الآن

(مدرسة الجاي)

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل كان موضعها وما حولها مقبرة ويعرف الآن خطها بخط سويقة العزى أنشأها الامير الكبير سيف الدين الجاي في سنة ثمان وستين وسبعمائة وجعل بها درساً للفقهاء الشافعية ودرساً للفقهاء الحنفية وخزانة كتب وأقام بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة وهي من المدارس المعتبرة الجليلة ودرس بها شيخنا جلال الدين البناني الحنفي وكانت سكنه (الجاى) بن عبد الله اليوسفى الامير سيف الدين تنقل في الخدم حتى صار من جملة الامراء بديار مصر فلما أقام الامير الاستدمر الناصري بأمر الدولة بعد قتل الامير يلبغا الخاصكي العمري في شوال سنة ثمان وستين وسبعمائة قبض على الجاى في عدة من الامراء وقيدهم وبعث بهم الى الاسكندرية فسجنوا الى عاشر صفر سنة تسع وستين فأفرج الملك الاشرف شعبان بن حسين عنه وأعطاه امرة مائة وتقدمة ألف وجعله أمير سلاح براني ثم جعله أمير سلاح اتابك العساكر وناظر المارستان المنصورى عوضا عن الامير منكلي بغا الشمسي في سنة أربع وسبعين وسبعمائة وتزوج بخوند بركة أم السلطان الملك الاشرف فعظم قدره واشتهر ذكره وتحكم في الدولة تحكما زائداً الى يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة خمس وسبعين وسبعمائة فركب يريد محاربة السلطان بسبب طلبه ميراث أم السلطان بعد موتها فركب السلطان وأمراؤه وبات الفريقان ليلة الاربعاء على الاستعداد للقتال الى بكرة نهار الاربعاء فواقع الجاى مع أمراء السلطان احدى عشرة وقعة انكسر في آخرها الجاي وفر الى جهة بركة الحبش وصعد من الجبل من عند الجبل الاحمر الى قبة النصر ووقف هناك فاشتد على السلطان فبعث اليه خلعة بنيابة حماه فقال لا أتوجه الا ومعي مماليكي كلهم وجميع أموالى فلم يوافقه السلطان على ذلك وبات الفريقان على الحرب فانسل اكثر مماليك الجاى في الليل الى السلطان وعند ماطلع النهار يوم الخميس بعث السلطان عساكره لمحاربة الجاى بقبة النصر فلم يقاتلهم وولى منهزما والطلب وراءه الى ناحية الخرقانية بشاطئ النيل قريبا من قليوب فتحير وقد أدركه العسكر فألقى نفسه بفرسه في البحر يريد النجاة الى البر الغربي فغرق بفرسه ثم خلص الفرس وهلك الجاى فوقع النداء بالقاهرة وظواهرها على احضار مماليكه فأمسك منهم جماعة وبعث السلطان الغطاسين الى البحر تتطلبه فتبعوه حتى أخرجوه إلى البر في يوم الجمعة تاسع المحرم سنة خمس وسبعين وسبعمائة فحمل في تابوت على لباد أحمر الى مدرسته هذه وغسل وكفن ودفن بها وكان مهابا جبارا عسوفا عتيا تحدث في الاوقاف فشدد على الفقهاء وأهان جماعة منهم وكان معروفا بالاقدام والشجاعة

(مدرسة أم السلطان)

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل يعرف خطها الآن بالتبانة وموضعها كان قديما مقبرة لاهل القاهرة أنشأتها الست الجليلة الكبرى بركة أم السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين في سنة احدى وسبعين وسبعمائة وعملت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسبيل وهي من المدارس الجليلة وفيها دفن ابنها الملك الاشرف بعد قتله * (بركة) الست الجليلة خوند أم الملك الاشرف شعبان بن حسين كانت أمة مولدة فلما أقيم ابنها في مملكة مصر عظم شأنها وحجت في سنة سبعين وسبعمائة بتجمل كثير وبرج زائد وعلى محفتها العصائب السلطانية والكوسات تدق معها وسار في خدمتها من الامراء المقدمين بشتاك العمري رأس نوبة وبها در الجمالى ومائة مملوك من المماليك السلطانية أرباب الوظائف ومن جملة ما كان معها قطار جمال محملة محائر قد زرع فيها البقل والخضراوات الى غير ذلك مما يجل وصفه فلما عادت في سنة احدى وسبعين وسبعمائة خرج السلطان بعساكره الى لقائها وسار الى البويب في سادس عشر المحرم وتزوجت بالامير الكبير الجاى اليوسفي وبها طال واستطال ماتت في ثامن عشر ذى القعدة سنة أربع وسبعين وسبعمائة وكانت خيرة عفيفة لها بر كثير ومعروف معروف تحدث الناس بحجتها عدة سنين لما كان لها من الافعال الجميلة في تلك المشاهد الكريمة وكان لها اعتقاد في أهل الخير ومحبة في الصالحين وقبرها موجود بقبة هذه المدرسة وأسف السلطان على فقدها ووجد وجدا كبيرا لكثرة حبه لها واتفق أنها لما ماتت أنشد الاديب شهاب الدين أحمد بن يحيى الاعرج السعدى

في ثامن العشرين من ذى قعدة * كانت صبيحة موت أم الاشرف
فالله يرحمها ويعظم أجره * ويكون في عاشور موت اليوسفي

فكان كما قال وغرق الجاى اليوسفي كما تقدم ذكره في يوم عاشوراء

* (المدرسة الايتمشية) *

هذه المدرسة خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبانة أنشأها الامير الكبير سيف الدين ايتمش البجاسي ثم الظاهري في سنة خمس وثمانين وسبعمائة وجعل بها درس فقه للحنفية وبني بجانبها فندقا كبيرا يعلوه ربع ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل وربعا وهي مدرسة ظريفة * (ايتمش) بن عبد الله الامير الكبير سيف الدين البجاسي ثم الظاهري كان أحد المماليك اليلبغاوية

* (المدرسة المجدية الخليلية) *

هذه المدرسة بمصر يعرف موضعها بدرب البلاد عمرها الشيخ الامام مجد الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الشيخ الامام أمين الدين أبي على الحسين بن الحسن بن ابراهيم الخليلي

الدارى فتمت في شهر ذى الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة وقرر فيها مدرسا شافعيا ومعيدين وعشرين نفرا طلبة واماما راتبا ومؤذنا وقيما لكنسها وفرشها ووقود مصابيحها وادارة ساقيتها وأجرى الماء الى فسقيتها ووقف عليها غيطا بناحية بارنبار من أعمال المزاحميتين وبستانا بمحلة الامير من المزاحميتين بالغربية وغيطا بناحية نطوبس وربع غيط بظاهر ثغر رشيد وبستانا ونصف بستان بناحية بلقس ورباعا بمدينة مصر * ومجد الدين هذا هو والد الصاحب الوزير فخر الدين عمر بن الخليلي ودرس بهذه المدرسة الصاحب فخر الدين الى حين وفاته وتوفي مجد الدين بدمشق فى ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمانين وستمائة وكان مشهورا بالصلاح

* (المدرسة الناصرية بالقرافة) *

هذه المدرسة بجوار قبة الامام محمد بن ادريس الشافعي رضى الله عنه من قرافة مصر أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ورتب بها مدرسا يدرس الفقه على مذهب الشافعى وجعل له فى كل شهر من المعلوم عن التدريس أربعين دينارا معاملة صرف كل دينار ثلاثة عشر درهما وثلث درهم وعن معلوم النظر في أوقاف المدرسة عشرة دنانير ورتب له من الخبز فى كل يوم ستين رطلا بالمصرى وراويتين من ماء النيل وجعل فيها معيدين وعدة من الطلبة ووقف عليها حماما بجوارها وفرنا تجاهها وحوانيت بظاهرها والجزيرة التي يقال لها جزيرة الفيل بحر النيل خارج القاهرة وولى تدريسها جماعة من الاكابر الاعيان ثم خلت من مدرس ثلاثين سنة واكتفى فيها بالمعيدين وهم عشرة أنفس فلما كانت سنة ثمان وسبعين وستمائة ولى تدريسها قاضى القضاة تقى الدين محمد بن رزين الحموى بعد عزله من وظيفة القضاء وقرر له نصف المعلوم فلما مات وليها الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد بربع المعلوم فلما ولى الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى التدريس قرر له المعلوم الشاهد به كتاب الوقف

* (المدرسة المسلمية) *

هذه المدرسة بمدينة مصر في خط السيوريين أنشأها كبير التجار ناصر الدين محمد ابن مسلم بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد اللام البالسى الاصل ابن بنت كبير التجار شمس الدين محمد بن بسير بفتح الباء أول الحروف وكسر السين المهملة ثم ياء آخر الحروف بعدها راء ومات في سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل أن تتم فوصى بتكملتها وأفرد لها مالا ووقف عليها دورا وأرضا بناحية قليوب وشرط أن يكون فيها مدرس مالكى ومدرس شافعي ومؤدب أطفال وغير ذلك فكملها مولاه ووصيه الكبير كافور الخصى الرومى بعد وفاة أستاذه وهى الآن عامرة وبلغ ابن مسلم هذا من وفور المال وعظم السعادة مالم يبلغه

أحد ممن أدركناه بحيث انه جاء نصيب أحد أولاده نحو مائتي ألف دينار مصرية وكان كثير الصدقات على الفقراء مقترا على نفسه الى الغاية وله أيضا مطهرة عظيمة بالقرب من جامع عمرو بن العاص ونفعها كبير وله أيضا دار جليلة على ساحل النيل بمصر وكان أبوه تاجراً سفارا بعد ما كان حمالا فصاهر ابن بسير ورزق محمدا هذا من ابنته فنشأ على صيانة ورزق الحظ الوافر فى التجارة وفى العبيد فكان يبعث أحدهم بمال عظيم الى الهند ويبعث آخر بمثل ذلك الى بلاد التكرور ويبعث آخر الى بلاد الحبشة ويبعث عدة آخرين الى عدة جهات من الارض فما منهم من يعود الا وقد تضاعفت فوائد ماله أضعافا مضاعفة

(مدرسة اينال)

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من باب حارة الهلالية بخط القماحين كان موضعها في القديم من حقوق حارة المنصورة أوصي بعمارتها الامير الكبير سيف الدين اينال اليوسفى أحد المماليك اليلبغاوية فابتدأ بعملها فى سنة أربع وتسعين وفرعت فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة ولم يعمل فيها سوى قراء يتناوبون قراءة القرآن على قبره فانه لما مات فى يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وسبعمائة دفن خارج باب النصر حتى انتهت عمارة هذه المدرسة فنقل اليها ودفن فيها و (اينال) هذا ولى نيابة حلب وصار في آخر عمره أتابك العساكر بديار مصر حتى مات وكانت جنازته كثيرة الجمع مشى فيها السلطان الملك الظاهر برقوق والعساكر

(مدرسة الامير جمال الدين الاستادار)

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة كان موضعها قيسارية يعلوها طباق كلها وقف فأخذها وهدمها وابتدأ بشق الاساس في يوم السبت خامس جمادى الاولى سنة عشر وثمانمائة وجمع لها الآلات من الاحجار والاخشاب والرخام وغير ذلك وكان بمدرسة الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون التى كانت بالصوة تجاه الطبلخاناه من قلعة الجبل بقية من داخلها فيها شبابيك من نحاس مكفت بالذهب والفضة وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت ومن المصاحف والكتب فى الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جملة فاشترى ذلك من الملك الصالح المنصور حاجي بن الاشرف بمبلغ ستمائة دينار وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك ونقلها إلى داره وكان مما فيها عشرة مصاحف طول كل مصحف منها أربعة أشبار الى خمسة فى عرض يقرب من ذلك أحدها بخط ياقوت وآخر بخط ابن البواب وباقيها بخطوط منسوبة ولها جلود فى غاية الحسن معمولة في أكياس الحرير الاطلس ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال جميعها مكتوب في أوله الاشهاد على الملك الاشرف بوقف ذلك ومقره في مدرسته فلما كان يوم الخميس ثالث شهر رجب سنة احدى عشرة

وثمانمائة وقد انتهت عمارتها جمع بها الامير جمال الدين القضاة والاعيان وأجلس الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمي الشافعي على سجادة المشيخة وعمله شيخ التصوف ومدرس الشافعية ومد سماطا جليلا أكل عليه كل من حضر وملأ البركة التي بوسط المدرسة ماء قد أذيب فيه سكر مزج بماء الليمون وكان يوما مشهودا وقرر في تدريس الحنفية بدر الدين محمود بن محمد المعروف بالشيخ زاده الخرزياني وفي تدريس المالكية شمس الدين محمد بن البساطي وفي تدريس الحنابلة فتح الدين أبا الفتح محمد بن نجم الدين محمد بن الباهلي وفى تدريس الحديث النبوي شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر وفى تدريس التفسير شيخ الاسلام قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقيني فكان يجلس من ذكرنا واحدا بعد واحد فى كل يوم الى أن كان آخرهم شيخ التفسير وكان مسك الختام وما منهم الا من يحضر معه ويلبسه مايليق به من الملابس الفاخرة وقرر عند كل من المدرسين الستة طائفة من الطلبة وأجرى لكل واحد ثلاثة أرطال من الخبز في كل يوم وثلاثين درهما فلوسا فى كل شهر وجعل لكل مدرس ثلثمائة درهم فى كل شهر ورتب بها اماما وقومة ومؤذنين وفراشين ومباشرين وأكثر من وقف الدور عليها وجعل فائض وقفها مصروفا لذريته فجاءت فى أحسن هندام وأتم قالب وأفخر زي وأبدع نظام الا انها وما فيها من الآلات وما وقف عليها أخذ من الناس غصبا وعمل فيها الصناع بأبخس أجرة مع العسف الشديد فلما قبض عليه السلطان وقتله في جمادى الاولى سنة اثنتي عشرة وثمانمائة واستولى على أمواله حسن جماعة للسلطان أن يهدم هذه المدرسة ورغبوه فى رخامها فانه غاية في الحسن وأن يسترجع أوقافها فان متحصلها كثير فمال الى ذلك وعزم عليه فكره ذلك للسلطان الرئيس فتح الدين فتح الله كاتب السر واستشنع أن يهدم بيت بني على اسم الله يعلن فيه بالاذان خمس مرات في اليوم والليلة وتقام به الصلوات الخمس فى جماعة عديدة ويحضره فى عصر كل يوم مائة وبضعة عشر رجلا يقرؤن القرآن فى وقت التصوف ويذكرون الله ويدعونه وتحلق به الفقهاء لدرس تفسير القرآن الكريم وتفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقه الائمة الاربعة ويعلم فيه أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل ويجرى على هؤلاء المذكورين الارزاق في كل يوم ومن المال في كل شهر ورأى ان ازالة مثل هذا وصمة في الدين فتجرد له وما زال بالسلطان يرغبه فى ابقائها على أن يزال منها اسم جمال الدين وتنسب اليه فانه من الفتن هدم مثلها ونحو ذلك حتي رجع الى قوله وفوض أمرها اليه فدبر ذلك أحسن تدبير وهو أن موضع هذه المدرسة كان وقفا على بعض الترب فاستبدل به جمال الدين أرضاً من جملة أراضي الخراج بالجيزة وحكم له قاضي القضاة كمال الدين عمر بن العديم بصحة الاستبدال وهدم البناء وبني موضعه هذه المدرسة وتسلم متولي موضعها الارض المستبدل

بها الى أن قتل جمال الدين وأحيط بأمواله فدخل فيما احيط به هذه الارض المستبدل بها
وادعى السلطان أن جمال الدين افتات عليه في أخذ هذه الارض وأنه لم يأذن في بيعها
من بيت المال فأفتى حينئذ محمد شمس الدين المدنى المالكي بأن بناء هذه المدرسة الذى وقفه
جمال الدين على الارض التي لم يملكها بوجه صحيح لايصح وانه باق على ملكه الى حين
موته فندب عند ذلك شهود القيمة الى تقويم بناء المدرسة فقوموها باثنى عشر ألف دينار
ذهبا وأثبتوا محضر القيمة على بعض القضاة فحمل المبلغ الى أولاد جمال الدين حتى تسلموه
وباعوا بناء المدرسة للسلطان ثم استرد السلطان منهم المبلغ المذكور وأشهد عليه انه وقف
أرض هذه المدرسة بعد ما استبدل بها وحكم حاكم حنفى بصحة الاستبدال ثم وقف البناء
الذى اشتراه وحكم بصحته أيضاً ثم استدعى بكتاب وقف جمال الدين ولخصه ثم مزقه
وجدد كتاب وقف يتضمن جميع ماقرره جمال الدين فى كتاب وقفه من أرباب الوظائف
ومالهم من الخبز في كل يوم ومن المعلوم فى كل شهر وأبطل ماكان لاولاد جمال الدين
من فائض الوقف وأفرد لهذه المدرسة مما كان جمال الدين جعله وقفا عليها عدة مواضع
تقوم بكفاية مصروفها وزاد في أوقافها أرضا بالجيزة وجعل مابقى من أوقاف جمال الدين
على هذه المدرسة بعضه وقفا على أولاده وبعضه وقفا على التربة التى أنشأها فى قبة أبيه الملك
الظاهر برقوق خارج باب النصر وحكم القضاة الاربعة بصحة هذا الكتاب بعد ما حكموا
بصحة كتاب وقف جمال الدين ثم حكموا ببطلانه ثم لما تم ذلك محى من هذه المدرسة
اسم جمال الدين ورنكه وكتب اسم السلطان الملك الناصر فرج بدائر صحنها من أعلاه
وعلى قناديلها وبسطها وسقوفها ثم نظر السلطان في كتبها العلمية الموقوفة بها فأقر منها جملة
كتب بظاهر كل سفر منها فصل يتضمن وقف السلطان له وحمل كثير من كتبها الى قلعة
الجبل وصارت هذه المدرسة تعرف بالناصرية بعد ماكان يقال لها الجمالية ولم تزل على ذلك
حتى قتل الناصر وقدم الامير شيخ الى القاهرة واستولى على أمور الدولة فتوصل شمس الدين
محمد أخو جمال الدين وزوج ابنته لشرف الدين أبى بكر بن العجمى موقع الاستادار الامير
شيخ حتى أحضر قضاة القضاة وحكم الصدر علي بن الادمى قاضى القضاة الحنفى برد أوقاف
جمال الدين الى ورثته من غير استيفاء الشروط في الحكم بل تهور فيه وجازف ولذلك
أسباب منها عناية الامير شيخ بجمال الدين الاستادار فانه لما انتقل اليه اقطاع الامير بجاس
بعد موت الملك الظاهر برقوق استقر جمال الدين استاداره كما كان استادار بجاس فخدمه
خدمة بالغة وخرج الامير شيخ الى بلاد الشام واستقر في نيابة طرابلس ثم في نيابة
الشام وخدمة جمال الدين له ولحاشيته ومن يلوذ به مستمرة وأرسل مرة الامير شيخ
من دمشق بصدر الدين بن الادمي المذكور في الرسالة الى الملك الناصر وجمال الدين

حينئذ عزيز مصر فأنزله وأكرمه وأنعم عليه وولاه قضاء الحنفيـة وكتابة السر بدمشق وأعاده اليه ومازال معتنيا بأمور الامير شيخ حتى انه اتهم بأنه قد مالأه على السلطان فقبض عليه السلطان الملك الناصر بسبب ذلك ونكبه فلما قتل الناصر واستولى الامير شيخ على الامور بديار مصر ولى قضاء الحنفية بديار مصر لصدر الدين علي بن الادمي المذكور وولى أستاداره بدر الدين حسن ابن محب الدين الطرابلسى أستادار السلطان نخدم شرف الدين أبو بكر بن العجمى زوج ابنة أخي جمال الدين عنـده موقعا وتمكن منـه فأغراه بفتح الدين فتح الله كاتب السر حتى أثخن جراحة عند الملك المؤيد شيخ ونكبه بعد ماتسلطن واستعـان أيضاً بقاضي القضاة صدر الدين بن الادمي فانه كان عشيره وصديقـه من أيام جمال الدين ثم استمال ناصر الدين محمـد بن البارزى موقع الامير الكبير شيخ فقـام الثلاثة مع شمس الدين أخى جمال الدين حتي أعيد الى مشيخة خانكاه بيبرس وغيرها من الوظائف التي أخذت منه عند ما قبض عليه الملك الناصر وعاقبه وتحدثوا مع الامير الكبير في رد أوقاف جمال الدين الى أخيه وأولاده فان الناصر غصبها منهم وأخذ أموالهم وديارهم بظلمه الى أن فقدوا القوت ونحو هذا من القول حتي حركوا منه حقدا كامنا على الناصر وعلموا منه عصبته لجمال الدين هذا وغرض القوم فى الباطن تأخـير فتح الدين والايقاع به فانه ثقل عليهم وجوده معهم فأمر عنـد ذلك الامير الـكبير بعقد مجلس حضره قضاة القضاة والامراء وأهل الدولة عنده بالحراقة من باب السلسلة في يوم السبت تاسع عشرى شهر رجب سنة خمس عشرة وتقدم أخو جمال الدين ليدعى على فتح الدين فتح الله كاتب السر وكان قد علم بذلك ووكل بدر الدين حسنا البرديني أحد نواب الشافعية في سماع الدعوى ورد الاجوبة فعنـد ماجلس البرديني للمحاكمة مع أخي جمال الدين نهره الامير الـكبير وأقامه وأمر بأن يكون فتح الله هو الذى يدعى عليه فلم يجد بدا من جلوسه فما هو الا أن ادعى عليه أخو جمال الدين بأنه وضع يده على مـدرسة أخيه جمال الدين وأوقافه بغير طريق فبادر قاضي القضاة صدر الدين على بن الادمي الحنفي وحكم برفع يده وعود أوقاف جمال الدين ومدرسته الى مانص عليه جمال الدين ونفذ بقية القضاة حكمه وانفضوا على ذلك فاستولى أخو جمال الدين وصهره شرف الدين على حاصل كبير كان قد اجتمع بالمدرسة من فاضل ريعها ومن مال بعثه الملك الناصر اليها وفرقوه حتي كتبوا كتابا اخترعوه من عند انفسهم جعلوه كتاب وقف المدرسة زادوا فيه أن جمال الدين اشترط النظر على المدرسة لاخيه شمس الدين المذكور وذريته الى غير ذلك مما لفقوه بشهادة قوم استمالوهم فمالوا ثم أثبتوا هذا الـكتاب على قاضي القضاة صدر الدين بن الادمى ونفذه بقيـة القضاة فاستمر الامر على هذا البهتان المختلق والافك المفترى مدة ثم ثار بعض صوفية هذه المدرسة وأثبت

محضرا بأن النظر لكاتب السر فلما ثبت ذلك نزعت يد أخي جمال الدين عن التصرف في المدرسة وتولى نظرها ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر واستمر الامر على هذا فكانت قصة هذه المدرسة من أعجب ماسمع به في تناقض القضاة وحكمهم بابطال ماصححوه ثم حكمهم بتصحيح ماابطلوه كل ذلك ميلا مع الجاه وحرصا على بقاء رياستهم ستكتب شهادتهم ويسألون

* (المدرسة الصرغتمشية) *

هذه المدرسة خارج القاهرة بجوار جامع الامير أبي العباس أحمد بن طولون فيما بينه وبين قلعة الجبل كان موضعها قديما من جملة قطائع ابن طولون ثم صار عدة مساكن فأخذها الامير سيف الدين صرغتمش الناصرى رأس نوبة النوب وهدمها وابتدأ في بناء المدرسة يوم الخميس من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة وانتهت في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وقد جاءت من أبدع المباني وأجلها وأحسنها قالبا وأبهجها منظرا فركب الامير صرغتمش في يوم الثلاثاء تاسعه وحضر اليه الامير سيف الدين شيخو العمرى مدبر الدولة والامير طاشتمر القاسمي حاجب الحجاب والامير توقتاى الدوادار وعامة أمراء الدولة وقضاة القضاة الاربعة ومشايخ العلم ورتب مدرس الفقه بها قوام الدين أمير كاتب بن امير عمر العميد بن العميد أمير غازى الاتقاني فألقى القوام الدرس ثم مد سماط جليل بالهمة الملوكية وملئت البركة التي بها سكرا قد أذيب بالماء فأكل الناس وشربوا وأبيح مابقى من ذلك للعامة فانتهبوه وجعل الامير صرغتمش هذه المدرسة وقفا على الفقهاء الحنفية الآفاقية ورتب بها درسا للحديث النبوى وأجرى لهم جميعا المعاليم من وقف رتبه لهم وقال أدباء العصر فيها شعرا كثيرا فقال العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي

ليهنك ياصرغتمش مابنيته * لاخراك فى دنياك من حسن بنيان
به يزدهى الترخيم كالزهر بهجة * فلله من زهر ولله من باني

وخلع فى هذا اليوم على القوام خلعة سنية وأركبه بغلة رائعة وأجازه بعشرة آلاف درهم على ابيات مدحه بها في غاية السماجة وهي

أرأيتم من حاز الرتبا * وأتى قربا ونفى ريبا
فبدا علما وسما كرما * ونما قدما ولقد غلبا
بتقى وهدى ونداوجدا * فعدا وسدى وجبى وحبا
بدى سننا أحيي سننا * حلى زمنا عند الادبا
هذا صرغتمش قد سكبت * أيام امارته السحبا

وأزال الجدب الى خصب * والضنك الى رغد قلبا
باعانة جبار ربي * ذي العرش وقد بذل النشبا
ملك فطن ركن لسن * حسن بسن ربي الادبا
ملك الكبرا ملك الامرا * ملك العلما ملك الادبا
بحر طام غيث هام * قد رسام حامي الغربا
ببشاشته وسماحته * وحماسته جلي الكربا
وديانته وصيانته * وأمانته حاز الرتبا
ابهى أصلا اسنى نسلا * اعطى فضلا ماوى الغربا
نعم المأوى مصر لما * شملت قوما نبلا نجبا
فنمت نورا وسمت نورا * وعلت دورا وأرت طربا
نسقت دررا وسقت دررا * ودعت غررا وحوت أدبا
وخطابته افتخرت وعلت * وسمت وزرت وحوت أدبا
جدد درسا ثم اجن جني * منها وبنى فمى طلبا
من نازعني نسبي علنا * فاراب لنا نممت نسبا
كنوني أبا لحنيفة ا * سم قوام الدين بذا لقبا
عش في رحب لترى عجبا * من منتجب عجب عجبا

* (صرغتمش) الناصري الامير سيف الدين رأس نوبة جلبه الخواجا الصواف فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فاشتراه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون بمائتي ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو أربعة آلاف مثقال ذهبا وخلع على الخواجا تشريفاً كاملا بحياصة ذهب وكتب له توقيعا بمسامحة مائة ألف درهم من متجره فلم يعبأ به السلطان وصار فى أيامه من جملة الجمدارية وحكى عن القاضي شرف الدين عبد الوهاب ناظر الخاص أن السلطان أنعم على صرغتمش هذا بعشر طاقات أديم طائفي فلما جاء الى النشو تردد اليه مرارا حتي دفعها اليه ولم يزل خامل الذكر الى أن كانت أيام المظفر حاجي بن محمد بن قلاون فبعثه مسفرا مع الامير فخر الدين اياز السلاح دار لما استقر في نيابة حلب فلما عاد من حلب ترقي في الخدمة وتمكن عند المظفر وتوجه فى خدمة الصالح بن محمد بن قلاون الى دمشق فى نوبة يلبغا روس وصار السلطان يرجع الى رأيه فلما عاد من دمشق أمسك الوزير علم الدين عبد الله بن زنبور بغير امر السلطان وأخذ أمواله وعارض فى أمره الامير شيخو والامير طاز ومن حينئذ عظم ولم يزل حتى خلع السلطان الملك الصالح وأعيد الناصر حسن بن محمد بن قلاون فلما أخرج الامير شيخو انفرد صرغتمش بتدبير أمور المملكة وفخم قدره ونفذت

كلمته فعزل قضاة مصر والشام وغير النواب بالمماليك والسلطان يحقد عليه الى أن امسكه في العشرين من شهر رمضان سنة تسع وخمسين وقبض معه على الامير طشتمر القاسمي حاجب الحجاب والامير ملكتمر المحمدي وجماعة وحملهم الى الاسكندرية فسجنوا بها . وبها مات صرغتمش بعد شهرين واثني عشر يوما من سجنه في ذى الحجة سنة تسع وخمسين وسبعمائة وكان مليح الصورة جميل الهيئة يقرأ القرآن الكريم ويشارك في الفقه على مذهب الحنفية ويبالغ في التعصب لمذهبه ويقرب العجم ويكرمهم ويجلهم اجلالا زائدا ويشدو طرفا من النحو وكانت أخلاقه شرسة ونفسه قوية فاذا بحث في الفقه أو اللغة اشتط ولما تحدث في الاوقاف وفي البريد خاف الناس منه فلم يكن أحد يركب خيل البريد الا بمرسومه ومنع كل من يركب البريد أن يحمل معه قماشا ودراهم على خيل البريد واشتد في أمر الاوقاف فعمرت في مباشرته ولما قبض عليه أخذ السلطان أمواله وكانت شيئاً كثيرا يكل عنه الوصف

* (ذكر المارستانات) *

قال الجوهري في الصحاح والمارستان بيت المرضى معرب عن ابن السكيت وذكر الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه في كتاب أخبار مصر أن الملك مناقيوش بن اشمون أحد ملوك القبط الاول بأرض مصر أول من عمل البيمارستانات لعلاج المرضي وأودعها العقاقير ورتب فيها الاطباء وأجرى عليهم مايسعهم ومناقيوش هذا هو الذى بني مدينة اخميم وبنى مدينة سنتريه * وقال زاهد العلماء أبو سعيد منصور بن عيسي أول من اخترع المارستان وأوجده بقراط بن ايوقليدس وذلك أنه عمل بالقرب من داره في موضع من بستان كان له موضعاً مفردا للمرضى وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم وسماه اصدولين أي مجمع المرضى وأول من بنى المارستان في الاسلام ودار المرضي الوليد بن عبد الملك وهو أيضاً أول من عمل دار الضيافة وذلك في سنة ثمان وثمانين وجعل في المارستان الاطباء وأجرى لهم الارزاق وأمر بحبس المجذمين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الارزاق وقال جامع السيرة الطولونية وقد ذكر بناء جامع ابن طولون وعمل في مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والادوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة

* (مارستان ابن طولون) *

هذا المارستان موضعه الآن فى أرض العسكر وهي الكيمان والصحراء التي فيما بين جامع ابن طولون وكوم الجارح وفيما بين قنطرة السد التي على الخليج ظاهر مدينة مصر وبين السور الذى يفصل بين القرافة وبين مصر وقد دثر هذا المارستان في جملة مادثر ولم يبق له أثر * وقال أبو عمر الكندي في كتاب الامراء وأمر أحمد بن طولون أيضا ببناء

المارستان للمرضي فبنى لهم في سنة تسع وخمسين ومائتين * وقال جامع السيرة الطولونية وفي سنة احدى وستين ومائتين بني أحمد بن طولون المارستان ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان ودوره في الاساكفة والقيسارية وسوق الرقيق وشرط في المارستان أن لايعالج فيه جندي ولا مملوك وعمل حمامين للمارستان احداهما للرجال والاخري للنساء حبسهما على المارستان وغيره وشرط أنه اذا جيء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له ويغدى عليه ويراح بالادوية والاغذية والاطباء حتى يبرأ فاذا أكل فرّوجا ورغيفا أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه وفي سنة إثنتين وستين ومائتين كان ماحبسه على المارستان والعين والمسجد في الجبل الذى يسمى بتنور فرعون وكان الذى انفق على المارستان ومستغله ستين ألف دينار وكان يركب بنفسه في كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والاطباء وينظر الى المرضى وسائر الاعلاء والمحبوسين من المجانين فدخل مرة حتى وقف بالمجانين فناداه واحد منهم مغلول أيها الامير اسمع كلامي ماأنا بمجنون وانما عملت عليّ حيلة وفي نفسي شهوة رمانة عريشية اكبر مايكون فأمر له بها من ساعته ففرح بها وهزها في يده ورازها ثم غافل أحمد بن طولون ورمى بها في صدره فنضحت على ثيابه ولو تمكنت منه لاتت على صدره فأمرهم أن يحتفظوا به ثم لم يعاود بعد ذلك النظر في المارستان

* (مارستان كافور) *

هذا المارستان بناه كافور الاخشيدى وهو قائم بتدبير دولة الامير أبي القاسم أنوجور ابن محمد الاخشيد بمدينة مصر فى سنة ست وأربعين وثلثمائة

* (مارستان المغافر) *

هذا المارستان كان في خطة المغافر التي موضعها مابين العامر من مدينة مصر وبين مصلى خولان التي بالقرافة بناه الفتح بن خاقان فى أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله وقد باد أثره

* (المارستان الكبير المنصورى) *

هذا المارستان بخط بين القصرين من القاهرة كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبى تميم معد ثم عرف بدار الامير فخر الدين جهاركس بعد زوال الدولة الفاطمية وبدار موسك ثم عرف بالملك المفضل قطب الدين أحمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وصار يقال لها الدار القطبية ولم تزل بيد ذريته الى أن أخذها الملك المنصور قلاون الالفي الصالحي من مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل المعروفة بالقطبية وعوضت عن ذلك قصر الزمرذ برحبة باب العيد فى ثامن عشرى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وستمائة بسفارة

الامـير علم الدين سنجر الشجاعي مدبر الممالك ورسم بعمارتها مارستانا وقبـة ومدرسة فتولى الشجاعى أمر العمارة وأظهر من الاهتمام والاحتفال مالم يسمع بمثله حتى تم الغرض فى أسرع مدة وهي أحد عشر شهرا وأيام وكان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع وخلفت ست الملك بها ثمانية آلاف جارية وذخائر جليلة منها قطعة ياقوت أحمر زنتها عشرة مثاقيل وكان الشروع فى بنائها مارستانا أول ربيـع الآخر سـنة ثلاث وثمانين وستمائة وكان سبب بنائه أن الملك المنصور لما توجه وهو أمير الى غزاة الروم فى أيام الظاهر بيبرس سنة خمس وسبعين وستمائة أصابه بدمشق قولنج عظيم فعالجه الاطباء بأدوية أخذت له من مارستان نور الدين الشهيد فبرأ وركب حتى شاهد المارستان فأعجب به ونذر ان آتاه الله الملك أن يبني مارستانا فلما تسلطن أخذ في عمل ذلك فوقع الاختيار على الدار القطبية وعوض أهلها عنها قصر الزمرذ وولى الامير علم الدين سنجر الشجاعى أمر عمـارته فابقى القـاعة على حالها وعملها مارستانا وهى ذات ايوانات أربعة بكل ايوان شاذروان وبدورقاعتها فسقية يصير اليها من الشاذروانات الماء واتفق أن بعض الفعلة كان يحفر فى أساس المدرسة المنصورية فوجد حق أشنان من نحاس ووجد رفيقه قمقما نحاسا مختوما برصاص فأحضرا ذلك الى الشجاعى فاذا في الحق فصوص ماس وياقوت وبلخش ولؤلؤ ناصع يدهش الابصار ووجد فى القمقم ذهبا كان جملة ذلك نظير ماغرم على العمارة فحمله الى أسعد الدين كوهيا الناصرى العدل فرفعه الى السلطان ولما نجزت العمارة وقف عليها الملك المنصور من الاملاك بديار مصر وغيرها مايقارب ألف ألف درهم فى كل سـنة ورتب مصارف المارستـان والقبـة والمدرسة ومكتب الايتام ثم استـدعي قدحا من شراب المارستان وشربه وقال قد وقفت هذا على مثلي فمن دونى وجعلته وقفا على الملك والمملوك والجندى والامير والكبير والصغير والحر والعبد الذكور والاناث ورتب فيه العقاقير والاطباء وسائر مايحتاج اليه من به مرض من الامراض وجعل السلطان فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضي وقرر لهم المعاليم ونصب الاسرة للمرضى وفرشهـا بجميع الفرش المحتاج اليها في المرض وأفرد لكل طائفة من المرضى موضعا فجعل أواوين المارستان الاربعة للمرضي بالحميـات ونحوهـا وأفرد قاعة للرمدى وقاعة للجرحى وقاعة لمن به اسهال وقاعة للنساء ومكانا للمبرودين ينقسم بقسمين قسم للرجال وقسم للنساء وجعل الماء يجرى فى جميع هذه الاماكن وأفرد مكانا لطبخ الطعام والادوية والاشربة ومكانا لتركيب المعاجين والاكحال والشيافات ونحوها ومواضع يخزن فيها الحواصل وجعل مكانا يفرق فيه الاشربة والادوية ومكانا يجلس فيه رئيس الاطباء لالقاء درس طب ولم يحص عدة المرضي بل جعله سبيلا لكل من يرد عليه من غني وفقير ولا حدد مدة لاقامة المريض به بل يرتب منه لمن هو مريض بداره سائر مايحتاج اليه ووكل

الامير عز الدين أيبك الافرم الصالحي أمير جندار فى وقف ماعينه من المواضع وترتيب أرباب الوظائف وغيرهم وجعل النظر لنفسه أيام حياته ثم من بعده لاولاده ثم من بعدهم لحاكم المسلمين الشافعي فضمن وقفه كتابا تاريخه يوم الثلاثاء ثالث عشرى صفر سنة ثمانين وستمائة ولما قرئ عليه كتاب الوقف قال للشجاعى ما رأيت خط الاسعد كاتبي مع خطوط القضاة أبصر ايش فيه زغل حتى ما كتب عليه فما زال يقرب لذهنه أن هـذا مما لا يكتب عليه الا قضاة الاسلام حتي فهم ذلك فبلغ مصروف الشراب منه في كل يوم خمسمائة رطـل سوى السكر ورتب فيه عدة مابين أمين ومباشر وجعل مباشرين الادارة وهم الذين يضبطون مايشـترى من الاصنـاف وما يحضر منها الى المارستان ومباشرين لاستخراج مال الوقف ومباشرين فى المطبخ ومباشرين فى عمـارة الاوقاف التي تتعلق به وقرر في القبـة خمسين مقرئا يتناوبون قراءة القرآن ليـلا ونهارا ورتب بها اماما راتبا وجعل بها رئيسا للمؤذنين عند مايؤذنون فوق منارة ليس فى أقليم مصر اجل منها ورتب بهذه القبة درسا لتفسـير القرآن فيه مدرس ومعيدان وثلاثون طالبا ودرس حديث نبوى وجعل بها خزانة كتب وستة خدام طواشيـة لا يزالون بها ورتب بالمدرسة اماما راتبا ومتصـدرا لاقراء القرآن ودروسا أربعة للفقه على المذاهب الاربعة ورتب بمكتب السبيل معلمين يقرئان الايتام ورتب للايتـام رطلين من الخبز فى كل يوم لكل يتيم مع كسوة الشتاء والصيف فلما ولى الامـير جمال الدين أقوش نائب الكرك نظر المارستان أنشأ به قاعة للمرضى وتحت الحجارة المبني بها الجدر كلها حتي صارت كأنها جديدة وجدد تذهيب الطراز بظاهر المدرسة والقبة وعمل خيمـة تظل الاقفاص طولها مائة ذراع قام بذلك من ماله دون مال الوقف ونقل أيضاً حوض ماء كان برسم شرب البهائم من جانب باب المارستان وأبطله لتأذى الناس بنتن رائحة مايجتمع قدامه من الاوساخ وانشأ سبيل ماء يشرب منه الناس عوض الحوض المذكور وقد تورع طائفة من أهل الديانة عن الصلاة في المدرسة المنصورية والقبة وعابوا المارستان لكثرة عسف الناس فى عمله وذلك انه لما وقع اختيار السلطان على عمل الدار القطبيـة مارستانا ندب الطواشى حسام الدين بلالا المغيثي للكلام في شرائها فساس الامر فى ذلك حتي أنعمت مؤنسة خاتون ببيعها على أن تعوض عنها بدار تلمها وعيالها فعوضت قصر الزمرذ برحبة باب العيد مع مبلغ مال حمل اليها ووقع البيع على هذا فندب السلطان الامير سنجر الشجاعي للعمارة فأخرج النساء من القطبية من غير مهلة وأخذ ثلثمائة أسـير وجمع صناع القاهرة ومصر وتقدم اليهم بأن يعملوا بأجمعهم في الدار القطبية ومنعهم أن يعملوا لاحد فى المدينتين شغلا وشدد عليهم في ذلك وكان مهابا فلازموا العمل عنده ونقل من قلعة الروضة ما احتاج اليه من العمد الصوان والعمـد الرخام والقواعد والاعتاب والرخام البديع وغير

ذلك وصار يركب اليها كل يوم وينقل الانقاض المذكورة على العجل الى المارستان ويعود الى المارستان فيقف مع الصناع على الاساقيل حتي لايتوانوا فى عملهم وأوقف مماليكه بين القصرين فكان اذا مر أحد ولو جل ألزموه أن يرفع حجرا ويلقيه فى موضع العمارة فينزل الجندي والرئيس عن فرسه حتى يفعل ذلك فترك أكثر الناس المرور من هناك ورتبوا بعد الفراغ من العمارة وترتيب الوقف فتيا صورتها مايقول أئمة الدين فى موضع أخرج أهله منه كرها وعمر بمستحثين يعسفون الصناع وأخرب ماعمره الغير ونقل اليه ما كان فيه فعمر به هل تجوز الصلاة فيه أم لا فيكتب جماعة من الفقهاء لاتجوز فيه الصلاة فمازال المجد عيسي بن الخشاب حتى أوقف الشجاعي على ذلك فشق عليه وجمع القضاة ومشايخ العلم بالمدرسة المنصورية وأعلمهم بالفتيا فلم يجبه أحد منهم بشيء سوى الشيخ محمد المرجانى فانه قال أنا افتيت بمنع الصلاة فيها وأقول الآن انه يكره الدخول من بابها ونهض قائما فانفض الناس واتفق أيضا أن الشجاعي مازال بالشيخ محمد المرجانى يلح فى سؤاله أن يعمل ميعاد وعظ بالمدرسة المنصورية حتي أجاب بعد تمنع شديد فحضر الشجاعي والقضاة وأخذ المرجانى في ذكر ولاة الامور من الملوك والامراء والقضاة وذم من يأخذ الاراضى غصبا ويستحث العمال في عمائره وينقص من اجورهم وختم بقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا وقام فسأله الشجاعي الدعاء له فقال ياعلم الدين قد دعا لك ودعا عليك من هو خير منى وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهمَّ من ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه وانصرف فصار الشجاعي من ذلك فى قلق وطلب الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد وكان له فيه اعتقاد حسن وفاوضه في حديث الناس في منع الصلاة فى المدرسة وذكر له أن السلطان انما أراد محاكاة نور الدين الشهيد والاقتداء به لرغبته فى عمل الخير فوقع الناس في القدح فيه ولم يقدحوا في نور الدين فقال له ان نور الدين أسر بعض ملوك الفرنج وقصد قتله ففدى نفسه بتسليم خمسة قلاع وخمسمائة ألف دينار حتى أطلقه فمات فى طريقه قبل وصوله مملكته وعمر نور الدين بذلك المال مارستانه بدمشق من غير مستحث فمن أين ياعلم الدين تجد مالا مثل هذا المال وسلطانا مثل نور الدين غير أن السلطان له نيته وأرجو له الخير بعمارة هذا الموضع وأنت ان كان وقوفك في عمله بنية نفع الناس فلك الاجر وان كان لاجل أن يعلم أستاذك علو همتك فما حصلت على شئ فقال الشجاعى الله المطلع على النيات وقرر ابن دقيق العيد فى تدريس القبة * (قال مؤلفه) ان كان التحرج من الصلاة لاجل أخذ الدار القطبية من أهلها بغير رضاهم واخراجهم منها بعسف واستعمال أنقاض القلعة بالروضة فلعمرى ماتملك بني أيوب الدار القطبية وبناؤهم قلعة الروضة واخراجهم

أهل القصور من قصورهم التى كانت بالقاهرة واخراج سكان الروضة من مساكنهم الا كأخذ قلاون الدار المذكورة وبنائها بما هدمه من القلعة المذكورة واخراج مؤنسة وعيالها من الدار القطبية وأنت ان امعنت النظر وعرفت ماجرى تبين لك أن ماالقوم الا سارق من سارق وغاصب من غاصب وان كان التحرج من الصلاة لاجل عسف العمال وتسخير الرجال فشيء آخر بالله عرفني فاني غير عارف بن منهم لم يسلك في أعماله هذا السبيل غير أن بعضهم أظلم من بعض وقد مدح غير واحد من الشعراء هذه العمارة منهم شرف الدين البوصيرى فقال

ومدرسة ود الخورنق انه * لديها حظير والسدير غدير
مدينة علم والمدارس حولها * قرى أو نجوم بدرهن منير
تبدت فأخفى الظاهرية نورها * وليس بظهر للنجوم ظهور
بناء كأن النحل هندس شكله * ولانت له كالشمع فيه صخور
بناها سعيد في بقاع سعيدة * بها سعدت قبل المدارس نور
ومن حيثما وجهت جهك نحوها * تلقتك منها نضرة وسرور
اذا قام يدعوا الله فيها مؤذن * فما هو الا للنجوم سمير

* (المارستان المؤيدى) *

هذا المارستان فوق الصوة تجاه طبلخاناه قلعة الجبل حيث كانت مدرسة الاشرف شعبان ابن حسين التى هدمها الناصر فرج بن برقوق وبابه هو حيث كان باب المدرسة الا انه ضيق عما كان * أنشأه المؤيد شيخ في مدة أولها جمادي الآخرة سنة احدى وعشرين وثمانمائة وآخرها رجب سنة ثلاث وعشرين ونزل فيه المرضي في نصف شعبان وعملت مصارفه من جملة أوقاف الجامع المؤيدى المجاور لباب زويلة فلما مات الملك المؤيد في ثامن المحرم سنة أربع وعشرين تعطل قليلا ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين في ربيع الاول منها وصار منزلا للرسل الواردين من البلاد الى السلطان ثم عمل فيه منبر ورتب له خطيب وامام ومؤذنون وبواب وقومة وأقيمت به الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة فاستمر جامعا تصرف معاليم أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع المؤيدى

* (ذكر المساجد) *

قال ابن سيده المسجد الموضع الذى يسجد فيه وقال الزجاج كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد الا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وقوله عز وجل ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيه اسمه المعنى على هذا المذهب انه من أظلم ممن خالف قبلة الاسلام وقد كان حكمه أن لايجيء على مفعل لان حق اسم المكان

والمصدر من فعل يفعل أن يجيء على مفعل ولكنه أحد الحروف التي شذت فجاءت على مفعل * قال سيبويه وأما المسجد فانهم جعلوه اسما للبيت ولم يأت على فعل يفعل كما قال في المدق انه اسم للجلود يعني انه ليس على الفعل ولو كان على الفعل لقيل مدق لانه آلة والآلات تجيء على مفعل كمخزن ومكنس ومكسح والمسجدة الخمرة المسجود عليها وقوله تعالى وأن المساجد لله قيل هي مواضع السجود من الانسان الجبهة واليدان والركبتان والرجلان * وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب النقط على الخطط عن القاضي أبي عبد الله القضاعي انه كان فى مصر الفسطاط من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد *وقال المسبحي فى حوادث سنة ثلاث وأربعمائة وأحصى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله المساجد التي لاغلة لها فكانت ثمانمائة مسجد فأطلق لها في كل شهر من بيت المال تسعة آلاف ومائتين وعشرين درهما وفي سنة خمس وأربعمائة حبس الحاكم بأمر الله سبع ضياع منها اطفيح وطوخ علي القراء والمؤذنين بالجوامع وعلى ملء المصانع والمارستان وفي ثمن الاكفان * وذكر ابن المتوج أن عدة المساجد بمصر في زمنه أربعمائة وثمانون مسجدا ذكرها

* المسجد بجوار دير البعل) *

قد تقدم (٣) فى أخبار الكنائس والديارات من هذا الكتاب خبر دير البعل وانه يعرف بدير الفطير ولما كان في سنة خمس وسبعين وستمائة خرج جماعة من المسلمين الى دير البعل فرأوا آثار محاريب بجوار الدير فعرفوا الصاحب بهاء الدين بن حنا ذلك فسير المهندسين لكشف ماذكر فعادوا اليه وأخبروه انه آثار مسجد فشاور الملك الظاهر بيبرس وعمره مسجدا بجانب الدير وهو عامر الى الآن وبت به وهو من أحسن مشترفات مصر وله وقف جيد ومرتب يقوم به نصارى الدير

* (مسجد ابن الجباس *)

هذا المسجد خارج باب زويلة بالقرب من مصلى الاموات دون باب اليانسية عرف بالشيخ أبي عبد الله محمد بن على بن أحمد بن محمد بن جوشن المعروف بابن الجباس بجيم وباء موحدة بعدها ألف وسين مهملة القرشى العقبلي الفقيه الشافعي المقرئ كان فاضلا صالحا زاهدا عابدا مقرئا كتب بخطه كثيرا وسمع الحديث النبوى ومولده يوم السبت سابع عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بالقاهرة ووفاته (٣)

* (مسجد ابن البناء) *

هذا المسجد داخل باب زويلة وتسميه العوام سام بن نوح النبي عليه السلام وهو من

---

(٣) (قوله قد تقدم الخ) فيه انه لم يتقدم ذلك وانما أخبار الكنائس والديارات سيأتى ذكرها في آخر الكتاب اه مصححه

مختلقاتهم التى لااصل لها وانما يعرف بمسجد ابن البناء وسام بن نوح لعله لم يدخل أرض مصر البتة فان الله سبحانه وتعالى لما نجى نبيه نوحا من الطوفان خرج معه من السفينة أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث ومن هذه الثلاثة ذرأ الله سائر بنى آدم كما قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فقسم نوح الارض بين أولاده الثلاثة * فصار لسام بن نوح العراق وفارس الى الهند ثم الى حضر موت وعمان والبحرين وعالج ويبرين والدوو وبار والدهناء وسائر أرض اليمن والحجاز ومن نسله الفرس والسريانيون والعبرانيون والعرب والنبط والعماليق وصار لحام بن نوح الجنوب مما يلى أرض مصر مغربا الى المغرب الاقصى ومن نسله الحبشة والزنج والقبط سكان مصر وأهل النوبة والافارقة أهل افريقية وأجناس البربر * وصار ليافث ابن نوح بحر الخزر مشرقا الى الصين ومن نسله الصقالبة والفرنج والروم والغوط وأهل الصين واليونانيون والترك * وقد بلغنى أن هذا المسجد كان كنيسة لليهود القرايين تعرف بسام بن نوح وأن الحاكم بأمر الله أخذ هذه الكنيسة لما هدم الكنائس وجعلها مسجدا وتزعم اليهود القرايون الآن بمصر أن سام بن نوح مدفون هنا وهم الى الآن يحلفون من أسلم منهم بهذا المسجد أخبرنى به قاضى اليهود ابراهيم بن فرج الله بن عبد الكافى الداودى العانانى وليس هذا بأول شيء اختلقته العامة * (وابن البناء) هذا هو محمد بن عمر بن أحمد بن جامع بن البناء أبو عبد الله الشافعي المقرئ سمع من القاضى مجلى وأبى عبد الله الكيزانى وغيره وحدث وأقرأ القرآن وانتفع به جماعة وهو منقطع بهذا المسجد وكان يعرف خطه بخط بين البابين ثم عرف بخط الاقفاليين ثم هو الآن يعرف بخط الضبيين وباب القوس * ومات ابن البناء هذا في العشر الاوسط من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وخمسمائة واتفق لى عند هذا المسجد أمر عجيب وهو أنى مررت من هناك يوما أعوام بضع وثمانين وسبعمائة والقاهرة يومئذ لايمر الانسان بشارعها حتى يلقى عناء من شدة ازدحام الناس لكثرة مرورهم ركبانا ومشاة فعند ما حاذيت أول هذا المسجد اذا برجل يمشي أمامى وهو يقول لرفيقه والله ياأخى ما مررت بهذا المكان قط الا وانقطع نعلى فوالله مافرغ من كلامه حتى وطئ شخص من كثرة الزحام على مؤخر نعله وقد مد رجله ليخطو فانقطع تجاه باب المسجد فكان هذا من عجائب الامور وغرائب الاتفاق

* (مسجد الحلبيين) *

هذا المسجد فيما بين باب الزهومة ودرب شمس الدولة على يسرة من سلك من حمام خشيبة طالبا البندقانيين بني على المكان الذى قتل فيه الخليفة الظافر نصر بن عباس الوزير ودفنه تحت الارض فلما قدم طلائع بن رزيك من الاشمونين الى القاهرة باستدعاء أهل القصر له ليأخذ بثار الخليفة وغلب على الوزارة استخرج الظافر من هذا الموضع ونقله الى

تربة القصر وبني موضعه هذا المسجد وسماه المشهد وعمل له بابين أحدهما هذا الباب الموجود والباب الثانى كان يتوصل منه الى دار المأمون البطائحى التي هي اليوم مدرسة تعرف بالسيوفية وقد سد هذا الباب وما برح هذا المسجد يعرف بالمشهد الى أن انقطع فيه محمد بن أبى الفضل ابن سلطان بن عمار بن تمام أبو عبد الله الحابي الجبرى المعروف بالخطيب وكان صالحاً كثير العبادة زاهدا منقطعا عن الناس ورعا وسمع الحديث وحدث وكان مولده فى شهر رجب سنة أربع وعشرين وستمائة بقلعة جعبر ووفاته بهذا المسجد وقد طالت اقامته فيه يوم الاثنين سادس عشر جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ودفن بمقابر باب النصر رحمه الله وهذا المسجد من أحسن مساجد القاهرة وأبهجها

* (مسجد الكافورى) *

هذا المسجد كان في البستان الكافورى من القاهرة بناه الوزير المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي في سنة ست عشرة وخمسمائة وتولى عمارته وكيله أبو البركات محمد ابن عثمان وكتب اسمه عليه وهو باق الى اليوم بخط الكافوري ويعرف هناك بمسجد الخلفاء وفيه نخل وشجر وهو مرخم برخام حسن

* (مسجد رشيد) *

هذا المسجد خارج باب زويلة بخط تحت الربع على يسرة من سلك من دار التفاح يريد قنطرة الخرق بناه رشيد الدين البهائى

* (المسجد المعروف بزرع النوى) *

هذا المسجد خارج باب زويلة بخط سوق الطيور على يسرة من سلك من رأس المنجبية طالبا جامع قوصون والصلبية وتزعم العامة انه بني على قبر رجل يعرف بزرع النوي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيضاً من افتراء العامة الكذب فان الذين افردوا أسماء الصحابة رضي الله عنهم كالامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري في تاريخه الكبير وابن أبي خيثمة والحافظ أبي عبد الله بن منذر والحافظ ابي نعيم الاصفهاني والحافظ أبي عمر بن عبد البر والفقيه الحافظ أبي محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم لم يذكر أحد منهم صحابياً يعرف بزرع النوى وقد ذكر فى أخبار القرافة من هذا الكتاب من قبر بمصر من الصحابة وذكر في أخبار مدينة فسطاط مصر أيضا من دخل مصر من الصحابة وليس هذا منهم وهذا ان كان هناك قبر فهو لامين الامناء أبي عبد الله الحسين بن طاهر الوزان وكان من أمره أن الخليفة الحاكم بأمر الله أبا على منصور بن العزيز بالله خلع عليه للوساطة بينه وبين الناس والتوقيع عن الحضرة في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعمائة وكان قبل ذلك يتولى بيت المال فاستخدم فيه أخاه أبا الفتح مسعودا وكان قد ظفر بمال يكون عشرات (٣)

وصياغات وأمتعة وطرائف وفرش وغير ذلك في عدة آدر بمصر وجميعه مما خلفه قائد القواد الحسين بن جوهر القائد فباع المتاع واضاف ثمنه الى العين فحصل منه مال كثير وطالع الحاكم بأمر الله به أجمع لورثة قائد القواد ولم يتعرض منه لشيء وكثرت صلات الحاكم وعطاؤه وتوقيعاته فانطلق فى ذلك فاتصل به عن أمين الامناء بعض التوقف فخرجت اليه رقعة بخطه في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وأربعمائة نسختها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله كما هو أهله

اصبحت لا أرجو ولا اتقى * الا الهى وله الفضل
جدى نبى وامامى أبى * ودينى الاخلاص والعدل

ماعندكم ينفد وما عند الله باق المال مال الله عز وجل والخلق عيال الله ونحن أمناؤه في الارض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام * ولم يزل على ذلك الى أن بطل أمره في جمادى الآخرة من سنة خمس وأربعمائة وذلك انه ركب مع الحاكم على عادته فلما حصل بحارة كتامة خارج القاهرة ضرب رقبته هناك ودفن فى هذا الموضع تخمينا واستحضر الحاكم جماعة الكتاب بعد قتله وسأل رؤساء الدواوين عما يتولاه كل واحد منهم وأمرهم بلزوم دواوينهم وتوفرهم على الخدمة وكانت مدة نظر ابن الوزان في الوساطة والتوقيع عن الحضرة وهى رتبة الوزارة سنتين وشهرين وعشرين يوما وكان توقيعه عن الحضرة الامامية الحمد لله وعليه توكلى

* (مسجد الذخيرة) *

هذا المسجد تحت قلعة الجبل بأول الرميلة تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاون التى تلي بابها الكبير الذى سده الملك الظاهر برقوق أنشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة * قال ابن المأمون فى تاريخه وفى هذه السنة يعنى سنة ست عشرة وخمسمائة استخدم ذخيرة الملك جعفر في ولاية القاهرة والحسبة بسجل أنشأه ابن الصيرفى وجرى من عسفه وظلمه ماهو مشهور وبنى المسجد الذى مابين الباب الجديد الى الجبل الذى هو به معروف وسمي مسجد لابالله بحكم انه كان يقبض الناس من الطريق ويسفهم فيحلفونه ويقولون له لابالله فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجرة ولم يعمل فيه منذ أنشأه الا صانع مكره أو فاعل مقيد وكتبت عليه هذه الابيات المشهورة

بني مسجدا لله من غير حله * وكان بحمد الله غير موفق
كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لاتزنى ولا تتصدقى

(٣) (قوله يكون عشرات) هكذا في النسخ وانظر مامعناه ولعل المراد مابين نقود وصياغات الخ كما يؤخذ مما بعد وليحرر اه مصححه

وكان قد أبدع في عذاب الجناة وأهل الفساد وخرج عن حكم الكتاب فابتلى بالامراض الخارجة عن المعتاد ومات بعد ماعجل الله له ماقدمه وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه وذكر عنه في حالتي غسله وحلوله بقبره مايعيذ الله كل مسلم من مثله وقال ابن عبد الظاهر مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل وذكر ماتقدم عن ابن المأمون

* (مسجد رسلان) *

هذا المسجد بحارة اليانسية عرف بالشيخ الصالح رسلان لاقامته به وقد حكيت عنه كرامات ومات به فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة وكان يتقوت من أجرة خياطته للثياب وابنه عبد الرحمن بن محمد بن رسلان أبو القاسم كان فقيها محدثا مقرئا مات في سنة سبع وعشرين وستمائة

* (مسجد ابن الشيخي) *

هذا المسجد بخط الكافورى مما يلي باب القنطرة وجهة الخليج مجاور لدار ابن الشيخي أنشأه المهتار ناصر الدين محمد بن علاء الدين على الشيخي مهتار السلطان بالاصطبلات السلطانية وقرر فيه شيخنا تقى الدين محمد بن حاتم فكان يعمل فيه ميعادا يجتمع الناس فيه لسماع وعظه وكان ابن الشيخي هذا حشما فخورا خيرا يحب أهل العلم والصلاح ويكرمهم ولم نر بعده في رتبته مثله ومات ليلة الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

(مسجد يانس)

هذا المسجد كان تجاه باب سعادة خارج القاهرة * قال ابن المأمون في تاريخه وكان الاجل المأمون يعني الوزير محمد بن فاتك البطائحي قد ضم اليه عدة من مماليك الافضل بن أمير الجيوش من جملتهم يانس وجعله مقدما على صبيان مجلسه وسلم اليه بيت ماله وميزه في رسومه فلما رأى المذكور في ليلة النصف من شهر رجب يعني سنة ست عشرة وخمسمائة ماعمل فى المسجد المستجد قبالة باب الخوخة من الهمة ووفور الصدقات وملازمة الصلوات وماحصل فيه من المثوبات كتب رقعة يسأل فيها أن يفسح له في بناء مسجد بظاهر باب سعادة فلم يجبه المأمون الى ذلك وقال له ما ثم مانع من عمارة المساجد وأرض الله واسعة وانما هذا الساحل فيه معونة للمسلمين وموردة للسقائين وهو مرسى مراكب الغلة والمضرة في مضايقة المسلمين فيه منه ولو لم يكن المسجد المستجد قبالة باب الخوخة محرسا لما استجد حتي انا لم نخرج بساحته الاولى فان أردت أن تبني قبلي مسجد الريفى أو على شاطئ الخليج فالطريق ثم سهلة فقبل الارض وامتثل الامر فلما قبض على المأمون وأمر الخليفة يانس المذكور ولم يزل ينقله الى أن استخدمه فى حجبة بابه سأله في مثل ذلك فلم يجبه الى أن

أخذ الوزارة فبناه في المكان المذكور وكانت مدته يسيرة فتوفى قبل اتمامه واكماله فكمله أولاده بعد وفاته انتهى وقد تقدم خبر وزارة أبي الفتح ناظر الجيوش يانس الارمني هذا عند ذكر الحارة اليانسية من هذا الكتاب

(مسجد باب الخوخة)

هذا المسجد تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبي غالب * قال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة ولما سكن المأمون الاجل دار الذهب وامامها يعني في أيام النيل للنزهة عند سكن الخليفة الآمر بأحكام الله بقصر اللؤلؤة المطل على الخليج رأى قبالة باب الخوخة محرسا فاستدعى وكيله وأمره بأن يزيل المحرس المذكور ويبنى موضعه مسجدا وكان الصناع يعملون فيه ليلا ونهارا حتى انه تفطر بعد ذلك واحتيج الى تجديده

(المسجد المعروف بمعبد موسى)

هذا المسجد بخط الركن المخلق من القاهرة تجاه باب الجامع الاقمر المجاور لحوض السبيل وعلى يمنة من سلك من بين القصرين طالبا رحبة باب العيد أول من اختطه القائد جوهر عند ماوضع القاهرة قال ابن عبد الظاهر ولما بني القائد جوهر القصر دخل فيه دير العظام وهو المكان المعروف الآن بالركن المخلق قبالة حوض الجامع الاقمر وقريب دير العظام والمصريون يقولون بئر العظمة فكره أن يكون في القصر دير فنقل العظام التي كانت به والرمم الى دير بناه في الخندق لانه كان يقال إنها كانت عظام جماعة من الحواريين وبني مكانها مسجدا من داخل السور يعني سور القصر * وقال جامع سيرة الظاهر بيبرس وفي ذى الحجة سنة ستين وستمائة ظهر بالمسجد الذي بالركن المخلق من القاهرة حجر مكتوب عليه هذا معبد موسى بن عمران عليه السلام فجددت عمارته وصار يعرف بمعبد موسى من حينئذ ووقف عليه ربع بجانبه وهو باق الى وقتنا هذا

(مسجد نجم الدين)

هذا المسجد ظاهر باب النصر أنشأه الملك الافضل نجم الدين أبو سعيد أيوب بن شادي يعقوب بن مروان الكردى والد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعل الى جانبه حوض ماء للسبيل ترده الدواب في سنة ست وستين وخمسمائة ونجم الدين هذا قدم هو وأخوه أسد الدين شيركوه من بلاد الاكراد الى بغداد وخدم بها وترقي في الخدم حتى صار دزدارا بقلعة تكريت ومعه أخوه ثم انه انتقل عنها الى خدمة الملك المنصور عماد الدين أتابك زنكي بالموصل فخدمه حتى مات فتعلق بخدمة ابنه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فرقاه وأعطاه بعلبك وحج من دمشق سنة خمس وخمسمائة فلما قدم ابنه صلاح الدين يوسف

ابن أيوب مع عمه أسد الدين شيركوه من عند نور الدين محمود الى القاهرة وصار الى وزارة العاضد بعد موت شيركوه قدم عليه أبوه نجم الدين في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وخمسمائة وخرج العاضد الى لقائه وأنزله بمناظر اللؤلؤة فلما استبد صلاح الدين بسلطنة مصر بعد موت الخليفة العاضد أقطع أباه نجم الدين الاسكندرية والبحيرة الى أن مات بالقاهرة في يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمسمائة وقيل في ثامن عشره من سقطة عن ظهر فرسه خارج باب النصر فحمل الى داره فمات بعد أيام وكان خيرا جوادا متدينا محبا لاهل العلم والخير وما مات حتى رأى من أولاده عدة ملوك وصار يقال له أبو الملوك ومدحه العماد الاصبهاني بعدة قصائد ورثاه الفقيه عمارة بقصيدته التي أولها

هي الصدمة الاولى فمن بان صبره * على هول ملقاه تعاظم أمره

(مسجد صواب)

هذا المسجد خارج القاهرة بخط الصليبة عرف بالطواشي شمس الدين صواب مقدم المماليك السلطانية ومات في ثامن رجب سنة اثنتين وأربعين وستمائة ودفن به وكان خيرا دينا فيه صلاح

(المسجد بجوار المشهد الحسيني)

هذا المسجد انهى في مستهل شهر رجب سنة اثنتين وستين وستمائة للملك الظاهر ركن الدين بيبرس وهو بدار العدل أن مسجدا على باب مشهد السيد الحسين عليه السلام والى جانبه مكان من حقوق القصر بيع وحمل ثمنه للديوان وهو ستة آلاف درهم فسأل السلطان عن صورة المسجد وهذا الموضع وهل كل منهما بمفرده أو عليهما حائط دائر فقيل له ان بينهما زروب قصب فأمر برد المبلغ وابقى الجميع مسجدا وأمر بعمارة ذلك مسجدا لله تعالى

(مسجد الفجل)

هذا المسجد بخط بين القصرين تجاه بيت البيسرى أصله من مساجد الخلفاء الفاطميين أنشأه على ماهو عليه الآن الامير بشتاك لما أخذ قصر أمير سلاح ودار أقطوان الساقي وأحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من عمارة الخلفاء وأدخلها في عمارته التي تعرف اليوم بقصر بشتاك ولم يترك من المساجد والمعابد سوى هذا المسجد فقط ويجلس فيه بعض نواب القضاة المالكية للحكم بين الناس وتسميه العامة مسجد الفجل وتزعم أن النيل الاعظم كان يمر بهذا المكان وأن الفجل كان يغسل بموضع هذا المسجد فعرف بذلك وهذا القول كذب لا أصل له وقد تقدم في هذا الكتاب ما كان عليه موضع القاهرة قبل بنائها وما علمت أن النيل كان يمر هناك ابدا وبلغني انه عرف بمسجد الفجل من أجل أن الذي كان يقوم به كان يعرف بالفجل والله أعلم

* (مسجد تبر) *

هذا المسجد خارج القاهرة مما يلي الخندق عرف قديما بالبئر والجميزة وعرف بمسجد تبر وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ وموضعه خارج القاهرة قريبا من المطرية قال القضاعي مسجد تبر بني على رأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنه انفذه المنصور فسرقه أهل مصر ودفنوه هناك وذلك فى سنة خمس وأربعين ومائة ويعرف بمسجد البئر والجميزة وقال الكندى فى كتاب الامراء ثم قدمت الخطباء الى مصر برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن أبي طالب في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة لينصبوه في المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا أمره * وتبر هذا أحد الامراء الاكابر في ايام الاستاذ كافور الاخشيدي فلما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر ثار تبر الاخشيدي هذا فى جماعة من الكافورية والاخشيدية وحاربه فانهزم بمن معه الى اسفل الارض فبعث جوهر يستعطفه فلم يجب وأقام على الخلاف فسير اليه عسكرا حاربه بناحية صهرجت فانكسر وصار الى مدينة صور التى كانت على الساحل فى البحر فقبض عليه بها وأدخل الى القاهرة على فيل فسجن الى صفر سنة ستين وثلثمائة فاشتدت المطالبة عليه وضرب بالسياط وقبضت أمواله وحبس عدة من أصحابه بالمطبق في القيود الى ربيع الآخر منها فجرح نفسه واقام أياما مريضا ومات فسلخ بعد موته وصلب عند كرسي الجبل * وقال ابن عبد الظاهر انه حشى جلده تبنا وصلب فربما سمت العامة مسجده بذلك لما ذكرناه وقيل ان تبرا هذا خادم الدولة المصرية وقبره بالمسجد المذكور قال مؤلفه هذا وهم وانما هو تبر الاخشيدى

* (مسجد القطبية) *

هذا المسجد كان حيث المدرسة المنصورية بين القصرين والله أعلم

* (ذكر الخوانك) *

الخوانك جمع خانكاه وهى كلمة فارسية معناها بيت وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك والخوانك حدثت في الاسلام فى حدود الاربعمائة من سني الهجرة وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى * قال الاستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى رحمه الله اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم افاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ولما أدرك أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة ثم قيل لمن بعدهم اتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص خواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعي

بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون انفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة قال وهذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفى وللجماعة الصوفية ومن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والا ظهر فيه انه كاللقب فاما قول من قال انه من الصوف وتصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذ لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال انهم ينسبون الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة الى الصفة لاتجيء على نحو الصوفى ومن قال انه من الصفاء فاشتقاق الصوفى من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة وقول من قال انه مشتق من الصف فكأنهم فى الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله تعالى فالمعنى صحيح لكن اللغة لاتقتضى هذه النسبة من الصف ثم ان هذه الطائفة اشهر من أن يحتاج في تعيينهم الى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق والله اعلم * وقال الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردى رحمه الله والصوفي يضع الاشياء في مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه ويستر ماينبغي أن يستر ويظهر ماينبغى أن يظهر ويأتي بالامور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص فقوم من المفتونين لبسوا ألبسة الصوفية لينسبوا اليهم وماهم منهم بشيء بل هم فى غرور وغلط يتسترون بلبسة الصوفية توقيا تارة ودعوة أخرى وينتهجون مناهج أهل الاباحة ويزعمون أن ضمائرهم خلصت الى الله تعالى وأن هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الافهام وهذا هو عين الالحاد والزندقة والابعاد ولله در القائل

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا * فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست انحل هذا الاسم غير فتى * صافي وصوفي حتي سمي الصوفى

قال مؤلفه ذهب والله ماهنالك وصارت الصوفية كما قال الشيخ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى

ماشروط الصوفي في عصرنا اليوم سوى ستة بغير زياده
وهي نيك الملوق والسكر والسطلة والرقص والغنا والقياده
واذا ماهذى وأبدى اتحادا * وحلولا من جهله أو اعاده
وأتى المنكرات عقلا وشرعا * فهو شيخ الشيوخ ذو السجادة

ثم تلاشى الآن حال الصوفية ومشايخها حتي صاروا من سقط المتاع لاينسبون الى علم ولا ديانة والى الله المشتكى * وأول من اتخذ بيتا للعبادة زيد بن صوحان بن صبرة وذلك

انه عمد الى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها وجعل لهم مايقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره فجاء يوما ليزورهم فسأل عنهم فاذا عبد الله بن عامر عامل البصرة لامير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قد دعاهم فأتاه فقال له ياابن عامر ماتريد من هؤلاء القوم قال أريد أن أقربهم فيشفعوا فأشفعهم ويسألوا فأعطيهم ويشيروا على فأقبل منهم فقال لا ولا كرامة فتأتى الى قوم قد انقطعوا الى الله تعالى فتدنسهم بدنياك وتشركهم فى أمرك حتى اذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم فطاحوا لاالى الدنيا ولا الى الآخرة قوموا فارجعوا الى مواضعكم فقاموا فأمسك ابن عامر فما نطق بلفظة ذكره أبو نعيم

(الخانكاه الصالحية دار سعيد السعداء دويرة الصوفية)

هذه الخانكاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة كانت أولا دارا تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الاستاذ قنبر ويقال عنبر وذكر ابن ميسر أن اسمه بيان ولقبه سعيد السعداء أحد الاستاذين المحنكين خدام القصر عتيق الخليفة المستنصر قتل فى سابع شعبان سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورمى برأسه من القصر ثم صلبت جثته بباب زويلة من ناحية الخرق وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة فلما كانت وزارة العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك سكنها وفتح من دار الوزارة اليها سردابا تحت الارض لمر فيه ثم سكنها الوزير شاور بن مجير في أيام وزارته ثم ابنه الكامل فلما استبد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى بملك مصر بعد موت الخليفة العاضد وغير رسوم الدولة الفاطمية ووضع من قصر الخلافة وأسكن فيه أمراء دولته الاكراد عمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم في سنة تسع وستين وخمسمائة وولى عليهم شيخا ووقف عليهم بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج القاهرة وقيسارية الشراب بالقاهرة وناحية دهمرو من البهنساوية وشرط أن من مات من الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطانى ومن أراد منهم السفر يعطي تسفيره ورتب للصوفية فى كل يوم طعاما ولحما وخبزا وبنى لهم حماما بجوارهم فكانت أول خانكاه عملت بديار مصر وعرفت بدويرة الصوفية ونعت شيخها بشيخ الشيوخ واستمر ذلك بعده الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة واتضعت الاحوال وتلاشت الرتب فلقب كل شيخ خانكاه بشيخ الشيوخ وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم وولى مشيختها الاكابر والاعيان كأولاد شيخ الشيوخ بن حمويه مع ما كان لهم من الوزارة والامارة وتدبير الدولة وقيادة الجيوش وتقدمة العساكر ووليها ذو الرياستين الوزير الصاحب قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن

ابن ذى الرياستين الوزير الصاحب قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز وجماعة من الاعيان ونزل بها الاكابر من الصوفية وأخبرني الشيخ أحمد بن علي القصار رحمه الله أنه أدرك الناس في يوم الجمعة يأتون من مصر الى القاهرة ليشاهدوا صوفية خانقاه سعيد السعداء عند مايتوجهون منها الى صلاة الجمعة بالجامع الحاكمي كي تحصل لهم البركة والخير بمشاهدتهم وكان لهم فى يوم الجمعة هيئة فاضلة وذلك انه يخرج شيخ الخانقاه منها وبين يديه خدام الربعة الشريفة قد حملت على رأس أكبرهم والصوفية مشاة بسكون وخفر الى باب الجامع الحاكمي الذي يلى المنبر فيدخلون الى مقصورة كانت هناك على يسرة الداخل من الباب المذكور تعرف بمقصورة البسملة فانه بها الى اليوم بسملة قد كتبت بحروف كبار فيصلى الشيخ تحية المسجد تحت سحابة منصوبة له دائما وتصلى الجماعة ثم يجلسون وتفرق عليهم أجزاء الربعة فيقرؤن القرآن حتى يؤذن المؤذنون فتؤخذ الاجزاء منهم ويشتغلون بالتركع واستماع الخطبة وهم منصتون خاشعون فاذا قضيت الصلاة والدعاء بعدها قام قارئ من قراء الخانقاه ورفع صوته بقراءة ماتيسر من القرآن ودعا للسلطان صلاح الدين ولواقف الجامع ولسائر المسلمين فاذا فرغ قام الشيخ من مصلاه وسار من الجامع الى الخانقاه والصوفية معه كما كان توجههم الى الجامع فيكون هذا من أجمل عوايد القاهرة ومابرح الامر على ذلك الى أن ولى الامير يلبغا السالمى نظر الخانقاه المذكورة في يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة فنزل اليها وأخرج كتاب الوقف وأراد العمل بما فيه من شرط الواقف فقطع من الصوفية المنزلين بها عشرات ممن له منصب ومن هو مشهور بالمال وزاد الفقراء المجردين وهم المقيمون بها في كل يوم رغيفا من الخبز فصار لكل مجرد أربعة أرغفة بعد ما كانت ثلاثة ورتب بالخانقاه وظيفتى ذكر بعد صلاة العشاء الآخرة وبعد صلاة الصبح فكثر النكير على السالمي ممن أخرجهم وزاد الاشلاء فقال بعض أدباء العصر في ذلك

ياأهل خانقة الصلاح أراكم * مابين شاك للزمان وشاتم

يكفيكم ماقد أكلتم باطلا * من وقفها وخرجتم بالسالم

وكان سبب ولاية السالمي نظر الخانقاه المذكورة أن العادة كانت قديما أن الشيخ هو الذى يتحدث في نظرها فلما كانت ايام الظاهر برقوق ولى مشيختها شخص يعرف بالشيخ محمد البلالى قدم من البلاد الشامية وصار للامير سودون الشيخونى نائب السلطنة بديار مصر فيه اعتقاد فلما سعي له فى المشيخة واستقر فيها بتعيينه سأله أن يتحدث في النظر اعانة له فتحدث وكانت عدة الصوفية بها نحو الثلثمائة رجل لكل منهم في اليوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة أرطال خبز وقطعة لحم زنتها ثلث رطل في مرق ويعمل لهم الحلوى في كل شهر ويفرق

فيهم الصابون ويعطى كل منهم في السنة عن ثمن كسوة قدر أربعين درهما فنزل الامير سودون عندهم جماعة كثيرة فعجز ريع الوقف عن القيام لهم بجميع ماذكر فقطعت الحلوى والصابون والكسوة ثم ان ناحية دهمرو شرقت في سنة تسع وتسعين لقصور ماء النيل فوقع العزم على غلق مطبخ الخانقاه وابطال الطعام فلم تحتمل الصوفية ذلك وتكررت شكواهم للملك الظاهر برقوق فولى الامير يلبغا السالمي النظر وأمره أن يعمل بشرط الواقف فلما نزل الى الخانقاه وتحدث فيها اجتمع بشيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني وأوقفه على كتاب الوقف فأفتاه بالعمل بشرط الواقف وهو أن الخانقاه تكون وقفا على الطائفة الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة والقاطنين بالقاهرة ومصر فان لم يوجدوا كانت على الفقراء من الفقهاء الشافعية والمالكية الاشعرية الاعتقاد ثم انه جمع القضاة وشيخ الاسلام وسائر صوفية الخانقاه بها وقرأ عليهم كتاب الوقف وسأل القضاة عن حكم الله فيه فانتدب للكلام رجلان من الصوفية هما زين الدين أبو بكر القمني وشهاب الدين أحمد العبادى الحنفي وارتفعت الاصوات وكثر اللغط فأشار القضاة على السالمي أن يعمل بشرط الواقف وانصرفوا فقطع منهم نحو الستين رجلا منهم المذكوران فامتعض العبادى وغضب من ذلك وشنع بأن السالمي قد كفر وبسط لسانه بالقول فيه وبدت منه سماجات فقبض عليه السالمي وهو ماش بالقاهرة فاجتمع عدة من الاعيان وفرقوا بينهما فبلغ ذلك السلطان فأحضر القضاة والفقهاء وطلب العبادى في يوم الخميس ثامن شهر رجب وادعى عليه السالمي فاقتضى الحال تعزيره فعزر وكشف رأسه وأخرج من القلعة ماشياً بين يدى القضاة ووالى القاهرة الى باب زويلة فسجن بحبس الديلم ثم نقل منه الى حبس الرحبة فلما كان يوم السبت حادى عشره استدعى الى دار قاضي القضاة جمال الدين محمود القيصرى الحنفي وضرب بحضرة الامير علاء الدين على بن الطبلاوى والى القاهرة نحو الاربعين ضربة بالعصا تحت رجليه ثم أعيد الى الحبس وأفرج عنه فى ثامن عشره بشفاعة شيخ الاسلام فيه ولما جدد الامير يلبغا السالمي الجامع الاقمر وعمل له منبرا وأقيمت به الجمعة فى شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانمائة ألزم الشيخ بالخانقاه والصوفية أن يصلوا الجمعة به فصاروا يصلون الجمعة فيه الى أن زالت أيام السالمي فتركوا الاجتماع بالجامع الاقمر ولم يعودوا الى ما كانوا عليه من الاجتماع بالجامع الحاكمي ونسى ذلك ولم يكن بهذه الخانقاه مئذنة والذى بني هذه المئذنة شيخ ولى مشيختها فى سنة بضع وثمانين وسبعمائة يعرف بشهاب الدين أحمد الانصارى وكان الناس يمرون في صحن الخانقاه بنعالهم فجدد شخص من الصوفية بها يعرف بشهاب الدين أحمد العثماني هذا الدرابزين وغرس فيه هذه الاشجار وجعل عليها وقفا لمن يتعاهدها بالخدمة

* (خانقاه ركن الدين بيبرس) *

هذه الخانقاه من جملة دار الوزارة الكبرى التى تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب وهى أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى قبل أن يلي السلطنة وهو أمير فبدأ فى بنائها في سنة ست وسبعمائة وبني بجانبها رباطا كبيرا يتوصل اليه من داخلها وجعل بجانب الخانقاه قبة بها قبره ولهذه القبة شبابيك تشرف على الشارع المسلوك فيه من رحبة باب العيد الى باب النصر من جملتها الشباك الكبير الذى حمله الامير أبو الحارث البساسيرى من بغداد لما غلب الخليفة القائم العباسي وأرسل بعمامته وشباكه الذى كان بدار الخلافة فى بغداد وتجلس الخلفاء فيه وهو هذا الشباك كما ذكر فى أخبار دار الوزارة من هذا الكتاب فلما ورد هذا الشباك من بغداد عمل بدار الوزارة واستمر فيها الى أن عمر الامير بيبرس الخانقاه المذكورة فجعل هذا الشباك بقبة الخانقاه وهو بها الى يومنا هذا وانه لشباك جليل القدر حشم يكاد يتبين عليه أبهة الخلافة ولما شرع في بنائها رفق بالناس ولاطفهم ولم يعسف فيها أحدا في بنائها ولا أكره صانعا ولا غصب من آلاتها شيئا وانما اشترى دار الامير عز الدين الافرم التى كانت بمدينة مصر واشترى دار الوزير هبة الله بن صاعد الفائزى وأخذ ما كان فيهما من الانقاض واشترى أيضاً دار الانماط التى كانت برأس حارة الجودرية من القاهرة ونقضها وما حولها واشترى أملاكا كانت قد بنيت في أرض دار الوزارة من ملاكها بغير اكراه وهدمها فكان قياس أرض الخانقاه والرباط والقبة نحو فدان وثلث وعندما شرع فى بنائها حضر اليه الامير ناصر الدين محمد ابن الامير بكتاش الفخرى أمير سلاح وأراد التقرب لخاطره وعرفه أن بالقصر الذى فيه سكن أبيه مغارة تحت الارض كبيرة يذكر أن فيها ذخيرة من ذخائر الخلفاء الفاطميين وأنهم لما فتحوها لم يجدوا بها سوى رخام كثير فسدوها ولم يتعرضوا لشئ مما فيها فسر بذلك وبعث عدة من الامراء فتحوا المكان فاذا فيه رخام جليل القدر عظيم الهيئة فيه مالا يوجد مثله لعظمه فنقله من المغارة ورخم منه الخانقاه والقبة وداره التى بالقرب من البندقانيين وحارة زويلة وفضل منه شئ كثير عهدى أنه مخزن بالخانقاه وأظنه أنه باق هناك ولما كملت فى سنة تسع وسبعمائة قرر بالخانقاه أربعمائة صوفى وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت وجعل بها مطبخا يفرق على كل منهم في كل يوم اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البر وجعل لهم الحلوى ورتب بالقبة درسا للحديث النبوى له مدرس وعنده عدة من المحدثين ورتب القراء بالشباك الكبير يتناوبون القراءة فيه ليلا ونهارا ووقف عليها عدة ضياع بدمشق وحماه ومنية المخلص بالجيزة من أرض مصر وبالصعيد والوجه البحري والربع والقيسارية بالقاهرة فلما خلع من السلطنة

وقبض عليه الملك الناصر محمد بن قلاون وقتله أمر بغلقها فغلقت وأخذ سائر ما كان موقوفا عليها ومحا اسمه من الطراز الذى بظاهرها فوق الشبابيك وأقامت نحو عشرين سنة معطلة ثم انه أمر بفتحها في أول سنة ست وعشرين وسبعمائة ففتحت وأعاد اليهـا ما كان موقوفا عليها واستمرت الى أن شرقت أراضى مصر لقصور مد النيل أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين في سنة ست وسبعين وسبعمائة فبطل طعامها وتعطل مطبخها واستمر الخبز ومبلغ سبعة دراهم لـكل واحد في الشهر بدل الطعام ثم صار لكل واحد منهم في الشهر عشرة دراهم فلما قصر مد النيل في سنة ست وتسعين وسبعمائة بطل الخبز أيضاً وغلق المخبز من الخانقاه وصار الصوفية يأخذون فى كل شهر مبلغا من الفلوس معاملة القاهرة وهم على ذلك الى اليوم وقد أدركتها ولا يمكن بوابها غير أهلها من العبور اليها والصلاة فيها لما لها فى النفوس من المهابة ويمنع الناس من دخولها حتى الفقهاء والاجناد وكان لا ينزل بها أمردوفيها جماعة من أهل العلم والخير وقد ذهب ماهنالك فنزل بها اليوم عدة من الصغار ومن الاساكفة وغيرهم من العامة الاأن أوقافها عامرة وأرزاقها دارة بحسب نقود مصر ومن حسن بناء هذه الخانقاه أنه لم يحتج فيها الى مرمة منذ بنيت الى وقتنا هذا وهى مبنية بالحجر وكلها عقود محكمة بدل السقوف الخشب وقد سمعت غير واحد يقول انه لم تبن خانقاه أحسن من بنائها * (الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى) * اشتراه الملك المنصور قـلاون صغيرا ورقاه في الخدم السلطانية الى أن جعله أحد الامراء وأقامه جاشنكير وعرف بالشجاعة فلما مات الملك المنصور خدم ابنه الملك الاشرف خليلا الى أن قتله الامير بيدرا بناحيـة تروجة فكان أول من ركب على بيدرا في طلب ثار الملك الاشرف وكان مهابا بين خشداشيته فركبوا معـه وكان من نصرتهم على بيدرا وقتله ماقد ذكر في موضعـه فاشتهر ذكره وصار أستادار السلطان في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون في سلطنته الثانية رفيقا للامير سلار نائب السلطنة وبه قويت الطائفة البرجية من المماليك واشتـد بأسهم وصار الملك الناصر تحت حجر بيبرس وسلار الى أن أنف من ذلك وصار الى الكرك فأقيم بيبرس فى السلطنة يوم السبت ثالث عشرى شوال سـنة ثمان وسبعمائة فاستضعف جانبه وانحط قدره ونقصت مهابته وتغلب عليـه الامراء والمماليك واضطربت أمور المملكة لمكان الامير سلار وكثرة حاشيته وميل القلوب الى الملك الناصر وفي أيامه عمل الجسر من قليوب الى مدينة دمياط وهو مسـيرة يومين طولا فى عرض أربع قصبات من أعلاه وست قصبات من أسفله حتى انه كان يسير عليـه ستة من الفرسان معا بحذاء بعضهم وأبطل سائر الخمارات من السواحل وغيرها من بلاد الشام وسامح بما كان من المقرر عليها للسلطان وعوض الاجناد بدله وكبست أماكن الريب والفواحش بالقاهرة ومصر وأريقت الخمور وضرب أناس كثير فى ذلك بالمقـارع وتتبع

أماكن الفساد وبالغ فى ازالته ولم يراع في ذلك أحدا من الكتاب ولا من الامراء فخف المنكر وخفى الفساد الا أن الله أراد زوال دولته فسولت له نفسه أن بعث الى الملك الناصر بالكرك يطلب منه ماخرج به معه من الخيل والمماليك وحمل الرسول اليه بذلك مشافهة أغلظ عليه فيها فحنق من ذلك وكاتب نواب الشام وأمراء مصر في السر يشكو ماحل به وترفق بهم وتلطف بهم فرقوا له وامتعضوا لما به ونزل الناصر من الكرك وبرز عنها فاضطرب الامر بمصر واختل الحال من بيبرس وأخذ العسكر يسير من مصر الى الناصر شيئاً بعد شئ وسار الناصر من ظاهر الكرك يريد دمشق في غرة شعبان سنة تسع وسبعمائة فعند مانزل الكسوة خرج الامراء وعامة أهل دمشق الى لقائه ومعهم شعار السلطنة ودخلوا به الى المدينة وقد فرحوا به فرحا كثيرا في ثاني عشر شعبان ونزل بالقلعة وكاتب النواب فقدموا عليه وصارت ممالك الشام كلها تحت طاعته يخطب له بها ويجبى اليه مالها ثم خرج من دمشق بالعساكر يريد مصر وأمر بيبرس كل يوم في نقص الى أن كان يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان فترك بيبرس المملكة ونزل من قلعة الجبل ومعه خواصه الى جهة باب القرافة والعامة تصيح عليه وتسبه وترجمه بالحجارة عصبيــة للملك الناصر وحباله حتى سار عن القرافة ودعا الحرس بالقلعة في يوم الاربعاء للملك الناصر فكانت مدة سلطنة بيبرس عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما وقدم الملك الناصر الى قلعة الجبل أول يوم من شوال وجلس على تخت المملكة واستولى على السلطنة مرة ثالثــة ونزل بيبرس بأطفيح ثم سار منها الى اخميم فلما صار بها تفرق عنه من كان معه من الامراء والمماليك فصاروا الى الملك الناصر فتوجه فى نفر يسير على طريق السويس يريد بلاد الشام فقبض عليه شرقى غزة وحمل مقيدا الى الملك الناصر فوصل قلعة الجبل يوم الاربعاء ثالث عشر ذى القعدة وأوقف بين يدى السلطان وقبل الارض فعنفه وعدد عليه ذنوبا ووبخــه ثم أمر به فسجن في موضع الى ليلة الجمعة خامس عشره وفيها لحق بربه تعالى فحمل الى القرافة ودفن فى تربة الفارس اقطاى ثم نقل منها بعد مدة الى تربته بسفح المقطم فقبر بها زمانا طويلا ثم نقل منها ثالث مرة الى خانقاهه ودفن بقبتها وقبره هناك الى يومنا هذا وأدركت بالخانقاه المذكورة شيخا من صوفيتها أخبرنى انه حضر نقله من تربته بالقرافة الى قبة الخانقاه وانه تولى وضعه فى مدفنه بنفسه وكان رحمه الله خيرا عفيفا كثير الحياء وافر الحرمة جليل القدر عظيما فى النفوس مهاب السطوة فى أيام امرته فلما تلقب بالسلطنة ووسم باسم الملك اتضع قدره واستضعف جانبه وطمع فيه وتغلب عليه الامراء والمماليك ولم تنجح مقاصــده ولا سعد في شيء من تدبيره الى أن انقضت أيامه وأناخ به حمامه رحمه الله

(الخانقاه الجمالية)

هذه الخانقاه بالقرب من درب راشد يسلك اليها من رحبة باب العيد بناها الامير الوزير مغلطاى الجمالى في سنة ثمانين وسبعمائة وقد تقدم ذكرها عند ذكر المدارس من هذا الكتاب

(الخانقاه الظاهرية)

هذه الخانقاه بخط بين القصرين فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية أنشأها الملك الظاهر برقوق في سنة ست وثمانين وسبعمائة وقد ذكرت عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب .

(الخانقاه الشرابيشية)

هذه الخانقاه فيما بين الجامع الاقمر وحارة برجوان في آخر المنحر الذى كان للخلفاء وهو يعرف اليوم بدرب الاصفر ويتوصل منها الى الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وبابها الاصلى من زقاق ضيق بوسط سوق حارة برجوان أنشأها الصدر الاجل نور الدين علي ابن محمد بن محاسن الشرابيشى وكان من ذوى الغنى واليسار صاحب ثراء متسع وله عدة أوقاف على جهات البر والقربات ومات في (٣)

(الخانقاه المهمندارية)

هذه الخانقاه خارج باب زويلة فيما بين رأس حارة اليانسية وجامع الماردينى بناها الامير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار ونقيب الجيوش في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد ذكرت فى المدارس من هذا الكتاب

(خانقاه بشتاك)

هذه الخانقاه خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقي تجاه جامع بشتاك أنشأها الامير سيف الدين بشتاك الناصرى وكان فتحها أول يوم من ذى الحجة سنة ست وثلاثين وسبعمائة واستقر في مشيختها شهاب الدين القدسى وتقرر عنده عدة من الصوفية وأجرى لهم الخبز والطعام فى كل يوم فاستمر ذلك مدة ثم بطل وصار يصرف لاربابها عوضاً عن ذلك في كل شهر مبلغ وهى عامرة الى وقتنا هذا وقد نسب اليها جماعة منهم الشيخ الاديب البارع بدر الدين محمد بن ابراهيم المعروف بالبدر البشتكى

(*خانقاه ابن غراب)*

هذه الخانقاه خارج القاهرة على الخليج الكبير من بره الشرقى بجوار جامع بشتاك من غربيه أنشأها القاضى الامير سعد الدين ابراهيم بن عبدالرزاق بن غراب الاسكندرانى ناظر الخاص وناظر الجيوش وأستادار السلطان وكاتب السر وأحد أمراء الالوف الاكابر

أسلم جده غراب وبلشر بالاسكندرية حتى ولى نظر الثغر ونشأ ابنه عبد الرزاق هناك فولى أيضا نظر الاسكندرية وولد له ماجد وابراهيم فلما تحكم الامير جمال الدين محمود بن على في الاموال أيام الملك الظاهر برقوق إختص بابراهيم وحمله الى القاهرة وهو صبي واعتنى به واستكتبه فى خاص أمواله حتى عرفها فتنكر محمود عليه لامر بدا منه فى ماله وهم به فبادر الى الامير علاء الدين على بن الطبلاوى وترامى عليه وهو يومئذ قد نافس محمودا فأوصله بالسلطان وأمكنه من سماع كلامه فملأ أذنه بذكر أموال محمود وغر صدره عليه حتى نكبه واستصفى أمواله كما ذكر فى خبره عند ذكر مدرسة محمود من هذا الكتاب وولى ابن غراب نظر الديوان المفرد في حادي عشر صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وعمره عشرون سنة أو نحوها وهى أول وظيفة وليها فاختص بابن الطبلاوى ولازمه وملأ عينه بكثرة المال فتحدث له في وظيفة نظر الخاص عوضا عن سعد الدين أبي الفرج بن تاج الدين موسى فوليها في تاسع عشر ذى القعدة وغص بمكان ابن الطبلاوى فعمل عليه عند السلطان حتي غيره عليه وولاه أمره فقبض عليه في داره وعلى سائر أسبابه في شعبان في سنة ثمانمائة ثم أضيف اليه نظر الجيوش عوضا عن شرف الدين محمد الدماميني في تاسع ذى القعدة سنة ثمانمائة فعف عن تناول الرسوم وأظهر من الفخر والحشمة والمكارم أمرا كبيرا وقدر الله موت السلطان في شوال سنة احدى وثمانمائة بعدما جعله من جملة أوصيائه فباطن الامير يشبك الخازندار على ازالة الامير الكبير ايتمش القائم بدولة الناصر فرج بن برقوق وعمل لذلك أعمالا حتى كانت الحرب بعد موت السلطان الملك الظاهر ابن الامير ايتمش وبين الامير يشبك في ربيع الاول سنة اثنتين وثمانمائة التي انهزم فيها ايتمش وعدة من الامراء الى الشام وتحكم الامير يشبك فاستدعى عند ذلك ابن غراب أخاه فخر الدين ماجدا من الاسكندرية وهو يلي نظرها الى قلعة الجبل وفوضت اليه وزارة الملك الناصر فرج بن برقوق فقاما بسائر أمور الدولة الى أن ولى الامير يلبغا السالمى الاستادارية فسلك معه عادته من المنافسة وسعي به عند الامير يشبك حتي قبض عليه وتقلد وظيفة الاستادارية عوضا عن السالمى فى رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانمائة مضافا الى نظر الخاص ونظر الجيوش فلم يغيرزى الكتاب وصار له ديوان كدواوين الامراء ودقت الطبول على بابه وخاطبه الناس وكاتبوه بالامير وسار في ذلك سيرة ملوكية من كثرة العطاء وزيادة الاسمطة والاتساع في الامور والازدياد من المماليك والخيول والاستكثار من الخول والحواشي حتي لم يكن أحد يضاهيه في شيء من أحواله الى أن نازع الاميران حكم وسودون طاز مع الامير يشبك فكان هو المتولى كبر تلك الحروب ثم انه خرج من القاهرة مغاضبا لامراء الدولة وصار الى ناحية تروجة يريد جمع العربان ومحاربة الدولة فلم يتم له ذلك وعاد فدخل القاهرة على حين غفلة فنزل عند جمال الدين يوسف

الاستادار فقام باصلاح أمره مع الامراء حتى حصل له الغرض فظهر واستولى على ما كان عليه الى أن تنكر رجال الدولة على الملك الناصر فرج فقام مع الامير يشبك بحرب السلطان الى أن انهزم الامير يشبك بأصحابه الى الشام فخرج معه في سنة تسع وثمانمائة وأمده ومن معه بالاموال العظيمة حتى صاروا عند الامير شيخ نائب الشام واستنفر العساكر لقتال الملك الناصر وحرضهم على المسير الى حربه وخرج من دمشق مع العساكر يريد القاهرة وكان من وقعة السعيدية ما كان على ماهو مذكور في خبر الملك الناصر عند ذكر الخانقاه الناصرية من هذا الكتاب فاختفى الامير يشبك وطائفة من الامراء بالقاهرة ولحق ابن غراب بالامير اينال باى ابن قجماس وهو يومئذ أكبر الامراء الناصرية وملأ عينه بالمال فتوسط له مع الملك الناصر حتى أمنه وأصبح في داره وجميع الناس على بابه ثم تقلد وظيفة نظر الجيوش واختص بالسلطان وما زال به حتى استرضاه على الامير يشبك ومن معه من الامراء وظهروا من الاستتار وصاروا بقلعة الجبل فخلع عليهم السلطان وأمرهم وصاروا الى دورهم فثقل على ابن غراب مكان فتح الدين فتح الله كاتب السر فسعى به حتى قبض عليه وولى مكانه كتابة السر ليتمكن من أغراضه فلما استقر فى كتابة السر أخذ فى نقض دولة الناصر الى أن تم له مراده وصارت الدولة كلها على الناصر فخلا به وخيل له وحسن له الفرار فانقاد له وترامى عليه فأعد له رجلين أحدهما من مماليكه ومعهما فرسان ووقفا بهما وراء القلعة وخرج الناصر وقت القائلة ومعه مملوك من مماليكه يقال له بيغوت وركبا الفرسين وسارا الى ناحية طرا ثم عادا مع قاصدى ابن غراب في مركب من المراكب النيلية ليلا الى دار ابن غراب ونزلا عنده وقد خفي ذلك على جميع أهل الدولة وقام ابن غراب بتولية عبد العزيز بن برقوق وأجلسه على تخت الملك عشاء ولقبه بالملك المنصور ودبر الدولة كما أحب مدة سبعين يوما الى أن أحس من الامراء بتغير فأخرج الناصر ليلا وجمع عليه عدة من الامراء والمماليك وركب معه بلامة الحرب الى القلعة فلم يلبث أصحاب المنصور وانهزموا ودخل الناصر الي القلعة واستولى على المملكة ثانيا فألقى مقاليد الدولة الى ابن غراب وفوض اليه ماوراء سريره ونظمه فى خاصته وجعله من اكابر الامراء وناط به جميع الامور فأصبح مولى نعمة كل من السلطان والامراء يمن عليهم بأنه أبقى لهم مهجهم وأعاد اليهم سائر ما كانوا قد سلبوه من ملكهم وأمدهم بماله وقت حاجتهم وفاقتهم اليه ويفخر ويتكثر بأنه أقام دولة وأزال دولة ثم أزال ما أقام وأقام ما أزال من غير حاجة ولا ضرورة ألجأته الى شيء من ذلك وانه لو شاء أخذ الملك لنفسه وترك كتابة السر لغلامه وأحد كتابه فخر الدين بن المزوق ترفعا عنها واحتقارا بها ولبس هيئة الامراء وهى الكلوتة والقباء وشد السيف في وسطه وتحول من داره التي على بركة الفيل الى دار بعض الامراء بحدرة البقر فغاضبه

القضاة وكان عند الانتهاء الا انحطاط ونزل به مرض الموت فنال فى مرضه من السعادة ما يسمع بمثله لاحد من أبناء جنسه وصار الامير يشبك ومن دونه من الامراء يترددون اليه وأكثرهم اذا دخل عليه وقف قائما على قدميه حتى ينصرف الى أن مات يوم الخميس تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة ولم يبلغ ثلاثين سنة وكانت جنازته أحد الامور العجيبة بمصر لكثرة من شهدها من الامراء والاعيان وسائر أرباب الوظائف بحيث استأجر الناس السقائف والحوانيت لمشاهدتها ونزل السلطان للصلاة عليه وصعد الى القلعة فدفن خارج باب المحروق وكان من أحسن الناس شكلا وأحلاهم منظرا وأكرمهم يدا مع تدين وتعفف عن القاذورات وبسط يد بالصدقات الا انه كان غدارا لايتوانى عن طلب عدوه ولا يرضى من نكبته بدون اتلاف النفس فكم ناطح كبشا وتل عرشا وعالج جبالا شامخة واقتلع دولا من اصولها الراسخة وهو أحد من قام بتخريب اقليم مصر فانه مازال يرفع سعر الذهب حتى بلغ كل دينار الى مائتي درهم وخمسين درهما من الفلوس بعد ما كان بنحو خمسة وعشرين درهما ففسدت بذلك معاملة الاقليم وقلت أمواله وغلت أسعار المبيعات وساءت أحوال الناس الى أن زالت البهجة وانطوى بساط الرفة وكاد الاقليم يدمر كما ذكر ذلك عند ذكر الاسباب التى نشأ عنها خراب مصر من هذا الكتاب عفا الله عنه وسامحه فلقد قام بمواراة آلاف من الناس الذين هلكوا فى زمان المحنة سنة ست وسنة سبع وثمانمائة وتكفينهم فلم ينس الله له ذلك وستره كما ستر المسلمين وما كان ربك نسيا

* (الخانقاه البندقدارية) *

هذه الخانقاه بالقرب من الصليبة كان موضعها يعرف قديما بدويرة مسعود وهى الآن تجاه المدرسة الفارقانية وحمام الفارقانى أنشأها الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى الصالحى النجمى وجعلها مسجدا لله تعالى وخانقاه ورتب فيها صوفية وقراء فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة وفى سنة ثمان وأربعين وستمائة استنابه الملك المعز أيبك فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية مع نواب دار العدل والى أيدكين هذا ينسب الملك الظاهر بيبرس البندقدارى لانه كان أولا مملوكه ثم انتقل منه الى الملك الصالح نجم الدين ايوب فعرف بين المماليك البحرية ببيبرس البندقدارى وعاش ايدكين الى أن صار بيبرس سلطان مصر وولاه نيابة السلطنة بحلب فى سنة تسع وخمسين وستمائة وكان الغلاء بها شديدا فلم تطل أيامه وفارقها بدمشق بعد محاربة سنقر الاشقر والقبض عليه في حادى عشر صفر سنة تسع وخمسين وستمائة فاقام فى النيابة نحو شهر وصرفه الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى فلما خرج السلطان الى الشام في سنة احدى وستين وستمائة وأقام بالطور أعطاه امرة بمصر وطبلخاناه فى ربيع الآخر منها ومات في ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وستمائة ودفن بقبة هذه الخانقاه

* (خانقاه شيخو) *

هذه الخانقاه في خط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخو أنشأها الامير الكبير سيف الدين شيخو العمري في سنة ست وخمسين وسبعمائة كان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون وآخر ماعرف من خبره انه كان مساكن للناس فاشتراها الامير شيخو من أربابها وهدمها في المحرم من هذه السنة فكانت مساحة أرضها زيادة على فدان فاختط فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت يعلوها بيوت لسكنى العامة ورتب بها دروساً عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الاربعة وهم الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ودرسا للحديث النبوي ودرساً لاقراء القرآن بالروايات السبع وجعل لكل درس مدرسا وعنده جماعة من الطلبة وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف وأقام شيخنا أكمل الدين محمد بن محمود في مشيخة الخانقاه ومدرس الحنفية وجعل اليه النظر في أوقاف الخانقاه وقرر فى تدريس الشافعية الشيخ بهاء الدين أحمد بن على السبكى وفى تدريس المالكية الشيخ خليلا وهو متجند الشكل وله اقطاع في الحلقة وفي تدريس الحنابلة قاضى القضاة موفق الدين الحنبلي ورتب لكل من الطلبة في اليوم الطعام واللحم والخبز وفي الشهر الحلوي والزيت والصابون ووقف عليها الاوقاف الجليلة فعظم قدرها واشتهر في الاقطار ذكرها وتخرج بها كثير من أهل العلم وأربت في العمارة على كل وقف بديار مصر الى أن مات الشيخ أكمل الدين في شهر رمضان سنة ست وثمانين وسبعمائة فوليها من بعده جماعة ولما حدثت المحن كان بها مبلغ كبير من المال الذى فاض عن مصروفها فأخذه الملك الناصر فرج وأخذت أحوالها تتناقص حتي صار المعلوم يتأخر صرفه لارباب الوظائف بها عدة أشهر وهي الى اليوم على ذلك

* (الخانقاه الجاولية) *

هذه الخانقاه على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش فيما بين القاهرة ومصر أنشأها الامير علم الدين سنجر الجاولي في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وقد تقدم ذكرها في المدارس

* (خانقاه الجيبغا المظفرى) *

هذه الخانقاه خارج باب النصر فيما بين قبة النصر وتربة عثمان بن جوشن السعودى أنشأها الامير سيف الدين الجيبغا المظفرى وكان بها عدة من الفقراء يقيمون بها ولهم فيها شيخ ويحضرون في كل يوم وظيفة التصوف ولهم الطعام والخبز وكان بجانبها حوض ماء لشرب الدواب وسقاية بها الماء العذب لشرب الناس وكتاب يقرأ فيه أطفال المسلمين الايتام كتاب الله تعالى ويتعلمون الخط ولهم في كل يوم الخبز وغيره وما برحت على ذلك الى أن أخرج الامير برقوق أوقافها فتعطلت وأقام بها جماعة من الناس مدة ثم تلاشى أمرها

وهي الآن باقية من غير أن يكون فيها سكان وقد تعطل حوضها وبطل مكتب السبيل *
(الجيبغا المظفري) الخاصكي تقدم في أيام الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاون تقدما كثيرا بحيث لم يشاركه أحد في رتبته فلما قام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون في السلطنة أقره على رتبته وصار أحد أمراء المشورة الذين يصدر عنهم الامر والنهي فلما اختلف أمراء الدولة أخرج الى دمشق في ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبعمائة وأقام بدمشق الى شعبان وسار الى نيابة طرابلس عوضاً عن الامير بدر الدين مسعود بن الخطيري فلم يزل على نيابتها الى شهر ربيع الاول سنة خمسين وسبعمائة فكتب الى الامير أرغون شاه نائب دمشق يستأذنه في التصيد الى الناعم فاذن له وسار من طرابلس وأقام على بحيرة حمص أياما يتصيد ثم ركب ليلا بمن معه وساق الى خان لاجين ظاهر دمشق فوصله أول النهار وأقام به يومه ثم ركب منه بمن معه ليلا وطرق أرغون شاه وهو بالقصر الابلق وقبض عليه وقيده في ليلة الخميس ثالث عشرى شهر ربيع الاول وأصبح وهو بسوق الخيل فاستدعى الامراء وأخرج لهم كتاب السلطان بامساك أرغون شاه فأذعنوا له واستولى على اموال أرغون شاه فلما كان يوم الجمعة رابع عشريه أصبح أرغون شاه مذبوحا فأشاع الجيبغا أن أرغون شاه ذبح نفسه وفي يوم الثلاثاء انكر الامراء أمره وثاروا لحربه فركب وقاتلهم وانتصر عليهم وقتل جماعة منهم وأخذ الاموال وخرج من دمشق وسار الى طرابلس فأقام بها وورد الخبر من مصر الى دمشق بانكار كل ماوقع والاجتهاد في مسك الجيبغا فخرجت عساكر الشام اليه ففر من طرابلس فأدركه عسكر طرابلس عند بيروت وحاربوه حتى قبضوا عليه وحمل الى عسكر دمشق فقيد وسجن بقلعة دمشق في ليلة السبت سادس عشر ربيع الآخر هو وفخر الدين اياس ثم وسط بمرسوم السلطان تحت قلعة دمشق بحضور عساكر دمشق ووسط معه الامير فخر الدين اياس وعلقا على الخشب في ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمسين وسبعمائة وعمره دون العشرين سنة فما طر شاربه وكأنه البدر حسنا والغصن اعتدالا .

* (خانقاه سرياقوس) *

هذه الخانقاه خارج القاهرة من شماليها على نحو بريد منها بأول تيه بني اسرائيل بسماسم سرياقوس أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وذلك انه لما بنى الميدان والاحواش في بركة الجب كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر بركة الجب اتفق انه ركب على عادته للصيد هناك فأخذه ألم عظيم في جوفه كاد يأتي عليه وهو يتجلد ويكتم مابه حتى عجز فنزل عن الفرس والالم يتزايد به فنذر لله ان عافاه الله ليبنين في هذا الموضع موضعاً يعبد الله تعالى فيه نخف عنه مايجده وركب فقضى نهمته من الصيد وعاد الى قلعة الجبل فلزم

الفراش مدة أيام ثم عوفي فركب بنفسه ومعه عدة من المهندسين واختط على قدر ميل من ناحية سرياقوس هذه الخانقاه وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي وبني بجانبها مسجداً تقام به الجمعة وبني بها حماما ومطبخاً وكان ذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فلما كانت سنة خمس وعشرين وسبعمائة كمل ماأراد من بنائها وخرج اليها بنفسه ومعه الامراء والقضاة ومشايخ الخوانك ومدت هناك أسمطة عظيمة بداخل الخانقاه في يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة وتصدر قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي لاسماع الحديث النبوى وقرأ عليه ابنه عز الدين عبد العزيز عشرين حديثاً تساعيا وسمع السلطان ذلك وكان جمعاً موفوراً وأجاز قاضي القضاة الملك الناصر ومن حضر برواية ذلك وجميع مايجوز له روايته وعند ماانقضى مجلس السماع قرر السلطان فى مشيخة هذه الخانكاه الشيخ مجد الدين موسي بن أحمد بن محمود الاقصراى ولقبه بشيخ الشيوخ فصار يقال له ذلك ولكل من ولى بعده وكان قبل ذلك لايلقب بشيخ الشيوخ الا شيخ خانقاه سعيد السعداء وأحضرت التشاريف السلطانيــة فخلع على قاضي القضاة بدر الدين وعلى ولده عز الدين وعلى قاضي القضاة المالكية وعلى الشيخ مجد الدين أبي حامد موسى بن أحمــد بن محمود الاقصراى شيخ الشيوخ وعلى الشيخ علاء الدين القونوى شيخ خانقاه سعيد السعـداء وعلى الشيخ قوام الدين أبي محمد عبد المجيد بن أسعد بن محمد الشيرازى شيخ الصوفيــة بالجامع الجديد الناصرى خارج مدينة مصر وعلى جماعة كثيرة وخلع على سائر الامراء وأرباب الوظائف وفرق بها ستين ألف درهم فضة وعاد الى قلعة الجبل فرغب الناس فى السكني حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والخانات حتي صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس وتزايد الناس بها حتي أنشئ فيها سوى حمام الخانقاه عدة حمامات وهي الى اليوم بلدة عامرة ولا يؤخذ بها مكس البتة مما يباع من سائر الاصناف احتراما لمكان الخانقاه ويعمل هناك فى يوم الجمعة سوق عظيم ترد الناس اليه من الاماكن البعيدة يباع فيه الخيل والجمال والحمير والبقر والغنم والدجاج والاوز وأصناف الغلات وأنواع الثياب وغير ذلك وكانت معاليم هذه الخانكاه من أسني معلوم بديار مصر يصرف لكل صوفى فى اليوم من لحم الضأن السليخ رطل قد طبخ فى طعم شهي ومن الخبز النقى أربعة أرطــال ويصرف له فى كل شهر مبلغ أربعين درهماً فضة عنها دينارا ان ورطل حلوى ورطلان زيتاً من زيت الزيتون ومثل ذلك من الصابون ويصرف له ثمن كسوة فى كل سنة وتوسعة فى كل شهر رمضان وفى العيدين وفي مواسم رجب وشعبان وعاشوراء وكلما قدمت فاكهة يصرف له مبلغ لشرائها وبالخانقاه خزانة بها السكر والاشربة والادوية وبها الطبائعي والجرائحي والكحال ومصلح الشعر وفي كل رمضان يفرق على الصوفية كيزان لشرب الماء وتبيض لهم قدورهم النحاس ويعطون حتي

الاشنان لغسل الايدي من وضر اللحم يصرف ذلك من الوقف لكل منهم وبالحمام الحلاق لتدليك أبدانهم وحلق رؤسهم فكان المنقطع بها لا يحتاج الى شئ غيرها ويتفرغ للعبادة ثم استجد بعد سنة تسعين وسبعمائة بها حمام أخرى برسم النساء ومابرحت على ماذكرنا الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام وصار يصرف لهم فى ثمنه مبلغ من نقد مصر وهي الآن على ذلك وأدركت من صوفيتها شخصا شيخا يعرف بابى طاهر ينام أربعين يوما بلياليها لا يستيقظ فيها البتة ثم يستيقظ أربعين يوما لا ينام في ليلها ولا نهارها أقام على ذلك عدة أعوام وخبره مشهور عند أهل الخانقاه وأخبرني أنه لم يكن فى النوم الا كغيره من الناس ثم كثر نومه حتى بلغ ماتقدم ذكره ومات بهذه الخانقاه فى نحو سنة ثمانمائة ومما قيل فى الخانقاه وما أنشأه السلطان بها

سر نحو سرياقوس وانزل بفنا * أرجائها ياذا النهى والرشد
تاق محلا للسرور والهنا * فيه مقام للتقى والزهد
نسيمه يقول في مسيره * تنبهي ياعذبات الرند
وروضه الريان من خليجه * يقول دع ذكر أراضي نجد

(خانقاه ارسلان)

هذه الخانقاه فيما بين القاهرة ومصر من جملة أراضى منشأة المهرانى أنشأها الامير بهاء الدين ارسلان الدوادار * (ارسلان) الامير بهاء الدين الدوادار الناصرى كان أولا عند الامير سلار أيام نيابته مصر خصيصا به حظيا عنده فلما قدم الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك بعساكر الشام ونزل بالريدانية ظاهر القاهرة في شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة اطلع ارسلان على أن جماعة قد اتفقوا على أن يهجموا على السلطان ويفتكوا به يوم العيد أول شوال فجاء اليه وعرفه الحال وقال له اخرج الساعة واطلع القلعة واملكها فقام السلطان وفتح باب سر الدهليز وخرج من غير الباب وصعد قلعة الجبل وجلس على سرير الملك فرعى السلطان له هذه المناصحة ولما أخرج الامير عز الدين أيدمر الدوادار من وظيفته رتب أرسلان فى الدوادارية وكان يكتب خطا مليحا ودربه القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر وخرجه وهذبه فصار يكتب بخطه الى كتاب السر عن السلطان في المهمات بعبارة مسددة وافية بالمقصود واستولى على السلطان بحيث لم يكن لغيره فى أيامه ذكر ولم يشتهر فخر الدين وكريم الدين بعظمة الا بعده واجتهدا في ابعاده فما قدرا على ذلك وفي أيام توليته الدوادارية السلطانية أنشأ هذه الخانكاه على شاطئ النيل وكان ينزل في كل ليلة ثلاثاء اليها من القلعة ويبيت بها ويحتفل الناس للحضور اليها ويرسل عن السلطان الى مهنا أمير العرب ونفع الناس نفعا كبيرا وقلدهم مننا جسيمة ومات في ثالث عشرى شهر رمضان سنة

سبع عشرة وسبعمائة فوجد فى تركته ألف ثوب أطلس ونفائس كثيرة وعـدة تواقيع ومناشير معلمة فأنكر السلطان معرفتها ونسب اليـه اختلاسها وأول من ولى مشيختها تقى الدين أبو البقاء محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الشريف الحسينى القنائى الشافعى جد الشيخ عبد الرحيم القنائي الصالح المشهور وأبوه ضياء الدين جعفر كان فقيها شافعيا وكان أبو البقاء هذا عالما عارفازاهدا قليل التكلف متقللا من الدنيا سمع الحديث وأسمعه وولد في سنة خمس وأربعين وستمائة ومات ليلة الاثنين رابع عشر جمادي الاولى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ودفن بالقرافة فتداول مشيختهاالقضاة الاخنائيـة الى أن كانت آخرا بيد شيخنا قاضي القضاة صدر الدين عبد الوهاب بن أحمد الاخنائى فلما مات فى سـنة تسع وثمانين وسبعمائة تلقاها عنه عز الدين بن الصاحب ثم وليها من بعده ابنه شمس الدين محمد بن الصاحب رحمه الله

(خانقاه بكتمر)

هذه الخانقاه بطرف القرافة فى سفح الجبل مما يلي بركة الحبش أنشأها الامير بكتمر الساقى وابتدأ الحضور بها في يوم الثلاثاء ثامن شهر رجب سنة ست وعشرين وسبعمائة وأول من استقر فى مشيختها الشمسى شمس الدين الرومي ورتب له عن معلوم المشيخة فى كل شهر مائة درهم وعن معلوم الامامة مبلغ خمسين درهما ورتب معه عشرين صوفيا لكل منهم في الشهر مبلغ ثلاثين درهما فجاءت من أجل مابني بمصر ورتب بها صوفية وقراء وقرر لهم الطعام والخبز فى كل يوم والدراهم والحلوى والزيت والصابون في كل شهر وبني بجانبها حماما وأنشأ هناك بستانا فعمرت تلك الخطة وصار بها سوق كبير وعدة سكان وتنافس الناس في مشيختها الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز منها وانتقل السكان منها الى القاهرة وغيرها وخربت الحمام والبستان وصار يصرف لارباب وظائفها مبلغ من نقد مصر وأقام فيها رجل يحرسها وتمزق ما كان فيها من الفرش والآلات النحاس والكتب والربعات والقناديل النحاس المكفت والقناديل الزجاج المذهب وغير ذلك من الامتعة والنفائس الملوكية وخرب ما حولها لخلوه من السكان * (بكتمر الساقى) الامير سيف الدين كان أحد مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فلما استقر الملك الناصر محمد بن قلاون في المملكة بعد بيبرس أخذه في جملة من أخذ من مماليك بيبرس ورقاه حتي صار أحد الامراء الاكابر وكتب الى الامير تنكز نائب السلطنة بدمشق بعد أن قبض على الامير سيف الدين طغاى الكبير يقول له هذا بكتمر الساقى يكون لك بدلا من طغاى اكتب اليه بما تريد من حوائجك فعظم بكتمر وعلا محله وطار ذكره وكان السلطان لايفارقه ليلا ولا نهارا الا اذا كان في الدور السلطانية ثم زوجه بجاريته وحظيته فولدت لبكتمر ابنه احمد وصار السلطان لايأكل الا في بيت بكتمر

ممـا تطبخه له أم أحمد في قدر من فضة وينام عندهم ويقوم واعتقد الناس أن أحمد ولد السلطان لـكثرة ما يطيل حمله وتقبيله ولما شاع ذكر بكتمر وتسامع الناس به قدموا اليه غرائب كل شيء وأهدوا اليه كل نفيس وكان السلطان اذا حمل اليه أحد من النواب تقدمة لابد أن يقدم لبكتمر مثلها أو قريبا منها والذى يصل الى السلطان يهب له غالبه فكثرت أمواله وصارت اشارته لاترد وهو عبارة عن الدولة واذا ركب كان بين يديه مائـتـا عصا نقيب وعمر له السلطان القصر على بركة الفيل ولما مات بطريق الحجاز في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة خلف من الاموال والقماش والامتعة والاصناف والزردخاناه مايزيد على العادة والحد ويستحي العاقل من ذكره فأخذ السلطان من خيله أربعين فرساً وقال هـذه لى ما وهبته اياها وبيع الباقي من الخيل على ماأخذه الخاصكية بثمن بخس بمبلغ ألف ألف درهم فضة ومائتى ألف درهم وثمانين ألف درهم فضة خارجا عما في الجشارات وأنعم السلطان بالزردخاناه والسلاحخاناه التي له على الامير قوصون بعد ما أخذ منها سرجا واحدا وسيفا القيمة عن ذلك ستمائة ألف دينار وأخذ له السلطان ثلاثة صناديق جوهراً مثمناً لاتعلم قيمة ذلك وبيع له من الصينى والكتب والختم والربعات ونسخ البخارى والدوايات الفولاذ والمطعمة والبصم بسقط الذهب وغير ذلك ومن الوبر والاطلس وأنواع القماش السكندرى والبغدادي وغير ذلك شيء كثير الى الغاية المفرطة ودام البيع لذلك مدة شهور وامتنع القاضى شرف الدين النشو ناظر الخاص من حضور البيع واستعفى من ذلك فقيل له لاى شيء فعلت ذلك قال ما أقدر أصبر على غبن ذلك لان المائة درهم تباع بدرهم ولما خرج مع السلطان الى الحجاز خرج بتجمل زائد وحشمة عظيمة وهو ساقة الناس كلهم وكان ثقله وجماله نظير ما للسلطان ولكن يزيد عليه بالزركش وآلات الذهب ووجد في خزانته بطريق الحجاز بعد موته خمسمائة تشريف منها ماهو اطلس بطرز زركش ومادون ذلك من خلع أرباب السيوف وأرباب الاقلام ووجد معه قيود وجنازير وتنكر السلطان له في طريق الحجاز واستوحش كل منهما من صاحبه فاتفق أنهم في العود مرض ولده احمد ومرض من بعده فمـات ابنه قبله بثلاثة أيام فحمل في تابوت مغشى بجلد جمل ولما مات بكتمر دفن مع ولده بنخل وحث السلطان فى المسير وكان لاينام في تلك السفرة الا في برج خشب وبكتمر عنده وقوصون على الباب والامراء المشايخ كلهم حول البرج بسيوفهم فلما مات بكتمر ترك السلطان ذلك فعلم الناس أن احترازه كان خوفا من بكتمر ويقال ان السلطان دخل عليه وهو مريض في درب الحجاز فقال له بيني وبينك الله فقال له كل من فعل شيئاً يلتقيه ولما مات صرخت زوجته أم ابنه أحمد وبكت وأعولت الى أن سمعها الناس تتكلم بالقبيح في حق السلطان من جملته أنت تقتل مملوكك أنا ابني ايش كان فقال لها بس تفشرين هاتى مفاتيح صناديقه فأنا أعرف كل شيء

أعطيته من الجواهر فرمت بالمفاتيح اليه فأخذها ولما وصل السلطان الى قلعة الجبل اظهر الحزن والندامة عليه وأعطى أخاه قارى امرة مائة وتقدمة ألف وكان يقول ما فى بجيتنا مثل بكتمر وأمر فحملت جثته وجثة ابنه الى خانقاهه هذه ودفنتا بقبتها وبدت من السلطان امور منكرة بعد موت بكتمر فانه كان يحجر على السلطان ويمنعه من مظالم كثيرة وكان يتلطف بالناس ويقضى حوائجهم ويسوسهم أحسن سياسة ولا يخالفه السلطان فى شئ ومع ذلك فلم يكن له حماية ولا رعاية ولا لغلمانه ذكر ومن المغرب يغلق باب اصطبله وكان مما له على السلطان من المرتب في كل يوم مخفيتان يأخذ عنهما من بيت المال كل يوم سبعمائة درهم عن كل مخفية ثلثمائة وخمسين درهما وكان السلطان اذا أنعم على أحد بشئ أو ولاه وظيفة قال له روح الى الامير بكتمر وبوس يده وكان جيد الطباع حسن الاخلاق لين الجانب سهل الانقياد رحمه الله

* (خانقاه قوصون) *

هذه الخانقاه في شمالى القرافة مما يلي قلعة الجبل تجاه جامع قوصون أنشأها الامير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها في سنة ست وثلاثين وسبعمائة وقرر في مشيختها الشيخ شمس الدين أبا الثناء محمود بن أبى القاسم احمد الاصفهانى ورتب له معلوما سنيا من الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت وسائر مايحتاج اليه حتي جامكية غلام بغلته واستقر ذلك في الوقف من بعده لكل من ولى المشيخة بها وقرر بها جماعة كثيرة من الصوفية ورتب لهم الطعام واللحم والخبز في كل يوم وفى الشهر المعلوم من الدراهم ومن الحلوى والزيت والصابون وما زالت على ذلك الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز منها وصار يصرف لمستحقيها مال من نقد مصر وتلاشى أمرها من بعد ما كانت من اعظم جهات البر وأكثرها نفعاً وخيرا وقد تقدم ذكر قوصون عند ذكر جامعه من هذا الكتاب

* (خانقاه طغاى النجمى) *

هذه الخانقاه بالصحراء خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر أنشأها الامير طغاى تمر النجمي فجاءت من المبانى الجليلة ورتب بها عدة من الصوفية وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى وبنى بجانبها حماما وغرس في قبليها بستانا وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسبيل ترده الدواب ووقف على ذلك عدة أوقاف ثم ان الحمام والحوض تعطلا مدة فلما ماتت أرزباى زوجة القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر في سنة ثمان وثمانمائة دفنها خارج باب النصر وأحب أن يبنى على قبرها ويوقف عليها أوقافا ثم بدا له فنقلها الى هذه الخانقاه ودفنها بالقبة التي فيها وأدار الساقية وملأ الحوض ورتب لقراء هذه الخانقاه معلوما

وعزم على تجديد ماتشعث من بنائها وادارة حمامها ثم بدا له فأنشأ بجانب هذه الخانقاه تربة ونقل زوجته مرة ثالثة اليها وجعل أملاكه وقفا على تربته * (طغاى تمر النجمي) كان دوادار الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاون فلما مات الصالح استقر على حاله فى أيام أخويه الملك الكامل شعبان والملك المظفر حاجي وكان من أحسن الاشكال وأبدع الوجوه تقدم فى الدول وصارت له وجاهة عظيمة وخدمه الناس ولم يزل على حاله الى أن لعب به أغرلوا فيمن لعب وأخرجه الى الشام وألحقه بمن أخذه من غزة وذلك فى أوائل جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وطغاى هذا أول دوادار أخذ امرة مائة وتقدمة ألف وذلك فى أول دولة المظفر حاجي ولما كانت واقعة الامير ملكتمر الحجازى والامير آق سنقر وعدة من الامراء في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة رمى طغاى تمر سيفه وبقى بغير سيف بعض يوم ثم ان المظفر أعطاه سيفه واستمر في الدوادارية نحو شهر وأخرج هو والامير نجم الدين محمود الوزير والامير سيف الدين بيدمر البدرى على الهجن الى الشام فأدركهم الامير سيف الدين منجك وقتلهم في الطريق

(خانقاه أم أنوك)

هذه الخانقاه خارج باب البرقية بالصحراء التي أنشأتها الخاتون طغاى تجاه تربة الامير طاشتمر الساقي فجاءت من أجل المبانى وجعلت بها صوفية وقراءً ووقفت عليها الاوقاف الكثيرة وقررت لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها * (طغاى الخوندة الكبرى) زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وأم ابنه الامير انوك كانت من جملة امائه فأعتقها وتزوجها ويقال انها أخت الامير أقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال رأت من السعادة مالم يره غيرها من نساء الملوك الترك بمصر وتنعمت فى ملاذ ماوصل سواها لمثلها ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها وصارت خونده بعد ابنه تو كاى وأكبر نسائه حتى من ابنة الامير تنكز وحج بها القاضى كريم الدين الكبير واحتفل بأمرها وحمل لها البقول في محاير طين على ظهور الجمال وأخذلها الابقار الحلابة فسارت معها طول الطريق لاجل اللبن الطرى وعمل الجبن وكان يقلي لها الجبن في الغداء والعشاء وناهيك بمن وصل الى مداومة البقل والجبن فى كل يوم وهما أخس مايؤكل فما عساه يكون بعد ذلك وكان القاضى كريم الدين والامير مجلس وعدة من الامراء يترجلون عند النزول ويمشون بين يدى محفتها ويقبلون الارض لها كما يفعلون بالسلطان ثم حج بها الامير بشتاك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان الامير تنكز اذا جهز من دمشق تقدمة الى السلطان لابد أن يكون لخوند طغاى منها جزء وافر فلما مات السلطان الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده الى أن ماتت في شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادما خصيا

وأموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبرابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراأ ووقفت على ذلك وقفاوجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانقاهوهي من اعمر الاماكن الى يومنا هذا

* (خانقاه يونس) *

هـذه الخانقاه من جملة ميدان القبق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر أدركت موضعها وبه عواميد تعرف بعواميـد السباق وهي أول مكان بني هناك * أنشأهـا الامير (يونس النوروزى الدواداار) كان من مماليك الامير سيف الدين جرجي الادريسى أحد الامراء الناصرية وأحد عتقائه فترقي فى الخدممن آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاون الى أن صار من جملة الطائفـة اليلبغاوية فلما قتل الامير يلبغا الخاصكى خدم بعـده الامير استدمر الناصرى الاتابك وصار من جملة دواداريته وما زال ينتقل فى الخدم الى أن قام الامير برقوق بعد قتل الملك الاشرف شعبان فكان ممن أعانه وقاتل معـه فرعى له ذلك ورقاه الى أن جعله أمير مائةمقدم ألف وجعله دواداره لما تساطن فسلك في رياسته طريقة جليلة ولزم حالة جميلة من كثرة الصيام والصلاة وأقامة النـاموس الملوكي وشـدة المهابة والاعراض عن اللعب ومداومة العبوس وطول الجلوس وقوة البطش لسرعة غضبه ومحبة الفقراءوحضور السماع والشغف به واكرامالفقهاء وأهل العلم وأنشأبالقاهرة ربعا وقيسارية بخطالبندقانيين وتربة خارج باب الوزير تحت القلعة وأنشأ بظاهردمشق مدرسة بالشرف الاعلى وأنشأ خانا عظيما خارج مدينة غزة وجعل بجانب هذه الخانقاه مـكتبا يقرأ فيـه أيتام المسلمين كتاب الله تعالى وبني بها صهريجا ينقل اليـه ماء النيل وما زال على وفور حرمته ونفوذ كلمته الىأن خرج الامير يلبغا الناصرى نائب حلب على الملك الظاهر برقوق في سنة احدى وتسعين وسبعمائة وجهز السلطان الامير ايتمش والامير يونس هذا والامير جهاركس الخليلي وعـدة من الامراء والمماليك لقتاله فلقوه بدمشق وقتلوه فهزمهـم وقتل الخليلى وفر ايتمش الى دمشق ونجا يونس بنفسه يريد مصر فأخذه الامير عيفا بن شطى امير الامراء وقتله يوم الثلاثاء ثانى عشرى شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة ولم يعرف لهقبر بعد ماأعد لنفسه عدة مدافن في غير ما مدينة من مصر والشام

* (خانقاه طيبرس) *

هذه الخانقاه من جملة أراضي بستان الخشاب فيما بين القاهرة ومصر على شاطئ النيل أنشأها الامير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش في سـنة سبع وسبعمائة بجوار جامعه المقدم ذكره عند ذكر الجوامع من هـذا الـكتاب وقرر بها عـدة من الصوفية

وجعل لهم شيخاً وأجري لهم المعاليم ولم تزل عامرة الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فابتاع شخص الوكالة والربعين المعروفين بربع بكتمر والحمامين ونقض ذلك فخرب الخط وصار مخوفا فلما كان في سنة أربع عشرة وثمانمائة نقل الحضور من هذه الخانقاه الى المدرسة الطيبرسية بجوار الجامع الازهر وهى الآن بصدد أن تدثر وتمحي آثارها

* (خانقاه أقبغا) *

هذه الخانقاه هى موضع من المدرسة الاقبغاوية بجوار الجامع الازهر افرده الامير اقبغا عبد الواحد وجعل فيه طائفة يحضرون وظيفة التصوف وأقام لهم شيخاً وأفرد لهم وقفاً يختص بهم وهى باقية الى يومنا هذا وله أيضاً خانقاه بالقرافة

* (الخانقاه الخروبية) *

هذه الخانقاه بساحل الجيزة تجاه المقياس كانت منظرة من اعظم الدور وأحسنها أنشأها زكي الدين أبو بكر بن على الخروبي كبير التجار ثم توارثها من بعده أولاد الخروبي التجار بمصر فلم تزل بأيديهم الى أن نزلها السلطان المؤيد شيخ في يوم الاثنين ثاني عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وأقام بها فاقتضي رأيه أن يجعلها خانقاه فاستدعى بابن الخروبى ليشتريها منه فتبرع بما يخصه منها وصار اليه باقيها فتقدم الى الامير سيف الدين أبي بكر بن المسروق الاستادار بعملها خانقاه وسار منها في يوم الاربعاء سادس عشره فأخذ الامير أبو بكر في عملها حتى كملت فى آخر السنة واستقر فى مشيختها شمس الدين محمد بن المحتى الدمشقى الحنبلى وخلع عليه يوم السبت سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ورتب له فى كل يوم عشرة مؤيدية عنها مبلغ سبعين درهماً فلوساً سوى الخبز والسكن وقرر عنده عشرة من الفقراء لكل منهم مع الخبز مؤيدي في كل يوم فجاءت من أحسن شيء

* (ذكر الربط) *

الربط جمع رباط وهو دار يسكنها أهل طريق الله قال ابن سيده الرباط من الخيل الخمس فما فوقها والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطاً وربما سميت الخيل نفسها رباطاً والرباط والرباط المواظبة على الامر قال الفارسى هو ثان من لزوم الثغر ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل وقوله تعالى وصابروا ورابطوا قيل معناه جاهدوا وقيل واظبوا على مواقيت الصلاة وقال أبو حفص السهروردي في كتاب عوارف المعارف وأصل الرباط ما ربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد وروى داود بن صالح قال قال لى أبو سلمة ابن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا

قلت لاقال ياابن أخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو تربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط جهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه واجتماع أهل الربط اذا صح على الوجه الموضوع له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الاوقات وتوقى مايفسد الاعمال ويصحح الاحوال عادت البركة على البلاد والعباد وشرائط سكان الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الاسباب وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضاً بها عن كل عادة والاشتغال بحفظ الاوقات وملازمة الاوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطاً مجاهدا *والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الرباط لهذا المعنى * قال مؤلفه رحمه الله ولاتخاذ الربط والزوايا أصل من السنة وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ لفقراء الصحابة الذين لايأوون الى أهل ولا مال مكاناً من مسجده كانوا يقيمون به عرفوا بأهل الصفة

* (رباط الصاحب) *

هذا الرباط مطل على بركة الحبش أنشأه الصاحب فخر الدين أبو عبدالله محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين أبي الحسن على بن محمد بن سليم بن حنا ووقف عليه أبوه الصاحب بهاء الدين بعد موته عقارا بمدينة مصر وشرط أن يسكنه عشرة من الفقراء المجردين غير المتأهلين وذلك في ذى الحجة سنة ثمان وستين وستمائة وهو باق الى يومنا هذا وليس فيه أحد ويستأدى ريع وقفه من لايقوم بمصالحه

* (رباط الفخرى) *

هذا الرباط خارج باب الفتوح فيما بينه وبين باب النصر بناه الامير عز الدين ايبك الفخرى أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس

* (رباط البغدادية) *

هذا الرباط بداخل الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس حيث كان المنحر الذي ذكر عند ذكر القصر من هذا الكتاب ومن الناس من يقول رواق البغدادية وهذا الرباط بنته الست الجليلة تذكار باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس فى سنة أربع وثمانين وستمائة للشيخة الصالحة زينب ابنة أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية فأنزلتها به ومعها النساء الخيرات وما برح الى وقتنا هذا يعرف سكانه من النساء بالخير وله دائماً شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن وآخر من أدركنا فيه الشيخة الصالحة سيدة نساء زمانها أم زينب

فاطمة بنت عباس البغدادية توفيت في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبعمائة وقد أناقت على الثمانين وكانت فقيهة وافرة العلم زاهدة قانعة باليسير عابدة واعظة حريصة على النفع والتذكير ذات اخلاص وخشية وأمر بالمعروف انتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر وكان لها قبول زائد ووقع في النفوس وصار بعدها كل من قام بمشيخة هذا الرباط من النساء يقال لها البغدادية وأدركنا الشيخة الصالحة البغدادية أقامت با عدة سنين على أحسن طريقة الى أن ماتت يوم السبت لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وسبعمائة وأدركنا هذا الرباط وتودع فيه النساء اللاتي طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى ازواجهن صيانة لهن لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات حتى ان خادمة الفقيرات به كانت لا تمكن أحدا من استعمال ابريق ببزبوز وتؤدب من خرج عن الطريق بما تراه ثم لما فسدت الاحوال من عهد حدوث المحن بعد سنة ست وثمانمائة تلاشت أمور هذا الرباط ومنع مجاوروه من سجن النساء المعتدات به وفيه الى الآن بقايا من خير ويلي النظر عليه قاضي القضاة الحنفي

* (رباط الست كليلة) *

هذا الرباط خارج درب بطوط من جملة حكر سنجر الجيي ملاصق للسور الحجر بخط سوق الغنم وجامع أصلم وقفه الامير علاء الدين البراباه على الست كليلة المدعوة دولاى ابنة عبد الله التتارية زوج الامير سيف الدين البرلى السلاحدار الظاهري وجعله مسجداً ورباطاً ورتب فيه اماما ومؤذناً وذلك في ثالث عشرى شوال سنة أربع وتسعين وستمائة

* (رباط الخازن) *

هذا الرباط بقرب قبة الامام الشافعي رحمة الله عليه من قرافة مصر بناه الامير علم الدين سنجر بن عبد الله الخازن والى القاهرة وفيه دفن وهذا الخازن هو الذى ينسب اليه حكر الخازن خارج القاهرة

* (الرباط المعروف برواق ابن سليمان) *

هذا الرواق بحارة الهلالية خارج باب زويلة عرف بأحمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان ابن ابراهيم بن أبي المعالى بن العباس الرحبي البطائحي الرفاعى شيخ الفقراء الاحمدية الرفاعية بديار مصر كان عبدا صالحاً له قبول عظيم من أمراء الدولة وغيرهم وينتمي اليه كثير من الفقراء الاحمدية وروى الحديث عن سبط السلفي وحدث وكانت وفاته ليلة الاثنين سادس ذى الحجة سنة احدى وتسعين وستمائة بهذا الرواق

* (رباط داود بن ابراهيم) *

هذا الرباط بخط بركة الفيل بني في سنة ثلاث وستين وستمائة

* (رباط ابن أبي المنصور) *

هذا الرباط بقرافة مصر عرف بالشيخ صفي الدين الحسين بن علي بن أبي المنصور الصوفي المالكي كان من بيت وزارة فتجرد وسلك طريق أهل الله على يد الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي بكر الجزار التجيبي المغربي وتزوج ابنته وعرف بالبركة وحكيت عنه كرامات وصنف كتاب الرسالة ذكر فيها عدة من المشايخ وروى الحديث وحدث وشارك في الفقه وغيره وكانت ولادته في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وخمسمائة ووفاته برباطه هذا يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة

(رباط المشتهى)

هذا الرباط بروضة مصر يطل على النيل وكان به الشيخ المسلك (٣) ولله در شيخنا العارف الاديب شهاب الدين أحمد بن أبي العباس الشاطر الدمنهوري حيث يقول

بروضة المقياس صوفيـة * هم منية الخاطر والمشتهي
لهـم على البحر أياد علت * وشيخـم ذاك له المنتهى

وقال الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي

ياليـلة مرت بنـا حلوة * ان رمت تشبيها لهـا عبتها
لايبلغ الواصف في وصفها * حـدا ولا يلقى له منتهى
بت مع المعشوق في روضة * ونلت من خرطومه المشتهى

(رباط الآثار)

هـذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبستـان المعروف بالمعشوق * قال ابن المتوج هذا الرباط عمره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين علي بن حنا بجوار بستان المعشوق ومات رحمه الله قبل تكملته ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق فاذا كملت عمارته يوقف عليه ووصي الفقيه عز الدين بن مسكين فعمر فيه شيئاً يسيراً وأدركه الموت الى رحمة الله تعالى وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين في تكملته فعمر فيه شيئاً جيداً انتهى وانما قيل له رباط الآثار لان فيه قطعة خشب وحديد يقال ان ذلك من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بني ابراهيم أهل ينبع وذكروا أنها لم تزل عندهم موروثة من واحد الى آخر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها الى هذا الرباط وهي به الى اليوم يتبرك الناس بها ويعتقـدون النفع بها وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ممن يتردد اليه أيام كان ماء النيل تحته دائما فلما انحسر الماء من تجاهه وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة قل تردد

الناس اليه وفيه الى اليوم بقية ولما كانت أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون قرر فيه درسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا وعنده عدة من الطلبة ولهم جار في كل شهر من وقف وقفه عليهم وهو باق أيضاً وفي أيام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط وبهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله * (الوزير الصاحب) تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين علي ابن سليم بن حنا ولد في سابع شعبان سنة أربعين وستمائة وسمع من سبط السلفي وحدث وانتهت اليه رياسة عصره وكان صاحب صيانة وسودد ومكارم وشاكلة حسنة وبزة فاخرة الى الغاية وكان يتناهى في المطاعم والملابس والمناكح والمساكن ويجود بالصدقات الكثيرة مع التواضع ومحبة الفقراء وأهل الصلاح والمبالغة في اعتقادهم ونال في الدنيا من العز والجاه مالم يره جده الصاحب الكبير بهاء الدين بحيث انه لما تقلد الوزير الصاحب فخر الدين بن الخليلي الوزارة سار من قلعة الجبل وعليه تشريف الوزارة الى بيت الصاحب تاج الدين وقبل يده وجلس بين يديه ثم انصرف الى داره وما زال على هذا القدر من وفور العز الى أن تقلد الوزارة في يوم الخميس رابع عشرى صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة بعد قتل الوزير الامير سنجر الشجاعي فلم يجب وتوقفت الاحوال في أيامه حتى احتاج الى احضار تقاوى النواحي المرصدة بها للتخضير واستهلكها ثم صرف في يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الاولى سنة أربع وتسعين وستمائة بفخر الدين عثمان بن الخليلي وأعيد الى الوزارة مرة ثانية فلم ينجح وعزل وسلم مرة للشجاعي فجرده من ثيابه وضربه شيبا واحدا بالمقارع فوق قميصه ثم أفرج عنه على مال ومات في رابع جمادي الآخرة سنة سبع وسبعمائة ودفن في تربتهم بالقرافة وكان له شعر جيد ولله در شيخنا الاديب جلال الدين محمد بن خطيب داريا الدمشقي البيساني حيث يقول في الآثار

ياعين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

وقد سبقه لذلك الصلاح خليل بن ايبك الصفدي فقال

أكرم بآثار النبي محمد * من زاره استوفى السرور مزاره
ياعين دونك فانظرى وتمتعى * ان لم تريه فهذه آثاره

واقتدى بهما في ذلك أبو الحزم المدني فقال

ياعين كم ذا تسفحين مدامعا * شوقا لقرب المصطفى ودياره
ان كان صرف الدهر عاقك عنهما * فتمتعى ياعين في آثاره

(رباط الافرم)

هذا الرباط بسفح الجرف الذى عليه الرصد وهو يشرف على بركة الحبش وكان من أحسن منتزهات أهـل مصر أنشأه الامير عز الدين ايبك الإفرم أمير خازندار الصالحى النجمي ورتب فيه صوفية وشيخا واماما وجعل فيه منبرا يخطب عليه للجمعـة والعيدين وقرر لهم معاليم من أوقاف أرصدها لهم وذلك في سنة ثلاث وستين وستمائة وهو باق الا انه لم يبق به ساكن لخراب ماحوله وله الى اليوم متحصل من وقفه والافرم هـذا هو الذى ينسب اليه جسر الافرم خارج مصر وقد ذكر عند ذكر الجسور من هذا الكتاب

(الرباط العلائى)

هذا الرباط خارج مصر بخط بين الزقاقين شرقي الخليج الكبير يعرف اليوم بخانقاه المواصلة وهو آيل الى الدثور لخراب ماحوله أنشأه الملك علاء الدين أبو الحسن علي ابن الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة ابن الملك الرحيم بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل بجوار داره وحمامه وطاحونه وجعل له فيـه مدفنا ووقف عليـه بستان الجرف وبستانا بناحية شبرا وعدة حصص من قرى فلسطين والساحل وأحكارا ودورا بجانب الرباط ومات يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ومولده يوم الجمعـة ثامن عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة بجزيرة ابن عمر وكان من الحلقة وسمع الحديث من النجيب الحرانى وابن عرنين وابن علاف ودفن فيه وبه الى الآن بقية ويحضره الفقهاء يوما فى الاسبوع وهم عشرة شيخهم منهم ومنهم قارئ ميعـاد وقراء وكان أولا معمورا بسكني أهله دائما فيه وفي هذا الوقت لايمكن سكناه لكثرة الخوف من السراق

﴿ ذكر الزوايا ﴾

(زاوية الدمياطي)

هذه الزاوية فيما بين خط السبع سقايات وقنطرة السد خارج مصر الى جانب حوض السبيل المعد لشرب الدواب أنشأها الامير عز الدين أيبك الدمياطي الصالحي النجمى أحد الامراء المقدمين الاكابر فى أيام الملك الظاهر بيبرس وبها دفن لما مات بالقاهرة ليلة الاربعاء تاسع شعبان سنة ست وتسعين وستمائة والى الآن يعرف الحوض المجاور لها بحوض الدمياطى

(زاوية الشيخ خضر)

هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل تشرف على الخليج الكبير عرفت بالشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العدوى شيخ السلطان الملك الظاهر بيبرس كان أولا قد انقطع بجبل المزة خارج دمشق فعرفه الامير سيف الدين قشتمر العجمى وتردد اليه فقال له لابد أن يتسلطن الامير بيبرس البندقدارى فأخبر بيبرس بذلك

فلما صارت المملكة اليه بعد قتل الملك المظفر قطز اشتمل على اعتقاده وقربه وبنى له زاوية بجبل المزة وزاوية بظاهر بعلبك وزاوية بحماه وزاوية بحمص وهذه الزاوية خارج القاهرة ووقف عليها أحكارا تغل في السنة نحو الثلاثين ألف درهم وأنزله بها وصار ينزل اليه في الاسبوع مرة أو مرتين ويطالعه على غوامض أسراره ويستشيره فى أموره ولا يخرج عما يشير به ويأخذه معه في أسفاره وأطلق يده وصرفه في مملكته فهدم كنيسة اليهود بدمشق وهدم كنيسة للنصارى بالقدس كانت تعرف بالمصلبة وعملها زاوية وقتل قسيسها بيده وهدم كنيسة للروم بالاسكندرية كانت من كراسى النصارى ويزعمون أن بها رأس يحيى بن زكريا وعملها مسجدا سماه الخضر فاتقى جانبه الخاص والعام حتى الامير بدر الدين بيلبك الخازندار نائب السلطنة والصاحب بهاء الدين على بن حنا وملوك الاطراف وكان يكتب الى صاحب حماه وجميع الامراء اذا طلب حاجة مامثاله الشيخ خضر نياك الحمارة وكان ربع القامة كث اللحية يتعمم عسراوى وفي لسانه عجمة مع سعة صدر وكرم شمائل وكثرة عطاء من تفرقة الذهب والفضة وعمل الاسمطة الفاخرة وكانت أحواله عجيبة لاتكيف وأقوال الناس فيه مختلفة منهم من يثبت صلاحه ويعتقده ومنهم من يرميه بالعظائم وكان يخبر السلطان بأمور تقع • منها أنه لما حاصر أرسوف وهى أول فتوحاته قال له متى نأخذ هذه المدينة فعين له يوما يأخذها فيه فأخذها في ذلك اليوم بعينه واتفق له مثل ذلك في فتح قيسارية فلذلك كثر اعتقاده فيه وما أحسن قول الشريف محمد بن رضوان الناسخ في ملازمة السلطان له فى أسفاره

ما الظاهر السلطان الامالك الـــدنيا بذاك لنا الملاحم تخبر
ولنا دليل واضح كالشمس فى * وسط السماء لكل عين تنظر
لما رأينا الخضر يقدم جيشه * أبدا علمنا انه الاسكندر

وما برح على رتبته الى ثامن عشر شوال سنة احدي وسبعين وستمائة فقبض عليه واعتقل بقلعة الجبل ومنع الناس من الاجتماع به ويقال ان ذلك بسبب أن السلطان كان أعطاه تحفاً قدمت من اليمن منها كرّ يمني مليح الى الغاية فأعطاه خضر لبعض المردان فبلغ ذلك الامير بدر الدين الخازندار النائب وكان قد ثقل عليه بكثرة تسلطه حتى لقد قال له مرة بحضرة السلطان كأنك تشفق على السلطان وعلى اولاده مثل مافعل قطز بأولاد المعز فأسرهــا في نفسه وبلغ خبر الكرّ اليمني الى السلطان فاستدعاه وحضر جماعة حاققوه على امور كثيرة منكرة كاللواط والزنا ونحوه فاعتقله ورتب له مايكفيه من مأكول وفاكهة وحلوى ولما سافر السلطان الى بلاد الروم قال خضر لبعض اصحابه ان السلطان يظهر على الروم ويرجع الى دمشق فيموت بها بعد أن أموت أنا بعشرين يوما فكان كذلك ومات خضر في محبسه

بقلعة الجبل في سادس المحرم أو سابعه من سنة ست وسبعين وستمائة وقد أناف على الخمسين فسلم الى أهله وحملوه الى زاويته هذه ودفنوه فيها وكان السلطان قد كتب بالافراج عنه فقدم البريد بعد موته ومات السلطان بدمشق فى سابع عشرى المحرم المذكور بعد خضر بعشرين يوما وهذه الزاوية باقية الى اليوم

* (زاوية ابن منظور) *

هذه الزاوية خارج القاهرة بخط الدكة بجوار المقس عرفت بالشيخ جمال الدين محمد ابن أحمد بن منظور بن يس بن خليفة بن عبد الرحمن أبو عبد الله الكتانى العسقلانى الشافعي الصوفي الامام الزاهد كانت له معارف وأتباع ومريدون ومعرفة بالحديث حدث عن أبي الفتوح الجلالى وروى عنه الدمياطى والدواداري وعدة من الناس ونظر فى الفقه واشتهر بالفضيلة وكانت له ثروة وصدقات ومولده فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين وخمسمائة ووفاته بزاويته فى ليلة الثانى والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ست وتسعين وستمائة وكانت هذه الزاوية أولا تعرف بزاوية شمس الدين بن كرا البغدادى

* (زاوية الظاهرى) *

هذه الزاوية خارج باب البحر ظاهر القاهرة عند حمام طرغاى على الخليج الناصرى كانت أولا تشرف طاقاتها على بحر النيل الاعظم فلما انحسر الماء عن ساحل المقس وحفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى صارت تشرف على الخليج المذكور من بره الشرقي واتصلت المناظر هناك الى أن كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة فخربت حمام طرغاى وبيعت أنقاضها وأنقاض كثير مما كان هناك من المناظر وأنشئ هناك بستان عرف أولا بعبد الرحمن صيرفي الامير جمال الدين الاستادار لانه أولا انشأه ثم انتقل عنه * والظاهرى هذا هو أحمد بن محمد بن عبد الله أبو العباس جمال الدين الظاهرى كان أبو محمد ابن عبد الله عتيق الملك الظاهر شهاب الدين غازى وبرع حتى صار اماما حافظاً وتوفي ليلة الثلاثاء لاربع بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين وستمائة بالقاهرة ودفن بتربته خارج باب النصر * وابنه عثمان بن أحمد بن محمد بن عبد الله فخر الدين بن جمال الدين الظاهرى الحلبي الامام العلامة المحدث الصالح ولد في سنة سبعين وستمائة وأسمعه أبوه بديار مصر والشام وكان مكثراً ومات بزاويته هذه فى سنة ثلاثين وسبعمائة

* (زاوية الجميزة) *

هذه الزاوية موضعها من جملة أراضى الزهرى وهى الآن خارج باب زويلة بالقرب من معدية فريج أنشأها الامير سيف الدين جيرك السلاحدار المنصوري أحد أمراء الملك المنصور قلاون في سنة اثنتين وثمانين وستمائة وجعل فيها عدة من الفقراء الصوفية

* (زاوية الحلاوى) *

هـذه الزاوية بخط الابارين من القاهرة بالقرب من الجامع الازهر أنشأها الشيخ مبارك الهندى السعودى الحلاوى أحد الفقراء من أصحاب الشيخ أبى السعود بن أبى العشائر البارينى الواسطى في سنة ثمان وثمانين وستمائة وأقام بها الى أن مات ودفن فيها فقام من بعده ابنه الشيخ عمر بن علي بن مبارك وكانت له سماعات ومرويات ثم قام من بعده ابنه شيخنا جمال الدين عبد الله ابن الشيخ عمر بن علي ابن الشيخ مبارك الهندى وحدث فسمعنا عليه بها الى أن مات فى صفر سنة ثمان وثمانمائة وبها الآن ولده وهي من الزوايا المشهورة بالقاهرة

* (زاوية نصر) *

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة أنشأها الشيخ نصر بن سليمان أبو الفتح المنبجي الناسك القدوة وحدث بها عن ابراهيم بن خليل وغيره وكان فقيها معتزلا عن الناس متخلياً للعبادة يتردد اليه أكابر الناس وأعيان الدولة وكان للامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فيه اعتقاد كبير فلما ولى سلطنة مصر أجل قدره وأكرم محله فهرع الناس اليه وتوسلوا به في حوائجهم وكان يتغالى في محبة العارف محيي الدين محمد بن عربي الصوفي ولذلك كانت بينه وبين شيخ الاسلام احمد بن تيمية مناكرة كبيرة ومات رحمه الله عن بضع وثمانين سنة في ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة ودفن بها

* زاوية الخدام) *

هذه الزاوية خارج باب النصر فيما بين شقة باب الفتوح من الحسينية وبين شقة الحسينية خارج باب النصر أنشأها الطواشي بلال الفراجي وجعلها وقفاً على الخدام الحبش الاجناد في سنة سبع وأربعين وستمائة

* (زاوية تقى الدين) *

هذه الزاوية تحت قلعة الجبل أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون بعد سنة عشرين وسبعمائة لسكنى الشيخ تقى الدين رجب بن أشيرك العجمى وكان وجيهاً محترما عند أمراء الدولة ولم يزل بها الى أن مات يوم السبت ثامن شهر رجب سنة أربع عشرة وسبعمائة ومازالت منزلا لفقراء العجم الى وقتنا هذا

* (زاوية الشريف مهدي) *

هذه الزاوية بجوار زاوية الشيخ تقى الدين المذكور بناها الامير صرغتمش في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

* (زاوية الطراطرية) *

هذه الزاوية بالقرب من موردة البلاط بناها الملك الناصر محمد بن قلاون بوساطة القاضي

شرف الدين النشو ناظر الخاص برسم الشيخين الاخوين محمد واحمد المعروفين بالطراطرية في سنة أربعين وسبعمائة وكانا من أهل الخير والصلاح ونزلا أولا في مقصورة بالجامع الازهر فعرفت بهما ثم عرفت بعدها بمقصورة الحسام الصفدي والد الامير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام وهذه المقصورة بآخر الرواق الاول مما يلي الركن الغربي ولم تزل هذه الزاوية عامرة الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة وخرب خط زريبة قوصون ومافي قبليه الى منشأة المهراني وما في بحريه الى قرب بولاق

(زاوية القلندرية)

القلندرية طائفة تنتمي الى الصوفية وتارة تسمى أنفسها ملامتية وحقيقة القلندرية أنهم قوم طرحوا التقيد بآداب المجالسات والمخاطبات وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة الا الفرائض ولم يبالوا بتناول شئ من اللذات المباحة واقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق العزيمة والتزموا أن لايدخروا شيئاً وتركوا الجمع والاستكثار من الدنيا ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا وزعموا أنهم قد قنعوا بطيب قلوبهم مع الله تعالى واقتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع الى طلب مزيد سوى ماهم عليه من طيب القلوب * والفرق بين الملامتي والقلندري أن الملامتي يعمل في كتم العبادات والقلندري يعمل في تخريب العادات والملامتي يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه الا أنه يخفي أحواله وأعماله ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه تسترا للحال حتى لايفطن له وهو مع ذلك متطلع الى المزيد من العبادات والقلندري لايتقيد بهيئة ولا يبالي بما يعرف من حاله ومالا يعرف ولا ينعطف الا على طيب القلوب وهو رأس ماله

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة من الجهة التي فيها الترب والمقابر التي تلي المساكن أنشأها الشيخ حسن الجوالقي القلندري أحد فقراء العجم القلندرية على رأي الجوالقة ولما قدم الى ديار مصر تقدم عند أمراء الدولة التركية وأقبلوا عليه واعتقدوه فأثرى ثراء زائدا في سلطنة الملك العادل كتبغا وسافر معه من مصر الى الشام فاتفق أن السلطان اصطاد غزالا ودفعه اليه ليحمله الى صاحب حماه فلما أحضره اليه ألبسه تشريفا من حرير طرز وخش وكلوتة زركش فقدم بذلك على السلطان فأخذ الامراء في مداعبته وقالوا له على سبيل الانكار كيف تلبس الحرير والذهب وهما حرام على الرجال فأين التزهد وسلوك طريق الفقراء ونحو ذلك فعند ماحضر صاحب حماه الى مجلس السلطان على العادة قال له ياخوند ايش عملت معي الامراء أنكروا علي والفقراء تطالبني فأنعم عليه بألف دينار لجمع الفقراء والناس وعمل وقتا عظيما بزاوية الشيخ علي الحريري خارج دمشق وكان سمح النفس جميل العشرة لطيف الروح يحلق لحيته ولا يعتم ثم انه ترك الحلق وصارت له لحية

وتعمم عمامة صوفية وكانت له عصبة وفيه مروءة وعصبيــة ومات بدمشق فى ســنة أثنين
وعشرين وسبعمائة وما زالت هذه الزاوية منزلا لطائفة القلندرية ولهم بها شيخ وفيها منهم
عدد موفور وفى شهر ذى القعدة سنة احدى وستين وسبعمائة حضر السلطان الملك الناصر
حسن بن محمد بن قلاون بخانقاه أبيه الملك الناصر في ناحية سرياقوس خارج القاهرة ومد
له شيخ الشيوخ سماطا كان من جملة من وقف عليه بين يدى السلطان الشريف على شيخ
زاوية القلندرية هذه فاستدعاه السلطان وأنكر عليه حلق لحيته واستتابه وكتب له توقيعا
سلطانيا منع فيه هذه الطائفة من تحليق لحاهم وأن من تظاهر بهذه البدعة قوبل على فعله
المحرم وأن يكون شيخا على طائفتــه كما كان مادام وداموا متمسكين بالسنة النبوية وهــذه
البدعة لها منذ ظهرت مايزيد على أربعمائة سنة وأول ماظهرت بدمشق في سنة بضع عشرة
وستمائة وكتب الى بلاد الشام بالزام القلندرية بترك زى الاعاجم والمجوس ولا يمكن أحد
من الدخول الى بلاد الشام حتي يترك هذا الزى المبتــدع واللباس المستبشع ومن لايلتزم
بذلك يعزر شرعا ويقلع من قراره فلما فنودى بذلك في دمشق وأرجائها يوم الاربعــاء
سادس عشر ذى الحجة

(قبة النصر)

هذه القبة زاوية يسكنها فقراء العجم وهى خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الاحمر
بآخر ميدان القبق من بحريه جددها الملك الناصر محمد بن قلاون على يد الامير جمال الدين
أقوش نائب الكرك

(زاوية الركراكى)

هذه الزاوية خارج القاهرة فى أرض المقس عرفت بالشيخ المعتقد أبي عبد الله محمد
الركراكى المغربى المالكى لاقامته بها وكان فقيها مالكيا متصديا لاشغال المغاربة يتبرك الناس
به الى أن مات بها يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الاولى سنة أربع وتسعين وسبعمائة ودفن
بها * والركراكى نسبة الى ركراكة بلدة بالمغرب هى احــد مراسى سواحــل المغرب بقرب
البحر المحيط تنزل فيــه السفن فلا تخرج الا بالرياح العاصفة في زمن الشتاء عند تكدر الهواء

(زاوية ابراهيم الصائغ)

هذه الزاوية بوسط الجسر الاعظم تطل على بركة الفيل عمرها الامــير سيف الدين
طغاى بعد سنة عشرين وسبعمائة وأنزل فيها فقيرا عجميا من فقراء الشيخ تقي الدين رجب
يعرف بالشيخ عز الدين العجمي وكان يعرف صناعة الموسيقى وله نغمة لذيذة وصوت مطرب
وغناء جيد فأقام بها الى أن مات في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فغلب عليها الشيخ ابراهيم
الصائغ الى أن مات يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وسبعمائة فعرفت به

(زاوية الجبرى)

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة تنسب الى الشيخ برهان الدين ابراهيم ابن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبرى المعتقد الواعظ كان يجلس للوعظ فتجتمع اليه الناس ويذكرهم ويروى الحديث ويشارك فى علم الطب وغيره من العلوم وله شعر حسن وروى عن السخاوى وحدث عن البزراكى وكان له أصحاب يبالغون في اعتقاده ويغلون فى أمره وكان لايراه أحد الا أعظم قدره وأجله وأثني عليه وحفظت عنه كلمات طعن عليه بسببها وعمر حتى جاوز الثمانين سنة فلما مرض أمر أن يخرج به الى مكان قبره فلما وقف عليه قال قبير وحال دبيرومات بعد ذلك بيوم في يوم السبت رابع عشري المحرم سنة سبع وثمانين وستمائة والجعابرة عدة منهم

(زاوية أبى السعود)

هذه الزاوية خارج باب القنطرة من القاهرة على حافة الخليج عرفت بالشيخ المبارك أيوب السعودى كان يذكر أنه رأي الشيخ أبا السعود بن أبي العشائر وسلك على يديه وانقطع بهذه الزاوية وتبرك الناس به واعتقدوا اجابة دعائه وعمر وصار يحمل لعجزه عن الحركة حتي مات عن مائة سنة أول صفر سنة أربع وعشرين وسبعمائة

(زاوية الحمصى)

هذه الزاوية خارج القاهرة بخط حكر خزائن السلاح والاوسية على شاطئ خليج الذكر من أرض المقس بجوار الدكة أنشأها الامير ناصر الدين محمد ويدعي طيقوش ابن الامير فخر الدين الطنبغا الحمصى أحد الامراء فى الايام الناصرية كان أبوه من أمراء الظاهر بيبرس ورتب بهذه الزاوية عشرة من الفقراء شيخهم منهم ووقف عليها عدة أماكن في جوارها وحصة من قرية بورين من قري ساحل الشام وغير ذلك فى سنة تسع وسبعمائة فلما خرب ماحولها وارتدم خليج الذكر تعطلت وهى الآن قد عزم مستحقو ريعها على هدمها لكثرة ما أحاط بها من الخراب من سائر جهاتها وصار السلوك اليها مخوفا بعد ما كانت تلك الخطة في غاية العمارة وفى جمادى سنة عشرين وسبعمائة هدمت

(زاوية المغربل)

هذه الزاوية خارج القاهرة بدرب الزراق من الحكر عرفت بالشيخ المعتقد على المغربل ومات في يوم الجمعة خامس جمادى الاولى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ولما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة خربت الحكورة وهدم درب الزراق وغيره

(زاوية القصرى)

هذه الزاوية بخط المقس خارج القاهرة عرفت بالشيخ أبي عبدالله محمد بن موسى عبد

الله بن حسن القصرى الرجل الصالح الفقيه المالكي المغربى قدم من قصر كتامة بالمغرب الى القاهرة وانقطع بهذه الزاوية على طريقة جميلة من العبادة وطلب العلم الى أن مات بها فى التاسع من شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين وستمائة

* (زواية الجاكي) *

هذه الزاوية فى سويقة الريش من الحكورة خارج القاهرة بجانب الخليج الغربي عرفت بالشيخ المعتقد حسين بن ابراهيم بن على الجاكى ومات بها في يوم الخميس العشرين من شوال سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن خارج باب النصر وكانت جنازته عظيمة جدا وأقام الناس يتبركون بزيارة قبره الى أن كانت سنة سبع عشرة وثمانمائة فأقبل الناس الى زيارة قبره وكان لهم هناك مجتمع عظيم في كل يوم ويحملون النذور الى قبره ويزعمون أن الدعاء عنده لايرد فتنة أضل الشيطان بها كثيرا من الناس وهم على ذلك الى يومنا هذا

* (زاوية الابناسي) *

هذه الزاوية بخط المقس عرفت بالشيخ الفقيه برهان الدين ابراهيم بن حسين بن موسى بن أيوب الابناسي الشافعى قدم من الريف وبرع في الفقه واشتهر بسلامة الباطن وعرف بالخير والصلاح وكتب على الفتوى ودرس بالجامع الازهر وغيره وتصدى لاشغال الطلبة عدة سنين وولى مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء وطلبه الامير سيف الدين برقوق وهو يومئذ أتابك العساكر حتى يقلده قضاء القضاة بديار مصر فغيب فرارا من ذلك وتنزها عنه الى أن ولى غيره وكانت ولادته قبيل سنة خمس وعشرين وسبعمائة ووفاته بمنزلة المويلح من طريق الحجاز بعد عوده من الحج فى ثامن المحرم سنة اثنتين وثمانمائة ودفن بعيون القصب

* (زاوية اليونسية) *

هذه الزواية خارج القاهرة بالقرب من باب اللوق تنزلها الطائفة اليونسية واحدهم يونسى بضم الياء المعجمة باثنتين من تحتها وبعد الياء واو ثم نون بعدها سين مهملة في آخرها ياء آخر الحروف نسبة الى يونس ويونس المنسوب اليه الطائفة اليونسية غير واحد فمنهم يونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين وهو الذى يزعم أن معبوده على عرشه تحمله ملائكته وان كان هو أقوى منها كالكركي تحمله رجلاه وهو أقوى منهما وقد كفر من زعم ذلك فان الله تعالى هو الذى يحمل العرش وحملته وهذه الطائفة اليونسية من غلاة الشيعة واليونسية أيضاً فرقة من المرجئة ينتمون الى يونس السموى وكان يزعم أن الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة له فمن اجتمعت فيه هذه الخلال فهو مؤمن وزعم ان ابليس كان عارفا بالله غير أنه كفر باستكباره عليه ولهم يونس بن يونس

ابن مساعدالشيباني ثم المخارقي شيخ الفقراء اليونسية شيخ صالح له كرامات مشهورة ولم يكن له شيخ بل كان مجذوبا جذب الى طريق الخير توفي بأعمال دارا في سنة تسع عشرة وسبعمائة وقد ناهز تسعين سنة وقبره مشهور يزار ويتبرك به واليه تنسب هذه الطائفة اليونسية

* (زاوية الخلاطي) *

هـذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة بالقرب من زاوية الشيخ نصر المنبجي عرفت (٣) وكانت لهـم وجماعة منهم ناصر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمـد بن حسين الخلاطي مات في نصف جمادي الاولى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن بها

* الزاوية العدوية) *

هـذه الزاوية بالقرافة تنسب الى الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري القرشي الاموي وكان قد صحب عـدة من المشايخ كعقيل المنبجي وحماد الدباس وعبد القادر السهروردي وعبدالقادر الجيلي ثم انقطع في جبل الهكارية من أعمال الموصل وبني له زاوية فمال اليه أهـل تلك النواحي كلها ميلا لم يسمع لارباب الزوايا مثله حتي مات سنة سبع وقيل سنة خمس وخمسين وخمسمائة ودفن في زاويته وقدم ابن أخيه الى هذه البلاد وهو زين الدين فأكرم وأنعم عليه بامرة ثم تركها وانقطع في قرية بالشام تعرف ببيت فار على هيئة الملوك من اقتناء الخيول المسومة والمماليك والجواري والملابس وعمل الاسمطة الملوكية فافتتنت به بعض نساء الطائفة القيمرية وبالغت في تعظيمه وبذلت له أموالا عظيمة وحاشيتها تلومها فيه فلا تصغي الى قولهم فاحتالوا حتى أوقفوها عليه وهو عاكف على المنكرات فما زادها ذلك الا ضلالا وقالت أنتم تنكرون هذا عليه انما الشيخ يتدلل على ربه وأتاه الامير الـكبير علم الدين سنجر الدوادار ومعه الشهاب محمود لتحليفه في أول دولة الاشرف خليل بن قلاون الى قريته فاذا هو كالملك في قلعته للتجمل الظاهر والحشمة الزائدة والفرش الاطلس وآنية الذهب والفضة والنضار الصيني وأشياء تفوت العد الى غير ذلك من الاشربة المختلفة الالوان والاطعمة المنوعة فلما دخلا عليه لم يحتفل بهما وقبل الامير سنجر يده وهو جالس لم يقم وبقي قائما قدامه يحدثه وزين الدين يسأله ساعة ثم أمره أن يجلس فجلس على ركبتيه متأدبا بين يديه فلما حلفاه أنعم عليهما بما يقارب خمسة عشر ألف درهم وتخلف من طائفته الشيخ عز الدين أميران وأنعم عليـه بامرة دمشق ثم نقل الى امرة بصفد ثم أعيد الى دمشق وترك الامرة وانقطع بالمزة وتردد اليه الاكراد من كل قطر وحملوا اليه الاموال ثم انه اراد ان يخرج على السلطان بمن معه من الاكراد في كل بلد فباعوا أموالهم واشتروا الخيل والسلاح ووعد رجاله بنيابات البلاد ونزل بأرض اللجون فبلغ ذلك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فكتب الى الامـير

تنكز نائب الشام بكشف أخبارهم وأمسك السلطان من كان بهذه الزاوية العدوية ودرك على أمير طبر واختلفت الاخبار فقيل أنهم يريدون سلطنة مصر وقيل يريدون ملك اليمن فقلق السلطان لامرهم وأهمه الى أن أمسك الامير تنكز عز الدين المذكور وسجنه فى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة حتى مات وفرق الاكراد ولولم يتدارك لاوشك أن يكون لهم نوبة

* (زاوية السدار)*

هذه الزاوية برأس حارة الديلم بناها الفقير المتقد على بن السدار في سنة سبعين وسبعمائة وتوفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة

ذكر المشاهد التى يتبرك الناس بزيارتها

* (مشهد زين العابدين) *

هذا المشهد فيما بين الجامع الطولونى ومدينة مصر تسميه العامة مشهد زين العابدين وهو خطأ وانما هو مشهد رأس زيد بن على المعروف بزين العابدين بن الحسين بن على ابن أبي طالب عليه السلام ويعرف في القديم بمسجد محرس الخصى * قال القضاعى مسجد محرس الخصى بني على رأس زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب حين انفذه هشام ابن عبد الملك الى مصر ونصب على المنبر بالجامع فسرقه أهل مصر ودفنوه في هذا الموضع * وقال الكندى فى كتاب الامراء وقدم الى مصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة أبو الحكم بن أبي الابيض القيسي خطيباً برأس زيد بن على رضوان الله عليه يوم الاحد لعشر خلون من جمادى الآخرة واجتمع الناس اليه في المسجد * وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون وبنو زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالب عليهم السلام الشهيد بالكوفة ولم يبق له عليه السلام غير رأسه التى بالمشهد الذى بين الكومين بمصر بطريق جامع ابن طولون وبركة الفيل وهو من الخطط يعرف بمسجد محرس الخصى ولما صلب كشفوا عورته فنسج العنكبوت فسترها ثم انه بعد ذلك احرق وذرى فى الريح ولم يبق منه الا رأسه التي بمصر وهو مشهد صحيح لانه طيف بها بمصر ثم نصبت على المنبر بالجامع بمصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة فسرقت ودفنت فى هذا الموضع الى أن ظهرت وبنى عليها مشهد * وذكر ابن عبد الظاهر أن الافضل بن أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد أمر بكشف المسجد وكان وسط الاكوام ولم يبق من معالمه الا محراب فوجد هذا العضو الشريف قال محمد بن منجب بن الصيرفى حدثنى الشريف فخر الدين أبو الفتوح ناصر الزيدى خطيب مصر وكان من جملة من حضر الكشف قال لما خرج هذا العضو رأيته وهو هامة وافرة وفى الجبهة أثر في سعة الدرهم فضمخ وعطر وحمل الى دار حتى عمر هذا المشهد وكان

وجدانه يوم الاحد تاسع عشرى ربيع الاول سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكان الوصول به فى يوم الاحد ووجد انه فى يوم الاحد * (زيد بن على) بن الحسين بن على بن أبى طالب كنيته أبوالحسن الامام الذى تنسب اليه الزيدية احدى طوائف الشيعة سكن المدينة وروى عن أبيه على بن الحسين الملقب زين العابدين وعن أبان بن عثمان وعبيد الله بن أبى رافع وعروة بن الزبير وروى عنه محمد بن شهاب الزهرى وزكريا بن أبى زائدة وخلق ذكره ابن حبان فى الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة وقيل لجعفر بن محمد الصادق عن الرافضة أنهم يتبرؤن من عمك زيد فقال بريء الله ممن تبرأ من عمي كان والله اقرأنا لكتاب الله وأفقهنا في دين الله وأوصلنا للرحم والله ماترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله وقال أبو اسحاق السبيعى رأيت زيد بن على فلم أر فى أهله مثله ولا أعلم منه ولا أفضل وكان افصحهم لسانا وأكثرهم زهدا وبيانا وقال الشعبى والله ماولد النساء أفضل من زيد بن علي ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد وقال أبو حنيفة شاهدت زيد بن على كما شاهدت أهله فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جوابا ولا أبين قولا لقد كان منقطع القرين وقال الاعمش ما كان في أهل زيد بن على مثل زيد ولا رأيت فيهم أفضل منه ولا أفصح ولا أعلم ولا أشجع ولقد وفي له من تابعه لاقامهم على المنهج الواضح وسئل جعفر بن محمد الصادق عن خروجه فقال خرج على ماخرج عليه آباؤه وكان يقال لزيد حليف القرآن وقال خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرأه وأتدبره فما وجدت فى طلب الرزق رخصة وما وجدت ابتغوا من فضل الله الا العبادة والفقه وقال عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لقد أصيب عندكم رجل ماكان في زمانكم مثله ولا أراه يكون بعده مثله زيد بن على لقد رأيته وهو غلام حدث وانه ليسمع الشيء من ذكر الله فيغشى عليه حتى يقول القائل ماهو بعائد الى الدنيا وكان نقش خاتم زيد اصبر تؤجر اصدق تنج وقرأ مرة قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم فقال ان هذا لوعيد وتهديد من الله ثم قال اللهم لاتجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلا وكان اذا كلمه انسان وخاف أن يهجم على أمر يخاف منه مأثماً قال له ياعبد الله أمسك أمسك كف اليك اليك عليك بالنظر لنفسك ثم يكف عنه ولا يكلمه وقد اختلف فى سبب قيام زيد وطلبه الامر لنفسه فقيل ان زيد بن على وداود بن على بن عبد الله بن عباس ومحمد بن عمر بن على بن أبى طالب قدموا على خالد ابن عبد الله القسرى بالعراق فأجازهم ورجعوا الى المدينة فلما ولى يوسف بن عمر العراق بعد عزل خالد كتب الى هشام بن عبد الملك وذكر له ان خالدا ابتاع أرضاً بالمدينة من زيد بعشرة آلاف دينار ثم رد الارض عليه فكتب هشام الى عامل المدينة أن يسيرهم اليه ففعل فسألهم هشام عن ذلك فأقروا بالجائزة وأنكروا ماسوى ذلك وحلفوا فصدقهم وأمرهم

بالمسير الى العراق ليقابلوا خالدا فساروا على كره وقابلوا خالدا فصدقهم وعادوا نحو المدينة فلما نزلوا القادسية راسل أهل الكوفة زيدا فعاد اليهم وقيل بل ادعى خالد القسرى انه أودع زيدا وداود بن على ونفرا من قريش مالا فكتب يوسف بن عمر بذلك الى الخليفة هشام بن عبد الملك فأحضرهم هشام من المدينة وسيرهم الى يوسف ليجمعهم وخالدا فقدموا عليه فقال يوسف لزيد ان خالدا زعم أنه أودع عندك مالا فقال زيد كيف يودعنى وهو يشتم أباءى على منبره فأرسل الى خالد فأحضره في عباءة وقال له هذا زيد قد أنكر انك أودعته شيئاً فنظر خالد اليه والى داود وقال ليوسف أتريد أن تجمع اثمك مع اثمنا في هذا كيف أودعه وأنا أشتم آباءه وأشتمه على المنبر فقال زيد لخالد مادعاك الى ماصنعت فقال شدد على العذاب فادعيت ذلك وأملت أن يأتى الله بفرج قبل قدومك فرجعوا وأقام زيد وداود بالكوفة وقيل ان يزيد بن خالد القسرى هو الذى ادعى أن المال وديعة عند زيد فلما أمرهم هشام بالمسير الى العراق الى يوسف استقالوه خوفا من شر يوسف وظلمه فقال أنا أكتب اليه بالكف عنكم وألزمهم بذلك فساروا على كره فجمع يوسف بينهم وبين يزيد فقال يزيد ليس لى عندهم قليل ولا كثير فقال له يوسف أتهزأ بأمير المؤمنين فعذبه يومئذ عذابا كاد يهلكه ثم أمر بالقرشيين فضربوا وترك زيدا ثم استحلفهم وأطلقهم فلحقوا بالمدينة وأقام زيد بالكوفة وكان زيد قال لهشام لما أمره بالمسير الى يوسف والله ماآمن ان بعثتني اليه أن لانجتمع أنا وأنت حيين أبدا قال لابد من المسير اليه فسار اليه وقيل كان السبب فى ذلك أن زيدا كان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي في وقوف علي (٣) رضى الله عنه فزيد يخاصم عن بنى حسين وجعفر يخاصم عن بني حسن فكانا يبلغان كل غاية ويقومان فلا يعيدان مما كان بينهما حرفا فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن بن الحسن فتنازعا يوما بين يدي خالد بن عبد الملك بن الحارث بالمدينة فأغلظ عبد الله لزيد وقال ياابن السندية فضحك زيد وقال قد كان اسماعيل عليه السلام ابن امة ومع ذلك فقد صبرت أمي بعد وفاة سيدها ولم يصبر غيرها يعنى فاطمة بنت الحسين أم عبدالله فانها تزوجت بعد أبيه الحسن بن الحسن ثم ان زيدا ندم واستحيي من فاطمة فانها عمته ولم يدخل اليها زمانا فأرسلت اليه ياابن أخي انى لاعلم أن أمك عندك كأم عبد الله عنده وقالت لعبد الله بئسما قلت لام زيد أما والله لنعم دخيلة القوم كانت وذكر أن خالدا قال لهما اغدوا علينا غدا فلست ابن عبد الملك ان لم افصل بينكما فباتت المدينة تغلى كالمرجل يقول قائل قال زيد كذا ويقول قائل قال عبد الله كذا فلما كان من الغد جلس خالد فى المسجد

---

(٣) (قوله في وقوف علي الخ)هكذا فى النسخ ولعله محرف عن رقوق جمع رق بمعنى الصحيفة لاشتمالها على حكم ونصائح مثلا وليحرر اه مصححه

واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم فدعا بهما خالد وهو يحب أن يتشاتما فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لاتعجل ياأبا محمد أعتق زيد كل مايملك ان خاصمك الى خالد أبدا ثم أقبل الى خالد فقال له لقد جمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر فقال خالد أما لهذا السفيه أحد فتكلم رجل من الانصار من آل عمرو بن حزم فقال ياابن أبي تراب وابن حسين السفيه أما ترى لوال عليك حقاولا طاعة فقال زيد اسكت ايها القحطانى فانا لانجيب مثلك قال ولم ترغب عنى فوالله أني لخير منك وخير من أبيك وأمي خير من أمك فتضاحك زيد وقال يامعشر قريش هذاالدين قد ذهب أفتذهب الاحساب فوا الله ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم فقام عبد الله بن واقد ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال كذبت والله أيها القحطاني فو الله لهو خير منك نفساً وأباً وأماً ومحتدا وتناوله بكلام كثير وأخذ كفا من حصباء وضرب بها الارض وقال والله أنه مالنا على هذا من صبر وقام ثم شخص زيد الى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لايأذن له وهو يرفع اليه القصص فكلما رفع قصة يكتب هشام فى اسفلها ارجع الى منزلك فيقول زيد والله لاأرجع الى خالد أبدا ثم انه اذن له يوما بعد طول حبس فصعد زيد وكان بادنا فوقف في بعض الدرج وهو يقول والله لايحب الدنيا أحد الاذل ثم صعد وقد جمع له هشام اهل الشام فسلم ثم جلس فرمى عليه هشام طويلة فخلف لهشام على شيء فقال هشام لاأصدقك فقال ياأمير المؤمنين ان الله لم يرفع أحدا عن أن يرضي بالله ولم يضع أحدا عن أن لايرضي بذلك منه فقال هشام أنت زيد المؤمل للخلافة وما انت والخلافة لاأملك وأنت ابن أمة فقال زيد لاأعلم أحدا عند الله افضل من نبي بعثه ولقد بعث الله نبيا وهو ابن أمة ولو كان به تقصير عن منتهى غاية لم يبعث وهو اسماعيل بن ابراهيم والنبوة أعظم منزلة من الخلافة عند الله ثم لم يمنعه الله من أن جعله أبا للعرب وأبا لخير البشر محمد صلى الله عليه وسلم وما يقصر برجل أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أمي فاطمة لاافخر بأم فوثب هشام من مجلسه وتفرق الشاميون عنه وقال لحاجبه لايبيت هذا في عسكري أبداً فخرج زيد وهو يقول ما كره قوم قط حر السيوف الا ذلوا وسار الى الكوفة فقال له محمد بن عمر بن على بن أبي طالب أذكرك الله يازيد لما لحقت بأهلك ولا تأت أهل الكوفة فانهم لايفون لك فلم يقبل وقال خرج بنا هشام اسراء على غير ذنب من الحجاز الى الشام ثم الى الجزيرة ثم الى العراق ثم الى تيس ثقيف يلعب بنا وأنشد

بكرت تخوفني الحتوف كأنني * أصبحت عن عرض الحياة بمعزل
فأجبتها أن المنية منزل * لابد أن أسقى بكاس المنهل
ان المنية لو تمثل مثلت * مثلي اذا نزلوا بضيق المنزل

فاثنى حبالك لا أبالك واعلمى * انى امرؤ سأموت ان لم أقتل

استودعك الله واني أعطى الله عهدا ان دخلت يدى فى طاعة هؤلاء ماعشت وفارقه وأقبل الى الكوفة فأقام بها مستخفيا ينتقل فى المنازل فأقبلت الشيعة تختلف اليه تبايعه فبايعه جماعة من وجوه أهل الكوفة وكانت بيعته انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم وأفعال الخير ونصرة أهل البيت أتبايعون على ذلك فاذا قالوا نعم وضع يده على أيديهم ويقول عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤمنن ببيعتى ولتقاتلن عدوى ولتنصحن لى في السر والعلانية فاذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم فاشهد فبايعه خمسة عشر ألفا وقيل أربعون ألفا وأمر أصحابه بالاستعداد فأقبل من يريد أن يفى ويخرج معه يستعد ويتهيأ فشاع امره فى الناس هذا علي قول من زعم انه اتي الكوفة من الشام واختفى بها يبايع الناس وأما على قول من زعم انه أتي الى يوسف ابن عمر لمرافعة خالد بن عبد الله القسري أو ابنه يزيد بن خالد فانه قال أقام زيد بالكوفة ظاهرا ومعه داود بن علي بن عبدالله بن عباس وأقبلت الشيعة تختلف اليه وتأمره بالخروج ويقولون انا لنرجو أن تكون أنت المنصور وان هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية فأقام بالكوفة ويوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو هاهنا ويبعث اليه ليسير فيقول نعم ويعتل بالوجع فمكث ماشاء الله ثم أرسل اليه يوسف بالمسير عن الكوفة فاحتج بأنه يحاكم آل طلحة ابن عبيد الله بملك بينهما بالمدينة فأرسل اليه ليوكل وكيلا ويرحل عنها فلما رأى الجد من يوسف فى أمره سار حتى أتى القادسية وقيل الثعلبية فتبعه أهل الكوفة وقالوا له نحن أربعون ألفا لم يتخلف عنك أحد نضرب عنك بأسيافنا وليس هاهنا من أهل الشام الاعدة يسيرة وبعض قبائلنا يكفيهم باذن الله وحلفوا له بالايمان المغلظة فجعل يقول انى أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدى فيحلفون له فقال له داود بن علي لايغرنك ياابن عمى هؤلاء أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جدك علي بن أبي طالب حتى قتل والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه وانتزعوا رداءه وجرحوه أو ليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له ثم خذلوه وأسلموه ولم يرضوا بذلك حتى قتلوه فلا ترجع معهم فقالوا يازيد ان هذا لايريد أن تظهر أنت ويزعم انه وأهل بيته أولى بهذا الامر منكم فقال زيد لداود ان عليا كان يقاتله معاوية بدهائه وان الحسين قاتله يزيد والامر مقبل عليهم فقال له داود انى أخاف ان رجعت معهم أن لايكون أحد أشد عليك منهم وأنت أعلم ومضى داود الى المدينة ورجع زيد الى الكوفة فأتاه سلمة بن كهيل فذكر له قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه فأحسن ثم قال له نشدتك الله كم بايعك قال أربعون ألفا قال فكم بايع جدك

قال ثمانون ألفا قال فكم حصل معه قال ثلثمائة قال نشدتك الله أنت خير أم جدك قال جدى قال فهذا القرن خير أم ذلك القرن قال ذلك القرن قال أفتطمع أن يفي لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك قال قد بايعوني ووجبت البيعة فى عنقي وعنقهم قال أفتأذن لى أن أخرج من هذا البلد فلا آمن أن يحدث حدث فأهلك نفسى فأذن له فخرج الى اليمامة. وكتب عبدالله ابن الحسن بن الحسن الى زيد أما بعد فان أهل الكوفة نفج العلانية خور السريرة هوج فى الرد اجزع فى اللقا تقدمهم ألسنتهم ولا تتابعهم قلوبهم ولقد تواترت الى بدعوتهم فصممت عن ندائهم وألبست قلبى غشاء عن ذكرهم يأسا منهم واطراحا لهم ومالهم مثل الا ماقال على بن أبي طالب صلوات الله عليه ان اهملتم خضتم وان خورتم خرتم وان اجتمع النـاس على امام طعنتم وان اجبتم الى مشاقة نكصتم فلم يصغ زيد الى شئ من ذلك وأقام على حاله يبايع الناس ويجهز للخروج وتزوج بالكوفة امرأتين وكان ينتقل تارة عند هذه فى بني سلمة قومها وتارة عند هذه في الازد قومها وتارة فى بنى عبس وتارة في بنى تغلب وغيرهم الى أن ظهر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة فأمر أصحابه بالاستعداد وأخذ من كان يريد الوفاء بالبيعة يجهز فبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث فى طلب زيد فلم يوجد وخاف زيد أن يؤخذ فتعجل قبل الاجل الذى جعله بينه وبين أهل الكوفة وعلى الكوفة يومئذ الحكم ابن الصلت فى ناس من أهل الشام ويوسف بن عمر بالحيرة فلما علم أصحاب زيد أن يوسف ابن عمر قد بلغه الخبر وأنه يبحث عن زيد اجتمع الى زيد جماعة من رؤسهم فقالوا رحمك الله ماقولك فى أبي بكر وعمر فقال زيد رحمهما الله وغفر لهما ماسمعت أحدا من أهل بيتي يقول فيهما الا خيرا وان أشد ما أقول فيما ذكرتم انا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين فدفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا. وقد ولوا فعدلوا فى الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم يظلمك هؤلاء اذا كان أولئك لم يظلموا واذا كان هؤلاء لم يظلموا فلم تدعو الى قتالهم فقال ان هؤلاء ليسوا كأولئك هؤلاء ظالمون لي ولانفسهم ولكم وانما ندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والى السنن أن تحيي والى البدع أن تطفأ فان اجبتمونا سعدتم. وان ابيتم فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا قد سبق الامام يعنون محمدا الباقر وكان قد مات وقالوا جعفر ابنه امامنا اليوم بعد أبيه فسماهم زيد الرافضة وهم يزعمون أن المغيرة سماهم الرافضة حين فارقوه وكانت طائفة قد أتت جعفر بن محمد الصادق قبل قيام زيد وأخبروه ببيعته فقال بايعوه لهو والله أفضلنا وسيدنا فعادوا وكتموا ذلك وكان زيد قد واعد أصحابه أول ليلة من صفر فبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث الى الحكم عامله على الكوفة يأمره بأن يجمع الناس بالمسجد الاعظم يحصرهم فيه فجمعهم وطلبوا زيدا فخرج ليلا من دار معاوية بن اسحاق بن زيد

ابن حارثة الانصاري وكان بها ورفعوا النيران ونادوا يامنصور حتى طلع الفجر فلما أصبحوا نادى أصحاب زيد بشعارهم وثاروا فأغلق الحكم دروب السوق وأبواب المسجد على الناس وبعث الى يوسف بن عمر وهو بالحيرة فأخبره الخبر فأرسل اليه خمسين فارسا ليعرفوا الخبر فساروا حتى عرفوا الخبر وعادوا اليه فسارت الحيرة بأشراف الناس وبعث ألفين من الفرسان وثلثمائة رجالة معهم النشاب وأصبح زيد فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتى رجل وثمانية عشر رجلا فقال سبحان الله اين الناس فقيل انهم في المسجد الاعظم محصورون فقال والله ماهذا بعذر لمن بايعنا وأقبل فلقيه على جبانة الصايديين خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم فيمن معه حتى هزمهم وانتهى الى دار أنس بن عمر الازدى وكان فيمن بايعه وهو فى الدار فنودى فلم يجب فناداه زيد فلم يخرج اليه فقال زيد ما أخلفكم قد فعلتموها الله حسيبكم ثم سار ويوسف بن عمر ينظر اليه وهو في مائتي رجل فلو قصده زيد لقتله والريان يتبع آثار زيد بالكوفة فى أهل الشام فأخذ زيد فى المسير حتى دخل الكوفة فسار بعض أصحابه الى الجبانة وواقعوا أهل الشام فأسر أهل الشام منهم رجلا ومضوا به الى يوسف بن عمر فقتله فلما رأى زيد خذلان الناس اياه قال قد فعلوها حسبي الله وسار وهو يهزم من لقيه حتى انتهى الى باب المسجد فجعل أصحابه يدخلون راياتهم من فوق الباب ويقولون ياأهل المسجد اخرجوا من الذل الى العز أخرجوا الى الدين والدنيا فانكم لستم في دين ولا دنيا وزيد يقول والله ماخرجت ولا قمت مقامى هذا حتى قرأت القرآن وأتقنت الفرائض وأحكمت السنن والآداب وعرفت التأويل كما عرفت التنزيل وفهمت الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخاص والعام وما تحتاج اليه الامة فى دينها مما لابد لها منه ولا غني لها عنه واني لعلى بينة من ربى فرماهم أهل المسجد بالحجارة من فوق المسجد فانصرف زيد فيمن معه وخرج اليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق فأتاه الريان وقاتله وخرج أهل الشام مساء يوم الاربعاء اسوأ شئ ظنا فلما كان من الغد أرسل يوسف بن عمر عدة عليهم العباس بن سعد المزني فلقيهم زيد فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب العباس وقتل منهم نحو من سبعين فلما كان المشي عبى يوسف بن عمر الجيوش وسرحهم فالتقاهم زيد بمن معه وحمل عليهم حتى هزمهم وهو يتبعهم فبعث يوسف طائفة من الماشية فرموا أصحاب زيد وهو يقاتل حتى دخل الليل فرمى بسهم في جبهته اليسرى ثبت فى دماغه فرجع أصحابه ولا يظن أهل الشام انهم رجعوا للمساء والليل فأنزلوا زيدا في دار وأتوه بطبيب فانتزع النصل فضج زيد ومات رحمه الله لليلتين خلتا من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة وعمره اثنتان وأربعون سنة ولما مات اختلف أصحابه في أمره فقال بعضهم نطرحه في الماء وقال بعضهم بل نحز رأسه ونلقيه في القتلى فقال ابنه يحي بن زيد والله لايأكل لحم أبى الكلاب وقال بعضهم ندفنه في

الحفرة التي يؤخذ منها الطين ونجمل عليه الماء ففعلوا ذلك وأجروا عليه الماء وكان معه مولى سندى فدل عليه وقيل رآهم قصار فدل عليه وتفرق الناس من أصحاب زيد وسار ابنه يحيي نحو كربلا وتتبع يوسف بن عمر الجرجي فى الدور حتي دل على زيد فى يوم جمعة فأخرجه وقطع رأسه وبعث به الى هشام بن عبد الملك فدفع لمن وصل به عشرة آلاف درهم ونصبه على باب دمشق ثم أرسله الى المدينة وسار منها الى مصر وأما جسده فان يوسف بن عمر صلبه بالكناسة ومعه ثلاثة ممن كانوا معه وأقام الحرس عليه فمكث زيد مصلوبا أكثر من سنتين حتى مات هشام وولى الوليد من بعده وبعث الى يوسف بن عمر أن أنزل زيدا وأحرقه بالنار فأنزله وأحرقه وذرى رماده في الريح وكان زيد لما صلب وهو عريان استرخي بطنه على عورته حتى مايرى من سوءته ومر زيد مرة بمحمد بن الحنفية فنظر اليه وقال أعيذك بالله أن تكون زيد بن على المصلوب بالعراق وقال عبد الله ابن حسين بن علي بن الحسين بن على سمعت أبي يقول اللهم ان هشاما رضى بصلب زيد فاسلبه ملكه وان يوسف بن عمر أحرق زيدا اللهم فسلط عليه من لا يرحمه اللهم وأحرق هشاما في حياته ان شئت والا فأحرقه بعد موته قال فرأيت والله هشاما محرقا لما أخذ بنو العباس دمشق ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطعا على كل باب من أبواب دمشق منه عضو فقلت يا أبتاه وافقت دعونك ليلة القدر فقال لا يابني بل صمت ثلاثة أيام من شهر رجب وثلاثة أيام من شعبان وثلاثة أيام من شهر رمضان كنت أصوم الاربعاء والخميس والجمعة ثم أدعو الله عليهما من صلاة العصر يوم الجمعة حتي أصلي المغرب وبعد قتل زيد انتقض ملك بنى أمية وتلاشى الي أن ازالهم الله تعالى ببنى العباس * وهذا المشهد باق بين كيمان مدينة مصر يتبرك الناس بزيارته ويقصدونه لاسيما في يوم عاشوراء والعامة تسميه زين العابدين وهو وهم انما زين العابدين أبوه وليس قبره بمصر بل قبره بالبقيع ولما قتل الامام زيد سودت الشيعة أى لبست السواد وكان أول من سود على زيد شيخ بنى هاشم في وقته الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ورثاه بقصيدة طويلة وشعره حجة احتج به سيبويه توفي سنة تسع وعشرين ومائة

* (مشهد السيدة نفيسة) *

قال الشريف النقيب النسابة شرف الدين أبو على محمد بن أسعد بن على بن معمر بن عمر الحسينى الجوانى المالكى في كتاب الروضة الانيسة بفضل مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها * نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبي طالب عليهم السلام أمها ام ولد واخوتها القاسم ومحمد وعلى وابراهيم وزيد وعبيد الله ويحيي واسماعيل واسحاق وأم

كلثوم أولاد الحسن بن زيد بن الحسن بن على فأمهم (٣) أم سلمة واسمها زينب ابنة الحسن بن الحسن بن على وأمها أم ولد تزوج أم كلثوم أخت نفيسة عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم ثم خلف عليها الحسن بن زيد بن على بن الحسن بن على وأما على وابراهيم وزيد اخوة نفيسة من أبيها فأمهم أم ولد تدعى أم عبد الحميد وأما عبيد الله بن الحسن بن زيد فأمه الزائدة بنت بسطام بن عمير بن قيس الشيبانى وأما اسماعيل واسحاق فهما لامى ولد وكان اسماعيل من أهل الفضل والخير صاحب صوم ونسك وكان يصوم يوما ويفطر يوما وأما يحيى بن زيد فله مشهد معروف بالمشاهد يأتى ذكره انشاء الله تعالى وتزوج بنفيسة رضي الله عنها اسحاق بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبي طالب عليهم السلام وكان يقال له اسحاق المؤتمن وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين روى عنه الحديث وكان ابن كاسب اذا حدث عنه يقول حدثنى الثقة الرضى اسحاق بن جعفر وكان له عقب بمصر منهم بنو الرقى وبحلب بنو زهرة وولدت نفيسة من اسحاق ولدين هما القاسم وأم كلثوم لم يعقبا * وأما جد نفيسة وهو زيد بن الحسن بن على فروى عن أبيه وعن جابر وابن عباس وروى عنه ابنه وكانت بينه وبين عبد الله بن محمد بن الحنفية خصومة وفدا لاجلها على الوليد بن عبد الملك وكان يأتى الجمعة من ثمانية أميال وكان اذا ركب نظر الناس اليه وعجبوا من عظم خلقه وقالوا جده رسول الله وكتب اليه الوليد بن عبد الملك يسأله أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان بن عبد الملك ففرق منه واجابه فلما استخلف سليمان وجد كتاب زيد بذلك الى الوليد فكتب الى أبى بكر بن حزم أمير المدينة ادع زيد بن الحسن فأقره الكتاب فان عرفه فا كتب الى وان هو نكل فقدمه فأصب يمينه عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما كتبه ولا أمر به نخاف زيد الله. واعترف فكتب بذلك أبو بكر فكتب سليمان أن يضربه مائة سوط وأن يدرعه عباءة ويمشيه حافيا فحبس عمر بن عبد العزيز الرسول وقال حتى اكلم أمير المؤمنين فيما كتب به في حق زيد فقال للرسول لاتخرج فان أمير المؤمنين مريض فمات سليمان وأحرق عمر الكتاب * وأما والد نفيسة وهو الحسن بن زيد فهو الذى كان والى المدينة النبوية من قبل أبى جعفر عبدالله بن محمد المنصور وكان فاضلا أديبا عالما وأمه أم ولد توفي أبوه وهو غلام وترك عليه دينا أربعة آلاف دينار فحلف الحسن ولده أن لايظل رأسه سقف الا سقف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم او بيت رجل يكلمه

---

(٣) (قوله فامهم الخ) هكذا في النسخ ولا يخفى مافي هذه العبارة من السقامة والتنافي والظاهر أن فيها سقطا والاصل فأما القاسم ومحمد ويحيى وأم كلثوم فأمهم الخ كما يدل على ذلك قوله فأمهم بالفاء وكذلك بقية العبارة حيث بين فيها أمهات ستة منهم وليحرر اه مصححه

فى حاجة حتى يقضى دين أبيه فوفاه وقضاه بعد ذلك ومن كرمه انه اتى بشاب شارب متأدب وهو عامل على المدينة فقال يا ابن رسول الله لا أعود وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيلوا ذوى الهيآت عثراتهم وأنا ابن أبي امامة بن سهل بن حنيف وقد كان أبى مع أبيك كما قد علمت قال صدقت فهل أنت عائد قال لا والله فأقاله وأمر له بخمسين دينارا و قال له تزوج بها وعدالى فتاب الشاب وكان الحسن بن زيد يجرى عليه النفقة * وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذى لا مزيد عليه فيقال انها حجت ثلاثين حجة وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار فقيل لها ألا ترفقين بنفسك فقالت كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبة لا يقطعها الا الفائزون وكانت تحفظ القرآن وتفسيره وكانت لا تأكل الا فى كل ثلاث ليال أكلة واحـدة ولا تأكل من غير زوجها شيأ وقد ذكر أن الامام الشافعي محمـد بن ادريس كان زارها وهي من وراء الحجاب وقال لها ادعى لي وكان صحبتـه عبـد الله بن عبد الحكم وماتت رضى الله عنها بعد موت الامام الشافعي رحمة الله عليه بأربع سنين لان الشافعي توفي سلخ شهر رجب سنة أربع ومائتين وقيل انها كانت فيمن صلى على الامام الشافعي وتوفيت السيدة نفيسة فى شهر رمضان سنة ثمـان ومائتين ودفنت فى منزلها وهو الموضع الذى به قبرها الآن ويعرف بخط درب السباع ودرب بزرب وأراد اسحاق بن الصادق وهو زوجها أن يحملها ليدفنها بالمدينة فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عنـدهم لاجل البركة وقبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة باجابة الدعاء بمصر وهى أربعة مواضع سجن نبى الله يوسف الصديق عليه السـلام ومسجد موسى صلوات الله عليـه وهو الذى بطرا ومشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها والمخدع الذى على يسار المصلى فى قبلة مسجد الاقدام بالقرافة فهذه المواضع لم يزل المصريون ممن أصابته مصيبة أو لحقتـه فاقة أو جائحة يمضون الى أحدها فيدعون الله تعالى فيستجيب لهم مجرب ذلك انتهى * ويقال انها حفرت قبرها هذا وقرأت فيه تسعين ومائة ختمة وانها لما احتضرت خرجت من الدنيا وقـد انتهت فى حزبها الى قوله تعالى قل لمن مافى السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ففاضت نفسها رحمها الله تعالى مع قوله الرحمة ويقال ان الحسن بن زيد والد السيدة نفيسة كان مجاب الدعوة ممدوحا وان شخصاً وشى به الى أبي جعفر المنصور أنه يريد الخلافة لنفسه فانه كان قد انتهت اليه رياسة بنى حسن فأحضره من المدينة وسلبه ماله ثم انه ظهر له كذب الناقل عنه فمن عليه ورده الى المدينة مكرما فلما قدمها بعث الى الذى وشى به بهدية ولم يعتبه على ما كان منه ويقال انه كان مجاب الدعوة فمرت به امرأة وهو فى الابطح ومعها ابن لهـا على يدها فاختطفه عقاب فسألت الحسن بن زيد أن يدعو الله لها برده فرفع يديه الى السماء ودعا ربه فاذا بالعقاب قد ألقى الصغير من غير أن يضره بشيء فأخذته أمه وكان يعد بألف من

الكرام ولما قدمت السيدة نفيسة الى مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر نزلت بالمنصوصة وكان بجوارها دار فيها قوم من أهل الذمة ولهم ابنة مقعدة لم تمش قط فلما كان في يوم من الايام ذهب أهلها فى حاجة من حوائجهم وتركوا المقعدة عند السيدة نفيسة فتوضأت وصبت من فضل وضوئها على الصبية المقعدة وسمت الله تعالى فقامت تسعى على قدميها ليس بها بأس البتة فلما قدم أهلها وعاينوها تمشى أتوا الى السيدة نفيسة وقد تيقنوا أن مشى ابنتهم كان ببركة دعائها وأسلموا بأجمعهم على يديها فاشتهر ذلك بمصر وعرف انه من بركاتها وتوقف النيل عن الزيادة في زمنها فحضر الناس اليها وشكوا اليها ماحصل من توقف النيل فدفعت قناعها اليهم وقالت لهم ألقوه فى النيل فألقوه فيه فزاد حتي بلغ الله به المنافع وأسر ابن لامرأة ذمية فى بلاد الروم فأتت الى السيدة نفيسة وسألتها الدعاء أن يرد الله ابنها عليها فلما كان الليل لم تشعر الذمية الا بابنها وقد هجم عليها دارها فسألته عن خبره فقال ياأماه لم أشعر الا ويد قد وقعت على القيد الذى كان في رجلي وقائل يقول أطلقوه قد شفعت فيه نفيسة بنت الحسن فو الذى يحلف به ياأماه لقد كسر قيدى وماشعرت بنفسى الا وأنا واقف بباب هذه الدار فلما أصبحت الذمية أتت الى السيدة نفيسة وقصت عليها الخبر وأسلمت هي وابنها وحسن اسلامهما * وذكر غير واحد من علماء الاخبار بمصر أن هذا قبر السيدة نفيسة بلا خلاف وقد زار قبرها من العلماء والصالحين خلق لايحصى عددهم ويقال ان أول من بنى على قبر السيدة نفيسة عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر ومكتوب فى اللوح الرخام الذى على باب ضريحها وهو الذى كان مصفحاً بالحديد بعد البسملة مانصه نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين أمر بعمارة هذا الباب السيد الاجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وشد عضده بولده الاجل الافضل سيف الامام جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله فى علائه وأمتع المؤمنين بطول بقائه في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة والقبة التى على الضريح جددها الخليفة الحافظ لدين الله في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وأمر بعمل الرخام الذى بالمحراب

(مشهد السيدة كلثوم)

هي كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبي طالب موضعه بمقابر قريش بمصر بجوار الخندق وهي أم جعفر ابن موسي بن اسماعيل بن موسي الكاظم ابن جعفر الصادق كانت من الزاهدات العابدات

* (سناوتنا) *

يقال انهما من أولاد جعفر بن محمد الصادق كانتا تتلوان القرآن الكريم في كل ليلة فاتت احداهما فصارت الاخرى تتلو وتهدى ثواب قراءتها لاختها حتى ماتت

* (ذكر مقابر مصر والقاهرة المشهورة) *

القبر مدفن الانسان وجمعه قبور والمقبرة موضع القبر قال سيبويه المقبرة ليس على الفعل ولكنه اسم وقبره يقبره دفنه وأقبره جعل له قبراً * واعلم أن لاهل مدينة مصر ولاهل القاهرة عدة مقابر وهي القرافة فما كان منها في سفح الجبل يقال له القرافة الصغرى وما كان منها فى شرقى مصر بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى وفي القرافة الكبرى كانت مدافن أموات المسلمين منذ افتتحت أرض مصر واختط العرب مدينة الفسطاط ولم يكن لهم مقبرة سواها فلما قدم القائد جوهر من قبل المعز لدين الله و بني القاهرة وسكنها الخلفاء اتخذوا بها تربة عرفت بتربة الزعفران قبروا فيها أمواتهم ودفن رعيتهم من مات منهم فى القرافة الى أن اختطت الحارات خارج باب زويلة فقبر سكانها موتاهم خارج باب زويلة مما يلي الجامع فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل وكثرت المقابر بها عند حدوث الشدة العظمى أيام الخليفة المستنصر ثم لما مات أمير الجيوش بدر الجمالى دفن خارج باب النصر فاتخذ الناس هنالك مقابر موتاهم وكثرت مقابر أهل الحسينية فى هذه الجهة ثم دفن الناس الاموات خارج القاهرة في الموضع الذى عرف بميدان القبق فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر وبنوا هناك الترب الجليلة ودفن الناس أيضاً خارج القاهرة فيما بين باب الفتوح والخندق ولكل مقبرة من هذه المقابر أخبار سوف أقص عليك من أنبائها ماانتهت الى معرفته قدرتى ان شاء الله تعالى ويذكر أهل العناية بالامور المتقادمة أن الناس في الدهر الاول لم يكونوا يدفنون موتاهم الى أن كان زمن دوناي الذى يدعي سيد البشر لكثرة ماعلم الناس من المنافع فشكا اليه أهل زمانه مايتأذون به من خبث موتاهم فأمرهم أن يدفنوهم في خوابي ويسدوا رؤسها ففعلوا ذلك فكان دوناي اول من دفن الموتى وذكر أن دوناى هذا كان قبل آدم بدهر طويل مبلغه عشرون ألف سنة وهى دعوي لاتصح وفى القرآن الكريم مايقتضي أن قابيل بن آدم أول من دفن الموتى والله أصدق القائلين وقد قال الشافعي رحمه الله وأكره أن يعظم مخلوق حتي يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده

* (ذكر القرافة) *

روي الترمذى من حديث أبى طيبة عبد الله بن مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه من مات من اصحابى بأرض بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة قال وهذا حديث غريب وقد روى عن ابى طيبة عن ابن بريدة مرسلا وهذا اصح قال ابو القاسم عبدالرحمن بن

عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد قال سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب في ذلك الى أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمر رضي الله عنه فكتب اليه عمر سله لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزدرع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله فقال انا لنجد صفتها في الكتب ان فيها غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر رضي الله عنه فكتب اليه عمر انا لا نعلم غراس الجنة الا المؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء فكان اول من دفن فيها رجل من المغافر يقال له عامر فقيل عمرت فقال المقوقس لعمرو وما ذلك ولا على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذي بين المقبرة وبينهم* وعن ابن لهيعة ان المقوقس قال لعمرو وانا لنجد في كتابنا أن ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين فقبر فيها ممن عرف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة نفر عمرو بن العاص السهمي وعبد الله بن حذافة السهمي وعبد الله بن جزء الزبيدي وأبو بصيرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني ويقال ومسلمة بن مخلد الانصاري انتهى ويقال ان عامرا هو الذي كان أول من دفن بالقرافة قبره الآن تحت حائط مسجد الفتح الشرقي وقالت فيه امرأة من العرب

قامت بواكيه على قبره * من لي من بعدك ياعامر
تركتني في الدار ذا غربة * قد ذل من ليس له ناصر

وروي أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخ مصر من حديث حرملة بن عمران قال حدثني عمير بن أبي مدرك الخولاني عن سفيان بن وهب الخولاني قال بينا نحن نسير مع عمرو بن العاص في سفح هذا الجبل ومعنا المقوقس فقال له عمرو يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو بلاد الشام فقال لا أدري ولكن الله أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك ولكنه نجد تحته ماهو خير من ذلك قال وما هو قال ليدفنن تحته أو ليقبرن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم قال عمرو اللهم اجعلني منهم قال حرملة بن عمران فرأيت قبر عمرو بن العاص وقبر أبي بصيرة وقبر عقبة بن عامر فيه وخرج أبو عيسي الترمذي من حديث أبي طيبة عبد الله بن مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه من مات من أصحابي بأرض بعث قائدا لهم ونورا يوم القيامة وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي القرافة هم بنو غصن بن سيف بن وائل بن المغافر وفي نسخة بنو غصن وقال أبو عمرو الكندي بنو جحض بن سيف بن وائل بن الجيزي بن شراحيل بن المغافر بن يعفر وقيل ان قرافة اسم أم عزافر وجحض ابني سيف بن وائل

ابن الجيزي قد صحف القضاعي في قوله غصن بالغين المعجمة والاقرب ماقاله الكندى لانه اقعد بذلك وقال ياقوت والقرافة بفتح القاف وراء مخففة وألف خفيفة وفاء الاول مقبرة بمصر مشهورة مسماة بقبيلة من المغافر يقال لهم بنو قرافة الثاني القرافة محلة بالاسكندرية منسوبة الى القبيلة أيضاً وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب النقط وقد ذكر جامع القرافة الذي يقال له اليوم جامع الاولياء وكان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون في ليالى الصيف يحدثون في القمر في صحنه وفى الشتاء ينامون عند المنبر وكان يحصل لقيمه الاشربة والحلوى والجرايات وكان الناس يحبون هذا الموضع ويلزمونه لاجل من يحضر من الرؤساء وكانت الطفيلية يلزمون المبيت فيه ليالى الجمع وكذلك أكثر المساجد التى بالقرافة والجبل والمشاهد لاجل مايحمل اليها ويعمل فيها من الحلاوات والاحومات والاطعمة وقال موسى بن محمد بن سعيد فى كتاب المعرب عن أخبار المغرب وبت ليالي كثيرة بقرافة الفسطاط وهى في شرقيها بها منازل الاعيان بالفسطاط والقاهرة وقبور عليها مبان معتني بها وفيها القبة العالية العظيمة المزخرفة التى فيها قبر الامام الشافعى رضى الله عنه وبها مسجد جامع وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافعية ولا تكاد تخلو من طرب ولا سيما في الليالى المقمرة وهى معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر منتزهاتهم وفيها أقول

ان القرافة قد حوت ضدين من * دنيا وأخرى فهى نعم المنزل
يغشى الخليع بها السماع مواصلا * ويطوف حول قبورها المتبتل
كم ليلة بتنا بها ونديمنا * لحن يكاد يذوب منه الجندل
والبدر قد ملأ البسيطة نوره * فكأنما قد فاض منه جدول
وبدا يضاحك أوجهاً حاكينه * لما تكامل وجهه المتهلل

وفوق القرافة من شرقيها جبل المقطم وليس له علو ولا عليه اخضرار وانما يقصد للبركة وهو نبيه الذكر في الكتب وفي سفحه مقابر أهل الفسطاط والقاهرة والاجماع على انه ليس في الدنيا مقبرة أعجب منها ولا أبهى ولا أعظم ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجرها ولا أعجب تربة منها كأنها الكافور والزعفران مقدسة في جميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها وقال شافع بن علي

تعجبت من أمر القرافة اذ غدت * على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو
فالفيتها مأوى الاحبة كلهم * ومستوطن الاحباب يصبو له القلب

وقال الاديب أبو سعيد محمد بن احمد العميدى

اذاماضاق صدري لم اجد لي * مقر عبادة الا القرافه
لئن لم يرحم المولى اجتهادي * وقلة ناصري لم ألق رافه

واعلم أن الناس في القديم انما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم واتخذوا الترب الجليلة أيضاً فيما بين مصلي خولان وخط المغافر التى موضعها الآن كيمان تراب وتعرف الآن بالقرافة الكبرى فلما دفن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ابنه فى سنة ثمان وستمائة بجوار قبر الامام محمد بن ادريس الشافعي وبني القبة العظيمة على قبر الشافعي وأجرى لها الماء من بركة الحبش بقناطر متصلة منها نقل الناس الابنية من القرافة الكبرى الى ماحول الشافعي وانشأوا هناك الترب فعرفت بالقرافة الصغرى وأخذت عمائرها فى الزيادة وتلاشى أمر تلك وأما القطعة التى تلي قلعة الجبل فتجددت بعد السبعمائة من سني الهجرة وكان مابين قبة الامام الشافعي رحمة الله عليه وباب القرافة ميدانا واحدا تتسابق فيه الامراء والاجناد ويجتمع الناس هنالك التفرج على السباق فتصير الامراء تسابق على حدة والاجناد تسابق فى جهة وهم منفردون عن الامراء والشرط فى السباق من تربة الامير بيدرا الى باب القرافة ثم استجد أمراء دولة الناصر محمد بن قلاون في هذه الجهة الترب فبني الامير يلبغا التركماني والامير طقتمر الدمشقي والامير قوصون وغيرهم من الامراء وتبعهم الجند وسائر الناس فبنوا الترب والخوانك والاسواق والطواحين و الحمامات حتى صارت العمارة من بركة الحبش الى باب القرافة ومن حدمساكن مصر الى الجبل وأنقسمت الطرق فى القرافة وتعددت بها الشوارع ورغب كثير من الناس فى سكناها لعظم القصور التى أنشئت بها وسميت بالترب ولكثرة تماهد أصحاب الترب لها وتواتر صدقاتهم ومبراتهم لاهل القرافة وقد صنف الناس فيمن قبر بالقرافة واكثروا من التأليف في ذلك ولست بصدد شيء مما صنفوا في ذلك وانما غرضي أن أذكر ماتشتمل عليه القرافة * وفى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ظهر بالقرافة شيء يقال له القطربة تنزل من جبل المقطم فاختطفت جماعة من أولاد سكانها حتى رحل أكثرهم خوفا منها وكان شخص من أهل كبارة مصر يعرف بحميد الفوال خرج من اطفيح على حماره فلما وصل الى حلوان عشاء رأى امرأة جالسة على الطريق فشكت اليه ضعفا وعجزا فحملها خلفه فلم يشعر بالحمار الا وقد سقط فنظر الى المرأة فاذا بها قد أخرجت جوف الحمار بمخاليبها ففر وهو يعدو الى و الى مصر وذكر له الخبر فخرج بجماعته الى الموضع فوجد الدابة قد أكل جوفها ثم صارت بعد ذلك تتبع الموتى بالقرافة وتنبش قبورهم وتأكل أجوافهم وتتركهم مطروحين فامتنع الناس من الدفن فى القرافة زمنا حتى انقطعت تلك الصورة

(ذكر المساجد الشهيرة بالقرافة الكبيرة)

اعلم ان القرافة بمصر اسم لموضعين القرافة الكبيرة حيث الجامع الذى يقال له جامع الاولياء والقرافة الصغيرة وبها قبر الامام الشافعي وكانتا في أول الامر خطتين لقبيلة من اليمن هم من المغافر بن يعفر يقال لهم بنو قرافة ثم صارت القرافة الكبيرة جبانة وهى حيث مصلى خولان والبقعة وما هو حول جامع الاولياء فانه كان يشتمل على مساجد وربط وسوق وعدة مساكن منها ماخرب ومنها ما هوباق وسترى من ذلك مايتيسر ذكره

(مسجد الاقدام)

هذا المسجد بالقرافة بخط المغافر قال القضاعي ذكر الكندي أن الجند بنوه وليس من الخطط وسمى بالاقدام لان مروان بن الحكم لما دخل مصر وصالح أهلها وبايعوه امتنع من بيعته ثمانون رجلا من المغافر سوي غيرهم وقالوا لانكث بيعة ابن الزبير فأمر مروان بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم على بئر بالمغافر في هذا الموضع فسمى المسجد بهم لانه بنى على آثارهم والآثار الاقدام يقال جئت على قدم فلان أى على أثره وقيل بل أمرهم بالبراءة من علي بن أبي طالب رضى الله عنه فلم يتبرؤا منه فقتلهم هناك وقيل انما سمى مسجد الاقدام لان قبيلتين اختلفتا فيه كل تدعى انه من خطتها فقيس مابينه وبين كل قبيلة بالاقدام وجعل لاقربهما منه والقديم من هذا المسجد هو محرابه والاروقة المحيطة به وأما خارجه فزيادة الاخشيد والزيادة الجديدة التي في بحريه لسمعون الملقب بسهم الدولة متولى الستارة وكان من أهل السنة والخير ويقال انما سمى مسجد الاقدام لانه كان يتداوله العباد وكانت حجارته كذانا فأثر فيها موضع أقدامهم فسمى لذلك مسجد الاقدام

(مسجد الرصد)

هذا المسجد بناه الافضل أبو القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى بعد بنائه للجامع المعروف بجامع الفيلة لاجل رصد الكواكب بالآلة التي يقال لها ذات الحلق كما ذكر فيما تقدم

(مسجد شقيق الملك)

هذا المسجد بجوار مسجد الرصد بناه شقيق الملك خسروان صاحب بيت المال أحد خدام القصر فى أيام الخليفة الحافظ لدين الله في سنة احدى وأربعين وخمسمائة وعمل فيه للحافظ ضيافة عظيمة حضر فيها بنفسه ومعه الامراء والاستاذون وكافة الرؤساء وكان فيه كرم وسمو همة وكان لمساجد القرافة والجبل عنده روزنامج بأسماء أربابها فينفذ اليهم في أيام العنب والتين لكل مسجد قفص رطب ويرسل في كل ليلة من ليالى الوقود لكل مسجد خروف شواء وسطل جوذاب وجام حلوى ولا سيما اذا كان بائتا فى هذا المسجد فانه

لا يأكل حتى يسير ذلك لمن اسمه عنده وكان يعمل جفان القطائف المحشوة باللوز والسكر والكافور والمسك وفيها مافيه بدل اللوز الفستق ويستدعى من لايقدر على ذلك من أهل الجبل والقرافة وذوى البيوت المنقطعين ويأمر اذا حضروا بسكب الحلوى والشيرج عليه بالجرار ويأمرهم بالاكل منه والحمل معهم وكان أحبهم اليه من يأكل طعامه ويستدعى بره وانعامه رحمه الله

* (مسجد الانطاكي) *

هذا المسجد كان أيضاً بالرصد وما برحت هذه المساجد الثلاثة بالرصد يسكنها الناس الى مابعد سنة ثمانين وسبعمائة ثم خربت وصار الرصد من الاماكن المخوفة بعد ماأدركته منتزها للعامة

* (مسجد التارنج) *

هذا المسجد عامر الى يومنا هذا فيما بين الرصد والقرافة الكبرى بجانب سقاية ابن طولون المعروفة بفسقية الكبرى غربيها الى البحرى قليلا وهو المطل على بركة الحبش شرقي السكنى وقبلي القرافة بنته الجهة الآمرية المعروفة بجهة الدار الجديدة في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة أخرجت له اثني عشر ألف دينار على يد الاستاذين افتخارا لدولة يمن ومعز الدولة الطويل المعروف بالوحش وتولى العمارة والانفاق عليه الشريف أبو طالب موسي بن عبد الله بن هاشم بن مشرف بن جعفر بن المسلم بن عبيد الله بن جعفر بن محمد ابن ابراهيم بن محمد اليمانى بن عبيدالله بن موسى الكاظم الحسينى الموسوى المعروف بابن أخي الطيب بن أبى طالب الوراق وسمي مسجد التارنج لان تارنجه لاينقطع أبدا

* (مسجد الاندلس) *

هذا المسجد في شرقي القرافة الصغرى بجانب مسجد الفتح في الموضع الذى يعرف عند الزوار بالبقعة وهو مصلى المغافر على الجنائز ويقال انه بني عند فتح مصر وقيل بني في خلافة معاوية بن أبى سفيان ثم بنته جهة مكنون واسمها علم الآمرية أم ابنة الآمر التى يقال لها ست القصور في سنة ست وعشرين وخمسمائة على يد المعروف بالشيخ أبى تراب

* (وجهة مكنون) هذه كان الخليفة الآمر بأحكام الله كتب صداقها وجعل المقدم منه أربعة عشر ألف دينار وكان لها صدقات وبر وخير وفضل وعندها خوف من الله وكانت تبعث الى الاشراف بصلات جزيلة وترسل الى أرباب البيوت والمستورين أموالا كثيرة ولما وهب الآمر لهزار الملوك ولبرغش فى كل يوم مائتي ألف دينار عينا لكل منهما مائة ألف دينار حضر اليها عشاء على عادته فأغلقت باب مقصورتها قبل دخوله وقالت له والله ماتدخل الي أو تهب لي مثل ماوهبت لواحد من غلاميك فقال الساعة ثم استدعي بالفراشين فحضروا فقال

هاتوا مائة ألف دينار الساعة ولم يزل واقفا الى أن حضرت عشرة كيسة في كل كيس عشرة آلاف دينار ويحمله عشرة من الفراشين ففتحت له الباب ودخل اليها ومكنون هـذا هو الاستاذ الذى كان برسم خدمتها ويقال له مكنون القاضى لسكونه وهدئه وكان فيه خير وبر كبير وبجانب مسجد الاندلس هذا رباط من غربيه بنته جهة مكنون هذه في سنة ست وعشرين وخمسمائة برسم العجائز الارامل فلما كان فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة بني الحاجب لؤلؤ العادلى برحبة الاندلس والرباط بستانا وأحواضا ومقعدا وجمع بين مصلى الاندلس وبين الرباط بحائط بينهما وعمل ذلك لحلول العفيف حاتم بن مسلم المقدسى الشافعي به ولمامات السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى بدمشق فى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة وقام من بعده في السلطنة ابنه الملك السعيد محمد بركة خان عمل لابيه عزاء بالاندلس هذا فاجتمع هناك القراء والفقهاء وأقيمت المطابخ وهيئت المطاعم الكثيرة وفرقت على الزوايا ومدت أسمطة عظيمة بالخيام التى ضربت حول الاندلس فأكل الناس على اختلاف طبقاتهم وقرأ القراء ختمة شريفة وعد هذا الوقت من المهمات العظيمة المشهورة بديار مصر وكان ذلك فى المحرم سنة سبع وسبعين وستمائة على رأس سـنة من موت الملك الظاهر فقال في ذلك القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر

ياايها النـاس اسمعوا * قولا بصدق قدكسى
ان عزا السلطان في * غرب وشرق مانسى
أليس ذا مأتمـــه * يعمل في الاندلس

ثم عمل بعد ذلك مجتمع فى المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعي من القرافة ومجتمع بجامع ابن طولون ومجتمع بجامع الظاهر من الحسينية خارج القاهرة ومجتمع بالمدرسة الظاهرية بين القصرين ومجتمع بالمدرسة الصالحية ومجتمع بدار الحديث الكاملية ومجتمع بالخانقاه الصلاحية لسعيد السعداء ومجتمع بالجامع الحاكمى وأقيم فى كل واحد من هـذه المجتمعات الاطعمة الكثيرة وعمل للتكاررة خوان وللفقراء خوان حضره كثير من أهـل الخير والصلاح فقيل فى ذلك

فشكرا لها أوقات بر تقبلت * لقد كان فيها الخير والبر أجمعا
لقد عمت النعمى بها كل موطن * سقتها الغوادى مربعاثم مربعا
ولما مضى السلطان لم يمض جوده * وخلف فينـا بره متنوعا
فتى عيش في معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
فـدام له منـا الدعاء مكررا * مدى دهرنا والله يسمع من دعا

* (مسجد البقعة) *

هذا المسجد مجاور لمسجد الفتح من غربيه بناه الامير أبو منصور صافي الافضلي

* (مسجد الفتح) *

هذا المسجد مشهور بجوار قبر الناطق بناه شرف الاسلام سيف الامام يانس الرومى وزير مصر وسمى بالفتح لان منه كان انهزام الروم الى قصر الشمع حين قدم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود فيمن سواهما مددا لعمرو بن العاص وكان الفتح ويقال ان محرابه اللطيف الذى بجانبه الشرقي قديم وان تحت حائطه الشرقي قبر عامر الذى كان أول من دفن بالقرافة ومحراب مسجد الفتح منحرف عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب انحرافا كثيرا كما ذكر عند ذكر محاريب مصر من هذا الكتاب واستشهد يومئذ جماعة دفنوا في مجرى الحصا فكان يرى على قبورهم فى الليل نور

* (مسجد أم عباس جهة العادل بن السلار) *

هذا المسجد كان بجوار مصلي خولان بالمغافر غربى المقابر بنته بلاوة زوج العادل ابن السلار سلطان مصر في خلافة الظافر سنة سبع وأربعين وخمسمائة على يد المعروف بالشريف عز الدولة الرضوى بن القفاص وكانت بلاوة مغربية وهي أم الوزير عباس الصنهاجي باديسي وقد دثر هذا المسجد

* (مسجد الصالح) *

هذا المسجد كان بخط جامع القرافة المعروف بجامع الاولياء عرف بمسجد بنى عبيد الله وبمسجد القبة وبمسجد العزاء والذى بناه الصالح طلائع بن رزيك وزير مصر وكان في أعلاه مناظر وعمارته متقنة الزى وأدركته عامرا الى مابعد سنة ثمانمائة

* (مسجد ولى عهد أمير المؤمنين) *

هو الامير أبو هاشم العباس بن شعيب بن داود المهدى أحد الاقارب فى الايام الحاكية كان الى جانب مسجد الصالح وبجانبه تربته وكان المسجد من حجر وبابه محمول على أربع حنايا وتحت الحنايا باب المسجد وفي شرقيه أيضاً أربع حنايا وكانت دار أبى هاشم هذا بمصر دار الافراح ومن ولده الشريف الامير الكبير أبو الحسن على ابن الامير عباس بن شعيب ابن أبى هاشم المذكور ويعرف بالشريف الطويل وبالنباش

*(مسجد الرحمة) *

هذا المسجد كان في صدر القرافة الكبري بالقرب من تربة ركن الاسلام محمود ابن أخت الملك الصالح طلائع بن رزيك قال الكندى ومنها مسجد القرافة وهم بنو محصن ابن سيف بن وائل بن الجيزى قبلى القرافة على يمينك اذا أممت مسجد الاقدام مقابله

فسقية صغيرة وله منارة يعرف بمسجد الرحمة وعرف هذا المسجد بأبي تراب الصواف وكيل الجهة التى بنت مسجد الاندلس ورباطه ومسجد رقية وأبو تراب هذا تولى بناءه وكان يقوم بخدمته الشيخ نسيم وأبو تراب هو الذى أخرج اليه ولد الآمر في قفة من خوص فيها حوائج طبيخ من كراث وبصل وجزر وهو طفل فى القماط في أسفل القفة والحوائج فوقه ووصل به الى القرافة وأرضعته المرضعة بهذا المسجد وخفى أمره عن الحافظ حتى كبر وصار يسمى قفيفة فلما حان نفعه نم عليه أبو عبد الله الحسين بن أبى الفضل عبد الله بن الحسين الجوهرى الواعظ بعد مامات الشيخ أبو تراب عند الحافظ فأخذ الصبي وفصده فمات وخلع على ابن الجوهري ثم نفي الى دمياط فمات بها في جمادى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

* (مسجد مكنون) *

هو بجانب مسجد الرحمة بناه الاستاذ مكنون القاضى الذى تقدم ذكره فى مسجد الاندلس

* (مسجد جهة ريحان) *

هذا المسجد كان فى وجه مسجد أبي تراب قبالة دار البقر من القرافة الكبرى وجدده أستاذ الجهة الحافظية واسمه ريحان فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة

* (مسجد جهة بيان) *

هذا المسجد كان في بطحاء مسجد الاقدام بجوار ترب المادرانيين بنته الجهة الحافظية المعروفة بجهة بيان الحسامى على يد أبي الفضل الصعيدى المعروف بابن الموفق وحكى الخليفة عن هذه الجهة خبراً عجيباً قال القاضى المكين أبو الطاهر اسماعيل بن سلامة قال لى أمير المؤمنين الحافظ يوما ياقاضي أبا الطاهر قلت لبيك ياأمير المؤمنين قال أحدثك بحديث عجيب قلت نعم قال لما جرى من أبي على بن الافضل ماجرى بينا أنا في الموضع الذى كنت معتقلا فيه رأيت كأنى قد جلست في مجلس من مجالس القصر أعرفه وكأن الخلافة قد أعيدت الي وكأن المغنيات قد دخلن يهنينني ويغنين بين يدى وفي جملتهن جارية معها عود يعني هذه الجارية المذكورة فأنشأت تغني قول أبي العتاهية

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ولو نالها أحد غيره * لزلزلت الارض زلزالها

وكأنى قمت الى خزانة بالمجلس أخذت منها حقة فيها جوهر فملأت فمها منه ثم استيقظت فو الله ياقاضي ما كان الا يومان حتى كسر على الحبس لما قتل أبو على بن الافضل وقيل لى السلام على أمير المؤمنين فلما خرجت وأقمت أياما جلست في ذلك المجلس الذي رأيته في النوم ودخل الجوارى يهنينني فغنت احداهن وهي ذات عود ذلك الصوت بعينه فقلت لها

على رسلك حتى نقضى نحن ايضاً من حقك مايجب علينا وقمت الى الخزانة وأخـذت الحق الذى فيه الجوهر ثم جئت اليها وقلت لها افتحى فاك ففتحته و حشوته جوهراً وقلت لها ان لك علينا في كل سنة في مثل هذا اليوم مثل ذلك

* (مسجد توبة) *

هو ابن ميسرة الكتامي مغنى المستنصر كان في شرقى الاقهوب وقبالته تربة تنسب الى الطبالة صاحبة أرض الطبالة وكلاهما في القرافة الكبرى

* (مسجد درى) *

هذا المسجد كان في القرافة الكبرى في رحبة الاقهوب بناه شهاب الدولة درى غلام المظفر أخى الافضل بن أمير الجيوش في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وكان أرمنيا فأسلم وصار من المتشددين في مذهب الامامية وقرأ الجمل للزجاجى في النحو واللمع لابن جنى وكانت له خرائط من القطن الابيض يلبسها في يديه ورجليه وكان يتولى خزائن الكسوات ولا يدخل على بسط السلاطين ولا على بسط الخليفة الحافظ لدين الله ولا يدخل مجلسه الا بالخرائط في رجليه ولا يأخذ من أحد رقعة الا وفي يده خريطة يظن أن من لمسه نجسه وسوسة منه فان اتفق أنه صافح أحدا أو أمسك رقعة بيده من غير خريطة لايمس ثوبه ولا بدنه حتى يغسلها فان مس ثوبه غسل الثوب وكان الاستاذون يعبثون به ويرمون في بساط الخليفة الحافظ العنب فاذا مشى عليه وانفجر ووصل ماؤه الى رجليه سبهم وحرد فيضحك الخليفة ولا يؤاخذه وعمل مرة الوزير رضوان بن ولخشي دواة حليتها ألف دينار مرصعة فدخل عليه شهاب الدولة درى الصغير هذا وقد أحضرت الدواه المذكورة فقال له يامولانا أحسن من مداد هذه الدواة ووقع على هذه فيكون ذلك زكاتها اذ الله فيه رضا ولنبيه وناوله رقعة الشريف القاضى سنا الملك أسعد الجوانى النحوى يطلب فيها راتباً لابنه الشريف أبي عبد الله محمد في الشهر ثلاثة دنانير فوقع عليهـا فلما كان في الليل رأى في نومه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو يقول جزاك الله خيراً على فعلك اليوم

* (مسجد ست غزال) *

هذا المسجد كان في القرافة الكبرى بجوار تربة النعمان بنته ست غزال في سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت غزال هذه صاحبة دواة الخليفة لاتعرف شيئاً الا احكام الدوى والليق ومسح الاقلام والدواة وكان برسم خدمتها الاستاذ مأمون الدولة الطويل

* (مسجد رياض) *

هو لوقافة الحافظ لدين الله كانت تقف بين يديه بالقصر وكان بجوار المصنعة الصغرى الطولونية التى يجئ الماء اليها من عفصة الكبرى وكان فيه خوش به عدة بيوت للنساء المنقطعات

* (مسجد عظيم الدولة) *

هذا المسجد كان معلقا بخط سوق القرافة الكبرى وكان عظيم الدولة هذا صقلبياً صاحب الستر و حامل المظلة وكان بجوار هذا المسجد مسجد التمساح ومسجد السدرة ومسجد جهة مراد وكان القاضى أبو عبد الله محمد بن أبى الفرج هبة الله بن الميسر لما عمل قدامه منارة النحاس الرومية ذات السواعد واجتاز بها من تحت سدرة المسجد في ليلة الوقود نصف شهر رجب سنة ثلاثين وخمسمائة عاقتها السدرة فأمر بقطع بعضها فقيل له لاتفعل فان قطع السدر محذور وقد روى أبو داد في كتاب السنن له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار فقطعها على ركوب نصف شعبان فما أسنى وصرف في المحرم ونفى الى تنيس وقتل

* (مسجد أبي صادق) *

هذا المسجد كان غربى مسجد الاقدام بناه ابن سعدون ابو الحسن على بن محمد البغدادى بعد سنة عشرين وأربعمائة وجدده أخوه أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن ن سعدون البغدادى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وهو مسجد أبي صادق مرشد المديني المالكى المحدث وكان قارئ المصحف بالجامع ومصلياً به ومصدرا فيه لاقراء السبع وكان فيه حنة على الحيوانات لاسيما على القطط والكلاب وكان مشارف الجامع وجعل عليه جاريا من الغدد كل يوم لأجل القطط وكان عند داره بزقاق الاقفال من مصر كلاب يطعمها ويسقيها وربما تبع دابته منها شئ يمشى معه في الاسواق قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط على الخطط حدثنى الشيخ منجب غلام أبي صادق قال كان لمولاى الشيخ أبي صادق كلب لايفارقه أبداً اذا كان راكباً يمشي خلفه فاذا وقفت بغلته قام تحت يديها فاذا رآه الناس قالوا هذا أبو صادق وكلبه وحدثنى قال ولدت كلبة فى مستوقد حمام وكان المؤذن يأتي خلف مولاى سحراً كل يوم لقراءة المصحف وكان مولاي يأخذ فى كمه كل يوم رغيفا فاذا حاذى موضع الكلبة قلع طيلسانه وقطع الخبز للكلبة ويرمي لها بنفسه الى أن تأكل ثم يستدعي الوقاد ويعطيه قيراطا ويقول له اغسل قدحها واملاه ماء حلوا ويستحلفه على ذلك فلما كبر أولادها صار يأخذ بعد رغيفين الى أن كبروا وتفرقوا وحدثنى قال كان قدجعل كراءحانوت برسم القطاط بالجامع العتيق من الاحباس وكان يؤتي بالغدد مقطعة فيجلس ويقسم عليها وان قطة كانت تحمل شيئاً من ذلك وتمضيبه وفعلت ذلك مرارا فقال مولاي للشيخ أبي الحسن بن فرج امض خلف هذه القطة وانظر الى أين تؤدى ذلك فمضى ابن فرج فاذا بها تؤديه الى أولادها فعاد اليه وأخبره فكان بعد ذلك يقطع غددا صغارا على قدر مساغ القطط الصغار وغددا كبارا للكبار ويرسل بجزء الصغار اليهم الى أن كبروا

(مسجد الفراش)

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى بناه أحمد فراش الافضل بن أمير الجيوش وبجواره مسجد بناه زيد بن حسام ومسجد الاجابة القديم وتربة العطار ودار البقر وقناطر الاطفيحي كل ذلك بالقرب من جامع القرافة

(مسجد تاج الملوك)

هذا المسجد قدام دار النعمان وتربته من القرافة الكبرى بناه تاج الملوك بدران بن أبي الهيجاء الكردي الماردانى وهو أخو سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء صهر بنى رزيك وكان مجتمع أهل مصر عنده في الاعياد والمواسم وليالى الوقود

(مسجد الثمار)

هذا المسجد كان ملاصقا للزيادة التى فى بحرى مسجد الاقدام وفيه قبور بني الثمار

(مسجد الحجر)

هذا المسجد كان بحرى مسجد عمار بن يونس مولى المغافر وشرقي قصر الزجاج من القرافة الكبري بنته مولاة على بن يحيي بن طاهر المعروف بابن أبي الخارجي الموصلى في ربيع الاول سنة ثلاثين وأربعمائة

(مسجد القاضى يونس)

هذا المسجد كان غربى مسجد الحجر المذكور بناه الشيخ عبد الملك بن عثمان صاحب دار الضيافة ثم صار بيد قاضى القضاة بمصر الموفق كمال الدين أبى الفضائل يونس ابن محمد بن الحسن المعروف بجوامرد خطيب القدس القرشي وكان من الاعيان ولم يشرب قط من ماء النيل بل من ماء الآبار ولم يأكل قط للسلطان خبزا وكان يروى الحديث عن جده

(مسجد الوزيرية)

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى وله منارة بجوار باب رباط الحجازية وكانت الحجازية واعظة زمانها وكانت من الخيرات لها القبول التام وتدعي أم الخير وكان لها من الصيت كما كان لابن الجوهرى وكانت على غاية من الكرم وحسن الاخلاق والشيم ومن مكارم أخلاقها وحسن طباعها وكياسة انطباعها ماحكاه الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط قال حدثني الشيخ أبو الحسن بن السراج المؤذن بالجامع بمصر قال كان قدام الباب الاول من أبواب جامع مصر بياع رطب يقعد على الارض وبين يديه أقفاص رطب من أحسن الارطاب فبينا الحجازية الواعظة هذه ذات يوم قد قاربت الخروج من باب الجامع وهى في حفدتها وجواريها واذا ذلك الرطاب ينادي على قفص رطب قدامه معاشر الناس اشتروا

الطبية الحجازية على أربعة على أربعة يريد على أربعة أرطال رطب بدرهم فلما سمته الحجازية وقفت قبل أن تخرج من باب الجامع وأنفذت اليه بعض الجواري فصاحت به فلما أتاها قالت له يا أخي قولك الحجازية على أربعة مشكل لا ترجع تنادى كذا وهذا رباعي هدية مني لك ربح هذا القفص ولا تناد كذا فأخذه وقبل يدها وقال السمع والطاعة

(مسجد ابن العكر)

هذا المسجد غربي مسجد أبي صادق بحضرة مسجد الاقدام قبالة قصر الكتفي وبحذاء مسجد النارنج بناه القاضى العادل بن العكر

(مسجد ابن كباس)

هـذا المسجد كان مجاورا للقناطر الاطفيحية على يسار من أم طريق الجامع بناه القاضى ابن كباس

(مسجد الشهمية)

هذا المسجد كان شرقي مسجد الاقدام وغربي قناطر ابن طولون مجاورا لتربة القاضى ابن قابوس كان يعرف بمسجد الفقاعة من الكلاع ويعرف أيضاً بمسجد شادن الفضلى غلام الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات

(مسجد زنكادة)

هذا المسجد كان غربي مسجد عمار بن يونس بناه زنكادة المخنث بعد ما تاب في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

(جامع القرافة)

هذا الجامع يعرف اليوم بجامع الاولياء وهو مسجد بني عبد الله بن مانع بن مزروع ويعرف بمسجد القبة وقد ذكر عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب

(مسجد الاطفيحي)

هذا المسجد كان في البطحاء بجري مجرى جامع القيلة الى الشرق مخالطا لخطط الكلاع ورعين والاكنوع والاكحول ويقال له مسجد وحاطة بن سعد الاطفيحي من أهل اطفيح شيخ له سمت وكتب الحديث في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وما قبلها وسمع من الحبال وهو في طبقته وهو رفيق الفراء وابن مشرف وابن الحطيئة وأبي صادق وسلك طريق أهل القناعة والزهد والعزلة كأبي العباس ابن الحطية وكان الافضل الكبير شاهنشاه صاحب مصر قد لزمه واتخذ السعي اليه مفترضاً والحديث معه شهوة وغرضا لا ينقطع عنه وكان فكه الحديث قد وقف من أخبار الناس والدول على القديم والحديث وقصده الناس لاجل حلول السلطان عنده لقضاء حوائجهم فقضاها وصار مسجده موئلا للحاضر والبادى وصندى

لاجابة صوت النادى وشكا الشيخ الى الافضل تعذر الماء ووصوله اليـه فأمر ببناء القناطر التي كانت في عرض القرافة من المجرى الكبيرة الطولونيـة فبنيت الى المسجـد الذى به الاطفيحى ومضى عليها من النفقة خمسة آلاف دينار وعمـل الاطفيحي صهريج ماء شرقى المسجد عظيما محكم الصنعة وحماما وبستانا كان به نخلة سقطت بعد سـنة خمسين وخمسمائة وعمل الافضل له مقعدا بحذاء المسجد الي الشرق علو زيادة فى المسجد شرقيه وقاعة صغيرة مرخمة اذا جاء عنده جلس فيها وخلا بنفسه واجتمع معه وحادثه وكان هـذا المقعد على هيئة المنظرة بغير ستائر كل من قصد الاطفيحي من الكتبى يراه وكان الافضل لايأخذه عنه القرار يخرج في أكثر الاوقات من دار الملك باكرا أو ظهراً أو عصراً بغتة فيترجل ويدق الباب وقارا للشيخ كما كان الصحابة رضي الله عنهـم يقرعون أبواب النبى صلى الله عليه وسلم بظفر الابهام والمسبحة كما يحصب بهما الحاصب فان كان الشيخ يصـلى لايزال واقفا حتي يخرج من الصلاة ويقول من فيقول ولدك شاهنشاه فيقول نعم ثم يفتح فيصافحه الافضل ويمر بيده التي لمس بها يد الشيخ علي وجهه ويدخـل فيقول الشيخ نصرك الله أيدك الله سددك الله هذه الدعوات الثلاث لاغير أبدا فيقول الافضل آمين وبني له الافضل المصلي ذات المحاريب الثلاثة شرقى المسجد الى القبلي قليلا ويعرف بمصـلى الاطفيحي كان يصلى فيه على جنائز موتى القرافة وكان سبب اختصاص الافضل بهـذا الشيخ انه لما كان محاصرا نزار بن المستنصر بالاسكندرية وناصر الدولة افتكين الارمنى أحد مماليك امير الجيوش بدر وكانت أم الافضل اذ ذاك وهى عجوز لها سمت ووقار تطوف كل يوم وفى الجمعة الجوامع والمساجد والرباطات والاسواق وتستقص الاخبار وتعلم محب ولدها الافضل من مبغضه وكان الاطفيحي قد سمع بخبرها فجاءت يوم جمعة الى مسجده وقالت له ياسيدي ولدى في العسكر مع الافضـل الله يأخذ لى الحق منه فانى خائفـة على ولدى فادع الله لي أن يسلمه فقال لها الشيخ ياأمة الله أما تستحيين تدعين على سلطان الله فى أرضه المجاهـد عن دينه الله تعالى ينصره ويظفره ويسلمه ويسـلم ولدك ماهو ان شاء الله الا منصور مؤيد مظفر كأنك به وقد فتح الاسكندرية وأسر أعداءه وأتي على أحسـن قضية وأجمل طوية فلا تشغلى لك سرّا فما يكون الا خيرا ان شاء الله تعالى ثم انها اجتازت بعد ذلك بالفار الصيرفى بالقاهرة بالسراجين وهو والد الامير عبـد الـكريم الآمرى صاحب السيف وكان عبـد الـكريم قد ولى مصر بعد ذلك في الايام الحافظية وكان عبد الـكريم هذا له في ايام الآمر وجاهة عظيمة وصولة ثم افتقر فوقفت أم الافضل على الصيرفي تصرف دينـارا وتسمع ما يقول لانه كان اسماعيليا متغاليا فقالت له ولدى مع الافضل وما ادرى ماخبره فقال لها الفاه المذكور لعن الله المذكور الارمني الـكلب العبد السوء ابن العبد السوء مضي يقاتل مولار

ومولى الخلق كأنك والله ياعجوز برأســه جائزا من ها هنـا على رمح قـدام مولاه نزار ومولاى ناصر الدولة ان شاء الله تعـالى والله يلطف بولدك من قال لك تخليه يمضي مع هذا الـكلب المنافق وهو لايعرف من هى ثم وقفت على ابن بابان الحلبي وكان بزازا بسوق القاهرة فقالت له مثل ماقالت للفار الصيرفي وقال لها مثل ماقال لها فلما أخذ الافضل نزارا وناصر الدولة وفتح الاسكندرية حدثته والدته الحـديث وقالت ان كان لك أب بعد أمير الجيوش فهذا الشيخ الاطفيحى فلما خلع عليــه المستعلى بالقصر وعاد الى دار الملك بمصر اجتاز بالبزازين يوما فلمانظر الى ابن بابان الحلبي قال انزلوابهذا فنزلوا به فقال رأسه فضربت عنقه تحت دكانه ثم قال لعبد على أحد مقدمي ركابه قف ها هنا لايضيع له شئ الى أن يأتى أهله فيتسلموا قماشه ثم وصل الى دكان الفار الصيرفي فقال انزلوا بهذا فنزلوا به فقال رأسه فضربت عنقه تحت دكانه وقال ليوسف الاصغر أحد مقدمى الركاب اجلس على حانوته الى أن يأتى أهله ويتسلموا موجوده واياك وماله وصندوقه وان ضاع منه درهم ضربت عنقك مكانه كان لنا خصم أخذناه وقد فعلنا به مايردع غيره عن فعله ومالنا ماله ولا فقر أهله ثم اتى الافضل الى الشيخ أبي طاهر الاطفيحي وقربه وخصصه الى أن كان من أمره ماشرحناه

* (مسجد الزيات) *

هذا المسجد مجاور بيت الخواص غربيه ومسجد ابن أبي الرداد يعرف بمسجد الانطاكى ومسجد الفاخورى يعرف بمسجد البطحاء ومسجد ابن أبى الصغير قبلي مسجد بني مانع وهو جامع القرافة ومسجد الشريفة بني فى سنة احدى وخمسمائة ومسجد ابن أبي كامل الطرابلسى كان بحارة الفرن بناه الاعز بن أبى كامل والمعبد الذى كان على رأس العقبة التى يتوصل منها الى الرصد بناه أبو محمد عبد الله الطباخ ويقال انه كان بالقرافة الـكبرى اثنـا عشر ألف مسجد

* (القصر المعروف بباب ليون بالشرف) *هذا القصر كان على طرف الجبل بالشرف الذى يعرف اليوم (٣) وجاء الفتح وهو مبني بالحجارة ثم صـار في موضعه مسجـد عرف بمسجد المقس والمقس ضيعة كانت تعرف بأم دنين سميت المقس لان العـاشر كان يقعد بها وصاحب المـكس فقلب فقيل المقس وليون اسم بلد بمصر بلغـة السودان والروم وقد ذكر المقس عند ذكر ظواهر القاهرة من هذا الـكتاب والله تعالى اعلم

* (ذكر الجواسق التى بالقرافة) *

قال ابن سيده الجوسق الحصن وقيل هو شبيه بالحصن معرب وقال الشريف محمـد ابن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط الجواسق بالقرافة والجبانة كانت تسمي القصور وكان بالقرافة قصر الـكتنى وقصر بني كعب وقصر بنى عقبـة وقصر أبى

قبيل وقصر العزيز وقصر البغدادى وقصر يشب وقصرابن كرامة

(جوسق بنى عبد الحكم) كان جوسقا كبيرا له حوش وكان في وسط القرافة بحضرة مسجد بني سريع الذي يقال له الجامع الضيق وهو أحد الجواسق الثلاثة وهو جوسق عبد الله بن عبد الحكم الفقيه الامام وجدد هذا الجوسق ابن اللهيب المغربى

(جوسق بنى غالب ويعرف ببني بابشاد) كان بالمغافر بني في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة والى جانبه قبر الشيخ أبي الحسن طاهر بن بابشاد

(جوسق ابن ميسر) كان بجوار جوسق بني غالب بناه أبو عبد الله محمد ابن القاضى أبي الفرج هبة الله وكان أبو الفرج هو الخطيب بجامع مصر ويوم الغدير وهو شافعى المذهب وهو هبة الله بن هبة الله بن الميسر وذلك فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وخمسمائة وأبو عبد الله هذا هو الذى كان بعد ذلك قاضى القضاة بمصر وهو الذى حبس القياسر التي كانت في القشاشين بمصر وكان يحمل قدامه المنارة الرومية النحاس ذات السواعد التى عليها الشمع ليالى الوقودات وكان فيه كرم سمع بأن المادرانى عمل فى أيامه الكعك الصغير المحشو بالسكر المسمي افطن له فأمر هو بعمل لب الفستق الملبس بالسكر الابيض الفانيذ المطيب بالمسك وعمل منه فى أول الحال شيأ عوض لبه لب ذهب فى صحن واحد فمضى فيه جملة وخطف قدامه تخاطفه الحاضرون ولم يعد لعمله بل الفستق الملبس وهو أول من أخرجه بمصر وكان قد سمع فى سيرة أبي بكر المادرانى انه عمل هذا الافطن له وجعل فى كل واحد خمسة دنانير ووقف استاذ على السماط فقال لاحد الجلساء افطن له وكان على السماط عدة صحون من ذلك الجنس لكن مافيهامافيه دنانير الا صحن واحد فلما رمز الاستاذ لاحد الجلساء على سماط المادرانى بقوله افطن له وأشار الى الصحن تناول الرجل منه فأصاب ذلك فاعتمد له فحصل له جملة ورآه الناس وهو اذا أكل يخرج شيأ من فه ويجمع بيده ويحط في حجره فتنبهوا وتزاحموا عليه فقيل لذلك المعمول من ذلك الوقت افطن له وقتل هذا القاضى فى تنيس فى أيام بهرام الوزير النصرانى الارمني سنة ست وعشرين وخمسمائة

(جوسق ابن مقشر) كان جوسقاً طويلا ذا تربة الى جانبه

(جوسق الشيخ أبي محمد) عامل ديوان الاشراف الطالبيين وجوسق ابن عبد المحسن بخط الاكحول وجوسق البغدادى الجرجراى كان قبره الى جانبه خرب في سنة عشرين وخمسمائة وجوسق الشريف أبي اسماعيل ابراهيم بن نسيب الدولة الكلثمي الموسوي نقيب مصر

(جوسق المادرانى) هذا الجوسق لم يبق من جواسق القرافة غيره وهو جوسق

كبير جداً على هيئة الكعبة بالقرب من مصلى خولان في بحريه على جانبه الممر من مقطع الحجارة بناه أبو بكر محمد بن علي المادراني فى وسط قبورهم من الجبانة وكان الناس يجتمعون عند هذا الجوسق فى الاعياد ويوقد جميعه فى ليلة النصف من شعبان كل سنة وقودا عظيما ويحلق القراء حوله لقراءة القرآن فيمر للناس هنا لك أوقات في تلك الليلة وفي الاعياد بديعة حسنة

(جوسق حب الورقة) كان هذا الجوسق بحضرة تربة ابن طباطبا أدركته عامرا وقد خرب فيما خربه السفهاء من ترب القرافة وجواسقها زعما منهم أن فيها خبايا وكان اكابر أمراء المغافر ومن بعدهم ومن يجري مجراهم لكل منهم جوسق بالقرافة يتنزه فيه ويعبد الله تعالى هناك وكان من هذه الجواسق ماتحته حوض ماء لشرب الدواب وفسقية وبستان وكان بالقرافة عدة قصور وهى التي تسمى بالجواسق لها مناظر وبساتين الا أن الجواسق أكثرها بغير بساتين ولا بئر بل مناظر مرتفعة ويقال لها كلها قصور

(قصر القرافة) بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله في سنة ست وستين وثلثمائة على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب هو والحمام الذى كان فى غربيه وبنت البئر والبستان المعروف بالتاج المعروف بحصن أبي المعلوم وبنت جامع القرافة ثم جدده الآمر بأحكام الله وبيضه في سنة عشرين وخمسمائة وعمل شرقى بابه مصطبة للصوفية وكان مقدمهم الشيخ أبو اسحاق ابراهيم المعروف بالمادح وكان الآمر يجلس في الطاق بالمنظر الذى بناه بأعلى القصر ويرقص أهل الطريقة قدامه وقد ذكر هذا القصر عند ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب ولم يزل هذا القصر الى ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة

ذكر الرباطات التي كانت بالقرافة)

كان بالقرافة الكبيرة عدة دور يقال للدار منها رباط على هيئة ما كانت عليه بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يكون فيها العجائز والارامل العابدات وكانت لها الجرايات والفتوحات وكان لها المقامات المشهورة من مجالس الوعظ

(رباط بنت الخواص) كان تجاه مسجد بيسد الفقيه مجلى بن جميع بن نجا الشافعي مؤلف كتاب الذخائر وقاضى القضاة بمصر

(رباط الاشراف) كان برحبة جامع القرافة يعرف بالقراء وبنى عبد الله وبمسجد القبة وهو شرقي بستان بن نصر بناه أبو بكر محمد بن على المادرانى ووقفه على نساء الاشراف

(رباط الاندلس) بنته الجهة المعروفة بجهة مكنون الآمرية كما تقدم

(رباط ابن السكارى) كان بحضرة مسجد بنى سريع المعروف بالجامع العتيق

(رباط الحجازية) بنته وحبسته على الحجازية فوزجارية على بن أحمد الجرجرای

الوزير هو والمسجد الذى تقدم ذكره

(رباط رياض) كان بجوار مسجد الحاجة رياض

* (ذكر المصليات والمحاريب التي بالقرافة) *

وكان في القرافة عدة مصليات وعدة محاريب

(منها مصلى الشريفة) كان بدرب القرافة بجدرة الجباسين وخطة الصدف بناه ابو محمد عبد الله بن الارسوفي الشامى التاجر سنة سبع وسبعين وخمسمائة

(مصلى المغافر) وهو الاندلس جدده ابن برك الاخشيدي ثم بنته جهة مكنون الآمرية فى سنة ست وعشرين وخمسمائة

(مصلي عقبة القرافة يعرف بمصلى الاندلسي) كان ذا مصطبة مربعة على يسرة الطالع الى القرافة بناه يوسف بن أحمد الاندلسى الانصارى في شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة

(مصلى القرافة) جدده الفقيه ابن الصباغ المالكى فى سنة عشرين وخمسمائة وكان بحضرة مسجد أبي تراب تجاه دار التبر

(مصلى الفتح) كان ملاصقا لمسجد الفتح بناه أبو محمد القاسي المغربى المنجم الحافظى

(مصلى جهة العادل) أبي الحسن بن السلار وزير مصر

(مصلى الاطفيحى) بجوار مسجد الاطفيحى الذى تقدم ذكره

(مصلى الجرجانى) بناه الوزير على بن أحمد الجرجاني وكانت بالقرافة الكبرى والجبانة عدة محاريب خربت كلها

(مصلى خولان) هذه المصلى عرفت بطائفة من العرب الذين شهدوا فتح مصر يقال لهم خولان وهم من قبائل اليمن واسمه نكل بن عمرو بن مالك بن زيد بن عريب وفى هذه المصلى مشهد الاعياد ويؤم الناس ويخطب لهم بها في يوم العيد خطيب جامع عمرو بن العاص وليست هذه المصلي هي التى أنشأها المسلمون عند فتح أرض مصر وانما كانت مصلى العيد فى أول الاسلام غير هذه قال القضاعى مصلى العيد كان مصلى عمرو بن العاص مقابل اليحموم وهو الجبل المطل على القاهرة فلما ولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر أمر بتحويله فحول الى موضعه المعروف اليوم بالمصلى القديم عند درب السباع ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر سنة عشر ومائتين ثم بناه أحمد بن طولون في سنة ست وخمسين ومائتين واسمه باق عليه الى اليوم * قال الكندي ولما قدم شفى الاصبحي الى مصر وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بحذاء ساقية أبي عون عند العسكر قال مالهم وضعوا مصلاهم فى الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعنى المقطم قال فقدموا مصلاهم الى موضعه الذى هو به اليوم يعنى المصلى القديم المذكور وقال الكندى ثم ضاق المصلى بالناس في امارة عنبسة بن

اسحاق الضبي على مصر في أيام المتوكل على الله فأمر عنبسة بابتناء المصلى الجديد فابتدئ بنائه في العشر الاخير من شهر رمضان سنة أربعين ومائتين وصلي فيه يوم النحر من هذه السنة * وعنبسة هو آخر عربي ولى مصر وآخر أمير صلى بالناس في المسجد وهو المصلي الذى بالصحراء عند الجارودى ثم جدده الحاكم وزاد فيه وجعل له قبة وذلك في سنة ثلاث وأربعمائة وكان أمراء مصر اذا خرجوا الى صلاة العيد بالمصلى أوقفوا جيشاً في سفح الجبل مما يلي بركة الحبش ليراعى الناس حتى ينصرفوا من الصلاة خوفا من البجة فانهم قدموا غير مرة ركابا على النجب حتي كبسوا الناس فى مصلاهم وقتلوا ونهبوا ثم رجعوا من حيث أتوا فخرج عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب غضبا لله وللمسلمين مما أصابهم من البجة فكمن لهم بالصعيد في طريقهم حتي أقبلوا كعادتهم فى أخذ الناس فى مصلى العيد فكبسهم وقتل الاعور رئيسهم بعدماأقبلواالى المصلى فى العيد فى سنة ست وخمسين ومائتين وأمير مصر أحمد بن طولون على النجب وكبسوا الناس فى مصلاهم وقتلوا ونهبوا منهم وعادوا سالمين ثم دخل العمرى الى بلاد البجة غازيا فقتل منهم مقتلة عظيمة وضايقهم فى بلادهم الى أن أعطوه الجزية ولم يكونوا أعطوا أحداً قبله الجزية وسار فى المسلمين وأهل الذمة سيرة حسنة وسالم النوبة الى أن بدأالنوبة بالغدر فى الموضع المعروف بالمريس فمال عليهم وحار بهم وخرب ديارهم وسبي منهم عالما كثيرا حتي كان الرجل من أصحابه يبتاع الحاجة من الزيات والبقال بنوبى أو نوبية لكثرتهم معهم فجاؤا الى أحمد بن طولون وشكوا له من العمرى فبعث اليه جيشاً ليحاربه فأوقع بالجيش وهزمهم وكانت لهم أنباء وقصص الي أن قتله غلامان من أصحابه وأحضرا رأسه الى أحمد ابن طولون فأنكر فعلهما وضرب أعناقهما وغسل الرأس ودفنه

* ذكر المساجد والمعابد التي بالجبل والصحراء) *

وكان بجبل المقطم وبالصحراء التى تعرف اليوم بالقرافة الصغرى عدة مساجد وعدة مغاير ينقطع العباد بها منها ماقد دثر ومنه شيء قد بقي أثره

(مسجد التنور) هذا المسجد فى أعلى جبل المقطم من وراء قلعةالجبل فى شرقيها أدركته عامرا وفيه من يقيم به * قال القضاعى المسجد المعروف بالتنور بالجبل هو موضع تنور فرعون كان يوقد له عليه فاذا رأوا النار علموا بركوبه فاتخذوا له مايريد وكذلك اذا ركب منصرفاً من عين شمس ثم بناه أحمد بن طولون مسجدا فى صفر سنة تسع وخمسين ومائتين ووجدت فى كتاب قديم أن يهودا بن يعقوب أخا يوسف عليه السلام لما دخل مع اخوته على يوسف وجرى من أمر الصواع ماجرى تأخر عن اخوته وأقام في ذروة الجبل المقطم في هذا المكان وكان مقابلا لتنور فرعون الذى كان يوقد له فيه النار ثم خلا

ذلك الموضع الى زمن أحمد بن طولون فأخبر بفضل الموضع وبمقام يهودا فيه فابتنى فيه هذا المسجد والمنارة التي فيه وجعل فيه صهريجا فيه الماء وجعل الانفاق عليه مما وقفه على البيمارستان بمصر والعين التي بالمغافر وغير ذلك ويقال ان تنور فرعون لم يزل في هذا الموضع بحاله الى أن خرج اليه قائد من قواد أحمد بن طولون يقال له وصيف قاطرميز فهدمه وحفر تحته وقدر أن تحته مالا فلم يجد فيه شيئاً وزال رسم التنور وذهب وأنشد أبو عمرو الكندى فى كتاب أمراء مصر من أبيات لسعيد القاضي

وتنور فرعون الذى فوق قلة * على جبل عال على شاهق وعر
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه * ويهدى به في الليل ان ضل من يسرى
تخال سنا قنديله وضياءه * سهيلا اذا مالاح فى الليل للسفر

(القرقوبى) قال القضاعي المسجد المعروف بالقرقوبى هو على قرنة الجبل المطل على كهف السودان بناه أبو الحسن القرقوبى الشاهد وكيل التجار بمصر في سنة خمس عشرة وأربعمائة وكان في موضعه محراب حجارة يعرف بمحراب ابن الفقاعى الرجل الصالح وهو على يسار المحراب

(مسجد أمير الامراء) رفق المستنصرى على قرنة الجبل البحرية المطلة على وادى مسجد موسى عليه السلام

(كهف السودان) مغار في الجبل لايعلم من أحدثه ويقال ان قوما من السودان نقروه فنسب اليهم وكان صغيرا مظلما فبناه الاحدب الاندلسي القزاز وزاد فى سفله مواضع نقرها وبني علوه ويقال انه أنفق فيه أكثر من ألف دينار ووسع المجاز الذى يسلك منه اليه وعمل الدرج النقر التي يصعد عليها اليه وبدأ في بنيانه مستهل سنة احدى وعشرين وأربعمائة وفرغ منه فى شعبان من هذه السنة

(العارض) هذا المكان مغارة في الجبل عرفت بأبي بكر محمد جد مسلم القاري لانه نقرها ثم عمرت بأمر الحاكم بأمر الله وأنشئت فيها منارة هى باقية الى اليوم وتحت العارض قبر الشيخ العارف عمر بن الفارض رحمه الله ولله در القائل

جزبا لقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك ياابن الفارض

وقد ذكر القضاعى أربع عشرة مغارة فى الجبل منها ماهو باق وليس في ذكرها فائدة

(اللؤلؤة) هذا المكان مسجد فى سفح الجبل باق الى يومنا هذا كان مسجدا خرابا فبناه الحاكم بأمر الله وسماه اللؤلؤة قيل كان بناؤه في سنة ست وأربعمائة وهو بناء حسن

(مسجد الهرعاء) فيما بين اللؤلؤة ومسجد محمود وهو مسجد قديم يتبرك بالصلاة فيه وقد ذكر مسجد محمود عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب لانه تقام فيه الجمعة

(دكة القضاة) قال القضاعي هي دكة مرتفعة عن المساجد في الجبل كان القضاة بمصر يخرجون اليها لنظر الاهلة كل سنة ثم بني عليهامسجد

(مسجد فائق) مولى خمارويه بن أحمد بن طولون كان في سفح الجبل مما يلي طريق مسجد موسى عليه السلام

(مسجد موسى) بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات

(مسجد زهرون بالصحراء) هو مسجد أبي محمد الحسن بن عمر الخولاني ثم عرف بابن المبيض وكان زهرون قيمه فنسب اليه

(مسجد الفقاعي) هو أبو الحسن عليّ بن الحسن بن عبد الله كان أبوه فقاعيا بمصر وهو مسجد كبير بناه كافور الاخشيدي ثم جدده وزاد فيه مسعود بن محمد صاحب الوزير أبي القاسم عليّ بن احمد الجرجراى وكان في وسط هذا المسجد محراب مبني بطوب يقال انه من بناء حاطب بن أبي بلتعة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ويقال انه أول محراب اختط في مصر وكان أبو الحسن التميمي قد زاد فيه بناء قبل ذلك

(مسجد الكنز) هذا المسجد كان شرقي الخندق وبحرى قبر ذى النون المصرى وكان مسجدا صغيرا يعرف بالزمام ومات قبل تمامه فهدمه أبو طاهر محمد بن على القرشي القرقوبي ووسعه وبناه وحكى أنه لما هدمه رأى قائلا يقول في المنام على أذرع من هـذا المسجد كنز فاستيقظ وقال هذا من الشيطان فرأى هذا القائل ثلاث مرات فلما أصبح أمر بحفر الموضع فاذا فيه قبر وظهر له لوح كبير تحته ميت فى لحد كأعظم مايكون من الناس جثة ورأسا وأكفانه طرية لم يبل منها الا مايلي جمجمة الرأس فانه رأى شعر رأسه قد خرج من الكفن واذا له جمة فراعه ما رأى وقال هذا هو الكنز بلا شك وأمر باعادة اللوح والتراب كما كان وأخرج القبر عن سائر الحيطان وأبرزه للناس فصار يزار ويتبرك به

(مسجد فى غربي الخندق) أنشأه أبو الحسن بن النجار الزيات في سـنة احدى وأربعين وأربعمائة

(مسجد لؤلؤ الحاجب) بالقرافة الصغرى بني بجانبه مقبرة وحفر عنـدها بئرا حتى انتهى الحفار الى قرب الماء فقال الحفار انى أجـد فى البئر شيئاً كأنه حجر فقال له لؤلؤ تسبب فى قلعه فلما قلعه فار الماء وأخرجه واذا هو اسطام مركب وهو الخشبة التى تبني عليها السفينة وهذا يصدق ماقاله ارسطاطاليس فى كتاب الآثار العلوية قال ان أهل مصر يسكنون فيما انحسر عنه البحر الاحمر يعني بحر الشام وقد ذكر خبر لؤلؤ هذا عند ذكر حمام لؤلؤ

(مقام المؤمن) قيل انه مؤمن آل فرعون لانه أقام فيه وهذا بعيد من الصحة

(قناطر ابن طولون وبئره) هذه القناطر قائمة الى اليوم من بئر أحمـد بن طولون

التي عند بركة الحبش وتعرف هذه البئر عندنا ببئر عفصة ولا تزال هذه القناطر الى أثناء القرافة الكبرى ومن هناك خفيت لهدمها وهي من أعظم المباني * قال القضاعي قناطر أحمد بن طولون وبئره بظاهر المغافر كان السبب في بناء هذه القناطر أن أحمد بن طولون ركب فمر بمسجد الاقدام وحده وتقدم عسكره وقد كده العطش وكان في المسجد خياط فقال ياخياط أعندك ماء فقال نعم فأخرج له كوزا فيه ماء وقال اشرب ولا تمديعني لاتشرب كثيرا فتبسم أحمد بن طولون وشرب فمد فيه حتي شرب أكثره ثم ناوله اياه وقال يافتى سقيتنا وقلت لاتمد فقال نعم أعزك الله موضعنا ههنا منقطع وانما أخيط جمعتي حتى أجمع ثمن راوية فقال له والماء عندكم ههنا معوز فقال نعم فمضى أحمد بن طولون فلما حصل في داره قال جيؤني بخياط في مسجد الاقدام فما كان بأسرع من أن جاؤا به فلما رآه قال سر مع المهندسين حتى يخطوا عندك موضع سقاية ويجروا الماء وهذه ألف دينار خذها وابتدأ في الانفاق وأجرى على الخياط في كل شهر عشرة دنانير وقال له بشرني ساعة يجري الماء فيها فجدوا في العمل فلما جرى الماء أتاه مبشرا فخلع عليه وحمله واشترى له دارا يسكنها وأجرى عليه الرزق السني الدار وكان قد أشير عليه بأن يجري الماء من عين أبي خليد المعروفة بالنعش فقال هذه العين لاتعرف أبدا الا بأبي خليد واني أريد أن استنبط بئرا فعدل عن العين الى الشرق فاستنبط بئره هذه وبني عليها القناطر وأجري الماء الى الفسقية التي بقرب درب سالم * وقال جامع السيرة الطولونية وأما رغبته في أبواب الخير فكانت ظاهرة بينة واضحة فمن ذلك بناء الجامع والبيمارستان ثم العين التي بناها بالمغافر وبناها بنية صحيحة ورغبة قوية حتى انها ليس لها نظير ولهذا اجتهد المادرانيون وأنفقوا الاموال الخطيرة ليحكوها فأعجزهم ذلك لانها وقعت في موضع جيرانه كلهم محتاجون اليها وهي مفتوحة طول النهار لمن كشف وجهه للاخذ منها ولمن كان له غلام أو جارية والليل للفقراء والمساكين فهي حياة ومعونة واتخذ لها مستغلا فيه فضل وكفاية لمصالحها والذي تولى لاحمد بن طولون بناء هذه العين رجل نصراني حسن الهندسة حاذق بها وانه دخل الى أحمد بن طولون في عشية من العشايا فقال له اذا فرغت مما تحتاج اليه فأعلمني لنركب اليها فقراها فقال يركب الامير اليها في غد فقد فرغت وتقدم النصراني فرأى موضعا بها يحتاج الى قصرية جير وأربع طوبات فبادر الى عمل ذلك وأقبل أحمد بن طولون يتأمل العين فاستحسن جميع ما شاهده فيها ثم أقبل الى الموضع الذي فيه قصرية الجير فوقف بالاتفاق عليها فلز طوبة الجير غاصت يد الفرس فيه فكبا بأحمد ولسوء ظنه قدر أن ذلك لمكروه أراده به النصراني فأمر به فشق عنه ماعليه من الثياب وضربه خمسمائة سوط وأمر به الى المطبق وكان المسكين يتوقع من الجائزة مثل ذلك دنانير فاتفق له اتفاق سوء وانصرف أحمد بن طولون وأقام النصراني الى أن أراد

أحمد بن طولون بناء الجامع فقدر له ثلثمائة عمود فقيل له ماتجدها أو تنفذ الى الكنائس في الارياف والضياع الخراب فتحمل ذلك فأنكره ولم يختره وتعذب قلبه بالفكر فى امره وبلغ النصرانى وهوفي المطبق الخبر وكتب اليه أنا ابنيه لك كما تحب وتختار بلاعمد الاعمودى القبلة فأحضره وقد طال شعره حتى تدلى على وجهه فبناه * قال ولما بنى أحمد بن طولون هذه السقاية بلغه أن قوما لايستحلون شرب مائها قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الفقيه كنت ليلة في داري اذ طرقت بخادم من خدام أحمد بن طولون فقال لى الامير يدعوك فركبت مذعورا مرعوبا فعدل بى عن الطريق فقلت اين تذهب بى فقال الى الصحراء والامير فيها فأيقنت بالهلاك وقلت للخادم الله الله في فانى شيخ كبير ضعيف مسن فتدرى مايراد منى فارحمني فقال لى احذر أن يكون لك في السقاية قول وسرت معه واذا بالمشاعل في الصحراء وأحمد بن طولون راكب على باب السقاية وبين يديه الشمع فنزلت وسلمت عليه فلم يرد على فقلت ايها الاميران الرسول أعنتني وكدني وقد عطشت فيأذن لى الامير في الشرب فاراد الغلمان أن يسقوني فقلت أنا آخذ لنفسى فاستقيت وهو يراني وشربت وازددت فى الشرب حتى كدت انشق ثم قلت ايها الامير سقاك الله من أنهار الجنة فلقد أرويت وأغنيت ولا أدرى ماأصف أطيب الماء في حلاوته وبرده أم صفائه أم طيب ريح السقاية قال فنظر الى وقال أريدك لامر وليس هذا وقته فاصرفوه فصرفت فقال لى الخادم أصبت فقلت أحسن الله جزاءك فلولاك لهلكت وكان مبلغ النفقة على هذه العين فى بنائها ومستغلها أربعين ألف دينار وأنشد أبو عمر الكندي في كتاب الامراء لسعيد القاص أبياتا في رثاء دولة بنى طولون فى العين والسقاية

وعين معين الشرب عين زكية * وعين أجاج للرواة وللطهر
كان وفود النيل فى جنباتها * تروح وتغدو بين مد الى جزر
فأرك بها مستنبطا لمعينها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
بناء لوان الجن جاءت بمثله * لقيل لقد جاءت بمستفظع نكر
يمر على أرض المغافر كلها * وشعبان والاحمور والحى من بشر
قبائل لانوء السحاب يمدها * ولاالنيل يرويها ولا جدول يجرى

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة في كتاب الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبعلون سريع نخذ من الاشعريين هم ولد سريع بن مالع من بني الاشعر بن أدد ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهم رهط أبى قبيل التابعى الذى خطته اليوم الكوم شرقي قناطر سقاية احمد بن طولون المعروفة بعفصة الكبيرة بالقرافة

(الخندق) هذا الخندق كان بقرافة مصر قد دثر وعلى شفيره الغربي قبر الامام الشافعي رضى الله عنه وكان من النيل الى الجبل حفر مرتين مرة فى زمن مروان بن الحكم ومرة فى خلافة الامين محمد بن هارون الرشيد ثم حفره أيضا القائد جوهر قال القضاعي الخندق هو الخندق الذى فى شرقي الفسطاط في المقابر كان الذى أثار حفره مسير مروان ابن الحكم الى مصر وذلك فى سنة خمس وستين وعلى مصر يومئذ عبد الرحمن بن عقبة ابن جحدم الفهرى من قبل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فلما بلغه مسير مروان الى مصر أعد واستعدوشاور الجندفي أمره فأشاروا عليه بحفر الخندق والذى أشار به عليه ربيعة ابن حبيش الصدفي فأمر ابن جحدم باحضار المحاريث من الكور لحفر الخندق على الفسطاط فلم تبق قرية من قري مصر الاحضر من أهلها النفر وكان ابتداء حفره غرة المحرم سنة خمس وستين فما كان شئ اسرع من فراغهم منه حفروه في شهر واحد وكانت الحرب من ورائه يغدون اليها ويروحون فسميت تلك الايام أيام الخندق والتراويح لرواحهم الي القتال وكانت المغافر أكثر قبائل أهل مصر عددا كانوا عشرين ألفا ونزل مروان عين شمس لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين فى اثنى عشر ألفا وقيل في عشرين ألفا فخرج أهل مصر الى مروان فحاربوه يوماواحدا بعين شمس ثم تحاجزوا ورجع أهل مصر الى خندقهم فتحصنوا به وصبحتهم جيوش مروان على باب الخندق فاصطف أهل مصر على الخندق فكانوا يخرجون الى أصحاب مروان فيقاتلونهم نوبا نوبا وأقاموا على ذلك عشرة أيام ومروان مقيم بعين شمس وكتب مروان الى شيعته من أهل مصر كريب بن أبرهة بن الصباح الحميرى وزياد بن حناطة التجيبي وعابس بن سعيد المرادى يقول انكم ضمنتم لى ضمانا لم تقوموا به وقد طالت الايام والمدافعة فقام كريب وزياد وعابس الى ابن جحدم فقالوا له ايها الامير انه لاقوام لنا بما ترى وقدرأينا أن نسعى في الصلح بينك وبين مروان وقدمل الناس الحرب وكرهوها وقد خفنا أن يسلمك الناس الى مروان فيكون محكما فيك فقال ومن لى بذلك فقال كريب أنا لك به فسعي كريب وصاحباه فى الصلح على أمان كتبه مروان لاهل مصر وغيرهم ممن شرب ماء النيل وعلى أن يسلم لابن جحدم من بيت المال عشرة آلاف دينار وثلثمائة ثوب بقطرية ومائة ريطة وعشرة أفراس وعشرين بغلا وخمسين بعيرا فتم الصلح على ذلك ودخل مروان الفسطاط مستهل جمادى الاولى سنة خمس وستين فنزل دار الفلفل ودفع الى ابن جحدم جميع ماصالحه عليه وسار ابن جحدم الى الحجاز ولم يلق كل واحد منهما الآخر وتفرق المصريون وأخذوا فى دفن قتلاهم والبكاء عليهم فسمع مروان البكاء فقال ماهذه النوادب فقيل على القتلى قال لاأسمع نائحة تنوح الا أحللت بمن هي في داره العقوبة فسكتن عند ذلك ودفن أهل مصر قتلاهم فيما

بين الخندق والمقطم وهي المقابر التى يسميها المصريون مقابر الشهداء ودفن أهل الشام قتلاهم فيما بين الخندق ومنية الاصبغ وكان قتلى أهل مصر مابين الستمائة الى السبعمائة وقتلى أهل الشام نحو الثلثمائة ولما برز مروان من الفسطاط سائرا الى الشام سمع وجبة النساء يندبن قتلاهن قال ويحهن ماهذا قالوا النساء على مقابرهن يندبن قتلاهن فعرج عليهن فأمر بالانصراف قال كذاهن كل يوم قال فامنعوهن الا من سبب وخرج مروان من مصر الى الشام لهلال رجب سنة خمس وستين وكان مقامه بالفسطاط شهرين واستخلف ابنه عبد العزيز على مصر وضم اليه بشر بن مروان وكان حدثا ثم ولى عبد الملك بشراً بعد ذلك البصرة قال ثم دثر هذا الخندق الى أيام خلع الامين بمصر وبيعة المأمون وولى البلد عباد ابن محمد بن حبان مولى كندة من قبل المأمون فكتب الامين بمصر الى أهل الحوفين في القيام ببيعته وقتال عباد وأهل مصر فتجمع أهل الحوف لذلك واستعدوا وبلغ أهل مصر فأشاروا على عباد بحفر الخندق فحفروا خندقا من النيل الى الجبل واحتفروا هذا الخندق العتيق فكان القتال عليه أياما متفرقة الى أن قتل الامين وتمت بيعة المأمون ثم لم يحفر بعد ذلك الى يومنا هذا * وذكر ابن زولاق أن القائد جوهرا لما اختط القاهرة وكثر الارجاف بمسير القرامطة الى مصر حفر خندق السرى بن الحكم بباب مدينة مصر وعمل عليه بابا في ذى القعدة سنة ستين وثلثمائة وحفر خندقا في وسط مقبرة مصر وهو الخندق الذى حفره ابن جحدم ابتدأ حفره من بركة الحبش حتي وصله بخندق عبد الرحمن بن جحدم حتي بلغ به قبر محمد بن ادريس الشافعي ثم حفر من الجبل الى أن وصل لخندق ابن جحدم وسط المقابر وبدأ به يوم السبت التاسع من شوال سنة احدي وستين وثلثمائة وفرغ منه في مدة يسيرة

(القباب السبع) هذه القباب بآخر القرافة الكبرى مما يلي مدينة مصر قال ابن سعيد في كتاب المغرب والقباب السبع المشهورة بظاهر الفسطاط هي مشاهد على سبعة من بني المغربي قتلهم الخليفة الحاكم بعد فرار الوزير أبي القاسم الحسين بن على بن المغربي الى أبي الفتوح حسن بن جعفر بمكة وفي ذلك يقول أبو القاسم بن المغربي

اذا شئت أن ترنو الي الطف باكيا * فدونك فانظر نحو أرض المقطم
تجد من رجال المغربي عصابة * مضمخة الاجسام من حلل الدم
فكم تركوا محراب آى معطل * وكم تركوا من سورة لم تختم

وقد ذكرت أخبار بني المغربي عند ذكر بساتين الوزير من بركة الحبش ويتعلق بهذا الموضع من خبرهم أن أبا الحسن على بن الحسين بن على بن محمد بن المغربي لما خرج من بغداد وسار الى مصر في أيام العزيز بالله بن المعز لدين الله في سنة احدى وثمانين وثلثمائة

رتب له في كل سنة ستة آلاف دينار وصار من شيوخ الدولة فقال يوما لمؤدب ولده أبي القاسم حسين وهو على بن منصور بن طالب المعروف بأبي الحسن دوخلة بن القادح سرا أنا أخاف همة ابنى أبي القاسم أن تنزو به الى أن يوردنا مورد الاصدر عنه فان كانت الانفاس مما تحفظ وتكتب فاكتبها واحفظها وطالعنى بها فقال أبو القاسم فى بعض الايام لمؤدبه هذا الى متى نرضي بالخمول الذى نحن فيه فقال له وأى خمول هذا تأخذون من مولانا فى كل سنة ستة آلاف دينار وأبوكم من شيوخ الدولة فقال أريد أن تصار الى أبوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ولا أرضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان فأعاد ذلك على أبيه فقال ماأخوفني أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه وقبض على لحيته وهامته وعلم ذلك أبو القاسم فصارت بينه وبين مؤدبه وحشة وكان ذلك في خلافة الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز وتحذث القائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر وكان الحاكم قد أكثر من قتل رؤساء دولته وصار يبعث الى القائد كلما قتل رئيساً برأسه ويقول هذا عدوى وعدوك فقبض على أبي الحسن على بن الحسين المغربي والد الوزير أبي القاسم الحسين وعلى أخيه أبى عبد الله محمد بن الحسين وعلى محسن ومحمد أخوى الوزير المذكور لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربعمائة وفر الوزير أبو القاسم الحسين بن المغربي من مصر في زى حمال لليال من ذى القعدة ولحق بحسان بن الجراح وكان من أمره ما كان

* (ذكر الاحواض والآبار التى بالقرافة) *

(حوض القرافة) أمر ببنائه السيدة ست الملك عمة الحاكم بأمر الله ابنة المعز لدين الله في شعبان سنة ست وستين وثلثمائة واختل فى أيام العادل أبي الحسن بن السلار وزير مصر في سنة ست وأربعين وخمسمائة فأمر بعمارته ثم انشق فى سنة ثمانين وخمسمائة فجدده القاضى السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن على بن عثمان بن يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن أحمد بن يعقوب بن مسلم بن منبه أحد بنى عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومى صاحب النظر في ديوان مصر ومصنف كتاب المنهاج في أحكام الخراج وهو كتاب جليل الفائدة ولم تزل آثار هذا القاضى حميدة ومقاصده سديدة وعنده نخوة قرشية ومروءة وعصبية وهو وان طاب أصولا فقد زكا فروعا وان تفرقت فى سواه فضائل فقد جمعها الله فيه جميعاً ولم يزل مذكان يسعي في الامانة على صراط مستقيم آخذا بقوله تعالى اخبارا عن الكريم ابن الكريم اجعلنى على خزائن الارض اني حفيظ عليم

(الحوض بجوار قصر القرافة) في ظهر الحمام العزيزى بحضرة فرن القرافة أمرت ببنائه أم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله واسمها السيدة رصد على يدوكيلها الشريف المحدث

أبي ابراهيم أحمد بن القاسم بن الميمون بن حمزة الحسيني البدلى شيخ الفراء وابن الخطاب والفلكى

(حوض بحضرة الاشعوب) وهو قصر بنى عقيب

(حوض فى داخل قصر أبي المعلوم) مجاور للبئر الكبيرة ذات الدواليب بناه المحتسب الفارسي مع عمارة البئر والميضأة في أيام السيدة أم العزيز ويقال ان الحوض والبئر من بناء المادرانى وانما جددته عمة الحاكم

(حوض) بقصر بنى كعب وبجانبه بئر أنشأه الحاجب لؤلؤ وهو من حقوق قصر بنى كعب وقد خربت هذه الاحواض ودثرت

* (ذكر الآبار التى ببركة الحبش والقرافة) *

(بئر ابى سلامة) وتعرف ببئر الغنم وهى قبلى النوبية وموضعها أحسن موضع في البركة وهى التى عنى أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بقوله

لله يومى ببركة الحبش * والافق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم في يمين مرتعش
ونحن في روضة مفوفة * دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نسجها على فرش
وأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعى الهوى فلم يطش
فعاطني الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
واسقنى بالكبار مترعة * فهن أشفى لشدة العطش

(بئر غربي دير مرحنا وبستان العبيدى) ودير مرحنا يعرف اليوم في زماننا بدير الطين وهو عامر بالنصارى

(بئر الدرج) شرقى بساتين الوزير لها درج ينزل به اليها عملها الحاكم بأمر الله وشرقيها قبور النصارى وبعدهم الى جهة الجبل قبور اليهود والبستان المجاور لعفصة الصغرى أول بركة الحبش على لسان الجبل الخارج الى البركة مجاورة لبئر النعش وبئر السقايين وهي المعروفة ببئر أبي موسى خليد وقد صار هذا البستان الى المهذب بن الوزير

(بئر الزقاق) شرقى بئر عفصة الصغرى والزقاق معروف اذ ذاك في الجبل وفي أوله بئر مربعة كان يسقى منها البقر والغنم

(ذكر السبعة التى تزار بالقرافة)

اعلم ان زيارة القرافة كانت أولا يوم الاربعاء ثم صارت ليلة الجمعة وأما زيارة يوم السبت فقيل أنها قديمة وقيل متأخرة وأول من زار يوم الاربعاء وابتدأ بالزيارة من مشهد

السيدة نفيسة الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن رافع بن يزحم بن رافع السارعي الشافعي المغافري الزوار المعروف بعابد ومولده سنة احدى وستين وخمسمائة ووفاته بالهلالية خارج باب زويلة فى ليلة الثانى والعشرين من شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة ودفن بسفح المقطم على تربة بني نهار بحري تربة الرديني وأول من زار ليلة الجمعة الشيخ الصالح المقرى ابو الحسن على ابن أحمد بن جوشن المعروف بابن الجباس والدشرف الدين محمد بن علي بن أحمد بن الجباس فجمع الناس وزار بهم فى ليلة الجمعة في كل أسبوع وزار معه فى بعض الليالى السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ومشى معه أكابر العلماء وكان سبب تجرد أبي الحسن بن الجباس وانقطاعه الى الله تعالى انه دولاب مطبخ سكر شركة رجل فوقف عليهما مال للديوان فسجنا بالقصر فقرأ ابن الجباس فى بعض الليالى سورة الرعد فسمعه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب فقام حتى وقف عليه وسأله عن خبره فأعلمه بأنه سجن على مبلغ كذا فأمر بالافراج عنه فأبى الا أن يفرج عن رفيقه أيضاً فأفرج عنهما جميعا واتفق انه مر في بعض ليالي الزيارة بزاوية الفخر الفارسى فخرج وقال له ماهذه البدعة في غد أبطلها ثم دخل الزاوية وخرج بعد ساعة وأمر برد ابن الجباس فلما جاءه قال دم على ما أنت عليه فاني رأيت الساعة قوماً فقالوا هل تعطينا مايعطينا ابن الجباس في ليالى الجمع فعلمت أن ذاك هو الدعاء والقراءة * وأما زيارة يوم السبت فقد تقدم انه اختلف فيها وحكى الموفق بن عثمان عن القضاعي انه كان يحث على زيارة سبعة قبور وأن رجلا شكا اليه ضيق حاله والدين فقال له عليك بزيارة سبعة قبور *(أولهم)* الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن سهل بن الصائغ الدينورى وتوفى ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شهر رجب سنة احدى وثلاثين وثلثمائة *(والثانى)* عبد الصمد بن محمد بن أحمد بن اسحاق بن ابراهيم البغدادي صاحب الخلفاء وتوفى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة * (والثالث) * أبو ابراهيم اسماعيل ابن (٣) المزنى وتوفى سنة أربع وستين ومائتين * (والرابع) * القاضى بكار بن قتيبة وتوفى سنة سبعين ومائتين *(والخامس)* القاضى المفضل بن فضالة وتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين * (والسادس) * القاضى أبو بكر عبد الملك بن الحسن القمني وتوفي في ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة * (والسابع) * ابو الفيض ذو النون ثوبان ابن ابراهيم

(٣) (قوله اسماعيل بن) وجد بجانب ابن بياض بالاصل والذى رأيته في بعض الكتب المتضمنة لاسماء الرواة والفقهاء وغيرهم مانصه (مزنى) أكبر اصحابنا علما وأعلم غلمان الشافعى الذى مهد المذهب ولين كلام الشافعي اسمه اسماعيل بن يحي بن اسماعيل بن عمرو بن اسحاق بن مسلم بن مهدلة بن عبد الله المزنى من قبيلة مزينة يكنى أبا ابراهيم مات بمصر سنة أربع وستين ومائتين اه مح وفيه اه مصححه

المصرى وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين وكانوا أولا يزورون بعد صلاة الصبح وهم مشاة على أقدامهم الى أن كانت أيام شيخ الزوار محمد العجمى السعودى فزار راكبا في يوم السبت بعد طلوع الشمس لان رجليه كانتا معوجتين لايستطيع المشي عليهما وذلك فى أواخر سنة ثمانمائة وتوفي في عاشر شهر رمضان سنة تسع وثمانمائة فجاء بعده الزائر شمس الدين محمد بن عيسى المرجوشي السعودى ومحي الدين عبد القادر بن علاء الدين محمد بن علم الدين بن عبد الرحمن الشهير بابن عثمان ففعلا ذلك ومات ابن عثمان في سابع شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وثمانمائة فاستمرت الزيارة على ذلك وقد حكى صاحب كتاب محاسن الابرار ومجالس الاخيار سبعة غير من ذكرنا وسماهم المحققين وهم صلة بن مؤمل وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن علي بن جعفر الخوارزمى وسالم العفيف وأبو الفضل بن الجوهرى وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين عرف بالبزار وأبو الحسن على عرف بطير الوحش وأبو الحسن على بن صالح الاندلسى الكحال. وذكر أيضاً سبعة أخروهم عقبة بن عامر الجهني والامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي وأبو بكر الدقاق وأبو ابراهيم اسماعيل المزني وأبو العباس أحمد الجزار والفقيه ابن دحية والفقيه ابن فارس اللخمى وزيارتهم يوم الجمعة بعد صلاة الصبح والعمل عليها فى الزيارة الآن الا انهم يجتمعون طوائف لكل طائفة شيخ ويقيمون مناور كبارا وصغارا ويخرجون فى ليالى الجمع. وفى كل سبت بكرة النهار وفي كل يوم أربعاء بعد الظهر وهم يذكرون الله فيزورون ويجتمع معهم من الرجال والنساء خلائق لاتحصى ومنهم من يعمل ميعاد وعظ ويقال لشيخ كل طائفة الشيخ الزائر فتمر لهم فى الزيارة أمور منها مايستحسن ومنها ماينكر ولكل عبد مانوى

فمن أشهر مزارات القرافة *(قبر الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي)* رحمة الله ورضوانه عليه وتوفى يوم الجمعة آخر يوم من شهر رجب سنة أربع ومائتين بفسطاط مصر وحمل على الاعناق حتى دفن في مقبرة بني زهرة أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى رضي الله عنه وعرفت أيضا بتربة أولاد ابن عبد الحكم قال القضاعي وقد جرب الناس خير هذه التربة المباركة والقبر المبارك وينقل عن المزنى انه قال فيه

سقى الله هذا القبر من وبل مزنه * من العفو مايغنيه عن طل المزن
لقد كان كفؤا للعداة ومعقلا * وركنا لهذا الدين بل ايما ركن

هكذا وقفت عليه ثم رأيت بعد ذلك أن المزنى رحمه الله لما دفن مر رجل على قبره واذا بهاتف يقول فذكر البيتين وقال آخر

لله در الثرى كم ضم من كرم * بالشافعي حليف العلم والأثر
ياجوهر الجوهر المكنون من مضر * ومن قريش ومن ساداتها الاخر

لما توليت ولى العلم مكتئباً * وضر موتك أهل البدو والحضر
ولآخر

أكرم به رجلا ماءثله رجل * مشارك لرسول الله في نسبه
اضحى بمصر دفينا في مقعطمها * نعم المقطم والمدفون فى تربه

ومناقب الشافعي رحمه الله كثيرة قد صنف الأئمة فيها عدة مصنفات وله فى تاريخي الكبير المقفى ترجمة كبيرة ومن أبدع ماحكي من مناقبه أن الوزير نظام الملك أبا على الحسن ابن على بن اسحاق لما بنى المدرسة النظامية ببغداد في سنة أربع وسبعين وأربعمائة أحب أن ينقل الامام الشافعي من مقبرته بمصر الى مدرسته وكتب الى أمير الجيوش بدر الجمالى وزير الامام المستنصر بالله معد يسأله في ذلك وجهز له هدية جليلة فركب أمير الجيوش فى موكبه ومعه أعيان الدولة ووجوه المصريين من العلماء وغيرهم وقد اجتمع الناس لرؤيته فلما نبش القبر شق ذلك على الناس وماجوا وكثر اللغط وارتفعت الاصوات وهموا برجم أمير الجيوش والثورة به فسكتهم وبعث يعلم الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بصورة الحال فأعاد جوابه بامضاء ما أراد نظام الملك فقرئ كتابه بذلك على الناس عند القبر وطردت العامة والغوغاء من حوله ووقع الحفر حتى انتهوا الى اللحد فعند ما أرادوا قلع ماعليه من اللبن خرج من اللحد رائحة عطرة أسكرت من حضر فوق القبر حتى وقعوا صرعي فما أفاقوا الا بعد ساعة فاستغفروا مما كان منهم وأعادوا ردم القبر كما كان وانصرفوا وكان يوما من الايام المذكورة وتزاحم الناس على قبر الشافعي يزورونه مدة أربعين يوما بلياليها حتى كان من شدة الازدحام لايتوصل اليه الا بعناء ومشقة زائدة وكتب أمير الجيوش محضرا بما وقع وبعث به وبهدية عظيمة مع كتابه الى نظام الملك فقرئ هذا المحضر والكتاب بالنظامية ببغداد وقد اجتمع العالم على اختلاف طبقاتهم لسماع ذلك فكان يوما مشهودا ببغداد وكتب نظام الملك الى عامة بلدان المشرق من حدود الفرات الى ماوراء النهر بذلك وبعث مع كتبه بالمحضر وكتاب أمير الجيوش فقرئت في تلك الممالك بأسرها فزاد قدر الامام الشافعي عند كافة أهل الاقطار وعامة جميع أهل الامصار بذلك وقد أوردت فى كتاب أمتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاحوال والحفدة والمتاع صلى الله عليه وسلم نظير هذه الواقعة وقع لضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل قبر الشافعي يزار ويتبرك به الى أن كان يوم الاحد لسبع خلت من جمادى الاولى سنة ثمان وستمائة فانتهى بناء هذه القبة التي على ضريحه وقد أنشأها الملك الكامل المظفر المنصور أبو المعالى ناصر الدين محمد ظهير أمير المؤمنين ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وبلغت النفقة عليها خمسين ألف دينار مصرية في وقت

بنائها بعظام كثيرة من مقابر كانت هناك ودفنت في موضع من القرافة وبهذه القبة أيضا قبر السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقبر أمه شمسة وقيل فيها عدة أشعار منها قول الاديب الكاتب ضياء الدين أبي الفتح موسى بن ملهم

مررت على قبة الشافعي * فعاين طرفي عليها المشارى
فقلت لصحبي لاتعجبوا * فان المراكب فوق البحار

وقال علاء الدين أبو على عثمان بن ابراهيم النابلسي

لقد أصبح الشافعي الاما * م فينا له مذهب مذهب
ولو لم يكن بحر علم لما * غدا وعلى قبره مركب

وقال آخر

أتيت لقبر الشافعي أزوره * تمرضنا فلك وما عنده بحر
فقلت تعالى الله تلك اشارة * تشير بأن البحر قدضمه القبر

وقال شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيرى صاحب البردة

بقبة قبر الشافعي سفينة * رست في بناء محكم فوق جلمود
ومذ غاض طوفان العلوم بقبره استوى الفلك من ذاك الضريح على الجودى

ومنها (قبر الامام الليث بن سعد) رحمه الله قد اشتهر قبره عند المتأخرين وأول ماعرفته من خبر هذا القبر أنه وجدت مصطبة في آخر قباب الصدف وكانت قباب الصدف أربعمائة قبة فيها يقال عليها مكتوب الامام الفقيه الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصرى مفتى أهل مصر كما ذكر في كتاب هادى الراغبين فى زيارة قبور الصالحين لابي محمد عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الكريم بن على بن محمد بن على ابن طلحة وفى كتاب مرشد الزوار للموفق ابن عثمان وذكر الشيخ محمد الازهرى في كتابه فى الزيارة أن أول من بني عليه وحيز كبير التجار أبو زيد المصرى بعد سنة أربعين وستمائة ولم يزل البناء يتزايد الى أن جدد الحاج سيف الدين المقدم عليه قبته فى ايام الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون قبيل سنة ثمانين وسبعمائة ثم جددت فى أيام الناصر فرج بن الظاهر برقوق على يد الشيخ أبي الخير محمد ابن الشيخ سليمان المادح فى محرم سنة احدى عشرة وثمانمائة ثم جددت فى سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة على يد امرأة قدمت من دمشق في أيام المؤيد شيخ عرفت بمرحبا بنت ابراهيم بن عبد الرحمن أخت عبد الباسط وكان لها معروف وبر توفيت فى تاسع عشرى ذي القعدة سنة أربعين وثمانمائة ويجتمع بهذه القبة في ليلة كل سبت جماعة من القراء فيتلون القرآن الكريم تلاوة حسنة حتى يختموا ختمة كاملة عند السحر ويقصد المبيت عندهم للتبرك بقراءة القرآن عدة من الناس ثم تفاحش

الجمع وأقبل النساء والاحداث والغوغاء فصار أمرا منكرا لاينصتون لقراءة ولا يتعظون بمواعظ بل يحدث منهم على القبور مالا يجوز ثم زادوا في التعدى حتى حفروا ماهنا لك خارج القبة من القبور وبنوا مباني اتخذوها مراحيض وسقايات ماء ويزعم من لاعلم عنده أن هذه القراءة في كل ليلة سبت عند قبر الليث بزعمهم قديمة من عهد الامام الشافعي وليس ذلك بصحيح وانما حدثت بعد السبعمائة من سنى الهجرة بمنام ذكر بعضهم أنه رآه وكانوا اذ ذاك يجتمعون للقراءة عند قبر أبي بكر الادفوى

* (ذكر المقابر خارج باب النصر) *

اعلم أن المقابر التي هي الآن خارج باب النصر انما حدثت بعد سنة ثمانين وأربعمائة وأول تربة بنيت هناك تربة أمير الجيوش بدر الجمالى لما مات ودفن فيها وكان خطها يعرف برأس الطابية قال الشريف أمين الدولة أبو جعفر محمد بن هبة الله العلوي الافطسي وقد مر بتربة الافضل

أجري دما أجفانيه * جدث برأس الطابيه
صدع الزمان صفاتيه * (٣)
بال وما بليت أيا * ديه على الباقيه

وبخارج باب النصر في أوائل المقابر قبر زينب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر ابن الحنيفة يزار وتسميه العامة مشهد الست زينب ثم تتابع دفن الناس موتاهم في الجهة التي هى اليوم من مجرى مصلي الاموات الى نحو الريدانية وكان مافي شرقي هذه المقبرة الي الجبل براحا واسعا يعرف بميدان القبق وميدان العيد والميدان الاسود وهو مابين قلعة الجبل الي قبة النصر تحت الجبل الاحمر فلما كان بعد سنة عشرين وسبعمائة ترك الملك الناصر محمد بن قلاون النزول الى هذا الميدان وهجره فأول من ابتدأ فيه بالعمارة الامير شمس الدين قراسنقر فاختط تربته التي تجاور اليوم تربة الصوفية وبني حوض ماء للسبيل وجعل فوقه مسجدا وهذا الحوض بجوار باب تربة الصوفية أدركته عامرا هو وما فوقه وقد تهدم وبقيت منه بقية ثم عمر بعده لظام الدين آدم أخو الامير سيف الدين سلار تجاه تربة قراسنقر مدفنا وحوض ماء للسبيل ومسجدا معلقا وتتابع الامراء والاجناد وسكان الحسينية فى عمارة الترب هناك حتي انسدت طريق الميدان وعمروا الجوانية أيضا وأخذ صوفية الخانقاه الصلاحية لسعيد السعداء قطعة قدر فدانين وأداروا عليها سورا من حجر وجعلوهامقبرة لمن يموت منهم وهي باقية الى يومنا هذا وقدوسعوا فيها بعدسنة تسعين وسبعمائة بقطعة من تربة قراسنقر وما برح الناس يقصدون تربة الصوفية هذه لزيارة من فيها من لاموات ويرغبون في الدفن بها الى أن تولى مشيخة الخانقاه الشيخ شمس الدين محمد البلالى

فسمح لكل أحد أن يقبر ميته بها على مال يأخذه منه فقبر بها كثير من أعوان الظلمة ومن لم تشكر طريقته فصارت مجمع نسوان ومجلس لعب وعمر أيضاً بجوار تربة الصوفية الامير مسعود ابن خطير تربة وعمل لها منارة من حجارة لا نظير لها في هيئتها وهى باقية وعمر أيضا مجد الدين السلامى تربة وعمر الامير سيف الدين كوكاى تربة وعمر الامير طاجاى الدوادار على رأس القبق مقابل قبة النصر تربة وعمر الامير سيف الدين طشتمر الساقي على الطريق تربة وبنى الامراء الى جانبه عدة ترب وبني الطواشي محسن البهاء تربة عظيمة وبنت خوند طغاي تربة تجاه تربة طشتمر الساقى وجعلت لها وقفا وبنى الامير طغاى تمر النجمى الدوادار تربة وجعلها خانقاه وأنشأ بجوارها حماما وحوانيت وأسكنها للصوفية والقراء وبنى الامير منكلي بغا الفخرى تربة والامير طشتمر طلليه تربة والامير أرنان تربة وبنى كثير من الامراء وغيرهم الترب حتي اتصلت العمارة من ميدان القبق الى تربة الروضة خارج باب البرقية وما مات الملك الناصر حتي بطل من الميدان السباق الخيل ومنعت طريقه من كثرة العمائر وأدركت بعد سنة ثمانين وسبعمائة عدة عواميد من رخام منصوبة يقال لها عواميد السباق فيما بين قبة النصر وقريب من القلعة وأول من عمر فى البراح الذى كان فيه عواميد السباق الامير يونس الدوادار فى أيام الملك الظاهر تربته الموجودة هناك ثم عمر الامير قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق تربة بجانب تربة يونس وأحيط على قطعة كبيرة حائط وقبر فيها من مات من مماليك السلطان وقبر فيها الشيخ علاء الدين السيرامى شيخ الخانقاه الظاهرية والشيخ المعتقد طلحة والشيخ المعتقد أبو بكر البجائي فلما مرض الملك الظاهر برقوق أوصى أن يدفن تحت أرجل هؤلاء الفقراء وأن يبنى على قبره تربة فدفن حيث أوصى وأخذت قطعة مساحتها عشرة آلاف ذراع وجعلت خانقاه وجعل فيها قبة على قبر السلطان وقبور الفقراء المذكورين وتجدد من حينئذ هناك عدة ترب جليلة حتي صار الميدان شوارع وأزقة ونقل الملك الناصر فرج بن برقوق سوق الجمال وسوق الحمير من تحت القلعة الى تجاه التربة التي عمرها على قبر أبيه فاستمر ذلك أياما في سنة أربع عشرة وثمانمائة ثم اعيدت الاسواق الى مكانها وكان قصده أن يبني هناك خانا كبيرا ينزل فيه المسافرون ويجعل بجانبه سوقا ويبني طاحونا وحماما وفرنا لتعمر تلك الجهة بالناس فمات قبل بناء الخان خلت الحمام والطاحون والفرن بعد قتله

* (ذكر كنائس اليهود) *

قال الله عز وجل ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا قال المفسرون الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات كنائس اليهود والمساجد للمسلمين قاله ابن قتيبة والكنيس كلمة عبرانية معناها

بالعربية الموضع الذى يجتمع فيه للصلاة ولهم بديار مصر عـدة كنائس منها كنيسة دموة بالجيزة وكنيسة جوجر من القري الغربية وبمصر الفسطاط كنيسة بخط انصاصة في درب الـكرمة وكنيستان بخط قصر الشمع وبالقاهرة كنيسة بالجودرية وفي حارة زويلة خمس كنائس

(كنيسة دموه) هـذه الـكنيسة أعظم معبد لليهود بأرض مصر فانهم لايختلفون في انها الموضع الذي كان يأوي اليه موسى بن عمران صلوات الله عليه حين كان يبلغ رسالات الله عز وجل الى فرعون مدة مقامه بمصر منذقدم من مدين الى أن خرج ببنى اسرائيل من مصر ويزعم يهود أنها بنيت هذا البناء الموجود بعد خراب بيت المقدس الخراب الثاني على يد طيطش ببضع وأربعين سنة وذلك قبل ظهور الملة الاسلامية بما ينيف على خمسمائة سنة وبهذه الكنيسة شجرة زيزلخت في غاية الكبر لايشكون فى أنها من زمن موسى عليه السلام ويقولون ان موسى عليه السلام غرس عصاه في موضعها فأنبت الله هناك هـذه هذه الشجرة وأنها لم تزل ذات أغصان نضرة وساق صاعـد في السماء مع حسن استواء ونحن في استقامة الى أن أنشأ الملك الاشرف شعبان بن حسين مدرسته تحت القلعة فذكر له حسن هذه الشجرة فتقدم بقطعها لينتفع بها في العمارة فمضوا الى ما أمروا به من ذلك فأصبحت وقد تكورت وتعقفت وصارت شنيعة المنظر فتركوها واستمرت كذلك مدة فاتفق أن زنى يهودي بيهودية تحتها فهدلت أغصانها وتحات ورقها وجفت حتى لم يبق بها ورقة خضراء وهى باقية كذلك الى يومنا هذا ولهذه الكنيسة عيـد يرحل اليهود بأهاليهم اليها في عيـد الخطاب وهو فى شهر سيوان ويجعلون ذلك بدل حجهم الى القدس وقد كان لموسى عليه السلام أنباء قد قصها الله تعالى فى القرآن الكريم وفي التوراة وروى أهل الكتاب وعلماء الاخبار من المسلمين كثيرا منها وسأقص عليك في هذا الموضع منها مافيه كفاية اذ كان ذلك من شرط هذا الكتاب

(موسى بن عمران) وفي التوراة عمرام بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهم أمه يوحانذ بنت لاوى فهى عمة عمران والد موسى ولد بمصر في اليوم السابع من شهر آذار سنة ثلاثين ومائة لدخول يعقوب على يوسف عليهما السلام بمصر وكان بنو اسرائيل منـذ مات لاوى بن يعقوب فى سنة أربع وتسعين لدخول يعقوب مصر في البلاء مع القبط وذلك أن يوسف عليه السلام لما مات في سنة ثمانين من قـدوم يعقوب مصر كان الملك اذ ذاك بمصر دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم وتسميه القبط دريموس فاستوزر بعده رجلا من الكهنة يقال له بلاطس فحمله على أذى الناس وخالف ما كان عليه يوسف وساءت سـيرة الملك حتى اغتصب كل امرأة جميلة بمدينة منف وغيرها من النواحي فشق ذلك من فعله على الناس وهموا بخلعه من الملك

فقام الوزير بلاطس في الوساطة بينــه وبين الناس وأسقط عنهـم الخراج لثلاث سنين وفرق فيهم مالا حتى سكنوا واتفق ان رجلا من الاسرائيليين ضرب بعض سدنة الهيا كل فأدماه وعاب دين الكهنة فغضب القبط وسألوا الوزير أن يخرج بني اسرائيل من مصرفأبى وكان دارم الملك قد خرج الى الصعيد فبعث اليه يخبره بأمر الاسرائيلي وماكان من القبط في طلبهم اخراج بنى اسرائيل من مصر فأرسل اليه أن لايحدث في القوم حدثا دون موافاته فشغب القبط وأجمعوا على خلع الملك واقامة غيره فسار اليهم الملك وكانت بينه وبينهم حروب قتل فيها خلق كثير ظفر فيها الملك وصلب ممن خالفه بحافتي النيل طوائف لاتحصى وعاد الى اكثر مما كان عليه من ابتزاز النساء وأخذ الاموال واستخدام الاشراف والوجوه من القبط ومن بني اسرائيل فأجمع الكل على ذمــه واتفق انه ركب في النيل فهاجت به الريح وأغرقه الله ومن معه ولم يوجد جثته الا عند شطنوف فأقام الوزير من بعده في الملك ابنه معاديوش وكان صبيا ويسميــه بعضهم معدان فاستقام الامر له ورد النساء اللاتي اغتصبهن أبوه وهو خامس الفراعنة فكثر بنو اسرائيل في زمنه ولهجوا بثلب الاصنام وذمها وهلك بلاطس الوزير وقام من بعــده فى الوزارة كاهن يقال له املاده فأمر بافراد بني اسرائيل ناحية فى البلد بحيث لايختلط بهم غيرهم فأقطعوا موضعا في قبلي مدينة منف صاروا اليــه وبنوا فيه معبدا كانوا يتلون به صحف ابراهيم عليه السلام فخطب رجــل من القبط بعض نسائهم فأبوا أن ينكحوه وقد كان هويها فأكبر القبط فعلهم وصاروا الى الوزير وشكوامن بني اسرائيل وقالوا هؤلاء قوم يعيبوننا ويرغبون عن مناكحتنا ولا نحب أن يجاورونا مالم يدينوا بديننا فقال لهم الوزير قد علمتم اكرام طوطيس الملك لجدهم ونهراوش من بعده وقد علمتم بركة يوسف حتى جعلتم قبره وسط النيل فأخصب جانبا مصر بمكانه وأمرهم بالكف عن بنى اسرائيل فأمسكوا الى أن احتجب معدان وقام من بعده في الملك ابنــه اكسامس الذى يسميه بعضهم كاسم بن معدان بن الريان بن الوليد بن دومع العمليقى وهو السادس من فراعنة مصر وكان أولهم يقال له فرعان فصار ذلك اسما لــكل من تجبر وعلا أمره وطالت أيام كاسم ومات وزير أبيه فأقام من بعده رجلا من بيت المملكة يقال له ظلما ابن قومس وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا حكيما دهيامتصرفا في كل فن وكانت نفسه تنازعه الملك ويقال انه من ولد أشمون الملك وقيل من ولد صا فأحبه الناس وعمر الخراب وبنى مدنا من الجانبين ورأى فى نجومه انه سيكون حدث وشدة وشكا القبط اليه من الاسرائيلين فقال هم عبيدكم فكان القبطى اذا أراد حاجة سخر الاسرائيلي وضربه فلا يغير عليه أحد ولا ينكر عليه ذلك فان ضرب الاسرائيلي أحدا من القبط قتل البتة وكذلك كانت تفعل نساء القبط بالنساء الاسرائيليات فكانت أول شدة وذل أصاب بنى اسرائيل وكثر ظلمهم وأذاهم

من القبط واستبد الوزير ظلما بأمر البلد كما كان العزيز مع نهراوش وتوفي اكسامس الملك فاتهم ظلمان بأنه سمه فركب في سلاحه وأقام لاطس الملك مكان أبيه وكان ابنه جريأ معجبا فصرف ظلما بن قومس عما كان عليه من خلافته واستخلف رجلا يقال له لاهوق من ولدصا وأنفذ ظلما عاملا على الصعيد وسير معه جماعة من الاسرائيليين وزاد تجبره وعتوه وأمر الناس جميعا أن يقوموا على أرجلهم في مجلسه ومد يده الى الاموال ومنع الناس من فضول ماباًيديهم وقصرهم على القوت وابتز كثيرا من النساء وفعل أكثر مما فعله ملك تقدمه واستعبد بني اسرائيل فأبغضه الخاص والعام وكان ظلما لما صرف عن الوزارة وخرج الى الصعيد أراد ازالة الملك والخروج عن طاعته فجبى المال وامتنع من حمله واخذ المعادن لنفسه وهم أن يقيم ملكا من ولد قبطرين ويدعو الناس الى طاعته ثم انصرف عن ذلك ودعا لنفسه وكاتب الوجوه والاعيان فافترق الناس وتطاول كل واحد من أبناء الملوك الى الملك وطمع فيه ويقال ان روحانيا ظهر لظلما وقال له ان أطعتني قلدتك مصر زمانا طويلا فأجابه وقرب اليه أشياء منها غلام من بني اسرائيل فصار عونا له وبلغ الملك خبر خروج ظلما عن طاعته فوجه اليه قائدا قلده مكانه وأمره أن يقبض على ظلما ويبعث به اليه موثقا فصار اليه وخرج ظلما للقائه وحاربه فظفر به واستولى على ما معه فجهز اليه الملك قائدا آخر فهزمه وسار في أثره وقد كثف جمعه فبرز اليه الملك واحتربا فكانت لظلما على الملك فقتله واستولى على مدينة منف ونزل قصر المملكة وهذا هو فرعون موسى عليه السلام وبعضهم يسميه الوليد بن مصعب وقيل هو من العمالقة وهو سابع الفراعنة ويقال انه كان قصيرا طويل اللحية أشهل العينين صغير العين اليسرى في جبينه شامة وكان أعرج وقيل انه كان يكنى بابي مرة وان اسمه الوليد بن مصعب وانه أول من خضب بالسواد لما شاب دله عليه ابليس وقيل انه كان من القبط وقيل انه دخل منف على أتان يحمل النطرون ليبيعه وكان الناس قد اضطربوا في تولية الملك فحكموه ورضوا بتولية من يوليه عليهم وذلك أنهم خرجوا الى ظاهر مدينة منف ينتظرون أول من يظهر عليهم ليحكموه فكان هو أول من أقبل بحماره فلما حكموه ورضوا بحكمه أقام نفسه ملكا عليهم وأنكر قوم هذا وقالوا كان القوم أدهى من يقلد واملكهم من هذه سبيله فلما جلس في الملك اختلف الناس عليه فبذل لهم الاموال وقتل من خالفه بمن أطاعه حتى اعتدل أمره ورتب المراتب وشيد الاعمال وبنى المدن وخندق الخنادق وبنى بناحية العريش حصنا وكذلك على جميع حدود مصر واستخلف هامان وكان يقرب منه في نسبه وأثار الكنوز وصرفها في بناء المدائن والعمارات وحفر خليج سردوس وغيره وبلغ الخراج بمصر في زمنه سبعة وتسعين ألف ألف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل * وفرعون هو أول من عرف العرفاء على الناس وكان ممن صحبه من بني اسرائيل رجل يقال له امرى وهو الذي يقال

له بالعبرانية عمرام وبالعربية عمران بن قاهث بن لاوى وكان قدم مصر مع يعقوب عليه السلام فجعله حرسا لقصره يتولى حفظه وعنده مفاتيحه وأغلاقه بالليل وكان فرعون قد رأى في كهانته ونجومه انه يجرى هلاكه على يد مولود من الاسرائيليين فنعهم من المناكحة ثلاث سنين التى رأى أن ذلك المولود يولد فيها فأتت امرأة امرى اليه في بعض الليالى بشئ قد أصلحته له فواقعها فاشتملت منه على هارون وولدته لثلاث وسبعين من عمره في سنة سبع وعشرين ومائة لقدوم يعقوب الى مصر ثم أتته مرة أخرى فحملت بموسى لثمانين سنة من عمره ورأى فرعون في نجومه انه قد حمل بذلك المولود فأمر بذبح الذكران من بني اسرائيل وتقدم الى القوابل بذلك فولد موسى عليه السلام في سنة ثلاثين ومائة لقدوم يعقوب الى مصروفى سنة أربع وعشرين وأربعمائة لولادة ابراهيم الخليل عليه السلام ولمضى ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان وكان من أمره ماقصه الله سبحانه من قذف أمه له فى التابوت فألقاه النيل الى تحت قصر الملك وقدأ رصدت أمه أخته على بعد لتنظر من يلتقطه فجاءت ابنة فرعون الى البحر مع جواريها فرأته واستخرجته في التابوت فرحمته وقالت هذا من العبرانيين من لنا بظئر ترضعه فقالت لها أخته أنا آتيكما وجاءت بأمه فاسترضتها له ابنة فرعون الى أن فصل فأتت به الى ابنة فرعون وسمته موسي وتبته ونشأ عندها وقيل بل أخذته امرأة فرعون واسترضعت أمه ومنعت فرعون من قتله الى أن كبر وعظم شأنه فرد اليه فرعون كثيرا من أمره وجعله من قواده وكانت له سطوة ثم وجهه لغزو اليونانيين وقد عاثوا في أطراف مصر فخرج في جيش كثيف وأوقع بهم فأظفره الله وقتل منهم كثيرا وأسر كثيرا وعاد غانما فسر ذلك فرعون وأعجب به هو وامرأته واستولى موسى وهو غلام على كثير من أمر فرعون فأراد فرعون أن يستخلفه حتي قتل رجلا من أشراف القبط له قرابة من فرعون فطلبه وذلك انه خرج يوما يمشى فى الناس وله صولة بما كان له في بيت فرعون من المربى والرضاع فرأى عبرانيا يضرب فقتل المصرى الذى ضربه ودفنه وخرج يوما آخر فاذا برجلين من بني اسرائيل وقد سطا أحدهما على الآخر فزجره فقال له ومن جعل لك هذا أتريد أن تقتلني كما قتلت المصرى بالامس ونما الخبر الى فرعون فطلبه وألقى الله في نفسه الخوف لما يريد من كرامته فخرج من منف ولحق بمدين عند عقبة ايلة وبنو مدين أمة عظيمة من بني ابراهيم عليه السلام كانوا ساكنين هناك وكان فراره وله من العمر أربعون سنة فنزل عند يثرون وهو شعيب عليه السلام من ولد مدين بن ابراهيم وكان من تزويجه ابنته ورعايته غنمه ما كان فأقام هنالك تسعا وثلاثين سنة نكح فيها صفوراء ابنة شعيب وبنوا اسرائيل مع فرعون وأهل مصر كما قال الله تعالى يسومونهم سوء العذاب ويستعبدونهم فلما مضى من سنة الثمانين لموسى

شهر وأسبوع كله الله جل اسمه وكان ذلك فى اليوم الخامس عشر من شهر نيسان وأمره أن يذهب الى فرعون وشد عضده بأخيه هارون وأيده بآيات منها قلب العصا حية وبياض يده من غير سوء وغير ذلك من الآيات العشر التي أحلها الله بفرعون وقومه وكان مجيء الوحى من الله تعالى اليه وهو ابن ثمانين سنة ثم قدم مصر فى شهر أيار والتى أخاه هارون فسر به وأطعمه جلبانا فيه ثريد وتنبأ هارون وهو ابن ثلاث وثمانين سنة وغدا به الى فرعون وقد أوحي اليهما أن يأتيا الى فرعون ليبعث معهما بني اسرائيل فيستنقذ انهم من هلكة القبط وجور الفراعنة ويخرجون الى الارض المقدسة التي وعدهم الله بملكها على لسان ابراهيم واسحاق ويعقوب فأبلغا ذلك بني اسرائيل عن الله فآمنوا بموسى واتبعوه ثم حضرا الى فرعون فأقاما ببابه أياما وعلى كل منهما جبة صوف ومع موسى عصاه وهما لا يصلان الى فرعون لشدة حجابه حتى دخل عليه مضحك كان يلهو به فعرفه أن بالباب رجلين يطلبان الاذن عليك يزعمان أن الههما قد أرسلهما اليك فأمر بادخالهما فلما دخلا عليه خاطبه موسى بما قصه الله فى كتابه وأراه آية العصا وآيته فى بياض اليد فغاظ فرعون ما قاله موسى وهم بقتله فمنعه الله سبحانه بأن رأى صورة قد أقبلت ومسحت على أعينهم فعموا ثم انه لما فتح عن عينيه أمر قوما آخرين بقتل موسى فأتتهم نار أحرقتهم فازداد غيظه وقال لموسى من اين لك هذه النواميس العظام اسحرة بلدى علموك هذا أم تعلمته بعد خروجك من عندنا فقال هذا ناموس السماء وليس من نواميس الارض قال فرعون ومن صاحبه قال صاحب البنية العليا قال بل تعلمتها من بلدى وأمر بجمع السحرة والكهنة وأصحاب النواميس وقال اعرضوا على أرفع أعمالكم فاني ارى نواميس هذا الساحر رفيعة جدا فعرضوا عليه أعمالهم فسره ذلك وأحضر موسى وقال له لقد وقفت على سحرك وعندى من يفوق عليك فواعدهم يوم الزينة وكان جماعة من البلد قد اتبعوا موسى فقتلهم فرعون ثم انه جمع بين موسى وبين سحرته وكانوا مائتى ألف وأربعين ألفا يعملون من الاعمال مايحير العقول ويأخذ القلوب من دخن ملونات ترى الوجوه مقلوبة مشوهة منها الطويل والعريض والمقلوب جبهته الى أسفل ولحيته الى فوق ومنها ماله قرون ومنها ماله خرطوم وأنياب ظاهرة كأنياب الفيلة ومنها ماهو عظيم في قدر الترس الكبير ومنها ماله آذان عظام وشبه وجوه القرود بأجساد عظيمة تبلغ السحاب وأجنحة مركبة على حيات عظيمة تطير فى الهواء ويرجع بعضها على بعض فيبتلعه وحيات يخرج من أفواهها نار تنتشر في الناس وحيات تطير وترجع في الهواء وتحدر على كل من حضر لتبتلعه فيتهارب الناس منها وعصي تحلق فى الهواء فتصير حيات برؤس وشعور وأذناب ثم بالناس أن تنهشهم ومنها ماله قوائم ومنها تماثيل مهولة وعملوا له دخنا تغشى أبصار الناس عن النظر فلا يرى بعضهم بعضا ودخنا تظهر سورا كهيئة الثيران في الجو على

دواب يصدم بعضها بعضا ويسمع لها ضجيج وصورا خضرا على دواب خضر وصورا سودا على دواب سود هائلة فلما رأى فرعون ذلك سره مارأى هو ومن حضره واغتم موسى. ومن آمن به حتى أوحي الله اليه لاتخف انك انت الاعلى وألق مافي يمينك تلقف ماصنعوا وكان للسحرة ثلاثة رؤساء ويقال بل كانوا سبعين رئيسا فأسر اليهم موسى قد رأيت ماصنعتم فان قهرتكم أتؤمنون بالله فقالوا نفعل فغاظ فرعون مسارة موسى لرؤساء السحرة هذا والناس يسخرون من موسى وأخيه ويهزؤن بهما وعليهما دراعتان من صوف وقد احتزما بليف فلوح موسى بعصاه حتى غابت عن الاعين وأقبلت في هيئة تنين عظيم له عينان يتوقدان والنار تخرج من فيه ومنخريه فلا يقع على أحد الا برص ووقع من ذلك على ابنة فرعون فبرصت وصار التنين فاغرا فاه فالتقط جميع ماعملته السحرة ومائتي مركب كانت مملوءة حبالا وعصيا وسائر من فيها من الملاحين وكانت في النهر الذى يتصل بدار فرعون وابتلع عمدا كثيرة وحجارة قد كانت حملت الى هناك ليبني بها ومر التنين الى قصر فرعون ليبتلعه وكان فرعون جالسا في قبة على جانب القصر ليشرف على عمل السحرة فوضع نابه تحت القصر ورفع نابه الآخر الى أعلاه ولهب النار يخرج من فيه حتى أحرق مواضع من القصر فصاح فرعون مستغيثا بموسى عليه السلام فزجر موسى التنين فانعطف ليبتلع الناس ففروا كلهم من بين يديه والسنساب يريدهم فأمسكه موسى وعاد في يده عصا كما كان ولم ير الناس من تلك المراكب وما كان فيها من الحبال والعصي والناس ولا من العمد والحجارة وما شربه من ماء النهر حتى بانت أرضه أثرا فعند ذلك قالت السحرة ماهذا من عمل الآدميين وانما هو من فعل جبار قدير على الاشياء فقال لهم موسى أوفوا بعهدكم والاسلطته عليكم يبتلعكم كما ابتلع غيركم فآمنوا بموسى وجاهروا فرعون وقالوا هذا من فعل الله السماء وليس هذا من فعل أهل الارض فقال قد عرفت انكم قد واطأتموه علي وعلى ملكي حسدا منكم لي وأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبوا وجاهرته امرأته والمؤمن الذى كان يكتم ايمانه وانصرف موسى فأقام بمصر يدعو فرعون أحد العشر شهرا من شهر ايار الى شهر نيسان المستقبل وفرعون لايجيبه بل اشتد جوره على بنى اسرائيل واستعبادهم واتخاذهم سخريا في مهنة الاعمال فأصابت فرعون وقومه الجوائح عشر واحدة بعد أخرى وهو يتثبت لهم عند وقوعها ويفزع الى موسى فى الدعاء بانجلائها ثم يلح عند انكشافها فانها كانت عذابا من الله عز وجل عذب الله بها فرعون وقومه فنها أن ماء مصر صار دما حتى هلك أكثر أهل مصر عطشا وكثرت عليهم الضفادع حتى وسخت جميع مواضعهم وقذرت عليهم عيشهم وجميع مآكلهم وكثر البعوض حتى حبس الهواء ومنع النسيم وكثر عليهم ذباب الكلاب حتى جرح أبدانهم ونغص عليهم حياتهم وماتت دوابهم وأغنامهم فجأة وعم الناس الجرب والجدري

حتى زاد منظرهم قبحا على مناظر الجذمي ونزل من السماء برد مخلوط بصواعق أهلك كل ما أدركه من الناس والحيوانات وذهب بجميع الثمار وكثر الجراد والجنادب التي أكلت الاشجار واستقصت أصول النبات وأظلمت الدنيا ظلمة سوداء غليظة حتي كانت من غلظها تحس بالاجسام وبعد ذلك كله نزل الموت فجأة على بكور أولادهم بحيث لم يبق لاحد منهم ولد بكر الا فجع به في تلك الليلة ليكون لهم فى ذلك شغل عن بني اسرائيل وكانت الليلة الخامسة عشر من شهر نيسان سنة احدى وثمانين لموسى فعند ذلك سارع فرعون الى ترك بني اسرائيل فخرج موسى عليه السلام من ليلته هذه ومعه بنو اسرائيل من عين شمس وفي التوراة أنهم أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل بيت حملا من الغنم ان كان كفايتهم أو يشتركون مع جيرانهم ان كان اكثر وان ينضحوا من دمه على أبوابهم ليكون علامة وأن يأكلوا شواء رأسه وأطرافه ومعاه ولا يكسروا منه عظما ولا يدعوا منه شيئاً خارج البيوت وليكن خبزهم فطيرا وذلك فى اليوم الرابع عشر من فصل الربيع وليأكلوا بسرعة وأوساطهم مشدودة وخفافهم فى أرجلهم وعصيهم في أيديهم ويخرجوا ليلا وما فضل من عشائهم ذلك أحرقوه بالنار وشرع هذا عيدا لهم ولاعقابهم ويسمى هذا عيد الفصح وفيها انهم أمروا أن يستعيروا منهم حليا كثيرا يخرجون به فاستعاروه وخرجوا في تلك الليلة بجامعهم من الدواب والانعام وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام استخرجه موسى من المدفن الذى كان فيه بالهام من الله تعالى وكانت عدتهم ستمائة ألف رجل محارب سوى النساء والصبيان والغرباء وشغل القبط عنهم بالمآتم التي كانوا فيها على موتاهم فساروا ثلاث مراحل ليلا ونهارا حتي وافوا الى فوهة الجبروت وتسمى نار موسى وهو ساحل البحر بجانب الطور فانتهى خبرهم الى فرعون في يومين وليلة فندم بعد خروجهم وجمع قومه وخرج في كثرة كفاك عن مقدارها قول الله عز وجل اخبارا عن فرعون انه قال عن بني اسرائيل وعدتهم ماقد ذكر على ماجاء فى التوراة ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون ولحق بهم في اليوم الحادى والعشرين من نيسان فأقام العسكر ان ليلة الواحد والعشرين على شاطئ البحر وفي صبيحة ذلك اليوم أمر موسى أن يضرب البحر بعصاه ويقتحمه ففلق الله لبني اسرائيل البحر اثني عشر طريقا عبر كل سبط من طريق وصارت المياه قائمة عن جانبهم كأمثال الجبال وصير قاع البحر طريقا مسلوكا لموسى ومن معه وتبعهم فرعون وجنوده فلما خاض بنو اسرائيل الى عدوة الطور انطبق البحر على فرعون وقومه فأغرقهم الله جميعا ونجا موسى وقومه ونزل بنو اسرائيل جميعا فى الطور وسبحوا مع موسى بتسبيح طويل قد ذكر في التوراة وكانت مريم أخت موسى وهرون تأخذ الدف بيديها ونساء بني اسرائيل فى أثرها بالدفوف والطبول وهي ترتل التسبيح لهن ثم ساروا فى البر ثلاثة أيام وأقفرت

مصر من أهلها ومر موسى بقومه ففني زادهم في اليوم الخامس من ايار فضجوا الى موسى فدعا ربه فنزل لهم المن من السماء فلما كان اليوم الثالث والعشرون من ايار عطشوا وضجوا الى موسى فدعا ربه ففجر له عينا من الصخرة ولم يزل يسير بهم حتي وافوا طور سينين غرة الشهر الثالث لخروجهم من مصر فأمر الله موسى بتطهير قومه واستعدادهم لسماع كلام الله سبحانه فطهرهم ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الثالث وهو السادس من الشهر رفع الله الطور وأسكنه نوره وظلل حواليه بالغمام وأظهر في الآفاق الرعود والبروق والصواعق وأسمع القوم من كلامه عشر كلمات وهي انا الله ربكم واحد لايكن لكم معبود من دوني لاتحلف باسم ربك كاذبا اذكر يوم السبت واحفظه برّ والديك وأكرمهما لاتقتل النفس لاتزن لاتسرق لاتشهد بشهادة زور لاتحسد أخاك فيما رزقه فصاح القوم وارتعدوا وقالوا لموسى لاطاقة لنا باستماع هذا الصوت العظيم كن السفير بيننا وبين ربنا وجميع مايأمرنا به سمعنا وأطعنا فأمرهم بالانصراف وصعد موسى الى الجبل في اليوم الثاني عشر فأقام فيه أربعين يوما ودفع الله اليه اللوحين الجوهر المكتوب عليهما العشر كلمات ونزل في اليوم الثاني والعشرين من شهر تموز فرأى العجل فارتفع الكتاب وثقلا على يديه فألقاهما وكسرهما ثم برد العجل وذراه على الماء وقتل من القوم من استحق القتل وصعد الى الجبل في اليوم الثالث والعشرين من تموز ليشفع في الباقين من القوم ونزل في اليوم الثاني من ايلول بعد الوعد من الله له بتعويضه لوحين آخرين مكتوبا عليهما ما كان في اللوحين الأولين فصعد الى الجبل وأقام أربعين ليلة أخرى وذلك من ثالث ايلول الى اليوم الثاني عشر من تشرين ثم أمره الله باصلاح القبة وكان طولها ثلاثين ذراعا في عرض عشرة أذرع وارتفاع عشرة أذرع ولها سرادق مضروب حواليها مائة ذراع في خمسين ذراعا وارتفاع خمسة أذرع فأخذ القوم في اصلاحها وما تزين به من الستور من الذهب والفضة والجواهر ستة أشهر الشتاء كله ولما فرغ منها نصبت في اليوم الاول من نيسان في أول السنة الثانية ويقال ان موسى عليه السلام حارب هنالك العرب مثل طسم وجديس والعماليق وجرهم وأهل مدين حتي أفناهم جميعا وانه وصل الى جبل فاران وهو مكة فلم ينج منهم الا من اعتصم بملك اليمن أو انتمى الى بني اسماعيل عليه السلام وفي ثاني الشهر الباقي من هذه السنة ظعن القوم في برية الطور بعد أن نزلت عليهم التوراة وجملة شرائعها ستمائة وثلاث عشرة شريعة وفي آخر الشهر الثالث حرمت عليهم أرض الشام أن يدخلوها وحكم الله تعالى عليهم أن يتيهوا في البرية أربعين سنة لقولهم نخاف أهلها لانهم جبارون فأقاموا تسع عشرة سنة في رقيم وتسع عشرة سنة في أحد وأربعين موضعا مشروحة في التوراة وفي اليوم السابع من شهر ايلول من السنة الثانية خسف الله بقارون وبأوليائه بدعاء موسى عليه السلام عليهم لما كذبوا وفي

شهر نيسان بن السنة الاربعين توفيت مريم ابنة عمران أخت موسى عليه السلام ولها مائة وست وعشرون سنة * وفى شهر آب منها مات هارون عليه السلام وله مائة وثلاث وعشرون سنة ثم كان حرب الكنعانيين وسيحون والعوج صاحب البثنية من أرض حوران فى الشهور التى بعد ذلك الى شهر شباط فلما أهل شباط أخذ موسى في اعادة التوراة على القوم وأمرهم بكتب نسختها وقراءتها وحفظ ماشاهدوه من آثاره وماأخذوه عنه من الفقه وكان نهاية ذلك فى اليوم السادس من آذار وقال لهم في اليوم السابع منه انى في يومى هذا استوفيت عشرين ومائة سنة وان الله قد عرفنى انه يقبضنى فيه وقد أمرنى أن أستخلف عليكم يوشع ابن نون ومعه السبعون رجلا الذين اخترتهم قبل هذا الوقت ومعهم العازر بن هارون أخي فاسمعوا له وأطيعوا وأنا أشهد عليكم الله الذى لااله الاهو والارض والسموات أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ولا تبدلوا شرائع التوراة بغيرها ثم فارقهم وصعد الجبل فقبضه الله تعالى هناك وأخفاه ولم يعلم أحد منهم قبره ولاشاهده وكان بين وفاة موسى وبين الطوفان ألف وستمائة وست وعشرون سنة وذلك في أيام منوجهر ملك الفرس وزعم قوم أن موسى كان ألثغ فمنهم من جعل ذلك خلقة ومنهم من زعم انه انما اعتراه حين قالت امرأة فرعون لفرعون لاتقتل طفلا لايعرف الجمر من التمر فلما دعا له فرعون بهما جميعا تناول جمرة فأهوى بها الي فيه فاعتراه من ذلك ما اعتراه وذكر محمد بن عمر الواقدى أن لسان موسى كانت عليه شامة فيها شعرات ولا يدل القرآن على شئ من ذلك فليس في قوله تعالى واحلل عقدة من لسانى دليل على شئ من ذلك دون شئ فأقاموا بعده ثلاثين يوما يبكون عليه الى أن أوحى الله تعالى الى يوشع بن نون بترحيلهم فقادهم وعبر بهم الاردن فى اليوم العاشر من نيسان فوافوا أريحا فكان منهم ماهو مذكور فى مواضعه فهذه جملة خبر موسى عليه السلام

(كنيسة جوجر) هذه الكنيسة من أجل كنائس اليهود ويزعمون أنها تنسب لنبي الله الياس عليه السلام وانه ولد بها وكان يتعاهدها فى طول اقامته بالارض الى أن رفعه الله اليه * (الياس) هو فينحاس بن العازر بن هارون عليه السلام ويقال الياسين بن ياسين عيزار بن هارون ويقال هو الياهو وهى عبرانية معناها قادر أزلي وعرب فقيل اليأس ويذكر أهل العلم من بنى اسرائيل انه ولد بمصر وخرج به أبوه العازر من مصر مع موسى عليه السلام وعمره نحو الثلاث سنين وانه هو الخضر الذى وعده الله بالحياة وانه لما خرج بلعام ابن باعوراليدعو على موسي صرف الله لسانه حتى يدعو على نفسه وقومه وكان من زنا فى اسرائيل بنساء الامورانيين وأهل مواب ماكان فغضب الله تعالى عليهم وأوقع فيهم الوباء فمات منهم أربعة وعشرون ألفا الي أن هجم فينحاس هذا على خباء فيه رجل

على امرأة يزني بها فنظمهما جميعا برمحه وخرج وهو رافعهما وشهرهما غضبا لله فرحمهم الله سبحانه ورفع عنهم الوباء وكانت له أيضاً آثار مع نبي الله يوشع بن نون ولما مات يوشع قام من بعده فينحاس هذا هو وكالاب بن يوفناقصار فينحاس اماما وكالاب يحكم بينهم وكانت الاحداث في بني اسرائيل فساح اليها ولبس المسوح ولزم القفار وقد وعده الله عز وجل في التوراة بدوام السلامة فأول ذلك بعضهم بانه لايموت فامتد عمره الى أن ملك يهوشا فاط بن أسا بن افيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام على سبط يهودا في بيت المقدس وملك أحؤب بن عمرى على الاسباط من بني اسرائيل بمدينة شمرون المعروفة اليوم بنابلس وساءت سيرة أحؤب حتي زادت في القبح على جميع من مضى قبله من ملوك بني اسرائيل وكان أشدهم كفرا وأكثرهم ركونا للمنكر بحيث اربي في الشر على ابيه وعلى سائر من تقدمه وكانت له امرأة يقال لها سيصبال ابنة أشاعل ملك صيدا أكفر منه بالله وأشد عتوا واستكبارا فعبدا وثن بعل الذى قال له فيه جل ذكره أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين وأقاما له مذبحا بمدينة شمرون فارسل الله عزوجل الى أحؤب عبده الياس رسولا لينهاه عن عبادة وثن بعل ويأمره بعبادة الله تعالى وحده وذلك قول الله عزوجل من قائل وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه ولما أيس من ايمانهم بالله وتركهم عبادة الوثن أقسم في مخاطبته احؤب أن لايكون مطار ولا ندا ثم تركه فأمره الله سبحانه أن يذهب ناحية الاردن فمكث هناك مختفيا وقد منع الله قطر السماء حتي هلكت البهائم وغيرها فلم يزل الياس مقيما فى استتاره الى أن جف ماكان عنده من الماء وفى طول اقامته كان الله جل جلاله يبعث اليه بغربان تحمل له الخبز واللحم فلما جف ماؤه الذى كان يشرب منه لامتناع المطر أمره الله أن يسير الى بعض مدائن صيدا فخرج حتي وافى باب المدينة فاذا امرأة تحتطب فسألها ماء يشربه وخبزا يأكله فأقسمت له ان ما عندها الامثل غرفة دقيق فى اناء وشيء من زيت في جرة وأنها تجمع الحطب لتقتات منه هى وابنها فبشرها الياس عليه السلام وقال لها لاتجزعي وافعلي ماقلت لك واعملى لى خبزا قليلا قبل أن تعملى لنفسك ولولدك فان الدقيق لايعجز من الاناء ولا الزيت من الجرة حتي ينزل المطر ففعلت ماأمرها به وأقام عندها فلم ينقص الدقيق ولا الزيت بعد ذلك الى أن مات ولدها وجزعت عليه فسأل الياس ربه تعالى فأحيي الولد وأمره الله الى أن يسير الى احؤب ملك بني اسرائيل لينزل المطر عند اخباره له بذلك فسار اليه وقال له اجمع بنى اسرائيل وأبناء بعال فلما اجتمعوا قال لهم الياس الى متي هذا الضلال ان كان الرب الله فاعبدوه وان كان بعال هو الله فارجعوا بنا اليه وقال ليقرب كل مناقر بانا فأقرب أنا لله وقربوا أنتم لبعال فمن تقبل منه

قربانه ونزلت نار من السماء فأكلته فالهه الذي يعبد فلما رضوا بذلك أحضروا ثورين واختاروا أحدهما وذبحوه وصاروا ينادون عليه يال بعال يال بعال والياس يسخر بهم ويقول لو رفعتم أصواتكم قليلا فلعل الحكم نائم أو مشغول وهم يصرخون ويجرحون أيديهم بالسكاكين ودماءهم تسيل فلما أيسوا من أن تنزل النار وتأكل قربانهم دعا اليـاس القوم الى نفسه وأقام مذبحا وذبح ثوره وجعله على المذبح وصب الماء فوقه ثلاث مرات وجعل حول المذبح خندقا محفورا فلم يزل يصب الماء فوق اللحم حتي امتلأ الخندق من المـاء وقام يدعو الله عز اسمه وقال في دعائه اللهم أظهر لهذه الجماعة انك الرب واني عبدك عامل بامرك فانزل الله سبحانه نارا من السماء اكلت القربان وحجارة المذبح التي كان فوقها اللحم وجميع الماء الذى صب حوله فسجد القوم أجمعون وقالوا انشهد أن الرب الله فقال الياس خذوا ابناء بعال فأخذوا وجيء بهم فذبحهم كلهم ذبحـا وقال لاحؤب انزل وكل واشرب فان المطر نازل فنزل المطر على ماقال وكان الجهد قد اشتد لانقطاع المطر مدة ثلاث سنين وأشهر وغزر المطر حتي لم يستطع احؤب أن ينصرف لـكثرته فغضبت سيصيال امرأة أحؤب لقتل أبناء بعال وحلفت بآلهتها لتجعلن روح الياس عوضهم ففزع الياس وخرج الى المفاوز وقد اغتم غما شديدا فأرسل الله اليه ملـكا معه خبز ولحم وماء فأكل وشرب وقواه الله حتى مكث بعد هذه الاكلة أربعين يوما لايأكل ولا يشرب ثم جاءه الوحي بأن يمضي الى دمشق فسار اليها وصحب اليسع بن شابات ويقال بن حطور فصار تلميذه فخرج من أريحا ومعه اليسع حتى وقف على الاردن فنزع رداءه ولفه وضرب به ماء الاردن فافترق الماء عن جانبيه وصار طريقا فقال الياس حينئـذ لليسع اسأل ماشئت قبل أن يحال بيني وبينك فقال اليسع اسال أن يكون روحك فى مضاعفا فقال لقد سألت جسيما ولـكن ان ابصرتني اذا رفعت عنك يكون ماسألت وان لم تبصرني لم يكن وبينما هما يتحدثان اذ ظهر لهما كالنار فرق بينهما ورفع الياس الى السماء واليسع ينظره فانصرف وقام في النبوة مقام الياس وكان رفع الياس في زمن يهورام بن يهوشافاط وبين وفاة موسى عليه السلام وبين آخر أيام يهورام خمسمائة وسبعون سنة ومدة نبوة موسى عليـه السلام أربعون سنة فعلى هذا يكون مدة عمر الياس من حين ولد بمصر الى أن رفع بالاردن الى السماء ستمائة سنة وبضع سنين والذي عليه علماء أهل الـكتاب وجماعة من علماء المسلمين أن الياس حي لم يمت الا انهم اختلفوا فيه فقال بعضهم انه هو فينحاس كما تقدم ذكره ومنع هذا جماعة وقالوا هما اثنان والله أعلم

(كنيسة المصاصة) هـذه الـكنيسة يجلها اليهود وهي بخط المصاصة من مدينة مصر ويزعمون أنها رممت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وموضعها يعرف بدرب الـكرمة وبنيت فى سنة خمس عشرة وثلثمائة للاسكندر وذلك قبل الملة الاسلاميـة

بنحو ستمائة واحدى وعشرين سنة ويزعم اليهود أن هذه الكنيسة كانت مجلسا لنبي الله الياس

(كنيسة الشاميين) هذه الكنيسة بخط قصر الشمع من مدينة مصر وهى قديمة مكتوب على بابها بالخط العبرانى حفرا في الخشب انها بنيت في سنة ست وثلاثين وثلثمائة للاسكندر وذلك قبل خراب بيت المقدس الخراب الثانى الذى خربه طيطش بنحو خمس وأربعين سنة وقبل الهجرة بنحو ستمائة سنة وبهذه الكنيسة نسخة من التوراة لايختلفون في انها كلها بخط عزرا النبي الذي يقال له بالعربية العزير

(كنيسة العراقيين) هذه الكنيسة أيضاً بخط قصر الشمع

(كنيسة بالجودرية) هذه الكنيسة بحارة الجودرية من القاهرة وهى خراب منذ أحرق الخليفة الحاكم بأمر الله حارة الجودرية على اليهود كما تقدم ذكر ذلك في الحارات فانظره

(كنيسة القرائين) هذه الكنيسة كان يسلك اليها من تجاه باب سر المارستان المنصورى في حدرة ينتهى اليها بحارة زويلة وقد سدت الخوخة التي كانت هناك فصار لايتوصل اليها الامن حارة زويلة وهى كنيسة تختص بطائفة اليهود القرائين

(كنيسة دار الحدرة) هذه الكنيسة بحارة زويلة في درب يعرف الآن بدرب الرايض وهى من كنائس (٣)

(كنيسة الربانيين) هذه الكنيسة بحارة زويلة بدرب يعرف الآن بدرب البنادين يسلك منه الى تجاه السبع قاعات والى سويقة المسعودي وغيرها وهي كنيسة تختص بالربانيين من اليهود

(كنيسة ابن شميخ) هذه الكنيسة بجوار المدرسة العاشورية من حارة زويلة وهى مما يختص به طائفة القرائين

(كنيسة السمرة) هذه الكنيسة بحارة زويلة فى خط درب ابن الكوراني تختص بالسمرة وجميع كنائس القاهرة المذكورة محدثة في الاسلام بلا خلاف.

* (ذكر تاريخ اليهود وأعيادهم) *

قد كانت اليهود أولا تؤرخ بوفاة موسى عليه السلام ثم صارت تؤرخ بتاريخ الاسكندر ابن فيلبش وشهور سنتهم اثنا عشر شهرا وأيام السنة ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما * فأما الشهور فانها تشرى مرحشوان كسليو طبيث شفط آذر نيس ايار سيوان تموز آب ايلول * وأيام سنتهم أيام سنة القمر ولو كانوا يستعملونها على حالها لكانت أيام سنتهم وعدد شهورهم شيأ واحدا ولكنه لما خرج بنو اسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام، الي التيه وتخلصوا من عذاب فرعون وما كانوا فيه من العبودية واتمروا بما أمروا به كما وصف في السفر الثاني من التوراة اتفق ذلك ليلة اليوم الخامس عشر من نيسن والقمر

تام الضوء والزمان ربيع فأمروا بحفظ هذا اليوم كما قال في السفر الثاني من التوراة احفظوا هذا اليوم سنة لخلوفكم الى الدهر فى أربعة عشر من الشهر الاول وليس معنى الشهر الاول هذا شهر تشرى ولكنه عني به شهر نيس من أجل أنهم أمروا أن يكون شهر الناسخ رأس شهورهم ويكون أول السنة فقال موسى عليه السلام للشعب اذكروا اليوم الذى خرجتم فيه من التعبد فلا تأكلوا خميراً فى هذا اليوم فى الشهر الذى ينضر فيه الشجر فلذلك اضطروا الى استعمال سنة الشمس ليقع اليوم الرابع عشر من شهر نيس في أوان الربيع حين تورق الاشجار وتزهو الثمار والى استعمال سنة القمر ليكون جرمه فيه بدرا تام الوضوء فى برج الميزان وأحوجهم ذلك الى الحاق الايام التي يتقدم بها عن الوقت المطلوب بالشهور اذا استوفيت أيام شهر واحد فألحقوها بها شهراً تاما سموه آذار الاول وسموا آذار الاصل آذار الثانى لانه ردف سميا له وتلاه وسموا السنة الكبيسة عبورا اشتقاقا من معبار وهي المرأة الحبلى بالعبرانية لانهم شبهوا دخول الشهر الزائد فى السنة بحمل المرأة ما ليس من جملتها ولهم فى استخراج ذلك حسابات كثيرة مذكورة فى الازياج * وهم فى عمل الاشهر مفترقون فرقتين * احداهما الربانية واستعمالهم اياها على وجه الحساب بمسير الشمس والقمر الوسط سواء رؤى الهلال أو لم ير فان الشهر عندهم هو مدة مفروضة تمضى من لدن الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر في كل شهر وذلك أنهم كانوا وقت عودهم من الجالية ببابل الى بيت المقدس ينصبون على رؤس الجبال دبادب ويقيمون رقباء للفحص عن الهلال والزموهم بايقاد النار وتدخين دخان يكون علامة لحصول الرؤية وكانت بينهم وبين السامرة العداوة المعروفة فذهبت السامرة ورفعوا الدخان فوق الجبل قبل الرؤية بيوم ووالوا بين ذلك شهورا اتفق فى أوائلها أن السماء كانت متغيمة حتى فطن لذلك من فى بيت المقدس ورأوا الهلال غداة اليوم الرابع أو الثالث من الشهر مرتفعا عن الافق من جهة المشرق فعرفوا أن السامرة فتنتهم فالتجأوا الى أصحاب التعاليم فى ذلك الزمان ليأمنوا بما يتلقونه من حسابهم مكايد الاعداء واعتلوا لجواز العمل بالحساب ونيابته عن العمل بالرؤية بعلل ذكروها فعمل أصحاب الحساب لهم الادوار وعلموهم استخراج الاجتماعات ورؤية الهلال وانكر بعض الربانية حديث الرقباء ورفعهم الدخان وزعموا أن سبب استخراج هذا الحساب هو أن علماءهم علموا أن آخر أمرهم الى الشتات فخافوا اذا تفرقوا في الاقطار وعولوا على الرؤية أن تختلف عليهم في البلدان المختلفة فيتشاجروا فلذلك استخرجوا هذه الحسبانات واعتنى بها اليعازر بن فروح وأمروهم بالتزامها والرجوع اليها حيث كانوا * والفرقة الثانية هم المبادية الذين يعلمون مبادى الشهور من الاجتماع ويسمون القراء والاسمية لانهم يراعون العمل بالنصوص دون الالتفات الى النظر والقياس ولم يزالوا على ذلك الى أن قدم

عانان رأس الجالوت من بلاد المشرق في نحو الاربعين ومائة من الهجرة الى دار السلام بالعراق فاستعمل الشهور برؤية الاهلة على مثل ماشرع في الاسلام ولم يبال أى يوم وقع من الاسبوع وترك حساب الربانيين وكبس الشهور بأن نظر كل سنة الى زرع الشعير بنواحى العراق والشام فيما بين أول شهر نيسن الى أن يمضى منه أربعة عشر يوما فان وجد باكورة تصلح للفريك والحصاد ترك السنة بسيطة وان وجدها لم تصلح لذلك كبسها حينئذ وتقدمت المعرفة بهذه الحالة ان من أخذ برأيه يخرج لسبعة تبقى من شفط فينظر بالشام والبقاع المشابهة له في المزاج الى زرع الشعير فان وجد السفا وهو شوك السنبل قد طلع عد منه الى الفاسح خمسين يوما وان لم يره طالعاً كبسها بشهر فبعضهم يردف الكبس بشفط فيكون في السنة شفط وشفط مرتين وبعضهم يردفه بآذر فيكون آذر وآذر في السنة مرتين وأكثر استعمال العانانية لشفط دون آذر كما أن الربانية تستعمل آذر دون غيره فمن يعتمد من الربانية عمل الشهور بالحساب يقول ان شهر تشرى لايكون أوله يوم الاحد والاربعاء وعدته عندهم ثلاثون يوما أبدا وفيه عيد رأس السنة وهو عيد البشارة بعتق الارقاء وهذا العيد في أول يوم منه ولهم أيضاً في اليوم العاشر منه صوم الكبور ومعناه الاستغفار وعند الربانيين أن هذا الصوم لايكون أبدا يوم الاحد ولا الثلاثاء ولا الجمعة وعند من يعتمد في الشهور الرؤية أن ابتداء هذا الصوم من غروب الشمس في ليلة العاشر الى غروبها من ليلة الحادي عشر وذلك أربع وعشرون ساعة والربانيون يجعلون مدة الصوم خمسا وعشرين ساعة الى أن تشتبك النجوم ومن لم يصم منهم هذا الصوم قتل شرعا وهم يعتقدون أن الله يغفر لهم فيه جميع الذنوب ماخلا الزنا بالمحصنات وظلم الرجل أخاه وجحد الربوبية وفيه أيضا عيد المظلة وهو سبعة أيام يعيدون في أولها ولا يخرجون من بيوتهم كما هو العمل يوم السبت وعدة أيام المظلة الى آخر اليوم الثاني والعشرين تمام سبعة أيام واليوم الثامن يقال له عيد الاعتكاف وهم يجلسون في هذه الايام السبعة التي أولها خامس عشر تشرى تحت ظلال سعف النخل الاخضر وأغصان الزيتون ونحوها من الاشجار التى لايتناثر ورقها على الارض ويرون أن ذلك تذكار منهم لاظلال الله آباءهم في التيه بالغمام وفيه أيضاً عيد القرائين خاصة صوم في اليوم الرابع والعشرين منه يعرف بصوم كدليا وعند الربانيين يكون هذا الصوم في ثالثه * وشهر مرحشوان ربما كان ثلاثين يوما وربما كان تسعة وعشرين يوماً وليس فيه عيد * وكسليو ربما كان ثلاثين يوماً وربما كان تسعة وعشرين يوماً وليس فيه عيد الا أن الربانيين يسرجون على أبوابهم ليلة الخامس والعشرين منه وهو مدة أيام يسمونها الحنكة وهو أمر محدث عندهم * وذلك أن بعض الجبابرة تغلب على بيت المقدس وقتل من كان فيه من بنى اسرائيل وافتض أبكارهم فوثب عليه أولاد كاهنهم وكانوا ثمانية

فقتله أصغرهم وطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا الا يسيرا وزعوه على عدد مايوقدونه من السرج في كل ليلة الى ثمانٍ ليال فاتخذوا هذه الايام عيدا وسموها أيام الحنكة وهى كلة مأخوذة من التنظيف لانهم نظفوا فيها الهيكل من أقذار أشياع ذلك الجبار والقراء لايعملون ذلك لانهم لايعولون على شئ من أمر البيت الثانى * وشهر طبيث عدد أيامه تسعة وعشرون يوماً وفي عاشره صوم سببه أنه في ذلك اليوم كان ابتداء محاصرة بخت نصر لمدينة بيت المقدس ومحاصرة طيطاش لها أيضاً في الخراب الثانى * وشفط أيامه أبدا ثلاثون يوما وليس فيه عيد * وشهر آذر عند الربانيين كما تقدم يكون مرتين في كل سنة فآذر الاول عدد أيامه ثلاثون يوما ان كانت السنة كبيسة وان كانت بسيطة فأيامه تسعة وعشرون يوما وليس فيه عيد عندهم وآذر الثاني أيامه تسعة وعشرون يوما أبدا وفيه عند الربانيين صوم الفوز فى اليوم الثالث عشر منه والفوز في اليوم الرابع عشر واليوم الخامس عشر وأما القراؤن فليس عندهم في السنة شهر آذر سوى مرة واحدة ويجعلون صوم الفوز في ثالث عشره وبعده الى الخامس عشر وهذا أيضاً محدث وذلك أن بخت نصر لما أجلى بنى اسرائيل من بيت المقدس وخربه ساقهم جلاية الى بلاد العراق وأسكنهم في مدينة جي التى يقال لها أصبهان فلما ملك أزدشير بن بابك ملك الفرس وتسميه اليهود أحشوارش كان له وزير يسمي هيمون وكان لليهود حينئذ حبر يقال له مردوخاى فبلغ أزدشير أن له ابنة عم جميلة الصورة فتزوجها وحظيت عنده واستدنى مردوخاى ابن عمها وقربه فحسده الوزير هيمون وعمل على هلاكه وهلاك اليهود الذين فى مملكة أزدشير ورتب مع نواب أزدشير في سائر أعماله أن يقتلوا كل يهودى عندهم في يوم عينه لهم وهو الثالث عشر من آذر فبلغ ذلك مردوخاى فأعلم ابنة عمه بما دبره الوزير وحثها على اعمال الحيلة فى تخليص قومها من الهلكة فأعلمت أزدشير بحسد الوزير لمردوخاى على قربه من الملك واكرامه وما كتب به الى العمال من قتل اليهود وما زالت به تغريه على الوزير الى أن أمر بقتله وقتل اهله وكتب لليهود أماناً فاتخذ اليهود هذا اليوم من كل سنة عيدا وصاموه شكراً لله تعالى وجعلوا من بعده يومين اتخذوهما أيام فرح وسرور ولهو ومهاداة من بعضهم لبعض وهم على ذلك الى اليوم وربما صور بعضهم فى هذا اليوم صورة هيمون الوزير وهم يسمونه هامان فاذا صوروه ألقوه بعد العبث به فى النار حتى يحترق * وشهر نيسن عدد أيامه ثلاثون يوماً أبدا وفيه عيد الفاسح الذي يعرف اليوم عند النصارى بالفصح ويكون في الخامس عشر منه وهو سبعة أيام يأكلون فيها الفطير وينظفون بيوتهم من أجل أن الله سبحانه خلص بنى اسرائيل من أسر فرعون في هذه الايام حتى خرجوا من مصر مع نبى الله موسي بن عمران عليه السلام وتبعهم فرعون فأغرقه الله ومن معه وسار موسي ببني اسرائيل الى التيه ولما

خرجوا من مصر مع موسى كانوا يأكلون اللحم والخبز والفطير وهم فرحون بخلاصهم من يد فرعون فأمروا باتخاذ الفطير وأكله في هذه الايام ليذكروا به مامن الله عليهم به من انقاذهم من العبودية وفى آخر هذه الايام السبعة كان غرق فرعون وهو عندهم يوم كبير ولا يكون أول هذا الشهر عند الربانيين أبدا يوم الاثنين ولا يوم الاربعاء ولا يوم الجمعة ويكون أول الخمسينيات من نصفه * وشهر ايار عدد أيامه تسعة وعشرون يوما وفيه عيد الموقف وهو حج الاسابيع وهى الاسابيع التي فرضت على بني اسرائيل فيها الفرائض ويقال لهذا العيد فى زمننا عيد العنصرة وعيد الخطاب ويكون بعد عيد الفطير وفيه خوطب بنو اسرائيل في طور سيناء ويكون هذا العيد فى السادس منه وفيه أيضا يوم الخميس وهو آخر الخمسينيات ولا يكون عيد العنصرة عند الربانيين أبدا يوم الثلاثاء ولا يوم الخميس ولا يوم السبت * وشهر تموز أيامه تسعة وعشرون يوما وليس فيه عيد لكنهم يصومون في تاسعه لان فيه هدم سور بيت المقدس عند محاصرة بخت نصر له والربانيون خاصة يصومون يوم السابع عشر منه لأن فيه هدم طيطش سور بيت المقدس وخرب البيت الخراب الثانى * وشهر آب ثلاثون يوما وفيه عيد القرائين صوم فى اليوم السابع واليوم العاشر لان بيت المقدس خرب فيهما على يد بخت نصر وفيه أيضاً كان اطلاق بخت نصر النار فى مدينة القدس وفي الهيكل ويصوم الربانيون اليوم التاسع منه لان فيه خرب البيت على يد طيطش الخراب الثانى * وشهر أيلول تسعة وعشرون يوما أبداً وليس فيه عيد والله تعالى أعلم

(ذكر معنى قولهم يهودى)

اعلم أن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلوات الله عليهم أجمعين سماه الله اسرائيل ومعنى ذلك الذى رأسه القادر وكان له من الولد اثنا عشر ذكراً يقال لكل واحد منهم سبط ويقال لمجموعهم الاسباط وهذه أسماؤهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويساخر وزبولون والستة أشقاء أمهم ليا بنت لابان بن بتويل بن ناحور أخى ابرهيم الخليل وكان وأشار ودان ونفتالى ويوسف وبنيامين فلما كبر هؤلاء الاسباط الاثنا عشر قدم عليهم أبوهم يعقوب وهو اسرائيل ابنه يهوذا وجعله حاكما على اخوته الاحد عشر سبطا فاستمر رئيسا وحاكما على اخوته الى أن مات فورثت أولاد يهوذا رياسة الاسباط من بعده الى أن أرسل الله تعالى موسى بن عمران بن قاهات بن لاوى بن يعقوب الى فرعون بعد وفاة يوسف بن يعقوب عليهما السلام بمائة وأربع وأربعين سنة وهم رؤساء الاسباط فلما نجى الله موسى وقومه بعد غرق فرعون ومن معه رتب عليه السلام بنى اسرائيل الاثنى عشر سبطا أربع فرق وقدم على جميعهم سبط يهوذا فلم يزل سبط يهوذا مقدما على سائر الاسباط أيام حياة موسى عليه السلام وأيام حياة يوشع بن نون فلما مات يوشع سأل بنو

اسرائيل الله تعالى وابتهلوا اليه فى قبة الشمشار أن يقدم عليهم واحدا منهم فجاء الوحي من الله بتقديم عثنيئال بن قناز من سبط يهوذا فتقدم على سائر الاسباط وصار بنو يهوذا مقدمين على سائر الاسباط من حينئذ الى أن ملك الله على بنى اسرائيل نبيه داود وهو من سبط يهوذا فورث ملك بنى اسرائيل من بعده ابنه سليمان بن داود عليهما السلام فلما مات سليمان افترق ملك بنى اسرائيل من بعده وصار لمدينة شمرون التى يقال لها اليوم نابلس عشرة أسباط وبقى بمدينة القدس سبطان هما سبط يهوذا وسبط بنيامين وكان يقال لسكان شمرون بنو اسرائيل ويقال لسكان القدس بنو يهوذا الى أن انقرضت دولة بنى اسرائيل من مدينة شمرون بعد مائتين واحدى وخمسين سنة فصاروا كلهم بالقدس تحت طاعة الملوك من بنى يهوذا الى أن قدم بخت نصر وخرب القدس وجلا جميع بني اسرائيل الى بابل فعرفوا هناك بين الامم ببنى يهوذا واستمر هذا سمة لهم بين الامم بعد ذلك الى أن جاء الله بالاسلام فكان يقال للواحد منهم يهوذي بذال معجمة نسبة الى سبط يهوذا وتلاعب العرب بذلك على عادتهم في التلاعب بالاسماء المعجمة وقالوها بدال مهملة وسموا طائفة بني اسرائيل اليهود وبهذه اللغة نزل القرآن ويقال ان أول من سمي بني اسرائيل اليهود بخت نصر والله يعلم وأنتم لاتعلمون

(ذكر معتقد اليهود وكيف وقع عندهم التبديل)

اعلم أن الله سبحانه لما أنزل التوراة على نبيه موسى عليه السلام ضمنها شرائع الملة الموسوية وأمر فيها أن يكتب لكل من يلي أمر بنى اسرائيل كتاب يتضمن أحكام الشريعة لينظر فيه ويعمل به وسمى هذا الكتاب بالعبرانية مشنا ومعناه استخراج الاحكام من النص الالهي وكتب موسى عليه السلام بخط يده مشنا كأنه تفسير لما في التوراة من الكلام الالهي فلما مات موسى عليه السلام وقام من بعده بأمر بني اسرائيل يوشع بن نون ومن بعده الى أن كانت أيام يهويا قيم ملك القدس غزاهم بخت نصر الغزوة الاولى وهم يكتبون لكل من ملكهم مشنا ينقلونها من المشنا التي بخط موسى ويجعلونها باسمه فلما جلا بخت نصر يهويا قيم الملك ومعه أعيان بنى اسرائيل وكبراء بيت المقدس وهم في زيادة على عشرة آلاف نفس ساروا ومعهم نسخ المشنا التى كتبت لسائر ملوك بني اسرائيل بأجمعها الى بلاد المشرق فلما سار بخت نصر من بابل الكرة الثانية لغزو القدس وخربه وجلا جميع من فيه وفي بلاد بني اسرائيل من الاسباط الاثني عشر الى بابل أقاموا بها وبقى القدس خرابا لاساكن فيه مدة سبعين سنة ثم عادوا من بابل بعد سبعين سنة وعمروا القدس وجددوا بناء البيت ثانيا ومعهم جميع نسخ المشنا التي خرجوا بها أولا فلما مضت من عمارة البيت الثاني بعد الجلاية ثلثمائة ونيف من السنين اختلف بنو اسرائيل فى دينهم اختلافا كثيرا فخرج طائفة

من آل داود عليه السلام من بيت المقدس وساروا الى الشرق كما فعل آباؤهم أولا وأخذوا معهم نسخا من المشنا التى كتبت للملوك من مشنا موسى التي بخطه وعملوا بما فيها ببلاد الشرق من حين خرجوا من القدس الى أن جاء الله بدين الاسلام وقدم عانان رأس الجالوت من المشرق الى العراق فى خلافة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور سنة ست وثلاثين ومائة من سني الهجرة المحمدية * وأما الذين أقاموا بالقدس من بني اسرائيل بعد خروج من ذكرنا الى الشرق من آل داود فانهم لم يزالوا في افتراق واختلاف فى دينهم الى أن غزاهم طيطش وخرب القدس الخراب الثانى بعد قتل يحيي بن زكريا ورفع المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام وسبي جميع من فيه وفي بلاد بني اسرائيل بأسرهم وغيب نسخ المشنا التى كانت عندهم بحيث لم يبق معهم من كتب الشريعة سوى التوراة وكتب الانبياء وتفرق بنو اسرائيل من وقت تخريب طيطش بيت المقدس فى أقطار الارض وصاروا ذمة الى يومنا هذا ثم ان رجلين ممن تأخر الى قبيل تخريب القدس يقال لهما شماى وهلال نزلا مدينة طبرية وكتبا كتابا سمياه مشنا باسم مشنا موسى عليه السلام وضمنا هذا المشنا الذي وضعاه أحكام الشريعة ووافقهما على وضع ذلك عدة من اليهود وكان شماى وهلال في زمن واحد وكانا في أواخر مدة تخريب البيت الثانى وكان لهلال ثمانون تلميذا أصغرهم يوحانان بن زكاي وأدرك يوحانان بن زكاى خراب البيت الثانى على يد طيطش وهلال وشماي أقوالهما مذكورة فى المشنا وهي فى ستة أسفار تشتمل على فقه التوراة وانما رتبها التوسى من ولد داود النبي بعد تخريب طيطش للقدس بمائة وخمسين سنة ومات شماى وهلال ولم يكملا المشنا فأكمله رجل منهم يعرف بيهودا من ذرية هلال وحمل اليهود على العمل بما في هذا المشنا وحقيقته أنه يتضمن كثيرا مما كان في مشنا النبي موسى عليه السلام وكثيراً من آراء أكابرهم فلما كان بعد وضع هذا المشنا بنحو خمسين سنة قام طائفة من اليهود يقال لهم السنهدوين ومعني ذلك الاكابر وتصرفوا في تفسير هذا المشنا برأيهم وعملوا عليه كتابا اسمه التلمود أخفوا فيه كثيرا مما كان فى ذلك المشنا وزادوا فيه أحكاما من رأيهم وصاروا منذ وضع هذا التلمود الذي كتبوه بأيديهم وضمنوه ماهو من رأيهم ينسبون مافيه الى الله تعالى ولذلك ذمهم الله في القرآن الكريم بقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وهذا التلمود نسختان مختلفتان في الاحكام والعمل الى اليوم على هذا التلمود عند فرقة الربانيين بخلاف القرائين فانهم لا يعتقدون العمل بما في هذا التلمود فلما قدم عانان رأس الجالوت الى العراق انكر على اليهود عملهم بهذا التلمود وزعم أن الذى بيده هو الحق لانه كتب من النسخ التى كتبت من مشنا موسى عليه السلام الذى بخطه والطائفة الربانيون ومن وافقهم لا يعولون من

التوراة التي بأيديهم الا على مافي هذا التلمود وما خالف مافى التلمود لا يعبأون به ولا يعولون عليه كما أخبر تعالى اذ يقول حكاية عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ومن اطلع على ما بأيديهم وماعندهم من التوراة تبين له انهم ليسوا على شئ وأنهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولذلك لما نبغ فيهم موسى بن ميمون القرطبي عولوا على رأيه وعملوا بما في كتاب الدلالة وغيره من كتبه وهم على رأيه الي زمننا

(ذكر فرق اليهود الآن)

اعلم أن اليهود الذين قطعهم الله فى الارض أمما أربع فرق كل فرقة تخطئ الطوائف الاخر وهي طائفة الربانيين وطائفة القرائين وطائفة العانانية وطائفة السمرة وهذا الاختلاف حدث لهم بعد تخريب بخت نصر بيت المقدس وعودهم من أرض بابل بعد الجلاية الى القدس وعمارة البيت ثانيا وذلك انهم في اقامتهم بالقدس أيام العمارة الثانية افترقوا في دينهم وصاروا شيعا فلما ملكهم اليونان بعد الاسكندر بن فيلبش وقام بأمرهم فى القدس هورقانوس ابن شمعون بن مشيثا واستقام أمره فسمي ملكا وكان قبل ذلك هو وجميع من تقدمه ممن ولى أمر اليهود فى القدس بعد عودهم من الجلاية انما يقال له الكوهن الاكبر فاجتمع لهورقانوس منزلة الملك ومنزلة الكهونية واطمأن اليهود في أيامه وامنوا بسائر أعدائهم من الامم فبطروا معيشتهم واختلفوا في دينهم وتعادوا بسبب الاختلاف وكان من جملة فرقهم اذ ذاك طائفة يقال لها الفروشيم ومعناه المعتزلة ومن مذهبهم القول بما في التوراة على معني مافسره الحكماء من اسلافهم وطائفة يقال لهم الصدوقية نسبوا الى كبير لهم يقال له صدوف ومذهبهم القول بنص التوراة وما دل عليه القول الالهى فيها دون ماعداه من الاقوال وطائفة يقال لهم الجسديم ومعناه الصلحاء ومذهبهم الاشتغال بالنسك وعبادة الله سبحانه والاخذ بالافضل والاسلم فى الدين وكانت الصدوقية تعادى المعتزلة عداوة شديدة وكان الملك هورقانوس أولا على رأي المعتزلة وهو مذهب آبائه ثم انه رجع الى مذهب الصدوقية وباين المعتزلة وعاداهم ونادى في سائر مملكته بمنع الناس جملة من تعلم رأي المعتزلة والاخذ عن أحد منهم وتتبعهم وقتل منهم كثيرا وكانت العامة بأسرها مع المعتزلة فثارت الشرور بين اليهود واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضا الى أن خرب البيت على يد طيطش الخراب الثاني بعد رفع عيسى صلوات الله عليه وتفرق اليهود من حينئذ فى أقطار الدنيا وصاروا ذمة والنصارى تقتلهم حيثما ظفرت بهم الى أن جاء الله بالملة الاسلامية وهم في تفرقهم ثلاث فرق الربانيون والقراء والسمرة *(فأما الربانية فيقال لهم بنو مشنو ومعني مشنو الثانى وقيل لهم ذلك لانهم يعتبرون أمر البيت الذى بنى ثانيا بعد عودهم من الجلاية وخربه طيطش وينزلونه فى الاحترام والاكرام والتعظيم منزلة البيت الاول الذى

ابتدأ عمارته داود وأتمه ابنه سليمان عليهما السلام وخربه بخت نصر فصار كأنه يقال لهم أصحاب الدعوة الثانية وهذه الفرقة هي التي كانت تعمل بما في المشنا الذى كتب بطبرية بعد تخريب طيطش القدس وتعول في أحكام الشريعة على ما في التلمود الى هذا الوقت الذى نحن فيه وهي بعيدة عن العمل بالنصوص الالهية متبعة لآراء من تقدمها من الاحبار ومن اطلع على حقيقة دينها تبين له أن الذى ذمهم الله به في القرآن الكريم حق لامرية فيه وانه لايصح لهم من اسم اليهودية الا مجرد الانتماء فقط لانهم في الاتباع على الملة الموسوية لاسيما منذ ظهر فيهم موسى بن ميمون القرطبي بعد الخمسمائة من سني الهجرة المحمدية فانه ردهم مع ذلك معطلة فصاروا فى أصول دينهم وفروعه أبعد الناس عما جاء به أنبياء الله تعالى من الشرائع الالهية * (وأما القراء) فانهم بنو مقرا ومعنى مقرا الدعوة وهم لايعولون على البيت الثانى جملة ودعوتهم انما هي لما كان عليه العمل مدة البيت الاول وكان يقال لهم أصحاب الدعوة الاولى وهم يحكمون نصوص التوراة ولا يلتفتون الى قول من خالفها ويقفون مع النص دون تقليد من سلف وهم مع الربانيين من العداوة بحيث لايتناكحون ولا يتجاورون ولا يدخل بعضهم كنيسة بعض ويقال للقرائين أيضاً المبادية لانهم كانوا يعملون مبادى الشهور من الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر ويقال لها أيضاً الاسمية لانهم يراعون العمل بنصوص التوراة دون العمل بالقياس والتقليد * (وأما العانانية)* فانهم ينسبون الى عانان رأس الجالوت الذى قدم من المشرق في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور ومعه نسخ المشنا الذى كتب من الخط الذى كتب من خط النبي موسى وانه رأى ماعليه اليهود من الربانيين والقرائين يخالف مامعه فتجرد لخلافهم وطعن عليهم فى دينهم وازدري بهم وكان عظيما عندهم يرون انه من ولد داود عليه السلام وعلى طريق فاضلة من النسك على مقتضى ملتهم بحيث يرون انه لو ظهر فى أيام عمارة البيت لكان نبيا فلم يقدروا على مناظرته لما اوتى مع ما ذكرنا من تقريب الخليفة له واكرامه وكان مما خالف فيه اليهود استعمال الشهور برؤية الاهلة على مثل ماشرع في الملة الاسلامية ولم يبال فى أي يوم وقع من الاسبوع وترك حساب الربانيين وكبس الشهور وخطأهم فى العمل بذلك واعتمد على كشف زرع الشعير وأجمل القول في المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وأثبت نبوة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وقال هو نبي أرسل الى العرب الا أن التوراة لم تنسخ والحق انه أرسل الي الناس كافة صلي الله عليه وسلم * (ذكر السمرة) * اعلم أن طائفة السمرة ليسوا من بنى اسرائيل البتة وانما هم قوم قدموا من بلاد المشرق وسكنوا بلاد الشام وتهودوا ويقال انهم من بني سامرك بن كفر كابن رمى وهو شعب من شعوب الفرس خرجوا الى الشام ومعهم الخيل والغنم والابل والقسي والنشاب والسيوف والمواشى ومنهم السمرة الذين تفرقوا في البلاد

ويقال ان سليمان بن داود لما مات افترق ملك بنى اسرائيل من بعده فصار رحبعم بن سليمان على سبط يهودا بالقدس وملك يربعم بن نباط على عشرة أسباط من بنى اسرائيل وسكن خارجا عن القدس واتخذ عجلين دعا الاسباط العشرة الى عبادتهما من دون الله الى أن مات فولى ملك بنى اسرائيل من بعده عـدة ملوك على مثل طريقته فى الكفر بالله وعبادة الأوثان الى أن ملكهم عمرى بن نوذب من سبط منشا بن يوسف فاشترى مكانا من رجل اسمه شامر بقنطار فضة وبنى فيه قصرا وسماه باسم اشتقه من اسم شامر الذى اشترى منه المكان وصير حول هذا القصر مدينة وسماها مدينـة شمرون وجعلها كرسي ملكه الى أن مات فاتخـذها ملوك بني اسرائيل من بعده مدينة للملك وما زالوا فيها الى أن ولى هوشاع بن ايلا وهم على الكفر بالله وعبادة وثن بعل وغيره من الأوثان مع قتل الأنبياء الى أن سلط الله عليهم سنجاريب ملك الموصل فحاصرهم بمدينة شمرون ثلاث سنين وأخذ هوشاع أسيرا وجلاه ومعـه جميع من فى شمرون من بني اسرائيل وأنزلهم بهراه وبلخ ونهاوند وحلوان فانقطع من حينئذ ملك بنى اسرائيل من مدينـة شمرون بعد ماملكوا من بعد سليمان عليه السلام مدة مائتي سنة واحدى وخمسين سنة ثم ان سنجاريب ملك الموصل نقل الى شمرون كثيراً من أهل كوشا وبابل وحماه وأنزلهم فيها ليعمروها فبعثوا اليـه يشكون من كثرة هجوم الوحش عليهم بشمرون فسير اليهم من علمهم التوراة فتعلموها على غير ما يجب وصاروا يقرؤنها ناقصة أربعة أحرف الألف والهاء والحاء والعين فلا ينطقون بشئ من هذه الاحرف فى قراءتهم التوراة وعرفوا بين الامم بالسامرة لسكناهم بمدينة شمرون وشمرون هذه هي مدينة نابلس وقيل لها سمرون بسين مهملة ولسكانها سامرة ويقال معنى السمرة حفظة ونواطير فلم تزل السمرة بنابلس الى أن غزا بخت نصر القدس وأجلى اليهود منه الى بابل ثم عادوا بعد سبعين سنة وعمروا البيت ثانيـا الى أن قام الاسكندر من بلاد اليونان وخرج يريد غزو الفرس فمر على القدس وخرج منه يريد عمان فاجتاز على نابلس وخرج اليه كبير السمرة بها وهو سنبلاط السامرى فأنزله وصنع له ولقواده وعظماء أصحابه صنيعاً عظيما وحمل اليه أموالا جمة وهدايا جليلة واستأذنه في بناء هيكل لله على الجبل الذى يسمى عندهم طور بريك فأذن له وسار عنه الى محاربة دارا ملك الفرس فبنى سنبلاط هيكلا شبيها بهيكل القدس ليستميل به اليهود وموه عليهم بأن طور بريك هو الموضع الذي اختاره الله تعالى وذكره في التوراة بقوله فيها اجعل البركة على طور بريك وكان سنبلاط قد زوج ابنته بكاهن من كهان بيت المقدس يقال له منشا فمقتت اليهود منشا على ذلك وأبعدوه وحطوه عن مرتبته عقوبة له على مصاهرة سنبلاط فأقام سنبلاط منشا زوج ابنته كاهنـاً فى هيكل طور بريك وأتته طوائف من اليهود وضلوا به وصـاروا يحجون الى هيكله فى الاعيـاد

ويقربون قرابينهم اليه ويحملون اليه نذورهم وأعشارهم وتركوا قدس الله وعبدلوا عنه فكثرت الاموال فى هذا الهيكل وصار ضد البيت المقدس واستغنى كهنته وخدامه وعظم أمر منشا وكبرت حالته فلم تزل هذه الطائفة تحج الى طوربريك حتي كان زمن هورقانوس ابن شمعون الكوهن من بنى حشمناى في بيت المقدس فسار الى بلاد السمرة ونزل على مدينة نابلس وحصرها مدة وأخذها عنوة وخرب هيكل طوربريك الى أساسه وكانت مدة عمارته مائتى سنة وقتل من كان هناك من الكهنة فلم تزل السمرة بعد ذلك الى يومنا هذا تستقبل في صلاتها حيثما كانت من الارض طوربريك بجبل نابلس ولهم عبادات تخالف ماعليه اليهود ولهم كنائس في كل بلد تخصهم والسمرة ينكرون نبوة داود ومن تلاه من الانبياء وأبوا أن يكون بعد موسى عليه السلام نبي وجعلوا رؤساءهم من ولد هارون عليه السلام واكثرهم يسكن في مدينة نابلس وهم كثير في مدائن الشام ويذكر أنهم الذين يقولون لامساس ويزعمون أن نابلس هي بيت المقدس وهى مدينة يعقوب عليه السلام وهناك مراعيه * وذكر المسعودى أن السمرة صنفان متباينان أحدهما يقال له الكوشان والآخر الروشان أحد الصنفين يقول بقدم العالم والسامرة تزعم أن التوراة التي فى أيدى اليهود ليست التوراة التي أوردها موسي عليه السلام ويقولون توراة موسي حرفت وغيرت وبدلت وان التوراة هى مابأيديهم دون غيرهم *وذكر أبوالريحان محمد بن أحمد البيرونى أن السامرة تعرف بالامساسية قال وهم الابدال الذين بدلهم بخت نصر بالشام حين أسر اليهود وأجلاها وكانت السامرة أعانوه ودلوه على عورات بني اسرائيل فلم يحربهم ولم يقتلهم ولم يسبهم وأنزلهم فلسطين من تحت يده ومذاهبهم ممتزجة من اليهودية والمجوسية وعامتهم يكونون بموضع من فلسطين يسمى نابلس وبها كنائسهم ولا يدخلون حد بيت المقدس منذ أيام داود النبي عليه السلام لانهم يدعون انه ظلم واعتدى وحول الهيكل المقدس من نابلس الى ايليا وهو بيت المقدس ولايمسون الناس واذا مسوهم اغتسلوا ولا يقرون بنبوة من كان بعد موسى عليه السلام من انبياء بنى اسرائيل * وفى شرح الانجيل ان اليهود انقسمت بعد أيام داود الى سبع فرق *(الكتاب)* وكانوا يحافظون على العادات التى اجمع عليها المشائخ مما ليس في التوراة * (والمعتزلة) * وهم الفريسيون وكانوا يظهرون الزهد ويصومون يومين في الاسبوع ويخرجون العشر من أموالهم ويجعلون خيوط القرمز في رؤس ثيابهم ويغسلون جميع أوانيهم ويبالغون في اظهار النظافة * (والزنادقة) * وهم من جنس السامرة وهم من الصدوقية فيكفرون بالملائكة والبعث بعد الموت وبجميع الانبياء ماخلاموسى فقط فانهم يقرون بنبوته * (والمتطهرون) * وكانوا يغتسلون كل يوم ويقولون لايستحق حياة الابد الا من يتطهر كل يوم * (والاسابيون) * ومعناه التلاظ الطباع وكانوا يوجبون جميع

الاوامر الالهية وينكرون جميع الانبياء سوى موسى عليه السلام ويتعبدون بكتب غير الانبياء * (والمتقشفون) وكانوا يمنعون اكثر المآكل وخاصة اللحم ويمنعون من التزوج بحسب الطاقة ويقولون بأن التوراة ليست كلها لموسى ويتمسكون بصحف منسوبة الى اخنوخ وابراهيم عليه السلام وينظرون فى علم النجوم ويعملون بها * (والهيرذوسيون) سموا انفسهم بذلك لموالاتهم هيرذوس ملكهم وكانوا يتبعون التوراة ويعملون بما فيها انتهى * وذكر يوسف بن كريون في تاريخه أن اليهود كانوا في زمن ملكهم هورقانوس يعني فى زمن بناء البيت بعد عودهم من الجلاية ثلاث فرق * الفروشيم ومعناه المعتزلة ومذهبهم القول بما في التوراة وما فسره الحكماء من سلفهم * والصدوقية أصحاب رجل من العلماء يقال له صدوف ومذهبهم القول بنص التوراة وما دلت عليه دون غيره * والجسديم ومعناه الصلحاء وهم المشتغلون بالعبادة والنسك الآخذون في كل أمر بالافضل والاسلم في الدين انتهى وهذه الفرقة هي أصل فرقتي الربانيين والقراء * (فصل) زعم بعضهم أن اليهود عانانية وشمعونية نسبة الى شمعون الصديق ولى القدس عند قدوم أبي الاسكندر وجالوتية وفيومية وسامرية وعكبرية وأصبهانية وعراقية ومغاربة وشرشتانية وفلسطينية ومالكية وربانية * فالعانانية (٣) تقول بالتوحيد والعدل ونفي التشبيه * والشمعونية تشبه * وتبالغ الجالوتية في التشبيه * وأما الفيومية فانها تنسب الى أبي سعيد الفيومي وهم يفسرون التوراة على الحروف المقطعة * والسامرية ينكرون كثيرا من شرائعهم ولا يقرون بنبوة من جاء بعد يوشع * والعكبرية أصحاب أبي موسى البغدادي العكبري واسماعيل العكبري يخالفون أشياء من السبت وتفسير التوراة * والاصبهانية أصحاب أبي عيسى الاصبهاني وادعى النبوة وانه عرج به إلى السماء فمسح الرب على رأسه وانه رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فآمن به ويزعم يهود أصبهان انه الدجال وانه يخرج من ناحيتهم * والعراقية تخالف الخراسانية في أوقات أعيادهم ومدد أيامهم * والشرشتانية أصحاب شرشتان زعم أنه ذهب من التوراة ثمانون سورة أي آية وادعى أن للتوراة تأويلا باطنا مخالفا للظاهر * وأما يهود فلسطين فزعموا أن العزير ابن الله تعالى وانكر اكثر اليهود هذا القول * والمالكية تزعم أن الله تعالى لايحيي يوم القيامة من الموتى الا من احتج عليه بالرسل والكتب ومالك هذا هو تلميذ عانان * والربانية تزعم أن الحائض اذا مست ثوباً بين ثياب وجب غسل جميعها * والعراقية تعمل رؤس الشهور بالاهلة وآخرون بالحساب يعملون والله اعلم * (فصل) وهم يوجبون الايمان بالله وحده وبموسى عليه السلام وبالتوراة ولا بد لهم من درسها وتعلمها ويغتسلون ويتوضؤن ولا يمسحون رؤسهم في وضوئهم ويبدءون بالرجل اليسرى

(٣) (قوله فالعانانية الخ) لم يذكر في النشر المغاربة كما ذكرهم فى الالف وليحرر اه مصححه

وفي شيء منه خلاف بينهم وعانان يرى أن الاستنجاء قبل الوضوء ويرى اشمعث أن الاستنجاء بعد الوضوء ولا يتوضؤن بما تغير لونه أو طعمه أو ريحه ولايجيزون الطهارة من غدير مالم يكن عشرة أذرع في مثلها والنوم قاعدا لاينقض الوضوء عندهم مالم يضع جنبه الارض الا العانانية فان مطلق النوم عندهم ينقض ومن أحدث في صلاته من قيء أو رعاف أو ريح انصرف وتوضأ وبنى على صلاته ولا تجوز صلاة الرجل في أقل من ثلاثة أثواب قميص وسراويل وملاءة يتردى بها فان لم يجد الملاءة صلى جالسا فان لم يجد القميص والسراويل صلى بقلبه ولا تجوز صلاة المرأة في أقل من أربعة أثواب وعليهم فريضة ثلاث صلوات في اليوم والليلة عند الصبح وبعد الزوال الى غروب الشمس ووقت العتمة الى ثلث الليل ويسجدون في دبر كل صلاة سجدة طويلة وفي يوم السبت وأيام الاعياد يزيدون خمس صلوات على تلك الثلاث * ولهم خمسة أعياد * (عيد الفطير) وهو الخامس عشر من نيسن يقيمون سبعة أيام لايأكلون سوى الفطير وهي الايام التي تخلصوا فيها من فرعون وأغرقه الله * (وعيد الاسابيع) بعد الفطير بسبعة أسابيع وهو اليوم الذي كلم الله تعالى فيه بني اسرائيل من طور سيناء * (وعيد رأس الشهر) وهو أول تشرى وهو الذي فدى فيه اسحاق عليه السلام من الذبح ويسمونه عيد رأس هشايا أي رأس الشهر * (وعيد صوماريا) يعني الصوم العظيم * (وعيد المظلة) يستظلون سبعة أيام بقضبان الآس والخلاف * ويجب عليهم الحج في كل سنة ثلاث مرات لما كان الهيكل عامرا * ويوجبون صوم أربعة أيام * أولها سابع عشر تموز من الغروب الى الغروب وعند العانانية هو اليوم الذي أخذ فيه بخت نصر البيت * والثاني عشر آب * والثالث عشر كانون الاول * والرابع ثالث عشر آذار * ويتشددون في أمر الحائض بحيث يعتزلونها وثيابها وأوانيها وما مسته من شيء فانه ينجس ويجب غسله فان مست لحم القربان أحرق بالنار ومن مسها أو شيئاً من ثيابها وجب عليه الغسل وما عجنته أو خبزته أو طبخته أو غسلته فكله نجس حرام على الطاهرين حل للحيض ومن غسل ميتا نجس سبعة أيام لايصلي فيها وهم يغسلون موتاهم ولا يصلون عليهم * ويوجبون اخراج العشر من جميع مايملك ولا يجب حتي يبلغ وزنه أو عدده مائة ولا يخرج العشر الا مرة واحدة ثم لايعاد اخراجه * ولايصح النكاح عندهم الا بولي وخطبة وثلاثة شهود ومهر مائتي درهم للبكر ومائة للثيب لا أقل من ذلك ويحضر عند عقد النكاح كأس خمر وباقة مرسين فيأخذ الامام الكأس ويبارك عليه ويخطب خطبة النكاح ثم يدفعه الى الختن ويقول قد تزوجت فلانة بهذه الفضة أو بهذا الذهب وهو خاتم في يده وبهذا الكأس من الخمر وبمهر كذا ويشرب جرعة من الخمر ثم ينهضون الى المرأة ويأمرونها أن تأخذ الخاتم والمرسين والكاس من يد الختن فاذا أخذت وشربت جرعة وجب عقد النكاح ويضمن

أولياء المرأة البكارة فاذا زفت اليه وكل الولى من يقف بباب الخلوة وقد فرشت ثياب بيض حتى يشاهد الوكيل الدم فان لم توجد بكرا رجمت ولا يجوز عندهم نكاح الاماء حتى يعتقن ثم ينكحن والعبد يعتق بعد خدمته لسنين معلومة وهي ست سنين ومنهم من يجوز بيع صغار أولاده اذا احتاج ولا يجوزون الطلاق الا بفاحشة أوسحر أورجوع عن الدين وعلى من طلق خمسة وعشرون درهما للبكر ونصف ذلك للثيب وينزل فى كتابها طلاقها بعد أن يقول الزوج أنت طالق مني مائة مرة ومختلعة مني وفى سعة أن تتزوجي من شئت ولا يقع طلاق الحامل أبدا لم الا أن يجوزوه ويراجع الرجل امرأته مالم تتزوج فان تزوجت حرمت عليه الى الابد * والخيار بين المتبايعين مالم ينقل المبيع الى البائع * والحدود عندهم على خمسة أوجه حرق ورجم وقتل وتعزير وتغريم فالحرق على من زنى بام امرأته أو ربيبته أو بامرأة أبيه أو امرأة ابنه والقتل على من قتل والرجم على المحصن اذا زنى أو لاط وعلى المرأة اذا مكنت من نفسها بهيمة والتعزير على من قذف والتغريم على من سرق ويرون أن البينة على المدعي واليمين على من انكر وعندهم أن من أتى بشيء من سبعة وثلاثين(٣) عملا في يوم السبت أو ليلته استحق القتل وهى كرب الارض وزرعها وحصاد الزرع وسياقة الماء الى الزرع وحلب اللبن وكسر الحطب واشعال النار وعجن العجين وخبزه وخياطة الثوب وغسله ونسج سلكين وكتابة حرفين أو نحوهما وأخذ الصيد وذبح الحيوان والخروج من القرية والانتقال من بيت الى آخر والبيع والشراء والدق والطحن والاحتطاب وقطع الخبز ودق اللحم واصلاح النعل اذا انقطعت وخلط علف الدابة ولا يجوز للكاتب أن يخرج يوم السبت من منزله ومعه قلمه ولا الخياط ومعه ابرته وكل من عمل شيئاً استحق به القتل فلم يسلم نفسه فهو ملعون

* (ذكر قبط مصر ودياناتهم القديمة وكيف تنصروا ثم صاروا ذمة للمسلمين وما كان لهم في ذلك من القصص والانباء وذكر الخبر عن كنائسهم وديارتهم وكيف كان ابتداؤها ومصير أمرها) *

اعلم أن جميع أهل الشرائع أتباع الانبياء عليهم السلام من المسلمين واليهود والنصارى قد أجمعوا على أن نوحا عليه السلام هو الاب الثانى للبشر وأن العقب من آدم عليه السلام انحصر فيه ومنه ذرأ الله تعالى جميع أولاد آدم فليس أحد من بنى آدم الا وهو من أولاد نوح وخالفت القبط والمجوس وأهل الهند والصين ذلك فأنكروا الطوفان وزعم بعضهم أن الطوفان انما حدث في اقليم بابل وما وراءه من البلاد الغربية فقط وان أولاد كيومرت

(٣) (قوله سبعة وثلاثين) هكذا في النسخ وامل صوابه سبعة وعشرين ليوافق التفصيل بعده تأمل اه مصححه

الذي هو عندهم الانسان الاول كانوا بالبلاد الشرقية من بابل فلم يصل الطوفان اليهم ولا الى الهند والصين والحق ماعليه أهل الشرائع وأن نوحا عليه السلام لما أنجاه الله ومن معه بالسفينة نزل بهم وهم ثمانون رجلا سوى أولاده فماتوا بعد ذلك ولم يعقبوا وصار العقب من نوح في أولاده الثلاثة ويؤيد هذا قول الله تعالى عن نوح وجعلنا ذريته هم الباقين وكان من خبر ذلك أن أولاد نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافث اقتسموا الارض * فصار لبني سام بن نوح أرض العراق وفارس الى الهند ثم الى حضرموت وعمان والبحرين وعالج ويبرين ووبار والدو والدهنا وجميع أرض اليمن وأرض الحجاز * وصار لبني حام بن نوح جنوب الارض مما يلي أرض مصر مغربا الى بلاد المغرب الاقصى * وصار لبنى يافث بن نوح بحر الخزر مشرقا الى الصين * فكان من ذرية سام بن نوح القضاعيون والفرس والسريانيون والعبرانيون والعرب المستعربة والنبط وعاد وثمود والامورانيون والعماليق وأمم الهند وأهل السند وعدة أمم قد بادت وكانت ذرية حام بن نوح من أربعة أولاده الذين هم كوش ومصر ايم وقفط وكنعان فمن كوش الحبشة والزنج ومن مصر ايم قبط مصر والنوبة ومن قفط الافارقة اهل أفريقية ومن جاورهم الى المغرب الاقصى ومن كنعان أمم كانت بالشام حاربهم موسى بن عمران عليه السلام وقومه من بني اسرائيل ومنهم أجناس عديدة من البربر درجوا * وكانت مساكن بني حام من صيدا الى أرض مصر ثم الى آخر أفريقية نحو البحر المحيط وانتشروا فيما بين ذلك الى الجنوب وهم ثلاثون جنسا * وكان من ذرية يافث بن نوح الصقلب والفرنجة والغالليون من قبائل الروم والنوط وأهل الصين وقوم عرفوا بالمادنيين واليونانيون والروم الفريقيون وقبائل الاتراك ويأجوج ومأجوج وأهل قبرس ورودس وعدة بني يافث خمسة عشر جنسا سكنوا القطر الشمالي الى البحر المحيط فضاقت بهم بلادهم ولم تسعهم لكثرتهم فخرجوا منها وتغلبوا على كثير من بلاد بني سام ابن نوح * وذكر الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب أن القبط تنسب الى قبطيم بن مصرايم ابن مصر بن حام بن نوح وان قبطيم أول من عمل العجائب بمصر وأثار بها المعادن وشق الانهار لما ولى أرض مصر بعد أبيه مصر ايم وانه لحق ببلبلة الالسن وخرج منها وهو يعرف اللغة القبطية وأنه ملك مدة ثمانين سنة ومات فاغتم لموته بنوه وأهله ودفنوه فى الجانب الشرقي من النيل بسرب تحت الجبل الكبير فقام من بعده في ملك مصر ابنه قفطيم بن قبطيم وزعم بعض النسابة أن مصر بن حام بن نوح ويقال له مصرايم ويقال بل مصريم ابن هرمس بن هردوس جد الاسكندر وقيل بل قفط بن حام بن نوح نكح بخت بنت يتاويل ابن ترسل بن يافث بن نوح فولدت له بوقير وقبط أبا قبط مصر قال ابن اسحاق ومن هاهنا قالوا ان مصر بن حام بن نوح وانما هو مصر بن هرمس بن هردوس بن ميطون بن رومي

ابن ليطى بن يونان وبه سميت مصر فهى مقدونية وقيل القبط من ولد قبط بن مصر بن قفط بن حام بن نوح وبمصر هذا سميت مصر

(ذكر ديانة القبط قبل تنصرهم)

اعلم أن قبط مصر كانوا في غابر الدهر أهل شرك بالله يعبدون الكواكب ويقربون لها قرابينهم ويقيمون على أسمائها التماثيل كما هى أفعال الصابئة وذكر ابن وصيف شاه أن عبادة الاصنام أول ماعرفت بمصر أيام قفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وذلك ان ابليس أثار الاصنام التى غرقها الطوفان وزين للقبط عبادتها وان البودشير بن قبطيم أول من تكهن وعمل بالسحر وان مناوش بن منقاوش أول من عبد البقر من أهل مصر وذكر الموفق أحمد بن أبى القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة انه كان للقبط مذهب مشهور من مذاهب الصابئه ولهم هياكل على أسماء الكواكب يحج اليها الناس من أقطار الارض وكانت الحكماء والفلاسفة ممن سواهم تتهافت عليهم وتريد التقرب اليهم لما كان عندهم من علوم السحر والطلسمات والهندسة والنجوم والطب والحساب والكيمياء ولهم فى ذلك أخبار كثيرة وكانت لهم لغة يختصون بها وكانت خطوطهم ثلاثة أصناف خط العامة وخط الخاصة وهو خط الكهنة المختصر وخط الملوك* وقال ابن وصيف شاه كانت كهنة مصر اعظم الكهان قدرا وأجلها علما بالكهانة وكانت حكماء اليونانيين تصفهم بذلك وتشهد لهم به فيقولون اخبرنا حكماء مصر بكذا وكذا وكانوا يحون بكهانتهم نحو الكواكب ويزعمون انها هي التي تفيض عليهم العلوم وتخبرهم بالغيوب وهي التي تعلمهم أسرار الطوالع وصفة الطلاسم وتدلهم على العلوم المكتومة والاسماء الجليلة المخزونة فعملوا الطلسمات المشهورة والنواميس الجليلة وولدوا الاشكال الناطقة وصوروا الصور المتحركة وبنوا العالى من البنيان وزبروا علومهم فى الحجارة وعملوا من الطلسمات مادفعوا به الاعداء عن بلادهم فحكمهم باهرة وعجائبهم ظاهرة وكانت أرض مصر خمسا وثمانين كورة منها أسفل الارض خمس وأربعون كورة ومنها بالصعيد أربعون كورة وكان في كل كورة رئيس من الكهنة وهم السحرة وكان الذى يتعبد منهم للكواكب السبعة السيارة سبع سنين يسمونه باهر والذي يتعبد منهم لها تسعا وأربعين سنة لكل كوكب سبع سنين يسمونه قاطر وهذا يقوم له الملك اجلالا ويجلسه معه الى جانبه ولا يتصرف الا برأيه وتدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصنائع فيقفون حذاء القاطر وكان كل كاهن منهم ينفرد بخدمة كوكب من الكواكب السبعة السيارة لايتعداه الى سواه ويدعي بعبد ذلك الكوكب فيقال عبد القمر عبد عطارد عبد الزهرة عبد الشمس عبد المريخ عبد المشتري عبد زحل فاذا وقفوا جميعا قال القاطر لاحدهم أين صاحبك اليوم فيقول في برج كذا ودرجة كذا ودقيقة كذا ثم يقول للآخر كذلك فيجيبه

حتى يأتي على جميعهم ويعرف اماكن الكواكب من فلك البروج ثم يقول للملك ينبغي أن تعمل اليوم كذا أو تأكل كذا أو تجامع في وقت كذا أو تركب وقت كذا الى آخر مايحتاج اليه والكاتب قائم بين يديه يكتب مايقول ثم يلتفت القاطر الى أهل الصناعات ويخرجهم الى دار الحكمة فيضعون أيديهم فى الاعمال التي يصلح عملها فى ذلك اليوم ثم يؤرخ ماجرى فى ذلك اليوم في صحيفة وتخزن في خزائن الملك وكان الملك اذا همه أمر جمع الكهان خارج مدينة منف وقد اصطف الناس لهم بشارع المدينة ثم يدخل الكهان ركبانا على قدر مراتبهم والطبل بين أيديهم ومامنهم الا من أظهر أعجوبة قد عملها فمنهم من يعلو وجهه نور كهيئة نور الشمس لايقدر أحد على النظر اليه ومنهم من على بدنه جواهر مختلفة الالوان قد نسجت على ثوب ومنهم من يتوشح بحيات عظيمة ومنهم من يعقد فوقه قبة من نور الى غير ذلك من بديع اعمالهم ويصيرون كذلك الى حضرة الملك فيخبرهم بما نزل به فيجيلون رأيهم فيه حتى يتفقوا على مايصرفونه به وهذا أعزك الله من خبرهم لما كان الملك فيهم فلما استولت العماليق على ملك مصر وملكتها الفراعنة ثم تداولتها من بعدهم أجناس أخر تناقصت علوم القبط شيئاً بعد شئ الى أن تنصروا فغادروا عوايد أهل الشرك واتبعوا ماأمروا به من دين النصرانية كما ستقف عليه تلو هذا ان شاء الله تعالى

(ذكر دخول قبط مصر في دين النصرانية)

اعلم أن النصارى أتباع عيسى نبي الله ابن مريم عليه السلام سموا نصارى لأنهم ينتسبون الى قرية الناصرة من جبل الجليل بالجيم ويعرف هذا الجبل بجبل كنعان وهو الآن في زمننا من جملة معاملة صفد والاصل فى تسميتهم نصارى أن عيسي بن مريم عليه السلام لما ولدته أمه مريم ابنة عمران ببيت لحم خارج مدينة بيت المقدس ثم سارت به الى أرض مصر وسكنتها زمانا ثم عادت به الي أرض بني اسرائيل قومها نزلت قرية الناصرة فنشأ عيسى بها وقيل له يسوع الناصرى فلما بعثه الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل وكان من شأنه ماستراه الي أن رفعه الله اليه تفرق الحواريون وهم الذين آمنوا به في أقطار الارض يدعون الناس الى دينه فنسبوا الى مانسب اليه نبيهم عيسى بن مريم وقيل لهم الناصرية ثم تلاعب العرب بهذه الكلمة وقالوا نصاري * قال ابن سيده ونصرى وناصرة ونصورية قرية بالشام والنصارى منسوبون اليها هذا قول أهل اللغة وهو ضعيف الا أن نادر النسب يسيغه وأما سيبويه فقال أما النصارى فذهب الخليل الى انه جمع نصرى ونصران كما قالوا ندمان وندامي ولكنهم حذفوا احدى الياءين كما حذفوا من أثفية وأبدلوا مكانها ألفا قال وأما الذى نوجهه نحن عليه فانه جاء على نصران لانه قد تكلم به فكأنك جمعت وقلت نصارى كما قلت ندامى فهذا أقيس والاول مذهب وانما كان أقيس لانا لم نسمعهم قالوا نصرى والتنصر الدخول فى دين النصرانية

ونصره جعله كذلك والانصر الا قلف وهو من ذلك لان النصارى قلف وفي شرح الانجيل أن معني قرية ناصرة الجديدة والنصرانية التجدد والنصراني المجدد وقيل نسبوا الى نصران وهو من أبنية المبالغة ومعناه أن هذا الدين فى غير عصابة صاحبه فهو دين من ينصره من أتباعه * واذا تقرر هذا فاعلم ان المسيح روح الله وكلمته ألقاها الى مريم هو (عيسى) وأصل اسمه بالعبرانية التى هى لغة أمه وآبائها انما هو ياشوع وسمته النصاري يسوع وسماه الله تعالى وهو أصدق القائلين عيسى ومعني يسوع في اللغة السريانية المخلص قاله فى شرح الانجيل ونعته بالمسيح وهو الصديق وقيل لانه كان لايمسح بيده صاحب عاهة الابرأ وقيل لانه كان يمسح رؤس اليتامى وقيل لانه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه عند ولادته صونا له من مس الشيطان وقيل المسيح اسم مشتق من المسح أى الدهن لان روح القدس قام بجسد عيسى مقام الدهن الذى كان عند بني اسرائيل يمسح به الملك ويمسح به الكهنوت وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه أمسح الرجلين ليس لرجليه أخمص وقيل لانه يمسح الارض بسياحته لايستوطن مكانا وقيل هى كلمة عبرانية أصلها ماسيح فتلاعبت بها العرب وقالت مسيح * وكان من خبره عليه السلام أن مريم ابنة عمران بينا هى فى محرابها اذ بشرها الله تعالى بعيسى فخرجت من بيت القدس وقد اغتسلت من المحيض فتمثل لها الملك بشرا في صورة يوسف بن يعقوب النجار أحد خدام القدس فنفخ في جيبها فسرت النفخة الى جوفها فحملت بعيسى كما تحمل النساء بغير ذكر بل حلت نفخة الملك منها محل اللقاح ثم وضعت بعد تسعة اشهر وقيل بل وضعت في يوم حملها بقرية بيت لحم من عمل مدينة القدس فى يوم الاربعاء خامس عشرى كانون الاول وتاسع عشري كيهك سنة تسع عشرة وثلثمائة للاسكندر فقدمت رسل ملك فارس فى طلبه ومعهم هدية لها فيها ذهب ومر ولبان فطلبه هيرودس ملك اليهود بالقدس ليقتله وقد أنذر به فسارت أمه مريم به وعمره سنتان على حمار ومعها يوسف النجار حتى قدموا الى أرض مصر فسكنوها مدة أربع سنين ثم عادوا وعمر عيسى ست سنين فنزلت به مريم قرية الناصرة من جبل الجليل فاستوطنتها فنشأ بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة فسار هو وابن خالته يحيى بن زكريا عليهما السلام الى نهر الاردن فاغتسل عيسى فيه فحلت عليه النبوة فمضى الى البرية وأقام بها أربعين يوما لايتناول طعاما ولا شرابا فأوحى الله اليه بأن يدعو بني اسرائيل الى عبادة الله تعالى فطاف القرى ودعا الناس الى الله تعالى وأبرأ الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله وبكت اليهود وأمرهم بالزهد في الدنيا والتوبة من المعاصي فآمن به الحواريون وكانوا قوما صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين وعددهم اثنا عشر رجلا وصدقوا بالانجيل الذى أنزله الله تعالي عليه وكذبه عامة اليهود وضللوه واتهموه بما هو بريء منه فكانت له ولهم عدة مناظرات

آلت بهم الى أن اتفق أحبارهم على قتله وطرقوه ليلة الجمعة فقيل انه رفع عند ذلك وقيل بل أخذوه وأتوا به الى بلاطس النبطي شحنة القدس من قبل الملك طيباريوس قيصر وراودوه على قتله وهو يدفعهم عنه حتي غلبوه على رأيه بأن دينهم اقتضى قتله فأمكنهم منه وعند ماأدنوه من الخشبة ليصلبوه رفعه الله اليه وذلك في الساعة السادسة من يوم الجمعة خامس عشر شهر نيسن وتاسع عشرى شهر برمهات وخامس عشر شهر آذار وسابع عشر شهر ذى القعدة وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة وثلاثة أشهر فصلبوا الذي شبه لهم وصلبوا معه لصين وسمروهم بمسامير الحديد واقتسم الجند ثياب المصلوب فغشيت الارض ظلمة دامت ثلاث ساعات حتى صار النهار شبه الليل ورؤيت النجوم وكان مع ذلك هزة وزلزلة ثم أنزل المصلوب عن الخشبة بكرة يوم السبت ودفن تحت صخرة فى قبر جديد ووكل بالقبر من يحرسه لئلا يأخذ المقبور أصحابه فزعم النصارى أن المقبور قام من قبره ليلة الاحد سحرا ودخل عشية ذلك اليوم على الحواريين وحادثهم ووصاهم ثم بعد الاربعين يوما من قيامه صعد الى السماء والحواريون يشاهدونه فاجتمعوا بعد رفعه بعشرة أيام في علية صيون التي يقال لها اليوم صهيون خارج القدس وظهرت لهم خوارق فتكلموا بجميع الالسن فآمن بهم فيما يذكر زيادة على ثلاثة آلاف انسان فأخذهم اليهود وحبسوهم فظهرت كراماتهم وفتح الله لهم باب السجن ليلا فخرجوا الى الهيكل وطفقوا يدعون الناس فهم اليهود بقتلهم وقد آمن بهم نحو الخمسة الآف انسان فلم يتمكنوا من قتلهم فتفرق الحواريون فى أقطار الارض يدعون الى دين المسيح فسار بطرس رأس الحواريين ومعه شمعون الصفا الى انطاكية ورومية فاستجاب لهم بشر كثير وقتل في خامس أبيب وهو عيد القصرية وسار اندراوس أخوه الى نيقية وما حولها فآمن به كثير ومات فى بزنطية في رابع كيهك وسار يعقوب بن زبدى أخو يوحنا الانجيلى الى بلد ابدينية فتبعه جماعة وقتل في سابع عشر برمودة وسار يوحنا الانجيلي الى آسيا وأفسيس وكتب انجيله باليوناني بعد ما كتب متي ومرقص ولوقا أناجيلهم فوجدهم قدقصروا فى أمور فتكلم عليها وكان ذلك بعد رفع المسيح بثلاثين سنة وكتب ثلاث رسائل ومات وقد أناف على مائة سنة وسار فيلبس الى قيسارية وما حولها وقتل بها في ثامن هاتور وقد اتبعه جماعات من الناس وسار برتولوماوس الى ارمينية وبلاد البربر وواحات مصر فآمن به كثير وقتل وسار توما الى الهند فقتل هنالك وسار متى العشار الى فلسطين وصور وصيدا ومدينة بصرى وكتب انجيله بالعبراني بعد رفع المسيح بتسع سنين ونقله يوحنا الى اللغة الرومية وقتل متي بقرطاجنة في ثامن عشر بابه بعد ماااستجاب له بشر كثير وسار يعقوب بن حلفا الى بلاد الهند ورجع الى القدس وقتل فى عاشر امشير وسار يهوذ ابن يعقوب من انطاكية الى الجزيرة فآمن به كثير من الناس

ومات فى ثانى أبيب وسار شمعون الى سميساط وحلب ومنبج وبزنطيـة وقتل فى سابع
أبيب وسار ميتاس الى بلاد الشرق وقتل فى ثامن عشر برمهات وسار بولص الطرسوسي الى
دمشق وبلاد الروم ورومية فقتل في خامس أبيب وتفرق أيضاً سبعون رسولاً أخر في البلاد
فآمن بهم الخـلائق ومن هؤلاء السبعين مرقص الانجيلي وكان اسمه أولا يوحنـا فعرف
ثلاثة ألسن الفرنجي والعبرانى واليونانى ومضى الى بطرس برومية وصحبه وكتب الانجيل
عنده بالفرنجية بعد رفع المسيح باثنتي عشرة سنة ودعا الناس برومية ومصر والحبشة والنوبة
وأقام حنانيا أسقفا على الاسكندرية وخرج الى برقة فكثرت النصارى في أيامه وقتل فى ثانى
عيد الفسح بالاسكندرية ومن السبعين أيضاً لوقا الانجيلي الطبيب تلميذ بولص كتب الانجيل
باليونانية عن بولص بالاسكندرية بعد رفع المسيح بعشرين سنة وقيل باثنتين وعشرين سنة
ولما فر بطرس رأس الحواريين من حبس رومية ونزل بانطاكية أقام بهـا داريوس بطركا
وانطاكية أحد الكراسى الاربعة التي للنصارى وهى روميـة والاسكندرية والقـدس
وانطاكية فأقام داريوس بطرك انطاكية سبعا وعشرين سنـة وهو أول بطاركتها وتوارث
من بعده البطاركة بها البطركية واحدا بعد واحد ودعا شمعون الصفا برومية خمسا وعشرين
سنة فآمنت به بطركية وسارت الى القدس وكشفت عن خشبات الصليب وسلمتها الى يعقوب
ابن يوسف الاسقف وبنت هناك كنيسة وعادت الى رومية وقد اشتدت على دين النصرانية
فآمن معها عدة من أهلها واجتمع الرسل بمدينة رومية ووضعوا القوانين وأرسلوها على يد
قليموس تلميذ بطرس فكتبوا فيها عدد الكتب التى يجب قبولها من العتيقة والجـديدة
فأما العتيقة فالتوراة وكتاب يوشع بن نون وكتاب القضاة وكتاب راغون وكتاب يهوديت
وسير الملوك وسفر بنيامين وكتب المقابين وكتاب عزرة وكتاب أستير وقصة هامان وكتاب
أيوب وكتاب مزامير داود وكتب سليمان بن داود وكتب الانبياء وهى ستـة عشر كتابا
وكتاب يوشع بن شيراخ وأما الكتب الحديثة فالاناجيل الاربعة وكتاب القليتايقون وكتاب
بولص وكتاب الابركسيس وهو قصص الحواريين وكتاب قليموس وفيه ما أمر به الحواريون
وما نهوا عنه * ولما قتل الملك نيرون قيصر بطرس رأس الحواريين برومية أقيم من بعده
اريوس بطرك رومية وهو أول بطرك صار على رومية فأقام فى البطركية اثنتى عشرة سـنة
وقام من بعده البطاركة بها واحدا بعد واحد الى يومنا هذا الذى نحن فيه* ولما قتل يعقوب
اسقف القدس على يد اليهود هدموا بعده البيعة وأخذوا خشبة الصليب والخشبتين معهـا
ودفنوها وألقوا على موضعها ترابا كثيرا فصار كوما عظيما حتى أخرجتها هيلانة أم قسطنطين
كما ستراه قريبا ان شاء الله تعالى وأقيم بعد قتل يعقوب سمعان ابن عمه أسقف القـدس
فمكث اثنتين وأربعين سنة أسقفا ومات فتداول الاساقفة بعده الاسقفية بالقدس واحدا بعد

آخر * ولما أقام مرقص حنانيا ويقال أنانيو بطرك الاسكندرية جعل معه اثنى عشر قسا وأمرهم اذا مات البطرك أن يجعلوا عوضه واحدا منهم ويقيموا بدل ذلك القس واحدا من النصاري حتى لايزالوا أبدا اثني عشر قسا فلم تزل البطاركة تعمل من القسوس الى أن اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر كما ستراه ان شاء الله تعالى وكان بطرك الاسكندرية يقال له البابا من عهد حنانيا هذا أول بطاركة الاسكندرية الى أن أقيم ديمتريوس وهو الحادى عشر من بطاركة الاسكندرية ولم يكن بأرض مصر أساقفة فنصب الاساقفة بها وكثروا فغزاها في بطركيته هرقل وصار الاساقفة يسمون البطرك الاب والقسوس وسائر النصارى يسمون الاسقف الاب ويجعلون لفظة البابا تختص ببطرك الاسكندرية ومعناها أبو الآباء ثم انتقل هذا الاسم عن كرسى الاسكندرية الى كرسى رومية من أجل انه كرسي بطرس رأس الحواريين فصار بطرك رومية يقال له البابا واستمر على ذلك الى زمننا الذى نحن فيه وأقام أنانيو وهو حنانيا في بطركية الاسكندرية اثنتين وعشرين سنة ومات في عشرى هاتور سنة سبع وثمانين لظهور المسيح فأقيم بعده مينيو فأقام ثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر ومات وفي أثناء ذلك ثار اليهود على النصارى وأخرجوهم من القدس فعبروا الاردن وسكنوا تلك الاماكن فكان بعد هذا بقليل خراب القدس وجلاية اليهود وقتلهم على يد طيطش (ويقال طيطوس) بعد رفع المسيح بنحو أربع وأربعين سنة فكثرت النصارى في أيام بطركية مينيو وعاد كثير منهم الى مدينة القدس بعد تخريب طيطش لها وبنوا بها كنيسة وأقاموا عليها سمعان أسقفا ثم أقيم بعد مينيو في الاسكندرية في البطركية كرتيانو وفي أيام الملك اندريانوس قيصر أصاب النصارى منه بلاء كثير وقتل منهم جماعة كثيرة واستعبد باقيهم فنزل بهم بلاء لايوصف في العبودية حتي رحمهم الوزراء وأكابر الروم وشفعوا فيهم فمن عليهم قيصر وأعتقهم ومات كرتيانو بطرك الاسكندرية في حادى عشر برمودة بعدما دبر الكرسى احدى عشرة سنة وكان حميد السيرة فقدم بعده ايريمو فاقام اثنتي عشرة سنة ومات في ثالث مسرى واشتد الامر على النصارى في أيام الملك أريدريانوس وقتل منهم خلائق لايحصى عددهم وقدم مصر فأفني من بها من النصارى وخرب مابني في مدينة القدس من كنيسة النصارى ومنعهم من التردد اليها وأنزل عوضهم بالقدس اليونانيين وسمى القدس ايليا فلم يتجاسر نصراني أن يدنو من القدس وأقيم بعد موت ايريمو بطرك الاسكندرية بسطس فأقام احدى عشرة سنة ومات في ثاني عشر بؤنة فخلف بعده أرمانيون فأقام عشر سنين وأربعة أشهر ومات في عاشر بابة فأقيم بعده موقيانو بطرك الاسكندرية تسع سنين وستة أشهر ومات في سادس طوبه فقدم بعده على الاسكندرية كلوتيانو فأقام أربع عشرة سنة ومات في تاسع أبيب وفى أيامه اشتد الملك أوليانوس قيصر على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا وقدم على

كرسي الاسكندرية بعد كلوتيانو غرنبو بطركا فأقام اثني عشرة سنة ومات في خامس امشير
وفي أيام بطركيته اتفق رأى البطاركة بجميع الامصار على حساب فصح النصارى وصومهم
ورتبوا كيف يستخرج ووضعوا حساب الا بقطى وبه يستخرجون معرفة وقت صومهم
وفصحهم واستمر الامر على مارتبوه فيما بعد وكانوا قبل ذلك يصومون بعد الغطاس أربعين
يوماً كما صام المسيح عليه السلام ويفطرون وفي عيد الفسح يعملون الفسح مع اليهود فنقل
هؤلاء البطاركة الصوم وأوصلوه بعيد الفسح لان عيد الفسح كانت فيه قيامة المسيح من الاموات
بزعمهم وكان الحواريون قد أمروا أن لا يغير عن وقته وأن يعملوه كل سنة في ذلك الوقت ثم أقيم
بكرسي الاسكندرية بعد غرنبو في البطركية بوليانوس فأقام عشر سنين ومات في ثامن برمهات
فاستخلف بعده ديمتريوس فأقام بعده في البطركية ثلاثا وثلاثين سنة ومات وكان فلاحا أميا
وله زوجة ذكر عنه أنه لم يجامعها قط وفي أيامه أثار الملك سويارنوس قيصر على النصارى بلاء
كبيرا في جميع مملكته وقتل منهم خلقا كثيرا وقدم مصر وقتل جميع من فيها من النصارى
وهدم كنائسهم وبنى بالاسكندرية هيكلا لاصنامه ثم أقيم بعده في بطركية الاسكندرية باركلا
فأقام ست عشرة سنة ومات في ثامن كيهك فلقي النصارى من الملك مكسيموس قيصر شدة عظيمة
وقتل منهم خلقا كثيرا فلما ملك فيلبش قيصراً كرم النصارى وقدم على بطركية الاسكندرية
ديوسيوس فأقام تسع عشرة سنة ومات في ثالث توت وفي أيامه كان الراهب أنطونيوس المصرى
وهو أول من ابتدأ بلبس الصوف وابتدأ بعمارة الديارات في البرارى وأنزل بها الرهبان ولقي
النصارى من الملك داقيوس قيصر شدة فانه أمرهم أن يسجدوا لاصنامه فابوا من السجود
لها فقتلهم أبرح قتلة وفر منه الفتية أصحاب الكهف من مدينة أفسس واختفوا في مغارة
في جبل شرقي المدينة ونا وا فضرب الله على آذانهم فلم يزالوا نائمين ثلثمائة سنين وازدادوا
تسعا فقام من بعده بالاسكندرية مكسيموس وأقام بطركا اثنى عشرة سنة ومات في رابع عشر
برموده فأقيم بعده تؤوبا بطركا مدة سبع سنين وتسعة أشهر ومات وكانت النصارى قبله
تصلي بالاسكندرية خفية من الروم خوفا من القتل فلاطف تؤوبا الروم وأهدى اليهم تحفا
جليلة حتى بنى كنيسة مريم بالاسكندرية فصلى بها النصارى جهرا واشتد الامر على النصارى
في أيام الملك طيباريوس قيصر وقتل منهم خلقا كثيرا فلما كانت أيام دقلطيانوس قيصر خالف
عليه أهل مصر والاسكندرية فقتل منهم خلقا كثيرا وكتب بغلق كنائس النصارى وأمر
بعبادة الاصنام وقتل من امتنع منها فارتد خلائق كثيرة جدا وأقام في البطركية بعد تؤوبا
بطرس فأقام احدى عشرة سنة وقتل في الاسكندرية بالسيف وقتل معه امرأته وابنتاه
لامتناعهم من السجود للاصنام فقام بعده تلميذه ارشلاوش فأقام ستة أشهر ومات وبدقلطيانوس
هذا وقتله لنصارى مصر يؤرخ قبط مصر الى يومنا هذا كما قد ذكرناه في تاريخ القبط

عند ذكر التواريخ من هـذا الكتاب فراجعه ثم قام من بعده مكسيمانوس قيصر فاشتد على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا حتى كانت القتلى منهم تحمل على العجل وترمى فى البحر ثم قام بعـد أرشلاوش فى بطركية الاسكندرية اسكندروس تلميذ بطرس الشهيد فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات فى ثانى عشرى برموده وفي بطركيته كان مجمع النصارى بمدينـة نيقية وفى أيامه كتب النصارى وغيرهم من أهل رومية الى قسطنطين وكان على مدينـة بزنطية يحسونه على أن ينقذهم من جور مكسيمانوس وشكوا اليه عتوه فأجمع على المسير لذلك وكانت أمه هيلانى من أهل قرى مدينة الرها قد تنصرت على يد أسقف الرها وتعلمت الكتب فلما مر بقريتها قسطس صاحب شرطة دقلطيانوس رآها فأعجبته فتزوجها وحملها الى بزنطية مدينته فولدت له قسطنطين وكان جميلا فأنذر دقلطيانوس منجموه بأن هـذا الغلام قسطنطين سيملك الروم ويبدل دينهم فأراد قتله ففر منه الى الرها وتعلم بها الحكمة اليونانية حتى مات دقلطيانوس فعاد الى بزنطية فسلمها له أبوه قسطس ومات فقام بأمرها بعد أبيه الى أن استدعاه أهل رومية فأخذ يدبر في مسيره فرأى في منامه كواكب في السماء على هيئة الصليب وصوت من السماء يقول له احمل هـذه العلامة تنتصر على عدوك فقص رؤياه على أعوانه وعمل شكل الصليب على أعلامـه وبنوده وسار لحرب مكسيمانوس برومية فبرز اليه وحاربه فانتصر قسطنطين عليه وملك رومية وتحول منها فجعل دار ملكه قسطنطينية فكان هذا ابتداء رفع الصليب وظهوره في الناس فاتخذه النصارى من حينئذ وعظموه حتى عبدوه وأكرم قسطنطين النصارى ودخل في دينهم بمدينـة نيقوميديا في السنة الثانية عشرة من ملكه على الروم وأمر ببناء الكنائس فى جميع ممالكه وكسر الاصنام وهدم بيوتها وعمل المجمع بمدينة نيقية وسببه أن الاسكندروس بطرك الاسكندرية منع أريوس من دخول الكنيسة وحرمه لمقالته ونقل عن بطرس الشهيد بطرك اسكندرية انه قال عن أريوس ان ايمانه فاسد وكتب بذلك الى جميع البطاركة فمضى أريوس الى الملك قسطنطين ومعه أسقفان فاستغاثوا به وشكوا الاسكندروس فأمر باحضاره من الاسكندرية فحضر هو وأريوس وجمع له الاعيان من النصارى ليناظروه فقال أريوس كان الاب اذ لم يكن الابن ثم أحدث الابن فصار كلمة له فهو محدث مخلوق فوض اليه الاب كل شئ فخلق الابن المسمي بالكلمة كل شئ من السموات والارض وما فيهما فكان هو الخالق بمـا أعطاه الاب ثم ان تلك الـكلمة تجسدت من مريم وروح القدس فصار ذلك مسيحا فاذا المسيح معنيان كلمة وجسدوهما جميعا مخلوقان فقال الاسكندروس أيما أوجب عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا فقال أريوس بل عبادة من خلقنا أوجب فقال الاسكندروس فان كان الابن خلقنا كما وصفت وهو مخلوق فعبادته أوجب من عبادة الاب الذى ليس بمخلوق

بل تكون عبادة الخالق كفرا وعبادة المخلوق ايمانا وهـذا أقبح القبيح فاستحسن الملك قسطنطين كلام اسكندروس وأمره أن يحرم اريوس ففعل وسأل اسكندروس الملك أن يحضر الاساقفة فأمر بهم فأتوه من جميع ممالكه واجتمعوا بعد ستة أشهر بمدينة نيقية وعدتهم ألفان وثلثمائة وأربعون أسقفا مختلفون فى المسيح فمنهـم من يقول الابن من الاب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة أخرى فلم تنقص الاولى بانفصال الثانية عنها وهذه مقالة سبليوس الصعيدى ومن تبعه ومنهم من قال ان مريم لم تحمل بالمسيح تسعة أشهر بل مر باحشائها كمرور الماء بالميزاب وهذا قول اليان ومن تبعه ومنهـم من قال المسيح بشر مخلوق وان ابتداء الابن من مريم ثم انه اصطفى فصحبته النعمة الالهيـة بالمحبة والمشيئة ولذلك سمي ابن الله تعالى عن ذلك ومع ذلك فالله واحد قيوم وأنكر هؤلاء الكلمة والروح فلم يؤمنوا بهما وهذا قول بولص السميساطى بطرك انطاكية وأصحابه ومنهـم من قال الآلهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهما وهذا قول مرقيون وأتباعه ومنهم من قال المسيح وأمـه الهان من دون الله وهذا قول المرايمة من فرق النصارى ومنهم من قال بل الله خلق الابن وهو الكلمة في الازل كما خلق الملائكة روحا طاهرة مقدسـة بسيطة مجردة عن المادة ثم خلق المسيح فى آخر الزمان من أحشاء مريم البتول الطاهرة فاتحـد الابن المخلوق فى الازل بانسان المسيح فصارا واحدا ومنهم من قال الابن مولود من الاب قبل كل الدهور غير مخلوق وهو جوهر من جوهره ونور من نوره وان الابن اتحـد بالانسان المأخوذ من مريم فصارا واحدا وهو المسيح وهـذا قول الثلثمائة وثمانية عشر فتحير قسطنطين فى اختلافهم وكثر تعجبه من ذلك وأمر بهم فأنزلوا في أماكن وأجرى لهم الارزاق وأمرهم أن يتناظروا حتى يتبين له صوابهم من خطاهم فثبت الثلثمائة وثمانية عشر على قولهم المذكور واختلف باقيهم فمال قسطنطين الى قول الاكثر وأعرض عما سواه وأقبل على الثلثمائة وثمانية عشر وأمر لهـم بكراسى وأجلسهم عليها ودفع اليهم سيفه وخاتمه وبسط أيديهم في جميع مملكته فباركوا عليه ووضعوا له كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة وفيه مايتعلق بالمحاكمات والمعاملات والمناكحات وكتبوا بذلك الى سائر الممالك وكان رئيس هذا المجمع الاسكندروس بطرك الاسكندرية واسطارس بطرك انطاكية ومقاريوس أسقف القدس ووجه سلطوس بطرك رومية بقسيسين اتفقا معهم على حرمان اريوس ففعلوه ونفوه ووضع الثلثمائة وثمانية عشر الامانة المشهورة عندهم وأوجبوا ان يكون الصوم متصلا بعيد الفسح على مارتبه البطاركة في أيام الملك أورليانوس قيصر كما تقدم ومنعوا أن يكون للاسقف زوجة وكان الاساقفـة قبل ذلك اذا كان مع أحدهم زوجة لايمنع منها اذا عمل أسقفا بخلاف البطرك فانه لايكون له امرأة البتة وانصرفوا من مجلس قسطنطين بكرامة جليلة والاسكندروس هذا هو الذى كسر

الصنم النحاس الذى كان في هيكل زحل بالاسكندرية وكانوا يعبدونه ويجعلون له عيدا فى ثاني عشر هتور ويذبحون له الذبائح الكثيرة فأراد الاسكندروس كسر هذا الصنم فمنعه أهل الاسكندرية فاحتال عليهم وتلطف في حيلته الى ان قرب العيد فجمع الناس ووعظهم وقبح عندهم عبادة الصنم وحثهم على تركه وأن يعمل هذا العيد لميكائيل رئيس الملائكة الذى يشفع فيهم عند الاله فان ذلك خير من عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذى جرت عادة أهل البلد بعمله ولا تبطل ذبائحهم فيه فرضى الناس بهذا ووافقوه على كسر الصنم فكسره وأحرقه وعمل بيته كنيسة على اسم ميكائيل فلم تزل هذه الكنيسة بالاسكندرية الى أن حرقها جيوش الامام المعز لدين الله أبي تميم معد لما قدموا فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة واستمر عيد ميكائيل عند النصارى بديار مصر باقيا يعمل في كل سنة وفي السنة الثانية والعشرين من ملك قسطنطين سارت أمه هيلانى الى القدس وبنت به كنائس للنصارى فدلها مقاريوس الاسقف على الصليب وعرفها ماعملته اليهود فعاقبت كهنة اليهود حتى دلوها على الموضع فحفرته فاذا قبر وثلاث خشبات زعموا أنهم لم يعرفوا الصليب المطلوب من الثلاث خشبات الا بأن وضعت كل واحدة منها على ميت قد بلى فقام حيا عند ماوضعت عليه خشبة منها فعملوا لذلك عيدا مدة ثلاثة أيام عرف عندهم بعيد الصليب ومن حينئذ عبد النصارى الصليب وعملت له هيلانى غلافا من ذهب وبنت كنيسة القيامة التى تعرف اليوم بكنيسة قمامة وأقامت مقاريوس الاسقف على بناء بقية الكنائس وعادت الى بلادها فكانت مدة مابين ولادة المسيح وظهور الصليب ثلثمائة وثمان وعشرين سنة ثم قام في بطركية الاسكندرية بعد اسكندروس تلميذه اثناسيوس الرسولى فأقام ستا وأربعين سنة ومات بعد ماابتلى بشدائد وغاب عن كرسيه ثلاث مرات وفى أيامه جرت مناظرات طويلة مع أوسانيوس للاسقف آلت الى ضربه وفراره فانه تعصب لاريوس وقال انه لم يقل ان المسيح خلق الاشياء وانما قال به خلق كل شئ لانه كلمة الله التي بها خلق السموات والارض وانما خلق الله تعالى جميع الاشياء بكلمته فالاشياء به كونت لا انه كونها وانما الثلثمائة وثمانية عشر تعدوا عليه وفى أيامه تنصر جماعة من اليهود وطعن بعضهم فى التوراة التي بأيدى اليهود وانهم نقصوا منها وان الصحيحة هي التي فسرها السبعون فأمر قسطنطين اليهود باحضارها وعاقبهم على ذلك حتى دلوه على موضعها بمصر فكتب باحضارها فحملت اليه فاذا بينها وبين توراة اليهود نقص ألف وثلثمائة وتسع وستين سنة زعموا أنهم نقصوها من مواليد من ذكر فيها لاجل المسيح وفي أيامه بعثت هيلانى بمال عظيم الى مدينة الرها فبني به كنائسها العظيمة وأمر قسطنطين باخراج اليهود من القدس وألزمهم بالدخول في دين النصرانية ومن امتنع منهم قتل فتنصر كثير منهم وامتنع أكثرهم فقتلوا ثم امتحن من تنصر منهم بأن جمعهم يوم الفسح في الكنيسة وأمرهم

يأكل لحم الخنزير فأبي أكثرهم أن يأكل منه فقتل منهم في ذلك اليوم خلائق كثيرة * ولما قام قسطنطين بن قسطنطين في الملك بعد أبيه غلبت مقالة أريوس على القسطنطينية وانطاكية والاسكندرية وصار أكثر أهل الاسكندرية وأرض مصر أريوسيين ومنانين واستولوا على مابها من الكنائس ومال الملك الى رأيهم وحمل الناس عليه ثم رجع عنه وزعم ابريس اسقف القدس أنه ظهر من السماء على القبر الذي بكنيسة القمامة شبه صليب من نور في يوم عيد المنصرة لعشرة أيام من شهر ايار في الساعة الثالثة من النهار حتي غلب نوره على نور الشمس ورآه جميع أهل القدس عيانا فأقام فوق القبر عدة ساعات والناس تشاهده فآمن يومئذ من اليهود وغيرهم عدة آلاف كثيرة ثم لما ملك موليانوس ابن عم قسطنطين اشتد نكايته للنصارى وقتل منهم خلقا كثيرا ومنعهم من النظر في شئ من الكتب وأخذ أواني الكنائس والديارات ونصب مائدة كبيرة عليها أطعمة مما ذبحه لاصنامه ونادى من أراد المال فليضع البخور على النار وليأكل من ذبائح الحنفاء ويأخذ مايريد من المال فامتنع كثير من الروم وقالوا نحن نصارى فقتل منهم خلائق ومحا الصليب من أعلامه وبنوده وفي أيامه سكن القديس أيارنوس برية الاردن وبني بها الديارات وهو أول من سكن برية الاردن من النصارى فلما ملك يوسيانوس على الروم وكان متنصرا عاد كل من كان فر من الاساقفة الى كرسيه وكتب الى أيناسيوس بطرك الاسكندرية أن يشرح له الامانة المستقيمة فجمع الاساقفة وكتبوا له أن يلزم أمانة الثلثمائة وثمانية عشر فثار أهل الاسكندرية على ايناسيوس ليقتلوه ففر وأقاموا بدله لوقيوس وكان اريوسيا فاجتمع مع الاساقفة بعد خمسة اشهر وجرموه ونفوه وأعادوا ايناسيوس الى كرسيه فأقام بطركا الى أن مات فخلفه بطرس ثم وثب الاريسيون عليه بعد سنتين ففر منهم وعادوا لوقيوس فأقام بطركا ثلاث سنين ووثب عليه أعداؤه ففر منهم فردوا بطرس في العشرين من امشير فأقام سنة وقدم في أيام واليس ملك الروم اريوس اسقف انطاكية الى الاسكندرية باذن الملك وأخرج منها جماعة من الروم وحبس بطرس بطركها ونصب بدله أريوس السميساطي ففر بطرس من الحبس الى رومية واستجار ببطركها وكان واليس اريوسيا فسار الى زيارة كنيسة مارتوما بمدينة الرها ونفى أسقفها وجماعة معه الى جزيرة رودس ونفى سائر الاساقفة لمخالفتهم لرأيه ماعدا اثنين وأقام في بطركية الاسكندرية طيماتاوس فأقام سبع سنين ومات وفي أيامه كان المجمع الثاني من مجامع النصارى بقسطنطينية في سنة اثني عشرة ومائة لد قلطيانوس فاجتمع مائة وخمسون أسقفا وحرموا مقدينون عدو روح القدس وكل من قال بقوله وسبب ذلك أنه قال ان روح القدس مخلوق وحرموا معه غير واحد لمقائد شنيعة تظاهروا بها في المسيح وزاد الاساقفة في امانة التي رتبها الثلثمائة وثمانية عشر ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب قلت تعالى

الله عما يقولون علوا كبيرا وحرموا أن يزاد فيها بعد ذلك شيء أو ينقص منها شيء وكان هذا المجمع بعد مجمع نيقية بثمان وخمسين سنة وفي أيامه بنيت عدة كنائس بالاسكندرية واستتيب جماعة كثيرة من مقالة اريوس وفي أيامه أطلق للاساقفة والرهبان أكل اللحم يوم الفسح ليخالفوا الطائفة المنانية فانهم كانوا يحرمون أكل اللحم مطلقا. ورد الملك اغراديانوس كل من نفاه واليس من الاساقفة وأمر أن يلزم كل واحد دينه ماخلا المنانيـة ثم أقيم بكرسي الاسكندرية تاوفيلا فأقام سبعاً وعشرين سنة ومات في ثامن عشر بابه وفي أيامه ظهر الفتية أهل الـكهف وكان تاوداسيوس اذ ذاك ملكا على الروم فبنى عليهم كنيسة وجعل لهم عيدا في كل سنة واشتد الملك تاوداسيوس على الاريسيين وضيق عليهم وأمر فأخذت منهم كنائس النصارى بعد ماحكموها نحو أربعين سـنة وأسقط من جيشه من كان اريوسيا وطرد من كان في ديوانه وخدمه منهم وقتل من الحنفاء كثيرا وهدم بيوت الاصنام بكل موضع وفي أيامه بنيت كنيسة مريم بالقـدس وفي أيام الملك ارغاديوس بني دير القصر المعروف الآن بدير البغل في جبل المقطم شرقي طرا خارج مدينة فسطاط مصر * ثم أقيم في بطركية الاسكندرية كرلص فأقام اثنتين وثلاثين سنة ومات في ثالث أبيب وهو أول من أقام القومة في كنائس الاسكندرية وأرض مصر * وفي أيامه كان المجمع الثالث من مجامع النصـارى بسبب نسطورس بطرك قسطنطين فانه منع أن تكون مريم أم عيسى وقال انما ولدت مريم انسانا اتحد بمشيئة الاله يعني عيسى فصار الاتحاد بالمشيئة خاصة لا بالذات وان اطـلاق الاله على عيسى ليس هو بالحقيقة بل بالموهبة والـكرامة وقال از المسيح حل فيه الابن الازلي واني أعبده لان الاله حل فيه وانه جوهران وأقنومان ومشيئة واحـدة وقال في خطبته يوم الميلاد ان مريم ولدت انسانا وأنا لاأعتقد في ابن شهرين وثلاثة الالهية ولا أسجد له سجودي للاله وكان هـذا هو اعتقاد تادروس وديوادارس الاسقفين وكان من قولهما أن المولود من مريم هو المسيح والمولود من الاب هو الابن الازلي وانه حل في المسيح فسمي ابن الله بالموهبة والـكرامة وان الاتحاد بالمشيئة والارادة وأثبتوا لله تعالى عن قولهم ولدين أحدهما بالجوهر والآخر بالنعمة فلما بلغ كرلص بطرك الاسكندرية مقالة نسطورس كتب اليه يرجعه عنها فلم يرجع فكتب الى اكليمس بطرك روميـة والى يوحنا بطرك انطاكية والى يوناليوس أسقف القـدس يعرفهم بذلك فكتبوا بأجمعهم الى نسطورس ليرجع عن مقالته فلم يرجع فتواعد البطاركة على الاجتماع بمدينة أفسس فاجتمع بها مائتا أسقف ولم يحضر يوحنا بطرك انطاكية وامتنع نسطورس من المجيء اليهم بعد ما كرروا الارسال في طلبه غير مرة فنظروا في مقالته وحرموه ونفوه فحضر بعد ذلك يوحنا فعز عليـه فصل الامر قبل قدومه وانتصر لنسطورس وقال قد حرموه بغير حق وتفرقوا من أفسس على

شر ثم اصطلحوا وكتب المشرقيون صحيفة بأمانتهم وبحرمان نسطورس وبعثوا بها الى كرلص فقبلها وكتب اليهم بأن أمانته على ما كتبوا فكان بين المجمع الثانى وبين هذا المجمع خمسون وقيل خمس وخمسون سنة وأما نسطورس فانه نفى الى صعيد مصر فنزل مدينة اخميم وأقام بها سبع سنين ومات فدفن بها وظهرت مقالته فقبلها برصوما أسقف نصيبين ودان بها نصارى أرض فارس والعراق والموصل والجزيرة الى الفرات وعرفوا الى اليوم بالنسطورية ثم قدم تاوداسيوس ملك الروم في الثانية من ملكه ديسقورس بطركاً بالاسكندرية فظهر في أيامه مذهب اوطاخي أحد القنوميين بالقسطنطينية وزعم أن جسد المسيح لطيف غير مساو لاجسادنا وأن الابن لم يأخذ من مريم شيئاً فاجتمع عليه مائة وثلاثون أسقفا وحرموه واجتمع بالاسكندرية كثير من اليهود في يوم الفسح وصلبوا صنما على مثال المسيح وعبثوا به فثار بينهم وبين النصارى شر قتل فيه بين الفريقين خلق كثير فبعث اليهم ملك الروم جيشا قتل اكثر يهود الاسكندرية وكان المجمع الرابع من مجامع النصارى بمدينة خلقدونية وسببه أن ديسقورس بطرك الاسكندرية قال ان المسيح جوهر من جوهرين وقنوم من قنومين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين وكان رأي مرقيانوس ملك الروم انه جسد وأهل مملكته انه جوهران وطبيعتان ومشيئتان وقنوم واحد فلما رأى الاساقفة أن هذا رأى الملك خافوه فوافقوه على رأيه ماخلا ديسقورس وستة أساقفة فانهم لم يوافقوا الملك وكتب من عداهم من الاساقفة خطوطهم بما اتفقوا عليه فبعث ديسقورس يطلب منهم الكتاب ليكتب فيه فلما وصل اليه كتابهم كتب فيه أمانته هو وحرمهم وكل من يخرج عنها فغضب الملك مرقيانوس وهم بقتله فأشير عليه باحضاره ومناظرته فأمر به فحضر وحضر ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفا فأشار الاساقفة والبطاركة على ديسقورس بموافقة رأى الملك واستمراره على رياسته فدعا للملك وقال لهم الملك لايلزمه البحث فى هذه الامور الدقيقة بل ينبغي له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها ويدع الكهنة يبحثون عن الامانة المستقيمة فانهم يعرفون الكتب ولا يكون له هوي مع أحد ويتبع الحق فقالت باخارية زوجة الملك مرقيانوس وكانت جالسة بازائه ياديسقورس قد كان في زمان أمي انسان قوى الرأس مثلك وحرموه ونفوه عن كرسيه تعنى يوحنا فم الذهب بطرك قسطنطينية فقال لها قد علمت ماجرى لامك وكيف ابتليت بالمرض الذي تعرفينه الى أن مضت الى جسد يوحنا فم الذهب واستغفرت فعوفيت فخنقت من قوله ولكمته فانقلع له ضرسان وتناولته أيدى الرجال فنتفوا اكثر لحيته وأمر الملك بحرمانه ونفيه عن كرسيه فاجتمعوا عليه وحرموه ونفوه وأقيم عوضه برطاوس ومن هذا المجمع افترق النصارى وصاروا ملكية على مذهب مرقيانوس الملك ويعقوبية على رأى ديسقورس وذلك

في سنة ثلاث وتسعين ومائة لدقلطيانوس وكتب مرقيانوس الى جميع مملكته ان كل من لايقول بقوله يقتل فكان بين المجمع الثالث وبين هذا المجمع احدى وعشرون سنة وأما ديسقورس فانه أخذ ضرسيه وشعر لحيته وأرسلها الى الاسكندرية وقال هذه ثمرة تعبي على الامانة فتبعه أهل اسكندرية ومصر وتوجه في نفيه فعبر على القدس وفلسطين وعرفهم مقالته فتبعوه وقالوا بقوله وقدم عدة أساقفة يعقوبية ومات وهو منفي في رابع توت فكانت مدة بطركيته أربع عشرة سنة وبقي كرسي المملكة بغير بطرك مدة مملكة مرقيانوس وقيل بل قدم برطاوس وقد اختلف في تسمية اليعقوبية بهذا فقيل ان ديسقورس كان يسمى قبل بطركيته يعقوب وأنه كان يكتب وهو منفي الى أصحابه بأن يثبتوا على أمانة المسكين المنفي يعقوب وقيل بل كان له تلميذ اسمه يعقوب وكان يرسله وهو منفي الى أصحابه فنسبوا اليه وقيل بل كان يعقوب تلميذ ساويرس بطرك انطاكية وكان على رأي ديسقورس فكان ساويرس يبعث يعقوب الى النصارى ويثبتهم على أمانة ديسقورس فنسبوا اليه وقيل بل كان يعقوب كثير العبادة والزهد يلبس خرق البراذع فسمي يعقوب البراذعي من أجل ذلك وانه كان يطوف البلاد ويرد الناس الى مقالة ديسقورس فنسب من اتبع رأيه اليه وسموا يعقوبية ويقال ليعقوب أيضاً يعقوب السروجي وفي أيام مرقيانوس كان سمعان الحبيس صاحب العمود وهو أول راهب سكن صومعة وكان مقامه بمغارة في جبل انطاكية ولما مات مرقيانوس وثب أهل الاسكندرية على برطاوس البطرك وقتلوه في الكنيسة وحملوا جسده الى الملعب الذي بناه بطليموس وأحرقوه بالنار من أجل أنه ملكي الاعتقاد فكانت مدة بطركيته ست سنين وأقاموا عوضه طيماثاوس وكان يعقوبياً فاقام ثلاث سنين وقدم قائد من قسطنطينية فنفاه وأقام عوضه ساويرس وكان ملكياً فأقام اثنتين وعشرين سنة ومات في سابع مسرى فلما ملك زنبون بن لاون الروم أكرم اليعقوبية وأعزهم لانه كان يعقوبيا وكان يحمل الى دير يوقنا كل سنة مايحتاج اليه من القمح والزيت وهرب ساويرس من كرسي الاسكندرية الى وادي هبيب ورجع طيماثاوس من نفيه فأقام بطركا سنتين ومات فأقيم بعده بطرس فأقام ثماني سنين وسبعة أشهر وستة أيام ومات في رابع هتور فأقيم بعده اثناسيوس فأقام سبع سنين ومات في العشرين من توت وفي أيامه احترق الملعب الذي بناه بطليموس وأقيم يوحنا في بطركية الاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام تسع سنين ومات في رابع بشنس فخلا الكرسي بعده سنة ثم أقيم يوحنا الحبيس فأقام احدى وعشرين سنة ومات في سابع عشري بشنس فأقيم بعده ديسقورس الجديد فأقام سنتين وخمسة اشهر ومات في سابع عشر بابه وكتب ايليا بطرك القدس الى نسطاس ملك الروم بأن يرجع عن مقالة اليعقوبية الى مقالة الملكية وبعث اليه جماعة من الرهبان بهدية سنية فقبل هديته وأجاز الرهبان بجوائز جليلة وجهز له مالا

جزيلا لعمارة الكنائس والديارات والصدقات فتوجه ساويرس الى نسطاس وعرفه أن الحق هو اعتقاد اليعقوبية فأمر أن يكتب الى جميع مملكته بقبول قول ديسقورس وترك المجمع الخلقدونى فبعث اليه بطرك انطاكية بأن هذا الذى فعلته غير واجب وأن المجمع الخلقدونى هو الحق فغضب الملك ونفاه وأقام بدله فأمر ايليا بطرك القدس بجمع الرهبان ورؤساء الديارات فاجتمع له منهم عشرة آلاف نفس وحرموا نسطاس الملك ومن يقول بقوله فأمر نسطاس بنفى ايليا الى مدينة ايلة فاجتمع بطاركة الملكية وأساقفتهم وحرموا الملك نسطاس ومن يقول بقوله وفى أيام نسطابوس الملك ألزم الحنفاء أهل حران وهم الصابئة بالتنصر فتنصر كثير منهم وقتل أكثرهم على امتناعهم من دين النصرانية ورد جميع من نفاه نسطاس من الملكية فانه كان ملكيا وأقيم طيماناوس في بطاركية الاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام ثلاث سنين ونفى وأقيم بدله أبوليناريوس وكان ملكيا فجد فى رجوع النصارى بأجمعهم الى رأى الملكية . وبذل جهده فى ذلك وألزم نصارى مصر بقبول الامانة المحدثة فوافقوه ووافقه رهبان ديارات بومقار بوادى هبيب هذا ويعقوب البزادعي يدور في كل موضع ويثبت أصحابه على الامانة التي زعم انها مستقيمة وأمر الملك جميع الاساقفة بعمل الميلاد فى خامس عشرى كانون الاول وبعمل الغطاس لست تخلو من كانون الثاني وكان كثير منهم يعمل الميلاد والغطاس في يوم واحد وهو سادس كانون الثانى وعلى هذا الرأى الارمن الى يومنا هذا وفي هذه الايام ظهر يوحنا النحوي بالاسكندرية وزعم أن الاب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة وثلاث طبائع وجوهر واحد وظهر يوليان وزعم أن جسد المسيح نزل من السماء وانه لطيف روحانى لايقبل الآلام الا عند مقارفة الخطيئة والمسيح لم يقارف خطيئة فلذلك لم يصلب حقيقة ولم يتألم ولم يمت وانما ذلك كله خيال فأمر الملك البطرك طيماناوس أن يرجع الى مذهب الملكية فلم يفعل فأمر بقتله ثم شفع فيه ونفى وأقيم بدله بواص وكان ملكيا فأقام سنتين فلم يرضه اليعاقبة وقيل انهم قتلوه وصيروا عوضه بطركا ديلوس وكان ملكيا فأقام خمس سنين فى شدة من التعب وأرادوا قتله فهرب وأقام فى هربه خمس سنين ومات فبلغ ملك الروم يوسطيانوس أن اليعقوبية قد غلبوا على الاسكندرية ومصر وأنهم لايقبلون بطاركته فبعث أبوليناريوس أحد قواده وضم اليه عسكرا كبيرا الى الاسكندرية فلما قدمها ودخل الكنيسة نزع عنه ثياب الجند ولبس ثياب البطاركة وقدس فهم ذلك الجمع برجمه فانصرف وجمع عسكره وأظهر أنه قد أتاه كتاب الملك ليقرأه على الناس وضرب الجرس في الاسكندرية يوم الاحد فاجتمع الناس الى الكنيسة حتى لم يبق أحد فطلع المنبر وقال يا أهل الاسكندرية ان تركتم مقالة اليعقوبية والا أخاف أن يرسل الملك فيقتلكم ويستبيح أموالكم وحريمكم فهموا برجمه

فأشار الى الجند فوضعوا السيف فيهم فقتل من الناس مالا يحصي عدده حتى خاض الجند
في الدماء وقيل ان الذي قتل يومئذ مائتا ألف انسان وفر منهم خلق الى الديارات بوادي
هبيب وأخذ الملكية كنائس اليعاقبة ومن يومئذ صار كرسى اليعقوبية فى دير بومقار بوادي
هبيب وفي أيامه ثارت السامرة على أرض فلسطين وهدموا كنائس النصارى وأحرقوا ما
فيها وقتلوا جماعة من النصارى فبعث الملك جيشا قتلوا من السامرة خلقا كثيرا ووضع
من خراج فلسطين جملة وجدد بناء الكنائس وأنشأمارستانا ببيت المقدس للمرضى ووسع
فى بناء كنيسة بيت لحم وبني ديرا بطور سيناء وعمل عليه حصنا حوله عدة قلالى ورتب
فيها حرسا لحفظ الرهبان * وفى أيامه كان المجمع الخامس من مجامع النصاري وسببه أن
أريحانس أسقف مدينة منبج قال بتناسخ الارواح وقال كل من أسقف أنقرة وأسقف
المصيصة وأسقف الرها ان جسد المسيح خيال لاحقيقى فحملوا الى القسطنطينية وجمع بينهم
وبين بطركها أوطس وناظرهم وأوقع عليهم الحرمان فأمر الملك أن يجمع لهم مجمع وأمر
باحضار البطاركة والاساقفة فاجتمع مائة وأربعون أسقفا وحرموا هؤلاء الاساقفة ومن
يقول بقولهم فكان بين المجمع الرابع الخلقدونى وبين هذا المجمع مائة وثلاث وستون سنة
* ولما مات القائد الذى عمل بطرك الاسكندرية بعد سبع عشرة سنة أقيم بعده يوحنا وكان
منانيا فأقام ثلاث سنين ومات وقدم اليعاقبة بطركا اسمه تاوداسيوس أقام مدة اثنتين وثلاثين
سنة وقدم الملكية بطركا اسمه داقوس فكتب الملك الى متولى الاسكندرية أن يعرض على
بطرك اليعاقبة أمانة المجمع الخلقدونى فان لم يقبلها أخرجه فعرض عليه ذلك فلم يقبله فأخرجه
وأقام بعده بولص التنيسى فلم يقبله أهل الاسكندرية ومات فغلقت كنائس القبط اليعاقبة
وأصابهم من الملكية شدائد كثيرة واستجد اليعاقبة بالاسكندرية كنيستين فى سنة ثمان وأربعين
ومائتين لدقلطيانوس ومات تاوداسيوس ثامن عشري بؤنة بعد اثنتين وثلاثين سنة من بطركيته
منها مدة أربع سنين مدة نفيه في صعيد مصر وأقيم بعده بطرس وكان يعقوبيا فى خفية بدير
الزجاج بالاسكندرية قدمه ثلاثة أساقفة فأقام سنتين ومات في خامس عشري بؤنة (٣)
من اليعاقبة سنة واحدة * وفي سنة احدى وثمانين وثمانمائة أقيم داميانو بطركا بالاسكندرية
وكان يعقوبيا فأقام ستا وثلاثين سنة ومات في ثامن عشرى بؤنة وفي أيامه خربت الديارات
وأقام الملكية لهم بالاسكندرية بطركا ميانيا اسمه أثناس فأقام خمس سنين ومات فأقيم بعده
يوحنا وكان ميانيا ولقب القائم بالحق فأقام خمسة أشهر ومات فأقيم بعده يوحنا القائم بالامر
وكان ملكيا فأقام احدى عشرة سنة ومات وفى ايام الملك طيباريوس ملك الروم بنى النصارى
بالمدائن مدائن كسرى هيكلا وبنوا أيضاً بمدينة واسط هيكلا آخر * وفي أيام الملك
موريق قيصر زعم راهب اسمه مارون أن المسيح عليه السلام طبيعتان ومشيئة واحدة

واقنوم واحد فتبعه على رأيه أهل حماه وقنسرين والعواصم وجماعة من الروم ودانوا بقوله فعرفوا بين النصارى بالمارونية فلما مات مارون بنوا على اسمه دير مارون بحماه *
وفي أيام فوقا ملك الروم بعث كسرى ملك فارس جيوشه الى بلاد الشام ومصر فخربوا كنائس القدس وفلسطين وعامة بلاد الشام وقتلوا النصارى بأجمعهم وأتوا الى مصر في طلبهم فقتلوا منهم أمة كبيرة وسبوا منهم سبيا لا يدخل تحت حصر وساعدهم اليهود في محاربة النصارى وتخريب كنائسهم وأقبلوا نحو الفرس من طبرية وجبل الجليل وقرية الناصرة ومدينة صور وبلاد القدس فنالوا من النصاري كل منال وأعظموا النكاية فيهم وخربوا لهم كنيستين بالقدس وحرقوا أماكنهم وأخذوا قطعة من عود الصليب وأسروا بطرك القدس وكثيرا من أصحابه ثم مضى كسرى بنفسه من العراق لغزو قسطنطينية تخت ملك الروم فحاصرها أربع عشرة سنة وفي أيام فوقا اقيم يوحنا الرحوم بطرك الاسكندرية على الملكية فدبر أرض مصر كلها عشر سنين ومات بقبرس وهو فار من الفرس فخلا كرسى اسكندرية من البطركية سبع سنين لخلو أرض مصر والشام من الروم واختفى من بقى بها من النصارى خوفا من الفرس وقدم اليعاقبة نسطاسيوس بطركا فأقام ثنتى عشرة سنة ومات في ثاني عشرى كيهك سنة ثلاثين وثلثمائة لدقلطيانوس فاسترد ما كانت الملكية قد استولت عليه من كنائس اليعاقبة ورم ماشعثه الفرس منها وكانت اقامته بمدينة الاسكندرية فأرسل اليه انباسيوس بطرك انطاكية هدية صحبة عدة كثيرة من الاساقفة ثم قدم عليه زائرا فتلقاه وسر بقدومه وصارت أرض مصر في أيامه جميعها يعاقبة لخلوها من الروم فثارت اليهود في أثناء ذلك بمدينة صور وراسلوا بقيتهم في بلادهم وتواعدوا على الايقاع بالنصارى وقتلهم فكانت بينهم حرب اجتمع فيها من اليهود نحو عشرين ألفا وهدموا كنائس النصارى خارج صور فقوى النصارى عليهم وكاثروهم فانهزم اليهود هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير وكان هرقل قد ملك الروم بقسطنطينية وغلب الفرس بحيلة دبرها على كسري حتى رحل عنهم ثم سار من قسطنطينية ليمهد ممالك الشام ومصر ويجدد ماخربه الفرس منها فخرج اليه اليهود من طبرية وغيرها وقدموا له الهدايا الجليلة وطلبوا منه أن يؤمنهم ويحلف لهم على ذلك فأمنهم وحلف لهم ثم دخل القدس وقد تلقاه النصارى بالاناجيل والصلبان والبخور والشموع المشعلة فوجد المدينة وكنائسها وقمامتها خرابا فساءه ذلك وتوجع له وأعلمه النصارى بما كان من ثورة اليهود مع الفرس وايقاعهم بالنصاري وتخريبهم الكنائس وانهم كانوا أشد نكاية لهم من الفرس وقاموا قياما كبيرا في قتلهم عن آخرهم وحثوا هرقل على الوقيعة بهم وحسنوا له ذلك فاحتج عليهم بما كان من تأمينه لهم وحلفه لهم فأفتاه رهبانهم وبطاركتهم وقسيسوهم بأنه لا حرج عليه في قتلهم فانهم عملوا عليه حيلة حتى أمنهم من غير أن يعلم بما كان منهم وانهم يقومون عنه بكفارة يمينه بأن يلتزموا

ويلزموا النصارى بصوم جمعة في كل سنة عنه على ممر الزمان والدهور فمال الى قولهم وأوقع باليهود وقيعة شنعاء أبادهم جميعهم فيها حتى لم يبق في ممالك الروم بمصر والشام منهم الا من فر واختفى فكتب البطارقة والاساقفة الى جميع البلاد بالزام النصارى بصوم أسبوع في السنة فالتزموا صومه الى اليوم وعرفت عندهم بجمعة هرقل وتقدم هرقل بعمارة الكنائس والديارات وأنفق فيها مالا كبيرا * وفي أيامه أقيم ادراسلون بطرك اليعاقبة بالاسكندرية فأقام ست سنين ومات في ثامن طوبه فخربت الديارات في مدة بطركيته وأقيم بعده على اليعاقبة بنيامين فعمر الدير الذي يقال له دير أبو بشاى ودير سيدة أبو بشاى وهما في وادى هبيب فأقام تسعا وثلاثين سنة ملك الفرس منها مصر عشر سنين ثم قدم هرقل فقتل الفرس بمصر وأقام قيرش بطرك الاسكندرية وكان منانيا وطلب بنيامين ليقتله فلم يقدر عليه لفراره منه وكان هرقل مارونيا فظفر بمينا أخى بنيامين فأحرقه بالنار عداوة لليعاقبة وعاد الى القسطنطينية فأظهر الله دين الاسلام في أيامه وخرج ملك مصر والشام من يد النصارى وصار النصارى ذمة للمسلمين فكانت مدة النصارى منذ رفع المسيح الى أن فتحت مصر وصار النصارى من القبط ذمة للمسلمين (٣) منها مدة كونهم تحت أيدى الروم يقتلونهم أبرح قتل بالصليب والتحريق بالنار والرجم بالحجارة وتقطيع الاعضاء (٣) ومنها مدة استيلائهم بتنصر الملوك

* (ذكر دخول النصاري من قبط مصر فى طاعة المسلمين وأدائهم الجزية واتخاذهم ذمة لهم وما كان في ذلك من الحوادث والانباء) *

اعلم أن أرض مصر لما دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونة بالنصارى وهم على قسمين متباينين فى أجناسهم وعقائدهم أحدهما أهل الدولة وكلهم روم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم ورأيهم وديانتهم بأجمعهم ديانة الملكية وكانت عدتهم تزيد على ثلثمائة ألف رومى والقسم الآخر عامة أهل مصر ويقال لهم القبط وأنسابهم مختلطة لا يكاد يتميز منهم القبطي من الحبشي من النوبي من الاسرائيلى الاصل من غيره وكلهم يعاقبة فمنهم كتاب المملكة ومنهم التجار والباعة ومنهم الاساقفة والقسوس ونحوهم ومنهم أهل الفلاحة والزرع ومنهم أهل الخدمة والمهنة وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العداوة ما يمنع مناكحتهم ويوجب قتل بعضهم بعضا ويبلغ عددهم عشرة آلاف كثيرة جدا فانهم في الحقيقة أهل أرض مصر أعلاها وأسفلها فلما قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين معه الى مصر قاتلهم الروم حماية لملكهم ودفعا لهم عن بلادهم فقاتلهم المسلمون وغلبوهم على الحصن كما تقدم ذكره فطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية فصالحهم عليها وأقرهم على ما بأيديهم من الاراضى وغيرها وصاروا معه عونا للمسلمين على الروم حتى هزمهم الله تعالى وأخرجهم من أرض مصر وكتب عمرو لبنيامين بطرك اليعاقبة أمانا في سنة عشرين من الهجرة فسر بذلك وقدم على عمرو وجلس

على كرسي بطركيته بعد ماغاب عنه ثلاث عشرة سنة منها في ملك فارس لمصر عشر سنين و باقيها بعد قدوم هرقل الى مصر فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر وديارا تها كلها وانفردوا بها دون الملكية ويذكر علماء الاخبار من النصارى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى أمانا على أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وجميع كنائسهم لاتهدم ولا تسكن وانه جلس في وسط صحن كنيسة القمامة فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده ثم جلس وقال للبطرك لو صليت داخل الكنيسة لاخذها المسلمون من بعدى وقالوا ههنا صلى عمر وكتب كتابا يتضمن أنه لايصلي أحد من المسلمين على الدرجة الا واحد واحد ولايجتمع المسلمون بها للصلاة فيها ولا يؤذنون عليها وانه أشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجدا وكان فوقها تراب كثير فتناول عمر رضي الله عنه من التراب في ثوبه فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شئ وعمر المسجد الاقصى امام الصخرة فلما كانت أيام عبد الملك بن مروان أدخل الصخرة في حرم الاقصى وذلك سنة خمس وستين من الهجرة ثم ان عمر رضي الله عنه أتى بيت لحم وصلى في كنيسته عند الخشبة التي ولد فيها المسيح وكتب سجلا بأيدى النصارى أن لايصلي في هذا الموضع أحد من المسلمين الا رجل بعد رجل ولا يجتمعوا فيه للصلاة ولا يؤذنوا عليه ولما مات البطرك بنيامين في سنة تسع وثلاثين من الهجرة بالاسكندرية في امارة عمرو الثانية قدم اليعاقبة بعده أغاثو فاقام سبع عشرة سنة ومات سنة ست وخمسين وهو الذي بنى كنيسة مرقص بالاسكندرية فلم تزل الى أن هدمت في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان في أيامه الغلاء مدة ثلاث سنين وكان يهتم بالضعفاء فأقيم بعده ايساك وكان يعقوبيا فأقام سنتين وأحد عشر شهرا ومات فقدم اليعاقبة بعده سيمون السرياني فأقام سبع سنين ونصفا ومات وفي أيامه قدم رسول أهل الهند في طلب أسقف يقيمه لهم فامتنع من ذلك حتى يأذن له السلطان وأقام غيره وخلا بعد موته كرسي الاسكندرية ثلاث سنين بغير بطرك ثم قدم اليعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندروس فأقام أربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدائد صودر فيها مرتين أخذ منه فيهما ستة آلاف دينار وفي أيامه أمر عبد العزيز بن مروان فأمر باحصاء الرهبان فأحصوا وأخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار وهي أول جزية أخذت من الرهبان * ولما ولى مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان اشتد على النصارى واقتدى به قرة بن شريك أيضاً في ولايته على مصر وانزل بالنصارى شدائد لم يبتلوا قبلها بمثلها وكان عبد الله بن الحبحاب متولي الخراج قد زاد على القبط قيراطا في كل دينار فانتقض عليه عامة الحوف الشرقي من القبط فحاربهم المسلمون وقتلوا منهم عدة وافرة في سنة سبع ومائة واشتد ايضاً أسامة بن

زيد التنوخي متولي الخراج على النصارى وأوقع بهم واخذ اموالهم ووسم ايدى الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديره وتاريخه فكل من وجده بغير وسم قطع يده وكتب الى الاعمال بأن من وجد من النصارى وليس معه منشور أن يؤخذ منه عشرة دنانير ثم كبس الديارات وقبض على عدة من الرهبان بغير وسم فضرب أعناق بعضهم وضرب باقيهم حتي ماتوا تحت الضرب ثم هدمت الكنائس وكسرت الصلبان ومحيت التماثيل وكسرت الاصنام بأجمعها وكانت كثيرة في سنة اربع ومائة والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك فلما قام هشام بن عبد الملك فى الخلافة كتب الى مصر بأن يجري النصارى على عوايدهم وماباًيديهم من العهد فقدم حنظلة بن صفوان أميرا على مصر في ولايته الثانية فتشدد على النصارى وزاد فى الخراج وأحصى الناس والبهائم وجعل على كل نصرانى وسما صورة أسد وتتبعهم فمن وجده بغير وسم قطع يده ثم أقام اليعاقبة بعد موت الاسكندروس بطركا اسمه قسما فأقام خمسة عشر شهرا ومات فقدموا بعده تادرس في سنة تسع ومائة ومات بعد احدي عشرة سنة * وفى ايامه احدثت كنيسة بوقنا بخط الحمراء ظاهر مدينة مصر فى سنة سبع عشرة ومائة فقام جماعة من المسلمين على الوليد بن رفاعة امير مصر بسببها وفي سنة عشرين ومائة قدم اليعاقبة ميخائيل بطركا فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات * وفى ايامه انتقض القبط بالصعيد وحاربوا العمال في سنة احدى وعشرين فحوربوا وقتل كثير منهم ثم خرج يحنس بسمنود وحارب وقتل فى الحرب وقتل معه قبط كثير في سنة اثنتين وثلاثين ومات ثم خالفت القبط برشيد فبعث اليهم مروان بن محمد لما قدم مصر وهزمهم وقبض عبد الملك بن موسى ابن نصير أمير مصر على البطرك ميخائيل فاعتقله وألزمه بمال فسار بأساقفته فى أعمال مصر يسأل أهلها فوجدهم فى شدائد فعاد الى الفسطاط ودفع الى عبد الملك ما حصل له فأفرج عنه فنزل به بلاء كبير من مروان وبطش به وبالنصارى وأحرق مصر وغلاتها وأسر عدة من النساء المترهبات ببعض الديارات وراود واحدة منهن عن نفسها فاحتالت عليه ودفعته عنها بأن رغبته في دهن معها اذا ادهن به الانسان لايعمل فيه السلاح وأوثقته بأن مكنته من التجربة فى نفسها فتمت حيلتها عليه وأخرجت زيتا ادهنت به ثم مدت عنقها فضربها بسيفه أطار رأسها فعلم أنها اختارت الموت على الزنا وما زال البطرك والنصاري في الحديد مع مروان الى أن قتل ببوصير فأفرج عنهم وأما الملكية فان ملك الروم لاون أقام قسيماً بطرك الملكية بالاسكندرية فى سنة سبع ومائة فمضى ومعه هدية الى هشام بن عبد الملك فكتب له برد كنائس الملكية اليهم فأخذ من اليعاقبة كنيسة البشارة وكان الملكية أقاموا سبعاً وسبعين سنة بغير بطرك فى مصر من عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى خلافة هشام بن عبد الملك فغلب اليعاقبة فى هذه المدة على جميع كنائس مصر وأقاموا بها منهم اساقفة وبعث اليهم أهل بلاد النوبة فى طلب اساقفة فبعثوا اليهم

من اساقفة اليعاقبة فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة ثم لما مات ميخائيل قدم اليعاقبة في سنة ست وأربعين ومائة انبامسنا فأقام سبع سنين ومات * وفي أيامه خرج القبط بناحية سخا وأخرجوا العمال في سنة خمسين ومائة وصاروا في جمع فبعث اليهم يزيد بن حاتم بن قبيصة أمير مصر عسكرا فأتاهم القبط ليلا وقتلوا عدة من المسلمين وهزموا باقيهم فاشتد البلاء على النصارى واحتاجوا الى أكل الجيف وهدمت الكنائس المحدثة بمصر فهدمت كنيسة مريم المجاورة لابي شنودة بمصر وهدمت كنائس محارس قسطنطين فبذل النصارى لسليمان بن على أمير مصر في تركها خمسين ألف دينار فأبي فلما ولى بعده موسى بن عيسى أذن لهم في بنائها فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبدالله بن لهيعة قاضي مصر واحتجا بأن بناءها من عمارة البلاد وبأن الكنائس التي بمصر لم تبن الا في الاسلام في زمن الصحابة والتابعين فلما مات انبامسنا قدم اليعاقبة بعده يوحنا فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات * وفي أيامه خرج القبط بالهيت سنة ست وخمسين فبعث اليهم موسى بن على أمير مصر وهزمهم وقدم بعده اليعاقبة مرقص الجديد فأقام عشرين سنة وسبعين يوما ومات * وفي أيامه كانت الفتنة بين الامين والمأمون فانتهبت النصارى بالاسكندرية وأحرقت لهم مواضع عديدة وأحرقت ديارات وادى هبيب ونهبت فلم يبق بها من رهبانها الا نفر قليل * وفى أيامه مضي بطرك الملكية الى بغداد وعالج بعض حظايا أهل الخليفة فانه كان حاذقا بالطب فلما عوفيت كتب له برد كنائس الملكية التي تغلب عليها اليعاقبة بمصر فاستردها منهم وأقام في بطركية الملكية أربعين سنة ومات ثم قدم اليعاقبة بعد مرقص يعقوب في سنة احدى عشرة ومائتين فأقام عشر سنين وثمانية اشهر ومات * وفى أيامه عمرت الديارات وعاد الرهبان اليها وعمرت كنيسة بالقدس لمن يرد من نصارى مصر وقدم عليه ديونوسيس بطرك انطاكية فأكرمه حتى عاد الى كرسيه * وفي أيامه انتقض القبط في سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم الافشين حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والذرية فبيعوا وسبي أكثرهم ومن حينئذ ذلت القبط في جميع أرض مصر ولم يقدر أحد منهم بعد ذلك على الخروج على السلطان وغلبهم المسلمون على عامة القرى فرجعوا من المحاربة الى المكايدة واستعمال المكر والحيلة ومكايدة المسلمين وعملوا كتاب الخراج فكانت لهم وللمسلمين أخبار كثيرة يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى ثم قدم اليعاقبة سيماون بطركا فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين فأقام سنة ومات وقيل بل أقام سبعة اشهر وستة عشر يوما فخلا كرسي البطاركة بعده سنة وسبعة وعشرين يوما وقدم اليعاقبة يوساب فى دير بومقار بوداى هبيب في سنة سبع وعشرين ومائتين فأقام ثماني عشرة سنة ومات * وفي أيامه قدم مصر يعقوب مطران الحبشة وقد نفته زوجة ملكهم وأقامت عوضه اسقفا فبعث ملك الحبشة يطلب اعادته من البطرك فبعث به اليه

وبعث أيضاً عدة اساقفة الى افريقية * وفي أيامه مات بطرك انطاكية الوارد الى مصر في السنة الخامسة عشرة من بطركيته * وفي أيامه أمر المتوكل على الله في سنة خمس وثلاثين ومائتين أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية وشد الزنانير وركوب السروج بالركب الخشب وعمل كرتين في مؤخر السرج وعمل رقعتين على لباس رجالهم تخالفان لون الثوب قدر كل واحدة منهما أربع أصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الاخرى ومن خرج من نسائهم تلبس ازارا عسليا ومنعهم من لباس المناطق وأمر بهدم بيعهم المحدثة وبأخذ العشر من منازلهم وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب ونهى أن يستعان بهم في أعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم ونهى أن يظهروا في شعانينهم صليبا وأن لا يشعلوا في الطريق نارا وأمر بتسوية قبورهم مع الارض وكتب بذلك الى الآفاق ثم أمر فى سنة تسع وثلاثين أهل الذمة بلبس دراعتين عسليتين على الدراريع والاقبية وبالاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين فلما مات يوساب في سنة اثنتين وأربعين ومائتين خلا الكرسي بعده ثلاثين يوما وقدم اليعاقبة قسيسا بدير بجنس يدعي بميكائيل في البطركية فأقام سنة وخمسة اشهر ومات فدفن بدير بومقار وهو أول بطرك دفن فيه فخلا الكرسي بعده أحدا وثمانين يوما ثم قدم اليعاقبة فى سنة أربع وأربعين ومائتين شماسا بدير بومقار اسمه قسيما فأقام في البطركية سبع سنين وخمسة اشهر ومات فخلا الكرسي بعده أحدا وخمسين يوما * وفي أيامه أمر نوفيل بن ميخائيل ملك الروم بمحو الصور من الكنائس وأن لا تبقى صورة في كنيسة وكان سبب ذلك أنه بلغه عن قيم كنيسة انه عمل في صورة مريم عليها السلام شبه ثدي يخرج منه لبن ينقط فى يوم عيدها فكشف عن ذلك فاذا هو مصنوع ليأخذ به القيم المال فضرب عنقه وأبطل الصور من الكنائس فبعث اليه قسيما بطرك اليعاقبة وناظره حتى سمح بإعادة الصور على ما كانت عليه ثم قدم اليعاقبة سانير بطركا فأقام تسع عشرة سنة ومات فأقيم يوسانيوس في أول خلافة المعتز فأقام احدى عشرة سنة ومات وعمل فى بطركيته مجارى تحت الارض بالاسكندرية يجري بها الماء من الخليج الى البيوت * وفي أيامه قدم أحمد بن طولون مصر أميرا عليها ثم قدم اليعاقبة ميخائيل فأقام خمسا وعشرين سنة ومات بعد ماألزمه أحمد بن طولون بحمل عشرين ألف دينار باع فيها رباع الكنائس الموقوفة عليها وأرض الحبش ظاهر فسطاط مصر وباع الكنيسة بجوار المعلقة من قصر الشمع لليهود وقرر الديارية على كل نصراني قيراطا في السنة فقام بنصف المقرر عليه * وفى أيامه قتل الامير أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون فلما مات شغر كرسي الاسكندرية بعده من البطاركة أربع عشرة سنة * وفي يوم الاثنين ثالث شوال سنة ثلثمائة أحرقت الكنيسة الكبرى المعروفة بالقيامة في الاسكندرية وهي التي كانت هيكل زحل وكانت من بناء كلا بطره * وفى سنة

احدى وثلثمائة قدم اليعاقبة غبريال بطركا فأقام احدى عشرة سنة ومات وأخذت فى أيامه الديارية على الرجال والنساء وقدم بعده اليعاقبة في سنة احدى عشرة وثلثمائة قسما فأقام ثنتى عشرة سنة ومات * وفى يوم السبت النصف من شهر رجب سنة ثنتي عشرة وثلثمائة أحرق المسلمون كنيسة مريم بدمشق ونهبوا مافيها من الآلات والاواني وقيمتها كثيرة جدا ونهبوا ديرا للنساء بجوارها وشعثوا كنائس النسطورية واليعقوبية * وفى سنة ثلاث عشرة وثلثمائة قدم الوزير علي بن عيسى بن الجراح الى مصر فكشف البلد وألزم الاساقفة والرهبان وضعفاء النصارى بأداء الجزية فأدوها ومضي طائفة منهم الى بغداد واستغاثوا بالمقتدر بالله فكتب الى مصر بأن لايؤخذ من الاساقفة والرهبان والضعفاء جزية وأن يجزوا على العهد الذي بأيديهم * وفي سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة قدم اليعاقبة بطركا اسمه (٣) فأقام عشرين سنة ومات وفي أيامه ثار المسلمون بالقدس سنة خمس وعشرين وثلثمائة وحرقوا كنيسة القيامة ونهبوها وخربوا منها ماقدروا عليه * وفي يوم الاثنين آخر شهر رجب سنة ثمان وعشرين وثلثمائة مات سعيد بن بطريق بطرق الاسكندرية على الملكية بعد ماأقام فى البطركية سبع سنين واصفا في شرور متصلة مع طائفته فبعث الامير أبو بكر محمد بن طفج الاخشيد ابا الحسين من قواده فى طائفة من الجند الى مدينة تنيس حتي ختم على كنائس الملكية وأحضر آلاتها الى الفسطاط وكانت كثيرة جدا فافتكها الاسقف بخمسة آلاف دينار باعوا فيها من وقف الكنائس ثم صالح طائفته وكان فاضلا وله تاريخ مفيد وثار المسلمون أيضاً بمدينة عسقلان وهدموا كنيسة مريم الخضراء ونهبوا مافيها وأعانهم اليهود حتي أحرقوها ففر أسقف عسقلان الى الرملة وأقام بها حتى مات وقدم اليعاقبة فى سنة خمس وأربعين وثلثمائة ثاوفانيوس بطركا فأقام أربع سنين وستة أشهر ومات فأقيم بعده مينا فأقام احدى عشرة سنة ومات فخلا الكرسي بعده سنة ثم قدم اليعاقبة أفراهام بن زرعة في سنة ست وستين وثلثمائة فأقام ثلاث سنين وستة أشهر ومات مسموما من بعض كتاب النصارى وسببه أنه منعه من التسري فخلا الكرسي بعده ستة أشهر وأقيم فيلاياوس فى سنة تسع وستين فأقام أربعا وعشرين سنة ومات وكان مترفا * وفى أيامه أخذت الملكية كنيسة السيدة المعروفة بكنيسة البطرك تسلمها منهم بطرك الملكية ارسانيوس فى أيام العزيز بالله نزار بن المعز وفي سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة قدم اليعاقبة زخريس بطركا فأقام ثماني وعشرين سنة منها في البلايا مع الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله تسع سنين اعتقله فيها ثلاثة أشهر وأمر به فألقي للسباع هو وسوسنة النوبي فلم تضره فيما زعم النصارى ولما مات خلا الكرسي بعده أربعة وسبعين يوما وفي بطركيته نزل بالنصاري شدائد لم يعهد وامثلها وذلك أن كثيرا منهم كان قد تمكن فى أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء وتعاظموا لاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم فاشتد بأسهم وتزايد ضررهم

ومكايدتهم للمسلمين فأغضب الحاكم بأمر الله ذلك وكان لايملك نفسه اذا غضب فقبض على عيسى بن نسطورس النصراني وهو اذ ذاك في رتبة تضاهي رتب الوزراء وضرب عنقه ثم قبض على فهد بن ابراهيم النصراني كاتب الاستاذ برجوان وضرب عنقه وتشدد على النصارى وألزمهم بلبس ثياب الغيار وشد الزنار في أوساطهم ومنعهم من عمل الشعانين وعيد الصليب والتظاهر بما كانت عادتهم فعله في أعيادهم من الاجتماع واللهو وقبض على جميع ماهو محبس على الكنائس والديارات وأدخله في الديوان وكتب الى أعماله كلها بذلك وأحرق عدة صلبان كثيرة ومنع النصارى من شراء العبيد والاماء وهدم الكنائس التي بخط راشدة ظاهر مدينة مصر وأخرب كنائس المقس خارج القاهرة وأباح مافيها للناس فانتهبوا منها مايجل وصفه وهدم دير القصير وانهب العامة مافيه ومنع النصارى من عمل الغطاس على شاطئ النيل بمصر وأبطل ماكان يعمل فيه من الاجتماع للهو وألزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التي زنة كل صليب منها خمسة أرطال في أعناقهم ومنعهم من ركوب الخيل وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير بسروج ولجم غير محلاة بالذهب والفضة بل تكون من جلود سود وضرب بالجرس في القاهرة ومصر أن لايركب أحد من المكارية ذميا ولايحمل نوتي مسلم أحدا من أهل الذمة وأن تكون ثياب النصارى وعمائمهم شديدة السواد وركب سروجهم من خشب الجميز وأن يعلق اليهود في أعناقهم خشبا مدورا زنة الخشبة منها خمسة أرطال وهي ظاهرة فوق ثيابهم وأخذ في هدم الكنائس كلها وأباح مافيها وما هو محبس عليها للناس نهبا واقطاعا فهدمت بأسرها ونهب جميع أمتعتها وأقطع أحباسها وبنى في مواضعها المساجد وأذن بالصلاة في كنيسة شنودة بمصر وأحيط بكنيسة المعلقة في قصر الشمع وأكثر الناس من رفع القصص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها فلم يرد قصة منها الا وقد وقع عليها باجابة رافعها لما سأل فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات وباعوا باسواق مصر ما وجدوا من أواني الذهب والفضة وغير ذلك وتصرفوا في أحباسها ووجد بكنيسة شنودة مال جليل ووجد في المعلقة من المصاغ وثياب الديباج أمر كثير جدا الى الغاية وكتب الى ولاة الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات فعم الهدم فيها من سنة ثلاث وأربعمائة حتى ذكر من يوثق به في ذلك أن الذى هدم الى آخر سنة خمس وأربعمائة بمصر والشام وأعمالهما من الهيا كل التي بناها الروم نيف وثلاثون ألف بيعة ونهب مافيها من آلات الذهب والفضة وقبض على أوقافها وكانت أوقافا جليلة على مبان عجيبة وألزم النصارى أن تكون الصلبان في أعناقهم اذا دخلوا الحمام وألزم اليهود أن يكون في أعناقهم الاجراس اذا دخلوا الحمام ثم ألزم اليهود والنصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر الى بلاد الروم فاجتمعوا بأسرهم تحت القصر من القاهرة واستغاثوا ولاذوا بعفو أمير المؤمنين حتى أعفوا

من النفي وفي هــذه الحوادث أسلم كثير من النصارى * وفى سنة سبع وأربعمائة وثب بعض أكابر البلغر على ملكهم قطورس فقتله وملك عوضه وكتب الى باسيل ملك قسطنطينية بطاعته فأقره ثم قتل بعد سنة فسار الملك باسيل اليهم في شوال سنة ثمان وأربعمائة واستولى على مملكة البلغر وأقام في قلاعها عدة من الروم وعاد الى قسطنطينية فاختلط الروم بالبلغر ونكحوا منهم وصاروا يدا واحدة بعد شدة العداوة وقدم اليعاقبة عليهم سابونين بطركا بالاسكندرية فى سنة احدي وعشرين وأربعمائة في يوم الاحد ثالث عشري برمهات فأقام خمس عشرة سنة ونصفا ومات في طوبه وكان محبا للمال وأخـذ الشرطونية فخلا الكرسى بعده سنة وخمسة اشهر ثم قدم اليعاقبة اخر سطوديس بطركا فى سنة تسع وثلاثين واربعمائة فأقام ثلاثين سنة ومات بالمعلقة من مصر وهو الذي جعل كنيسة بومرقوره بمصر وكنيسة السيدة بحارة الروم من القاهرة في ايام بطركيته فلم يقم بعده بطرك اثنين وسبعين يوما ثم اقام اليعاقبة كيراس فأقام اربع عشرة سنة وثلاثة اشهر ونصفا ومات بكنيسة المختار من جزيرة مصر المعروفة بالروضة فى سلخ ربيع الآخر ســنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمل بدلة للبطاركة من ديباج أزرق وبلارية ديباج أحمر بتصاوير ذهب وقطع الشرطونية فلم يول بعده بطرك مدة مائة وأربعة وعشرين يوما ثم أقيم ميخائيل الحبيس بسنجار في سنة أثنتين وثمانين وأربعمائة فأقام تسع سنين وثمانية أشهر ومات في المعلقة بمصر وكان المستنصر بالله لما نقص نيل مصر بعثه الى بلاد الحبشة بهدية سنية فتلقاه ملكها وسأله عن سبب قدومه فعرفه نقص النيل وضرر أهل مصر بسبب ذلك فأمر بفتح سد يجرى منه الماء الى أرض مصر ففتح وزاد النيل فى ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت ثم عاد البطرك فخلع عليه المستنصر وأحسن اليه * وفى سنة أثنتين وتسعين وأربعمائة قدم اليعاقبة مقارى بطركا بدير بومقار وكمل بالاسكندرية وعاد الى مصر ثم مضى الى دير بومقار فقدس به ثم جاء الى مصر فقدس بالمعلقة فأقام ستا وعشرين سنة وأحدا وأربعين يوما ومات فخلت مصر من بطرك اليعاقبة سنتين وشهرين وفى أيامه حدثت زلزلة عظيمة بمصر هدم فيها كنيسة المختار بالروضة واتهم الافضل بن أمير الجيوش بهدمها فانها كانت فى بستانه وفي ايامه ابطل عوايد كثيرة للنصارى فبطلت بعده ثم قدم اليعاقبة غبريال المكنى بأبي العلا صاعد ابن تريك الشماس بكنيسة مرقوريوس فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة بالمعلقة وكمل بالاسكندرية وقدس بالاديرة بوادى هبيب واقام اربع عشرة سنة ومات فخلا بعده كرسى اليعاقبة ثلاثة اشهر ثم قدم اليعاقبــة ميخائيل بن التقدوسي الراهب بقلاية دمشرى بطركا فأقام مدة سنة وسبعين يوما ثم اقيم يونس ابو الفتح بطركا بالمعلقة وكمل بالاسكندرية فأقام تسع عشرة سنة ومات فى سابع عشرى جمادى الآخرة سنة احــدى وخمسين وخمسمائة

فخلا الكرسي بعده ثلاثة وأربعين يوما وقدم مرقص بن زرعة المكنى بأبي الفرج بطرك اليعاقبة بمصر وكمل بالاسكندرية فأقام اثنين وعشرين سنة وستة اشهر وخمسة وعشرين يوما ومات وفى ايامه انتقل مرقص بن قنبر وجماعة من القنابرة الى رأى الملكية ثم عاد الى اليعقوبية فقبل ثم عاد الى الملكية ورجع فلم يقبل وكان هذا البطرك له همة ومروءة * وفي ايامه كان حريق شاور الوزير لمصر فى ثامن عشر هتور فاحترقت كنيسة بومرقورة وخلا بعده كرسى البطاركة سبعة وعشرين يوما ثم قدم اليعاقبة يونس بن أبي غالب بطركا فى يوم الاحد عاشر ذى الحجة سنة أربع وثمانين وخمسمائة وكمل بالاسكندرية فأقام ستا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ومات يوم الخميس رابع عشر شهر رمضان سنة ثنتى عشرة وستمائة بالمعلقة بمصر ودفن بالحبش وكان في ابتداء أمره تاجرا يتردد الى اليمن في البحر حتى كثر ماله وكان معه مال لاولاد الخباب فاتفق أنه غرق في بحر الملح وذهب ماله ونجا بنفسه الى القاهرة وقدايس أولاد الخباب من مالهم فلما لقيهم أعلمهم أن مالهم قد سلم فانه كان قد عمله فى نقائر خشب مسمرة في المركب فصار لهم به عناية فلما مات مرقص بن زرعة سمى يونس هذا للقس ابى ياسر فقال له أولاد الخباب خذ أنت البطركية ونحن نزكيك فوافقهم واقيم بطركا فشق ذلك على أبي ياسر وهجره بعد صحبة طويلة وكان معه لما استقر في البطركية سبعة عشر ألف دينار مصرية أنفقها على الفقراء وأبطل الديارية ومنع الشرطونية ولم يأكل لاحد من النصارى خبزا ولا قبل من أحد هدية فلما مات قام أبو الفتوح نشو الخليفة بن الميقاط كاتب الجيش مع السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب في ولاية القس داود بن يوحنا بن لقلق الفيومى فانه كان خصيصا به فأجابه وكتب توقيعه من غير أن يعلم الملك الكامل محمد ابن السلطان فشق ذلك على النصارى وقام منهم الاسعد بن صدقة كاتب دار التفاح بمصر ومعه جماعة وتوجهوا سحرا ومعهم الشموع الى تحت قلعة الجبل حيث كان سكن الملك الكامل واستغاثوا به ووقعوا في القس وقالوا لا يصلح وفى شريعتنا انه لا يقدم البطرك الا باتفاق الجمهور عليه فبعث الملك الكامل يطيب خواطرهم وكان القس قد ركب بكرة ومعه الاساقفة وعالم كثير من النصارى ليقدموه بالمعلقة بمصر وذلك يوم الاحد فركب الملك الكامل بنجو كبير من القلعة الى أبيه بدار الوزارة من القاهرة حيث سكنه وأوقف ولاية القس فبعث السلطان في طلب الاساقفة ليتحقق الامر منهم فوافقهم الرسل مع القس في الطريق فأخذوهم ودخل القس الى كنيسة بوجرج الق بالحمراء وبطلت بطركيته وأقامت مصر بغير بطرك تسع عشرة سنة ومائة وستين يوما ثم قدم هذا القس بطركا في يوم الاحد تاسع عشرى شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وستمائة فأقام سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ومات يوم الثلاثاء سابع عشر شهر رمضان سنة

أربعين وستمائة ودفن بدير الشمع بالجيزة وكان عالماً بدينه محباً للرياسة وأخذ الشرطونية
فى بطركيته وكانت الديارات بأرض مصر قد خلت من الاساقفة فقدم جماعة أساقفة كثيرة
بمال كثير أخذه منهم وقاسى شدائد ورافعه الراهب عماد المرشال ووكل عليه وعلى أقاربه
وألزامه وساعده الراهب السنى ابن الثعبان وأشاع مثالبه وقال لا يصح له كهونية لانه يقدم
بالرشوة وأخذ الشرطونية وجمع عليه طائفة كثيرة وعقد مجلسا عند الصاحب معين الدين
حسن بن شيخ الشيوخ في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأثبت على البطرك قوادح
فقام الكتاب النصارى في أمره مع الصاحب بمال يحمله الى السلطان حتى استمر على
بطركيته وخلا كرسى البطاركة بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما ثم قدم
اليعاقبة ابناسيوس ابن القس أبى المكارم بن كليل بالمعلقة في يوم الاحد رابع شهر رجب
سنة ثمان وأربعين وستمائة وكمل بالاسكندرية فأقام احدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوما
ومات يوم الاحد ثالث المحرم سنة ستين وستمائة فخلت مصر من البطركية خمسة وثمانين يوما
* وفي أيامه أخذ الوزير الاسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى الجوالى من النصارى
مضاعفة وفي أيامه ثارت عوام دمشق وخربت كنيسة مريم بدمشق بعد احراقها ونهب
مافيها وقتل جماعة من النصارى بدمشق ونهب دورهم وخرابها في سنة ثمان وخمسين وستمائة
بعد وقعة عين جالوت وهزيمة المغل فلما دخل السلطان الملك المظفر قطز الى دمشق قرر
على النصارى بها مائة ألف وخمسين ألف درهم جمعوها من بينهم وحملوها اليه بسفارة الامير
فارس الدين اقطاي المستعرب اتابك العسكر * وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة كانت واقعة
النصارى ومن خبرها أن الامير سنجر الشجاعى كانت حرمته وافرة في أيام الملك المنصور
قلاون فكان النصارى يركبون الحمير بزنانير في أوساطهم ولا يجسر نصرانى يحدث مسلما
وهو راكب واذا مشى فبذلة ولا يقدر أحد منهم يلبس ثوبا مصقولا فلما مات الملك المنصور
وتسلطن من بعده ابنه الملك الاشرف خليل خدم الكتاب النصارى عند الامراء الخاصكية
وقووا نفوسهم على المسلمين وترفعوا في ملابسهم وهيآتهم وكان منهم كاتب عند خاصكى
يعرف بعين الغزال فصدف يوما في طريق مصر سمسار شونة مخدومه فنزل السمسار عن
دابته وقبل رجل الكاتب فأخذ يسبه ويهدده على مال قد تأخر عليه من ثمن غلة الامير
وهو يترفق له ويعتذر فلا يزيده ذلك عليه الا غلظة وأمر غلامه فنزل وكتف السمسار
ومضى به والناس تجتمع عليه حتى صار الى صليبة جامع أحمد بن طولون ومعه عالم كبير
وما منهم الا من يسأله أن يخلى عن السمسار وهو يمتنع عليهم فتكاثروا عليه وألقوه عن
حماره وأطلقوا السمسار وكان قد قرب من بيت استاذه فبعث غلامه لينجده بمن فيه فأتاه
بطائفة من غلمان الامير وأوجاقيته فخلصوه من الناس وشرعوا فى القبض عليهم ليفتكوا بهم

فصاحوا عليهم مايحل ومروا مسرعين الى أن وقفوا تحت القلعة واستغاثوا نصرالله السلطان
فأرسل يكشف الخبر فعرفوه ما كان من استطالة الكاتب النصرانى على السمسار وما جرى
لهم فطلب عين الغزال ورسم للعامة باحضار النصارى اليه وطلب الامير بدر الدين بيدرا
النائب والامير سنجر الشجاعي وتقدم اليهما باحضار جميع النصارى بين يديه ليقتلهم فما زالا
به حتى استقر الحال على أن ينادى في القاهرة ومصر أن لايخدم أحد من النصارى واليهود
عند أمير وأمر الامراء بأجمعهم أن يعرضوا على من عندهم من الكتاب النصارى الاسلام
فمن امتنع من الاسلام ضربت عنقه ومن أسلم استخدموه عندهم ورسم للنائب بعرض جميع
مباشرى ديوان السلطان ويفعل فيهم ذلك فنزل الطلب لهم وقد اختفوا فصارت العامة تسبق
الى بيوتهم وتنهبها حتى عم النهب بيوت النصارى واليهود بأجمعهم وأخرجوا نساءهم مسبيات
وقتلوا جماعة بأيديهم فقام الامير بيدرا النائب مع السلطان فى أمر العامة وتلطف به حتى
ركب والى القاهرة ونادى من نهب بيت نصرانى شنق وقبض على طائفة من العامة وشهرهم
بعد ماضربهم فانكفوا عن النهب بعد مانهبوا كنيسة المعلقة بمصر وقتلوا منها جماعة ثم جمع
النائب كثيرا من النصارى كتاب السلطان والامراء وأوقفهم بين يدي السلطان عن بعد منه
فرسم للشجاعي وأمير جاندار أن يأخذا عدة معهما وينزلوا الى سوق الخيل تحت القلعة
ويحفروا حفيرة كبيرة ويلقوا فيها الكتاب الحاضرين ويضرموا عليهم الحطب نارا فتقدم
الامير بيدرا وشفع فيهم فأبى أن يقبل شفاعته وقال ماأريد في دولتى ديوانا نصرانياً فلم
يزل به حتى سمح بأن من أسلم منهم يستقر في خدمته ومن امتنع ضربت عنقه فأخرجهم
الى دار النيابة وقال لهم ياجماعة ماوصلت قدرتى مع السلطان في أمركم الا على شرط وهو
أن من اختار دينه قتل ومن اختار الاسلام خلع عليه وباشر فابتدره المكين بن السقاعى
أحد المستوفين وقال ياخوند وأينا قواد يختار القتل على هذا الدين الخراء والله دين نقتل
ونموت عليه يروح لا كتب الله عليه سلامة قولوا لنا الذى تختاروه حتى نروح اليه فغلب
بيدرا الضحك وقال له ويلك أنحن نختار غير دين الاسلام فقال ياخوند مانعرف قولوا
ونحن نتبعكم فأحضر العدول واستسلمهم وكتب بذلك شهادات عليهم ودخل بها على السلطان
فالبسهم تشاريف وخرجوا الى مجلس الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس فبدأ
بعض الحاضرين بالمكين بن السقاعي وناوله ورقة ليكتب عليها وقال يامولانا القاضى اكتب
على هذه الورقة فقال يابني ما كان لنا هذا القضاء في خلدفلم يزالوا في مجلس الوزير الى العصر
فجاءهم الحاجب وأخذهم الى مجلس النائب وقد جمع به القضاة فجددوا اسلامهم بحضرتهم
فصار الذليل منهم باظهار الاسلام عزيزا يبدى من اذلال المسلمين والتسلط عليهم بالظلم
ما كان يمنعه نصرانيته من اظهاره وما هو الا كما كتب به بعضهم الى الامير بيدرا النائب

أسلم الكافرون بالسيف قهرا * واذا ماخلوا فهم مجرمونا
سلموا من رواح مال وروح * فهم سالمون لامسلمونا

* وفي أخريات شهر رجب سنة سبعمائة قدم وزير متملك المغرب الى القاهرة حاجا وصار يركب الى الموكب السلطاني وبيوت الامراء فبينا هو ذات يوم بسوق الخيل تحت القلعة اذا هو برجل راكب على فرس وعليه عمامة بيضاء وفرجية مصقولة وجماعة يمشون في ركابه وهم يسألونه ويتضرعون اليه ويقبلون رجليه وهو معرض عنهم وينهرهم ويصيح بغلمانه أن يطردوهم عنه فقال له بعضهم يامولاى الشيخ بحياة ولدك النشو تنظر في حالنا فلم يزده ذلك الا عتوا وتحامقاً فرق المغربي لهم وهم بمخاطبته في أمرهم فقيل له وانه مع ذلك نصراني فغضب لذلك وكاد أن يبطش به ثم كف عنه وطلع الى القلعة وجلس مع الامير سلار نائب السلطان والامير بيبرس الجاشنكير وأخذ يحادثهم بما رآه وهو يبكي رحمة للمسلمين بما نالهم من قسوة النصارى ثم وعظ الامراء وحذرهم نقمة الله وتسليط عدوهم عليهم من تمكين النصاري من ركوب الخيل وتسلطهم على المسلمين واذلالهم اياهم وان الواجب الزامهم الصغار وحملهم على العهد الذى كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمالوا الى قوله وطلبوا بطرك النصارى وكبراءهم وديان اليهود فجمعت نصاري كنيسة المعلقة ونصاري دير البغل ونحوهم وحضر كبراء اليهود والنصارى وقد حضر القضاة الاربعة وناظروا النصارى واليهود فأذعنوا الى التزام العهد العمري وألزم بطرك النصارى طائفته النصارى بلبس العمائم الزرق وشد الزنار في أوساطهم ومنعهم من ركوب الخيل والبغال والتزام الصغار وحرم عليهم مخالفة ذلك أو شئ منه وانه برئ من النصرانية ان خالف ثم اتبعه ديان اليهود بأن أوقع الكلمة على من خالف من اليهود ماشرط عليه من لبس العمائم الصفر والتزام العهد العمري وكتب بذلك عدة نسخ سيرت الى الاعمال فقام المغربي في هدم الكنائس فلم يمكنه قاضي القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد من ذلك وكتب خطه بأنه لايجوز أن يهدم من الكنائس الا ما استجد بناؤه فغلقت عدة كنائس بالقاهرة ومصر مدة أيام فسعي بعض أعيان النصارى في فتح كنيسة حتى فتحها فثارت العامة ووقفوا للنائب والامراء واستغاثوا بان النصارى قد فتحوا الكنائس بغير اذن وفيهم جماعة تكبروا عن لبس العمائم الزرق واحتمي كثير منهم بالامراء فنودى فى القاهرة ومصر أن يلبس النصارى بأجمعهم العمائم الزرق ويلبس اليهود بأسرهم العمائم الصفر ومن لم يفعل ذلك نهب ماله وحل دمه ومنعوا جميعا من الخدمة في ديوان السلطان ودواوين الامراء حتى يسلموا فتسلطت الغوغاء عليهم وتتبعوهم فمن رأوه بغير الزى الذى رسم به ضربوه بالنعال وصفعوا عنقه حتي يكاد يهلك ومن مر بهم وقد ركب ولا يثنى رجله ألقوه عن دابته وأوجعوه ضربا فاختفى كثير

منهم وألجأت الضرورة عدة من أعيانهم الى اظهار الاسلام أنفة من لبس الازرق وركوب الحمير وقد أكثر شعراء العصر فى ذكر تغيير زى أهل الذمـة فقال علاء الدين علي بن مظفر الوداعى

لقد ألزم الكفار شاشات ذلة * تزيدهم من لعنة الله تشويشاً
فقلت لهم ما ألبسوكم عمائمـا * ولكنهم قد ألزموكم براطيشا

وقال شمس الدين الطيبي

تعجبوا للنصارى واليهود معا * والسامريين لما عمموا الخرقا
كأنما بات بالاصباغ منسهلا * نسر السماء فأضحى فوقهم زرقا

فبعث ملك برشلونة فى سنة ثلاث وسبعمائة هدية جليلة زائدة عن عادته عم بها جميع أرباب الوظائف من الامراء مع ماخص به السلطان وكتب يسأل فى فتح الكنائس فاتفق الرأى على فتح كنيسة حارة زويلة لليعاقبة وفتح كنيسة البندقانيين من القاهرة ثم لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة هدمت كنائس أرض مصر فى ساعة واحدة كما ذكر في أخبار كنيسة الزهرى وفى سنة خمس وخمسين وسبعمائة رسم بتحرير ماهو موقوف على الكنائس من أراضى مصر فأناف على خمسة وعشرين ألف فدان وسبب الفحص عن ذلك كثرة تعاظم النصاري وتعديهم في الشر والاضرار بالمسلمين لتمكنهم من أمراء الدولة وتفاخرهم بالملابس الجليلة والمغالاة في أثمانها والتبسط في المآكل والمشارب وخروجهم عن الحد في الجراءة والسـلاطة الى أن اتفق مرور بعض كتاب النصارى على الجامع الازهر من القاهرة وهو راكب بخف ومهماز وبقباء اسكندرى طرح على رأسه وقدامه طرادون يمنعون الناس من مزاحمته وخلفه عدة عبيد بثياب سرية على أكاديش فارهة فشق ذلك على جماعة من المسلمين وثاروا به وأنزلوه عن فرسه وقصدوا قتله وقد اجتمع عالم كبير ثم خلوا عنه وتحدث جماعة مع الامير طاز في أمر النصارى وما هم عليه فوعدهم بالانصاف منهم فرفعوا قصة على لسان المسلمين قرئت على السلطان الملك الصالح صالح بحضرة الامراء والقضاة وسائر أهل الدولة تتضمن الشكوى من النصارى وأن يعقد لهم مجلس ليلتزموا بما عليهم من الشروط فرسم بطلب بطرك النصارى وأعيان أهل ملتهم وبطلب رئيس اليهود وأعيانهم وحضر القضاة والامراء بين يدى السلطـان وقرأ القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر العهد الذى كتب بين المسلمين و بين أهل الذمة وقد أحضروه معهم حتى فرغ منه فالتزم من حضر منهم بما فيه وأقروا به فعددت لهم أفعالهم التي جاهروا بها وهم عليها وانهم لايرجعون عنها غير قليل ثم يعودون اليها كما فعلوه غير مرة فيما سلف فاستقر الحال على أن يمنعوا من المباشرة بشيء من ديوان السلطان

ودواوين الامراء ولو أظهروا الاسلام وأن لايكره أحد منهم على اظهار الاسلام ويكتب بذلك الى الاعمال فتسلطت العامة عليهم وتتبعوا آثارهم وأخذوهم في الطرقات وقطعوا ما عليهم من الثياب وأوجعوهم ضربا ولم يتركوهم حتي يسلموا وصاروا يضرمون لهم النار ليلقوهم فيها فاختفوا في بيوتهم ولم يجاسروا على المشى بين الناس فنودى بالمنع من التعرض لاذاهم فأخذت العامة في تتبع عوراتهم وما علوه من دورهم على بناء المسلمين فهدموه واشتد الامر على النصارى باختفائهم حتى انهم فقدوا من الطرقات مدة فلم ير منهم ولا من اليهود أحد فرفع المسلمون قصة قرئت في دار العدل في يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب تتضمن أن النصاري قد استجدوا عمارات فى كنائسهم ووسعوها هذا وقد اجتمع بالقلعة عالم عظيم واستغاثوا بالسلطان من النصارى فرسم بركوب والى القاهرة وكشفه على ذلك فلم تمهل العامة ومرت بسرعة فخربت كنيسة بجوار قناطر السباع وكنيسة بطريق مصر للاسرى وكنيسة الفهادين بالجوانية من القاهرة ودير نهيا من الجيزة وكنيسة بناحية بولاق التكروري ونهبوا حواصل ماخربوه من ذلك وكانت كثيرة وأخذوا أخشابها ورخامها وهجموا كنائس مصر والقاهرة ولم يبق الا أن يخربوا كنيسة البندقانيين بالقاهرة فركب الوالى ومنعهم منها واشتدت العامة وعجز الحكام عن كفهم وكان قد كتب الى جميع أعمال مصر وبلاد الشام أن لايستخدم يهودى ولا نصراني ولو أسلم وأنه من أسلم منهم لايمكن من العبور الى بيته ولا من معاشرة أهله الا أن يسلموا وأن يلزم من أسلم منهم بملازمة المساجد والجوامع لشهود الصلوات الخمس والجمع وأن من مات من أهل الذمة يتولى المسلمون قسمة تركته على ورثته ان كان له وارث والا فهى لبيت المال وكان يلي ذلك البطرك وكتب بذلك مرسوم قرئ على الامراء ثم نزل به الحاجب فقرأه فى يوم الجمعة سادس عشري جمادى الآخرة بجوامع القاهرة ومصر وكان يوما مشهودا ثم أحضر في أخريات شهر رجب من كنيسة شبرا بعد ماهدمت أصبع الشهيد الذي كان يلقى في النيل حتى يزيد بزعمهم وهو فى صندوق فأحرق بين يدي السلطان بالميدان من قلعة الجبل وذرى رماده فى البحر خشية من أخذ النصارى له فقدمت الاخبار بكثرة دخول النصاري من أهل الصعيد والوجه البحرى في الاسلام وتعلمهم القرآن وأن أكثر كنائس الصعيد هدمت وبنيت مساجد وانه اسلم بمدينة قليوب فى يوم واحد أربعمائة وخمسون نصرانيا وكذلك بعامة الارياف مكرا منهم وخديعة حتى يستخدموا في المباشرات وينكحوا المسلمات فتم لهم مرادهم واختلطت بذلك الانساب حتى صار أكثر الناس من أولادهم ولا يخفى أمرهم على من نور الله قلبه فانه يظهر من آثارهم القبيحة اذا تمكنوا من الاسلام وأهله مايعرف به الفطن سوء أصلهم وقديم معاداة أسلافهم للدين وحملته

(فصل) النصارى فرق كثيرة الملكانية والنسطورية واليعقوبية والبوذعانية والمرقولية وهم الرهاويون الذين كانوا بنواحي حران وغير هؤلاء فنهم من مذهبه مذهب الحرانية ومنهم من يقول بالنور والظلمة والثنوية كلهم يقرون بنبوة المسيح عليه السلام ومنهم من يعتقد مذهب ارسطاطاليس والملكانية واليعقوبية والنسطورية متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقانيم وهذه الاقانيم الثلاثة شئ واحد وهو جوهر قديم ومعناه أب وابن وروح القدس اله واحد وان الابن نزل من السماء فتدرع جسدا من مريم وظهر للناس يحيي ويبرئ وينبئ ثم قتل وصلب وخرج من القبر لثلاث فظهر لقوم من أصحابه فعرفوه حق معرفته ثم صعد الى السماء فجلس عن يمين أبيه هذا الذى يجمعهم اعتقاده ثم انهم يختلفون فى العبارة عنه فمنهم من يزعم أن القديم جوهر واحد يجمعه ثلاثة اقانيم كل أقنوم منها جوهر خاص فأحد هذه الاقانيم أب واحد غير مولود والثالث روح فائضة منبثقة بين الاب والابن وأن الابن لم يزل مولودا من الاب وأن الاب لم يزل والدا للابن لا على جهة النكاح والتناسل لكن على جهة تولد ضياء الشمس من ذات الشمس وتولد حر النار من ذات النار ومنهم من يزعم أن معنى قولهم ان الاله ثلاثة أقانيم أنها ذات لها حياة ونطق فالحياة هي روح القدس والنطق هو العلم والحكمة (٣) والنطق والعلم والحكمة والكلمة عبارة عن الابن كما يقال الشمس وضياؤها والنار وحرها فهو عبارة عن ثلاثة اشياء ترجع الى أصل واحد ومنهم من يزعم انه لا يصح له أن يثبت الاله فاعلا حكيما الا انه يثبته حيا ناطقا ومعنى الناطق عندهم العالم المميز لا الذى يخرج الصوت بالحروف المركبة ومعنى الحي عندهم من له حياة بها يكون حيا ومعنى العالم من له علم به يكون عالما قالوا فذاته وعلمه وحياته ثلاثة أشياء والاصل واحد فالذات هي العلة الاثنين اللذين هما العلم والحياة والاثنان هما المعلولان للعلة ومنهم من يتنزه عن لفظ العلة والمعلول فى صفة القديم ويقول أب وابن ووالدة وروح وحياة وعلم وحكمة ونطق قالوا والابن اتحد بانسان مخلوق فصار هو وما اتحد به مسيحا واحدا وان المسيح هو اله العباد وربهم ثم اختلفوا في صفة الاتحاد فزعم بعضهم أنه وقع بين جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي اتحاد فصارا مسيحا واحدا ولم يخرج الاتحاد كل واحد منهما عن جوهريته وعنصره وأن المسيح اله معبود وأنه ابن مريم الذى حملته وولدته وأنه قتل وصلب وزعم قوم أن المسيح بعد الاتحاد جوهر ان أحدهما لاهوتي والآخر ناسوتي وأن القتل والصلب وقعا به من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وأن مريم حملت بالمسيح وولدته من جهة ناسوته وهذا قول النسطورية ثم يقولون ان المسيح بكماله اله معبود وانه ابن الله تعالى الله عن قولهم وزعم قوم أن الاتحاد وقع بين جوهرين لاهوتي وناسوتي فالجوهر اللاهوتي بسيط غير منقسم ولا متجزئ وزعم قوم أن الاتحاد على جهة حلول الابن فى الجسد ومخالطته اياه ومنهم من زعم

أن الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم والنقش اذا وقع على طين أو شمع وكظهور صورة الانسان في المرآة الى غير ذلك من الاختلاف الذى لايوجد مثله فى غيرهم حتى لاتكاد تجد اثنين منهم على قول واحد والملكانية تنسب الى ملك الروم وهم يقولون ان الله اسم لثلاثة معان فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد واليعقوبية تقول انه واحد قديم وانه كان لاجسم ولا انسان ثم تجسم وتأنس والمرقولية قالوا الله واحد وعلمه غيره قديم معه والمسيح ابنه على جهة الرحمة كما يقال ابراهيم خليل الله والمرقولية تزعم أن المسيح يطوف عليهم كل يوم وليلة والبوزغانية تزعم أن المسيح هو الذي يحشر الموتي من قبورهم ويحاسبهم

* (فصل) * وعندهم لابد من تنصير أولادهم وذلك أنهم يغمسون المولود في ماء قد اغلي بالرياحين وألوان الطيب فى اجانة جديدة ويقرؤن عليه من كتابهم فيزعمون أنه حينئذ ينزل عليه روح القدس ويسمون هذا الفعل المعمودية وطهارتهم انما هى غسل الوجه واليدين فقط ولا يختتن منهم الا اليعقوبية ولهم سبع صلوات يستقبلون فيها المشرق ويحجون الى بيت المقدس وزكاتهم العشر من أموالهم وصيامهم خمسون يوما فالثانى والاربعون منه عيد الشعانين وهو اليوم الذى نزل فيه المسيح من الجبل ودخل بيت المقدس وبعده بأربعة ايام عيد الفصح وهو اليوم الذى خرج فيه موسى وقومه من مصر وبعده بثلاثة أيام عيد القيامة وهو اليوم الذي خرج فيه المسيح من القبر بزعمهم وبعده بثمانية أيام عيد الجديد وهو اليوم الذى ظهر فيه المسيح لتلامذته بعد خروجه من القبر وبعده بثمانية وثلاثين يوما عيد السلاق وهو اليوم الذى صعد فيه المسيح الى السماء ولهم عيد الصليب وهو اليوم الذى وجدوا فيه خشبة الصليب وزعموا أنها وضعت على ميت فعاش ولهم أيضاً عيد الميلاد وعيد الذبح ولهم قرابين وكهنة فالشماس فوقه القس وفوق القس الاسقف وفوق الاسقف المطران وفوق المطران البطريق والسكر عندهم حرام ولا يحل لهم أكل اللحم ولا الجماع في الصوم وكل مايباع فى السوق ولم تعفه أنفسهم يباح أكله ولا يصح النكاح الا بحضور شماس وقس وعدول ومهر ويحرمون من النساء مايحرمه المسلمون ولا يحل الجمع بين امرأتين ولا التسرى بالاماء الا أن يعتقن ويتزوج بهن واذا خدم العبد سبع سنين عتق ولا يحل طلاق المرأة الا أن تأتى بفاحشة مبينة فتطلق ولا تحل للزوج أبدا وحد المحصن اذا زني الرجم فان زنى غير محصن وحملت منه المرأة تزوج بها ومن قتل عمدا قتل ومن قتل خطأ يضرب ولا يحل طلبه وأكثر أحكامهم من التوراة وقد لعن منهم من لاط أوشهد بالزور أوقامر أو زنى أو سكر (٣)

---

(٣) وجد بهامش الاصل أن بعد قوله أو سكر وجد فى بعض النسخ بياض نحو ورقة اه مصححه

* (ذكر ديارات النصارى) *

قال ابن سيده الدير خان النصارى والجمع أديار وصاحبه ديار وديراني * قلت الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة

(القلاية بمصر) * هذه القلاية بجانب المعلقة التي تعرف بقصر الشمع في مدينة مصر وهي مجمع أكابر الرهبان وعلماء النصارى وحكمها عندهم حكم الاديرة

* (دير طرا) * ويعرف بدير أبي جرج وهو على شاطئ النيل * وأبو جرج هذا هو جرجس وكان ممن عذبه الملك دقلطيانوس ليرجع عن دين النصرانية ونوع له العقوبات من الضرب والتحريق بالنار فلم يرجع فضرب عنقه بالسيف في ثالث تشرين وسابع بابه

* (دير شهران) * هذا الدير في حدود ناحية طرا وهو مبني بالحجر واللبن وبه نخل وبه عدة رهبان ويقال انما هو دير شهران بالهاء وأن شهران كان من حكماء النصاري وقيل بل كان ملكا وكان هذا الدير يعرف قديما بمرقوريوس الذي يقال له مرقورة وأبو مرقورة ثم لما سكنه برصوما بن التبان عرف بدير برصوما وله عيد يعمل في الجمعة الخامسة من الصوم الكبير فيحضره البطرك وأكابر النصاري وينفقون فيه مالا كبيرا * ومرقوريوس هذا كان ممن قتله دقلطيانوس في تاسع عشر تموز وخامس عشرى ابيب وكان جنديا

* (دير الرسل) * هذا الدير خارج ناحية الصف والودى وهو دير قديم لطيف

* (دير بطرس وبولص) * هذا الدير خارج اطفيح من قبليها وهو دير لطيف وله عيد في خامس ابيب يعرف بعيد القصرية * وبطرس هذا هو أكبر الرسل الحواريين وكان دباغا وقيل صيادا قتله الملك نيرون في تاسع عشرى حزيران وخامس ابيب * وبولص هذا كان يهوديا فتنصر بعد رفع المسيح عليه السلام ودعا الى دينه فقتله الملك نيرون بعد قتله بطرس بسنة

* (دير الجميزة) * ويعرف بدير الجود ويسمي موضعه البحارة جزائر الدير وهو قبالة الميمون وهو عزبة لدير العزبة بني على اسم انطونيوس ويقال انطونة وكان من أهل قمن فلما انقضت أيام الملك دقلطيانوس وفاتته الشهادة أحب أن يتعوض عنها بعبادة توصل ثوابها أو قريباً من ذلك فترهب وكان اول من أحدث الرهبانية للنصارى عوضا عن الشهادة وواصل أربعين يوما ليلا ونهارا طاويا لايتناول طعاما ولا شرابا مع قيام الليل وكان هكذا يفعل في الصيام الكبير كل سنة

(دير العزبة) هذا الدير يسار اليه في الجبل الشرقي ثلاثة أيام بسير الابل وبينه وبين بحر القلزم مسافة يوم كامل وفيه غالب الفواكه مزدرعة وبه ثلاثة أعين تجرى وبناه أنطونيوس المقدم ذكره ورهبان هذا الدير لايزالون دهرهم صائمين لكن صومهم الى العصر فقط

ثم يفطرون ماخلا الصوم الكبير والبرمولات فان صومهم فى ذلك الى طلوع النجم والبرمولات هى الصوم كذلك بلغتهم

(دير أنبابولا) وكان يقال له أولا دير بولس ثم قيل له دير بولا ويعرف بدير النموزة أيضا وهذا الدير فى البر الغربى من الطور على عين ماء يردها المسافرون وعندهم أن هذه العين تطهرت منها مريم أخت موسى عليهما السلام عند نزول موسى ببنى اسرائيل في برية القلزم * وانبابولا هذا كان من أهل الاسكندرية فلما مات أبوه ترك له ولاخيه مالا جما فخاصمه أخوه في ذلك وخرج مغاضباً له فرأى ميتا يقبر فاعتبر به ومر على وجهه سائحا حتى نزل على هذه العين فأقام هناك والله تعالى يرزقه فمر به انطونيوس وصحبه حتى مات فبنى هذا الدير على قبره وبين هذا الدير والبحر ثلاث ساعات وفيه بستان فيه نخل وعنب وبه عين ماء تجري أيضا

(دير القصير) قال أبو الحسن على بن محمد الشابشتى في كتاب الديارات وهذا الدير في أعلى الجبل على سطح في قلته وهو دير حسن البناء محكم الصنعة نزه البقعة وفيه رهبان مقيمون به وله بئر منقورة فى الحجر يستقى له منها الماء وفى هيكله صورة مريم عليها السلام في لوح والناس يقصدون الموضع للنظر الى هذه الصورة وفى أعلاه غرفة بناها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون لها أربع طاقات الى أربع جهات وكان كثير الغشيان لهذا الدير معجبا بالصورة التى فيه يستحسنها ويشرب على النظر اليها وفى الطريق الى هذا الدير من جهة مصر صعوبة وأما من قبليه فسهل الصعود والنزول والى جانبه صومعة لاتخلو من حبيس يكون فيها وهو مطل على القرية المعروفة بشهران وعلى الصحراء والبحر وهى قرية كبيرة عامرة على شاطئ البحر ويذكرون أن موسى صلوات الله عليه ولد فيها ومنها ألقته أمه الى البحر فى التابوت وبه أيضا دير يعرف بدير شهران ودير القصير هذا أحد الديارات المقصودة والمتنزهات المطروقة لحسن موضعه واشرافه على مصر وأعمالها وقد قال فيه شعراء مصر ووصفوه فذكروا طيبه ونزهته ولابى هريرة بن أبي عاصم فيه من المنسرح

كم لى بدير القصير من قصف * مع كل ذى صبوة وذى ظرف

لهوت فيه بشادن غنج * تقصر عنه بدائع الوصف

وقال ابن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر وقد اختلف فى القصير فمن ابن لهيعة قال ليس بقصير موسى النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه موسى الساحر وعن المفضل بن فضالة عن أبيه قال دخلنا على كعب الاحبار فقال لنا ممن أنتم قلنا فتيان من أهل مصر فقال ما تقولون فى القصير قلنا قصير موسى فقال ليس بقصير موسى ولكنه قصير عزيز مصر كان اذا جرى النيل يترفع فيه وعلى ذلك انه لمقدس من الجبل الى البحر قال ويقال بل كان

موقدا يوقد فيه لفرعون اذا هو ركب من منف الى عين شمس وكان على المقطم موقد آخر فاذا رأوا النار علموا بركوبه فاعدوا له مايريد وكذلك اذا ركب منصرفا من عين شمس والله أعلم وما أحسن قول كشاجم

سلام على دير القصير وسفحه * بجنات حلوان الى النخلات
منازل كانت لى بهن مآرب * وكن مواخيرى ومنتزهاتى
اذا جئتها كان الجياد مراكبى * ومنصرفى فى السفن منحدرات
فأقبض بالاسحار وحشى عينها * وأقتنص الانسى في الظلمات
معي كل بسام أغر مهذب * على كل مايهوى النديم مواتى
وخمان مما أمسكته كلابنا * علينا ومما صيد في الشبكات
وكأس وابريق وناى ومزهر * وساق غرير فاتر اللحظات
كأن قضيب البان عند اهتزازه * تعلم من أعطافه الحركات
هنالك تصفو لى مشارب لذتى * وتصحب أيام السرور حياتي

وقال علماء الاخبار من النصارى ان أرقاديوس ملك الروم طلب ارسانيوس ليعلم ولده فظن أنه يقتله ففر الى مصر وترهب فبعث اليه أمانا وأعلمه أن الطلب من أجل تعليم ولده فاستعفى وتحول الى الجبل المقطم شرقى طرا وأقام في مغارة ثلاث سنين ومات فبعث اليه أرقاديوس فاذا هو قد مات فأمر أن يبنى على قبره كنيسة وهو المكان المعروف بدير القصير ويعرف الآن بدير البغل من أجل انه كان به بغل يستقى عليه الماء فاذا خرج من الدير أتي الموردة وهناك من يملأ عليه فاذا فرغ من الماء تركه فعاد الى الدير * وفى رمضان سنة أربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم دير القصير فأقام الهدم والنهب فيه مدة أيام

(دير مرحنا) قال الشابشتى دير مرحنا على شاطئ بركة الحبش وهو قريب من النيل والى جانبه بساتين أنشأ بعضها الأمير تميم بن المعز ومجلس على عمد حسن البناء مليح الصنعة مسور أنشأه الامير تميم أيضا وبقرب الدير بئر تعرف ببئر مماتى عليها جميزة كبيرة يجتمع الناس اليها ويشربون تحتها وهذا الموضع من مغانى اللعب ومواطن القصف والطرب وهو نزه في أيام النيل وزيادة البحر وامتلاء البركة حسن المنظر في أيام الزرع والنواوير لايكاد حينئذ يخلو من المتنزهين والمتطربين وقد ذكرت الشعراء حسنه وطيبه وهذا الدير يعرف اليوم بدير الطين بالنون

(دير أبى النعناع) هذا الدير خارج انصنا وهو من جملة عماراتها القديمه وكنيسته في قصره لافى أرضه وهو على اسم أبى بخنس القصير وعيده في العشرين من بابه وسيأتى ذكر أبى بخنس هذا

(دير مغارة شقاقيل) هو دير لطيف معلق في الجبل وهو نقر فى الحجر على صخرة تحتها عقبة لا يتوصل اليه من أعلاه ولا من أسفله ولا سلم له وانما جعلت له نقور في الجبل فاذا أراد أحد أن يصعد اليه ارخيت له سلبة فأمسكها بيده وجعل رجليه في تلك النقور وصعد وبه طاحونة يديرها حمار واحد ويطل هذا الدير على النيل تجاه منفلوط وتجاه ام القصور وتجاهه جزيرة يحيط بها الماء وهى التى يقال لها شقاقيل وبها قريتان احداها شقاقيل والاخرى بنى شقير ولهذا الدير عيد يجتمع فيه النصارى وهو على اسم يوميناوهو من الاجناد الذين عاقبهم ديقلطيانوس ليرجع عن النصرانية ويسجد للاصنام فثبت على دينه فقتله فى عاشر حزيران وسادس عشر بابه

(دير بقطر) بحاجر أبنوب من شرقى بنى مر تحت الجبل على مائتى قصبة منه وهو دير كبير جدا وله عيد يجتمع فيه نصارى البلاد شرقا وغربا ويحضره الاسقف * وبقطر هذا هو ابن رومانوس كان أبوه من وزراء ديقلطيانوس وكان هو جيلا شجاعا له منزلة من الملك فلما تنصر وعده الملك ومناه ليرجع الى عبادة الاصنام فلم يفعل فقتله في ثانى عشرى نيسان وسابع عشرى برمودة

(دير بقطر شق) فى بحري أبنوب وهو دير لطيف خال وانما تأتيه النصارى مرة في كل سنة * وبقطر شق ممن عذبه ديقلطيانوس ليرجع عن النصرانية فلم يرجع فقتله في العشرين من هتور وكان جنديا

(دير بوجرج) بنى على اسم بوجرج وهو خارج المعصرة بناحية شرق بنى مر وتارة يخلو من الرهبان وتارة يعمر بهم وله وقت يعمل العيد فيه

(دير حماس) وحماس اسم بلد هو بحريها وله عيدان في كل سنة وجموعات متعددة

(دير الطير) هذا الدير قديم وهو مطل على النيل وله سلالم منحوتة في الجبل وهو قبالة سملوط * وقال الشابشتي وبنواحى اخميم دير كبير عامر يقصد من كل موضع وهو بقرب الجبل المعروف بجبل الكهف وفى موضع من الجبل شق فاذا كان يوم عيد هذا الدير لم يبق في البلد بوقير حتى يجئ الى هذا الموضع فيكون أمرا عظيما بكثرتها واجتماعها وصياحها عند الشق ولا يزال الواحد بعد الواحد يدخل رأسه فى ذلك الشق ويصيح ويخرج ويجئ غيره الى أن يعلق رأس أحدها وينشب في الموضع فيضطرب حتى يموت وتتفرق حينئذ الباقية فلا يبقى منها طائر * وقال القاضى أبو جعفر القضاعى ومن عجائبها يعنى مصر شعب البوقيرات بناحية اشموم من أرض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع تأتيه البوقيرات في يوم من السنة كان معروفا فتعرض أنفسها على الصدع فكلما أدخل بوقير منها منقاره في الصدع مضى لطيته فلا تزال تفعل ذلك حتى

يلتقى الصدع على بوقير منها فيحبسه وتمضى كلها ولا يزال ذلك الذى تحبسه معلقا حتى يتساقط * قال مؤلفه رحمه الله تعالى وقد بطل هذا فى جملة مابطل

(دير ابي هرمينة) بحرى فاو الخراب وبحريه برباقاو وهى مملوءة كتبا وحكما وبين دير العابن وهذا الدير نحو يومين ونصف وأبو هرمينة هذا من قدماء الرهبان المشهورين عند النصارى

(دير السبعة جبال باخميم) هذا الدير داخل سبعة أودية وهو دير عال بين جبال شامخة ولا تشرق عليه الشمس الا بعد ساعتين من الشروق لعلو الجبل الذى هو في لحفه واذا بقى للغروب نحو ساعتين خيل لمن فيه أن الشمس قد غابت وأقبل الليل فيشعلون حينئذ الضوء فيه وعلى هذا الدير من خارجه عين ماء تظلها صفصافة ويعرف هذا الموضع الذى فيه دير الصفصافة بوادى الملوك لان فيه نباتا يقال له الملوكة وهو شبه الفجل وماؤه أحمر قان يدخل فى صناعة علم أهل الكيمياء ومن داخل هذا الدير (دير القرقس) وهو فى أعلى جبل قد نقر فيه ولا يعلم له طريق بل يصعد اليه في نقور في الجبل ولا يتوصل اليه الا كذلك وبين دير الصفصافة ودير القرقس ثلاث ساعات وتحت دير القرقس عين ماء عذب وأشجارابان

(دير صبرة) في شرقي اخميم عرف بعرب يقال لهم بني صبرة وهو على اسم ميخائيل الملاك وليس به غير راهب واحد

(دير أبي بشادة الاسقف) قريب من ناحية اتقه وهو بالحاجر وتجاهه في الغرب منشأة أخميم وكان أبو بشادة هذا من علماء النصارى

(دير بوهور الرهب) ويعرف بدير سوادة وسوادة عرب تنزل هناك وهو قبالة منية بنى خصيب خربته العرب وهذه الاديرة كلها فى الشرق من النيل وجميعها لليعاقبة وليس فى الجانب الشرقى الآن سواها وأما الجانب الغربي من النيل فانه كثير الديارات لكثرة عمارته

(دير دموة بالجيزة) وتعرف بدموة السباع وهو على اسم قزمان ودميان وهو دير لطيف وتزعم النصارى أن بعض الحكماء كان يقال له سبع اقام بدموة وأن كنيسة دموة التي بأيدى اليهود الآن كانت ديرا من ديارات النصارى فابتاعته منهم اليهود في ضائقة نزلت بهم وقد تقدم ذكر كنيسة دموة وقزمان ودميان من حكماء النصارى ورهبانهم العباد ولهما أخبار عندهم

(دير نهيا) قال الشابشتي ونهيا بالجيزة وديرها هذا من أحسن ديارات مصر وأنزهها وأطيبها موضعا وأجلها موقعا عامر برهبانه وسكانه وله فى أيام النيل منظر عجيب لان الماء يحيط به من جميع جهاته فاذا انصرف الماء وزرعت الارض أظهرت أراضيه غرائب النواوير

وأصناف الزهر وهو من المتنزهات الموصوفة والبقاع المستحسنة وله خليج يجتمع فيه سائر الطير فهو أيضاً متصيد ممتع وقد وصفته الشعراء وذكرت حسنه وطيبه قلت وقد خرب هذا الدير

(دير طمويه) قال ياقوت طمويه بفتح الطاء وسكون الميم وفتح الواو وياء ساكنة قريتان بمصر احداها في كورة المرتاحية والاخرى بالجيزة قال الشابشتي وطمويه في الغرب بازاء حلوان والدير راكب البحر حوله الكروم والبساتين والنخل والشجر وهو نزه عامر آهل وله في النيل منظر حسن وحين تخضر الارض يكون في بساطين من البحر والزرع وهو أحد متنزهات أهل مصر المذكورة ومواضع لهوها المشهورة * ولابن أبى عاصم المصرى فيه من البسيط

واشرب بطمويه من صهباء صافية * تزرى بخمر قرى هيت وعانات
على رياض من النوار زاهرة * تجري الجداول فيها بين جنات
كان بنت الشقيق المصفرى بها * كاسات خمر بدت فى أثر كاسات
كأن نرجسها من حسنه حدق * فى خفية يتناجى بالاشارات
كأنما النيل في مر النسيم به * مستلئم فى دروع سابريات
منازل كنت مفتونا بها شغفا * وكن قدما مواخيرى وحاناتى
اذلا أزال ملما بالصبوح على * ضرب النواقيس صبا بالديارات

قلت هذا الدير عند النصارى على اسم بوجرج ويجتمع فيه النصارى من النواحي

(دير اقفاص) وصوابها اقفهس وقد خرب

(دير خارج ناحية منهرى) خامل الذكر لانهم لا يطعمون فيه أحدا

(دير الخادم) على جانب المنهى باعمال البهنسا على اسم غبريال الملك به بستان فيه نخل وزيتون

(دير اشنين) عرف بناحية اشنين فانه فى بحريها وهو لطيف على اسم السيدة مريم وليس به سوى راهب واحد

(دير ايسوس) ومعني ايسوس يسوع ويقال له دير أرجنوس وله عيد في في خامس عشرى بشنس فاذا كان ليلة هذا اليوم سدت بئر فيه تعرف ببئر ايسوس وقد اجتمع الناس الى الساعة السادسة من النهار ثم كشفوا الطابق عن البئر فاذا بها قد فاض ماؤها ثم ينزل فحيث وصل الماء قاسوا منه الى موضع استقر فيه الماء فما بلغ كانت زيادة النيل فى تلك السنة من الاذرع

(دير سدمنت) على جانب المنهى بالحاجر بين الفيوم والريف على اسم بوجرج وقد ضعفت احواله عما كان عليه وقل ساكنه

(دير النقلون) ويقال له دير الخشبة ودير غبريال الملك وهو تحت مغارة في الجبل الذي يقال له طارف الفيوم وهذه المغارة تعرف عندهم بمظلة يعقوب يزعمون أن يعقوب عليه السلام لما قدم مصر كان يستظل بها وهذا الجبل مطل على بلدين يقال لهما اطفيح شيلا وشلا ويملأ الماء لهذا الدير من بحر المنهى ومن تحت دير سدمنت ولهذا الدير عيد يجتمع فيه نصارى الفيوم وغيرهم وهو على السكة التي تنزل الى الفيوم ولا يسلكها الا القليل من المسافرين

(دير القلمون) هذا الدير في برية تحت عقبة القلمون يتوصل المسافر منها الى الفيوم يقال لها عقبة الغريق وبني هذا الدير على اسم صمويل الراهب وكان في زمن الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ومات في ثامن كيهك وفي هذا الدير نخل كثير يعمل من تمره العجوة وفيه أيضاً شجر اللبخ ولا يوجد الا فيه وثمره بقدر الليمون طعمه حلو في مثل طعم الرامخ ولنواه عدة منافع وقال أبو حنيفة في كتاب النبات ولا ينبت اللبخ الا بأنصنا وهو عود تنشر منه ألواح السفن وربما أرعف ناشرها ويباع اللوح منها بخمسين دينارا ونحوها واذا شد لوح منها بلوح وطرحا في الماء سنة التأما وصارا لوحا واحدا وفي هذا الدير قصران مبنيان بالحجارة وهما عاليان كبيران لبياضهما اشراق وفيه أيضاً عين ماء تجرى وفي خارجه عين أخرى وبهذا الوادي عدة معابد قديمة وثم واد يقال له الاملاح فيه عين ماء تجرى ونخيل مثمرة تأخذ العرب ثمرها وخارج هذا الدير ملاحة يبيع رهبان الدير ماحها فيم تلك الجهات

(دير السيدة مريم) خارج طنبدى ليس فيه سوى راهب واحد وهو على غير الطريق المسلوك وكان بأعمال البهنسا عدة ديارات خربت

(دير برقانا) بحرى بني خالد وهو مبني بالحجر وعمارته حسنة وهو من أعمال المنية وكان به في القديم ألف راهب وليس به الآن سوى راهبين وهو في الحاجر تحت الجبل

(دير بالوجه) على جنب المنهى وهو لاهل دلجة وهو من الاديرة الكبار وقد خرب حتى لم يبق به سوى راهب أو راهبين وهو بازاء دلجة بينه وبينها نحو ساعتين

(دير مرقورة) ويقال أبو مرقورة هذا الدير تحت دلجة بخارجها من شرقيها وليس به أحد

(دير صنبو) في خارجها من بحريها على اسم السيدة مريم وليس به احد

(دير تادرس) قبلي صنبو وقد تلاشى أمره لاتضاع حال النصارى

(دير الريرمون) في شرقي ناحية الريرمون وهو شرقي ملوى وغربي أنصنا وهو على اسم الملك غبريال .

(دير المحرق) تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام أقام في موضعه ستة أشهر وأياما وله عيد عظيم يعرف بعيد الزيتونة وعيد العنصرة يجتمع فيه عالم كثير

(دير بني كلب) عرف بذلك لنزول بني كلب حوله وهو على اسم غبريال وليس فيه أحد من الرهبان وانما هو كنيسة لنصارى منفلوط وهو غربيها

(دير الجاولية) هذا الدير ناحية الجاولية من قبليها وهو على اسم الشهيد مرقورس الذي يقال له مرقورة وعليه رزق محبسة وتأتيه النذورات والعوايد وله عيدان في كل سنة

(دير السبعة جبال) هذا الدير على رأس الجبل الذى غربي سيوط على شاطئ النيل ويعرف بدير يحنس القصير وله عدة أعياد وخرب في سنة احدى وعشرين وثمانمائة من منسر طرقه ليلا * (يحنس) ويقال أبو يحنس القصير كان راهبا قصا له أخبار كثيرة منها أنه غرس خشبة يابسة في الارض بأمر شيخه له وسقاها الماء مدة فصارت شجرة مثمرة تأكل منها الرهبان وسميت شجرة الطاعة ودفن في ديره

(دير المطل) هذا الدير على اسم السيدة مريم وهو على طرف الجبل تحت دير السبعة جبال قبالة سيوط وله عيد يحضره أهل النواحي وليس به أحد من الرهبان

* (أديرة أدرنكة) *

اعلم أن ناحية أدرنكة هي من قري النصارى الصعايدة ونصاراها أهل علم في دينهم وتفاسيرهم في اللسان القبطي ولهم اديرة كثيرة في خارج البلد من قبليها مع الجبل وقد خرب أكثرها وبقي منها

(دير بوجرج) وهو عامر البناء وليس به أحد من الرهبان ويعمل فيه عيد في أوانه

(دير أرض الحاجر ودير ميكائيل ودير كرفونه) على اسم السيدة مريم وكان يقال له ارافونه واغرافونا ومعناه النساخ فان نساخ علوم النصارى كانت في القديم تقيم به وهو على طرف الجبل وفيه مغاير كثيرة منها مايسير الماشي بجنبه نحو يومين

(دير أبي بغام) تحت دير كرفونة بالحاجر وقد كان ابو بغام جنديا في أيام ديقلطيانوس فتنصر وعذب ليرجع عن دينه ثم قتل في ثامن عشرى كانون الاول وثاني كيهك

(دير بوساويرس) بحاجر ادرنكة كان على اسم السيدة مريم وكان ساويرس من عظماء الرهبان فعمل بطركا وظهرت آية عند موته وذلك أنه أنذرهم لما سار الى الصعيد بأنه اذا مات ينشق الجبل وتقع منه قطعة عظيمة على الكنيسة فلا تضرها فلما كان في بعض الايام سقطت قطعة عظيمة من الجبل كما قال فعلم رهبان هذا الدير بأن ساويرس قد مات فأرخوا ذلك فوجدوه وقت موته فسموا الدير حينئذ باسمه

(دير تادرس) تحت دير بوساويرس وتادرس اثنان كانا من أجناد ديقلطيانوس

أحدهما يقال له قاتل التين والآخر الاسفسهلار وقتلا كما قتل غيرهما

(دير منسى آك) ويقال منساك وبنى ساك وايساآك ومعنى ذلك اسحاق وكان على اسم السيدة ماريهام يعني مار مريم ثم عرف بمنساك وكان راهبا قديما له عندهم شهرة وبهذا الدير بئر تحته فى الحاجر منها شرب الرهبان فاذا زاد النيل شربوا من مائه

(دير الرسل) تحت دير منساك ويعرف بدير الاثل وهو لاعمال بوتيج ودير منساك لاهل ريفة هو ودير ساويرس ودير كرفونة لاهل سيوط ودير بوجرج لاهل ادرنكة ودير الاثل كان في خراب فعمر بجانبه كفر لطيف عرف بمنشأة الشيخ لان الشيخ أبا بكر الشاذلي أنشأه وأنشأ بستانا كبيرا وقد وجد موضعه بئرا كبيرة وجد بها كنزا أخبرني من شاهد من ذهبه دنانير مربعة بأحد وجهيها صليب وزنة الدينار مثقال ونصف وأديرة أدرنكة المذكورة قريب بعضها من بعض وبينها مغاير عديدة منقوش على ألواح فيها نقوشات من كتابة القدماء كما على البرابي وهى مزخرفة بعدة أصباغ ملونة تشتمل على علوم شتى ودير السبعة جبال ودير المطل ودير النساخ خارج سيوط فى المقابر ويقال أنه كان فى الحاجرين ثلثمائة وستون ديرا وان المسافر كان لايزال من البدرشين الى أصفون فى ظل البساتين وقد خرب ذلك وباد أهله

(دير موشه) وموشه خارج سيوط من قبليها بني على اسم توما الرسول الهندي وهو بين الغيطان قريب من ريفة وفى أيام النيل لايوصل اليه الا في مركب وله أعياد والاغلب على نصارى هذه الأديرة معرفة القبطي الصعيدى وهو أصل اللغة القبطية وبعدها اللغة القبطية البحرية ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لايكادون يتكلمون الا بالقبطية الصعيدية ولهم أيضاً معرفة تامة باللغة الرومية

(دير أبي مقروفة) وأبو مقروفة اسم للبلدة التي بها هذا الدير وهو منقور في لحف الجبل وفيه عدة مغاير وهو على اسم السيدة مريم وبمقروفة نصارى كثيرة غنامة ورعاة أكثرهم همج وفيهم قليل من يقرأ ويكتب وهو دير معطش

(دير بومغام) خارج طما وأهلها نصارى وكانوا قديما أهل علم

(دير بوشنوده) ويعرف بالدير الابيض وهو غربي ناحية سوهاى وبناؤه بالحجر وقد خرب ولم يبق منه الا كنيسته ويقال ان مساحته أربعة فدادين ونصف وربع والباقي منه نحو فدان وهو دير قديم

(الدير الاحمر) ويعرف بدير ابي بشاى وهو بحرى الدير الابيض بينهما نحو ثلاث ساعات وهو دير لطيف مبني بالطوب الاحمر وأبو بشاى هذا من الرهبان المعاصرين لشنوده وهو تلميذه وصار من تحت يده ثلاثة آلاف راهب وله دير آخر فى برية شيهات

(دير أبي ميساس) ويقال أبو ميسيس واسمه موسى وهذا الدير تحت البلينا وهو دير كبير * وأبو ميسيس هذا كان راهباً من أهل البلينا وله عندهم شهرة وهم ينذرونه ويزعمون فيه مزاعم ولم يبق بعد هذا الدير الا اديرة بحاجر اسنا ونقادة قليلة العمارة وكان بأصفون دير كبير وكانت أصفون من أحسن بلاد مصر وأكثر نواحي الصعيد فواكه وكان رهبان ديرها معروفين بالعلم والمهارة فخربت أصفون وخرب ديرها وهذا آخر أديرة الصعيد وهي كلها متلاشية آئلة الى الدثور بعد كثرة عمارتها ووفور أعداد رهبانها وسعة أرزاقهم وكثرة ما كان يحمل اليهم * (وأما الوجه البحري) * فكان فيه اديرة كثيرة خربت وبقى منها بقية فكان بالمقس خارج القاهرة من بحريها عدة كنائس هدمها الحاكم بأمر الله أبو علي منصور فى تاسع عشر ذى الحجة سنة تسع وتسعين وثلثمائة وأباح ما كان فيها فنهب منها شئ كثير جدا بعد ما أمر فى شهر ربيع الاول منها بهدم كنائس راشدة خارج مدينة مصر من شرقيها وجعل موضعها الجامع المعروف براشدة وهدم أيضاً فى سنة أربع وتسعين كنيستين هناك وألزم النصارى بلبس السواد وشد الزنار وقبض على الاملاك التى كانت محبسة على الكنائس والاديرة وجعلها فى ديوان السلطان وأحرق عدة كثيرة من الصلبان ومنع النصاري من اظهار زينة الكنائس فى عيد الشعانين وتشدد عليهم وضرب جماعة منهم وكانت بالروضة كنيسة بجوار المقياس فهدمها السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة ثمان وثلاثين وستمائة وكان فى ناحية أبي النمرس من الجيزة كنيسة قام فى هدمها رجل من الزيالعة لانه سمع أصوات النواقيس يجهر بها فى ليلة الجمعة بهذه الكنيسة فلم يتمكن من ذلك فى أيام الاشرف شعبان بن حسين لتمكن الاقباط فى الدولة فقام فى ذلك مع الامير الكبير برقوق وهو يومئذ القائم بتدبير الدولة حتى هدمها على يد القاضى جمال الدين محمود العجمى محتسب القاهرة فى ثامن عشر رمضان سنة ثمانين وسبعمائة وعملت مسجدا

(دير الخندق) ظاهر القاهرة من بحريها عمره القائد جوهر عوضا عن دير هدمه فى القاهرة كان بالقرب من الجامع الاقمر حيث البئر التى تعرف الآن ببئر العظامة وكانت اذذاك تعرف ببئر العظام من أجل انه نقل عظاما كانت بالدير وجعلها بدير الخندق ثم هدم دير الخندق فى رابع عشرى شوال سنة ثمان وسبعين وستمائة في أيام المنصور قلاون ثم جدد هذا الدير الذى هناك بعد ذلك وعمل كنيستين يأتي ذكرها في الكنائس

(دير سرياقوس) كان يعرف بأبى هور وله عيد يجتمع فيه الناس وكان فيه أعجوبة ذكرها الشابشتي وهو أن من كان به خنازير أخذه رئيس هذا الدير وأضجعه وجاءه بخنزير فلحس موضع الوجع ثم أكل الخنازير التى فيه فلا يتعدى ذلك الى الموضع الصحيح فاذا نظف الموضع ذر عليه رئيس الدير من رماد خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ودهنه

بزيت قنديل البيعة فانه يبرأ ثم يؤخذ ذلك الخنزير الذي أكل خنازير العليل فيذبح ويحرق ويعد رماده لمثل هذه الحالة فكان لهذا الدير دخل عظيم ممن يبرأ من هذه العلة وفيه خلق من النصارى

(دير اتريب) ويعرف بعاري مريم وعيده في حادي عشري بؤنه وذكر الشابشتي أن حمامة بيضاء تأتي في ذلك العيد فتدخل المذبح لايدرون من اين جاءت ولا يرونها الى يوم مثله * وقد تلاشى أمر هذا الدير حتي لم يبق به الا ثلاثة من الرهبان لكنهم يجتمعون في عيده وهو على شاطئ النيل قريب من بنها العسل

(دير المغطس) عند الملاحات قريب من بحيرة البرلس وتحج اليه النصارى من قبلي أرض مصر ومن بحريها مثل حجهم الى كنيسة القمامة وذلك يوم عيده وهو في بشنس ويسمونه عيد الظهور من أجل انهم يزعمون أن السيدة مريم تظهر لهم فيه ولهم فيه مزاعم كلها من أكاذيبهم المختلقة وليس بحذاء هذا الدير عمارة سوى منشأة صغيرة في قبليه شرق وبقربه الملاحة التي يؤخذ منها الملح الرشيدي وقد هدم هذا الدير في شهر رمضان سنة احدى وأربعين وثمانمائة بقيام بعض الفقراء المتقدين

(دير العسكر) في أرض السباخ على يوم من دير المغطس على اسم الرسل وبقربه ملاحة الملح الرشيدي ولم يبق به سوى راهب واحد

(دير جميانة) على اسم بوجرج قريب من دير العسكر على ثلاث ساعات منه وعيده عقب عيد دير المغطس وليس به الآن أحد

(دير الميمنة) بالقرب من دير العسكر كانت له حالات جايلة ولم يكن في القديم دير بالوجه البحري أكثر رهبانا منه الا انه تلاشى أمره وخرب فنزله الحبش وعمروه وليس في السباخ سوى هذه الاربعة الاديرة * وأما وادي هبيب وهو وادي النطرون ويعرف ببرية شيهات وبرية الاسقط وبميزان القلوب فانه كان بها في القديم مائة دير ثم صارت سبعة ممتدة غرباً على جانب البرية القاطعة بين بلاد البحيرة والفيوم وهي في رمل منقطعة وسباخ مالحة وبرار منقطعة معطشة وقفار مهلكة وشراب أهلها من حفائر وتحمل النصارى اليهم النذور والقرابين وقد تلاشت في هذا الوقت بعد ماذكر مورخو النصارى انه خرج الى عمرو بن العاص من هذه الاديرة سبعون ألف راهب بيد كل واحد عكاز فسلموا عليه وانه كتب لهم كتابا هو عندهم

(فمنها دير أبي مقار الكبير) وهو دير جليل عندهم وبخارجه اديرة كثيرة خربت وكان دير النساك في القديم ولا يصح عندهم بطركية البطرك حتى يجلسوه في هذا الدير بعد جلوسه بكرسي اسكندرية ويذكر أنه كان فيه من الرهبان ألف وخمسمائة لاتزال مقيمة به

وايس به الآن الا قليل منهم والمقارات ثلاثة أكبرهم صاحب هذا الدير ثم أبو مقار الاسكندراني ثم أبو مقار الاسقف وهؤلاء الثلاثة قد وضعت رممهم في ثلاث أنابيب من خشب وتزورها النصارى بهذا الدير وبه أيضا الكتاب الذى كتبه عمرو بن العاص لرهبان وادى هبيب بجرانة نواحي الوجه البحرى على ماأخبرني من أخبر برؤيته فيه * (أبو مقار الاكبر) هو مقاريوس أخذ الرهبانية عن انطونيوس وهو أول من لبس عندهم القلنسوة والاشكيم وهو سير من جلد فيه صليب يتوشح به الرهبان فقط وأتى انطونيوس بالجبل الشرقى من حيث دير العزبة وأقام عنده مدة ثم ألبسه لباس الرهبانية وأمره بالمسير الى وادى النطرون ليقيم هناك ففعل ذلك واجتمع عنده الرهبان الكثيرة العدد وله عندهم فضائل عديدة منها انه كان لايصوم الاربعين الا طاويا في جميعها لايتناول غذاء ولا شرابا البتة مع قيام ليلها وكان يعمل الخوص ويتقوت منه وما أكل خبزا طريا قط بل يأخذ القراقيش فيبلها في نقاعة الخوص ويتناول منها هو ورهبان الدير مايمسك الرمق من غير زيادة هذا قوتهم مدة حياتهم حتي مضوا لسبيلهم * وأما أبو مقار الاسكندرانى فانه ساح من الاسكندرية الى مقاريوس المذكور وترهب على يديه ثم كان أبو مقار الثالث وصار أسقفا

(دير أبي يحنس القصير) يقال انه عمر في أيام قسطنطين بن هيلانة ولابي يحنس هذا فضائل مذكورة وهو من أجل الرهبان وكان لهذا الدير حالات شهيرة وبه طوائف من الرهبان ولم يبق به الآن الا ثلاثة رهبان

(دير الياس) عليه السلام وهو دير للحبشة وقد خرب دير يحنس كما خرب دير الياس اكلت الارضة أخشابهما فسقطا وصار الحبشة الى دير سيدة بويحنس القصير وهو دير لطيف بجوار دير بويحنس القصير * وبالقرب من هذه الاديرة

(دير انبانوب) وقد خرب هذا الدير أيضاً (انبانوب) هذا من أهل سمنود قتل في الاسلام ووضع جسده في بيت بسمنود

(دير الارمن) قريب من هذه الاديرة وقد خرب * وبجوارها أيضا

(دير بوبشاى) وهو دير عظيم عندهم من أجل أن بوبشاي هذا كان من الرهبان الذين في طبقة مقاريوس ويحنس القصير وهو دير كبير جدا

(دير بازاء دير بوبشاى) كان بيد اليعاقبة ثم ملكته رهبان السريان من نحو ثلثمائة سنة وهو بيدهم الآن ومواضع هذه الاديرة يقال لها بركة الاديرة

(دير سيدة برموس) على اسم السيدة مريم فيه بعض رهبان * وبازائه

(دير موسى) ويقال أبو موسى الاسود ويقال برمؤس وهذا الدير لسيدة برمؤس

غبرموس اسم الدير وله قصة حاصلها أن مكسيموس ودوماديوس كانا ولدى ملك الروم وكان لهما معلم يقال له ارسانيوس فسار المعلم من بلاد الروم الى أرض مصر وعبر برية شيهات هذه وترهب وأقام بها حتى مات وكان فاضلا وأتاه فى حياته ابنا الملك المذكوران وترهبا على يديه فلما ماتا بعث أبوهما فبنى على اسمهما كنيسة برموس وأبو موسى الاسود كان اصافاتكا قتل مائة نفس ثم انه تنصر وترهب وصنف عدة كتب وكان ممن يطوى الاربعين في صومه وهو بربرى

(دير الزجاج) هذا الدير خارج مدينة الاسكندرية ويقال له الهايطون وهو على اسم بوجرج الكبير ومن شرط البطرك أنه لابد أن يتوجه من المعلقة بمصر الى دير الزجاج هذا ثم انهم في هذا الزمان تركوا ذلك فهذه أديرة اليعاقبة

(وللنساء ديارات تختص بهن)* فمنها (دير الراهبات) بحارة زويلة من القاهرة وهو دير عامر بالابكار المترهبات وغيرهن من نساء النصارى

(دير البنات) بحارة الروم بالقاهرة عامر بالنساء المترهبات

(دير المعلقة) بمدينة مصر وهو أشهر ديارات النساء عامر بهن

(دير بربارة) بمصر بجوار كنيسة بربارة عامر بالبنات المترهبات (بربارة) كانت قديسة في زمان دقلطيانوس فعذبها لترجع عن ديانتها وتسجد للاصنام فثبتت على دينها وصبرت على عذاب شديد وهى بكر لم يمسها رجل فلما يئس منها ضرب عنقها وعنق عدة من النساء معها *(وللنصاري الملكية)* قلاية بطركهم بجوار كنيسة ميكائيل بالقرب من جسر الافرم خارج مصر وهى مجمع الرهبان الواردين من بلاد الروم

(دير يحنس القصير) المعروف بالقصير وصوابه عندهم دير القصير على وزن شهيد وحرف فقيل دير القصير بضم القاف وفتح الصاد وتشديد الياء فسماه المسلمون دير القصير بضم القاف وفتح الصاد واسكان الياء آخر الحروف كأنه تصغير قصير وأصله كما عرفتك دير القصير الذي هو ضد الطويل وسمى أيضاً دير هرقل ودير البغل وقد تقدم ذكره وكان من أعظم ديارات النصارى وليس به الآن سوى واحد يحرسه وهو بيد الملكية

(دير الطور) قال ابن سيده الطور الجبل وقد غلب على طور سيناء جبل بالشام وهو بالسريانية طورى والنسب اليه طوري وطواري * وقال ياقوت سبعة مواضع * الاول طور زيتا بلفظ الزيت من الادهان مقصور علم لجبل بقرب رأس عين * الثانى طورزيت أيضا جبل بالبيت المقدس وهو شرقى سلوان * الثالث الطور علم لجبل بعينه مطل على مدينة طبرية بالاردن * الرابع الطور علم لجبل كورة تشتمل على عدة قرى بأرض مصر من الجهة القبلية بين مصر وجبل فاران * الخامس طور سيناء اختلفوا فيه فقيل هو جبل

بقرب ايلة وقيل جبل بالشام وقيل سيناء حجازية وقيل سحرتية * السادس طور عبدين بفتح العين وسكون الباء الموحدة وكسر الدال المهملة وياء آخر الحروف ونون اسم لبلدة من نواحي نصيبين فى بطن الجبل المشرف عليها المتصل بجبل جودى * السابع طور هارون أخي موسى عليهما السلام * وقال الواحدى فى تفسيره وقال الكلبي وغيره والجبل في قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل اعظم جبل بمدين يقال له زبير وذكر الكلبي أن الطور سمي بيطور بن اسماعيل قال السهيلي فلعله محذوف الياء ان كان صح ماقاله وقال عمر بن شيبة أخبرني عبد العزيز عن أبي معشر عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أنهار (٣) فى الجنة وأربعة أجبل وأربع ملاحم في الجنة فأما الانهار فسيحان وجيحان والنيل والفرات وأما الاجبل فالطور ولبنان وأحد وورقان وسكت عن الملاحم * وعن كعب الاحبار معاقل المسلمين ثلاثة فمعقلهم من الروم دمشق ومعقلهم من الدجال الاردن ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور * وقال شعبة عن ارطاة بن المنذر اذا خرج يأجوج ومأجوج أوحي الله تعالى الى عيسى ابن مريم عليه السلام انى قد أخرجت خلقا من خلقي لايطيقهم أحد غيري فر بمن معك الى جبل الطور فيمر ومعه من الذرارى اثنا عشر ألفا وقال طلق بن حبيب عن زرعة أردت الخروج الى الطور فأتيت عبدالله بن عمر رضى الله عنهما فقلت له فقال انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الحرام والمسجد الاقصى فدع عنك الطور فلا تأته وقال القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى وقد ذكر كور أرض مصر ومن كور القبلة قرى الحجاز وهي كورة الطور وفاران وكورة راية والقلزم وكورة ايلة وحيزها ومدين وحيزها والعويند والحوراء وحيزها ثم كورة بدا وشعيب * قلت لاخلاف بين علماء الاخبار من أهل الكتاب أن جبل الطور هذا هو الذى كلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام عليه أو عنده وبه الى الآن دير بيد الملكية وهو عامر وفيه بستان كبير به نخل وعنب وغير ذلك من الفواكه * وقال الشابشتي وطور سيناء هو الجبل الذى تجلى فيه النور لموسى بن عمران عليه السلام وفيه صعق والدير فى أعلى الجبل مبنى بحجر أسود عرض حصنه سبع أذرع وله ثلاثة أبواب حديد وفي غربيه باب لطيف وقدامه حجر اقيم اذا أرادوا رفعه رفعوه واذا قصدهم أحد أرسلوه فانطبق على الموضع فلم يعرف مكان الباب وداخل الدير عين ماء وخارجه عين أخرى وزعم النصارى أن به نارا من أنواع النار التى كانت ببيت المقدس يقدون منها فى كل عشية وهى بيضاء لطيفة ضعيفة الحر

(٣) (قوله أربعة أنهار الخ) هكذا لفظ الحديث فى النسخ التى بيدى والعهدة عليها فليراجع من مظانه اه مصححه

لاتحرق ثم تقوى اذا أوقد منها السراج وهو عامر بالرهبان والناس يقصدونه وهو من الديارات الموصوفة * قال ابن عامر فيه

ياراهب الدير ماذاالضوء والنور * فقد أضاء بما فى ديرك الطور
هل حلت الشمس فيه دون أبرجها * أو غيب البدر فيه وهو مستور
فقال ماحله شمس ولا قمر * لكن تقرب فيه اليوم قورير

قلت ذكر مؤرخو النصارى ان هذا الدير أمر بعمارته يوسطيانوس ملك الروم بقسطنطينية فعمل عليه حصن فوقه عدة قلالى وأقيم فيه الحرس لحفظ رهبانه من قوم يقال لهم بنو صالح من العرب وفى أيام هذا الملك كان المجمع الخامس من مجامع النصارى وبينه وبين القلزم وكانت مدينة طريقان احداها فى البر والاخري في البحر وهما جميعا يؤديان الى مدينة فاران وهى من مدائن العمالقة ثم منها الى الطور مسيرة يومين ومن مدينة مصر الى القلزم ثلاثة أيام ويصعد الى جبل الطور بستة آلاف وستمائة وست وستين مرقاة وفي نصف الجبل كنيسة لايلياء النبي وفي قلته كنيسة على اسم موسى عليه السلام بأساطين من رخام وأبواب من صفر وهو الموضع الذى كلم الله تعالى فيه موسى وقطع منه الالواح ولا يكون فيها الا راهب واحد للخدمة ويزعمون أنه لايقدر أحد أن يبيت فيها بل يهيأ له موضع من خارج يبيت فيه ولم يبق لهاتين الكنيستين وجود

(دير البنات بقصر الشمع بمصر) وهو على اسم بوجرج وكان مقياس النيل قبل الاسلام وبه آثار ذلك الى اليوم فهذا ماللنصارى اليعاقبة والملكية رجالهم ونسائهم من الديارات بأرض مصر قبليها وبحريها وعدتها ستة وثمانون ديرا منها لليعاقبة (٣) دير وللملكية

(ذكر كنائس النصارى)

قال الازهرى كنيسة اليهود جمعها كنائس وهي معربة أصلها كنشت انتهى وقد نطقت العرب بذكر الكنيسة قال العباس بن مرداس السلمي

يدورون بي في ظل كل كنيسة * وما كان قومي يبتنون الكنائسا

وقال ابن قيس الرقيات

كانها دمية مصورة * في بيعة من كنائس الروم

(كنيستا الخندق) ظاهر القاهرة احداهما على اسم غبريال الملاك والاخرى على اسم مرقوريوس وعرفت برويس وكان راهبا مشهورا بعد سنة ثمانمائة وعند هاتين الكنيستين يقبر النصارى موتاهم وتعرف بمقبرة الخندق وعمرت هاتان الكنيستان عوضا عن كنائس المقس فى الايام الاسلامية

(كنيسة حارة زويلة بالقاهرة) كنيسة عظيمة عند النصاري اليعاقبة وهي على اسم

السيدة وزعموا أنها قديمة تعرف بالحكيم زايلون وكان قبل الملة الاسلامية بنحو مائتين وسبعين سنة وانه صاحب علوم شتي وان له كنزا عظيما يتوصل اليه من بئر هناك

(كنيسة تعرف بالمغيثة) بحارة الروم من القاهرة على اسم السيدة مريم وليس لليعاقبة بالقاهرة سوى هاتين الكنيستين وكان بحارة الروم أيضاً كنيسة أخرى يقال لها كنيسة بربارة هدمت في سنة ثمان عشرة وسبعمائة وسبب ذلك أن النصارى رفعوا قصة للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون يسألون الاذن في اعادة ماتهدم منها فأذن لهم في ذلك فعمروها أحسن ما كانت فغضبت طائفة من المسلمين ورفعوا قصة للسلطان بأن النصارى أحدثوا بجانب هذه الكنيسة بناء لم يكن فيها فرسم للامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة بهدم ماجددوه فركب وقد اجتمع الخلائق فبادروا وهدموا الكنيسة كلها في اسرع وقت وأقاموا في موضعها محرابا وأذنوا وصلوا وقرؤا القرآن كل ذلك بأيديهم فلم يمكن ممارضتهم خشية الفتنة فاشتد الامر على النصارى وشكوا أمرهم للقاضي كريم الدين ناظر الخاص فقام وقعد غضبا لدين اسلافه وما زال بالسلطان حتى رسم بهدم المحراب فهدم وصار موضعه كوم تراب ومضى الحال على ذلك

(كنيسة بومنا) هذه الكنيسة قريبة من السد فيما بين الكيمان بطريق مصر وهي ثلاث كنائس متجاورة احداها لليعاقبة والاخرى للسريان وأخري للارمن ولها عيد في كل سنة تجتمع اليه النصارى

(كنيسة المعلقة) بمدينة مصر فى خط قصر الشمع على اسم السيدة وهى جليلة القدر عندهم وهى غير القلاية التي تقدم ذكرها

(كنيسة شنودة) بمصر نسبت لابى شنودة الراهب القديم وله أخبار منها انه كان ممن يطوى في الاربعين اذا صام وكان تحت يده ستة آلاف راهب يتقوت هو واياهم من عمل الخوص وله عدة مصنفات

(كنيسة مريم) بجوار كنيسة شنودة هدمها على بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس أمير مصر لما ولى من قبل أمير المؤمنين الهادى موسى في سنة تسع وستين ومائة وهدم كنائس محرس قسطنطين وبذل له النصارى في تركها خمسين ألف دينار فامتنع فلما عزل بموسي بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فى خلافة هارون الرشيد أذن موسى بن عيسى للنصارى فى بنيان الكنائس التي هدمها على بن سليمان فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وقالا هو من عمارة البلاد واحتجا بأن الكنائس التي بمصر لم تبن الا فى الاسلام في زمن الصحابة والتابعين

(كنيسة بوجرج الثقة) هذه الكنيسة في درب بخط قصر الشمع بمصر يقال له درب

الثقة ويجاورها كنيسة سيدة بوجرج

(كنيسة بربارة) بمصر كبيرة جليلة عندهم وهي تنسب الى القديسة بربارة الراهبة وكان في زمانها راهبتان بكران وهما ايسي وتكلة ويعمل لهن عيد عظيم بهذه الكنيسة يحضره البطريق

(كنيسة بوسرجة) بالقرب من بربارة بجوار زاوية ابن النعمان فيها مغارة يقال ان المسيح وأمه مريم عليهما السلام جلسا بها

(كنيسة بابليون) في قبلي قصر الشمع بطريق جسر الافرم وهذه الكنيسة قديمة جدا وهي لطيفة ويذكر أن تحتها كنز بابليون وقد خرب ماحولها

(كنيسة تاودورس الشهيد) بجوار بابليون نسبت للشهيد تاودورس الاسفهسلار

(كنيسة بومنا بجوار بابليون أيضاً) وهاتان الكنيستان مغلوقتان لخراب ماحولهما

(كنيسة بومنا) بالحمراء و تعرف الحمراء اليوم بخط قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر وأحدثت هذه الكنيسة في سنة سبع عشرة ومائة من سني الهجرة باذن الوليد ابن رفاعة أمير مصر فغضب وهيب اليحصبي وخرج على السلطان وجاء الى بن رفاعة ليفتك فأخذ وقتل وكان وهيب مدريا من اليمن قدم الى مصر فخرج القراء على الوليد بن رفاعة غضبا لوهيب وقاتلوه وصارت معونة امرأة وهيب تطوف ليلا على منازل القراء تحرضهم على الطلب بدمه وقد حلقت رأسها وكانت امرأة جزلة فأخذ ابن رفاعة أبا عيسى مروان ابن عبد الرحمن اليحصبي بالقراء فاعتذر وخلي ابن رفاعة عنهم فسكنت الفتنة بعد ماقتل جماعة ولم تزل هذه الكنيسة بالحمراء الى أن كانت واقعة هدم الكنائس في ايام الناصر محمد بن قلاون على ما يأتي ذكر ذلك والخبر عن هدم جميع كنائس أرض مصر وديارات النصارى في وقت واحد

(كنيسة الزهري) كانت في الموضع الذي فيه اليوم البركة الناصرية بالقرب من قناطر السباع في بر الخليج الغربي غربي الاوق واتفق في أمرها عدة حوادث وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاون لما أنشأ ميدان المهارى المجاور لقناطر السباع في سنة عشرين وسبعمائة قصد بناء زريبة على النيل الاعظم بجوار الجامع الطيبرسي فأمر بنقل كوم تراب كان هنالك وحفر ماتحته من الطين لاجل بناء الزريبة وأجرى الماء الى مكان الحفر فصار يعرف الى اليوم بالبركة الناصرية وكان الشروع في حفر هذه البركة من آخر شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وسبعمائة فلما انتهى الحفر الى جانب كنيسة الزهري وكان بها كثير من النصارى لايزالون فيها وبجانبها أيضاً عدة كنائس في الموضع الذي يعرف اليوم بحكر أقبغا مابين السبع سقايات وبين قنطرة السد خارج مدينة مصر أخذ الفعلة في الحفر حول كنيسة الزهري حتى

بقيت قائمة في وسط الموضع الذى عينه السلطان ليحفر وهو اليوم بركة الناصرية وزاد الحفر حتى تعلقت الكنيسة وكان القصد من ذلك أن تسقط من غير قصد لخرابها وصارت العامة من غلمان الامراء العمالين في الحفر وغيرهم في كل وقت يصرخون على الامراء في طلب هدمها وهم يتغافلون عنهم الى أن كان يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وقت اشتغال الناس بصلاة الجمعة والعمل من الحفر بطال فتجمع عدة من غوغاء العامة بغير مرسوم السلطان وقالوا بصوت عال مرتفع الله اكبر ووضعوا أيديهم بالمساحي ونحوها فى كنيسة الزهرى وهدموها حتي بقيت كوما وقتلوا من كان فيها من النصاري وأخذوا جميع ما كان فيها وهدموا كنيسة بومنا التي كانت بالحمراء وكانت معظمة عند النصارى من قديم الزمان وبها عدة من النصارى قد انقطعوا فيها ويحمل اليهم نصاري مصر سائر ما يحتاج اليه ويبعث اليها بالنذور الجليلة والصدقات الكثيرة فوجد فيها مال كثير ما بين نقد ومصاغ وغيره وتساق العامة الى أعلاها وفتحوا أبوابها وأخذوا منها مالا وقماشا وجرار خمر فكان أمرا مهولا ثم مضوا من كنيسة الحمراء بعد ما هدموها الى كنيستين بجوار السبع سقايات تعرف احداهما بكنيسة البنات كان يسكنها بنات النصارى وعدة من الرهبان فكسروا أبواب الكنيستين وسبوا البنات وكن زيادة على ستين بنتا وأخذوا ماعليهن من الثياب ونهبوا سائر ماظفروا به وحرقوا وهدموا تلك الكنائس كلها هذا والناس في صلاة الجمعة فعندما خرج الناس من الجوامع شاهدوا هولا كبيرا من كثرة الغبار ودخان الحريق ومرج الناس وشدة حركاتهم ومعهم مانهبوه فما شبه الناس الحال لهوله الا بيوم القيامة وانتشر الخبر وطار الى الرميلة تحت قلعة الجبل فسمع السلطان ضجة عظيمة ورجة منكرة افزعته فبعث لكشف الخبر فلما بلغه ماوقع أزعج انزعاجا عظيما وغضب من تجرى العامة واقدامهم على ذلك بغير أمره وأمر الامير أيدغمش امير اخور أن يركب بجماعة الاوشاقية ويتدارك هذا الخلل ويقبض على من فعله فأخذ أيدغمش يتهيأ للركوب واذا بخبر قد ورد من القاهرة أن العامة ثارت في القاهرة وخربت كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة وجاء الخبر من مدينة مصر أيضاً بأن العامة قامت بمصر في جمع كثير جدا وزحفت الى كنيسة المعلقة بقصر الشمع فاغلقها النصارى وهم محصورون بها وهي على أن تؤخذ فتزايد غضب السلطان وهم أن يركب بنفسه ويبطش بالعامة ثم تأخر لما راجعه الامير أيدغمش ونزل من القلعة فى أربعة من الامراء الى مصر وركب الامير بيبرس الحاجب والامير الماس الحاجب الى موضع الحفر وركب الامير طينال الى القاهرة وكل منهم في عدة وافرة وقد أمر السلطان بقتل من قدروا عليه من العامة بحيث لايعفو عن أحد فقامت القاهرة ومصر علي ساق وفرت النهابة فلم يظفر الامراء منهم الا بمن عجز عن الحركة بما غلبه من السكر بالخمر الذى نهبه من الكنائس ولحق

الامير أيدغمش بمصر وقد ركب الوالي الى المعلقة قبل وصوله ليخرج من زقاق المعلقة من حضر للنهب فأخذه الرجم حتي فر منهم ولم يبق الا ان يحرق باب الكنيسة فجرد أيدغمش ومن معه السيوف يريدون الفتك بالعامة فوجدوا عالما لايقع عليه حصر وخاف سوء العاقبة فأمسك عن القتل وأمر أصحابه بارجاف العامة من غير اهراق دم ونادى مناديه من وقف حل دمه ففر سائر من اجتمع من العامة وتفرقوا وصار أيدغمش واقفا الى أن أذن العصر خوفا من عود العامة ثم مضى وألزم والى مصر أن يبيت باعوانه هناك وترك معه خمسين من الاوشاقية وأما الامير الماس فانه وصل الى كنائس الحمراء وكنائس الزهري ليتداركها فاذا بها قد بقيت كيمانا ليس بها جدار قائم فعاد وعاد الامراء فورد الخبر على السلطان وهو لايزداد الا حنقا فما زالوا به حتى سكن غضبه وكان الامر فى هدم هذه الكنائس عجبا من العجب وهو أن الناس لما كانوا في صلاة الجمعة من هذا اليوم بجامع قلعة الجبل فعندما فرغوا من الصلاة قام رجل موله وهو يصيح من وسط الجامع اهدموا الكنيسة التي في القلعة اهدموها وأكثر من الصياح المزعج حتى خرج عن الحد ثم اضطرب فتعجب السلطان والامراء من قوله ورسم لنقيب الجيوش والحاجب بالفحص عن ذلك فمضيا من الجامع الى خرائب التتر من القلعة فاذا فيها كنيسة قد بنيت فهدموها ولم يفرغوا من هدمها حتى وصل الخبر بواقعة كنائس الحمراء والقاهرة فكثر تعجب السلطان من شان ذلك الفقير وطلب فلم يوقف له على خبر واتفق أيضاً بالجامع الازهر ان الناس لما اجتمعوا في هذا اليوم لصلاة الجمعة أخذ شخصا من الفقراء مثل الرعدة ثم قام بعد ما أذن قبل أن يخرج الخطيب وقال اهدموا كنائس الطغيان والكفرة نعم الله أكبر فتح الله ونصر وصار يزعج نفسه ويصرخ من الاساس الى الاساس فحدق الناس بالنظر اليه ولم يدروا ماخبره وافترقوا فى أمره فقائل هذا مجنون وقائل هذه اشارة لشئ فلما خرج الخطيب أمسك عن الصياح وطلب بعد انقضاء الصلاة فلم يوجد وخرج الناس الى باب الجامع فرأوا النهابة ومعهم أخشاب الكنائس وثياب النصارى وغير ذلك من النهوب فسألوا عن الخبر فقيل قد نادى السلطان بخراب الكنائس فظن الناس الامر كما قيل حتى تبين بعد قليل أن هذا الامر انما كان من غير أمر السلطان وكان الذى هدم في هذا اليوم من الكنائس بالقاهرة كنيسة بحارة الروم وكنيسة بالبندقانيين وكنيستين بحارة زويلة *

وفي يوم الاحد الثالث من يوم الجمعة الكائن فيه هدم كنائس القاهرة ومصر ورد الخبر من الامير بدر الدين بيلبك المحسني والى الاسكندرية بأنه لما كان يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر بعد صلاة الجمعة وقع في الناس هرج وخرجوا من الجامع وقد وقع الصياح هدمت الكنائس فركب المملوك من فوره فوجد الكنائس قد صارت كوما وعدتها أربع كنائس

وان بطاقة وقعت من والى البحيرة بأن كنيستين في مدينة دمنهور هدمتا والناس فى صلاة الجمعة من هذا اليوم فكثر التعجب من ذلك الى أن ورد في يوم الجمعة سادس عشره الخبر من مدينة قوص بأن الناس عند ما فرغوا من صلاة الجمعة في اليوم التاسع من شهر ربيع الآخر قام رجل من الفقراء وقال يا فقراء اخرجوا الى هدم الكنائس وخرج فى جمع من الناس فوجدوا الهدم قد وقع في الكنائس فهدمت ست كنائس كانت بقوص وما حولها في ساعة واحدة وتواتر الخبر من الوجه القبلي والوجه البحرى بكثرة ما هدم في هذا اليوم وقت صلاة الجمعة وما بعدها من الكنائس والاديرة في جميع أقليم مصر كله ما بين قوص والاسكندرية ودمياط فاشتد حنق السلطان على العامة خوفا من فساد الحال وأخذ الامراء في تسكين غضبه وقالوا هذا الامر ليس من قدرة البشر فعله ولو أراد السلطان وقوع ذلك على هذه الصورة لما قدر عليه وما هذا الا بأمر الله سبحانه وبقدره لما علم من كثرة فساد النصارى وزيادة طغيانهم ليكون ما وقع نقمة وعذابا لهم هذا والعامة بالقاهرة ومصر قد اشتد خوفهم من السلطان لما كان يبلغهم عنه من التهديد لهم بالقتل ففر عدة من الاوباش والغوغاء وأخذ القاضى فخر الدين ناظر الجيش في ترجيع السلطان عن الفتك بالعامة وسياسة الحال معه وأخذ كريم الدين الكبير ناظر الخاص يغريه بهم الى أن أخرجه السلطان الى الاسكندرية بسبب تحصيل المال وكشف الكنائس التى خربت بها فلم يمض سوى شهر من يوم هدم الكنائس حتى وقع الحريق بالقاهرة ومصر فى عدة مواضع وحصل فيه من الشناعة أضعاف ما كان من هدم الكنائس فوقع الحريق في ربع بخط الشوايين من القاهرة فى يوم السبت عاشر جمادى الاولى وسرت النار الى ما حوله واستمرت الى آخر يوم الاحد فتلف في هذا الحريق شئ كثير وعند ما أطفئ وقع الحريق بحارة الديلم فى زقاق العريسة بالقرب من دور كريم الدين ناظر الخاص فى خامس عشرى جمادى الاولى وكانت ليلة شديدة الريح فسرت النار من كل ناحية حتى وصلت الى بيت كريم الدين وبلغ ذلك السلطان فانزعج انزعاجا عظيما لما كان هناك من الحواصل السلطانية وسير طائفة من الامراء لاطفائه فجمعوا الناس لاطفائه وتكاثروا عليه وقد عظم الخطب من ليلة الاثنين الى ليلة الثلاثاء فتزايد الحال في اشتعال النار وعجز الامراء والناس عن اطفائها لكثرة انتشارها في الاماكن وقوة الريح التي ألقت باسقات النخل وغرقت المراكب فلم يشك الناس في حريق القاهرة كلها وصعدوا المآذن وبرز الفقراء وأهل الخير والصلاح وضجوا بالتكبير والدعاء وجاروا وكثر صراخ الناس وبكاؤهم وصعد السلطان الى أعلى القصر فلم يتمالك الوقوف من شدة الريح واستمر الحريق والاستحثاث يرد على الامراء من السلطان في اطفائه الى يوم الثلاثاء فنزل نائب السلطان ومعه جميع الامراء وسائر السقائين ونزل الامير بكتمر الساقي فكان يوما عظيما

لم ير الناس أعظم منه ولا أشد هولا ووكل بأبواب القاهرة من يرد السقائين اذا خرجوا
من القاهرة لاجل اطفاء النار فلم يبق أحد من سقائى الامراء وسقائي البلد الا وعمل
وصاروا ينقلون الماء من المدارس والحمامات وأخذ جميع النجارين وسائر البنائين لهدم
الدور فهدم في هذه النوبة ماشاء الله من الدور العظيمة والرباع الكبيرة . وعمل فى هذا
الحريق أربعة وعشرون أميرا من الامراء المقدمين سوى من عداهم من أمراء الطبلخانات
والعشراوات والمماليك وعمل الامراء بأنفسهم فيه وصار الماء من باب زويلة الى حارة
الديلم في الشارع بحرا من كثرة الرجال والجمال التى تحمل الماء ووقف الامير بكتمر الساقي
والامير أرغون النائب على نقل الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين الى بيت ولده
بدرب الرصاصى وخربوا ستة عشر دارا من جوار الدار وقبالها حتي تمكنوا من نقل
الحواصل فما هو الا أن كمل اطفاء الحريق ونقل الحواصل واذا بالحريق قد وقع فى ربع
الظاهر خارج باب زويلة وكان يشتمل على مائة وعشرين بيتا وتحته قيسارية تعرف
بقيسارية الفقراء وهب مع الحريق ريح قوية فركب الحاجب والوالى لاطفائه وهدموا عدة
دور من حوله حتي انطفأ فوقع فى ثانى يوم حريق بدار الامير سلار في خط بين القصرين
ابتدأ من الباذهنج وكان ارتفاعه عن الارض مائة ذراع بالعمل فوقع الاجتهاد فيه حتى
أطفئ فأمر السلطان الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة والامير ركن الدين بيبرس
الحاجب بالاحتراز واليقظة ونودى بأن يعمل عند كل حانوت دنّ فيه ماء أو زير مملوء
بالماء وأن يقام مثل ذلك في جميع الحارات والازقة والدروب فبلغ ثمن كل دن خمسة
دراهم بعد درهم وثمن الزير ثمانية دراهم ووقع حريق بحارة الروم وعدة مواضع حتي
انه لم يخل يوم من وقوع الحريق فى موضع فتنبه الناس لما نزل بهم وظنوا أنه من أفعال النصارى
وذلك أن النار كانت ترى فى منابر الجوامع وحيطان المساجد والمدارس فاستعدوا للحريق
وتتبعوا الاحوال حتي وجدوا هذا الحريق من نفط قد لف عليه خرق مبلولة بزيت
وقطران * فلما كان ليلة الجمعة النصف من جمادى قبض على راهبين عند ماخرجا من
المدرسة الكهارية بعد العشاء الآخرة وقد اشتعلت النار في المدرسة ورائحة الكبريت في
أيديهما فحملا الى الامير علم الدين الخازن والى القاهرة فأعلم السلطان بذلك فأمر بعقوبتهما
فما هو الا أن نزل من القلعة واذا بالعامة قد أمسكوا نصرانيا وجد فى جامع الظاهر ومعه
خرق على هيئة الكعكة فى داخلها قطران ونفط وقد ألقى منها واحدة بجانب المنبر ومازال
واقفا الى أن خرج الدخان فمشي يريد الخروج من الجامع وكان قد فطن به شخص وتأمله
من حيث لم يشعر به النصرانى فقبض عليه وتكاثر الناس فجروه الى بيت الوالى وهو بهيئة
المسلمين فعوقب عند الامير ركن الدين بيبرس الحاجب فاعترف بأن جماعة من النصارى

قد اجتمعوا على عمل نفط وتفريقه مع جماعة من أتباعهم وانه ممن اعطى ذلك وأمر بوضعه
عند منبر جامع الظاهر ثم أمر بالراهبين فعوقبا فاعترفا انهما من سكان دير البغل وأنهما هما
اللذان أحرقا المواضع التي تقدم ذكرها بالقاهرة غيرة وحنقا من المسلمين لما كان من هدمهم
للكنائس وان طائفة النصارى تجمعوا وأخرجوا من بينهم مالا جزيلا لعمل هذا النفط
واتفق وصول كريم الدين ناظر الخاص من الاسكندرية فعرفه السلطان ماوقع من القبض
على النصارى فقال النصارى لهم بطرك يرجعون اليه ويعرف أحوالهم فرسم السلطان بطلب
البطرك عند كريم الدين ليتحدث معه في امر الحريق وماذكره النصارى من قيامهم في
ذلك فجاء في حماية والى القاهرة فى الليل خوفا من العامة فلما أن دخل بيت كريم الدين
بحارة الديلم وأحضر اليه الثلاثة النصارى من عند الوالى قالوا لكريم الدين بحضرة البطرك
والوالى جميع ماعترفوا به قبل ذلك فبكى البطرك عند ماسمع كلامهم وقال هؤلاء سفهاء
النصارى قصدوا مقابلة سفهاء المسلمين على تخريبهم الكنائس وانصرف من عند كريم
الدين مبجلا مكرما فوجد كريم قد أقام له بغلة على بابه ليركبها فركبها وسار فعظم ذلك على
الناس وقاموا عليه يدا واحدة فلولا أن الوالى كان يسايره والا هلك وأصبح كريم الدين
يريد الركوب الى القلعة على العادة فلما خرج الى الشارع صاحت به العامة مايحل لك ياقاضى
تحامي للنصارى وقد أحرقوا بيوت المسلمين وتركبهم بعد هذا البغال فشق عليه ماسمع
وعظمت نكايته واجتمع بالسلطان فأخذ يهون أمر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء
وجهال فرسم السلطان للوالى بتشديد عقوبتهم فنزل وعاقبهم عقوبة مؤلمة فاعترفوا بأن
أربعة عشر راهبا بدير البغل قد تحالفوا على احراق ديار المسلمين كلها وفيهم راهب يصنع
النفط وأنهم اقتسموا القاهرة ومصر فجعل للقاهرة ثمانية ولمصر ستة فكبس دير البغل وقبض
على من فيه وأحرق من جماعته أربعة بشارع صليبة جامع ابن طولون فى يوم الجمعة وقد
اجتمع لمشاهدتهم عالم عظيم فضرى من حينئذ جمهور الناس على النصارى وفتكوا بهم وصاروا
يسلبون ماعليهم من الثياب حتى فحش الامر وتجاوزوا فيهم المقدار فغضب السلطان من
ذلك وهم أن يوقع بالعامة واتفق انه ركب من القلعة يريد الميدان الكبير فى يوم السبت
فرأى من الناس أمما عظيمة قد ملأت الطرقات وهم يصيحون نصر الله الاسلام انصر دين
محمد بن عبد الله فخرج من ذلك وعند مانزل الميدان أحضر اليه الخازن نصرانيين قد
قبض عليهما وهما يحرقان الدور فأمر بتحريقهما فأخرجا وعمل لهما حفرة وأحرقا بمرأى
من الناس وبينا هم في احراق النصرانيين اذا بديوان الامير بكتمر الساقى قد مر يريد بيت
الامير بكتمر وكان نصرانيا فعند ماعاينه العامة ألقوه عن دابته الى الارض وجردوه من
جميع ما عليه من الثياب وحملوه ليلقوه في النار فصاح بالشهادتين وأظهر الاسلام فاطلق

واتفق مع هذا مرور كريم الدين وقد لبس التشريف من الميدان فرجمه من هنالك رجاله متتابعا وصاحوا به كم تحامى للنصارى وتشد معهم ولعنوه وسبوه فلم يجد بدا من العود الى السلطان وهو بالميدان وقد اشتد ضجيج العامة وصياحهم حتى سمعهم السلطان فلما دخل عليه واعلمه الخبر امتلأ غضبا واستشار الامراء وكان بحضرته منهم الامير جمال الدين نائب الكرك والامير سيف الدين البوبكرى والخطيرى وبكتمر الحاجب فى عدة أخرى فقال الابوبكرى العامة عمي والمصلحة أن يخرج اليهم الحاجب ويسألهم عن اختيارهم حتى يعلم فكره هذا من قوله السلطان وأعرض عنه فقال نائب الكرك كل هذا من أجل الكتاب النصارى فان الناس أبغضوهم والرأي أن السلطان لا يعمل في العامة شيئاً وانما يعزل النصاري من الديوان فلم يعجبه هذا الرأي أيضا وقال للامير الماس الحاجب امض ومعك أربعة من الامراء وضع السيف في العامة من حين تخرج من باب الميدان الى أن تصل الى باب زويلة واضرب فيهم بالسيف من باب زويلة الى باب النصر بحيث لا ترفع السيف عن أحد البتة وقال لوالى القاهرة ركب الى باب اللوق والى باب البحر ولا تدع أحدا حتى تقبض عليه وتطلع به الى القلعة ومتي لم تحضر الذين رجموا وكيلي يعنى كريم الدين والا وحياة رأسي شنقتك عوضا عنهم وعين معه عدة من المماليك السلطانية فخرج الامراء بعد ماتلكأوا فى المسير حتي اشتهر الخبر فلم يجدوا أحدا من الناس حتى ولا غلمان الامراء وحواشيهم ووقع القول بذلك فى القاهرة فغلقت الاسواق جميعها وحل بالناس أمر لم يسمع بأشد منه وسار الامراء فلم يجدوا في طول طريقهم أحدا الى أن بلغوا باب النصر وقبض الوالى من باب اللوق وناحية بولاق وباب البحر كثيرا من الكلا بزية والنواتية وأسقاط الناس فاشتد الخوف وعدي كثير من الناس الى البر الغربي بالجيزة وخرج السلطان من الميدان فلم يجد في طريقه الى أن صعد قلعة الجبل أحدا من العامة وعندما استقر بالقلعة سير الى الوالى يستعجل حضوره فما غربت الشمس حتي أحضر ممن أمسك من العامة نحو مائتى رجل فعزل منهم طائفة أمر بشنقهم وجماعة رسم بتوسيطهم وجماعة رسم بقطع أيديهم فصاحوا بأجمعهم ياخوند مايحل لك مانحن الذين رجمنا فبكى الامير بكتمر الساقى ومن حضر من الامراء رحمة لهم وما زالوا بالسلطان الى أن قال للوالى اعزل منهم جماعة وانصب الخشب من باب زويلة الى تحت القلعة بسوق الخيل وعلق هؤلاء بأيديهم فلما أصبح يوم الاحد علق الجميع من باب زويلة الى سوق الخيل وكان فيهم من له بزة وهيئة ومر الامراء بهم فتوجعوا لهم وبكوا عليهم ولم يفتح أحد من أرباب الحوانيت بالقاهرة ومصر في هذا اليوم حانوتا وخرج كريم الدين من داره يريد القلعة على العادة فلم يستطع المرور على المصلوبين وعدل عن طريق باب زويلة وجلس السلطان فى الشباك وقد أحضر بين يديه جماعة ممن

قبض عليهم الوالى فقطع أيدى وأرجل ثلاثة منهم والامراء لايقدرون على الكلام معه في أمرهم لشدة حنقه فتقدم كريم الدين وكشف رأسه وقبل الارض وهو يسأل العفو فقبل سؤاله وأمر بهم أن يعملوا في حفير الجيزة فأخرجوا وقد مات ممن قطع أيديهم اثنان وأنزل المعلقون من على الخشب وعند ماقام السلطان من الشباك وقع الصوت بالحريق في جهة جامع ابن طولون وفي قلعة الجبل وفي بيت الامير ركن الدين الاحمدى بحارة بهاء الدين وبالفندق خارج باب البحر من المقس وما فوقه من الربع وفي صبيحة يوم هذا الحريق قبض على ثلاثة من النصارى وجد معهم فتائل النفط فأحضروا الى السلطان واعترفوا بأن الحريق كان منهم واستمر الحريق في الاماكن الى يوم السبت فلما ركب السلطان الى الميدان على عادته وجد نحو عشرين ألف نفس من العامة قد صبغوا خرقا بلون أزرق وعملوا فيها صلبانا بيضا وعند مارأوا السلطان صاحوا بصوت عال واحد لادين الادين الاسلام نصر الله دين محمد بن عبد الله يامالك الناصر ياسلطان الاسلام انصرنا على أهل الكفر ولا تنصر النصاري فارتجت الدنيا من هول أصواتهم وأوقع الله الرعب فى قلب السلطان وقلوب الامراء وسار وهو فى فكر زائد حتي نزل بالميدان وصراخ العامة لايبطل فرأى أن الرأى في استعمال المداراة وأمر الحاجب أن يخرج وينادى بين يديه من وجد نصرانيا فله ماله ودمه فخرج ونادي بذلك فصاحت العامة وصرخت نصرك الله وضجوا بالدعاء وكان النصارى يلبسون العمائم البيض فنودى في القاهرة ومصر من وجد نصرانيا بعمامة بيضاء حل له دمه وماله ومن وجد نصرانيا راكبا حل له دمه وماله وخرج مرسوم بلبس النصارى العمامة الزرقاء وأن لايركب أحد منهم فرسا ولا بغلا ومن ركب حمارا فليركبه مقلوبا ولا يدخل نصراني الحمام الا وفى عنقه جرس ولا يتزيا أحد منهم بزى المسلمين ومنع الامراء من استخدام النصارى وأخرجوا من ديوان السلطان وكتب لسائر الاعمال بصرف جميع المباشرين من النصاري وكثر ايقاع المسلمين بالنصاري حتى تركوا السعي في الطرقات وأسلم منهم جماعة كثيرة وكان اليهود قد سكت عنهم فى هذه المدة فكان النصرانى اذا أراد أن يخرج من منزله يستعير عمامة صفراء من أحد من اليهود ويلبسها حتى يسلم من العامة واتفق أن بعض دواوين النصارى كان له عند يهودى مبلغ أربعة آلاف درهم نقرة فصار الى بيت اليهودى وهو متنكر فى الليل ليطالبه فامسكه اليهودى وقال أنا بالله وبالمسلمين وصاح فاجتمع الناس لاخذ النصراني ففر الى داخل بيت اليهودى واستجار بامرأته وأشهد عليه بابراء اليهودى حتي خلص منه وعثر على طائفة من النصارى بدير الخندق يعملون النفط لاحراق الاماكن فقبض عليهم وسمروا ونودى في الناس بالامان وأنهم يتفرجون على عادتهم عند ركوب السلطان الى الميدان وذلك انهم كانوا قد تخوفوا على أنفسهم لكثرة ماأوقعوا بالنصارى وزادوا

في الخروج عن الحد فاطمأنوا وخرجوا على العادة الى جهة الميدان ودعوا للسلطان وصاروا يقولون نصرك الله ياسلطان الارض اصطلحنا اصطلحنا وأعجب السلطان ذلك وتبسم من قولهم وفى تلك الليلة وقع حريق فى بيت الامير الماس الحاجب من القلعة وكان الريح شديدا فقويت النار وسرت الي بيت الامير ايتمش فانزعج أهل القلعة وأهل القاهرة وحسبوا أن القلعة جميعها احترقت ولم يسمع بأشنع من هذه الكائنة فانه احترق على يد النصارى بالقاهرة ربع في سوق الشوايين وزقاق العريسة بحارة الديلم وستة عشر بيتا بجوار بيت كريم الدين وعدة أماكن بحارة الروم ودار بهادر بجوار المشهد الحسيني وأماكن باصطبل الطارمة وبدرب العسل وقصر أمير سلاح وقصر سلار بخط بين القصرين وقصر بيسرى وخان الحجر والجملون وقيسارية الادم ودار بيبرس بحارة الصالحية ودار ابن المغربى بحارة زويلة وعدة أماكن بخط بئر الوطاويط وبالحكر وفي قلعة الجبل وفي كثير من الجوامع والمساجد الى غير ذلك من الاماكن بمصر والقاهرة يطول عددها وخرب من الكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجبل وكنيسة الزهرى في الموضع الذى فيه الآن البركة الناصرية وكنيسة الحمراء وكنيسة بجوار السبع سقايات تعرف بكنيسة البنات وكنيسة أبي المنيا وكنيسة الفهادين بالقاهرة وكنيسة بحارة الروم وكنيسة بالبندقانيين وكنيستان بحارة زويلة وكنيسة بخزانة البنود وكنيسة بالخندق وأربع كنائس بثغر الاسكندرية وكنيستان بمدينة دمنهور الوحش وأربع كنائس بالغربية وثلاث كنائس بالشرقية وست كنائس بالبهنساوية وبسيوط ومنفلوط ومنية الخصيب ثمان كنائس وبقوص وأسوان احدى عشرة كنيسة وبالاطفيحية كنيسة وبسوق وردان من مدينة مصر وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس وخرب من الديارات شئ كثير وأقام دير البغل ودير شهران مدة ليس فيهما أحد وكانت هذه الخطوب الجليلة فى مدة يسيرة قلما يقع مثلها في الأزمان المتطاولة هلك فيها من الانفس وتلف فيها من الاموال وخرب من الاماكن مالا يمكن وصفه لكثرته ولله عاقبة الامور

(كنيسة ميكائيل) هذه الكنيسة كانت عند خليج بني وائل خارج مدينة مصر قبلى عقبة يحصب وهى الآن قريبة من جسر الافرم أحدثت في الاسلام وهى مليحة البناء

(كنيسة مريم) في بساتين الوزير قبلي بركة الحبش خالية ليس بها أحد

(كنيسة مريم) بناحية العدوية من قبليها قديمة وقد تلاشت

(كنيسة أنطونيوس) بناحية بياض قبلى اطفيح وهي محدثة * وكان بناحية شرنوب عدة كنائس خربت وبقي بناحية اهريت الجبل قبلي بياض بيومين * (كنيسة السيدة) * بناحية أشكر وعلى بابها برج مبني بلبن كبار يذكر أنه موضع ولد موسى بن عمران عليه السلام

(كنيسة مريم) بناحية الخصوص وهي بيت فعملوه كنيسة لايعبابها

(كنيسة مريم وكنيسة يحنس القصير وكنيسة غبريال) هذه الكنائس الثلاث بناحية أبنوب

(كنيسة أسبوطير ومعناه المخلص) هذه الكنيسة بمدينة أخميم وهي كنيسة معظمة عندهم وهي على اسم الشهداء وفيها بئر اذا جعل ماؤها فى القنديل صار أحمر قانيا كأنه الدم

(كنيسة ميكائيل) بمدينة اخميم أيضاً ومن عادة النصارى بهاتين الكنيستين اذا عملوا عيد الزيتونة المعروف بعيد الشعانين أن يخرج القسوس والشمامسة بالمجامر والبخور والصلبان والاناجيل والشموع المشعلة ويقفوا على باب القاضى ثم أبواب الاعيان من المسلمين فيبخروا ويقرؤا فصلا من الانجيل ويطرحوا له طرحا يعنى يمدحونه

(كنيسة بو بخوم) بناحية اقفه وهي آخر كنائس الجانب الشرقي وبخوم ويقال بخوميوس كان راهبافي زمن بوشنودة ويقال له أبو الشركة من أجل انه كان يربى الرهبان فيجعل لكل راهبين معلما وكان لايمكن من دخول الخمر ولا اللحم الى ديره ويأمر بالصوم الى آخر التاسعة من النهار ويطعم رهبانه الحمص المصلوق ويقال له عندهم حمص القلة وقد خرب ديره وبقيت كنيسته هذه باقفه قبلي اخميم

(كنيسة مرقص الانجيلي) بالجيزة خربت بعد سنة ثمانمائة ثم عمرت *. ومرقص هذا أحد الحواريين وهو صاحب كرسى مصر والحبشة

(كنيسة بوجرج) بناحية ابى النمرس من الجيزة هدمت في سنة ثمانين وسبعمائة كما تقدم ذكره ثم أعيدت بعد ذلك

(كنيسة بوفار) آخر أعمال الجيزة

(كنيسة شنودة) بناحية هربشت

(كنيسة بوجرج) بناحية ببا وهى جليلة عندهم يأتونها بالنذور ويحلفون بها ويحكون لها فضائل متعددة

(كنيسة ماروطا القديس) بناحية شمسطا وهم يبالغون في ماروطا هذا وكان من عظماء ورهبانهم وجسده في انبوبة بدير بوبشاى من برية شيهات يزورونه الى اليوم

(كنيسة مريم بالبهنسا) ويقال انه كان بالبهنسا ثلثمائة وستون كنيسة خربت كلها ولم يبق بها الا هذه الكنيسة لاغير

(كنيسة صمويل) الراهب بناحية شبرى

(كنيسة مريم) بناحية طنبدي وهى قديمة

(كنيسة ميخائيل) بناحية طنبدي وهي كبيرة قديمة وكان هناك كنائس كثيرة خربت وأكثر أهل طنبدى نصارى أصحاب صنائع

(كنيسة الابصطولى) أعنى الرسل بناحية أشنين وهى كبيرة جدا

(كنيسة مريم) بناحية أشنين أيضاً وهي قديمة

(كنيسة ميخائيل وكنيسة غبريال) بناحية أشنين أيضاً وكان بهذه الناحية مائة وستون كنيسة خربت كلها الا هذه الكنائس الاربع وأكثر أهل أشنين نصارى وعليهم الدرك في الخفارة وبظاهرها آثار كنائس يعملون فيها أعيادهم منها كنيسة بوجرج وكنيسة مريم وكنيسة ماروطا وكنيسة بربارة وكنيسة كفريل وهو جبريل عليه السلام

(وفي منية ابن خصيب ست كنائس) كنيسة المعلقة وهي كنيسة السيدة وكنيسة بطرس وبولص وكنيسة ميكائيل وكنيسة بوجرج وكنيسة انبابولا الطموهي وكنيسة الثلاث فتية وهم حنانيا وعزاريا وميصائيل وكانوا أجنادا في أيام بخت نصر فعبدوا الله تعالى خفية فلما عثروا عليهم راودهم بخت نصر أن يرجعوا الى عبادة الاصنام فامتنعوا من ذلك فسجنهم مدة ليرجعوا فلم يرجعوا فأخرجهم والقاهم فى النار فلم تحرقهم والنصارى تعظمهم وان كانوا قبل المسيح بدهر

(كنيسة بناحية طحا) على اسم الحواريين الذين يقال عندهم الرسل

كنيسة مريم) بناحية طحا أيضاً

(كنيسة الحكيمين) بناحية منهرى لها عيد عظيم في بشنس يحضره الاسقف ويقام هناك سوق كبير فى العيد وهذان الحكيمان هما قزمان ودميان الراهبان

(كنيسة السيدة) بناحية بقرقاس قديمة كبيرة

وبناحية ملوى كنيسة كنيسة الرسل وكنيستان خراب احداهما على اسم بوجرج والاخرى على اسم الملك ميخائيل وبناحية دلجة كنائس كثيرة لم يبق منها الا ثلاث كنائس كنيسة السيدة وهى كبيرة وكنيسة شنودة وكنيسة مرقورة وقد تلاشت كلها وبناحية صنبو كنيسة انبابولا وكنيسة بوجرج وصنبو كثيرة النصارى وبناحية ببلاو وهى بحري صنبو كنيسة قديمة بجانبها الغربى على اسم جرجس وبها نصارى كثيرون فلاحون وبناحية دروط كنيسة وفى خارجها شبه الدير على اسم الراهب ساراماتون وكان في زمان شنودة وعمل أسقفا وله أخبار كثيرة وبناحية بوق بنى زيد كنيسة كبيرة على اسم الرسل ولها عيد وبالقوصية كنيسة مريم وكنيسة غبريال وبناحية دمشير كنيسة الشهيد مرقوريوس وهى قديمة وبها عدة نصارى وبناحية أم القصور كنيسة بوبخنس القصير وهى قديمة وبناحية بلوط من ضواحى منفلوط كنيسة ميخائيل وهى صغيرة وبناحية البلاعزة من ضواحي منفلوط كنيسة صغيرة يقيم بها القسيس بأولاده وبناحية شقلقيل ثلاث كنائس كبار قديمة احداها على اسم الرسل وأخرى باسم ميخائيل وأخرى باسم بومنا وبناحية منشأة النصارى كنيسة ميخائيل وبمدينة سيوط كنيسة بوسدرة وكنيسة الرسل وبخارجها كنيسة بومينا

وبناحية درنكة كنيسة قديمة جدا على اسم الثلاثة فتية حنانيا وعزاريا وميصائيل وهي مورد لفقراء النصارى ودرنكة أهلها من النصارى يعرفون اللغة القبطية فيتحدث صغيرهم وكبيرهم بها ويفسرونها بالعربية وبناحية ريفة كنيسة بوقانة الطبيب الراهب صاحب الاحوال العجيبة في مداواة الرمدى من الناس وله عيد يعمل بهذه الكنيسة* وبها كنيسة ميخائيل أيضاً وقد أكلت الارضة جانب ريفة الغربي وبناحية موشة كنيسة مركبة على حمام على اسم الشهيد بقطر وبنيت في أيام قسطنطين ابن هيلانة ولها رصيف عرضه عشرة أذرع ولها ثلاث قباب ارتفاع كل منها نحو الثمانين ذراعا مبنية بالحجر الابيض كلها وقد سقط نصفها الغربي ويقال ان هذه الكنيسة على كنز تحتها ويذكر انه كان من سيوط الى موشة هذه ممشاة تحت الارض وبناحية بقور من ضواحي بو تيج كنيسة قديمة للشهيد اكلوديس وهو يعدل عندهم مرقوريوس وجا أرجيوس وهو أبو جرج والاسفهسلار تا أدروس وميناوس وكان اكلوديوس أبوه من قواد دقاطيانوس وعرف هو بالشجاعة فتنصر فأخذه الملك وعذبه ليرجع الى عبادة الاصنام فثبت حتى قتل وله أخبار كثيرة وبناحية القطيعة كنيسة على اسم السيدة وكان بها أسقف يقال له الدوين بينه وبينهم منافرة فدفنوه حيا وهم من شرار النصارى معروفون بالشر وكان منهم نصراني يقال له جرجس ابن الراهبة تعدى طوره فضرب رقبته الامير جمال الدين يوسف الاستادار بالقاهرة في ايام الناصر فرج بن برقوق وبناحية بوتيج كنائس كثيرة قد خربت وصار النصارى يصلون في بيت لهم سرا فاذا طلع النهار خرجوا الى آثار كنيسة وعملوا لها سياجا من جريد شبه القفص وأقاموا هناك عباداتهم وبناحية بومقروفه كنيسة قديمة لميخائيل ولها عيد فى كل سنة وأهل هذه الناحية نصارى أكثرهم رعاة غنم وهم همج رعاع وبناحية دوينة كنيسة على اسم بو بخنس القصير وهى قبة عظيمة وكان بها رجل يقال له يونس عمل أسقفا واشتهر بمعرفة علوم عديدة فتعصبوا عليه حسدا منهم له على علمه ودفنوه حيا وقد توعك جسمه وبالمراغة التي بين طهطا وطما كنيسة وبناحية قلفاو كنيسة كبيرة وتعرف نصاري هذه البلدة بمعرفة السحر ونحوه وكان بها فى أيام الظاهر برقوق شماس يقال له ابصلطيس له في ذلك يد طولى ويحكى عنه مالا أحب حكايته لغرابته وبناحية فرشوط كنيسة ميخائيل وكنيسة السيدة مارت مريم وبمدينة هو كنيسة السيدة وكنيسة بومنا وبناحية بهجورة كنيسة الرسل وباسنا كنيسة مريم وكنيسة ميخائيل وكنيسة يوحنا المعمداني وهو يحيي بن زكريا عليهما السلام وبنقادة كنيسة السيدة وكنيسة يوحنا المعمداني وكنيسة غبريال وكنيسة يوحنا الرحوم وهو من أهل انطاكية ذوي الاموال فزهد وفرق ماله كله على الفقراء وساح وهو على دين النصرانية فى البلاد فعمل أبواه عزاءه وظنوا انه مات ثم قدم انطاكية فى حالة لا يعرف فيها وأقام فى كوخ

على مزبلة وأقام رمقه بما يلقى على تلك المزبلة حتى مات فلما عملت جنازته كان ممن حضرها أبوه فعرف غلاف انجيله ففحص عنه حتى عرف انه ابنه فدفنه وبني عليه كنيسة انطاكية * وبمدينة قفط كنيسة السيدة وكان بأصفون عدة كنائس خربت بخرابها وبمدينة قوص عدة أديرة وعدة كنائس خربت بخرابها وبقى بها كنيسة السيدة ولم يبق بالوجه القبلى من الكنائس سوى ما تقدم ذكرنا له

* (وأما الوجه البحرى) *

ففى منية صرد من ضواحى القاهرة كنيسة السيدة مريم وهى جليلة عندهم وبناحية سندوة كنيسة محدثة على اسم بوجرج وبمرصفا كنيسة مستجدة على اسم بوجرج أيضاً وبسمنود كنيسة على اسم الرسل عملت في بيت وبسنباط كنيسة جليلة عندهم على اسم الرسل وبصندفة كنيسة معتبرة عندهم على اسم بوجرج وبالريدانية كنيسة السيدة ولها قدر جليل عندهم وفى دمياط أربع كنائس للسيدة ولميخائيل ولبوحنا المعمدانى ولما رى جرجس ولها مجد عندهم وبناحية سبك العبيد كنيسة محدثة في بيت مخفى على اسم السيدة وبالنحراوية كنيسة محدثة في بيت مخفى وفي لقانة كنيسة بوبخنس القصير وبدمنهور كنيسة محدثة فى بيت مخفى على اسم ميخائيل وبالاسكندرية المعلقة على اسم السيدة وكنيسة بوجرج وكنيسة يوحنا المعمداني وكنيسة الرسل فهذه كنائس اليعاقبة بأرض مصر ولهم بغزة كنيسة مريم ولهم بالقدس القمامة وكنيسة صهيون وأما الملكية فلهم بالقاهرة كنيسة مارى تقولا بالبندقانيين وبمصر كنيسة غبريال الملاك بخط قصر الشمع وبها قلاية لبطركهم وكنيسة السيدة بقصر الشمع أيضاً وكنيسة الملاك ميخائيل بجوار بزبارة بمصر وكنيسة ماريوحنا بخط دير الطين والله أعلم

وهذا آخر الجزء الرابع وبتمامه تم الكتاب والحمد لله وحده وصلى الله على من لانبي بعده وسلم ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا عدوان الا على الظالمين



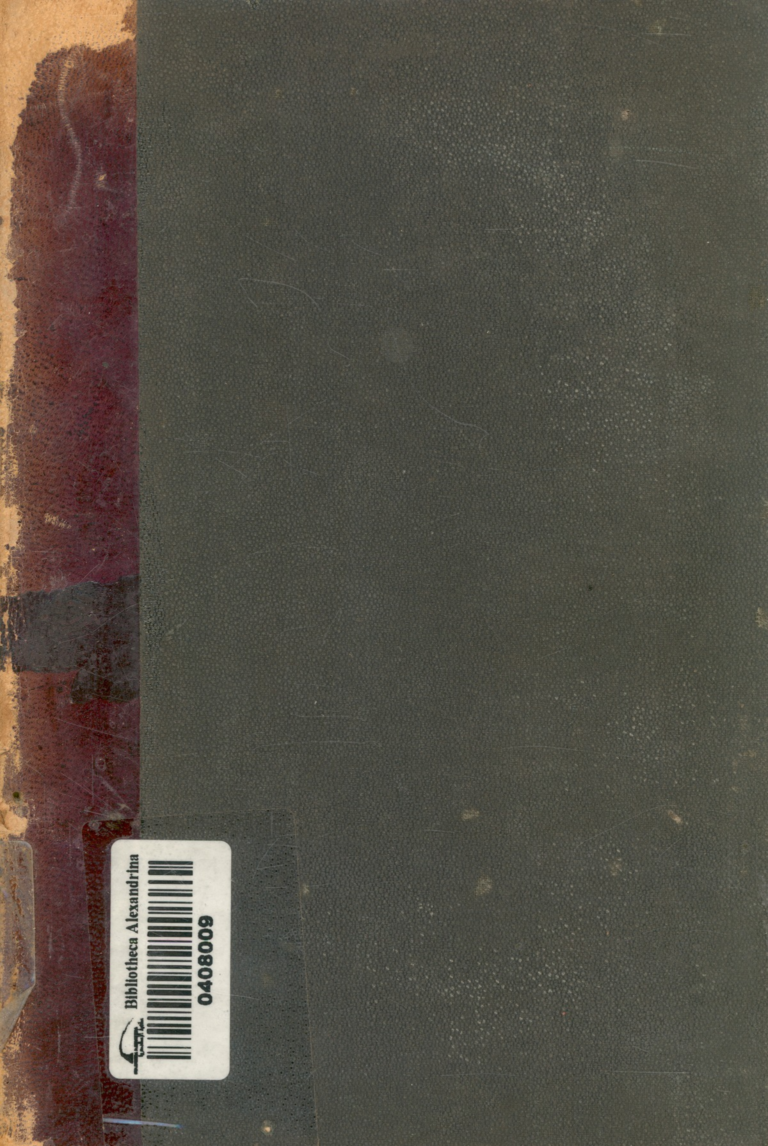
﴿ قال مصحح هذا الكتاب . أجزل الله له الأجر والثواب ﴾

الحمـد لله الذى هـدى قوما الى اقتناص شوارد المعارف والعلوم . وشوقهم للتفنن فى مسارح التدبر والركض بميادين الفهوم . ووالى عليهم من مزيد آلائه مننا متظافرة متواترة وأسبغ عليهم نعماً باطنة وظاهرة . والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من مضى وغبر الجامع لمحاسن الاخلاق والسير . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين. وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين (أما بعد) فقد تم بعون الملك الوهاب . طبع هذا الكتاب المستطاب المشتمل على ما بمدينة القاهرة . من آثار القصور الزاهية الزاهرة . وما اشتملت عليه من الخطط والاصقاع . وحوته من المبانى البـديعة الاوضاع . ألا وهو تأليف الامام الهمام علامة الانام وقدوة الاعلام . الشيخ تقى الدين أحمد بن على المعروف بالمقريزى رحمه الله وجعل جنة عدن متقلبه ومثواه . وذلك على ذمة حضرة الاستاذ الفاضل . الذى لا يثبت امامه خصم اذا أخذ عن الدين يناضل . من هو للحق بالحق ظهير ونصير جناب الكامل الشيخ (أحمد على المليجى) الكتبى الشهير لا زال حاميا حمى ملة الاسلام . وسيفاً قاطعاً لأعناق الكفرة اللئام وكان هذا الطبع الجميل بمطبعة النيل . ذات الفضل الجليل والشرف الجزيل . وكان تمـام طبعه وظهور ينعه . فى أواسط شهر ربيع الاول سنة ١٣٢٦ ألف وثلثمائة وستة وعشرين من هجرة النبى الصادق الامين . عليـه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى السـلام ما لاح بدر تمـام وفاح مسك ختـام

{ فهرست }

الجزء الرابع من كتاب الخطط للعلامة المقريزى

﴿ تمت فهرست الجزء الرابع من كتاب الخطط للمقريزى ﴾


Bibliotheca Alexandrina
0408009